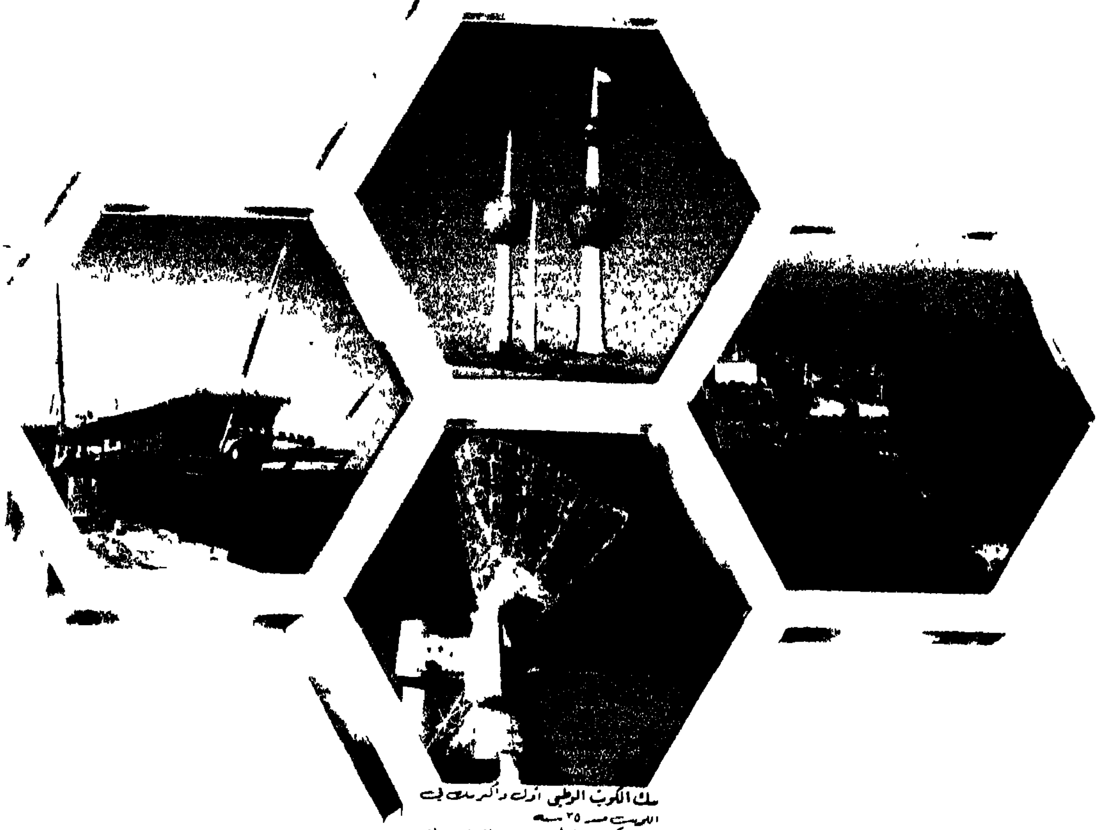

التطوير

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج



بنك الكويت الوطني أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٣٥ سنة
بنك الكويت الوطني البنك الذي رافق نمو الكويت لتلبية التطور الاقتصادي والمالي
بنك الكويت الوطني يقوم بجميع المعاملات الاقتصادية والتجارية والاستثمارات المصرفية
بنك الكويت الوطني شبكة من المراسلين في جميع أنحاء العالم قبل اقدامك على أي عمل في الكويت أو في الخليج استعمل المفتاح الذهبي واستشر خبرائنا المصرفية العالمية

القسم المصرفي الاستثماري والتجاري
تلفون ٤٢٣١١ ، تلكس ٢٠٤٣ / ٢٢٥١ / ٤ ٢٧ كويت ،
قسم السوق المالي ، تلفون ٨/٩ -٤٤١٠ ،
تلكس ٢٢٢٧ ، ٢٣٢٧ كويت

بنك الكويت الوطني ش م ك

ص.ب ٩٥ ، تلكس ناسيونال ٤٣ ٢ كويت ، تلفون ٤٢٣١ الفرع الرئيسي

عزيزي القارئ

خلال شهر يونيو (حزيران) الذي انقضى ، هبط الى النصف عدد الرسائل التي تشكو الينا اختفاء « العربي » من اسواق ثلاث دول عربية هي : المغرب ، وسوريا والعراق . والسبب ان قرارا اتخذ بزيادة المرسل من « العربي » الى هذه الدول الثلاث ، بنسبة ٣٠٪ من اول يونيو . وتلك بداية نأمل معها أن نتمكن مع اواخر العام الحالي من الاستجابة لطلبات زيادة التوزيع التي نتلقاها من بقية انحاء العالم العربي ، خصوصا ان ثمة جهدا كبيرا يبذل الآن لتوفير امكانيات افضل لطباعة المجلة وفق احدث الاساليب ، باحدث الماكينات .

ولعل قارىء العربي قد لاحظ ان زيادة « الكم » ، جاءت مقرونة بتقدم « النوع » في الطباعة . اذ اننا منذ العدد الماضي بدأنا اعتمادا اكبر على الصف الالكتروني ، الذي استخدم حروفا جديدة ، اكثر تقدما وجودة من الحروف التي كانت مستخدمة من قبل .

وهذه النتائج لم تكن لتتحقق بغير وعى كاف برسالة « العربي » وحرص شديد على انجاح هذه الرسالة وحملها الى كل قارىء يطلب « العربي » في وطننا الكبير ، من أقصاه الى أقصاه .

وهو وعي يتمتع به أولئك الجنود المجهولون الذين يشتركون معنا في دفع عجلة العربي وتقديمها في افضل صورة . وتمتد مساحته لتشمل قطاعا عريضا يمتد من قمة المسئولية الى قاعة الصف « وعنابر » التجليد في المطبعة .

أما عن المضمون ـ الأهم ـ فليس لنا أن نقول في شأنه اكثر من أننا نحاول أن نتجاوز صيغة المجلة الثقافية العصرية ، الى مجلة « موقف » ثقافي وعصري . والكلمة الاخيرة في هذه المحاولة لك أنت : عزيزى القارىء .

« المحـــرر »

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI - - No 248 July 1979 P O Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● استطلاع هذا الشهر فى صحراء مصر الشاسعة ، فى واحة سيوة ، التى زارها الاسكندر الاكبر ليقدم الولاء « للإله آمون » • وغرق فى رمال صحرائها جيش قمبيز ، وتحولت الآن الى بقعة خضراء حافلة بالحياة والحركة •• لكنها حياة غريبة ومثيرة • والصورة لواحدة من بنات سيوة • ابت الا أن تظهر ومعها نماذج من فنون سيوة •

(اقرأ الاستطلاع ص ٦٨)

فنون :

أدب ولغة :

علم نفس :

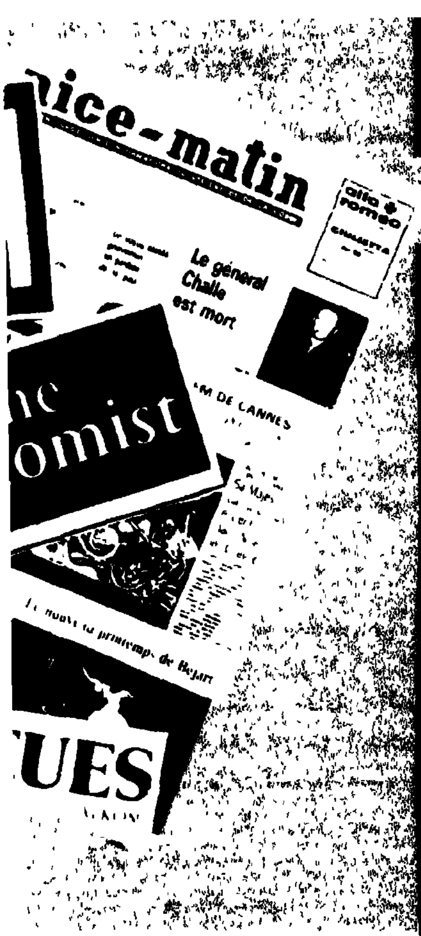
تاريخ :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائـر ٢٫٥ دينار • المـغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهـما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٦٢٢٨) بيروت/لبنان •
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •
« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »



حديث الشهر

هل ساعد الاعلام على التفاهم بين الشعوب ام العكس ؟

بقلم : احمد بهاء الدين

هل زادت وسائل الاعلام الحديثة من درجة التفاهم بين الشعوب ؟

كان هذا موضوع برنامج تسجيلي عرضه التليفزيون الانجليزى ـ ال B.B.C ـ ورأيته في الصيف الماضي ، أى منذ سنة ، ولكنه مايزال يعود الى ذاكرتى ، في اكثر من مناسبة ..

وكان صاحب البرنامج ، واحد من المع الكتاب الصحفيين في انجلترا ، والذين طافوا العالم كمراسلين ، ولكنه كتب اهم مقالاته وكتبه عن الشرق العربي ، وكان صديقا عزيزا ، وكان اسمه داقيد هولدن ، وقد مات منذ اكثر من سنة ، في القاهرة ، برصاصة واحدة ، مازال سرها غامضا ، وان كان أقرب التفسيرات أنها المخابرات الاسرائيلية التى قتلته ، لانه كان يحمل اوراقا هامة عن اوضاع الفلسطينيين تحت الاحتلال ، وقد كان قادما من الضفة الغربية . وكل ما عرف هو انه قتل بعد خروجه من مطار القاهرة بساعات قليلة .

وقد وصل البرنامج التليفزيوني الممتاز ، الى نتيجة هي : أن تزايد وسائل الاعلام الحديثة ـ صحافة ،



اذاعة ، وكالات انباء ، تليفزيون ـ لم تزد في التفاهم بين الشعوب ، بل على العكس ، فقد كانت نتيجتها من هذه الزاوية ، سلبية الى حد بعيد .

اى انها زادت من « سوء التفاهم » بين الشعوب !

●

وقد تبدو هذه النتيجة غريبة . بل انها غريبة فعلا ..

ففي خلال نصف قرن من تاريخ الانسانية كلها ، وقعت ثورة غيرت حياة الناس جذريا ، وهي ثورة وسائل الاعلام الحديثة ..

ظهرت الصحافة المكتوبة . فبدلا من تناقل الناس للاخبار بالسماع من فرد الى فرد ، قويت الصحافة بحيث توزع بالملايين في اليوم الواحد .

ومع التقدم العلمى ، ظهرت وكالات الانباء تنقل المعلومات والاخبار من أقصى انحاء الارض الى الجريدة من جهة ، وانتشر الطيران الذى صار ينقل الجريدة من مقرها الى مختلف انحاء الارض من جهة اخرى . فصار الفرد قادرا ـ في كل صباح ـ على ان يعرف كل ما وقع في العالم خلال الاربع والعشرين ساعة السابقة ، مع فيض من معلومات المراسلين ، وصور المصورين التى تنقل بالراديو في دقائق ، ومقالات المعلقين .. الخ .

ثم ظهرت الاذاعة . وصارت كل دولة ، مهما كان حجمها وقلة مواردها وبعدها عن مركز الاحداث ، لها اذاعة . بل صار وجود الاذاعة أحد أهم مقومات وجود أى دولة . وسبقت الاذاعة الصحف في الانباء . فهي غير مضطرة الى الانتظار حتى الصباح التالي ، انما هي تقطع البرامج وتذيع النبأ الهام فور حصوله . فاذا اغتيل رئيس جمهورية في امريكا ، علم المستمع في الخليج بالنبأ في نفس الوقت الذى يعلم النبأ فيه الامريكي المقيم على بعد أميال من الحادث ..

ثم ظهرت اعظم خطوة في تطور وسائل الاعلام . وهي التليفزيون . وظهرت بعده الاقمار الصناعية . وهكذا صار الفرد في اى مكان ، لاول مرة ، يسمع ويرى بنفسه ، على الهواء وفي نفس الوقت مباشرة ، ما يحدث على بعد الاف الاميال منه . ابتداء من المعارك الحربية ، الى المؤتمرات الى مباريات كرة القدم .. تماما مثل الجالس في الملعب .

لقد قتل جون كنيدى على شاشة التليفزيون ورأى عشرات الملايين الحادث وهو يقع . وقتل بعده روبرت كنيدى أمام عدسات التلفيزيون كذلك . وقد كنت نزيلا في مستشفى البحرية الامريكى في واشنطن ، ورأيت على الشاشة ، ساعة بساعة ، الايام الاخيرة لحرب فيتنام ، وسقوط سايجون ، وطائرات الهيليوكيبتر تنتشل المتصارعين على الهرب من فوق سطح السفارة الامريكية .

كنت في حجرة المستشفي الصغيرة الهادئة ، ولكن التليفزيون جعلني أعيش في قلب فيتنام في اكثر الساعات دراماتيكية .

هذا « الصندوق الصغير الذى نقل العالم الى حجرة النوم » كما يقولون كان ثورة ما بعدها ثورة . بل انه في تأثيره على حياة العالم أقوى بكثير من أثر كل الحروب العالمية التى وقعت .

حقا . لقد غير التليفزيون مفاهيم مئات الملايين من الناس . وعلمهم . وفتح عيونهم على العالم من حولهم . وجعل العالم قرية صغيرة . فهم يرون القطب الشمالي كما يرون خط الاستواء . ويرون المناسبات الكبرى كما يرون الحروب . إنه الثورة التى لايظن ان هناك ثورة بعدها في دنيا الاعلام .

فلولا ان الامريكي العادى رأى حرب فيتنام على الشاشة لما تظاهر وضغط من أجل سحب أبنائه منها وانهاء الحرب . ولولا ان السود في امريكا رأوا خطباء البلاد السوداء يخطبون في الامم المتحدة وعرف ثوراتهم في إفريقيا ، لما ثاروا وطالبوا بحقوقهم في امريكا ولولا ان المواطن في العالم الثالث رأى على الشاشة كيف يعيش ابناء المجتمعات المتقدمة ، لما انفجرت الثورات السياسية والاجتماعية تطالب بحقها في نيل قدر من مزايا الحياة في المجتمعات المتقدمة .

كل هذا معروف ، ومسلم به ...

ولو شئنا ان نمضي في ذكر الاثار المترتبة على ظهور وسائل الاعلام الحديثة ، لوجدنا لها أثرا في كل جانب من جوانب الحياة ..

ونحن نرى ان أفقر دولة تستقل ، تهتم بان يكون لها اذاعة وتلفزيون ، ربما قبل ان يكون لها جيش وشرطة وادارة .

ونرى كيف ان أي ثورة او انقلاب ، لابد ان تبدأ بالاستيلاء على الاذاعة والتلفزيون .

لانها بذلك تستولى على أخطر مراكز التوجيه . وتحتكر اسماع الناس وابصارهم وعقولهم .

ولكننا نعرض هنا لجانب واحد من جوانب تأثير وسائل الاعلام الحديثة : هل زادت ـ كما يتوقع ـ من التفاهم بين الشعوب ؟

لاشك انها زادت من « معلومات » الشعوب الى حد بعيد ...

ففي الماضي ، كان الناس ينتظرون ربما بالقرون ، حتى يأتي « صحفي » عظيم ، مثل « ابن بطوطة » الذي كان فعلا وما يزال أعظم « صحفي » او « مراسل » في التاريخ العربي كله . فقد جشم نفسه أن يترك بلاده في شمال افريقيا ، ويقضي خمسة وعشرين عاما متوالية ، سائحا فيها عبر العالم الاسلامي كله ، في افريقيا ثم في آسيا ، ثم يذهب الى الهند ثم جزر المحيط الهندي ، ثم يصل الى الصين . رغم انعدام سبل المواصلات ، الا الدواب والقوارب الصغيرة ، ويسجل كل رحلته هذه ، مصورا حياة الشعوب من شتى جوانبها ، في كتاب ، يظل هو مرجع الناس عن هذه البلاد قرونا طويلة ..

ومع ذلك ، فلم تخل كتابات « ابن بطوطة » وامثاله مما يفعله الصحفيون حتى الان ، في البحث عن العجائب والغرائب ، من الوقوع في الخطأ نتيجة لذلك ...

يروي ابن بطوطة ـ مثلا ـ عن زيارته للجزر الواقعة بين سيلان واندونيسيا فيقول « في بعض تلك الجزر رأيت امرأة لها ثدي واحد في صدرها ، ولها ابنتان احداهما كمثلها ذات ثدي واحد ، والاخرى ذات ثديين ، الا ان احدهما كبير فيه اللبن والثاني صغير لا لبن فيه ، فعجبت من شأنهن » .

لاشك ان ابن بطوطة لا يعرف امرأة ذات ثدي واحد . ولكنه اما التبس عليه الأمر بسبب ثياب غريبة عنه . واما اعتمد رواية أحد الناس ، في عصر كانت تنتشر فيه قصص العجائب والخرافات بحرية اكبر .

هكذا كان يعيش العالم ويتلقى معلوماته . ولكن المؤكد ان كتب الرحالة كانت أقرب الى الصدق أو حسن النية على الاقل . فالكتابة من هذا النوع كانت عملا فرديا ! وغير خاضعة لرقابة ! ونادرا ما تكون فيها رغبة مسبقة في التحيز !

●

ولكن ، ماذا حدث مع الاعلام الحديث ؟

ان من السهل ملاحظة ان الحروب قد زادت عددا . وان تورط دول كبرى في مآزق بناء على تصورات خاطئة قد تفاقم . والخلافات بين الشعوب أعنف . والمظالم اكثر ...

ولا شك ان هذا كله له أسباب عديدة . ولكنني اعتقد أن الاعلام بوسائله الحديثة الجبارة ، كان له دور في هذا التفاقم ، بدلا من ان يكون مصدرا أكثر للفهم والتفاهم .

ولهذا أسباب كثيرة ولكن الاسباب الرئيسية ، في تقديري ، التي أدت الى هذه المردودات السلبية هي . المنافسة الشديدة على سرعة نقل الخبر ، والمنافسة التجارية وبالتالي ازدياد الرغبة في الاكثار من الغرائب . ووقوع هذه الوسائل الاعلامية في أيدي « السلطة » بكل انواعها .. سلطة المال ، او سلطة الحكم ، او سلطة النخبة ، ثم اتخاذ هذه الوسائل الاعلامية سلاحا أساسيا من أسلحة الصراع بين الدول .

ان السرعة جزء أساسي من صميم حركة التقدم العلمي ، أو لعله ليس من الخطأ ان نقول ان السرعة جزء عضوي من حركة التقدم الحديثة في كل الميادين ، حتى صار أحد عناوين الحضارة الحديثة ومقاييسها أن نرى الناس في الطريق يلهثون . انه السباق في كل شيء كما أنهم يتنافسون في الرياضة على من يكسر رقم السرعة بثوان قليلة ، وماذا ينفقون في سبيل هذا من مال وجهد وتدريب . فهو نفس الرمز في كل شيء . المطلوب دائما ، وما يقدم لنا على انه أخبار « التقدم » دائما ، هو السرعة سيارات أسرع . طائرات أسرع . حروب أسرع . تحولات اجتماعية أسرع . والاعلام يأتي في المقدمة . تتميز وكالة الانباء عن زميلاتها بانها أذاعت النبأ دقيقة واحدة قبل غيرها .

والسرعة في هذا المجال قد تكون مطلوبة ولكنها تقترن بالتأكيد بزيادة احتمال الخطأ ، وبالتسرع ، وبالسطحية .

ذلك ان سباق السرعة بين أجهزة الاعلام ليس في الخبر وحده . انه في الرأي والتحليل والتصوير وكل شيء .

وهكذا رأينا المراسل الاجنبي تماما الذي يصل من امريكا مثلا ، وبعد يومين نقرأ رسالة له في جريدته يتحدث فيها عن أعمق قضايا مجتمع لم يعرفه الا لمدة ثلاثين او أربعين ساعة . والامر هنا يتوقف على انطباعاته السريعة ، وعلى مصادفات الناس الذين يراهم بسرعة ، وأساسا على أفكاره المسبقة . ومع ذلك ، فان كلماته المطبوعة لها وقع . ويقرأها الملايين على أنها الحقيقة الآتية من ساحة الاحداث مباشرة .

ولو أخذنا آخر مثل عن حدث كبير مثل ثورة ايران . ونرى كيف كتبت الصحف الاجنبية عنها أول الامر . والزوايا التي التقطت منها الصور ، وكيف كان رأيها يتغير كل يوم . وكيف اكتشفوا أن هناك شيئا اسمه الاسلام . ومع ذلك أخذوه بظواهر الامور لان المطلوب هو من يكتب أسرع . ولو على حساب الحقيقة . فكل ما يحدث من اجتهادات انسانية هو عندهم اسلام . وكل صورة لفقراء ايران هي صورة « مسلمين » . وهكذا .

قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ بقليل ، جاء الى القاهرة لاول مرة في حياته أحد اكبر المعلقين الامريكيين ، هو جوزيف كرافت ، وجاء في مكتبي قبل مرور ٢٤ ساعة على وصوله . وكان مع ذلك قد كتب وارسل مقالته الاولى عن القاهرة ! . وسألته ماذا كتب بهذه السرعة قال : لقد وجدت القاهرة تعيش وتضج بالحياة ولا أحد مهتم بالحرب او بمشكلة احتلال اسرائيل للقناة . قلت له : كيف ؟ .. قال : انظر ، دور السينما مكتظة . الاندية وحمامات السباحة ملآنة ، المتاجر والمحلات عامرة بالمشترين ...

وقاطعته قائلا : وماذا تظن عن أي بلد في حالة حرب ؟ هل تتوقف عجلة الحياة فيها ؟ هل يقف الناس طوابير مسلحة في الشوارع ؟ ان صاحب الدكان لابد ان يفتح دكانه مع الصباح .

والموظف لابد ان يذهب الى عمله . والزباتن لابد ان تشتري حوائجها . هل اذا رأيتني مع اطفالي يوم الاجازة في النادي ، فمعنى ذلك أنني غير مكترث للاحتلال الاسرائيلي ؟ ولكنك لو عاشرت المجتمع في مصر وأي بلد عربي ، فستجد انه لا يجتمع اثنان او ثلاثة ، حتى في كاباريه ، الا انتهى حديثهم عند مشكلة اسرائيل والاحتلال !

وقال لي انه لم يتح له ، بعد ، الحديث مع مصريين . .

وكان مسافرا في اليوم التالي !

●

ويقترن بعنصر السرعة والسبق ، الذي هو جزء من عملية الاعلام ، عنصر البحث عن الغرابة ، والمفارقة ...

فالمنافسة بين وسائل الاعلام شديدة . وكلما كبر حجم مؤسساتها زادت نفقاتها الهائلة ، واحتاجت الى مزيد من التوزيع . وهنا نجد قاعدة ان « الجنس والجريمة والعنف والمفارقة » هي دستور وسائل الاعلام الكبرى ، التي تسمى « جماهيرية » .

كل صحفي يريد ان يجد المرأة ذات الثدي الواحد . فهذا هو الخبر . وهذا هو السبق . حتى ولو كان هذا على حساب الحقيقة !

ويأتي بعد ذلك أهم سبب جعل وسائل الاعلام مصدرا من مصادر « سوء التفاهم » بين الشعوب وليس العكس ، وهو : وقوع الاعلام في يد السلطة ...

والسلطة هنا قد تكون سلطة الحكم اي الدولة . وقد تكون سلطة المال ، وقد تكون سلطة « النخبة » باي شكل من الاشكال ...

وبالنسبة لحالات تأثر الاعلام بسلطة الحكم والدولة ، فانها معروفة وواضحة . وغير محتاجة الى شرح . فالسلطة بوجه عام وفي كل النظم ادركت الخطورة الكبرى للدور الذي يلعبه الاعلام في تشكيل الرأي العام . والرأي العام هو السيد في بعض الحالات . ولكنه حتى في أضعف حالاته فانه يظل عنصرا مهما لم يعد ممكنا لاي حاكم ان يتجاهله ، فهو حتى في أضعف حالاته ، تنطبق عليه كلمة « إن ضغط الرأي العام مثل ضغط الهواء : تحسه ولا تراه » .

وفي الحالات التي لا تبدو فيها يد السلطة واضحة ، أو مباشرة ، على الاعلام ... نجد أنها تستعين بوسائل اخرى : اما القلة أصحاب المال ، وإما النخبة أصحاب الخبرة ..

فقد صارت أجهزة الاعلام أضخم من أن يقوم بها فرد عادي من الناس أو حتى حزب بأكمله . لانه يتكلف الملايين . بل ومئات الملايين . والثلاث شركات الكبرى للتلفزيون في امريكا مثلا ، كانت أضخم الشركات على الاطلاق . وسطوتها المسلطة على الناس حوالي عشرين ساعة في اليوم

سطوة هائلة . والزعيم السياسي إذا اراد أن يتكلم فيها فانه يدفع عشرات الاف الدولارات للدقيقة الواحدة . وأي شركة صابون او معجون أسنان اقوى اعلاميا من أي حزب باكمله !

ونفس الشيء في الصحافة الكبرى ...

وحين تتجه هذه القوى الى التضليل ، فان مفعولها لا يقاوم ، الا اذا كشفته أحداث كبرى وبعد سنوات .

وسأضرب مثلا على ذلك ، من أقوى وأغنى مجتمع ، وهو الولايات المتحدة الامريكية ..

لقد مات منذ سنوات قليلة أحد أقوى الرجال الذين عرفتهم الصحافة في العالم .

انه هنري لوس .

وهو الذي أسس وامتلك مجلات « تايم » و « لايف » و « فروتشن » .

ومجلة « تايم » ـ حتى الان ـ يمكن القول بسهولة أنها اقوى مجلة على مستوى العالم كله وليس امريكا فقط . فهي توزع الملايين وتوزع في انحاء العالم كله . ويقرؤها الجمهور ، كما تقرؤها النخبة من رجال السياسة والمال والاقتصاد ، وكل حاكم أو صاحب سلطة في اتخاذ القرارات في العالم . من امريكا .. الى نيبال !

وقد اصدر الكاتب الامريكي المشهور « تيودور هوايت » كتابا عن حياته الصحفية . وقد بدأها مراسلا لمجلة تايم في الصين في اوائل الاربعينات ـ سنوات الصراع الاخير بين ماوتسي تونج وشيانج كاي تشيك ـ وصديقا مقربا لهنري لوس حتى وفاته

ويروى تيودور هوايت قصة استقالته من مجاة « تايم » رغم صداقته لهنري لوس . وكان هنري لوس قد ولد في الصين اذ كان ابوه مبشرا للمسيحية هناك . فتكون لديه رأي ثابت منذ العشرينات ، رغم تحول الظروف ..

يقول تيودور هوايت في وصف دقيق لواحد ممن يسمون « ملوك الصحافة » :

« كان هنري لوس رجلا فذا إنه أحد أكبر عمالقة الصحافة الامريكية في تاريخها كله . ولن نفهم شخصية لوس وعقليته الا اذا أخذناه كدراسة عن « القوة » ـ قوة الصحافة . وبالتالي احساسه بالقوة الهائلة المطلقة في التأثير على الاحداث .

« وقد كان لوس مدركا هذه القوة التي في يده . في أيام مجده صنع رجالا وحطم رجالا . رُفع ناسا مجهولين الى أوج الشهرة ودمر مشهورين وحملهم الى زوايا النسيان . كان فهمه للصحافة هو . أن مراسليه في كان مكان عليهم أن يبعثوا اليه بكل ما يعرفون . بكل ما لديهم من معلومات وآراء وحقائق وكان يعرف قيمة ذلك للقارىء . ولكن في مقر قيادته في نيويورك ، كان مديرو التحرير يحولون كل هذه المعلومات الى ما يخدم آراءه واتجاهاته الشخصية . كان يفهم أنه صاحب المجلة

ورئيسها . ولا أحد سواه . وبالتالي فقد كان أسخى رجل مع من يرسلون له الاخبار . ولكن المراسل ينتهي دوره عند هذا الحد . وليس من حقه أن يتدخل في طريقة تقديم هذه الاخبار للقاريء .

« من حقه ان يتلقى أحسن « الخامات » . ومن حقه بعد ذلك أن يطبخها كما يشاء !

« حرية الصحافة عنده ان مراسله حر في ارسال ما يريد ، وهو حر في نشر ما يريد وكما يريد !

« وكانت قصتي مع لوس حول الصين . فبحكم تكوينه وتفكيره قرر للمجلة ان تتبنى شيانج كاي شيك تماما ، وكنت أنا في الصين أرى أن ما يحدث هو غير ذلك ، وأرسل الرسائل المسهبة ، وأجد رسائلي منشورة ، ولكن بشكل واسلوب واستنتاجات تخالف تماما ما كتبت وما اريده ان يصل للقاريء الامريكي .

« لقد ساهم لوس باكبر قسط في دفع سياسة امريكا في الشرق الاقصى في الاتجاه الخاطيء ... وكانت النتيجة أن احتاجت امريكا الى ثلاثين سنة اخرى ، والدخول في عدة حروب ، وفقد آلاف الارواح ، قبل ان تعرف طريق العودة الى اسيا ، ومن خلال الصين بالذات »

هذه نظرة ، من ثقب الباب ، على نوع النفوذ الذي يمارس في أكبر مجلة في العالم ، وفي امريكا التي تتباهى بشدة الحرية فيها .

وتلك هي نوع السطوة التي اتحدت عنها والسلطة التي قد تكون الدولة أو المال أو النخبة .. المهم هو « المؤسسة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية » الحاكمة . وقدرتها على تلوين مشاعر الرأي العام

ويأتي في اعقاب ذلك ، بالبداهة ، ما ذكرته من استخدام الاعلام في المعارك الدولية : فنفس القدرة على تلوين الاتجاهات الداخلية ، قادرة على تلوين اتجاهات شعب نحو شعوب اخرى ، كوسيلة من وسائل الصراع بين السلطة في اكثر من بلد حتى ولو كانت الشعوب لا مصلحة لها في هذا الصراع .. فالاعلام قادر على خلق موجباته ، ومبرراته

●

اذن ؟

أن قوة الاعلام تزيد . وسوء استخدامه في العصر الحديث يتفاقم . وقد تنبه العالم الى ذلك . ففي الشهور الماضية فقط دعيت الى عدة مؤتمرات ـ من اليونسكو الى الامم المتحدة الى الجامعات ـ تبحث كلها هذه القضية .

أن المطلوب هو ان يكون للاعلام حصانة وان يكون له ضمير ! كيف يكون ذلك ؟

تلك قصة اخرى !

احمد بهاء الدين

علــى أعتــاب

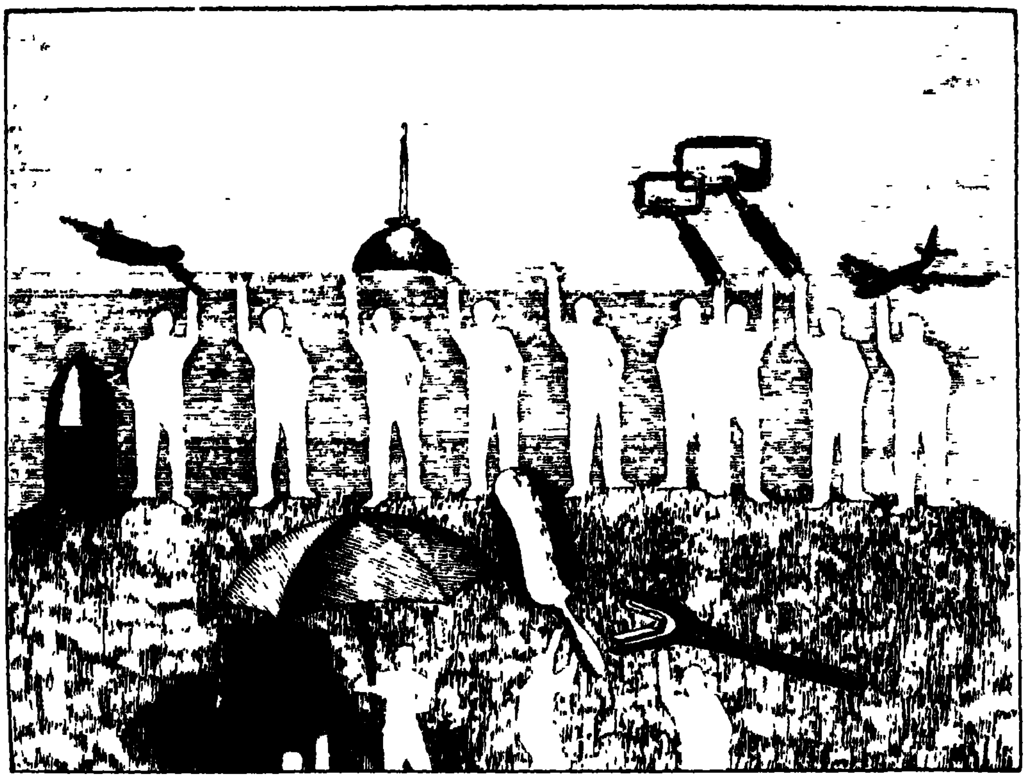
عصر العلم

بقلم : الدكتور عون الشريف قاسم

مهما تجادل الناس حول فعالية العلم الطبيعي ، وتشككوا فى مقدرة مناهجه على الوصول الى معرفة دقيقة للحقيقة الكونية المطلقة ، فان هذا الطور من تطور البشرية هو لاشك طور العلم . وهيمنة العلم على كثير من مظاهر حياتنا ، واتخاذ سبله وسيلة للنظر الى العالم من حولنا وفى انفسنا ، هو تحقيق لتطور العقل البشرى . فكما كان هنالك عصر حجرى اول وثان ، وعصر برونزى ، وتلتها شتى العصور فاننا لاشك نعيش الآن فى العصر العلمى الأول ، أو قل نقف على أبوابه ، ان إردنا الدقة . وهذا امر طبيعى فى تطور الانسان .

فكما كانت وسائله المادية تتطور من عصر الى عصر ، وتنتقل من حجر الى برونز الى حديد ، الى أن تبلغ المفاعل الذرى فى القرن العشرين ، فان ملكاته العقلية كانت ايضا تتطور وترتقى من درجة التلمس والحسية المباشرة ، الى طور التأمل والتحليل والتجريد والاستقراء والاستنباط والنظر العقلى المجرد . وكان تصوره للعالم الخارجى ولنفسه يتطور ويرتقى تبعا لذلك ، كما تشهد بذلك مسيرة الانسان الفكرية والروحية عبر الاسطورة والسحر والوثنية والشرك ، حتى انتهت الى التوحيد وسيادة العقل فى كل الامور بما فيها مسائل الدين التى كانت فيما مضى قائمة على التسليم المطلق بما توارثه الناس من غيبيات .

وليس الانسان فى حاجة الى ان يسهب فى مقدمات هذه السيادة العقلية . ويكفى أن نذكر أن آخر الاديان وهو الاسلام قد جاء تجسيدا حيا لامتزاج العقل بالروح لخلق الانسان السوى المتحضر المتكامل الشخصية المتوزان السلوك وبذلك انتفى ذلك الصراع القديم بين الدين والفكر ، وأصبح الحسن ما حسنه العقل ، والقبيح ما قبحه العقل ، كما يذهب الى ذلك المعتزلة لأن الله لايريد الا الأحسن لعباده ، ولو خفيت عليهم حكمته فى



ذلك لبعض الوقت جاءت معجزة الاسلام ، وهى القرآن ، خطابا للعقل ، ودعوة بالحسنى الى قبول المنطق وجاءت اول كلمة فيه ، وهى اقرأ ، بداية لعهد جديد فى حياة البشر ، يؤذن بانتقال الناس الى مرحلة سيادة العقل المتمثلة فى ادوات الحياة العقلية من القراءة والكتابة والقلم والعلم ولذلك لا عجب أن رأيناه يوجه خطابه للذين يعقلون فى اكثر من خمسين موضعا ، وللذين يعلمون أو لا يعلمون فى أكثر من مائة موضع ، ويتحدث الى الذين يتفكرون ويتفقهون فى اكثر من ثلاثين مقاما .

احتكام للعقل

سقت هذا الكلام لاصل الى نقطة ارتكاز فحواها أن كل تقدم بشرى مقبل سيكون تقدما فى عقل الانسان وملكاته الابداعية وأن الله الذى دعانا الى التفكر فى خلق السموات والارض وفى أنفسنا ، كان يدعونا الى العلم ، ووضح قصورنا وعجزنا فى هذا المقام حين قال (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ودعانا الى الاستزادة من العلم فى قوله تعالى (وقل رب زدنى علما) . ولو كان الله سبحانه وتعالى يعلم ان علمنا قد انتهى بما جاءت به الرسالات من معارف وتوجيهات ، لما جاءت كل هذه الدعوات الحارة فى القرآن الكريم لطلب العلم والاستزادة منه وعلى هذا قامت كل حضارة الاسلام الروحية والتشريعية والعقلية والمادية . فهى قد استمدت من القرآن الكريم أسسها العامة ، وتطورت باعمال الذهن والاستزادة من العلم . فليس هنالك شىء فى حضارة الاسلام لا يقف شاهدا على الجهد الفكرى المبذول ، ويكفى ان نشير الى أن أخص خصائص الدين ، وهو الفقه والتشريع ، هو فى اساسه ، وان اعتمد على ماجاء فى القرآن والسنة من أحكام ، صرح شامخ للنظر العقلى يفخر به الفقه القانونى فى كل زمان ومكان . وليس أدل على مكان العقل فيه من أن كل أصوله بعد القرآن والسنة هى احتكام للعقل ، سواء أكان ذلك عن طريق القياس أو الرأى ، أو الاجماع الذى يقر اجتهاد المفكرين من المسلمين . ولعله ليس من الغريب لذلك ان نرى هذا الصراع الفكرى المثقف يمتد ويتشعب منذ ايام الاسلام الاولى ، متخذا من المعتقدات الاساسية والمسلمات مادة للجدل ، الذى عرف بعلم الكلام ، الذى سعى الى تحديد

المرتكزات الفكرية للعقيدة الاسلامية فاتجها المجال بذلك الى نهضة فلسفية وعلمية كبيرة ظهرت آثارها فى تلك الثورة العقلية التى قامت على البحث والاستقصاء والتجريب فى كل فرع من فروع الحياة الفكرية .

ولو كان المسلمون يجترون كل ماجاء عن أسلافهم ، ويتقبلون ماورد عنهم بالتسليم والانصياع ، لما قامت كل هذه المعارك ، ولما أضاع الناس كل هذه السنوات من أعمارهم بحثا وراء الحقيقة ، مثلما فعل البخارى ومسلم والطبرى ومالك والشافعى والغزالى وغيرهم من أعلام التراث وقد فعلوا هم كل ذلك لانهم يتقيدون بمنهج الاسلام فى النظر العقلى وتمحيص الحقائق حتى المسلمات منها ، أو ما يبدو أنها كذلك

وقد دعا هذا المنهج العلمى فى تقصى الحقائق الى ابتكارهذه المقاييس الراقية فى الاستقراء والاستنباط والنقد التى قام عليها علم الحديث ، والتى عرفها أسلافنا فى كتب الجرح والتعديل وطبقات الرحال والاسانيد وعلم مصطلح الحديث ، وكل ذلك مما لم تبلغ مثله أرقى مناهج البحث العلمى فى العصر الحديث .

ويكفى ان نعلم ان البخارى قد سعى فى جمع مادته ستة عشر عاما متنقلا فى كل اطراف الامبراطورية الاسلامية ، وانه كان حتى بعد ان تستقيم له طرق البحث ، ويتأكد من كل مقاييسه النقدية فى تمحيص الحديث ، لا يسجله فى كتابه الا بعد ان ينام عليه ويستخير الله فى ذلك وقل مثل ذلك فى التصوف ، الذى كان فى أساسه صفحة مشرقة من صفحات الابداع الفكرى الذى استشهد فى سبيله الكثيرون من أعلام الاسلام ، وعلى رأسهم الحلاج .

وليس أدلّ على هذا الرباط الوثيق بين التصوف والنظر العقلى من ان الصلة بينه وبين الفلسفة كانت صله تلازم ، وان الغزالى ، حجة الاسلام ، الذى وفق بين الشريعة والحقيقة ، أو بين الفقه والتصوف ، كان قمة فى الفلسفة والعلم والفقه والتصوف . اما حالة الدروشة والانجذاب عن العقل ، التى انتهى اليها بعض المتصوفة ، فانها من مظاهر الانحلال الفكرى الذى اعترى حضارتنا فى عصور التخلف ومعنى ذلك ان النهضة التى قامت حول القرآن والحديث كانت نهضة عقلية شاملة ، كان من نتائجها تقويم الخط العربى ، واكتمال صورته ، من ترقيم وتشكيل ، واستنباط قواعد النحو العربى على أسس منطقية بالغة الدقة والتعقيد ، وغير ذلك من علوم العربية وفنونها ، الى جانب العلوم الدينية والفلسفية والطبيعية التى نجم عنها ازدهار فنون الهندسة والعمارة والطب والبصريات وما يتعلق بها من علوم الرياضيات والجبر والكيمياء والفيزياء والنبات .

الدين بالمعنى الشامل

وحين رفع الله مكانة العلماء فى كتابه وقال (انما يخشى الله من عباده العلماء) ، وباعد بين من يعلمون ومن لايعلمون فى قوله (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) . وحين جعل الرسول الكريم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وفضل مداد العلماء على دماء الشهداء ، فان العلم المقصود كان العلم على اطلاقه ، الذى هو نقيض الجهل ، وليس تخصصا محدودا فى فرع من فروع المعرفة الانسانية ، اما كيف تقلص هذا المعنى العام للعلم ، ليصبح دالا على علوم الدين وحدها فى عرف المتأخرين من المسلمين فذلك مرجعه الى ما للدين من مكانة فى حياة المسلمين وفى حضارتهم من ناحية ، والى مبلغ الانهيار والتخلف الذى تردى فيه المسلمون من ناحية أخرى .

أما مكانة الدين فى حياة المسلمين وفى حضارتهم ، فنابعة من الفهم للدين بمعناه الشامل ، الذى يصل بين دنيا الناس وآخرتهم . فهو تنظيم لحياة الناس الروحية والاجتماعية بما جاء به من قيم انسانية ، وأحكام عامة وخاصة ، غايتها خلق الانسان السوى ، الذى يحقق فى نفسه وفى علاقته بغيره كلمة الله فى الارض : الحق والعدل والمساواة . ومعنى ذلك ان التعمق فى الدين بهذا المعنى الشامل ، لايكتمل الا بالتعمق فى كل ما له صلة بحياة الناس المتشعبة من علوم وفنون ، والا تخلف عالم الدين الذى يتصدى لحل مشاكل الناس عن حاجة الناس المتجددة على الدوام . فالدين مثلا تصدى لحل مشاكل الناس الاقتصادية وتنظيم حياتهم وفق أسس عامة تضمن العدالة والمساواة ، فكيف يتحدث عالـ[م] باسم الدين متصدياً لمشاكل الحياة الاقتصاد[ية د]ون أ

يكون ملما بالعلوم الاقتصادية ؟ وعلى هذا اجتهد علماؤنا الاوائل ، وجدوا فى طلب العلم فيما يتعلق بأمور المال والاقتصاد ، مُستفيدين فى ذلك مما ورثوه عن البيزنطيين والفرس وغيرهم ، فألفوا كتب الاموال ، مثلما فعل أبو عبيدة القاسم بن سلام ، وكتب الخراج ، مثلما فعل القاضى ابو يوسف ويحيى بن أدم وغيرهم ، وقل مثل ذلك فى كل ما يتعلق بحياة الناس الاجتماعية والفكرية .

فقد كانت غاية العلم عندهم هى توسيع دائرة الانسانية بتوسيع دائرة البحث حول نصوص القرآن والسنة بما يحقق انسانية الناس وسعادتهم فى ظروفهم المتقلبة وأوجه حياتهم المتجددة ، ومن هنا كانت حكمة الاجتهاد الذى هو بذل الجهد الفكرى لتطوير فهم الناس لنصوص الدين فى ضوء المعرفة الانسانية المتطورة بتطور مظاهر الحياة المعاشة كان هذا المنحى الانسانى فى طلب العلم ، هو الذين يصل بين ثمرات المعرفة الانسانية وقضايا الدين ، التى هى قضايا المجتمع لم يكن طلب العلم فى كل فروعه المادية والمعنوية غاية فى حد ذاته منفصلا عن حياة الناس وقضاياهم المادية والمعنوية ، بل كان العلم مسخرا لخدمة قضايا الحياة ، فهو مادام يعين على توسيع دائرة الفهم لنصوص الدين ، بحيث تكون اقدر على التعبير عما استجد فى حياة الناس من ظروف ، فهو جزء لايتجزأ من معنى الدين الشامل وبهذا المستوى فهم المسلمون الاوائل قول الرسول الكريم (من يرد به الله خيرا يفقه فى الدين) . لأن الفقه هو العلم والمعرفة كانت نصوص الدين فى القرآن والسنة ، بحسبانها الاطار العام لتحقيق انسانية الانسان فى كل زمان ومكان ، هى الجوهر والأساس ، وكانت كل العلوم الانسانية الاخرى روافد تعين على فهم هذا الجوهر ، وتسهم فى ترجمته الى واقع معاش فى حياة الناس

عندما اختل التوازن

ولارتباط البحث العلمى بالدين هذا الارتباط الوثيق لم يكن هنالك مجال للتفريق بين ما هو دين وما هو علم فعالم الدين عالم على وجه العموم بمعظم معارف عصره ، والناس فى ذلك على تفاوت بحكم امزجتهم وعقولهم

فلذلك لم تقم قضية الفصل بين الدين والعلم الا فى عصور الانحطاط ، حين سارت الامبراطورية الاسلامية ، وتقلص ظل الرخاء المادى ، وجمت منابع الحياة الاقتصادية والفكرية والاجتماعية ، وجفت تبعا لذلك كل منابع المعرفة الانسانية التى ازدهرت فى عصور الاسلام الذهبية . فلم تعد حياة الناس الجافة ، ولا عقولهم الجامدة ، تتحمل ما كانت تتحمله حياة اسلافهم وعقولهم من المعارف والعلوم ، التى تقبع الآن فى الخزائن والمكتبات ، وتجردت بالتالى علوم الدين من كل ما يرفدها من علم ومعرفة ، وبقى الناس يجترون النصوص التى خلفها اسلافنا ، وهى مبتورة عن جوها العام ، الذى كان بمثابة الشرايين تغذيها بالدم والغذاء ، ويسعون الى بعثها فى حياة الناس وهم مبتورون عن ابسط المعارف التى تعج بها حياة العصر . ومادام الامر كذلك فلابد ان ينعكس جفاف العقول وضمور معرفتها على معنى العلم العام ، فينحصر فى الدائرة الضيقة الجوهرية ، دائرة النصوص الدينية المبتورة عن شرايينها وروافدها التى تكسبها الروح وتمنحها الحياة .

إن هذا الربط بين معطيات الدين ومنجزات العلم هو الذى منحنا جهابذة الرجال من امثال البخارى والفارابى وابن سينا وابن رشد وابن خلدون الذين تركوا بصماتهم القوية فى تاريخ الفكر البشرى وهو الذى نقل دين الاسلام من مجرد نصوص يحفظها الناس عن ظهر قلب الى حضارة انسانية شاملة تشكل الحياة ، وتصوغ شخصيات البشر ، على نحو لم تعهده البشرية من قبل . وما انجزته الحضارة الاسلامية فى مجال البحث العلمى والنظر العقلى هو الاساس الذى تقوم عليه حضارة العصر . اذ أنها بتأكيدها لمكانة العقل فى حياة الناس عامة ، وربطه بحياتهم الدينية والروحية خاصة ، قد انتقلت بالبشرية الى العصر الذى نعيش الآن مظهرا حادا من مظاهره ، هو المظهر الغربى الذى اختل فيه التوازن بين منجزات العلم من جهة ، ومعطيات الانسان الفكرية والروحية من جهة اخرى ، وكل ذلك يجعل من تجربتنا الحضارية الرائدة مصدر الهام للبشر وهم يتخطون عتبات العصر العلمى الاول . ■■

الخرطوم ـ د . عون الشريف قاسم



جنين [illegible] [illegible] [illegible] .. لاحظ التشابه بينه وبين جنين الانسان (في [illegible]) الذي يبلغ من العمر الاسبوع السادس .. وفي هذا الاساس [illegible] [illegible] الكائنات [illegible] في بداياتها ، رغم اختلاف انواعها



من الميكروب
الى الإنسان!

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

نحن البشر خيط وحيد فى نسيج الحياة المتكامل .. لكنه أرقى وأعظم خيط بين ملايين الخيوط التى تنسج هذا النسيج !

فالذين يقولون ان الانسان خلق قائم بذاته ، أو متفرد بين المخلوقات فى صفاته ، لاشك مخطئون .. لأن الخطأ هنا نابع من عدم الادراك بما هو كائن ويكون !

صحيح أن الانسان متفرد بعقله وخياله وحضارته وابداعه ، لكنه ليس كذلك من الوجهة البيولوجية ، اذ لو رجعنا الى الأصول أو الأسس التى قامت عليها الحياة ، لوجدنا ان الكائنات الحية جميعا ، بداية من الميكروب الضئيل ، حتى ننتهى بالانسان العظيم ، تخضع لفكرة واحدة ، وتسرى بنواميس موحدة ، رغم انها تختلف فى التفاصيل ، ولكى يتضح لنا معنى ذلك ، كان لابد ان نعود الى البدايات الأولى فى الخلق ، من أوله الى آخره ، ومن بساطته الى تعقيده .

ولاشك أننا سنقع فى المأزق الذى وقع فيه عالم الأجنة الشهير « فون بير » ، اذا ما عدنا الى مرحلة خاصة من مراحل تطور الجنين ـ اى جنين تشاء ، من اى مخلوق تريد ، ولا يهم هنا ان كان الجنين لكتكوت فى بيضته ، او لجنين بشرى فى رحم أمه ، او ما بين ذلك من أجنة زواحف او قرود او فئران او خيول أو حيتان أو ما شابه ذلك (تمعن فى الصورتين المنشورتين هنا لجنين كتكوت وانسان .. ففيهما فصل الخطاب) .

لكن .. ما هى قصة فون بير مع أجنته ، حتى نعرف المغزى فيما نسرد ونقول ؟

كان فون بير يجمع أجنة حيوانات مختلفة فى مرحلة خاصة من مراحل تطورها ، ويحتفظ بها فى وعاء زجاجى به مطهر حافظ من التعفن والتحلل ، ولثقته فى نفسه ، لم يضع على كل جنين ما يوضح هويته أو نوعه ،

وعندما عاد اليها فيما بعد ليدرسها ، لم يستطع أن يرجع معظمها الى أصولها التى منها قد جاءت ، ولذا نراه يكتب فى مذكراته « اننى لا استطيع أن أحدد اطلاقا الى أية فصيلة اورتبة تنتمى هذه الأجنة .. فقد تكون لسحالى أو لطيور صغيرة أو لحيوانات ثديية فى مراحل نموها المبكر .. كم هى متشابهة فى أشكالها وتكوينها هذه البدايات لأجنة كل تلك الحيوانات ؟ ! »

والواقع أننا كلما عدنا الى الوراء أكثر فأكثر ، كان التشابه فى بدايات الأجنة أكبر فاكبر ، ولكى ندرك معنى ذلك ، دعنا نتعرض للاصول التى نشأت منها المخلوقات ، حتى صارت بالصورة التى نراها بها عليها .

فى البدء .. كانت خلية !

تتوحد جميع الكائنات فى النشأة الأولى فلكى يأتى بعرور أو انسان أو حوت الى الحياة ، كان لابد من تقابل الذكرمع أنثاه صحيح ان طرق الجماع بين الانواع تختلف ، لكن الهدف واحد . والهدف ان تيسر الحياة سبل اللقاء بين خلية جنسية من الذكر ، وخلية جنسية من الأنثى ، ليتم الاخصاب أو التلقيح فى الأرحام ، أو فى الماء (كما هو الحال فى الضفادع والاسماك وقنافذ البحر وما شابه ذلك) ، أو حتى فى انابيب الاختبار ـ كما سبق ان اوضحنا ذلك فى دراسات سابقة

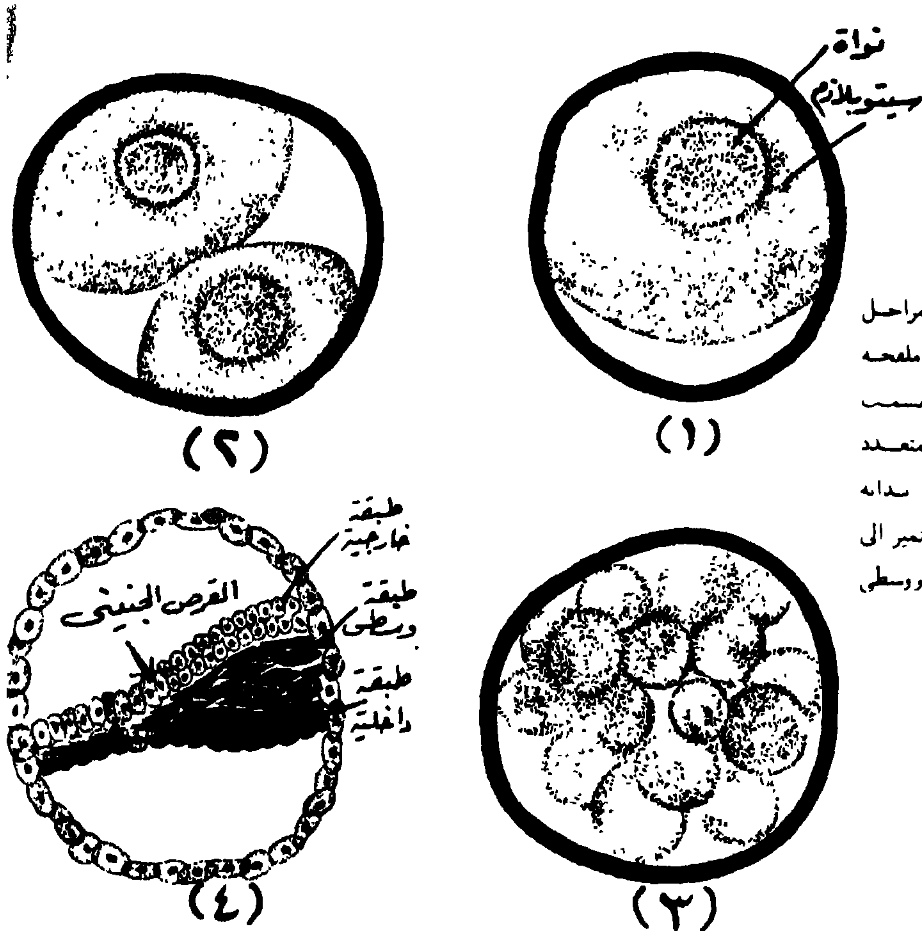
وفى اللحظة التى يتم فيها الاخصاب ، تتحدد صفات الكائن الحى ، ويبدأ بدايته الحقيقية على هيئة خلية لا تختلف فى الظاهر بين مخلوق ومخلوق ، لكن باطنها يحوى « البروجرام » الوراثى الذى ورثته من الأبوين ، وبعدها تترجم الخلية « بروجرامها » الى خطة عمل .. الى كائن حى يمر بمراحل محددة لا تختلف كثيرا بين نوع ونوع ايا كان شكل هذا النوع وحجمه ورتبته فى سلم التطور الذي يضع كل نوع فى درجته

وبعد أن « ترتاح » البويضة الملقحة قليلا (انها فى الواقع راحة ظاهرية ، لكن فى الباطن تجرى أمور ضخمة على درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد) ، تبدو وكأن شيئا قد ضغط على « زنادها » ، فاذ بها تطلق فى داخلها قذيفة التكاثر مثنى مثنى .. فتصبح الخلية خليتين ، فأربعة ، فثمانية ، فستة عشر .. فاثنتين وثلاثين ... الخ ، وتكبر كتلة الخلايا وتتضخم ، وتتحول الى ما يشبه الكرة الصغيرة التى تضم مئات وآلاف الخلايا ، لكنك لا تستطيع لها تمييزا !

والحق أن جميع الكائنات تبدأ هذه البداية الكروية ، وفيها لا نستطيع ان نؤكد ان كانت هذه الكرة الخلوية لانسان او خرتيت او أسد ... الخ ، لكن تمييز الأجنة لا يتأتى الا فى مراحل متأخرة من تطورها ، وكل مرحلة منها مرتبطة بزمن محدد

ومن المثير أن نذكر هنا أن هذه البدايات الجنينية تعيد لنا قصة التطوُّر التى ظهرت بها الكائنات على هذا الكوكب ، فالذين درسوا الحفريات القديمة جدا (اى التى يرجع عمرها الى أكثر من ١٥٠٠ مليون عام) يخبروننا أن الكائنات لم تظهر هكذا اعتباطا ، بل ان الكائنات ذات الخلية الواحدة (البروتوزوا) قد سبقت الكائنات عديدة الخلايا فى الظهور ، وان منها ما يتكون من أربعة خلايا ، ومنها ما يتكون من ثمانية ، او ستة عشر ، او اثنتين وثلاثين ، او مئات أو آلاف الخلايا المتشابهة ، ومنها ما يشبه الكرة الخ ، اى كأنما الجنين الذى يبدأ حياته بخلية ، وينتهى بكرة مكونة من مئات أو آلاف الخلايا ، كأنما هذا الجنين يعيد نفس قصة ظهور الحياة على الأرض وتطورها من بساطة الى تعقيد .

والواقع أن هذه الكائنات ذات الخلية الواحدة ، او ذات الخلايا العديدة ، لا تزال موجودة حتى الآن فى الماء ، لكن « بروجرامها » الوراثى لا يسمح لها بتعدى حدودها ، او تطورها الى مراحل أرقى ، فالذى يحمل لواء التطور والترقى هى الكائنات ذاتها ، فلكى تضيف الحياة الى بروجرامها فكرة جديدة ، كان لابد ان يظهر مخلوق جديد يحمل فى مخططه الوراثى تلك الاضافة ، والواقع أن مجىء الانسان فى النهاية ، كان محصلة ضخمة لكل الاضافات التى كانت فى جعبة الحياة على مر مئات الملايين من السنين ، وسوف يتضح لنا معنى ذلك بعد حين .



رسم مبسط يوضح مراحل الجنين (١) بويضة ملقحة (٢) بويضة ملقحة انقسمت لخليتين (٣) الجنين متعدد الخلايا المتشابهة (٤) بداية القرص الجنيني الذي يتميز الى طبقات ثلاث خارجية ووسطى وداخلية

ثم كان التنوع والتميز

ذكرنا أن البويضة الملقحة قد انتجت ـ بعد عدد من الانقسامات المتتالية ـ كتلة من الخلايا المتشابهة على هيئة كروية ، وكان لابد من وضع حد لهذا الانقسام المكرر ، حتى يمكن ان تحل محله فكرة اخرى تتصف بالتغير ، والتغير سمة من سمات التطور ، والتطور تنوع وتميز وقد كان !

ففى زمن موقوت ومحدد ، يتوقف الانقسام عند حد معين ، والذى يحدد هذا الزمن هو عدد الانقسامات التى لا تزيد ولا تنقص ، أى كأنما كل خلية تحمل معها « ساعتها » البيولوجية لتدق أو « تتك » دقات مقدرة ، وبها تعرف الزمن الذى يجب عليها فيه ان تتوقف ، وطبيعى ان هذا الزمن يختلف باختلاف النوع ، ففى حالة الانسان مثلا تتوقف الخلايا عن الانقسام بعد خمسة أيام ، وعندئذ يظهر على مسرح الكرة الصغيرة الجزء التالى من البروجرام ، ولكن بعد استراحة قصيرة !

كأنما الخلايا المتشابهة فى كرتنا الصغيرة تنتظر اشارة البدء فى الجزء التالى من مسرحية بعث الحياة فى بدايات الأجنة ، وعندما تأتيها الاشارة نشهد على مسرحها الدقيق حركة غير عادية ، وكأنما كل خلية هنا تعرف دورها ووجهتها التى فطرها الله عليها ، تماما كما يعرف كل ممثل فى فرقته ما هو مطلوب منه اداؤه سلفا .. المهم ان الخلايا تبدأ فى الحركة والهجرة ، وكأنما هى تعيد تنظيم مواقعها ، فيتوجه بعضها الى الخارج ، لتنتظم الواحدة بجوار الأخرى ، فتصبح للكرة جدارا ، ومن هذا الجدار الرقيق ـ الذى لا يزيد سمكه عن خلية واحدة ـ تنشأ المشيمة التى تربط الجنين بجدار الرحم ، او تصبح همزة وصل بين الجنين وبين الغذاء المختزن (كما هو الحال مثلا فى جنين الكتكوت)

وفى داخل تجويف الكرة نشهد البقية الباقية من الخلايا وهى تتزحلق وتغير مواقعها ، ثم تسكن لفترة فى

جانب من الكرة . وفى الجانب الاخر يوجد فراغ . وفى هذا الفراغ يمتد مسرح جديد . والمسرح قوامه تلك الخلايا التى كانت تحتل ركنا من تجويف الكرة . لكنها تهاجر من ركنها لتنتظم من جديد على هيئة قرص خلوى يمتد داخل التجويف . كما يمتد السقف مثلا بين حجرتين تعلو إحداهما الأخرى . ويطلق العلماء على هذا القرص اسم القرص الجنينى . ومن خلاياه المتشابهة سوف تنشأ طبقتان مميزتان . احداهما تعلو الأخرى . والى هنا نكون قد وصلنا الى اليوم الثانى عشر من عمر جنين الانسان

وفى بداية الأسبوع الثالث تتمخض الطبقتان عن طبقة ثالثة مميزة تقع بين الطبقتين اللتين تكونتا قبل ذلك . والى هنا نكون قد وصلنا الى مرحلة جنينية ذات طبقات ثلاثة طبقة خارجية . وطبقة وسطى واخرى داخلية . وفيها وعليها تتحدد كل أنسجة الجسم واعضائه . والواقع ان هذه الطبقات الثلاثة . وما يجرى فيها من احداث غامضة أشد الغموض . يبدو أمام العقل البشرى بمثابة ظلمات ثلاثة . وكأنما الحياة قد نصبت امام العلماء أروع واعظم مسرحية يقفون أمام فصولها المتلاحقة مبهورين . فيرون « حبكة » الاخراج . ودقة الأداء . وتتابع خروج الانسجة والأعضاء بتوقيت زمنى لاخلل فيه ولا فوضى

لغز الألغاز !

لكن كيف يحدث كل هذا ؟ .. وما الذى يوجه الخلايا ؟ . وكيف تتنوع وتتميز بعد أن كانت متشابهة ؟ .. وبأية وسيلة تتشكل العين وتأخذ موضعها . أو الأذن التى نسمع بها . أو الأعصاب والعظام والغضاريف والأطراف والقلوب والأمعاء والكلى . الخ .. الخ ؟

الواقع أننا نرى الظاهر .. نرى أجنة الحيوانات جميعا بلا استثناء . ومن ضمنها الانسان بطبيعة الحال . وهى تمر بأطوار ثلاثة بعد عملية الاخصاب . اولها طور التكاثر بالانقسام . لتصبح الخلية الملقحة آلافا متشابهة . ثم طور الحركة والهجرة لتأخذ كل خلية وضعها فى نظام يخضع لبرنامج مقدر سلفا . ثم طور التميز والتنوع الذى تجرى أحداثه على القرص الجنينى ذى الطبقات الثلاثة

ونحن نعرف الكثير عن عملية الاخصاب والانقسام الذى يؤدى الى تكاثر الخلايا . لأن هذه العمليات من الميسور ملاحظتها وتشريحها وتصويرها ودراستها . لكننا نعرف بدرجة اقل شيئا عن رحيل الخلايا او هجرتها وتغيير مواقعها . لتصبح الخلية فى الموقع المناسب . لتقوم بالعمل الناسب . وفى الوقت المناسب !

لكن ذلك القرص الجنينى هو لغز الالغاز . أو هو بمثابة الخريطة السحرية التى يتشكل منها كل مخلوق ويتطور . وهو اكثر البدايات الجنينية غموضا على الفهم والادراك . خاصة عندما تتحول طبقاته الثلاثة الى خلايا متميزة . وانسجة متباينة . واعضاء مختلفة . وكل هذا يتم بخطوات سريعة متلاحقة . تخضع ايضا لفترات زمنية محددة . تجعلنا نحتار فيها اعظم حيرة . وبحيث لا نجد لها تشبيها مناسبا يبسط لنا غموضها . ومع ذلك فقد قدم لنا العالم البيولوجى جون تيلربونر من جامعة برنستون مقارنة متواضعة يقول فيها ان تكاثر الخلايا يشبه صانع التماثيل الذى يضيف الى قالب التشكيل الخامة التى يصنع منها قالبه . وحركة الخلايا وانتظامها يمكن تشبيهها بتشكيل هذا القالب وانتاج النماذج التى يهواها . لكن مقارنته تنتهى عند هذه الحدود . اذ أنه لا يجد بعد ذلك ما يسوقه لنا من تشبيه مقبول عن تنوع الخلايا وتميزها أو اختلافها . رغم انها خرجت من اصل متشابه . اذ ليس لدينا اية عملية طبيعية او صناعية فى عالمنا . وبها يمكن ان نقارن ما يجرى فى هذا القرص العجيب . أو ما يتمخض عنه من أحداث مثيرة . وبدونها لا يمكن أن يظهر على هذا الكوكب انسان او حيوان بصورته المعهودة

كل ما نستطيع ان نقوله هنا أن الخلايا تنفذ بروجرامها من خلال جهازها الوراثى الدقيق الكامن فى نواتها . والنواة هنا بمثابة عقل الخلية . او بمثابة عقل النحات الذى يحول الفكرة الى تجسيد فى تماثيله المتنوعة . اضف الى ذلك ان « عقل » الخلية او « مخها » الكامن فى نواتها يعطى الاوامر او الشفرات التى تصنع عددا كبيرا من « الرسل » الكيميائية (مثل الهرمونات



كم هي متشابهة هذه البدايات لأجنة الحيوانات المختلفة اذ كلما عدنا الى الوراء فى الزمن (الصورة رقم ١) يكون من الصعب تمييزها . ثم يبدأ التمييز بين أجنة السمكة والسمندل (حيوان برمائي) . في حين أن الحيوانات الأخرى يصعب تمييزها (الصورة رقم ٢) . ومن مراحل متأخرة نسبيا يمكن تمييز جنين الطائر والخنزير والانسان (الصورة رقم ٣)

او البروتينات ، . ومن خلال هذه الرسل ـ التى تنتقل من خلية الى جيرانها ـ يتم التفاهم بينها ، أى كأنما الخلية او الخلايا تنفذ تعليمات على درجة كبيرة من الغموض والاثارة غموض فى عقولنا ، ووضوح تام فى الطريق الذى تسير فيه خلايا الجنين نحو هدف محدد ، فاذا بها تعبر فى بروجرامها على حسب الرسالة الكيميائية الواصلة اليها ، وتبدأ فى تحوير شكلها وموقعها وعملياتها الكيميائية الحيوية ، وعندما تبلغ هدفها ، ترسل بدورها رسلها ، لتؤثر من جديد على ما حولها ، وهكذا تسرى الأمور على هيئة مسلسلة من الاحداث المتلاحقة ، وفيها يلعب التوقيت دورا على درجة هائلة من الأهمية ، فالتجارب الكثيرة والمعقدة التى اجراها العلماء على هذه الخلايا الجنينية توضح أهمية عامل الزمن فى حياة تلك الخلايا .

ولكى نوضح جزءا من هذه الصورة الغامضة نقول من الممكن مثلا ان نفصص خلايا الجنين الذى يتكون من خليتين او اربعة او ثمانية او ستة عشر ، الى حلايا منفصلة ، ومن الممكن ان تعطى اية خلية منها جنينا كاملا ، والسبب فى ذلك ان الخلايا لم تتميز بعد ، او قل انها بمثابة القالب الذى يعطى عددا من التماثيل المتشابهة . ثم فى فترة زمنية تالية ، اى بعد ان تصل الخلايا فى انقسامها الى مرحله معينة ، وفيها يخرج الامر الكيميائى ليعيد تخطيط وتحوير جهازها الوراثى ، تتصرف بطريقة اخرى مختلفة ، فقد تكون بداية لنسيج يرى ، او يسمع ، او ينبض ، او يحس ... الخ ، ومن الممكن ايضا ان نتلاعب ببروجرامها عندما نضيف اليها « الرسول » الكيميائى الذى تنتجه خلية اخرى لا تمت لها بصلة تذكر ، فاذ بها تتقبل امرها ، وتحور بدورها فى مخططاتها . لكننا لو تاخرنا قليلا فى اضافة هذا الرسول الكيميائى فى زمن قدر تقديرا ، فان الخلية لا تستجيب لهذا النداء ، فلقد وصلت الى المرحلة التى لا رجعة فيها ولانكوص .

الموضوع لاشك طويل جدا ، وقد نعود اليه فى دراسة قادمة لنوفيه حقه .

الانطلاقة الكبرى

ان مسرح القرص الجنيني بطبقاته الثلاثة ، وما يجرى فيها من احداث غامضة ، يستعد الآن لثورة كبرى ، وليس لنا من هذه الثورة الا الظاهر ، وفي الظاهر غموض ، لكن الغموض هنا اقل غموضا مما يجرى في الباطن . فعلى مسرح هذا القرص المتواضع (والتواضع هنا نسبي) تنطلق الخلايا في كل الاتجاهات . انها اشبه هنا بحشد عظيم في ظاهره فوضى ، لكن من هذه « الفوضى » الظاهرية ، يبرز تدبير ، وينبثق نظام ، ويتحلى ابداع ، ويكمن اتقان فكل طبقة من طبقات جنيننا تعرف طريقها ، وتنفذ برنامجها ، فلا تظهر كبيرة ولا صغيرة الا بتوقيت معلوم !

فمن الطبقة الخارجية يتشكل الجلد والاظافر والشعر (او الحوافر في الحيوانات ، والريش والمخالب في الطيور ، والدروع في السلحفاة او حيوان المدرع ، والحراشيف في الاسماك الخ) ومن جزء منه أيضا ـ بعد عمليات هجرة وانبعاج الى الداخل ، ثم تنظيم وانفصال عن بقية خلايا الطبقة الخارجية ـ يأتي المخ والشبكة العصبية

ومن الطبقة الوسطى تتشكل الغضاريف والعظام والنخاع والعضلات والقلب ، ومن الشعرات الكيميائية المتبادلة بين هذه الطبقة وبين الطبقة الخارجية ، يحدث تحوير وتعديل في فترات زمنية ، بحيث تشترك خلايا هذه مع تلك في إنتاج الاوعية الدموية والكلى والغدد الجنسية والبشرة (تحت الجلد)

ومن الطبقة الداخلية تنتج الرئتان والغدد الصماء والجهاز الهضمي والكبد والبنكرياس والبلعوم والمرىء الخ

وكل هذه الامور ـ ببساطة شديدة ـ تخضع لتعليمات متقنة وحساسة ، وهي بلا شك تجعل علماء الحياة يلهثون وراءها ، علهم يلمون بشيء من اسرارها ، فهم بدورهم يشتاقون اشد الاشتياق لمعرفة الاتقان والابداع الذي يتجلى لهم في الخلق الذي قام على فكرة واحدة ، ليؤدي الى تجسيد ، فصوله متشابهة ، ثم اذ به يتشكل تحت سمعهم وابصارهم ، فيتحول الجنين غير المميز الى كتكوت او انسان او قرد او سلحفاة الخ ، رغم ان الظاهر واحد ، لكن الباطن مختلف ، وللناس الظاهر ، وللعلماء الباطن ، وما أروع الأسرار اسرار الباطن ، فهي تضع العين في موضعها ، والقلب في محله ، والأمعاء في تجويفها ، والعضلات حول عظامها ، والاطراف في صورتها التي نراها عليها الخ الخ

لو أنك اطلعت على هذه التمثيلية البيولوجية المثيرة ، لوجدت أن زعانف السمكة ، واجنحة الطيور ، وأرجل الحيوانات ، وأطراف الانسان تخرج من مواقع محددة في الجنين الذي يتشكل (انظر الصور المنشورة هنا) ، ثم قد يأخذك العجب وانت تشهد أن بعض أجزاء الجسم تنمو أسرع من اجزاء غيرها ، كما أن النمو النسبي بين الأجزاء المختلفة في المناطق المختلفة يختلف كذلك من وقت لآخر ففي الشهر الثاني من عمر جنين الانسان مثلا نلحظ ان رأسه تحتل من الجسم نصفه ، وان الذراعين تنموان أسرع من الساقين . الخ الخ ، وكل هذا محكوم بنواميس عظيمة من لدن حكيم خبير !

« جفت الاقلام ، وطويت الصحف » وران على العقل صمت طويل فما أعظم الأسرار . اسرار الحياة « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . ■■

الاسكندريه ـ د عبد المحسن صالح

● يجب عمل أي شيء بكل بساطة ممكنة ولكن ليس الى درجة كبيرة .
البرت اينشتين

● من الاشياء التي تساعد الفرد وتجعله أكثر تحملا للمسئولية أن تجعله يعرف أنك تثق فيه .
بووكر واشنطن

أقوال معاصرة


نزار قبانى

■ الصهيونية تمثل نوعا من العنصرية وتقديسا للجنس ولست مستعدا لقبولها ·

المستشار النمساوى برونوكرايسكى

■ انا نريد أن تكون علاقتنا بجيراننا مثل علاقة الولايات المتحدة فى أمريكا الشمالية بجاراتها فى دول أمريكا اللاتينية !

أبا ايبان

وزير خارجية اسرائيل السابق


براندت

■ أنا لا أحب الصحو فى الشعر · أحب الجنون فيه ·

الشاعر نزار قبانى

■ عندما اقرأ كتابا لا أتصور نفسى عجوزا، أو أننى أحمل عمرا، فى الواقع أشعر بأننى أعيش من غير عمر ·

الكاتبة الفرنسية سيمون دى بوفوار

فى حديث بمناسبة بلوغها سن السبعين


كارتر

■ لقد سمت لعنة التخفى ، فالحياة قصيرة جدا ، خاصة عندما يتقدم الانسان فى العمر ·

المستشار الالمانى السابق ويلى براندت

بعدما قرر طلاق زوجته ليتزوج سكرتيرته

■ النساء أكثر ميلا للواقعية وأقل اهتماما بالنواحى النظرية ، وهن ينظرن أكثر الى المدى البعيد ، لانهن مهتمات بالعالم الذى سينمو فيه أطفالهن ·

مارجريت تاتشر

رئيسة وزراء بريطانيا


كرايسكى

■ أى خرق للاتفاق الجديد للحد من الاسلحة الاستراتيجية الامريكية السوفيتية ، سيكون اختبارا يهز الارض ·

الرئيس الامريكى كارتر

■ ان الحكومة العسكرية فى الضفة الغربية تتوارى عن الانظار عندما يتحرك المستوطنون اليهود ، أما اذا أبدى المواطنون العرب أى رد فعل ، فان الحكومة العسكرية تظهر للعيان على الفور ·

صحيفة القدس التى تصدر فى الضفة الغربية ·

بعدما هبت علينا ريح جديدة
من اطلال ايام الخوارج !

بحث لابد منه في

الردة ... وأسبابها

بقلم : د . سعيد رمضان البوطي ❋

لا يكون موضوع المقالة ، في رأيي مستأهلا للنظر او النشر ، الا اذا كان منطويا على حل لمشكلة ، او متضمنا لاجابة على استفسار ، او تبصيرا بجديد ..

فالبحوث المعروفه ، التي لا جديد فيها ، لا مكان لها ، في اعتقادي ، الاّ داخل بيانها الكلي المتمثل في العلم او الفن الذى ينتمي اليه فان ارتباطها بما قبلها وتمهيدها لما بعدها يكشفان عن اهميتها ومدى فائدتها . ولا يتحقق هذا ، الا عندما تكون هذه البحوث متصلة بسلسلتها ، قائمة على مغارسها . فان فصلت عنها في مقال مستقل ، عادت كالكلمة المقتطعة من جملتها المفيدة ، او عادت كالجملة الواحدة المفصولة من كلامها الكلي المفيد لا ترى لها من جدوى ، الا كجدوى من يكرر درسا وعاه ، للتأكد أو التأكيد على انه متمكن منه

بدعة جديدة

والبحث في معنى الردة واسبابها ، ليس في اصله ، وقبل هذه السنوات ، الا مثالا من هذا القبيل . شيء معروف ، لا جديد فيه ، ما ينبغي ان يبحث او يدرس الا ضمن مجاله او المسائل المحيطة به من علم العقيدة والتوحيد .

ولكن امرا لم يكن في الحسبان ، طرأ على اذهان ، بل

❋ رئيس قسم الفقه الاسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق .

على نفوس طائفة من الشباب والباحثين المسلمين ، تجد منهم ـ قلوا او كثروا ـ في كل قطر وصقع ، جعلهم يبتدعون لمعنى الردة شيئا جديدا ، ويضيفون الى اسبابها أسبابا اخرى لم نسمع بها في كتاب ولا سنة ولم نتلقها عن اى عالم مخلص امين في تجلية حقائق هذا الدين كما وعاها الرعيل الاول من هذه الامة ، ثم الذين جلوها من بعدهم ، فمن بعدهم ، ممن يشكلون بحمد الله سواد هذه الامة (وهم الذين امر رسول الله ﷺ باتباعهم) بل هم الذين حذر بيان الله جل جلاله من التنكب عن صراطهم البين العريض اذ قال : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » الانعام . ١٥٤ .

فكان ان تحول هذا البحث المعروف الذى لا جديد فيه ، بسبب ذلك ، الى مشكلة تحتاج الى حل ، بل الى معضلة يثور حولها النقاش والجدل وانظر ، فاذا انا مضطر الى معالجة مسألة الردة واسبابها في مقال ، في مثل هذه المجلة . ولا والله ما كنت احسب قبل سنوات ، ان ريحا هوجاء ، ستنبعث من اطلال ايام الخوارج ، لتعصف باذهان كثير من المسلمين اليوم ، فتقصيهم عن صريح كتاب الله ، وقواطع الكلام في سنة رسول الله ﷺ ، وعن الصراط الذي تلاقي عليه سواد هذه الامة ، وجماعتها المسلمة في كل زمان ومكان ! ..

ومهما تكن اسباب هذه الظاهرة لدى ثلة من الشباب ، الذين تجد نماذج منهم كما قلنا في كل قطر ، بل في كل بلدة ـ فانها ليست على كل حال اسبابا علمية ولا فكرية .بل مردها الى اسباب نفسية اثارها عامل رئيسي لا ثاني له ، الا وهو سوء التناسب بين العاطفة الاسلامية الحارة التى يتمتع بها السواد الاعظم من الجيل الصاعد من جهة ، والضوابط العلمية التى يفتقر الى معرفتها معظم افراد هذا الجيل من جهة ثانية . فلقد تحول سبيل دراسة الاسلام وفهمه ، عند اكثر هؤلاء الشباب الى برامج فكرية وعاطفية مجردة ، بعد ان ظل خلال دهور طويلة منهجا علميا قبل كل شيء ، يتم عن طريق استيعاب النظام الكلى للاسلام ، متمثلا في عقائده وتشريعاته واخلاقه اما العاطفة فانما كانت تنبثق ثمرة ناضجة ، من خلال هضم هذا المنهج العلمي ، حيث يتلاقى كل من العاطفة والعلم على صراط واحد وجهود متناسقة مشتركة ، من اجل بناء المجتمع الاسلامي الصادق السليم .

ويحدث مثل هذا التحول الخطير ، عادة ، عند غياب العدد الكافي ، من العلماء المرشدين الربانيين من بين افراد المسلمين وشبابهم ، فينتشر هؤلاء عندئذ في طريق الدعوة الاسلامية بدفع من عواطفهم الهائجة ، كقطعان لا راعي لها ، فيربو من ذلك الغثاء الخادع ، وتقل الجذور الراسخة ، وتتكاثر الاراء المتخالفة ، اذ تهيج العواطف وتنعدم كوابح العلم وضوابطه ، فيدلي كل بالرأى الذي يروق له ثم يحصنه بأكبر شحنة من العصبية أو التعصب له . وعندئذ تتحول عملية الدعوة الاسلامية الى مجرد خصومات وحجاج للدفاع عن هذه الاراء .

الردة والكفر المطلق

ولا عاصم من هذا البلاء الماحق للجهد والمضيع للوقت والمفرق للجمع ، الا الرجوع الى العلم ، متمثلا في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وفي استنباطات الأئمة الأربعة منهما والقياس عليهما . فان جد بيننا جديد لا حديث عنه في كتاب ولا سنة ، ولا في اجتهادات الأئمة ، عهدنا بالبت فيه الى من يتوفر فيهم العلم الغزير ، والامانة الدقيقة ، والدين الخالص القويم . وهم اولئك الذين لا تخيفهم سطوة سلطان ولا تطمعهم نعمة انسان ، ويربؤون بدين الله عز وجل ان يتخذ مطية الى الدنيا ، او سلما الى المناصب والمغانم .

ولا ريب ان اصحاب هذه الصفات من العلماء قد غدوا قلة بين الناس ، ولكنهم بحمد الله موجودون ، تجد منهم في كل بلدة وقطر ، يستطيع كل من شاء ان يراهم ويستفيد منهم .

وبعد ، فان الحديث الخطير الذى يستمرئه كثير من المسلمين اليوم عن الردة والمرتدين ، ليس الا واحدة من المشكلات الناجمة عن هذه الظاهرة التى اوجزت البيان

لها والحديث عنها ولعل من الخير ، بل من الضروري ، ان اضع بين يدى القارىء خلاصة سريعة ، عن الحكم الشرعى في هذه المسألة ، طبقا لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة الصحيحة ، ولما اتفق عليه جمهور المسلمين في شتى العصور السالفة . لعله يكون عونا على ان يضبط هؤلاء الاخوة عواطفهم بضوابط العلم واحكامه ، فلا يتسرعوا في الحكم على الناس باحكام ، قد يتحملون سوء عاقبتها وخطير منيتها في يوم من الايام !

فمن الواضح ان الاسلام ، كما يتحقق بأركانه ، وبالمستلزمات الاساسية لتلك الاركان فانه يفقد بفقد شيء من تلك الاركان او المستلزمات .

ثم اننا ننظر ، فان كان فقد شيء من ذلك فقدا اساسيا ، اى غير مسبوق بما يناقضه من اليقين به ، فهو كفر مطلق ، وهو الذي يسمونه بالكفر الاصلى . وله وللمتلبس به احكام خاصة تعرف في اماكنها من كتب الفقه الاسلامى . اما إن كان فقده طارئا ، اى بعد يقين تام به ، فهى الردة التى سنبحث فيها الآن .

وليس الغرض هنا البحث في احكام المرتد ، ولكن القصد بيان اسباب الردة وموجباتها .

ميزانان اثنان

من المهم ان نعلم ان اسباب الردة ، مهما كثرت وتفرعت ، فان مردها ، سلبا وايجابا الى ميزانين اثنين :

اولها ، قول الله عز وجل . « ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ثانيهما ، ما تظاهرت عليه دلائل القرآن الكريم والسنة المطهرة ، من ان الاحكام القضائية في الدنيا لا يجوز ان تنهض الا على البينات الظاهرة ، وان الله لم يجعل للناس وراء ذلك من الامر شيئا . فليس لأحد منهم ان يتعاطى حكما على غيب احد ، حتى تتظاهر عليه الحجج المعتمدة في الكتاب والسنة ، للعمل بها في دار الدنيا .

فأما الميزان الأول ، فيكشف لنا ان المكفرات ـ وهى ما استوجب الخلود في عذاب الله يوم القيامة ـ كل ما كان تعبيرا عن الاشراك بالله في ذاته او في شيء من صفاته ويدخل في حكمه عن طريق القياس اليقينى الأول ، انكار وجود الله عز وجل ، وما هو في حكمه من الحاق اى نقيصة به تتنافى منافاة واضحة مع صفة الألوهية له عز وجل بل جحود الخالق سبحانه وتعالى ، وما هو في حكمه ، من سلب صفة الكمال عنه ، داخل في دلالة هذه الآية ذاتها . ومكان الدلالة فيها على ذلك قوله عز وجل « ويغفر ما دون ذلك .. » .

فانه سبحانه وتعالى ، فتح باب المغفرة لكل من كانت معصيته ، دون مستوى الاشراك بالله عز وجل ، اى اقل خطورة منه . فبقيت المعاصى التى هى أبلغ سُوءاً من الاشراك به عز وجل ، ملحقة بحكمه ، بدلالة هذا النص ذاته . وهى محصورة في انكار وجود الخالق اصلا ، وفي الحاق شيء من صفات النقص به ، كالكذب ، والعجز ، والظلم ، والموت .. الخ .. واما المعاصى الاخرى ، التى هي دون الاشراك بالله عز وجل ، فكلّها داخل تحت امكان عفو الله عنها ، مهما اختلفت وتنوعت صغيرة كانت او كبيرة ومن ثم لا يوصف المتلبس بها او بشيء منها بالكفر او الردة .

واذن فعلى ميزان هذه الآية الجامعة ، تنزل عمومات الايات التى تدل بظاهرها على خلود بعض اصحاب الكبائر في النار يوم القيامة ، من مثل قول الله عز وجل . « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، واعد له عذابا عظيما » النساء ٩٤ وقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » المائدة ٤٨ وقوله عز وجل . « ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون » المؤمنون ١٠٤ .

اى فالاية الاولى يراد بها القاتل المستحل للقتل ، المصر على عقيدته هذه دون توبة . والاية الثانية تتحدث عن المعرضين عن حكم الله تعالى انكارا له وجحودا والاية الثالثة تعنى أولئك الذين ماتوا على معنى من معاني الشرك بالله عز وجل ، او على ما هو شر منه كالجحود به عز وجل

اما الميزان الثاني ، فهو تبصير بحدود وصلاحيات

الانسان ، حاكما كان ، أو قاضيا ، او مفتيا في تطبيق الميزان الأول على سائر الناس

ترى ما هي الدلائل والبينات التي يجوز ان يبنى عليها الحاكم او القاضي مثلا ، الحكم بكفر انسان أو ردته ؟

يوضح لنا هذا الميزان بأن الدلائل التي يجوز الاعتماد عليها ، في البت بهذا الحكم الخطير وما يستتبعه من احكام خطيرة أخرى ، انما هي الدلائل الصريحة القاطعة فلا قيمة في هذا الباب لدلائل الفراسة والتوسم ، ولا لشيء من الدلائل اللزومية ، الا اذا كان اللزوم فيها قطعيا لا مجال لتخلف اللازم فيه عن الملزوم.

فلا يستدل بشيء من المعاصي ، مهما عظمت ، ومهما استمر العاصي في عكوفه عليها ، على انه كافر او مرتد . لأن الدليل اعم في هذه الحال من المدّعى اذ رب رجل يتعلب في الوان المعاصي استهتارا واستجابة لرعوناته وجموح نفسه ، ويكون اعتقاده بالله عز وجل سليما ، والمقومات الاساسية لاسلامه متوافرة

ولا يستدل بشيء من مظاهر المراوغة او النفاق ، مهما تنوعت واستمرت ، على كفر يستوجب حكما قضائيا في دار الدنيا ، بل لا يجوز حتى الجزم الاعتقادي بكونه كافرا ، ولو بدون ترتيب احكام قضائية علمية ، الا ان يتلبس هذا الانسان بما سماه رسول الله ﷺ كفرا بواحا ، اي ظاهرا مكشوفا ، فيقضى عندئذ بكفره وردته .

ومن ابرز الادلة على هذه القاعدة ما رواه مسلم واحمد وابن ماجه وابود داود عن اسامة بن زيد ، قال بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ، فصبحنا الحرقات من جهينه ، فأدركت رجلا ، فقال لا اله الاّ الله ، فطعنته ، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ أقال لا اله الا الله وقتلته ؟ . قال ، قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال أفلا شققت على قلبه ، حتى تعلم أقالها أم لا ؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني اسلمت يومئذ

ومثله ما رواه مالك في الموطأ عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن عبد الله بن عدي بن الخيار أنه سارَّ النبي ﷺ ، فلم ندر ما سارَّه . حتى جهر رسول الله ﷺ ، فاذا هو يشاوره في قتل رجل من المنافقين . فقال رسول الله ﷺ · أليس يشهد ان لا اله الا الله ؟ قال بلى ولا شهادة له قال : أليس يصلي ؟ قال بلى ولا صلاة له . فقال رسول الله ﷺ : اولئك الذين نهاني الله تعالى عنهم .

ومن تطبيقات هذه القاعدة في هديه ﷺ ، معاملته للمنافقين بناء على ظاهر ما يتلبسون به من دلائل الاسلام ، ووقوفه بهم عند هذا الحد ، دون ان يقتحم شيئا من سرائرهم مهما تجلى لتلك السرائر من ذيول وآثار .

تطبيقات

ان التصرفات التي تستوجب الردة ، اعتمادا على هذين الميزانين ، لا تخرج عن ان تكون اقوالا ، أو افعالا ، او ما يمكن ان يدخل في نطاق السخرية والتحقير

فأما الأقوال ، فهي كل ما كان تعبيرا صريحا عن انكار ركن من اركان الاسلام أو الايمان ، او عن انكار حكم من الأحكام الاسلامية المعروفة من الدين بالبداهة والضرورة كأن يبيح الفاحشة ، او قتل النفس بغير حق ، او يبيح الربا عموما ، بعبارة صريحة قاطعة في الدلالة على ذلك .

ذلك لان هذه الاقوال اما ان تكون داخلة في معنى الاشراك بالله عز وجل ، كالذي ينكر وحدانيته ، واما ان تكون ابلغ سوءاً منه ، كالذي ينكر وجود الخالق عز وجل ، واما ان تكون في مستوى الاشراك به ، كالذي ينكر قواطع الاحكام الصريحة المشهورة في كتاب الله عز وجل ، اذ لا يتأتى انكار شيء من ذلك الا عن طريق انكار شيء من القرآن ذاته .

وأما الاعمال ، فهي كل ما كان يحمل دلالة قاطعة على ما يتناقض مع ركن من اركان الايمان او الاسلام ، كالسجود لصنم ، وكالتزيي بالازياء التي تخص رجال الاديان الاخرى ، مما يحمل دلالة دينية متناقضة مع شيء

من اركان الاسلام والايمان .. فان لهذه الافعال دلالة واضحة ، لا تقل عن دلالة النطق ، ولها مدلولات تناقض الاذعان لاركان الايمان والاسلام .

واما ما يدخل في نطاق السخرية والتحقير ، فهو داخل في الحقيقة في زمرة الاقوال او الافعال ، ولكن العلماء افردوه بنوع ثالث ، لعدم توفر الجد الذي من شأنه ان يتوافر في النوعين السابقين ، وضوابط السخرية او التحقير المستوجبين للردة ، ان يسخر المسلم من شيء من اركان الاسلام او الايمان او من اي حكم علم ثبوته وكونه من الدين بالبداهة والضرورة ، او ان يحتقره بوسيلة واضحة من وسائل التحقير

اذن ، فكل ما كان التعبير عنه بالقول الواضح الجاد مستوجبا للردة ، فان تناوله بالسخرية او التحقير يكون مستوجبا للنتيجة ذاتها كأن يسخر من الصلاة او الحج او الزكاة او من الجنة او النار ، او ان يحتقر القرآن تحقيرا واضحا بقول او فعل ، او يزدري الفقه الاسلامي عموما ، او يحتقر شيئا من الشعائر الاسلامية البارزة كالاذان والمساجد .. الخ .

ويكفي لثبوت الردة ، قضائيا ، بشيء من هذه الانواع الثلاثة من التصرفات ، مجرد تلبس الانسان بشيء منها بمحض ارادته واختياره . سواء اكانت مدلولاتها قائمة في ذهنه ام لا وذلك عملا بالميزان الذي اوضحناه ، فان كلا من الاقوال والافعال المكفرة ، ومظاهر السخرية بشيء من اركان الدين ، ذو دلالة صريحة واضحة على ما يناقض العقيدة الاسلامية . فان كان القلب منطويا على ما يخالف تلك الاقوال او الافعال ، فإنه من الامور الباطنة التي لا سلطان للاحكام القضائية عليها . لذا فانا نحكم بردة كل من سخر ، مثلا ، بشيء من اركان الاسلام او شعائره البارزة ، ونكل باطنه الى الله عز وجل . الا اذا صرح لنا بما يكنه قلبه من الايمان والاسلام والاعتقاد المنافي لظاهر ما دل عليه عمله او قوله ، فيكون تصريحه هذا بمثابة التوبة عن الردة التي تلبس بها ، وتقبل منه علانية هذه ويترك باطن حاله الى الله عز وجل .

فتلك هي القاعدة ، وهذا هو تطبيقها . ومهما كثرت جزيئات الامثلة ، فان المسلم الذي الجم نفسه بلجام الشريعة واحكامها ، لن يتيه فيها ، ولن تقوى نفسه على تهييج عواطفه ، لتطلق الاحكام والاراء المتفقة مع اهواء النفس او ضغائن الفؤاد .

الحكم بغير ما أنزل الله

ولنعرض ، على سبيل المثال ، لواحدة من الجزئيات الكثيرة ، يشيع الخوض فيها ، والتساؤل عن حكمها بين كثير من الناس اليوم ، وهي · الحكم بغير شرع الله عز وجل .

فما هو حكم من قضى بغير شرع الله عز وجل في حق نفسه او في حق فرد من افراد اسرته او في حق من يمتد سلطانه عليهم ، كالزعيم في عشيرته والحاكم في رعيته ؟

وإنما رددنا الحكم بغير شرع الله عز وجل في هذه الصورة المتنوعة ، لكي يعلم كل مسلم ان الحكم بغير ما انزل الله تعالى ليس محصورا فيما يتم تحت قوس القضاء او في قصور الحكم .. وانما يتحقق في ابرام اي امر على وجه مخالف لما قضى به الله عز وجل ، سواء كان ذلك من الحاكم في حق رعيته او من رب الاسرة في حق اهله واولاده او من المسلم في حق نفسه وكل تفريق بين هذه الصور تفريق باطل لا معنى له .

اذن ، فما هو حكم من أبرم أمرا على وجه مخالف لما قضى الله تعالى به ؟

ينظر .. فان صاحب هذا الابرام دليل قاطع على أنه انما استبدل بحكم الله تعالى غيره جحودا بالله عز وجل ، او انطلاقا من زعم ان احكام الاسلام غير صالحة للحياة ، او ازدراء واحتقارا له « وكان ذلك الحكم الذي قضى بغيره معروفا من الدين بالبداهة لكل الناس » فذلك موجب من موجبات الردة عن الاسلام وإن صاحب ذلك تكرير لشهادة الاسلام واداء للعبادات كالصلاة وغيرها . الا ان يشوب بالاقلاع عن ذلك السبب نفسه ، بأن يعلن خلافا لما بدر منه ، بأن الشريعة الاسلامية كلها صالحة للحياة ، وانه انما قضى فيما قضى به بباطل من الحكم ، وان الحق الثابت انما هو ما قضى به الله عز وجل .

اما ان لم يصاحب حكمه هذا دليل قاطع على الجحود او الازدراء او الاحتقار ، بأن احتمل ان يكون الصارف له على الحكم بما أمر الله به مجرد استهتار ، او استجابة لبعض رعونات النفس واهوائها او فرارا من التقيد بقيود الشريعة الاسلامية ، فلا يجوز التكفير بذلك . كما لايجوز تطبيق أحكام الردة على من تلبس بمثل هذه المعصية مهما كانت أدلة هذه الاحتمالات ضعيفة

ذلك لان مدار الامر في اصل كل من الكفر والاسلام انما هو الاعتقاد . فاذا ترتب على القول او الفعل حكم بالتكفير ، فليس ذلك الا لان القول او الفعل ذو دلالة قاطعة على عقيدة مكفرة . فأما اذا لم تكن له على ذلك دلالة قاطعة لم يجز ترتيب حكم الارتداد او الكفر عليه وانحصرت دلالته على الفسق والعصيان مع احالة باطن الامر الى الله تعالى .

ولا نعلم مخالفا لهذه القاعدة الا الخوارج والوعيدية .. فان الشرذمة الاولى كفرت المسلمين بمجرد ارتكابهم الكبائر ، اما الثانية فقضت بخلود الفاسقين في النار اعتمادا على ظاهر بعض الآيات التى مر ذكرها ... وقد اتضح لك بطلان هذا الوهم من خلال بيان الميزانين اللذين وضعنا امامها كلا من صريح كتاب الله وصحيح السنة المطهرة وهو الذى قضى به سواد الامة وجمهور الائمة

●●●

وختاما ، انني اناشد جميع الاخوة المسلمين حيثما كانوا ، الا يتحرفوا عن الصراط العريض الذى اختطه لنا كتاب الله وبينته لنا سنة رسول الله ، الى اى افراط او تفريط ، والا يدخلوا شيئا من حظوظ النفس واهوائها الى ساحة الكتاب والسنة ، وان يعلموا ان الدعوة الى الله ودينه انما يجب ان تنطلق من قلب سليم طهر من الاحقاد والاضغان والميل الى الشهوات والاهواء ، فلم يبق فيه متسع لأكثر من التحرق على دين الله والشفقة على عباد الله .

فان كان قصارى همنا اتباع هدى المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فذلك هديه ، وهكذا كان شعوره وقلبه ، والا فرب شيء ارتدى مظهرا وانتمى في حقيقته الى ما يناقضه او يخالفه .

وقد قيل ان رجلا كان يعمد الى خلية نحل فيملؤها بعسل مزيف ، ويجمع حولها أسراب نحل عقيمة لا تنتج ثم يستخرج منها ذلك العسل .. ويقول لها ـ وهى تطوف بطنينهاحوله ـ :

« حسنا منكم الطنين المتبع ، ومنى العسل المشبع » !

ولكن مهما تكاثر النحل وتعالى طنينه حول الخلية ، فان ذلك لا يغير من الحقيقة شيئا . وسيظل العسل شيئا آخر غير هذا الشراب المموه . ■■

د . محمد سعيد رمضان البويطي

كل يغنى على ليلاه

● حاولت زوجة دون جدوى العثور على عدسة عينها اثر سقوطها فى سلة مهملات مملوءة الى حافتها العليا غير أن زوجها تمكن بعد مجهود كبير من العثور عليها .

وقالت له الزوجة والدهشة بادية على محياها : كيف عثرت عليها؟ فأجابها قائلا : حسنا ، لقد كنت تبحثين عن قطعة صغيرة من البلاستيك، فى حين كنت أبحث عن سبعين جنيها هى ثمن العدسة .

شيرلى فريدمان

إفرست جالوا

نموذج العبقرية والنضال وسوء الحظ !

بقلم : الدكتور عبد العظيم أنيس

إفرست جالوا واحد من اعظم من انجبت اوربا - وفرنسا بالذات - في علم الجبر في القرن التاسع عشر ، عاش حياة اغرب من الخيال ومات في الواحدة والعشرين مقتولا بصورة تفوق خيال السينمائيين !

وكأني بقارىء يسأل . كيف يموت انسان في سن الشباب المبكر ويكون عالماً فذا ورياضيا عبقريا ؟ والاجابة على هذا السؤال الطبيعي هو أن ما ينطبق على سائر البشر لا ينطبق على ادمغة العباقرة . إن جالوا لم يترك وراءه غير ستين صفحة ، ولكن هذه الصفحات الستين ظلت تشغل أذهان الرياضيين لأكثر من قرن من الزمان بعد وفاته ، ومازالت بعض آثاره تشغلهم حتى اليوم .

والمأساة في حياة جالوا ان اوربا عموما - وفرنسا خصوصا - لم تدرك عظم الخسارة بموته الا بعد اربعة عشر عاما من هذا الحادث ، عندما بدأ الرياضي الفرنسي الأشهر لوفيل في نشر اعمال جالوا والتعليق عليها في مجلة « الرياضيات البحتة والتطبيقية » .

وقد يسأل قارىء آخر . وما علاقة هذا كله بالنضال السياسي ؟ والاجابة هي أن جالو نشأ في فرنسا الملكية عندما كان الصراع في أوج عنفوانه بين الجمهوريين والملكيين ، كان ابوه جمهوريا شديد الحماس ، وكان عمدة القرية التي عاش فيها جالوا مع عائلته ، ومن ابيه تشرب مبادىء الجمهورية واشترك بحماس وعنف في نضال الجمهوريين ضد الملك .. لوى فيليب . ولما كان رجال الكنيسة عموما منحازين الى صف الملكية ، تعلم من ابيه كره رجال الكنيسة ، وازداد حقده عليهم بعد ما تسببوا بمؤامراتهم الى دفع ابيه دفعا الى الانتحار نتيجة فرية كاذبة الصقوها به . ولم يستطع جالوا أن ينسى صورة جنازة ابيه وهي تمضي في شوارع القرية وسط مظاهرة اهلها ضد رجال الكنيسة ، وكان عليه ان يرى نعش ابيه ينزل الى القبر ، بينما احجار اهل القرية تنهال على بعض رجال الكنيسة الذي حضروا المراسيم !

وكان هذا النضال السياسي سببا في دخوله السجن حيث قضى ستة اشهر ... فعندما قررت الحكومة الملكية حل سلاح المدفعية بالجيش الفرنسي لاحتوائه على عديد من الضباط والمهندسين الجمهوريين من خريجي مدرسة « البوليتكنيك » العليا ، سارع الضباط الجمهوريون الى اقامة احتفال كبير للاحتجاج على هذا القرار ، وكان جالوا واحدا من الحضور .

في هذا الاحتفال شرب الحاضرون - تحديا - نخب الثورة الفرنسية ١٧٨٩ ، ونخب ثورة ١٧٩٣ ، ونخب روبسبير ، ونخب انتفاضة سنة ١٨٣٠ ، ثم وقف جالوا (وهو شاب في العشرين) كأسه في يد ومطواته المفتوحة في اليد الاخرى واقترح ان يشربوا نخب « الملك ... لوى فيليب » !

للوهلة الاولى لم يفهم الحاضرون مغزى هذا النخب الغريب في اجتماع جمهوري ، ولكن عندما لمحوا السكين

في يده فهموا النخب على انه تهديد بقتل لوي فيليب ! وضجت القاعة بالتصفيق والهتاف وخرج رجال المدفعية الى الشارع يرقصون ويحتفلون طوال الليل .

وفي اليوم التالي قبض على جالوا في منزل امه ووضع في السجن . وهكذا بدأت أول محاكمة سياسية لهذا العالم الرياضي الشاب . ولقد شاءت الظروف ان يدافع عنه محام فرنسي ماهر ، وبمساعدة اصدقائه ادعى المحامي ان جالوا قال عند شربه النخب « نخب لوي فيليب اذا تحول الى خائن » ! وان الفقرة الاخيرة من جملته لم تسمع نتيجة الضجة التي تعالت في القاعة ، واقسم اصدقاء جالوا على ان هذا هو ما حدث بالفعل . اما السكين في يد جالوا فقد فسر المحامي وجودها بأنه كان يقطع بها قطعة الدجاج التي كانت في طبقه ! واقتنع المحلفون وحكموا ببراءة جالوا ، وفي هدوء خرج من القفص وذهب الى منضدة الشهود حيث التقط المطواة وقفلها ثم ترك المحكمة دون ان ينطق بكلمة !

بعد هذا الحادث بشهرين القي القبض على جالوا مرة اخرى كاجراء وقائي هذه المرة ، اذ كان الجمهوريون على وشك عقد اجتماع كبير . وعبثا حاولت الحكومة توجيه تهمة اليه ، فلما فشلت وجهت اليه تهمة لبس زي سلاح المدفعية عند القاء القبض عليه ، وهذا العمل غير قانوني مادام سلاح المدفعية قد حل ، وفي هذه المرة ادين جالوا وحكم عليه بستة اشهر في السجن .

كان جالوا في العشرين من عمره ، وقد حاول استغلال هذه الاشهر الستة في كتابة كل بحوثه الرياضية استعدادا لتقديمها للاكاديمية الفرنسية بهدف الحصول على الجائزة التي تمنحها الاكاديمية سنويا لاعظم الرياضيين الفرنسيين !

مع جنون الرياضيات

ثم يبقى العنصر الثالث الذي ميز حياة جالوا ، ونعني به سوء الحظ !

ان جالوا لم يدخل مدرسة قط قبل سن الثانية عشرة ، وفي السنتين الاوليين كان تلميذا عاديا في ليسيه « لوي لى جراند » بالقرب من باريس ، وكان هذا النوع من المدارس آنذاك يهتم بالدرجة الاولى بالمواد الكلاسيكية في الدراسة : الخطابة ، اليونانية ، اللاتينية . أما الرياضيات فقد كانت تدرس كمادة ثانوية يختارها الطالب في السنة التي يريدها .

وبعد ان بدأ جالوا بداية مشجعة في السنتين الاوليين في دراسة المواد الكلاسيكية ادركه الملل وهو في الرابعة عشرة ، عندما بدأ ذهنه يتفتح بصورة انفجارية على العلوم الرياضية . ولقد قيل ان البداية في تفتح عبقرية جالوا الرياضية وقعت عندما رأى بالصدفة كتاب ليجندر في الهندسة ، وكان هذا الكتاب تحفة من العمل الفني تضرب بها الامثال . ولقد كان تقدير الاساتذة ان طالب الليسيه الممتاز قادر على دراسة هذا الكتاب خلال عامين ، ولكن جالوا قرأه واستوعبه وكأنه يقرأ قصة بوليسية !

كان جالوا قادرا على ان يجري في دماغه اعقد العمليات الرياضية دون ورقة او قلم ، ولهذا كان اساتذته غير قادرين على متابعته حتى كتب احد اساتذته عنه يقول « أن جنون الرياضيات يسيطر على هذا الصبي » . وعندما تقدم للامتحان الشفوي في المدرسة « البوليتكنيك » العليا دخل في نقاش رياضي معقد مع احد الاساتذة وكان هذا الاستاذ مخطئا فيما يقول ، وحاول جالوا ان ينبهه ، ولما اصر الاستاذ على موقفه فقد جالوا السيطرة على اعصابه فما كان منه إلا أن رمى وجه الاستاذ بماسحة السبورة !

في الخامسة عشرة من العمر لم يقتنع جالوا بكتب الرياضيات المدرسية التي كانت في يديه ، بل ذهب الى الاصول ، الى كتابات كبار الرياضيين في فرنسا فبدأ بقراءة الرياضي النابغة « لاجرانج » ، ثم تحول الى قراءة بحوث ومذكرات الرياضي النرويجي « آبل » - اعظم من انجبت اوربا في علم الجبر - وهي بحوث لم تكن موجهة الى الصبية المراهقين ، وانما الى كبار الرياضيين في اوربا وامريكا . وهكذا غرق جالوا في بحوث عن الحلول العديدة للمعادلات ، وفي دراسات عن نظرية الدوال الناقصية ، وبدا له انه قد استطاع اخيرا ان يحصل على الحل العام لمعادلات الدرجة الخامسة ، الأمر الذي عجز عنه اعظم رياضي اوربا من قبل . ولقد اكتشف جالوا

بعد ذلك انه كان يبحث عن المستحيل ، وان آبل نفسه قد وقع في نفس الخطأ ، وانه لا يوجد حل عام لمعادلات الدرجة الخامسة

وفي سن السادسة عشرة قرر جالوا ـ وهو لا يزال تلميذا في الليسيه ـ أن يتقدم لامتحان مدرسة « البوليتكنيك » العليا ، وكان حلم جالوا في دخولها يتمثل في ان هذه المدرسة هي موطن اعظم الرياضيين الفرنسيين من ناحية ، وانها من ناحية اخرى موطن الضباط المتمردين على الملكية في نفس الوقت . ولكن جالوا رسب ! وقيل في تفسير رسوبه انه كان في مستوى عرضه للبراهين الرياضية اكثر تقدما من اساتذته ، وان هؤلاء الاساتذة لم يستطيعوا أن يفهموه

في هذا الوقت كان جالوا قد استطاع ان يصل الى عدد من الكشوف الاساسية في نظرية المعادلات ، ونظرية الرمز ، وكان من المفارقات ان استاذه في الليسيه ريشار كان يشرح نظريات جالوا للتلاميذ مشيدا بعبقريته مناديا بضرورة دخوله « البوليتكنيك » دون امتحان .

رحلة سوء الحظ

وعندما بلغ جالوا الثامنة عشرة سجل كل اكتشافاته في مذكرة واحدة تقدم بها الى الاكاديمية الفرنسية ، وكانت الاكاديمية ترسل هذا النوع من المذكرات الى كوشي اعظم الرياضيين الفرنسيين آنذاك لكتابة تقرير دقيق عنها يبين مدى الجديد فيها ولقد عرف عن كوشي الدقة في تقاريره والسرعة في عمله . الآ انه فقد مذكرة جالوا !

ثم لاحق سوء الحظ الشاب النابغة بعد هذا بعام ... كان جالوا قد كتب ثلاثة ابحاث جديدة في نظرية المعادلات ، وكانت النتائج التي توصل اليها غير معروفة بالمرة . ولقد تقدم بهذه البحوث على هيئة مذكرة الى الاكاديمية الفرنسية للحصول على جائزتها السنوية . وفي أمان وصلت المذكرة الى سكرتير الاكاديمية الذي اخذها معه الى منزله لدراستها ولكنه مات بعد ذلك بأيام ، وعندما بحثوا عنها في ادراج منزله بالمنزل لم يجدوا لها أثرا !

وهكذا بدأ جالوا يعتقد ان شيئا آخر غير مجرد الصدفة يحاربه ، فقد رسب في امتحان مدرسة « البوليتكنيك » العليا مرتين ، وضاعت بحوثه التي قدمها للاكاديمية الفرنسية مرتين ، وهكذا اشتد حقده على الاكاديمية والاكاديميين ، وتحول من العلم الى السياسة ، الى جانب الجمهوريين في فرنسا الملكية عندما كانت مشايعة الجمهورية تعتبر راديكالية خطيرة !

وعندما بدأت احداث انتفاضة سنة ١٨٣٠ امتلأ قلب جالوا بالسعادة ، وحاول ان يقود زملاءه في الليسيه الى الشوارع ، ولكنهم ترددوا . ولقد رفض جالوا ان يعطي مدير الليسيه وعدا بعدم مغادرة المدرسة ، بل حاول ان يقفز من سورها ليلا لينضم الى طلبة « البوليتكنيك » الذين كان يملأون الشوارع ويصنعون التاريخ .. فلما فشل في ذلك بسبب ارتفاع السور اخذ يكتب خطابات الى الصحيفة المحلية مهاجما المدير والتلاميذ ، وتسبب احد هذه الخطابات في فصله !

قال في احد هذه الخطابات لطلبة الليسيه « انني لا أطلب منكم شيئا لشخصي ، ولكني اطلب منكم ان ترفعوا اصواتكم دفاعا عن شرفكم وضمائركم » ! ولقد خرج جالوا من انتفاضة ١٨٣٠ الفاشلة بنتائج سياسة جديدة اكثر راديكالية ، واذهل اساتذته وزملاءه عندما اعلن ولاءه لصالح الجماهير الكادحة في فرنسا

بعد فشل انتفاضة ١٨٣٠ ، وفصله من الليسيه كان جالوا في التاسعة عشرة من عمره ، فماذا يصنع شاب صغير في هذه السن ؟ ربما يبحث عن عمل يكسب به قوت يومه ؟

لا ... ليس جالوا ، وانما اعلن في الصحف عن انشاء « فصل خاص » في الجبر العالي يجتمع مرة واحدة فى الاسبوع ! كان ينوي ان يحاضر في نظرية الاعداد التخيلية ونظرية حل المعادلات ونظرية الدوال الناقصية معالجة بطريقة جبرية ، وكل هذه المواد العلمية كانت من ابتكاره هو لم يسبقه اليها أحد من قبل . ولكن احدا لم يحضر ، فاضطر الى ان يتجه الى العمل السياسي مرة اخرى .

بداية النهاية

ثم كان يوم ٩ مايو سنة ١٨٣١ ، الذى هو بداية النهاية لحياة جالوا في هذا اليوم وقع احتفال الجمهوريين الذى سبق الحديث عنه واقترح فيه نخب ملك فرنسا لوى فيليب ، وقبض عليه بسبب قصة هذا النحب في اليوم التالى في منزل امه ورغم انه حوكم ولم يدن ، الا ان هذه الحادثة جعلت العداء بينه وبين الملكيين عداء حادا واشعلت قلوب شبابهم بكراهية جالوا

وبعد شهرين قبض على جالوا مرة اخرى بتهمة ارتداء زى سلاح المدفعية ، وهو السلاح الذى حله النظام الملكى ، وفي هذه المرة ادين وحكم عليه بالسجن ستة اشهر

وخرج جالوا من السجن في ٢٩ مايو ١٨٣٢ راغبا في الذهاب الى الريف للراحة والاستجمام وفي مساء هذا اليوم وقع حادث غريب ادى الى مقتل جالوا ، واختلفت الروايات حول حقيقة هذا الحادث غير ان معظم الروايات تقول انه عند خروجه من السجن وجد شابين من شباب الملكيين في انتظاره ، وتحداه احدهما الى مبارزة بالمسدسات ، وانه اضطر الى قبول هذا التحدى « دفاعا عن شرفه » .

كتب جالوا في هذه اللحظة الحاسمة الى صديقين له يقول

« لقد تحدانى مواطنان ، وكان مستحيلا علىّ ان ارفض ، ولقد اخذا منى وعدا بالشرف الا اخبر احدا ارجو ان سامحانى لذلك ، وان المهمة التى اطلبها منكما سهلة جدا ان تثبتا اننى قبلت التحدى رغم انفى ، وبعد بذل كل جهد للتفاهم ارجو ان تحافظا على ذكراى ، فالقدر لم يعطنى وقتا كافيا لتعرف فرنسا اسمى سأموت صديقا وفيا لكما » .

كانت هذه الرسالة اخر رسالة شخصية كتبها قبل فاجعة موته . ثم ظل طول الليل يكتب بشكل جنونى كل اكتشافاته الرياضية على هيئة وثيقة كما كتب وصيته وفي كثير من هذه الصفحات الستين التى تركها جالوا كثيرا ما نجد هوامش تقول « ليس عندى وقت لبرهان هذا الجزء » ، ولكن الرياضيين الفرنسيين اجمعوا بعد ذلك على ان هذه الصفحات الستين ظلت تشغل رياضيى العالم قرنا من الزمان . لقد وجد جالوا لأول مرة حلا لمشكلة رياضية ظلت تشغل الرياضيين سنين طويلة دون اجابة تحت أى شروط عامة يمكن حل معادلة جبرية . ليس هذا فحسب ، بل ان جالوا قد استخدم في هذه الخطابات الاخيرة نظرية الزمر بنجاح مذهل ، وكان هذا الاستخدام عملا طليعيا في عالم الرياضيات

بالاضافة الى هذا فقد ائتمن جالوا بعض اصدقائه على مخطوطات رياضية كان قد اعدها لتقديمها للاكاديمية للمرة الثالثة ، وقد نشرت كل هذه الكنوز الرياضية بعد وفاته بأربعة عشر عاما .

كتب جالوا في وصيته الى صديقه الحميم أوجسته شفالييه يقول « لقد حققت اكتشافات جديدة في التحليل وارجوك ان تسأل الرياضى الالمانى جاوس علنا ان يعطى رأيه ، لا عن صحة هذه النظريات التى اكتشفتها ، وانما عن اهميتها » .

وفي فجر ٣٠ مايو سنة ١٨٣٢ واجه جالوا خصمه في « ساحة الشرف » ، دون ان يعرف احد من اهله واقاربه ، تحقيقا للوعد الذى قطعه على نفسه . كانت المبارزة بالمسدسات . وكانت المسافة بين الخصمين خمسا وعشرين خطوة .

ووقع جالوا ولم يكن هناك طبيب قريب لاسعافه وهكذا ترك في مكان مهجور ملقى على الارض حتى الساعة التاسعة صباحا عندما عثر عليه قروى بالصدفة فنقله الى المستشفى بعد فوات فرصة انقاذه

وحضر اخوه على عجل الى المستشفى باكيا ، ولكن جالوا التفت اليه في هدوء وقال : « لا تبك فانا في حاجة الى كل شجاعتى لكى اموت في سن العشرين » . ■■

د . عبد العظيم أنيس

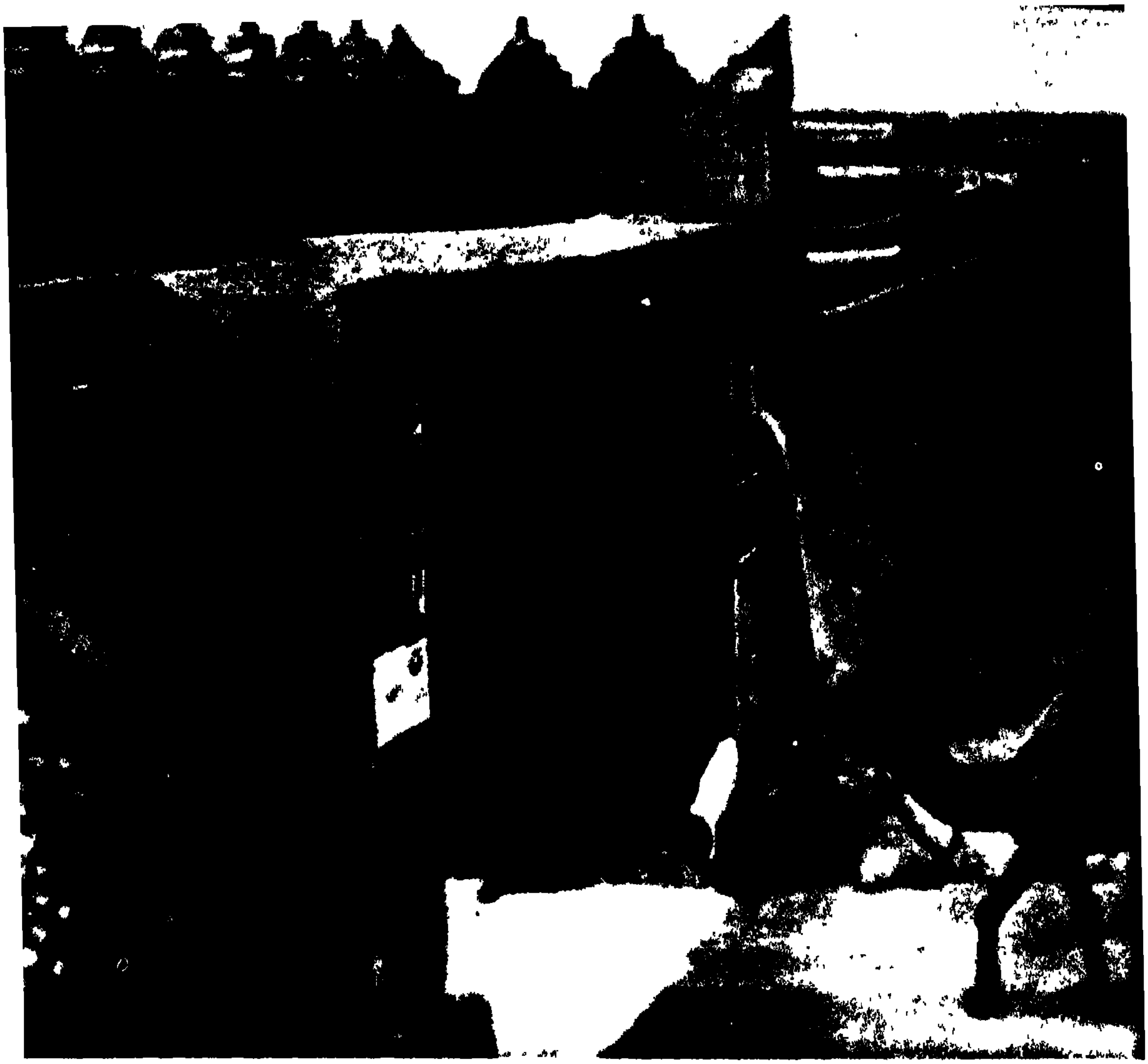


حول تاريخ الكويت

خبر جديد

الذين لاحقوا ظلمات المجهول في تاريخ الكويت الاول ، وحعلوا يبددونها باليسير من الاخبار الشفهية تارة وبالمنطق الفكرى تارة اخرى ، وبالمقارنة والاستنتاج ثالثة او ببعض النتف من روايات المؤرخين السابقين او الرحالة الاوروبيين او تقارير المندوبين السياسيين او التجاريين كل هؤلاء استطاعوا بعد الجهد ، ان يرسموا من تاريخها الاول ما لا يعدو في خلاصته فقرات تغطي ما بين اواخر القرنين السابع عشر والثامن عشر ..

لملموا الاشارات التي ذكرها القناعي والرشيد والبهاني وابن سند والشملان فقالوا ان الكويت بدأت الظهور اواخر القرن السابع عشر (حوالى سنة ١٦٨٢ م ١١٠٠ هـ) وافترضوا انها نشأت مركزا صغيرا للصيادين بعد ان اقام بعض الامراء من بني خالد « كوتا » او حصنا في « القرين » الجزيرة المتاخمة للشاطيء. وجاءت قبائل العتوب مهاجرة تأهل الساحل الشرقي للجزيرة العربية منذ مطلع القرن الثامن عشر فاستقر قسم منها في هذا الموقع وجمع الباحثون من الاسطر القليلة التي وردت هنا وهناك في سجلات شركة الهند الشرقية (الانكليزية) وفي تقارير الرحالة والمندوبين ، ليقولوا ان سعدون بن محمد بن غرير حكم الموقع في مطلع القرن الثامن عشر ، وتوفي سنة ١٧٢٢ ليصطرع افراد اسرته على الحكم ومنذ اواسط القرن (١٧٥٢) اختار اهل الكويت صباح بن جابر شيخا على البلد واعقبه بعد عشر سنوات ابنه عبد الله بن صباح



الدي اسمر ى السلطة حسين سنة وى اوائل عهده بن سنة ١٧٦٠ ـ ١٧٧٠) صار للكويت سور من لطين . وكان منها من القصاة محمد بن فيروز (المتوفى سنه ١٨٠١) وبعض ال العدساني ، ومنها جامع بن بحر الذي عثر على وثيقة بتجديد بنائه تعود الى سنة ١١٦٣ هـ/١٧٤٥ .

اما السبب ى نشأه البلد ثم ازدهاره فيجد تفسيره السهل المنطقي لدى الباحثين . ى رغبة التجارة الاوروبية ما بين الهند واوروبا ي الهرب من مشاكل البصرة ومن ضرائبها الباهظة ى تلك الايام الى موقع حر يؤمن الصلة بين الطريق البحرى ى الخليج وبين الطريق البرى المؤدى الى بغدادمباشرة والى حلب وهكذا كان الصيادون ثم الغواصون على اللؤلؤ ثم تجاره او وسطاء التجارة والناقلون لها . هم الذين لعبوا الدور الاساسي ي وجود البلد وفي نموه وحياته « كما كان شيخه هو حامي البلد والقوافل وقد زاد في شأن الكويت ونشاطها ما اجتاح البصرة من الجوائح ي الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، فتارة جاءها الطاعون فلم يترك بها الا المئات من الوجوه الصفراء . وتارة هاجمها الفرس فهي في الاحتلال والابتزاز وثالثة قامت فيها الفتن فبعضها يفتك ببعض وهربت سفن التجارة من مرافئها لتبحث عن منزل آمن اخر لتجارتها الهندية مع الشرق العثماني واوروبا وكانت الكويت هي ذلك المنزل الامن

وجه لم يذكر

عدا هذه الفقرات المحدودة ، والتي أضحت معروفة متداولة ، ليس ثمة شيء هام اخر نعرفه عن تاريخ

الكويت خلال القرن الاول من وجودها ، وهذه الفقرات تتصل جميعا بأمرين : التجارة والموقع واثرهما في نشأة البلد ثم قيام نظام او مشيخة للحكم فيها

على ان ثمة جزءا جديدا حول ذلك التاريخ الاول لم يذكر في المعلومات المتداولة بعد انه نص كان الى ما قبل اشهر ، دفينا في مخطوط منسي لم يطلع عليه احد ولا دخل في صورة الكويت التاريخية القديمة ، رغم شأنه وطرافته . النص الجديد الذى يلفت اليه الانظار لا يتصل بهذا او بذاك من امر التجارة او امر الحكم في ايام الكويت الاولى ، ولكنه يتصل بأمر أخر ليس اقل شأنا من الامرين الاخرين انه يلقي بعض الضوء على الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية للكويت في اوائل عهد الشيخ عبد الله الصباح .

يقول النص « ... وقع الطاعون (في البصرة) فخرجت بعيالي الى قصبة سيدنا الزبير رضي الله عنه فانكب علي اهلها واستروا (وسروا) بقدومي عليهم واكرموني بما قدروا عليه . وسألوني ان أقرأ الحديث فقرأنا البخارى كل عصر في جامع سيدنا الزبير ، حتى وقع الطاعون في القصبة ، فخرجت الى الكويت وخرج معي جماعة ، والكويت بلدة على ساحل البحر والمسافة ستة ايام برا فدخلتها واكرمني اهلها (اكراما) عظيما وهم اهل صلاح وعفة وديانة ، وفيها اربعة عشر جامعا ، وفيها مسجدان ، والكل في اوقات الصلوات الخمس تملأ من المصلين . اقمت فيها شهرا لم اسأل فيها عن بيع او شراء ونحوهما بل اسأل عن صيام وصلاة وصدقة وكذلك نساؤها ذوات ديانة في الغاية وقرأت فيها الحديث في ستة جوامع نقرأ في الجامع يومين او ثلاثة فيضيق من كثرة المستمعين فيلتمسون مني الانتقال الى اكبر منه وهكذا حتى استقر الدرس في جامع ابن بحر [1]

« وهو جامع كبير على البحر كجامع القمرية [2] في بغداد وجاء الطاعون اليها ولكنه لم يكبر ولم تطل ايامه

« ولما تواترت الاخبار بانقطاع الطاعون عن البصرة اردت الرجوع اليها فقدموا لى سفينة كبيرة وانزلوني انا وعيالي لم ينقص الطاعون - ببركة حديث المصطفى - منا احدا ونزل في المركب معي من اكابر الكويت اناس بقصد التبرك بخدمتي ورفقتي ونزل معي جميع من كان في الكويت من اهل البصرة بلا نول (اجرة) وصاحب المركب يخدمنا بنفسه

وجرينا ببركة الله تعالى ونحن في احسن عبادة ، مشغولون نهارنا بمذاكرة العلم وتعليم البحرية الذين معنا امور دينهم ولم يتفق لنا يوم نكرهه ولم يتفق انا صلينا احدى الصلوات الخمس فرادى من حين نزلنا في المركب الى حين خرجنا وكان نيتي ان لا اقيم في البصرة الا قدر انتظار الرفيق لقطعنا (لثقتنا) بان الطاعون ارتفع من بغداد .

فلما قطعنا البحر رلنا ليلة وصولنا البصرة في السراجى [3] . »

عمره ٢٠٠ سنه

متى كتب هذا الكلام ؟ ومن هو صاحبه ؟

---

(١) جامع ابن بحر ما يزال موجودا قائما في الكويت على شارع الخليج العربي مطلا على البحر . ويسمى جامع الابراهيم ايضا . وهناك جامع أخر يحمل اسم ابن بحر يقوم على مقربة من الاول في مدخل سوق الخضار ويجري حاليا تجديد بنائه .

(٢) جامع القمرية هو ثاني جامعين اثنين هما اقدم الجوامع الباقية في بغداد . اتم بناءه الخليفة المستنصر العباسي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (قبل سقوط بغداد بثلاثين سنة) ويبدو ان جامع ابن بحر حين جدد في الكويت سنة ١١٥٨ / ١٧٤٥ م بني على مثال جامع القمرية البغدادي .

(٣) السراجي قرية على نحو ٣ كيلو مترات من البصرة كانت مرفأ السفن الكبيرة وتقوم على نهر يحمل اسمها ويتفرع من شط العرب وتحمل فيه البضائع منها في المراكب والزوارق الى البصرة .

كتب هذا النص في سنة ١٧٧٢ أي قبل اكثر من مائتي سنة كتبه المؤرخ العراقي عبد الرحمن بن عبد الله السويدي البغدادي المتوفي سنة ١٧٨٥ م (١٢٠٠ هـ) ضمن رسالة تحدث فيها عن الحوادث التي شهدها في بغداد والبصرة في اواخر حياته ما بين سنتي ١٧٧٢ م - ١٧٧٨ م وكانت في مخطوط فريد، بخط السويدي نفسه، منسي في خزانة الكتب بجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد وللرجل كتب اخرى عديده ونشاط علمي وسياسي معروف في بغداد لعهده وقد ضرب العراق في سنة ١٧٧٢ طاعون جارف القى المشث في الطرقات وكان السويدي بين الهاربين من مدينة الموت الى البصرة اولا. فلما دهم الطاعون في البصرة هرب مرة اخرى بعياله الى الزبير فلما دهمها بدورها الوباء هرب الى الكويت والوباء يحصد عشرات الالوف وراءه وحين عاد ناجيا، مع اهله، كتب خبر هذا الهرب وما بعده [٤] وفي هذا الخبر سجل، من خلال اهتماماته الثقافية صورة الكويت التي رآى سنة ١٧٧٢

وفي الصورة التي رسمها السويدي اضافة جديدة الى تاريخ البلد وتحديد لبعض الملامح في السكان والوضع الاجتماعي ان وجود ١٤ جامعا ومسجدين قد يسمح بالتأكيد بان سكانه لم يكونوا يقلون في تلك الفترة عن عشرة الاف الى اثني عشر الفا وهو رقم ليس بالقليل لتلك الايام يتفق مع الرقم الذي قدره (نيبور) الزائر الاخر الاجنبي الذي زار الكويت بعد السويدي بثلاثة اعوام. فقدر السكان بعشرة الاف واسطول الصيد الكويتي بثمان مائة مركب.

لكل اسرة جامعها

ومن المحتمل جدا ان تكون تلك الجوامع من المساجد موزعة حسب مناطق سكنى الاسر الكبيرة التي كانت تشكل قاعدة الكويت السكانية فهي اذن حوالي ١٤ اسرة كبيرة، ولكل اسرة جامعها الذي بنته في موقع سكناها. ولعل كثرة هذه الجوامع انما نجمت عن تنافس هذه الاسر في التدين ورغبتها في التوازي لاسيما وان ثرواتها نابعة جميعا من منبعين مشتركين هما البحر (صيدا وتجارة) والبر (نقلا ووساطة وحماية)

وعلى اي حال فان وجود هذا العدد الواسع من الجوامع ينبيء عن وجود حياة حضرية طويلة الاستقرار قبل ذلك وتكاثر الحاضرين المتزايد لدروس الشيخ في الحديث النبوي، واسئلة الناس المركزة على العبادات لا المعاملات والاقبال على المذاكرة في امور الدين حتى على المركب، وتعليم الملاحين عليه، كل ذلك يكشف جانبا من العطش العلمي ومن الحياة الثقافية النامية في البلد كما ان امتلاء الجوامع بالمصلين في اوقات الصلوات وما وصف به السكان نساء ورجالا من الصلاح والفقه والدين، وتبرع بعضهم بمركب كبير لنقل الشيخ الى البصرة ونزول من نزل مع الشيخ في المركب للتبرك بالخدمة والمرافقة او للسفر مجانا، يكشف بدوره القيم الدينية - الخلقية للناس وطابع البلد المتسم - وهو في مراحل نموه الاولى - بالتقي الواضح وبالتعاون، وعرفان النعمة.

ولقد تكون اخبار الطاعون الرهيبة قد تركت ميسمها على تصرف الناس في تلك الظروف، وزادت في بروز الطابع الديني للبلد على حساب الطابع التجاري. بلى ولكن هل يمكن ان تكون هي التي بنت الجوامع وخلقت من العدم تلك التصرفات ؟

ان الصورة التي قدمها السويدي هي على صغرها خبر خاطف طريف، معبر وحين تشع مثل هذه النصوص، في ظلمات الماضي المجهول، فانما تقول انه لا يزال ثمة الكثير مما لا تعلمون ■■

الكويت - د. شاكر مصطفى

(٤) عثر على هذا المخطوط ونشره منذ عدة اشهر الدكتور عماد عبد السلام رؤوف وقدم له بمقدمة جيدة مع التحقيق والتعليقات الحسنة بعنوان: (تاريخ حوادث بغداد والبصرة من سنة ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ - ١٧٧٨ م) وطبعته وزارة الثقافة والفنون في بغداد سنة ١٩٧٨.

● عن الدين والسياسة ●

نعم ..

عند الانفصال والاتصال بين الدين والسياسة لازالت وقفنا في « المربع رقم واحد » لم نغادره بعد وهو مدخل لايتمنى مسلم عاقل ان نطرقه ، لان القضية ليست في الانفصال او الاتصال بل القضية في مبدأ التطبيق الاسلامي ذاته ، هل هو مطلوب ام لا ؟ فاذا كان الرد بالايجاب ، فلنشرع في الاعداد للتطبيق - الاهم ثم المهم - دون ان نضيع وقتنا في التنظير والجدل حول اللافتات والشعارات اذا كان الرد بالسلب ، فلا محل للمناقشة ، وكفى الله المؤمنين القتال .

ومع ذلك يعرض علينا سؤال الانفصال والاتصال بين الحين والآخر ، لاسباب لاتتعلق بتطبيق الاسلام بقدر ما تتعلق بتوطينه وعندما يلقى السؤال وسط ما نتصوره مرحلة الصحوة الاسلامية ، فان الرد يكون واجبا ، بصرف النظر عن الدوافع والنوايا وعندما يخرج السؤال من مواقع المسئولية والتأثير ، يصبح الرد أوجب

●

في « مناقشة » العدد السابق ، قلت ان فكرة ان الانفصال بين الدين والدولة ، مقولة نقلا اعمى عن التجربة الاوروبية ، حيث عانى الجميع الامرين من« الاتصال » بين الكنيسة والامراء ورجال الاقطاع ، الامر الذى بلغ حد التسلط ، وحيث الدعوة صريحة في الانجيل الى ان يعطى مالقيصر لقيصر وما لله لله ، وقد تم هذا النقل من اوروبا الى العالم الاسلامي ، في ظروف الاحساس بالهزيمة التي عمت منذ بدايات القرن التاسع عشر قلت ايضا ان فكرة الفصل هذه مرفوضة من وجهة نظر الاسلام ، ثم انها اصبحت مرفوضة حتى من وجهة نظر علم النفس التجريبي الحديث

وللدقة أقول ان فكرة « الفصل » هي المنقولة والمرفوضة ، ولكن فكرة « التقسيم والتمييز » بين الدين والدنيا عرفت عند فقهاء المسلمين منذ اكثر من تسعة قرون . ويمكن القول بان اول من وضع الاسس النظرية لفكرة ان الاسلام دين ودولة هو قاضي قضاة بغداد الشهير ، ابو الحسن الماوردي (٣٦٤ هـ - ٤٥٠ هـ) ، الذى يرتبط اسمه في اذهان كثيرين من الباحثين الاسلاميين بكتابه « الاحكام السلطانية » ، رغم أن له كتابا اخر اكثر اهمية - هو الذى يعنينا - يحمل اسم « ادب الدين والدنيا »

واعترف ان معرفتي بهذا الكتاب قد تمت من خلال قراءة لرسالة الدكتوراه القيمة التي قدمها الى جامعة « السوربون » الدكتور فهمي جدعان ، استاذ الفلسفة والفكر العربي بالجامعة الاردنية

بقلم : فهمي هويــدي

والتى صدرت مؤخرا فى كتاب بعنوان « اسس التقدم عند مفكرى الاسلام في العالم العربي الحديث »

تتحرك نظرية الماوردى - يقول الدكتور فهمى جدعان - بين قطبين اثنين : الله والانسان ، الدنيا والاخرة ، الدين والدنيا ، الارض والسماء لم يخترع الماوردى الفكرة ، لكنه فقط كشف عن عناصر المعادلة ، وقدم صياغة لنظرية التوازن كما جاء بها القرآن الكريم وفصلتها الاحاديث الشريفة .

وهو في كتابه يفصل هذا التوازن معبرا انه « باستقامة الدين تصح العبادة ، وبصلاح الدنيا تتم السعادة » ويحاول مثلا ان يحصر شروط صلاح الدنيا فى مسائل ستة ، اولها دينية اعتقادية ترتد الى « دين يتبع » ، والثانية سلطانية ترتد الى « سلطان قاهر » - « فليس دين زال سلطانه الا بدلت احكامه وطمست اعلامه » ، والثالثة قانونية بها يسود العدل ، والرابعة مدنية بها يسود الامن ، والخامسة اقتصادية بها يعم الخير والرواج ، والسادسة انسانية مستقبلية بها يفتح باب الامل والرجاء فى المستقبل

وهو يستدل في رحلته بنصوص مثل الاية الكريمة « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » ومثل خطاب الله سبحانه الى رسوله ﷺ « فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب » اى اذا فرغت من امور دنياك ، فتوجه الى عبادة ربك ومثل الحديث الشريف « ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة ، ولا الاخرة للدنيا ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه »

وكثيرة هي النصوص والمواقف التى اكدت على اهمية استمرار هذا التوازن ، والتى تدين المفرطين فى التعبد ، بمعنى اداء الفرائض من صوم وصلاة ، كما تدين اللاهين عن ذكر الله وعندما قال الرسول ﷺ لمن قال انه يصلى الليل ابدا ، ثم من قال انه يصوم الدهر ولا يفطر ، وثالثهم القائل انه يعتزل النساء ولا يتزوج أبدا ، عندما رد الرسول على هؤلاء بقوله اما والله انى لاخشاكم لله واتقاكم له ولكنى اصوم وافطر ، واصلى وارقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » وقتئذ كان الرسول يعبر بصدق عن قيمة هذا التوازن بين الدين والدنيا في حياة المسلم ، الامر الذى استوعبه عمر ابن الخطاب جيدا ولم يتردد معه فى ان ينهر رجلا يظهر النسك والضعف متعللا بالعبادة ، ثم يقول له لاتمت علينا ديننا اماتك الله

وما يسحب على الفرد ، يسرى بنفس القدر على المجتمع . وبقدر انضباط معادلة التوازن بين

الدين والدنيا ، يكون حجم الادراك الحقيقى لروح الاسلام وفلسفته ، بل والعلامة التي تميزه عن غيره من الديانات وكل اختلال فى هذه المعادلة لصالح كفة الدين ـ بالمعنى التعبدى ـ او كفة الدنيا ، هو تعبير عن الخلل فى فهم الإسلام ، والخطأ في تطبيقه .

وبهذا المفهوم عالج الاسلام قضية الحكم . « فأولو الامر » المعنيون فى القران الكريم هم ـ باتفاق المفسرين ـ « الامراء والفقهاء » ، او رجال السياسة ورجال الدين ، اذا استخدمنا التعبير المتداول كل فريق له دور ووظيفة ، لكنهما يتحركان بالتوازى وعلى نحو متكامل نحو هدف واحد ووظيفة الامام او الحاكم هى « حراسة الدين وسياسة الدنيا » هو « حارس » فى شئون الدين ، لكنه « ممارس » فى شئون السياسة ، ايضا باتفاق الفقهاء من البغدادي الى الماوردي ثم الغزالي والرازي وابن خلدون

ليس هناك في التصور انفصال بين شئون الدين والدنيا ، وليس هناك تطابق ، بالمعنى الذى تختلط فيه الادوار وتذوب الحدود والمعالم ، بحيث ينصب البابا الملوك كما كان يحدث في اوروبا ، او يصبح الملك رأس الكنيسة مثلما حدث فى روسيا القيصرية . هناك معالجة بالغة الحكمة والدقة ، تقيم الاتصال بين الدين والدنيا ، لكنها تميز بين الحلقتين وتحرص على ان يتحقق السعى فيهما بالتوازى والتكامل ، وان يظل الميزان بينهما متعادلا بغير افراط ولاتفريط .

لذلك لم يعرف التاريخ الاسلامي ـ كقاعدة ـ ذلك الحاكم الذى يعتبر نفسه « ظل الله في الارض » ، أو يزعم أن له علاقات خاصة بالسماء ، تفوق علاقة أى مسلم عادى على وجه الارض ومنذ انقطع الوحي بوفاة الرسول ﷺ ، طويت الى الابد صفحة العلاقة بالخاصة مع السماء ، اذا جاز التعبير وبات على المسلمين بعدما أبلغوا بالرسالة ، ان يواجهوا بايمانهم وعقولهم التحدى في اقامة الدين وعمارة الدنيا .

واذا كان قد نسب الى الخليفة العباسي أبى جعفر المنصور انه خطب بين الناس قائلا انه « سلطان الله فى ارضه » ، فأن تلك الواقعة ، على فرض صحتها ـ تعد شذوذا واستثناء في التفكير الاسلامي ، لايقاس عليه ، ولايعتد به .

واذا كان البعض قد استخدم في مخاطبة الخلفاء العباسيين خلال مرحلة الانهيار والسقوط ، تعبيرات مثل « ظل الله الممدود » ، فثمة اتفاق على ان تلك صياغات كانت تصنف وتندرج فى اطار التعبير عن الطاعة والولاء ، ولا يمكن ان تحمل باكثر من ذلك . فضلا عن ان مايعول عليه فى هذا الصدد هو رأى الفقهاء ، وليس اقوال الموظفين والولاة ورجال البلاط !

يقودنا هذا السياق الى موضوع « الحكومة الدينية » ، الذي يطرح بين الحين والاخر باعتباره أحد صيغ التطابق بين الدين والسياسة . وهو موضوع متفجر في الحقيقة ، عاشت الكويت تجربة عاصفة معه في عامي ٧٠ و ٧١ ، عندما اصدر واحد من ابرز قيادات الحركة الاسلامية في مصر ، هو المستشار حسن العشماوي ، مسرحية بعنوان « قلب آخر لاجل الزعيم » ، الحقها بفصل أسماه « الفرد العربي ومشكلة الحكم ـ مناقشة حرة » . وفي مناقشته تلك ، طرح السؤال صريحا : هل يظن احد ان دعاة الحركة الاسلامية في المنطقة يريدون حكومة دينية فيها ؟ .. واجاب بنفس الصراحة . يقيني أن لا !

ثم استطرد إن الحكومة الدينية بمفهومها الحقيقي هي تلك الحكومة التي تقوم فيها واسطة بين السماء والارض ، وتحكم هذه الواسطة باسم السماء ، فتحرم ما لا ترضى عنه ، وتحل مايسند مصالحها . وبذلك تظلم هذه الواسطة ـ لحسابها ـ أهل الارض باسم السماء . وهي حين تستند في ظلمها الى السماء الى الغيب لا تجد من يردعها ، لانها وحدها التي تفهم لغة السماء .

ولم يكد يصدر الكتاب حتى قامت قيامة الكثيرين ضده ، واتهم العشماوي بالردة والكفر والزندقة حتى أنه عندما مات الرجل دعا البعض الى عدم جواز الصلاة عليه ، بسبب مقولته هذه !

ولا أريد أن أناقش لا رأي العشماوي ولاتهم الذين ثاروا عليه . لان الاعتراض الاساسي ليس على الحجج التي أثيرت ، ولكن على مبدأ طرح السؤال ذاته . الذي هو من طراز الاسئلة التي افرزتها تجربة العرب مع الكنيسة ، التي نقلناها الى ساحتنا الفكرية بغير مبرر ، وطالبنا انفسنا بالرد عليها ذلك أن تعبيرات مثل الحكومة الدينية والسلطة الدينية لها تفسيراتها وملابساتها التاريخية الخاصة عند الاوروبيين ـ كما قلت في العدد السابق ـ ولا وجود لها اساسا في التفكير الاسلامي . حتى عندما اراد حسن العشماوي ان يعرف الحكومة الدينية ، لم يجد الا التفسير الغربي لها ، الذي لا علاقة له لا بالاسلام ولا بتجربة المسلمين والنموذج الوحيد في التاريخ الاسلامي كله الذي يمكن ان يحمل معنى السلطة الدينية بالمفهوم الذي عرفه الغرب ، هو ابو جعفر المنصور والاقوال المنسوبة اليه وهو النموذج الذي استند اليه ـ ضمن حجج اخرى ـ الشيخ علي عبد الرازق في كتابه « الاسلام واصول الحكم » ، ليحذر من مغبة الخلط بين الدين والسياسة ، وليلغي السياسة من الاسلام في النهاية .

●

وقد واجه الامام محمد عبده موقفا كهذا خلال احتكاكه بالغرب والغربيين ، منذ ذهب بعد نفيه الى باريس ـ في بداية القرن الحالي ـ وعندما نشر في « الاهرام » مقالاته الشهيرة في الرد على « هانوتو ❋ » الذي ترجمت الاهرام عن الفرنسية انتقاداته للاسلام .

وفي رده ، قال الامام محمد عبده يقول مسيو هانوتو ان اوروبا لم تتقدم الا بعد ان فصلت السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، وهو كلام صحيح ولكن لم يدر ما معنى جمع السلطتين في شخص عند المسلمين لم يعرف المسلمون في عصر من الاعصر تلك السلطة الدينية التي كانت للبابا عند الامم المسيحية عندما كان يعزل الملوك ، ويحرم الامراء ، ويقرر الضرائب على الممالك ، ويضع لها القوانين الالهية

ثم يضيف الشيخ الامام : وقد قررت الشريعة الاسلامية حقوقا للحاكم الاعلى ، وهو الخليفة او السلطان ، ليست للقاضي صاحب السلطة الدينية . وانما السلطان مدير البلاد بالسياسة الداخلية ، والمدافع عنها بالحرب او بالسياسة الخارجية . وأهل الدين قائمون بوظائفهم ، وليس له عليهم الا التولية والعزل ، ولا لهم عليه الا تنفيذ الاحكام بعد الحكم ورفع المظالم .

❋ للتفصيل انظر الاعمال الكاملة للامام محمد عبده ـ الجزء الثالث ـ تحقيق محمد عماره .

وفي موضوع اخر (عن النصرانية والاسلام) يعدد الشيخ محمد عبده اصول الاسلام ، مشيرا الى ان من بينها « قلب السلطة الدينية » . وتحت هذا العنوان يقول : هدم الاسلام بناء تلك السلطة (الدينية) ، ومحا اثرها ، حتى لم يبق لها عند الجمهور من اهله اسم ولا رسم . ولم يدع الاسلام لاحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيدة احد . ولا سيطرة على ايمانه .

ثم يوضح فكرته بعد ذلك بقوله . ولا يجوز لصحيح النظر بأن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج « تيوكراتيك » ، اي سلطان الهي فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقى الشريعة عن الله .

ويضيف : ثم هم يبهمون (يضلون) فيما يرمون به الاسلام من انه يحتم قرن السلطتين في شخص واحد ، ويظنون ان معنى ذلك في رأي المسلم ان السلطان هو مقرر الدين ، وهو واضع احكامه ، وهو منفذها ... وهذا كله خطأ محض

ثم يقول الشيخ الامام - ليس في الاسلام سلطة دينية ، سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر ، وهي سلطة خولها الله لادنى المسلمين ، ويقرع بها انف اعلاهم ، كما خولها لأعلاهم يتناول بها من ادناهم .

وتلك نقطة تختلف عن مبدأ يقره الاسلام ويطالب به ، ان يكون هناك سلطان أو حاكم أو خليفة يقوم على أمر الناس « يحرس الدين ويسوس الدنيا » ، وهو ما انكره الشيخ علي عبد الرازق وعن هذا المبدأ يقول الشيخ محمد عبده « لا تكمل الحكمة من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود ، وتنفيذ حكم القاضي بالحق ، وصون نظام الجماعة .. ولابد ان تكون (تلك القوة) في واحد ، هو السلطان او الخليفة » .

●

ان الفزع الذي ينتاب الكثيرين عندما تصدم اسماعهم فكرة معارضة الحكومة الدينية ، يرجع الى هذا الخلط بين مفهوم الحكومة الدينية في التجربة الاوروبية ، وبين الحكومة الاسلامية التي تقوم على امر المسلمين . وهي التي يمكن ان نعتبرها مدنية ، اذا كان من المقارنة والمقابلة مع الحكومة الدينية بالتفسير الغربي .

واذا اردنا صياغة للموقف بعد هذه الرحلة ، فاننا نستطيع القول باننا ضد الحكومة الدينية التي تحتكر لنفسها الحديث باسم السماء ، ومع الحكومة الاسلامية التي تطبق شريعة السماء (التي تتبع ولا تبتدع ، بتعبير عمر بن عبد العزيز) . كما اننا ضد الحكومة التي تستمد شرعيتها من الوكالة عن الله ، ومع الحكومة التي تستمد شرعيتها من « بيعة » جماهير المسلمين . ضد الحكومة التي تعتبر نفسها فوق كل الناس ، ومع الحكومة التي يعد رأسها أجيرا عند أدنى الناس (قالها احدهم لمعاوية بن ابي سفيان في مجلسه · السلام عليك ايها الاجير ') .

ومن حق الكثيرين ان يسألوا بعد ذلك ، عن ماهية هذه الحكومة المعنية والمرجوة ؟

يحتاج الامر الى مناقشة اخرى .. ■■

بقلم : فهمي هويـــدي

ريش النعام

مسرحية من السودان

بقلم : الدكتور علي الراعي

حمل الي بريد « العربي » رسالة من الكاتب المسرحي والاديب الفنان المخرج الدكتور خالد المبارك ، المحاضر بجامعة الخرطوم والمنتدب عميدا لمعهد الموسيقى والمسرح بالخرطوم .

والرسالة تحمل الي بعضا من المسرحيات التي كتبها الدكتور خالد ، وتحمل ايضا بعضا من العتاب على شخصي ، لانني اكتب عن المسرحيين العرب من كل مكان في الوطن العربي ، ولا اذكر شيئا عن السودان !

وقد سبق لي - على صفحات العربي - أن تحدثت عن كافة الشعوب شيئا عن تجربة الصحوة الثقافية التي تعم الآن في الوطن العربي ، وكذلك عن واجبي كانا أن أبحث وأنقب وأسعى إلى حيث يوجد النشاط المسرحي العربي .

غير انني قلت ايضا انني لست المقصر الوحيد في هذا المضمار ، فهناك عجز الاجهزة الثقافية العربية عن احداث ورعاية التواصل الثقافي بين أبناء الوطن العربي ، وهناك ايضا عجز الكتاب والنقاد المسرحيين أنفسهم في حق [illegible]

ثم لا يعملون على ايصالها الى من يهمهم امر هذه الاعمال ، من بين النقاد والفنانين .

وعلى سبيل المثال ما ان قلت للمخرج المصري المعروف سعد اردش انني تلقيت بعضا من مسرحيات الكاتب المسرحي السوداني خالد المبارك ، حتى ابدى من فوره اهتماما بالمسرحيات ، ورجاني ان اعيره اياها فور انتهائي من قراءتها

وارجو الا يغضب الدكتور خالد المبارك او يشعر بأي حرج حينما أقول له انه لا أنا ولا سعد اردش كنا نعرف شيئا عن اعماله ، قبل ان يتفضل هو علينا بتعريفه بنفسه

وهو اسلوب ارجو ان يلجأ اليه سائر الكتاب والفنانين العرب ، حتى تنتظم منهم حركة شعبية تأخذ على عاتقها احداث التواصل الثقافي بين اجزاء الوطن العربي الشتيتة ، ما دامت الاجهزة الثقافية الرسمية غير قادرة ، او غير راغبة في احداث هذا التواصل .

حمل الي بريد « العربي » اذن بعضا من اعمال خالد المبارك ، فقرأتها جميعا ، وسعدت بها ، وها انذا ابادر بالكتابة عن واحد منها

وخالد المبارك يعرفنا بنفسه وبخلفيته الثقافية في واحد من كتبه فيقول ·

انه تخرج في جامعة الخرطوم عام ١٩٦٨ ، وانه كتب مسرحية « ريش النعام » التي نشرت عام ١٩٧٦ ، كما اخرج له المسرح القومي السوداني مسرحيتين في عرض واحد هما « هذا لا يكون » و · « تلك النظرة » .

وهو الى هذا ، كتب للتيليفزيون السوداني مسرحية « ما رأيك في هذه التسريحة ؟ ، وألف واخرج مسرحيتي « رث الشلك » و « الشيخ فرح » في اطار جامعة الخرطوم ، كأسلوب من أساليب تدريب طلاب الدراما العملية . فكاتبنا اذن يجمع بين التأليف للمسرح وبين الاخراج له ، وهذه ميزة غير قليلة ، تمكن الفنان المسرحي من اتساع الافق وتعود على جناحي فنه . الكتابة والاخراج بالنفع المتبادل

مشكلة الحرية والانضباط

وقد لفت نظري من مسرحيات خالد المبارك مسرحية . « ريش النعام » ، وفيها ينتزع الكاتب من صفحات التاريخ السوداني شخصية تاج الدين البهاري ، الذي تقول المصادر انه رحل من العراق الى السودان لينشر الاسلام في ربوعه ، واستخدم في ذلك وسائل يصفها الكاتب بأنها درامية ، ويفيد منها بالفعل في « ريش النعام » في المشهد التاسع من المسرحية

والمسرحية تلبس الرداء التاريخي لتعالج موضوعا ابديا وهو كيف السبيل الى حكم لا يعتمد على القمع ، ولا يبني السجون ، ولا يسن القوانين ، بل يعيش الناس فيه عيشة البساطة التامة ـ يتمتعون باعلى قدر من الحرية ، ولو كان معنى هذا ان يستغنوا عن كثير من متاع الدنيا ؟

الى السودان يأتي ياسر ، هاربا من سلطان جائر ، ويأتي للسبب ذاته عثمان . يتقابلان على الطريق ، فسرعان ما يصبحان رفيقي سفر ، ثم يتحولان من بعد الى قطبين يمثلان الصراع الذي يدور في المسرحية بين اسلوبين نقيضين · حب الحرية المطلقة من جهة ، وضرورة الضبط والربط ـ من جهة اخرى ـ لقيام المجتمع الانساني ؛

يلتقي الصديقان بالشيخ تاج الدين البهاري البغدادي ، الذي سبقت الاشارة اليه ، ويحضران اجتماعا شعبيا يدعو اليه الشيخ ليجذب المريدين الى طريقته في الصوفية فيتقدم اليه ياسر اولا ، ويليه عثمان ، فيفقه كلا منهما في اصول الطريق والطريقة ، ويصبحان بهذا من مريديه .

أنت الحاكم

ثم نعلم في المشهد الثالث من الفصل الثاني ـ يقال لنا ولكنا لا نرى ما يقال مجسدا امامنا ـ ان الناس قد انتخبوا عثمان حاكما عليهم ، وان هذا قد مضى عليه بعض الوقت وهو يحاول ان يحكم دون احباس او قيود انه حتى حوادث المشهد الثالث هذا لم يبن سجنا ، عم

ان احد المواطنين قد تورط في الخطأ تشاجر مع شريك له واصابه بجراح ويومها وضع عثمان الامر بين يدي شيخه البهاري معتزما ان يحبس الجاني ، غير ان الشيخ اعترض . والآن هذا هو الجاني نفسه قد مضى من احداث الجراح الى القتل ومرة اخرى يعود عثمان ليضع الامر بين يدي الشيخ ، طالبا اذنه في بناء سجن يضم ذلك الجاني وامثاله

غير ان الشيخ لا يستطيع ابدا ان يوافق على بناء السجن دائما يخايل عينيه سجن عتيق رآه ببغداد اقبية تحت الارض الرطبة ، قاتمة اكتشف احد الوزراء فيها ذات مرة عشرات من المسجونين المنسيين لا يعرف احد تهمتهم ولا ذنبهم ظلوا بالسجن سنوات طوالا ، بعضهم حوكم وبعضهم الآخر مات من ارسله الى السجن فامتص نصف عمره بالأقبية المعتمة ويصمت الشيخ وهو يروي ما عاين في انفعال ظاهر ثم يقول « منذ ان رأيت اولئك السجناء وانا اقول « بغداد » ، ولا اقول « مدينة السلام » من يبن سجنا لن يعجز عن ملئه او لن يعجز اتباعه عن ملئه بالمجرمين والابرياء

ويسمع عثمان كلام الشيخ فيقول « لن افعل ما لا يرضيك هل تريدني ان اسقط من حسابي بناء السجن ؟ سافعل ذلك غير انني ساتي اليك مذكرا في اليوم الذي ترتكب فيه جريمة كان يمكن تلافيها

ولكن الشيخ ينفض عن نفسه تبعة الخيار ويقول لمريده لا تخيرني اما الخيار امامك انت ، الحاكم ويثبت الشيخ على قراره هذا لا يغيره ، ويترك عثمان يشق لنفسه ـ بنفسه ـ طريقه

في المشهد الرابع من المسرحية ، ترى ياسر وحيدا ، يناجي نفسه وربه ، ويدعو الله ان ينصره ، ان جار عليه ظالم ، وان ينتقم من عبيده الباغين واعوانهم ولا يكاد ينتهي من مناجاته حتى يكتشف ان هناك من يسترق عنده السمع . فنعلم ان اول مريدي الشيخ ، قد وضعه صاحب السلطان ـ صديقه عثمان ـ تحت المراقبة

ويدور في المشهد السادس نقاش بين الصديقين عثمان وياسر يدور حول مفهوم الحرية ومجال تطبيقها فالمهاجرون الجدد ، الذين وفدوا على السودان يرفضون الانصياع الى امر من الوالي جادله كبيرهم قائلا انه قضى عمره كله يؤمر فيطيع ، وانه لهذا هاجر لهذه البلاد كي يعيش ويموت كحيوان الخلاء ، الارض امامه ممتدة ، والافق لا تحده حدود وعثمان عاجز امام هذا الرجل وامثاله ، فبينهم خبراء تحتاجهم الزراعة والدولة الجديدة ـ على كل حال ـ لا تملك ان تستعلي عن جهد احد

عن الشرطة والجيش

ويستفتي عثمان صديقه ياسر في هذا الامر . الى متى تظل الدولة بلا اجهزة ـ دون جيش يحمي أمنها الخارجي ، وبلا شرطة تنشر الطمأنينة في قلوب الرعايا ؟ هب الدولة اختلفت مع جيرانها او تعرضت لغزو خارجي ، فماذا يكون بوسعها ان تفعل اذ ذاك ؟

ويتخذ ياسر من هذا الموضوع الشائك الموقف ذاته الذي وقفه الشيخ من قبل يقول لصديقه ان هذا الموضوع يخيفه ان وسائل الحكم هذه هي الآن في قمقم ، فمن يدري اذا اخرجت ماذا يحدث منها ؟ ثم لا يملك ياسر لصديقه الا ان ينعطف لحاله فهو حاكم ، وما اشقى الحاكم حين يحكم بلدا مثل السودان بلا جيش ولا شرطة ، ويكون مواطنوه عشاقا للانطلاق الحر من كل قيد !

ويغادر الشيخ البهاري السودان في المشهد الثامن ، بعد ان يثبت عثمان على كرسي السلطان ، قائلا انه لا خير منه حاكما ، سوى صديقه ياسر ، وهو من علمنا : عزوف عن السلطة ، مشفق منها . وعبثا يقول عثمان انه لا رغبة له في البقاء في موضع السلطة ، فان الشيخ يؤكد له ان التبعة واقعة عليه لا محالة ، حتى ولو قبع في داره ، معتزلا الناس

وتمر اعوام ، ونعلم في المشهد التاسع ان عثمان قد بقي على كرسي السلطان ، وانه حل المعضلة ، واتخذ ما يتخذه الحكام من وسائل ـ له الآن حجاب ، وجيش وشرطة ، وقصر باهي الاثاث ويجيئه رسول من

الشيخ يسأل عن احوال السودان ، بعد ان طعن الشيخ في السن ، ولم يعد يستطيع الحركة ويفسر له عثمان ما حدث من تغيير . اما الشرطة فقد اتخذها بعد ان حاول احدهم ان يطعنه بخنجر ، لانه لم يحكم لصالحه في نزاع دب بينه وبين اهله واما الجيش فقد انشيء لان القبائل المجاورة حاولت غزو السودان ، فردها الجيش على اعقابها وقال له البعض ان القبائل لن تحترم الحكم حتى يكسو الحكم نفسه بالاثاث والرياش التي تبهر الناظرين فقال عثمان اذا كان ثمن السلام الدائم اثاث يبهر فلا بأس ؛

ويسأل الرسول عن ياسر ، فيقول له عثمان انه بالسجن صار محورا لجناح خطر تزمه بعض الصبية اعتز بنفسه وبمكانه من السلطان ، فاستحق ان يسجن . وبالفعل ترى ياسر في المشهد العاشر والاخير وهو يتلو الاوراد ، ويستنزل اللعنات على عثمان وكان عثمان قد سأل ياسر في لقاء سابق عما يكون موقفه لو ولي الامر ، ويومها لم يقل ياسر شيئا ، لانه لم يكن يملك ردا مقنعا اما الان وهو نزيل السجن ، فان رده حاضر لو ولي الامر ، لجمع الناس في اليوم التالي وتنازل لغيره ، ثم لبقي بالمرصاد للحاكم الجديد ، يراقب افعاله ويجهر برأيه فيه

ويقول عثمان يجب الا يتصدى للنقد الا من يعرف كيف ينفذ الصواب ويسود صمت قصير ثم يسأل ياسر صديقه عثمان فجأة ما الذي اتى به الى السجن ؟ ويقول عثمان ان الشيخ مريض ، فهل يرغب ياسر في ان يرحل اليه ، كي يعوده ؟ ويثور ياسر قائلا ليس بيني وبين الشيخ مسافة . انه معي هنا دائما ثم يمضي ساخرا بعثمان فيقول · لم لا ترسل اليه احد حراسك ، او سرية مدججة بالسلاح ؟ ابعث بالجنود لكي يفزعوا المرض او يطردوا الموت اما انا فباق هنا . باق بالداخل وباق بالخارج .

ويغضب عثمان ويقول · يشهد الله انني حاولت . ثم يأمر لصديقه بما لذ وطاب من طعام وشراب ، فان هذا الصديق على وشك ان يموت ، بطريقة سودانية مفزعة : يدخل بناء ومساعدوه فيسدون بالطوب والطين ما بالحبس من منافذ - نافذتان وباب وحيد - ويعلم ياسر ان اجله قد جاء فيموت وهو يذكر الله الخافض ، الجبار المتكبر ، القهار حل حلاله حل حلاله حل جلاله

عناصر مؤثرة

وبهذا ينتهي الخط الرئيسي في المسرحية وهو كما نرى يناقش موضوع الحرية والسلطة مناقشة حية وطريفة ورغم ان عواطفنا تتجه طورا الى الشيخ ومريده ياسر ، لموقفهما النبيل من الحرية والاحرار ، فان موقفهما يلوذ بمثالية لا تؤدي الى شيء يمكن الركون اليه وعلى هذا نعود فنجد في موقف عثمان شيئا مفهوما على الاقل - شيئا يمكن ان نقبله او نحتج عليه

وقد كان من الممكن ان نكون اكثر قبولا لموقف ياسر من السلطة ، لو ان الكاتب لم يشأ ان يجعل مقاومة ياسر تتم خارج الخشبة ، فنسمع بها ولا نراها مما يضعف من شخصية ياسر ، ويفقد المسرحية بعضا من المصادر المشروعة لقوتها ، ولا يمنحنا الفرصة كي نتعاطف مع ياسر لاننا لا نعرف - على وجه التحقيق ماهية ثورته ولا اغراضها .

ويلفت النظر بهذه المناسبة ، ان خالد المبارك يحرم مسرحيته من مصدر آخر من مصادر القوة حين يروي لنا ، ولا يجسد ، انتخاب الناس لعثمان واليا عليهم ان هذا المشهد قد كان جديرا بان يزيد من كم المتعة والحيوية في المسرحية ، بالاستخدام المشروع لعناصر الفرجة . وان كان ينبغي ان نقول على الفور · ان ما بالمسرحية من حيوية بوضعها الراهن يضمن لها انتباه الجمهور فهي لا تخلو من عنصر الكوميديا ، التي يمثلها مهاجر خفيف الظل ، بدين ، كبير الكرش ، الحياة عنده اكل وخمر ونساء ، واسمه عبد السلام هذا المهاجر المهذار ينضم الى عثمان وياسر في اول المسرحية ، ويوهمهما انه هرب الى السودان فرارا من حاكم عادل متزمت في تطبيق قوانين العفة والشرف ثم تتبين من بعد انه انما هرب فرارا من زوجته . !

كذلك يعطي خالد المبارك لشخصية ياسر بعدا اضافيا حين يجعله يهاجر بعد الحاح من زوجته ، (التي خشيت عليه مغبة آرائه المعلنة في الحكم والسلطان)

ويستقر ياسر في السودان ثم يتزوج وينجب بنتا يسميها باسم الزوجة التي تركها وراءه وفاء وهنا يعرض الكاتب احدى غرائب الطبيعة البشرية حين يقول ياسر لعثمان ، وقد جاءه الاول بولدته وفاء : هل لا تزال حذوة غرامك بوفاء متقدة ؟ فيرد هذا بقوله بل انطفأت من زمن . وانه انما يريد فقط ! ـ ان يحتفظ بذكراها الجميلة ، فان من يتزوج من نساء السودان لا يتذكر غيرهن !

بالمسرحية ايضا شئ فاتن حقا ـ سلسلة من المشاهد القصيرة ، يبدو فيها مسافر يبحث عن متاع الدنيا . يجد اولا حناحي نعامة ، فيحملها ويواصل سيره على الطريق ثم نراه من بعد في مشهد أخر وقد ضل طريقه ، وتحوطه الاخطار فيهتف فزعا . أين أنا ؟ أين انا ؟ وفي مشهد ثالث ينفد زاد المسافر ، ويفرغ ماؤه ويبدو الهزال على جسمه وهو يبحث لنفسه عن مخرج يجد قطعة فخار وجزءا من تمثال قديم فيصيح وهو يهذي ريش نعام . العاج . الذهب وفي المشهد التالي نجد المسافر على الارض يزحف بصعوبة ، وتبدو عليه اثار الجوع والعطش انه يصرخ لن اموت هنا . ساحل مدينة ما . نهران عظيمان . عذبان ريش النعام . وحين يظهر المسافر من بعد لا يقول شيئا . انه يحتار . يتلفت . يخرج وفي أخر مشهد له ، يبدو لنا كالحيوان . طالت اظافره ، وتدلى شعره يتحرك ببطء ، يكتنفه الهزال لكنه يواصل السعي ويختبر الاتجاهات ، ثم يترك الخشبة الى غير عودة .

ما معنى وجود المسافر ؟ اهو نوع من الحركة الموازية لحركة المسرحية ، يستخدمه الكاتب كي يعلق به على الموضوع الرئيسي ؟ ايكون مغزى وجوده رغبة الكاتب في أن يظهر ان نعيم الدنيا انما هو متاع الغرور ؟ وان من يسعى اليه يكون حاله كحال المسافر ، ينحط من الآدمية الى الحيوانية ، ثم لا يبلغ من بعد مأربه ؟ لا يملك النقد تفسيرا واضحا للمسافر الذي ضل الطريق . غير ان وجوده وغموضه وحركته الموازية لحركة المسرحية امور تزيد كلها من عمق المسرحية ومن اثرها على النفس ■■

علي الراعي

البلاغة ما هي ؟

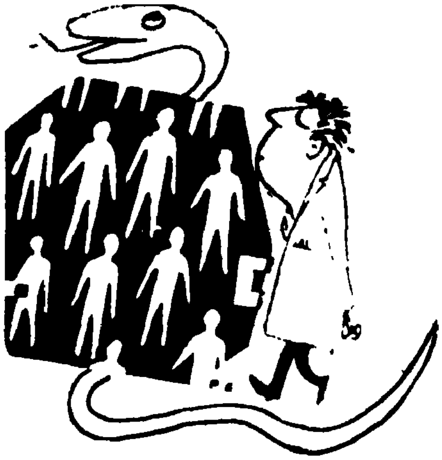
● عرف مجموعة من الحكماء البلاغة فقال حكيم يوناني البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة . وقال حكيم هندي البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام .

وسأل معاوية بن أبي سفيان عمرا بن العاص من أبلغ الناس ؟ فقال اقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة .

وقال ابو عبدالله وزير المهدي . البلاغة ما فهمته العامة ، ورضيت به الخاصة .

اما البحتري الشاعر فيقول خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل . أما الثعالبي فيقول البليغ من يحول الكلام على حسب الأماني . ويحيط الالفاظ على قدر المعاني . والكلام البليغ هو ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا .

اما الامام فخر الدين الرازي فيقول : ان البلاغة هي بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل .



أنت... والتسمم!

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ

التسمم على أنواع مختلفة ، فهناك التسمم الغذائي وهو اكثرها شيوعا ، والتسمم الكحولي ، والتسمم الغازي أو المعدني ، والتسمم بالأدوية ولا سيما المنومات والمهدئات العصبية .

ولنبدأ بالتسمم الغذائي الذي ينجم عنه التهاب المعدة والأمعاء عن طريق المُيكروبات والسموم التي تفرزها ، وتُعرف هذه بجراثيم السالمونيلا التي يحصل تلوث الأطعمة بها بواسطة الذباب والحشرات والفئران أو المشتغلين باعداد الأطعمة إذا لم يرعوا قدراً معيناً من النظافة ، أو إذا لم تُحفظ الأطعمة في ثلاجات أو تُركت مفتوحة ، ولا سيا في حالة المعلبات التي يُؤكل شيء منها ، ويهمل ما تبقى على المائدة دون أن يعاد إلى الثلاجة بعد تغطيته

بعد ساعة او ست ساعات

وبوسعنا أن نعرف نوعية التسمم من الفترة الزمنية ، فاذا حصل قيءٌ وأعراض تسممية أخرى بعد حوالي ساعة ، فالسبب مواد كيماوية سامة ، أما بعد ست ساعات فالسبب افرازات سامة ، وأما التسمم الجرثومي فيحصل خلال فترة لاتتجاوز الثماني والأربعين ساعة ، والأعراض العامة للتسمم القيء والاسهال والمغص في البطن ، وفي أسوأ حالات التسمم تهبط درجة الحرارة ، ويغدو البراز سائلاً مزيجاً بالدم والمواد المخاطية ، ولابد للتأكد من التسمم من تحليل البراز والقيء والمواد الغذائية التي سببت القيء وتُغسل المعدة ، فضلاً عن إعطاء المريض الحقنة الشرجية لغسل أمعائه ، ويُصار إلى اراحته في الفراش إراحة تامة ويعطى السوائل بطريق الفم إن أمكن ، والا فعن طريق الوريد ، ويعالج الاسهال بمزيج البزموث وعند وجود الجراثيم يعطى المصاب الكلورمايستين ، والاستربتوميسين STREPTOMYCIN وبوسع المريض عند تحسن حاله بعض الشيء أن يتناول الشاي مع الخبز المحمّص المطلي بالزبدة ، ويجب أن نلاحظ أن في بعض الحالات قد لا يحدث اسهال عند التسمم ، بل على العكس ، يحدث الامساك نتيجة شلل العضلات المعوية ، وقد تنتقل الاصابة إلى الأعصاب فتختل الرؤية وترتخي الأجفان ويعسر الكلام ويصعب البلع ، وتزداد سرعة النبض ، فاذا أُهملت حالة المريض أفضت الأعراض إلى الوفاة ، خلال فترة لا تتجاوز الثمانية أيام .

ومن أهم أسباب التسمم الاعتماد على المعلّبات ، كما قلنا ، فمن الأفضل إذا ما كان الانسان في شك من أمرها أن يقوم بطبخها ، لقتل ما فيها من جراثيم قبل تناولها

لأن إعدادها في المعامل قد لا يكون صحياً في بعض الأحيان . فليس كل المعلبات بنفس الدرجة من النظافة وعدم التلوث

خطر المهدئات

وقد يحصل التسمم بطريق العقاقير ، ولا سيما المهدئات والمرقدات ، إذا ما استعملت بكميات أكبر من الحدّ المقرر ، فقد تؤدي إلى انخفاض في الضغط وهبوط في التنفس وتعطل في الكلى ، والعلاج في هذه الحالة غسل المعدة والأمعاء واعطاء الأدوية المدرة والمنبهة ، ولكيلا يصاب المريض بفقدان قدر كبير من السوائل يعطى محلول الغلوكوز أو الملح ، ويزوّد بقدر كافٍ من الاكسجين لتسهيل عملية التنفس وقد يقتضي الأمر تزويده بالمضادات الحيوية Antibiotics لتحاشي التهاب الرئتين . على أننا يجب أن ننتبه إلى أن الالتهابات المعوية الحادة قد تكون متأتيةً عن اضطرابات عصبية او عاطفية أو عن عدم موافقة أطعمة معينة لمزاج المريض كتناول انواع من الفطر Mushrooms أو الأسماك الصدفية Shellfish وقد تكون نتيجة للاصابة بالهيضة أو الكوليرا ، فيجب عدم الخلط بينها جميعاً والتأكد من الحالة الخاصة للمريض قبل معالجته وأفضل وسيلة لذلك تحليل القيء والخروج

ومع أن بعض حالات التسمم تكون بقصد الانتحار ، فان مئات الآلاف من الاصابات في العالم سنويا إنما هي نتيجة الخطأ أو قلة التدبر وعدم الاكتراث ولا سيا بين الأطفال الذين يتناولون مواد خطرة أو أدوية معدة للبالغين لمجرد أن ألوانها تكون جذابة أو أن طعمها مما يستهويهم . فينبغي دائما إبعادها جهد الامكان عن متناولهم

وقد يكون التسمم بالافراط في تعاطي المشروبات الروحية . ولا سيا إذا ما اقترنت بتناول العقاقير المهدئة

وتعالج حالات التسمم بالمواد القلوية المستعملة في التنظيف كالتايد TIDE مثلاً باعطاء المصاب عصير البرتقال أو الليمون او الخل المخفف

وفي حالات التسمم بالحوامض المؤدية الى تضييق المريء وتأثر الكليتين والكبد يعطى المريض قدراً كبيراً من الحليب أو بياض البيض

قائمة بلا حد

أما التسمم بالكحول الايثيلي والميثيلي فيكون العلاج بمحلول بيكربونات الصودا . ومن الضروري في بعض حالات التسمم استعمال الكلية الصناعية لازالة المواد السامة من الدم ، على أن المهم في الاسعافات الأولية للتخلص من السموم حمل المصاب على القيء إما باعطائه المقيئات كالماء المالح أو بوضع الاصبع في حلقه بعد تناوله كأساً من الماء ، وتُكرّر العملية ، ولا سيا مع الأطفال ، حتى تصبح السوائل الخارجة من المعدة صافية ، ويجب التنبة في اجراء عملية القيء إلى أن يكون الرأس أخفض من الجسم ، لئلا تدخل مواد القيء القصبات الهوائية فتحدث الاختناق

أما إذا كان المريض في حالة غيبوبة ، ولم يكن في المستطاع حملهُ على أن يقيء المواد السمية ، فلا مندوحة إذ ذاك من اللجوء إلى غسل معدته ، ويعطى المريض بعد الفراغ من ذلك ، موادُ مضادة للسموم كالخبز المحروق مع حليب المغنيزيا وحامض التانيك TANNIC ACID الذي يمكن استخراجه من الشاي المركز المغلي .

ولا أكون مغالية إذا ما قلت إن قائمة السموم لا حد لها ، فالافراط في كل شيء له تأثير سمي حتى الاكسجين والماء وعناصر الغذاء ، ولا شيء يبعدنا عن التسمم ويطيل أعمارنا كالاعتدال والنظافة ، ويجب ألا نستهين بالتسمم فانه يحدث حتى في أكثر الدول تقدماً وتحضراً ، ناهيك عن البلاد المتخلفة حضارياً وغذائياً وصحياً . وقد يكون التسمم عاجلاً تبدو آثاره وأعراضه في فترة قصيرة ، وهو أهون علاجاً عندي من التسمم البطيء الذي يمتد عبر سنين نتيجة الادمان على الكحول والتدخين والمخدرات والولع بتناول العقاقير حتى من أجل صداع يسير أو تأخر طاريء في النوم . ■■

اكسفورد ــ د . صبيحة الدباغ

[illegible] رب في القرن الرابع الهجري

المغنيات والمغنون في بغداد

بقلم : جمال الدين الالوسي

هكذا كانت بغداد القرن الرابع الهجري : مدينة الطرب والترف والظرف .. مدينة مقبلة على الدنيا من كل باب .

روى ابو حيان التوحيدي ـ اديب الفلاسفة ـ قال لقد احصينا ـ ونحن جماعة في الكرخ ـ ٤٦٠ جارية في الجانبين ـ يريد الكرخ والرصافة ـ و ١٢٠ حرة و٩٥ من الصبيان البدور ـ يجمعون بين الحذق في صنعة الغناء والحسن والظرف والضرب علىَ الآلات وحسن العشرة ، هذا سوى ماكنا نسمعه ممن لا يتظاهر بالغناء وبالعزف ، الا اذا نشط في وقت ، او ثمل في حال ، وخلع العذار في هوى قد حالفه واضناه ، وترنم واوقع ، وجز رأسه ، وصعد انفاسه ، واطرب جلاسه ، واستكتمهم حاله ، وكشف عندهم حجابه ، وادعى الثقة بهم ، والاستنامة الى حفاظهم ، منهم « علوة » جارية ابن علوية في درب السلق ـ فكانت اذا رفعت عقيرتها فغنت بابيات السروي

بالورد في وجنتك من لطمك ؟
ومن سقاك المدام ، لم ظلمك ؟
خلاك لا تستفيق من سكر
توسع شتما وجفوه خدمك
معقرب الصدغ قد نملت فما
يمنع من لثم عاشقيك فمك
تجر فضل الازار منخرق
النَّعْلين قد لوث الثرى قدمك



اظل من حيرة ومن دهش
اقول لما رأيت متسمك :
« بالله يا اقحوان مَضْحَكه
على مصيب العقيق ، من نظمك ؟ »

ومنهن « نهاية » وما زال هذا الاسم شائعا في العراق ، ومن الاسماء المحببة للجنس اللطيف ، وكانت مغنية لابن المغني ، واذا اندفعت بشدوها تغني صوتها الذي عرف بها . والابيات لابن زريق البغدادي :

استودع الله في بغداد لي قمرا
بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعتُه وبودي لو يودعني
صفو الحياه ، واني لا أودعه

وكان ابن فهم الصوفي اذا سمع هذا منها ضرب بنفسه الارض ، وهاج وازبد ، واخذه الوجد ، واطربت سامعيها

ومنهن « بلُور » جارية ابن اليزيدي ، كانت على ترجيعات صوتها الحنون ، المؤلف بين الاكباد المحرقة ، والمحسن الى القلوب المتصدعة ، اذا غنته .

اعط الشباب نصيبه
ما دمت تعذر بالشبابِ
وانعم بايام الصبى
واخلع عذارك في التصابى

وكان ابن البزار يهيم بصوتها ، ويفقُد وعيه على غنائها ، فانه اذا سمع غناءها انقلبت حماليق عينيه ، وسقط مغشيا عليه ، وهات الكافور وماء الورد ومن يقرأ في اذنه آية الكرسي والمعوذتين الخ ...

قلم الفقيه !

ومنهم « قلم الفقيه » اذا تناوحت وتناقلت في استهلالها ، وتضاجرت وتذكرت شجوها الذي اضناها وأنضاها ، وسلبها عقلها ، وانساها حالها ، فاذا غنت

صوتها المعروف بها ـ لم يبق مستمع الا لدم صدره من الطرب .

اقـول لهـا والصبـح لـوّح نوره
كما لاح ضـوء البـارق المتألق
شبيهـك قـد وافى ، وحـان افتراقنا
فهـل لـك في صوب ورطـل مروّق
فقالـت : « حياتـي في الـذي قد ذكرته
وان كـنـت قـد نغّصته بالتفرق »

ومنهن « شعلة » ـ والاسم شائعٌ في العراق وقد يصغر للتحبيب ـ فاذا غنت صوتها .

لابـد للعشـاق من ذكر الوطن
واليـأس والسلـوة من بعـد الحزَن

جُن الجراحيُّ ابو الحسن مع حشمته وقضاته في الكرخ ، وقيامته تقوم اذا سمعها ترجع في لحنها .

لو ان ما قد بلتنـي الحادثـات به
يلقـي على الماء ـ لم يُشرَب من الكدر

فهناك ترى شيبته قد ابتلت بالدموع ، وفؤاده قد نزا الى اللهاة ، مع اسف قد نقب القلب ، واوهن الروح ، وهناك ترى ـ والله ـ أحداق الحاضرين باهتة ، ودموعهم منحدرة ، وشهيقهم قد علا ، وهذه صورة قد استولت على اهل المجلس وجدت لها عدوى لا تهلك ، وغاية لا تدرك ، لانه قلما يخلو الانسان من صبوة ، او صبابة ، او حسرة على فائت ، او فكر في متمنـى ، او خوف من قطيعة ، او رجاء لمنتظر ، او حزن على حال ، وهذه احوال معروفة ، والنـاس منهـا على جديلة (اي طريقـة) معهودة .

ومنهن « الخاطف » ذات الصوت الرخيم والتي عرفت بصوتها

تلتهـب الـكف مـن تلمها
وتحسر العـين ، اذ تمصّاهـا
كأن نارا بهـا محرّقـة
تهابهـا مـرة ، وتغشاهـا
تأخذهـا تـارة وتأخذهـا
منحـن فرسانهـا وصرعاهـا

ومنهن « ترف » الصابئية ، اذا غنت عند نشاطها ومرحها ، وهواها حاضر ، وطرفها الى ابن العواذي ناظر وكان يجن بها :

لـبّ الهـوى كلمـا دعاكا
ولاح في الحـب من لحاكا
مـن لام في الحـب او نهاكا
فـزده في عيـك انهماكا
ان لم تكن في الهـوى كذاكا
انـال لداتـه سواكـا

درة

ومنهن « درة » جارية ابي بكر الجراحي في درب الزعفران ، وكانت لا تعقد مجلسها الا في رجب ، فكانت بغداد تتزلزل من غنائها ، وصوتها المفضل .

لـبـي اسى تلك الـزياره لما
طرقتنـا وابلـت تتثنـي
طرفـت ظبيةُ الرصافـة ليلا
فهـي احلى من جس عودا ، وغنى
كم ليالٍ بتنـا نلـذ ونلهو
وسقـى شرابنـا ويغنّـي
هجرتنـا فما اليهـا سبيل
غـير انـا نقـول : « كانـت ، وكنـا »

واذا بلغت « كانت وكنا » رأيت الجيب مشقوقا ، والذيل مخروقا ، والدمع منهملا ، والبال منخذلا ومكتوم السر في الهوى باديا ، ودليل العشق على صاحبه منادياً .

ومنهـن « فتـوة » البصرية ، جارية ابـن حجـاج الشاعر ، وصوتها الذي عرف بها :

ياليتنـي احيـا بقـربهمُ
فـاذا فقدتهـمُ انقضى عمرى

ثم ثنت بصوتها الآخر :

هبينـي امـرءا ، امـا بريئـا ظلمته
وامـا مسيئـا تاب بعـد فأسا

فكــــ كدى داء بخــي لدائه
طبيـــا ، فلما لم يجــده تطببا

ومنهن « علية » ، وكانت ترجع لحنها في حلقها الحلو الشجي ، بشعر ابن ابي ربيعة

أسـيرى مكان البــدر ان أفــل البدر
وقومي مقــام الشــمس ما استأخــر الفجر

سندس والاحلام الرديئة

ففيك من الشــمس المــنيرة نورها
وليس لهــا مــنك المحاجــر والنحر

ومنهن « درة » المصرية وعرفت بصوتها

يـــادا الــذي زار ومــازارا
كأنــه مقتبــس نـــارا
قــام ببــاب الــدار من زهوه
مـاضره لــو دخــل الدارا
لــو دخــل الــدار فكلمتــه
بحاجــتي مــا دخــل النارا
نفسي فداه اليوم مــن زائر
مــا حل حتــى قيل · « قد سارا »

ومنهن « سندس » ، جارية ابـن يوسف صاحـب ديوان السواد ، كانت اذا تشاجت وتدللت ، وقالت . « انا ـ والله ـ كسلانة مشغولة القلب بين احلام اراها رديئة ، وبخت اذا استوى التوى ، وأمل اذا ظهر عثر ، ثم تندفع مغنية

مجلس صنّــين عميديــن
ليســا من الحــب بخلوين
تنازعــا كأســا على لذه
قــد مزجاهــا بــين دمعين
الــكأس لا تحســن الا اذا
أدرتهــا بــين محبيــن

ومنهن « روعة » ، جارية ابن الرضى في الرصافة ، وكانت تبهج النفوس الحزينة اذا غنت صوتها المعروف بها

وحــق محـــل ذكرك في لساني
وقلبــي حــين أخلــو بالاماني
لقــد اصبحــت أغبــط كل عين
تعاينهـــا فتسعـــد بالعيـــان

ومنهن « ظلوم » ، جارية ابي سعيد الصائغ ، التي كانت من اشجى المغنيات اذا قلبت لحنها الى حلقهـا واسترسلت ، ثم اوقعت فغنت :

فيالك نظــرة أودت بعقلي
وغــادر سهمهـــا منــي جريحا
فليـت مليكتــي جادت باخرى
واعلــم انهـــا تنــكا القروحا
فامـــا ان يكون بهـــا شفائي
وامـــا ان اموت ، فاستريحا

ومنهن « خلية » ، جارية ابي عائذ الكرخي فكانت اذا أخذت في هزارها ، واشتعلت بنارهـا ، وخلعـت من عذارها ، وغنت ـ لم يبق احد الا وأدمى كفه استحسانا لها ، وطربا على صوتها .

قالــت بثينـــة لمـــا جئــت زائرهـــا :
« سبحـــان خالقنـــا ما كان اوفاكا
وعدتنـــا موعـــدا : تأتـــي لنـــا عجلا
وقـــد مضى الحــول عنـــا ما رأيناكا
ان كنــت ذا غرض او كنــت ذا مرض
او كنــت ذا خلــة اخــرى عذرنـــاكا »

ومنهن « خلوب » جارية ابي ايوب القطـان ، اذا أهلت واستهلت ، ثم اندفعت وغنت :

اذا اردت سلــوا كــان ينصركم
قلبــي ومـــا انـــا مــن قلبــي بمنتصر
فأكثــروا او اقلــوا مــن اساءتكمْ
فــكل ذلــك محمــول على القدر
وضعــت خدي لادنــي من يطيف بكم
حتــى احتُقِــرت ، ومــا مثلي بمحتقــر

ومنهن « علوة » ، جارية بنت خاقـان ، وكانت تغني :

اروّع حين يأتيني الرسول
وأكمَد حين لا يأتي الرسول
أؤملكم وقد ايعنت اني
الى تكذيب آمالي أؤول

ومنهن « حبابة » ، جارية ابي تمام . وكانت تطرب سامعيها اي اطراب بصوتها الحنون

صددنا كأسا لاموده بيننا
على ان طرف العين لابد فاضح
ومد الينا الكاشحون عيونهم
فلم يبد مما حوته الجوانح
وصافحت من لاقيت في البيت غيرها
وكل الهوى مني لمن لا أصافح

ومنهن « حبابة » وكانت جارية ذات صوت رخيم حنون وهي في النوح لا اخت لها ، واحدة لا تضاهيها نائحة ، وان الناس في العراق . قد تهالكوا على نوحها » ثم يقول التوحيدي « لولا اني اكره ذكره لرفعت الحديث به (يريد كراهته للنوح) وحبابة هذه كانت لها اخت يقال لها « صبّابة » وكانت في الحسن والجمال فوق اختها . ولكنها في الصناعة والحذق في الغناء دونها ، وقد زلزلت هذه بغداد في وقتها ، ولم يكن للناس غير حديثها ، لنوادرها . وحاضر جوابها . وحدة مزاجها وسرعة حركتها بغير طيش ولا افراط »

ويقول التوحيدي · « وهذه شمائل اذا اتفقت في الجواري الصانعات المحسنات خلّبن العقول ، وسحرن الصدور ، وعجلن بعشاقهن الى القبور » . ثم يقولوا فيها · وصوتها المعروف بها .

عهود الصبا هاجت لي اليوم لوعة
وذكر سليمى حين لا ينفع الذكر
مأرض بها كان الهوى غير عازب
لدينا ، غُصن العيش مهتصر نضر
بلى ان هذا الدهر فرق بيننا
واى جميع لا يفرقه الدهر

هكذا كانت بغداد

هذه صورة ، أو ـ الاصح ـ وثيقة فلكلورية من مأثوراتنا الشعبية لبغداد في القرن الرابع الهجري ، وهو القرن الذي اتسعت فيه عمارة بغداد ، وعاش اهلها في بلهنية ورخاء ، وبلغت الحضارة العربية من النضج اوجها ، وازدهرت العلوم والاداب ، ووضعت المؤلفات . وتنافس الناس في الاقبال على اقتناء الكتب ، وبذلوا في الحصول عليها المبالغ الطائلة ، واصبحت بغداد قبلة طلاب العلم من أدب وفلسفة وتاريخ وطب وفقه وحكمة . ■■

الاعظميه/بغداد ـ جمال الدين الالوسي

مسمر فى مكانى !

● بالرغم من تحذير الطالب الجديد بأن مدرس الفلسفة الذى سيعطيه دروسا خصوصية شخص غريب الاطوار ، الا أنه دهش وهو يهم بدخول حجرة الدرس باستاذه ممددا على ظهر خزانة كتب عالية · ومهما يكن من شيء فان الطالب قد هنأ نفسه لحضوره في الموعد المحدد · وبعد ذلك جلس الطالب وأخذ يقرأ مقالته المطولة ويستمع الى ملاحظات المدرس عليها · ولم يكد الطالب يخرج من باب الحجرة حتى استدعاه أستاذه قائلا : بالمناسبة اذا رأيت حارسي أرجو أن ترسله لي بسرعة ، انني مسمر في مكاني هنا ولا أستطيع النزول ·

ل · اتش · ابيردين

رد على مقال

القرآن

بقلم : الدكتور عبد الكريم الايرياني

في دوامة الجدل القائم بين من اسهاهم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في مقاله القيم « لماذا التعسف الباطل في تفسير القرآن بجر العلم اليه او حجبه عنه ؟ » (العربي ـ العدد ٢٤٦ ـ مايو ١٩٧٩) بانصار مدرسة التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي اشار الكاتب الى نظرية التطور في الكائنات الحية بالقول ان هذه النظرية هي « مجرد فرضية لم يدعمها اي برهان علمي بعد . بل تواردت البراهين والادلة على بطلانها » .

لقد استرعى انتباهي هذا القول واثره على القارىء المسلم الذي سيجد ـ لو كان متخصصا في علوم الاحياء ـ صعوبة بالغة في قبول هذا الرأي . فذلك يضعه وجها لوجه امام نظرية تستند الى مقومات البحث العلمي ، وهي الملاحظة ثم البحث ثم الاستنتاج ونحن نعلمها لابنائنا في كتبنا المدرسية الا انها كغيرها من الافتراضات والنظريات العلمية كانت ومازالت وستظل خاضعة لمزيد من البحث والتمحيص . ولكن الامانة العلمية تفرض علينا ان نقول ان هذه النظرية لم يرفضها المجتمع العلمي كما رفض النظرية القديمة القائلة بان الارض هي مركز الكون مثلا ولكنها بحكم الضرورة لا يمكن ان تكون حقيقة مجردة مطلقة ، لا يمكن الجدل فيها او معارضتها ، الا ان الامر الذي لا مراء فيه هو ان الادلة التي توفرت حتى الان لتدعيم نظرية التطور في الكائنات الحية لا تقل عن تلك الادلة التي تدعم الكثير والكثير جدا من مقولات او نظريات العلم الحديث التي نقبلها بيسر وبدون نقاش .

اننا لا نود هنا ان نستطرد الى بحث هذه النظرية

التي لم تكن وليدة افتراضات داروين وحده ، وهو العالم الذي ظل متمسكا بنظريته وحريصا على عبادة الله في كنيسته حتى مماته . فقد تعرض لها علماء العصور القديمة ، من فراعنة ، وبابليين واغريق وغيرهم لانها تبحث في سؤال فرض نفسه حينئذ وسيظل يفرض نفسه مادام هذا الكائن الحي وهو الانسان سائرا على سطح هذا الكوكب ولذلك فانه يصعب على قارىء مثلي ان يقبل بالقول ببطلان هذه النظرية التي لا يكاد يخلو كتاب في علوم الاحياء من وراثة وانسجة واجنة .. الخ من الاشارة اليها مع العلم بانها لم تعد بالصيغة التي وضعها بها داروين قبل ما يزيد عن مائة عام فقد تطورت الادلة عليها بتطور العلم ووسائله

تجربة ذاتية

ونعود الى تعسفات المفسرين بالرأي كما اشار اليها الدكتور البوطي لنقول انها تصبح اكثر خطرا عندما تكون جزءا من المقررات الدراسية ، ويلزم الطلاب بقبولها . فقد جاء في احد الكتب الدراسية المقررة في بلد عربي ، تفسير لقوله تعالى « يا معشر الجن والانس إن استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » بانه حث للناس على غزو الفضاء وهو ما اعترض عليه الدكتور البوطي واجاد في تفنيده ، ولكن الاكثر من هذا هو ان ذلك الكتاب قد المح للطالب في طبعته الاولى التي صدرت قبل وصول الانسان الى سطح القمر ان شيئا ما سيحصل لرائد الفضاء عند هبوطه استكمالا لتفسير قوله تعالى « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران »

وعندما وصل الانسان الى سطح القمر ولم يصبه اذى صدرت الطبعة الثانية تقول ان السبب في ذلك هو ان القمر مازال في محيط السماء الدنيا (كذا !) . ولن تطبق الاية الكريمة السابقة الا على الذين يصلون الى منطقة اختراق السمع ، وهذا مالم يحصل بعد وعلينا ان ننتظر . واذا كان هذا نموذجا للتعسف الشديد الذي نجر اليه القرآن ونعلمه لابنائنا في بعض مدارسنا فان ذلك الكتاب المدرسي يحتوي على ما هو ادهى وامر مما سبق الا ان هذا ليس مجال الحديث عنه .

منذ اربع سنوات خلت حضرت مؤتمرا اسلاميا للتعليم ، وفوجئت فيه باول متحدث باسم الدولة المضيفة يقول في كلمة الافتتاح ما معناه ان علم الوراثة وهو فرع من علوم الاحياء يتعارض مع الاسلام ومبادئه لقد كانت مفاجئة ـ ان لم اقل صدمة ـ ليس لانني قضيت كل سني دراستي الجامعية متخصصا في هذا الفرع من علوم الاحياء فحسب ، بل لانني اعرف ان عددا من جوائز نوبل للطب التي منحت خلال الخمسة عشر عاما الماضية قد فاز بها علماء اجروا تجاربهم وتوصلوا الى اكتشافاتهم في مجال علم الوراثة . ولكنه لم يخف على سبب هذه المقولة بعد سماعها من المتحدث الكريم . لان علم الوراثة في الكائنات الحية هو اليوم اقوى سند لنظرية التطور ، وقد كان عزائي في تلك اللحظة هو انني لم افقد ايماني خلال عشر سنوات قضيتها في دراسة هذا العلم ، كما لم يخطر على بالي ان ما افعله يتنافى مع الاسلام ومبادئه . واحمد الله ايضا انني لم احرق كتبي واوراق بحثي بعد سماعي لذلك الراى الذي لا اشك في امانة واخلاص قائله . ولكننا كرجلين مسلمين اصبحنا حينها بموقفين متناقضين ، ناهيك عن انني حرصت على مغادرة المؤتمر قبل انتهائه لكي لا يكون عالم الوراثة الذي يرأس وفد بلاده مصدر حرج لحكومته او للدولة المضيفة .

ان العبرة مما سبق هي انه في الوقت الذي اعجبني ما طرحه الدكتور البوطي ايما اعجاب ، الا انه اتخذ موقفا ثالثا يختلف عن موقفي المفسرين بالمأثور والمفسرين بالرأي . فهو موقف يضع القرآن الكريم وجها لوجه امام نظرية لا تكاد تخلو جامعة او مركز بحث علمي او مكتبة في ارجاء المعمورة من تناولها او البحث فيها ، وهنا تفرض علينا الامانة ان نقول ان جمهرة علماء الاحياء يقرون اساسياتها وان اختلفوا في تفاصيلها شأنها شأن غيرها من النظريات وصلب الموضوع في هذا المقال ليس الدفاع عن نظرية التطور او الدعوة الى قبولها فلن اكون في ذلك اقدر من توماس هكسلي وبعده جوليان هكسلي و ت . هـ دبزانكسي وجيلورد سمبسون ، فكلهم علماء لم يعرف عنهم انهم تخلوا عن ديانتهم من اجل الدفاع عن هذه النظرية . ولكنني ارى ان على علمائنا الافاضل

ان يزيلوا حيرة المسلم لا ان يعمقوها ولا يكفيني كمسلم ان تعاد الكرة الي بالاصرار على عدم صحتها لانني على يقين ان المئات بل والالاف من الشباب المسلم لا يتلقون دروسا في هذه النظرية فحسب بل يساهمون في اجراء البحوث العلمية عنها .

الموقف الثالث اشد خطرا

ان موقف علمائنا الذين هم مرجعنا في شئون ديننا من اية نظرية علمية بالقول انها تتعارض مع كتاب الله هو موقف ثالث يعتبر اكثر خطرا واشد اهمية من موقف المفسرين بالرأي الذين يتعسفون في تفسير القران الكريم على ضوء نظريات العلم الحديث لان هذا الموقف الثالث يقحم القرآن فيما هو اخطر من مجرد التعسف في تفسيره الى التصدى لما يمكن ان يتوصل اليه فكر الاسان في سعيه وراء المعرفة التي حثه الله عليها ، فنظرية التطور مثلا مازالت تخضع للبحث العلمي في معظم جامعات العالم ولم يصرف النظر عنها ، ومن ثم فان احتمال ثبوت الادلة والبراهين عليها جملة وتفصيلا امر وارد ما دامت غريزة البحث والاستكشاف صفة من صفات الانسان .

العقل لايلغى بجرة قلم

اذن فان مسلما مثلي لا يمكنه ان يلغي عقله وعلمه بجرة قلم ، سيجد نفسه في حيرة تامة عندما يقول له المختصون في شئون دينه ان نظرية علمية ـ ايا كانت ـ تناقض كتاب الله جل وعلا . وسيظل ملحا في سؤاله لهم لان الاجابة عليه لن تأتي من مختبر علمي او جهاز الكتروني بل يجب ان تأتي من أئمتنا المتبحرين في كلام الله الذين تقع عليهم مسئولية تفسيره لنا وليس التفسير المطلوب هو التعسف في جر القرآن الى ما هو منزه عنه فنحن لا نقرأه لنتعلم منه الكيماء او الفيزياء بل لنهتدي به الى سواء السبيل ، وما دام الانسان لم يؤت من العلم الا قليلا ، فلماذا تقول ان نظرية علمية توصل اليها هذا الانسان مستخدما ما يعرف له بالطريقة العلمية حدود قواعدها اليوم والتي برهن بها على كثير من مسلمات العلم الحديث هي نظرية تتنافى مع ما ورد في كتاب الله ؟ اليس ممكنا انه لو عرضت نظرية كوبرنكس في علم الفلك على احد المفسرين بالرأي قبل ثلاثمائة سنة ، انه كان سيفسر بعض آيات القرآن ليستدل بها على بطلان تلك النظرية ؟ ومع ذلك فنحن نقبلها اليوم ولا نجد في القرآن الكريم ما يدعونا الى رفضها .

نخلص مما سبق الى القول انه بقدر ما اجاد الدكتور البوطي في تحديد اربع قواعد جامعة مانعة استخدمها في تفسير أيات من القرآن الكريم للتدليل على حقائق علمية اصبحت من البديهيات المسلم بها مثل الجاذبية وصدور الحرارة من الشمس مباشرة بينما يستمد القمر ضوءه بصورة غير مباشرة من جرم أخر ، وكل ذلك يدل على أن ما يصبح بديهيا مسلما به لن يكون متعارضا مع كتاب الله ، الا انه لايمكن استخدام نفس القواعد للتدليل على او لنفي بعض نظريات العلم الحديث التي لم يفرغ العلماء بعد من استكمال البحث فيها ، وما اكثرها وليست نظرية التطور الا واحدة منها ولعله من المفيد هنا ان نشير الى وجود دائرة في نطاق البحث العلمي كما نعرفه اليوم لا يستطيع الانسان بما أوتي من علم واسع وتقنية متطورة ان يجزم بصحة ما يلاحظه عندما يجرى تجربته وهو يلجأ الى نظرية الاحتمال Probability ليقول ان احتمال صحة النتيجة التي يتوصل اليها من خلال تلك التجربة هو ٩٩٪ مثلا . ولا شك انه لا يجوز اقحام كتاب الله في نطاق هذه الدائرة من البحث العلمي التي تدل على قصور عقل الانسان اليوم في فهم وتعليل جميع اسرار هذا الكون .

واخيرا نقول ان جر القرآن الكريم لاثبات او دحض نظريات لم يقل العلم كلمته النهائية فيها ـ وما اكثرها ـ سيعني بالضرورة ان على الباحث المسلم ان يكف عن الخوض فيها نهائيا . ولايجوز له حينئذ ان يجري تجربة ليثبت بها صحة تلك النظرية او بطلانها . وهذا يعني بالضرورة التخلي عن بعض مجالات البحث العلمي على الاقل لغيرها وتلك هي الخطوة الاولى نحو التخلف ، وحاشا لديننا ان يكون سببا في تخلفنا . ■■

الكويت ـ د . عبد الكريم الارياني

الراية والبراءة

بقلم : مجيد طوبيا

انطلقت صفارة الحكم ، انتهى الشوط الأول من المباراة ، وفريق مدرستنا منهزم بهدف الى لا شيء ... جمعنا المدرب فى حنان ابوى،اشار الى مئات الطلبة المتجمعين لتشجيعنا حاملين راية المدرسة ، قال :

ـ يجب ان تفوزوا ، لا تخيبوا رجاء زملائكم فيكم ، انتم تلعبون على ارضكم .. اومانا حماسا .. وهبطت عيناى من راية المدرسة الى جموع التلاميذ ، ابحث عن عينى «نادية» حبيبتى حتى وجدتها تلوح ، فابتسمت وامتلات حمية ..

بدا الشوط الثانى ، انتقلت فيه الكرة بين اقدامنا معظم الوقت ، من ركلة لاخرى ، بسرعة وقوة فى لعب حماسى انتهى باحرازنا ثلاثة أهداف وانتصرنا،ولم يعد أمامنا سوى مباراتين نكسبهما ونفوز بالكاس ..

بعد تحية الزملاء اتجهنا لاخذ الحمام نغسل العرق والغبار . خلعنا ملابسنا وانهمرت المياه فوق اجسادنا منعشة ،.وتزاحمنا ، كل لاعب يريد أن ياخذ نصيبه من الرذاذ البارد . صائحين صاخبين نشوانين بفرحة الفوز . نتبادل تعليقات المرح والنكات . نتحادث عن تلميذات مدرسة البنات .. نتخاطف الصابونة ، نتناولها من فوق الحواجز الفاصلة بين دش وآخر .. كنا عراة مثل آدم ومع ذلك لم يغلق أحدنا بابه خجلا من الاخرين ..

ونحن نجفف المياه ونرتدى ثيابنا همس «فاروق غرباوى » بنذير الخبر لاول مرة وقال :

ـ عرفت من خالى المفتش أن ناظر مدرستنا قد تم نقله ..

صحت :

ـ كيف ينقلونه وقد انتصف العام الدراسى ؟

قال حسين حارس المرمى ممشطا شعره فى أسى

ـ خسارة ، رجل طيب .

قال فاروق غرباوى :

ـ على نقيض خلفه القادم تماما .. حدثنى خالى أن الناظر المنتظر صارم وعنيف شديد القسوة .. وان شهرته بالوزارة تاديب المدارس المشاغبة .

زرر منير قميصه :

ـ لسنا مشاغبين .

أكمل فاروق غرباوى :

ـ عام واحد فى اية مدرسة مشاغبة يؤدبها ، ثم تنقله الوزارة الى مدرسة اخرى ليؤدبها وقد حان دورنا .

قلت فى ثقة :

ـ يؤدبنا من أجل ماذا ؟..ليات وسوف نرى؟..

★★★

فى الخارج كان فى انتظارنا عشرات الطلبة السعداء وحامل رايتنا يعيدها الى ساريتها ويرفعها خفاقة عالية .. وعن قرب لمحت حبيبتى نادية تتلكا فى المسير فانسللت خلفها .. سبقتنى خارجة الى شارع النيل وسرت فى اثرها .. قبل ابتعادى التفت اتامل مدرستى : كبيرة بمبناها فسيحة بملاعبها .. تقف شامخة مطلة على نيل



الصعيد فى اتساعه ترفرف رايتها طوال الوقت ، تستقبل الشمس فىشروقها وتودعها فىغروبها ، هفهافة مع نسيم الشمال .. وسوف تحتفظ لها بالكاس للعام الخامس على التوالى ..

لحقت بنادية منهوفا لمحادثتها . لكنها ابتعدت حنقة .. انحرفت الى شارع جانبى خال من المارة ثم تلكات .. حاذيتها معاتبا .. اعتذرت كعادتها بخوفها من الناس .. قد يرانا من يعرف والدها ويخبره فتكون الطامة ويكون العقاب الوخيم .

قالت :

ـ تعرف تقاليد الصعيد .

ـ قلت :

ـ لا نرتكب فعلا مشينا .. احبك واريد أن تعرف الدنيا كلها اننى أحبك ومستعد ان أواجه العالم كله بحبك ...

احمر وجهها سعادة . وهناتنى بالفور ..

وسرنا وقتا ، ثم افترقنا بعد أن تعاهدنا على الوفاء وعلى دوام المحبة مدى العمر ...

★ ★ ★

بعد أسبوع تحققنا من صدق النبأ ، عندما وقف ناظرنا أمام مكبر الصوت يودعنا بكلمات حارة معربا عن حبه لنا ولبلدتنا ، راجيا للجميع دوام التوفيق ، طالبا منا المحافظة على نتائج النجاح الممتازة التي حصلنا عليها طوال سنوات ادارته للمدرسة ..

على الفور سمعنا حكايات عجيبة عن الناظر القادم وصرامته .. سمعنا أنه لا يبتسم أبدا ، لا يعرف الرحمة أو الشفقة ، كحاكم عسكري قاسي القلب .. سمعنا أيضا أنه غليظ الكف ضخم الكرش ... قلت :

ـ سوف نفرغ كرشه من انتفاخه .

قال فاروق قرباوي نقلا عن خاله المفتش :

ـ الناظر القادم عقابه الوحيد الذي يؤمن به هوفصلمن لا يعجبه فصلا نهائيا من كافة المدارس، يعني ضياع المستقبل ضياعا كاملا،والعياذ بالله!

ضحكنا سخرية .. رغم ارتفاع القهقهاتشعرت بها جافة مرعوشة غير واثقة .

وعلى الفور تملكني انقباض مبهم عصر قلبي حزنا ، ظل مسيطرا علي، ولم يزايلني الا عندما لاقيت نادية،حيث هاودتني البهجة من دفء صوتها الحاني،ومن اندفاعة الدماء الى وجهي مع تلامس كفها بكفي..وسرنا حتى بدت لنا أطلال الفراعنة القريبة ، حيث هناك كباش الفجر وماعزهم ما ان تشبع من الكلا حتى تاخذ تتناطح وتتقافز حول تمثال الفرعون العتيد ...

★ ★ ★

مضى أسبوع آخر وسمعنا أن الناظر الموعود قد وصل بالفعل .. انتظرنا أن نراه ، ومر اليوم كله ، ومر يومان آخران من غير أن يلمحه أحدنا .. ظل حبيس مكتبه ، ياتي قبلنا وينصرف بعدنا .. حتى شككنا في صحة نبأ وصوله ، لولا أن المدرسين أكدوا لنا وجوده .

وطوال هذه الايام اطلق الطلبة شائعات غريبة عن أوصافه ، زعم أمين أغبى تلاميذ فصلنا أنه رآه ، ووصفه قائلا :

جسد طويل بكرش ضخم وقفا عريض .

لكن منير نقضه في ثقة :

ـ بل قزم سمين لا عنق له ، بعينين جاحظتين.

وفي يوم التمرين وبعد أن تدربنا ، وتوجهنا الى الحمام ودخلنا تحت المياه،أعلن حسين حارس المرمى بأنه رأى الناظر رؤية العين ، صاح :

هو باختصار شديد يشبه الغول ! !

وعلى الفور راح كل واحد منا يتخيله حسبه كان يتخيل الغول في حكايات طفولته .

★ ★ ★

مع بداية أسبوعه الثاني ، فوجئت مع عدد كبير من التلاميذ ببوابة المدرسة موصدة ، اغلقت قبل بدء الدراسة بنصف ساعة ودون تنبيه سابق ... تسكعنا في الشوارع عدة ساعات قبل أن نتوجه الى بيوتنا ... وحرصنا في اليوم التالي على التوجه مبكرا ... بدافع الرغبة لرؤيته .. وربما بدافع الخوف من صيته .. أنا شخصيا كنت شغوفا لمعرفة : «من أجل أية أفعال يريد تاديبنا.. وكيف سيفعل بنا ذلك ؟ »

دق الناقوس ، فاغلقت البوابة الحديدية على الفور ، وبدأنا نتوجه كعادتنا الى الفصول لكننا فوجئنا بمدرسي الحصص الاولى .. يمنعوننا وبايديهم ـ على غير العادة ـ عصي قصيرة ، ويطلبون منا الوقوف في صفوف .. ولاحظنا وجود خطوط جيرية على الارض لم تكن موجودة من قبل ، خطان لكل فصل يقف تلاميذه بينهما ! قاومنا في البداية بسبب عدم التعود ، وبرغبة دفينة في التمرد ، لكن العصي في أيدي المدرسين أجبرتنا على الانصياع ، فوقفنا كفرق الجيش في صفوف منتظمة ووجوهنا جميعا صوب الدرج المؤدي الى غرفة الادارة .. ومن هناك ، من عند أعلى الدرج ظهر الناظر المخيف .. فساد صمت كامل وشامل رهبة وفضولا .. وكان مظهره شتاتا مما سمعنا عنه ، متوسط الطول ضخم البدنمنتفخ البطن وبلا عنق ، وبلا عصا في يده ووجه مستدير متجهم ..

لاحظنا أن وجوه المدرسين وعيونهم لا تفارقه في انتظار أوامره .. في لحظات كان توترهم قد انتقل الينا فقمنا ماخوذين وعيوننا أيضا لا تفارق الوجه المتجهم الصامت . ولاحظت أن راية المدرسة منكسة عند أسفل السارية ..

فجأة وقع حادث خارق ، على حين بغتة انطلق من الصفوف الخلفية نواح هزلي ، ضاعف من سخرية الصمت الهائل الذي كنا فيه .. وعلى الفور ضجت المدرسة بضحكات صاخبة ضحكات

عصبية مبالغ فيها وتعرجت الصفوف وكادت تنفلت ..

بوغت الاساتذة لبرهة ، ثم سرعان ما تولت عصيهم اسكاتنا واعادتنا الى الانضباط مرة ثانية في الصفوف والى حالة الصمت المطبق .. فمكثنا شامتين نترقب رد فعل الوجه المتجهم ..

لم يخرج عن جموده،ظل في هدوئه المقيت،ثم همس في اذن وكيل المدرسة واستدار داخلا غرفته .. لوان وعرفنا مضمون همسته ، اذ ظللنا في اماكننا ، مذنبين طوال اليوم الدراسي .. والمدرسون يتبادلون مراقبتنا في حزم وهمة الى ان انصرفنا الى بيوتنا مهدودي الحيل ...

★ ★ ★

اليوم الثالث : وقفنا طوابير بطريقة اسرع ، وخرج البدين الضخم بوجهه المتجهم ، والراية منكسة مثل اليوم السابق ، مما ادهشني : لماذا ينكسها وهي التي لم تنكس في يوم من الايام ...؟

تنبهنا على وكيل المدرسة ينادي عددا من الاسماء ، خرج اصحابها مذعورين ، ليصطفوا واحدا بعد الاخر تحت الراية المنكسة ، حتى وصل عددهم الى عشرة..وعندما سمعنا النبأ الصاعق، نبأ فصلهم من الدراسة فصلا نهائيا وبلا رجعة.. الجمتنا المفاجأة ، وانكمش معظمنا واجمين .. ونحن نراهم يخرجون متباطئين في انكسار وعدم تصديق .. العجيب ان هؤلاء العشرة بالذات مسئولين بدرجة كبيرة عن صياح اليوم السابق،فكيف عرف الناظر الجديد..لابد ان بيننا وشاة ابلغوه.. فمن يكونوا .. ؟

بعد اغلاق البوابة الحديدية من ورائهم اوما الناظر الى مدرس الالعاب بايماءة خفيفة فاذا به ينتفض مصدرا صوتا كصوت مدربي الجيش طالبا منا تحية الراية التي اخذ يرفعها امام اعيننا .. تابعتها بنظري وهي ترتفع تدريجيا وفي بطء رايتها متهدلة والهواء ساكن ، لا ترفرف مثلما عودتنا.. شعرت بغصة تخنقني ، وبدموع ساخنة تملا عيني فشاهدت هذه الراية متموجة متآكلة الحواف .. وللتو احسست بها غريبة عني ..

اثناء الحصص تشاورنا فيما يمكن ان نفعله لاعادة زملائنا المفصولين ، لكن المدرسين ارهبونا ونصحونا بالصمت ـ ولاحظت ان معظمهم سعداء بهذا الرعب الباغت ، خاصة غير الاكفاء منهم اذ كنا لا نحترمهم لعدم استفادتنا من حصصهم ـ ورغم ذلك حاولت حفنة من التلاميذ التدخل فكان نصيبهم الفصل النهائي ايضا .. ودون نقاش ودون قبول اية وساطة او ترحم .

★ ★ ★

اخيرا استتب نظام الناظر ، وتعودنا على الراية منكسة كل صباح وتعودنا على رفعها مع ظهور الوجه المتجهم ، اصبح ارتفاعها قرينا بظهوره ، ... ويوما بعد يوم بدات امقت هذه الراية وهي التي لعبنا مبارياتنا دائما تحت لوائها وانتصرنا بها لكنها كانت رمزنا والان صارت رمزه ... ولهذا تجاهلنا اخذها معنا في المباراة التالية قبل النهائية ...

في هذه المباراة ما ان نزلت الى الملعب مع باقي الفريق حتى اصابتنا الدهشة ، كان عدد المشجعين من زملائنا اقل منه في اي وقت مضى .. ومع ذلك بذلنا كل جهدنا كي ننتصر ثم بذلنا كل جهدنا كي نتعادل ومع قرب نهاية المباراة صار كل طموحنا الا ننهزم ... وخرجنا متعادلين امام فريق اقل من مستوانا بكثير ...

وفي المباراة الاخيرة ، مباراة الكاس ، كنا جميعا متوترين ... قبلها جمعنا الناظر وامرنا بالفوز وامرنا باخذ الراية معنا،وخرجنا من عنده صامتين منكسرين...ولهذا نزلنا الملعب خائفين ، باقل عدد من المشجعين والراية مرفوعة بلا حماس.. ولعبنا بلا حمية ، اكاد اقول ان زملاء لي تعمدوا الاهمال ، انا شخصيا اضعت هدفا اكيدا ، لا ادري كيف حدث هذا ؟ ، ... لا اذكر ان كانت مصادفة ام تعمدا .. الذي اذكره جيدا اننا عندما توجهنا الى اخذ الحمام ـ بعد هزيمتنا ، وبعد ضياع الكاس منا لاول مرة منذ سنوات .. كانت حركتنا بطيئة صامتة ، وكان الحزن يصبغ نظراتنا ويلجم السنتنا ، فانزوى كل لاعب مغلقا بابه على نفسه ، خالعا ملابسه بعيدا عن اعين الزملاء ، مقهورا خجلانا مزيلا تحت رذاذ الدش آثار المباراة عن جسده .

ارتدينا ملابسنا دون اهتمام ، وانصرفنا فرادى ، وعندما خرجت انا وجدت عن قرب «نادية» تتلكا في المسير ، سبقتني الى الشارع على امل ان الحق بها كعادتي ؟، لكني لم افعل . ■■

مجيد طوبيا

● حل مسابقة العدد ٢٤٥ ●

١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
ا	ب	ر	ا	ك	ا	ح	■	ه	ى	ك	ب	ش	ل	ا	١
ب	د	ج	■	و	ر	ا	■	ح	ن	ا	ر	ح	ا	ل	٢
ن		ب	ق	ع	■	ل	▼	ى	ا	■	■	ر	ب	م	٣
م	ا	ى	س	■	ك	و	م	ر	ى	ل	ا	■	ى	و	٤
ط	ل	■	ب	ا	و	ن	س	■	ر	ى	ب	ا	ن	ص	٥
ر	ش	ب	■	ل	س	■	ل	ا	■	ن	و	ب	ى	ل	٦
و	و	■	م	ص	ب	ع	م	ل	ا	■	ا	د	ه	ى	٧
ح	ا	ب	ص	ل	ا	ن	ب	ن	س	ح	ل	ا	◄	■	٨
■	ه	ى	ب	ا	ر	■	ن	د	■	ل	م	ن	ل	ا	٩
م	د	ن	■	ه	ى	ل	ع	■	ا	ب	س	■	ى	ر	١٠
س	■	ا	ف	■	ك	ا	ق	ل	ى	■	ك	ا	ر	ش	١١
ر	و	ب	ص	ل	ا	د	ب	ع	■	م	■	ر	ه	م	١٢
ب	ا	ن	ل	ا	■	و	ه	ج	ن	ا	و	ه	■	ى	١٣
ى	ف	ب	■	ح	ر	ح	■	ه	■	ه	ى	ا	ر	د	١٤
ه	ر	ه	ا	ف	ل	ا	■	ا	ب	ر	■	ف	ا	س	١٥

افقيا

الحسن بن الصباح

●

رأسيا

مسلم بن عقبة

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : الحسن بن الصباح • عارض أتصار المستعلى ، وايد دزارا ، وهرب به من القاهرة الى الاسكندرية . وحاول القيام بثورة ، ومات نزار في المحاولة-فر الى ايران حيث انشا حكم الاسماعيليين النزاريين من قاعدتهم « قلعة الموت » ، حتى قضى عليه هولاكو عام ١٢٥٦ •

(٨) رأسيا : مسلم بن عقبة • قائد اموى . شهد صفين مع معاوية ، قاد جيش يزيد ابن معاوية للانتقام من أهل المدينة بعد أن حرجوا عن عامله ، فغزاها وأسرف فيها قتلا ونهبا في معركة الحرة •

الفائزون بالجوائز

- **الجائزة الاولى وقيمتها** ٣٠ دينارا فاز بها **خالد على عبد القادر** / عمان ـ الاردن •
- **الجائزة الثانية وقيمتها** ٢٠ دينارا فاز بها **السيد محمد زكي الوحش** / العربية ـ مصر •
- **الجائزة الثالثة وقيمتها** ١٠ دنانير فازت بها **تماضر محمد أحمد محمد** / المحرق ـ البحرين •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منهاخمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **حسن خليل اشتيوى** / الرياض ـ السعودية
٢ ـ **اكرو محمد** / أغادير ـ المغرب
٣ ـ **عبد الله حسن عز الدين** / النقاع ـ لبنان
٤ ـ **عواطف ادريس بشير** / الخرطوم ـ السودان
٥ ـ **ابتسام السعدى** / الحمراء ـ الكويت
٦ ـ **عوض عبد الله باحكيم** / المكلا ـ اليمن الديمقراطي
٧ ـ **سيف الدين أشقر** / اللاذقية ـ سوريا
٨ ـ **محمد حماد أبوطة** / دبي ـ الامارات العربية

■■

اعداد : يوسف زعبلاوى

حبوب يتناولها الرجال فتمنع الحمل فى النساء

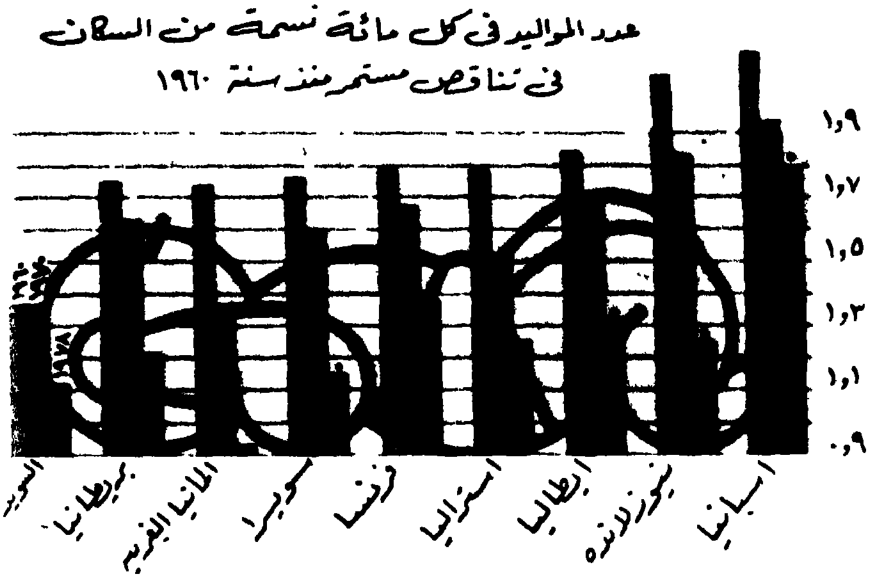
● منذ سنوات والعلماء الامريكيون يحاولون تطوير حبوب لمنع الحمل . يتعاطاها الرجال لا النساء .. وقد استعدت تلك الابحاث من الهرمونات أساسا لها .. وركزت فى الغالب على ما يعرف بالهرمونات (Steroidal) كالتستيرون مثلا. الا أن الفشل كان حليفهم فى ذلك كله .. لا عجب اذن ان شعروا بمزيد من الدهشة حين اكتشفوا ان علماء الصين يجمعوا حيث فشلوا هم :

فقد تمكن الصينيون من صنع الحبوب المنشودة منذ سنوات بعيد انتشرت واقبل عليها الاف الرجال من مواطنيهم دون ان يشكو احد منهم أية آثار جانبيه . او يطعن فى فاعليه تلك الحبوب التى بلغت ٩٩٪ او يزيد .. وهم يتناولونها بمعدل حبه واحدة فى اليوم وذلك لمدة الاشهر الثلاثة الاولى. ثم يتعاطونها بعد ذلك بقصد التوحيد بمعدل حبتين فى الاسبوع فقط .

وتعود قصة هذه الحبوب الى أواسط الستينات حين اكتشف بعض الباحثين من أهل الصين العلاقة بين عقم الرجال أو عجزهم عن الانجاب وبين أكل زيت القطن .. وهكذا انصب الاهتمام على مادة الجوسيبول Gossypol . احدى مشتقات بدور القطن . وتركز البحث فى خصائص هذه المادة الطبية .. وبدأ العلماء فى شنغاي يجربون الجوسيبول هذا على الحيوانات سنة ١٩٧١ .. وبلغ من النتائج الطبية المشجعة التى حصلوا عليها ان راحوا يجربونه على بنى الانسان بحلول سنة ١٩٧٢ . وكان النجاح كبيرا بحيث وسع العلماء الصينيون نطاق تجاربهم واخذوا يوزعون الجوسيبول على آلاف الرجال من المتطوعين .

ومما يذكر عن حبوب الجوسيبول هذه انها تعطل تكوين المنويات فى الخصيتين ولا تؤثر مطلقا على قدرة الرجل على القذف والانتصاب .. أى أن أثرها محصور فى تجريد السائل المنوى . الذى يقذفه الزوج . من المنويات المخصبة. أضف الى ذلك أن الرجل يستطيع استرداد قدرته على الاخصاب متى شاء .. فى غضون سنة من التوقف عن أخذ حبوب الجوسيبول . هذا ولا تترك هذه الحبوب آثارا جانبية تذكر .. ما خلا بعض المضايقات الباطنية والميل الى التقيؤ والنقص المحدود فى محتويات البوتاس فى الدم . وقد ظهرت هذه الاثار أو تلك فى ٢٪ فقط من الدين تعاطوا حبوب الجوسيبول بانتظام .

ومن طريف ما يذكر أن الامريكيين هم الذين اكتشفوا امر هذه الحبوب وأن علماء الصين لم يكشفوا النقاب عنها، بل قل تكتموا بصددها حتى تسنى اكتشافها صدفة لفريق من خبراء تحديد النسل الامريكان اثناء زيارة قاموا بها للصين .



الفرنسيون مهددون بالانقراض عام ٢٥٠٠

● يبدو ان التهديد بالانفجار السكاني لم يعد قائما ... في دول الغرب المتقدمة على اقل تقدير ... فقد كان عدد المواليد فيها في تناقص مستمر منذ مطلع الستينات حتى هبط في فرنسا الى نحو ١ر٤ في كل مائة من عدد السكان وانخفض في ايطاليا الى حوالي ١ر٣ وتدنى الى ١ر٢ في بريطانيا وحوالى ١ر١ في السويد وبلغ الحضيض في المانيا الغربية حيث لم يجاوز عدد المواليد ٩٢ر في كل مائة من عدد السكان وذلك حسب احصاءات عام ١٩٧٨ ... (انظر الرسم) .

وهذه ظاهرة خطيرة للغاية ، فهي تعني ان نصيب العائلة الواحدة من المواليد في المانيا لا يزيد على ١ر٥ مولود ... ولو ذكرنا ان النسبة الضرورية للابقاء على عدد السكان حيث هو ، ان شئت نسبة استبدال الاموات بالاحياء ، تبلغ ٢ر١ للعائلة الواحدة ، لتجلى لنا الخطر الذي يتهدد عدد السكان في المانيا الغربية ... اذ يبلغ هذا حاليا ٦١ مليون نسمة ولكنه سيهبط اذا استمرت نسبة التوالد على ما هي عليه حتى يبلغ ٥٢ مليون نسمة بعد ٢٠ عاما اى سنة ٢٠٠٠ ... وما يصدق على المانيا الغربية يصدق على السويد فسويسرة فبريطانيا فالنمسا فهولندة فايطاليا فاسبانيا .... كل بدورها حسب نسبة التوالد فيها ...

من هنا كانت الاجراءات المختلفة التي بدأت تتخذها دول الغرب بقصد التشجيع على الانجاب فالمانيا الغربية التي كانت تكتفي بمنح علاوة للطفل الثالث حتى الان (١٠٨ دولارات شهريا) ستشرع عما قريب في منح علاوة اخرى للطفل الثاني تبلغ ٥٤ دولارا شهريا . اما فرنسا ، وبعض دول الغرب الاخرى ، فتتجه الى دفع مرتب ثابت لا يقل عن ٨٣٠ دولارا في الشهر الواحد ـ وقد يزيد ـ لكل عائلة يبلغ عدد الاطفال فيها ٣ او أكثر .

ومع ذلك فقد ظهرت في فرنسا حركة جديدة تطالب بالمزيد من

المحصصات والمرتبات التي تشجع على الانجاب .. ويتزعم هذه الحركة رئيس الوزارة الاسبق .. المسيو ميشيل دوبرى ، وهو ديجولي المذهب كما هو معروف ... وقد نشرت له صحيفة ليموند مقالا رئيسيا افتتاحيا صدرت به صفحتها الأولى . ويقول المسيو دوبرى ، فيما يقول « انا لا ادعو الى ظهور العائلات الكبيرة من جديد وكل ما يهمني هو التحذير من المصير الذي ينتظرنا . اعني الانتحار القومي او الانقراض .

■■■

جهاز جديد صغير لتقطير المياه وتحليتها وتعقيمها

● لاريب في ان اجهزة تقطير المياه وتحليتها كانت نعمة كبرى بين النعم التي اتاحها العلم الحديث لانسان القرن العشرين . الا ان احجام هذه المقطرات الكبيرة واثمانها الباهظة كانت عقبة كأداء في سبيل انتشارها وتعميمها .. وكثرت المحاولات لصنع جهاز التقطير الصغير الذى قد يفي بالحاجة ، بلا طائل .. حتى كانت تكنولوجيا الفضاء وكان جهاز التقطير الذي زودت به سفن الفضاء ... فهذا جهاز صغير جدا وفعال جدا ولكنه باهظ الثمن ، وكان لا مفر من اجراء تعديلات في صناعته ليصبح في الامكان بيعه في الاسواق على نطاق واسع .. والظاهر ان احدى الشركات الامريكية نجحت مؤخرا في تحقيق هذه التعديلات ..

اذ لا يزيد وزن جهاز التقطير الذي بدأت تلك الشركة بيعه وتصديره بالفعل على ٥٠ كيلوجراما .. فيما اشبهه بمكيف الهواء الصغير المعد للتركيب في النافذة ولتكييف غرفة واحدة .. وتبلغ طاقة جهاز التقطير نحو ٢٥٠ جالون ماء .. وهو يعمل بالكهرباء دون ان يتجاوز استهلاكه منها ما يستهلكه جهاز التلفاز ..

اما فاعلية جهاز التقطير الصغير فتكاد تكون شاملة ، فهو يزيل ملوحة الماء .. ماء البحر ، ناهيك بالمياه الجوفية . وهو يقضي على التلوث الذي قد يصيب الماء لاسباب كيماوية .. ويستطيع هذا الجهاز كذلك القضاء على ما قد يحتويه الماء من بكتريا وفيروسات .. اضف الى ذلك كله الاشعاع الذري .. فقد يحتوي الماء على المواد المشعة بنسب ضارة بصحة الانسان .. والجهاز كفيل بتخليص الماء ايضا من هذه المواد .

ويعمل جهاز التقطير ، على صغر حجمه ، باساليب تقطير وتنقية ثلاثة في وقت واحد .. اولها الغشاء الذي يزيل كافة الشوائب الصلبة التي قد توجد في الماء .. ويتعرض الماء بعد ذلك للاشعة فوق البنفسجية ، ثم يمر بحجرة التقطير الفحمي .

■■■

العلاج بالكمادات الجليدية

● يلجأ الكثيرون من اطباء اليوم الى البرودة والكمادات الثلجية في معالجة كثير من الآفات ، نذكر منها ، على سبيل المثال ، حالات الصداع ولسع الحشرات والحروق والحرارة المرتفعة والرضوض الخ .. ولكن الكمادات العادية معروفة ومألوفة ، وهي في الغالب مصنوعة من قماش ويجري تبريدها بمياه ثلجية هي الاخرى عادية .. الا أنها لاتفي بالغرض كما ينبغي .. اذ سرعان ما تذهب برودتها وبرودة الماء الثلجي معها ، فيضطر المرء الى استبدال هذه او تلك عدة مرات في جلسة واحدة ..

لاعجب اذن ان ظهرت مؤخرا الكمادات الجليدية الحديثة فهذه تحتفظ ببرودتها الفائقة لمدة ساعة كاملة بحيث يمكن اطالة استعمالها وتكراره . ثم انها تحافظ على مرونتها رغم حالتها الجليدية .. بحيث يسهل استعمالها في اى مكان من جسم الانسان .

والكمادة الجليدية هذه مصنوعة من مادة جلاتينية تشبع بالماء ثم توضع في حجرة التجميد في الثلاجة الى حين الحاجة .

سيوة : أرض النبوءة

فتاة من سيوة ·



والمستقبل

استطلاع بقلم : مصطفى نبيل
تصوير : عبد الناصر شقرة

جبل الموتى وتظهر الكهوف التي لجأ اليها الاهالي اثناء الحرب العالمية الثانية



قادم من واحة سيوه ..

من احد الواحات التي تضمها صحراء مصر الشاسعة ، قادم من ارض الزيتون والنخيل والعيون ، من ابعد الواحات المصرية عن « المعمور » ..

هي في كتب العرب القدماء « سنترية » ، وهي جوبيتر آمون في كتب الاغريق والرومان ، بها بقايا معابد وقبور يرجع تاريخها الى ايام الفراعنة القدماء ، وقد زارها الاسكندر الاكبر ليقدم الولاء للاله آمون ، وغرق في رمال صحرائها جيش قمبيز ..

داخلها يتحرر العقل من ادران الحياة ، فهي من اكثر المناطق شاعرية ، واشدها اثارة ، وهي دائما بقعة مضيئة في ذاكرة الذين مروا بها ، والذي شرب من عيونها ، وعاش بين اهلها ، ورأى سماءها ، فهي ذات طعم خاص ، ولغة خاصة هي « السيوية » ، وتقاليد وازياء فريدة موروثة ..

●●●

يقصد الواحة العديد من الزائرين ليس فقط بسبب مكانها في التاريخ بل لطبيعتها المميزة ، وقد كان زائر سيوه في الماضي يصلها بعد رحلة عذاب شاقة · أما الآن فتستغرق الرحلة من مرسى مطروح الى الواحة حوالى ساعة باحدى الطائرات الحربية ، وبأجر رمزي ، وتنقل الطائرة عشرين راكبا كما تنقل البريد ، وعندما تهب الرياح ويسوء الجو ، تعود الواحة الى عزلتها ، الامر الذي يؤدي احيانا الى تأخير رواتب الموظفين

وأهم ما يجذب الزائر تلك الطبيعة المميزة للواحة والتي تختلف في كثير من عاداتها وفنونها وآلاتها الزراعية ، وأزياء اهلها ، وعمارة بيوتها عن ريف مصر وعن سواها من الواحات المصرية ..

ولعل جاذبيتها الخاصة تكمن في كونها واحة وسط الصحراء ، فالصحراء مثل البحار الواسعة تثير لدى الكثيرين المشاعر المختلفة ، فعند البعض هي التيه اللانهائي ، وهي الغموض ، وهي ساحة مفقودة في بحر من الرمال محفوفة بالمخاطر ، وهي عند البعض الآخر مكان شاعري لساكني خيام الشعر وللجمل ذلك الحيوان الصبور المتميز فما بالك لو قطعت هذه الصحراء واحة خضراء تتفجر داخلها ينابيع المياه ، فتصبح نقيضا للوحشة والجدب وزحف الرمال على الاحياء ، وتصبح لها حلاوة الجزر وسط المحيطات ، من يصلها تكتب له الحياة من يصلها يصل الى الفيء بعد وهج الشمس ، والتجدد بعد الرتابة ، والخصوبة بعد الموات ..

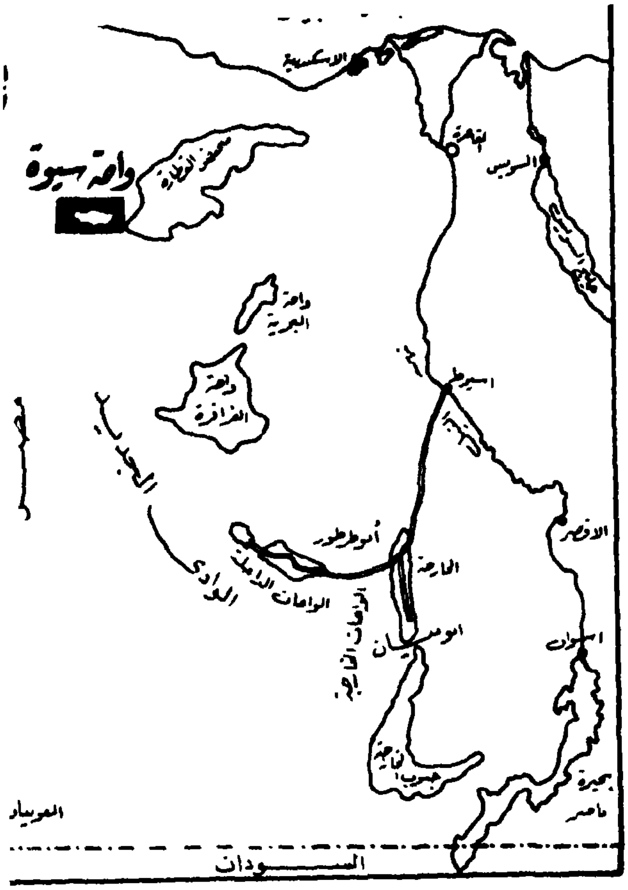
وللصحراء في مصر معنى خاص ، فزحفها هو التهديد الحقيقي للوادي الاخضر ، وقهرها هو انتصار الحياة ، فمساحة مصر التي تبلغ حوالى مليون كيلو متر مربع كلها صحراء قاحلة عدا ٤ ٪ منها ارض مزروعة يعيش فوقها حوالى ٩٩ ٪ من السكان ، ومليون من السكان يعيشون متفرقين فوق مساحة تبلغ ٩٦٥ الف كيلو متر

ومن هنا تظهر الاهمية الكبرى لواحة سيوه ونهر المياه الجوفية الذي تعيش فوقه ، وما يمكن ان تعد به هذه الواحة من امكانيات ما زالت معطلة ، والتي تحتاج الى شجاعة البدايات فهنا يمكن ان تقهر الصحراء .

كانت هذه الافكار تراودني عندما كنت متجها الى جبل الدكرور ، كأفضل مكان يمكن ان اشاهد من خلاله منظرا عاما للواحة ، وهو مكان يبعد خمسة كيلو مترات جنوب غربي البلدة يقضي فيه اهل الواحة اعيادهم ونزهاتهم ولياليهم القمرية ، تهب علينا نسمة ندية من عبق التاريخ وأريج المزارع من بقعة الخضرة وسط الصحراء والتي تتخللها الملاحات والعيون ، وسط كميات هائلة من النخيل واشجار الزيتون في منخفض يميل الى الاستطالة وينخفض عن مستوى سطح البحر بحوالي ثمانية امتار ، ان عدد النخيل في الواحة يبلغ ١٨٥ الف نخلة ، تقوم عليه حياة السكان ، ينتج اجود انواع التمور ، ويقوم النخيل بدور رئيسي في الواحة فمن سعفه يصنع ابن سيوه السلال والحصير والنعال ومن خوصه الجاف يدفيء البيت من لذعة الشتاء القارس ، والجريد للاقفاص والاسرة والكراسي ومن اخشابه تصنع اسقف المنازل ، وسور الحدائق ، ويمدهم ايضا بالشراب المفضل لديهم ، والنخلة شجرة معمرة تقدم ثمارها بأقل جهد ، ويمكن القول أن بالواحة اكبر مزرعة زيتون في مصر وتحتوي على عشرين الف شجرة زيتون مثمرة ، ويبلغ انتاج الشجرة الواحدة ٩٩ كجم وهو انتاج مرتفع بالنسبة للمتوسط العالمي ، ويقطع اللون الاخضر ثلاثة تلال احدهم جبل أغورمي والآخر جبل الموتى وثالث تعلوه استراحة حكومية ، ويعيش حول العيون والنخيل والزيتون ما يزيد عن ٧ آلاف و ٥٠٠ نسمة من ابناء الواحة ..

ويشتهر هذا الجبل الذي نقف فوقه بانه مركز لعلاج الروماتزم وشلل الاطفال بالدفن في رماله ، والمدهش ان احد السكان يحتفظ بخطابات وصلته من شتى انحاء العالم ، يشكرونه على علاجهم ، وعندما سألت طبيب سيوه الدكتور حسن بطه .. قال : عندما زار الدكتور فاروق الباز ـ عالم الفضاء ـ الواحة ذكر ان بها أنواعا معينه من الاشعاع يحتمل ان تكون السبب في شفاء هؤلاء المرضى ..

وبعد الغروب لا ترى اجمل من سماء سيوه فوق هذا الجبل ، هدوء وصمت وسماء صافية ونجوم ساطعة ، واتذكر قول حكيم مصري منذ الف عام قبل الميلاد ..



خريطة مصر ويظهر عليها موقع واحة سيوه .

« يا آمون .. انت ايها الينبوع العذب الذي يروى الظمأ في الصحراء ، انه ينبوع موصد لمن يتكلم ، مفتوح لمن يتذرع بالصمت ، وحينما يأتي الصامت ، تأمل ، فانه هناك « يجد الينبوع .. » وعرفت معنى الصمت مع التأمل في الصحراء ..

عين كليوباتره ..

ومن جبل الدكرور الى عين كليوباتره وسط أشجار النخيل والزيتون ، العين مسورة ، مياهها عذبة شفافة رقراقة ، هي التي تهب الحياة والنماء ، ان الشعور بالسعادة الغامرة يتملكك امام العين ، ترى زرقة وصفاء المياه وانعكاس الاشجار وخاصة عند الغروب ، ولكل عين طابعها المميز ، فعين العرايس تستحم فيها العروس قبل زواجها ، واخرى شريرة تجلب الشؤم لزائرها .

وتزيد عدد العيون في الواحة عن ٢٠٠ عين يتراوح ملوها بين العذوبة والملوحة ، وعين ساخنة واخرى باردة ،



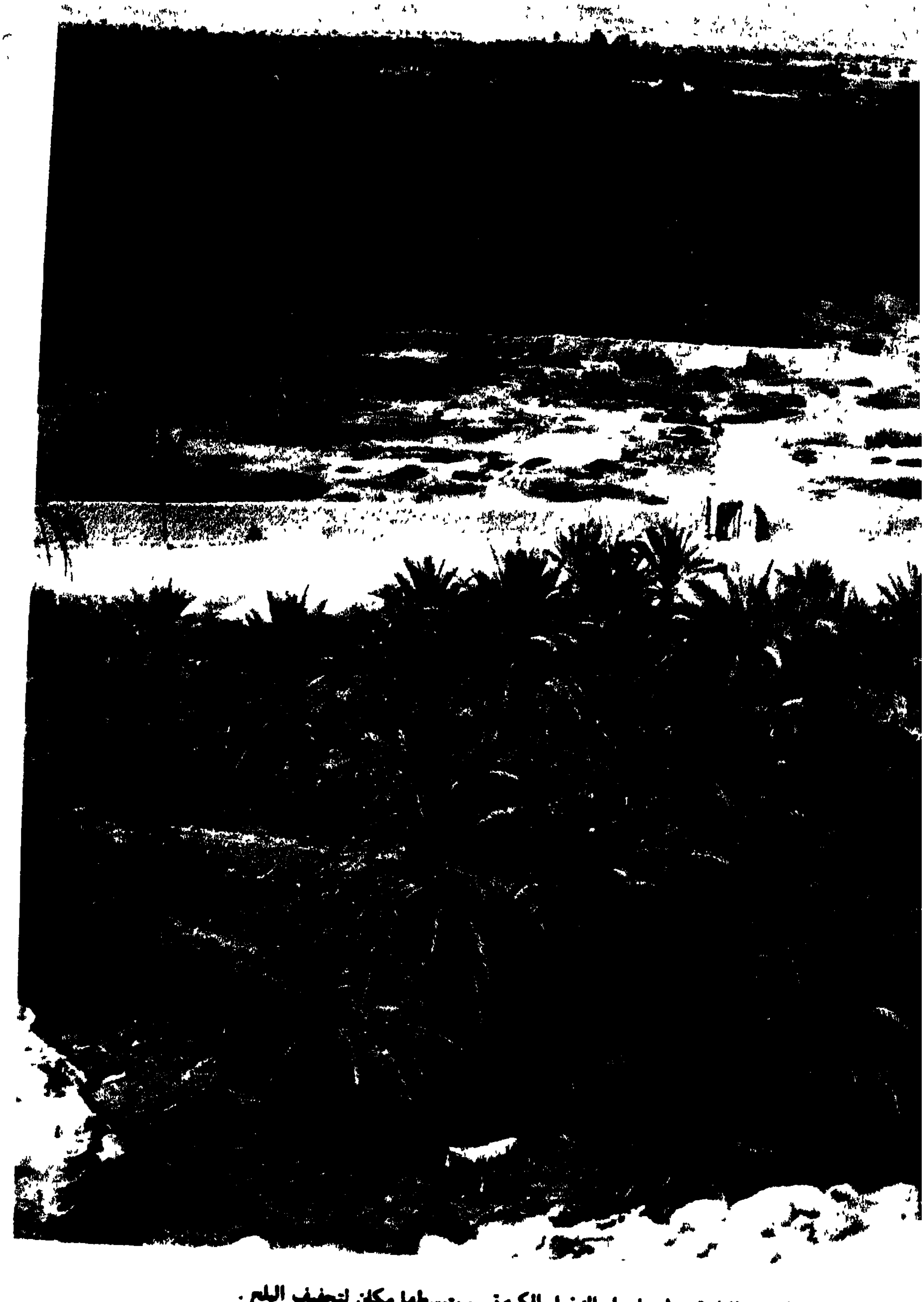


احد الوجوه الافريقية الى جوار اسوار بلدة « شالي القديمة » .

عين كليوباتره ، احد عيون الواحة ، والتي تزيد عيونها عن ٢٠٠ عين .







منظر عام للواحة وتظهر اعداد النخيل الكبيرة ، ويتوسطها مكان لتجفيف البلح .



أحدى الفتيات السيويات وشعرها المجدول

وهناك وصف لهذه العيون اورده هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد .. « هنا عين مياهها دافئة في الصباح ، باردة في عز الحر ، تنتقل من البرودة الى السخونة ، وهي ساخنة تغلي في منتصف الليل .. »

ولاول مرة تصبح المشكلة الرئيسية في واحة وسط الصحراء ، هي الغرق ، فمن المألوف ان تغرق جزيرة في البحر ، اما ان تغرق واحة في الصحراء فهذا هو الغريب ، وهذا لغياب بعض مشاريع الصرف ، فاجمالي المياه المتاحة تبلغ ١١٣ الف متر مكعب في اليوم ، بينما اقصى الاحتياجات تصل الى ١٠١ الف متر مكعب في اليوم ..

الواحة المفقودة

بعد وصولي الى الواحة ألحت عليّ ذاكرتي بقصة انجليزية قرأتها منذ مدة طويلة ، تروى قصة مجتمع عاش في عزلة تامة لا يعرف عن العالم الخارجي شيئا ، بعد ان انفصل احد الوديان عن العالم بفعل زلزال رهيب ، وانزلق الى هذا الوادي صدفة احد الرحالة ليروى قصة تلك العزلة والقيم التي سادت مجتمعا معزولا ، تذكرت وقائع هذا القصة ، عندما لا حظت عادات المجتمع داخل واحة سيوه التي مازالت العزلة هي المؤثر الرئيسي في حياة اهلها ، ذلك التوجس والشك ، ومقاومة رياح التغيير التي تهب على واحة كانت سرا مجهولا تطويه الصحراء في كثير من العهود ، عانت من التجاهل والاهمال رغم انه عند أقدامها يتكسر جدب الصحراء ليفسح لعيونها المتفجرة وينابيعها الفضية البراقة مكانا للحياة ..

ان السبب الرئيسي لعزلة الواحة موقعها البعيد وسط الصحراء ، فهي احد مواقع هوامش الصحراء ، فالواحة تبعد ٨٠٠ كيلو متر عن العاصمة ، وتتصل من الشمال بساحل البحر الابيض المتوسط عن طريق دروب صحراوية متعددة ، ليس بينها طريق معبد واحد ، ويربطها بمرسى مطروح طريق طوله ٣٠٠ كيلو متر ، ما يقل عن نصفه فقط معبد ، وتستغرق الرحلة فيه تسع ساعات بالسيارة ، وهو ذات الطريق الذي سلكه الاسكندر الاكبر عام ٣٣١ ق . م ، ومن جانب آخر تتصل سيوه بالواحات البحرية بمدق صحراوى كثير الرمال يبلغ طوله ٤٠٠ كيلو متر تقطعه قوافل الجمال .

واقرب تجمع بشري للواحة هي واحة جغبوب التى تتصل بها عن طريق درب يبلغ طوله نحو ١٣٠ كيلو متر ، ولكن الحدود السياسية بين مصر وليبيا تفصل بينهما ، ولم يتوقف الاتصال ، ولم يقف التهريب من جغبوب الا عندما استخدمت دوريات الطائرات المروحية ..

وهناك درب آخر يتجه من سيوه شمالا الى منخفض القطارة ثم وادي النطرون ثم الفيوم وينتهي عند كرداسة ، وهذا هو الطريق الذي كان يربط الواحة بعاصمة مصر القديمة (ممفيس) وهو الطريق الذي قطعه الاسكندر في طريق عودته من زيارته التاريخية للواحة .

تلك هي الدروب التي تصل الى واحة سيوه ، واحة آمون التي ظلت حتى عهد قريب صندوقا مغلقا ، الا في الفترات التاريخية الخصبة ، تلك الفترات التي لا تقف دونها المسافات ، وقد كانت الواحة دائما اختبارا دقيقا لحيوية القلب وخفقانه ..

اللغة السيوية ..

وزادت العزلة النسبية للواحة بسبب اللغة الخاصة السيوية التي يتحدثون بها ، وهي لغة منطوقة وليست



مثل مثيلتها من المصريين القدماء .

مكتوبة ، وترجع الدراسات التي اجريت حولها انها ذات اصول بربرية ، وهي في ذلك تشابه اهل النوبة في جنوب مصر الذين لهم لغتهم الخاصة ، وهناك سبب آخر لتلك العزلة وهو تعرضها الدائم لهجمات البدو ، ففي الصحراء كل مدينة ، واحة ، هي قلعة محصنة بالضرورة ضد غارات وغزوات البدو ، ولذا فكلها مسورة بالحائط التقليدي والبوابات الضخمة ، فالبدو يأتون من الجبال الجرداء ، والوديان القاحلة ، يتجولون حول الواحة ، كأنهم ذئاب جائعة تحوم حول فريسة دسمة ، والبدو في الصحراء مثل القراصنة في البحار ، يغيرون على الواحة

البوابة القديمة التي تغلق خلال الليل ،
استخدم في صنعها أعجاز النخيل .



بين وقت وآخر لانتزاع القطعان والمحاصيل ، ويعودون لتبتلعهم الصحراء من جديد .

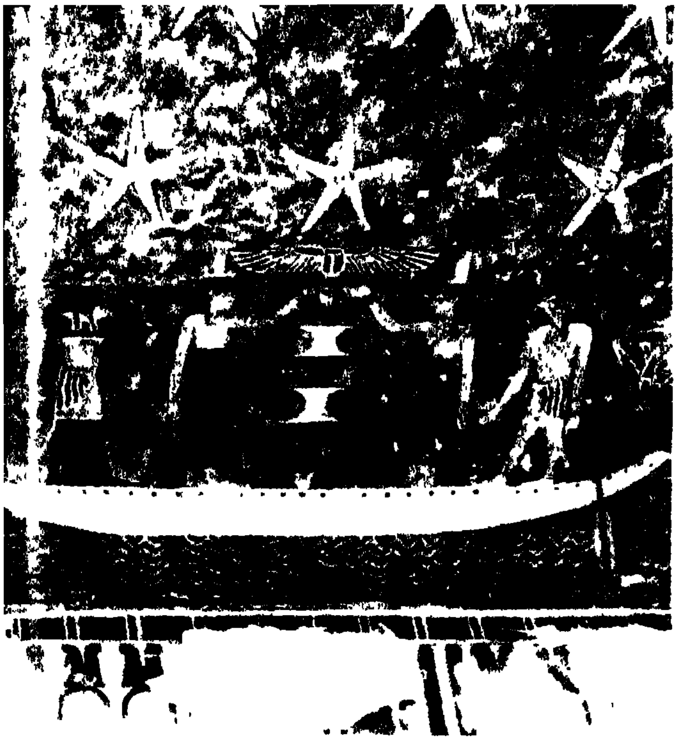
بلدة شالي

والآن لنتنقل بين المكان والزمان لنتعرف على مانقول ..

نقف فوق قمة تل يتوسط الواحة ، في مدينة شالي ، اسم البلدة القديم ، ويعني البلدة باللغة السيوية .. البلدة قطعة من التاريخ خرجت من العصور الوسطى ، بعد ان تحولت الى أطلال ، واصبحت مدينة اشباح ما زالت تعيش في وجدان أهالي سيوه وفي كتب المؤرخين ، بعد ان تركها سكانها وهبطوا الى السهل واقاموا منازلهم حول العيون ..

نحن في اوائل العقد الاول من القرن الثاني عشر ، أقام السكان منازلهم اعلى التل فوق الهضبة ، وحول الدور اقاموا سورا عاليا له باب ضخم من اعجاز النخيل ما زال قائما ، يقود الباب الى ازقة ملتوية ضيقة لا تتسع لأكثر من اثنين لسهولة الدفاع عنها واصطياد المهاجمين ، يتوسط البلدة مسجد مازال قائما وحوله بقايا المنازل بنوافذها الضيقة كفتحات الجحور ، التي كانت وما زالت تبني بمادة « القورشيف » ، والذي فرضت البيئة مادته ، وهو نوع من الطين الممزوج برمال الصحراء المملحة ، والذي يتحول بعد جفافه الى مادة صلبة كالاسمنت ، وهو عازل للحرارة في الصيف وللبرودة في الشتاء ، ومانع للذباب ، وبعد جفافه يظهر شق طولي في المبنى دليل تماسكه وصلاحيته للسكن ، وتصل بعض هذه المنازل الى سبعة طوابق ، والخطر على هذا النوع من البناء هو سقوط الامطار ، وهي نادرة في الواحة ، ولكنها يمكن ان تسبب كارثة عندما تذيب الاملاح وتتعرض هذه المباني للانهيار ، ويذكر الاهالي بالاسى هذه الكارثة التي وقعت مرتين ، احداها في ٢٨ ديسمبر عام ١٩٣٠ والاخرى في يناير عام ١٩٧٠ .

وتاريخ شالي محفوظ في مخطوط هام ، كتبه احد ابناء سيوه هو الطبيب مسلم ، ويتوارثه احفاده ، والغريب ان هذا المخطوط لم يعرف طريقه الى المطبعة بعد .



لوحة على سقف احد مقابر جبل الموتى ، المركب التي تمثل الزمن ، ووسطها يهيمن الاله رع ، وتتربع المعبودة « توت » ربة السماء ومن حولها النجوم .

احد تلميذات مدرسة آمون وقد جدلت شعرها في ضفائر دقيقة وعديدة ، وهي نفس الطريقة الفرعونية القديمة





احد جدران معبد آمون يتهاوى في اهم نصب تاريخي في سيوه ،
وتظهر على بقايا الجدار كتابات باللغة الهيروغليفية .

وعندما تقلب صفحاته تجده يروى تفاصيل دقيقة عن الواحة ويتتبع قبائلها واصول سكانها ، كما يتتبع علاقتها بالسلطة المركزية ، ويجمع عادات وتقاليد الواحة ، واهم ما يحتويه « قانون » الواحة الخاص ، والذى يختلف عن العرف البدوى فى الصحراء ، ويختلف عمّا جرى عليه العمل فى ريف مصر .. ومما جاء فى هذا المخطوط ان واحة سيوه كان يسكنها سبع قبائل يعيشون فى الخيام ، ويتعرضون لهجمات البدو والبربر بين وقت وآخر ، وفرض الخطر الدائم على محاصيل السكان وحياتهم اسلوب ونظام حياتهم ، فنشأت سلطة فى الواحة من مجلس رؤساء القبائل كان يطلق عليهم « الاجواد » يحكمون الواحة « كقيادة جماعية » وقامت مجموعة من الاعراف والتقاليد مهمتها حماية هذا التجمع ، ويقدم المخطوط القانون المدون لسكان الواحة والمكون من ٢٤ مادة ، وفيه يفرض على الاهالى بناء مساكنهم داخل اسوار « شالى » ، وتمنع النساء من مغادرة اسوار البلدة تماما ، ويمنع زواج فتيات ...... من الغريب ، ويقرر نفى الزانية من الواحة الى الو...ات البحرية ، او تقتل خنقا ويعتبر « الاجواد » موتها طبيعيا ، واذا باع احد الاهالى سلاحه لاجنبي يجلد ثمانين جلدة ، ويعمل على استرجاع السلاح المباع ، ويحط من كرامة هذا البائع ، واذا خرج اثنان من ابناء الواحة وعاد احدهما دون صاحبه بغير اتفاق بينهما على هذا الافتراق يجلد اربعين جلدة ، كما يمنع قانون « شالى » اقامة الراحل اكثر من ثلاثة ايام ، وهكذا ..

الزقالة ..

كما نظم القانون المدون اوضاع « الزقالة » اى المسك بالزقلية - العصا - وهم احد المعالم للحياة الاجتماعية القديمة فى شالى ، والذى يعود اصلهم الى الايام التى كانت فيها الواحة احد محطات القوافل ، ومحطة لتجارة الرقيق ، والذين يعملون فى زراعة الارض والحراسة ، وليس مسموحا لاحد منهم أن يقضى ليلته داخل اسوار « شالى » بل يبيتون فى الكهوف و « الخطايا » وغير مسموح لهم بالزواج قبل سن الاربعين ، لكى يعطى كل وقته للعمل والحراسة ، وصاحب الارض يقدم له الملبس والمأكل ، وبين الزقالة انتشر الفن فهم وحدهم الذين يسمح لهم بالرقص والغناء وانواع الطرب المختلفة ، فى مجتمع رجالى لا يعرف المرأة وكان يمنع عليهم الغناء بالقرب من اسوار شالى حتى لاتصل اصواتهم للنساء ، ويصرح لهم بالغناء بعيدا فى المزارع ، ومن ينسى ويأخذه الطرب فيرفع صوته بالغناء بالقرب من شالى « يجلد اربعين جلدة ، واذا كررها يضاعف له العقاب .. »

ومازالت الاثار الاجتماعية لنظام « الزقالة » قائمة فى الواحة حتى الان ..

كما ان للزقالة تمردهم ، فعندما وصل الى سيوه فى موسم الحصاد بعض النساء البدويات عام ١٧٠٥ ، واقمن فى خيامهن تحت سفح الجبل فى منطقة تسمى المنشية ، وحان وقت الرحيل اصر الزقالة على بقائهن ورضخ الاجواد لهم للمرة الاولى ..

اما كيف انتهت مدينة شالى ، وخرج اهلها من الاسوار ، فيذكر المخطوط ان ذلك تم فى عصر محمد على عام ١٨٢٠ عندما وصلت قواته الى المدينة ، ووضعت حدا لتهديد البدو ، وسمح مجلس « الاجواد » بالبناء خارج الاسوار ، فخرج اهالى سيوه من اسوار شالى وبقيت اسوار العزلة الطويلة داخلهم .

وقد كانت الواحات دائما مستعمرات لنفى المجرمين والاشقياء ، ثم اصبحت ملجأ لجماعة المطرودين ، ثم ملاذا صالحا للرهبنة والتقشف .

وتمضى الايام وتدخل واحة سيوه فى الاسلام .

فبعد ان زالت دولة الرومان فى عام ٦٤٠ م بعد فتح عمرو بن العاص مصر ، ورغم انتشارالاسلام ظلت الواحة فى عزلتها حتى عام ١١٠٠ م ، ولم يمض وقت حتى اعتنق سكانها الدين الجديد ، وفي عام ٥٠ هـ وخلال حكم عبد العزيز بن مروان اخبره بعض الناس انهم ضلوا طريقهم فى الصحراء وعثروا على بلد غنى بالحاصلات والفواكه فارسل جيشا للبحث عنها ولكن جيشه عاد ولم يعثر على الواحة التى ضاعت فى قلب الصحراء ، وحتى أواخر العام الهجري الأول عثر عليها موسى بن نصير بعد مسيرة سبعة أيام ولم يتمكن من



مسجد الواحة القديم ، ومسجد عمر في الجوف ، ويلاحظ تشابه العمارة في كل منهما .

اقتحامها ، وفي مخطوط سيوه .. ان قوات من الواحة انطلقت للقاء الجيش الاسلامي وابتلعتهم الصحراء .

وفي القرن الثالث للهجرة تمكن المسلمون من دخولها عن طريق قبائل بنى هلال ..

وتحولت الى مركز للصوفية والزهادة ، واستمرت الواحة في تواصل منذهل ، تتوجه الى الله ، واجتاحتها زوايا السنوسية التى انتشرت ، وبقى الدين يلعب دورا بارزا في حياة سكانها ، واستمرت علاقة انسان الواحة حيمة بخالقه .

خصوصية سيوه

أهم مايلاحظه زائر سيوه ، احتياج المكتبة العربية لدراسة تتناول العادات والتقاليد والازياء والفنون والالات الزراعية ، لكشف امتداد هذه الظواهر ، ومغزى هذا التفرد ، خاصة ، ان هناك نظرية تقول ان الواحات مثل الجزر تختزن التاريخ البشرى وتحافظ عليه ، ونظرية اخرى تقول ان فن الزراعة الذى عرفته البشرية في واحة سيوه ، ولن يقدم هذا التحقيق اجابات حاسمة حول هذه المسائل ، بل ينقل مجموعة من الملاحظات التى تحتاج الى مزيد من البحث .

فمثلا يرتبط الاحتفال بمولد سيدى سليمان وما شهدته حتى عندما ما غرق جيش قمبيز في رمال الصحراء ، فسيرة سيدى سليمان تتضمن هجوم احدى القبائل على الواحة ، ودعوة الشيخ الصالح الاهالى للصلاة ، فقامت عاصفة رملية قضت على الغزاة ، وهى ذاتها ـ كما سنرى ـ قصة كهنة الاله آمون مع جيش قمبيز ، كما يسهل ملاحظة ان الطريقة التى تجدل بها المرأة السيوية شعرها هى ذات الطريقة التى نجدها على اللوحات الفرعونية القديمة ، وكذلك التشابه المذهل بين مسجد الواحة ومسجد عمر رضى الله عنه والقائم في الجوف .

ويرجع مخطوط سيوه اصل السكان الى المصريين القدماء والبربر القادمين من المغرب العربي والافريقيين النازحين من اعماق القارة ، ويقول الدكتور فخرى ان قبائل البربر كانت من قبيلة زناته Zanata في شمال افريقيا ..

وتتفرد الواحة بعادات خاصة ذكرت بالتفصيل في « المخطوط السيوى » فمثلا يعتقد بعض السكان في السحر والتنجيم ، وكانوا يعالجون المريض بواسطة مجلس للطب برئاسة امرأة عجوز في مكان وجود المريض . في طقوس ذات طعم افريقى ، وفي الواحة مازالوا يخشون الحسد ، ويخافون النظرة وعين الشر ، ويرهبون « العفاريت » ، وبعض عيون المياه في الواحة « مسكونة » وبعضها الاخر مبارك ومطهر .. ! !

ومن اغرب هذه العادات ما ينال المرأة من عنت بعد وفاة زوجها ، ويطلق عليها لفظ « الغولة » . وتختفى



فتاة بالزي السيوي وامرأة ملفوفة بملاءة امام عين لجزرت والنخيل من حولها .



فتحية السنوسي اول فتاة متعلمة تلقي دروسها على اطفال سيوه .





رياح التغيير تهب على الواحة ، مدرسة مختلطة بها ٨٧ فتاة من ٣٦٧ تلميذا .

عن الانظار لكي لا تلحق الضرر بمن يقع نظره عليها ، ويهرب الاهالي من الازقة التي تمر بها . ويحكم عليها ان تختفي في بيتها لمدة اربعين يوما مرتدية ملابس بيضاء ، وتقدم لها الطعام عجوز تدخل بظهرها ، وفي نهاية المدة تخرج للاغتسال وللتطهر من الشؤم في احد عيون سيوه ، ويخلي الناس طريقها ..

ويروي شيخ الجامع .. « كيف كانت جنازة المتوفى لاتراعي حرمة الموت ، بل تسير في موكب جنائزي يستخدم فيه الدق على الطبول » وقد تمكن احد الشيوخ الذين عملوا في الواحة من القضاء على هذه التقاليد المخالفه للاسلام ، واسمه الشيخ مصطفى جاد المولى ..

واذا انتقلنا الى الالات الزراعية ، فنجدها تختلف عن تلك التي تستخدم في ريف مصر . فتستخدم « الطورية » بدلا من المحراث ، وحتى الفأس له شكل مختلف ، وايضا الالات الموسيقية . الطبلة شكلها اسطواني يعلقها العازفون في رقبتهم وتطرق بجريد النخل ، و« الحميسة » آلة النفخ الخشبية وهي عبارة عن قصبتين من الغاب ، بكل منها خمسة ثقوب ، وازياء الواحة ، التي تمثل زخرفة الثياب فن توارثته النساء يتحلى بالبدائية والجمال ، وبه بعض الشبه بمناطق في الجزيرة العربية وشمال افريقيا ، وترتدي النساء داخل بيوتهن ازياء متعددة الاشكال ، زاهية الالوان ، تتفق في شكلها المستطيل ، واكمامها الطويلة الزائدة الاتساع وتتنوع في نقوشها والوانها ، وهي قصيرة الطول تصل الى اسفل الركبة ، ويرتدين سروالا يصل تحت القدمين ، ويزين نصفها السفلي بنقوش حريرية مختلفة الالوان ، وتملك كل فتاة مجموعة من الحلي يصل وزنها الى اربعين رطلا ، وهي فريدة في نوعها وفنها وصياغتها ، وكلها من الفضة ، وثوب الزفاف له فن مستقل ، وتقضي الفتاة سنوات في حياكته ، ويمتاز عن باقي الازياء بنقوش وزخارف من الحرير الملون . وزراير الصدف التي تزين بها الصدر تمتد في صفوف تشبه اشعة الشمس ، وتشبه الازياء في عهد المصريين القدماء ، والذي يرمز الى الشمس بالمعبود أمون .. وتنفرد بعادات الزواج ، وهكذا ..

الفرص المهدرة

يختلط في واحة سيوه القديم والجديد معا ، فلم تعد في عزلتها القديمة ، ولم تنته ايضا عزلتها ، وتقف في نقطة بين العزلة والاتصال ، فمثلا سقط الحاجز الجغرافي بخط الطائرات المنتظم ورغم ذلك لاتصل اليها الصحف وليس بها مصرف او فندق ، وفتحت المدارس للاجيال الجديدة ، واخرى لتعليم الكبار ، ودخلها الراديو والكثير من المخترعات الحديثة ومع ذلك بقيت المرأة وراء الاسوار ، واستبدلت الواحة الطبيب « بالساحرة » وأقيم مستشفي وبقي حاجز العزلة النفسي ، وهي في اتصال دائم عن طريق الجماعات القادمة من وادي النيل للعمل او للبحث والدراسة ومع ذلك تقاوم عناصر التغيير ، واستمر بعض السحر وبعض الخرافة ليعكس التقصير التاريخي والفرص المهدرة نحو المناطق النائية مثل واحة سيوه » .

وتقدم واحة سيوه نموذجا صارخا للامكانيات الاقتصادية المهدرة ، التي كان يمكن ان تكون نموذجا لعلاج المشكلات الرئيسية في مصر ، فحل هذه المشكلات خطوة لزيادة « الكعكة » التي يعيش عليها أربعون مليونا من البشر ، وكانت محاولات تنمية الواحة لاتتجاوز الدراسات والتوصيات والوعود ، وتؤكد هذه الدراسات ان دخل الفرد يزيد عن معدل مستوى دخل الفرد في مصر ، ويمكن زيادة رقعة الارض المزروعة اذا اقيمت بعض مشاريع الصرف ، والمثل الواضح عين قريشت التي « تذرف دموعها » ٢٠ الف متر مكعب يوميا تضيع في ملاحات الزيتونة ، وهناك ٢٩ الف فدان صالحة للزراعة ، وترتفع اسوار العزلة بالوعود المزيفة ، فمنذ عام ١٩٠٧ وهناك مشروع للصرف في عهد الخديوي عباس حلمي لاستصلاح الاراضي وريها من مياه عين قريشت ، وقد سار المشروع بطيئا بسبب نقص العمال ونفقات النقل العالية حتى توقف خلال الحرب العالمية الاولى ، وحديثا زار الواحة ثلاثة وزراء واسرفوا في الوعود التي تتناول أراضي عين قريشت ولم يتم منها شيء ، والواحة في اشد الحاجة الى مصانع آلية لعصر الزيتون وتعبئته بدلا من الطرق البدائية المتبعة حاليا

عري لكبس الملح ، ومصنع للمعلبات الصفيح لتعبئة
...تجات ، وكل هذه المشاريع اثبتت دراسات الجدوى
...رورتها ، ولاتجد من ينفذها ، هذا علاوة على
...صناعات البيئية مثل صناعة الاحرمة الصوفية ،
، صناعة الخوص ، كما تم اكتشاف الرخام الجيد ، وبقيت
...شكلة النقل .. ! !

واهم مشروعات الواحة واخطرها بالنسبة لمستقبل سكان الواحة هو الطريق الذي يربط واحة سيوه بمرسى مطروح ، وهو مشروع قديم تقرر عام ١٩٢٨ ، وكلما بدأ العمل فيه عاد وتوقف ، وكم من الحكومات وحتى النظم تغيرت وبقي الطريق الان لم ينجز ، وقد بدأ العمل فيه مرة اخرى نرجو ان يستمر حتى إتمامه .

ويفسر احد العاملين في الواحة كيف بدأ التغيير وتحركت عجلة المشروعات ثم فجأة تباطأت وتعطلت ، بسبب الهجرة الواسعة الى ليبيا القريبة حيث الثراء السهل ، مما ادى الى نقص الايدى العاملة ، وتعطيل المشروعات ! ! ..

وقد عانت الواحة في الماضي في علاقتها بالحكومة المركزية ، فلم تر الا وجها واحدا للسلطة ، كمحصلة للضرائب أو باعثة بحملة للتأديب ، ولم تر الوجه الآخر الذي يقدم الخدمات ، بل كانت وما زالت « لحدٍ ما » منفى مثاليا للموظفين المغضوب عليهم ، وبقي الاهالي يذكرون بالتقدير والامتنان بعض النماذج للذين عملوا في الواحة باخلاص . مثل الطبيب انور ابراهيم ، والمأمور محمد جمال الدين المسيري الذى ادخل الكهرباء عام ١٩٦٢ بتحويل اموال الاوقاف لشراء مولد للكهرباء ، والدكتور احمد فخري الذى اهتم بالحياة الثقافية للواحة ، واخذ ينقب تحت الرمال عن مواقع التاريخ ، والشيخ مصطفى جاد المولى الذى حارب التقاليد البالية ..

ويبقى وضع المرأة في الواحة كمقياس دقيق لمدى التحديث . والتى مازالت ترى في الطريق ملفوفة بملاءة تغطيها الا من فتحة صغيرة ترى من خلالها ، فعن طريقها ينتقل الى الاجيال الجديدة القيم والمفاهيم ، وأغلب الامهات الحاليات اميات ، يتحدثن في بيوتهن السيوية ، ومازالت المرأة لاتشارك الرجل اعمال الحقل مثل ما يحدث في الريف المصرى ، ولذلك يقل الانتاج الحيواني والالبان ، وحتى عام ١٩٧٦ كانت نسبة الفتيات اللاتى أتممن تعليمهن خارج الواحة لايزدن عن ثلاث فتيات ، التقيت بواحدة منهن وهي فتحية السنوسي والتى تعمل مدرسة في مدرسة آمون ، وهي رائدة في حركة التغيير ، وتنتشر في الواحة ظاهرة تعدد الزوجات وترتفع معدلات الطلاق ، فالمرأة في سيوه هي حصن المحافظة وبداية التغيير ..

آمـون ..

ومن الحاضر الى الماضي

اقف امام معبد قديم متهدم فوق اعلى تل في اغورمي ..

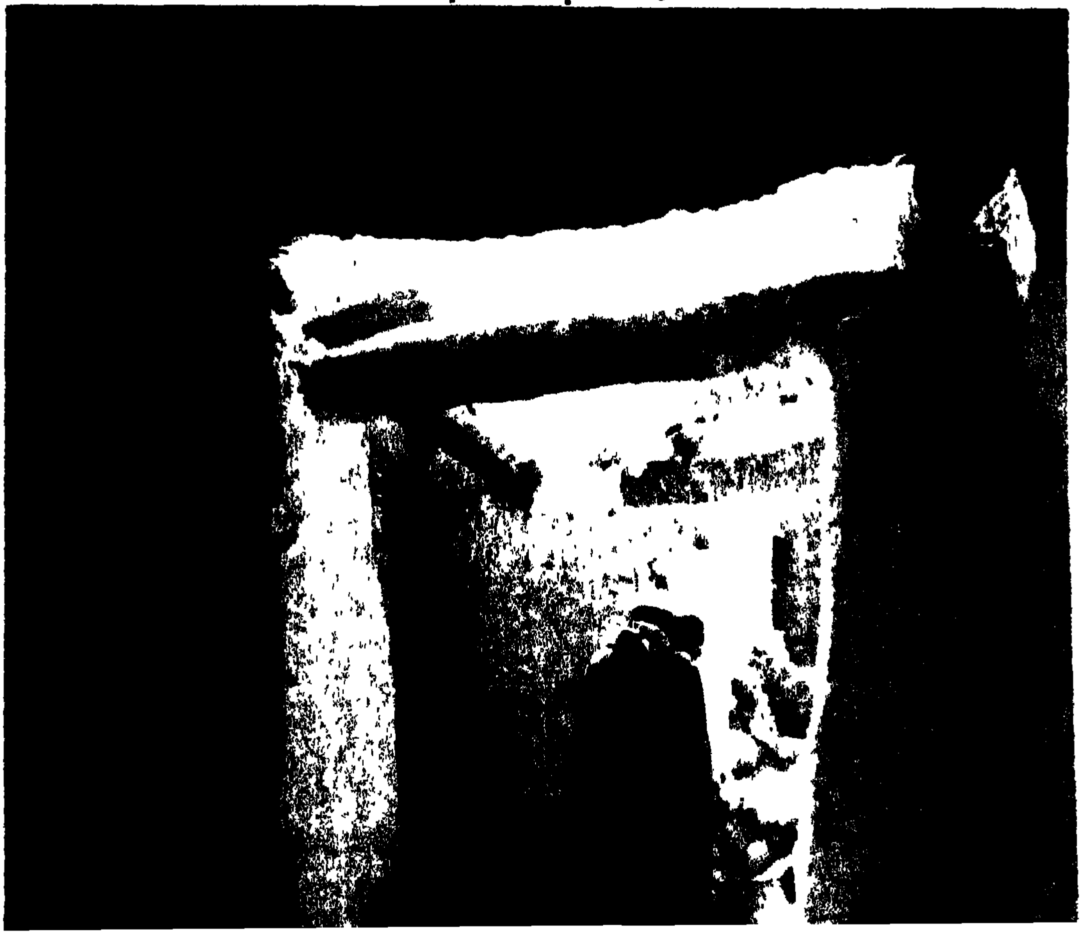
لقد زال من البناء كل علامات الشموخ والهيبة ، وحتى الرسوم التاريخية القديمة عبث بها الزوار ، وكتبوا فوقها اسماءهم في محاولة لمنافسة القدماء في الخلود ، انه معبد الاله آمون ، اهم بقايا التاريخ في الواحة . واهم مراكز التنبؤ في مصر القديمة بل وفي العالم القديم كله ، والى رحاب هذا المعبد جاء الملوك والقواد وارسلوا هداياهم الى كهنته بعد ان اشتهروا بالصدق ومعرفة المجهول على امل كشف اسرار المستقبل ، فقد عاش الانسان تؤرقه رغبة عارمة في كشف الغيب ومعرفة المستقبل واكتشاف المجهول ..

نحن في عام ٣٣١ قبل الميلاد ، يزور الاسكندر المقدوني معبد آمون قادما من الاسكندرية ، بعد ان انتقل الى باراتنيوم (مرسى مطروح) في طريقه الى واحة جوبيتر آمون ، بعد ان هزم داريوس الثالث ملك الفرس ، فهو ينوى استرضاء آلهة المصريين من اجل قيام مملكة واسعة الارجاء تجمع بين المصريين والاغريق ، وهي لعبة معروفة ، العمل على كسب الشعب عن طريق تقديس آلهته ، تكررت مرارا في العصور الحديثة عندما ادعى نابليون بونابرت الاسلام في مصر ، وعندما ادعت الامبراطورية البريطانية حماية الاسلام وحرصها على الخلافة ، بدأ الاسكندر يشق طريقه في دروب شاقة ، كاد يتعرض خلالها هو وجيشه للهلاك عطشا ، لولا ان اغاثه مطر مفاجيء ، ومرة اخرى



أحد الاهالي بالزي السيوي يعمل في معصرة يدوية لعصر الزيتون

احد أزقة سيوه في بلدة « شالي » .





لوحة من سيوه تنقل الزي السيوي الفريد بريشة الفنان عبد الغني أبو العينين .

يشرف على الهلاك عندما يضل الطريق . ويلوح له غراب اسود فيتبعه ويصل الى الواحة بعد سبعة أيام ، وكان يصحبه مؤرخه المعروف كاليسيناس Callisthenes الذي روى تفاصيل هذه الرحلة ، وعلى الفور توجه الاسكندر ومرافقوه الى معبد الوحي واستقبله كبير الكهنة يحيط به مساعدوه ، وخاطب الاسكندر باسم « ابن آمون » وبدأ المشهد الذي نقله التاريخ :

رمز الاله على شكل بيضاوي ، مرصع باحجار الزمرد وضعوه في سفينة يحملها الكهنة فوق أكتافهم ، وامام السفينة وخلفها ، مشى الكهنة والكاهنات يلبسون الملابس البيضاء ، وبعضهم يعزف على الالات الموسيقية ، والبعض الاخر يغني ويرقص ، واخذوا يدورون حول البهو مرة بعد مرة ، حتى اعلن رئيس الكهنة ان نفس الاله آمون قد طابت ، وليتقدم بسؤاله من يريد السؤال ، وتقدم بعض رجال الاسكندر بأسئلتهم وتلقوا عنها الجواب ..

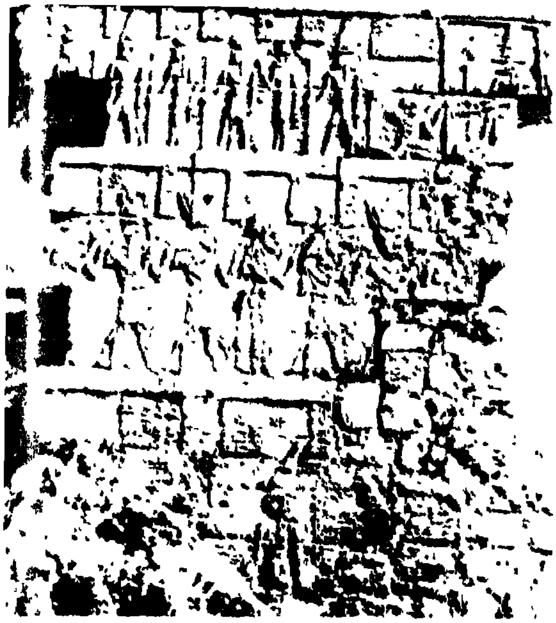
اما الاسكندر فقد طلب ان يسأل الاله آمون في خلوة ، فصحبه رئيس الكهنة الى الهيكل ، وسأل ما شاء وعندما عاد قال انه سمع من الاله آمون ما طابت له نفسه ، وبقي ما قاله الاله آمون سرا .

وعندما كان يعاني سكرات الموت في مرضه الاخير في بابل تقدم اليه اقرب اصفيائه ، اريديوس يسأله : ان يختار خليفته ، فاجاب : انها للاقوى ..

ولم يبق في ذاكرته سوى الواحة ، فأوصى بأن يدفنوه الى جوار ابيه آمون في الواحة ، ونسى في لحظته الاخيرة كل شيء الا واحة آمون ، فالدنيا كلها مظلمة الا بقعة ضوء واحدة في قلب الصحراء .. وفيما ينقله مؤرخ الاسكندر يلاحظ ذلك الخلط بين الاساطير اليونانية والتاريخ والتشابه مع ما جاء في الالياذة والأوديسة ..

التاريخ آيل للسقوط

ومن معبد التنبؤات الى معبد ام عبيدة الذي يقع على بعد مسافة قصيرة من صخرة اغورمي ، لم يبق من هذا المعبد سوى جدار واحد مغطى بالنقوش القديمة ، وجزء من الجدار يتهاوى ، الى جوار نقوشه القديمة ، يحيط



حدار معبد أم عبيده ، هكذا كان ،

بها احجار كبيرة مبعثرة ..

واقيم هذا المعبد في عهد الاسرة السادسة والعشرين ، والنقوش القائمة على ما تبقى من الجدران تعتبر فريدة من نوعها ، وهي تمثل مواكب الاله وهي تقدم فروض الولاء للاله رع ، وكتابات باللغة الهيروغليفية .. والمنظر يشير قضية الحفاظ على آثار سيوه ، وما تعانيه من الاهمال ، فهنا التاريخ ، يتهدم ، يتآكل ، يتساقط في اهم نصب تاريخي في الواحة ، ولا يتقدم من ينقذه ، ويثير الاسى الاهمال الواضح لهذه الاثار كتراث انساني ، والغريب ان هذا المعبد لم يتهدم بفعل الزمن ، بل هدم عن عمد وسابق اصرار ، ففي عام ١٨٧٠ م قدم الى الواحه مأمور اسمه محمود عزمي وبدل ان يسعى الى ترميم المعبد ، نسفه بالديناميت ليشيد بحجارته مبنى للشرطة وبيتا له من بقايا التاريخ ، ويذكر مخطوط سيوه : ان محمود عزمي أول مأمور جاء من القاهرة في عام ١٣١٥ هـ يؤخذ عليه انه هدم معبد آمون ، ويضيف . « انه في الاغلب كان يهدف الى التنقيب عن آثار ونفائس .. !! »

جيش قمبيز

وكما تختلط الاساطير اليونانية بالحقائق التاريخية ، يختلط في الواحة التاريخ بالحاضر ، فمن اهم الاحداث



هـ ما انتهى اليه

التاريخية في حياة الواحة . توجه جيش قمبيز اليها ليؤدب كهنتها على تنبؤاتهم بهزائمه . فعندما بدأ الفرس يكونون امبراطوريتهم في القرن السادس قبل الميلاد ، احتلوا مصر عام ٥٢٥ ، وذهب البعض يسأل كهنة آمون عن هذه الكارثة التى حلت بوادي النيل ، وجاء رد الكهنة حاسما ، ان المحنة لن تطول وسيلقى جيش قمبيز سوء المصير . وأراد قمبيز ان يلقن الكهنة درسا ، فأمر بارسال جيش كبير الى الواحة ، وروى المؤرخ هيرودوت قصة هذه الحملة . وكيف صار هذا الجيش من طيبة ـ الاقصر حاليا ـ فوصل الى الواحات الخارجة بعد سبعة ايام ، وقصد سيوه لاحراق معبد آمون وتحطيمه ، وقتل الكهنة او احضارهم اسرى ، ليتحدى النبوءة ويثبت انه لا بقاء ولا حياة لمن لا يخضع لارادته ..

وخرج الجيش من واحة الخارجة ، ولم يصل منه احد الى واحة آمون ، وقال الكهنة : ان الاله آمون انتقم لنفسه ممن ارادوا النيل من معبده ، فارسل عليهم « امون » عاصفة رملية شديدة دفنتهم جميعا ..

وهو سر في حشايا الصحراء جذب المغامرين والحالمين بالثروة ، فرغم مرور ٢٥٠٤ عام على هذه الواقعة التاريخية ، فما زال هذا الجيش سرا ، سعت العديد من بعثات الاستكشاف الى هذه الثروة التاريخية ولم تصل .. وهى واقعة تثير خيال الباحثين والاجيال الشابة ليرتادوا الصحراء بحثا عن الكنز المفقود فجيش مؤلف من خمسين الف جندي بعتادهم واسلحتهم ثروة « جفاف الصحراء » كفيل بالحفاظ عليها ، بعد ان فات اهل ذلك الزمان ان يسألوا كهنة الاله أمون حول المكان الذي دفن فيه جيش قمبيز ، وبقى امل خافت ان تهب عاصفة رملية تكشف عن مكان الجيش كما سبق واخفته .

وهي نفس قصة سيدى سليمان ، وربما كان معنى ذلك ان سيدي سليمان قد حل محل كهنة الاله امون في التاريخ المصرى القديم ، وهي صورة من صور التداعي الثقافي والاستمرارية التي تثبت ان الواحة تختزن ما مر بها من تجارب واحداث تاريخية

جبل الموتى

الجول في معالم الواحة ، اتعرف على شخصيتها ، واسمع حكاياتها ، واشاهد معالمها ، وعند احد الجبال الذي يشبه المخروط وسط البقعة الخضراء ، زرت جبل الموتى ، الذي تحيطه الكهوف ، التي اقيمت منذ القرن الرابع قبل الميلاد وبعضها مقابر فرعونية قديمة ، وقصة اكتشاف آثار جبل الموتى هي قصة الواحة مع الحرب العالمية الثانية ، وقد تم اكتشاف هذه الاثار الهامة بالصدفة اثناء غارات الحرب العالمية الثانية ، بعد ان قطع هدوء الواحة قذائف الطائرات الايطالية بعد ان وصلت قوات المحور الى مرسى مطروح ، وفزع السكان من الغارات وهاموا في الجبال يبحثون عن مأوى ، وهناك عثروا على هذه المقابر ، وقد احتلت قوات المحور الواحة لمدة ثلاثة شهور و١٨ يوما ، ومازال اهل الواحة يروون القصص عن تلك الايام ، وعن زيارة ثعلب الصحراء روميل لها والتي تمت يوم ٢١ سبتمبر ١٩٤٢ . والاحتفال الكبير الذي اقيم له .

وخلال هذه الاحداث تم اكتشاف مقبرة « س ـ آمون » ، والذي رسم على جدرانها بالوان لم يمحها الزمن لوحة لصاحب المقبرة وهو يقدم القرابين لعصبة من الالهة ، وسقفها الملون . ■■

مصطفى نبيل



(القارئة الصغيرة) لوحة للفنان السعودي احمد عبدالله الملغوث (الى اليسار) وعلى الصفحة المقابلة لوحة للفنان الفلسطيني محمود ابو عسكر بعنوان « هل من مشتر » .

لقاء الفن التشكيلي العربي

في الكويت

استطلاع : صادق يلي تصوير : صلاح آدم

الفنانة موضي العجي احدى عضوات جمعية الفنون التشكيلية الكويتية أمام احدى لوحات المعرض في جناح الكويت .





شهدت الكويت لقاء فريدا من نوعه في هذه المرحلة للفنانين التشكيليين العرب ، الذين قدموا من مختلف انحاء العالم العربي ، كل يحمل تجربته ويعبر عن واقعه وطموحاته



كان معظم رواد المعرض من بنات حواء والمعروف أن حواء تعرص دائما على حضور مثل هذه المعارض لما بين الجمال وحواء من صلات وثيقة عبرالعصور.



الفنان عدنان حسين المولـه قال : ان ادراك الاشياء الجمالية تثير وجدان ومشاعر المرء بنسب متفاوتة فهذا يقنع من الوردة بمنظرها وآخر يقتطفها وثالث لا يعيرها انتباها .

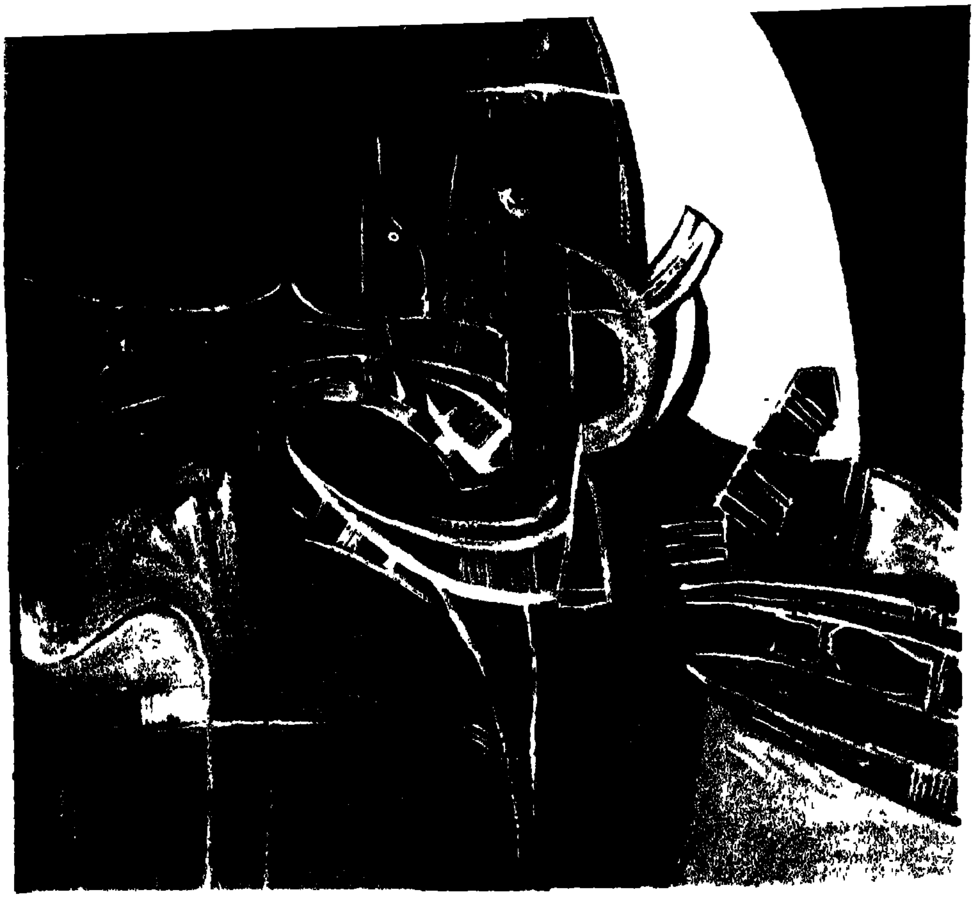
في هذا اللقاء عرض ١٤١ عملا فنيا من لوحات واعمال حفر ونحت من انتاج ١٠٥ فنانين تمثلت في لوحاتهم مختلف مدارس الفن التشكيلي المعاصر ، وقد اشتركت في المعرض الدول العربية التالية : دولة الامارات العربية المتحدة ، البحرين ، تونس ، الجزائر ، المملكه العربية السعودية . السودان ، سوريا ، العراق ، قطر ، الكويت ، لبنان ، المغرب ، اليمن الديمقراطي والجمهورية العربية اليمنية ، وساهمت كل من هذه الدول بعشرة اعمال باستثناء الجزائر التي اشتركت بتسعة اعمال والجمهورية العربية اليمنية بخمسة اعمال ، وقد اعتذرت الاردن والجماهيرية الليبية ومصر عن المشاركة في هذا المعرض الذي نظمته الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية بالتعاون مع المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب في الكويت .

ملاحظة على الاقبال

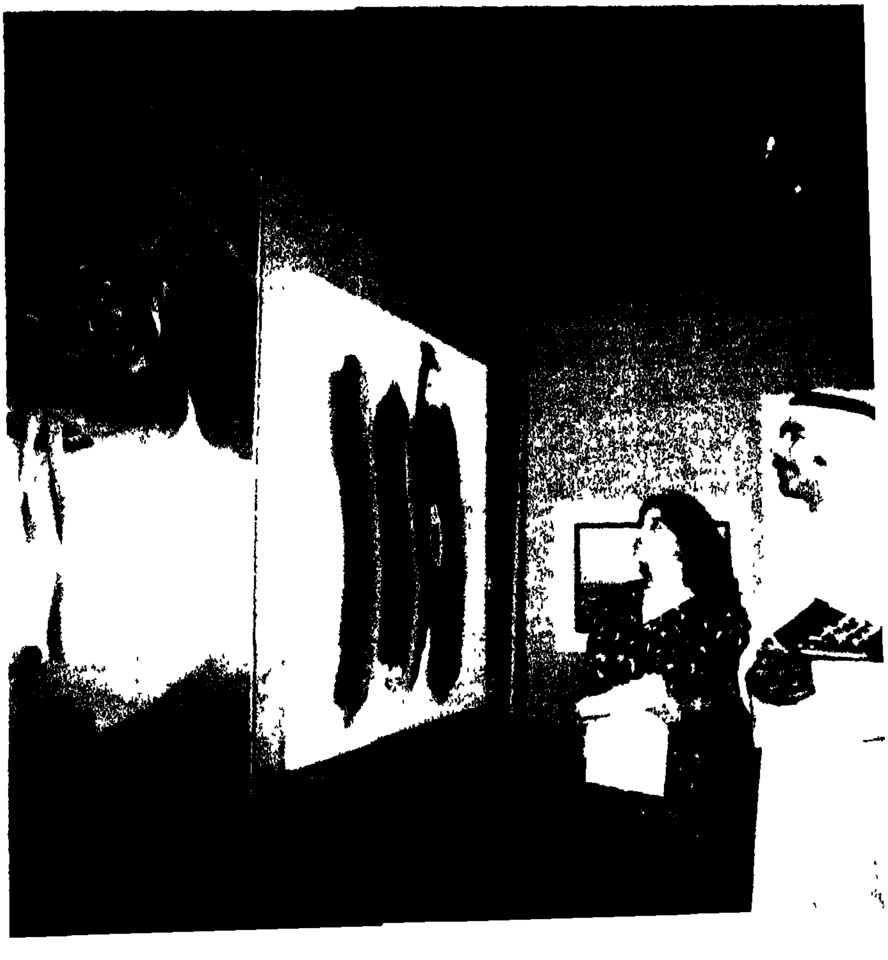
وقد برزت في اعمال المعرض مظاهر اختلاف المدارس الفنية التي تسود الحركة التشكيلية العربية الراهنة ، فقد استلهمت بعض اللوحات التراث العربي والتطور الحضاري في العالم لايجاد صورة مثلى للتفاعل بين الاعمال الفنية العربية . وهي خطوة لتحقيق شخصية فنية عربية واضحة في خضم التيارات الفنية العالمية ، وملاحظة اخرى نسجلها هنا ، هي وجود عدد غير قليل من الاعمال الفنية التقليدية التي تتناول البيئات المحلية لوطننا العربي ، كما ان بعض اللوحات تحمل طابع النضال القوي للانسان العربي الذي يكافح من اجل الارض المغتصبة ، وبعض الاعمال ترسم جراح لبنان والحرب بين ابناء البلد الواحد .

وقد ضم المعرض اعمالا ذات مستوى جيد لفنانين جدد من الامارات العربية والسعودية والمغرب ، حاولت ان تقترب من هذه التجارب الطليعية في الفن . على ان الملاحظة الجديرة بالاهتمام . والتي يطرحها هنا الفنان الكويتي عدنان حسين ، عضو الجمعية الكويتية ، هي ان اقبال الجمهور على مثل هذه المعارض الفنية لا يزال ضعيفا . « اذ ما ان يفتتح المعرض رسميا حتى يكاد يخلو من الزوار في الايام التالية » .

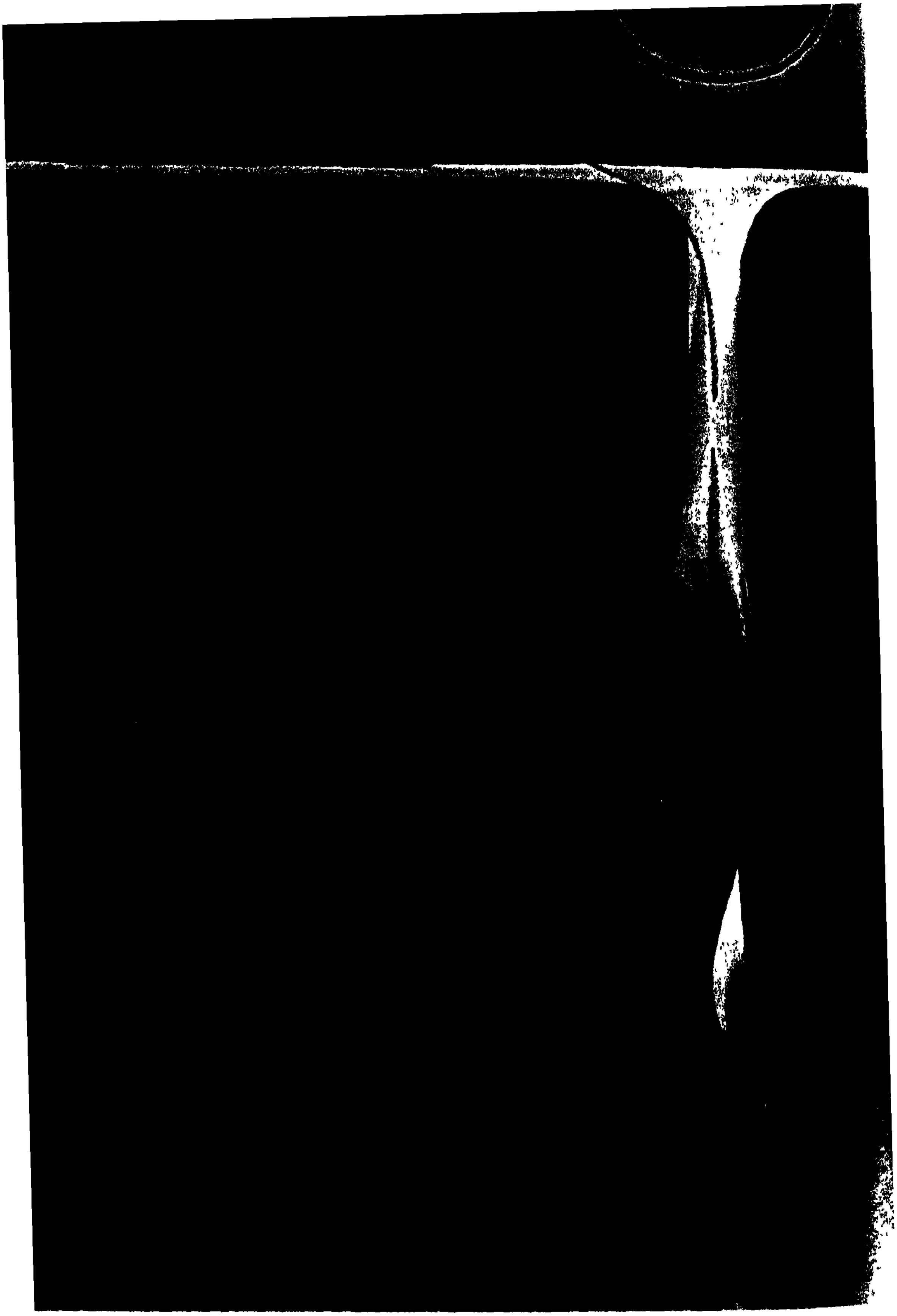
وقد تكررت هذه الظاهرة مع تكرار هذه المعارض المقامة ، وبالاضافة الى ذلك فان هناك عزوفا من الجمهور عن اقتناء الاعمال الفنية . ويضيف ان قلة الاهتمام بالفنون التشكيلية خاصة ترجع الى عوامل عدة منها النظرة الاجتماعية والموقف الديني ثم عدم وجود الوعي الفني عند الناس .



(تكوين) لوحة للفنان العراقى غازى السعودى وقد فازت هذه اللوحة بجائزة الشراع الذهبى (الى اعلا) ٠



فى جناح الكويت امام لوحة الفنان جعفر دشتى (من وحى الفن الشعبى) وقد فازت هذه اللوحة بجائزة الشراع الذهبى



(الصراع) لوحة للفنان الكويتي محمود الرضوان وهذه اللوحة
فازت بجائزة الشراع الذهبي في معرض الفنانين التشكيليين السادس .

فبالنسبة للعامل الاجتماعي فالمعروف ان الانسان في الكويت صارع في سبيل الرزق وطرقه عبر ابواب متعددة اهمها طريق البحر غوصا على اللؤلؤ ، والتجارة ثم رعي الابل والاغنام وهاتان الحرفتان تتصفان بعدم الاستقرار . ومن كان من عادته الانتقال سعيا وراء الرزق بالمشقة التي عانى منها الانسان الكويتي ، قد يصعب عليه نقل واقتناء اشياء كثيرة قد يعتبرها ترفا

وبالنسبة للموقف الديني ، فلا يزال مجتمع الكويت



حفل المعرض بمجموعة كبيرة من اللوحات التى امتازت بخطوطها الحديثة أو ما تسمى بالمدرسة الحديثة والصورة نقاش هادىء حول بعض هذه الخطوط .

محافظ متأثرا بالدعوات التي تصنف الفنون التشكيلية جانب التحريم ، وفي مقدمتها التماثيل والتصوير .

والتوعيه الفنية

ويشكو الفنان عدنان حسين من غياب التوعية الفنية في كافة وسائل الاعلام لان الاعداد لاي عمل يلزم له توعية واعلام يهيىء الناس لتقبل على هذه الاعمال فالاتصال المباشر وغير المباشر لها تأثيرها الفعال لانجاح مثل هذه المعارض وكذلك تقييم الاعمال من جانب المتخصصين ، وذلك لتوضيح معالم هذه المعرفة بين الناس

ومع ذلك فان معرض الفنانين التشكيليين السادس لم يخل من التجارب التي استفادت من معطيات التراث ضمن رؤى ابتكارية فيها الكثير من الحداثة ومحاولات الخروج من الايحاءات المباشرة بهدف تحقيق شخصية عربية واضحة ، ونخص بالذكر تجارب كريم ساتي وميلود الابيض من المغرب وابراهيم الغرابي من تونس وفضل زيادة من لبنان وصالح التراكي وسيف الدين اللعوته من السودان .

ولتقييم اعمال الفنانين العرب ، شكلت لجنة من الاساتذة : اسماعيل الشيخلي نائب نقيب الفنانين العراقيين وكاظم حيدر امين عام الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب والدكتور حسن كمال محافظ متحف الفن الحديث بدمشق وسعيد خطاب عميد المعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت ومحمود رضوان رئيس مجلس ادارة الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية وقدمت لكل الاعمال الفنية الممتازة جائزة الشراع الذهبي وشهادات تقدير للاعمال المتميزة .

ومنحت لجنة التحكيم عشرة جوائز من فئة الشراع الذهبي الى الاعمال التالية : لوحة للفنان البحريني عبد الحميد احمد سعيد بعنوان (بدون كلام) ولوحة (تكوين) للفنان العراقي غازي السعودي ولوحة (شهادة مناضل) للفنان العراقي هاشم جوزي ولوحة (حركة متتالية) للفنان العراقي سالم الدباغ ولوحة (الصمود والمقاومة) للفنان الفلسطيني محمد بشناق ، ولوحة (الصراع) للفنان الكويتي عبد الرضا باقر ولوحة (الطبيعة) للفنان الكويتي سالم الخرجي ولوحة(من وحي الفن الشعبي) للفنان الكويتي جعفر دشتي ولوحة للفنان المغربي محمد القاسمي .

١٨ لوحة فازت

كما فازت ١٨ لوحة اخرى بشهادة تقدير وهي (كتابة على ابيض) للفنان التونسي نجا المهداوي ، ولوحة (عبد الله) للفنان السعودي محمد موسى السليم ، لوحة (الكابوس) للفنان السوداني حسن محمد نور ، لوحة (تكوين) للفنان السوري نصير شودي ، لوحة (بعد الحصاد) للفنان السوري فاتح المدرس ، لوحة (سنقاتل) للفنان العراقي عزام البزاز لوحة (ميلاد تل الزعتر) للفنان الفلسطيني عبد الهادي شلا ، لوحة (الانتظار) للفنان الفلسطيني جمال غربية لوحة (تركيب حروف) للفنان القطري يوسف احمد ، لوحة (من وحي القرآن) للفنان الكويتي عبد الرسول سلمان ، لوحة (من وحي الكويت القديمة) للفنان الكويتي يوسف القطامي ، لوحة (منظر من البقاع) للفنان اللبناني محمود امهتر ، لوحة (قرية جيعدين) للفنان اللبناني محمد قدورة ، ولوحتان للفنانين المغربيين كريم بناني وميلود ابيض . ■■

الكويت ـ صادق يلي





(الانتظار) لوحة للفنان الفلسطيني جمال غربية (بالصفحة المقابلة) ، و (على الطريق خلف قلعة تعز) .. لوحة زيتية من الجمهورية العربية اليمنية للفنان اليمني عبد الجبار احمد نعمان (الى اليمين)، و (شهادة مناضل) للفنان العراقي هاشم جوزي وقد فازت هذه اللوحة بجائزة الشراع الذهبي (الى اسفل).



رؤية جديدة للعالم العربى

روّاد فيلم "الرسالة" شاهدوا أضعافهم فيلم "عنتيبي" وكتب الأطفال لا تزال تمجّد الحملات الصليبية على العرب !

بقلم : روز مارى صايغ

خدمت المواقف السياسية المعادية للعروبة فى الغرب ، المصالح المتضاربة للدول المختلفة ، ولكن هذه المواقف كان لها دائما عنصران مؤثران في الرأى العام الاوروبى الامريكى هما : اللامبالاة والعداء .. وحتى وقت قريب كان على العرب المقيمين في الغرب أن يواجهوا ما يذكرهم يوميا بأن حضارتهم غير معروفة على أحسن الفروض ، أو هى محل احتقار على أسوأ هذه الفروض ! وتراوحت التجارب المؤلمة التي مروا بها بين الصعوبات التي يواجهونها في سبيل العثور على سكن ، والنكات التي يسمعونها عن الخيام والابل ، ورسوم الكاريكاتير العنصرية ، والتحيز في التلفزيون والصحف ، الى جانب افتقار كامل تقريبا للكتب الجيدة أو الافلام عن العالم العربى . وشبه استحالة أمام نشر مقالات للكتاب العربى (الا اذا دفعوا الثمن !) .

حتى اليوم . وبعد أن تغيرت المظاهر السطحية لهذا الموقف الى الاحسن ، ومع استخدام محلات هارودز وسيلفريجز للغة العربية فى اساليب الاعلان للجمهور . نجد أن الزائر فى لندن يشعر بالصدمة نتيجة ضآلة الساحة التى تخصص للكتب عن الشرق الاوسط بعكس الكتب عن افريقيا والشرق الاقصى وامريكا اللاتينية . وهو امر ملحوظ فى محال بيع الكتب ، اكثر من اى مكان اخر ، مثل مكتبة ديلون ومكتبة كوليت ، مخازن الزاد الفكرى للطلبة والمتخصصين . ووسائل الاعلام ما زالت هى الاخرى تترك المجال لاظهار تعزها ، كما حدث فى العنوان الرئيسى و



« المانشيت » في صحيفة « ايفنج ستاندارد في صيف عام ١٩٧٦ ، الذى اعلنت فيه على عرض الصفحة « العرب أسوأ المذنبين في حوادث السرقة من المحال التجارية » • فقط كان القراء الباحثون عن الحقيقة هم وحدهم الذين ادركوا بعد قراءتهم نص الخبر ، ان النسبة الكبيرة من هؤلاء المتهمين بالسرقة من غير العالم العربى !

سكتت الاوركسترا •• ولكن !

وسمع العرب الذين يمارسون عملهم المهنى في العلاقات العامة يتحدثون عن مدى التغيير الذى طرا على الراى العام في الغرب منذ حرب الايام الستة •• وهو حدث تسمعه كثيرا كلما كانت هناك مناسبة• حقيقة ان « الاوركسترا » غير العادية للتحيز المتعصب التي سمعناها وقتها لم تتكرر منذ ذلك التاريخ ، ولكنها ايضا لم تظهر قط بهذا الوضوح قبل • فالمفاجاة الدراماتيكية لحرب يونيو قد فكت القيود الدبلوماسية العادية التى كانت تسيطر على اسلوب التعامل ، واتاحت الفرصة لالقاء نظرة خاطفة على شخصية الغرب المعادية للعروبة •ومنذ ذلك الوقت عادت الدبلوماسية تفرض نفسها من جديد . يدعمها الخوف من فرض حظر على تصدير البترول للغرب • لا بترول العرب فحسب ، ولكن الغرب بدا يرى بوضوح أن راس المال العربى والسوق العربية ، عاملان أساسيان لدعم اقتصاد «العالم الحر» • وفى ذات الوقت ادركت الحكومات العربية الاهمية الساسية لتحسين صورتها في الغرب . فاتجهت هى الاخرى الى استخدام المتخصصين في العلاقات العامة ، والتاثير على المشرعين في أروقة البرلمانات ، ودفع الاموال للمجلات ، وتمويل الحوار الاسلامى ـ المسيحى • وكلها اجراءات اتت بنتيجة عكسية . فهى تساهم في دعم اقتصاديات الدول المتعاطفة مع اسرائيل والمعادية للعرب •

وحتى بعد محاولات محطة الاذاعة البريطانية الان . لايجاد توازن بين تعليقاتها الممالئة لاسرائيل وتلك الممالئة للعرب ، اثر الانتهاء من اذاعة نشرة الاخبار (ولو ان هذا لا يعني اكثر من وضع مايلز كوبلاند(١) ضد مايكل الكنز)٠ وحتى ايضا بعد ان كان هناك مهرجان للعالم الاسلامي ، وبعد قيام المسجد ذي القبة الذهبية في ريجنت بارك ، وحتى بعد ان وقف عدة الوف من الطوابير الطويلة امام دار السينما التي تعرض فيلم « الرسالة » ، وحتى بعد الزيادة الملحوظة في عدد الكتب العربية الجيدة التي تتحدث عن حياة العرب وثقافتهم ٠٠ حتى بعد هذا كله فاننا نجد اننا نرتكب خطأ كبيرا اذا بالغنا في تقدير درجة التغيير في المشاعر تجاه العرب ، او زدنا من عمقها ٠

فكثيرون ذهبوا لرؤية « الرسالة » ، ولكن اكثر منهم بكثير ذهبوا لرؤية « الإغارة على عنتيبي » الذي يمجد اسرائيل ورجالها ودورهم في فك أسر طائرة العال المخطوفة ٠ هناك حقيقة اهتمام اكبر بالحضارة العربية الاسلامية، ولكن على مستوى الثقافة الجماهيرية . نجد ان العالم العربي ما زال ستارا خلفيا لترويج الكتب الرخيصة عن الجنس في المطارات ، والكتب التي تتحدث عن المؤامرات السياسية وعن تهريب المخدرات ، حيث العرب الوحيدون هم صور لاشرار على ورق من الكرتون٠ فهنا لم تتغير الامور على الاطلاق عما كانت عليه في « برج بابل » لموريس وست ٠ وربما كان الامر الاكثر خطورة أن نجد الكتب المدرسية للاطفال غير وافية في معظم البلدان الغربية ، الى جانب كونها غير دقيقة ومنحازة في الموضوعات الخاصة بالاسلام والعرب ٠ وفي نصوص كتب التاريخ التي تدرس في مدارس الحكومة الانجليزية ، نجد أن التعرض للعملات الصليبية ما زال مسئولا عن تصور الاطفال لها بانها كانت حربا للخير ضد الشر !

عرفات والعرب : كتابان !

ولعل اكثر هذه الكتابات الما ضد العرب ، ما صدر اخيرا في كتابين الاول بعنوان «ياسر عرفات» والثاني «العرب» لكاتب يدعى كيرنان وقد عرض الكتابان في اماكن بارزة في دور الكتب بلندن وبيروت وفي الاماكن المخصصة لعرض الكتب الجديدة في المطارات في مختلف انحاء الشرق الاوسط ، وهو امر مستغرب وخاصة اذا كان المؤلف والناشر غير معروفين ٠ ويزعم مؤلف الكتابين ان ترجمة حياة عرفات مستقاة اساسا منه هو شخصيا ، ومن الناس الذين يعرفونه ويتهم المؤلف ياسر عرفات بالقذر واحط الاتهامات !

ويعتقد احد الرسميين الثقاة في « وفا » وكالة الانباء الفلسطينية في بيروت ان « كيرنان » هذا ليس في حقيقة الامر سوى شخصية خيالية من ابتكار وكالة المخابرات المركزية ٠ وان كتبه ما هي الا جزء من حرب المناورات الفكرية ٠

اما الكتاب الثاني « العرب » ، لنفس هذا المؤلف ، فلعله في بعض النواحي اشد الما من عرفات ، اذ يزعم الكاتب « كيرنان » في مقدمة كتابه ان مكتب الاعلام العربي في نيويورك هو الذي وجه اليه الدعوة للقيام بالرحلة التي جمع فيها مادة كتابه ٠ ويبدأ الفصل الاول من الكتاب برواية « شاهد عيان » ٠ وهي رواية مختلفة للاغارة الاسرائيلية على معسكر اللاجئين في النبطية بجنوب لبنان في شهر مايو من عام ١٩٧٤. يروي فيها المؤلف قصة رجل عجوز وقف يسحق بقدمه رأس طفلة صغيرة من أجل اثارة اهتمام احد الاطباء بعقيده الجريح !

من حقنا المشروع ان نتساءل ، ونحن نرى هذه التيارات الثقافية الخفية التي تتسم بعنف غير عادي ، بهدف توسيع شقة الخلافات السياسية والاقتصادية بين العرب والعالم الغربي حول مسائل بالغة الاهمية بالنسبة لمستقبل الشعوب العربية٠٠ من حقنا ان نتساءل : « ما هو الدور الذي قام به المستشرقون والمهتمون بالشئون العربية في هذا الصراع » ؟ بل ما هو الموقف الذي يمكن ان يعلنوه ازاء المنطقة والشعوب التي اعترفت بمركزهم

(١) مايلز كوبلاند كان يعمل لحساب وكالة المخابرات المركزية ، وعاش في الشرق الاوسط وهو صاحب كتاب « لعبة الامم »٠ أما مايكل الكنز فهو صهيوني، وهو مراسل محطة الاذاعة البريطانية في القدس المحتلة ٠

الاكاديمي ؟ ولكننا لا نكاد نفعل ، حتى نفاجأ بهذا العدد الضئيل من الشخصيات التي لعبت دورا مؤثرا حقيقة ، وبالعدد الكبير الذى وقف موقفا معاديا من العالم العربي الحديث •

وقد كان هذا الفريق الاخير ، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية ، هو الذى هيمن على تكوين الفكر في مراكز دراسات الشرق الاوسط ، وهو تطور يرتبط ارتباطا وثيقا بالادراك الامريكي المتزايد لضخامة حجم مصالح « العالم الحر » في الشرق الاوسط • فقد استثمرت مبالغ طائلة في هذه البرامج التدريبية ، مما يؤكد فعاليتها السياسية عمليا •

مطلب حيوى

وهكذا نرى ان الربط الوثيق بين الثقافة والسياسة، حيث تكون الثقافة أحد الاسلحة العديدة التي تستخدم لضمان قيام « توازن » معين في الشرق الاوسط ، يتطلب من الشعوب العربية أو من حلفائها — وهو مطلب حيوى — أن ينسقوا عملهم على المستويين من أجل الدفاع عن استقلالهم•

وهذا لن يتحقق عن طريق النشاط في الاحداث الثقافية في المناسبات ، ولا عن طريق المجلات ذات الطباعة الفاخرة التي تصدرها ادارات العلاقات العامة . ولا عن طريق تقديم حفنة من المنح الدراسية للطلبة في الجامعات الغربية ، فلا شيء من هذا كله سوف يكون له اى أثر بعيد المدى على العملة المعادية للعرب في البلدان الغربية • ذلك لان المسالة ليست مجرد جهل أو تحيز بحيث يمكن تغييرها بفضل توافر النوايا الطيبة — كما حدث اخيرا في حالة الصين — ولكن لان العرب لابد لهم أيضا وأن يضعوا في اعتبارهم سلطة الحكومات في التاثير على الراى العام - الذى يعوز العرب في رأيي هو مؤسسات ثقافية داخل نطاق النظام الثقافي الغربي •• مؤسسات تستطيع أن تاخذ على عاتقها مهمة النقد المدعم وتعرية الغرب في الوقت ذاته • ولهذا كان هناك اهمية بالغة لقيام مؤسستين جديدتين للنشر ، مؤسسة « ايثاكا » Ithaca في المملكة المتحدة ، ومؤسسة «مريب» Merip . للابحاث والمعلومات الخاصة بالشرق الاوسط في الولايات المتحدة الامريكية •

أما مؤسسة ايثاكا للصحافة . وهى نتاج لجيل جديد من الدارسين في الشرق الاوسط ، وبينهم عدد كبير من أصل عربي ، فقد اكتسبت شهرة منذ بدايتها بفضل سلسلة من الكتب الجريئة التي تبحث في القضية الفلسطينية •

وعن طريق الاتصالات التي قامت بين مؤسسة ايثاكا للصحافة وبين روجر أوين بكلية سانت انتونى باكسفورد ، وطلال أسد بجامعة هل، صدرت مجلة Review of middle east studies او « عرض لدراسات الشرق الاوسط » التي استطاعت ان تقف متحدية بنجاح المستشرقين المعترف بهم . كما نجحت في الوقت نفسه في كسر العزلة الراكدة للدراسات الخاصة بالشرق الاوسط في بريطانيا ، عن طريق اتاحة الفرصة للاستماع الى أصوات الدارسين الشبان •

ومن بين كتب النقد الرائعة التي صدرت عن هيئة دراسات الشرق الاوسط . كتاب « القرى العربية على الحدود في اسرائيل » لطلال أسد ، «والافغاني ومحمد عبده» لقدورى، و «جيب وباون» لروجر اوين . و « الاسلام والرأسمالية » لرودينسون ، وكتاب بيتر جران عن روايات مقبولة للتاريخ الاسلامى في القرون الوسطى •

وتقوم مؤسسة « ايثاكا » بطباعة ونشر الدراسات العلمية عن الشرق الاوسط لكلية سانت انتونى ، وكذلك الدراسات الشرقية في جامعة أكسفورد • وبعض هذه الدراسات ، ولو أنها لا تندرج تحتها « على مفترق الطرق الى الحرب الاهلية . لبنان بين ١٩٥٨ و ١٩٧٦ » للكاتب كمال صليبى ، وهو كتاب جدير بالاهتمام • وكانت المملكة العربية السعودية، التي لم تكن محل دراسة كافية اذا قورنت ببقية الدول العربية ، موضع تحليل اقتصادى للكاتبة هيلين لاكنر في كتابها « بيت شيد فوق الرمال » • وهناك دراستان نافعتان مترابطتان لسمير رضوان في كتابه « تكوين رأس المال في الصناعة والزراعة المصرية ١٨٨٢ — ١٩٦٧ »ثم كتاب بيتر سلاجليت «بريطانيا في العراق ١٩١٤ — ١٩٣٢ » الذى جمعه مؤلفه من واقع المعلومات السرية التي أزيح الستار عنها مؤخرا •

وقد بدا استعداد « ايثاكا » لتنويع نشاطها داخل نطاق الرؤية الواضحة للشرق الاوسط ، جليا منذ صدور مجلتها الثانية « جازيل ريفيو »

Gazelle Review • وكما يبدو من اسمها ، فاننا نجد انهـا اخف واكثر جمـالا وفنا من شقيقتها الكبرى « عرض لدراسات الشرق الاوسط » كما انها تتناول على نطـاق أوسع الكتب الجـديدة ، والفـن والشعر والمذكرات والرحـلات والبترول والديلوماسية وقد تميز رئيس تحريرها روجـر هـاردى ، ببراعتـه فى اختيـار النقـاد من ذوى التطلعات المختلفـة بالنسبة للمستقبل ، حتى لا تبدو « جازيل » ابدا كما لو كانت مجرد نـدوة « لاسرة الشرق الاوسط » يتبادل خلالها افـراد الاسرة المجاملات ! فقد يحدث من آن لاخر ان ينجح كاتب فى نطاق الحيز الصغير المتاح له ، ان يترك الرا لا ينسى ، كما حدث مثلا فى العرض الـذى قدمه ابو لغد لكتاب محمد سيد احمد « بعـد ان سكتت المدافع » •

وبالنسبة لمؤسسة صغيرة تقوم وسط الظروف المشوشة للطباعة فى بريطانيا ، نجد ان مطبوعاتها بالرغم من ذلك تـوزع بصـورة طيبـة ، ويمكن العثـور عليها فى معظم المكتبـات التى تغـذى الدارسين • لقد ازداد احساس الصحف بها خلال الفترة الوجيزة من قيامها ، ولا شك انها قد تركت الان اثرها على كليات الدراسات الخاصة بالشرق الاوسط فى المملكة المتحدة •• نواة جديدة لتكوين موقف اكثر شمولا •

تقييم لمعارضة الشاه

ومريب تختلف عن ايثاكا فى اوجه عدة ، رغم اشتراكهما فى التركيز على الشرق الاوسط • وهى تصدر نشرة دورية واحدة « تقارير مريب » ، وتحتل مكانها وسط صور قمرئية للرسائل الراديكالية التى اخـذت مكانها من حـركة الاحتجـاج على الاستمرار فى حرب فيتنام • وبعض هذه التقارير، « ناكلا ومريب » ، Nacla and merip ، ولدى الملم جيد بهما ، يركزان اهتمامهما على منـاطق معينة فى العالم الثالث معرضين سياسات الولايات المتحدة لحملات النقد والتعرية • انهما ظاهـرة جديدة على المسرح الامريكى، حيث كانت الحكومات حتى عهد قريب تعتمـد على عدم المبالاة التـام بالسياسة الخارجية • وعلى العكس تمامـا من المجـلات الدورية المتخصصـة فى شئـون الشرق الاوسط ، والتى كانت تصـدر قبل عام ١٩٦٧ مثل « ميدل ايست جورنال » M.E. Journal او مجلة الشرق الاوسط ، لم تحاول « مريب » ان تلعب على « الحبـلين » فى النـزاع العـربى الاسرائيلى بل اتخـذت باصرار موقفـا ممالئـا للفلسطينيين معلنة فى الوقت نفسه ان اسرائيل اداة للسياسة الامريكية فى الشرق الاوسط •

وهذه التقارير تصدر عدة مرات فى العـام ، وهى تتكون منمقالين او ثلاثة مقالات وافية شاملة، تتناول فى العادة التطورات السياسية الجارية ، وكثيرا ما تاتى هذه المقالات فى صورة احاديث ومقابلات مع شخصيات تعيش فى مسرح الاحداث • وتضفى هذه الاحاديث على المقـالات وضوحـا يعادله ذلك العمق الواقعى للتحليل السياسى الذى تتميز به • و « مريب » لا تحاول ان تقف موقف الحياد من الاحداث السياسية ، وهى تختلف فى ذلك عن هذا العدد الكبير من المجلات الاخبارية التى تصدر الان بالانجليزية عن الشرق الاوسط واذكر منها البعض القليل مثل الحوادث والنهار وميدل ايست « اى الشرق الاوسط » وافضل ما يمكن ان يوصف به اتجاه هذه المجـلات التى تصدرها مجموعة تعاونية ، هو اليسار الامريكى الجديد •• ماركسى ولكنه ضد شيوعية الدولة • وتكمن قوتها فى تحليلاتها ذات المدى البعيد التى تقوم على أساس نظرة فاحصة للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية •

وقد حدث مثلا وقبل التغييرات التى وقعت اخيرا فى ايران بوقت طويل ان نشرت « مريب » فىعددها رقم ٤٠ الصادر فى سبتمبر من عـام ١٩٧٥ ، تقييما لاسباب المعارضة الاساسية للشاه ، تنبات فيه بانفجار المعارضة ضده •

وبينما هى مجلة سياسية قبل كل شىء ، الا ان المقالات التى تحويها تتضمن معلومات اجتماعيـة وثقافيـة مفيدة ، وكذلك مقـالات فى الطب ، والاستعمار ، وشبكة الدراسات الخاصة بالشرق الاوسط ، واستراتيجيات بعث الحياة فى العرب داخل اسرائيل ، ومركز المراة العربية ، والعاملين العرب فى الولايات المتحدة ، والسينما العربية • كما تحوى المجلة ايضا قسما صغيرا لعرض الكتب الجديدة ، ولكنها تبقى بعد هذا كله مجلة سياسية اكثر منها ادبية ، وبذلك تختلف عنبقية المطبوعات الاخرى التى تصدر حاليا عن الشرق الاوسط •

الناشرون الاخرون يرقبون

ان هاتين المؤسستين للنشر اللتين تحدثنا عنهما ركزان اهتمامهما على الشرق الاوسط ولو ان عددا كبيرا من الناشرين فى المملكة المتحدة بداوا يتوسعون فى اقسامهم الخاصة بالشرق الاوسط ، لقد ادركت مؤسستا لونجمان Longman وماكميلان Macmillan منذ فترة من الوقت زيادة الاقبال فى السوق العربية على الكتب التى تصدر بالانجليزية عن الشرق الاوسط ، غير أن مؤسسة جديدة للنشر هى « كروم آندهيلم » (٢) Croom and helm ، اصبح لديها الان ما يمكن ان يوصف بانه اقوى قائمة باسماء الكتب العربية بين دور النشر فى المملكة المتحدة ، ولكن حتى الان لم نر هذا الاتساع الذى يبشر بالخير، ينتقل من بريطانيا الى الولايات المتحدة ، حيث لا تزال الكتب عن الشرق الاوسط تغذى القراء المتاثرين بالصهيونية بصورة اساسية . وهناك ناشر انجليزى آخر مهتم بالعالم العربى وهو « كوارتت » Quartet وسوف يصدر قريبا كتابا مصورا عن الفلسطينيين للمذيع الانجليزى جوناثان ديمبلباى Jonathan Dimbleby ، اما الصور ، فهى للمصور العربى المشهود له بالبراعة دون ماكلين , Dou Mccullin

وهناك دار نشر جديدة صغيرة أخرى هى « زيد » Zed وهى اكثر جدية فى نظرتها الى الشرق الاوسط . وتختلف « زيد » عن بقية دور النشر الغربية الراديكالية ، بتركيز اهتمامها على دول العالم الثالث دون غيرها ، الى جانب اصدارها سلسلة من الكتب عن الاستعمار وآسيا والمراة فى العالم الثالث وافريقيا والشرق الاوسط. وقد نحت دار النشر « زيد » هذا النحو نتيجة لوعيها السياسى فى محاولة لتحطيم العزلة التى تفصل بين مركز الاستعمار والاطراف التى انتهى عندها ، وكذلك مع مناطق العالم الثالث . وتهدف « زيد » بناء على تقديرها القائم على اساس اننا نعيش فترة تتسم بالتطورات السياسية السريعة والارتباطات النظرية ، اى المساهمة فى الناحيتين : « الحوار النظرى ، والصراع السياسى الفعلى » .

وبين الكتب التى اصدرتها : « الامة العربية » لسمير امين و « ثروة بعض الامم » لماكولم كالدويل، و « امريكا .. السجل الامبريالى » لفيكتور كيرنان، ودراسة ليورى دافيز عن « الاسر الحاكمة » فى اسرائيل بعنوان « اسرائيل ويتوبيا او المدينة الفاضلة شركة متحدة ! » كما ستصدر « زيد » قريبا « بنجلاديش » « الثورة التى لم تنته » وهو يحتوى على البيان الاخير للبطل الثورى طاهر ، وكذلك كتابا آخر عن تاريخ طبقة الفلاحين الفلسطينيين بعنوان « الفلسطينيون من فلاحين الى لورين » ويقوم باعداد الكتابين صاحبة هذا المقال ثم « الوجه العارى للمراة » للدكتور الصيداوى. ■■

لندن ـ روز مارى صايغ

---

(٢) تشمل قائمة كتب مؤسسة «كروم آند هيلم» بعد أن سكتت المدافع لمحمد سيد أحمد والتصاديات العالم العربى ليوسف صايغ ، وكذلك العوامل الحاسمة للتنمية الاقتصادية العربية لنفس المؤلف.

الايجار والكهرباء

وجد (والتر) بعد بحث مضن غرفة للسكن ، واثناء حديثه مع صاحبة البيت عن قيمة الايجار قال لها : ستصلنى بين فترة واخرى رسائل معنونة باسم (ورنر فينر) وهو اسمى المستعار لانى كاتب روايات .
نظرت اليه صاحبة البيت بحيرة وقلق وقالت له : ولكنى أمل الا تستهلك كثيرا من الكهرباء !

جنرال انزايفر / بون



اهـــل التصـــوف قد مضوا
صـــار التصـــوف مخرقة !
« الجنيد »

الصوفيون في المغرب

بقلم : عبد العزيز بنعبد الله ✻

التصوف المغربي قطعة حية من التصوف الاسلامي العربي لما تركته نظريات الصوفية المغاربة من آثار عميقة في الفكرة الصوفية الشرقية .

وتاريخ الحركة الصوفية جزء من تاريخنا العام الذي لا يشمـل الجانـب السياسي والاقتصـادي والاجتماعـي فحسب بل يتجاوزه الى الجانب الثقافي والروحي . على أن التصوف المغربي كان له كبير أثر في توجيه وتلوين جميع مرافق الحياة بحيث انتشرت شذراته في مصنفات لم يكن من المنتظر أن تحفل به . فانـك تجد اخبـار الصوفية وحياة الزهاد ووصف الحركات الطرقية التـي قامت في المغرب في وقت مبكر ـ مبعثرة في كتب التاريخ والتراجم والمناقب والفهارس والرحلات ، بل حتى كتب الفقـه مثـل « شرح ميارة على المرشـد » و « معيار الونشريسي » الذي تحوي اجزاؤه نتفا متناثرة لو نسقت لتحصلت منها مجموعة لا بأس بها في وصف التيارات المتعاكسة التي خلفها انبثق الطرقية في المغرب .

ويغلب على ظننا أن الحركة الصوفية كانت أنشط في الجبل (لا سيا الريف) والقرى منها في الحواضر . اللهم الا بعض مدن الساحل التـي كانـت مهبطـا لصـوفية

✻ الاستاذ بجامعتي القرويين و محمد الخامس ومدير مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي .

...س كسبتة وأسفي وسلا أو مدن داخلية كمراكش ... ظرا لاشعاعها الثقافي الذى تنجذب له النفوس .. ... يكن فان أولى التراجم الصوفية اما حظيت بهـا ... اشر » البادية ككتاب « المقصد الشريف والمنـزع ... طيف في دكر صلحاء الريف » لعبد الحق البادسي (في ... الثامن) و « المعـرى في ترجمـة أبـي يعـزي » ... حمد العيس » لابن تحـلات في مناقـب الأخـوين ... ه مير ين اللذين عاشا ردحا طويلا في أغمات ثم حظى ... سوسه المدن بكتب منها « المنهاج الواضح » في ترجمة ... ي محمد صالح (المتوفى عام ٦٣١) تلميد أبي مدين ... غوث ' ومدينة اسفي نفسها انما بنيت حول ضرح ابي محمد صالح كما قامت مدينة زرهـون حول الضريح الادريسي بعد بناء المولى اسماعيل لهذا الضريح عام ١١٠. هـ وتاسيسه جامع الخطبة الكبير المتصل بالضريح وكدلك ورات « والسلسل العـدب الأحلى في صلحـاء ... س ومكناسة وسلا » لمحمد الحضرمي الذي صنعه في القرن الثامن وكدلك « الموكب الوقاد فيمن حل سبتة من لعلماء والصلحاء والعباد »

اقدم الرباطات

ولعل من اقدم الرباطات المغربية رباط واجاج بن ... لو اللمطي السوسي الذي كان يسمى « دار المرابطين » وقد اتخذ مجمعا لطلبة العلم وقراء القرآن حسبما ورد في التشوف (ص ٣٦) الذي نجد من بين رجاله الصوفية كثيرا من « المعلمين » المنقطعين لتعليم كتاب الله . وهذا مظهر ثان لنوع ما كان يشتغل به الصـوفية اذ ذاك . وسنرى فيما بعد كيف تطورت الفكرة الصوفية فانضافت الى التعبد بالقرآن تعبدات بالأدعية والأذكار .

وكان هناك نوعان [١] من الرباطـات : ربـاط من ... طراز الذي أشرنا اليه وكان يشمل المدن بكاملها كرباط ... سة ورباط قيط ورباط من نوع أخر هو عبارة عن ... حلة » يرابط فيها المجاهـدون وقـد روى أن الضفـة اليسرى لمصب أبي رقراق كان يرابط فيها نحو من مائة ألف من الغزاة الذين كانوا يتطوعون لمقاومة النحلـة البرغواطية

وبين هده وتلك الرابطة التي ابتناها عبـد الله بن ياسين في جزيرة قرب السـاحل ، وتبتل فيها ثلاثة أشهر مع نفر من كدالة في مقدمتهم يحيى بن ابراهيم أمـير صنهاجة وقد توارد الناس على هذا الرباط حتى بلغ عدد المرابطين ألفا من أشرف صنهاجة كانوا النواة التي قامت بتأسيس الدولة المرابطية فكانت هده هي الدولة الثالثة التي قامت في المغرب على أسـاس فكرة مذهبية بعـد الدولـة المدرارية في سجلماسـة والدولـة الادريسية في الشمال وقد فسح استعداد المغاربة الروحي المجال لدعاة المهدويه مثل محمد بن تومرت الذي أسس دولة الموحدين والعبيدي الذي قام بعده في حبل ورغة من أحواز فاس حيث تبعه كثير من قبائل المغرب أول عام ٦٠٠ هـ

وكانت نفس الحركة ملحوظة كذلك في الاندلس أيام المرابطـين حيث ذكر صاحـب « لسـان الميزان » (ج ١ ص ٢٤٧) أن أحمد بن قسي ابتنى مسجـدا في بعض قرى شلب (البرتغال) وتحدث بالأباطيل ، كما ادعـى النبوة ابراهيم الفزاري الساحر .

وقـد تسربـت الى المغرب من الانـدلس الطائفـة المسرية التي لم ينتشر نفوذها لقيام العلماء بنقضه وفي طليعتهم الامام ابن حزم الذي لا نعرف نظريات ابـن مسرة الا من خلال انتقاداته . وهذه الطائفة وان كانت لا تتسم بالطابع الطرقي الا أنها من المذاهب التي ارتكز انتحالها على مذهـب صوفي أساسـه التـأويل الرمـزي للقرآن ، على طريق الاسماعيلية التي لعبت دورا كبيرا في تبلور الفكرة الصوفية في الاسلام ... ومنها الطائفة الاندلسـية التي أسسها محـمد الانـدلسي نزيل مراكش وكان رجلا مولعا بالطب والكيمياء فسب الأئمة وأفتـى فقهاء مراكش الحمـراء بتضليلـه وزج به السلطـان في غياهب السجن .

---

(١) عدد الربط والزوايا في سبتة سبع وأربعون محاذية للبحر داخل المدينة والأرباض (اختصار الأخبار لمحمد بن القاسم ... ساري Hesperis م ١٢ عام ١٩٣١ ص ١٥٥) .

كانوا معلمين ومدربين

وقد ظل المغرب خلال العصور الأولى بعيدا عن الطوائف الضالة وعن النظريات الشاذة التي كانت تعصف اذ ذاك بالشرق . وقد شهد أبو بكر الطرطوشي الذي صنف كتابا في البدع والمحدثات في رسالة وجهها من الاسكندرية الى سلطان المغرب أن أهل المغرب هم المشار اليهم في الحديث الشريف « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق » ((هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والأحداث في الدين)) .

فنحن لا نكاد نجد أثر بدعة جافية في ربوع المغرب قبل القرن السادس ولا يمكن أن نعثر فيما صنف خلال القرون الأولى كالتشوف على اشارة الى شذوذ عند الصوفية أو صدور دعاوى نابية عنهم ، لأن التصوف كان اذ ذاك مطبوعا بالبساطة ولم يكن الصوفية يختلفون عن بقية الناس الا بكثرة العبادة وتلاوة القرآن وسرد المأثور من الأدعية وكانت الأذكار نفسها مقتبسة من الآثار الواردة في القرآن . من ذلك بعض الأحزاب لا سيما أحزاب الشاذلي التي تتألف مطالعها من سلسلة آيات . ولم يكن لبس الخرقة والمرقعة صفة لازمة للصوفي المغربي الا اذا جاء ذلك عفوا عن طريق الزهادة في متع الدنيا . وكانت الرباطات عبارة عن مجامع لقراء العلم وتلاوة القرآن والجهاد لهذا طالعت تشوف ابن الزيات وجدت أن كثيرا من رجاله كانوا (معلمين) أو (مدربين) يعلمون القرآن للصبيان ! .

وكان الأمر على خلاف ذلك في الشرق حيث ترجع معظم المستحدثات الشاذة الى القرن الثالث كوحدة الوجود والحلول والتحدث بلسان الحقيقة المحمدية ، والايغال في لبس المرقعات واندساس الأدعياء في صفوف النزهاء . حتى كان القشيري ينشد اذا جلس اليه الصوفية أبياتا منها :

أما الخيام فانها كخيامهم
وأرى نساء الحي غير نسائها

ثم يقول أما الهيئات والمرقعات فمعروفة وأما القلوب فمنكرة ، وكان الجنيد ينشد :

أهل التصوف قد مضوا
صار التصوف مخرقة
صار التصوف ركوة
وسجادة ومذلقة

غير أن الفكرة الصوفية مالبثت أن تشعبت فتسرب اليها الانحراف والشذوذ بعد القرن الثامن الهجري على أثر انتشار الطريقة واندساس الأدعياء في الزوايا والرباطات ، فانتحل الكثير المذهب الصوفي لأغراض لاتمت الى الروح بصلة وأصبح التصوف عرضة للافتيات يستغله كل من يريد التوصل الى أغراض الدنيا عن طريق الشعوذة والتدليس على العوام والدهماء وتجردت الطرقية من شتى مظاهر الرواء والسمو والجاذبية والجمال .

وبدأت الفكرة الصوفية المغربية تتبلور منذ القرن الثامن محاطة بهالة من الشكليات المستحدثة . ومازال التراث الصوفي يتضخم ويتسع الى أواخر القرن الثاني عشر حيث اتضحت الخطوط واكتملت الرسوم والحدود بفضل ذلك النبع الفياض من التآليف التي ترجمت للصالحين ومناقبهم وطرائقهم .

والحقيقة أن التصوف بدأ يتدهور منذ أصبح في متناول العوام تلوكه ألسنتهم في غير هدى ولا اتزان ، ولن أضرب سوى مثل واحد وهو طريقة أبي محمد صالح دفين اسفي وتلميذ أبي مدين الغوث فقد كان اماما ذائع الصيت يرد عليه الصوفية حتى من مصر للأخذ عنه . وانتشرت طريقته خلال القرن السابع فكثر تلاميذه في الشام وبلاد الكنانة حتى مدحه البوصيري بقصيدة طويلة مطلعها :

قفا بي على الجرعاء من جانب الغرب
ففيها حبيب لي يهيم به قلبي

غير أن طريقته هذه التي كانت سنية المعالم مالبثت أن انحرفت بما دسه فيها الدخلاء والأدعياء وأصحاب الأغراض من الدجاجلة والملبسين .

وفي القرن الثامن ظهر ابن خلدون بكتابه « شفاء السائل » فرد الطريقة الى أصولها ، وحلل خصائص الصوفية الحقيقيين ليتميزوا عن الأدعياء .

الدخلاء والأدعياء

وفي القرن التاسع برز محتسب الصوفية الامام النقاد الشيخ زروق بكتابه « عدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت » . وقد علل انتشار المبتدعة والأدعياء بانتقاص الايمان والجهل بأصول الطريقة واعتقاد أن الشريعة خلاف الحقيقة (وهذا عنده من مبادىء الزندقة) وحب الرياسة مع الضعف عن أسبابها ، ثم أكد أن الصوفية الحقيقيين أنفسهم عرضة للخطأ وأن مقالاتهم يجب أن تعرض على الكتاب والسنة وأن الفقه والأصول شرطان في التصوف فلا تصوف الا بفقه .

وقد تعرض الى الأسس العلمية التي بنى عليها الطرقيون مددهم فذكر انهم قرروا مخالفة النفس بكل وجه ، وغلطوا في هذا الاطلاق لأن المقصود موافقة الحق بمخالفة النفس لا مجرد مخالفتها واستشهد بقول عمر بن عبد العزيز « اذا وافق الحق الهوى فذلك الشهد بالزبد » .

وأنهم تجردوا عن المعتادات بدلا من الانغماس بها وتغالوا في بعض المظاهر كتوفير ما تحت اللحية وأدخلوا على أنفسهم المشاق ، والأجر على الاتباع لا على قدر المشقة . وقد أشار الى الفتنة التي وقعت في الأندلس في القرن الثامن حول قضية اتخاذ المشايخ حتى تضارب الناس بالنعال وكتبوا الى البلدان الاسلامية يستفتون المؤلف ولا شك أن شبوب تلك الفتن كان نتيجة مباشرة لانحراف التصوف عن الجادة وتدخل العوام في دقائقه ، كما كان أبو المحاسن الفاسي ينهى عن ذلك مؤكدا أن كتب الحاتمي وابن الفارض « تسد على الناس باب الفتح » حسب تعبيره ، ويدعو الى الادمان على حكم ابن عطاء الله . والشعراني [2] نفسه كان ينهي مريديه عن قراءة كتب التصوف والتوحيد المطلق كمصنفات ابن عربي وغيره من « غلاة الصوفية » (البحر المورود ص ٢٧٤) وهذا لا يتنافى مع ما جاء في مقدمة اليواقيت والجواهر من الدعوة الى كتب ابن عربي فانه احترس هناك - كما يقول زكي مبارك - حين أقنع المريد بأن ما جاء في كتب ابن عربي مخالفا للشرع انما هو من وضع الدساسين .

كما حمل اليوسي في محاضراته حملة شعواء على أدعياء الطريقة ورسم لنا صورة عما انتهى اليه التصوف المغربي بسبب من الدس في حظيرته من مغرضين فقد قال . « كم تظاهر بالخير من لا خير فيه من مجنون أو معتوه أو موسوس أو طيس فيقع به الاغترار للجهلة الأغمار . وقد يشايعه من مثله من الحمقى ومن الفجار » (ص ٣٩) ومن أغرب ما حكاه اليوسي (ص ٤٠) أن رجلا ورد على سجلماسة واتسم بالصلاح فأقبل عليه الناس ثم تبين بعد أنه يهودي .

وكانت البادية المغربية أكثر في الابتداع وأشد انحرافا عن الروح الصوفية لغلبة السذاجة على أهلها الذين كانوا يبلغون في التبرك بآثار الصالحين حد الشذوذ .

وقد قدر للمعاني الصوفية الرقيقة أن تستهوي جميع أصناف المثقفين في مختلف العصور . ولكن كل طائفة نظرت الى أسرار التصوف من خلال مزاجها واللون الخاص الذي تكيفت به روحها في الحياة . وقد لاحظ ذلك زروق في قواعده (القاعدة رقم ٥٩) .

جهابذة الفنون

واذا استعرضنا تاريخ الثقافة المغربية وجدنا أن أقطاب التصوف كانوا في نفس الوقت جهابذة الفنون وزعماء العلوم . وقد ذكر صاحب نشر المثاني أنه لولا

---

٢) ذكر الشعراني في تنبيه المغترين (ص ٧) أن بعض الناس دس في كتابه « البحر المورود في المواثق والعهود » وفي مقدمة كتابه « كشف الغمة عن جميع الأمة » ما يخالف ظاهر الكتاب والسنة وأثار ذلك فتنة في الجامع الأزهر ولم تخمد الفتنة الا بعد أن أرسل النسختين الأصليتين المجازتين من بعض مشائخ الاسلام الى العلماء الأزهريين للاطلاع عليهما وقد أشار الشعراني في كتابه الى ما استحدثه كثير من مشايخ وفقراء عصره مما يخالف السنة حتى أصبحت أصول التصوف غريبة عند منتحلي الطريقة .

ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر ، وهم : محمد بن ناصر رئيس زاوية درعة ومحمد بن أبي بكر المجاطي رئيس زاوية الدلاء وعبد القادر الفاسي الذي تبلورت في عهده الطريقة الزروقية ، وغالب فقهاء افريقيا ـ كما قيل ـ تلاميذه ، وقد قيل في العربي ابن أبي المحاسن الفاسي أن به ختم علماء المغرب وكذلك والده وعمه أبو زيد الذي أفاض أبو العباس المقري في وصف غزارة مادته لعلماء مصر عندما سألوه عن علماء المغرب فشبهه بالجنيد كما شبهه غيره بالسيوطي لوفرة علمه

وقد تمخضت الحركة الصوفية عن نمو وازدهار الثقافة في ربوع المغرب لا سيما البادية ولا يخفى ما أسدته الزاويتان الناصرية والدلائية من أياد بيضاء في هذا الباب وقد كان في زاوية محمد بن وسعدن السوسي تسعمائة طالب يكسيهم ويطعمهم من ماله الخاص وظل مستمرا على مبرته هذه أربعين سنة

وكانت كتب التصوف تدرس الى جانب كتب الحديث والتفسير ، فهذا أبو المحاسن الفاسي يدرس قوت القلوب والاحياء والشريشية في آداب السلوك ويلتف حوله خلق كثير وفي آخر حياته نفض يده من سائر العلوم الأخرى واقتصر على التفسير والحديث والتصوف ، وأبو المحاسن هذا كان اذا توجه من فاس الى القصر تعطلت الأسواق أو كادت لخروج الناس لمقابلته

وهذا النفوذ الذى كسبه الصوفية حدا بالمرابطين والوحدين الى امتحانهم حيث استدعوا من الأندلس أو افريقية أمثال ابن العريف وأبي الحكم بن برجان وأبي مدين الغوث

وقد هدأت نوعا ما حركة الامتحان في عهد المرينيين الذين لم يكونوا يخشون امتداد نفوذ الصوفية لأن الدولة كانت قوية الجانب ، وقد انصرفت الى اتمام الحضارة المغربية التي بلغت في ذلك العصر ذروتها . لكن سقوط الدولة المرينية كان على يد الصوفية بسبب ما اتسم به بعض أمراء بني وطاس من ميع وانحلال .

فقد انتشرت شرارة الثورة السعدية من سوس فعمت البلاد ملتهمة ما تبقى من نفوذ الوطاسيين .

وأغرب ما في الأمر أن محمد الشيخ مؤسس الدولة السعدية ما لبث أن انقلب على الصوفية فقد امتحن أرباب الزوايا منذ سنة ٩٥٨ وذلك خوفا على ملكه لما كان للعامة في أصحاب الطوائف من اعتقاد . وفي أيام زيدان تضعضع نفوذ السعديين واستقل المجاهد العياشي الصوفي بالأمر في كثير من النواحي وكانت شوكة الصوفية قوية وجانبهم منيعا حيث بلغت الزاوية الدلائية عنفوانها

ولما استقل الملوك العلويون بالنفوذ في المغرب قضى مولاي رشيد على زاوية الدلاء بعد معركة دارت بينه وبين اهلها في بطن الرمان أوائل المحرم عام ١٠٧٩هـ وهم السلطان المذكور كذلك بمحمد بن محمد بن ناصر وجهز « محلته » للزحف الى زاوية درعة ولكنه عدل عن ذلك بعد أن تحقق صدق ولاية الرجل

كما جد المولى اسماعيل بعض الأضرحة التي لم تكن في ذلك العهد أكثر من مساجد تقام فيها الصلوات وترتل فيها آيات القرآن والأذكار والدعوات . فلم ير الملوك مايدعو الى استنقاصها بيد أن الاستعمار وصنائع الاستعمار أفسدوا جوانب من هذه الروح الطبيعية التي كانت تسري في هذه البيوت الطاهرة .

من العالم الادنى الى الأسنى

ولعل من أبرز نماذج التصوف المغربي ، أي الفلسفة الروحية والخلقية المغربية ، رجلا تغلغلت مقالاته السيارة في قرارة النفوس فقومت أودها طوال أجيال متوالية وطبعت التصوف المغربي بميسم خاص أفرغت منه الحقيقة الصوفية في قوالب شرعية وروح التوكل في صورة السبب ولطائف الروح وأسرار النفس في أشكال مبسطة ، وذلك الرجل هو سيدي يوسف الفاسي الفهري ويمكن القول بأن نظريات هذا الرجل الخلقية والنفسية والالهية تتركز فيها خلاصة النظريات المغربية في هذا الباب

ومن نظرياته الطريفة أن الرجل قد يؤخذ عن العالم الأدنى ليرقى الى العالم الأسنى وذلك عندما يتمحص صدقه واخلاصه وتضمحل أنانيته فتتكشف في باطنه

..انق وتختلج في سره رقائق وتعرض له أحوال وجدانية ..نضبط ولا ترتبط بمعهود ، وقد تسمو روحانية الصوفي ..تجرد عن بشريته ويتحد ، أي في التوحيد ، لأن الفناء .. الجماد بلسان الحقيقة وهذه الظواهر كلها ذوقية وجدانية ..من ذاق ـ كما يقول الشيخ يوسف ـ عرف ، ومن لم ..ذق فلا حرج اذا سلم واعترف وهذه لطائف تقصر عنها العبارة ولا تلحقها الاشارة اذ لا يفهم عنك الا من أشرف عليه ما أشرف فيك) .

وقد تجلى أبرز مظهر للتصوف الحقيقي في المغرب في اقرار التسامح والسلام في المجتمع واسعاف طبقاته واجراء الامدادات الموصولة لتخفيف وطأة البؤس ، فهناك مذهب صوفي مغربي يرجع الفضل في وضع أسسه ونشر دعوته لرجل من أهل القرن السادس هو أبو العباس السبتي الذي كان يرى أن الباب القوانين الشرعية هو الصدقة فكان يجلس في الأسواق والطرق ليحض على البذل والجود مرددا كلماته الخالدة :

(أصل الخير الاحساس وأصل الشر البخل) وقد اشتهر مذهبه أيما اشتهار حتى نعته معاصره الحاتمي في فتوحاته المكية بصاحب الصدق في مراكش .

وقد كان لهذه الدعوة أثرها فأسست الملاجىء في مختلف أنحاء المغرب حيث كان يأوى العجزة والفقراء والطلبة فيجدون الطعام السائغ والفراش الوديع ، وقد تنافس الصوفية في هذه المظاهرات الانسانية فاضطر الملوك الى المساهمة فأسسوا الزوايا في الفلوات لايواء عابري السبيل وأوقفوا لها الأوقاف الوفيرة .

وقد استوثق التبادل بين المشرق والمغرب في هذا المجال في مظهرين : أولهما انتشارطريقتين لكل من أبي الحسن الشاذلي الغماري وعلى ابن ميمون الفاسي صاحب كتاب « متفقهة ومتفقرة مصر والشام »بالاضافة الى ..حمد البدوي الفاسي دفين طنطا ، وثانيهما انتشار مصنفات صوفية شرقية بالمغرب ككتاب الحكم العطائية الذي صار الناس يحفظونه عن ظهر قلب وقد .. عليه العلماء في شروح وفيرة كشروح ابن عباد ..وق والقلصادي ومحمد جسوس الفاسي والحراق وابن ..ة التطواني ومحمد بن عبد السلام بناني والشيخ الطيب بن كيران الخ كما تبودلت رسائل منها جواب الشيخ الغزواني عن أسئلة الناصر اللقاني المصري وهي نموذج للتأويلات الصوفية المغربية للقرآن ، أما القصائد المغربية التي أصبحت تجرى على ألسنة العامة فكثيرة منها أرجوزة حدائق الأزهار في الزاوية لليازغي والمقياس للوزير الغساني وديوان الحراق الذي نحا فيه منحى ابن الفارض وابن عربي وعبد الغني النابلسي في وحدة الوجود والتلبس بما يسمونه الحقيقة المحمدية ، ويعلو نفس الحراق أحيانا فيكاد يطاول سلفه ابن الفارض في رقة الأسلوب وسمو المعنى ، ومما يتصل بالتصوف العام قصيدة لأحمد الشريشي السلوى الشاعر الطبيب ، وقد شرحها كل من أحمد الصومعي وأحمد ابن أبي المحاسن الفاسي وهنالك كتاب يمكن أن يعتبر خلاصة للأدعية النبوية التي جرت على ألسنة الصوفية بعد القرن التاسع وهو « دلائل الخيرات » الذي شرحه أفراد من العائلة الفاسية . وقد انتشر في العالم الاسلامي هو وذخيرة المحتاج للشيخ المعطي الشرقي وقد نحا المغاربة منحى الصوفية المشارقة في مدح الأشياخ بقصائد لاتخلو من معلومات تفيد المؤرخ ، من ذلك دالية اليوسي في مدح سيدي محمد بن ناصر الدرعي وهي « مشهورة بين أهل الأدب » عارض بها دالية البوصيري في أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي وقصيدة البوصيري هذه تدل على ما كان للصوفية المغاربة من مكانة في نفوس صوفية الشرق ، وقد مدح البوصيري كذلك أبا محمد صالح .

فالتصوف وان كان قد اعتراه شيء من الانحلال فقد كان له كبير الأثر في توجيه وتلوين جميع مرافق الحياة . فأصبح الشعب يلهج بالأدعية والأذكار ويتلو قصائد الغزل والمديح في سماع راقص لم تعد تخلو منه زاوية أو رباط وخاصة بمناسبة المولد النبوي الذي بدأ العزفيون يحتفلون به في سبتة ثم ملوك بني مرين في الحواضر وبذلك اندرج عنصر جديد طور لغة الضاد بالمغرب وطبع اللسان الدارج وخاصة منه البربري الذي اقتبس ما كان ينقصه في هذا المجال فتقاربت الشقة بين الفصحى والعامية في اللسانين . ■■

الرباط ـ عبد العزيز بنعبد الله

زكريا تامر

.. وقصص اطفال العرب

بقلم : احمد محمد عطية

تقدم قصص زكريا تامر للاطفال ، الوجه الجديد لادب الاطفال العربي ، والرد العربي المناسب على الغزو الثقافي الاجنبي في هذا المجال . فقد شق زكريا تامر ، القصاص السوري المعروف ، طرقا ادبية جديدة أثرت الادب العربي الحديث في كتاباته للكبار والاطفال على السواء .

فهو مبدع التعبيرية في القصة العربية القصيرة . هذا الاتجاه الذي ابدعه زكريا تامر بقصصه التعبيرية المجموعة في كتبه الخمسة . « صهيل الجواد الابيض » (١٩٦٠) ، « ربيع في الرماد » (١٩٦٣) « الرعد » (١٩٧٠) ، « دمشق الحرائق ، (١٩٧٣) ، و « النمور في اليوم العاشر » (١٩٧٨) ، محاولا من خلالها ايجاد صوت جديد . فجاءت تعبيريته العربية لتعيد صياغة الواقع العربي بشمولية تستوعب التراث العربي والتاريخ العربي المعاش ، في شكل جديد يتحول فيه المستحيل الى ممكن ، ويمتزج الواقع بالخيال ، ويجمع بين التفنن والابداع والتخييل والتعبير عن الاشواق لوطن عربي جديد اكثر انسانية وتقدماً وتحررا وجمالا

وكما تميزت التعبيرية الاوروبية بالعناية بالأطفال ورسومهم وادبهم . فقد اتجه زكريا تامر الى الكتابة للأطفال ، بعد ان وجد قصص الاطفال العربية تسيء الى الطفل تربويا ولغويا ، وتحاول ان تشوهه بقيم لم تعد تنسجم مع ما حدث في حياتنا من تغيير وتطوير . « كما قال في اجابته على سؤال لمجلة « الموقف الادبي » السورية (عدد مارس ١٩٧٤) عن الحافز وراء تحوله الى الكتابة للاطفال .

فقد كانت قصص الاطفال العربية بعيدة عن عالمنا العربي الجديد بتحولاته الاجتماعية والسياسية فهي ، في غالبيتها ، قصص ساذجة تحاول التبسيط بحجة الطفولية ، ولا تساعد الطفل العربي في التعرف على القضايا الاجتماعية والسياسية والقومية ، ولاتنمي مداركه ووعيه ، ولاتمده بقيم جديدة تتفق مع عالمنا الجديد . كما انها اغفلت امكانيات اللغة العربية من جمال وشاعرية وخلق فني ، بلغتها التقديرية والخطابية وحكاياتها الخرافية الساذجة . وبايجاز لقد كانت قصص الاطفال معنية بالتسلية او بالدعاية او بالخطابة او بالتلقين والاملاء .

« السوبرمان » والطفل العربي

كما تسللت الى مجال ادب الاطفال العربي قصص الاطفال الاجنبية . في غزو ثقافي عبر المجلات الانيقة

زكريا تامر



المصورة والافلام التليفزيونية والسينمائية ، بما تبثه من قصص عن الانسان الخارق للطبيعة (السوبرمان) ، التى تلغى قيمة الانسان العادي وقدرته على التقدم والتعلم والابتكار والتغلب على مشاكله اليومية . وتعمل على استلاب الطفل العربى وشده الى بيئات اجنبية والى شخصيات غير سوية ، كالمجرمين والقراصنة المحترفين ، وتقدمها في صورة جذابة محببة الى الاطفال

ولعل اخطر شخصية تبثها قصص الغزو الاجنبي هي شخصية الرجل الخارق للطبيعة التى تفتن الاطفال ، كما لاحظ اليونسكو في تقريره عن « جمهور الاطفال » ، الذى كتبه « فيليب بوشار » وترجمه الى العربية « محمد انور الحناوى » . وقال خبراء اليونسكو ايضا ان قصص الرجل الخارق للطبيعة تبسط الشخصيات والدوافع النفسية ، وانها تقوم على المفاجآت وليس على الاعمال المبررة والمتوقعة ، وان البطولة الخارقة فيها معقودة للرجل الابيض ، لانها تزدرى الاجناس الملونة . وان هذه الشخصية غير انسانية ، فالرجل الخارق للطبيعة لايتزوج ولايموت ولايحمل هموما يومية او ماديه او معنوية ، « بل انه يستعمل السيارات والمباني والتليفونات والطائرات وغيرها » دون حساب ، لأن هذا يفتن القارىء في البلاد الفقيرة . وقد حذر اليونسكو في تقريره هذا من اثر اسطورة البطل الخارق في تقويض القيم التقليدية لكل بلد وتزييفها . وقال ان هذه الشخصية الاسطورة اصبحت « غولا دوليا يزيد في ضرره استخفاف الناس به . » ص ٦٥ ودعا اليونسكو الى مواجهة هذه الشخصية الخطرة ، ليس بالقوانين ولكن عن طريق المواجهة الفكرية والفنية مع هذه الشخصية .

يضاف الى هذا ما تقوم به قصص الغزو الثقافي

الاجنبي من اغفال لشخصيات الابطال السياسيين والمناضلين الثوريين ، وتقديم الشخصيات التاريخية في صورة معجزة لايدركها البشر ولاتثير طموح الاطفال . ويماثلها في ذلك شخصيات الانسان الالي والانسان المتوحش والجاسوس والطفل المغامر، التي تبعد الطفل عن النظر الواقعي في مجتمعه وحياته ومشكلاته اليومية .

لهذا اوصى اليونسكو باختفاء هذه النماذج الخارقة غير الانسانية ، لتحل محلها « مخلوقات انسانية معقولة قريبة الى الواقع . » ونادى بـ« تقديم النواحي الاجتماعية والانسانية على ماعداها . » (ص . ١٣) .

ان الطريق الى مواجهة هذا الغزو الثقافي الاجنبي في ادب الاطفال لايكفي فيه المنع والمصادرة ، بل انه يتمثل في ضرورة ابداع ادب اطفال عربي جديد ، يستوعب فنون ادب الاطفال ويعمل على عصريتها ، ويربط الاطفال بماضيهم القومي وقضايا مجتمعاتهم المعاصرة . ادب يجمع بين الجمال والشاعرية ، بين التسلية والجدية ، بين الفائدة والمتعة ، بين الاعلام والثقافة ، وبين الواقع والخيال .

الوجه الجديد

ومن هنا تقدم قصص زكريا تامر للاطفال هذا الوجه الجديد لادب الاطفال العربي ، الذى يتجاوز ادب الاطفال العربي التقليدى ، ويرد على الغزو الثقافي الاجنبي في مجال ادب الاطفال . وهذا ما عناه زكريا تامر بقوله لمجلة « الموقف الادبي » ، ان حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ اقنعته باهمية الجيل العربي الجديد الذى عليه مواجهة العدوان ، « ولذا فلابد من منحه الوعي وارادة التحدى والرغبة العميقة في التغيير والحفاظ عليه . لابد من ان يكون جيلا قادرا على التضحية في سبيل الحرية والعدالة والفرح » . هذا عن موضوع القصص . اما عن الشكل فيضيف زكريا تامر : « كما انني حاولت ان تكون قصصي بمستوى فني يؤهلها لان تصبح وسيلة تشجع الطفل على حب لغته العربية الفصحى وتنمية قدراته على تذوق الادب الذى يخاطب عقله وقلبه دون ترفع ودون اسفاف ايضا . »

كتب زكريا تامر مجموعة كبيرة من قصص الاطفال صدرت كل منها على حدة في طبعات جميلة وضمت قصصه الاخرى في مجموعة « لماذا سكت النهر » (١٩٧٣) و « قالت الوردة للسنونو » (١٩٧٧) كما ترأس تحرير مجلة « اسامة » السورية للاطفال ، واسهم في تحرير بعض مجلات الاطفال العربية الاخرى . ويعمل حاليا رئيسا لتحرير مجلة « المعرفة » السورية ، بعد تقلبه في مهن شتى لعل ابرزها الحدادة حيث اكتوى بنار الحياة الشاقة لعامل الحدادة حتى انتخب نائبا لرئيس اتحاد الكتاب العرب في دمشق ، ورئيسا لتحرير مجلته الشهرية « الموقف الادبي » . فزكريا تامر اديب عربي كون ثقافته بجهده الخاص . واقام ادبه على خبراته الواقعية وقراءاته العميقة الواسعة وحرصه على شق طريق جديدة للادب العربي الموجه للكبار والصغار على السواء .

عندما صدرت قصص زكريا الاولى في بيروت ، ترجمت الى عدة لغات اوروبية ، كالفرنسية والانجليزية والاسبانية ، وجذبت اهتمام القراء العرب والاجانب الصغار والكبار ، واثارت ضجة ثقافية واعلامية لدى الاصدقاء والاعداء . فوصفتها « هاعولام هازيه » الاسرائيلية ، في مقال كبير بعنوان « قطر الندى ، سندريللا ، والارنب الصغير .. يجندون في فتح » ، بانها « تتحدث الى القلب والعقل ، تستخدم وسائل بسيطة ومباشرة ، ولاتغرق في فيض كلام اعلامي بغير مغزى ، وتعليقات وتاريخ يثير الضجر والملل على نحو ما يسير عليه الاعلام الاسرائيلي ، بل تتجه الى الشخص البسيط في الشارع ، الى اطفال المدارس بصورة تجلب الانظار وتثير الخيال .. »

عن الانسان الفلسطيني

فقد شكلت قصص زكريا تامر للاطفال معالم ادب أطفال عربي جديد ، بتقديمها للقضايا القومية والمفاهيم السياسية ، والقيم الانسانية في لغة سهلة جميلة واسلوب ادبي يعتمد على الصورة الشعرية والمزج بين الطبيعة والانسان ، دون املاء او استعلاء . فشدت الكبار

الصغار الى القضايا المصيرية لوطننا العربي وقد دهشت قصته الصغيرة الجميلة « البيت » الجميع ببساطتها وقدرتها على الوصول الى العقل والقلب . وهي التي عنتها صحيفة العدو الاسرائيلي بقولها « يجندون في ننح » فتقدم القصة مجموعة كبيرة من المعارف عن الطبيعة وعالم الحيوان وتربطها بقضية فلسطين المحتلة . وتعرض أنواع واسماء البيوت التي تلجأ اليها المخلوقات الحية ، من الدجاجة الى العصفور ، لتصل الى اهمية البيت والوطن في حياة الانسان . ثم الى مأساة الانسان الفلسطيني الذى سلبه عدوه بيته ، ومن ثم لابد من استعادته بالنضال وقوة السلاح .

كل انسان له بيت
البيت هو المكان
الذى يمنح الانسان
الطمأنينة والسعادة
الفلسطيني لابيت له
والجبال والبيوت التى يحيا فيها
ليست بيوت الفلسطيني
اين بيت الفلسطيني ؟
بيت الفلسطيني في فلسطين
الفلسطيني لا يحيا اليوم
في بيته
بيت الفلسطيني يحيا فيه
عدو الفلسطيني
من هو عدو الفلسطيني ؟
عدو الفلسطيني هو
الذى احتل بيت الفلسطيني
كيف يستعيد الفلسطيني بيته ؟
بالسلاح وحده
يستعيد الفلسطيني بيته
بالسلاح وحده
يستعيد الفلسطيني بيته
يعود الفلسطيني الى بيته
بيت الفلسطيني للفلسطيني

هكذا يقرب زكريا تامر القضايا القومية الى عقل الطفل العربي ويرسخ في وجدانه ضرورة تحرير ارض فلسطين المحتلة واستعادتها بقوة السلاح . وهو يكرر ذلك بقوة وبساطة معا ، في قصص تصل للكبار والصغار وتحرك تفكيرهم . وليس هذا بغريب عن ادب الاطفال في العالم ، فقد كان اندرسن اديب الاطفال العالمي ، يكتب للجميع الصغار والكبار ويقول : كان في بالى دائما وانا اكتب القصص الصغار ان الاباء والامهات سينصتون اليها ، وانه ـ من ثم ـ ينبغي أن تقدم اليهم ايضا مادة صالحة للتفكير .. « (اندرسن ، رومر جودن ، ترجمة حسين القباني ص ١٩٨) كما توصل « الدكتور وول » في بحثه عن « مطالعة المراهقين والبالغين للصحف » الى « ان اطفال المدارس الثانوية بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة يتابعون الاحداث السياسية بقدر معقول من الانتظام » (جمهور الاطفال ص ١٢٢)

لماذا سكت النهر ؟

وتقدمت قصص زكريا تامر في مجموعته التالية « لماذا سكت النهر » ، فصارت اكثر ثراء وشاعرية وفكاهة فقدمت المعلومات العامة للاطفال في اسلوب مرح غنى بالفكاهة . ومزجت الواقع بالخيال ، فانطلقت الحيوان والجماد في صور جميلة تستوعب الكون والطبيعة والانسان والحيوان . وعملت على تنمية وعي الطفل بالثقافة والقيم النبيلة ، دون وعظ او املاء ، وباسلوب الحكاية والاقصوصة والدراما . كما في قصته « غرفة البنت الصغيرة » حيث تدور احاديث خيالية عن مسائل واقعية في حوار مرح بين الجدران والسقف عن فائدة السقف ، وبين المجلة والقط عن فائدة القراءة . فتسأل المجلة القط . « أليست قراءة الكتب والمجلات افضل من مطاردة الفئران ؟ فتثاءب القط ، وعاد الى النوم خجلا دون ان يتفوه بكلمة . » .

وتصور قصته « لماذا سكت النهر » نهرا يحب التحدث الى الاطفال ويخلق بمياهه الجمال في الطبيعة فيبزغ الورد والزهور والزرع ويداعب القطط بمائه فيلمع فراءها جمالا ، حتى جاء رجل متجهم الوجه يحمل سيفا فاغتصب ومنع الجميع من الانتفاع بمائه الا مقابل

الذهب ، فغضب النهر وسكت عن الكلام . وعبثا حاول الاطفال والزهور والقطط ابعاد الرجل عن موقفه العدواني ، مستخدمين الحيلة والبكاء ، غير ان المعتدي لم يكف عن عدوانه الا بفعل رجال اقوياء يحبون الاطفال والقطط والورود . ومع انهم طردوا الرجل المعتدي الا ان النهر ظل ساكتا خوفا من عودته فتقول القصة للاطفال بارق الكلمات ، ودون مباشرة او صراخ ، انهم يجب ان يظلوا داتها اقوياء لرد العدوان الذي قد يهاجمهم في اي وقت . فالحياة الجميلة تكفلها قوة الرجال .

وتتنوع قصص مجموعة « لماذا سكت النهر » الاخرى من حب الطبيعة والجمال ، بتقديم عالم الطبيعة الغني بشكل جميل يجمع بين المتعة والفائدة ، الى تقريب الواقع الاجتماعي والسياسي من عقلية الاطفال ، مرورا بـ « تصوير الهموم الاجتماعية ومشكلات الفقر والجوع والاستغلال ، والوعي بقضايا اقتصادية واجتماعية بصورة شاعرية مبسطة وعبر حوار قصير وجميل ، وترسيخ حب الجمال وضرورة القوة للدفاع عن الوطن ، وبث قيم الحب والصداقة والفداء والتضامن مع المجموع ورفض الانانية وحب المال . مثل « القنفذ » الذي كان جميلا ثم ادركه القبح ، عندما تخلى عن اصدقائه الارنب والقط والخروف وتركهم يغرقون في الطوفان دون ان يحذرهم من اقترابه « حياتي وحدها الجديرة بالحب والعناية » . ومثل « نداء » في قصة « رندا تلعب » ، التي ظلت « تقف وحدها محنية الرأس حزينة لان صغيرا لم يجد ما يأكل . » ومثل الحوار الذي دار بين السيف والوردة ، في قصة تحمل اسمها ، عن افضلية الجمال ام القوة ، واحتكامهما الى رجل عجوز ، قال بان « الانسان يحتاج الى السيف والوردة معا ، فالسيف يحمي الانسان من الاخطار والوردة تمنح قلب الانسان الفرح . » .

السياسة والنسيج القصصي

وتشكل قصص زكريا تامر الحديثة ، المجموعة في كتابه « قالت الوردة للسنونو » ، ذروة التقدم في ادبه للاطفال . فارتقت القصص الى مستوى عظيم من الفن القصصي المقدم في قالب شعري موجز ومحكم ، يجمع بين العمق والايماء ، وبين بساطة الصور وقدرتها على الايحاء والتوصيل . وبالرغم من اقترابها من مفهوم التربية والتعليم ، بما تقدمه من قيم ودروس ، الا انها تجنبت تماما كل كلمة مباشرة . ولم يعد زكريا تامر بحاجة الى اسلوب الاعلام والدعاية كما كان يفعل في قصصه السابقة عن القضايا العامة ، بل انه بحرصه الشديد على التركيز والشاعرية لم يترك كلمة سياسية او اجتماعية مباشرة تخدش النسيج القصصي البديع او تعرقل السياق واللغة الشعرية الجميلة

كما اقترب زكريا تامر كثيرا بحنان من عالم الاطفال ، فبدا وكأنه يكتب بين الاطفال ويتوجه اليهم بحبه وفنه وقصصه الجميلة الموحية . ويبدو لي ان زواج زكريا تامر وحبه لطفله الصغير ، هو المحرك الجديد لهذا النبض الجديد في قصص زكريا تامر للاطفال ، الذي ارتفع بالمستوى الفني لقصص زكريا تامر الى مستوى عال لم تبلغه قصص الاطفال العربية من قبل . لهذا جاءت كل قصة من قصص « قالت الوردة للسنونو » قطعة فنية دقيقة وثرية بما توصله من معارف وما تحركه في الاطفال من حب للادب والفن والفكر ، من خلال عالمهم ، ذلك المزيج البديع من الطبيعة والحيوان والانسان ، وبما تتضمنه من تسلية وتشويق وفكاهة وتهكم ومرح ، وما تومىء اليه من قيم ومفاهيم انسانية نبيلة

ففي قصة « الكسلى » يدور حوار بين ثلاثة عصافير على « حافة شباك مفتوح » حيث مها البنت الصغيرة نائمة على السرير ، حول كسل مها واستسلامها للنوم وعدم استيقاظها للذهاب الى المدرسة . وعندما تعلن العصافير عن عدم حبها لهذه « البنت الكسلى » ، تنهض مها وتخبر العاصفير بان هذا هو يوم عطلتها المدرسية ولهذا فهي لا تذهب الى المدرسة . فدهشت العصافير « وخجلت لانها اخطأت ، ولكنها بادرت الى التكفير عن خطئها فغنت لها اجمل ما تحفظ من اغنيات . » وهكذا تشير القصة ببساطة جميلة الى نبذ الكسل وضرورة الاعتذار عن الخطأ وجمال

● زكريا تامر

...ة المدرسية واهمية الاستيقاظ المبكر والذهاب الى ...ة .

وتنساب المفاهيم القومية حول ضرورة الوحدة عبر ...داث قصة « اقوى رجل » وحوارها الرقيق ، التي ...صور مجيء رجل قوي غريب الى مدينة ليتحدى ويهدد ...حاربتهم واستعبادهم . ويدور حوار بين اهل المدينة ، الذين تجسدهم القصة في شخصيتي رجل عجوز وشاب وينادي الاول بالاستسلام للرجل العدو القوي بحجة ضعف اهل المدينة ، بينما يعترف الشاب بهذا الضعف ولكنه يرى في وحدتهم طريقا وحيدا للقضاء على العدو القوي قائلا : « نحن ضعاف الاجسام فعلا . ولكننا اذا اتحدنا نصير جسدا واحدا لا يمكن هزيمته . » ولم يبال الشاب بسخرية العجوز ، فاتحد اهل المدينة وتمكنوا من طرد الرجل القوي من مدينتهم .

وحول نبذ الكذب والتملق ، تدور احداث قصة « الحمار والقط » عن قط كسول يشعر بالعطش ولا يريد ان يتحرك ليروى ظمأه ، بل يريد ركوب الحمار لتوصيله الى النهر ومن ثم اخذ ينافق الحمار ويمدح صوته ويصفه كذبا بالجمال . غير ان الحمار لم يصدقه ، فتركه يركب على ظهره ثم ألقى به ارضا . فسأله القط : « لماذا ضربتني ؟ قال الحمار : أنا أكره الكاذبين المتملقين . انت قلت لي ان صوتي جميل . وأنا أعرف من أكون . أنا حمار ولست مغنيا . » وعندئذ اعلن القط كفه عن الكذب والنفاق ، واعتزامه قول الصدق . فكافأه الحمار على صدقه بتوصيله الى ضفة النهر ليشرب ويروى عطشه .

أما ما قالته الوردة للسنونو ، في القصة التي منحت عنوانها للكتاب ، فهو حوار طريف بين الوردة والسنونو حول امكانيات كل منهما المحدودة وفائدتها ، فالوردة تسعد الناس بجمالها ولكنها ثابتة وعمرها قصير ، كما سخر منها السنونو . كذلك السنونو حر يطير من بلد الى بلد ، لكنه يطير ايضا فلا يعود . فيومىء زكريا تامر بعمق وجمال وحزن الى ان لكل شيء نهاية .

وتقرب قصة « يوم اشترى القط معطفا » صعوبات الحياة اليومية الى الاطفال ، بحكايتها عن قط صغير لم يبال بنصيحة أمه التي دعته الى عدم اللعب في الشوارع تحت المطر حتى لا يمرض . ولكن القط الصغير تحدى أمه زاعما بانه قوي لا يمرض . وعندما مرض القط الصغير رفض أيضا الاستجابة لنصيحة أمه بتناول الدواء لانه مر . فقالت له الام عبارة عميقة المغزى : « هكذا الحياة ياولدي .. ولا بد من يوم تذوق فيه المر . » وهكذا تقول القصة بواقعية وصدق ان الحياة ليست كلها حلوة بل فيها الحلو والمر .

هذه بعض النماذج من قصص زكريا تامر ، الوجه الجديد لادب الاطفال العربي ■■

القاهرة ـ أحمد محمد عطية

آسف سنيور !

● كان ابسن الكاتب المسرحي النرويجي في زيارة لروما عندما شاهد حشدا من الناس يقف أمام اعلانات ملصقة كبيرة حمراء • وقد ترك ابسن نظارته في غرفته بالفندق ولذلك لم يستطع أن يقرأ ماذا كتب عليها • ومال الى شخص كان يقف بجانبه وقال له : سنيور ، منفضلك أخبرني عن مضمون هذه الاعلانات وأجابه الايطالي وهو يهمس في أذنه : آسف ، سنيور ، لا أعرف كيف أقرأ أيا منها •

كما افتقد طيبة الانسان !

مصارعة الثيران في بلاد الاسبان

بقلم : يوسف الشاروني



هل تصنف مصارعة الثيران باعتبارها فنا ام رياضة ؟ وماذا فيها من الفن او من الرياضة ؟
هذان السؤالان ، حيرا الكاتب المصرى الاستاذ يوسف الشارونى ، عندما زار اسبانيا ، وعاد ليكتب للعرب هذا التقرير .

اثناء زيارتى القصيره لمدريد فى العام الماضى ، كان للصديقين المستعربين الدكتور بدرو مدير جامعة مدريد المستقلة والدكتورة كارمن الاستاذه بتلك الجامعه ، فضل دعوتى لمشاهده رقص الفلامنجو ، الرقص الشعبي الاسبانى ، وهو اقرب ما يكون الى رقصنا الشرقى من حيث الاداء والموسيقى والغناء والتوقيت ـ حيث ان حفلاته تبدأ من الساعه الحاديه عشرة مساء او منتصف الليل وتمتد حتى قبيل الفجر ـ بل ان ملامح الراقصين والراقصات وبشرتهم الضاربة الى السمرة اقرب الى الملامح الشرقية ، ولا شك ان الراقصين ورقصهم من اثار الوجود العربى فى اسبانيا .

اما الذى اتاح لى فرصه مشاهده حلقة من حلقات مصارعة الثيران فهو الصديق لويس فلسطين . وهو فنان مصرى يعيش فى اسبانيا منذ سبعة وعشرين عاما ، كان زميلا لى فى مرحلتى الدراسة الابتدائية والثانويه (لم تكن هناك مرحلة اعدادية) ، ولم اكن قد رايته ربما منذ افترقنا عقب انتهاء مرحلة الدراسه الثانوية ، ورغم احساسى باهمية ان ارى مثل هذه المصارعة من باب العلم بالشيء ، وانه من غير المعقول ان ازور اسبانيا دون ان اراها ، لان مصارعة الثيران مثل رقص الفلامنجو هى روح الشعب الاسبانى ، اقول انه رغم كل ذلك فانني خرجت منها غير مرتاح بل اقرب الى الاشمئزاز لانني اكتشفت ان الانسان ـ مصارعا كان او متفرجا ـ اكثر توحشا من الوحش ، حقيقه كانما كانت قد غابت عنى برغم تاريخ الانسان وحاضره ، وقد نبهنى ما شاهدته فى مصارعه الثيران بل وصدمنى وايقظني من غفوتى ومن حسن ظنى بالانسان . ولعل المرحلة الوحيده التي اعجبتنى هى المرحلة الاولى من المصارعه حين يدخل الثور حلبة المصارعة ـ وقد اعلنو



عن وزنه فوق لافتة صغيرة مكتوب عليها ارقام بالطباشير فيما يبدو تتجاوز الخمسمائة كيلو جرام ـ مندفعا بكل قوته فيداوره ويلاعبه المصارعون ـ وليس مصارعا واحدا كما كنت اعتقد ـ ببراعة تستحق التقدير ، فتلك هى المرحلة الوحيدة التي يكون فيها الانسان بكل ذكائه امام الثور بكل قوته ، وقد همس صاحبي فى اذنى يشرح لى ان الهدف من هذه المرحلة هو اختبار الثور ومعرفة حركاته ومدى تهوره أو حذره ، فالمصارع الذى سينفرد بالثور فى النهاية موجود بين هؤلاء المصارعين . ومع ذلك فحتى فى هذه المرحلة يظهر عدم التكافؤ بين الانسان والوحش ، ليس فى كثرة المصارعين بالنسبة للثور فحسب (يبلغ عددهم ثمانية فيما اذكر) بل حين يلجأ هؤلاء المصارعون مذعورين من الثور الى ستائر خشبية موضوعة على حافة الحلبة المستديرة والتي تتوسط مدرجات المتفرجين ، وذلك حين يعجزون عن مواجهة الثور ويحسون ان حياتهم قد اصبحت فى خطر فلا يستمتع الثور بحماية مقابلة من خصمه الانسان .

السهام المزركشة

اما فى بقية المراحل فلا يعود ثمة تكافؤ بين الثور ومصارعه ، فالمصارع لا يواجه الثور فى النهاية الا بعد ان يكون مساعدوه قد اثخنوه بالجراح ، والمصيبة ان ذلك يتم بدعوى ايجاد تكافؤ بين حيوان وزنه اكثر من خمسمائة كيلو جرام ومصارع نحيف رشيق القوام ـ كأنه راقص من راقصى الباليه ـ لا يزيد وزنه عن ستين كيلو جراما ، كأنما المصارعة تتم بين قوتين جسديتين ، وليس بين قوة جسدية تقابلها قوة اكثر فتكا هى ذكاء الانسان وتفكيره .

فبعد المرحلة الاولى تعلن الموسيقى بدء المرحلة التالية ، بناء على اشارة من حكم المصارعة الجالس فى شرفة مرتفعة ، وفيها يدخل فارسان على حصانين محصنين تماما بما يبطل اى اثر لقرون الثور ، اما الثور فمكشوف لحراب الفارسين . وهكذا يهاجم الثور احد الفارسين وحصانه وينطحهما بقرونه الضخمة بل بكل ثقله وقوته فيكون اقصى ما يستطيعه هو ان يرفع الفارس وحصانه بضعة سنتيمترات عن الارض بينما حربة الفارس تنغرز فى ظهر الثور

وبجوار سلسلته الفقرية على وجه التحديد ، فيسيل دمه بغزارة بين تصفيق جمهور متعطش لرؤية الدم .

اما المرحلة التالية فربما كان الخطر فيها على الانسان أكثر جدية من المرحلة السابقة ، فبعد اشارة من الحكم وعزف موسيقى قصيرة يدخل فارسو السهام ـ وهى سهام مكسوة بقماش مزركش جميل كأنما سهب الحياة بدلا من أن تغرز الموت ـ وهذه مرحلة اكثر جدية لانها تتلخص فى أن يمكن اثنان من فارسى السهام من غرز ستة اسهم فى ظهر الثور المسكين . هنا يكون الموقف اكثر تكافؤا بين الثور وخصميه لانهما لا يحتميان على احصنة ضد قرون الثور ، بل يكونان راجلين لا يحميهما الا مهارتهما فى رشق السهمين فى مكانهما المحدد ـ ففى كل مرة لا يرشق الا سهمان ـ وذلك فى اللحظة المناسبة التى لا يجب أن تتقدم ولا أن تتاخر عن لحظتها المحسوبة بالمران والخبرة والمهارة وحسن التصرف وسرعته ، والا اطاحت قرون الثور بخصمه . ومع ذلك فاحيانا ما يطيش احد السهمين او يغرسان فى غير مكانهما المحدد وسط صفير جمهور يعبر عن احتجاجه واستيائه .

الناس والدم

ومن غرائب الامور ان هذا الجمهور الذى ينتشى من منظر الدماء تنزف من حيوان لم تنفعه قوته الحيوانية امام ذكاء الانسان ، يبدو ذات لحظة أنه رحيم كل الرحمة ، عطوف كل العطف ، حين خرج الى الحلقة ثور بدا أن باحدى ساقيه الامامتين عرجا خفيفا ، فهذا ضد قواعد اللعبة ، وكأنما هذا هو وحده الذى لا يحقق التكافؤ بين الثور ومصارعيه ، ولعل بائع الثيران قد غش مشتريه ولعله اتفق معهم لان ثور المصارعة يباع باضعاف ثمن الثور العادى . ولكن يبدو أن الجمهور متيقظ ، متعطش لان يرى مباراة حامية بين ذكاء الانسان وقوة الثور ، وهذا لا يتم اذا كان بالثور شبهة عرج ، فتتصاعد صيحات الاستنكار لاعادته .

ولكن كيف يمكن اخراج الثور من حلبة المصارعة ، ومن ذا الذى يجرؤ على تنفيذ ذلك ؟ انه ذكاء الانسان وسعة حيلته . فما يلبث ان تظهر فى الحلبة مجموعة ثيران رقطاء ـ من غير ثيران المصارعة التى تتميز بسوادها ـ ومعها راعيها يهشها امامه بكرباج قصير فى يده لكى تعود من حيث دخلت ومعها ثور المصارعة الاعرج ، غير ان الثور ـ لفرط غباوته ـ لا يدرك ان عاهته قد خلصته من ميتة مؤلمة ، فتدخل الثيران الاخرى ليظل هو واقفا فى الحلبة ـ ويضطر الراعى الى تكرار المحاولة ، وبدلا من أن ينجح الثور مع بقية الثيران الى باب الخروج يتجه فجاه نحو الراعى الذى يفر مذعورا من الحلبة ليحتمى فى اللحظة الاخيرة بساتر من السواتر الخشبية الموضوعة أمام السور الخشبى للحلبة المستديرة ، وللمرة الثالثة تظهر الثيران ليعود بها اخيرا الثور الأعرج بعد أن قام بهذا الاستعراض المثير امام متفرجيه ، ولعله أراد ان يكافئهم على اشفاقهم عليه ورحمتهم به وتخليصهم له من عذاب ينتهى به الى موت أكيد . وتساءلت ما مصيره بعد ذلك ، هل يعالج ليشفى ويعاد من جديد الى هنا ليلقى مصيره الذى انقذ منه الآن ؟ كما تساءلت هل كان دخول مثل هذا الثور خطأ حقيقيا أم كان امرا مقصودا من باب التنويع والتغيير ؟

أخيرا : المصارع فى الحلبة

فاذا تم رشق السهام الستة عزفت الموسيقى من جديد لتبدأ المرحلة الاخيرة من مراحل المصارعة ، هنا فقط يبرز المصارع بثوبه الذهبى المزركش وهو يبرق عاكسا أشعة الشمس الواهنة ـ وقد أوشكت على المغيب ـ فالمصارعة تبدأ فى الخامسة مساء او الرابعة والنصف وتستمر ساعتين ـ ويتميز المصارع بهذه الملابس على مساعديه الذين يرتدون ثيابا فضية اللون ، وكلها ثياب محكمة على اجسامهم تضاعف من نحافتهم ومن خفة حركاتهم ورشاقتها .. يبرز المصارع ليلتقى بالثور وقد اثخنته الجراح وانهكه الجرى والدوران ، وتدور المصارعة على أساس دراسة دقيقة لطباع الثور ، فحاسته البصرية ـ فيما يبدو ـ ضعيفة ، فلا يرى الأجسام الثابتة بوضوح ، بل هو أكثر استجابة للاجسام المتحركة، وهذا هو اساس المصارعة ، فالمصارع يلوح للثور بعباءته الحمراء فى جانب بينما يقف هو فى جانب آخر ، فيندفع الثور هائجا الى حيث حركة العباءة بينما المصارع واقف فى مكانه مطمئن لا يدور الا دورة قصيرة ليواجه خصمه الذى يضطر

كم ضخامة جسمه ان يدور فى دائرة اكبر ، ظل المصارع يداور الثور ويناوره ، كلما كانت اوره اسرع واكثر والمصارع الى الثور اقرب ـ بعبر ادق الى قرون الثور اقرب ـ اعبر بصارع فى عداد الماهرين البرزين ، وكان الجمهور كثر استمتاعا بمشاهدة مصارعة تسبب توترا كثر لاعصابه ، ويبدو ان هذا هو ما يدفعه الى دفع ثمن التذكرة ، كما يحدث فى السيرك وفى حلبات السباق الخطر وفى افلام الرعب ، انه يلتذ بعرض نفسه للتوتر ، لابد انه سوف صحى بنفس به عما يلقاه من توتر فى واقع حياته ـ وداوني بالتى كانت هى الداء ـ واخيرا يبدو على الثور انه قد انهك تماما فيبدو لهاثه واضحا فى زفيره وشهيقه ولسانه المدلى من فمه . هنا يبدأ المصارع محاولة جديدة ، هى ان يغرز سيفه بين كتفى الثور لينفذ الى قلبه ، ولا يتم هذا الا بشرط ان يكون الثور فى وضع خاص يتيح للمصارع ان يتم محاولته على الوجه الاكمل ، ويتم ذلك باستدراجه لكى ينحنى برأسه نحو الارض تمهيدا للقيام باحدى محاولاته لنطح خصمه ، فيكشف ما بين كتفيه للمصارع ، وفى خفة ورشاقة تخفيان وحشية وعنفا بلا شك ، وفى مزيج من الخوف والشجاعة ، يغرز المصارع سيفه فى اللحظة المناسبة وفى المكان المحدد ، وما يلبث الثور على اثر هذه الطعنة النجلاء ـ كما يقول اسلافنا العرب ـ ان يترنح ثم تنهار قوائمه الاربعة ، فاذا لم تكن الطعنة قد اصابت منه مقتلا ، فانه يظل يقاوم خصمه ، الذى قد يضطر الى طعنه من جديد حتى يرتمى على الارض وهو ينزف من فمه وانفه ، وهنا تربط الجثة فى حبل الى جوادين ليسحباه خارج الحلبة بينما يأتى من يرفع الرمال الملوثة بالدماء لاخفاء آثار المصارعة وتهيئة الحلبة لظهور ثور جديد ومصارع جديد .

قال لى صاحبى ان هذه المصارعة تشبه حياة الانسان ، يبدؤها ـ كما يدخل الثور حلبة المصارعة ـ قويا نشيطا منطلقا يحسب ان الدنيا له ، ثم ما يلبث ان يجد من يغرز فى حياته حربة هنا وسهما هناك ، حتى يثخن بالجراح ، فيقع فى النهاية صريعا لانه لا يرى الخطر الحقيقى بقدر ما يرى اخطارا وهمية يندفع الى القضاء عليها فلا ينتبه الى الخطر الحقيقى الذى يتربص به والذى به تكون نهايته .

دور العرب

وعند خروجنا من الحلبة كانت الشمس قد غابت وثمة مصارعة من لون آخر بين النور والظلمة ، وفى الميدان الفسيح أمام مبنى « الارينا » العربى الطراز (يقال أن العرب هم الذين ادخلوا مصارعة الثيران فى اسبانيا) تمثال منتصب لرأس آدمى قيل لى انه تمثال احد ابطال المصارعة وضحاياها ، كان من ابرز واشهر أبطالها، وفى اللحظة التى وصل فيها الى قمة بطولته كانت هى اللحظة التى فقد فيها حياته ، فعلى اثر دورة بارعة منه مع الثور ، التفت يحيى الجماهير التي جنت بمهارته وشجاعته واثقا من نفسه مطمئنا الى وقفته ، لكن يبدو ان حساباته قد خانته او ان ثقته فى نفسه كان قد بولغ فيها او ربما هو القدر الذى كان قد غير فى تلك اللحظة ما اعتقد صاحبنا انه طبيعة خصمه .. اذ استدار الثور فجاة نحوه وفى لمح البصر شاله بقرنيه او ربما باحدهما ـ فلا احد يذكر فقد كانت لحظة كلمح البرق بين قمة الحياة ونشوة المجد وبين سخرية الموت وصمت القبور ـ ليقع على رأسه فاقدا النطق .. فالحياة . وعند تشييع جنازته حمله اصدقاؤه ومروا بجثته امام المبنى الذى عشقه وطالما امضى فيه أروع لحظات حياته بين جمهور محبيه . اذ ذاك ادركت انه رغم كل ما اتخذه الانسان من حيطة فللعبة ضحاياها ، وأن الملايين الذين يدفعون ملايين البيزتات الاسبانية (يأتى اسبانيا سنويا ستة وثلاثون مليون سائح تكون مشاهدة مصارعة الثيران اول او اهم فقرات برنامجهم) ، انما يدفعونها لا لرؤيه الثيران التى تنزف دمها حتى تنهار قوائمها وتخمد انفاسها ، بل لاحتمال وقوع هذه اللحظة التى يخشون وقوعها ، لحظة مصرع المصارع ، اخيهم الانسان. وتساءلت هل لو كانت هذه اللحظة مستحيلة الحدوث ، هل لو كان هذا الميدان خاليا ليس فيه تمثال شهيد لهذه اللعبة الخطرة ليذكرنا بان ما وقع ما يزال ممكن الوقوع ، هل كانت كل هذه الجماهير تندفع بمثل هذا الاقبال ، وعلى استعداد لدفع كل هذه الاموال . تساؤل لم يكن لى رد عليه سوى : ما أعقد طبيعتنا البشرية ■■

يوسف الشارونى

غرائز النحل في مملكته

بقلم : الدكتور محمد مروان السبع

مما لا جدال فيه أن معيشة النحل في مملكته وسلوكه الغريزي في الحياة بما تتسم به من تميز وانتاجه الطيب المذاق من العسل ، يثير في الوجدان التأمل والتفكر ويدفع العقل الى التدبر والتمعن في بديع الله في صنعه وأسرار التنظيم في خلقه .

من المستحسن قبل الخوض في غرائز النحل التعرف الى ماهية الغريزة في الكائن الحي فلقد ثار جدل طويل لم ينقطع اواره حول مفهوم الغريزة ومواضيعها فمنهم من قال بأن السلوك الغريزي في الكائن الحي عبارة عن سلوك [illegible] خاص يجب النظر اليه من زاوية التخصص النوعي للجسم ووظائفه الفسيولوجية . بينما قال دارون بأن الغريزة نتاج للخصائص الوراثية المختزنة في الدماغ . غير أن هذه الفرضيات تتعارض كليا مع وجهة نظر [illegible] الغريزة [illegible] انعكاسية [illegible] كريج [illegible] في الجسم [illegible] حدوث [illegible] هذه [illegible] توجيهها [illegible] الفعل الغريزي ..

وأما غيرهم فكثيرون ممن تناولوا تفاسير أخرى مغايرة لسنا بصددها الآن .. وعلى كل حال فان المحور العام الذي تستند اليه أغلب الفرضيات السابقة في طرحها لمفهوم الغريزة تتركز حول التأثير [illegible] المنبثق من أنسجة الكائن الحي كرد فعل تجاه المهيج أو المثير .

وحري بنا أن نتروى قليلا قبل أن نتقبل هذه التفسيرات على علاتها . فلا [illegible] عابرا بمفهوم الغريزة دون الولوج [illegible] الى أسرار القدرة الالهية الكامنة في أعماق الكائنات الحية . فهذه القدرة هي التي [illegible] في [illegible] النظرية . [illegible] السلوك الغريزي لهذه الكائنات [illegible] في هذا المجال [illegible] تعريف الغريزة [illegible]

ع من أعماق الخلايا بشكل موروث من الاسلاف الى ..سال وليس للجملة العصبية ولا للدماغ الا تأثير ..ف لا يكاد يذكر على هذا العمل الفطرى .

وكل التغيرات الظاهرية والفيزيولوجية الطارئة على الحيوان انما هى أفعال لاحقة على نشوء الغريزة . ومن المنطقى حتما أن التأثير التلقائى المحدد من أنسجة الكائن الحى واحداث رد الفعل تجاه المهيج أو المثير والذى أوردته الفرضيات الموضوعة كلام يستدعى السخف والاستهجان حقا . فهل ان فطر الميسيليوم مثلا هو الذى « أثار » النمل الابيض وهيجه ، مما جعل هذا النمل يحمل الفطر الى حديقته فينميه ويربيه ثم يأكله ، أو كأن المن الموجود على سيقان النباتات قد حرك تأثيرا مهيجا فى النمل مما أجبره على حمله الى أعشاشه ثم استثار بطونه حتى يفرز المادة الحلوة ومن ثم يتغذى عليها . بدون شك فان وراء هذه الغرائز وامثالها قدرة هادية مرشدة تتوالى فى الاجيال على كر الدهور ومر العصور .

تقسيم طائفة النحل

ان الفئات الاساسية المكونة لجماعة النحل فى مملكته هى :

ـ الملكات : وهى الاناث الوحيدة القادرة على انجاب الذرية فى مملكة النحل بسبب تطور قناتها البيضية وكفاءتها الاخصابية العالية فى وضع البيض . ولذلك تتميز بمؤخرة طويلة . وبامتلاكها لآلة لسع تلسع بها غيرها من الملكات ، وعادة توجد ملكة واحدة فقط فى مملكة النحل .. واذا وجدت عدة ملكات فيجرى التصارع بينها لاثبات الجدارة والاهلية فى حكم المملكة .. وقد تموت الملكات الاخريات أثناء الصراع أو تغادر المملكة مع فئة من جماعتها طريدة لتبحث عن مكان خاص تنشىء فيه مملكتها .

ـ الشغالات أو العاملات : وهى الفئة التى تشكل ..الية العظمى من أفراد مملكة النحل .. وتمتاز بصغر ..مها وضمور قناتها البيضية ولذا فهى لا تضع بيوضا فى حالات نادرة جدا ، وكذلك تمتلك سلة لجمع حبوب الطلع وأداة لسع للدفاع عن نفسها وعن مملكتها . وتقوم الشغالات بعبء العمل فى المملكة بكافة وجوهه ومجالاته . فنجد :

ـ جنود الحراسة : وهى التى تحرس بوابات المملكة وتدافع عنها ضد المهاجمين الغرباء عن أفراد الطائفة ، وكذلك تفتك بالمتسللين اذا نجحوا بالتسلل داخل المملكة . وعلى هذا فهى تلسع كل من يقترب من المملكة أو يحاول مهاجمتها .

ـ عاملات التنظيف : وتقوم بتنظيف أرجاء المملكة من الاوساخ وبقايا البيض والعسل المهترىء والقشور والشمع التالف وبراز أفراد الطائفة والقتلى من المهاجين الغرباء أو الملكات الصريعات ، وبيوض الحشرات ومسببات الامراض المتطفلة على زوايا وأركان المملكة .

ـ الوصيفات . وهى تشكل حلقة من الشغالات تدعى « الوصيفات » يحطن بالملكة احاطة تامة لحمايتها من الاذى وهجوم الغرباء عليها وكذلك لمساعدتها فى وضع البيض . ومن مهام الوصيفات أيضا تقديم الغذاء الملكى للملكة وتنظيفها من الاوساخ وازالة آلة التلقيح « السفاد » التابعة للذكر والتى تلتصق بالملكة الفتية بعد قيامها بالطيران الزفافى وحصول التلقيح من قبل الذكر .

ـ الشغالات الخارجيات : وهى فئة من الشغالات تمضى سحابة نهارها طائرة من زهرة الى أخرى بحثا عن رحيق الازهار وحبات الطلع ، وقد تطير مسافات طويلة ضمن دائرة واسعة يصل قطرها الى ما يقارب ٥ كم . وتعود محملة برحيق الازهار فى أفواهها وحبات الطلع فى سلاتها المحمولة على أرجلها . وتهتدى هذه الشغالات فى رحلتها بغريزتها دون أن تخطىء مكان مملكتها او تضل . ولو وقع مثل هذا الخطأ صدفة فان عقابا صارما سيواجهها اذا دخلت مملكة غريبة أو حاولت الدخول ، وقد يكون مصيرها الموت المحتم .

ـ شغالات انضاج العسل : ووظيفتها الاعتناء بالعسل بتهويته وتركيزه بتخفيف الماء منه وبالتالى انضاجه كى يصبح طازجا جاهزا للخزن فى أمكنته المخصصة لذلك بعد ختمه بطبقة رقيقة من الشمع .

ويستتبع هذا الامر قيام الشغالات بافراز الشمع من الغدد الموجودة على الحلقات البطنية لبناء القرص الشمعي بتحاريبه السداسية الشكل ..

ـ شغالات الحضنة . وهي عاملات مهمتها العناية بحضنة الطائفة من حيث تقديم الغذاء لها وتغطيتها بطبقة رقيقة من الشمع حين دخولها طور العذراء والتشرنق ، وكذلك ازالة اليرقات الميتة وما الى ذلك .

وقد تتداخل الاعمال المتخصصة السابقة فيما بينها حيث تقوم شغالات بوظيفتين معا في ان واحد . كأن تجلب الشغالات الخارجية الماء الى المملكة او تشارك شغالات في الهجوم على مملكة أخرى مجاورة بقصد السرقة أو تقوم شغالات بوضع بيوض فتدعى حينئذ بالامهات الكاذبة وغير ذلك

ـ الذكور وهي الفئة القليلة في المملكة التي لا تعمل ولا تقوم بأي نشاط سوى ملاحقة الملكة الفتية أثناء طيرانها الزفافي الوحيد في حياتها وتلقيحها من أجل وضع البيض واستمرار النسل . والذكر الاقوى في الطيران هو الذي يلقح الملكة ويموت صريعا في مكان التلقيح بسبب خروج أمعائه مع آلة التلقيح (السفاد) . وبعد عودة الملكة الفتية من زفافها ملقحة يصبح وجود الذكور في المملكة غير مرغوب فيه وتسعى الشغالات للتخلص منها اذا أمكنها ذلك واذا صدف وخرج ذكر من بوابة المملكة فلا تسمح له الحارسات بالدخول

غريزة التناسل في النحل

بعد أن استعرضنا فئات طائفة النحل يجدر بنا أن نتعرف على النواحي الاخصابية بكل فئة على حدة .

فالملكة : هي الانثى الوحيدة المخصبة التي تضع البيض والسبب في ذلك تغذيتها المستمرة على الغذاء الملكي الخاص بالملكات فهذا الغذاء غني بفيتامين E الذي يساعد على تطور الجهاز التناسلي ويشجع نضج البيوض وكذا النطاف . وعلى اعتبار أن الملكة تلقح مرة واحدة في حياتها من قبل الذكر لذا فهي تختزن النطاف في محفظة أو حوصلة تقع في مؤخرتها . وتحتفظ هذه النطاف بقدرتها الحيوية على الاخصاب لفترة طويلة تصل الى ٥ر١ ـ ٢ سنة .

ومن الجدير بالذكر أن الملكة بعد مغادرتها لمملكتها تطير عدة دورات استعراضية من أجل تحديد وجهتها أثناء طيرانها الزفافي وكذا للاهتداء الى مملكتها عند العودة .

والذكر . وهو الفرد الملقح للملكة فيصب النطاف في حوصلتها لحفظ النسل واستمرارية الحياة وعندما تشعر الذكور برغبة الملكة الفتية للخروج تتبعها على شكل سرب ، فيضل بعض الطريق ، ويسقط أخر من شدة الضعف ، أو يعجز أخر عن اللحاق بالملكة الفتية القوية وهكذا حتى يصل الذكر الاقوى الى الملكة ويلقحها

والشغالة وهي أنثى طبيعية من الناحية الصبغية ولكنها غير مخصبة ولا تنتج بيوضا ، بسبب ضمور قناتها البيضية وينشأ هذا عن عدم تغذيتها على الغذاء الملكي غير أن لهذه القاعدة استثناء الا وهو وقوع ظاهرة الامهات الكاذبة اذ يحصل أحيانا ـ أن تفتقد الوصيفات ملكتها سواء بالموت المفاجىء نتيجة مرض أو قد تضل الملكة مملكتها مصيع ، أو قد تشيخ الملكة وتهرم ، وبالتالي تعجز عن وضع البيض أو عندما تضع بيضا لا ينتج سوى ذكور بسبب نفاذ المحفظة المنوية من النطاف ففي كل الحالات السابقة وغيرها تنشأ نزعة غريزية في الشغالات ضارة ومخربة لحياة المملكة وتهددها بالفناء والانقراض اذ تقوم شغالات الحضنة وغيرها بالتهام كميات من الغذاء الملكي فيؤدي ذلك الى تطور مبايضها ونضجها فتنشط لوضع البيض ولكن هذا البيض سينتج ذكورا أيضا لان هذه الامهات الكاذبة لم تلقح بنطاف الذكور وبالتالي ومع مرور الوقت تنقرض الشغالات الهرمة ولا تبقى الا الذكور في المملكة فتفنى الطائفة وتضمحل ومن الجدير بالتنويه هنا أن انصياع الامهات الكاذبة لغريزتها بوضع البيض دليل على استقلالية الغريزة عن دماغ الحشرات والجملة العصبية فيها اذ تظن هذه الامهات الكاذبة أن قيامها بوضع البيض يضمن استمرارية النسل وانتاج الذرية وهذه الظاهرة خطرة على حياة الطائفة . ويجب ان يعمل المربي على تلافيها بقتل هذه الامهات الكاذبة لان مفعول

.ية الضارة سيستمر حتى ولو وجدت ملكة فتية .دة في المملكة . ويمكن للمربي ان يكتشف الام .دبة بسهولة فمؤخرتها منتفخة وبيوت الذكور كثيرة .كل غير طبيعي .

وتحديد الجنس !

لنتأمل الآن كيفية تحديد الجنس في نسل النحل . .من المعلوم أن الصيغة الصبغية في خلايا الملكة هي (٣٢) صبغيا . أي أن العدد الصبغي (الكروموزومي) فيها زوجي (2 n) وكذلك تمتلك الشغالة نفس العدد الصبغي (٣٢) أيضا . بينما نجد أن الذكر يمتلك صيغة صبغية أحادية (1 n) أي (١٦) صبغيا فقط .

ومن الجدير بالتنويه أن البويضات التي تضعها الملكة تمر خلال تطورها ونضجها بانقسام منصف للصبغيات يدعى الانقسام الاختزالي أو المنصف ، فتصبح البويضة بموجبه حاملة للعدد الصبغي الاحادي وهو (1 n) . وعلى الرغم من أننا لسنا بصدد شرح ظاهرة الانقسام المنصف الرائعة الآن ، فان من الواجب علينا أن نقف وقفة عجلى نستطلع فيها هذا الانقسام المدهش والذي يدعو الى الاعجاب والعجب في هذه القدرة الالهية الجبارة المتحكمة في التنظيم الرائع البديع للاسال عبر كافة الاجيال والعصور ، بحيث يحفظ العدد الصبغي لكل كائن حي ثابتا دون تضاعف ولا نقصان (الا في الحالات النادرة الشاذة) .

ولننظر مرة أخرى الى هذا الابداع الالهي في تنظيم الخلق وتنوعه . اذ نجد أن الذكور في طائفة النحل والتي تمتلك ـ كما ذكرنا ـ صيغة صبغية أحادية تفرز نطافها جاهزة بعد ان تمر بانقسامات عادية (ميتوزية Mitosis) لاتختزل فيها الصبغيات . وبالتالي يبقى العدد الصبغي في النطفة على حاله أي ١٦ صبغيا وهذه نقطة مخالفة للقاعدة الحيوية العامة في .. النطاف في الكائنات الحية . اذ من الضروري .. الصبغيات الى النصف في كل من النطفة .. حتى يعود العدد الصبغي الى أصله عند .. مع بعضها البعض بعملية الاخصاب . بينما نجد هنا في ذكر النحل لو وقع الانقسام الاختزالي أثناء تكوين نطافه لاصبح العدد الصبغي فيها (٨) واذن لاضطرب النسل ولم تتحقق الاستمرارية والروعة في هذا الكائن الحي . فلله ما أعظم خلقك وما أروع حكمتك في بدائع صنعك .

أما الشغالات فانها تصنع نخاريب الحضنة من الشمع على هيئة عيون سداسية عميقة نوعا ما وهي على نمطين : عيون سداسية واسعة أو عريضة وقطرها $\frac{1}{4}$ بوصة أو عيون سداسية ضيقة وقطرها $\frac{1}{5}$ بوصة .

فبعد تلقيح الملكة من قبل الذكر تقوم بوضع البيض . فاذا أدلت الملكة مؤخرتها في العين السداسية الضيقة الموجودة في قرص الشمع فان هذه المؤخرة تنضغط بشكل خفيف مما يسمح بتلقيح البيضة النازلة من قناة البيض بالنطاف المخزنة في الحوصلة المنوية للملكة .. وبالتالي تصبح هذه البويضة ملقحة وذات عدد صبغي (2 n) باجتماع العدد الصبغي الاحادي من البويضة بالعدد الصبغي الاحادي من النطفة ، ومثل هذه البويضة المخصبة تنتج شغالة عند انتهائها وتطورها ..

أما اذا أنزلت الملكة مؤخرتها في النخروب السداسي الواسع من قرص الشمع فان البيضة النازلة لا تتعرض لضغط وبالتالي لا تمر على الحوصلة المنوية ولا تلقح بنطفة ما فتخرج بويضة غير ملقحة . غير أنها تتابع تطورها وانقساماتها لينتج عنها ذكر طبيعي تماما ذو صيغة صبغية أحادية (1 n) بعملية تدعى التوالد البكري :

والان لننظر كيف تنشأ ملكة النحل بغريزة رائعة تدعو الى الاعجاب ، وليس لها من تفسير سوى تلك القدرة الالهية الهادية . فعندما تشعر الشغالات بحاجة المملكة الى ملكة فتية ترفع بفكوكها يرقة فاقسة من بيضة ملقحة . أي ذات عدد صبغي (2 n) وموجودة في عين سداسية عريضة . ثم تقوم هذه الشغالات بمط اطراف العين السداسية بشكل مائل وعريض حتى يصبح الحيز واسعا ولا يعيق الحركة اليومية داخل المملكة فتنمو اليرقة براحة وسعة حتى يكتمل لها نموها

وتطورها . ومن البديهي اذن أن تقدم الشغالات لهذه اليرقة الملكية الغذاء الملكي طيلة فترة حضانتها وحتى بعد أن تصبح ملكة كاملة

صنع العسل

تقوم الشغالات الخارجيات بجمع رحيق الازهار من مصادر شتى في الحقول والبساتين والحدائق وتعود به محملة الى مملكتها فتضع حولتها في العيون السداسية العريضة ذات الميل البسيط نحو الاعلى حتى لا يسيل العسل منها وبعد امتلاء هذه النخاريب تقوم بعملية تهوية مستمرة بأجنحتها لتكثيف هذا العسل وتركيزه حتى لا يتخمر وبعد ذلك تختمه بطبقة من الشمع الابيض عادة والخالي من المسام حتى لايمتص هذا العسل المركز والمخزن في النخاريب الماء والرطوبة الجوية وأما حبوب الطلع فلا تغطى بالشمع وعادة لا تملأ النخاريب بالعسل تماما ويحفظ هذا العسل حتى أشهر الشتاء الطويلة لتأمين الغذاء لكافة أفراد الطائفة جميعا

وأما الغذاء الملكي فتقوم الشغالات بعجن حبات الطلع الصفراء مع رحيق الازهار ، ثم تفرز عليها لعابا خاصا من عدد لعابية متواحدة في البلعوم في رأس الشغالة وبعد عدة عمليات تهوية ينضج هذا الغذاء ويصبح غذاء ملكيا خاصا بالملكات . ومع هذا فـ[illegible] شغالات الحضنة تقدم كميات قليلة من هذا الغذ[illegible] الملكي ليرقات الذكور والشغالات أيضا لمدة ٣ ايام فقـ[illegible] كي يكون نموها طبيعيا وأكثر تحملا ومقاومة للامراض

وأخيرا فاننا لنعجز عن الاحاطة بكافة غرائز النحـ[illegible] واستكناه أسراره في مقال متواضع كهذا ، لان ذلـ[illegible] يحتاج الى مجلدات كبيرة تبحث في أعماق الحياة الاجتماعيـ[illegible] التى يعيشها النحل ومن المناسب في هذا المقام أن نذكر بأن العلماء يتفقون على وصف الجملة العصبية والدماغ في الحشرات بالرقى والتطور الكبيرين بحيث يفضل تطور الجملة العصبية في الاسماك والبرمائيات

وبعد ألا ترى معي عزيزي القارىء الى روعة البناء والهندسة في مملكة النحل وعظمته بهذه الغرايز المتنوعة المنغرسة في أفرادها . ونتطامن للقول بأن مصداق كلامنا هذا ما تورده الايات الكريمة التالية . « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون » صدق الله العظيم ■■

جامعة حلب ـ د محمد مروان السبع

اختيار !

● مضى احد الشبان من سكان الجبال في مصادقة فتاة، الى أن استوقفه والدها وقال : « مضت سنة تقريبا وأنت تخطب ود نلى ، فما تريد ؟ أشريفة نيتك أم غير شريفة ؟ »

فقال الشاب الدهش « اتعنى ان لي ان اختار ؟ » .

فنان خالق

● عرضت احدى الصور الفنية على الرئيس لنكولن ليبدى فيها رايه وقيل له انها من صنع فنان حديث فتأملها الرئيس قليلا ثم قال . « استطيع ان اقول بحق ان الفنان الذى صنع هذه الصورة فنان خالق لانه رسم شيئا لاشبيه له في السماوات ولا في الارض ولا في أعماق البحار » .

العرب والتربية والحضارة

دراسة في الفكر التربوي المقارن

للدكتور محمد جواد رضا

تقديم : عبدالرزاق البصير

لو كنت مؤلف هذا الكتاب لضاعفت صفحاته كي تتسع المساحة امامي فاتمكن من تبسيطه ليستطيع اكثر الناس قراءته وفهمه . بل اني في الواقع اتمنى ان يفعل المؤلف ذلك فان ناشئتنا ومثقفينا في حاجة شديدة الى ان يعرفوا ما جاء في هذا الكتاب من افكار ونظريات في عقولهم ولكن اكثرهم قد لا يقبلون على مثل هذا الكتاب لانهم قد تعودوا على الغذاء الخفيف الذي لا تكاد العقول تحس به الا يسيرا خفيفا . بل اني غير مخطىء اذا قلت بان اكثر ما يقدم الى الناشئة في الساحة الفكرية هذه الايام ليس فيه غناء . فلو سالت اكثر ناشئتنا عن الفرق بين الحضارة والثقافة لما استطاعوا ان يجيبوك بشيء ولو سالتهم عما اطلقه العلماء من تعريفات للحضارة لما استطاعوا ان يجيبوك بشيء ايضا .

وتستطيع ان تقول مثل ذلك عن جهل معظم ناشئتنا باصحاب المذاهب التي تقول بالنزعة الفردية والمذاهب التي تقول بالنزعة الجماعية ، وفي عدم اهتمامهم بالثقافة التي تصنع النظريات المجتمعات البشرية . وليست في حاجة الى ... ما ... المشكلات التي ... اليها عن ... كبرى ... [illegible] ... ترتكز عليها [illegible]

وعلى اي حال فان المؤلف يعالج هذه القضايا الفكرية المهمة بصورة مركزة الى حد يحتاج من يريد ان يستوعبها الى صبر واناة . ولكي يكون هذا الحكم واضحا للقراء فاني اورد بعض الفقرات من الكتاب ... المؤلف ... [illegible]

فعالية فردية وان المجموع الكلي للقواعد والاعراف وهو ما يوافق « توينبي » على تسميته بـ « كعكة التقاليد » .

ويقول المؤلف ايضا : «اما الانثروبولوجيون الذين اشترطوا وجود تقويم معياري ، او معايير تقويمية لامكانية الحكم على ثقافة ما بالتحضر فقد كانوا مترددين في استعمال المعايير الاخلاقية لهذا الغرض وحبذوا بدلا عن ذلك استعمال معايير يكون القياس بها ممكنا وفقا لنمط معين من انماط الكفاية الداخلية » .

خمسة مذاهب

فانت ترى في هذه الفقرات انها مركزة تحتاج الى تبسيط للفرد العادي والى اثبات صحتها او خطئها ولما كانت التربية عنصرا اساسيا من عناصر الحضارة اذ ان الحضارة لم تصل الى ما وصلت اليه الا نتيجة للتربية والتعليم . لذلك نرى المؤلف يورد خمسة مذاهب للتربية هي: انها وسيلة من وسائل الهيمنة الاجتماعية والمذهب الثاني يقول : بانها اداة المجتمع في تحقيق الوفاق الاجتماعي اما المذهب الثالث فانه يرى بانها اداة لتجنيب الفرد نتائج الارتطام بالوضع الاجتماعي القائم . وهذا يعني بان التربية تحاول ان تجعل الفرد منسجما مع مجتمعه .

ويقول المذهب الرابع بان التربية دمج ثقافي اى عملية تكييف واع او غير واع تتحقق من خلال العملية التعليمية بحيث يكتسب الانسان طفلا كان ام راشدا الكفاية الاجتماعية داخل ثقافته .

اما المذهب الخامس فهو مذهب النفسانيين الاجتماعيين وعلماء النفس المعنيين بنمو الطفل الذين يرون في التربية عملية « تطبيع اجتماعي » حيث ترمز كلمة التطبيع الى تلك العملية التي بواسطتها يتعلم الفرد كيف يتكيف الى جماعته عن طريق اكتساب السلوك الاجتماعي الذي ترضى عنه تلك الجماعة .

وانت حين تتامل في هذه المذاهب الخمسة تجد الاختلاف بينها ضئيلا حتى ليخيل الى ان المذهب الاول هو المنبع الذي اخذت عنه بقية المذاهب الاربعة آراءها وافكارها فعبرت عن ذلك بصور مختلفة . وكنت اتمنى على المؤلف لو انه لاحظ بان تشكيل الانسان يتم بعد ان يبلغ العشرين اذ انه يكون قد تكيف مع مجتمعه فاذا كان من سائر الناس فانه يجاري مجتمعه اما اذا كان من المتفوقين فانه يتامل في مجتمعه بتعمق فاذا ما رأى بعض عاداته غير متلائمة مع العقل والمنطق سعى الى احداث ما يراه من تغيير لذلك نجد طلاب الجامعة يشاركون في تغيير مجتمعاتهم فلا ينساقون معه. ولسنا في حاجة الى توضيح ما يقوم به طلاب الجامعة من اناث وذكور من نشاط في كثير من الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية فان ذلك معروف لدى الجميع . على ان المؤلف قد نبه الى ضعف الاختلاف في المذاهب التربوية التي اشرنا اليها فيما سبق . ولقد احسن المؤلف صنعا عندما بحث في تاريخ الصين اذ كان بحثه لتاريخ هذه الامة العريقة والتي تكاد تبلغ ثلث العالم من حيث العدد ومن حيث التاثير الفكري . فان جميع المثقفين يعرفون ما لكونفوشيوس من مكانة فكرية في دنيا الفلسفة والاخلاق . فانت واجد في التجربة التي مرت بها الصين كل ألوان التجارب التي مرت بها سائر امم العالم من تحكم الذين يرون في انفسهم أنهم أعلى من سائر الناس . كما تجد النزاع بين المذاهب الفلسفية والاقتصادية والاخلاقية ولم يشأ المؤلف ان يكون بحثه في تاريخ الصين بحثا مطولا لئلا يجلب الملل الى القراء فان تاريخ حضارة هذه الامة موغل في القدم بالاضافة الى أن أسماء الصينيين معقدة يصعب على القارىء نطقها واستساغة الفاظها كذلك الحال في احداث تاريخهم فانها قد تكون ثقيلة على نفوس الكثيرين ماعدا اولئك الباحثين الذين تعودت نفوسهم على وعورة طرق البحث . وكل ماقصده المؤلف هو ان يعطي القارىء العربي ملامح تربوية عن هذه الامة وقد فعل مثل ذلك حين تحدث عن الحضارة الهيلينية . فاوجز تاريخها مبسطا قدر المستطاع مراحل الفكر والحضارة كما قارن بين اتجاه الفكر ومسيرته عند الصينيين والاغريق .

بين الصين واليونان

وكمثال على ذلك نورد هذه الفقرة من تلك

..ة لتتضح للقارئ دقة المؤلف وعمقه في .. تاريخ هاتين الامتين : يقول المؤلف (على المقارنة بين النظامين الاجتماعيين الصيني .. غريقي لايمكن ان تؤخذ على اطلاقها والا كانت ..ـلة ، فاذا كان الملك الصيني قد ظل حتـى ..نهاية رمزا لفوقعلوية غامضة يستمد منها سلطانه وباسمه ، فان ملك حكومة المدينة الاغريقي سرعان ما فقد قواه السياسية لطبقة النبلاء الذين فقدوها بدورهم للشعب • واذا كان الشعب في الصـين القديمة ظل بعيدا او مبعدا عن المشاركة فـي السلطة السياسية فان الشعب الاغريقي سرعـان مـا اصبح هو مصـدر تلك السـلطة وممارسهـا الفعلي • واذا كان الصيني القديم يتطلع الى الغيب التماسا للاجوبة على اسئلة العقـل والضمير فان الغيب لم يمارس مثل ذلك النفوذ على عقل الاغريقي القديم) •

ولما كان اثر الامة اليونانية واسعا عظيما في الناحية العقلية والتربوية فان المؤلف رأى ان يقف عندها طويلا ذاكرا ما لسقراط وافلاطون وغيرهما من الفلاسفة المشهورين من آراء فـي التربية والفلسفة وما احدثوا من تغيير في التفكير الانساني ، الى درجة جعلت الرومان ينسخون تلك الاراء والافكار وينشرونها بين افراد شعوبهم باللغة اليونانية بحيث اصبح على المثقف الروماني ان يلم باللغة اليونانية ولكن الرومان لم يكونوا نسخة كاملة لليونان فان لكل امة مزاجها وطبيعتها وتكوينها فنحن نجد الرومان قد عنوا عناية شديدة بالخطابة وكان شيشرون وكونتليان هما الرائدين لهذا النهج حتى ان بعض مؤرخي التربية حاول ان يوجز مسيرة الفـكر التربوي في الحضارة الهيلينية فقال انها تمثل الانتقال المطرد مـن ثقافة النبيل المحارب الى ثقافة الكاتب ، ولقـد كان ذلك قدرا مقدورا لحضارة مشت الطريق الطويل من الحرية الى الاستبداد •

وبالجملة فان قارىء هذا الفصل يقف علـى مسيرة الحياة التربوية عدة قرون •

عندما جاء الاسلام

.. الواضح ان التاريخ يحدثنا بان الحضارة الا..ـية بقيت راكدة مدة طويلة حتى جاء الاسلام بنظرته الشاملة الى الكون والى طبيعة الانسان (ففاتحة القرآن توجه اهتمام المؤمنين الى حقيقة ان الله تعالى هو رب العالمين وليس رب قوم باعيانهم) • ويمضي المؤلف في رواية بعض الايات القرآنية الكريمة التي تؤكد هذه النزعة العميقة لطبيعة الانسان والكون وفي ابرازها انشاء الاسلام من اخلاق عالية التي لا يمكن للانسان ان يكون انسانا الا بالتخلق بها • ولقد كانت هذه النزعة من اهم العناصر في نشر الاسلام بصورة سريعة لم يسبق لها مثيل في التاريخ • كما كانت سببا في تجانس آراء كثير من علماء التربية في الاسلام يمثلهم الغزالي وابن جماعة ونصير الدين الطوسي ومجمل هذه الاراء ان لفظة العلم مقصورة على ما يتعلق بالدين من فقه واصول وتفسير للقرآن وما الى ذلك من هذا المفهوم ، اما بقية العلـوم كالحساب والهندسة فان مرتبتها اقل من ذلك بكثير عند هذه الجماعة من علماء المسلمين وتفرع عن ذلك : ان التعطش الى التسامي الروحي دفـع بالفكر التربوي الاسلامي الى احتقار الدنيا وما يشتق منها من المنافع واللذات المباحة ومن الحرف والاعمال هذه التي يعتمد عليها قدر غير يسير من صلاح العيش الانساني وتتعلق بها سعـادة الانسان وامنه على هذه الارض ، حتى لم يتحرج بعض كبار المربين المسلمين من وصم الاعمـال اليدوية وهي مصدر الانتاج في المعاش الصناعي بنعوت قاسية •

وهناك تيار آخر منفتح على الفكر الاغريقي يمثل هذا التيار اخوان الصفا في الرسائل وابن مسكويه في « تهذيب الاخلاق » وآخرون غير ان اخوان الصفا هم الذين حملوا لواءه وتكلمـوا باسمه ومن هنا استحقوا اهتماما خاصا من المؤلف فنجده وقف وقفة طويلة عند رسائل هذه الجماعة فاورد منها نصوصا تكاد ترسم صورة متكاملـة لفلسفتهم مما استغرق عدة صفحات من هذا الكتاب•

ومجمل رأي المؤلف في هذا التيار المنفتح انه يرى بان حاجات الانسان متنوعة ومتعددة وان العلوم يجب أن تتعدد بتعدد هذه الحاجات ، ولهذا فنحن ملزمون بتحقيق درجة عالية من الموازنة بين هـذه الحاجات • وان حاجات الانسان وظروفه المادية لا تقل اهمية عن حاجاته الروحانية وهي لهذا تحتفي

بالعلوم التي تخدم تلك الحاجات والظروف حفاوة بالغة ·

اول مدرسة اكاديمية

واذا ما اردنا ان نتعرف على اسلوب التعليم عند المربين الاسلاميين فانه يتبين لنا بانهم يعتقدون بان من الافضل للطالب ان لا يتلقى علوما متنوعة لئلا يتشتت ذهنه فلا يتقن شيئا منها فكانهم يبالغون في التخصص ، وقد أورد المؤلف فقرات طويلة متعددة عن جملة من العلماء توضح هذا النهج . ثم انهم يفرقون بين التربية والتعليم فهم يرون ان التربية اوسع من التعليم اذ انها تبدأ من الطفولة وعلى المعلم ان يكرر درسه اكثر من مرة ثم يسأل الطالب عما اذا كان استوعب ما القي اليه · وبالجمله فان المربين الاسلاميين يعنون بالاخلاق بمقدار عنايتهم بالعلوم·

وقد بقي اسلوب التربية على هذا الحال مدة طويلة الى مابعد تاسيس المدرسة النظامية التي يعدها بعض المؤرخين اول مدرسة اكاديمية في الاسلام. اي انها كانت أول مدرسة تعنى بالحاجات المادية والعقلية والروحية لطلابها على حد سواء ثم اصبحت المثال الذي احتذي في تاسيس معاهد التعليم العالي الاخرى · وكنت اتمنى لو كان المؤلف اكثر وضوحا في تفصيل المناهج المقررة في تلك المدرسة المهمة لانها تعتبر اول معهد علمي كما سبقت الاشارة اليه · ويمضي المؤلف في الحديث عن هذه المدرسة الى حين اندماجها في المدرسة المستنصرية سنة ١٣٩٧ ·

بعد ذلك ياخذ المؤلف قارئه الى رحلة تاريخية اخرى الى الغرب مبتدئا في الحديث عن الراسمالية باحثا عن اصل هذا المصطلح في اللاتينية والانكليزية دارسا ما يعنيه هذا المصطلح في عالم الاقتصاد مفصلا في ذلك تفصيلا فيه كثير من الايضاح ·

درس من فرنسا

وبعد ان ينتهي من ذلك ينوه المؤلف الى توجه أرباب الصناعة والتجارة بالاضافة الى الحكومات في اوربا وأمريكا الى ماتحدثه التربية من اثر عظيم في النفوس · كما يحدثنا عن أن فرنسا كانت من اكثر الامم الغربية التفاتا الى اهمية التربية ، فهي لا تكاد تحل بها مصيبة حتى تبادر الى أسباب تلك المصيبة وتنتهي في جميع الاحوال الى ان التربية قبل وقوع الاحداث لم تكن على ما يرام فلا بد من اعادة النظر في مناهجها لكي تتجنب الامة مثل تلك الكوارث وهذه فيما أعتقد نظرية صحيحة نتمنى ان تاخذ بها الامة العربية فاننا لو فعلنا مثل ما فعل الفرنسيون في مناهج تربيتنا حينما تحل بنا الخطوب لتغيرت حالنا عما نحن عليه · وما اكثر الخطوب التي حلت بنا ولكنني لا اعرف اننا درسنا اسباب مصائبنا وخطوبنا دراسة شاملة تتقصى فيها أسباب هذا التخلف والضعف الذي جعلنا لقمة سائغة لاعدائنا المغتصبين ، ولعلنا لو عرفنا الاسباب لما حاولنا علاجها بصورة عملية على صعيد الواقع ولكي يجعل المؤلف قارئه يتصور مسيرة التربية تصورا متكاملا فانه بحث التربية في الدول الاشتراكيه ولقد فعل في هذا الفصل مثلما فعله في الفصل الذي تحدث فيه عن التربية في الدول الراسمالية وبدأ بحثه بنشوء مصطلح الاشتراكية فقال : اننا لا نعرف متى نحت اصطلاح الاشتراكية في الاعصر الحديثة فهناك من يذهب الى ان بيير ليرو وهو من جماعة سان سيمون استعمل الكلمة اول مرة عام ١٨٣١ في مجلته Globe التي كان يصدرها لصالح تلك الجماعة · على حين يذهب آخرون الى ان الاصطلاح استعمل أول مرة عام ١٨٢٧ ·

ومضى المؤلف يستعرض هذا الاتجاه الاشتراكي من الناحية التاريخية اذ كانت ملامحه موجودة في جمهورية افلاطون وبعض فلاسفة الاغريق متدرجا الى حين قيام دولة الاتحاد السوفيتي بصورة مفصلة بعض الشيء وتناول بعد ذلك الجانب التربوي في هذه الدولة التي تعد ١٦٩ مجموعة عرقية ومجمل الصورة التربوية عندهم انهم قد اهتموا بالناحية العملية اهتماما ربما كان اكثر من اهتمام الدول الراسمالية بهذه الناحية · الى جانب التعليم الالزامي لجميع الافراد ومرتكزون في تربيتهم على ان يغرسوا في عقول ابنائهم العقيدة الشيوعية · وقد فصل المؤلف في سرد مراحل التعليم عندهم كما اشار الى ما حدث من

..نظر في برامج التعليم لما حصل من متاعب للطلاب والمعلمين .

.. نتج عن هذا كله تقدم واضح في السوية .. والعلمية لمن يتم دراسته الثانوية .. عد لاحظ احد كبار المربين الامريكان .. واخر الستينات ان خريج المرحلة .. .بة الروسي يعادل في معرفته العلمية .. خريج احسن الثانويات الامريكية علما بانه .. لم يحصل الا على عشر سنوات من التعليم على حين ان قرينه الامريكي ينال اثنتي عشرة سنة من التعليم . وان قليلا من الصفوة الامريكية يمكن ان يعادلوا الصفوة الروسية عقليا . وليس .. هذا الى الانضباط فقط وانما مرجعه ايضا .. ان مجموع الساعات الدراسية التي ياخذها .. الروسي في عشر سنوات يفوق عددساعات .. الامريكي في اثنتي عشرة سنة) .

.. ان هذا المجهود اثر على صحة الطلاب تاثيرا .. الاطباء الى توجيه رسالة مفتوحة الى الرأي العام الروسي محذرة من الواجبات الثقيلة وغير المعقولة الملقاة على كاهل طلاب المدارس وقد اعاد .. الروس النظر في مناهجهم فجعلوها مناهج يمكن طلابهم استيعابها من غير ان يلفوا منها الاهتمام بالناحية العملية .وبالجملة فان مناهجنا التربوية لا يمكن ان تؤدي غرضها المطلوب الا اذا اعدنا النظر فيها وجعلناها عقلانية عملية بحيث لا نرى العمل اهانة للمتفوقين منا ولا نتردد في محاكمة أية مادة من مواد مناهجنا التربوية وهنا يورد المؤلفآراء لاكابر علماء التربيةوالفلسفةكالدكتور « متى عقراوي » والاستاذ نور الدين حاطوم والدكتور شاكر مصطفى والدكتور زكي نجيب محمود وكلهم مجمعون على اننا مازلنا نتكيءعلى الماضي دون ان نستلهم منه ما يلائم عصرنا ولا مناص لنا اذا اردنا ان ننتسب الىعصرنا انتسابا حقيقيا الا اذا جعلنا الانسان احد الموضوعات الرئيسية التي تتعامل معها مناهجنا وكتبنا المدرسية . هذا وقد وقف المؤلف على كثير من اراء المفكرين المستنيرين من الاقدمين كابن مسكويه واخوان الصفا . واوضح ان لهؤلاء اراء مشابهة لأراء أكبر المفكرين المعاصرين وهي كلها تدعو الى العقلانية واشاعة العدل الاجتماعي والعناية بالانسان بحيث لا يكون الة تردد ما يلقى اليه من الدروس وانما يصبح قادرا على البحث والعطاء .

■■

عبدالرزاق البصير

تجربة ناجحة !

● اشترى صاحب شركة كبيرة عددا من اللوحات التي كتبت عليها عبارة :« افعله الان » . وقام بتعليق هذه اللوحات في اماكن بارزة حول مكتبه آملا أن يكون ذلك حافزا لموظفيه على بذل مزيد من الجهد والنشاط . وبعد عدة أيام سأله صديق له عن جدوى خطته الجديدة ومدى تأثيرها في الموظفين .

فأجاب رجل الاعمال قائلا . حسنا ولكن ليس بالطريقة التي اعتقدتها . فقد اختفى أمين الصندوق مع مبلغ خمسة عشر الف جنيه استرليني . وفر كاتب الحسابات مع سكرتيرتي الخاصة وطلب ثلاثة كتبة زيادة في الراتب .

القلق

بقلم : الدكتور عبدالرؤوف ثابت ★

قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى *
قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى *
سورة طه ـ الآيتان ٤٥/٤٦

خاف (قلق) موسى من عاقبة مقابلته لفرعون ومع ذلك نجح في مهمته بفضل ايمانه وشجاعته ومساندة هارون

القلق ظاهرة عامة في حياتنا ، كما هي في عيادات الاطباء ٠ وهو ـ كظاهرة ـ لا تعني الاطباء وحدهم ٠ بل وجميع المشتغلين بالعلوم الانسانية ومنهم رجال الدين ٠ ذهب البعض في تفسير القلق على انه « الغرم الذى يتكلفه المرء ثمنا لارادته الحرة » ٠

والقلق في مفهومنا الطبى مدلول له اكثر من جانب ، فهو ظاهرة طبيعية ومشكلة احيانا ومرض احيانا اخرى٠ ويمكن اننعرفه على الوجه التالي :

اولا : القلق انفعال غير محبب الى النفس او محتمل ، ولو اننا كثيرا ما نتطلبه ونحتاجه اذ يثيرونه البعض في نفوسهم عندما يتبارون على رياضة خطرة ، يتساوى فيذلك اللاعبون والنظارة الذين يذهبون للاستمتاع بمشاهدة اللعب ٠ وكلنا يعرف وقع الاثارة في نفوسنا عند مشاهدة «فيلم» مشوق او المسلسلات التلفزيونية ـ بعد نشرة الاخبار ـ او سماع الحواديت المخيفة عند الاطفال٠

ثانيا : القلق انفعال لاحق ، اى متعلق بما سيحدث مستقبلا ٠ على عكس الانفعالات (الماضية) مثل الندم والشعور بالذنب ٠

ثالثا : للقلق مسميات متشابهة مترادفة مثل الضيق ، الاضطراب ، الكرب ، الغم ، الخشية ، الجزع ، الذعر الى غيرها من « لغة » الانفعالات٠ اخذ الاطباء كلمة القلق عن اللاتينية ومعناها (ضيق واضطراب) ٠

والخوف والقلق وكلاهما انفعال مرتبطان باحساس الانسان بالخطر او التهديد بوقوعه ٠ والخوف انفعال « حاضر » اى يتعلق بالواقع والان ٠ حينما يتبين الخائف مصدر الخطر وهو يخاف ، تبعا لنوع أو شدة الخطر ٠ وقد يكون الخطر في حالة القلق حقيقيا او وهما ٠ فاذا كان القلق من اشياء واقعية ، كالقلق من الامتحانات ونتائجها ، فانه عادة يزيد كثيرا ولا يتناسب مع نوع ومصدر الخطر ٠ وعلى اختلاف مدلوليهما فان الخوف

★ أخصائي الطب النفسي بجامعة الرياض



والقلق لهما نفس الاعراض النفسية والعضوية (الجسمية) .

أعراض الخوف والقلق

من المعروف ان الانفعالات تظهر على الوجه ، ،لهذا فالوجه من اكثر الدلالات على وجود الخوف و القلق . اما بقية الاعراض فهى :

ضيق فى الصدر ، سرعة وصعوبة التنفس ، جفاف الحلق مع شعور بالاختناق ، سرعة وشدة ضربات القلب (الخفقان) ، شعور بالوهن أو الضعف او دوخة . وعند اشتداد الخوف أو القلق (نوبة الفزع) يعظم اضطراب المرء « يرتعد او يرتعش » . وقد يجرى بعيدا (يهرب) او يثبت فى مكانه او يتشبث بمن حوله او يصرخ.ويتصبب العرق البارد وقد يحدث تقيؤ او تبول لا ارادى . وكل أم اصيب طفلها « بفزع ليلى » Nightmare تعرف الاعراض الاخيرة جيدا . والفرق بين الكابوس » والفزع الليلى ان الطفل فى حالة الكابوس يفيق من نومه تماما ثم يعاود النوم بعد يطمئن ويهدا . أما فى حالة الفزع الليلى ه لا يفيق من نومه ويتشبث بمن حوله ، وفى حالة يعاوده هدوؤه وهو مازال نائما. والكابوس ... غير حميدة ولا ضرر منها اما الفزع ... فهو انعكاس لتعاسة الطفل الذى يجب ... على الطبيب النفسى .

... مكننا قياس الخوف أو القلق بواسطة ... رة . وبواسطتها نجد أن الدم يتحول من ... الى العضلات (شعوب البشرة أو الوجه) وتتقلص العضلات وتضيق الشرايين . وكل طالب طب يعرف أن « ضيق الاوعية الدموية + تقلص العضلات + سرعة وشدة ضربات القلب = ارتفاع ضغط الدم » .

فى بعض حالات القلق يبدى المريض اعراضا عضوية (جسمية) ولا يشكو من الاعراض النفسية . فيشكو من اضطراب التنفس أو القلب او الامعاء او المعدة دون أن يدرى انه قلق.ويعتقد انه مصاب بمرض فى الرئة أو المعدة أو القلب وكثير من المرضى يشكون من ضعف الجهد او الدوخة ، وعند قياس ضغطهم يكون مرتفعا . ولا يعطى الطبيب فى هذه الحالات علاجا للضغط الدموى قبل التاكد من خلو المريض من القلق . وعادة ما يطلب من المريض ان يمر عليه بعد ثلاثة اشهر مثلا دون أن يخبره بارتفاع ضغطه ، وفى الغالب يصف له دواء ملطفا . وغالبا ما يرسل الاطباء مثل هذه الحالات الى الطبيب النفسى .

القلق والخوف لازمان لحياتنا . لا يخلو منهما انسان فى أى وقت من الاوقات ، وكانهما خيوط فى نسيج حياتنا اليومية . وهما من اهم الحوافز التى دفعتنا للتصدى أو الهرب Fight & Flight تجاه الخطر عندما كنا على الفطرة . وهما اللذان يتحكمان الى درجة كبيرة فى اداتنا المتحضر . لذلك ، ولا يحتاج الامر الى الامثلة ، نجدهما فى كل مكان ، فى البيت أو الشارع أو العمل ، هذا قلق من الامتحانات أو نتيجتها ، وهناك قلق على التجارة او الصحة أو الموت (الواقع « سكرات الموت)».والعلاقة بينهما وبين الاداء علاقة متوازية ومطردة ، كلما زاد القلق او الخوف زاد الاداء وحسن ، الى درجة ما ، بعدها يقل الاداء ويضعف حتى يتوقف . ولو انعدم الخوف أو القلق لما وجد « الدافع » . يقول النفسيون (كل يختار لقلقه) بما معناه ان كل انسان يقلق بقدر ما يدفعه عمله الى القلق ، (ولا على القارىء من هذه النظرية المبهمة) . أو بمعنى آخر ، نحن نحدد درجة قلقنا ونبقيه على مستوى معين حتى ننتهى مما نعمل . مثال بسيط لهذا ، عند قيادتنا للسيارة ، ننتبه (نقلق) حسب ما يتراءى لنا وتبعا لدواع كثيرة منها الوقت واهمية المقصد وثقتنا فى السيارة وسلامة الطريق .. الخ ويبقى مستوى قلقنا ثابتا ولا يتاثر بحركة المرور مثلا

● صفحة فى اللغة ●

تصالح الخصوم واصطلحوا أو اصّالحوا

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ ذكرنا فى الصفحة السابقة (العدد ٢٤٨) ان الفعل اذا كان على وزن « تفاعل » فانه قد يحدث من واحد ، مثل : «تفاءل الطالب بالنجاح» و « تباعد عن السوء » و « تثاقل فى المشى » او يحدث من اكثر مثل : « تصالح المتخاصمان » ، «وتوافق المتخالفان» ، ومثل : «تزاور المتجاورون»، « تفاهم المتفاوضون » • ثم ذكرنا المعانى التى يدل عليها الفعل زنة « تفاعل » سواء حدث من واحد او من اكثر ، واخرنا الكلام فى الافعال التى ترادفه ، او يرادفها الى صفحة اخرى ، ونوفى هنا بما وعدنا من هذا هناك •

١ ـ يرادفه (معنى) احيانا ما كان على وزن « افتعل » مثل « ابتعدت من السوء » و «انتهيت من عملى ، وامتثلت للشفاء » ، فهذه ترادف قولنا « تباعدت من السوء » و « تناهى عملى » و « تماثلت للشفاء » وكل هذه الافعال تحدث من واحد •

ومثل « استبق العداءان النهاية » و « اعتنق الصديقان » و « اجتلد الجنود » و « اضطربت الامواج » فهذه ترادف « تسابق العداءان » ، و « تعانق الصديقان » ، وتجالد الجنود » ، و « تضاربت الامواج » ، وكل هذه الافعال من اثنين او اكثر •

ومن الكلمات النادرة وزن الكلمة القرآنية « يخصّمون » واصلها يختصمون (باسكان التاء وادغامها فى الصاد) وهى ترادف (يتخاصمون) •

ويلاحظ ان وزن افتعل لا يرادف وزن تفاعل على اطراد فى كل فعل ومن ذلك مثلا « تنازلت من حقى، وتباطات فى عملى، وتجاوبت العصافير، وتساقط الفراش » ، فنحن لا نستطيع ان نصوغ من جذور هذه الافعال ما هو على وزن « افتعل » •

وقد ياتى فعل على وزن افتعل من جذر على وزن تفاعل فلا يكون مرادفا له ، لاختلافهما معنى، مثل «تعادى الرجلان» من العَدو (الجرى) او من العداوة فاذا قلنا « اعتدى الطالبان » ، كان الفعل هنا من العدوان •

---

١ ـ لا يبدأ العرب كلمة بحرف ساكن (على خلاف كثير من غيرهم) ويجلبون حينئذ قبله همزة للتوصل الى نطقه ولهذا تسمى «همزة الوصل» وهذا مثلاما يحدث فى « ال » ـ أداة التعريف غالبا ـ مثل « الكتاب » وفى افعال الامر من الثلاثى «اكتب»وفى الماضى والامر والمصدر من مزيده الخماسى والسداسى « اغتفر ، استغفر » •

ـ المرادف الثاني احيانا ما كان على وزن «افتعل» (بسكون التاء ، وقبلها همزة وصل) ، ... الوزن هو الشائع ، بل يكاد يكون مطردا في لهجتنا الدارجة ، ولكن يبدو كأنه مهجور في الفصيحة فاذا رجعنا الى افعال وردت في القرآن الكريم وغيره من شواهد الفصيحة مثل « اثاقل » و « ادارك » و «ادارا» وجدنا علماءنا يقولون ان اصول هذه الافعال الثلاثة هي « تثاقل » ، « وتدارك » ، «وتدارأ» (تدافع) وحين نريد وزن هذه الافعال وامثالها نجد انها على وزن « اتفاعل » وفق القواعد الصرفية التعليمية .

اذن هناك افعال في الفصيحة على هذا الوزن كالامثلة السابقة ، وقد قلبت التاء الساكنة كالحرف الملتصقة به بعدها ، وادغمت فيه ، وهذه الظاهرة الصوتية اي تاثر الحروف المتجاورة بعضها ببعض وابدالها بغيرها ـ شائعة في لغات كثيرة ، والغربيون المحدثون من علماء الصوتيات Phonetics يسمونها « التماثل » Assimilation ويسميها سيبويه وابن جني « المضارعة » وهي تفيد المعنى نفسه لغويا واصطلاحيا ، فاذا بلغ « التماثل » غايته بين الصوتين في النطق امتزجا صوتا واحدا مشددا ، وهذا ما يسميه الغربيون « التماثل المزجي » Coalescent assimilation ويسميه علماؤنا « الادغام » فاذا كان الحرف الثاني من الحرفين هو المؤثر في الاول فاننا نسمي التاثير « تاخريا » كما في « اتدارك » فان التاء الساكنة هنا قلبت دالا كالدال بعدها فادغمتا وصارتا دالا مشددة ، فتنطق « ادارك » (وربما كان الوزنان نطقين لاصل واحد) .

ولكن ما هي الحروف التي اذا ولي احدها التاء الساكنة قلبها حرفا مثله ؟

لقد تتبعنا هذه الحروف وتلوناها ، فوجدناها اثنى عشر ، تكون هكذا في الماضي والمضارع والامر دائما .

١ ـ التاء ، مثل « تتابع » تصير « اتْتَابع » ثم تدغم التاء فيما بعدها فتصير حرفا مشددا هكذا « اتَّابع الطلاب ، ويتابعون ، واتَّابعوا يا طلاب ».

٢ ـ الثاء ، مثل « اثَّاقل ، واثَّاءب » .

٣ ـ الدال ، مثل « ادَّاركوا الخطأ » .

٤ ـ الذال ، مثل « اذَّاكروا دروسهم » .

٥ ـ الزاي ، مثل « ازَّاحموا على الماء » .

٦ ـ السين ، مثل : اسَّاءلوا عن الخبر .

٧ ـ الشين ، مثل : اشَّاغلوا باللعب .

٨ ـ الصاد ، مثل : اصَّافح الصديقان .

٩ ـ الضاد ، مثل : اضَّاربت الامواج .

١٠ ـ الطاء ، مثل اطَّاير الورق .

١١ ـ الظاء ، مثل : اظَّالم الاعداء .

وكل هذه الحروف شمسية وهناك حرف قمري واحد هو :

١٢ ـ الجيم ، مثل : اجَّادلوا في الموضوع . (والجيم صوت شديد التذبذب بين الشمسية والقمرية) .

وفي اللهجات الدارجة يتحول «تفاعل» الفصيح الى « اِتْفاعل » دائما، مع الادغام في هذه الحروف السابقة ودون ادغام (اي باظهار التاء) في غيرها ، وهذا دليل على ان وزن « اتفاعل » عريق في العربية ، وان بدا كالمهجور في الفصيحة (٤) .

■■

---

٢ ـ علم «الصوتيات» هو أهم اقسام علم «التجويد» وهو من علوم العربية ، ولا يختص بالقرآن منه الا مسائل قليلة .

٣ ـ بعض علماء القراءات يدغمون تاء التانيث الساكنة (آخر الفعل) في اول حرف من الكلمة التالية لها ـ أو يظهرونها ـ اذا كان الحرف أحد الحروف الستة الآتية : الثاء ، والجيم ، والزاي ، والسين ، والصاد ، والظاء ، مثل « كذبت ثمود » و «نضجت جلودهم» و « كلما خبت زدناهم سعيرا» « أنبتت سبع سنابل » و « حصرت صدورهم » و « كانت ظالمة » .

ـ يشبه « اتفاعل » في هذه الظاهرة الصوتية وزن آخر هو اتْفعّل ـ بتشديد العين ـ وله أيضا ... في الفصيحة بعضها قرآني مثل اصدق واطهر وهذا الوزن كانه مهجور في الفصيحة وهو ... في اللهجات الدارجة .

كلمات فارسية نستخدمها كل يوم!

بقلم : الدكتور محمد التونجي

استاذ اللغة الفارسية بجامعة حلب

كثيرة هي الكلمات الفارسية التي نستخدمها في حياتنا اليومية ، وتقترن بالاشخاص اقترانها بالاشياء • لكن الاعتياد عليها أنسانا الاصل ، والمعنى بالتالي • وفي المقال يكشف لنا الدكتور محمد التونجي استاذ الاب الفارسي في جامعة حلب ، جانبا من هذه الكلمات فارسية الاصل •

■ اذا رزق الله اسرة وليدا تحلق افرادها في اجتماع عائلي ، واخذوا يبحثون عن اسم مناسب له أو لها • وقد تطول هذه الاجتماعات ، كما قد تتعدد ، ولكن صبغة السرور تظل طاغية على جميع الافراد ، حتى يستقر الراي على اسم مناسب ذوقا او موسيقية •

ومثل هذا الامر كان يحدث منذ اقدم العصور • والعرب كانوا في الجاهلية يبحثون كذلك عن اسم مناسب للون الوليد او شكله • كتسميتهم العبد الاسود عنترة (ومعناه : الذبابة او الازرق منها) ، ومي للطفلة الصغيرة ومعناها القردة الصغيرة •• وكانت بعض الاسر تسمي ذكورها باسماء انثوية ، واناثها باسماء ذكرية • وقصدهم من هذا الاجراء التمويه على العدو اذا ما فاجاهم بغارة كاسحة •

وكانوا ينتقون اسماء يغلب عليها اسماء الحيوانات مثل : كلب ، غزال ، جحش •• الى ان جاء رسول الله (ص) فغير من اسماء المؤمنين ، كما حض المسلمين على انتقاء اسمـــاء لاولادهم •

وكان العرب يغرفون من محيـط لغتهم اسماء عرفت قبلهم ، او يركبونها بانفسهم • ومع غنى اللغة العربية فان بعض العرب كانوا احيانـــا يعكفون على اللغات المجاورة ينهلون منها اسماء يرون فيها طلاوة وفي استخدامها عذوبة •

وبطبيعة الحال فان اللغة الفارسية كانت اسخى اللغات الاخرى رحابة صدر في اعارة الاسماء لما بين اللغتين من تمازج واسع على مدى العصور ، بالاضافة الى التركية والعربية بشتى فروعهما • ومن اطرف نتائج الاتصالات العربية الفارسية

اسماء عربية الى قلوب الاسر الايرانية ، بلا شك ، كثيرة جدا تفوق اسماء الفرس ... هم • دفعهم الى التسمي بها حبهم للذين ... البيت وللعربية • وكذلك تسربت اسماء ... ية الى اللغة العربية ، فتسمى بها اشخاص، ونتسمى آخرون •

هذا التبادل في الاسماء استرعى انتباهي منذ سنوات،فشرعت اجمع الاسماء والكنى ذات الاصل الفارسي ، مما هو وارد في عربيتنا ، ولا سيما ماجرت عليه الالسن في عصرنا الحاضر •• وهذا هو محور مقالتي •

والذي دفع العرب الى التسمي والتكني بما هو فارسي الاصل اسباب عديدة ، نجمل اهمهـا فيما يلي :

١ ـ كان التمازج العربي الفارسي حاصلا منذ الجاهلية تاريخا واجتماعا ، وقد امتدت آثار هذا التمازج حتى عصرنا الحاضر •

٢ ـ حكمت الخلافة العثمانية اغلب اجزاء الوطن العربي خمسة قرون • وكان الأتـراك انفسهم يستخدمون الفارسية في لغتهم ، وينهلون منها الفاظا واسماء والقابا ومراتب • وكـان التاثر بين هاتين الامتين واسعا جدا ، لدرجة ان الفارسية عدت لغة البلاط العثماني ردحا مـن الزمان •

فاثر الحكم العثماني في العالم العربي ، من نواح شتى ، بما في ذلك الاسماء • فقد حرصت بعض الاسر على التسمي باسماء تركية ، والتكني بكنى ذات مظهر تركي • وهي في الحق فارسية، انتقلت الينا عنهم • كما اثر الحكم التركـي بكيفية نطق بعض الاسماء العربية تبعا لمخارج حروفهم من حناجرهم • فهم يلفظون الواو كما يلفظ الاوربيون الحرف (V) •

ولذلك لفظوا الاسم (مروة) العربي (مرفت) • ولم يعرفوا التاء المربوطة في لغتهم فحولوها الى تاء مبسوطة كقولهم : عزت ، حكمت ، جودت ، وهي في الاصل ذات تاء مربوطة ، وهكذا يجب ان تكتب (اعني بالتاء المربوطة) •

٣ ـ حكم المماليك بلاد الشام ومصر طويلا • وكـ... اغلب المماليك من الاتراك العثمانيين ، و... الاذربايجانيين ، والاتراك المغول ، ومن الفر... • فكان ان احتفظ هؤلاء باسمائهم،ونقلوها الى ابناء اهل البلاد بدافع التحبب او التقرب •

٤ ـ غلبت الفارسية على الرتب العسكرية والادارية والحرف اليدوية فيتلك العهود المذكورة آنفا • وكان العرب يمنحون بعضها احيانا، فتكنوا بها او انهم يحترفون حرفا يحرصون على تسميتها بحسب لغة الحاكم •

٥ ـ حرص الاسر العربية المعاصرة على اختيار الاسماء ذات الايقاع الموسيقي ، واللغة الفارسية تتحلى بهذه الصفة التي تجذب المرء الى تسمية ابنه او ابنته •

وما ساذكره في عرضي هذا عبارة عن اسماء لأعلام ، وكنى لاسر ، مستبعدا اسماء الاماكن لبحث آخر•وقد عنيت بذكر معاني الاسماء والكنى حسما لتساؤلات العديد من المثقفين عن اصول هذه الكلمات ، ومعانيها •

من اسماء الاعلام

آرام : الهادىء والرزين •

آزاد : الحر والطليق •

ارجمند : صاحب القدر والقيمة مركبة مـن (ارج) بمعنى القيمة ومن (مند) علامة اسم الفاعل ، وانظرا الكنية •

افشين : لقب وليس اسما عند الفرس ، وهو لقب ملوك بلاد اسروشنة •

بختيار : صاحب الحظ • مركبة من (بخت) اي حظ ، ومن (يار) بمعنى صاحب •

بهرام : نجم المريخ

بهنام : صاحب الاسم الحسن ، وهو مركب مـن (به) بمعنى حسن ومن (نام) بمعنى الاسم •

بوران : البرد الشديد ، يرافقه مطر غزير او ثلج •

پروين : كوكب الثريا •

تاج : فارسية بهلوية • معناها قبعة الملـوك المرصعة بالجواهر •

توران : اسم ملك معروف هو ابن افريدون ، منسوب الى منطقة تور •

جان : روح ، نفس • وهي غير (جـان) العربية • اطلق هذا الاسم على الاسر ذات الاصل الفارسي التي هاجرت الى بلاد الشام •

جاويد : الدائم والخالد •

جلنار ومعناها زهرة الرمان،اصلها (كلنار)،

مركبة من (كل) بمعنى الـزهرة ، ومن (انار) بمعنى الرمان .

جوان : فتى ، شاب .

جهان : دنيا ، العالم . وتلفظ عندهم جيهان وكيهان .

خاتون : المرأة صاحبة الكلمة في البيت . وهو لقب تركى مغولى بمعنى سيدة المنزل . (والكلمة كانت شائعة في منطقة الخليج العربى بوجـــه خاص) .

خانم : لقب تركى مغولى ، ما زال الفرس يستخدمونه لقبا للسيدة وللآنسة على السواء .

خورشيد : الشمس .

دانش : العِلم ، وهى اسم مصدر .

رستم : اسم أكبر بطل في ايران فـى العهد الاسطورى وهو من قواد الملك كيكاوس ، ومقامه يشبه مقام عنترة عندنا . ونطقه الصحيح بفتح التاء .

روشن : مشع ، مضيء .

زرياب : اى ماء الذهب . مركبة من (زر) بمعنى الذهب ، ومن (آب) بمعنى ماء .

سالار : قائد الجيش ، او كبير القافلة،وافضل القوم ، ورئيس الحرس .

سوزان : الابرة ، او المحرقة ، او المحترقة .

سوسن : الزهـر المعروف . ويلفظ عندهم : شوشن وشوشنه .

شاهناز : ملكة الدلال . مركبة من (شاه) بمعنى الملك ومن (ناز) بمعنى الدلال ويلفظونها (شهناز) كذلك .

شاهين : منالطيور الجارحة التى تربى للصيد شبيهة بالعقاب . ويلفظونها (شهين) كذلك .

شهرزاد : بنت البلد . مركبة مـن (شهر) بمعنى البلد ، ومن (زاد) بمعنى ابن او ابنة . ومن كلمة (زاد) كثرت أسماء العائلات التى تختم بكلمة (زاده) ولا تعنى أكثر من ابن ،مثل اسرة : باقى زاده .

شهريار : صاحب البلد والأمير . مركبة من (شهر) بمعنى البلد ومن (يار) بمعنى صاحب.

شيركوه : مركبة من (شير) بمعنى الاسد ومن (كوه) بمعنى الجبل . فصار المعنى : الأسـد الضخم .

الضحاك : أصل الكلمة (ازدهاك) اى الثعبان دو الرؤوس المتعددة . ومنه جاء لقب الملـــك الفارسى الضحاك الذى نبت ثعبانان على كتفيه .

غنجه : برعم الوردة أو الزهرة .

فرزان : أحد أحجار الشطرنج بمنزلة الوز ويقال للوزير كذلك (فرزان) . أصل نطقها عـ الفرس (فرزين) .

فرهود : لها ثلاثة معان . الأول هو الممتلى الوجه والثانىهو صبيح الوجه ، والثالث الأد الفاضل . وهى غير (فرهود) العربية مضمو الفاء .

فروزان : اللامع . المشع .

فيروز : المنتصر . النادر . وبالهاء (فيروزه) من الأحجار الكريمة . والهاء لدى التعريب حولت الى جيم فقالوا (فيروزج) . ويكون لونه ازرق بصفاء السماء .

قابوس : معربة عن (كاووس) . معناه الرجل جميل الوجه ، الحسن اللون . مركبة من (كاو) بمعنى حسن ومن (وس) أداة تشبيه .

كافور : مادة عطرية محمّدة مَسحوبة من شجر صينى ويابانى وسومطرى . لونه أبيض .

گلبهار : زهر الربيع مركبة من (گل) بمعنى زهرة ومن (بهار) بمعنى الربيع .

كلفدان : الاسم مركب من كلمتين ، من (كل) بمعنى الزهرة وهى فارسية ومن (فدان) بمعنى نصب الشجر الجديد وهى تركية . فصار المعنى الزهرة المنصوبة حديثا .

كيوان : نجم زحل .

كيتى : الدنيا .

مهتاب : نطقه الفارسى (مهتاب) بسـكون الهاء ، معناه نور القمر . مركب من (ماه) بمعنى القمر ومن (تاب) بمعنى نور .

مهيار : صاحب القمر . مركبة من (ماه) بمعنى القمر ومن (يار) بمعنى صاحب ..

ميسون : اسم للغلام حسن الوجه والقد وستخدمه نحن للمؤنث . مركب من (مى) بمعنى الخمرة ومن (سون) بمعنى مثل ، فصار المعنى مثل الخمرة .

نازك . الظريف واللطيف . نطقها الاصلى عندهم بضم الزاى .

نازى : أصلها (ناز) بمعنى الدلال واللطف والياء للنسبة فصارت : ذو اللطف والدلال .

ناهيد : نجم الزهرة والتىتدعى مطربة الفلك وتلفظ : نهيد وأناهيد .

يمان : البطل الشجاع . عندهم اسم للغلام بمعنى القوة ، وعندنا اسم للمؤنث .

نهال : الشجيرة حديثة النمو ، أو غصن شجرة حسنة يستخدمها الصياد لصيده . أو صيده .

نورهان : هدية المسافر .

نيازى : أصلها (نياز) . الحاجة والرغبة وهدية الدراويش ، والنذر . والياء للنسبة .

هزار : البلبل أو نوع من البلابل . الصـــدد الف .

هويدا : الواضح والظاهر .

ياسمين : الزهرة المعروفة . وتلفظ عندهم كذلك : ياسَمَن .

وأسماء الاسر

اعتذر مسبقا عن كشف معاني الاسماء ، مع العلم بان الغالب عليها الجودة والحسن وسنلاحظ ان بعضها فارسي صرف ، وبعضها مركب مـــن الفارسية والتركية ، أو العربية مع الفارسية . كما سنلاحظ ان أغلبها القاب اميرية وحرف ، والقليل منها أوصاف :

الآغا : تطلق عندنا على سادات الاكراد وعلى اصحاب الأملاك الزراعية . وهي لفظة تركيـــة مغولية . كتبها الاتراك بالقاف وكذلك يستخدمونها ولكن أغلب الفرس يلفظون القاف غينا والغين قافا . فقد سئل أحد أهل مازندران : لماذا تلفظون القاف غينا والغين قافا فاجاب : « استقفر الله ، من يقول هذا » . وهو لقب شرف في زمـــان العمانيين ، ثم تدنى معناها حتى اطلقوها فيما بعد على الذي يجهل القراءة والكتابة ، بشكل ترادف كلمة (امي) .

ارجمند : المحترم والعزيز، وذو الرتبة العالية، والاصيل ، والعالم .

التونجي : تركية مغولية . مركبة من (التون) بمعنى الذهب ومن (جي) نسبة تركية حديثـــة للحرفة . وهي حرفة معروفة اشبه بحرف الصياغ .

بابجي : اصل نطقها (بالباء والجيم الفارسيتين) الحذاء صانع البوابيج . مركبة من (پا) بمعنى القدم ومن (پوش) بمعنى لباس ومن (جي) علامة النسبة التركية .

باتنجكي : صحتها بالدال : بادنجكي . مركبة من (باد) بمعنى الريح والهواء ومن (آهنگ) بمعنى ساحب ، فالمعنى : ساحب الهواء او معبر الهواء . ويكون عادة بابا صغيرا يستفاد منه صينا يدعوه الفـــرس (باد آهنگ) . والبادنجكي الذى يصنع هذه الابواب .

باريجى : صانع البارود . مركبة من (بارود) ومن (جى) .

بازارباشى : معناها شيخ السوق . فارسيتها (بازار) بمعنى السوق و (باشى) الرئيس .

بازركان : السوقى . مركبة من (بازار) ومن (كان) نسبة مكانية .

باشا : مساعد الملك . مركبة من (يا) بمعنى القدم ومن (شاه) بمعنى الملك ، فصار المعنى العقيقى : رجل الملك بكسر الراء .

بصمجى : الطبّاع او صانع نوع مـــن الحلوى على الضغط . و (بصمه) نوع من الحلوى، و (جى) النسبة التركية .

بليد : غير ذكى أو نجس وتلفظ باؤها باء فارسية .

بيبى : تركية شرقية أو هندية . وهو لقب لسيدة المنزل أو الهانم ، وكذلك لقب للجدة .

بيرق دار : (بيرق) كلمة تركية بمعنى الراية ، مضافة اليها اللاحقة الفارسية (دار) بمعنـــى صاحب . فصارت : حامل الراية أو صاحبها ، وهى رتبة عسكرية عالية .

البيك : رسول السلطان على رجاله ، وهو الذى يسعى بالكتب على قدميه . فى الاصل (بيك) بالباء الفـــارسية ، ثم عربت الى (فيـــج) ، واستخدموها بمعنى الشرطى . دخلت السريانية بلفظة Paiga .

التبّان : مركبة من (تن) بمعنى الجسم ومن (بان) بمعنى الحارس . فالمعنى : حارســـ الجسم . وهى السراويل القصيرة التى يلبسها المصارعون والملاحون والسباحون .

جوخدار : (جوخا) كلمة فارسية افستائية بمعنى القماش السميك او اشبه بالبسة الرهبان. و (دار) بمعنى صاحب . فالمعنى صاحب القماش. وهى رتبة بلاطية فى الحكم العثمانى يهتم صاحبها بالاشراف على البسة الامير .

خان : لقب تركى مغولى يطلق على الملوك والأمراء . واليوم هو لقب يرادف السيّد فـــى بلدنا .

خديوى : أصلها (خديو) وهو الملك ، وبه لقب عزيز مصر . وهى كلمة بهلوية بمعنى الملك

والامير •

خزنة دار : مركبة من (خزنة) العربية ومن (دار) بمعنى صاحب • فالمعنى صاحب الخزينة • اى امين الصندوق • وخزينة فارسية الاصل معربة عن (كزينة) •

خوجا : ونلفظها كذلك (خواجا) ، واهل دمشق يلفظونها ـ خجا ـ والصحيح انالواو التى بعدها الف لا تلفظ عندهم لانها وقعت بين الخاء والالف فلفظها الاصلي (خاجَه) •

دادا : كلمة تركية شرقية بمعنى الاخ ، ثم صارت بمعنى المربية بعد ان حولنا الالف الاخيرة الى واو فقلنا : دادو •

داية : ولفظها بالبهلوية Dayak اى المرضع والقابلة •

درويش : معناها الفقير والمسكين والواقف بالباب • مركبة من (در) بمعنى الباب ، و (ييش) بمعنى امام • ثم انتقلت الى المعنى المجازى هو من اختار الفقر والقناعة فى ارضاء الله •

دَهمان : يذكر ادّى شير انه لقب يشبه الأمير ورتبة دون الملك • غير اننى لم اعثر على اللفظة فى الكتب الفارسية •

الرَّهوان : هو البرذون ، و (رهوان) معربة عن (رهوار) • مركبة من (راه) بمعنى الطريق و (وار) بمعنى صالح • والمعنى : البرذون الصالح للطريق والمسافات •

سِباهى : (سباه) عسكر والياء للنسبة فصارت بمعنى العسكرى • و (سباهى) رتبة عسكرية اذ حين عجزت الحكومة العثمانية عن دفع مرتبات الجيش اقطعتهم بعض الاراضى يستفيدون منها شريطة ان يلبوا طلب الحرب فورا • ولهذا تحول معناها الاصلى الى مالك القرية •

سَرخوش : السكران والمنتشى • مركبة من (سر) بمعنى الراس و (خوش) بمعنى السعيد •

سَردار : مؤلفة من (سر) بمعنى الرأس و (دار) بمعنى المالك ، اى مالك الرأس وهى رتبة عسكرية تعنى القائد او آمر الجيش • ولعلها مركبة من (سر) العربية ومن (دار) فصار المعنى كاتم السر او صاحب السر •

سلاحدار : سلاح كلمة عربية و (دار) بمعنى الصاحب والمالك اى صاحب السلاح وحامله • وهى رتبة عسكرية عالية •

شُبارق : فارسيتها بضم الشين واصل الكلمة (بيشباره) ومعناها نوع منالحلوى الرقيقةاللذيذة. وكذلك نوع من المقبلات • وحولنا الهاء الى ق واطلقناها على قطع اللحم المطبوخة •

شهبندر : ونلفظها احيانا (شابندر) والاصل ـ شاهبندر ـ • وهى مركبة من (شاه) ومن (بندر) بمعنى الميناء • فصار المعنى ملك تجار الميناء• ثم صارت شيخ التجار فىالساحلوالداخل. ولذلك تسمت بعض الاسر ب (شاهبندر التجار) • ولعل كلمة ـ شاه ـ هنا محرفة عن (شيخ) ، فيكون المعنى : شيخ التجار •

عَلمدار : حامل العلم وصاحبه • وهى رتبة عسكرية • والكلمة مركبة من كلمتين عربية وفارسية •

فرُّوخ : السعيد والمبارك •

القلاش : اصلها (كالوج) وهو الحمام الذى يسكن اعلى الدور والمساجد • ولها معان اخرى هى : الداهية والمحتال والمفلس •

كبّهوار : (كبة) فارسية بمعنىالمدقوق والمسحوق وهى الاكلة الشهيرة ، و (وار) تركية بمعنى موجود • فالمعنى : الذى عنده كبة •

كَتْخدا : (كد) بالفارسية بمعنى المنزل ، و (خدا) بمعنى صاحب اىصاحب المنزل، اىالقائم على تدبير بيوت الأمراء • كان يلقب به معاون الوالى •

كماندار : صاحب القوس او رئيس الرماة • مركبة من (كمان) بمعنى القوس ومن (دار) صاحب •

كنج : معرب كنز •

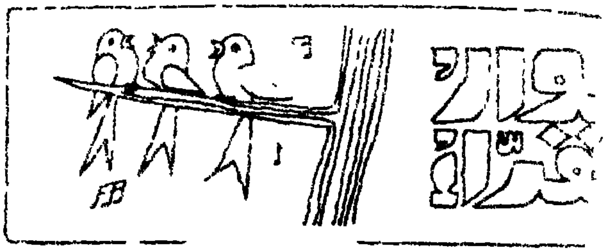
كيخيا : يقال انها حرفت عن (كلمة كتخدا)• وتلفظ كذلك : كيخو وكهيا، وجيخو • ولعلها مركبة عن (كاخ) بمعنى القصر ومن يار بمعنى الصاحب • فالمعنى : صاحب القصر او المشرف على القصر •

مهمندار : مركبة من (مهمان) بمعنى الضَّيف ومن ـ دار ـ بمعنى الصاحب اى صاحب الضيف• وهى من وظائف البلاط • والمهمندار : مرافق الضيوف اثناء زياراتهم اى مدير التشريفات • ولعل معناها الرجل المضياف •

ميرزا : مركبة من (مير) العربية ومن (زا) المختصرة من ـ زادة ـ بمعنى الابن • فالمعنى ابن الأمير •

■

حلب ـ د • محمد التونجي



وسائل الاعلام وخطرها

● ان آراء الناس صارت صدى لما تنفثه وسائل الاعلام من افكار وآراء •• ولايستطيع اليوم مكابر ان ينكر اهميـة وسائل الاعلام فى تكوين آراء الافراد والجماعات فى الشئون المختلفة ، حتى قال احد علماء الاجتماع : « الرأى فى جوهره هو خلاصة للمعلومات التـى تصل الى الشخصية••فالسؤال لم يعد « مارأيك ؟ » انمـا اصبح : «ماذا قرأت ؟» «وماذا سمعت ؟ »

ولا شك ان التقدم العلمى الهائل الذى حدث فى مجال الاتصالات وعلم الالكترونات والاقمار الاصطناعية قد ساعد بشكل منهل على توسيع رقعة وسائل الاعلام •

والخطورة تكمن فى انه لم يعد هناك مجرد بث نبأ وبشكل محايد ، فالنبأ المبثوث ، انما يحمل وجهة نظر تفرض على الناس بطريقة ذكية •

محمد عقاد — سورية

الوباء الصهيونى يهدد العالـــم

● منذامد طويلوالصهيونية ..مسعل فـى توجيه الفكر عربى فى محاولة منها لفرض

الاطباق الطائرة

● استحوذ موضوع الاطباقالطائرة على اهتمـام معظم الصحف والمجلات العربيـة ،فافـردت لـه الصفحـات •• وانطلقت الاقلام،كلكاتب يترك لخياله العنان فيتصوير مايراه والكل يلبس ثياب العراف ••والعالم ببواطن الامور مناجل استعراض معلوماته وافكاره،فهذا يؤمـن ايمانا لايخالجـه الشك فى وجود حياة اخرىفيكواكب اخرى •• وآخر يرفض فكرة وجود اطباق طائرة ويرىانها خرافات •

حقيقة ان هذا موضوعهام• ولكنه لا يمثل لنا الان نقطة ارتكاز حيوية تستحق منا انتجعلها موضوع الساعة•• وكل ساعة ونثير فيه الجدل ونعطيهكل هذه العناية ونحيطه بهذه الهالة فنحن لدينا الكثير منالقضايا الهامة التى يجب ان نوليها كل كلمة •• وكل فكرةمن افكارنا •

لدينا الجهل •• والمرض•• الانسان الممزق المطحـون تحت قيود الذل فى بعض الدول •لدينا التمزق العربى والصراع المرير من اجل عروبتنـا ••لدينـا الكبت الفكـرى الـذى يعيشه مثقفونا والذى يجعلهميتغذون مـن المجتمـع موقفـا سلبيا • لدينا القضية الكبرى•• قضيـة شعب بأسره يئـن تحت سياط المستعمر الجائمفوق انفاسه لدينا الكثير بـل اكثر من الكثير الذى يجب انتلقى الضوء عليه •

ولندع الاطبـاق التى تطيرلاصحاب الرفاهيـة الفكريـة الذين لديهم الوقت والفـراغلمثل هذه الموضوعات ويكفينـا سطور قليلة عن هذا الموضوعغير المجدى على الاقل بالنسبة لنا • ام انها العادة المتاصلةفينا وهى ربط مشاكل الغرب التافهة بصميم حياتنا •

عبد الرحمن كامـل ــ كليـةالتجـارة وادارة اعمـال ــ الشرقيـة ــ جمهوريـة مصرالعربية

سيطرتها الثقافية والفكرية على العالم وخلق مناخ فكرى مقتنع بالحركة الصهيونيـــة ويدين لها بالولاء الكامل .

وفى الوقت ذاته تستغــل هذه السيطرة الفــكرية .. فتغرق العالم بفلسفات عقيمة وهلوسات ادبية من اجل تحطيم عقيدة الانسان .. وهى فـى هذا المضمار بدافع من التعصب الاعمى للديانة اليهوديـــة وبدافع من عقدة قديمة لديهم وهى انهم سوف يحكمون العالم ذات يوم الى آخر هذه الخرافات المنبعثة من عدائهم للبشريـة وحقدهم الدفين .

فالصهيونية وراء انتشـار المـاركسية والـداروينية والفرويدية وكافة المذاهب التى تثير البلبلة وترسب الـروح الانهزامية فى اعماق الانسان .

والانسان العربى هو اول اهداف الصهيونية بحكم الصراع المستمر منذ ظهور الاسلام .. بل وقبل ظهور الاسلام الـى اليوم والغد .. وعلى هـذا فهى توجه سمومها من اجـل النيـل من الدين الاسلامى والانسان العربى حتى تحقـق احلامها التوسعية وامانيهـا الارهابية وهى فى هذا لا تتورع عن استعمال كل الاسلحـــة الفتاكة .

عبدالرحمن كامل
بلبيس ـ شرقية

حجـاج منذ الازل

● اطلعت على مقال فضيلة الشيخ طه الولى بعنوان حجاج منذ الازل فى العدد رقم ٢٤٠ والكاتب يشكر على تحقيقـه التاريخـى فـى هذا الموضوع ســوى انه ورد فـى الصفحة ٥٤ قوله فى تعريف البراق : (والبراق هو الفـــرس المجنح الذى تقول التقاليـد الشعبية انه الدابة التى نقلت النبى صلى الله عليه وسلم فى اجواء السماء عندما اسرى

أمريكا والفرنسيون

● تعقيبا على ما جاء فى العربى الصغير يناير ١٩٧٩ بقلم الاستاذ يوسف زعبلاوى : من ان مساعدة الفرنسيـين للامريكيـين فى حربهـم ضـد الانكليز كانت للصداقة التى نشات بين الشعبين كالصداقة التى تجمع بين رفاق السـلاح الاول :

ان مسـاعـدة الفرنسيـين للامريكيين لنيل استقلالهـم ترجـع للعـداء الـذى كان مستحكمـا بـين الفرنسيين والانكليز الذين خاضوا حروبا طاحنة فيما بينهم فى العصور الماضية ، وقد تمكن الانكليز من انتزاع كندا من الفرنسيين عام ١٧٦٣ ولهذا عندما ثار الامريكيون ـ ومعظمهم منحدر من الجزر البريطانية ـ علـى الاستعمار البريطانى ، اغتنمت فـرنسـا الفرصـة لتثـار مـن بـريطانيا وسـاعدت الوطنيين الامريكيين بحـرب الاستقلال مـن منطلق القـول المأثور (عدو عدوى صديقى) ، واشـتهر آنـذاك الضـابط الفرنسى المركيز لافاييت الذى قاتل البريطانيين على رأس قواته الفرنسية ، كمـا كان تغلب الاسطول الفرنسى على الاسطول الانكليـزى القـادم لنجدة القـوة الانكيزيـة مـن الاسباب التى اضطرت الجيش الانجـليـزى للاستـسلام للامريكيـين فـى ١٩ اكتوبـر ١٧٨١ ، واضطـرت بريطانيـا للاعتـراف رسميا باسـتقلال امريكا التى كانت تتالف من ثلاث عشرة ولاية مجموع سكانها ثلاثة ملايين نسمة ، وقد وقعت اتفاقية الاعتراف فـى باريس فى الثالث من ايلول ١٧٨٣ .

سعيد الصغير ـ السويداء

. يوم ٢٧ رجب) .
في النص الذي ذكرته مغالطتان علميتان الاولى اهم من الثانية فاما الاولى فقد قال الحافظ بن كثير عند تفسيره لاية الاسراء : « وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا ثابت البناني عن انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى اتيت بيت المقدس..» الى آخر الحديث الشريف يتبين من خلال الحديث ان ركوبه صلى الله عليه وسلم للدابة ثابت في السنة النبوية .

واما المغالطة الثانية فانه حتى التقاليد الشعبية لم تذكر بان حادثة الاسراء تمت في يوم ٢٧ رجب ، وانا ارى ان التقاليد الشعبية لا يؤبه لها في مقال علمي .

موفق الشيخ ابراهيم
سورية / ادلب

العربي في الجزائر

● للمرة الثالثة اكاتبكم من غرب الوطن - الجزائر - لاستطيع ان اصف لكم الفراغ الذي تركته مجلتنا العربي في مكتبات الجزائر بعد انقطاعها - « فالعربي »يعرفها القاصي والداني من المثقفين والقراء وذلك بما تحمله من انواع المعرفة بين طياتها .. سياسة.. اقتصاد ..فنون.. تاريخ .

ان القارىء الجزائري مني بخسارة كبرى .. فتجده الان يجري لاهثا وراء زميل له يملك اعدادا ليستلفها دون الاهتمام بتاريخ صدورها واذا وجد في المكتبات القديمة احد اعدادها فان صاحب المكتبة يجد فرصة ليبيعها باضعاف اضعاف ثمنها وصدقوني اذا قلت لكم بانني اشتريت ٢٠ (عشرين) عددا ب ٦٠ دينارا ما يعادل ١٥ دولارا مع العلم ان مرتبي لا يسمح بذلك ..

هكذا صرنا غرباء في وطننا نبحث عن ثقافتنا العربية الاصلية والسوق تغزوها جميع المجلات الغربية بلا استثناء واخواننا العرب يتفرجون ونحن ندفع الثمن ! .. فارحمونا يرحمكم الله .. بالله عليكم من المسئول عن انقطاعها .. شركة الجزائر للنشر والتوزيع ؟ ! ام الشركة العربية للتوزيع ببيروت ؟ ام وزارة الاعلام في الكويت ؟ ام؟

محمد توسرين
الجمهورية الجزائرية
محافظة المدية

لغة الضاد تناشدنا

● اللغة العربية هي اللغة النابضة بالمشاعر ..والزاخرة بالمعاني الجليلة .

وهي لغة تتطلب عقلا ناضجا ، وحسا واعيا لكي ينفذ الى اعماقها .. فيستجلي معانيها ويتذوق كلماتها ولكن مما يثير الحسرة والالم في نفس الانسان هو ان تفقد اللغة بريقها وطلاوتها .

وتضيع قواعدها بسبب السياسات الخاطئة التي تنتهجها وزارات التعليم ، فمثلا :

١ - نجد ان كلية دار العلوم وهي الكلية المختصة بتخريج مدرسي اللغة العربية لايدخلها الا اصحاب المجاميع المنخفضة والذين تنبذهم الكليات الاخرى.

٢ - ان وزارة التربية والتعليم وجدت عجزا في المدرسين ففتحت ابواب كليات التربية امام الطلبة واشترطت النجاح دون تحديد للمجموع فكانت النتيجة ان امتلأت اقسام اللغة العربية بنوعية من الطلبة ليست لهم الخلفية ولا الرغبة ولا الاستعداد للغوص في اعماق اللغة .

والمشكلة هي بعد ان يتخرج هؤلاء ويقوموا بالتدريس للنشء ستكون الحصيلة جيلا جاهلا بلغته .ففاقد الشيء لا يعطيه.

عبد الرحمن كامل
بلبيس - شرقية

احزان السابعة مساء

ما كادت تطأ عتبة الباب ، وتُيَمِّم شطرَ غرفتهـا ، حتى كان صوت أمها يلاحقها في عتاب :

ـ لم تأخرت ، يا « عبير » ؟ أين كنت ، يا بنيتي ؟

أجابت :

ـ كنت في موعدي مع درس البنتين ، كما تعرفين ، يا أمي ! لماذا تُلقين علي هذا السؤال دائما ؟

ثم أحست أن نبرة صوتهـا جاءت حادة أكثـر ممـا ينبغي .

ـ ولكنك تأخرت ساعة عن موعـد عودتـك ! انهـا السابعة الآن .أخواك الصغيران يحتاجان اليك .

نظرت عبير الى ساعتها :

ـ حقا ،يا أمي . (وبررت) فانما كانت البنتان قد دخلتا الحمام قبل بدء الدرس ... وخرجتا متأخرتين !

ثم سمعت أمها تتمتم ، وهي تمضي الى شأنها :

ـ لله ، كم تستحم هاتان البنتان !

دخلت عبير غرفتها . لم يسؤها ما في قول أمها من الشك . أغلقت دونها الباب . ولم تعمد الى نَضْو ثيابها ، بل استلقت ـ وهي في معطفها ـ على سريرها ، تعانـق غِطاءه ، وتود لو تطاوعها عيناهـا فتذرفـان فيضـا من الدموع .



تنهدت .

يا لك ، يا « محمود » ! أي شيء غيَّرك ؟ أتكون هي الزميلةَ الجديدة ، التي أخذت تتردد عليك في مكتبك ؟ ولكنه أكد لي ... كم أكد لي أن الفتيات : « هن عندي مجرد أرقام . ثقي بما أقول ، يا عبير . وأما أنت ؟ فأنت مستقري ... » .

تود لو تبكي ، لعل الراحة تتنزل على فؤادها ، فتحلل من بعض ما تكابد من عذاب .

تلقّطت أذناها وقع خطوات أمها خلف الباب . فاستجمعت شتات نفسها ، ونهضت مبتعدة عن السرير . وقفت أمام المرآة : يا للحزن ، كم يتجلى في عينيها ، في محياها كله ! يوم ، يومان ، من أبغض ما مر بها من الأيام ! سألته ، أول أمس ، عن « النتيجة » . فأشاح بوجهه مغتما . فأدركت أنه الرسوب ! ... تمنت لو أن في الوسع أن « تتنازل » له عن اجازتها الجامعية ، ثم تعيد الكرة في « الدورة » الآتية الاستثنائية ! بل انها تمنت لو أنها ما نجحت في سنتها الأخيرة هذه ، لتتساوى واياه في ... التقصير !

علقت معطفها على المشجب . قد كان ، اليوم ، فاترا ! تحس الدمع يترقرق في مآقيها انها « فتنة » ، التي تتردد على مكتبه في اليوم الواحد مرات ! آه ، ما أسرع الرجال الى التغيير ! ولكنها لا تفضلني في شيء أنا أصبح منها وجها ، وأجمل قواما ، وأكثر علما وأما عيناي ، فكم تغزل فيهما ! وأنا ، فضلا عن ذلك ، أحبه .. أحبه ... أحبه !

تراءى لها أن تخط رسالة ، تعبر له فيها عن حبها الكبير

« حبيبي محمود .

« ليس لي أن أنسى الأيام الحلوة التي أمضيتها معك ، ولا اللحظات الهنية انني لعلى يقين من أن حياتي انما بدأت منذ عرفتك لقد استطعت أن تغير ركنا من حياتي ، بل لم لا أقول قلبت حياتي كلها ، حين أشعرتني بطعم الحياة ، بمطلق وجودي ؟ بالاختصار كنت ـ أنا يتيمة الأب ـ في حاجة الى حب رحل ، الى حب كبير ، فوضعتني أنت في غمار حب كبير ! » .

جاشت في صدرها ، وقد بلغت خواطرها هذا المبلغ ، رغبةٌ في البكاء ان محمود قدري حبه قدري ، الذي لا فكاك لي منه

نضت الكنزة الصوفية انها لتذكر كيف جمعت بينهما الأقدار وستظل تذكر ، أبد الدهر ، ذلك التعارف الطريف الذي دار على « مطالعة كتاب » كانت تجلس وراء مكتبها هكذا ، مبتعدة بكرسيها عن المكتب قليلا ، تقرأ في كتاب فتحته في قاع الدرج ، فعين منها في الكتاب وأخرى على الباب حذراً من أن يفاجئها رئيسها المباشر ، الخصم اللدود لكل من يفتح من الموظفين كتابا جامعيا ! كان ذلك في آخر أيام شهر تموز في الصيف ما قبل الماضي (وعلى وجه التحديد قبل عام وثلاثة أشهر !) كانت قد تلقت خبر نجاحها في آخر مقررات السنة الثالثة ، فهي متحمزة للدرس والمطالعة ، فاستعارت من مكتبة الكلية كتابا من أمهات كتب الأدب ، لتقرأ فيه ساعة لا يكون بين يديها عمل تقوم به دخل الغرفة ، مثل ظل ، شاب طويل أنيق ، كان قد استرعى انتباهها من قبل حين لمحته في أرجاء المؤسسة غير مرة أقبل الآن ليراجع في شأن يخص القسم الذي يعمل فيه بدا أنها استلفتت نظره ، وهي في إكبابها على الدرج ! فدنا منها ، بعد أن قضى شأنه مع أحد زملاء الغرفة ليقول لها مبتسما

ـ « في علمي أن الامتحانات الجامعية قد انتهت ! » .

كان رقيق اللفظ ، يخاطبها كما لو أن بينه وبينها وداً قديما .

أجابته ، وهي تهم بأن تدفع الدرج الى الأمام

ـ « انه كتاب أطالعه ، وليس مقررا جامعيا »

ـ « وما اسمه ، يا انسة ؟ »

ـ « كتاب الشعر لأرسطو » .

كانت تحدق الى قلب عينيه عسليتان ، والبشرة حنطية

ارتفع ، ههنا ، صوت أمها في الصالة

ـ عبير أخواك ينتظران !

●

ـ ما عندك ، الليلة ، ؟

أجاب « صفوان »

ـ ثلاث مسائل لم أعرف كيف تحل !

ـ طبعا ! وهل يستطيع عدو الرياضيات أن يحل مسألة حسابية ؟

ـ حللت اثنتين

ـ وأنت ، يا « مروان » ؟

ـ أنا عندي كتابة درس « الأطفال يصنعون منضدة » خمس مرات ، يا عبير !

ـ وأين الدرس ؟

ـ هو ذا

ـ هذا ليس درسا مما وصلتم اليه أراه في آخر

- ... أهو « جزاء » فرض عليك لتقصيرك ، أيها ...

- الأستاذ عاقبني دون سبب !

- دون سبب !!

- شكاني اليه رفيقي بأنني رفسته ، فصدقه ... دسي !

- بريء ! المعلمون يظلمون دائما ، والتلاميذ ضحايا ! وأين رفسته ؟

- على « مقعده » !

- كان حقه أن يضربك ، جزاء « الرفسة » ، خمس عصي على كفيك ، أيها الرجيم ! ولكنه فضل أن يذيقك مرارة الكتابة التي تكرهها ! لم لم تكتب الجزاء عدد المرات المفروضة ، حتى الساعة ، أيها الكسول ؟ ؟

أجاب مروان متشكيا

- كتبته مرة ولكنه طويل ، صفحتان من الكتاب ، أنظري !

رفعت صوتها محتدة

- وهل تتوقع ، أيها المعتدي على رفاقه ، أن أكتب لك المرات المتبقية ؟ دونك القلم ، فتابع الكتابة !

وأخذت كتاب الحساب بين يديها

- « أحيطت حديقة مستطيلة الشكل بجدار من الشك المعدني أنفق عليه » (واكملت قراءة المسألة في سرها) وأنت ، ألم تعرف حل المسألة ؟

دافع صفوان عن نفسه

- لو كانت الحديقة « مربعة الشكل » لعرفت الحل !

تهكمت به

- وتريدهم أن يؤلفوا المسائل الحسابية حسب هواك ، ...

... منها التفاتة الى أمها ، الجالسة قبالتها على ... ، فرأتها ترمقها بنظرة فأحجمت عن أن تنعت ... بما يستحق بالغباء ! أدركت أنها تخوض ـ دون أن تعي ـ « شجارا » مع أخويها الصغيرين ، التوأمين ، اللذين أودعهما أبوها في أحشاء أمهاقبل أن يرحل عن الدنيا ، وما كان قد عاش له في حياته سواهما هي ! فكرت في ضيق : ولدان قد أفسدهما التدليل ! الأخت الوحيدة في البيت اجتازت مراحل الدراسة كلها دون أن يُعنَى بها أحد . تعمل ـ منذ أربعة أعوام ـ في وظيفة رسمية ، وتؤدي عملا اضافيا في بعض الأماسي ، ثم يكون عليها أن تقوم بتعليم المدللين مساء كل يوم ، درسا درسا ، كلمة كلمة ... فاذا رافقها في مسيرها من تتوسم فيه « زوج المستقبل » ، فتأخرت في عودتها الى البيت بعض الساعة ، وجدت أمها في انتظارها · « تأخرت . . انها السابعة الصغيران . » ! فاذا ادعت « دخلت البنتان الحمام ! » ، سرعان ما أبدت أمها من الشك ما يغيظ « لله ، كم تستحم هاتان البنتان ! »

ولكن البنتين لا تستحمان ، في الواقع ، الا بمقدار ما يستحم الناس وانما هي « تدخلهما » الحمام ، أحيانا ، لتخرجهما متأخرتين ، قصد أن تبرر غيابها عن البيت هذه الساعة ! يستغرق الدرس ـ حسب الاتفاق الذي تعرف أمها تفاصيله ـ تسعين دقيقة ، تضاف اليها مسافة الطريق ذهابا وايابا نحوا من ساعة : فعليها ، اذن ، أن تكون في البيت في تمام السادسة . حسابات ومواعيد دقيقة معروفة ! تشرف على المدللين ساعة أو ساعتين ، ثم تأوي الى سريرها تطالع ـ وقد كانت قبل تستذكر في مقرراتها الجامعية ـ الى أن يدب الى جفنيها النعاس . ذلك هو برنامجها المسائي . ولكن عندما يكون محمود في انتظارها على باب الحديقة ليرافقها في طريق عودتها سيرا على القدمين ، هل يمكنها أن تدخل البيت في الموعد المقرر ؟ ... كان محمود فاترا ، هذا المساء ! كم كان فاترا ! تكلمه ، فلا يكاد يرد الا بأقل الكلمات ! بدا ساهم النظرات ، لاهيا عنها أهكذا يستحيل الرجل الى قطعة من الجماد الاصم ، متى ان لقلبه أن يفرغ من الحب ، متى شرع يفكر بأخرى ؟ انها فتنة ، لا بد ، التي تلبس القصير ـ فلها من اللباس ، في كل يوم ، لونٌ وزي ـ وتطلي وجهها بالمساحيق وتحضر بالشعر المستعار ، وتكثر من التردد على مكتبه ! لمحتها ، قبل يومين ، في أحد الممرات ، وقد وقف كل منهما بازاء الآخر كانت الوقحة

تعانقه بنظراتها مومضة العينين : ذلك ما لا يخفى على بصيرتها آه . يالحظها التعس ! كم عليها أن تبذل حتى تحتفظ بقلب محمود !

« أحبك ، يا محمود ، حبا لا يسع طرفك أن يحيط بآفاقه القصية ! بكل صدق أحببتك ، والاخلاص كله منحتك . وهبتك قلبي ، وما ضننت ... وكيف أبخل على من جعلني أحس بوجودي ؟ » .

توقفت عن الكتابة .

ـ حسناً ، إقرأ المسألة الثانية .

ـ « باع قروي تاجرا كمية من الزيتون بسعر الكيلو غرام .... » .

كم هي حريصة على البقاء الى جواره . وكم هي شقية لأنها لن تستطيع ! أبلغها « المدير العام » ، اليوم :

ـ « يؤسفني أن أنهي اليك أن لا مكان عندنا لموظف مجاز باللغة العربية ! » (وأضاف ، وقد رآها ترتاع لقراره الحاسم) « ولكني أسألك ، وأنت الحريصة على تعديل وضعك الوظيفي : لم لا تتقدمين الى وزارة التربية للعمل مدرسة للعربية في المدارس الرسمية ، يا آنسة عبير ؟ فانما هنالك موضعك الذي يُسرتِ له أساسا ؟ » .

ان الحقيقة ، الحقيقة ، يجهلها هذا الرجل الكبير ! ومن أين له أن يعرف ؟ كيف يسعها أن تمضي بعيدا ، الى مؤسسة أخرى ، وتدع محموداً ههنا ؟ محموداً الذي تراه ، هذه الايام ، فاتر العاطفة متغيرا ! سألته ، أول أمس ـ وما كان لها أن تسأله ـ بعد أن عاد من زيارة له خاطفة الى الجامعة :

ـ « هل نجحت ، يا محمود ؟ » .

ما كان لها ان تتوجه اليه بسؤالها . لأن الكآبة ، التي توشح بها وجهه وعيناه ، كانت تغني . كان محمود قد حل ، من الدورة الاولى ، مقررات أربعة ، دخل بها الدورة الثانية على غير ما تريد له من التحضير والاستعداد . أخذت النتائج تتوالى ، فنجح في مقرر ، ثم في آخر ... والآن مضى الى الكلية ليستعلم عما بقي : إنه الرسوب ! فعليه ، اذن ، أن يستعد للدورة الآتية الاستثنائية ، في الشتاء القادم . لو كان وفق [illegible] لتعدل وضعه الوظيفي في المؤسسة فورا ، فهو موظف جاد متقن ، محبوب من رؤسائه . ولن يقول له المدير العام : « ولكني أسألك : لم لا تتقدم الى وزارة التربية للعمل مدرسا ، يا أستاذ محمود ؟ » . لن يقول له ذلك لأن محمودا لم يتخصص بالعربية أو التاريخ أو الرياضيات ، بل هو درس الحقوق ، المؤهل الذي ترحب به المؤسسة . ان محمودا ، وان تعثر في دراسته الجامعية ، يظل ذلك الشاب الذكي العصامي الطموح المستنير الا أنه لا يدرس ! علته الوحيدة أن نفسه لا تقبل على الدراسة المنتظمة . انه رجل ، شاب ، لا يأسره البيت ، يدخل ويخرج بحرية . وهي ، أيضا ، على علم بما يؤديه في المؤسسة ، أحيانا ، من عمل اضافي . لو أنه يدرس على نحو ما فعلت هي ، لوفر على نفسه العامين اللذين ضيع ، وبعض العام الذي خسر أخيرا . آه ، ليت المؤهلات الجامعية مما يمكن التنازل عنه . وليكن ذلك ـ ان جاز لهذا الحلم ان يتحقق ـ حصرا بين الأحباء الذين ينوون اقامة حياة مشتركة !!

●

تابعت الكتابة :

« كل الصعاب تهون عندي في سبيل مرضاتك ، يا حبيبي . ساعة تبينت أنك حلت مقررا الى الدورة الاستثنائية ، وقرأت أمارات الأسى في محياك ، أحسست الدنيا تضيق بي والأرض تميد . آه ، يا حبيبي ، أقول ولا أملُ : ليتك من نجح ، وليتني من حل المقرر نيابة عنك ! ليت العمر ، عمري ، يقدم لك قربانا في محراب نجاحاتك التي لا أريد لها أن تحد ، اذن لقدمت لك ، فوق صينية من ذهب ، نصف عمري ، واستبقيت النصف الآخر لنفسي ، كي أحياه بقربك ، يا حبيبي ! » .

اغرورقت عيناها . تدحرجت دمعة على هذا الخد ، ثم دمعة أخرى . مسحتها بصمت . والولدان مكبان يكتبان ، وأمها غائبة في بعض شأنها . كم كنت فاترا لم لاتكافئني بمقدار ما أحبك ؟

ـ لماذا توقفت عن الكتابة ؟

ـ وَجِعَتْني يدي ، يا أختاه !

بأس في أن تريحها قليلا . ولكن ، ليكن في المرات الخمس يجب أن تستوفيها ، الليلة ، منقوصة سطرا واحدا !

طيب !

وكرت : وديع ، أخوها مروان : « طيب » بوداعة بعد أن سقطت من يديه كل حجة يمكن أن يتذرع وأما البنتان ، هناك ؟ هنا ، يحق لها أن تغضب ، أن تؤنب ، أن تصرخ ، فتبث الخوف في الصدرين ! الصغيرين ! ولكن التعامل - هناك مع الصبيتين - يختلف . فان أمهما قادرة مسيطرة ! وليست تنسى يوم تعرفها اليها حين تناقل بعض العاملين في المؤسسة خبر نجاحها المرموق . لقد أسرعت « ابتهاج خانم » - وهي موظفة من ذوي المراتب - تستدعيها الى مكتبها ، لتحاورها وتناقشها ، حتى تثبتت من مقدرتها وكفاءتها ، عرضت عليها أن تقوي ابنتيها : « منى » و « هدى » ، بقواعد العربية ، ضمانا لنجاحهما في صفوف الاعدادي ... فهي ، منذ مطالع الخريف ، تتردد على بيتهم مرات ثلاثا في الاسبوع . وجدتهما - هما الأخريين - مدللتين ، الا أن فيهما ، عدا ذلك ، جرأة غير محمودة وشططا ! لقد سببت البنتان لها ، اليوم ، ضيقاً وحرجا . أزعجتها أمهما بملاحظة منها معادة ، مما حملها تضطر الى أن تدافع عن نفسها ، فترد بايضاح لم تعد تشك في أنه أسخط ابتهاج خانم ! خرجت من عندهم مغتمة ، وقد رجت أن تلقى بين يدي محمود المنتظر في باب الحديقة القريبة ، مفترجا لضيقها وغمها . ولكن محموداً كان فاترا ، حتى لكأنه هو في حاجة الى من يسري عنه ! عندما شكت اليه ، في الماضي ، مما تعانيه من شطط البنتين واهمالهما ، حضها على أن تتحمل ذلك في سبيل حبهما . أجل ، وكان يطيب خاطرها ، فيقول :

- « ان أحسن ما في تدريسك بنات ابتهاج خانم ، هو انه يتيح لك أن تخرجي من البيت انها فرصتنا الغالية للتلاقي مساء ، يا عبير ! » .

كان هذا المنطق السائغ يلقي في قلبها راحة وأمنا ، مسيرتها واياه ساعة ، تذهب عنها كل عناء . تحدثا في هذه المسيرات المسائية . تحدثا ، والليل يسدل من عتمته سترا ، عن الصداقة البريئة ، والحب الوفي ، والحياة المشتركة ، والمستقبل السعيد . تحدثا كيف أنهما سيعملان على أن يضما الراتبين الاثنين - اللذين سيرتفعان متى آن لهما أن يعدلا وضعهما - فيشتركا في احدى الجمعيات التعاونية ، ليحصلا على مسكن من غرف ثلاث : للنوم ، وللضيوف ، ويجعلان من الثالثة مكتبا يمارسان فيه هواية المطالعة النافعة ! كم ذكرها بما نزل في قلبه من عظيم الاعجاب ، يوم دخل مكتبها ، فرآها تطالع كتابا في قاع الدرج : « الامتحانات الجامعية انتهت ... » : « انه كتاب أطالعه ... » : « ما اسمه ؟ » : « كتاب الشعر لأرسطو » !

- « كل ما فيك ، يا حبيبتي ، حلو آسر ! على أن أول ما استلفتني فيك ، لحظة رأيتك تقرأين أرسطو في « قاع الدرج » ، محياك الوديع ، المشرب بسمرة خفيفة جذابة ، وعيناك اللتان قُدَّ لونهما من ربيع نيسان . ان جمالك ، يا عبير ، عند المتذوقين ، هو أشبه « بالقطع النادر » : سمرة خلابة ، وعينان خضراوان ! » .

ويوم قدم لها ديوان شعر ، انتقاه واياها من مكتبة ، وسطر في صفحته الأولى هذه الكلمات : « الى صاحبة أروع عينين ، أقدم أروع الأشعار ، لتحيا معها أروع الساعات ، و ... تذكرني ! » ، أنشأ يقول سعيدا :

- « كان أبعد مما أتوقع أن تعكف موظفة ، غارقة بين الأضابير والملفات ، على قراءة هذا الكتاب القيم . وقد كان ظني أن مثلها لا تكاد تعنى بأكثر من قراءة « حواء » و « الحسناء » . كم أنا سعيد بك ، يا حبي الكبير ! » .

وكان يطيب لها ، هي ، أن تحدثه :

- « كنت قد لمحتك ، في أرجاء مؤسستنا الكبرى ، مراراً ، فرأيتك لا تلتفت الي ، أو توليني أدنى اهتمام . حز ذلك في نفسي ، فحدثتها (لأعترف لك) : « متغطرس ! لا ينظر الى أبعد من أنفه ! » . ولكنك سرعان ما سعيت الي ، ذات يوم صائف ، وفي لحظة أعدها القدر باحكام ، لتكشف لي عن نفس طيبة بالغة الصفاء . أحببت - أنا السمراء - محياك الوضاء وعينيك العسليتين ، بقدر ما راقت لي تلك الشعرات البيض التي أراها تبرق ، قبل

الأوان ، في سواد فوديك ، تماما كما النجوم تلتمع في أديم السماء في ليلة مدلهمة ، يا حبيبي ! »

كذلك تناجيا ، تحت وارف أشجار الدروب الجاسية ، في مسيرتها المسائية المعتادة ولكنه ، هذا المساء ، لم يتكلم التزم الصمت ، فالتزمته

رفع مروان ، وهو يتابع الكتابة ، من صوته

ـ « دقت سعاد اصبعها بالمطرقة ، فصاحت من الألم اخ اخ ! »

ورفع صفوان ، وهو يقوم بعملية حسابية ، من صوته مصححا

ـ ٢ في ٩ ١٨ ، ٨ باليد ١ ، ٢ في ٣ = ٦ راشد ١ - ٧ خفض صوتك ، يا مروان ، أنت تعلطني !

ـ أراك لم تعلط !

ـ اذا رفعت صوتك ، ثانية ، غلطت !

رحزتهما ، وقد قطعا ، سقارهما المفاجيء ، توارد خواطرها

ـ اعملا بصمت وكفا عن الهرر السخيف !

فأحد الولدان يكبان ضحكاتهما المرحة ، في حين تناولت هي القلم بيد ترتعش

« أتذكر ، يا حبيبي ، كيف أسي ضحكت لحظة أخذت بدي بديك ، ثم لم تلبث أن تركتها ، كما لو أن بمسك عافهما وعافتني ؟ سألتني « ولماذا تضحكين ؟ » ، أجتك ، وانا ما ازال أبتسم ولكن بمرارة طافحة « تذكرت بكتة ! » ولم تكلف نفسك عناء سؤالي عن البكتة التي تذكرت ، لأنك كنت ممعنا في صمتك وفتورك ! والان ، وأنا أشكوك الى هده الصفحة البيضاء ، أتدرى ما هي البكتة التي رفعت أسي تذكرتها ؟ انها انها ، بكل بساطة قصة حبنا ، التي بدت لي ، تلك اللحظة ، بكتة حديرة بأن تضحك فأين هي عاطفتك المشبوبة ؟ واين حديثك الممتع ؟ وأين طيبتك ورقتك وصفاؤك ؟ وأين أين احتفاؤك بي الذي عودتني ؟ »

طفرت ، ههنا ، من عينيها ـ وأمها في المطبخ بعد العشاء ـ دمعتان ، فدمعتان أخريان تحدرتا على خديها التقطت دمعاتها بطرف منديلها ، وهي تجتهد أن تحبس أنفاسها خشية أن تجهش ! رباه ، أية ساعة عصيبة هذه التي تمر بي !!

فجأة ، رفع الولدان رأسيهما ، يهتفان بها

ـ عبير ! عبير ! ما بك ، يا عبير ؟ ما خطبك ، يا أختاه ؟ !

أجابت ، تتصنع اللامبالاة

ـ لا شيء ! زكام ! انه زكام حاد ألم بي اليوم يا حبيبيّ !

يا للهفة البريئة العذبة ، المتجلية في صوتيهما ، هذين المتخاصمين قبل قليل ، المتضاحكين ، اللذين أوسعتهما رحرا وتقريعا !

تمنت لو تنهض تعانقهما بحباي ، أخواي الصغيران الحبيبان كم قسوت عليهما ! أحبهما أحب أمي ، امي التي صبرت ، وشقيت وجالدت ، من أجل سعادتي وسعادة هذين العصفورين !

عالم أسرتي صغير وسعيد

أية أحزان دهمتني ، هذه الساعة ، فأشقتني ؟ ! أحقا بدأ محمود ينصرف عني ؟ ولكنه أحبني على مدى عام وثلاثة أشهر أغدق علي فيضا من حبه وحنانه انه ينتظرني ، كل مساء ، على باب الحديقة ، على مقربة من منزل السنين ، قبل أن نمضي في دروب المدينة والحياة أيمكن أن يذهب ذلك كله أدراج الرياح ؟ أيمكن ذلك ؟ هل يمكن ؟

●

عندما حلت عبير الى نفسها في آخر الليل ، أحست أنها عادت سوية ، يعمر قلبها الحب والثقة والضياء ، فكأنها خرجت لتوها من مطهر تخلصت فيه من كل أدران النفس !

أخذت تفكر على نحو آخر ولكن لماذا ظننت ان

.. كان فاترا . اليوم ؟ فاما فتوره – إن كان – مبرر
.. انه . بكلمة واحدة . حزين . لأنه أخفق في
.. حانه . كان ححلا مني . انا التي نححت متفوقة منذ
.. الصيف . ولم أقصر في ماضي أعوامي . على حين
.. هو ما صيع . وهاهودا يصيف الى خسارته حديدا !

كان حزينا كان كسير الخاطر !

اه . يا ربي ! كيف مكّنت احساسا كاذبا من أن
.. عشي طوال ساعة ؟ !

.. كان فاترا تجاه من ؟

كان من حق محمود ان يحزن . ويعبر عن حزنه
بالصمت . وهذا أضعف التعبير فيكون على أن
.. ولكني – لغفلتي – توقعت منه أن يضحك .
.. مرح . يسترسل في أحاديث تمتعني ! كم كنت أنانية !
.. ماذا سهوت عن نفسي ؟

لست اشك . يا حبيبي . في أنك قد أمضيت ليلتك
وقد تضاعفت احزانك حزنك الأول العميق . وحزن اخر
... رعونة من أردتها أن تسري عنك !

كم انا بلهاء !

اطارت المصباح

تناولت الرسالة من تحت المخدة أمرّت على أسطرها
عينيها « أتذكر . يا حبيبي . كيف أبي ضحكت
تذكرت نكتة انها قصة حبنا . التي بدت لي . تلك
اللحظة . نكتة جديرة بأن تضحك قلب الثكلى ! . . »

انها الخواطر السخيفة كيف مكنتك من أن
تتسلل الى فكري وقلبي ؟ !

همت بأن تبكي دفنت في المخدة وجهها . أثار
.. ما رأت من فتنة . تلك التي تتهالك على
... كل الشباب كم قد أكد لي « هي عندي مجرد
.. ثقي بما أقول . يا عبير وأما انت فأنت
... وتحت جناحك سأحيا العمر كله سعيدا . يا

هو حزين . الان كانت هي الصامتة الفاترة !
عصبي كان وجهها كتلة من الكآبة لقد

أزعجتها انتهاج خانم بملاحظتها

– « اسمحي لي . يا آنسة عبير . أن أبين لك أن
استعادة الستين ما تزال ضئيلة ! »

فوجدت نفسها مضطرة الى القول

– « وأنا أريد أن أؤكد لك . يا انتهاج خانم . أني
أبذل مع ستيك قصارى جهدي ولكني أراهما لاتوليان
الدرس أو الوظائف اهتماما كافيا اسمحي لي أن أقول
انهما الملومتان ! »

سأعتذر لمحمود غدا . وأقول « قد كنت في ضيق .
صدقني . يا حبيبي ازعجتني انتهاج خانم قالت
لي قلب لها »

ولسوف يثور من أجلي . ويهيب بي « عبير !
عليك أن تتخلي . منذ اللحظة . عن تدريس البنتين
قولي لأمهما الموظفة الكبيرة » ابحثي لك عن مدرسة
أخرى . تكون أكثر جلدا على تحمل شطط ابنتيك . وعلى
تلقي ملاحظاتك المعكوسة ! » ان كرامتك عندي فوق
كل اعتبار ! »

سيقول لي ذلك . وكفي هاجعة بين راحتيه سأحس
دفء كلماته يسري الى قلبي . فيتغلغل مع الدم في
أوصالي وستكون مسيرتنا . تحت وارف الشجر . أكثر
حرارة وحنانا !

سأقول لمحمود ذلك

سيقول لي محمود

سأقول له

سيقول

سأ

تراخت أناملها عن الرسالة

ومصباح السرير ظل . طوال الليل . يرسل أشعته
الوردية الى أرجاء الغرفة التي عادت هادئة
وادعة

■■

دمشق – فاضل السباعي

نزهة العقل الذكي بجوائز مالية

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي ((الكلمات المتقاطعة)) .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينـارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينـارا كل منها ٥ دنانير .

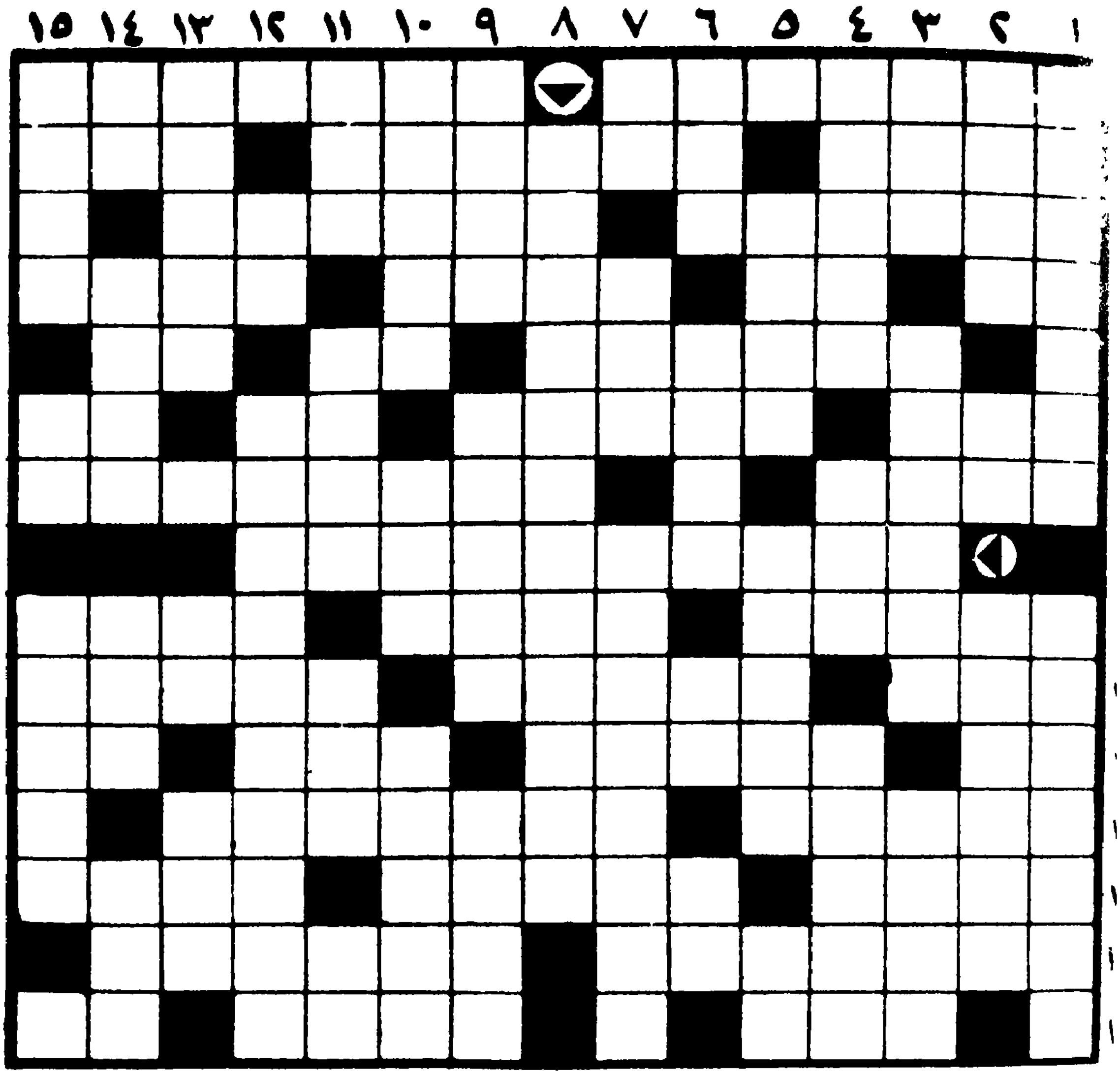
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٤٨ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول سبتمبر (ايلول) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم واحد من أكبر قادة المسلمين ، وفي (٨)رأسيا تجد اسم أديبة أموية .

الكلمات الافقية :

١ ـ حيوان منقرض ـ قائد عسكري شهير في التاريخ .
٢ ـ بلا انيس ـ اوثق الاتفاق ـ اترك .
٣ ـ من شخصيات الثورة الفرنسية ـ من الفاكهة.
٤ ـ حرفان متشابهان ـ ضمير ـ في الصدور ـ من العناصر الكيميائية .
٥ ـ احساس بالحيرة ـ يخصني ـ ابتسم .
٦ ـ قيد ـ حدد مداها ـ نصف كلمة (خالص) ـ من الاقارب .
٧ ـ اشيد ـ من الاحياء المائية .
٨ ـ من اكبر قادة المسلمين .
٩ ـ يباري ـ اهفو ـ حيوان .
١٠ ـ وحدة قياس كهرباء ـ من الموازين ـ اجلال.
١١ ـ نصف كلمة (نائح) ـ القول الشائع ـ حيوان ـ حرف استفهام .
١٢ ـ حشرة ـ يبجّلون .
١٣ ـ تاكد ـ مجاري مائية ـ امتناع عن ارتكاب المعاصي .
١٤ ـ عاصمة شيلي ـ من البحار .
١٥ ـ لعب ـ يهتم ـ من الاقارب .



الكلمات الراسية :

١ ـ دولة فى القارة الامريكية ـ اطول انهـــار الصين •

٢ ـ من الانبياء ـ حرفان متشابهان ـ موقعـــة بحرية تحطم فيها الاسطول المصرى •

٣ ـ ظلم ـ من الطيور ـ أردى •

٤ ـ أنافق ـ ينهض ـ اقربه •

ـ من الاشجار ـ شجاعة ـ من حروف العطف •

حرف ابجدى ـ الزعه ـ حرف نفى ـ نصف كلمة (اجلس) •

٧ ـ نصف كلمة (سارت) ـ من اجزاء الجسم ـ من الآثار الاغريقية •

٨ ـ اديبة اموية •

٩ ـ قصــة من تاليف اميــل زولا ـ فى مصـــنع النسيج ـ ترفض •

١٠ ـ احارب ـ نازلة ـ اعادها •

١١ ـ جسم ـ يخشى ـ وجع ـ صاحب •

١٢ ـ نصف كلمة (سواك) ـ من اغشية المخ •

١٣ ـ يسببه ـ من الاقارب ـ حرف ابجدى •

١٤ ـ رغب ـ من وسائل التكريم ـ نهض ـ من الطيور •

١٥ ـ جنة ـ احسان ـ عصى خليفة •



من دعاة تحرير المرأة

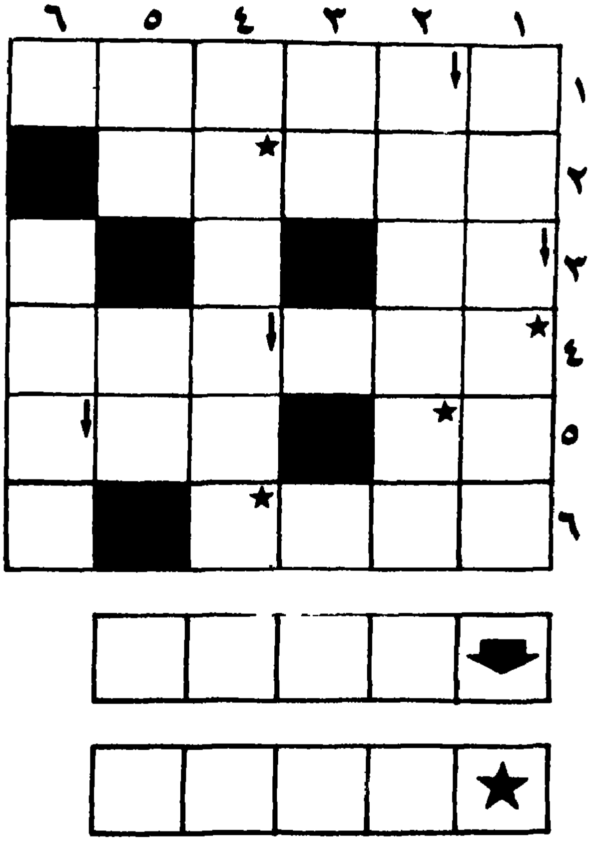
ابدأ أولا بحل مسابقةالكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعاتالتى بها الاسهم، ورتبها بحيثتحصل على الاسم الاول لكاتب مصرى من دعاة تحرير المرأة ، ومن تلاميــــذجمال الدين الافغانى • أنقل الحروف التى فى المربعــات التى بها النجــوم ،ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الكاتب •

الكلمات الافقية :

١ ـ دولة مدينة فى بلاد الاغريق •
٢ ـ شهر شمسى •
٣ ـ من الاقارب •
٤ ـ اجراس •
٥ ـ للتفسير ـ سخاء ••
٦ ـ اسلحة حربية قديمة •

الكلمات الراسية :

١ ـ فاكهة •
٢ ـ من اشهر النحاة •
٣ ـ نصف كلمة (بسيط) •
٤ ـ صاحبكم •
٥ ـ وحدة موازين ـ نصف كلمة (همس) •
٦ ـ انصت •



● اختبار معلومات ●

اين الصواب .. واين الخطا ؟

هـــذه المعلومات بعضهـا صحيح وبعضهـا خطا ، هل تستطيع ان تميز بينها ؟ :

١ ـ ابن خلكان : من اشهر مؤرخي المماليك .

٢ ـ الارمـادا : اسـطول فرنسي حاول غـزو اسبانيا .

٣ ـ الاستلاكتيت : تتدلى من أسقف المغارات، كاعمدة الجليد .

٤ ـ الالزاس : مقاطعة في النمسا .

٥ ـ افلاطون : كان تلميذا لسقراط .

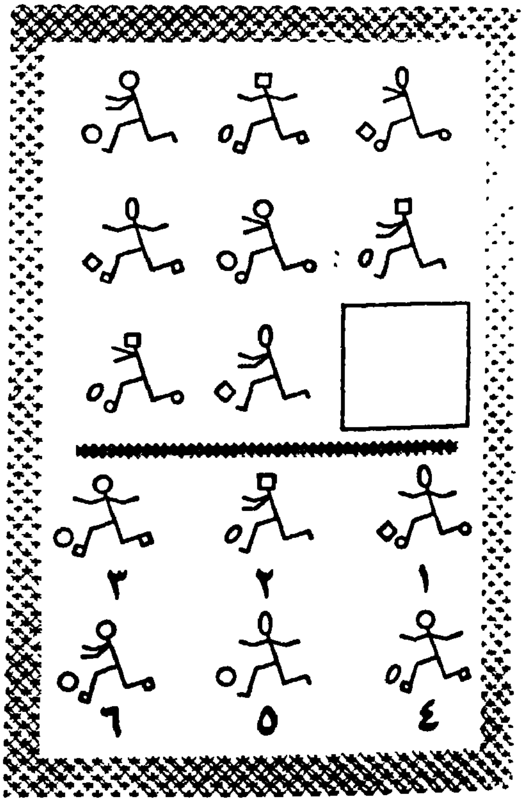
٦ ـ السيد المسيح : استغرقت دعوته لرسالته ثلاثة اعوام .

٧ ـ اوديسيوس : هـو مختـرع نظـام الـرى بالحياض .

٨ ـ بوذا : كان ابنا لاحد ملوك الهند .

٩ ـ التمساح : يبيض ولا يلد .

١٠ ـ جوليفر : شخصية روائية خياليةابتكرها سويفت .



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقات التى بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول أن تعـــرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب ان يحتل المكـــان الخالى فى الصف الثالث .

الحلول

النجمة والسهم :

قاسم امين .

★ ★ ★

أين الصواب وأين الخطا ؟ :

١ ـ ٣ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ صحيحة.

٢ ـ الارمـادا اسطـول اسبانى حـاول غـزو بريطانيا عام ١٥٨٨ .

٤ ـ الالزاس مقاطعة فى فرنسا .

٧ ـ اوديسيوس واسـمه الرومانى أوليس ، من ابطال الاوديسا التىكتبها هوميروس.

★ ★ ★

الشكل المطلوب :

رقم : ٣



في كل ساعة... وفي كل وقت
ساعات أورينت كوارتز
جميلة كيفما نظرت إليها
ORIENT QUARTZ
12.00 30
Su Mo Tu We Th Fr Sa
ORIENT
SUN 6
مهما يكن اختيارك، ساعة عادية كانت أم رقمية،
فاعتمادك على أورينت من أجل الحصول على أحدث
ما توصلت إليه صناعة الساعات بفضل ساعة أورينت كوارتز
سوبر الرقمية المزودة بأداة لقياس الوقت تستخدم خلايا تستمد
طاقة لا محدودة من الشمس، وساعة أورينت كوارتز الأنيقة
الجميلة التي تعطيك اليوم والتاريخ. مثل جميع ساعات أورينت يحتوي
هذان الطرازان على أحدث ما توصلت إليه صناعة الساعات من إنجازات تقنية.
وقد صنعت حسب أعلى مواصفات ومستويات مراقبة الجودة. ساعات أورينت كوارتز
دقيقة ورفيعة المستوى. إنها أكثر من مجرد وجه جميل آخر.
ORIENT اورينت
Manufacturers ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami Aoyama, Minato-Ku, Tokyo TEL 407 5901 TLX J26896 TIMETEST

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول يوليو ١٩٧٩

١١٨

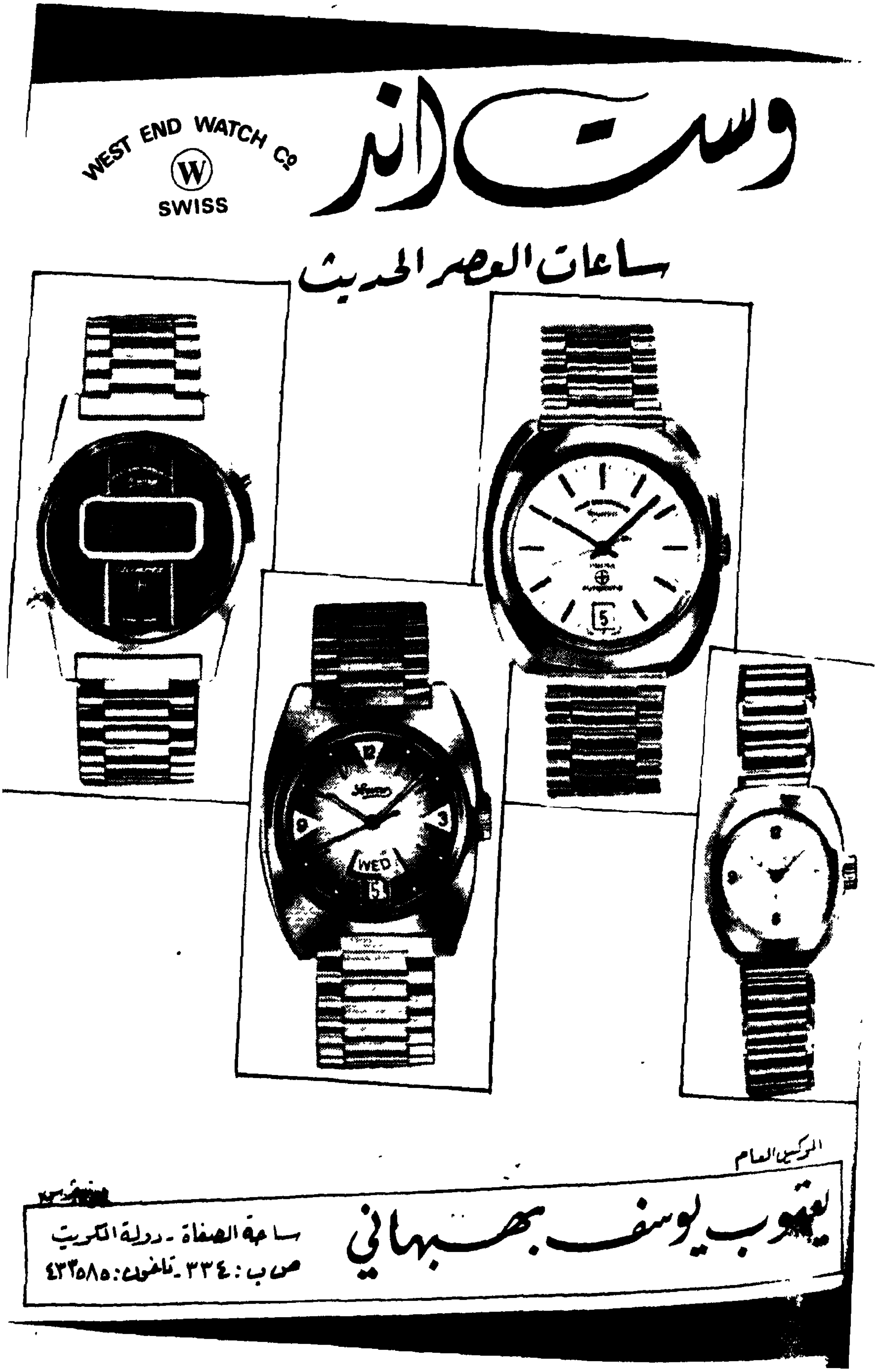
* مأساة طيبة أو الشقيقان

* فيدر

تأليف : جان راسين

ترجمة : أدونيس

تقديم : رولان بارت



وست اند
WEST END WATCH Co
W
SWISS
ساعات العصر الحديث
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص ب : ٣٣٤ - تلفون : ٤٣٣٥٨٥

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دو. الكويت

المخرج في المسرح المعاصر

تأليف : سعد أردش

الكتاب التاسع عشر

٢٥٠ فلساً

المراسلات :

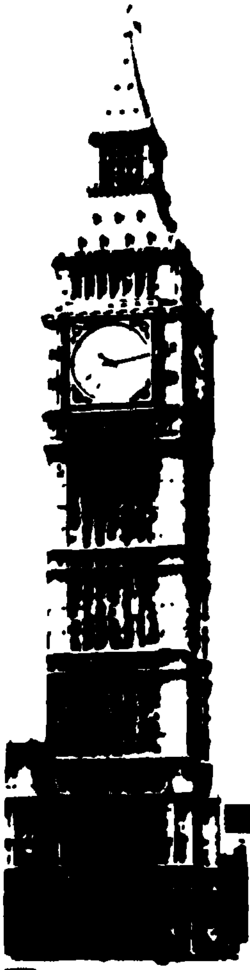
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

اخـــــروامـــــع لــــــومبــــــارد

جـــدارة بـــالـثـقـــــة فى جـمـيـــع الأوقــــات

تمتعوا بخبرة مصرف لومبارد فى لندن ، وبجدارته بالثقة ، وبضمان محافظته على اموالكم فى جميع الأوقات ، بالاضافة الى مايوفره لكم من مجموعة كبيرة من تسهيلات حساب الودائع ، المصممة خصيصا لكى تجعل اموالكم تدر عليكم مدخولا اكبر ،
نحن عضو فى مجموعة ناشيونال وستمنستر بنك التى يفوق راسمالها واحتياطيها ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني



أسعار العائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطاعة

أخطار إيداع	ايداع لفترة معينة
سعر سنوى ٦ اسهر قبل السحب مدفع الفائدة كل ٦ اسهر او تضاف الى الحساب حد ادنى للايداع ٥٠٠ جنيه استرليني %٩½	مدة ثابتة محددة بعام اسعار فائدة أخرى من ستان إلى ٥ سنوات متوا ٥ حد أدنى للايداع ١٠٠٠ جنيه استرليني %١١

تدفع كل الفوائد بدون خصم الضريبة البريطانية على الأصل.

Lombard North Central
Bankers

إلى
Lombard North Central Ltd., Dept R182, 17 Bruton Street
London W1A 3DH, England. Tel: 01-491 7050.

ارجو ان ترسلوا لى تفاصيل برامج حساب الايداع لديكم .

الاسم : ______________________

____

العنوان ______________________

____

العنوان المسجل Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

مدير التحرير
عبدالعزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ٠٠٠ر١٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — بيبليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت — كلية الاداب والتربية — الشويخ — دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

هاتف : ٨١٦٨٠٧—٨١٦٧٩٩—٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير


"العربي" تذهب الى
"ممر خيبر"
أحد الحدود الاسلامية الملتهبة



المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج
بنك الكويت الوطني أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.
بنك الكويت الوطني البنك الذي ساهم الكويت لتنمية التطور الاقتصادي والاجتماعي
بنك الكويت الوطني يقدم جميع الخدمات الاقتصادية والتجارية والاستشارات المصرفية.
بنك الكويت الوطني شبكة من المراسلين في جميع انحاء العالم قبل اقدامك على اي عمل في الكويت او في الخليج استعمل المفتاح الصحيح واستشر جهازنا المصرفي العالمي.
القسم المصرفي الاستثماري والتجاري
تلفون ٤٢٢٠١١، تلكس ٤٣ ٢/٢٤٥١/٢٧٠٤ كويت،
قسم السوق المالي، تلفون ٤٤١٠٠٨/٩، تلكس ٣٢٢٢/٣٣٢٧ كويت.
بنك الكويت الوطني ش م ك
ص ب ٩٥، تلكس ٤٣ ٢ كويت، تلفون ٤٢٢٠١١ (الفرع الرئيسي)

عزيزي القارئ

نادت مجلة العربي ـ ومازالت تنادى ـ بالبدء في اقامة موسوعة عربية شاملة ، تنقل الى القارىء العلوم الحديثة وكافة الوان الحضارة العربية ، وتيسر للمثقف العربي ما توصل اليه الفكر الانساني في شتى حقول المعرفة ، مما يجعل عائدها على العقل العربي والثقافة العربية عظيما .

وهناك مشروع قدمته منظمة العلوم والثقافة العربية لا قامة دائرة معارف عربية ، تقدر تكاليفه بعشرين مليون دولار امريكي وهو مبلغ زهيد اذا قورن بحجم الانفاق العربي في وجوه اقل نفعا وهل يوجد انفع من الصناعة الثقيلة في مجال الثقافة .. ؟ !

فمنذ اصدر الكاتب الفرنسي « ديدرو » موسوعته ، قفزت الموسوعات قفزة هائلة الى الامام ، واصبحت احد أعمدة المعرفة في اى مجتمع يسعى الى الحضارة والتقدم ، ومن أشهر الموسوعات وأهمها « دائرة المعارف البريطانية » والتى انتقلت مؤخرا بجهازها الدائم الى مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الامريكية ، وغيرها مئات من الموسوعات المتخصصة ، سواء كان الموضوع علميا او فنيا او تاريخيا ، وحتى الحركة الصهيونية أدركت اهمية دوائر المعارف ، وانشأت دائرة المعارف اليهودية « انسيكلوبيديا جودايكا » والحافلة بتاريخ اليهود وسير رجالهم .

وفكرة اقامة موسوعة عربية تتردد بين وقت واخر ، وفي اكثر من عاصمة عربية ولدى اكثر من مؤسسة ثقافية عربية ، ولكنها ـ كالعادة ـ مازالت تتعثر امام عقبات كثيرة .

ونتساءل .. لماذا لا تتوحد كل الجهود ؟ ؟ ويبدأ جهاز دائم مهمته التنسيق والتخطيط والتنفيذ وان توضع بين يديه الامكانيات المادية ، وان يستعين بمئات المتخصصين على طول الوطن العربي في شتى المجالات انه مشروع يحتاج الى سنوات طويلة ، ولا وقت لدينا نضيعه ... !

وعسى ان توحدنا الثقافة بعد ان فرقتنا السياسة .

المحــرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

شخصيات :

سياسة واقتصاد :

عروبـــة :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

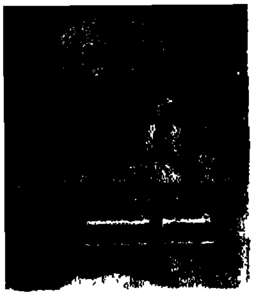
ALARABI — No. 250 September 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٦١ للمراسلات ، العربى ،

الاعــــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



ة الغلاف :

● هو حقا واحد من أوسع معابر التاريخ ، وباب باكستان الشمالي .. « والباتان » هم حراس هذا الممر وحماته منذ قرون .. وقبائل «الباتان» أكبر مجتمع قبلي في العالم وقد اعتصموا وراء حصون من الاسوار والتقاليد، وأطلوا على الكون بعيون الشك وفوهات البنادق ..

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

طلاعات :

ربية وعلم نفس :

دب :

فنون :

كتب :

سبوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليما ، الجزائر ٢٫٥ دينار ، المغرب ٢٫٥ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٦٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

حديث الشهر

عالم من سياحة ..



● منذ عشرات قليلة من السنين ، كانت « السياحة » ، ميزة لا تدكها الا القلة ، وكانت كلمة « السائح » مقصورة على صاحب الثروة الواسعة

وحتى هؤلاء كانت الحركة بينهم بسيطة .

كان الملك او رئيس الدولة يقضي عشرات السنين متوجا ربما لا يبرح بلده او لا يبرحها الا مرة ، اذ كانت الرحلة الملكية حدثا هاما يستعد له ، واجراءات طويلة معقدة .

وكان السفر للسياحة له ناس قليلون مشهورون به أذكر في مصر مثلا ان موسم السياحة كان يعد ناجحا اذا جاء « اغاخان » و« البيجوم » زوجته وعشرات مثلهم . وامتلأت الغرف القليلة في فندق « كاتاراكت » في اسوان و« وينربالاس » الاقصر ، وكان « وصول سائح » من هذا النوع خبرا تنشره الصحف في صفحاتها الاولى ، ونقرأه ونحن صغار وكأننا نتابع أخبار نوع نادر من البشر يقضي الصيف في مكان والشتاء في مكان !

وايضا كانت صورة السائح في ذهننا ونحن صغار هي صورة رجل عجوز أو امرأة طاعنة في السن لأنهم هم في العادة اصحاب القدرة المالية ، واصحاب الفراغ وقلة العمل ، لان السياحة نفسها كانت مقترنة في ذهننا بالمال الموروث دون عمل



وعندما اكتشف الانجليز مثلا شاطئا دافئا على البحر الابيض المتوسط هو مدينة « نيس » على الريفييرا الفرنسية ، يهربون اليه احيانا من برودة بلادهم وضبابها ، كان يعتبر هذا في فرنسا نفسها انه « من غرائب الانجليز» وسمي كورنيش نيس باسم « شارع الانجليز AVENUE DES ANGLAIS » ، حتى الان ... رغم انه صار شارع العرب . وجلا عنه الانجليز منذ زمن !

وبعد الحرب العالمية الثانية ، نشر الامريكان كلمة السياحة بتدفقهم الهائل على أوروبا . اسمه الدولار هو الملك وسائر العالم فقير بائس . وحتى وقتها كان الشائع ان هؤلاء الامريكان القادمين من خلف المحيط وكأنهم من كوكب آخر ، كانوا ظاهرة فريدة ، لناس اكتشفوا الكرة الارضية ويريدون معرفة أصولهم التي هاجروا منها .

بترول..وفضول.!

بقلم: أحمد بهاء الدين

أيام زمان

كانت الفنادق قليلة حتى في اكبر العواصم ، وفاخرة جدا ، وكانت حجرة الفندق في حجم شقة واسعة من ايام ما قبل المباني الجاهزة التركيب والعمال الكوريين ، وكان السفر اساسا بالبواخر . والرحلة تستغرق في البحر لا اقل من اسبوع ومع نهاية الحرب العالمية كان التقدم الهائل قد جعل الطيران من اوروبا الى امريكا يستغرق ستا وثلاثين ساعة فقط (اربع ساعات تقريبا بالطائرة الكونكورد الان) وكانت لندن منذ عشرين عاما فقط خالية من المطاعم الى بيوت الشاي التابعة لشركة « الليونز » ومطاعم السمك والبطاطس المقلي FISH AND CHIPS رغم انها كانت عاصمة الدنيا

وكان هناك ادب من اعظم الاداب الانسانية وهو « ادب الرحلة » سواء قبل قرون ، عندما كان رحال مثل « ابن بطوطة » يرحلون الى اخر بلاد الله ، متجشمين الاهوال ، لا يعرفون اذا كانت ستكتب لهم العودة ام لا ، ليكتبوا عن العالم الذي لا يعرفه الناس ، والبلاد التي تركب الافيال . ولكنهم كانوا عبر التاريخ قلة نادرة .

واستمر هذا حتى العصور الحديثة . من كتب الفرنسي « ليوتي » عن الشرق او المصري رفاعة الطهطاوي عن باريس ....

وحتى الاربعينات من هذا القرن العشرين « كسب بعض اعظم الكتاب شهرتهم الاولى من ... الرحلة .. سواء ماكتبه أندريه مالرو عن الصين وكمبوديا او إرنست همنجواي عن مصارعة ... في اسبانيا او مقهى « الكلوازيري » في باريس

ولكن السفر انقلب انقلابا تاما في العشرين سنة الاخيرة لم يعد السفر للمليونير ولا الاديب او ... والمستكشف . بل كاد يصبح « حقا جماهيريا » من « حقوق الانسان » يتطلع اليه كل فرد . ... العالم سياحة جديدة تماما ..

ماذا حدث ؟.



اشياء كثيرة نذكر بعضها لا بترتيب الاهمية ولكن بترتيب تداعي الخواطر

لماذا بدأت السياحة ؟

الثوره الصناعيه التي حشرت الناس بالملايين في المدن الصاخبة والرغبة بعد « التشبع بحب المدن » التي لا ترحم ، ورد الفعل ازاء « العمل الشاق الممل الرتيب » في المكاتب والمصانع وتحول الناس الى ارقام والى تروس صغيرة في آلات هائلة .. جعلهم ساعة الاجازة يركنون الى الفرار الى الطبيعة ، الى تحكم الانسان في نفسه ومزاجه ولو لأسابيع كل سنة ..

اكتشفوا شواطيء البحار وقمم الجبال وقيمة الخضرة وأنفاس الغابات واذكر دائما في هذا المجال كلمة لزوجة رئيس وزراء انجلترا الاسبق « هارولد ويلسون » وهي اديبة شاعرة لها عدة دواوين ، عندما سألها صحفي عن شعورها حين تركت بيتها خارج لندن وسكنت لاول مرة في قلب لندن ، وفي مقر رئيس الوزراء « رقم ١٠ داونج ستريت » فقالت في قلب المدينة اشعر ان كل نسمة اتنفسها قد تنفسها قبلي عشرات ! »

ثم جاءت زيادة السرعة ، واختصار المسافات وانخفاض النفقات وسنعود الى اسبابها بعد قليل ! كان عبور الاطلنطي يستغرق اسبوعا في اسرع السفن وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومع ظهور الطيران وانتشاره ، كانت نفس الرحلة بالطائرة من باريس الى نيويورك تستغرق ستا وثلاثين ساعة (الان تقطعها الطائرة الكونكورد في اقل من اربع ساعات والاعلانات تقول افطر في اوروبا مع عائلتك وتعش في امريكا مع اصدقائك !)

ثم انكسر اهم حاجز وهو التكاليف ، تنافست شركات السفر بالبحر والبر والجو ومنذ سنة مثلا جاء رجل اعمال انجليزي اسمه ـ لاكر ـ فألغى من الطائرة كل التفاصيل المصنفة الجميلة والطعام الفاخر والحجز المسبق ، مقابل « مجرد نقل المسافر الى مقصده ، باقل من نصف التكاليف » ، واعطته ملكة انجلترا لقب « سير » مكافأة له على هذا الانقلاب

هذا كله اوصل السياحة الى متناول يد الطبقة المتوسطة في العالم ، والطبقة العاملة في البلاد المتقدمة ، حيث امتلأت الطائرات ومجموعات شركات السياحة بالبروليتاريا ، وتدفق الشباب ذكورا واناثا في نهم شديد على السياحة والسفر .

فضول الانسان الغريزي ، هذا الفضول الذي هو احد مميزات الانسان على الحيوان ، هو احد اهم محركات التقدم من قديم الازل . ان الفضول معرفة الافكار والفلسفات .. هو نفس الفضول لمعرفة الاجراء السماوية ، وأسرار الفلك منذ الاف السنين .. هو نفس الفضول الذي يطلق الاقمار الصناعية بتكاليف خرافية لمعرفة القمر والمريخ . الفضول الذي كان يشبعه لدى الناس عالم فلك او كاتب رحالة . صار مع هذا التطور في العالم فضولا يجب ان يرتاد كل انسان آفاقه بنفسه . افلام السينما وحكايات الصحف وشاشات التليفزيون التي تربط كل ارجاء المعمورة زادت الرغبة في المعرفة

معايشة ، ولم تطفئها .. وصارت القيمة الثقافية لزيارة بلد ومعرفة مجتمع ، كالقيمة الثقافية لقراءة عشر كتاب او عشرات من الكتب . ولعلي استطردت .

ولكننا ونحن مجتمعات نامية وربما كانت تطلعاتنا حتى الآن اكثر تواضعا . فإنني اريد ان ابرز معنى هاما هو حاصر بعض الناس ومستقبل لباقيهم ... وهو ان السياحة صارت ضرورة وتزداد ضرورة وان الانسان الحديث انسان مسافر ان للدراسة ، او لزيارة المتاحف ، او للجلوس على مقهى في بلد غريب .

واقل الناس حيلة في امريكا واوروبا مثلا يسافرون بالسيارات . او الدراجات او سيرا على الاقدام وينامون في الفنادق الرخيصة . او الخيام التي يحملونها او في العراء ، المهم ان يتحرك ان يعبر حدودا ما ، ان ينسي ـ لشهر ـ مكابدة احد عشر شهرا ..

والصيرورة الى عالم متحرك مستمرة وفي ازدياد حتى يعرف المسئولون عنا ، والرواد فينا وقادة الطريق . ان هذا مستقبل لا بد من الاستعداد له بل والعمل من اجله

.. والبترول ايضا

طبعا لا يمكن لمتأمل عربي ، الا ان يذكر سببا هاما حرك الكثير من هذه الاسباب ، وجعل كل هذه الوسائل متاحة اكتشاف وقود محرك رخيص هو البترول

وهو السبب الذي اشرت منذ قليل الى انني أؤجله الى آخر الاسباب

معي عن الاشارة ، ان كل هذه العجلات التي تتحرك من الدراجة الى السيارة الى الحافلة الى الطائرة والمحركات التي تدور في جوف البواخر الى الالات التي تنتج في المصانع كل هذه الوسائل كل هذا كله . يدور بطاقة محركة وكانت الطاقة المحركة اما باهظة التكاليف واما نادرة ـ واما غير ممكن اطلاقا استخدامها في مجالات هامة (هل كانت ستطير طائرة بالفحم مثلا ؟) حتى عرف البترول فاختزل كل هذا وسهله وتجاوزه ثم تدفق بكميات هائلة ، وحتى الآن باسعار هي ارخص من اي وقود اخر . فكان ، بعد العقل البشري صاحب الفضل الاول في خلق هذا العالم الجديد في دفع حدود الانسان وتوسيع آفاقه آلاف آلاف المرات وانا أضعه بعد العقل البشري لان عالم الانسان ، اذا تحدثنا عن التطور ، اداته الاولى الحاسمة هي العقل واذا كنا نقول « الانسان بأصغريه · قلبه ولسانه » ومجموعهما هو التعبير عن العقل فاننا نستطيع ان نقول ان العالم .. رغم كل جيوشه وصواريخه وناقلات النصف مليون طن ، يصدق عليه تماما ، ودائما ان العالم بأصغريه : قلبه ولسانه » .

وانا لا اتحدث هنا عن البترول ، رغم كل الاغراءات ، حديث سياسة او حديث اقتصاد . والدنيا من حولنا لا حديث لها إلا عن « البترول سياسة واقتصاد » . انما اتحدث عنه من جانب حضاري ، انساني ، اثر ويؤثر في فكر الانسان ، وأفق الانسان وتكوين الانسان ، ونسيج كل خلية حية في الانسان .

ناحية قلما تحدث عنها او اهتم بها أحد ، ولعلها تكون مجالا لحديث مستقل . .

وبعد ذلك يستكثر الانسان « المتقدم » علينا .. ثمن البترول !

سائح .. وسائح

والانسان في الرحلة قد يكون آلة تصوير صماء . ولكنه لا يكون انسانا من النوع الذي يريد الا اذا وجد نفسه ـ تلقائيا ودون قصد يتذكر ناسه ، وبلاده ، ويقارن ويتمنى الامنيات فهذا وحده هو حقا « الانسان المسافر » .

وأنا اتحدث عن انقلاب السياحة .. فاتذكر بلادنا العربية ...

كما يرى الانسان منا الصاروخ فيتمناه لبلاده . والرخاء فيتمناه لمجتمعه وحرية العقل والفكر والضمير فيتمناها لشعبه وقومه .. ويرى نفس الانسان السفر وهو موضوعنا في هذه الصفحات فيتمناه لبلاده .

لا شك ان شعوبنا العربية ايضا تمر في هذا المجال بانقلاب واسع « مرض الحنين الى السفر » كما اسميه ، مستخدما عنوان مسرحية فرنسية قديمة ، مرض صحي يعالج اعراضا أخرى كثيرة واذا كان يحتاج شعوبنا .. من اقدر الناس الى زهور الشباب التي تكتظ بها حقولنا وبرارينا . فهذه علامة صحية ولكن تقصير المسئولين فينا في هذا المجال ، كبير .. وهو تقصير نحو انفسنا . .

ماذا ينقصنا ؟

انطلع الى خريطة وطننا العربي .. فاجد فيها كل ما تتوق اليه النفس الراغبة في المعرفة .. والتغيير ... والترفيه .. وكل ما يشبع اي نوع من انواع الفضول .

الجبال الشامخة والغابات السامقة الاشجار ، والجليد في جبال الاطلس والجزائر وشمال العراق ولبنان وما فوق شواطيء سوريا !..

الشواطيء البالغة الجمال ؟. مصر وليبيا وتونس .

صيد البحر ؟ في البحر الاحمر والخليج ....

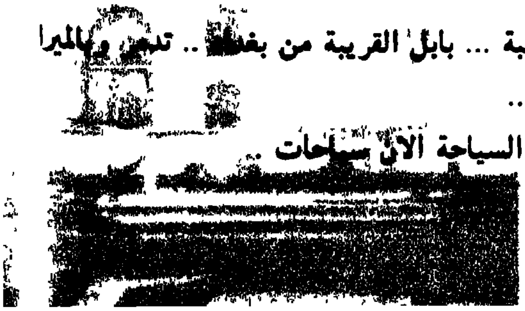
صيد البر ؟ في الصحاري وفي غابات السودان !

الدفء في الشتاء ؟.. في جنوب مصر وفي الخليج طراوة الصيف ؟ في كل الساحل العربي من سوريا الى الساحل المغربي على المحيط الاطلسي ...

آثار اسلامية وعربية ؟.. قاهرة الالف مأذنة والمسجد الأموي والكاظمية والاعظمية والفن العربي الاسلامي الرفيع في تونس والمغرب .

آثار حضارات اقدم ؟.. وادي ملوك الفراعنة في طيبة ... بابل القريبة من بغداد .. تدمر وبالميرا في بادية الشام ، ومسارح الرومان في سبراطة وغيرها ...

سياحة دينية ؟ صحية ؟ ثقافية ؟.. ترفيهية ؟ ان السياحة الآن سياحات .



ماذا بقي وليس موجودا عندنا ؟ بكثرة وغزارة . وتنوع .. وجمال ؟

انني لا ادعو الى « الاكتفاء الذاتي » في السياحة ولا الى ان لا نعرف سوى انفسنا فهي معرفة مصة . ولكن اليست معرفة هامة ؟.. بل أليست معرفة انفسنا هي أول خطوة على طريق المعرفة كله

فماذا فعلنا ؟

اننا لسنا في حاجة الى اختراع البخار وقد صرنا في عصر الذرة فلنفعل ما فعلوا ..

لقد انتبهت كل الدول الى اهمية السياحة الداخلية . ثقافيا وحضاريا بل واقتصاديا ...

فجزء كبير من مال السياحة في تلك البلاد ، ينفق داخلها ينميها يجملها ، يوسع دائرة رخائها ، و يربطها ببعضها البعض .

والسياحة الداخلية عندي ليست داخل القطر ، بل داخل الوطن العربي ...

والمفتاح هو ان نعاملها على هذا الاساس بالافعال لا بالاقوال . فقد صارت السياحة في امم شتى كأمم السوق الاوربية المشتركة سياحة داخلية .. لو اعتبر الطيران العربي طيرانا داخليا لهبطت التكاليف الى النصف ..

لو سهلت تأشيرات الدخول السياحية لتضاعف السائحون ...

لو فصلنا تماما بين سياسات الحكومات ـ واحيانا امزجتها ـ وبين تنقلات وعلاقات الامة الكبرى .. لزالت المخاوف ..

لو رصدنا أموالا نشجع بها رحلات الطلبة والشبان والشابات الى « الخارج » ورتبنا رحلات بسيطة التكاليف وبسيطة المظاهر في « الداخل » بين ارجاء الوطن الواحد .. لزالت معلومات خاطئة ، وصفت نفوس مضللة ، وحق علينا القول الكريم « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ! » .

لو وضعت الدول العربية استراتيجية لشبكة طرق ومواصلات عربية ، ينفق عليها من المال الوفير غير المستثمر ، من الايدي العاملة المعطلة ، لتبدلت شرايين الحياة في الجسد العربي تبديلا .

اين الطريق البري من بور سعيد الى طنجة ؟

اين خط السكة الحديدي الغابر من دمشق الى الحجاز ؟

ايعقل ان لا يكون بين مصر والسودان الا طرق القوافل التي انفتحت من مئات السنين دون اضافة واحدة ؟

هل وضع خطة استراتيجية لشبكة مواصلات عربية مسألة صعبة ، كوضع استراتيجية موحدة حل قضية فلسطين ؟

نحن نطلب الاساسيات والبديهيات ، ولا نعثر عليها .....

أين وأين وأين ...... وألف أين ؟

والى متى لا نجد ما نكتبه الا ان نقول : أين ؟! ● ●

احمد بهاء الدين

باريس صيف ١٩٧٩م

مسلمون والإسلام

بقلم الدكتور : عون الشريف قاسم

ذهب شيخنا الوقور الى أوروبا فيمشارف هذا القرن دفاعا عن دينه وعن وطنه ، فرأى من قوة الشخصية الاوروبيةوخلقيتها ما دفعهالى القول بأن فيأوروبا اسلاما وان لم يكن هنالك مسلمون ، فيحين أن في الشرق مسلمين ولا اسلام لهم. وردد صديقنا الصحفي الذي زار الصينالشعبية مؤخرا قولة مصلحنا الديني الكبير حين رأى من استقامة أهل الصين وجديتهموتفانيهم في اداء الواجب ما بهره فقال ان الصينيين لا ينقصهم من الاسلام الااسمه .

والواقع ان عناصر الدفع الحضارى تنبع من الداخل ، حين تتهيا للامة أسباب النهضة . وان ما يعبر عنه الغربيون بالشخصية الخلقية للفرد والجماعة ، هو الاساس الروحي والفكرى الذى ترتكز عليه كل منجزات الانسان الحضارية . فلن نستطيع أمة أن تبني نفسها ماديا ما لم تكتمل أداتها الروحية ، وتتبلور شخصيتها الخلقية . ومن هنا ينهب كثير من الناس الى ان ازدهار الحضارة يتطلب ثورة روحية ودينية . ولا يذهبن الظن بالناس الى ان الثورة الروحية المقصودة هى من قبيل هذا الذى نشاهده فى حياتنا من نشاط دينى مكرور يقف عند الحركات ، ولا ينفذ الى داخل النفس. اذ الثورةالروحية المعنية هى تحقيق قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) . ومعنى ذلك أن الناس بحاجة الى ثورة داخلية تعيد صياغة شخصياتهم ، فيتميز ما بانفسهم من جمود وخمول وتخلف فكرى وروحى واجتماعي ، وتتحول السلبيات الىايجابيات ، ويحل النشاط مكان الكسل ، وتنطلق قوى النفس من عقالها ، فتتالق العقول ، وتشرق النفوس بكل الفضائل الانسانية اللازمة لتقدم الانسان منصدق واخلاص وتفان وتضحية فى سبيل الصالح العام . ويتحد ظاهر الانسان مع باطنه ، فيتطابق القول والعمل ، وتنتفى الثنائية التى هى علامة التخلف الحضارى . وفى كل ذلك تاكيد للروح الجماعية دون اهدار لشخصية الفرد ، وهو ما تعبر عنه بروح المواطنة التى تستثمر طاقات الافراد من اجل الصالح العام .

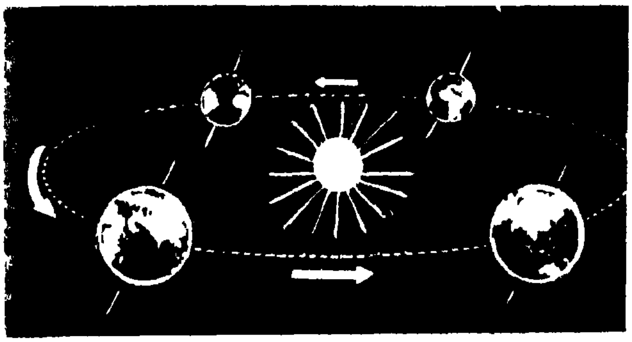
سلوك الرجل العادى

[illegible] هذا الجو المفعم بالنشاط تنمو الشخصية [illegible] . وتتميز بالتفرد والاستقلال . فتتوثب [illegible] وتزدهر العلوم والفنون ، وتختلف عطاء [illegible] باختلاف ملكاتهم، فتتعدد الاتجاهات والافكار [illegible] دلالة على الحيوية فى كيان المجتمع . [illegible] الصلة بين الفرد ومجتمعه ويحس بالمسؤولية [illegible] . ويكاد القيم الفردية تصبح قيما [illegible] ، فيسمو الضمير الفردى بالضمير الاجتماعى . [illegible] كل ذلك [illegible] فى الكتب او المحافل العامة [illegible] فسلوك الرجل العادى [illegible] هو المحك لكل هذا . [illegible] قوة الشخصية [illegible] الضمائر [illegible] وكيفما صفقت معنوية [illegible] من تراث الامة الذى هو [illegible] لكل تراث [illegible] الامة الروحية والمكتسبة [illegible] الانجليزى مثلا لمن ينتظر دوره فى [illegible] دون ان يزاحم من سبقه . او ذلك [illegible] فيبادر كلاكما الى [illegible] فى [illegible] . او ذلك الذى يضع بين الصحيفة [illegible] نسخه دون أن يتلفت فيقتبس واحدة بلا [illegible] . او تلك الفتاة التى تسعى فى الطريق دون [illegible] ساورها شعور بأنها بضاعة معروضة للمتفرجين [illegible] أنها الفتنة التى يجب أن تجذب أنظار الناس [illegible] تلبس او بما لا تلبس من زينة و ثياب ، كل هؤلاء يستمدون سلوكهم من هذه الشخصية الخفية التى يرتكز عليها بناء المجتمع ، ويحرص الناس على المحافظة عليها مهما تغيرت أحوالهم . فوراء هذه الموضات المتلاحقة فى الازياء والافكار [illegible] المذاهب ، مهما بلغت عبثيتها ، محاولات جادة للتعبير عن القيم الموروثة فى أوضاع جديدة ، [illegible] ذلك رهين بالتجربة والخطأ ، ومن هنا تتتابع الاشكال والموضات دون ان تستقر على حال نسبة [illegible] اضطراب العام فى العالم المتقدم عامة ، وسعيه [illegible] للتغيير والتطوير . فكل هذه الظواهر [illegible] الاجتماعية التى تطفو على سطح الحياة الغربية فى شكل حركات الرقص أو الفوضى او الرجعة الى الدين وما اليها ، أساليب للتعبير عن وضع حضارى معاش ، وهى وسائل للوصول الى شكل مستقر عليه يعبر المجتمع عن قيمه الموروثة . ولكن العالم المتخلف المفصم الشخصية لا يدرك الفرق بين الوسائل والغايات . فيتخذ الاشكال المجردة عن [illegible] اهدافا وسبلا الى التطور . فيبتعد عن النجاة مرحلتين . اولاهما اقتصاره على العرض دون الجوهر من تجربة الغرب الحضارية . وثانيتهما اكتفاؤه بتجربة الآخرين المعبرة عن وضعهم الحضارى [illegible] فى الانسانية [illegible] من معاناة تجربة [illegible] حياته [illegible] ومجتمعه [illegible] الى التقليد والمحاكاة [illegible] والافلاس [illegible] الحضارة الطاغية .

تجربة الانسان

[illegible] مهما اختلفت اديانهم وعاداتهم ووسائل حياتهم يلتقون فى الاسس الانسانية العامة المنتزعة من تجربة الانسان على الارض ، والتى لا بد لمجتمع [illegible] بدونها . وهى التى [illegible] الشخصية الخلقية للفرد والجماعة [illegible] ومرتكزها . ولكن تعبير الناس عن هذه الاسس الانسانية يختلف باختلاف الاقوام والشعوب . [illegible] لكل مجموعة من البشر أسلوبها الخاص فى الحياة، ونظرتها المحددة للكون . وهذا الاسلوب وهذه النظرة هما اللذان يصوغان شخصية الفرد ، وبالتالى شخصية الجماعة بحيث نجد شخصية الانجليزى مغايرة لشخصية الفرنسى، وان اتحدا فى المصدر الحضارى العام . ومن باب أولى أن تختلف شخصية الصينى أو العربى عن كليهما ، للاختلاف الكبير فى الاسلوب والنظرة اللذين هما تلخيص لتجربة الامة منذ ان وجدت على الارض . فتجربة قوم فى هذا المجال قد تفيد ، ولكنها لا تغنى عن المعاناة الذاتية . اذ ليس هنالك بديل للثورة الروحية فى داخل الشخصية الحضارية للامة ، فتنطلق قواها لتغيير الحياة من حولها بما يتلاءم واسلوب القوم ونظرتهم المتفردة للحياة . وبذلك تتغير وسائل التعبير عن القيم الموروثة ، فتتطور الشخصية الحضارية بتفجير منابعها الروحية المختزنة ، فيشرق الباطن على الظاهر ، وتنتفى

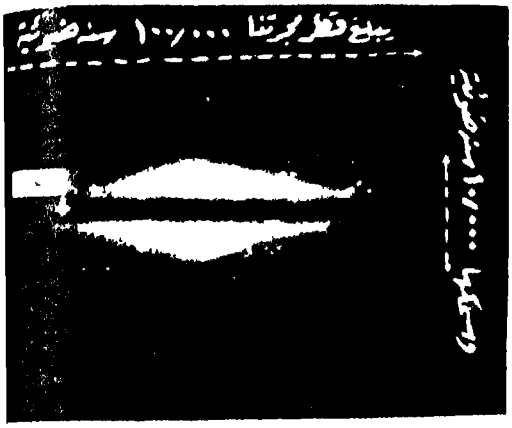
■ من العادات الشائعة بين كثير من قراء الصحف والمجلات في كثير من الشعوب البدء بقراءة الخط المدون فيها والذي يتوافق مع تاريخ الميلاد حسب البرج الذي يقع فيه هذا التاريخ. ولقد اصبحت الصياغات العامة التي يتلاعب بها محررو هذه الابواب من الصحف.عن المال والعاطفة والعمل عادة مبرمة ... بعض العقول ... بين العلم والجهل ... [illegible]



البروج ، وبروج السماء براء من كل هذه المزاعم.

وهدفنا هنا ان نستعرض سويا الحقائق الفلكية التي تلقي الضوء على أن الربط بين علم الفلك وحظوظ الناس ، ليس الا تلاعبا بالافكار بوارتياد بعد جهل الكثيرين بحقائق الكون وما كان يعرف عن اجرام السماء الا القليل وشاعت الزمرة التي تعرف هذه الصور ان تجعل من الحقائق العلمية وسيلة لغزو غريزة الفضول وحب التطلع للمستقبل ، والامال العريضة التي تسيطر على اذهان كثير من الناس. وهناك حقيقة راسخة ان قدامى العرب كان بعضهم ضالعين في هذا المضمار تحت ستار علم اسموه علم الهيئة ، وسماه العربيون حين ابتدعوا » علم التنجيم ، Astrology » وربطوه طبعا بعلم الفلك بل واستمدوا تسميته منه ومازالت هذه العلوم ترتبط

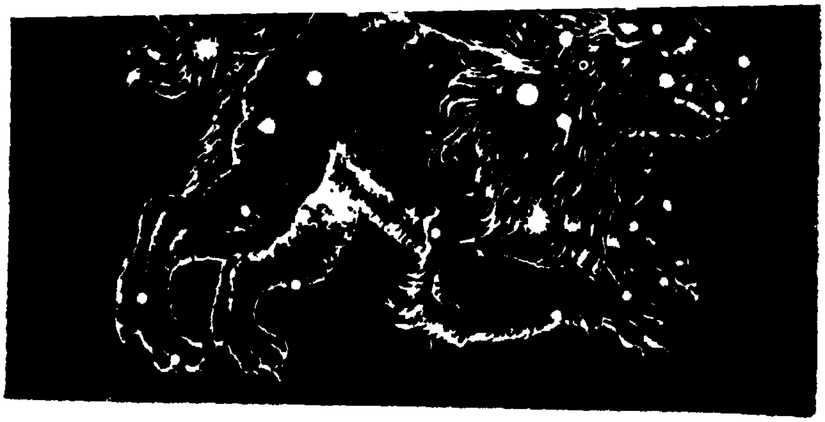
بين اسم الشخص ، واسم امه ، وتاريخ مولده ... وبين خطه المكتوب على جبين ... في ... مرض لاقتراب كوكب ... اقتران مدار ... مع ... [illegible]

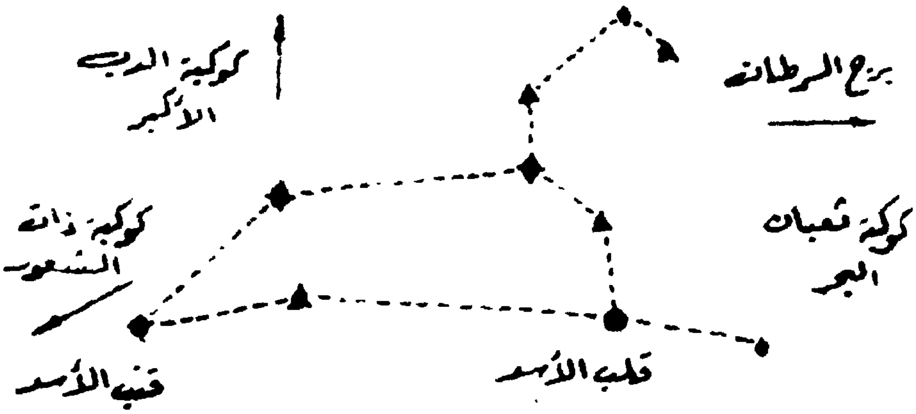


اين نحن في المجرة

سؤال ... [illegible] ... بعد خوف من ... تقع في ... من ... [illegible] ... صفحتي طبق متطابقتين او كعرص كبير منتفخ من منتصفه ويدب من طرفه وقطر القرص الكبير يعادل عشرة امثال ارتفاعه عند المنتصف. ولكي نتصور ضخامة حجم مدينتنا النجمية هذه يكفي أن نعرف ان طول القطر الاكبر لقرص المجرة يقاس بالوحدة الفلكية بمقدار ١٠٠٫٠٠٠ سنة ضوئية ، بينما ارتفاعه المنتفخ عند المنتصف يبلغ هذا القدر ... ١٠٫٠٠٠ سنة ضوئية. والسنة الضوئية بالوحدة الطولية تعادل ٦ مليون مليون ميل. ومعنى ذلك ان قطر المجرة الاكبر طوله ستمائة الف مليون مليون ميل (٦ مسبوقة بسبعة عشر صفرا).

والشمس ليست في مركز هذه المدينة النجمية الضخمة كما كان يظن القدامى بل هي في أطرافها. وموقعها يقرب من طرف قرص المجرة على القطر الاكبر. بحيث يقسم هذا القطر بنسبة





نحوم برج الاسد

٤) فهى قرب حافة القرص ، وتدور حولها
كواكب التسع التى منها الارض •

ومهما حاولنا تشبيه تواضع حجم اسرة الشمس
وكواكبها بالنسبة لما حولها من نجوم او شموس
حرى . فلن نستطيع تقريب الامر . الا بانها
لا تعدو كونها كذرة رمل وسط تيه فى صحراء
مترامية الاطراف • ومهما كبرت أقطار وأبعاد
لكواكب ، وأبعاد الشمس نفسها . فلن يغنى
ذلك عن القول بانها فى غاية الضآلة قياسا
للنجوم الاخرى ، المنتشرة فى المدينة النجمية ،
ان كثيرا منها يفوقها حجما ويكبرها قطرا •فضلا
عن المسافات التى تفصل هذه النجوم عن
بعضها ، مسافات شاسعة ، لا يمكن أن تقاس
بوحدات الاطوال العادية التى نستخدمها على
الارض كالميل والكيلومتر ، والا لاضطررنا لوضع
... الاصفار أمام كل بعد . ولذلك ابتدع
الفلكيون لانفسهم وحدة قياس للاطوال الفلكية
« السنة الضوئية » والتى سبق القول انها
ستة مليون مليون ميل • فهى المسافة التى
... الضوء خلال عام كامل ، ومعروف أن سرعة
... هى أكبر السرعات المعروفة على سطح
الارض حتى الان ومعادل ١٨٦٠٠٠ ميل فى
الثانية الواحدة •

والشمس تجرى لمستقر لها

تظهر الشمس لاهل الارض بعدها تشرق كل يوم من اتجاه نسميه « الشرق » وتختفى فى الاتجاه المقابل ونقول انها تغرب • وهذه الحركة تظهر الشمس وكانها تدور حول الارض • وما هذه الحركة الا حركة ظاهرية تظهر لنا معاكسة للحقيقة • فالارض لها حركتها الذاتية حول محورها من الغرب الى الشرق • فتظهر الشمس خلال نهار الارض وكانها تتحرك من الشرق الى الغرب •

والارض ، شانها شان كل كواكب المجموعة الشمسية تدور حول الشمس على مدار اهليلجى أى بيضاوى تقع الشمس فى احدى بؤرتيه ، وتتم هذه الدورة خلال ٣٦٥ يوما وربع اليوم • ويسمى هذا باسم « المدار الظاهرى للشمس » • ونقول نحن أهل الارض أنه مدار للشمس وهو فى حقيقته مدار للارض ، لاننا لا نستطيع رؤية الحركة التى تؤديها الارض ، ولكن نرى عكسها • ويميل مدار الشمس الظاهرى على مستوى خط استواء الارض

بمقدار ٢٣٪ درجة . ولولا هذا الميل ما حدث تقلب فصول السنة .

وحركة دوران الارض على مدارها البيضاوي حول الشمس ، ليست حركة منتظمة بل متغيرة حسب بعد الارض عن الشمس . فتزداد سرعة الدوران عند اقتراب الارض من الشمس ، وتقل سرعتها كلما بعدت عنها وذلك وفقا لقانون الحركة الذي اكتشفه العالم الالماني « كبلر » بين عامي ١٦٠١ و ١٦٣٠ .

أين تقع بروج السماء

لقد عرف العرب بروج السماء منذ الجاهلية ، قبل ظهور الاسلام ، ثم نزلت سورة من سور القرآن الكريم باسم سورة البروج ، تأكيدا لادراك العرب لبروج السماء وتضمنت السورة قسما بالبروج «والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود ... » .

ودائرة البروج هي الشريط الذي يحف بمدار الشمس الظاهري من جانبيه بمقدار ٩ درجات من كل جانب، وكأنها حزام عرضه ١٨ درجة يتوسطه مدار الشمس . ولكي تقطع الشمس هذا الحزام في منتصفه خلال اثنى عشر شهرا فانه يمكن تقسيمه الى اثنى عشر جزءا ، يسمى كل منها برجا . ويميز كل برج شكل معين لحيوان او لطير ، هي اشكال النجوم التي تقع في البرج والتي ترى ليلا عند حلول هذا البرج كما ان لها رموزا فلكية اخرى تشتهر بها . وغني عن البيان ان النجوم او الشموس في الفضاء ذات ابعاد متفاوتة واحجام مختلفة بل والوان متغايرة ، ولكنها بالنسبة للناظر اليها من الارض تظهر وكأنها في مستوى واحد هو مستوى الرؤية وكأنها تكون شكلا محددا وقد تخيلها الاقدمون على هيئة طيور او حيوانات او أبطال أساطير خرافية كانت تسيطر على حياتهم . لذلك فهي تمثل المنظر الخلفي للبروج ولكنها ليست كذلك لان الشمس اقرب منها الى الارض بكثير .

ولقد تعارف الاقدمون على تسمية مجموعات النجوم المتقاربة التي تكتظ بها السماء باسم «الكوكبات» او «المجموعات النجمية» . ولكن البروج حالة خاصة من هذه الكوكبات هي التي تقع في حزام مدار الشمس الظاهري . وهي حسب مواعيد مرور الشمس بها مقسمة الى شهور (انظر الجدول)

البروج والاساطير

لم يكن القصد في الازمان القديمة من تخيل مجموعات نجوم السماء سواء في البروج او غيرها من الكوكبات على هيئة حيوانات أو طيور او حشرات الا بقصد تذكرها وتخيل الاساطير والخيالات عنها . ولذلك اختلفت أسماء بعض البروج لاختلاف تصور نجومها في عصور مختلفة.

فبرج الجوزاء او التوامين تخيله العرب كطفلين توامين يقفان بجوار بعضهما ، واطلقوا على احدهما التوام المقدم،وعلى الاخر التوام المؤخر . وشاركهما في ذلك اليونان حيث تسب وجود طفلين الى جوار أمهما الملكة ليدا زوجة ملك اسبرطه .

الحمل	٢١ مارس	٢٠ أبريل
الثور	٢١ ابريل	٢١ مايو
الجوزاء أو (التوأمين)	٢٢ مايو	٢١ يونيو
السرطان	٢٢ يونيو	٢٢ يوليو
الاسد	٢٣ يوليو	٢٢ أغسطس
العذراء أو السنبلة	٢٣ أغسطس	٢٢ سبتمبر
الميزان	٢٣ سبتمبر	٢٢ اكتوبر
العقرب	٢٣ اكتوبر	٢١ نوفمبر
القوس أو (الرامي)	٢٢ نوفمبر	٢١ ديسمبر
الجدي	٢٢ ديسمبر	٢٠ يناير
الدلو أو (الساقي)	٢١ يناير	١٨ فبراير
الحوت أو (السمكة)	١٩ فبراير	٢٠ مارس



نجوم برج العقرب

اما برج السرطان فقد تصوره الكلدانيون على هيئة سرطان بحرى يمسك بقدم هرقل في كوكبة سماوية أخرى هي «الجاثي» أثناء صراعه مع ثعبان البحر • وتخيل الاقدمون توزع نجوم برج «الاسد» على هيئة ملك الغابة جالسا ويده ممتدة الى الامام . ويقال أن قدماء المصريين شبهوا هذا البرج بابي الهول• بينما اعتقد اليونانيون أن هذا الاسد صرع هرقل في الالعاب الاوليمبيه • ولكن نجد أن الحضارة العربية لها بصماتها على أسماء كثير من النجوم ومن أخصها النجوم التي في ذنب الاسد، حيث أطلق عليه العرب اسم الذنب ومازال اسمه باللاتينية Dnebola الى الان •

وبرج العذراء عرف في حضارة قدماء المصريين باسم ايزيس التي تحمل سنبلة قمح ، ولذلك يسمى في بعض الكتب القديمة باسم برج السنبلة• أما برج الميزان فترجع تسميته الى الرومان، وقد تصوروه كذلك في حضارات الهنود والصينيين وقدماء المصريين وكأنه يمثل الهة العدالة تمسك بيدها ميزانا ذا كفتين ، بينما لو أمعنا النظر في نجومه نجد أشدها لمعانا أربعة نجوم تنتظم على هيئة معين • وفي كل الحضارات القديمة تخيلوا نجوم برج العقرب على هيئة عقرب يرفع ذيله الى أعلى ، ولكن في أساطير الصينيين أيام كونفوشيوس كانوا يطلقون على هذا البرج اسم «النار العظيمة» وجدير بالذكر ان العرب أطلقوا اسم « شوله» على النجم الاخير الذي قرب ذيل العقرب وترجم اسمه الى اللاتينية من بعدهم Shawla • وكذلك تصور القدامى نجوم برج القوس أو الرامي على هيئة رجل نصفه الاعلى انسان ونصفه الاسفل فرس • وهو يمسك بيده قوسا مشدود الوتر يصوبه نحو قلب العقرب الذي يقع برجه بجواره • وبينما تصور العرب نجوم هذا البرج على هيئة نعام يروح ويغدو لشرب الماء• ويلمع بين نجوم هذا البرج نجم اسمه القوس الجنوبي وترجم اسمه باللاتينية على هذا النحو نقلا عن العرب Kaus •

ولقد ارتبط تشبيه نجوم برج «الدلو» أو الساقي بالماء منذ القدم فقد تصوره الكلدانيون على هيئة رجل يحمل جرة ينسكب منها الماء • وتصورها العرب على هيئة ساق يحمل وعاءين للماء على كتفيه يربط بينهما عصا• بينما تخيلها قدماء المصريين كدلو كبير تتجمع فيه المياه ويحدث فيضان النيل عندما يمتلىء بالماء •

ولقد تصور السريانيون نجوم هذا البرج في صورة سمكية • وورد في خرافات اليونانيين أسطورة تحكي كيف هربت الملكة فينوس وابنها في مياه نهر الفرات عندما هاجمها وحش مفترس. فغير شكلهما على هيئة سمكتين • ■■

م • سعد شعبان

العالم



ابتي كيف صرت بعد ثمان من سنيْ اللحود والاكفان
فهي تكفي لكي يذوب لها اللحم وتفنى العظام فى الديدان
اكل الدود كل ما فيك ـ لا ريب ـ بلا رأفة ولا استئذان
الحق الجذع بالمفاصل والاطراف ـ لم يرع حرمة للبنان
وهي كانت تصوغ للشعر آيات لتتلى في سورة الألحان
وتناجي بها الحسان فتسبيهنْ مهما ارتفعن بين الحسان
نسق في القريض ابدعه الفن بوهج الرؤى وميص البيان
حسد البحتري انغامه الغرُ ـ جرت في مثالث ومثاني
وتمنى الطائي ما يخلب الألباب فيها من روعة في المعاني
وخيال لم تبنه الاستعارات وان كان شامخ البنيان
لا ، ولم تمسك القوافي ولا الأوزان من حدٰ غربه بعنان
فهو فيها كأنه ليس فيها وهي فيه رقص الصبايا اللدان
يا له من مشيّد طاول البنيان حتى لم يبق شأوا لباني
لو رأى الدودُ ما بنته البنان الغر للشعر من رفيع المكان
لتحاشى بأن تكون له زادا ولو ذاب من لظى الحرمان
ولأبقاك كالشهيد فلم تبل ولا ذرّة من الجثمان

●

لم تزل يا بنيْ ترنو الى شعرى بعين المتيّم الولهان
مثلما كنت حين كنت غلاما بأبيه يزهو على الغلمان
وحماس المحبّ قد يحجب العيب فلا تهتدي له العينان
إن اكن يا نزار [1] صرت رفاتا في ضريحي بعد السنين الثماني
فانا في السماء باق بروحي سابحا بين حبّها والحنان
فلقد كنت في الحياة رحيما لا اطيق العذاب للانسان

---

(١) اصغر انجال الشاعر .

ـام الفين

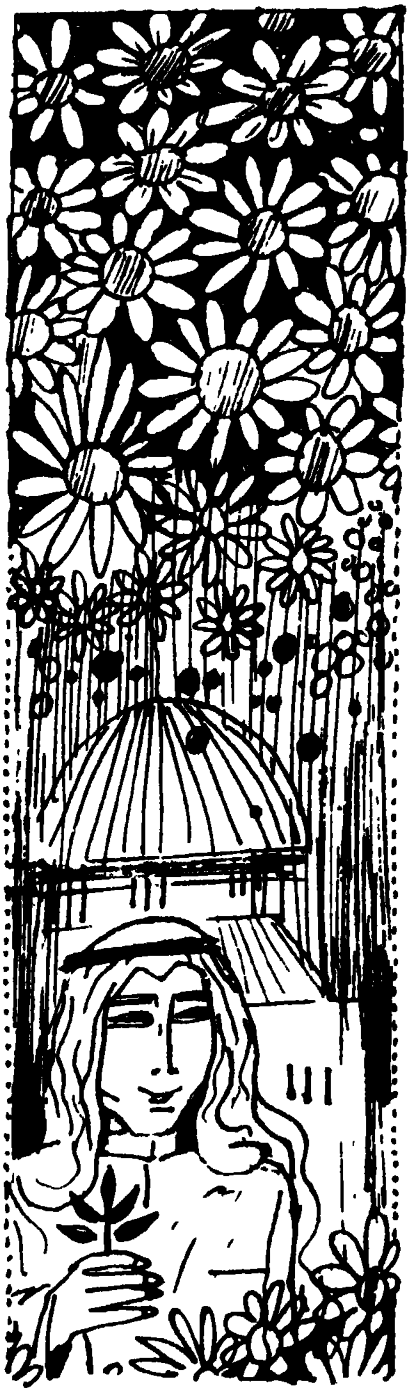
شعر :
الدكتور محمد عبده غانم



... الظلم دائما اينما حلّ وادعو للبرّ والاحسان
...ارشت بعد الممات ذنوبي - وهي كثر - في رحمة الرحمان
... العمر زلتي واستحمت مهجتي في اشعة الغفران
... صرتم بي بعد رحيلي هل ظفرتم بالعز بعد الهوان
... اعدتم الى العروبة مجدا ضيعته الاضغان منذ زمان
... مواطن الداء فيكم وهو يسري كالسم في الأبدان
... او العلاج ولو كان يبتر الأذى بحد السنان
... بجرعة تلو اخرى من دواء المصاب بالهذيان
... هل اعدتم ايها راية العرب حرة الخفقان
... المسلمون ما يزال عليهم سلطة المستبد بالسلطان

●

...لتي زال عن فلسطين ما كان بها من معالم العدوان
واستردت ابناؤها كلّ ما كان لهم من كرامة وكيان
...رجع الغاصبون ما اغتصبوه بعد ذلك العتوّ والطغيان
وارتضوا ان يكون حالهم فيها كحال النزيل في الأوطان
لا كحال الذي يقول بلادي دون غيري وان ابى الثقلان
...ان وحدي الذي يسيطر فيها بحقوق ورثتها من فلان
فلارثني ما شئت من سلطان ولعرقي ما شئت من عنفوان
...زال عنهم ذلك الغرور الذي قد كان في « بيجن » وفي « ديان »
...بعد ان ادركوا بأن مصير الكل رهن الدمار في كل آن
...بأن الفداء لن يترك الغاصب مهما استعان بالشيطان
...بعد ان لاحت النهاية في البدء بصوت النذير في ايران
...وت دعوة التلاحم في الاسلام تغزو عواصم البلدان
...ادي للسلم والعدل باسم الدين لا باسم « ماركس » او « رينان »



ايقنوا ان لعبة الشرق والغرب غدت لعبة بغير رهان
يتسلى بها المشاهد كالصبيان زاروا حديقة الحيوان
يشهدون القرود تقفز في الاقفاص بين الاسلاك والقضبان
مثلما يقفز المهرج في السيرك يحاكي طريقة البهلوان
لم تعد حيلة تجوز على البله ولا تنطلي على الصبيان
لم تعد خطة بها تقسم الاوطان ما بين طامع والثاني
يحكمون البلاد باسم بنيها وبنوها في عالم النسيان
يتبارون في الشعارات ما دامت بلا غاية سوى الروغان
ويزيدون في شقاء الأشقاء ببذر الشقاق والخذلان
لم يقولوا الا القلائل منهم كيف خصمان باسمنا يحكمان
كل هذا ولىَ وعاد الى العرب حماهم في السر والاعلان
وتلاشى ما كان في اليمن الميمون من فرقة ومن اضغان
لم يعد لانشطارها لجنوب وشمال شأن ولا شبه شان
بل غدت وحدة يعيش بنوها في وئام ما ينقضي وأمان
ولصنعاء في الديار مقام لا يضاهيه غيره او يداني
فهي عند الجميع عاصمة القطر ونبع الالهام والايمان
ولها في الجنوب ميناؤها الحر كما كان من قديم الأوان
عدن وهي تستجيب لصنعاء وتصغي لهمسة الوجدان
فاذا بالجميع صوت ينادي فوق هام الجميع شعب يماني .

●

عام الفين يا ابي طهّـر الأرض من الموبقات والأدران
وقضى العلم بالقضاء على الجهل واودى الرخاء بالحرمان
واحتوى الطب بالعلاج اذى الداء فلم يبق منه شعب يعاني
وغدا للمصاب بالقلب ما يزرع قلبا محله في ثواني
بل تلاشى الفضاء حتى نزلنا في رحاب المريخ بل كيوان
كل هذا قد جاء في عام الفين فلله ذانك الألفان
فاسترح يا ابي وحلّق كما تهوى بما شئت من سماء الجنان
فلقد خيّـم السلام على الأرض وعاش الانسان للانسان

صنعاء ـ د . محمد عبده غانـ



بقلم الدكتور :

عبد العظيم أنيس

لم يحظ عالم على طول تاريخ البشرية بما حظي به اينشتين من دعاية في اجهزة الاعلام الجماهيرية من صحافة واذاعة وتليفزيون، ولم تحدث حالة من قبل هذه الاحداث [illegible] رجلا من [illegible] حالة [illegible]

ليس هذا ينطبق على الطبول التي دقت له في عام ١٩١٩ عندما تطابقت المشاهدات الفلكيـة مع نبوءته النظرية فحسب . ولا ينطبق على الضجيج الذي دبر له بعد خطابه الشهير الى روزفلت عام ١٩٣٩ حول قضية القنبلة الذريـة فحسب . وانما ينطبق على الهالة التي رسمتها اجهزة الاعلام الغربية والامريكية خصوصا عن البرت اينشتين هذا العام (١٩٧٩) بمناسبة مرور مائة عام على مولده

والسؤال الطبيعي لماذا ؟.

هل هو عبقرية تختلف نوعيا عن العبقريات التي عرفتها الرياضيات والفيزياء ؟ هل ما قدمه اينشتين من تصورات نظريـة هو الثورة الوحيـدة التي وقعت على طول تطور هذين العلمين ؟ اين اذن علماء الفيزياء الذرية الحديثة ونظرية الكم ابتداء من ماكس بلانك ودبراك مرورا بماكس بورن ودي بروجلي وهايزنبرج .. الخ ؟

الحقيقة ان الضجة التي تثار حول اينشتين والقصص الخرافية التي تنشر عنه وعن النسبية لا تعود الى اهميـة اكتشافه النظري فحسب . وانما تعود بنفس القدر الى اعتبارات ليست علمية بحتة كذلك .

ومن هذه اعتبارات سياسيـة تتعلق بالدور الذي لعبه في توجيـه نظر الولايـات المتحدة الى الخطورة الحقيقية في حصول المانيا على القنبلة الذريـة خلال الحرب العالميـة الثانيـة . عندما كان رجال الحرب الامريكيون يعتقدون ان هذا الخطر ليس الا مجرد نكتة !

ومن هذه الاعتبارات ايضا التي لا ينبغي ان تنسى ان اينشتين يهودي صهيوني . لا نقول هذا عنه ادعاء .. وانما هو فخور بصهيونيته معتز بها منذ عام ١٩٢١ . شارك في اكثر من حملة لجمع التبرعات للحركـة الصهيونية . وحاضر في الجامعة العبريـة بالقدس بل عرض عليه عام ١٩٥٢ بعد وفاة وايزمان ان يكون رئيسا لدولة اسرائيل . وتردد في مبدأ الامر ثم رفض باعتبار انه لا يصلح للعمل السياسي !

وهذه الحقيقة ـ عقيدته الصهيونيـة ـ تفسر جزئيـا الطبول التي تدقها له اجهزة الاعلام الغربيـة المليئة بالصهاينة والتي تلعب دورا هاما في توجيه الرأي ال الغربي (الامريكـي خصوصا) . حتى ادت الضـ حول اينشتين الى سريان عديد من الخرافات بين الـ عن الرجل وعن نظريته النسبية .

من هذه الخرافات ان النظرية النسبية لا يفهمها سبعة اشخاص في العالم وليس هذا صحيحا بالطبع الذين يفهمونها كثيرون من العلماء . ومن هذه الخرا ان اينشتين اعظم رياضي عرفته البشرية والحقيقة من الصعب ان يجد اينشتين مكانا له بين الرياضـ النابهين لانه عالم فيزيـاء نظري (ولا شك انه عباقرة هذا العلم) فحسب . ولقد استعان اكثر من عند تطوير نظريته من النسبيـة الخاصة الى النسـ العامة بعلماء رياضيات يعرفون اكثر منه بكثير . و هؤلاء الرياضي الالماني جروسمان صديق صباه

ومن هذه الخرافات الشائعة عن اينشتين ان عبـ تفتحت في جميع الاتجاهات منذ طفولته المبكرة والحقـ ان اينشتين كان طالبا فاشلا في المرحلة الثانوية الى انه فشل في الحصول على شهادة الثانوية العامة لدخـ الجامعة وحتى عندما دخل مدرسة البوليتكنيك العلـ زيـورخ (ETH) كان مهددا بالرسوب في امتحـ التخرج لاهماله دراسته لولا مساعدة زملائه له

لقد كان النمو الفكـري العلمي لاينشتين بطيئـ ومترددا في فترة صباه وشبابه المبكر . ولم تتفتح عبقريته في الفيزياء النظرية الا بعد تخرجه من الجامعة . ولعل هذا يفسر تردد جامعات سويسرا في تعيينه في وظيفة معيد بالجامعة زمنا طويلا !

منطو ضعيف الذاكرة

ولد اينشتين في ١٤ مارس سنة ١٨٧٩ في مدينة الـ بالمانيا من ابوين يهوديين . وبعد سنة من مولده أفلست تجارة والده . فانتقلت العائلة الى مدينة ميونخ حيث اسـس والده وعمه ورشة للاعمال الكهربـ الكيميائية . ولقد ادخله والده ـ هو وشقيقته ـ سة ابتدائية كاثوليكيـة في ميونخ وفي هذه المدرسـ كان الاطفال الاخرون يعيرونه بديانته اليهودية . و هذه

... ت الصهيانية الفضل في ان ينشأ اينشتين بعنف بتراثه الديني وثقافته اليهودية .

... البرت منطويا على نفسه ميالا الى الوحدة ، وان ... ذلك بنزعة فضول قوية ورغبة في الاستكشاف لا ... يها خصوصا عند مواجهة العالم الخارجي . وهو ... ه عندما كان مرة مريضا في الخامسة من عمره ... الده بوصلة جيب واثار اعجابه انه لما كانت ابرة البوصلة تشير في اتجاه واحد دائما ، فلا بد ان يكون هنالك شيء ما يؤثر عليها ، وهذا الشيء موجود في الفضاء « الفارغ » .

وحين بلغ اينشتين العاشرة دخل الجمينزيــوم ، المدرسة الالمانيــة التقليديــة ، حيــث قضى فيها خمس سنوات . وعندما اضطرت العائلة الى الرحيل الى ميلانو سعيا وراء انشاء مصنع صغير هنالك عام ١٨٩٤ تركت البرت عند بعض اقاربه لكي يكمل الجمينزيوم . ولكن لسبب غير واضح لم يكمل دراسته وترك المدرسة دون ان يحصل على الشهادة الثانويــة التي تؤهله لدخول الجامعة ومع ان فشله في الحصول على الشهادة الثانوية غير واضح الاسباب ، الا انه من المؤكـد ان اينشتين كان تلميــذا صعبا غير محبوب من اساتذته ، ... كان كثير الجدل والمخالفة ، ولم يكن يخفي نفوره من مدرسيه الى درجة ان مدرس اللغة اليونانية استدعاه مرة وطلب منه ان يغادر المــدرسة فورا قائلا . « انك لن تكون شيئا في هذه الحياة » .

كان معروفا ان اينشتين يتمتع بذاكـرة ضعيفة ، ولعل هذا هو سر كراهيته للغة اليونانية وعلوم الاحياء وغيرها من المواد التي تعتمد في تحصـيلها جزئيـا على الحفظ وقدرة الذاكرة .

في هذه المــرحلة من حيــاته ساءت حالة العائلة المالية ، واصبح من الضروري ان يبحث اينشتين عن عمل ولكــن اسرته كانت تطمع في ادخال ابنها الجامعة وكانت العقبة الكبرى ان اينشتين لم يحصل على ... ية وبدونها يستحيل دخول الجامعة في المانيا .

ومن حسن حظ اينشتين ان وجدت الاسرة حلا لهذه المعضلة . ففي زيورخ هنالك المدرسة العليـا للتكنيـك المعروفة باسم (ETH) ، ودخول هذه المدرسة العليا لا يشترط غير اجتياز امتحان قبول . وهكذا ذهب اينشتين الى زيورخ ، ولقد كان امتحان القبول يشترط النجاح في المواد التالية : الرياضيات ، الفيزيـاء ، اللغات ، علوم الاحيـاء ، ومع تفوق اينشتين في نتيجة امتحان الرياضيـات والفيزيـاء الا انه رسب في اللغات وعلوم الاحياء ، وبذلك رفضت المدرسة قبوله !

عند هذه اللحظة الحاسمة يتدخل الحظ مرة اخرى لصالح اينشتين ، فقد اعجب مدير المدرسة باجاباته في الرياضيات والفيزياء الى درجة ان رتب له قضاء سنة في مدرسة ثانوية قريبة لكي يعيد امتحانه في العام التالي وهكذا نجح اينشتين في المرة التالية في اجتياز امتحان القبول سنة ١٨٩٦ ودخل الـ (ETH) .

كان اينشتين سعيدا بوجوده في سويسرا ، منحازا الى التعليم السويسري عندما يقارن أحواله في المــدرسة السويسريـة بحالته في الجمينزيـوم الالمــاني ، وعندما يقارن بين الديمقراطيــة السويسريـة وبين العسكريــة الالمانية ، وقد بلغ عداؤه لاسلوب الحيــاة الالمانيــة الى درجة تخليه عن جنسيته الالمانية عام ١٨٩٦ وظل خمس سنوات بلا جنسية حتى حصـل على الجنسية السويسرية عام ١٩٠١ وظل محتفظا بها طوال حياته .

وفي المدرسة العيا للتكنيك في زيورخ (ETH) قضى اينشتين اربع سنوات يدرس منهجا خاصا في الرياضيــات والفيزيـاء وضع خصيصـا لهؤلاء الذيــن يعدون انفسهم لمهنة تدريس هذه المــواد في المــدرسة الثانوية . والغريب ان اينشتين لم يكن تلميذا متفوقا في الدراسة وقيـل في تفسير ذلك ان المحاضرات التي حضرها لم تثر حماسه ولذلك كان انتظامه في حضور المحاضرات ضعيفا وكان يفضل ان يقرأ المراجع الكبيرة بنفسه حتى لو كانت بعيدة عن مقرر الدراسة ، ولقد كان هذا الاهمال لمحاضرات أساتذته كفيلا ان يؤدي به الى كارثة في قاعة الامتحان لولا زميله مارسيل جروسمان (وهو نفس الشخص الذي ساعده رياضيا على صياغة النسبيــة العامة بعد ذلك بسنوات) الذي كان يحتفظ بمذكـرات ممتازة عن محاضرات الاساتذة وكــان يسمح

لاينشتين ان يذاكر منها . وهكذا نجح اينشتين وتخرج عام ١٩٠٠ في حالة نفسية غريبة ، فقد ظل لمدة عام كامل شديد الكراهية للتفكير في اي مشكلة علمية !

بداية الثورة الفيزيائية

غير ان ولعه بالفيزياء النظرية بدأ يعود بالتدريج ، وفي عام ١٩٠١ كتب اول بحث فيزيائي له واستطاع نشره في مجلة علمية سويسرية مرموقة وهي مجلة « حوليات الفيزياء » .

وحاول اينشتين ان يستفيد من هذا البحث في ايجاد عمل جامعي له فارسل منه نسخا الى كثير من العلماء ولكن احدا منهم لم يهتم بالبحث ولا بصاحبه ! ثم توسط له والد صديقه وزميله مارسين جورسمان لدى مدير ادارة « براءة الاختراع » في برن حيث عين عام ١٩٠٢ موظفا في الادارة ، وفي هذه الادارة التي كان العمل فيها محدودا جدا اختمرت عبقرية اينشتين الفيزيائية في السنوات السبع التي قضاها هناك ، وهي بالتأكيد اخصب سنوات حياته في الفيزياء النظرية

وفي عام ١٩٠٤ كان اينشتين قد نشر أربعة ابحاث في نفس المجلة العلمية السويسرية المرموقة ومع اهمية هذه الابحاث الا انها لم تكن غير مقدمة لعبقريته التي انفجرت مرة واحدا عام ١٩٠٥ .

ان عام ١٩٠٥ يعتبر عاما اساسيا في تاريخ علم الفيزياء النظري ، فقد نشر فيه اينشتين ـ وهو في السادسة والعشرين من العمر ـ اربعة ابحاث يعتبر ثالثها بمثابة ثورة على المفاهيم الفيزيائية التي كانت سائدة حتى ذلك الزمان ولعل هذا يفسر التحفظ الذي تلقت به الاوساط العلمية هذه الابحاث في مبدأ الامر ، مع استثناءات قليلة فقد كانت افكار اينشتين بمثابة ثورة على التصور النيوتوني للكون ، وهو التصور الذي كان سائدا حتى عام ١٩٠٥ .

ان البحث الثالث ـ وهو اهم ابحاثه الاربعة ـ كان يحمل العنوان المتواضع « حول كهروديناميكية الاجسام المتحركة » ولكنه أول عرض جاد لما يعرف اليوم باسم نظرية النسبية الخاصة . ورغم ان البحث لم يزد عن تسعة الآف كلمة الا ان اينشتين رمي فيه جانبا كل الافكار النيوتونية السائدة عن الزمان والمكان بشكل وكأنه إهانة للذوق العام .

حتى ذلك الوقت كان السائد هو ما اكده نيوتن في « البرنسيبيا » من ان الزمان مطلق والمكان مطلق ايضا ، وكان هذان المبدآن مقبولين من جهرة العلماء. وقد ترتب على هذا التصور مع التطورات التي حدثت في علم الضوء ان افترض العلماء انه لا بد من وجود شيء في الفضاء (سموه الاثير) لكي يحمل موجات الضوء ، وانه وفقا لهذا يمكن تصميم تجربة لاكتشاف حركة الاجسام خلال الاثير . ووفقا لهذه التصورات ايضا ساد الاعتقاد بان سرعة الضوء غير ثابتة ولكن تجربة مايكلسون ـ مورلي عام ١٨٨٧ اثبتت ان سرعة الضوء في الفضاء ثابتة ، وبدت النتيجة غير متفقة منطقيا مع المفاهيم النيوتونية .

ولقد قدم اينشتين افتراضين أساسيين هما جوهر نظرية النسبية الخاصة ، اولها ينص على انه لا توجد تجربة من اي نوع قادرة على اكتشاف السكون المطلق او الحركة المطلقة المنتظمة في خط مستقيم (وهذا ما سماه بمبدأ النسبية بالمعنى الضيق) وثانيهما ينص على ان الضوء يتحرك في الفضاء الفارغ في خطوط مستقيمة وبسرعة ثابتة .

ولقد بدا كل من هذين الفرضين وحده مقبولا ومدعما من التجربة ، ولكن التوفيق بين هذين الفرضين كان مستحيلا في إطار الافكار الفيزيائية السائدة آنذاك . فلكي يوفق اينشتين بينهما كان عليه ان يتخلى عن مفهوم الزمان المطلق ومفهوم المسافة المطلقة ، وكان عليه السماح بان ينكمش طول المسطرة التي يقيس بها المسافة خلال حركتها في الفضاء وان تبطيء الساعات التي تقاس بها الزمن بالنسبة للمشاهد المبتعد عنها ، وأن نقبل ان حدثين يقعان في نفس الوقت بالنسبة لمشاهد قد يقعان في زمنين مختلفين بالنسبة لمشاهد آخر .

ان هذا هو ما قبل به اينشتين ، والغريب انه في ثورته هذه على مفهومي الزمان والمكان لم يستخدم غير

ـ كانت موجودة قبله وتعرف باسم معادلات

ى عام ١٩٠٧ اكمل اينشتين ثورته في علم ... نشر بحثه الذي اثبت فيه ان الكتلة والطاقة ... ـافئتان وفي هذا البحث قدم معادلته المشهورة

الطـ = الكتلة × مربع سرعة الضوء

وكانت هذه المعادلة هي اول تفسير حدي لظاهرة الاجسام المشعة ذريـــا والتي تستمر سنوات طويلة في اشعاعها ، وقد وجدت هذه المعادلة تأكيدها الفاجع لأول مرة في قنبلتي هيروشيما ونجازاكي في اليابان عام ١٩٤٥

كيف استقبل علماء الفيزياء هذه الثورة الجديدة على يد اينشتين ؟

لقد وقف معظم المشاهير منهم موقفا مترددا مدة طويلة قبل قبول ثورة اينشتين ، ينطبق هذا على وجه الخصوص على لورنتز صاحب المعادلات التي استخدمها اينشتين لاثبات وجهة نظره ، كما ينطبق على بوانكاريه الذي كانت ابحاثه على بعد خطوة واحدة من الوصول الى نظرية النسبية الخاصة ولكن العالم الالماني الكبير ماكس بلانك كان ايجابيا في موقفه منذ نشر اينشتين بحثه الثالث عام ١٩٠٥ وحتى اليوم ما زال هناك علماء فيزياء كبار لا يعتقدون ان النظرية النسبية خالية من المآخذ والعيوب .

ولعل من علامات ذلك العصر موقف جامعة برن من ابحاث اينشتين حتى عندما اصبح اسمه مرموقا في دوائر الفيزيائيين . لقد أحس اينشتين ان وظيفته في ادارة براءة الاختراع قد صارت عقبة امام تفرغه للبحث الفيزيـــائي ، ولذلك تطلع الى الحصول على وظيفة في الجامعة وتقدم بهذه الابحاث التي احدثت دويا في دوائر الفيزيائيين الى جامعة برن كشهادة على كفاءته العلمية ولكن جامعة برن رفضتها لانها غير مفهومة ! ثم عرضت عليه الجامعة في عام ١٩٠٨ وظيفة مساعد مدرس للفـ... (بعض الوقت ودون اجر) واضطر اينشتين إلى قبوله .

... هذه الفترة وجد اينشتين حليفا جديدا في هيرمان مـ...سكي الذي كان استاذا له في زيوريخ وإن استقر بعد ذلك في جامعة جوتنجن بالمانيا كاستاذ للرياضيات ، واليه يعود الفضل في وضع صياغة رياضيـــة شكليـــة جديدة للنظرية النسبية بما ادخله من مفهوم جديد وهو مفهوم « المجال الزمكـاني » ومات مينكوفسكـــي بعد انجاز هذا العمل بعام واحد

على قمة المجد .

واخيرا عين اينشتين استاذا مساعدا للفيزياء بجامعة زيورخ في مايو سنة ١٩٠٩ والغريب ان هذه الوظيفة المستحدثة كانت في الاصل معروضة على فردريك ادلر (ابن فيكتور ادلر مؤسس الحزب الاشتراكي الديمقراطي النمساوي) الا ان فردريك اصر على الانسحاب لصالح اينشتين وبذل جهدا خارقا لاقناع اعضاء مجلس التعليم في زيـــورخ (ومعظم أعضائه كانوا اشتراكيـــين ديمقراطيـــين) بقبول هذا الاقتراح ، وبالفعل استقال اينشتين من ادارة براءة الاختراع في برن وانتقل الى زيورخ

منذ ذلك الوقت انهالـت العـروض الجـامعية على اينشتين وتبارت الجامعـات في عروضهـا المغـرية لكي يقبل اينشتين الذهاب اليها . بدأ ذلك بعرض الجامعة الالمانية ببراغ تعيينه في وظيفة استاذ الفيزياء النظرية بها ، وقبل اينشتين الا انه لم يقض في براغ اكثر من عام ونصف اذ عرض عليه معهده الذي درس به في زيورخ (ETH) وظيفة استاذ الفيزياء النظـرية به لمدة عشر سنوات كان ذلك في يناير سنة ١٩١٢ وقبل اينشتين وذهب الى زيورخ . ولكنـه ايضـا لم يبـق طويلا في زيورخ فقد كان عديد من العلماء الالمان وعلى رأسهم ماكس بلانك يعملون جاهدين على إعادة اينشتين الى برلين ، وكان العرض الالمانـي هذه المرة مغـريا جدا عضوية الاكاديمية الروسية للعلوم ، وظيفة مدير معهد القيصر ويلهلم للبحوث ، وحرية كاملة في البحـث او التدريس حسب رغبته مع حقه في الاحتفاظ بجنسيتـه السـويسرية اذا شاء ومـع ان اينشتـــين كان يكره العسكرية الالمانية الا ان اغراء العرض كان قويا جدا بحيث لم يستطع رفضه وهكذا عاد اينشتين الى برلين في ابريل سنة ١٩١٤ .

ولكن احلام اينشتين في حياة اكاديمية سهلة ومريحة في برلين لم تلبث ان انهارت عندما أعلنت المانيا الحرب على روسيا في اغسطس ١٩١٤ . وبدأ قلق اينشتين من جديد عن العسكرية الالمانية . ولكنه لم يتوان عن ان يوقع ـ تحديـا ـ بيـانا لعدد من العلماء خلال الحرب يطالب بتعاون علماء الدول المتحاربة وانشاء عصبة امم اوربية

وفي اوائل ١٩١٦ بلغ اينشتين قمة مجده العلمي بنشر بحثه الاساسي في نظرية النسبية العامة . ومنذ هذا العام لم يحقق اينشتين حتى وفاته انجازا علميا له مثل هذه القيمة . ويصف العالم الالماني الكبير ماكس بورن هذه النظرية كما يلي « انها اعظم انتاج فكري بشري عن الطبيعة وهي اعرب توليفه بين النفاذ الفلسفي والحدس الطبيعي والمهارة الرياضية ولكن صلـة هذه النظـرية بالخبرة اليومية ضعيفة . انها تبدو لي كعمل من اعمال الفن العظمى تثير المتعة والاعجاب من على البعد »

ما هو الفرق بين نظرية النسبية الخاصة التي شرحها اينشتين عام ١٩٠٥ وبين نظرية النسبية العامة ؟

ان النسبية الخاصة قد وحدت بين ميكانيكا نيوتن وبين الديناميكا الكهربائية لماكسويل بشرط ان تكون الاجسام منتظمة السرعة في حركتها اما النسبية العامة فهي تزيل هذا الشرط . انها تتعلق بالحركة المتسارعـة ومثلها الواضح حركة الاجسام تحت تأثير الجاذبية . في النسبية العامة قدم اينشتين لاول مرة مبدأ يدعى « مبدأ التكافؤ » . وهو ينص على أن مجال الجـاذبية عنـد اي نقطة في الفضاء يكافىء تماما اي مجال صناعـي للقـوة الناتجة عن التسارع بحيث يستحيل على اي تجربة ان تميز بين المجالين ومن نتائج هذا المبدأ ان الجاذبية تحني اشعة الضوء . وقد تنبأ اينشتين بدقة بمقدار الانحناء الذي يحدث لشعاع ضوء صادر من نجم عندما يمر في مجـال جاذبية الشمس . وكانت هذه النبوءة هي احدى نبوءات ثلاثة ترتبت على نظرية النسبية العامة

وهكـذا توفرت الفرصة الذهبيـة للتحقق من هذه النبوءة . ففي عام ١٩١٦ سارع الفلكـي البريـطاني الكبير ادنجتون ـ الاستاذ بجامعة كمبردج ـ الى طلب معونة الحكـومة البريطانيـة لارسال بعثتين فلكيتين . احداهما الى البرازيل والاخرى الى جزيرة برنسيب في الساحل الغربي الافريقي (قاد ادنجتون هذه البعثة) كان من المعروف ان في هذيـن المكـانين سوف ... خسوف كلي للشمس في ٢٩ مايو سنة ١٩١٩ . والكسوف الكلي للشمس هو الفرصة الذهبية للتحقق من صدق او كذب نبوءة اينشتين حول انكسار شعاع الضوء عند مروره في مجال جاذبية الشمس

ولقد اكدت الصور الفوتوغرافية التي اطلقت في هذا اليوم التاريخي دقة نبوءة اينشتين واعلن النبأ رسميا في اجتماع مشترك بلندن للجمعية الملكية وللجمعية الفلكية الملكية في ٦ نوفمبر . وصحا اينشتين في ٧ نوفمبر ليجد العالم كله يتحدث عن النظرية النسبية وليجد شهرته تجوب الآفاق

ان هذا هو اليوم الذي تحول فيه عالم فيزيائي لاول مرة في التاريخ الى شخصية جماهيرية عالمية

التوجه الى الصهيونية

في عام ١٩٢١ تحول اينشتين الى العقيدة الصهيونية ووافق على ان يشترك مع وايزمان ـ اول رئيس لدولة اسرائيل ـ في رحلة الى امريكا لجمع التبرعات للحركة الصهيونيـة وزار فلسطين بعد ذلك حيـث حاضر في الجامعة العبرية هناك وفي هذا العام ايضا منح اينشتين جائزة نوبل للسلام

وفي يناير ١٩٣٣ اصبح هتلر مستشارا لالمانيا وكان اينشتين في امريكا آنذاك يقضي اجازة وادرك عندئذ انه لن يستطيع العودة الى المانيا وعلى الفور قدم استقالته من عضوية الاكاديمية البروسية وذهب الى بلجيكا حيث استقبله ملك بلجيكا ثم قضى صيف ١٩٣٣ في بريطانيا حيث قابل ونستون تشرشل . ثم عاد الى امريكا في اواخر ١٩٣٣ حيث عين استاذا بجامعة برنستون وبقي فيها كل حياته .

ولقد جرت لافكار اينشتين تغيرات كثيرة على مدى حياته . واثبت في معظمها ان العالم الفذ عندما يخرج عن مجال تخصصه ـ قد يتحول الى ساذج سياسي وان الحماقة ليست مستحيلة حتى على العلماء النوا...

لقد كان اينشتين غير صهيوني في مبدأ الامر ثم انضم الى هذه العقيدة العنصرية بحجة مناهضة حركة عنصرية اخرى هي النازية الالمانية . ولقد قدم اينشتين نفسه كداعية للسلام وضد الحرب اياكان سببها ، ولكنه ابتداء من عام ١٩٣٣ عندما وصلت النازية الى الحكم دعا الى الحرب ضد النازية ، وبعد الحرب العالمية الثانية كان اينشتين واحدا من دعاة الحكومة العالمية ، وهي دعوة لا تستهدف في الحقيقة الا التغطيــة على الاستعمار واستمرار استغلاله لبلدان العالم الثالث

وعلى الرغم من المذابح التي ارتكبها الاسرائيليون ضد المدنيــين من الشعب الفلسطيني في ديــر ياسين وغيرها لم يرتفع صوت اينشتين بالاحتجاج على هذه الجرائم . كأن الجرائم ضد الاوربيين شيء وضد شعوب العالم الثالث شيء اخر !

اما من الناحية العلمية فقد أخذ انتاجه العلمي في الهبوط بعد عام ١٩١٦ ، وقد تركزت ابحاثه خلال سنوات ما بين الحربين في البحث عن نظرية كونية جديدة ، وفي محاولة اختراق مجالات جديدة في نظرية الكم ، ثم في البحث عن نظرية موحدة للمجال الفيزيائي وفي هذه الاتجاهات الثلاث لبحوثه لم يحقق اى نجاح هام والحقيقة انه كلما مرت السنون ، بدا هذا المعلم العجوز معزولا عن اغلبية زملائه من اساتذة الفيزياء النظريه ، بل معزولا عن التيار الفكري الاساسي الصاعد في علم الفيزياء النظرى وخلال سنوات مابين الحربيــن حدثت تطورات فيزيائية خطيرة كان اينشتين معزولا عنهــا ، ومنها اكتشاف النيترون في كمبردج سنة ١٩٣٢ ، وفي سنة ١٩٣٠ نجح العالم الايطالي فرمي في تفتيت ذرة اليورانيوم وتلى ذلك اتساع البحث عن الانشطار الذري في جامعــات اوربية مختلفــة بحيث بدت فكرة القنبلــة الذرية مشروعا غير مستحيل . وهكذا اشتد الالحاح في الرد على سؤال هام : هل يمكن لالمانيا ان تنتــج هذه القنبلة ؟

في صيف ١٩٣٩ ذهب عالمان مجريــان مهاجران الى امريكا هما ليوزيــلارد وادوارد تيللر لمقابلة اينشتين في منزله بامريكا حيث ناقشاه في هذا السؤال بالذات ، ونبهاه الى ان المانيا قادرة على انتاج السلاح الخطير .. القنبلة الذريــة . وسارع اينشتين بكتابة رسالة الى روزفلت في اغسطس سنة ١٩٣٩ ينبه الى هذا الخطر ويطالب بتشكيل لجنة لمناقشة هذا الموضوع

ومع أن اللجنة قد شكلت بالفعل الا ان الحكــومة الامريكية ترددت ولم تتخذ قرارا بانتاج القنبلة الا في ديسمبر سنة ١٩٤١ قبل هجوم اليابان على بيرل هاربر بايام

ولقد افاق اينشتين على قنبلتى هيروشيما ونجازاكي ، وامتلأ قلبه بالحزن واليأس ولكنه لم يستطع ان ينسى ما حدث لليهود ولو دقيقة واحدة تلك كانت مشكلته الاولى والاخيرة ووصل به عنف الشعور الى اتخاذ موقف معــاد للالمان كألمان وليس كنــازيين فقــط لقــد رفض الانضمام الى هيئات علمية المانية بعــد نهاية الحــرب وهزيمة النــازية ، ورفض ان يكون عضــوا في اكاديمية بافاريا وظل محافظا على هذا الموقف حتى نهاية حياته .

وفي عام ١٩٤٨ اجريت لاينشتين اول جراحة كبيرة في الجهاز الهضمي ، وقيل انه كان يعاني من السرطان ومنذ هذه العملية بدات صحته في التدهور ولكنه ظل محافظا على حيويــة كافيــة تسمح له بالوقوف ضد المكارثية في امريكا سنة ١٩٥٣

وفي عام ١٩٥٥ كتب اينشتين الى صديق له يقول « لقد بدأت انظر للموت كدين قديــم واجب السداد » وكان اخر عمل قام به هو اشتراكه مع براتراند رسل في البيــان الذي وقعه احد عشر من كبار مثقفي العالم ينذرون فيه البشرية بالفناء اذا قامت حرب عالميــة جديدة

وفي ١٨ ابريل سنة ١٩٥٦ مات اينشتين ، واعلنت اسرائيل بعد وفاته انه كان يعد بيــانا لاذاعته بمناسبة الذكرى الثامنة لتأسيسها !

ولقد سمحت عائلته للمركــز الطبي في جامعة برنستون اخذ مخه لاجراء دراسة علميــة ، واعلن دكتور توماس هارفي المسئول عن هذه الدراسة ان نتيجة هذه الدراسة سوف تنشر خلال سنة ١٩٧٩ ، وعندما سئل عما اذا كان هناك من فارق بين مخ اينشتين ومخ الانسان العادى قال انه لم يجد حتى الان اى فارق ! ■■

د . عبد العظيم أنيس



ماذا تعنى ؟

بقلم : الدكتور حازم الببـــلاوى

لم تعد اليوروماركت أو اليورودولار من الكلمات المستخدمة فى لغة اهل الاقتصاد وحدهم، ولا كتب الاقتصاد الدولى وحدها ولكن الجميع صاروا يتداولون الكلمتين ، حتى وجدت لها مكانا يوميا فى الصحف.

ماذا تعنى هـذه اليوروماركت ـ او دولار ؟

هو سوق العملات الدولية ، السوق التـــى تنشا عن تـــداول العملات خارج حدودها الوطنية ، متحررة من الرقابة الوطنية .



التعامل بهذا الاسلوب له تاريخ قديم • فمنذ طويل وقبل الحرب العالمية الاولى كانت سوق تتعامل فى مختلف العملات الاجنبية • ومع فان ذلك لم يؤد الى ظهور ظاهرة مماثلة حن بصدده الان • والسبب فى ذلك يرجع الى التدخل النقدى من جانب السلطات النقدية طنية كان محدودا فى ذلك الوقت ، ولذلك لم ظهر اختلافات اساسية بين التعامل فى العملات فى الاسواق الوطنية وفى خارج هذه الاسواق •

على ان الصورة تغيرت بعد ان ازدادت اشكال الرقابة والتدخل من جانب السلطات النقدية واصبح التعامل فى العملات خارج حدودها الوطنية يعنى التحرر من قيود هذه الرقابة •وهذا ما ساعد على ظهور اسواق العملات الدولية •

فبعد الحرب العالمية الثانية اعادت بعض البنوك وخاصة فى سوق لندن احياء التعامل فى العملات الاجنبية وخاصة الدولار • فهذه البنوك كانت تفضل الاحتفاظ بالدولارات التى تحصل عليها من معاملاتها خارج الولايات المتحدة الامريكية وذلك بدلا من توظيفها فى نيويورك •

كذلك وجد عدد من البنوك الاجنبية فى لندن التى تفضل الاحتفاظ بالدولارات بعيدا عن الولايات المتحدة الامريكية • ومن ذلك بنوك دول الكتلة الشرقية التى كانت تخشى ان تصادر او تجمد ارصدتها الدولارية فى الولايات المتحدة الامريكية اثناء الحرب الباردة بين الكتلتين ، وفى نفس الوقت تحتاج الى الاحتفاظ بارصدة من الدولارات لمواجهة احتياجات تعاملها الخارجى•

على ان اهمية هذه الارصدة الدولارية خارج الولايات المتحدة الامريكية قد ظهرت بوجه خاص فى الستينات وبوجه خاص بعد فرض ما يعرف باسم ضريبة توحيد الفوائد Interest Epualisation Tax (IET) فى١٩٦٣ •فهذه الضريبة فى صورتها الاولية على الافراد والمؤسسات عند شراء الاصول المالية الاجنبية•وكان الغرض منها تحديد خروج راس المال من الولايات المتحدة لحماية العجز فى ميزان المدفوعات بمنع الاجانب من الاقتراض من سوق نيويورك ، وقد استثنى من ذلك الاستثمارات الامريكية المباشرة لما لها من تاثير مفيد على تدعيم ميزان المدفوعات • وقد ترتب على هذه الاجراءات سطر المقترضون الاجانب الى اقتراض الدولار من خارج الولايات المتحدة الامريكية • وكان من راى الخزانة الامريكية انه من المستبعد ان تصبح قروض البنوك الاجنبية فى لندن وغيرها بديلا عن السندات الاجنبية Foreign Bonds لان قروض هذه البنوك كانت عادة قصيرة جدا،وقليل منها لمدد اكثر من ثلاث سنوات ، وما جاوز الخمس سنوات كان نادرا • وقد تبين عدم صحة هذه الافتراضات وان البنوك الاجنبية تتمتع بمرونة كافية لمواجهة احتياجات السوق • وقد ساعد ذلك على اتساع نشاط البنوك الاجنبية فى التعامل بالدولار خارج الولايات المتحدة الامريكية •

وفى سنة ١٩٦٥ ثم فى ١٩٦٨ اتخذت اجراءات اكثر تشددا لمنع خروج الدولار من الولايات المتحدة للخارج ، مما زاد من حاجة المشروعات للاقتراض من خارج الولايات المتحدة وادى الى مزيد من الدعم الى الاسواق الخارجية •

خارج الدولة

وبناء على ماتقدم فاننا نستطيع ان نعرف سوق العملات الاجنبية او اليورو ماركت ،بانه سوق للنقود للاقراض والاقتراض بالدولار وغيره من العملات الاخرى خارج الحدود الوطنية لدولة العملة المتعامل فيها• فاهم ما يميز اليورو ماركت هو انها لا تخضع لرقابة وتنظيم دولة العملة التى يتم التعامل فيها ، فهى سوق تتحرر من رقابة السلطات النقدية فى دولة العملة المتعامل فيها• ولذلك يقال بانها سوق غير منظمة ، بمعنى انها ليست خاضعة للسلطات النقدية •

ولكن – ليس بمعنى انها لا تخضع للقوانين الاقتصادية وعدد من القواعد الاتفاقية التى تضمن جدية العمل بها •

وهذه السوق هى سوق قصيرة الاجل ، تتكون اساسا من ودائع قصيرة الاجل من الدولار وغيره من العملات فى خارج حدودها الوطنية •

ومن ذلك يتضح ان اليورو ماركت هو دولار يتمتع بكافة خصائص الدولار ، وكذلك الامر بالنسبة للعملات الاوروبية الاخرى (المارك او الفرنك)•

واذا اطلق عليها اسم « الاوروبى » فلانها تتداول فى اوروبا وخاصة فى سوق لندن•ولكنها يمكن ان تتداول فى اسواق اخرى مثل سنغافورة او هونج كونج •

ولذلك يمكن ان نتحدث عن الدولار الاسيوى بالمقابلة باليورودولار «فالاوربية» او «الاسيوية» صفة لمكان التعامل بعيدا عن السوق لوطنية •

وينبغي عدم الخلط بين اليورو ماركت وبين السندات الدولية اليوروبوند E ro Bonds فهذه الاخيرة هي عبارة عن اصول مالية طويلة الاجل في شكل سندات محررة بعملات احنبية متعددة • وتصدر هذه السندات نتيجة لعمليات تجمع البنوك Syndicates للتعهد بالاكتتاب ، واهم مراكز اصدار السندات هي لوكسمبرج • وتختلف السندات الدولية عن اليورو ماركت في انها طويلة الاجل ، وهي تمثل في الواقع جزءا من سوق راس المال الدولي وتتاثر بما يحكمه من عوامل •

٣ شروط للسوق

ويمكن القول بان وجود اليورو ماركت وتطوره قد استلزم تحقق ثلاثة شروط،وقد توافرت جميعا في العمل • وهي :

١ – اختلاف اسعار الفائدة المحلية ، وهو ما يعكس اختلاف قواعد التنظيم النقدى في الدول المختلفة والاجراءات المطبقة في كل منها واختلاف ظروف الدورة الاقتصادية في هذه الدول وكذلك اختلاف اساليب وادوات السياسة النقدية والاقتصادية المطبقة ، واهدافها فيمابين هذه الدول •

٢ – وجود درجة كافية من الحرية في نظم الصرف وانعدام الرقابة عليه مما يعطى الدائنين والمدينين حرية التعامل في العملات الاجنبية •

٣ – توافر قدر من الثقة في العملات محل التداول بما يوفر للمتعاملين الاطمئنان الى ان الكسب من التعامل في هذه السوق بعيدا عن رقابة دولة العملة لن يعقبها خسارة اكبر نتيجة تقلبات اسعار الصرف •

ولذلك فانهيمكن القول بان قيام اليورو ماركت هو نتيجة لتوافر اطار عام من حرية الحركة للنقود وراس المال منناحية ووجود بعضالاجراءات المقيدة وغير الشاملة من ناحية اخرى • فهذه السوق نشات بالنظر الى وجود ظاهرتين غير منسجمتين تماما ، وهي الحرية من ناحية والقيود من ناحية اخرى •

فالحرية ليست كامله لان هناك رقابة وقيود والقيود ليست مانعه لان حرية تحويل العملات وحرية الانتقال تسمح بالتهرب من هذه القيود وهكذا فاننا نجد اليورو ماركت هو تعبير عن قدر راس المال والنقود في التهرب من ... المفروضة والاستفادة من الاطار العام لدعم ... لافادة ... المزايا المتوافرة بعيدا عن الرقابة الوطنية •

وقد تمتعت لندن بصفة خاصة بمزايا جعلتها اهم مراكز اليورو ماركت على وجه الاطلاق•فلندن تتمتع منذ القرن التاسع عشر بدور متميز في العمليات المصرفية مما خلق لديها بنية اساسية ضرورية للعمليات المصرفية سواء فيشبكة الاتصال الداخلى او الخارجي ، او من توافر الخبرات والكفاءات الموهلة والرخيصة وغير ذلك من التسهيلات •

واهم القيود التي تخضع لها البنوك الوطنية في تعاملها في اسواقها الوطنية والتي تتحرر منها البنوك الاجنبية ترجع الى بعض التنظيمات التي ترفع تكلفة العمليات على هذه البنوك سواء من الاقراض او الاقتراض •

واذا كانت لندن قد تمتعت بهذه الظروف ، فان مراكز اخرى قد استطاعت ان تجذب جزءا من التعامل في اليورماركت سواء في اسيا ، وخاصة سنغافورة او في امريكا الوسطى في بهاما • وهنا يكون جو الحرية وعدم وجود ضرائب او رقابة وتوافر خبرات الدور الاساسي •

دور عجز المدفوعات الامريكي

اشرنا الى ان الدولار يمثل العملة الرئيسية في اليورودولار • وقد تعرضنا لبيان انواع القيود التى ساعدت على البحث عن مجال جديد متحرر من هذه القيود • على انه من الضرورى الاشارة الى امر هامساعد على نمو وتغذية اليورو ماركت وهو عجز ميزان المدفوعات الامريكي • فالولايات المتحدة الامريكيه عرفت عجزا في ميزان مدفوعاتها منذ اواخر الخمسينات واصبح مستمرا منذ الستينات • ويرجع هذا بوجه خاص الى الدور الذى قام بهالدولار باعتبارهعملة المدفوعاتالدولية ومن ثم عملة الاحتياطي

ومع وجود القيود المشار اليها في سوق نيويورك ، فان كثيرا من المتعاملين في الدولار

وا يفضلون ابقاء هذه الدولارات بعيدا عن نيويورك • وكانت لندن مع مزاياها الطبيعية وتحررها من القيود المكان الملائم •

وعلى ذلك فقد ساعد استمرار العجز في ميزان المدفوعات الامريكي على توافر التدفق المستمر للدولارات في اليورو ماركت •

وقد أشرنا الى ان اليوروماركت تتكون اساسا من التعامل في الودائع قصيرة الاجل خارج السوق الوطنية للعملات • ولذلك فان المتعاملين في هذه السوق هم المقرضون والمقترضون لهذه الودائع • ويعد المتعاملون في هذه السوق مصادر التمويل واستخداماتها •

اما المقرضون او مصادر التمويل فهم الحكومات والبنوك المركزية ، والبنوك التجارية والمؤسسات المالية وخاصة المشروعات الصناعية الكبرى•وتمثل الحكومات والبنوك المركزية العنصر الرئيسي للاقراض . فهذه الحكومات والبنوك المركزية تقوم بايداع احتياطياتها من العملات الاجنبية في اليوروماركت للحصول على فائدة مع ضمان توافر السيولة الكافية • وقد تقوم الحكومات والبنوك المركزية بهذا الايداع مباشرة او عن طريق بنوكها التجارية او عن طريق بعض المؤسسات الدولية مثل بنك التسويات الدولية •

كيف تتم العملية

سنذكر الحقيقة الاساسية هنا ، وهي ان اليوروماركت هي في الحقيقة عبارة عن قيود حسابية في السوق وليست انتقالات فعلية للعملات من بلادها الى البنوك الاجنبية • فكل ما يحدث في اليورودولار مثلا تتمثل في انتقالات الودائع في البنوك الامريكية بالولايات المتحدة الامريكية لحساب بنوك اوربية ، دون خروج دولار واحد من الولايات المتحدة الامريكية الى سوق لندن مثلا او سنغافورة • هذه هي الحقيقة الاساسية . ولبيان ذلك ناخذ مثالا عمليا •

فلنفترض ان احد المستثمرين اراد ان يضع مبلغ مليون دولار في سوق اليورودولار للاستفادة من مزايا اسعار الفائدة مثلا .. فهذا المستثمر يكون له في الاصل حساب دائن في احد البنوك الامريكية في الولايات المتحدة الامريكية .

وهو الان ينقل هذا الحساب الى احد اليوروبانك (بنوك اوروبية) . فيامر بنكه في الولايات المتحدة الامريكية بنقل هذا الحساب لامر البنك الاوربي (في لندن مثلا) • وفي هذه الحالة لا تحدث اية انتقالات فعلية للدولارات من الولايات المتحدة الامريكية الى لندن وانما يتعلق الامر بمجرد قيود حسابية ينقص فيها البنك الامريكي من خصومه مليون دولار كانت مستحقة للمستثمر، ويزيد هذه الخصوم بمليون دولار اصبحت مستحقة للبنك الاوروبي في لندن . وفي نفس الوقت يقيد البنك الاوروبي في لندن زيادة اصوله مليون دولار وديعة له في البنك الامريكي في الولايات المتحدة الامريكية ، وزيادة خصومه بمليون دولار مستحقه للمستثمر الفرد •

وهذا كله يتم دون انتقال للدولارات التي تظل موجودة في الولايات المتحدة وان اصبحت الان مملوكة للبنك الاوروبي في لندن •

ثم ان هناك محلا للتساؤل عما اذا كان في امكان البنوك الاوروبية الاضافة الى الكتلة النقدية العالمية بخلق يورودولار او عملات دولية جديدة . كما هو الحال في البنوك التجارية المحلية التي تقوم بخلق نقود جديدة (نقود الودائع) اثناء قيامها بمنح ائتمانها للمتعاملين معها ، وهناك خلاف في الرأى حول هذا الموضوع •

وقبل ان نتناول هذا الخلاف ينبغي ان نشير الى ان هذا الخلاف يتعلق في الواقع بمدى امكان البنوك الاوروبية الاضافة الى العملات في تعاملها مع غير البنوك • اما في التعامل الداخلي بين البنوك الاوروبية ، فمن الواضح ان هناك ودائع جديدة تنشأ فيما بينها تؤدى الى زيادة حجم المطلوبات من اليورودولار • ولكن هذا لا يمثل زيادة حقيقية في عرض النقود لها اثر اقتصادي• نظرا لان البنوك ليست وحدات منفقة ومن ثم لا تاثير لها على مستوى النشاط الاقتصادي ، وطالما ظلت العلاقة فيما بين البنوك الاوروبية ، فان تضاعف المطالبات فيما بينها لا اهمية له • وتثور الصعوبة فيما يتعلق بمعاملات البنوك مع الغير • فهل تؤدى عمليات هذه البنوك الى الاضافة الى وسائل الدفع بحيث يمكن القول بان اليوروماركت يزيد من عرض النقود ، ام انها على العكس لا اثر لها على زيادة عرض النقود•

هذه المسالة على جانب كبير من الاهمية • لان عددا من الاقتصاديين يرون ان البنوك الاوروبية تخلق في الواقع نقودا جديدة ، وبذلك تساهم في الضغط التضخمي العالمي وتاتي خطورتها من انها ليست خاضعة لاية سلطة سياسية • وبذلك تمثل ثغرة في النظام النقدي العالمي • وهي ثغرة ذات آثار تضخمية عالية •

وايا كان الامر ، فان ابداء الراي في هذا الموضوع يتوقف على تحديد دور البنوك الاوروبية، هل هي مجرد وسيط مالي مثل صناديق الادخار وان المودعين فيها دائما من المستثمرين ، ام انها اكثرمن وسيط مالي وانها اشبه بالبنوك التجارية بحيث ان المودعين فيها ليسوا بالضرورة مستثمرين وانما يفضلون الايداع لدى هذه البنوك كوسيلة مستمرة وعادية لتسوية المعاملات •

والسؤال المطروح الان هو هل البنوك الاوروبية ـ وهي مؤسسات مالية وسيطة ـ قد وصلت الى مرحلة البنوك التجارية بحيث ان المتعاملين معها ليسوا بالضرورة مستثمرين وانما يقبلون الايداع لديها لتسوية المعاملات • في هذه الحالة فان البنوك الاوروبية يمكن ان تخلق نقودا جديدة ، ولن تضيف الى حجم الكتلة النقدية • اما اذا ظلت البنوك الاوروبية مجرد وسيط لتجميع الموارد المالية للمستثمرين وتوزيعها مقابل عائد على المقترضين فانها لا تخلق شيئا جديدا •

والواقع ان المتعاملين مع البنوك الاوروبية هم ايضا من المستثمرين، ولم تستخدم ـ بعد ـ الودائع الاوروبية كوسيلة لتسوية المعاملات • ومن هذه الزاوية يمكن القول بان البنوك الاوروبية لاتعدو ان تكون مؤسسات مالية وسيطة • ومع ذلك فان هناك اتجاها متزايدا لدى العديد من المؤسسات وخاصة الشركات متعددة الجنسيات للاحتفاظ دائما بودائع لدى البنوك الاوروبية بصرف النظر عن حاجتها للاستثمار • ومع مزيد من التعامل فيما بين هذه الشركات عبر البنوك الاوروبية فانه لا يمكن ان نتجاهل ان هذه البنوك يمكن ان تساعد على زيادة النقود في العالم •

اليوروماركت والدول النامية

وقد زاد اعتماد الدول النامية في السنوات الاخيرة على الاقتراض من اليوروماركت ففي خلال الفترة ٧١ ـ ٧٣ مولت البنوك التجارية الخاصة حوالى ٢٠٪ من احتياجات هذه الدول وارتفعت هذه النسبة الى ٤٢٪ في الفترة ٧٤ ـ ١٩٧٦ ، هذا مع ملاحظة تزايد حجم العجز في موازين مدفوعات هذه الدول • وقد اثار هذا الوضع عدة تساؤلات حول مدى سلامة عمليات هذه البنوك ، واتجهت بعض المجهودات الى محاولة تقليص اعتماد الدول النامية على هذا التمويل بايجاد مصادر اخرى للتمويل • ومن الافكار السائدة في هذا الخصوص اقتراح ويتيفن مدير عام صندوق النقد الدولي لايجاد تسهيلات جديدة من الدول الصناعية والدول النفطية لتخفيض اعتماد الدول النامية على المصادر الخاصة واليوروماركت •

ويمكن القول بصفة عامة ان هذه الظاهرة ترجع الى مالحق موازين المدفوعات من تطور بعد ١٩٧٣ على وجه الخصوص • فقد ازدادت الفوائض النفطية مما ادى الى ظهور عجوزات مقابلة ونظرا لان الفوائض النفطية قد اتجهت في جزء كبير منها الى اليوروماركت ، فانه من الطبيعي ان يتم تمويل جزء كبير من العجز المقابل عن طريق نفس السوق • ولذلك فان الدول النامية مضطرة للالتجاء الى اليوروماركت للحصول على التمويل اللازم •

ويثور الخلاف بين الاقتصاديين ـ كما هو الحال دائما ـ حول دور اليوروماركت في تحقيق الاستقرار العالمي • فالبعض يرى ان هذا النظام باعتباره مستقلا عن اى تنظيم ورقابة دولية ، يمكن ان يكون سببا في اهتزازات وعدم استقرار للاوضاع المالية والنقدية ، في حين يرى البعض الاخر انه لنفس السبب ، فان اليوروماركت يعتبر من اسباب الاستقرار لان تضارب السياسات وتعارضها هو السبب الرئيسي لعدم الاستقرار، واليوروماركت باستقلاله النسبي يمكن أن يساعد على تحقيق التوازن بايجاد وسيلة موضوعية للتوفيق بين الاتجاهات المتضاربة •

اما الحقيقة بين الرايين ، فانها تتوقف على موضعك ، وفي اى طرف تكون • ولذلك فانه لا جدوى من البحث في اى الرايين اصوب • واذا كان من ضرورة للاختيار • فاننا نقول بان اليوروماركت ـ ككل المؤسسات يخدم الاقوياء اكثر • ■

د • حازم الببلاوي

لصد الفرنسيين عن مصر

بقلم : الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى

لسنا بحاجة الى البحث عن شواهد على احساس امتنا بالمصير المشترك وسعيها في الملمات الى تكتيل الجهود درءا للخطر المشترك . لهذا لن نوغل في سرد تفاصيل التكاتف لمواجهة الغزو الصليبي والمغولي وغير ذلك ـ اذ المسار التاريخي لهذه الأمة ملء بأخبار البطولة والفداء . اذا اشتكى منها عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . وسنتناول في هذا المقال صفحة مطوية لم يسلط عليها الضوء بعد ، تتناول مبادرة الحجازيين الى الوقوف الى جانب اخوتهم المصريين في كفاحهم ضد الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت .

فلقد جاءت هذه الحملة الى مصر في عام ١٧٩٨ ـ كما هو معروف لضرب انجلترا في تجارتها الشرقية واقامة مستعمرة فرنسية على النمط الحديث في مصر ذات الموقع الاستراتيجي الهام ، مما يوفر لفرنسا ـ خاصة اذا ما امكن وصل البحرين الاحمر والمتوسط ـ قاعدة لاقامة امبراطورية استعمارية في الشرق الاوسط . وما ان وطئت اقدام الفرنسيين مصر حتى اصدر بونابرت منشورات تعلن على المصريين انه انما جاء الى البلاد لتخليصهم من ظلم المماليك ، وانه قد حصل على موافقة السلطان العثماني صاحب السيادة القانونية والدينية على البلاد . وبالاضافة الى ذلك فقد حاول بونابرت ان يتقرب الى المصريين بشتى الوسائل ، ومنها اعلانه انه رسول الثورة الفرنسية الداعية الى الحرية والاخاء والمساواة . وانه قد جاء لتحريرهم ملوحا لهم بامجاد الفراعنة التى كانت قد قطعت بها الاسباب ، وبالاضافة الى ذلك فقد ادعى بونابرت الاسلام مستشهدا ببعض الايات القرآنية (وكان قد قرأ الترجمة الفرنسية للقرآن في مسيرته البحرية من مارسيليا الى الاسكندرية) والاحاديث النبوية ، ملوحا للمصريين بقضائه في مالطة على تنظيم الفرسان الاسبتارية الذين يرجع تاريخهم الى الحروب الصليبية ، وكانوا قد استقروا في جزيرة رودس عقب القضاء على الكيانات الصليبية في الشام ثم انتقلوا الى مالطة بعد استيلاء الاتراك العثمانيين على رودس ـ وفي مالطة قاوموا الحصار العثماني ثم اعترضوا الملاحة الاسلامية في البحر المتوسط .

الا ان محاولات بونابرت للتودد الى المصريين لم تجده فتيلا . فسلوك رجال الحملة لم يكن يتمشى مع العادات والممارسات الاسلامية الدائرة ، خاصة انهم كانوا يشربون الخمر ويفطرون في رمضان علنا ويخالطون بعض النسوة بصورة خارجة على المالوف ، وان بونابرت قد اباح البغاء العلني . وفوق كل ذلك فقد اعلن السلطان العثماني الجهاد ، بعد ان تسربل في ذلك الوقت برداء الخلافة ـ ودعا رعاياه وغيرهم من المسلمين الى التصدى لمقاومة الحملة الفرنسية ، وهكذا نشبت الثورة في القاهرة منطلقة من الازهر ، بعد مجيء الحملة بوقت قصير ، كما اندلعت الثورات في المدن الكبرى وتجاوزتها الى الارياف . فقل ان وجدت مدينة او قرية مصرية لم ترفع لواء العصيان ضد الغزاة ـ هذا برغم تفوق الفرنسيين الواضح على المصريين في التنظيم والسلاح

دعوة الى الجهاد

وانتشرت الدعوة الى الجهاد بعد ما اثار استيلاء الفرنسيين على مصر الشعور الديني في العالم الاسلامي ، وذلك من نفس المنطلق الذي حشد المصريين ضد الغزاة ، حقيقة ان بونابرت قد راسل بعض الحكام المسلمين ومنهم امام مسقط وحاكما درنة وطرابلس (في ليبيا الحالية) محاولا التودد اليهم وطمأنتهم ازاء اهداف حملته ، الا ان ذلك لم يجده فتيلا ، خاصة وان بريطانيا قد صيقت الخناق على الفرنسيين بعد تحطيم اسطولهم في موقعة ابى قير البحرية (او كما تسميها المصادر الاوروبية موقعة النيل) ـ وهكذا قاوم اهل الشام الحملة التى قادها بونابرت في عام ١٧٩٩ ، وقيض بعد ذلك لاحد الشوام ـ سليمان الحلبي ـ ان يقتل كليبر الذي خلف بونابرت في قيادة الحملة بعد رحيله الى فرنسا ، ولقد ابدى الحلبي ـ وكان مجاورا بالازهر ـ شجاعته اثناء محاكمة الفرنسيين له وتقبل الموت بصدر رحب . كما ان الجيلاني (او الكيلاني) قد دعا الى الجهاد في الحجاز واخذ يستثير الهمم الى ان استطاع جمع قدر كبير من المال والمتطوعين الذين دارت المعارك بينهم وبين الفرنسيين في مدن وقرى صعيد مصر متعاونين مع بقايا المماليك والقبائل العربية وغير ذلك ، ضد العدو المشترك الى ان استشهد الجيلاني وتفرقت قواته .

ويشير المورخ المصري المعاصر ـ عبد الرحمن الجبرتي ـ الى الجيلاني ورجاله في الجزء الثالث من تاريخه ـ ففي ذكره لاحداث شهر شعبان سنة ١٢١٣ هـ (يناير ـ فبراير ١٧٩٩) يورد ما يلي « ومنها تواتر الاخبار ... بان رجلا مغربيا يقال له الكيلاني كا



مقاومة المصريين والاتراك لقوات نابليون الغازية عند شاطىء أبو قير

محاورا بمكة والمدينة والطائف ، فلما وردت اخبار الفرنسيين الى الحجاز وانهم ملكوا الديار المصرية انزعج اهل الحجاز لذلك وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة ، وان هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعو الى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين وقرأ بالحرم كتابا مؤلفا في معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وبذلوا اموالهم وانفسهم واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين وركبوا البحر الى القصير مع من انضم اليهم من اهل الصعيد وبعض اتراك ومغاربة من كان خرج منهم مع غز عند وقعة انبابه . وركب الغز معهم ... ، وحاربوا الفرنسيين ، فلم تلبث الغز كعادتهم ... هوارة الصعيد والمتجمعة من القرى ، وثبت ... . ثم انكفأوا لقتلهم وذلك بناحية جرجا ، وهرب الغز والمماليك الى ناحية اسنا .... ووقع بين الحجاز والفرنسيس بعض الحروب غير هذه المرة بعدة مواضع - وينفصل الفريقان دون طائل » . كما يزودنا الجبرتى باخبار عن نشاط بقايا هؤلاء المتطوعين الذين بقوا في القاهرة . فيذكر انهم انضموا مع غيرهم الى احد المغاربة الذى دعا الى جهاد الفرنسيين في محافظة البحيرة ، ثم زحف باتباعه الى القاهرة فأقض مضاجع الفرنسيين

مخطوطة يمنية

وقد نشر الصديق الدكتور سيد مصطفى سالم موخرا مقتطفات (١) من مخطوطة يمنية عنوانها « درر

١ نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر (القاهرة ١٩٧٥) .

نحور الحور العين بسيرة الامام المنصور على واعلام دولته الميامين » ، عثر عليها في مخطوطات مكتبة جامع صنعاء الكبير ، ومؤلف هذه المخطوطة هو لطف الله بن احمد جحاف ، الفقيه الحافظ المؤرخ الذي الف في التاريخ والحديث والفقه والتفسير والأدب ، الى جانب نظمه الشعر الجيد ، وقد كرس جحاف ـ الذى عاصر الحملة الفرنسيه ـ مخطوطته لتاريخ اليمن في عهد الامام المنصور على بن المهدى العباس (١٧٧٥ ـ ١٨٠٩ م) وكتبها على طريقة الحوليات الشائعة لدى المورخين العرب حتى ذلك الوقت واذا كان الاطار العام لتفكير جحاف مصطبغا بالصبغة الدينية السائدة في عصره ، فان كتاباته تعيننا على استجلاء مستوى تفكير العرب حينئذ ، ومدى تصورهم لاحداث العالم بعد ان عاشوا فيا يقرب العزلة على اثر الكشوف الجغرافية وانصراف اوروبا الى العالم الجديد والطرق المحيطية الكبرى ، واستمرار النضال بين الشرق والغرب الذى تزعمته من الجانب الاسلامي ـ الدولة العثمانية التى واجهت اوروبا عدة قرون وقد سبق ان اكدت ان اضمحلال العالم العربي ـ الاسلامي كان سابقا على ظهور العثمانيين وان مرجعه الحكم الاستبدادى وما ارتبط به من قفل باب الاجتهاد ، ثم الحروب الطاحنة التى تعرضت لها المنطقة العربية وعلى رأسها الحروب الصليبية والغزو المغولي وما ارتبط بالخلافات المذهبية من صراعا سياسية وعسكرية وانتشار البدع باسم التصرف . وهكذا ساد التقليد المنطقة العربية ـ الاسلامية ، فكان الاضمحلال العام الذي استكان فيه المجتمع لحالة تبلد عام مقرونة بالعيبيات الباعثة على السلبية وهكذا اقتصر حيز الدراسات على العلوم المتعلقة باللغة العربية والعلوم الدينية والفقه والمنطق ومبادىء الرياضيات ، خاصة وقد انطفأت الجذوة الخلاقة التي وفقت العرب والمسلمين الاول الى ارتياد وتطوير العلوم والاداب والفنون والفلسفة والفقه والتشريع والجغرافيا مما افسح المجال للاهتمام بالشكليات والتظاهر بالعلم والانغلاق

وليس من الغريب والحال كذلك الا يدرك كل من جحاف والجبرتي ابعاد الصراع الاستعماري بين ، ـــ وبريطانيا ـ ومن ثم ما نجده من اعتبار الجبرتي ياه نوعا من العقاب الالهي للمصرين على ابتعادهـ عر الجادة ، على حين ان جحاف يرجع مجيء الفرنسيين إل مصر الى خلاف بين احد التجار الفرنسيين وبين حاك مصر ، ويعتبر بونابرت « سلطان بلاده » ، ويذكر ا جزيرة مالطة كانت « تحت حوزة الانجليز » قبل استيلا الفرنسيين عليها ، وان حاكمها المدعو « قنصل » هو الذي لجأ الى السلطان العثماني ليشكو اليه امر الفرنسيين ويحثه على الانتقام منهم ، على ان اهمية ما نشر الدكتور سيد سالم من المخطوطة ترجع الى مجموع الخطابات التى تبودلت بين بعض الحكام العرب والمسلمين بشأن الحملة الفرنسية والحاجة الى الدفاع عر الوطن العربي ـ الاسلامي . فلقد اثاروا روح الاحوا الدينية الاسلامية ودعوا الى مواجهة الفرنسيين باسم الاسلام ، في الوقت الذي اطلق فيه السلطان العثماني نداء الجهاد ، وفيما يرويه جحاف عن التنادى في الحجا الى مساندة المقاومة المصرية للفرنسيين نجد صور تفصيلية تفوق ما رواه الجبرتي ـ وهذا امر طبيعي ، ا الحجاز جغرافيا ـ اقرب الى اليمن منه الى مصر ، وقد آثرنا اثبات روايته بهذا الصدد بحذافيرها وفيما يلي ما يثبته جحاف في احداث عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ ـ ١٧٩٩ م)

ضد الكفار اللئام

« وفيها قام في البلدة الحرام بوظيفة الدعاء الى اقامة شعار سنام الاسلام ، محمد المغربي الجيلاني الهاشمي لما وردت الاعلام بما صنعه الكفار اللئام من الهجوم على ساحات مصر . وتصدر بالحرم الشريف فالتف عليه خلائق واستمعوا الى ارشاده الى انهج الطرائق ، وعمل دعاؤه في القلوب ما فعل ، وتسامع الناس باخباره فوردوا اليه وبذلوا نفوسهم واموالهم بين يديه ، وكانت النساء تأتي فتستمع الى ما يمليه من احاديث الحض على الجهاد

و... ن الى الحلقة فتخاتهن (خواتمهن) وعقودهن ... وسهن ويقلن ذلك الذي علينا فاجتمعت عنده اموال ...معه ووردت اليه المتطوعة من البلاد الشاسعة ، فسار ... مناحرة اعداء الله الفرانسة ....

« كان السيد محمد الجيلاني قد دعا العباد بالحرمين الى الجهاد ، فمن اعانه بالحرمين محمد باصلاح الحضرمي فانه تصدق في سبيل الله بخمسمائة بندق صفار مغربية ومائتي حربة من حراب الشام ومائتي سيف ، واربع مائة كيس من الرز والفى نعل ينتعلها فقراء المجاهدين ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن العسيرى بمهمات جهز بها ثلاث سواعي (سفن صغيرة) يركبها المجاهدون وملأها لهم ميرة ، ومنهم الشيخ احمد فاسي جهز دواوين في سبيل الله ، ومنهم الشريف غالب بن مساعد ، جهز خمس سواعي في سبيل الله (شاحنة) ، ومن اهل ينبع محمد ابو العسل جهز داوا من داواته وثلاث سواع أخرى من اهل ينبع ، فسير السيد محمد الجيلاني جماعة متطوعة من جدة وتلك الداوات فكانوا نحوا من أربعة الاف مقاتل ثم سار ناحيا نحو المدينة المنورة فمر بأهل رابغ والخليص (واديان بين مكة والمدينة) فدعاهم فأجابوه وبذلوا أموالا واسعة وسار الى بدر فأنالوه وخرج منهم جماعة متطوعة . وكان له وكلاء يجمعون الاموال معه ، ثم نزل بالصفرا (جهة من جهات المدينة المنورة) فدرس « وعظ » بها ودعا الى الجهاد فجاءوه بأموال واسعة .. وسار الى المدينة فتسلم من اهلها اموالا جزيلة وخرج منهم ٣٠٠ متطوع فنزل بالجميع الى ينبع . وجاء الخبر بأن المتطوعة من ديار مكة قد مرت مراكبهم ، فحمد الله ، وسار بمن معه » . ثم يسرد جحاف انباء المعارك التي دارت بين متطوعة الحجاز وبين الفرنسيين في صعيد مصر : في قنا وسمهود وأبنود وبئر عنبر وجهينة وجرجا ، وكيف انهم - برغم استبسالهم - لم يكن لهم قبل ازاء الفرنسيين المتفوقين عسكريا - وهكذا « انفصم ... عقد نظام المتطوعة وذهب الناس ارسالا لا امير لهم - منهم الذاهب الى مصر والذاهب الى الشام والعائد الى الحرمين » .

وحين ارغمت الحملة الفرنسية على الجلاء عن مصر بعد ان حاصرتها بريطانيا واعدت الدولة العثمانية قواتها وسيرتها لاسترداد مصر ، يهلل الجبرتي لذلك ويعتبره مظهرا من مظاهر التقديس والعناية الالهية التي انقذت مصر المحروسة » ويشترك مع جحاف في تجسيم الدور الذي قامت به الدولة العثمانية في محاربة الفرنسيين ، دون ادراك كاف لقوة اوروبا التي لن تلبث ان تشن هجوما شاملا على دار الاسلام سقط فيه آلاف الضحايا قبل ان تتحرر معظم الاراضي من دنس الغزاة . وتتكرر الصورة التي استعرضناها حين تطوع الحجازيون لنصرة مصر ، فيتقاطر المتطوعون مرة تلو اخرى من شتى الاقطار لنجدة البلد الذي يتعرض للعدوان برغم تفوق السلاح والتنظيم الاوروبيين ، يدفعهم الى ذلك دافع الجهاد الدينى والقومي سعيا وراء التحرير والاستشهاد .

■■

د . احمد عبد الرحيم مصطفى

طول الآذان

● كان لرجل من الادكياء اذنان طويلتان فاراد احد الثقلاء أن يهزأ به فقال له : أيها الصديق ان أذنيك طويلتان جدا على جسم انسان • فأجابه : صحيح أن أذنى طويلتان على جسم انسان ولكن ألا ترى أن أذنيك قصيرتان على جسم حمار •

● عن الدين والسياسة ●

بغير شعارات : من

هذه المرة ، سنعطي النظريات والشعارات « اجازة » . سوف نستأذن دعاة الحاكمية وانصار سيادة الامة ، في ان ننحي لافتاتهم جانبا ، وندخل في صلب القضية . لان الاغلبية الساحقة من الناس لا تعنيها في الواقع صياغة الشعار الذي يرفعه النظام الذي تتعامل معه ، وهل هو سيادة الامة او سيادة القانون او سيادة الزعيم . بل يعني الجماهير بالدرجة الاولى دورها في هذا النظام او ذاك ، ونصيبها منه ، يعني الجماهير ، في الدور كله ، ان تعرف : هل تقوم بدور البطولة ، ام « الكومبارس » ، ام المتفرجين ، ام هم مجرد « ديكور » في المشهد !!

وقد كان السؤال الذى انتهت عنده الحلقة السابقة في مناقشة الدين والسياسة هو : من حقا بيده الامر في النظام الاسلامي ؟

اذا أردنا أن ندخل في صلب القضية ، ونقف على ارض الحقيقة مباشرة ، فسوف يفيدنا بكل تأكي ان نحدد موقف الاسلام الصريح من قضيتين هما عصب اي نظام في هذه الدنيا : الحكم والمال ، او السلطة والثروة

ذلك أن المحك الحقيقي لاختبار مدى صلاحية ، أو حتى شرعية أي نظام هو مدى مشاركة الناس في دعامتين هامتين . وكلما اتسعت مشاركة الجماهير في « مرفقي » السلطة وا ثروة ، توفرت للنظام عناصر الصحة والايجابية والشرعية ، والعكس صحيح تماما . فكلما ضاقت دائرة المشاركين في السلطة والثروة ، تقلصت عناصر الصحة والايجابية والشرعية ، وانفتح الباب لشرور وسلبيات أكثرنا يدركها جيدا ، وربما عانى منها ايضا !

واذا عرفنا « من بيده الامر » في هذين المرفقين ، من وجهة النظر الاسلامية ، فسوف نقف على حقيقة من بيده الامر في المجتمع الاسلامي .

●

لنبدأ بالسلطة ..

عند أهل السنة جميعا ، فان « الامامة عقد » ، يتم بين الأمة والامام ، ويرتب التزامات على كل طرف ، شأن أي عقد آخر ، كما يرتب « شرطا جزائيا » على الطرف الذي يخل بالتزامه . قد يصل الى خلع الامام من منصبه ، وانهاء عقده ، بالحسنى او بغيرها !

ومن أشهر الذين تناولوا هذا العقد الخطير بالدراسة ، كبير اساتذة القانون في مصر الدكتور عبد الرزاق السنهوري « باشا » ، الذي كان اول من دعا في مصر الى اعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الاساسي للقوانين .

قال الدكتور السنهوري عن عقد الامامة كما عرضه الفقهاء المسلمون ، انه عقد حقيقي ، مستوف

يملك السلطة والثروة ؟

بقلم : فهمي هويـــدي

للشرائط من وجهة النظر القانونية . ووصفه بأنه مبني على الرضا ، وان الغاية منه ان يكون هو المصدر الذي يستمد منه الامام سلطته ، وهو تعاقد بين الاخير وبين الامة * . وانهم ـ فقهاء المسلمين ـ عرفوا نظرية « السيادة » كما عبر عنها جان جاك روسو فيما بعد ، وان كانت نظرياتهم قد احتوت على عنصر زائد خاص بها . اذ بينما « افترض » روسو ان ثمة عقدا بين الحاكم والامة ، يحكم الأول بمقتضاه ويستمد شرعيته منه ، فان عقد الامامة عند المسلمين حقيقة واقعة وليست افتراضا ولا وهما .

وقد تبدو هذه مفاجأة لاكثر دارسي القانون ـ وأنا أحدهم ـ لاننا لم نعرف طوال سنوات دراستنا الجامعية ان هناك من قال قبل روسو بنظرية « العقد الاجتماعي » ، بين العجم فضلا عن العرب . وفي كتب ومراجع القانون الدستوري التي كانت بين ايدينا ـ في الخمسينات على الاقل ـ لم يكن يذكر روسو الا بانه « ابو الديمقراطية الحديثة » ، ومبتدع تلك الفكرة الباهرة ، التي اوجدت بطريقة عبقرية مخرجا قانونيا سهلا يقيد سلطة الحاكم ، ويعبر عن التزامه تجاه الامة ، بهذا العقد الضمني غير المرئي .

لم نكن نعلم ـ الا بعد تخرجنا من الجامعة وبعدما اغلقنا كتب « الدستوري » المقررة ـ ان الفقهاء المسلمين اشبعوا نظرية العقد دراسة وتحليلا وصياغة ، قبل « روسو » بسبعة قرون على الاقل !

الامامة عقد اذن تنشئه ارادة الامة ، من خلال ممثليها ، أهل الحل والعقد أو أهل الاختيار او الشيوخ والنواب . وهو مماثل لأي عقد آخر يعبر عن الارادة الانسانية ، مثل عقود الوكالة والوديعة والقضاء . والبيعة من البيع . ولذا قال عنها ابن خلدون في « المقدمة » (وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده ، جعلوا ايديهم في يده ، تاكيدا للعقد . فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي « بيعة » ، مصدر « باع »)

ويسوق الدكتور ضياء الريس في كتابه بعضا من اقوال الفقهاء في هذا المعنى ، منها ما قاله « البغدادي » في كتابه « اصول الدين » : « قال الجمهور الاعظم من اصحابنا (يقصد اهل السنة) ومن المعتزلة والخوارج والنجارية ، ان طريق ثبوتها (الامامة) الاختيار من الأمة » .

ومنها ما ذكره الرازي أن الأمة هي صاحبة الرئاسة العامة ، كما يتبين حين تقرر ان « تعزل الامام لفسقه » . وما دامت هي صاحبة الرئاسة العامة ـ يضيف الدكتور الريس ـ وهي التي لها حق عزل الامام ، اي انهاء العقد او فسخه ـ فهي المبتدئة له ، وهي المشرفة عليه ، وصاحبة الحق الاول فيه

ومنها ما قاله الماوردي في « الاحكام السلطانية » ، انه اذا تنازع اثنان على الامامة « وادعى كل واحد منهما انه الأسبق ، لم تسمع دعواه ، ولم يحلف عليها ، لانه لا يختص بالحق فيها وانما هو حق المسلمين جميعا . فلا حكم فيه ليمينه ولا لنكوله عنه » .

* للتفصيل انظر كتاب الدكتور محمد ضياء الدين الريس ـ النظريات السياسية الاسلامية

وبعد أن يبرم العقد بين الأمة والامام ، ويتأهب لممارسة وظيفته ، فهو ملزم بأن تتم ممارساته هذه من خلال « الشورى » . فالحاكم الفرد لا وجود له في الاسلام ، ونصوص القرآن الكريم التي تحدثت من قريب او بعيد عن موضوع الحكم والقيادة لم تستخدم الا كلمة عبارة « اولي الامر » ، وهو ما يعزز فكرة جماعية القيادة في كل موضع .

« والشورى » هو اسم احدى سور القرآن الكريم ، التي نزلت قبل ١٤ قرنا ـ بينما العالم الاوروبي لم يعرف البرلمانات الا في القرن التاسع عشر [١] ـ وقد وردت لفظة الشورى في موضعين احدهما على سبيل الامر الموجه الى الرسول ﷺ ، ومن بعده ـ « وشاورهم في الامر » ـ آل عمران ١٥٩ ـ والثانية في وصف مجتمع المسلمين ، المؤمن بالله ، والمقيم للصلاة ـ لاحظ السياق ـ ثم بعد ذلك .. « وامرهم شورى بينهم » ـ الشورى ـ ٣٨ .

ولا نريد ان ندخل في مزيد من التفاصيل ، اذ يكفي ان نقرر ان الشورى تتم من خلال ممثلي الامة . كيف يختارون ، وكم عددهم ، ولاي فترة زمنية ؟ تلك كلها جوانب تخضع لرأي اهل الاختصاص والخبرة .

والذي يعنينا هنا هو ان ممثلي الامة هؤلاء لهم حق الرقابة على السلطان والسلطة ،لكنها ليست مقصورة عليهم وحدهم ، لان هذه المهمة تشاركهم فيها جموع المسلمين ، بل هي فرض واجب على كل قادر من المسلمين واذا استخدمنا التعبير الشرعي فان ابرام عقد الامامة بمثابة « فرض كفائي » بمعنى أن أهل الحل والعقد أو أهل الشورى والاختيار يقومون بهذه العملية نيابة وكفاية عن الامة ، الأمر الذي يسقط الفرض عن الآخرين . أما مراقبة تصرفات السلطان والسلطة فهي « فرض عين » لا تصلح فيه الانابة او التمثيل . بل يجب أن يباشره المسلم بنفسه ، وقدر استطاعته .

●

وتنطلق فكرة رقابة الشارع الاسلامي ـ ان صح التعبير ـ على ممارسات السلطة من مبدأ بالغ الاهمية يقرره الاسلام هو : حق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي يطالب به الفرد والمجتمع المسلم .

.. « كنتم خير أمة اخرجت للناس : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ـ آل عمران ١١٠ » ـ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ـ آل عمران ١٠٤ « .. والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض : يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ـ التوبة ٧١ » (لاحظ انه في ترتيب التزامات المسلمين تجاه بعضهم في هذه الاية ، ياتي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في المقدمة) .

وفي هذا الاتجاه ، يفصل الحديث الشريف الامر في قول النبي ﷺ : من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » .

والتحديد والتفصيل في هذا الحديث له وجهان :

ـ انه موجه الى كل مسلم ، ايا كان مقامه او مكانه ، اذ يقول : « من راى منكم » ، اى من كافة المسلمين .

ـ انه يعتبر تغيير المنكر مرتبطا بايمان المسلم ، اذ ينص على ان التغيير بالقلب هو الحد الادنى للايمان ، الامر الذي يعني ان الحد الاقصى للايمان ـ او الايمان الامثل ـ يتمثل في التغيير بالفعل لمن هو قادر عليه .

وقد كان هذا التكليف بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي فصله الحديث الشريف الداعي الى التصدي للمنكر بالفعل او بالقول او بالقلب ، وراء اغلب حركات التمرد والرفض والثورة في تاريخ الاسلامي الامر الذي دعا بعض الفقهاء الى تفسير حديث تغيير المنكر بصورة لا تؤدي الى انفلات الامور في المجتمع الاسلامي فقالوا ان خطاب التغيير الايجابي (بالفعل او بالقول) موجه الى جماعة المسلمين التي تملك قوة العمل او قدرة التغيير ، اما التغيير السلبي (بالقلب) فموجه الى الافراد ، الذين قد لا يملكون اكثر من ذلك

وتحرك المسلم ، ومشاركته في توجيه السلطة والسلطان ، له درجتان النصيحة اولا والتصدي ثانيا .

هو مدعو الى ترجيه النصح وفي الحديث الشريف الدين النصيحة . قالوا لمن يارسول الله ؟ قال لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولائمة المسلمين وعامتهم

وفي الحديث ايضا « ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الامر ، ولزوم جماعة المسلمين » .

واذا لم تجد النصيحة ؟

يقول الامام ابن حزم « والواجب ان وقع شيء من الجور ، وان قل ، يكلم الامام في ذلك ، ويمنع منه فان امتنع وراجع الحق ... فلا سبيل الى خلعه . وهو امام كما كان ، لا يحل خلعه . فان امتنع عن انفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ، ولم يراجع ، وجب خلعه ، واقامة غيره ممن يقوم بالحق » .

واذا تعلق الامر بظلم فالجرم افدح ، والتصدي أوجب

وباب التصدي للظلم هذا فريد من نوعه في الفكر الاسلامي . ذلك بان المسلم بمقتضاه ، مطالب شرعا ودينا بان لا يقف مكتوف الايدي ازاءه بل ان النصوص تتوعده بغضب الله وعذابه في الآخرة ، اذا استسلم للظلم او سكت عليه

وفي الحديث الشريف . ان الناس اذا رأوا الظالم ، فلم يضربوا على يديه أوشك ان يعمهم الله بعقابه

وفي الحديث ايضا اذا رأيت امتى تهاب ان تقول للظالم ياظالم ، فقد تودع منهم ، وبطن الارض خير لكم من ظهرها .

ولم يكف الخلفاء الراشدون ، خصوصا ابو بكر وعمر ، عن استنهاض همم المسلمين في التصدي لانحرافات السلطة والسلطان . فهذا ابو بكر يخطب بين المسلمين بعد بيعته قائلا . قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فاعينوني ، وإن أسأت فقوموني أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم .

وهذا عمر بن الخطاب يحرض الناس على تقويمه حتى قال له أحدهم : والله لو علمنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ويستقبل عمر هذا الرد بقلب مستريح قائلا . الحمد لله أن جعل في المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه !

وبنفس هذا المنطق ، وقف عمر أمام المسلمين وخطب فيهم قائلا : لوددت اني واياكم في سفينة في لجة البحر ، تذهب بنا شرقا وغربا ، فلن يعجز الناس ان يولوا رجلا منهم ، فان استقام اتبعوه ، وان حيف (ظلم) قتلوه .

وعندئذ قال طلحة : وما عليك لو قلت وان تعوج عزلوه ؟

فكان رد عمر : لا ، القتل انكل (اخوف) لمن بعده ؟

هل رايتم حاكما في التاريخ يدعو الناس الى الثورة المسلحة عليه ، اذا ما انحرف ، ويصر على تحريضهم في كل مناسبة ؟؟

وقد كانت مثل هذه النصوص ، وراء اجماع اهل السنة على وجوب خلع الامام الظالم ، بالحسنى او بغيرها ، كما قلت . حتى قال الامام الغزالي في احياء علوم الدين « ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته . وهو اما معزول ، او واجب العزل . وهو على التحقيق ليس بسلطان . ! »

اي ان ممثلي الامة الذين ابرموا عقد الامامة ، لهم ان يفسخوا العقد اذا أخل الامام بالتزاماته ، وفي مقدمتها الجور والظلم .

●

لقد كان سؤالنا في بداية هذه الرحلة هو : من يملك السلطة والثروة في المجتمع الاسلامي ؟ ولعلى اجبت عن الشق المتعلق بمشاركة الجماهير ومسئوليتها تجاه السلطة والسلطان .

بقي موضوع الثروة ، وهو ما تعرضت له تفصيلا في مناقشة سابقة جرت حول موضوع العدل . بعنوان « مال من هذا ؟ . (العدد ٢٣٩) ، وكان قوام المناقشة انه مال الله بنصوص القرآن (آتوهم من مال الله الذي آتاكم) ، وأن هذه الصيغة ترجمت على عهد النبي ﷺ ، والراشدين من بعده ، على أنه « مال الناس » .. وهو التعبير الذي استخدمه ابو ذر الغفاري في رده على معاوية ، الذي حاول ان يبرر اطلاق يده في بيت المال ، بانه مال الله .

ويستند هذا التفسير لعبارة مال الله ، الى نص قرآني آخر هو : « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ـ الحديد ٧ » .

هو مال الله في التنظير ، مال الناس في التطبيق ، باعتبار انهم خلفاء فيه .

والنص في القرآن على أنه مال الله ، وأن الناس مستخلفون فيه ، له حكمة بالغة اريد بها تحطيم احتكار القلة للمال ، وتأكيد حق الجميع فيه ، الامر الذي يعني الاكثرية من عامة الناس وفقرائهم .

حتى قال النبي ﷺ : اني والله لا أعطي أحدا ، ولا أمنع أحدا ، انما أنا قاسم أضع حيث أمرت .

وحتى قال عمر بن الخطاب : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد . وما أنا أحق به من أحد . والله ما من المسلمين أحد الا وله في هذا المال نصيب .

وحتى رد عمر بن عبد العزيز على وفد بني أمية الذين جاءوا يطالبونه بصرف مخصصاتهم وامتيازاتهم . والله ما هذا المال لي ، ومالي الى ذلك من سبيل .

●

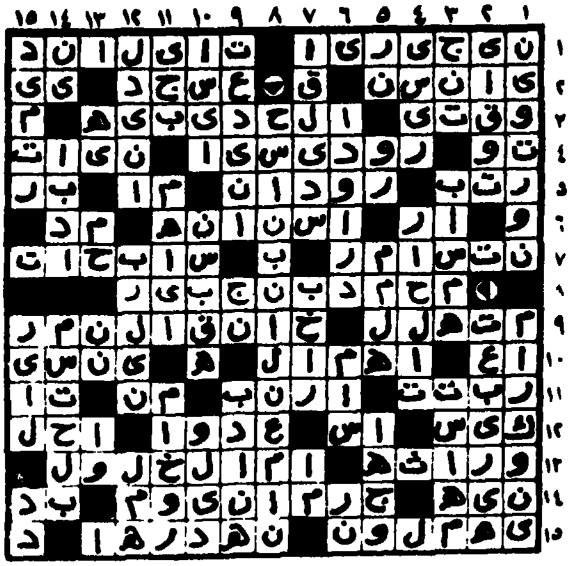
ماذا يسمى هذا كله . حاكمية ام سيادة للامة ؟ يمين ام يسار ؟ .. دين ام سياسة ؟

ليسمه من يشاء بما يشاء . لكنه عند الله هو الاسلام .

ولله الامر من قبل ومن بعد !

■■

حل مسابقة العدد ٢٤٧ ●



افقياً :

محمد بن جبير

●

رأسياً :

حسان بن النعمان

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : محمد بن جبير . ولد في بلنسية باسبانيا ، وتوفى بالاسكندرية عام ١٢١٧ . درس الفقه والحديث . شرب الخمر صدفة ، فحج تكفيرا . زار الاسكندرية ومكة والمدينة والكوفة والموصل وحلب ودمشق وعكا وصقلية . سجل ذلك في « رحلة ابن جبير » .

(٨) رأسيا : حسان بن النعمان . قائد غساني شهير في الفتوحات الاسلامية ولي افريقيا ، حارب البيزنطيين والبربر في عهد عبد الملك بن مروان وتغلب عليهم . توفى عام ٨٦ هجرية .

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :سعد مرزوق جاد ـ الاسكندرية ـ مصر

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :محمد نافع حمد العطارى ـ مكة ـ السعودية .

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :محمد ماجد السبيعى ـ النويصيب ـ الكويت .

✱ ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمس دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عبدالاله عبداللطيف حسن ـ الهندية ـ العراق

٢ ـ سلطان محمد حربان ـ تلين البحرين الجامعية ـ البحرين

٣ ـ عبدالغنى عبدالهادى ـ عمان ـ الاردن

٤ ـ عبدالله كامل النجمى ـ اللاذقيه ـ سوريا

٥ ـ بار فايض محمد ـ الدارالبيضاء ـ المغرب

٦ ـ راغدة اميل زنقول ـ حاصبيا ـ لبنان

٧ ـ ابراهيم عبدالحميد عبدالله ـ ابوظبى ـ الامارات

٨ ـ غالب برجى ـ هيوستن ـ امريكا

البشير الإبراهيمي

مصلحاً وثائراً



بقلم : عمر بن قينة

الاستاذ بجامعة الجزائر

★ ان الحديث عن البشير الابراهيمي هو جزءمن الحديث عن فترة هامة فى حياةالجزائر المكافحة، عرف الوطن فيها محنة الاستعمار ، وتلون اساليبالمقاومة والنضال ٠ احتل مكانة فكرية بارزة لفتت اليه انظار الجميع ، وبواته مكانه بين اعلام الفكرفى العالم العربى ٠ غير ان الحديث عن حياته يعد جزءا من الحديث عن موافقه ٠ وقد آثرت انالقسمها الى اربع فترات لان كل فترة كانت ذات طابع خاص ، ليس فيما يتعلق بالاحداث فقط ،بل فيما يخص مواقفه وفكره ايضا ٠

الفترة الاولى تمتد بين عامى ١٨٨٩ و ١٩٢٠ ٠ فقد ولد محمد البشير الابراهيمى فى ١٤ يونيو ١٨٨٩ بدائرة سطيف حيث تلقى تعليمه الاولى لحفظ القرآن الكريم ودرس بعض المتون فى الفقه واللغة العربية ٠ وفى سنة ١٩١١ م توجه نحو المشرق العربى فمر بالقاهرة حيث تعرف فيها على بعض شعرائها ومفكريها ، وبعد نحو ثلاثة شهور قصد المدينة (المنورة) بالحجاز فاقام فيها وتفرغ للدراسة كطالب ظل يتردد على اساتذة اللغة والدين وعلى مكاتب المدينة ، فدرس واطلع على الكتب القديمة والحديثة، برغبة ملحة فىالتحصيل والاطلاع ٠ فبحث دارسا وقرا مستظهرا وطالع متفهما نحو خمس سنوات ، فوعى ما قرا وتمثله ٠ خلال ذلك وصل الى هناك عبد الحميد بن باديس من الجزائر (١٩١٣ م) فتم التعارف بينهما ، جمعهما حب الوطن ووحدة الآمال فتواصلت لقاءاتهما واتصلت مدة اقامة بن باديس هناك يتحدثان عن الوطن ومستقبله ٠ ثم عاد ابن باديس الى الجزائر اما البشير الابراهيمى فقد انتقل سنة ١٩١٦ م الى دمشق وقد كتب يقول عن هذه المناسبة / ٠٠ « خرجت من المدينة فيمن خرج الى دمشق فى اخريات سنة ست عشرة ميلادية » وفى دمشق اشتغل الابراهيمى بالتدريس ، وحاضر فى النوادى والمساجد حتى اواخر سنة ١٩٢٠ عندما عاد الى الوطن مودعا تلاميذه وهم يذكرون جميله، فقال عن هذه المناسبة بعد ذلك بثلاثين سنة «٠٠٠ يايوم الوداع ما اقساك ، لا انسى بعد ثلاثين سنة ولن انسى ما حييت موقف الوداع٠٠٠وتلامذتى الاوفياء يقدمون الىبخطوطهم كلمات فى ورقات »٠

الفترة الثانية

بعودة محمد البشير الابراهيمى الىالجزائر تبدأ الفترة الثانية من حياته ، فشرع فى التعليمكزميله

✽ أصل الموضوع محاضرة ألقيت بمناسبة ذكرىوفاة الابراهيمى فى سينما « الاتحاد » بمدينة « بو سعادة » ٠

[...]ـه عبد الحميد بن باديس ، واستمرت [...]ـما التي بدات في الحجاز تتوطد ومشاووراتهما واتصالاتهما تتسع ، فلما كانت سنة ١٩٣١ [...] جمعية العلمـاء المسلمين الجزائريين فـي [...]ـو ، كرد فعـل على الاستعمار الـذى عمـل للاحتفال بالعيد المئوى للاحتلال، وانتخبت الجمعية عبدالحميد بنباديس رئيسا لها والبشير الابراهيمي وكيلا . فواصل الرجلان عملهما مع سائر اعضاء الجمعيـة وازدادت مسؤولياتهما واسست الجمعية صحف « الشريعة » و « السنة » و « الصراط » ثم « البصـائر » التي صـدرت سنة ١٩٣٥ م والتي استطاعت أن تنقل صوت الجمعية خارج الجزائر ، فقال عنها احدهم في المشرق العربي « طلعت عنا البصائر ، من عاصمة الجزائر ، فاسمعت العالمين الشرقي والغربي صوتها العالي المرفوع » .

واصل البشير الابراهيمي نشاطه ضمن الجمعية كشخصية بارزة مؤثرة ، حتى كانت الحرب العالمية الثانية فابعدت السلطات الاستعمارية بعض اعضاء الجمعية وفرضت على بعضهم الاقامة الجبرية كما اعتقلت اخرين في السجون فاوقف بن باديس في قسطينة وابعد الابراهيمي الى « آفلو » بالغرب الجزائرى حيث اوقف أيضا ، وبعد نحـو اسبوع فقط توفي ابن باديس.افرج عن البشير الابراهيمي سنة ١٩٤٣ فاستمر فيممارسة عمله كرئيسلجمعية العلماء بعد وفـاة ابن باديس . واثنـاء حوادث ١٩٤٥ التي ابيد فيها الآلاف من ابنـاء الجـزائر برصاص الاعداء ، في هذهالحوادث قيد الابراهيمي الى السجن مثل الآلاف من الجزائريين الذينطالبوا بحقهم في الحرية والحياة .

ثم اعلنت الحكومة الاستعمارية عفوها العـام فكتب الابراهيمي بعد ذلك عن هذه المناسبة يقول عن الحكومة الاستعمارية « .. كانها رات عـدد المتهمين منا لم يبلغ النصاب المقرر فحكمت محاكمها العسكرية على العشرات بالاعدام ونفذته فيهم » [...] عن اطلاق سراح المعتقلين فيقول « .. اطلقوا سراحنا باسم العفو العام والامتنان كاننا مجرمون [...]ـسا العفو ، لا مظلومون برائتنا العدالة » .

[...] هذه الحوادث التيكشف فيها الاستعمار عن [...] العقيقي ونياته الحاقدة استانف الابراهيمي [...]رئيسا للجمعيةفاعاد صدور جريدة«البصائر» [...]١٩٤ بعد توقف دام اكثر من خمس سنوات.

الفترتان الثالثة والرابعة

لقد كانت حركة جمعية العلماء مرحلة هامة في يقظة المجتمع الجزائرى وكان اثرهـا ابرز فـي الميدان الاصلاحي والتعليمي مما ساعد على خلق مناخ فكرى اخذ في الانتعاش تدريجيا . لكنه بقي في حاجة الى عناصر وطنية تشيع فيه روح الحياة اكثر .

من اجل ذلك سافر البشير الابراهيميسنة١٩٥٢ الى بعض البلدان العربية والاسلامية ملتمسا من بعض حكوماتها ان تخصص منحا دراسية للطلبـة الجزائريين ، ولم يشا البشير الابراهيمي ان تتوقف مهمته عند هذا الحد . اما الفترة الرابعة فهـي فترة النهاية ، شيخوخة تحد من الحركة والنشاط، ونسيان او تناس وتنكر له من طرف البعض .عاد الابراهيمي الى وطنه ، واتصل بالامة الجزائرية في أول صلاة أم فيها الجمهور بمسجد « كتشاوة » الذى اعيدت له صفة المسجد بعد ان كانالاستعمار قد حوله الى كنيسة ، كان ذلك الاتصال بالجمهور عن طريق الاذاعـة التي نقلت خطبتي الجمعـة . فاعادت كلماته للكثيرين من رفاقه وغيرهم اعذب الذكريات واحلاها،لكن الصمت لا يلبث ان يفرض نفسه عليه ، فعاني وتالم . وفي ١٩ مايو ١٩٦٥ توفي الابراهيمي ، فودعته الامة الجزائرية بقلوب حزينة ، وعيون دامعة عليه كشخص من رجـال الاصلاح فيها ، واحد بناة نهضتها الفكريةالحديثة، من الذين عملوا لاصلاح مجتمع واسهموا فيتكوين شبابه وارشاده وتثقيفه .

اغمض البشير الابراهيمي عينه في بلاده ، وحاز قبرا في ثراها كما كان يتمنى . انتهى كشخص من الحياة ، وبقى في ماله من اعمال وآثار بينالناس.

في مواجهة الاستعمار

كان البشير الابراهيمي الشخصية الثانيةالبارزة بعد ابن باديس فكان ساعده وعضده في المعركـة الاصلاحية ، فعمل لتاسيس المدارس وتعميمها ، وخلفه بعد وفاته رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فواصل المسيرة التي بداها مع ابن باديس عاملا من اجل ايقاظ النفوس الخاملة ، منددا بالبدع المتفشية ، ناصحـا للامة بضـرورة

الاتحاد والتآزر ، داعيا لنبذ الخلافات الحزبية الضيقة والقضاء على الروح الاقليمية المتفشية في نفوس النفوس المتحجرة معرضا بالصراعات التعصبيه التى تخدم الافراد والاستعمار ، وليست فى صالح المجتمع الجزائرى وتطوره ساعيا من اجل تكوين شباب الوطن ثقافيا ،وتوجيهه عقديا ،مناوئا للاستعمار فى نطاق وسائله الفكرية وحدود استخدامها ٠

تبرأ الابراهيمي من ان يوصف بالسياسى ، وان جمعيه العلماء أيضا ليست جمعية سياسية ولكنها جمعية دينية ٠ وسواء اقال الابراهيمى هذا عن اقتناع وصدق ام قاله تجنبا لمضايقات العدو فانه لما لاحمه الاستعمار ولاحق اعضاء الجمعية باسم السياسة فان الابراهيمى جهر بالقول : (٠٠٠ ونحن علماء وسياسيين ولنكن كل شيء يحمي امتنا ، ويحمى ديننا ولغتنا ٠٠٠ ما دمت لا تجد صاحبك الا حيث تكره، فمن العدل الا يجدك صاحبك الا حيث يكره) ٠

وكان للبشير الابراهيمى صوته الواضح المعبر عن مشاعر الامة الجزائرية ، او عن اغلبية وطنية ، يستجيب للاحداث اليومية ويتخذ منهما موقفا وله فيها راى ٠ (ابدا بما شئت واختم بما شئت من النظم والقوانين التى تساس بها الجزائر تجدها كلها دائرة فى مبادئها وغاياتها على محور واحد / هو احتقار المسلم الجزائرى وبغضه ٠٠٠ هلم تجد الاستعمار يقول لك انا احق منك بالتصرف فى دينك ٠ فقد اصبحنا لكثرة ما بلونا من سرائر السياسة الاستعمارية وعجمنا من اعوادها نفقه كثيرا من اتجاهاتها ومراميها) ٠

لن ننكر ابدا الاثر الذى احدثته التنظيمات الوطنية الاخرى فى سبيل بعث وعي وطنى ، لكن جمعية العلماء كانت اكثر تاثيرا فى الجمهور لطابعها الدينى الذى يشد اليها جماهير المواطنين، خاصة عندما ترى هذه الجماهير ان الدين غدا وسيلة لاثبات الشخصية الوطنية التى من بين دعائمها اللغة الوطنية ٠ كان للجمعية اثرها فى مختلف الاوساط فى المدن والقرى فاستجابت الفئات الشعبية تبذل الاعانات المادية وتقدم الهبات لبناء المدارس وتعليم العربية الامر الذى اغاظ الاستعمار واثاره ، فاذا كان يصعب عليه منع المقبلين على التعليم العربى فانه حاول ان يحد هذا التعليم ، فالمدارس لا تفتح الا برخص ، والمعلمون لا يباشرون عملهم الا بشروط تخضع للظروف والملابسات ، والمعلمون هم عرضة للمضايقات والدعوات الى السجون ٠

يقول الابراهيمى فى احدى هذه المناسبات ٠٠ (كان التعليم جريمة يترتب عليها العقاب ٠٠٠ بدات دعوة المعلمين تترى ، ونحن نقدر انها ستعم، وان أول المطر قطر ، وان الاحكام ستكون بالغرامة فالسجن ، ولكننا سندخل هذه المحاكم برؤوس مرفوعة وسنتلقى هذه الاحكام بنفوس مطمئنة بالايمان ، وحسبنا شرفا ان يكون ذلك فى سبيل ديننا ولغتنا ٠٠٠ وحسب الاستعمار ديمقراطية ان يحاكم معلمى العربية والاسلام)و(يحرم الاستعمار الفرنسى التعليم على مسلمي الجزائر ويفرضه على ابنائه فى وطنه ، فاعجب لشيء واحد يحرم فى وطن ويفرض فى وطن ، ومن عرف الاستعمار معرفتنا به لم يعجب ولم يندهش خصوصا فى وطن كالجزائر لغته العربية ودينه الاسلام) ٠

الاستاذ والمرشد

فى الفترة الثانية من حياة الابراهيمى عمل استاذا ومرشدا بعد عودته من المشرق ، ثم سافر فى الفترة الثالثة سنة ١٩٥٢ حرصا على مستقبل الطلبة ، وفى اثناء اقامته هناك طيلة عشر سنوات كان الاب العطوف للطالب الجزائرى ٠

هؤلاء الطلبة الذين كانوا يسافرون للدراسة خارج الجزائر كان يعلق عليهم الابراهيمى آمالا كبيرة ، وكان وهو فى الجزائر لا يفتر فى اسداء النصح لهم وتذكيرهم بواجباتهم نحو وطنهم ، فمثلما اعطى كثيرا من اهتمامه للتعليم داخل الجزائر لم يهمل الطلبة وهم خارج الوطن قال فى احدى كلماته التوجيهية يخاطب الطلبة ٠٠ (ها انتم هؤلاء تبوأتم من مدارسكم ميادين جهاد فاحرصوا على ان يكون كل واحد منكم بطل ميدان ٠٠٠ كنا اول من نام واخر من استيقظ ٠٠ نهدم ونرفع الانقاض ونبني ونعمر فى آن واحد) ٠

ثم يخاطب الطلبة الجزائريين خارج الوطن ٠٠ (اعيذكم بالله وبشرف العلم ان تعودوا الى

لكن كما فارقتموه بنصف قارىء وربع قارىء ، بشر قارىء) لم يضيف (... انتم ـ يا ابناءنا واكبر نهضة علمية وقد اطل زمانها ، وظهرت ... فجرها الصادق ... والعلم هو اســاس الوطنية وقطب رحاها ومركز دائرتها ، ودليـــل سيادتها .. لاحق لكم بل الحق كله للوطنعليكم).

ومـا كـان يغيب عن الابراهيمي النزعـات او التيارات التي يمكن ان تجرف الطالب وتصرفه عن هدفه .. الاساسي وتضله ، فيكون بذلك قصر في حق وطنه . يقول في مثل هذه المواقف يخـــاطب الطلبة الجزائريين (ان لصوص العقول افتك من لصوص الاموال ، واشد منهم عبثـا وافسادا .. أعيذكم بالله وبشرف العـلم وبامـانة الوطن ان تنفقوا من اوقاتكم في غير الطلب والتحصيل للعلم ... ان هذه الامة يا أبنائي هي أمتنا وهي رأس مالنا وهي مناط قوتنا ، ومظاهر اعمالنا . فعلينا ان نراعي شعورها في غير واجب يترك او محرم يؤتى).

يقول الابراهيمي / ان (من اراد ان يخدم هذه الامـة فليقراها كمـا يقرا الكتاب وليدرسها كما يدرس الحقائق العلمية ، فـــاذا استقام له العمل وامن الخطا وضمنالنجاح والتمام له.. انني جربت ودرست وانني قرات هذه الامة وفهمتها) درس المجتمع الجزائري فكان لسانا معبرا عنه ايام محنته دفاعا عن قيمه وعقيدته ، وقوميته ، ورفض كل محاولة تدعو الى الاطمئنان للعدو المحتل او التعاون معه (يعذر النائم ولا يعذر المستيقظ ، والامة نامت نوما طويلا وثقيلا ... افاقت الامـة الجزائرية افاقـة غير منتظمة لان الاحـداث التي سببت لها النوم حقنتها بانواع شتى من المخدرات) ولم يهمل التشهير بكل نزعة تكون سببا في زرع الخلافات في اوساط الشعب الجزائري (اصـــل دائنا التفرق والخلاف ، ومن الخلاف تشعبت شعب ملتقى معه في الاثر والنتيجة ، والشر والضر ، فاذكر الخلاف تذكر التخاذل والانانية ووهنالعزائم والتفرط في المصالح الوطنية ، واذكره تذكر كل مرض عقلي تعانيه .

وعن حسه العربي والاسلامي يقول .. (قومي هم العرب أولا، والمسلمون ثانيا، فهم شغل خاطري ومجال سرائري وهم مالئوا ارجاء نفسي) وقد اساءه ان تكون هناك اقطار عربية أو اسلاميةاسما لا فعلا ، لا تفعل ما يخدم العروبة أو الاســلام .. (هذه ممالك العروبة والاسلام كثرت اسماؤهـا وقل غناؤها ، وهذه احوال العرب والمسلمين الذين يقبـل عليهم العيـد فيقبل بعضهم علـى بعـض يتقارضون التهاني ويتعللون بالاماني ، افلا اعذل اذا لقيت الاعياد بوجه عابس ولسان بكي ، وقلم جاف وقلب حزين ؟)

ويتجاوز بعد ذلك اظهار الاستياء الى الدعوة الصارخة لتغيير الوضع (ناسي عليك يا شرق ان تتقاذفك الاقدار فتنقلب من عبادة الاصنام الحجرية الى عبـادة الاصنـام البشرية ، فمتى تنهض بمن يكسر هـذه في الاخـرين كمـا كسرها محمـد في الاولين) كما اهتم بالقضية الفلسطينيةودعا الى العمل من أجل تحرير فلسطين ملحـا على ضرورة تواجد الفلسطينيين فيالمقدمة (اعمال عرب فلسطين مقدمة ، فاين الكتـاب ؟ وطليعة فاين الكتـائب ؟ وواجب فاين ما لا يتم الواجب الا به ؟) .

كانت ثقافة الابراهيمي ثقافة عربيـة متينة ، درس كتب التراث ، وتمثلها فكان لها أبرز الاثر في كتاباته . ولم تكن كتاباته مجرد صدى لهذه الثقافة التقليدية بلفيها ابتكار واصالة ،تستوحي التراث لكنها تعبر عن وجدان صاحبها ، وتعكس ذاته . متانة في العبارة وقوة في الاداء ورشاقة في الصياغة ، يميل الى السجعة لكنه لا يخضـع لها ، بل يخضعها لمقصده الذي يريده لاداء المعنى كاملا لا لمجرد اكتمال الشطرة أو الوحدة .

من اقواله فيمثلهذه المواضع .. (أيها الإعراب هل فيكم بقـايا من حرب أم محارب ، دبت بينكم العقارب وانتم اقارب ، فتكدرت المشارب وتقوضت المضارب ، وغاب المسدد في الراى والمقارب) .

لقد احب الابراهيمي وطنه واخلص له واحب امته وتعلق بها ، ناصحا موجها ، فكانت شخصيته مؤثرة في الاصلاح والثقافة والتربيـة والادب ، وكان له دوره البارز ومواقفه الواضحة ، فاحتل مكانة خاصة ، في الوطن وخارجه . ■■

الجزائر ـ عمر بن قينة



« الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى » ... قرآن كريم

[illegible]

خطأ الخلقة

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

في الخلق ابداع ظاهر وباطن .. فأما الظاهر ، فهو ماعاينته الحواس ، وتجلى تناسقه لكـل الناس ، وأما الباطن ، فهو لخاصة العلماء الذين يبحثون في اسرار الكون والحياة ، ويتطلعون ـ بعين غير عيونهم ـ الى وحدات الخلق الدقيقة ، التي تترجم ـ فيا بعد ـ الى مخلوقات كثيرة نراها رؤيــة العين ، وقد نتدبر في اختلاف اشكالها والوانها وقسماتها ، أو لا نتدبر !



عينان تكادان تلتحمان في رأس جنين كتكوت .. لاحظ انهما جاحظتين كبيرتين ومشوهتين .. كما ان المنقار الاعلى قد اختفى !!

والعلماء الذين يتعاملون مع اسرار الحياة ، يدركون تمام الادراك انهم يتعاملون مع سنن متقنة ، وشرائع محكمة ، وقوانين صامدة ، لا يعتريها خلل ، ولا تحل بها فوضى ، فالخلق المتناسق ، والنظام المتآلف هما السمتان البارزتان الدالتان على فكرة اصيلة تجمع كل المخلوقات في اطار واحد ، وكأنما هما تشيران الينا من طرف خفي الى وحدة الخلق ، ووحدانية الخالق !

هذا هو المفهوم العام الذي نتطلع اليه في كل آن وحين ، أو هي القاعدة العريضة التي ارتضتها الحياة لمخلوقاتها سبيلا ، لكن قد يحدث بعض الشذوذ او الحيود في حالات نادرة ، فتأتي بعض المخلوقات بصورة غير سوية ولا متناسقة .

وقد ارجع الناس من قديم الزمن شذوذ تكوين المخلوقات الى قوى غيبية ، او تصورات غير منطقية .. وأقدم تسجيل لمثل هذه الحالات ما ورد على لوحة من الفخار اكتشفت في العراق ، ويرجع تاريخها الى حوالي ... عام قبل الميلاد ـ أي في عهد آشور بانيبال ملك ... ، وفيها ذكرت بعض حالات شواذ المخلوقات ، وما صاحب ولادتها من احداث اعتبروها نذير شؤم بقدمها الى الحياة ، او هي دلالة على غضب الآلهة ، ولهذا كان من عادة القدماء ان يقتلوا كل وليد يجيء بشيء شاذ في جسمه ، وأحيانا ما يحكمون بالموت على أمه ، ظنا منهم أن في ذلك ارضاء لآلهتهم الغاضبة !

ولقد كان الظن السائد في العصور الوسطى في اوربا ، او حتى الى عهد قريب نسبيا (حوالي القرن الثامن عشر) ان مجيء وليد به بعض الشذوذ في الخلقة ، يرجع الى تدخل الشيطان اثناء عملية الجماع ، ولقد حاول بعض الحكماء ان يثنوا الناس عن هذا الأفكار الخاطئة ، فنرى مثلا في تعاليم بيترو بومبوناتزى التي ظهرت في عام ١٥٢٩ بعنوان « بحث في القضاء والقدر » ما يشير الى ذلك بقوله « انهم الأغبياء فقط الذين يرجعون الأسباب التي لا يدركون عنها شيئا الى الله او الشيطان » .. وهو يقصد بذلك اسباب مجيء شواذ الخلق الى الحياة .

وشيئا فشيئا بدأت هذه المفاهيم الخاطئة تأخذ نبرة أخرى اكثر تعقلا ، وان كانت لا تخلو من الخرافات ، فمن الناس من ارجع الشذوذ في الخلق الى تلوث في نطفة

الرجل ، ومنهم من أعادها الى نوع الطعام والشراب الذي يتناوله الآباء والأمهات ،او الى اتصال جنسي ببعض الحيوانات ، او حتى بمجرد النظر اليها اثناء الحمل ، او الى أثر الكواكب والنجوم اثناء عملية الاخصاب ، او الى هواجس او تصورات رديئة تتعرض لها الأمهات أثناء الحمل .. الى آخر هذه التفسيرات التي لا تقوم على اساس .

وفي القرن الثامن عشر احتدم الجدل ، وطال النقاش حول الأسباب الكامنة وراء شذوذ الخلق ، وكانت هناك مدرستان .. احداهما يتزعمها ونسلو ، الذي قال ان السبب كامن في النطفة ، والثانية يتزعمها ليميري الذي أشار بأن الشذوذ عامل طارىء ، ولقد ترتب على ذلك ان تدخل رجال الدين في المعمعة ، وقالوا اذا كان الشذوذ في النطفة ، فان ذلك يتنافى مع حكمة الله الذي خلق كل شيء فأبدع خلقه ، ويرد فريــق آخر برأي يحاول أن يتخطى به ذلك المأزق الفكرى ، فيقول : ان الله حر فيما يفعل ، حتى ولو كان في ذلك خرق للنواميس الطبيعية ، ولو انكرنا عليه هذا الحق ، فاننا بذلك نحد من قدرته وجبروته وحريته فيما يفعل او يخلق .. الى آخر هذه المجادلات التي طالت ، حتى وضع العلم يده على السر الكامن فيها .

العلم ينير الطريق

وكما اشرنا في بداية هذه الدراسة الى ان العلماء في تعاملهم مع اسرار الكون والحياة ، يرون غير ما يرى الناس ، فكل صغيرة في الخلق او كبيرة ، تقوم على فكرة بديعة ، وغالبا ما يعبرون عنها بمعادلات او قوانين .. وهذه تعني - في المقام الاول - التناسق بكـــل ابعاده ومعانيــه ، وتعني اكثر أن نواة الخلق ذاته متقنة اعظم اتقان .. لكنها - في الوقت ذاته - محكومة بعوامل طبيعية لا يمكن انكارها .. فكأنما الله سبحانه وتعالى قد اوحى في كل خلق امره او نظامه ، لكن هذا الخلق المنظم ليس به جمود ، بل هو دائما في ديناميكيــة متحررة متجددة ، ليكون هناك تغير ، والتغير سمة من سمات التطور ، وعكس ذلك ركود ، والركود موت !

لكن .. ما دخل هذا بشواذ المخلوقات ؟



شذوذ في عدد الاصابع عن المألوف ، فجاءت كل راحة بست اصابع ، واحيانا ما ترتفع الى سبعة

له دخل .. فالذين درسوا مكونات الكائنات الحية ، بدايــة من الفيروس الضئيــل ، الى الانسان العظيــم ، يدركـــون تماما أن الذي يحكمها ، ويحدد لها صفاتها ، مخطوطات وراثية نعرفها باسم الأحماض النووية ، لأنها تسكن نواة الخلية .. صحيح ان جزيئاتها التي تتآلف فيها واحدة وموحدة في كل الكائنات ، لكن ترتيب هذه الجزيئات يختلف .. ولكي نوضح ذلك نقول : ان هذه الجزيئات تشبه مثلا حروف لغتنا تلك ، ومن تبادل تلك الحروف وتآلفها في كلمات ، يمكننا ان نكتب ما نشاء من مجلدات - كذلك وضع الله فكرة كل المخلوقات على هيئة شفرة كيميائية ، وبها يخلق ما يشاء .. الفكرة لا شك عظيمة ، لكنها ليست جامدة ولا راكـدة ، بل يعتريها التغير دائما ، وهذا التغير في صالح الحياة ، وهو الذي يعطيها دفعة الى الأمام .. الى التطور والارتقاء ، لكن هذا الأمر تحكمه عوامل فيزيائية وكيميائيــة وبيئيــة وبيولوجيـــة ... الخ ، ولا يمكـــن فصل هذا عن ذاك ، فمحصلته النهائية تنبع من الكون وتصب فيه ، ونحن - وكل الخلائق - لسنا عن ذلك بمعزولين ، حتى ولو كنا في بروج مشيدة !

اذن .. فالحيـــاة - ممثلة في كل مخلوقاتها - تسري حسب خطة محكمة ، لكنها تتعرض - رغما عنها - لعوامل أو نواميس كونية لحكمة مقدرة ، الا ان التعرض لهذه الحكمة قد يتشعب فيه الحديث ويطول ، وقد نفرد لذلك دراسة اخرى مستقلة ، لكن يكفي أن نذكر هنا ان هذه العوامل نادرا ما تتداخل في النظم الوراثية لتجعلها تكبو وتنتكس ، بل هي غالبا تدفعها دفعا كدفع الله الناس بعضهم ببعض ، لينصلح حالهم ، مصداقا لقوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .. وما يسرى على الناس ، يسرى على

الجزيئات والذرات وكل الكائنات .. يسري عليها من خلال دفع او صراع او تنافس او تفاعل .. تعددت الأسباب ، والهدف واحد .. اي « لينصهر » كل شيء ويصقل صقلا حسنا ، ليبدو في النهاية كدرة نادرة فيها تناسق وجمال .

هذا الدفع او التفاعل ـ من خلال العوامل التي ذكرناها ـ يؤدي الى ما نعرفه علميا باسم الطفرة ، والطفرة تغير محتوم في المورثات التي تورث الكائنات صفاتها ، لتتخطى بها الظروف الصعبة التي تعترض حياتها ، وهذا هو المراد من رب العباد ، او هو احد النواميس الراسخة التي يتعامل معها العلماء ليل نهار .. لكن قد يحدث في حالات نادرة ان تكبو الطفرة وتنتكس ، وهو أمر طبيعي في هذه التجربة الكونية الضخمة التي تمر بها المخلوقات ، مثلها في ذلك كمثل الخير والشر ، اذ لولا هذا ما عرفنا ذاك !

وكما يتغلب الخير على الشر دائما ، كذلك تتغلب الطفرات الحسنة على الطفرات السيئة ، فاما الحسن فيبقى ، واما السوء فمآله الى زوال .. ولهذا نرى الشواذ من الأجنة ذات التشوهات الواضحة تختصر الطريق الى الدار الآخرة حتى قبل ان تولد ، او ربما بعد ولادتها بزمن قصير !

وتشير بعض الاحصائيات الى انه من بين كل مائة الف حالة ولادة في الانسان ، قد تأتي ٦١ حالة تحمل تشوهات خلقية كبيرة قد تحول بينها وبين استمرارها في الحياة ، في حين ان ٤٥٤ حالة (من المائة الف) قد تأتي بتكوينات شاذة على المألوف ، ومع ذلك فمقدورها ان تعيش ، لأن الطفرة محتملة .

اذن .. فالأنماط الفكرية التي أشارت الى ان الحيود عن الخلق السوي يرجع الى النطفة ، او ينبع منها ، كانت على حق فيما قالت ، كذلك كانت الأفكار التي نادت بان الطفرة تنشأ من عامل طارىء او خارج عن النطفة ذاتها ، كانت افكارا لاغبار عليها ايضا ، او ان الاثنين معا قد يحدثان الطفرة .. وهذا ما اشارت اليه البحوث الطبية والعلمية ، وتحقق ذلك ايضا بالتجارب التي اجراها العلماء على الحيوان .

حالات من واقع حياتنا

ولكي نوضح ما سلف ان ذكرناه ، دعنا نضرب له مثلا ومثلا .

اننا نقول دائما إن استخدام المبيدات الحشرية قد اكسب الحشرات بعض المناعة ضد هذه المبيدات ، فما عادت تتأثر بها .. وهذا قول ليس صحيحا تماما ، فحقيقة الأمر ان المبيدات تقتل الحشرات بالملايين والبلايين ، ولا تكسبها ـ كما نظن خطأ ـ مناعة ، انما الذي يحدث ان من بين ملايين الحشرات توجد طفرات جد قليلة ، ربما طفرة واحدة في المليون ، او ربما أقل او أكثر .. والطفرة طبيعية ، وهي تنشأ دائما قبل اكتشاف المبيدات بمئات الملايين من السنين ، ونحن نكتشفها دائما



ضفدع بثلاث أيد وساقين .

في الميكروبات والنباتات وسائر انواع الحيوان .. حتى خلايانا نفسها تطفر ، وكلما تقدم بنا العمر ، يزيد عدد هذه الطفرات ، لدرجة ان حوالي مليون خلية من خلايا اجسامنا تطفر او تتغير في بعض صفاتها في كل يوم ، لكن هذا موضوع طويل ، وليس له هنا مجال ، وعلينا ان نعود الآن الى الحشرات والمبيدات .

فدود القطن او المن النباتي قد ينتشر في الحقول بالبلايين ، والمبيد يبيد كل هذه البلايين ، لكن قد يحدث ان يكون بينها عدة طفرات تختلف في صفة او بعض صفات عن البلايين ، وبهذه الصفات المكتسبة تستطيع ان تقاوم هذه السموم ، وعندئذ تعيش وتنمو وتتكاثر .. صحيح ان اعدادها جد قليلة ، وبحيث لا نستطيع ان نلحظ وجودها في الحقول ، لكن اعطها عمرا ، اعطها عدة سنين ، تجد القليل قد اصبح كثيرا ، وقد ينتشر بلاؤه اكثر من الأجيال السابقة التي هلكت بالمبيد ، ولو اردت ان تبيده بالمبيد ذاته ، فانه لا يتأثر به ولا يموت ، ولابد أن نبحث عن مبيد آخر أكثر فاعلية ، وقد ينفع هذا المبيد الجديد في ابادة البلايين ، لكن لا ننسى ان من بين هذه البلايين قد توجد عدة طفرات ، وبها يواصل النوع حياته !

اذن .. فالطفرة الطبيعيـة هنا تقف مع الأنواع ، لتتخطى بها ظروفا طارئة .

ومثلنا الثاني يأتي من اليابان .. ففي نهاية الحرب العالمية الثانيـة أسقطت قنبلتان ذريتان على هيروشيما وناجازاكي ، فمات عشرات الألوف من البشر في التو واللحظة ، وعاشت ملايين اخرى بعاهاتها التي سببها الاشعاع ، ومن بين هذه الملايين كانت توجد آلاف النساء الحوامل في فترات مختلفة من الحمل ، وعندما وضعن مواليدهن ، جاءت المواليد بخلقة شاذة ، ومنها ما خرج ميتا ، وقد ظهر عليـه تشوه شديد ومخيف .. ولا يزال العلماء حتى الآن يضعون مثل هذه الحالات تحت البحث والمراقبة ، خاصة في الرجال والنساء الذيـن اصـيبوا بالاشعاع ، فلم يظهر عليهم علامات تشوه يمكن أن تلفت النظر ، لكن الذي حدث بعد ذلك بعدة سنين ، ان بدأت المواليد الشاذة تفد رغم غياب الاشعاع ، لكن أثره مع ذلك ظل باقيا في الغدد الجنسية ، فعندما أصابها أول مرة ، احدث فيها تغيرا تختلف درجته بدرجة شدة الاشعاع ، والتغير هنا يشير الى طفرات غير مرغوب فيها .. وهي بلا شك كامنة في الخلايا الجنسية ، وعندما يحدث الاخصاب بين هذه وتلك ، فقد لا تستمر الحياة في البويضة الملقحة ، لأن الطفرة كانت فجائية وكبيرة وغير محتملة ، وهنا نقول ان الاشعاع قد اصاب المخلوق بالعقم ، أو قد يحدث الاخصاب ، وينمو الجنين ، لكن بعض مورثاته قد حل بها شيء من تدمير وتغيير ولا بد ان ينعكس هذا على شكل الجنين ، فيأتي شاذا بدرجات تختلف باختلاف درجة ما اصاب الغدد الجنسيـة من اشعاع .

اذن .. فالطفرة المنتكسة هنا ليست في صالح الحياة .. ولا هي من صنعها ، بل سببها الانسان .

ومثلنا الثالث يأتي من خطأ كيميـائي وقع فيـه الانسان دون ان يدري ، فلا زالت قصة مأساة عقار « الثاليدوميـد » الذي تناولته بعض الحوامل في المانيـا عام ١٩٦٢ ماثلة في الاذهان حتى الآن ، خاصة بين صانعي الدواء .. اذ عندما تناولت الحوامل هذا العقار المهدىء ، جاءت الاف المواليد الى الحياة مشوهة .. فمنهم من جاء بغير يد او ذراع او ذراعين ، او ساق او ساقين ... الخ ، وهذا يعني ان العقار قد تداخل في العمليات البيولوجية الحساسة اثناء تشكل الجنين ، وحاد بها عن الطريق المستقيم .. فكان ما كان .

وهنا لا نلوم الطبيعة ، بل يقع اللوم على الانسان !

والامثلة على ذلك كثيرة جدا .. لكـن يكفينا ما قدمنا ، ليوضح لنا جزءا من الحقيقة التي غمت على كثير من الناس .

غابة هائلة من الاحداث المتداخلة

ان مجيء نسبة ضئيلة من الكائنات الغريبة بحالات شاذة عن المألوف تخضع لعوامل لا تعد ولا تحصى . فهي تبدأ اول ما تبدأ في الخلية الجنسية .. انثوية كانت او ذكريـة ، والواقع ان العبء كله يقع على مخزونها الوراثي ، وفي هذا المخزون اسرار ضخمة تتوه فيها العقول ، كما انها تتعرض دائما لعمليات من التباديل

و انيق قد تربو على البلايين ، وأى خطأ ـ حتى ولو وحيدا ـ لابد ان يترك بصمته الخاطئة على المخلوق سيفد الى الحياة ، وعندئذ نقول ان الخطأ الناشىء ر ى ، اى انه بدأ من مورثات الخليــة ذاتها ، وقد تكـون الاخطاء في النطف كثيرة ، نتيجة لتعرضها لعوامل خارجة عن ارادتها ، وعندئذ لا يظهر الجنين الى الوجود ، وحتى لو ظهر ، فانه يظهر على هيئة وليد مشوه مرعب ، وخير له ولنا ان يودع حياته .

فاذا تركنا النطف الجنسية جانبا ، مع ما تحتويه من معمعة بيولوجيــة ، ومع ما تتعرض له من عوامل ميكروبية وكيميائية واشعاعية .. الخ ، واتينا الى الجنين ، لوجدنا ان الجنين ذاته يمر بمراحل معقدة وحساسة ودقيقة ، وهو في اثناء تشكله يتعرض ايضا لآلاف التفاعلات التي تنشا من الخلايا ، او تصب فيها (انظر دراستنا عن هذا الموضوع في العدد السابق من هذه المجلة) .. ولو حدث ان تعرض الجنين في أية مرحلة من مراحل تطوره لحيود او خطأ او تداخل كيميائي او فيزيائي غير مرغوب فيه ، فان ذلك ينعكس بلاشك على شذوذ في تكويـن اعصابه وانسجته .

والذين درسوا تكوين الاجنة يخبروننـا أنـه ما من نسيج أو عضو يظهـر ، انما يظهـر عن طريق رسالـة كيميائية ، أو شفرة سرية محددة يستقبلها ممـا حولـه ، فيغير موضعه ، او ينمو على حسب برنامج زمني محدد ، أو يبطىء نموه حتـى ... العرصــة لنسيج غـيره .. الخ ، وفي كل هذه الخطوات المعـ ة قد يحدث حيود طفيف ، فيؤدي الى شذوذ يحل محل الـ اسق المنشود

والتجارب الكثيرة جدا التى اجراها العلماء على الحيوان توضح ذلك اعظم توضيح ، وهى بلاشك ترشدنا الى مزيد من المعلومات عن العوامل الطارئة التى تؤثر على الاجنة ، وتصـــيبها بشذوذ في التكويـــن ، ومن الحصيلة العلمية المكتسبة ، يمكن معرفة اسرار قد تنفعنا في تحسب الاسباب التي تؤدي الى هذا التشويه في الخلقة في الانسان .

ولقد كان العالم الطبيعي سانت هيلير سباقا في هذه التجارب ، ففي بداية القرن التاسع عشر عرض بيض الدجاج لعوامل طبيعيـــة مختلفة من شانها ان تحدث اضطرابا في الاجنة اثناء نموها في المـــراحل المختلفة ، فأحيانا ما كان يرج البيض بشيء من العنف ، او يحدث ثقوبا في مواضع مختلفة من قشوره ، اويضعه مقلوبا في اوضاع مختلفة ، او يضع حوله غلافا من الشمع في مساحات صغيرة او كبيرة ، بغرض حرمان الاجنة من نسبة من الاوكسجين ، او التبادل الغازي عموما ، او يعرضها لدرجات حرارة أعلى او اقل من المعدل المطلوب .. الخ ، وبالفعل ظهرت بين الكتاكيـت التى فقست نسبة كبيرة تحمل تكـــوينات غريبة تتسم بالشذوذ ، وتختلف درجة الشذوذ باختلاف المعاملة التي عامل بها البيض ، وهي ـ على ايـة حال ـ تشبه الى حد بعيــد الشذوذ الناتج طبيعيا .

ويجيء بعده العالم البيولوجى داريست ، وعلى مدى ١٤ عاما (من ١٨٧٧ حتى عام ١٨٩١) ظل يعامل بيض الدجاج بطرق اخرى اكثر تنوعا مما جربه سانت هيلير ، فحصل على آلاف كثيرة من كتاكيــت جاءت بكل ما هو معروف او غير معروف من الشذوذ الذى لا تاتى به لو تركت لحالها .. وكل هذا يعنى ان نسبة من البيض الذي يحتضنه الدجاج قد يتعرض لظروف طبيعية غير مضبوطة ، فيؤدي الى بعض التشوهات ..

والواقع ان إحداث التشوهات الخلقيـــة في أنواع كثيرة من الحيوان يحتل فرعا هاما من فروع البيولوجيا ، ولقد استخدم العلماء لذلك وسائل كثيرة جدا .. منها تعريض الجنين في مراحل نموه المختلفة لجرعات من الاشعاع ، ومنها اصابته ببعض الفيروسات والميكـــروبات ، ومنها تعريضه لنسب من الغازات المختلفه ، او تلويثه بأحد المـركبات الكيمياتيـــة التي استحدمت منها الآلاف ، او احداث اضطراب فيـــه بتعريضه للوخز بابرة او مبضع في مواضع مختلفة ، أو تسليط جرعات من الاشعة تحت الحمراء ، او الاشعة فوق البنفسجيـــة ، او بتحديـــد نوع الغذاء للأمهات أثناء تكوين البيض ، او أثناء حمل الأجنة في ارحامها ، كأن يكـــون الغذاء مثلا غنيـــا بالبروتين وفقيرا في المـــواد السكريـــة ، او العكس ، او به نقص في بعض الفيتامينات ، وزيـادة في فيتامينات أخرى ، أو إمداد الجنين ببعض الهرمونات او حرمانه منها .. الخ .. .

ونحن لا نستطيع هنا ان نقدم ما تمخضت عنه هذه الدراسات من آلاف التشوهات التي جاءت بأنماط مختلفة ، فالمجال بها يضيق ، لكن يكفي ان نذكر ان التشوه قد يبدو على الاطراف ، فتطول او تقصر او تتضخم او تأتي معوجة او بأصابع زائدة او ناقصة عن المألوف ، او قد يختفي طرف او اكثر ، او قد يلتحمان ، او يزيد عددها عن المعدل .. الخ ، وأحيانا أخرى قد يأتي التشوه في العيون ، فتلتحم العينان في عين واحدة ، أو يأتي الجنين بعين واحدة سليمة ، والاخرى شاذة ، كان تكون بارزة الى الخارج ، او لاوجود لها على الاطلاق ، او قد تأتي عمياء ... الخ ، وفي مناقير الطيور ، وشفاه الحيوانات قد يظهر العجب ايضا ، فيظهر الجزء الاسفل من المنقار ، في حين يختفي الجزء الاعلى ، او قد يأتيان ملتحمين ، او معوجين ، وقد تخرج الشفة العليا مشقوقة .. وقد يأتي المخلوق بغير جنس محدد ، بمعنى انك لا تستطيع ان تحدد ان كان هو ذكرا او انثى ، فلقد اختلط الحابل بالنابل ، وكثيرا ما يأتي الوليد متضخما على غير العادة ، او قزميا ضئيلا ، او به بروزات وثنيات وتلافيف لا تسر الناظرين ، او قد تأتي الرأس مشوهة وشاذة ، او يأتي الوليد برأسين ، او برأس واحدة وصدرين وبطنين ، او بدون ذيل (كما هو الحال في الحيوانات ذات الذيول) ، او قد يحتل القلب غير موضعه أو يحدث تقوس في العظام او في العمود الفقري ، او تغيب بعض العظام .. الخ .. الخ ، كل هذا يتوقف على العامل الطبيعي او الكيميائي او الاشعاعي او الجينوي الذي يتعرض له الجنين في مراحل النمو المختلفة .

وفي الانسان مثيل

هذه العوامل الطارئة - وراثية كانت او عارضة - تؤثر ايضا على الانسان بنفس الوسيلة ، فتظهر فيه مسخ بشرية ، او تشوهات خلقية .. نراها مثلا في عدم تناسق جذع او ذراع او قدم او ساق او راس او عين او أعضاء جنسية او عظام ملتوية ، او سلسلة ظهرية مشقوقة ، او شفة غير ملتحمة ، او اصابع ناقصة او زائدة او ملتحمة ، او حنجرة قمعية الشكل ، او بروز عيون او عماها ، او التحام العينين في عين واحدة ، او غياب قزحية العين ، او عدم تكوين الغدد العرقية ، او ظ... المهق (غياب الصبغة السمراء التي تعطي الجلد ... المعروف) ، او ظاهرة الجلد القشري السمكي ال... تخشوشن فيه البشرة الانسانية وتتقشر باستمرار كأنما ... حراشيف الاسماك ، او الجلد المغطى بشعر كثيف ك...ر الحيوان سواء بسواء .. الخ .

لكن مما لا شك فيه ان اللوم يقع الى حد كبير ...ى الانسان ، خاصة عندما لوث ماءه وطعامه وشر... بالمبيدات واطلق في هوائه عشرات الملايين من اطنان الغازات الناتجة من الاحتراق (وفيها مركبات ضارة مثل الرصاص والزرنيخ) ، ورفع نسبة المواد المشعة في البيئة التي يعيش فيها ، فانسابت في النهاية الى شحمه ولحمه وعظامه ، عن طريق طعامه وشرابه ، هذا بالاضافة الى آلاف المركبات الكيميائية التي تتسرب في هواء مصانعه ، او العقاقير التي قد تتداخل مع العمليات الحيوية في اجسامنا ، وقد تحدث فيها تغيرا يؤدي الى طفرة ، وقد تكمن هذه الطفرة في الخلايا الجنسية ، فتأتي بتكوين شاذ .. الخ ، او الطعام غير المتكامل العناصر خاصة النقص في بعض الفيتامينات ، او العادات الضارة مثل تعاطي المشروبات الكحولية ، او تدخين السجائر ، او اصابته ببعض الفيروسات والميكروبات ، خاصة في الأمهات الحاملة لأجنتها ، او الكشف بالأشعة السينية التي ثبت انها قد تكون ذا اثر ضار على تكوين الجنين ، خاصة في اشهر الحمل الاولى (ولهذا لا ينصح الأطباء بتعريض الحامل لاي كشف بالاشعة) .. كل هذا وغيره من صنع ايدينا ، وهو بلا شك ينعكس على بيئتنا المحيطة بنا ، او في بيئة اجسامنا ، والحق ان كل شيء جاء متوازنا من لدن حكيم خبير ، وغالبا ما يخل الانسان بهذه الموازين الحساسة ، فينعكس الخلل على حياة الانسان والنبات والحيوان ، وقد يؤدي كل هذا الى مزيد من التشوهات على المدى الطويل .. وعلى العلم ان يدرس ويجمع الاحصائيات الدقيقة ، لنعرف كيف يجيء الخطأ ، وندرك بذلك رؤوسنا من ارجلنا ، ولا نلقي بأخطائنا جزافا على مبدع هذه الاكوان .. « الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى » .. وفي ذلك الكفاية « لقوم يتدبرون » . ■■

الاسكندرية - د . عبد المحسن صالح

مسرحية الوافد

لميخائيل رومان



بقلم : الدكتور علي الراعي

الكاتب المسرحي المصري ميخائيل رومان واحد من اهم الكتاب الذين افرزتهم الحركة المسرحية المصرية ابان ازدهارها في الستينات . وعلى كثرة ما كتب هذا الفنان للمسرح وللاذاعة وللتليفزيون ، فهو لم يلق بعد ما يستحق من تقدير ، ولا تزال اعماله الكثيرة في هذه المجالات مبعثرة او غير مجموعة ، بل اخشى ان اقول ان بعض المسرحيات قد فقد او هو في طريقه الى الضياع .

وفي قلبي ركن دافىء لميخائيل رومان وفنه . واني لأرجو ان تواتيني الفرصة كي اعطيه بعض ما يستحق من تقدير وفاء له وعرفانا بالجميل الذي قدمه للمسرح العربي خاصة .

كتب ميخائيل رومان مسرحيات اجتماعية وسياسيه كثيرة منها : « الدخان » و« المعار والمأجور » و« العرضحالجي » و« ليلة مصرع جيفارا العظيم » و« الوافد » .

وقد اخترت ان اتحدث ، من بين هذه المسرحيات كلها ، عن مسرحية « الوافد » لأنها مسرحية سياسية من لون مختلف عما نألفه في المسرحية السياسية . فالمؤلف فيها لا يتحدث عن مشكلة سياسية بعينها ، في بلد معين ، أو حتى في قارة بأكملها ، وانما هو يعالج مشكلة الفرد المطحون بين عجلات هائلة ، تسحقه ، وتدوس كرامته ، وتحاول ان تبث فيه الاحساس بالضآلة. وهذا

الفرد ـ في رؤية الكاتب ـ موجود في كل مكان تقدم فيه الآلة على الانسان ، وتعبد هذه الآلة ، وتبذل لها القرابين في كل يوم ، من عقول وأرواح وأجساد البشر .

الانسان والآلة

هي آلة لا انسانية ، شديدة الوطأة ، قاسية الانضباط ، بلغ من كفاءتها انها أصبحت الهدف الاساسي في الحياة . هي التي تحدد للناس أدوارهم ووظائفهم . وهم ينتسبون اليها بفضل أزرار كثيرة جدا . لكل فرد من الناس زر واحد . وعمله الوحيد ، ووظيفته في الحياة هي : أن يضغط على الزر الذي هو موكل به .

وتبدأ المسرحية ـ وهي من فصل واحد ـ وقد وصل أحد المسافرين ، واسمه « الوافد » الى فندق ، بعد سفر طويل مجهد . وصل وهو يتضور جوعا ، فجلس الى احدى الموائد ، واخذ يمنى نفسه بالطعام الفاخر الذى ينوى أن يطلبه .

ولا يلبث الوافد طويلا حتى يأتي اليه شخص يسميه الكاتب : « المندوب » ، فيعانق الوافد بحماس ، ويروح يتحدث اليه كأنه صديق قديم حميم . ويقابله الوافد في برود ، فهو لم يسبق له أن تعرف اليه ، لكن المندوب لا يعبأ ببرود الوافد ويروح يجرى وإياه حوارا غريبا ومضحكا ، سر الضحك فيه ان الوافد ينكره ، ولكنه لا يستطيع ان يرفضه أيضا ، فثمة شعور داخله يحذره من ان يغضب او يحتج اكثر مما ينبغي . فهو في مكان غامض حقا . وذلك المندوب يعرف عنه كل شيء . اسمه ، واسم ابيه ، واسم امه وعمره وعمله ، وأين يسهر ، ومحل اقامته ، وكم ولد لديه واسم زوجته ، ولماذا تزوجها ، ومتى .

ثم يعرض المندوب على الوافد ، ان يعمل معه في الفندق ، فيحرج الوافد حرجا واضحا ، ويتردد ، ويأسف المندوب لموقف الوافد لأن هذه هي فرصة العمر بالنسبة « لصديقه » الوافد ، ثم يتركه لأنه مضطر الى السف ويغادر المندوب المكان وهو يوصي الوافد أن يتصل به

ويدخل المنظر خادم الفندق ، وما ان يحييه الوافد تحية جائع مشتاق حتى يفاجئه هذا بأن يطلب اليه ترك المائدة ، لأنها تقع في مكان مخصص للزبائن العاديين . وهؤلاء يأكلون ما يقدم لهم ، لا يختارون طعامهم بأنفسهم . يأكلون من أربع قزانات كل قزان في ارتفاع عمارة . وهي تحوي خضارا وارزا وسلطة وفاكهة ولحما . هذا هو طعام الملايين . كل منهم يأكل كما يأكل الآخر . على ان هناك مجالا للممتازين كي يختاروا ما يشاءون من لذيذ الطعام !

هل أنت معنا

ويندفع الوافد في طلب الأكل الممتاز . ديك رومى لا . يغير رأيه الى حمام لا . يغير رأيه مرة ثانية الى فخذ خروف مشوية على نار هادئة . او : لماذا لا يأكل قطعة من فخذ غزال ؟ الحلو ؟ ندعه جانبا الآن .

وبغتة يفاجيء الخادم الوافد بسؤال . هل انت معنا في الفندق ؟ ويرتج على الوافد ويقرر وهو يتلعثم ـ انه بالفعل من عملاء الفندق . فيسأله الخادم عن رقم الغرفة . فيدلى برقم ٦٦ . ويعود الخادم ليسأل متى جئت ؟ فيقول الوافد · من ساعة . بالضبط ؟ ـ يسأل الخادم . ويرد الوافد · لا أعرف . ويسأل الخادم · جئت بالطائرة ؟ ويقول الوافد لا .

ثم لا يلبث الحديث بينهما أن يتحول الى تحقيق يجريه الخادم مع الوافد في صراحة وانضباط ، يتكشف معها ان كل شيء في هذا المكان محسوب بدقة . المسافة بين المحطة والفندق ، ستغرق كذا دقيقة ، اذا جاء الزبون ماشيا ، وكذا دقيقة اخرى اذا جاء راكبا حنطورا ، ودقائق ثالثة اذا جاء بالتاكسي .. الخ .

ولما يعجز الوافد عن الادلاء بالمعلومات الدقيقة

المدربة ، يطلب اليه الخادم أن يصاحبه لاداء بعض الاجراءات الشكلية . ويحتج الوافد ، ويصرخ ، ويتمادى في صراخه ، فيشير اليه الخادم أن يجلس فوق المقعد الوحيد ، ثم يخرج .

وهنا يدخل « المسئول » فيتعرف عليه الوافد ـ أو هكذا يقول هذا الأخير ـ ويأخذ الاثنان في استرجاع ذكريات الماضي ، أيام طفولتهما وفجأة يتخذ الحوار شكل مظاهرة سياسية يشترك فيها الاثنان ، يهتف فيها الوافد : الى الامام يا رجال ، ويرد المسئول : الحرية أو الموت . وتتردد شعارات : الى الامام ، الموت للاستعمار ، الجهسوا الى قصر النيل ، الموت للجبناء . في سبيل السلام . في سبيل كل الشعوب .. الخ .

ويندمج المسئول في دوره ، ويهتف في حقد جنوني : « الكلب على خشش خانتنا » . ويرد الوافد : « الكلب اسماعيل صدقي خانتنا » . ويتبادل الاثنان ذكر اسماء باقي الخونة . ويتحول الموقف الى مظاهرة وطنية متخيلة ومرتجلة يقع فيها الشهداء ، وتتردد الاناشيد الحزينة ، يبدأها الوافد ، ويتلقفها المسئول في حماس .

وفجأة يهبط حماس المسئول الى قرب الصفر ، ويفقد اهتمامه بصاحبه ، وينتهي الموقف الى الواقع الأرضي المر ، بعد هذه الشطحة التراجيكوميدية . ويتذكر الوافد جوعه ، فيرجو صديقه ان يتوسط له حتى يأتوه بطعام ، وهنا يسقط السؤال الثقيل على رأس ـ الوافد . يسأله صديقه هل انت معنا في الفندق ؟

وينهار الوافد مرة اخرى ، ويقرر العدول عن الطعام ، فيقول المسئول ، لا يمكن . ان الأكل هنا اجباري .

ثم يشرح المسئول للوافد عمله في هذا المكان .. فهو مسئول عن أن يضغط زرا من الازرار مخصص له . والمسئول فخور بهذا العمل المجيد . انها مسئولية ضخمة جدا ، كما يؤكد للوافد .

وفجأة يعتلي المسئول مقعدا ، ويخرج ورقة من جيبه ، ويمسك بكبر وهمي للصوت ويتحدث عن الوافد . يصفه للمستمع في الطرف الآخر بأنه مقطوع الصلة بالزمان والمكان . مليء بالامراض المستعصية ، متورم الذات ، يعتقد انه فوق العامة ، وانه نادر المثال . امثاله يصرخون وهم على المشنقة : « انا القانون . أن الدولة » .

طبقا للتعليمات

ويحاول الوافد مدافعا عن نفسه : الا يمكن ان اكون ثوريا وتقدميا بالقياس الى عصري ؟ فيجيب المسئول : ليس لدي تعليمات بهذا . فيسأل الوافد : وان جاءتك تعليمات ؟ فيرد المسئول : تصبح تقدميا ، او ثوريا ، وعظيما ، ومجيدا وخالدا .

ويكرر الوافد عدوله عن طلب الطعام ، فيرفض الآخر هذا الطلب . ثم يتبين الوافد انه ـ في الحقيقة ـ معتقل في هذا المكان : لا طعام ، ولا خروج ، حتى يستدعى الخبير للنظر في أمر الوافد .

ويأتي الخبير ، فيتبين الوافد فورا انه صديق له حميم . ويطلب الوافد الى صديقه أن يعده ، قبل المضي في حديث الذكريات أن يخبره أولا : هل هو الآخر يعمل على زرار . فيجيب الخبير فورا ، وبكل بساطة : طبعا !

ويقول له الخبير ، عرضا : « انت معنا في الفندق طبعا . وحين يحتج الوافد ، يقول له الخبير انه لا يستطيع التعامل معه قبل ان يستكمل المعلومات عنه ، كي يعطيها للآلة . وبدون هذه المعلومات لن تصرف الآلة الطعام الذي يطلبه . وما لم يدل اليه الوافد بالمعلومات المطلوبة ، فسيصبح نكرة في هذا المكان .

وهنا تعلو ثورة الوافد ، ويشتد صياحه ، فيصيح في الموجودين :

انتم ، واحد ، واحد ، انا احتقركم . كلكم عبيد . نكرات مخلوقات بلا مواهب ، ولا أطماع ، ولا أحلام ... أنا حر . أنا حر . تحررت من كل قيد : من التذكرة ،

والبطاقة ، وحقيبة السفر . وكل ما تفعلونه لا يهمني ولا يهز لي شعرة . اعظم منه بيت في قصيدة أو اغنية في فم بكر ، او وردة همجية في البراري ، وانتم وكل الالات والأزرار والاجهزة والمعدات ، كلكم علامة على تدهور العصر . عصر الاصابع والازرار ، والمكن الحديد .

ويمضي الوافد في ثورته ، فيفضل على التقدم الآلي الجهال في يد فلاح فرعوني قديم ، ومغزل الصوف في يد كهل اشيب ، ويشيد بحسن النخيل الحزين والسواقي الناعية ، والسواد الذي تتشح به العجائز كأنهن في جبانة فرعونية من أيام رمسيس . وهو وحده ...

وفجأة يخيل اليه انه يسمع صوتا منذرا : انا سامع واحد بيقول : نفسك في ايه ؟ لا . انا مش عاوز اموت . لا . لا . لا . لا . محدش يسألني نفسك في ايه . مش عاوز حد يسألني نفسك في ايه . لا . لا . لا .

وعلى هذه النغمة الملتاعة ، اليائسة ، المرعوبة ، تنتهي المسرحية .

كوميديا مرة

يسمي ميخائيل رومان هذه المسرحية : كوميديا . وهي كذلك بالفعل ، ولكن ، اي مرارة تكتنف الكوميديا فيها ، واي شجن يتخلل الضحكات ! انها من نوع الكوميديا التي يضحك فيها الانسان حتى يداري بكاءه .

والمشهد الذي يلتقي فيه المسئول بالوافد ، فلا يلبثان أن يؤلفا مظاهرة سياسية دموية ، يتخيلان فيها الدم جاريا والشهيد ملفوفا بعلم ، وجموع المتظاهرين تهتف بسقوط الخونة ـ هذه المظاهرة ، وتلقائية تأليفها ، واندفاع المسئول الى المشاركة فيها والهتاف بحقد جنوني ، ثم هبوط حماس المسئول بعد ثوان الى درجة الصفر ـ هذا كله هو من تكتيك الكوميديا المرتجلة . حيث امثال هذه المشاهد العفوية تنبثق فجأة بين اثنين من الكوميديانات : يبدأ احدهما بفكرة ، فيشاركه الآخر بفكرة اخرى وتمتزج الفكرتان ، وتصبحان مشهدا مسرحيا قصيرا ، يوزع فيه الدوران توزيعا فوريا ، وتستمر هذه المسرحية القصيرة برهة ، حتى تستنفد الغرض منها ، فتختفي .

غير ان هذا التكتيك العفوي المظهر ، لا يستخدم في : « الوافد » من اجل الاضحاك . انه في الواقع غوص مفاجيء في لا وعي الشخصيتين ، نعرف منه ان كليهما كان صاحب مبدأ ، ناضل من أجله . هذا هو السبب في ان المسئول ينسى نفسه ويندمج في ماضيه للحظات ، ثم يثوب الى رشده ، فيهبط حماسه ويواصل دوره الجديد

اما الوافد ، فواضح انه على العهد مقيم ، وان اضطر الى ان يدفن مبادئه واحلامه في قاع النفس ، انه يصف نفسه لصديقه الخبير قائلا : « عشرين سنة والالوف وراء بعضها وحوش كواسر . وأنا فوق الاكتاف من قدام ، في وش المدفع . ... كل ما آجي أمشي في شارع الاقي الشارع زحمة . اضطر ادور على حارة جانبية ، امشي فيها عشان اوصل » .

فهو مناضل ملاحق اذن . وهذا هو السبب في انه لا يجد لنفسه مكانا في الفندق . ولكن ما هو معنى الفندق ، وما مغزى ما يدور فيه .

الفندق قد يكون الحزب في دولة تؤمن بالحزب الواحد . هذه الدولة ، على قدرما نستطيع الاستشفاف من النص ، قد جندت مواطنيها جميعا لخدمة اغراضها وفرت لهم الغذاء والكساء ، والعيش المادي المعقول ، وحولتهم ـ في مقابل هذا ـ الى أرقام وبطاقات وخانات ، وهويات ، وجعلتهم مادة تبتلعها آلات الكومبيوتر ، التي أصبحت هي وحدها سيدة الموقف .

هي دولة يتحكم فيها التكنوقراط ، اذن . وفي خلال العشرين سنة السابقة على الحوادث ، ابتلعت الدولة ـ الآلة ـ جهود كل الناس ، ونظمتهم ، وأوكلت الى كل منهم زرارا يضغط عليه ، فيؤدي مهمته . والقي في روع المواطنين ان هذا العمل جليل خطير الشأن ، يستحق ان يكرس له المرء حياته كلها .

وليس فقط المسئول ، هو من باع ماضيه النضالي ورضي بأن يصبح اصبعا ، يضغط على زر . هناك ايضا الخير ، وهو واحد من أصدقاء الوافد . وهذا فتكت به الايديولوجية الآلية الى حد انه قبلها بلا صراع فهي شيء طبيعي جدا ، بالنسبة له . هذا ما يجعله يرد على سؤال الوافد ببساطة قائلا : « طبعا » ، حينما يسأل الاول ان كان هو الآخر قد اعطى زرارا .

بل ان حسنية ، صديقه الوافد فيما مضى ، واحدى المعجبات به ، قد قدمت هي الاخرى الى الجبل ، وانضمت الى الفندق ، وتزوجت ، واخذت تعمل في رصي

الوافد فقط ، من بين اصدقائه ، وهو الذي رفض الانتماء الى الحزب ـ الفندق . وهو لهذا ، ملاحق ، مضيق عليه . ليس هذا وحسب ، بل انه الآن نكرة . لان جميع الوثائق التى كان من الممكن ان تثبت هويته ، قد ضيعها هو ، او ألقى عليها التراب ستارا كثيفا اصبح من المستحيل معه العثور عليها .

ويرى الوافد هذا الوضع المادى القاتل ، فيرفضه في شدة ، ويعلن رفضه في ثورة غاضبة عارمة . ويمضى به الغضب فيعميه ، اذ يجعله يفضل عصر ما قبل الآلة ، على هذا العصر المميكن ، البارد الحس ، العديم القلب .

غير ان هذه انما هي ثورة العاجز . لهذا ، تمتد اليه يد الآلة ، وتقتنصه في برود وتصفيه !

ان الوافد صرخة احتجاج ضد كل ما يهدر انسانية . الانسان ضد عبادة الآلة والكفر بالبشر . تدين كل ما يخنق الحب في القلب ، ويصادر الحلم في النفس ، ويلطخ في الانسان ، اجل ما في الانسان : حب الحياة . حب الحرية .

ان بها الاحتجاج الدفين ذاته الذى تجده عند كافكا ، وعند بيكت ، وعند يونسكو وعند ميخائيل رومان في مسرحياته الأخرى ، وخاصة : « الدخان » ! ■■

د . علي الراعي

بلزاك و .. الحمار ! !

● زعم الكاتب الفرنسي المشهور بلزاك انه يستطيع التنبؤ بمستقبل الناس من دراسة خطوطهم . فجاءته احدى السيدات وقدمت له ورقة عليها بضعة أسطر قائلة ، انها لصبي في سن العاشرة .

وتمعن بلزاك في الورقة ثم أجاب : ان صاحب هذا الخط سيبقى حمارا الى الابد .

فضحكت السيدة وقالت على الفور : ـ ان هذا الخط هو خطك انت عندما كنت في العاشرة من عمرك .

الدرويش

قصة : محمد صالح القمودي

المكان .. باريس ، والزمان .. عصر شتاء مطير ، والموقع .. قرب قوس النصر ،والظرف ..في زحمة المتسابقين خلف مصالحهم ، والحدث : كهل يتكىء فوق فتحات القطار النفقي محتميا بدفئه ، ناظرا الى العالم المضطرب من حوله في سخرية،وهو يرتشف جرعاتمن زجاجة نبيذ رخيص،ويدندن اغنية من مختارات الصعاليك .

■ شعاع من شمس يخترق الحجب باسما كانه يضحك مما يرى ، وانا اقترب من الكهل،واجتازه ظنا مني بانه واحد من دراويش باريس الذين يهيمون على وجوههم في العاصمة الكبيرة ، يبيتون في انفاق القطار او تحت القناطر .. ويعبون النبيذ كلما حصلوا على (فرنك) يشترون به زجاجة من اردا الاصناف .

توقفت عن السير فجاة وقد سمعت عجبا : الدرويش ينطق بلسان عربي مرددا اغنية شعبية يقول مطلعها : في الغربة فني لي .. عمري ضاع .

هل انا في قطر عربي أم في فرنسا ؟ !

مبلغ علمي ان دراويش باريس .. هم من (الكلوشار) الفرنسيين الرافضين لبنية مجتمعهم جملة وتفصيلا ، والغارقين في حياة خاملة مخدرة بسكرة صحوة منه .. لكن ان ينطق احدهم بلسان عربي يردد اغنية شعبية ، فالامر محير يتطلب الاستجلاء .

جلست على مقعد قريب من مجلس الدرويش، واخذت اراقبه من خلف صحيفة تظاهرت بقراءتها .. لقد تجاوز الستين ، اشتعل الراس منه شيبا ، وتساقطت الاسنان وهنا وهنا ، وتغضن الوجه هما .. رث الهندام ، زرى الهيئة ، مشتت الافكار .. لا يكاد يكمل فقرة من اغنية حتى ينتقل الى ابيات يتلوها في نبرات مسرحية :

- ساعيش رغم الداء والاعداء
كالنسر فوق القمة الشماء

ارنو الى الشمس المضيئة هازئا
بالسحب والامطار والانواء

واذا ما ابصر سيدة تمر .. امطرها بوابل من كلمات الغزل ، ثم عاد الى غنائه وتلاوته .

وفجاة !

التفت وكانه قد احس بنظراتي الفاحصة ،

اخفيت وجهي خلف الصحيفة،وتهيات للنهوض والابتعاد ..

لكنه قفز نحوي وامسكني من ذراعي صائحا :



ـ اهلا بولد عمي !

متلعثما قلت :

ـ اهلا وسهلا ..

ثم محاولا الافلات :

ـ سلام عليكم .

لكنه تعلق بطرف ثوبي صائحا :

ـ وهل الخروج من الحمام مثل الدخول اليه؟!

ثم آمرا :

ـ اجلس !

جلست على مضض وانا العن فضولي سرا . لاحظ الدرويش كدري فقال :

ـ لا تخف ، ساروي لك قصتي ولن يكلفك ذلك غير فرنك واحد فقط . حياة كاملة بفرنك، يـــا بلاش !

قلت ملاطفا :

ـ ما بالك قد اهملت نفسك يا اخي ؟!

اختار بيتا من الشعر ليجيب ..

ـ لا تحتقر صغر النجوم فانما
اعلى الكواكب ما استبان ضئيلا

ـ انا لا احتقرك وانما ارثي لحالك .

وهو يمسح دمعة سالت على خده ، قال :

ـ لو عرفت قصتي ، لرثيت لي اكثر .

ـ وما قصتك ؟!

ـ منذ عشرين سنة .. كنت مواطنا عاديــا كملايين المواطنين من سكان المغرب العربي .. اعيش على دخل بسيط انفقه على زوجة وفية وابناء بررة .. واستمتع بدفء الشمس وحرارة الاخوة الاسلامية .. لكن رفيقا للسوء اخرجني من جنتي .

ـ كيف ذلك ؟

ـ خدعني باوهامه فرافقته .

ـ وزوجتك واولادك ؟!

ـ ادعيت لهم انني اتغرب طلبا للرزق .

ـ ورفيق السوء ؟

ـ سرق مدخراتي وهرب ،فلم اره بعد ذلك ابدا .

ـ ماذا صنعت وحدك في اوروبا وبلامال ؟

ـ رضيت باتفه الاعمال واشقها حتى لا اموت من الجوع .. ثم عاقرت الخمر حتى ادمنتها .

ـ الم تفكر يوما في العودة الى زوجتــك واولادك ؟ !

ـ فكرت مرارا وحلمت بالعودة الى الشمس والدفء والصفاء .. لكنني اخفقت في العودة .. اخفقت .

ـ لكن .. لماذا ؟!

ـ ام الكبائر دفعني من هاوية الى هاوية .. عشقت امرأة ساقطة وعشت معها اتجرع الهوان.. امتصت شبابي حتى اذا ما وهن العظم مني لفظتني كالنواة ، فصرت درويشا يهيم على وجهه .. لايصحو الا ليسكر لان الواقع ابشع من ان يتحمله.

ـ اليس من الاحفظ لكرامتك ان تعود الــى بلادك ؟

ـ وهل يعود الموتى الى بلدانهم ؟!

ـ لكنك حي ترزق !

ـ بالنسبة لزوجتي واولادي ، انا ميت منذ مدة طويلة .

ـ كيف حدث ذلك ؟!

ـ عندما ايقنت الا فائدة مني .. جمعت مبلغا من المال ارسلته الى زوجتي ، مدعيا انه من صديق صرف تعويض وفاتي وارسله الى ارملتي.

ـ وهل صدقت زوجتك ذلك ؟

ـ لا ادري .. الاخبار التي استقيتها تؤكـد بانها رفضت الزواج ثانية ، وبانها كرست حياتها لتربية اولادها .

ـ وكيف هم الآن ؟

ـ احدهم طبيب والآخرون بين مدرس ومهندس وضابط .

ـ يالها من ام عظيمة زوجتك !

ـ احلم بها كل ليلة .. كما يحلم المطرود من الفردوس بالجنة الضائعة .

.. وتوقف الدرويش عن الحديث ، ثم مسح دموعه وهو يهتف :

ـ اعجبتك قصة حياتي ، اذن فقد صرت استحق زجاجة من النبيذ !

وما ان استقرت الفرنكات القليلة في جيبه ، حتى نسي وجودي وعاد الى مجلسه فوق فتحـات القطار النفقي النبيذ ويدندن . ■■

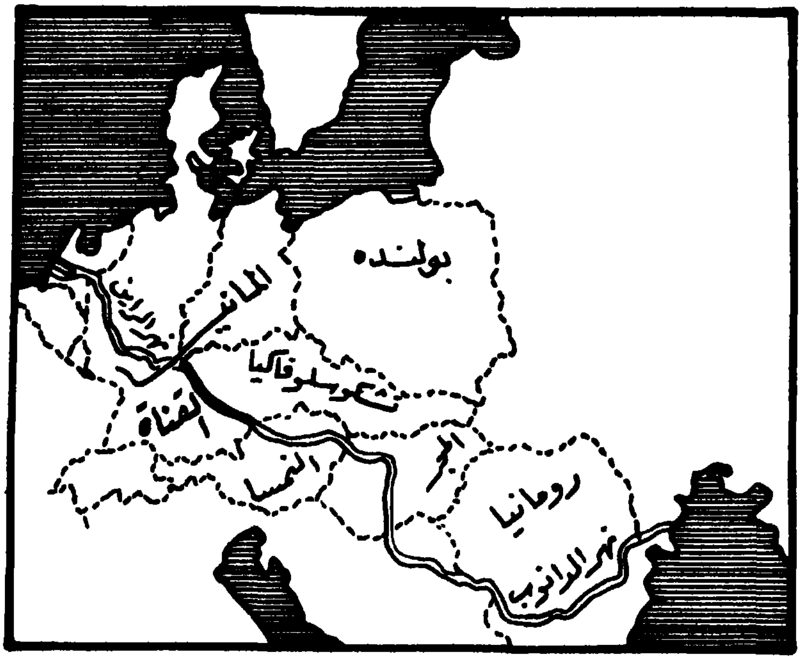
باريس ـ محمد صالح القمودي

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

حفرة شارلمان

بدأ العمل في شق قناة تصل بين نهري الراين والماين من جهة وبين نهر الدانوب من جهة اخرى ... وسيبلغ طولها ١٧١ كيلو مترا وعمقها ٢٥ مترا وستعبد بالاسمنت في قاعها وجدرانها . وستكفل « حفرة شارلمان » ، كما يرغب في تسميتها الكثيرون ، استمرار الملاحة من بحر الشمال الى البحر الاسود ... عبر مسافة ال ٣٥٠٠ كيلو متر التى تقطعها تلك الانهر .

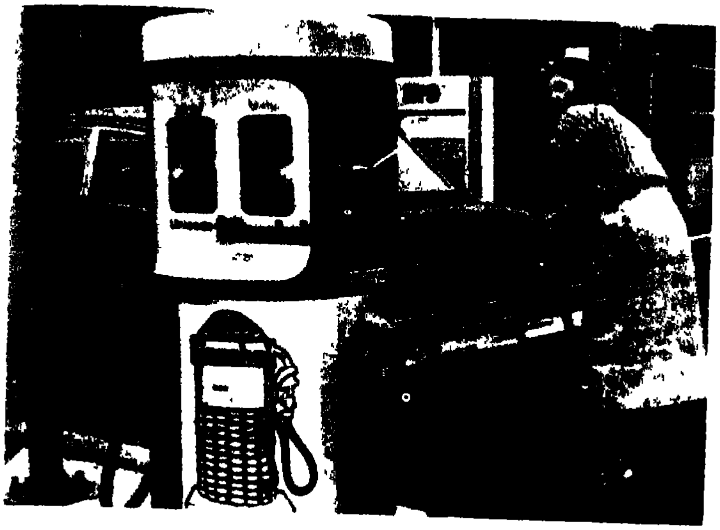


اما الباعث على تسميتها حفرة شارلمان فهو ان فكرة حفر هذه القناة خطرت اول ما خطرت لشارلمان قبل اكثر من الف عام . وبالرغم من انه لم يفعل شيئا في سبيل تحقيقها فان اسمه التصق بالقناة وكأنه حفرها بالفعل ... هذا بالرغم من ان امير بفاريا لودفيج الاول كان اولى بالشفعة وقد حفر في القرن الماضي القناة الاولى التي وصلت بين النهرين .

ومما يذكر عن القناة الجديدة انها ستمر بهضبة يبلغ ارتفاعها حوالي ٣٥٠ مترا فوق مستوى سطح البحر . والاهم من ذلك انها ستحفر فوق سطح الارض وتتخذ شكله فتتسلق التلال وتهبط حيث الوديان ، كما هو الحال في قناة بناما . وستنطلق الحفرة من بلدة بمبرغ على نهر الماين فلا تكاد تبتعد عنها حتى تتسلق هضبة يبلغ ارتفاعها ١٧٠ مترا ... ومعنى هذا ان القناة ستكون مدرجة ـ كما هي قناة بناما ـ وتعتمد على المضخات والحواجز للتحكم بالمياه وفق الحاجة .

وسينتهي العمل في القناة المزمعة سنة ١٩٨٥ .... وستكون المنافع المترتبة عليها كبيرة ومتنوعة ، تشمل فيما تشمل الري وتوليد الكهرباء ... علاوة على ضمان استمرار الملاحة النهرية على نحو ما اسلفنا .

« الجازوهول »
وازمة البترول
فــى امريــكا



● تسببت احداث ايـــران بتوقف ضخ النفط الايرانـــى مدة اسبوعين او ثلاثة .... ثم عاد البترول الى التدفـق بعدها كالعادة ... ولـكن التوازن بين العرض والطلب فى صناعة البترول وتجارته بلغ من الدقة والحرج ما جعل لذلك التوقف اثارا بالغـــة الخطورة ... وقد تجلت هذه الاثار فى الولايات المتحدة ، وبخاصة فى ولاية كاليفورنيا، اكثر الولايات المتحدة عـــدد سكان واكثرها عدد سيارات ولو تسنى لك مشاهدة ارتـال السيارات المصطفة امام محطات البنزين فى لوس انجلس وهوليود وغيرهما من المدن ، تنتظر دورها ، حتى اذا مضى ساعتان او ثلاثة وكادت اللقمة ان تصل الى الفم ، اعلنت محطة البنزين توقفها عن الضخ فى ذلك اليوم وذلك لنفـــاد مخزونها ... لو تسنى لـــك رؤية السيارات التى اضطـر اصحابها لتركها امام منازلهم او على جوانب الشوارع بسبب عدم توفر البنزين ... ولو تسنى لك مشاهدة اصحـــاب تلك السيارات ، وبعضهم من اصحاب الملايين الذين يمتلك الواحد منهم عدة سيارات ، كيف اضطروا لركوب الباصات والقطارات ، وربما لاول مرة منذ ايام الحرب العالمية ... لو تسنى لك مشاهدة ذلك كله لحسبت ان الولايات المتحـــدة الامريكية تخوض حربا عالمية ثالثة ،حرصت على الابقـــاء على اخبارها العسكرية طى الكتمان ...

وراع السلطات المعنية مـــا رات وما ادى اليه توقف ضخ النفط الايرانى المؤقت وراحت تسن القوانين وتضع النظـم وتتخذ الاجراءات الكفيلة بتحاشى ما تنـــذر به الازمـــة من تفاقم حاليا او مستقبلا ... ولجات بعض شركات البترول الى مزج بنزين السيارات بمادة كحولية مستخرجة من المصـــادر النباتية او الحيوانية التـــى تحتوى على النشا والسكر ، (راجعها نشرناه فى هذا الباب فى العدد ٢٤٤ صفحة ٦٢) ..

ومع ان نسبة هذا الكحول فى المزيج لا تزيد على ١٠٪ ونسبة ما يستطيع توفيره من البترول لا تزيد بالتالى على ١٠٪ ايضا فان المعنيين فـــى الولايات المتحدة يعلقون عليه اهمية كبيرة جدا ... ذلـــك ان مقدار ما تستهلك الولايات المتحدة من بنزين السيارات بلغ من الضخامة بحيث ان العشر الذى يمكن توفيره تبعا لاستعمال الجازوهول لا يقل عن ١٠ ملايين جالون بنزين سنويا ... هذا بالطبع اذا شاع استعمـــال الجازوهول وعم محطات البنزين جميعها ... وذلك فى الولايات المتحدة كلها ... وهو ما لا ينتظر وقوعه قبل منتصـــف الثمانينات ... اما الان فعدد المحطات التى تضخ الجازوهول

لا تزيد على ٥٠٠ محطة ، اى ١/٥ من عدد المحطات التى درجت على ضخه فى الماضى غير البعيد ... فى الثلاثينات من هذا القرن ...

الجازوهول اذن ليس جديدا ... وقد انتشر الجازوهول فى الولايات المتحدة كذلك سنة ١٩٧٤ ، ايام حظر النفط العربى .... وكانوا يسمونه انذاك « ممدد الجازولين » Gasoline Extender .

ماموث روسى يزور لندن

● زار لندن فى شهر مايو الماضى طفل سوفياتى عجيب . انه طفل ماموث صغير اكتشفوه مدفونا فى الجليد قبل نحو سنتين .

كان ذلك فى يونيو عام ١٩٧٧ ، وفى منطقة نهر (ديما) احد روافد نهر كوليما وهى منطقة تقع بمحاذاة القطب الشمالى الى الجنوب وقد ثبت للعلماء أن الماموث الطفل (او ديما كما سموه) لا يزيد عمره على ٧ - ٨ شهور وان الزمن الذى مضى عليه وهو مدفون فى الجليد على عمق نحو ٣ امتار ، لا يقل عن ٥٠٠ر٣٩ سنة .

ويبلغ طوله ٤٥ بوصة وار...اعه ٤١ بوصة . اما خر... الذى يبلغ طوله نصف طو... وث نفسه ... بالضبط ٢٢ بوصة ... فقد ظهر عليه ، عند فتحته ، مثل الاصبعين اللذين طالما لاحظهما العلماء فى رسوم الماموث على جدران الكهوف ... وبلغ من صغر سن ديما انه كان بلا انياب وبلا شعر ، ما خلا بضع جدلات هنا وهناك .

على ان اهم ما يذكر عن ديما انه اول ماموث يكتشفونه من مماميث ما قبل التاريخ .. وانه اول ماموث يكتشفونه كاملا منذ زمن طويل . فقد اكتشفوا الكثير من عظام الماموث او اسنانه فى الاصقاع الشمالية ، الامريكية والسوفياتية .. وحتى فى انجلترا وغيرها من البلاد الاوروبية الا انهم لم يكتشفوا ماموثا كاملا مثل ديما طيلة المائة والخمسين سنة الماضية .

ومن طريف مايذكر ان العلماء عثروا على بقايا نباتات نصف مهضومة فى معدة ديما وامعائه وهم يأملون فى التوصل الى الاجابة على عدة اسئلة مازالت مبهمة كالاسباب التى ادت الى انقراض الماموث ، وصنوف النباتات التى انتشرت فى العصر الجليدى الاخير الذى انتهى قبل ١٠ - ١٢ الف عام وانتهى معه عهد الماموث .

اما اغراض الزيارة التى قام بها ديما الى لندن فعلمية او اعلامية ، وذات صلة بالمعرض السوفياتى الذى اقيم فى العاصمة البريطانية فى الربيع الماضى ... وتجدر الاشارة ان قيمة التامين الذى شمل سلامة ديما بلغت ٨ ملايين جنيه .

قمر صناعى لتجميع الطاقة الشمسية

● يبدو ان النية متجهة الى اطلاق قمر صناعى من نوع فريد ، قبل حلول عام ٢٠٠٠ .. اذ سيقوم هذا القمر بتجميع الطاقة الشمسية وارسالها امواجا قصيرة Microwave الى محطة شمسية خاصة على سطح الكرة الارضية ... وستبلغ مساحة سطحه ٥٠ كيلو مترا مربعا وسيتخذ له مدارا حول الارض فى الفضاء الخارجى بعيدا عن الغلاف الجوى ، حيث يمكن ضمان حصوله على ضوء الشمس باستمرار ....

اما مقدار الطاقة التى يمكن الحصول عليها بواسطة هذا القمر الصناعى فتساوى مجموع الطاقة التى تولدها خمس محطات نووية مجتمعة ... اى ان محطة الاستقبال الارضية التى ستلتقط الامواج القصيرة بواسطة هوائى ضخم بمساحة كبيرة تبلغ بضع كيلو مترات مربعة ... ثم تحول تلك الامواج الى طاقة كهربائية ... سيكون فى وسعها توليد ٥٠٠٠ ميجا واط كهرباء ...


ممر خيبر


تاريخ حياً !

ليست الرحلة الى ممر خيبر مجرد انتقال من مكان الى مكان ، ولكنها قفزة حقيقية ـ ماد، ومعنوية ـ من زمان الى زمان ، ومن عالم الى عالم مغاير ومختلف تماما .

هو مسرح كامل لتاريخ حي ، تختلط عليه الصور في تداخل مثير . الماضي والحاضر الاسطورة والحقيقة ، المجد والموت ، الطهر والخطيئة وعلى المسرح تقف قبائل « الباتان » ، اك مجتمع قبلي في العالم ، وقد اعتصموا وراء حصون من الاسوار والتقاليد ، وأطلوا على الكون بعيو الشك وفوهات البنادق . وبتراث غنائي تهدهد فيه الام رضيعها باغاني السيف والسهم ، ولا تخل فيه قصائد العشق من ذكر الدم .

موقع ممر خيبر

هو حقا واحد من أوسع معابر التاريخ ، وبباب باكستان الشمالي ، والباتان هم ايضا حراس الممر وحماته منذ قرون ، لكن الباب الشرعي للاثنين (الممر والباتان) يحمل اسما ثالثا هو « بشاور » .

وربما كان اسم بشاور غريبا على اسماع الكثيرين ، اذ ان ذيوع شهرة ممر خيبر قد طغى على كل ما حوله ، وخطف الاضواء من مواقع اخرى لا تقل عنه اهمية ولا عراقة ، ان لم تكن اهم واعرق ومدينة بشاور هي من ضحايا تلك الشهرة الكاسحة التي تمتع بها ممر خيبر ، وهي شهرة روج لها الكتاب والروائيون ومنتجو افلام السينما ، الذين وجدوا في ذلك الممر الذي يخترق هضبة سليمان بجبالها الشاهقة مسرحا تتوفر له عناصر الاثارة والتشويق ، فضلا عن « دراما » الاحداث التاريخية التي شهدتها المنطقة .

وهكذا انقلبت الاية حتى صارت بشاور هي مدينة الممر ، بدلا من ان يكون خيبر هو ممر المدينة . ولا اخفي انني كنت واحدا ممن جذبهم ممر خيبر دون غيره ، وان الرحلة الى ممر خيبر دون غيره ايضا ـ كانت هي الهدف الذي سعيت اليه ، ومنذ هبطت بنا الطائرة في كراتشي ، فتشت وسط الرطوبة الخانقة عن كتاب تشارلز ميللر « خيبر ـ قصة الجبهة الشمالية للهند البريطانية » . وما كدت اقرأ سطوره الاولى حتى وجدت المؤلف يتحدث عن « بشاور » ، وكيف انطلق منها الضابط البريطاني الفينستون ـ اول انجليزي يدخل المدينة عام ١٨٠٩ ـ ليعبر ممر خيبر ، برسالة من حكومة « جلالة الملك » الى ملك الافغان في كابول .

وعندما بدأنا رحلتنا الداخلية في باكستان متجهين الى ممر خيبر ، وجدنا انفسنا في مطار بشاور ، ومرافقنا « عناية الله » يدعونا الى استلام الحقائب ، لاننا قد « وصلنا » .

ووسط الدهشة والاستغراب استسلمنا ، حتى ادركت فيما بعد ان خطأ لم يحدث ، واننا مضينا في الاتجاه الصحيح

في المدينة الملكية

ذلك انه يصعب الفصل بين ممر خيبر وبشاور فالذين عبروا خيبر قادمين من اسيا الوسطى استخدموه كجسر يصلون منه الى بشاور ، والذين عبروا الممر قادمين من بلاد الهند لم يبلغوه الا بعد ان تمركزوا في بشاور .

وللدقة ، فانه عندما لم يكن للممر اسم ، عندما كان مجرد طريق مترب يتلوى وسط تلال هضبة سليمان ، كان للمدينة اسم مسجل في المدونات الاولى لتاريخ المنطقة ، هو « قندهار » ، وقد مر بها رحالة صيني اسمه « هسين تسانج » ، في القرون الاخيرة قبل الميلاد ووصفها في مذكراته بانها « مدينة ملكية » مليئة بالفواكة والزهور . وقتئذ كان الاريون قد عبروا الممر من وسط اسيا واستوطنوا في قندهار ، وبعدهم عبر الاغريق

انل جيش الاسكندر الاكبر ، وحكموا قندهار حوالي ' عام . وبقيت اعداد كبيرة منهم في المنطقـة ولا بصمات هذه الفترة بادية الان في ملامح وجوه بعض ـان . فضـلا عن تأثيراتهـم على ما عرف بمدرسـة ندهار الفنية » ، التي هي خليط من الفن الاغريقي بوذي ، وهي المدرسة التي اقامها « الكوشان » الذين قدموا من اواسط اسيا المتاخمة للحدود الصينية ، وكانوا ار من صور بوذا ونحت تماثيله ، اذ انشأوا هنا قانها بداية يخدم عقيدتهم الدينية كبوذيين ، ومحوره الاساسي بوذا الانسان والمبشر (في متحف بشاور مجموعة نادرة لاعمال هؤلاء الفنانين العظماء)

وظلت مواكب الغزاة تتوافـد عبـر الممـر على مدار التـاريخ من الشمال الهـون البيض والفرس والترك والمغول ، ومن الجنوب الهندوس والانجليز

وخلال تلك القرون كان للمدينة اسمها الكبير وكان للمر وظيفته كجسر ومعبر ، وتغيـر اسـم قندهـار الى « بشـاور » ـ مدينـة الزهـور في اللغـة السنسـكريتية (المدينة القديمة) . واطلق على الممر اسـم « خيبـر » ، الذي يرتبـط بدخـول الاسـلام . والمقتبس عن « جبـل خيبر » الذي حرت في ظله العروة الشهيرة على عهد النبي عليه السلام

واذا كان « بابر » اول امبراطور مغولي مسلم وفد الى المنطقة في النصف الاول من القرن السادس عشر ، قد تحدث عن بشاور في مذكراته التي كتبها بالفارسية ، معتوبا بجمالها وكثـرة زهورهـا ، الا انـه لم يذكر اسـم « خيبر » ، رغم انه عبره في قدومه من بلاد الافغـان الامر الذي قد يعني ان الاسم اطلق على الممر بعد ذلك خصوصا وان حكام كابول المسلمين اختاروا بشاور مقرا لهم ، حتى جاء الاحتلال البريطاني وحولها الى مقر قيادة قواته في جبهة شمال الهند ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، حتى تقسيم الهند وانشاء باكستان عام ١٩٤٧ .

١٦ بابا للمدينة

في منتصف الخمسينات ، كانت بشـاور مدينـة محاطة بسور كبير ، يتخلله ١٦ بابا ، كل باب يؤدي الى مكان هذا باب « لاهوري » وذاك باب « دهلي » ،



خريطة توضح موقع ممر خيبر

والثالث باب « كابولي » ـ هكذا كانوا ينطقونها ـ وكان الكابولي ينفتح على طريق يؤدي مباشرة الى ممر خيبر ، قبل ان ينتهي بالعاصمة الافغانية « كابول »

تهدم السـور الآن واندثـرت الابـواب ، واصبحـت « المدينة الملكية » هي المدينة القديمة ، وزحف سكانها خارج السـور ، وزرعـت الى جوارهـا مدينـة جديدة ، للحكام والعسكر واصحاب الوظـائف العليا . في نفس المنطقة التي كانت تتمركز فيها قيادة قوات الاحتـلال الانجليزي وصارت بشاور مدينـة مفتوحـة بلا سـور وبلا ابواب ، وزاد من انفتاحها على الجميع انها اختيرت عاصمة لمقاطعة الحدود ، احدى المقاطعات الاربع التي تتكون منها باكستان (المقاطعات الثلاث الاخرى هي البنجاب والسـند وبلوشـستان) .

واصبح عدد سكان بشاور ٣٥٠ الفا ، حتى اختلط فيها الحابل بالنابل ، وصـارت شوارعها وميادينها تضم مزيجا من البشر بمختلف الاشـكال والازياء ، تتـراوح لغاتهم بين الاردو (اللغة الام في باكستان) والانجليزية لغـة اكثـر المتعلمـين ، والبنجابـي والسـندي والباشـتو





(فوق) فريق من حراس مقر قيادة الحرس الوطني وقد اصطفوا في طابور الصباح -
(تحت) رجال قبائل الباتان قرب باب خيبر بأغطية رؤوسهم التقليدية (الكاب) ، وقد جلسوا فوق الارائك (الاسرة وقت اللزوم) في انتظار اتوبيس خيبر .

(الصورة الى اليسار) لممر خيبر ، وقد تلوى مخترقا جبال هضبة سليمان الصخرية ، واصلا بين باكستان وافغانستان .





(لغات محلية) .. قد تميز بينهم الباتان ، باغطية رؤوسهم الاقرب الى « الكاب » وعيونهم الخضراء ، والبنادق المعلقة على الاكتاف . لكنهم يذوبون وسط الجموع التي تزدحم بها المدينة ، والقادمة من انحاء باكستان للزيارة او للتجارة ، غير قوافل السياح التي لا تنقطع صيفا وشتاء .

وأكثر من ذلك ، فانت في بشاور تلمح بعض النسوة في الشوارع بين الحين والاخر ، اكثرهن يلتحفن « البردة » او « البرقة » الشهيرة ، وهي الملاءة التي تغطي الجسم كله ، من قمة الرأس الى اخمص القدمين ، وتتخللها ثقوب صغيرة امام العينين للرؤية ، وتكاد تكون الزي الشائع في افغانستان . وظهور هؤلاء النسوة في الشوارع يعني على الفور ان بشاور لم تعد عاصمة « الباتان » .. كما كانت ، ويعني ايضا انك لست في مجتمع باتاني خالص . وانما مجتمع تسللت اليه تقاليد غريبة ، وانفلت عياره ، حتى خرجت نساؤه للتسوق في الشارع !

امتثالا لدواعي الامن !

واذا كانت بشاور الان مدينة شبه عصرية ، تنتمي في وجه منها الى القرن العشرين بجامعتها الكبيرة ومراكز بحوثها ومستشفياتها وحي الارستقراطية الباكستانية ، العسكرية والاقتصادية ، الا ان الحي القديم ، او بشاور القديمة ، ما زالت ثابتة على العهد

. في الحي القديم ترى وجها اخر لبشاور ، يتجسد في السوق ، او « البازار » كما يقولون هناك . اذ تختلط فيه رائحة « الكباب » المشوي على الارصفة بقعقعة كاسات الشاي الاخضر (يسمونه القهوة ـ والقهوة المعروفة عندنا يسمونها « كوفي » ! ويعرفها الاغنياء فقط) وتصطف هذه الكاسات تحت « السامورفار » الذي توقد ناره بالفحم او الاخشاب ، وتتداخل معها اصوات مطارق الحرفيين المهرة في زخرفة النحاس ، وصيحات باعة احذية الباتان المطرزة والمقوسة الاطراف . هنالك الباعة والمشترون والمتسامرون ، يجلسون القرفصاء في تلك المحلات المتلاصقة والصغيرة ، التي يصعب احيانا ان ينتصب الفرد قامته في داخلها .

وربما كانت قسمات الوجه القديم اوضح ما تكون في « شارع القصاصين » ، الذي لا يخلو من ذكره اي كتاب او اي نشرة سياحية عن بشاور ، واسمه المتداول هناك هو : « قصة خواني بازار » وهو اسم مشتق من « وظيفة » تاريخية لذلك الشارع ، الذي كانت مقاهيه في الازمنة السابقة هي ملتقى التجار والشعراء والجنود والمغامرين ، القادمين من بلاد العرب والهند والسند وخراسان ، وكانت لقاءاتهم هذه هي فرصة تبادل الاخبار والطرائف والحكايات وهناك من يقول بان تلك المقاهي كانت تعج بالحكائين ، رواة القصة والملاحم الشعبية ، الذين نعرف منهم مغنى الربابة والشعراء الشعبيين

لا تزال في الشارع بقية من هذه المقاهي ، و اكثر محلاته تحولت الى التجارة ، بعدما راح وقت السمر والحكايات ، وصار البيع والشراء اكثر فائدة واكثر ربحا .. ودخلته كلمة « بيزنس » لغة الباشتو التي تتحدث بها قبائل الباتان !

في المدينة القديمة ايضا ، لا تزال شواهد التاريخ قائمة ، واكثرها يحمل بصمات عصر المغول الذين كان لبعض ملوكهم اهتمامات واضحة بالانشاء والعمارة .

تطالعك على الفور « بالاحصار » ، اي قلعة « بالا » الهائلة التي بناها الامبراطور بابر ، وجددت فيما بعد ولا تزال في الخدمة العسكرية الى الآن ، حيث دبت فيها الحياة مؤخرا ، عندما تصاعد التوتر على الحدود بين باكستان وافغانستان

تتمدد القلعة في مدخل المدينة المواجه لممر خيبر ، وعندما اقتربنا منها ، قال مرافقنا بحزم : لقد فاتني ان انبهكم من البداية ان التصوير محظور في مناطق الحدود لدواعي الامن في حالتين : القلاع والنساء ، والتعليمات والتقاليد هنا تعتبر تصوير القلاع تهديدا للأمن العسكري ، بينما يعد تصوير نساء الباتان تهديدا للأمن الاجتماعي !

وامتثلنا لدواعي الامن ، رغم ان صورة القلعة مسجلة في كل كتاب عن بشاور ، ورغم ان تصوير امرأة مخبأة داخل « البردة » لا يضر ولا ينفع !



في نهاية ممر خيبر . على الحدود الافغانية شرطي يلقي نظرة على ما يحمله احد
الافغان ليتأكدوا من انه لم ينقل اية اعدية ، بينما الباقون في الانتظار .

تجاوزنا قلعة بالا الى مسجد « محبة خان » الكبير الذى بني في عهد الامبراطور المغولي شاه جهان (القرن ١٦) باني مسجد لاهور العظيم « بادشاه » ، وتاج محل في الهند ، احدى عجائب الدنيا السبع ، وقد تاه مدخل المسجد وسط ازقة المدينة القديمة ، بسبب تكدس المحلات التجارية التي كادت تسد الطريق اليه .

بعد القلعة تتناثر المباني القديمة في بشاور ، قصر « جور خوتري » المغولي الطراز ، الذي اصبح مقرا للادارة الحكومية (دار التحصيل) ، قاعة « شوك البدحار » التي اصبحت مخصصة للاجتماعات السياسية ، حديقة وزيرخان ، قبر نواب خان ، احد حكام كابول الذين ادوا خدمات جليلة لبشاور ... ولعل اجمل مباني المدينة ، التي احتفظت بطابع العمارة التقليدي للمنطقة هي مباني جامعة بشاور ، التي تمتد على مساحة فسيحة من الارض تحيط بها حدائق واسعة ، تعد نموذجا مصغرا لمدينة الزهور التي راح زمانها ، وصار الزائر يقرأ عنها الكتب باكثر مما يراها في بشاور اليوم .

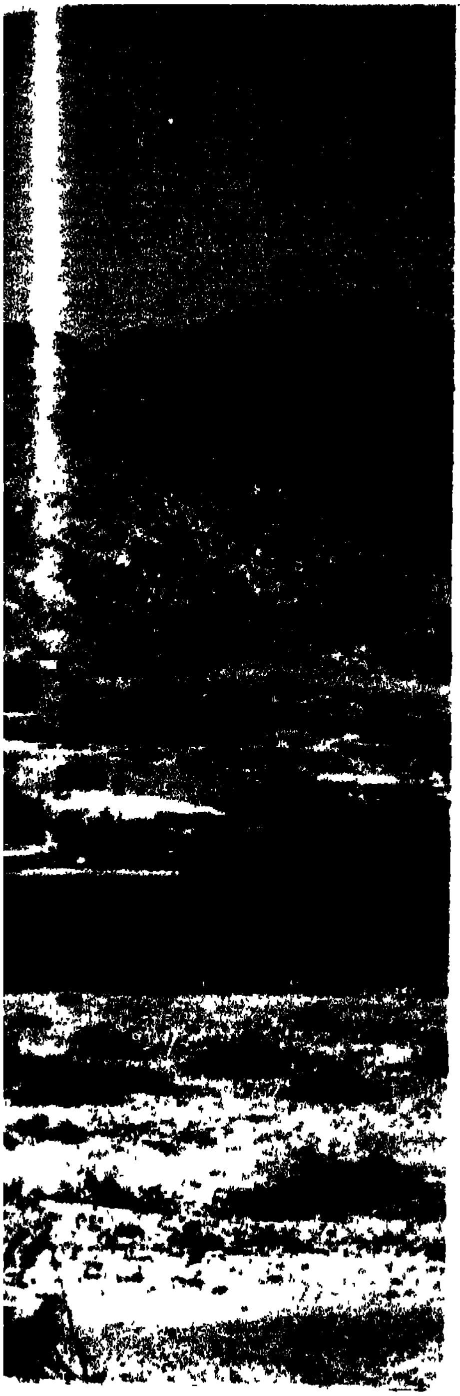
عند باب خيبر

في موعد ذهابنا الى ممر خيبر ، وانطلقت سيارتنا من بشاور على طريق « كابولي » القديم ، على نفس الدرب الذي سلكته مواكب الافيال ، والجمال والخيول ، حاملة العسكر والعتاد وقوافل التجارة ، على مدى التاريخ .

في الطريق قال مرافقنا عناية الله : تذكرون طبعا تعليمات الامن ، التي قد يمكن التهاون في تنفيذها داخل بشاور ، كما قد يمكن التهاون في تنفيذ الحظر الخاص بتصوير القلاع حتى خارج بشاور ، ولكن الذي لا يمكن التهاون فيه هو تصوير النساء في قرى « الباتان » المنتشرة على جانبي الممر فالباتاني لا يخاطب زوجته امام الناس ، فما بالكم اذا صورها غريب ؟! هذه عندنا جريمة لا يمحها الا الدم ، بل ان ثمة قرى اخرى يعترض اهلها على اي تصوير - حتى المباني والاشجار - على اعتبار انه من المحرمات . وقد اطلق احد ابناء قرية « مسجد علي » النار على بعض السياح الذي حاولوا تصوير قريتهم عن بعد . ونحن نحذر كل الاجانب من الخروج عن شارع الممر الرئيسي ، ونقول لهم بوضوح اننا لسنا مسئولين عنهم اذا خرجوا عن الشارع ودخلوا اي قرية باتانية .

ولم يكن الانذار بحاجة لمزيد من الشرح ...

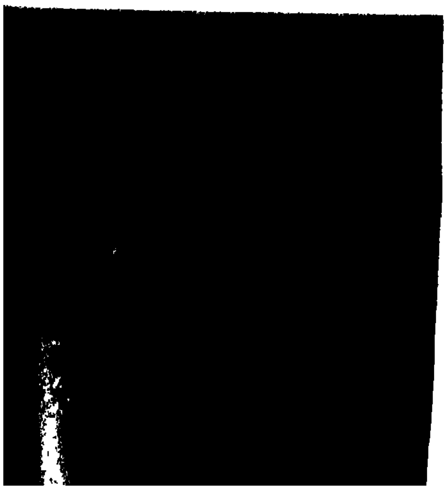
بعد عشر دقائق من مغادرتنا بشاور ، كانت سيارتنا





ثلاثة وجوه باكانية . تلميذ في مدرسة بلدة (مسجد علي) مرتديا زي كل المدارس في منطقة الحدود (فوق) ـ ثم احد رجال قبيلة « الافريدي » بالكاب والبندقية والعيون الخضراء (تحت) ـ وفتاة صغيرة « سرق » الزميل صلاح آدم صورتها بعد عناء شديد









نموذج لقرى الباتان التي لا يرى منها غير الاسوار . التي تحجب القبائل عن الاعين الفضوليه ، وربما عن العالم الخارجي (فوق) ـ ثم قطار خيبر العجوز الذي يتحرك في رحلة واحدة كل اسبوع بين بيشاور ولنديكوت لاحظ الدخان المنبعث من مقطورته في المقدمة والمؤخرة (تحت)

تقف الى جوار مدخل رمزي من الحجر على شكل قوس نصر ، كتب عليه بالاردية « باب خيبر كا افتتاح صدر باكستان فيلد مارشال ايوب خان » اشارة الى ان هذا القوس افتتحه الرئيس الاسبق ايوب خان (كان ذلك في عام ١٩٦٣) .

المكان ساحة عادية مليئة برجال قبائل الباتان ، بقبعاتهم واسلحتهم ، وقاماتهم المديدة ، جماعاتهم متناثرة في غير انتظام ، بعضهم يتسوق . من المحلات التجارية التي اصطفت في جانب من الساحة لتبيع كافة احتياجات الباتان . من اللحوم والخبز الى البنادق والخناجر وطلقات الرصاص وبعضهم ينتظر / الحافلة (الباص) وسيارات الاجرة ، وبعضهم جالسون في مقهى صغير يحتسون كاسات الشاي الاخضر (القهوة) ، او ينفثون الدخان من النرجيلة الهندية المعروفة باسم « تشيلم »

والى جوار القوس بناية صغيرة يجلس فيها بعض الموظفين الذي يراجعون تراخيص مرور السيارات ويحصلون الرسوم من المخالفين ، والضريبة ممن يحملون سلعا مستوردة من مناطق الحدود الداخلية .

ووراء التلال كانت تتمدد قرية جرود الباتانية ، اولى قرى الممر واسمها مشتق من اسم الملك الفارسي « جشيد » ، الذي ادمج في كلمة « رود Road » اي طريق بالانجليزية - واصبح جم رود او جرود ، وكان جشيد قد عبر الممر ووصل الى هذا المكان ، وعسكر فيه .

وتطل على الساحة من عل قلعة جرود الشاهقة ، التي بناها الهندوس في عام ١٨١٠ . وهي بموقعها الهام عند مدخل الممر ، وبتحصيناتها الشاهقة ، تمثل موقعا دفاعيا اساسيا له قيمته الكبرى .

عبرنا باب خيبر ، ودخلت سيارتنا الى الممر الذي يرتفع ١١٠٠ متر فوق سطح البحر ويمتد بطول ٣٠ ميلا ، مخترقا تلال هضبة سليمان ، التي تعد واحدة من اعلى هضاب آسيا ، وينتهي به المطاف عند حدود افغانستان .

ولا يستطيع عابر الممر بالسيارة لاول مرة ان يف... الدوار ، لكثرة عمليات الصعود والهبوط ، والالتف... والدوران ، والانكفاء الى الامام والتراجع الى الخلف... دعك مما يصيب الاعصاب من توتر وفزع ، في لحظ... يخيل اليك اثناءها ان الطريق قد انت... وان الس... ستقفز الى الوادي ، او عندما ترى الطريق مسدودا بقا... من الشاحنات الضخمة التي تغطيها الرسوم والنقو... ذات الالوان الفاقعة وتتوهم ان لا مكان لسيارتك ... الطريق ، وان مالها الوحيد في تلك اللحظات هو الوادي ايضا . يضيق الطريق الى ١٦ مترا احيانا ، ويتسع حتى يصل الى ميل في احيان اخرى ، وفي اتساعه وضيقه لا تتوقف عليه الحركة ، بمختلف وسائل الانتقال ، من الحمار الى احدث سيارات المرسيدس ، ولمختلف القادمين من لاجئين الى سياح ومواطنين افغان وباتان ، وقلة من المهربين ، الذي يسلك معظمهم طرقا اخرى

رحلة قطار التاريخ

تروي كتب التاريخ ان اول من مهد ممر خيبر هو شيرشاه سوري ، احد ملوك المغول ، في منتصف القرن السادس عشر ، ولكن الطريق المستخدم الان ، وهو موار للطريق القديم ، شقه الانجليز بعد الحرب العالمية الاولى سنة ١٩٢٠ ضمن خطوات اخرى ، لاسباب عسكرية خالصة ، ارادوا بها تسهيل عمليات نقل القوات والامدادات من بشاور الى الحدود الافغانية ، ذلك انه بعد الحرب الاولى قدر الانجليز ان الروس يخططون للوصول الى الهند - لضرب مصالحهم هناك او للوصول الى المحيط الهندي - وان ذلك قد يتم عبر افغانستان وممر خيبر ، واعد الانجليز عدتهم لمواجهة هذا الاحتمال (لاحظ ان النفوذ الروسي وصل الان فعلا الى ابواب خيبر من الجانب الافغاني) .. فمهدوا هذا الطريق ، ومدوا خطا للسكة الحديد - ليس بعيدا عن الممر - بين بشاور ولنديكوت - اهم بلدة على الطريق توقعا للطوارىء .

ولا يزال خط السكة الحديد يعمل الى الان ، ولا تزال باقية الى جواره كتل الاسمنت المسلح التي اعدها الانجليز ووزعوها على مناطق معينة ، لقطع الطر...

اي « عدو » اذا لزم الامر .

لكن القطار اصبح جزءا من اثار الماضي ، يجذب ا. السياح الذين يتدافعون لالتقاط صوره ، وهو يـ ك بوقار شديد ، قاطعا مسافة ١٥ ميلا في ساعتين ، تم وحداته الست (٣ للركاب و ٣ للبضائع) عربتان لا الان تعملان بالبخار ، احداهما في المقدمة تجره ، والثانية في المؤخرة تدفعه . والكل قانع بجهد القطار ، اذا قورن برحلة قوافل الجمال التي كانت تستغرق يومين كاملين لعبور الممر .

رحلة واحدة يقطعها القطار اسبوعيا في التاسعة من صباح كل يوم جمعة ، يذهب من بشاور الى لنديكوت ، السياح يدفع كل منهم نصف دولار للتذكرة ، والباتان اكثرهم يستخدمونه بغير تذاكر ، على اعتبار انهم اقاموا علاقة خاصة بالقطار على مدى حوالي ٦٠ عاما حتى اصبح واحدا من « اسرة الممر » ، واصبحوا هم لا يحسون بالغربة او التكليف في داخله الامر الذي يبرر ركوبه بغير تذاكر . اذ لا يصح ولا يليق ان يدفع المرء قيمة تذكرة لدخول بيته !

ترهق تلك الرحلة القطار ، الذي يبلغ سن الاحالة الى المعاش في العام القادم ، فيعود الى بشاور لصيانة تستمر ستة ايام ، يعود بعدها الى اداء وظيفته في اليوم السابع .

وازاء ذلك ، فان العبء الاكبر يتحمله الطريق البرى الذي تتزايد اهميته يوما بعد يوم .

واذا كان القطار يثير الانتباه والتأمل في ناحية ، فان ما يثير الدهشة حقا ، هو قرى الباتان التى يلمحها المرء عندما ينبسط الطريق . وللدقة فانت لا ترى قرى ولكنك ترى اسوارا عالية متراصة ، في لون رمال الصحراء تتخللها ابواب ضخمة ، مماثلة لبوابات القلاع ، ينفتح في جانب منها باب صغير في حجم قامة الانسان .

وهذ الاسوار العالية تعكس الى حد كبير شخصية مجتمع الباتان ، ذلك المجتمع المحافظ المنعزل ، الذى يشـ.. في الغريب ـ ربما لكثرة تعرض بلادهم للغزو ـ و ..س حرمة الاسرة ، ويرفض الافصاح عن نفسه .

والبيت عنده ليس مأوى فقط ، ولكنه « ساتر » وغطاء ، وقلعة محاربة ايضا . هو حصن بكل معنى الكلمة ، تتوفر له مقومات تحقيق الامن العسكري والامن الاجتماعي ايضا ! اذ غاية ما تراه من منشآت البيت ـ بعد السور ـ برج مراقبة في ركن منه للرصد والصد ، وربما مئذنة مسجد ، واطراف بعض الاشجار ، وفي حالات كثيرة : صوارى التقاط الارسال التلفزيوني !

وغاية ما تراه من اهل البيت ، صبية يلعبون امام بابه ، ورجل يتمدد في ظل السور وقد اطلت فوهة بندقيته من وراء ظهره ، ولا حققتك عيناه الحذرتان ابدا ، لا ترى امرأة في الشارع الا والضرورة الملحة دفعتها الى ذلك ، وغالبا ما يكون خروجها هدفه عيادة الطبيب .

فيما عدا ذلك ، فحياة الباتانى كلها وراء السور المرتفع الرجل وابناؤه المتزوجون واحفاده (البنات عند ازواجهن) وكثيرا ما تتوفر للبيت الاجهزة الحديثة ، من ثلاجات ومكيفات فضلا عن اجهزة التليفزيون . غير انه محظور على النساء مشاهدة التليفزيون ـ هكذا قال مرافقى الباتانى ـ ربما لاسباب تتعلق بالامن الاجتماعي ايضا !

في غرفة السمر يسمونها« الحجرة » يلتقى الرجال وخلانهم حول التليفزيون كل مساء ، يحتسون القهوة (الشاى الاخضر من فضلك) ويدخنون تشيلم » . بينما النسوة في مكان آخر يثرثرن او يطرزن ، وليس هناك ما يمنعهن من الاستماع الى الراديو .

١٠ ملايين باتانى

تنتشر القرى بغير عدد فوق التلال وعند السفوح والوديان بطول الحدود الباكستانية الافغانية (١٤٠٠ كيلو متر) ، وينتقل الباتانيون بملايينهم العشرة على الجانبين بغير هويات ولا جوازات سفر فقبائل الباتان افغانية الاصول ، وابناء عمومتهم الباتانيون ايضا منتشرون في افغانستان . ولغتهم ـ الباشتو ـ لغة اساسية في افغانستان . ولهذا السبب لم يشعر الباتان بأية غضاضة عندما وفد عليهم ١٠٠ الف لاجيء من افغانستان في الشهور الاخيرة . واذا كان الانطواء والشك في الغريب من سمات الباتان ، الا ان الافغان لهم وضع خاص .







واحد من عشرات المحلات التجارية في بلدة « درا » المكدسة بكافة انواع
البنادق والمدافع الخفيفة والمسدسات والخناجر . المصنعة محليا والمستوردة
البيع للجميع ويلي كمية (الى اليمين) - ثم تجارة الحشيش في الطريق
العام القطعة الصغيرة بروبيتين والكيلو بعشرين دولارا . اشتر وتصرف ،
فهذه منطقة « حرة » (فوق) - والصورة السفلى من سوق لنديكوت .
الارز بالبهارات والطماطم والالوان الجذابة ، وجبة حلوة في الطريق .



لقد استقبلوهم بحرارة بالغة ، لاسباب عرقية ، ثم انهم مسلمون اولا واخيرا ، لكنهم لم يفتحوا لهم بيوتهم ، تلك الحصون غير القابلة للاختراق لذلك يقيم اللاجئون الافغان في مجموعات من الخيام تظهر على جانبي ممر خيبر .

لكنك لا تستطيع ان تمد بصرك طويلا خارج الممر . ليس فقط لان التعليمات تقضي بضرورة الالتزام بالطريق الرئيسي وعدم تجاوزه على اى صورة ، ولكن ايضا لان القمم الشاهقة لا تدع لك فرصة الرؤية البعيدة فقط تلمح عند هذه القمم بعضا من اثار وحدات الجيش البريطاني ، وتستوقفك قلعتان كبيرتان كانتا من مواقع تمركز القوات البريطانية ، احداهما قلعة « شاجاى » ، وبعدها قلعة « مسجد علي »

وتعدد القلاع على ممر خيبر له دلالته . ذلك انه اذا كان للممر قيمة تاريخية كبرى ، فان قيمته الاستراتيجية اكبر واعظم . فمن يقبض على ممر خيبر تصبح بشاور في يده . ومن يسيطر على بشاور ، يهدد الباكستان كلها

ينبهنا مرافقنا الى ان للقلعتين وظيفة عسكرية دفاعية لا علاقة لها بامن الطريق ، لان امن ممر خيبر - عمليا - ليس من مسئولية الدولة . ولكنه من مسئولية قبائل الباتان وتحديدا . اثنتين من قبائل الباتان اللتين تعيشان على جانبي الطريق ، هما قبيلة افريدى اولا ، ثم قبيلة شنوراى ثانيا .

المنطقة طبعا تحت سيادة الدولة من الناحية القانونية - هكذا يقول مرافقنا - ولكن امن المنطقة بين ايدي القبائل . ليس هذا فقط ، بل ان الشريط الحدودى كله يعتبر « منطقة حرة » ، بالمعنى الامنى والاقتصادي معا

للدولة جيش وعسكر وحرس وطني وموظفون للتحصيل هذا صحيح - يضيف مرافقنا عناية الله - لكن ذلك يدخل في نطاق تقرير السيادة من حيث الشكل . ولكن الممارسة الفعلية ، يباشرها الباتان . اذا وقع حادث مثلا تتدخل الحكومة عن طريق الاتصال برئيس القبيلة . واذا تنازعت قبيلتان فان دور الحكومة ينحصر في محاولة التوفيق بين شيوخهما ، واذا حدثت وفاة ، فلا بد ان يكون ممثل الحكومة موجودا ، ويلتزم بالتقاليد المتبعة ، اى لابد ان يقدم - مع العزاء - مبلغا من المال ، او خروفا صغيرا .

مع حاجي ملك رحمن

قلت لمرافقي هل استطيع ان التقي برئيس قبيلة افريدى ؟

« بسيطة » - هكذا قال - ثم اضاف - لا مشكلة في لقائه ، خصوصا وان بيته على الطريق . العقبة الوحيدة هي المواعيد . والقى نظرة على ساعته ثم قال ربما كان نائما الآن في فترة القيلولة .

ادهشتني الملاحظة ، اذ لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة صباحا !

ولاحظ الرجل دهشتي فبادر الى ايضاح الموقف فالباتان يستيقظون مع صلاة الفجر . يؤم الاب كل رجال البيت في تلك الساعة المبكرة في المسجد اذا توفر له - وبعد الصلاة يقرأون القرآن ويحفظون منه ما يمكن حفظه ، ثم يشربون الشاى (الاحمر) فقط - لا يفطرون - وينطلقون الى العمل ، واغلبهم يمارسون اعمالا حرة من تجارة او نقل وربما زراعة .

وفيما بين العاشرة والحادية عشرة ، يتناول اكثرهم طعام الغداء خبز القمح الشهير ال « نان » مع اللحم ، والخضر ، ثم ينامون حتى صلاة الظهر ، حيث يشربون « القهوة » ، ويستأنفون العمل الى ما قبل صلاة المغرب ، حيث يتناولون طعام العشاء ، ويشربون القهوة للمرة الثانية . ويتسامرون في « الحجرة » او في غيرها ، حتى تحل صلاة العشاء فيصلوها ثم يناموا

وهناك آخرون يتبعون نظاما مغايرا ، فيتناولون طعام غدائهم بين الثانية عشرة والواحدة ظهرا ، ثم ينامون حتى صلاة العصر .

وكان مصير لقائنا معلقا على هذه النقطة هل يناء رئيس القبيلة قبل صلاة الظهر ام بعدها ؟

لكنني كنت مصرا على لقاء رئيس قبيلة افريدى باى ثمن ... ذلك ان هذه القبيلة دون غيرها من قبائل



صناعة السلاح في قرية درا . وراء كل بيت مصنع صغير . بوسائل بدائية يقلدون احدث البنادق

الباتان مذكورة في كل كتاب صدر عن ممر خيبر ، وفي مذكرات كل الضباط الانجليز الذين كتبوا عن تجربتهم في شمال الهند ، وعلى رأسهم اول هؤلاء الضباط الفينستون ، الذى صب عليهم جام غضبه ، ووصفهم بانهم اشهر لصوص المنطقة ! ... وفي كتاب اخر قرأت وصفا لرجال قبائل افريدى يقول . لهم وجوه من الصخر ، وقلوب اسود ، وعيون صقور ، وسيقان فهود !

عند رئيس القبيلة

انحرفت السيارة عن الممر ، وتوقفنا امام باب فخم ، وقال مرافقنا ، هذه هي قرية مسجد علي . وهذا بيت رئيس قبيلة افريدى : حاجي ملك رحمة الله خان ! ومن الشرح فهمت ان الرجل حج الى بيت الله مرتين ، وان لقب « الحاج » له قدسية خاصة ، تقدمه على اية ألقاب دنيوية اخرى ، حتى ولو كان اللقب هو الملك !

وهو ملك حقيقي ـ له سلطة وليس له تاج ـ والملك الاردية هو الحاكم ، ومملكته تشمل الجزء الاكبر من ممر خيبر ، ورعاياه ـ الافريديون ـ حوالى مليون شخص . اى انه عمليا يكاد يكون في وضع مساو لحكام بعض امارات النفط اذ ان رعاياه في حجم اى امارة نفطية محترمة وموارده غير محصورة ، لكن حجم التجارة الهائل الذي يعبر طريق خيبر ، وعمليات التهريب الكبيرة التى تتم هناك ، ذلك كله لابد أن يوفر دخلا كبيرا لقبيلة افريدى . واهم من هذا وذاك ، فحتى اذا كان الدخل المادى محدودا وليس في المستوى النفطي ، فيكفي ان الرجل يتحكم في ممر خيبر ، بكل رصيده التاريخي ، وأهميته الاستراتيجية ، لباكستان وافغانستان .

وحتى اذا طبقنا المبدأ المتداول في عالم الادارة . والذي يعطي الاولوية للوظيفة قبل الموظف ، فالرجل يستحق اللقب بجدارة ... وهو ملك ، شئنا ام ابينا !

وهو ليس « حاجي » فقط ، لكنه ايضا قاضي القبيلة ، يطبق الشريعة الاسلامية على قدر معرفته وبمعونة شيوخ القبيلة ، وان كان « القصاص » هو اكثر احكام الشريعة نفاذا وشيوعا .

نموذج للمقاهي الشعبية في حي القصاصين . « الساموفار » ملىء بالشاي الاحمر والاخضر (القهوة) والعمال جالسون القرفصاء . والزبائن لا ينقطعون (الى اليسار)



النحاس المزخرف والمطروق من اهم صناعات بيشاور . وشارع القصاصين ملىء بالمحلات التجارية التي يقوم فيها الحرفيون بعرض اعمالهم بالصفحة المقابلة)

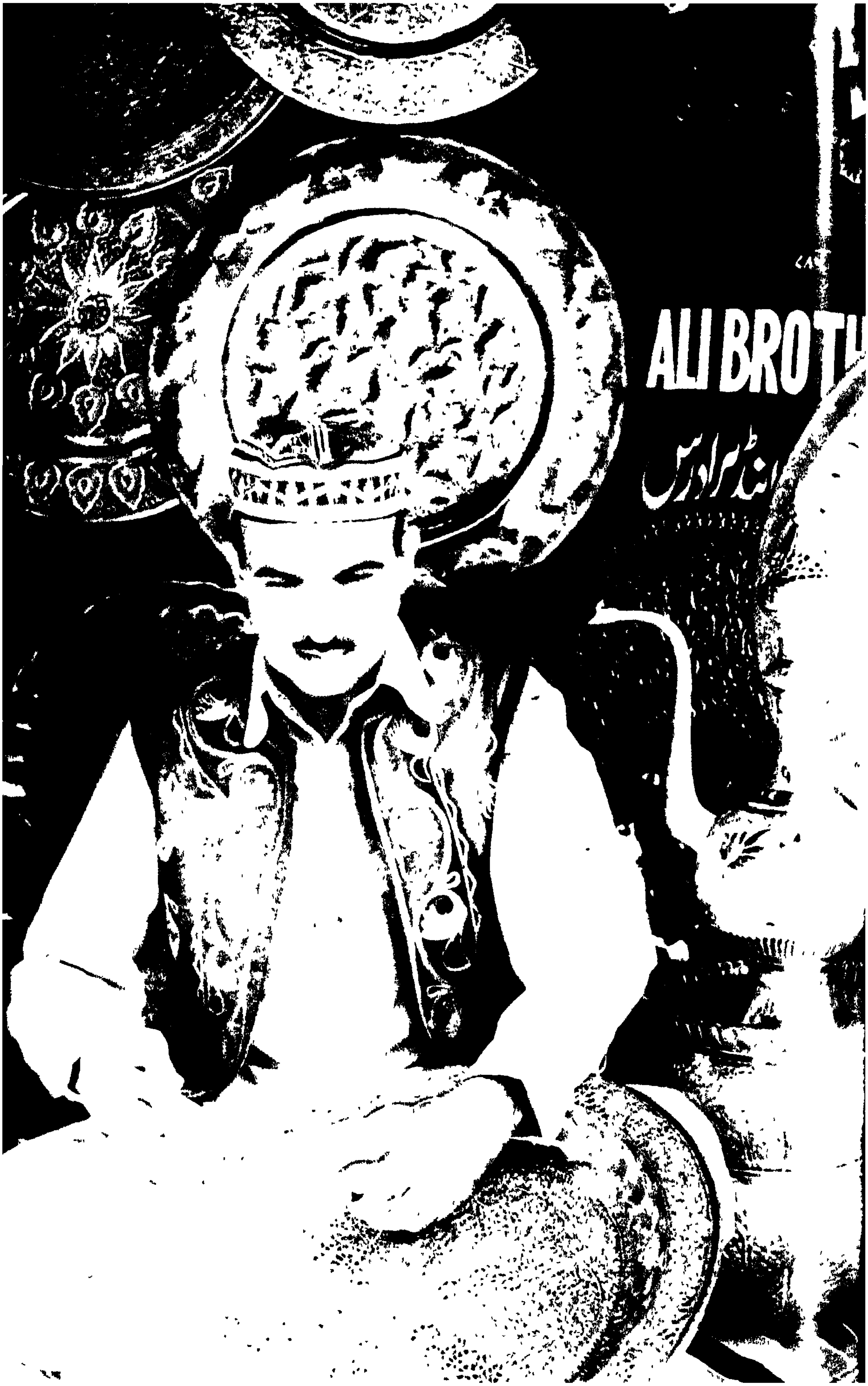




من حلي المنطقة ـ حلق ذهبي رصع بالاحجار الكريمة . وتصميمه متأثر بالشكل العام للحلي في شبه القارة الهندية

صناعة الخزف تمثل مكانا بارزا بين الحرف التي يتقنها الباتان . والتي تتركز في مدينة بيشاور . التكوينات وبساطة الخامات والالوان تجذب السياح كثيرا . (فوق) ـ الاحذية الباتانية المشغولة والمطرزة . لا فرق في التصميم بين احذية الرجال والنساء الفرق في الخامات والالوان فقط (تحت)





ALI BROTH

ومرافقنا يعرف الكثير عن حياة الزعيم الشخصية والعائلية ، رغم انه يجهل مواعيد نومه ، يعرف مثلا انه في سن السادسة والسبعين ، وان له زوجة واحدة ، وستة اولادوابنتين واربعة احفاد . ويذكر بان رئاسة القبيلة متوارثة في اسرة حاجي ملك رحمة الله منذ اجيال سحيقة ، وانه اذا كانت الباتان هي اكبر مجتمع قبلي في العالم ، فان الافريديين هم اكبر قبائل الباتان واوسعها نفوذا .. وهكذا .

وبعد أن علمنا انه موجود ، وانه لم ينم بعد ، اذن لنا بالدخول ، فاجتزنا الباب الصغير الى ساحة فسيحة ، تمدد في جانب منها خزان للمياه ، بينما كانت حجرة الاستقبال في الجانب الاخر ، حجرة بسيطة تراصت فيها بعض الاسرة المصنوعة بطريقة بدائية ، من الاخشاب والحبال . وتناثرت على الاسرة الحشايا التي يتكىء عليها الجالسون ... الارض عارية والنوافذ حديدية ، والحجرة مظلمة . اخرجوا بعض الاسرة الى مكان ظليل في النور ، ووضعوا منضدة امامنا ، ورزعوا عليها اطباق اللوز والزبيب واكواب اللبن ، وبجوار كل طبق حجر صغير ، يستخدم في تكسير ما يستعصي قضمه من حبات اللوز .

توافد ابناء رئيس القبيلة ، ومد الصغار رقابهم عبر بابين جانبيين ، يقودان الى المجهول وانكفأ احدهم من التزاحم ، ثم ولى باكيا مذعورا .

تصافحنا على الطريقة الباتانية بلقاء الايدي وتلامس الصدور ، اذ لا عناق ولا قبلات ، ولا شيء مما يستعيبه المقاتلون ابناء الصحراء .

جلسنا صامتين ، فقد كان الجميع يترقب وينتظر ، وبعد لحظات انفتح باب جانبي صغير ، صعد الرجل منه درجا ، ثم اتجه نحونا ، واصبحنا في مواجهة حاجي ملك رحمة الله خان .

فاجأنا ببساطته وابتسامته الودودة التي اطلت من فوق لحية كثة بيضاء . وبحثت في وجهه عن أثار الحجر المنحوت او عيون الصقر ، حتى ساقي « الفهد » ، فلم اجد مما قرأت شيئا وقلت ، لعلها الشيخوخة لم تبق من هذه المعالم على شيء !

حدثنا عن الباتان ، فقال انهم مسلمون موحدون بالله ، غالبيتهم العظمى من أهل السنه (على مذهب ابي حنيفة) و ٢٠٪ منهم شيعة جعفرية مقاتلون منذ الأزل ، هكذا علمتهم الحياة منذ وجدوا في منطقة « التماس » هذه . السلاح جزء من حياتهم بالسيف يرقصون ، وبالتصويب يلهو الصبية ، والاطفال ينامون على اغنية شهيرة تحفظها الامهات تقول :

نم ياحبيبي نم .....

لقد رحل ابوك الى الحرب

حاملا سيفه وقوسه وسهامه

وفي اشهر اغاني الحب تقول الفتاة لخطيبها

ادفن اعداءك بدمائك تمطرهم طلقات

واذا نفدت ذخيرتك

فسوف اقايض بعقدي لاحصل لك على المزيد

من تقاليد الباتان

لهم تقاليدهم الخاصة في الزواج الفتاة لابن عمها ، او ابن قبيلتها على اسوأ الفروض ، على ما هو شائع عند قبائل العرب . وللرجل زوجة واحدة الا اذا كانت عاقرا او لم تنجب اولادا ، هنا فقط تحق له زوجة ثانية في ليلة الزفاف يعلن على الملأ تفصيلا ماذا قدم ابو العريس وابو العروس والزواج ابدي والطلاق يعني القتال واذا نشب القتال فلا شأن للحكومة به ، يتفق الشيوخ على هدنة ، علامتها حجر كبير يوضع بين القبيلتين ، وازالته تعني أحد أمرين . ان النزاع سوى ، او ان القبيلة التي ازالته مصرة على استئناف القتال ، واذا فشلت كل المساعي ، تتدخل الحكومة للتوفيق بين الرؤوس واحلال السلام .

ليسوا ضد الغريب كما يقولون بل بالعكس ، فالطعام محسوب فيه احتمال وصول اي ضيف ، والضيف لا يسأل عن هويته او قصده الا بعد ثلاث ايام من حلوله وفي التقاليد العربية الاصيلة شيء مثل ذلك) واذا استجار بهم احد لابد ان يجيروه . واذا



تمثال من مقتنيات متحف بشاور ، من مجموعة فنون
مدهارا التي يبدو التأثر واضحا بالفن الاغريقي

احتمى بهم . فالمساس به جرح لكبريائهم وكرامتهم . والقصاص قيمة اساسية ، والعين بالعين والسن وبالسن والبادي واظلم .

سألته عما تردده كتابات بعض الانجليز عن قبائل الباتان ، والافريدي بوجه خاص . ابتسم حاجي ملك رحمن ، لما يعني انه فهم الاشارة ، وقال · طبعا لا بد ان يلصقوا بنا كل التهم ، فقد كانوا محتلين لارضنا ، وارادوا فرض سلطانهم علينا ، ثم هم كفار معتدون ، فقد اهدرنا دمهم وابحنا اموالهم ... ولم نهدأ الا عندما فهمونا ، وعاملونا باحترام .

ثم وجه حاجي ملك رحمن حديثه الى مرافقنا الذي كان يتولى الترجمة من الباشتو الى الانجلزية . فقال لي عماية الله ، « ان رئيس الافريدي لديه سؤالان يريد ان يوجههما اليك » ، وكان السؤال الاول هو · « لماذا عجز العرب بكل اعدادهم ودينهم الذي يحث على الجهاد راموالهم وسلاحهم عن هزيمة اسرائيل واستخلاص حقهم منها ؟ » واضاف متعجبا : « الا يوجد عند العرب مجاهدون » !

فاجأني السؤال ، فقلت ان تلك حقيقة مخجلة ، ورددت بالقول الذي اسعفتني به المفاجأة .

ثم كان السؤال الثاني هو : هل حقا ستقوم القيامة في القرن الخامس عشر الهجري الذي يبدأ قرب نهاية هذا العام . هل عند العرب علم بهذا الامر الذي يؤكده رجال الدين والشيوخ في مناطق الحدود ؟ !

وكان ردى ان ذلك علمه عند الله ، وانه لا احد من العرب او العجم يستطيع ان يعلم بهذا « الخبر » مسبقا ...

وهز الرجل رأسه وسكت !

طاف علينا الساقي بابريق اللبن الرائب ، ودعينا للمرة العاشرة لتناول اللوز والزبيب ، ثم كانت ملاحظة حاجي ملك رحمن التالية هي : أنه خلال رحلة الحج ، لاحظ ان اكثر العرب المسلمين يتصرفون مثل « الفرنجيز » !

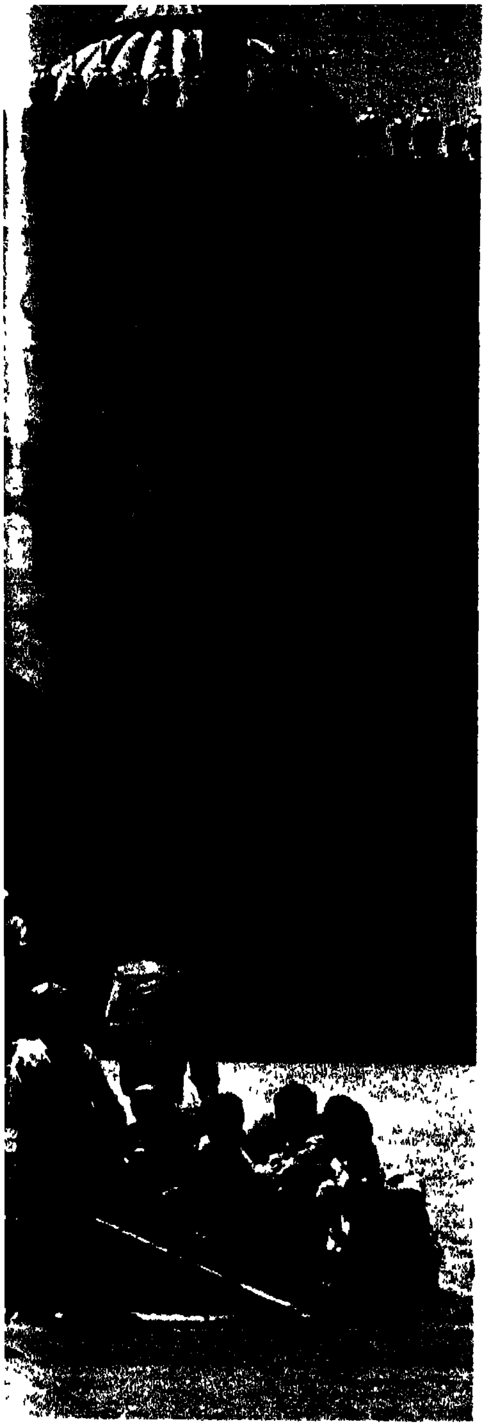
واضاف المترجم موضحا ان حاجي رحمن يستخدم هذه الكلمة للتعبير عن السلوك المقلد للغرب ، شكلا ومضمونا ، وان « فرنجيز » ، هي بمثابة دمج لكلمتي « فرنجة » و « انجليز » ، وهو داتها يعبر عن خيبة امله في الاجيال الجديدة ـ حتى من ابناء الباتان ـ مدللا على ذلك بانهم صاروا فرنجيز والعياذ بالله !

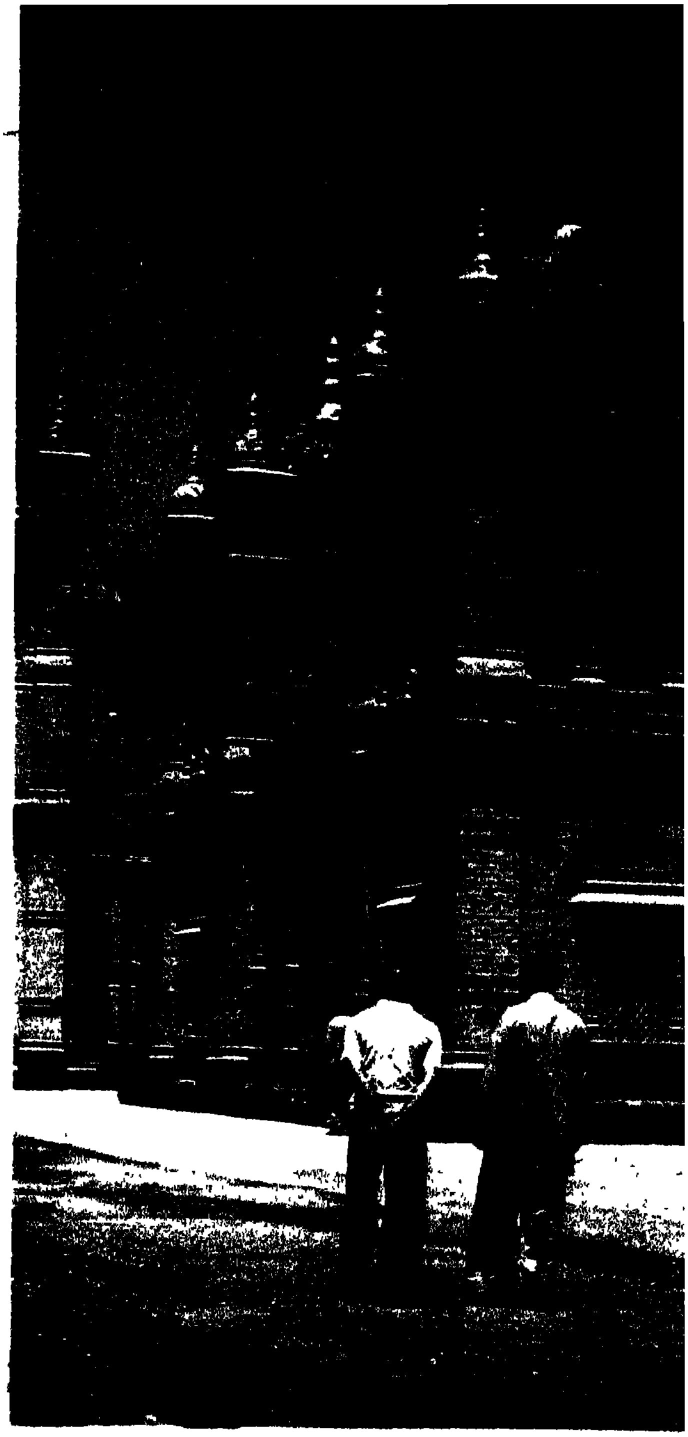
شجعني ذلك ان أسأله عن رأيه في الاجيال الجديدة من الشباب ، فلوى شفتيه باحباط شديد ، وقال ان الايام السعيدة راحت ، ومعدن الناس تغير ، والمستقبل لا يبشر بالخير حتى بدا في حديثه انه موقن بان نهاية العالم قد اقتربت !

استأذناه في التصوير ، فامهلنا لحظات اختفي خلالها ، ثم عاد حاملا سلاحه على كتفه وذخيرته على صدره ، وعمامته ملفوفة بعناية على راسه .. كان حاجي ملك رحمن بزيه الرسمي كاملا !

في السوق

رأيت اطفالا صغارا يشترون قطع الحشيش من فئة الروبيتين ، تماما كما يشترون الحلوى من بائع اخر على الرصيف .







ـ لقطة جانبية لمباني جامعة بيشاور التي تعد من الابنية القليلة النادرة التي احتفظت بطابع العمارة القوطي والمغولي . ورغم انها « جامعة بيشاور » . لكن اكثر منشآت الجامعة تحمل اسم خيبر (فوق) والصورة الى اليسار حاجي ملك رحمة الله خان رئيس قبيلة الافريدي أهم واكبر قبائل الباتان ، التي تسيطر على الجزء الاكبر من ممر خيبر . وتحتكر التجارة في الممر . لاحظ ان غطاء رأسه مختلف عن الكاب التقليدي لأهل الباتان . وهم يسمون هذا الغطاء الذي تتميز به قبيلة الافريدي (باتكاي) .



مسجد « محبة خان » في بيشاور القديمة ، والاسم لأحد حكام بيشاور في العصر المغولي ، بني في عام ١٦٧٠ ، ولا يزال محتفظا بتصميمه وألوانه . لاحظ بركة الوضوء التي تتوسط فناء المسجد . والصورة السفلى للمصلين في الفناء .



سوق لنديكوت من طابقين ، احدهما يتصل مباشرة بمر خيبر ، والثاني لا بد من هبوط الدرج اليه ، وان كانت السوق « السفلى » هي الاكثر ازدحاما بالمحلات التجارية والمطاعم والمقاهي ، وباعة كل شيء من كل مكان !

اثار انتباهنا ايضا ذلك الحشد الكبير من سيارات النقل الذي اصطف على جانبي الممر عند لنديكوت ، والمخازن الضخمة المكدسة بالاطارات . وقيل لنا ان هذه المخازن هي منبع حركة تهريب الاطارات الى انحاء الباكستان ، وان هذه الاطارات تحمل على البغال والحمير ، لتتسلل عبر الصحراء الى المدن ، وتنتهز سيارات النقل الفرصة في كل رحلة لترك اطاراتها القديمة وأخذ الجديدة ، بينما هناك شاحنات اخرى لا هم لها الا مثل ذلك في لنديكوت ، ثم بيع الجديد داخل باكستان ، والعودة باطارات قديمة اخرى لاستبدالها وهكذا ، اى ان هذه الشاحنات تظل في حالة ذهاب وعودة دائمة لهذا السبب !

دار افغانستان

انطلقت بنا السيارة ، بعد هذا العالم الغريب ، الى نهاية ممر خيبر ، حيث الحدود الافغانية .

كان الطريق موحشا ، وقرى الباتان بادية على البعد وقد ران عليها صمت ثقيل بينما رجال قبيلة الافريدي يظهرون ويختفون ، وترى من فوهات بنادقهم اكثر مما ترى من وجوههم

وصلنا الى طورخم ، آخر قرية على الممر ، واخر قرية عند نقطة الحدود الباكستانية الافغانية . وكما في جرود - قرية بداية الطريق فان القرية بعيدة عن الاعين نسبيا ، ووجود الحكومة والغرباء اكثر من وجود رجال الباتان لكن المشهد هنا متغير في تفاصيل عديدة ، اهمها ذلك الحاجز « المزلقان » الذي يفصل بين البلدين ، ويقف على كل جانب جماعة من حرس الحدود لكل بلد . ولا قيود مفروضة على انتقال الاهالي ، ولكن باكستان تمنع نقل الاغذية والحبوب خاصة الى الجانب الآخر . وقد رأينا حشدا من الشباب والصبية الذين جاءوا من الحدود الافغانية ، وتسوقوا في قرية طورخم اشتروا قمحا وذقيقا وسكرا ، وعندما حاولوا العبور باحمالهم منعهم الجنود الباكستانيون « مالم يردوا ما معهم » ويعودوا كما اتوا ، تنفيذا للتعليمات . وقيل لنا ان هؤلاء يقضون الساعات انتهازا لاى فرصة للعبور ، ويحلون المشكلة بصورة أو أخرى .

عند الحاجز الحديدي ، ثبتت لافتة تقول د. افغانستان بوست راست بريدا .. وكان هذا يعني : نعود ادراجنا مرة اخرى الى بشاور .

حاجي « آرمز » ستورز » وتجارة الاسلحة

لكن الرحلة لم تكن قد انتهت بالنسبة لي ذلك ان هذه الاسلحة المنتشرة في ايدى الباتان ، اثارت في نفسي رغبة ملحة لمعرفة مصدرها الحقيقي ، خصوصا وان الكتابات المنشورة تشير كلها الى ان الباتان هم الذين يصنعون اسلحتهم بانفسهم ، وان قبيلة الافريدي هي التي تحتكر صناعة وتجارة الاسلحة .

قلت لمرافقنا عناية الله من أين تأتي كل هذه البنادق والمسدسات والمدافع الخفيفة ؟ فرد بهدوء أهل « درا » لديهم رد على اسئلتك

كانت « درا » هي القرية التي تمول اهل الباتان بملايينهم العشرة بكل اسلحتهم واسمها بالكامل « درا أده خيل » تنام في احضان واحة من جبال هضبة سليمان على بعد ٢٧ ميلا من بشاور سكانها مائة الف ، معظمهم اما تجار للسلاح او صناع له

- لماذا « درا » دون غيرها ؟ من ابناء الافريدي ، او عموم الباتان ؟

- الصدفة والضرورة دفعت أهل « درا » الى صناعة السلاح عندما اشتبكوا مع وحدات الجيش الانجليزي في منتصف القرن الماضي ، والاحتلال لا يزال في بدايته ، كان ابناء « درا » لا يعرفون غير السيوف ، وكان الجنود الانجليز يحملون بنادق من ذلك الطراز القديم والبسيط بعد ايام من الاشتباك رجحت كفة الانجليز ، واحس الافريديون من ابناء « درا » انهم على وشك الهزيمة فاستولوا على بعض البنادق من الانجليز ، وبسرعة فكوا سرها ، واستطاعوا تقليدها بذكاء ومهارة



البحوم بون رئيسة مؤسسة السياحة بباكستان :
السياحه تأثرت بسبب الاحداث في افغانستان

شديدة ومنذ ذلك العهد وهم يمارسون المهنة ، التي تحولت الى تجارة رابحة ، روجت لها تقاليد الباتان وحرص كل واحد على ان يحمل السلاح ويقتنيه ولو لم يستخدمه

الطريق الى القرية بسيط لا يوحي بشيء . يخترق مساحة من الاراضي المزروعة . ويتوازى معه مجرى جاف لمياه الامطار تطالعك مقابر القرية في البداية ، وبعد قليل يبدأ صف من البيوت المتواضعة ، ويبدأ شارع السوق « درا بازار » .. تقطع مسافة بين محلات البقالة والمطاعم والجز ، كأنما رصت للتمويه . لكنك بعد ذلك تفاجأ بمحلات لبيع السلاح على الجانبين ، بأعداد لا تحصى ، وان قدرها البعض بمائتين . وفي داخل كل محل اكداس من الاسلحة التي وضعت على الجدران وفي الاركان الى جوارها طلقات نارية موضوعة في قدور زجاجية ، مماثلة لتلك التي يوضع فيها « الطرشي » و « المخلل » على واجهات المطاعم في بلادنا !

يوضح مرافقنا الصورة قائلا : هذه ايضا تجارة مشروعة ولا علاقة للدولة بها . واى شخص يستطيع ان يشتري مئات البنادق وقطع الذخيرة ، ولن يسأله احد من انت او الى اين ستذهب بها . هذه منطقة حرة ، وهو حر وهو مسئول عن السلاح بعد شرائه . استخدمه او هربه . هذا شأنه وتلك مشكلته . مثلا ، يجيء الثوار الافغان الى هنا يشترون الاسلحة ويهربونها ، وتتهم الحكومة الباكستانية بأنها تدعمهم بالسلاح . وهذا ليس صحيحا ذلك انهم يشترون السلاح من القبائل ، ومن مناطق مفتوحة لا سيطرة للحكومة عليها .

توقفنا عند متجر كتب على واجهته بالأردية : حاجي آرمز ، أند بستل ستورز . (hagi arms & pistol stores) أي مخازن اسلحة ومسدسات الحاج . وصاحب

● مصر خيبر ..

المتجر يعرف نفسه بأنه حاجي آرمز جلخان الفريد (كلمة آرمز ـ السلاح ـ اصبحت جزءا من اسم الرجل) عمره ٢٥ سنة ، ومتزوج ، وقد توارث هذه المهنة ابا عن جد .

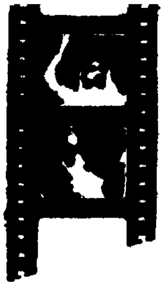
« تجارة مربحة والحمد لله ـ هكذا يقول حاجي آرمز ـ فالسلاح مطلوب بكثرة كل يوم . وهو رخيص ايضا ـ المدفع الخفيف ، والبرن والستن ثمنة حوالي ألف روبية ، والبندقية بين الف والفي روبية ، والمسدس بين ٣٠٠ والف روبية » .

« نصنع السلاح ؟ هذا صحيح ، لكننا نستورده من كل مكان في العالم » وسكت حاجي آرمز ثم قال ـ لدينا بنادق من المانيا الغربية واسبانيا وانجلترا وايطاليا وتشيكوسلوفاكيا . السلاح الامريكي غالي الثمن بسبب تكاليف الشحن . والسلاح الروسي لم يكن متوفرا على الاطلاق ، لكنه بدأ يظهر بكثرة الآن ، بعد دخول الروس الى افغانستان .

قمنا بجولة في ورش صناعة السلاح ، التي تشكل وجها آخر غريبا لمجتمع الباتان . اذ لا يخلو بيت في القرية من جناح يسهم في تصنيع السلاح . بشكل او باخر وو راء ظهر السوق اقيمت ورش على مساحات كبيرة ، تعمل منذ طلوع الشمس الى غروبها في صناعة البنادق والمسدسات . وامكانيات الصناعة وخاماتها كلها محلية . والتقليد يتم بمهارة فائقة . وعجلة الانتاج دائرة بغير توقف .

ولا تنكشف كل غوامض الباتان ، ولا تنتهي فصول حياتهم المثيرة . لكن المؤكد انهم سعداء بهذه الحياة ، فخورون بها ، غير مستعدين لتغييرها . والتعبير عن اعتزازهم بأنفسهم يسجله تراثهم الشعري في قصائد لا تحصى . بينها قصيدة يعلن فيها الباتان على الملأ :

في الحرب ليس لي في العالم ند ..
لا في بخارى أو كابول
ولا قابول أو في السند .
سهامي تشق الفضاء قوية وجسورة
تصرع اعدائي مثل الرعد ..
فتهلل السماء لا نتصاراتي ..
وتحت سنابك خيلي ترتجف الارض !



شباب يرفض الحرب في « الشعر »



بقلم :
الفاروق عبد العزيز


جين فوندا : من فيتنام الى المفاعلات النووية



مفكر الاستراتيجية الكبير كلاوتزفيتز له نظرية مفادها ان « الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل اخرى » . وقبل خمسة عشر عاما اعلن المخرج الايطالي الكبير فرنشيسكو روزي ان هذه الخلاصة صالحة للتطبيق في السينما وقال ، مدشنا بذلك تيارا سينمائيا متميزا ، ان « السينما هي تعبير عن استمرار الصراع بوسائل اخرى » .

هل في التعبير مبالغة ام افتقار الى تقدير واقعي لحجم السينما في الوسائل الاعلامية المعاصرة ام هو تعبير عن امل مكبوت ؟

لقد كانت مقولة روزي تعبيرا نظريا مبكرا عن تيار قدر له ان يتجسد و يستمر منذ نهاية الستينات والى يومنا هذا وهو تيار عرف « بالسينما السياسية » . ولا يبدو في الافق ما يشير الى ان شيئا سيقلل من اندفاعة هذا التيار ، بل على العكس فثمة ما يؤكد اتساع مجراه الرئيسي وتعدد روافده .

او هذا هو على الاقل ما تشي به مقدمات الرؤية في قائمة اهم ما شاهدناه من افلام ١٩٧٩ حتى الآن ...

عقد من السينما السياسية ـ بمفهومها المصطلحي ـ اخرج « سينات » سياسية متعددة . هذا طبيعي فالعالم والمذاهب والرؤى عديدة ومتنوعة أما لماذا يتضاعف الاهتمام الجماهيري بهذه السينما ؟ فذلك يعود الى أنها تحمل المشاهد من مقعد المتفرج لتضعه وجها لوجه امام لوحة الاختيارات : شاشة دار العرض هي الغلاف الشفيف الذي يعكس الواقع ـ الصراع من خلفه . كما أن السياسة صارت غذاء كل يوم على موائد الفقراء والاغنياء .

بيد ان ثمة فنانين قلائل استطاعوا اثراء السينما السياسية وتعميق مفاهيمها النظرية وتطوير اساليب المعالجة من خلالها . هذا العام استطيع ان أؤكد ان العالم على موعد مع واحد من اهم انجازات الفن السابع طوال تاريخه : « الرؤية الآن » لفرانسيس فورد كوبولا .

هذا هو اول قائمة افلام عام ١٩٧٩ الامريكية .

« كل الأطفال مجانين لانهم ينتظرون أمطار الصيف »

من اغنية « النهاية » في افتتاحية « الرؤية الآن » بصوت جيم موريسون .

لتوه بدأ الجرح الفيتنامي ينزف في السينما الامريكية . في العام الماضي شاهدنا « العودة الى الوطن » لهال اشبي الذي عالج فيه محنة المحاربين البواسل (العائدين) الى الوطن محملين بالنياشين التي ما يلبثون أن يخلعوها ليمضوا الى البحر عراة او بالعاهات الجسدية المستديمة التي تدمر ارواحهم)) و محنة امرأة من الطبقة الوسطى تكتشف عدمية هذه الحرب من خلال تجربة ملموسة في مستشفى للمشوهين .

هذا العام عرض في مهرجان كان السينمائي الدولي الثاني والثلاثين العرض العالمي الاول للفيلم الذي طال انتظاره « الرؤية الآن » لفرانسيس فورد كوبولا . وقد شاهد المتفرج العربي كل افلام كوبولا منذ « أنت الآن ولد كبير » الى « المحادثة » و « الاب الروحي » بجزئيه ومن خلال افلامه الثلاثة الاخيرة استطاع كوبولا ان يحقق شهرة عالمية قائمة على ادراك لدوره كمجدد في الفكر الهوليودى التقليدي السائد منذ اكثر من نصف قرن .

لقد استطاع كوبولا الرافض ان يعمل داخل « الماكينة » الضخمة دون ان يتنازل عن مفاهيم أساسية شكلت فيما بعد معالم رئيسية في فكره السينمائي . لقد استطاع ببساطة ان ينتج « سينما ضخمة بأفكار كبيرة وحقق مزاوجة منشودة بين ما يسمى النجاح التجارى والامتياز الفني .

« لقد صنعنا » الرؤية الآن « بنفس الطريقة التي شن بها الامريكيون الحرب في فيتنام . كان عددنا كبيرا واموالنا ومعداتنا كثيرة ولكننا بدأنا نتزلق الى هاوية الجنون شيئا فشيئا . كنت اظن في البداية اني اصنع فيلما حربيا ولكن الامور تطورت الى حد ان الفيلم هو الذي صنعني . لقد صنعت الغابة هذا الفيلم »

احد مشاهد العذاب

لا احد يمكنه التوكيد ـ او القطع ـ بان « الرؤية الآن » فيلم عن الحرب .. اوعن حرب فيتنام فان ما شاهدناه هو رؤية تشبه في تفاصيلها احد مشاهد العذاب وتحول عناصر الطبيعة الكونية في يوم القيامة .

والفيلم الذي تكلف انتاجه ثلاثين مليون دولار ويستغرق عرضه ساعتين ونصف الساعة مبني في

عمو الفقري على قصة جوزيف كونراد الشهيرة « قلب الظـ » . واساس القصة هي رحلة بطله فيليب مارلو عر ـ يوغل في اعماق الغابة حيث يبدأ الانسان من نور ذاته حلته الى قلبه المعتم . والقيمة الاخلاقية لقصة كونر ترتكز على تحقيق المواجهة بين اخلاقيات الجانب المتحـ ـ من الانسان والجانب الغريزي الممعن في وحشيته وبدا ئيته .

و الفيلم يتحول مارلو الى الكابتن الشاب ويلارد الذي قام بمهمة « كنت في امس الحاجة الى مهمة بالغة السوء اردت مهمة اكفر بها عن خطايـاي » ومهمة ويلارد السرية هي الوصول الى كولونيل متمرد هوكيرتز ، يلعب دور الاله » مع اهالي احدى المناطق الواقعة عبر الحدود الكمبوديـة ويقول له رؤساؤه : « استمع يا ويلارد نظن انك تفهم ان هذه المهمة لا وجود لها ولن يكون لها وجود » '

ويروي ويلارد بصوته الاجش الطفولي ما جرى له خلال رحلته النهرية الى « قلب الظلام » ... « لقد كان هناك تركيز هائل للطاقة الامريكية في الغابة ، طاقة من الشباب الغض لو امكـن تفريغها في شيء اخر غير الضجيج والخراب والالم فمن المؤكد انها كانت ستضيء المد الصينية لالف عام » .

ولكن ويلارد يرى هذه الطاقة امامه تتبدد وتحترق مع قنابل النابالم (قال الكولونيل الامريكي قائد الهجوم على قرية عزلاء انه « يعشق رائحة النابالم في الصباح .. انها تشبه رائحة النصر »)) وتغيب في الضجيج مع هدير الهليكوبتر (يعشق الكولونيل فكرة ان يصاحب هجومه عزف مقطوعة فاجنر « نزهة الفالكـير ») ثم يمتصها السراب مع لألأة العرض الذي تقدمه فتيـات البلاي بوي والذي يوشك ان ينتهي باغتصاب جماعي .

شـيئا فشـيئا يتحول ويـلارد الى قاتل - يهاجمون قارب صيد ويقتلون من فيه ويرفضون حمل امرأة جريحة فيقتلها - وتقترب المهمة من غايتها .

كـ ـ كونراد يقول على لسان راويته مارلو : كلما اوغلت في النهر فان ذلك كان يشبه العودة الى البدايات الاولى للخليقة حينما كانت الخضرة الوحشيـة تغطي الارض والاشجار ملوكا » ....

ومع هذا كله فان ويلارد يرى اجسادا بشرية تزين عيون الخضرة وتنتشر فوق الارض المخفية .

في « معبد » كـيرتز نسمع اله الرعب العملاق المجنون (يلعب الدور مارلون براندو) يقرأ مقاطع من « الارض الخراب » و « الرجال الجوف » لاليـوت ويتحدث عن الرعب الفلسفي . وعندما يقتله ويـلارد نرى الاخير وقد استحالت سحنته الى سحنة رجل اجوف محشو بالقش او الى وجه تمثال ينير قلب الظلام . ان ويلارد يتحول - بعد رحلة القيـامة - الى اله جديـد ، بدائي ومتوحش .

هذه هي « الرؤيـة » التي استغرق كوبولا اعواما ثلاثة في اعدادها . كيف قدمها ؟ بما يليـق بالمغزى الفلسفي العظيم لقصة كونوراد وبما يليق بتأمل فنان عظيـم للذات الانسانيـة من خلال ازمة الانسان الامريكي في حرب فيتنام .

نال « العودة الى الوطن » جوائز في مسابقة الاسكار العالمية الشهيرة هذا العام . ومنحت جوائز اوسكار أخرى لفيلم اخر عن فيتنام هذا العام ايضا وهو « صائد الغزلان » لمايكل تشيمينو الذي يعتبر من اسوأ الافلام العنصرية في تاريخ السينما فهو يروى قصة ثلاثة جنود اصدقاء يذهبون الى الحرب الفيتنامية حيث يفعل بهم الفيتناميون المتوحشون الاعاجيب !! ويركز الفيلم بشكل خاص على لعبة الروليت الروسيـة التي تسحق نفوس واجساد الجنود الثلاثة .

لا احد يجيب او يطرح أصلا السؤال المنطقي : لماذا انت ولـماذا جئت الى هذه البلاد - فيتنام ؟ لان الاجابة تأتي مع نهايـة الفيلم حينما يلتئم شمل ما تبقي من الاصدقاء لينشدوا نشيد « بارك الله امريكا » ...

« الشعر » : لا يهم أن يكون طويلا او قصيرا

ماذا يهم إذن في فيلم ميلوش فورمان المأخوذ عن المسرحية الغنائية الشهيرة : « الشعر » ؟ « فيلمي ليس

حنينا الى الماضي (نوستالجيا) دعنا من خداع انفسنا فحتى يقص شباب ماديسون افينو شعورهم فان « الشعر » لا يثير حنينا الى الماضي »

كان المخرج الامريكي ـ التشيكي الاصل ـ يتحدث في مؤتمر صحفي في كان عن تجربته مع المسرحية الشهيرة والتي قدمت منذ حوالي اثني عشر عاما في برودواى وموضوع المسرحية ـ كالفيلم ـ هو حرب فيتنام

وقتها والحرب في عنفوانها كان الشباب المساق الى الجندية كالمساق الى حتفه ـ يطلق شعره و يرتدي ملابس غريبة احتجاجا علنيا على الحرب والتركيبة الاجتماعية السياسية التي تزجج نارها وكان عام ١٩٦٧ هو العام الذي مهد لنوع من الانتفاضة العالمية الرافضة لهذة التركيبة في كل مكان وقد وصفت هذه الانتفاضة في العام التالي بثورة الشباب من هنا كانت المسرحية تعبيرا ، انبثق ساعتها عن واقع مرير

ولكن « الشعر » الفيلم لا يمثل بالفعل حنينا الى الماضي فكما ذكرت في مقدمة هذا المقال ان الجرح الفيتنامي قد بدأ ينزف لتوه وان الامريكيين بدأوا ا في تأمل هذه الحقبة من تاريخهم لهذا جاء « الشعر » اوانه ووسط تيار ينادي بفتح ملفات الحرب والصـ ر الامريكي في هذه الفترة

وحكاية الفيلم بسيطة للغاية فثمة شاب قر ى استدعى للتجنيد ثم للترحيل الى فيتناه ويمنحه و خمسين دولارا لكـي يشاهد بها نيويـورك « المـد ـه الكبرى » في الحديقة المركزيـة يلتقي بثلاثة شـ ب وفتاة (بينهم اسود) يرفضون التركيبة الاجتماعيـة ويدعون للحياة وللسلام يسمون « الكابوي » اليهم ومن اول نظرة يقع « الكابوي » في غرام فتاة من الطبقة البورجوازية الكبيرة ويسحر الفيلم والشاب من قيم وعادات هذه الطبقة ويجد الكـاوبوي وعندما يكـون مستعدا لترحيله الى فيتناه ياخذ احد هؤلاء الشباب مكانه ليتيح له الفرصة توديع حبيبته الثرية ولكن تفوته الطائرة ويقتل زميله في فيتناه بدلا منه مجرد رقم وسط شواهد قبور لا حصر لها

وتلخيص الفيلم لا يفيد قارئنا فالفيلم رؤية



« الرؤيا الآن » : الحرب جحيم اسطوري وحقيقي معا .



نورما راى امرأه العب بها ظروف حياتها في حسم معركه الاتحاد . مواجهة مع السلطة

عصر بة وصوتية بالعة القوة والتاثير ولا يمكن بالطبع عزل اعانيه عن سياق الحدث فيه فالاعنية هنا لا تقطعه بل تكمله وتعلق عليه احيانا

ولان تيار « السينما السياسية » ما يزال سائدا فانني احب ان اشير الى فيلمين امريكيين اخرين تتفاوت اهمية كل منهما ولكنهما جزء من هذا التيار ومن بين اهم افلام هذا العام .

الاول « نورماراى » لمارتن ريت والثاني هو المرض الصيني » لجيمس بردجز

« اشعر بالرثاء للسينما الامريكية التي تجاهلت بشكل مجحف حياة المرأة العاملة .. »

على غرار « الرؤية الان » ـ وان كان في منطقة اخرى من مناطق الصراع ـ يرتبط « نورماراى » شخصية صانعه . نحن هنا بصدد مخرج عجوز (ولد نيو . رك في مارس ١٩٢٠) قادم الى هوليود من الجنوب الامريكي حيث يتصارع في اضواء الحياة اليومية تراث مائتي عام من العنصرية والفكر المحافظ والنزعة الريفية التقليدية

ومارتن ريت يعمل في السينما منذ نهاية الثلاثينيات وحتى عام ١٩٥١ اخرج ريت عشرات المسرحيات في برودواي وعددا هائلا من افلام التلفزيون المأخوذة من اعمال كبار الكتاب الامريكيين بيد انه لم يكن قد حقق ما يريده في هوليود . وفجأة في ذلك العام اتهم ريت « بميول متطرفة » من قبل لجنة النشاط غير الامريكي التي شكلها السيناتور مكارثي للتحقيق في « عقول الفنانين والكتاب » باسم الديموقراطية ! !

وكانت النتيجة هي الفصل من العمل والادراج في القائمة السوداء « لم افهم حينها لماذا وضعوني في القائمة كان لي اصدقاء تقدميون وكل انسان حر فيما يعتقده وقد طلب مني ان ادينهم ولكني رفضت تماما » .

مع توارى شبح المكارثية عاد ريت الى هوليود ومن اهم افلامه « حافة المدينة » و « لا للاجور المنخفضة »

و « الصيف الحار الطويل » و « الصوت والغضب » و « ساوندر » و « كونراك » .

منذ سن مراهقتي كان اهتمامي يتوجه بشكل اساسي الى معالجة الصراعات التحتية ... ولقد ادت بي خلفيتي السياسية والعاطفية الى كراهية التمييز » وشاء ريت ان ينتقم من المكارثيـة مبينا دوافع ظهورها في فيلمه « الجبهة (١٩٦٧) والذي قدم فيه عددا من الذين شملتهم تحقيقات هذه الفترة .

« نورماراى » هو تقرير عن امرأة عاملة في احد مصانع الغزل والنسيج بمدينة جنوبية . امرأة تجد نفسها فجأة وقد دفعتها الاحداث الحياتية اليومية الى ممارسة مهمة تبدو « غير طبيعية » . فهذا الكائن الضعيف الذي اهلكته نوازل الطلاق من الزوج الاول ووفاة الزوج الثاني والاطفال وحب جديد وثالث وفصل من العمل والراتب المنخفض وحرارة الجنوب ـ هذا الكائن يتحول الى قائد نقابي محلي فيما بدا انه الطريق الوحيد المتبقي لممارسة الوجود الانساني داخل جدران المصنع الكابية .

من هذا القهر يصاغ نموذج جديد لأمرأة عاملة . انها امرأة بسيطة محافظة كالاخرين ولكن عناصر الواقع الضاغطة المحيطة تجعل منها زعيمة نقابية .

واهمية هذا الفيلم لا ترجع في اعتقادي الى تقديمه نموذجا إيجابيا للبطل في مواجهة ظروف يومية قاسية يمكن تلمسها هنا وهناك وحسب ، ولكن أهميته القصوى ترتبط بنجاح ريت في الابتعاد الكامل عن تحويل نورما الى بطلة تردد شعارات عن حق او عن باطل انك هنا تلتقي بالظروف ذاتها التي يمكن ان تحول اى انسان الى نورما راى . انك هنا تعيش نبضات الواقع ذاته وعليك انت ان تقرر ما اذا كانت هذه الظروف ضاغطة بما يكفي لخلق امرأة مثل نورماراى ام لا .

« اشعة الشمس افضل من الاشعة الذرية ! »

هكذا كان يهتف المتظاهرون الذين تجمعوا على الشاطيء اللازوردى في كان هذا العام يوم عرض فيلم جيمس بردجز « المرض الصيني » . هذا في حد ذاته تأ[illegible] سياسي اجتماعي للفيلم . ومنذ عشر سنوات كان المخر[ج] الكوبي الكبير سنتياغو الفاريز يتمنى ان تفعل السـ[ـينما] فعلها في الجماهير ازاء « الصراعات » الحاضرة فتدفع[ها] الى الاعلان عن ردود الفعل لديها . مرة واحدة خرج[ت] الجماهير بعد عرض احد افلامه لتتظاهر واذكر انه كـ[ان] فيلم « الآن » .

لم يتمنى ذلك منتجو « المرض الصيني » ـ ومن بينهم الممثلة جين فوندا المعروفة بمواقفها المعارضة لحرب فيتنام ـ ولكن الواقع حقق الامنية غير المنطوقة مرتين الأولى حين عرض الفيلم في مطلع ابريل الماضي في مختلف انحاء الولايات المتحدة ولاقي اقبالا عاديا وما لبثت ان وقعت حادثة تسرب الغاز الذري من مفاعل ثرى مايل ايلاند في بنسلفانيا بامريكا حتى تدافع الناس في اقبال غير عادي لمشاهدة الفيلم الذي يروى احداثا مشابهة . والثانية حين تظاهر المتظاهرون في كان .

و « المرض الصيني » هو إعلام عن الهيمنة الاعلاميـة في الولايـات المتحدة . وبعبارة اخرى فهو تقرير تلفزيوني عن علاقة التقارير التلفزيونية بالاحداث ذات الاهمية القصوى في حياة المواطن الامريكي

و « المرض الصيني » هو إسم رمزي للباحثين عن الصين بحفر حفرة بقطر الارض على امل ان تنتهي بهم في الصين . وقد استخدم التعبير هنا كناية عن المرض الناتج عن تسرب الغاز الذري .

وتلعب جين فوندا في « المرض الصيني » دورا مشابها لدورها في « العودة الى الوطن » . فهي في الاخير امرأة من الطبقة الوسطى تجهل كل شيء تقريبا عن حرب فيتنام وتتطور معرفتها بالحرب من خلال ظروف كثيرة مركزة تمر بها . في « المرض الصيني » تلعب دور مقدمة برامج تليفزيونية ميدانها هي حيوانات الحديقة « فموعدنا اليـوم مع القرد بوني ... وغدا سنرى ماذا فعلت الغوريلا » .. وفي جولة روتينية تتوجه مع مصور للقيام بتحقيق تليفزيوني عن احد المفاعلات الذ[ر]ية



« المرض الصيني » يدق ابواب المدينة المعاصرة

المملوكة لاحدى الشركات . في المفاعل تحدث هزة يحس المصور بجديتها رغم اخفاء الحقيقة عنها بواسطة مدير العلاقات العامة . وفي الفيلم الذي صور خلسة نرى وجه المهندس المتقع جاك ليمون وترفض الشبكة التليفزيونية اذاعة التحقيق . الامر الذي يؤدي بالمصور الى تهريب الفيلم لعرضه على لجنة تحقيق فيدرالية وهذا أيضا لم يتم لاغتيال مساعده ومطاردة المهندس الذي كان يوشك على الادلاء بشهادته حول خطورة الامر في احدى اجزاء المفاعل . وعن طريق تهديد اصحاب الشركة ينجح المهندس في الادلاء بشهادته للمذيعة ولكنه يقتل بواسطة صاحب المفاعل . وعندما يصل البوليس ومندوبو الصحف وشبكات التليفزيون يتعذر اثبات الحقيقة ـ الكارثة ولكن الجميع « يشم رائحتها » .

ويتضح في الفيلم الترابط الوثيق بين اصحاب المصالح في شبكة التليفزيون والمفاعل مما يعطي الفيلم مذاقا سياسيا واضحا ولكنك ـ على المستوى الشخصي ـ تشعر بالاحباط الشديد ازاء الهيمنة « الخرافية » للوسائل المرئية والمسموعة على نوع وكمية ما يمكن ان يصل اليك من الحقائق . وتظل تشعر طوال الوقت انه برغم الاستنارة الديمقراطية في المجتمع الا ان ثمة مناطق ـ منتشرة على كل المستويات ـ لم يصل اليها النور بعد .

روافد

لا تدعي هذه الرؤية للسينما الامريكية في عام ١٩٧٩ احاطة شاملة لكافة اتجاهات وروافد هذه السينما الثرية فنحن هنا لم نشر من قريب او من بعيد لاتجاهات افلام الكوارث والخوارق من امثال « سوبرمان » و « غريب في الفضاء » او افلام اخرى « كالمحاربين » أو « هروب الى اثينا » او « السيدة تختفي » . لماذا لم نشر اليها ؟ الاجابة هي ان السبب الاساسي وراء ذلك هو شيوعها وعراقتها الى الحد الذي صار عنده من اليسير



« بورمـــاراي » : المعاســة تنبثق من ضرورات واقعيه

على اي مشاهد في اي مكان ان ينسبها الى هوليوود دون حاجة الى التفكير او التخصص هذه هي السينما كما ارضعناها وكما تعرضها اليوم شاشات الدنيا ولكن هذا لا ينفي بحال قدرتها التقنية التي أسهمت في تطويـر الصناعة ذاتها ليفيد منها فيلم « كالرؤية الآن » مثلا لا ينفي احد ان افادة مارتن ريت من الشكل التقليدي ـ الذي عرفناه خلال هوليود ـ قد حملت من فيلمه عملا قابلا للتوصيــــل بالدرجة الاولى لاوسع قطاعات المشاهدين انها سينما موجودة ومنتشرة ومؤثرة وثريـة ، وهي صناعة وتجارة لا سبيل الى تجاهل اهميتها

بيد ان تركيزنا في هذا العرض على رافد من روافد هذه السينما وهو تيار السينما السياسية فإنما قصد به توكيد وجود وثراء هذه الســينما داخل المحتوى الاوسع للســينما الامريكية بعد ما شاع ان السينما السياسيــة هي خلق اوروبي بحت ومستمر . ولا يتسع المجال هنا لاستحراج امثلة امريكية قديمة تدل على وجود هذا التيار وتأصله ولكنه ظل رافدا ضيقا متفرعا عن المجرى الهوليــودي الشاسع كما قصدنا ايضا اثارة اهتمام القارىء بسـينما لا تلقي من الاهتمام الصحفي العربي ما تستحقه

في قائمة هذا العام افلام اخرى ليست سياسيـة بالمعنى المباشر ولكنها من اعمال الادب السينمائي الدي يصل احيانا الى تخوم السياسة واحيانا اخرى الى مملكة التأملات الذاتية

« دم حكيم . أو أنبياء تحت الطلب »

« اعتقد ان كتابي يجذب المجانين تلقيت حظ

مبدي بان الناس الذين اكتب عنهم لاوجود لهم .. ديانة لخوب هي « اصنع ديانتك بنفسك » وهو شيء اجده ، كاثوليكيــة ، امرا مؤلمــا ومؤثرا ومفعما بالكوميديــا سوداء أجده مليئا بكبرياء واعية تؤدي بهؤلاء الانبياء ى الانسيــاق خلف تصورات دينيـة مضحكـة فليس ديهم ما يصححون به خرافاتهم العملية سوى أن يعلنوا عها بشكل درامي فج من واقع تجربتي فان كل ما ثير الضحك فيا كتبته هو اكثر اثارة للرعب منه الى لضحك . او لعله مضحك لانه مروع أو مروع لانه مضحك

ان اهتمامي الاساسي كان موجها دائما نحو معالجة الصراع بين الايمان بما هو مقدس وبين عدم الايمان به وهو الهواء الذي صرنا نتنفسه في عصرنا الراهن »

هكـذا كتبت فلا نرى أوكـونور عن روايتها « دم حكيم » التي تحولت الى فيلم هام للمخرج الامريكـي الكبير جون هيوستون وموضوعها غريب علينا ولكنه معاصر وبالغ الاثارة

أنت أمام انبياء يوميين يعدون بالعشرات . فقراء واغنياء يهذون بحرافات وهلوسات ممعنة في الجنون

فالشاب هازل موتس الذي عاد من الخدمة العسكرية حديثا يمضي مستثارا برؤى دينية مهلوسة من اباء طفولته ـ ليعظ الناس في الشوارع حول الكنيسـة الجديـدة ـ كنيسته هو في هذا القاع نشاهد الانبيـاء الدجالين الاخريـن يتصارعون حول المهنة الجديـدة وموتس ليس دجالا ولكنه مهووس يفقأ عينيه ويمزق صدره ويهيــم على وجهه الى ان تلتقطه امرأة عجوز لنعيش معها

ولا ينسى هيوستون ان يرينا تمثال جوزيف مورمون بي الديــانة المورمونيــة الجديــدة (اتباعها الان في الولايات المتحدة نحو خمسة ملايين ولها كنائس وطقوس خاصة) والذي يعتبر تجسداً حيا لظاهرة « اصنع ديانتك بنفسك » ولدينا مثال قريب في القس جيم جونز المهووس الذي قاد عملية الانتحار الجماعي لنحو الف شخص في « ارضه المقدسة » في جويانا .

والنتيجة هي تأكيــد على الافلاس الروحي الذي تعانيه الحضارة الغربية يوما بعد يوم .

ايام الجنــة

هذا فيلم « جميـل » وقطعة من الادب الســينمائي الخالص عن ايام الحصاد في نهاية القرن المـاضي حين كانت حموع تشبه القوافل تحل على الحقول لتحصد وتحصل على احور اعلى

قصة فتى وفتاة لا يعلم احد عنهما شيئا اخوان او حبيبان يمضيان الى الجموع ويعيشان لفترة قبل ان يحل الجراد ويحل معه السبب الذي يدعوهما الى الرحيــل معامرة تنتهي بقتل الفتى

من الصعب ان تصـف فيلما كهذا اعتمد بالدرجة الاولى على التصوير الرائع (لستور المنديروس) الذي جعل من أيام الجنة تلك اياما ممعنة في الحلم .

الاضواء الشمالية

على العكس من « أيــام الجنة » فان الفيلم الامريكي « الاضواء الشمــاليـة » يحفل كثيرا بالاضواء العادية في حياة المزارعين بنورث داكـوتا في حوالي عام ١٩١٥ (فترة قريبة من تلك التي تدور فيها احداث « ايام الجنة ») انت هنا بصدد فيلم من خارج هوليود .

فالكــاميرا تلتقي بفلاحين حقيقيــين يعيشون في المنطقة ويشترك معهم الممثلون . والفيلم يروى جانبا من تجربة قادها هنري مارتينسون لتأسيس ماسمي « عصبة الانصار » في عام ١٩١٦ لتبني حقوق الفلاحين . ويروى القصة احد مؤسسي هذه العصبة (٩٥ عاما) مما اكسب الفيلم احساسا واقعيا غامرا .

فيلم بالابيض والاسود بكـاميرا قيــاس ١٦ مم . والرؤيــة الآن « باكبر واحدث تقنيــات الســينما . سينما موازية وسينما في المجرى الاوسع ...

هذا جانب من حيوية السينما الامريكية . ■■

الفاروق عبد العزيز

دفاع عن السُّلطان

في ٣٠ مارس عام ١٤٣٢ م ، كان ميلاد السلطان محمد الثاني الذي عرفه التاريخ باسم محمد الفاتح . كان على العصور الوسطى ان تنتظر ٢١ عاما بعد هذا التاريخ حتى تنتهي ، ذلك ان ثمة اتفاقا بين المؤرخين على ان العصر الحديث يبدأ بفتح القسطنطينية في ٢٩ مايو عام ١٤٥٣ م .

كان العالم في تلك الفترة مشغولا بفتوحات العثمانيين في اوروبا وبالصراع العثماني ـ الاوروبي حين كانت الفكرة التى تحكم العثمانيين هى جمع العالم الاسلامي في دولة واحدة تحت رايتهم والانطلاق نحو الغرب للجهاد . ولم يكن العالم حينذاك كاليوم في عدده فلم يكن عدد سكان العالم يتجاوز ٤٠٠ مليون نسمة موزعين كالتالي نحو ٢٧٥ في آسيا و ٧٠ مليونا في اوروبا و ٤٠ مليونا في افريقيا و ١٥ مليونا في امريكا وقد حاول بايزيد الصاعقة تحقيق الوحدة الاسلامية بحرب المماليك في الشام ومصر وضم ممتلكاتهم الى الدولة العثمانية لولا ظهور تيمور لنك ، وانتصاره على بايزيد عام ١٤٠٢ م . والفاتح ايضا كان يطمح الى ذلك ، اذ انه كان في الطريق بالفعل الى قتال الدولة المملوكية وضمها الى الدولة العثمانية لولا وفاته .

اعداد الفاتح

خضع السلطان محمد ـ شأنه في ذلك كل امير عثماني ـ لنظام تربوي صارم تحت اشراف مجموعة من علماء عصره المعروفين . اخضعه شيوخه الى دراسة أكاديمية منظمة وهو ما يزال غضا فتعلم القرآن الكريم والحديث والفقه والعلوم العصرية ـ آنذاك ـ من رياضيات وفلك وتاريخ ودراسات عسكرية نظرية وتطبيقية كان السلطان محمد يشترك في الحروب التي كان يشنها والده السلطان مراد الثاني ضد اوروبا او التي كان يصد فيها اعتداءاتهم

وكعادة آل عثمان في اسناد ادارة ولاية لكل امير وهو صغير حتى يؤهل لقيادة الدولة بعد ذلك قضى محمد فترة امارته في مغنيسيا تحت اشراف مجموعة من علماء الدين ، وكان محمد محظوظا اذ كان المشرفون عليه من

محمد الفاتح



لوحة تصور تسيير السفن على
البر وانزالها في مياه الخليج



جامع العاتح في استانبول

اساطين علماء العصر في مقدمتهم الشيخ آق شمس الدين والملا الكوراني . (عالم الدين عند العثمانيين الاوائل كان عالما موسوعيا في شتى علوم المعرفة في عصره) . وقد أثرت مجموعة العلماء هذه في تشكيل الامير الصغير ونجح العلماء في تشكيل اتجاهاته الثقافية والسياسية والعسكرية . وكان الشيخ آق شمس الدين صارما مع الامير حتى ان السلطان محمد وهو سلطان قال لاحد وزرائه عن شيخه هذا ان احترامي لهذا الشيخ احترام يأخذ بمجامع نفسي وانا ماثل في حضرته مضطربا ويداي ترتعشان » .

ثقافة الفاتح

درس السلطان محمد بجانب دراسته الاكاديمية النشطة المنظمة اللغات الاسلامية الثلاثة التي لم يكن يستغني عنها مثقف عصري آنذاك وهي . العربية والفارسية والتركية . والسلطان محمد الفاتح شاعر له ديوان شعر بالتركية ، وله بيت مشهور يقول فيه

نيتي هي الامتثال للامر الالهي « جاهدوا في سبيل الله »

وحماسي انما هو حماس في سبيل دين الله

وعرف السلطان محمد ايضا اللغات . اللاتينية واليونانية والصربية ، ولا تخفي اهمية هذه اللغات لامير في طريقه لسلطنة الدولة العثمانية

فترة امارة محمد في مغنيسيا جعلته ـ بفضل توعية مجموعة اساتذته ـ اكثر الامراء العثمانيين وعيا في دراسة علوم التاريخ والجغرافيا والعلوم العسكرية ، خاصة وان اساتذته وجهوا اهتمامه الى دراسة الشخصيات الكبيرة التي اثرت في مجرى التاريخ . وابانوا له عن جوانب العظمة في تلك الشخصيات كما وضحوا له نقاط الضعف فيها املا في ان يكون اميرهم ذات يوم اكثر الحكام عبقرية

ولا شك ان الشيخ آق شمس الدين استطاع ان يلعب دورا كبيرا في تكوين شخصية محمد وان يبث فيه منذ صغره امرين هما اللذان جعلا منه فاتحا ، وهما :

١ ـ مضاعفة حركة الجهاد العثمانية .

٢ ـ الايحاء دوما لمحمد منذ صغره بانه هو الامير المقصود بالحديث النبوي « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الامير اميرها ولنعم الجيش » .

وعن تحقيق النقطة الاولى يكفي هنا اخذ قطاع تاريخي في حياة السلطان محمد ـ بعد ان اصبح سلطانا للدولة ـ لنرى فيه حملاته العسكرية ، واكتفى هنا بتعداد حروبه البرية على الجبهة الاوروبية فقط

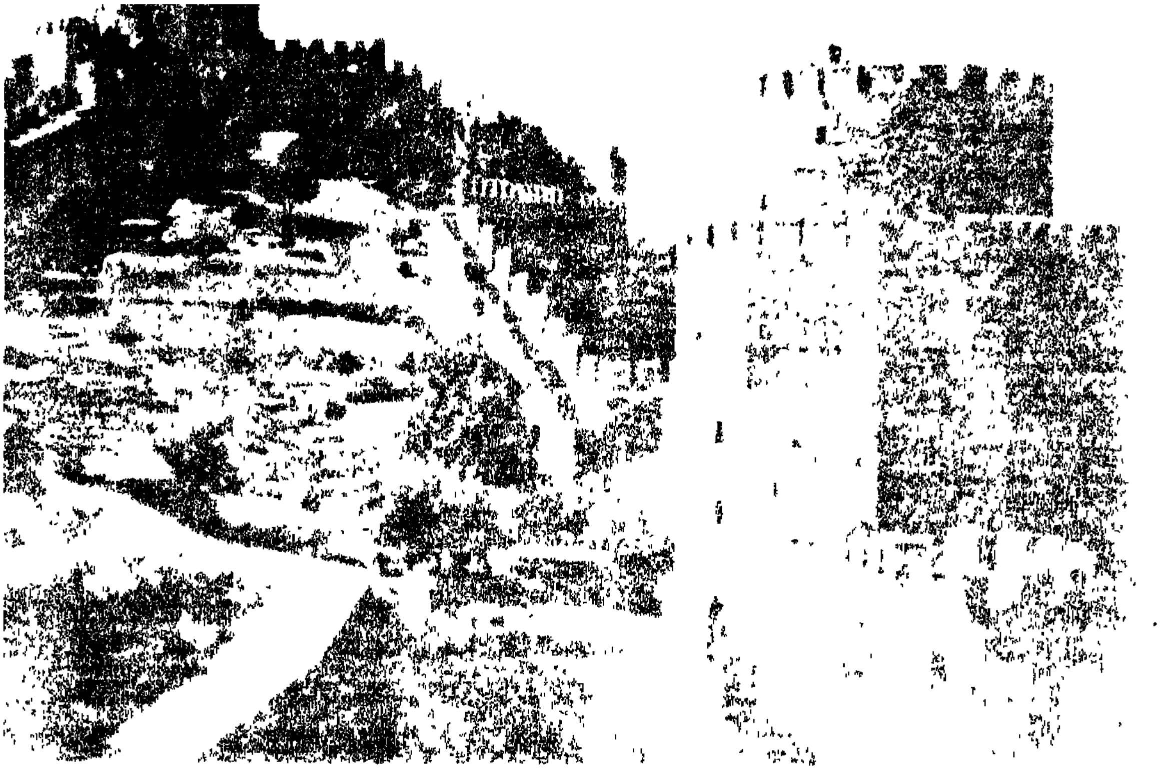
عام ١٤٥٣ م فتح القسطنطينية ـ عام ١٤٥٣ م ـ ١٤٥٩ م فتح بلاد الصرب ـ ١٤٦٠ فتح بلاد المورة ١٤٦٢ ضم بلاد الافلاق ـ ١٤٦٣ ـ ١٤٧٩ فتح بلاد البانيا ـ ١٤٦٣ ـ ١٤٦٥ فتح بلاد البوسنة والهرسك ـ ١٤٧٦ حرب المجر

ومنذ حرب بلاد المجر وحتى وفاة الفاتح (عام ١٤٨١) دخلت الدولة العثمانية في حروب بحرية كثيرة منها . ضم الجزر اليونانية عام ١٤٧٩ وضم اوترانتو عام ١٤٨٠ ، ومعلوم انه كان قد اعد بالفعل جيوشه وتحرك على رأسها لمحاربة المماليك الا ان الموت عاجله

مؤشرات فتح القسطنطينية

رأى محمد السلطان ان فتح القسطنطينية كما انه يحقق املا عقائديا عنده فانه ايضا يحقق للدولة العثمانية ايضا يسر فتوحاتها في منطقة البلقان وحتى تكون بلاده متصلة لا يتخللها عدو . وكانت القسطنطينية تمثل الارض العدوة الواقفة في طريق الفتوحات في اوربا . فبدأ في عاصمته ادرنة الاستعدادات لعملية فتح القسطنطينية ومن ذلك صب المدافع خاصة الضخم خاصة الضخم منها والاستعداد لنقل هذه المدافع الى اسوار المدينة .

ثم رأى السلطان محمد ان جده بايزيد الصاعقة كان قد بنى للغرض نفسه ـ وهو محاولة فتح القسطنطينية ـ قلعة على الضفة الاسيوية من البسفور سماها « اناضولو حصا رى » اى قلعة الاناضول . كانت هذه القلعة تقوم على اضيق نقطة من مضيق البسفور ، فقرر محمد ان يبني في مواجهة هذه القلعة على الجانب الاوربي من البوسفور قلعة سماها (روملي حصا ري) أي قلعة منطقة الروم (يطلق الأتراك على الجانب الأوروبي من



روملي حصاري

تركيا والمنطقة الملاصقة له والمعروفة الان باسم البلقان تسم روم ايلي اى منطقة الروم) وكان القصد من هذا هو التحكم في البسفور تماما . وكان السلطان محمد هو الذي وضع بنفسه تخطيط هذه القلعة ونفذها المعماري مصلح الدين اغاو ٧٠٠٠ عامل انهوا مهمتهم في اربعة اشهر كاملة

تم البناء فخرج بعض الجنود العثمانيين للتفرج على القسطنطينية فما لبث ان وقع بينهم وبين البيزنطيين المجاورين لاسوار المدينة بعض حوادث شغب كان لها رد فعل عند السلطان محمد فاصدر اوامره بابعاد البيزنطيين المجاورين للاسوار وكذلك ابعاد القرويين المجاورين للمدينة . فقام امبراطور بيزنطة قسطنطين دركازين باخلاء القرى المجاورة وسحب سكانها الى داخل المدينة ثم امر الامبراطور باغلاق ابواب القسطنطينية واحكام رتاجها

وبينما الاستعدادات العثمانية تجرى على قدم وساق في ادرنة لفتح القسطنطينية كان الوضع في المدينة غاية في الاضطراب . فالامبراطور قسطنطين يطلب معونة عاجلة من البابا نيقولا الخامس . فاستجاب البابا وارسل الكاردينال ايزودور الى القسطنطينية . فتوجه هذا الكاردينال ـ وهو كاثوليكي ـ الى كنيسة اياصوفيا واقام فيها المراسم الكنسية على الاصول الكاثوليكية مخالفا بذلك بل ومتحديا لمشاعر شعب القسطنطينية الارثوذكس وقف الشعب يتفرج على الكاردينال المنقذ باشمئزاز بالغ . كان امبراطور القسطنطينية يميل الى فكرة اتحاد الكنيستين الارثوذكسية . والكاثوليكية اما رئيس الحكومة لوكاس نوتاراس مع جناديوس (الذي صار بطريكا بعد الفتح) فقد عارضا بشدة هذا الاتحاد خوفا على الكاثوليكية من الفناء . وقال نوتاراس قولته الشهيرة « اني افضل رؤية العمامة التركية في القسطنطينية على رؤية القبعة اللاتينية » ولم يكن البيزنطيون قد نسوا بعد الاعمال الوحشية التي قام بها اللاتين عندما احتلوا القسطنطينية عام ١٢٠٤ م ومع ذلك فان الكنيسة اللاتينية لم تتوان عن ارسال موجات المتطوعين الى القسطنطينية بناء على طلب امبراطورها العون لكن مجيء ايزيدور لم يحقق ادنى نتيجة في مسألة اتحاد الكنيستين

الحصار والفتح

وفي ابريل ١٤٥٣ حاصر العثمانيون القسطنطينية برا وبحرا واشترك في الحصار من الجنود البحرية ٢٠٫٠٠٠ جندي على ٤٠٠ سفينة . اما القوات البرية فكانت

٨٠٠٠٠ جندي . والمدفعية ٢٠٠ مدفع .

وقفت القوات البحرية العثمانية بقيادة بلطة اوغلو سليمان بك على مدخل الخليج الذهبي وكان عليه تدمير الاسطول البيزنطي المكلف بحماية مدخل الخليج ولان البيزنطيين كانوا قد اغلقوا ـ قبل الحصار الخليج بسلسلة حديدية طويلة يصعب من جرائها دخول اي سفينة الى الخليج . فقد كان هذا اكبر معضلة امام العثمانيين لان سفنهم كان عليها ان تحمل الجنود وتدخل الخليج لا نزالهم لكي يضربوا القسطنطينية .

ثم جاءت ٣ سفن جنوبية وسفينة بيزنطية بقيادة القائد الشهير جوستنياني ارسلها البابا للدفاع عن القسطنطينية ولنقل الامدادات اليها . جاءت هذه السفن ولم تستطع البحرية العثمانية منعها . فبعد معركة عنيفة مع البحرية العثمانية تغلب جوستنياني ومضى بسفنه الى الخليج ففتح لها اهل القسطنطينية السلسلة الحديدية وادخلوها . وكانت هذه الحادثة دافعا لكي يفكر السلطان محمد في خطة عسكرية شهد لها القواد العسكريون بالبراعة

كانت هذه الخطة تقضي بنقل ٦٧ سفينة من السفن الخفيفة عبر البر من منطقة غلطة الى داخل الخليج بتفادي السلسلة . وتمت هذه العملية بوضع اخشاب مطلية بالزيوت على طول المنطقة المذكورة . ثم دفعت السفن لتنزلق على هذه الاخشاب في جنح الظلام . بعد ان استطاعت المدفعية العثمانية باطلاقها مدافع الهاون ان تشد انتباه البيزنطيين اليها وبالتالي لم يلتفت احد لعملية نقل السفن الى الخليج .

نقلت السفن وانزلت الى الخليج ووضعت الواحدة تلو الاخرى على شكل جسر على عرض الخليج . حتى استطاع الجنود الانتقال عليها وصولا الى بر القسطنطينية . وما ان جاء الصباح الا والدهشة قد تملكت اهل القسطنطينية . يصف المؤرخ دوكاس وهو بيزنطي عاصر الحادثة . دهشته من هذه العملية قائلا : « انها لمعجزة لم يسمع احد بمثلها من قبل ولم ير احد مثلها من قبل » .

وبعد ان فشلت البحرية العثمانية في احباط محاولة جوستنياني دخول الخليج . لم يملك السلطان محمد الا الامر بالهجوم العام الذي اشتركت فيه كل القوات العثمانية مرة واحدة . وقبل هذا مباشرة ارسل السلطان محمد للامبراطور ـ للمرة الثانية ـ يطلب منه تسليم المدينة سلما حقنا للدماء وللامبراطور ان ينسحب الى أي مكان يريده بكل امواله وخزائنه . وتعهد السلطان محمد بتأمين اهل القسطنطينية ـ في هذه الحالة ـ على اموالهم وارواحهم وممتلكاتهم . لكن الامبراطور ـ بتحريض من الجنوبيين ـ رفض هذا العرض .

وفي ٢٦ مايو اراد ملك المجر ان يضغط على السلطان محمد وهو في هذا الوقت الحرج . فارسل يقول له انه في حالة عدم توصل العثمانيين إلى اتفاق مع امبراطور القسطنطينية فإنه (أي ملك المجر) سيقود حملة أوروبية لسحق العثمانيين . ولم تعير هذه الرسالة شيئا وان كان محمد قد صفى بعد ذلك حسابه مع ملك المجر

مضى نهار ٢٨ مايو هادئا وعند الفجر وبعد الصلاة مباشرة . اتجه السلطان محمد الى مكان الهجوم ومع دوي المدافع الضخمة الذي بدأ مع الشفق صدر الامر السلطاني باخراج العلم العثماني من محفظته . (وهذا يعني عند الاتراك الامر ببداية الهجوم العام)

استطاعت المدافع اثناء ذلك احداث فتحة في الاسوار ثم اجتاز الجنود العثمانيون الخنادق المحفورة حول القسطنطينية ومن ثم اعتلوا سلالم الاسوار . وبدأ الجنود يتدفقون على ثلاث موجات . اشتركت الانكشارية في الثالثة منها . فاضطر قسطنطين ان يدفع بقواته الاحتياطية التي كانت مرابطة بجوار كنيسة الحواريين (سانت ابو ترس) (مكان جامع الفاتح بعد ذلك) لتدخل المعركة . وما لبث ان اطلق جندي عثماني سهمه فاصاب القائد جوستنياني اصابة بالغة وانسحب جوستنياني من ميدان المعركة رغم توسلات الامبراطور له . لان جوستنياني كان له دور كبير في الدفاع عن المدينة .

وكان اول شهداء العثمانيين هو الامير ولي الدين سليمان الذي اقام العلم العثماني على اسوار المدينة البيزنطية العريقة . وعند استشهاده اسرع ١٨ جنديا عثمانيا اليه لحماية العلم من السقوط واستطاعوا حمايته حتى واصل بقية الجنود تدافعهم على الاسوار . وثبت العلم تماما على الاسوار بعد ان استشهد ايضا هؤلاء

ثمانية عشر جنديا . اثنـاء ذلك كان العثمانيون واصلون تدفقهم الى المدينة ، عن طريق الفتحات التي حدثتها المدفعية في الاسوار ، ثم عن طريق تسلق سلالم التي اقاموها على اسوار المدينة . ثم استطـاع جنود اخرون من فرق الهجوم العثمانية فتح بعض ابواب القسطنطينية ، بينما نجح اخرون في التحكم في سلسلة مدخل الخليج وفتحوهـا ، وبالتـالي تدفـق الاسطـول العثماني الى الخليج وبعد ذلك الى المدينة نفسها ، وساد الذعر البيزنطيين وكان قد قتل منهم من قتل فهرب من استطاع الى ذلك سبيلا

الفاتح يعطي الامان

لكن الشعب خاف واسرع يتجه نحو كنيسـة ايا صوفيا ، وعندما دخل الفاتح المدينة امر باحراق جثث القتلى تفاديا للامـراض . وسـار على ظهـر جواده الى الكنيسة حيث تجمع الشعب البيزنطي ورهبانه ، وما ان علموا بوصول السلطان الفاتح حتى خروا سجدا راكعين بين انين وبكاء وعويل . وصل الفاتـح ، نزل من على ظهر حصانـه صلى صلاة الشـكر لله على توفيقـه له بالفتح ، ثم سار يقصد شعـب بيزنطـة ورهبانـه ، ولما وجدهم على هذه الحالة من السجود انزعـج وتوجـه الى رهبانهم قائلا « قفوا ، استقيموا فانا السلطان محمـد ، اقول لكم ولجميع اخوانكم ولكل الموجودين هنا انكم منذ اليوم في امان في حياتكم وحرياتكم » . وهذا ما سجله مؤرخ بولوني كان معاصرا للخطة .

كان هذا التصرف من الفاتح له اثر كبير في عودة المهاجرين النصارى الذين كانوا قد فروا من المدينة وامر الفاتح قواده وجنوده بعدم التعرض للشعب بأذى ثم طلب من الناس العـودة الى ديارهـم بسـلام ، وحـول اياصوفيا الى جامع على ان تصلي فيه اول جمعة بعـد الفتح (كان الفتح يوم ثلاثاء) وكانت اياصوفيا اكبر كنيسة في العالم واقدم مبنى في اوربا كلها .

كان سلوك الفاتح عندما دخل القسطنطينية ظافرا ، سلوكا مختلفا تماما ، كان الفاتح يستطيع حسب شريعة الحرب في زمانه ان يفعل ابسط ما تقول به شريعة الحرب في العصور الوسطى وهو نفي شعب المدينة المفتوحة الى مكان اخر او بيعه في اسواق النخاسة ، لكن الفاتح قام بما عجز عن فهمه الفكر الغربي المعاصر له من تسامح ورحمة ، فقد قام بالآتي :

١ ـ اطلاق سراح الاسرى فورا نظير مقابل مادي قليل يسدد على اقساط طويلة المدى .

٢ ـ اسكان الاسرى الذين كانـوا من نصيبـه في المغانم في المنازل الواقعة على ساحل الخليج .

٣ ـ عندما ابيحت القسطنطينية للجنود ثلاثة ايام عقب الفتح ، كان هذا الاذن مقتصرا على الاشياء غير المعنوية ، فلم تغتصب امرأة ولم يمس شيخ عجوز ولا طفل ولا راهب بأذى ، ولم تهدم كنيسة ولا صومعة ولا دير ولا بيعة ، مع ان المدينة اخذت بالحرب ورفضت التسليم .

٤ ـ كان من حق الفاتح قانونا ـ ما دامت المدينة قد اخذت عنوة ـ ان يكون هو نيابـة عن الجيش الفاتـح مالكا لكل ما في المدينة وكان من حقه ايضا تحـويل نصف الكنـائس والبيع وعلى مدى زمنـي طويل الى جوامع ومساجد وترك النصف الاخر لشعب المدينة على ما هو عليه ، وفي وقفيات السلطان محمد الفاتح بنود كثيرة على بقاء اديرة جوكاليجا وايا وليبس وكيرا ماتوا والكس في يد البيزنطيين

٥ ـ اعترف لليهود بملكيتهم لبيعهم كاملـة وانعـم بالعطايا على الحاخام موسى كابسالي .

٦ ـ عين (في ١٤٦١) للجماعات الارمنية بطريقا يدعـى يواكيم ليشرف على مصـالـح الارمـن ويوحـد صفوفهم .

٧ ـ بدأت اعمال تعمير المدينة ابتداء من ٢ يونية ١٤٥٣ (كان الفتح يوم ٢٩ مايو من العام نفسه) وامر بنقـل جماعـات كثـيرة من مختلف انحـاء الدولـة الى القسطنطينية للإسهام في اعادة انعاشها .

٨ ـ اعاد الفاتح للارثوذكس كرامتهم التي اهدرها اللاتين الكاثوليك بان اعطاهم حق انتخاب رئيس لهم يمثلهـم ويشرف على شئونهـم واصبـح سكولا ريوس (جناديوس) اول بطـريق لهـم بعـد الفتـح العثمـاني للقسطنطينية ، وبذلك انقذ الفاتح ايمان الامة التي فتح ديارها واحيا الارثوذكسية بعد ان اخذت تخفت (لاحظ ان هذا التصرف من الفاتـح تسبـب في تكتـل اوربـا

الكاثوليكية ضده) .

٩ - جعل الفاتح مسائل الاحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق والميراث وامور الوفاة الخاصة باهل المدينة المفتوحة من حق الجماعات الدينية المختصة ، وكان هذا امتياز امنعدم النظير في اوربا ذلك الوقت .

الفاتح وحكام عصره

لقد تصرف الفاتح تصرفا حضاريا في الوقت الذي كان الحكام من الشرق والمغرب يتلذذون بسفك الدماء وبقتل الناس بالالاف ويتلذذون وهم على موائد الطعام بمنظر الاسرى وقد اخترقت بطونهم اسنة رماح الجنود وبرفع الاسرى على الخوازيق وبخلط دمائهم بانواع الشراب ، (قارن بين اعمال جنكيز خان وتيمور لنك في الشرق ، وفلال وهوبيادي في الغرب ، وبين موقف الفاتح من المسيحيين واليهود بعد فتحه القسطنطينية - كمثال - وكذلك قارن بين موقف دولة بيزنطة عندما هدمت حي المسلمين في القسطنطينية وأبادت سكانه بعد ان علم الامبراطور بانتصار تيمور لنك على السلطان العثماني بايزيد الصاعقة في واقعة انقرة عام ١٤٠٢ ، وبين الفاتح في تناسيه لهذه الحادثة والصفح عنها وعن نصارى المدينة بعد دخوله القسطنطينية)

ان الجيوش الصليبية قد ازهقت في عملية احتلال القدس ارواح ٧٠٫٠٠٠ برىء يقول هـ ج ويلز في ذلك : « كانت المذبحة التي دارت في بيت المقدس رهيبة وكان الراكب على جواده يصيبه رشاش الدم الذي سال في الشوارع .. »نفس المؤرخ يقول عن هولاكو . « كان هولاكو يفتح فارس وسوريا واظهر المغول في ذلك الزمان عداوة مريرة للاسلام ، ولم يكتفوا بتذبيح سكان بغداد فقط بل .... وقد صارت ارض الجزيرة منذ تلك اللحظة التعسة يبابا من الخرائب والاطلال لا تتسع الا للعدد القليل من السكان .... » .

وتقول سامحة آي ويردي : « ان الجيوش الصليبية التي تدفقت على القسطنطينية (عام ١٤٠٢) قامت بتحويل المدينة الى خرابة بائسة فقيرة معدمة بعد ان كانت غنية معمورة يسودها الرخاء » .

وعندما دخل شارل الخامس تونس عام ١٥٤٠ لم يترك حيا امامه الا قتله ولم تسلم من وحشيته حتى الجياد والقطط ، وهذا ما ذكره شهاب الدين تكين داغ في مذكراته عن الدولة العثمانية

ان هذه الامثلة اذا ما قارناها بموقف الفاتح الحضاري من القسطنطينية واهلها ، نرى الفاتح قائدا منعدم النظير بين اقرانه من اباطرة الشرق وحكام الغرب ولو كان الفاتح قد اتبع ما كان يجري على الجانب الغربي من البحر المتوسط من فظائع الاسبان في الاندلس وما فعلوه بالمسلمين وبالعرب لما اصبح هناك مسيحي واحد في القسطنطينية

دور المدفعية العثمانية

كان المدفع اختراعا حديثا مروعا غير مجرى التاريخ وكان مدفع الهاون اختراعا عثمانيا عرفه العالم لاول مرة اثناء حصار العثمانيين للقسطنطيية كما كان المدفع الضخم خاصة مع الهاون اكبر عامل في فتح المدينة

كان المدفع الضخم من اختراع اثنين هما مصلح الدين واوربان واوربان هذا مختلف في اصله هل هو مجري او روماني كان المدفع ضخما جدا تسمع طلقاته من مسافة (١٠٠) ستاد (٢٥ ميلا) وقذيفته من الحجر والبارود تبلغ زنة القديفة الواحدة (١٥٠٠) كيلو جرام تصل مداها الى مسافة ميل (يقول اداري مونتالدو ان عدد المدافع التي صبها كل من مصلح الدين واوربان قد بلغ ٢٠٠ مدفع)

وعندما كان المدفع ينقل من ادرنة العاصمة الى القسطنطينية ليستقر امام اسوارها كان لزاما على العثمانيين توسعة طريق ادرنة - القسطنطيية وقام بهذه العملية (٥٠) مهندسا ومائتا عامل ، وكان يجر المدفع (٦٠) جاموسة ويسند المدفع من على جانبيه ٤٠٠ رجل قوي (٢٠٠) على كل جانب ، وذلك حتى لا ينزلق المدفع يمنة او يسرة اثناء مروره (فرانتزيس يقول بان بعض هذه المدافع كان يحتاج الى ٢٠٠٠ رجل لجره)

ولقد لعبت مدافع الهاون دورا ملحوظا في الحصار سواء في الضرب او في عمليات التمويه وان لم تكن كافية للتحكم تماما في الخليج كله .

وبسبب هذه المدافع حدث التحول الكبير في وروبا

فالمعروف ان اوروبا كانت تعيش ـ الى ما قبل فتح القسطنطينية ـ في العصر الاقطاعي الذي كان يمثله الاقطاعيون الذين يعيشون داخل حصون مسورة باسوار ضخمة وكان هذا هو رمز العصور الوسطى في الغرب. فلما اخترع العثمانيون المدفع الهاون والمدفع الضخم وانهارت امام طلقات المدفعية العثمانية اسوار القسطنطينية، ثم اخذ المدفع في الانتشار، اخذت اسوار الاقطاعيين في التهاوى والسقوط فانتهى عهد الامير الاقطاعي المستبد واخذت الدول تتشكل، ومعها ظهرت بداية التاريخ الحديث ومن هنا فان مدفع العثمانيين في فتح القسطنطينية اصبح هو مفتاح تاريخ العصر الحديث، وعلى هذا اتفق المورخون سواء في الغرب او في الشرق

مغالطة مفضوحة

في عام ١٩٥٣ نشر المستشرق الالماني فرانز بابنجر كتابا بعنوان « السلطان محمد الفاتح وعصره » قال فيه ان السلطان محمد الفاتح مات مسموما وان الذي قدم له السم ليشربه طبيبه اليهودي يعقوب باشا

كان ادعاء بابنجر هذا نتيجة ترجمة متعسفة لكلمة تركية جاءت في نص في تاريخ عاشق باشا زاده المسمى تواريخ ال عثمان، في الفصل الخاص بمرض السلطان محمد الفاتح الذي ادى الى وفاته. والعبارة المقصودة هنا هي كالتالي « اتفق الاطباء ـ اى اطباء السلطان ـ على اعطائه (شراب فارغ) وكان مجلس اطباء السلطان يضم فيمن يضم يعقوب باشا اليهودي « المهتدي » ولم يكن باشا هذا من النفوذ بحيث ينفرد بالرأي في المجلس. وضعت الكلمة التي تعسف في ترجمتها بابنجر كما هي من النص التركي يقول بابنجر بان هذه الكلمة تعني السم، مع انها في الحقيقة الدواء المقيىء بمعنى الدواء الذي يفرغ المعدة مما بها من اكل وما شابهه.

كان بابنجر يقصد من هذا الادعاء ان يجر الرأي عام العالمي عامة والتركي خاصة الى طرح مسألة موت ـاتح بالسم ومناقشتها ولما كان من المعروف تاريخيا ان السلطان محمد الفاتح ـ جريا على العادة التركية في ذلك الزمان ـ قد اقام جامعة فوق مقبرة بيزنطية، فان معنى تحليل وفاته ان يشمل ذلك حفرا سيجر بالتالي الى عملية تنقيب التربة ويمتد الامر الى المقبرة البيزنطية القديمة وبالتالي سيتحول جامع السلطان محمد الفاتح ـ بحكم قانون الاثار التركية ـ الى منطقة اثرية ومتحف وبالتالي كان لا بد ان يغلق تماما امام المصلين وتمنع فيه الصلاة (لاحظ ان جامع صوفيا كان تحول بحكم القانون التركي الى متحف ولم تعد تقام فيه الصلاة).

فطن المؤرخ التركي شهاب الدين تكين داغ الى حلة بابنجر على الفاتح فقام هذا المؤرخ القدير اثناء احتدام مناقشة هذا الادعاء في الصحف والمجلات والندوات الثقافية التركية، قام بكتابة بحثه المشهور « قضية موت الفاتح » اشار فيه الى ان بابنجر اعتمد في ادعائه هذا على عاشق باشا زاده وهو مؤرخ عثماني اتى بعد حادثة فتح القسطنطينية بواحد وثمانين عاما، ولم يقل هذا شيئا جديدا على المؤرخين السابقين عليه من الذين عاصروا الفتح من عثمانيين واجانب ولم يدع احد من هؤلاء مثل هذا الادعاء وانما اتفقوا على ان موت السلطان الفاتح كان نتيجة لاصابته بالنقرس، وهو المرض الذي اصاب كثيرا من سلاطين ال عثمان على درجات متفاوتة كان اخرهم السلطان عبد الحميد الثاني.

ثم فند شهاب الدين تكين داغ تعسف بابنجر في ترجمة كلمة « شراب فارغ » ودحضه من وجهتي نظر لغوية وتاريخية، ثم اثبت فشل زعم بابنجر في مسألة تسمم الفاتح وفضح نواياه.

كان لموقف شهاب الدين تكين داغ اثر حاسم في ايقاف الحملة العالمية والتركية المحلية على السلطان محمد الفاتح وعلى مؤامرة تحويل جامعه المشهور الى منطقة اثرية ومتحف

وكما لم ينس الغرب لصلاح الدين الايوبي استرداده للقدس، فان الغرب لم ينس ايضا للفاتح فتحه القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية فما زال يوم ٢٩ مايو من كل عام هو يوم حزن عند بعض رجال الدين الغربيين وهو يوم فتح القسطنطينية. ■■

استنبول ـ محمد حرب عبد الحميد

إذا لم تعرف الى اين انت ذاهب فقد تنتهي الى مكان آخر !

أهداف حياتك كيف تحددها ؟

بقلم : الدكتور عبد الله محمود سليمان
قسم علم النفس ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت

ماذا اريد من حياتي ؟ سؤال لا يكف الانسان عن سؤاله في كل ساعة وفي كل يوم . ماذا افعل هذا المساء ؟ وغدا ماذا يجب ان انجز ؟ وعلى اجابة الانسان على هذا السؤال ، وعلى اسلوبه في التعامل معه يتوقف الكثير . فكل انسان يسعى الى تحقيق شيء والى بلوغ هدف . والهدف هو محطة الوصول التي يحددها الانسان لنفسه ، ويسعى الى بلوغها باذلا الجهد ، راكبا الصعب واذا اختار الانسان محطة موجودة بالفعل على الخريطة ، يمكن ان يصل اليها ، بطائرة او قطار او سيارة ، او حتى دراجة ، وكان في امكانه ان يستقل احدى هذه الوسائل ، لتمكن من بلوغ هدفه بسلام .

ولتتأمل نفسك : أليست حياتك سعيا دائبا وجهادا متصلا ؟ فما ان تبلغ هدفا حتى تسعى الى آخر ، وما ان تصل الى محطة حتى تستعد الى الرحيل الى اخرى . ولو كان بلوغ هدفك الاول مريحا آمنا ، فسيكون سعيك الى بلوغ هدفك الآخر مريحا آمنا كذلك ، واذن فعليك منذ البداية ان تحدد هدفك بحيث يمكن الوصول اليه ، وان تختار الطريق الذي يؤدي الى هدفك بحيث يمكنك السير فيه ، وهذا يعني ان تكون اهدافك واقعية وعملية وملائمة لقدراتك ، وان تكون سبل الوصول اليها ممكنة ، حتى اذا ما بلغت هدفك شعرت بالراحة واخذت

تستعد للسعي الى هدف آخر وهكذا ستجد حياتك سلسلة متصلة من الاهداف ، وستجد نفسك في سعي دائم اليها .

ومنذ ان كنت طفلا وانت تسعى الى شيء ما ، كنت لا تكف عن الحركة ، وكنت تخلق لنفسك دائما اسباب النشاط ، كان والداك يرسمان لك اهدافك ، لكن ما ان كبرت حتى اخذت تحاول ان ترسم اهدافك بنفسك وهذا طبيعي ومتوقع ، فكلما نما الانسان ، وكلما ازداد وعيه بذاته ، اخذ قدره بين يديه ، واخذ يخطط لحياته ، ويرسم اهدافه بنفسه

كيف تخطط لاهدافك ؟

قرأت في الايام الاخيرة كتابا صغيرا كتبه استاذ سابق بجامعة مينسوتا ، يشغل الآن منصب نائب رئيس مركز القيادة الابتكارية ، اما الكتاب فيحمل عنوانا طويلا وغير تقليدي هو « اذا لم تعرف الى اين انت ذاهب ، فمن المحتمل ان تنتهي الى مكان آخر » ، واما المؤلف فهو دايفد كامبل

يؤكد كامبل اهمية التخطيط فيقول . « اذا اردت لشيء ان يحدث فلا بد ان تخطط له » ولقد سأل كامبل كثيرا من الناس الذين حققوا في حياتهم نجاحا كبيرا عن اسباب نجاحهم ، وكانت اجاباتهم تكاد تأتي متماثلة ، اذ يقولون « حظ كبير ، ولكن مع كثير من التخطيط » فالنجاح لا يأتي الينا ونحن جالسون نستمتع بهدوء الحياة ، او نتعمد البعد عن ضوضائها ، اذ لابد من العمل الجاد الدءوب ، واذ اردنا ان نحقق شيئا ، فلا بد ان نخلق الظروف لحدوثه ويقدم لنا كامبل عدة قواعد نهتدي بها في تخطيطنا لاهدافنا هي :

١ ـ التخطيط امر احتمالي ، وهذا يعني ان خططنا قد تحقق وقد لا تحقق ، واذا عرفنا ذلك منذ البداية ، فسنوفر على انفسنا كثيرا من الاسى فليس هناك شيء مؤكد في الحياة . ويجب ان نتحقق ان اية خطة نضعها ، انما تتعامل مع المجهول ، ويترتب على ذلك عدة نتائج :

اولا ـ هناك عدة اشياء نستطيع ان نفعلها لتزيد من احتمالات نجاحنا .

ثانيا ـ من الافضل ان يكون لدينا خطط بديلة .

ثالثا ـ اية خطة يمكن ان تفشل ، ومن الافضل ان نعد انفسنا لذلك .

٢ ـ يجب ان نضع خططنا بحيث تغطي عدة فترات من حياتنا ، مثل ساعة او اسبوع او سنة ، او عشر سنوات ، ومن الطبيعي ان تختلف خططنا للعام القادم عن خططنا للسنوات العشر القادمة ، وانت تستطيع ، بل يجب ان تخطط للسنوات العشر القادمة ، ولكنك لا تستطيع ان تخطط لها بدقة ، لان هناك كثيرا من العوامل غير المعروفة لك الان والتي ستؤثر على خططك في السنوات العشر القادمة . وكما قال ونستون تشرتشل مرة . « يجب على المرء ان ينظر دائما للامام ، ولكن من الصعب عليه ان ينظر الى ابعد مما يرى » . وانت تستطيع بل ويجب ان تخطط للساعة القادمة ، وانت تستطيع ان تفعل ذلك بقدر كبير من الدقة ، ولكن بالطبع ، فان اية ساعة واحدة من عمرك ، لن يكون لها تأثير كبير على حياتك .

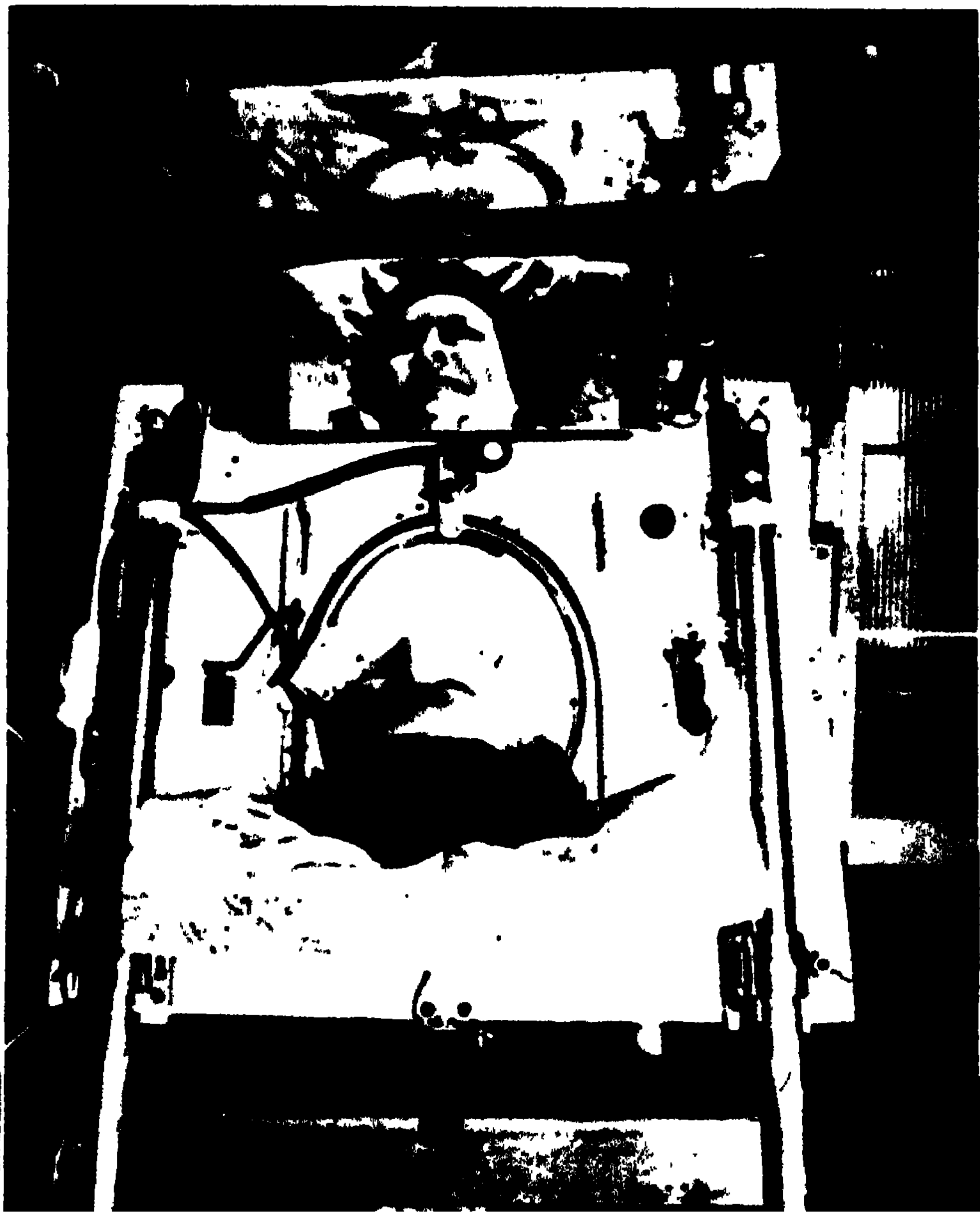
وبالرغم من ان هناك قدرا كبيرا من الاحتمالات في السنوات العشر القادمة ، الا انه من المؤكد بعد هذه الفترة ، انك ستكون قد كبرت عشر سنوات . فاذا كان عمرك الآن سبع عشرة سنة ، فمن المحتمل في العشر سنوات القادمة ان تكمل تعليمك ، وتلتحق بعمل ، وقد تترك اسرتك ، وقد تتزوج وتبدأ اسرة اخرى ، أترى ؟ هناك تغيرات اساسية قد تحدث في حياتك ، والمفاجآت التي يمكن ان تطرأ لك كثيرة ـ ماذا فعلت لتستعد للعشر سنوات القادمة ؟

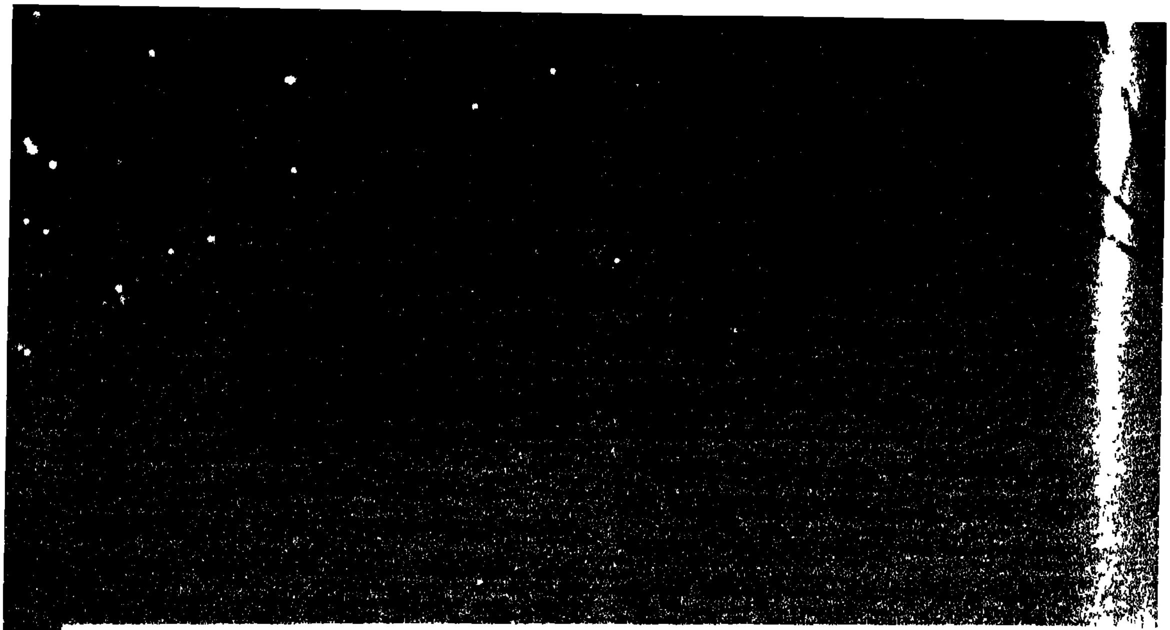
اما اذا كان عمرك الان سبعا وثلاثين عاما ، فمن المرجح ان تصل الى قمة مستقبلك المهني في العشر سنوات القادمة ، كما يصل دخلك الى اقصى مدى له ، وسيكبر اطفالك ويصلون الى سن الالتحاق بالجامعة ، وقد يتركون المنزل بعد قليل ، كما سيبدأ جسمك في الكبر بسرعة ، وستكون طاقتك على العمل واحتمالك المشقة اقل مما تستطيع الان . وستكون في طريقك الى منتصف العمر ، وقد تكون هذه الحقيقة مؤلمة ، ولكنها واقع .

٣ ـ يجب ان يخطط المرء بحيث يكون متعمقا في مجال واحد على الأقل من مجالات حياته . ركز بقوة على

شلل الأطفال

سيدة مصابة ترقد فى جهاز التنفس الاصطناعى





وتاريخ المرض يمتد الى قرون خلت ، غير أن اول وصف كامل له جاء من العالم الالماني «هاين» عام ١٨٤٠ م وفي عام ١٨٨٧ م تمكن العالم «اوسكار مدين» من اكتشاف المرض بصورة وبائية في السويد • وبعد ٩ أعوام تمكن العالم الامريكي « كافرلي » من اكتشاف الحالات البسيطة وحامل الفيروس • واستمرت الابحاث حتى تمكن العالمان « برنت وماكنمارا » في عام ١٩٣١ من اكتشاف أن للفيروس سلالات ثلاثة تعطي نفس الاعراض ، ولكن بواقع مختلف من حيث الشدة والآثار الناتجة عن الاصابة •

وظهرت موجات وبائية من المرض في كثير من الاقطار على مر السنين في شمال أوربا وشمال امريكا وفي استراليا ونيوزيلندة وجنوب افريقيا• وفي أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م ظهرت حالات شديدة في منطقة البحر الابيض المتوسط • وفي عام ١٩٥٠ ظهرت ٣٣٫٣٤٤ حالة في الولايات المتحدة وحدها •

اذا دخل خلية حية

والفيروس تكوين دقيق جدا أصغر من البكتيريا بكثير ، ولا يرى بالمجهر العادي ولكنه يرى بالمجهر الالكتروني المعقد • ولا يمكنه التكاثر والنمو الا اذا دخل خلية حية • وهو مسبب لعدد كبير من الامراض المعدية • والفيروسات أنواع عدة منها ما يصيب الانسان والحيوان والنبات والحشرات والبكتيريا •

وفيروس شلل الاطفال هو من ادقها حجما ويتكون من حمض النوويك معاطا بجدار من مادة زلالية ، ويبلغ قطره ٢٨ مليميكرون (والمليميكرون واحدعلى ١٠ ملايين من المليمتر)•ولعدم وجود المادة الدهنية في تكوينه نراه يقاوم الكثير من المواد المطهرة والمعقمة ، ولكن يمكن اضعافه بالمؤكسدات القوية وبتعريضه للاشعة فوق البنفسجية •

ويعيش الفيروس لفترة من الوقت في الماء والحليب • ورغم أن فيروس شلل الاطفل ينتمي الى مجموعة الفيروسات المعوية الا أنه من عشاق الجهاز العصبي، اذ سرعان ما يتجه اليه• والغريب أنه يختار أماكن خاصة منه ليسكن بها ويتكاثر • ويعتبر الانسان المصدر الوحيد لهذا الفيروس •

ورغم ان الاسم « شلل الاطفال » يعطي انطباعا بان هذا الفيروس لا يصيب الا الاطفال ، غير أن هذه التسمية خاطئة ، اطلقت في اوائل هذا القرن عندما كان الفيروس يفتك بعدد كبير من الاطفال بين العام الثاني والعام الخامس من أعمارهم ، والحقيقة ان الفيروس يصيب جميع الاعمار ، وان كان الطفل حتى عامه الاول تكون لديه مناعة ضده ـ الى حد ما ـ منقولةعن والدته•

والظاهرة اللافتة للنظر انه كلما تقدمت الرعاية الصحية والعناية بالنظافة في مجتمع ما ، زادت نسبة الاصابة بالشلل في الكبار ، ويرجع ذلك لعدم تعرضهم المبكر للفيروس وعدم اكتسابهم المناعة ضده ..

وتتم العدوى من شخص الى آخر عن طريق حلقة دائرية تضم الفم والحلق والجهاز الهضمي والبراز • ويمكن دخول الفيروس لجسم الانسان بطرق أخرى كالرذاذ أو حقن العضل أو الوريد او تحت الجلد التي تكون حاملة للفيروس ، أو بواسطة الجروح كتلك الناتجة من عملية استئصال اللوزتين . ولكن ذلك لا ينتشر الا في حالات وجود المرض بشكل وبائي . ويكون انتشاره على نطاق ضيق جدا • وتكثر العدوى في أواخر الصيف واوائل الخريف من كل عام • وتكون مدة الحضانة ما بين اسبوع الى ثلاثة أسابيع •

في الجهاز العصبي

وعند دخول الفيروس جسم الانسان سرعان ما يتكاثر في جهازه الهضمي والغدد اللمفاوية التابعة له . ثم ياخذ طريقه للجهاز العصبي • وهنا يستقر في اماكن خاصة منه : النخاع الشوكي وخاصة في خلايا القرن الامامي ـ النخاع المستطيل ، وهنا يختار نواة أعصاب الرأس والمراكز العيوية به والتي تتحكم بالقلب والتنفس وتنظيم الحرارة ـ المخيخ ـ الدماغ الاوسط وخاصة في المادة الرمادية منه ـ المهاد والمهاد السفلي ـ الجوهر القشرى للمخ وفي مركز الحركة به •

وعند دخول الفيروس الى الجسم تنشط عملية المقاومة وتظهر الاجسام المضادة • فان كانت المقاومة نشطة وقوية تمكنت من التغلب على الفيروس ومنعه من الانتشار ومن ظهور أعراض المرض الناتج عنه . وتمكنت أيضا من ايجاد مناعة دائمة بالجسم • أما ان كانت المقاومة ضعيفة وغير نشطة لسبب من الاسباب ، انتشر الفيروس وظهرت أعراض المرض على المصاب •

ويمكن أن تتخذ العدوى احد المظاهر الآتية:

اولا : العدوى غير الظاهرة بالفحص الكلينيكي ، ولا يشكو المصاب من أية اعراض وذلك نتيجة لسرعة عملية المقاومة وفعاليتها •

ثانيا : العدوى العقيمة أو الخائبة وهنا تظهر اعراض الحمى فقط •

ثالثا : العدوى التي تعطي أعراض التهاب السحايا غير الميكروبي ولكن لا تسبب شللا •

رابعا : العدوى التي ينجم عنها الشلل ويمكن تقسيمها الى : تلك التي تصيب النخاع الشوكي ـ التي تصيب الانتفاخ النخاعي ـ التي تصيب الدماغ •

ويمكن للعدوى أن تجمع بين هذه المظاهر الاربعة ومن حسن الحظ أن العدوى غير الظاهرة هي الاكثر انتشارا ، تليها العدوى العقيمة • وهنا يشعر المصاب بصداع بسيط ، وارتفاع في درجة الحرارة ، واحتقان بالحلق ، وغثيان وقيء واسهال وضعف وخمول • وترتفع الحرارة تدريجيا لتصل أعلى ارتفاع لها بعد ثلاثة أيام ولا تزيد عن ١٠٣ فهرنهايت (٣٩٫٤ مئوية) ، ثم تهبط بسرعة ، من حسن الحظ أن ثلثي المرضى يتم شفاؤهم شفاء تاما ، وثلثهم يمر الى المرحلة التي تليها •

أما العدوى التي تعطي أعراض التهاب السحايا ، فبالاضافة للاعراض السابقة تظهر أعراض اصابة الجهاز العصبي وهنا يحس المصاب بتيبس وألم بعضلات الرقبة من الخلف ، ويشتد الصداع والغثيان والقيء ويشعر المصاب بهبوط عام ، وقد يصاب بتشلل عابر بالمثانة وبامساك •

أما العدوى التي ينجم عنها الشلل فقد تبدا بنفس الاعراض السابقة ، وفي حالة اصابة النخاع الشوكي يشعر المصاب بالم وتقلص في بعض العضلات وغالبا ما تكون عضلات الاطراف • ويبدا ظهور التشلل بعد مضي يومين الى خمسة أيام . ويكون غير متماثل كان يصيب مجموعة من العضلات في طرف من الجسم ويترك عضلات الطرف الثاني • والسيقان أكثر تعرضا من الذراعين ، والعضلات الكبيرة أكثر تعرضا من الصغيرة ، ولذا تكثر الاصابة بمجموعة عضلات قصبة الساق وعضلات الفخذ ، وعضلات منطقة الكتفين ، والعضلة الدالية • والشلل هنا يكون رخوا مع فقدان القوة العصبية وضمور سريع بالعضلات المصابة •

وفي حالة اصابة الانتفاخ النخاعي تكون الحالة خطرة لان الاصابة هنا تؤثر على المراكز الحيوية والتي تنظم التنفس والدورة الدموية وحرارة

لجسم ، وقد تؤدى الى اضطراب بها ، وزرقـة بالجسم ، وزيادة افرازات الانف والغدد اللعابية يصبح المصـاب وكانه غارق بافرازاته • وقـد تؤدى هذه الحالة الى الالتهاب الرئوى والاختناق•

وفى حالة اصابة الدماغ يكون المصـاب سريع التهيج ، حاد الطبع فاقد التركيز والتفكير السليم، يصاب برعشة بالاطراف والاصابع قد تصل الى حد التشنجات الشديدة •

ويجب علينا أن نفرق بين الاصابة بفيروس شلل الاطفال والحالات التى تعطى أعراضا شبيهة لاعراضه مثل : ـ حالات ارتفـاع الحرارة : كالانفلونزا ، والتهاب السحايا التدرنى أو الميكروبى . والحمى الروماتزمية . والتهـاب المفـاصل الروماتزمى ، والالتهاب الرئوى . والتيفونيد . والدوسنطاريا ، والتهاب المسالك البولية، والتهاب الحلق واللوزتين الحاد التى تؤدى الى آلام عضلات الرقبة •

الحالات التى تؤدى الى ضعف بالعضلات : كمرض جوليان بارى وبعض السموم كالرصاص ، ونقص بعض الفيتامينات والدفتريا . ومرض الـكلب ، والتتانوس (الكراز) . وحالات الهستيريا •

حالات تودى الى شلل كاذب : مثل الكسـور والكدمات والتهاب المفاصل والتهاب العظم الحاد والاسقربوط • والمعروف عن فيروس شلل الاطفال انه عند دخوله الجهاز العصبى يختار نواة الخلية التى تسيطر على الحركة بالجسم ويترك الخلايا التى تسيطر على الاحساس ، ولذا نرى ان حساسية الجسم تبقى سليمة دون تاثير •

قواعد للعلاج

ويعتمد العلاج على قواعـد اساسـية هى : علاج الحـالة حسب شـدة الاصابة التى بهـا ـ التقليل قدر المستطاع من التشوه الذى قد ينجم من الشلل ـ علاج المضاعفات التى قد تحـدث مستقبلا ـ تخفيف التاثير النفسى الناتج على المصاب واهله ، واعدادهم نفسيا ، لتقبل العلاج المستمر الطويل ، والتشوه الخلقى الـذى قـد يحدث •

كباقى حالات الاصابة بالفيروسات ، لا يوجـد حتى الآن علاج فعال ، يمكنه القضاء على فيروس شلل الاطفال • ويمكن علاج حالات العدوى العقيمة، وحالات اعراض التهاب السحايا غير الميكروبـى والتى لاتسبب شللا ، فى البيت ، حيث ينصح المريض براحة تامة بالسرير ولمدة اربعة عشر يوما ، مع اعطائه المسكنات والمهدئات ، ووضـع مكمدات حاره كل ساعتين او ثلاثة لمكان الالم ، والعناية بنظافة وتغذيـة الجسـم ، واسـتمرار الملاحظة بعد تحسن حالته لفترة شهرين على الاقل للتاكد من عدم حدوث ايه مضاعفات •

اما الحالات الشديدة والتى تسبب شللا فيجب نقلها الى مستشفى معد جيدا ومجهـز باجهـزة خاصة لاستقبال مثل هذه الاصابات ومضاعفاتها • وهنا يجب عزل المصاب فى جو هادىء ولمدة ثلاثه اسابيع مع العناية بالنظافة التامة والتخلص من الفضلات بصورة جيدة تضمن عدم انتشار الفيروس. وعند حدوث الشلل يوضع الطرف المصاب بوضع خاص يجعل العضلة او العضلات المصابة فى حالة ارتخاء تام وتشد العضلات المضادة للتقليل قـدر الاستطاعة من حدوث التشوه •

ويجب المحافظة والعناية بالمثانة والامعاء والجلد وخاصة تلك الاماكن المعرضة منه للضغط المستمر•

وفى حالة حدوث اضطراب بالجهاز التنفسى او اصابة عضلات التنفس والعجاب الحاجز والمراكـز الحيوية ، يستعان فورا بالاجهزة الخاصة لمثل هذه الحالات ، كان يوضع المصاب بجهاز خاص للتنفس الاصطناعى لفترة من الزمن حتى يزول الخطـر ويمكنه ثانية العودة لعملية التنفس الطبيعية وان كان هناك افرازات كثيرة يجب شفطها بجهاز خاص ومساعدة المصاب بجهاز اخر على التنفس . وقد نلجا فى الحالات الشديدة لاجراء عملية شق القصبة الهوائية ووضع انبوبة بداخلها لتفادى حـدوث الاختناق

وعادة مانعطى المضادات الحيوية لا كعلاج ولكن كاجراء وقائى لمنع المضاعفات مثل الالتهاب الرئوى، وقد نستعين بجهاز الاكسجين فى بعض الحالات • وان حدث هبوط بالقلب نعالجه حالا •

وبعد ان يخف الالم مباشرة نبدأ بعملية تحريك العضلة او الطرف المصاب . ويجب الاستعانة بعد ذلك وفى أقرب وقت باخصائى الطب النفسى واخصائى التدليك الطبيعى واخصائى العظـام ، لاجـراء

اللازم حسب متطلبات كل حالة وحسب التشوه الذى حدث بها •

مياه الشرب أولا

والوقاية تنحصر بالعناية بنظافة المجتمع عامة، ونظافة الفرد خاصة . وبما ان الفيروس ينتشر من الفضلات الى الانسان عن طريق الفم وجب مراقبة وفحص مياه الشرب والمواد الغذائية بصورة دقيقة •

وفى حالة ظهور المرض بشكل وبائى فى بلد ما ، يجب العناية بكل من تظهر عليه اعراض متشابهة لاعراض المرض ومراقبته مراقبة جيدة • وعزل المصاب فور تشخيص حالته ، والتخلص من فضلاته بطريقة تضمن عدم انتشار الفيروس • وينصح فى هذه الحالة بعدم الكثرة فى اعطاء الحقن . لانها كما سبقوأن اشرنا يمكنها نقل العدوى . وننصح ايضا بعدم اجراء العمليات على الحلق والفم مثل استئصال اللوزتين وعدم السباحة فى المسابح العامة •

وقبل اكتشاف الطعم الواقى كانت المناعة تتم بعد التعرض للفيروس بكميات قليلة تنشط المقاومة بالجسم وتكون الاجسام المضادة ، فتمنع ظهور اعراض المرض وتعطى مناعة دائمة •

وفى بداية النصف الثانى من هذا القرن ، وفى عام ١٩٥٤ تقريبا تمكن العلماء من الوصول الى اكتشاف هام ، وهو ان الاجسام المضادة لفيروس شلل الاطفال يمكن ايجادها وتكوينها بالجسم عند اعطاء مركبات بها فيروسات قد تم اضعافها او القضاء عليها • ومن هنا ظهر طعم « سلك » Salk والذى يحتوى على مجموعة فيروسات تم القضاء عليها وطعم « سابين Sabin » الذى يحتوى على فيروسات حية امكن اضعافها وكلاهما يحتوى على الانواع الثلاثة من فيروس شلل الاطفال التى سبق ذكرها • وطعم « سلك » يعطى بالعضل واحد ملليمتر كل شهر ما بين الشهر السادس والثانى عشر ، وجرعة منشطة كل عامين •

اما طعم « سابين » فيعطى عن طريق الفم ، والجرعة هى نقطتان عند بلوغ الطفل الشهر الثانى والرابع والسادس من عمره ، ثم جرعة منشطة بعد عام واخرى عند دخوله المدرسة فى حوالى العام السادس من العمر • وهو الطعم المفضل الآن لسهولة اعطائه ولانه يدخل الجهاز الهضمى وينشط مقاومة الجسم ويحتوى على الفيروسات الحية التى تم اضعافها •

وبعد هذا الاكتشاف العظيم وبعد التمكن من منع حدوث هذا المرض الخطير ـ بصورة قد تكون تامة ـ بواسطة التطعيم يتاكد لدينا ان أى أهمال او تقصير فى اعطاء الطعم (وبجميع جرعاته) قد يعرض الطفل او الانسان الكبير لهذا المرض اللعين • ولذا يمكننا القول : « بأن شلل الاطفال ينتج من خطا واهمال يقع فيه الكبار ويعانى منه الصغار طول حياتهم » • ■■

الكويت ـ د • فاروق المهتدى

دعنا نصل جماعة

● زعموا أن ثعلبا مر فى السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا يؤذن . فقال له أما تنزل حتى نصلى جماعة ؟ فقال الديك . ان الامام نائم فى أصل الشجرة فأيقظه حتى نصلى جماعة ، فنظر الثعلب من حوله فرأى كلبا ففر هاربا ، فناداه الديك : أما تأتى لنصلى ؟ فقال : نعم ،أجدد وضوءا وأرجع •

السكرتيرة الحسناء



وآلة العصر

بقلم : سعد الحاج بكرى

■ كنت اذهب اليها مرة كل شهر وقد خلت جيوبى من الدراهم ، وكانت هى تستقبلنى بنظرة ترحيب من عينيها الجميلتين وسؤال العارف عما اريد ، لأجيبها باظهار جيوبى الخاوية المنتظـرة للراتب الشهرى ولاحظى منها بابتسامة تزيد من جاذبية وجهها الصبوح . كانت تجلس وراء مكتب صغير على جانبه الايمن حاملة اوراق كتب عليها الداخل والمقصود العمل المطلوب انجازه ، وعن يساره حاملة اوراق اخرى كتب عليها الخارج والمقصود نتائج الاعمال المنجزة،ومن حولها فى غرفتها الصغيرة الانيقة خزائن تحوى أوراقا كثيرة مرتبة فى ملفات ومصنفة فى تسلسل وتنظيم ، فقد كانت واحدة من موظفات الشئون المالية فى المؤسسة الكبرى التى كنت اعمل بها .

كان يحلو لى فى زيارتى الشهرية لها ان اراقبها وهى تؤدى عملها تتحرك بانوثـة ورقـة وتحسب الاموال بخفة ودقة . كنت اضع امامها فى حاملة اوراق الداخل وثيقة احضرها من دائرة شؤون الموظفين تحوى تفصيلات عملى خلال الشهر الماضى.

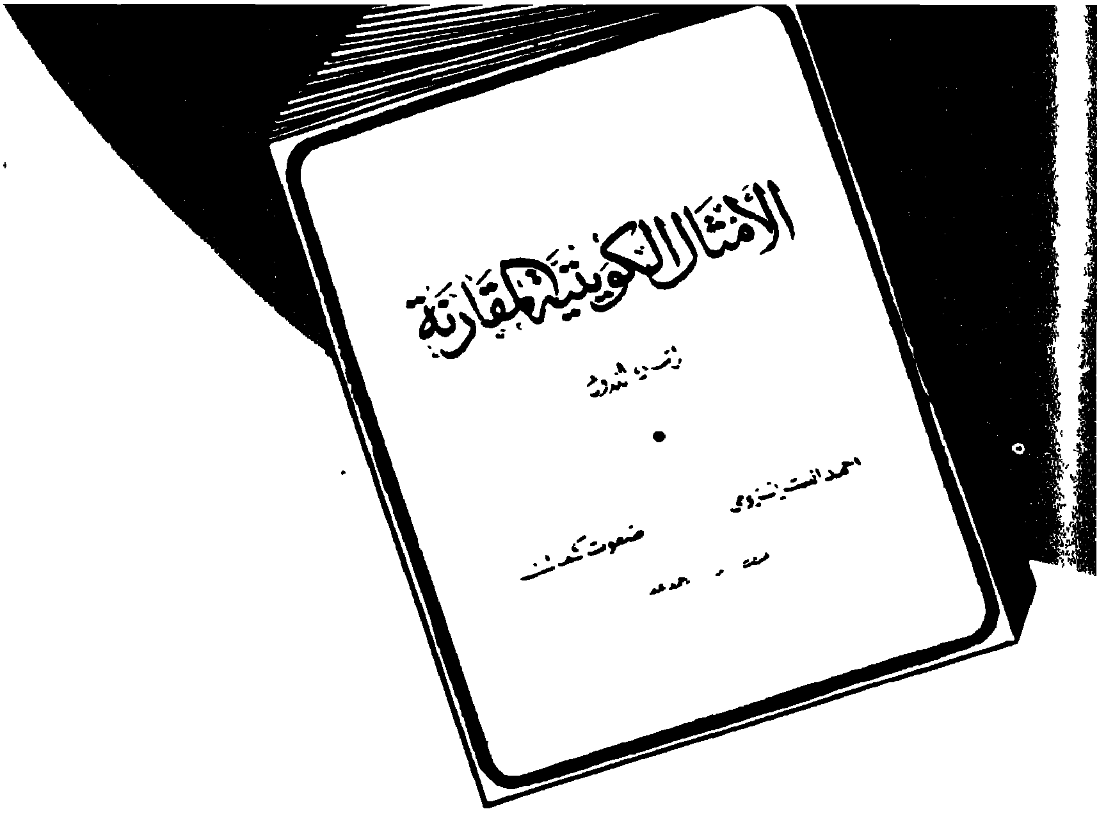
ايام العمل المنتظم ، وايام الغياب ، ساعات العمل الاضافى والمكافات،التعويضاتوالترفيعات والارباح. وكانت هى تقوم اولا باناملها البيضاء النحيلة بسحب الوثيقة من حاملة اوراق الداخل لتضعها امامها فوق المكتب ، ولتقراها بعينين جادتين وهى تتحرك منمقعدها،مظهرة جمال قدها المياس وتناسق ثيابها الانيقة ، لتحضر ملفى الخاص من احدى الخزائن الى مكتبها تستعين بما فيه من معلومات عن راتبى الاساسى ودرجة وظيفتى لتحسب اجورى المستحقة بناء على قوانين الشركة ، وتعيد الملف الى مكانه بعد اضافة وثيقة شؤون الموظفين اليه . ولتقوم اخيرا وهى تنظر الىوعلى شفتيها ابتسامة مشرقة رقيقة بوضع شيك بالمبلغ المستحق لى فى حامله اوراق الخارج لاتسلمه شاكرا بتصريح اللسان عملها ، ومثنيا بتلميح العيون علىجمالها ولطفها .

البديل بطاقة

وفى ذات يوم ذهبت الى دائرة شؤون الموظفين

...ـسر الرومي وصفوت كمال

لعل كره الحديث عن النفس من أهم أخلاق الذين يؤمنون بخدمة العلم وقيمته . فقلّ أن تجد باحثا أرهق نفسه في تأليف موسوعة من الموسوعات العلمية أو الأدبية يحدثك عما لقي في تأليفه من مشاق ومصاعب وكل ما ينوّه به أهل الموسوعات الفقهية واللغوية والادبية والتاريخية والفلسفية والمفسرون بأنهم بذلوا قصارى جهدهم فيما قاموا به من تأليف .. فعلى قرّاء هذه الموسوعات أن يصفحوا عماّ يجدونه من عيوب أو تقصير في كتبهم ، بل ان أولئك العلماء يعترفون دائما بفضل من سبقهم بالتأليف .. تجد ذلك واضحا في مقدمة (ابن منظور) في كتابه لسان العرب والزبيدي في تاج العروس والنويري في نهاية الارب والقلقشندي في صبح الأعشى الى غير ذلك من الموسوعات .



وهذا الكتاب الذي صدر مؤخرا « الامثال الكويتية المقارنة » ، اشترك في تأليفه احد الباحثين الجادين في التراث الكويتي ـ احد البشر الرومي ـ الذي امضى قرابة ٤٠ عاما في جمع الامثال ، يدفعه الى ذلك وعيه التلقائي بأهمية الأمثال كتعبير عن فكر وخبرة المجتمع فأخذ يدوّن ما يسمعه من أمثال تتردد خلال الحياة اليومية على جزازات من الورق . فلما بلغ ما جمع من الأمثال قرابة ثلاثة آلاف مثل وجد أن الفائدة لا تكون تامة الا اذا قارن بين هذه الأمثال وغيرها من أمثال الجزيرة العربية وأمثال العراق والشام ولبنان وفلسطين والمغرب ومصر . وأورد ما يناسبها من أشعار باللهجة الفصحى حينا وباللهجة الدارجة أحيانا أخرى فاقتضى ذلك منه أن يرجع في كتابه هذا الى مصادر كثيرة بلغت المئات . كما اشترك في تأليف الكتاب الاستاذ صفوت كمال خبير الفنون الشعبية ، بتجربته الفنية في هذا المجال ، والحق أن الاستاذ صفوت كتب مقدمة مفصلة أشار فيها الى ما تعنيه كتب الأمثال من تصوير لعادات الشعوب وسلوكها وأخلاقها وتقاليدها فهي معين لا ينضب لمن يريد دراسة المجتمع أو اللغة أو العادات الشعـ عند أمة من الأمم كما نوّه بجهود المفكرين العرب المهتمين بهذا اللون من الأدب . ومن يتأمل تراثنا العربي يجده زاخرا بمجموعات كثيرة قيّمة من الأمثال تؤكد اهتمام كثير من العلماء بهذا اللون من التعبير .

اقدم كتاب

ويرى الأستاذ صفوت كمال أن كتاب الأمثال للمؤرخ السدوسي المتوفي سنة ١٩٥ هـ أقدم كتاب وصل الينا في الأمثال بعد كتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي المتوفي في حدود ١٧٠ هـ .

أما سبب عناية أولئك العلماء بجمع الأمثال فانه يعود الى أن هذا الجانب من التعبير يصوّر تجارب الأمم وعاداتها وتقاليدها تصويرا فنيا يجعله سائرا على ألسنة الناس وهذا أمر يستحق كل ما يبذل في سبيله من جهود واهتمام بالاضافة الى أن التنزه في كتب الأمثال يعود على الانسان بكثير من المتعة وجليل الفائدة لما تحتويه من قصص اجتماعية وأحداث تاريخية ، ولما تتضمنه من أشعار حكمية يحتاج اليها الانسان في كثير من المناسبات . فما من أحد الا وتراه يستشهد ببعض الأمثال حين يحتاج الى ذلك كما سنرى ذلك فيما بعد .

وعلى أي حال ، فان هذا الكتاب الذي بلغت صفحاته ستمائة وعشر صفحات ستتبعه أجزاء أخرى

وقد رتبت هذه الامثال حسب موضوعاتها كالاجتهاد والاحسان والاختيار وأدب المائدة والادراك الى غير ذلك مما تشير اليه من النواحي الاجتماعية . وهذه طريقة لم أجدها فيما قرأته من كتب الامثال . وليس من شك أنها نافعة تسهل البحث للدارسين ومن الامانة العلمية أن أنوّه بما قام به مركز رعاية الفنون الشعبية من عمل متواصل في اعداد هذا الكتاب باشراف المؤلف حتى خرج على هذه الصورة الممتازة التي هو عليها فنأمل من هذا المركز أن يواصل جهوده فيصدر من الآثار ما يعني التراث الشعبي وينفع الباحثين في هذا الميدان ليسد نقصا يشكو منه كثير من الباحثين .

طالع وجه العنز !

بقي علينا أن نتعرّف على الكتاب بايراد بعض ما جاء فيه من الأمثلة ليتضح لنا النهج الذي سلكه المؤلف في تنسيقه . يورد المؤلف في باب الاستدلال كثيرا من الأمثلة وهذا بعضها

١ ـ (طالع وجه العنز واحلب لبن)

ذكره كل من الأستاذين خالد سعود الزيد وعبد الله النوري في كتابيهما عن أمثال الكويت .

« شوف وجه العنز »

وفي الجزيره العربية - « ناظر وجه العنز » ، ويقال : « شف وجه البقرة واحلب لبن »

وفي العراق : « شوف وجه العنز » ، و « شوف العنزة واخذ حليب » .

وفي فلسطين . « شوف العنزة وخليك من حليبها » ، و « اتطلع في وجه البقرة قبلما تحلبها »

وفي مصر : « اتطلع في وش البقرة قبل ما تحلبها » .

وقال الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه
في وجهه شاهد من الخبر

وقريب منه قول شاعر آخر :

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم
ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

٢ ـ (الكتاب ينقرا من عنوانه) :

وفي العرق - « المكتوب ينعرف من عنوانه »

وفي فلسطين « المكتوب ينقرا من عنوانه »

وفي مصر « خذ الكتاب من عنوانه » و « الجواب ينقرى من عنوانه »

ومما يناسب هذا المثل قول العباس بن الأحنف

لا جزى الله دمع عيني خيرا
وجزى الله كل خير لساني
نم دمعي فليس يكتم شيئا
ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي
فاستدلوا عليه بالعنوان

وحدة هذه الامة

وفي باب (الاستسلام) جاءت أمثلة منها قولهم

٣ ـ (النوم سلطان) :

وفي الجزيرة العربية : « النوم سلطان جاير » . وبلفظ « صلطان » بحرف الصاد بدل « سلطان »

وفي ذلك يقول الشاعر .

والنوم يتترع العصا من ربها
ويلوك ثني لسانه المنطيق

ويقال في النوم أيضا . « النوم عافية »

وفي العراق بلفظه وكلمة « سلطان » يغلب عليهم أن يلفظوها « صلطان » ..

قال البهاء زهير :

من لي بنومي أشكو ذا السهاد له
فهم يقولون ان النوم سلطان
ويرسل الطيف جاسوسا ليخبره
ان كان يغمض لي بالنوم أجفان

وفي سوريا ومصر وفلسطين بلفظه .

وفي باب (الاستمتاع) جاءت أمثال منها :

ـ (يا حلو الما على الظما) :

وفي الجزيرة العربية « احلى من الما على الظمأ » . ويقال أيضا . ألذ من الما على الظما » .

وقال أعرابي .

حديثك أسهى فاعلمي لو أناله
الى النفس من برد السراب على الظما

وفي العرق « أحلى من الماي على الظما » .

وقال عمر بن أبي ربيعة

قلت وحدي بها كوحدك بالعذ
ب اذا ما منعت طعم السراب

ويقال أيضا « أطيب من مي البارد على قلب العطشان »

وأورده الميداني « أطيب من الماء على الظمأ »

وجدير بنا أن نتنبه الى أننا حين نتأمل في أمثالنا العربية تتضح لنا وحدة هذه الأمة في تفكيرها وتعبيرها وتجربتها فكم هو مجرم في حق هذه الأمة من يسعى . طريق مباشر أو غير مباشر ، لتفريق كلمة هذه الأمة وتمزيق شملها . ألا طيّب الله ثرى الشاعر المهجري المطبوع (جورج صيدح) حيث يقول في قصيدة عامرة تعبّر عن مشاعر كل مخلص لهذه الأمة .

حلل الحب ما التعصب حرم
فاتحدنا وما حلمنا لنقسم
سرع محدنا سواء سببا
أرز حسن أو نخيل المقطّم
حدبوا عن انفصال فلذنا
باتصال من العواطف محكم
وصرنا عن الساسه صفحا
واحتكمنا الى اللسان وللدم
أي عم من العطيه يجى
ان حرنا مزوبه القلب والفم ؟
رب سور على الحدود منيع
ان لمساه بالسعور تهدم
ما نشاء علوح عهد انتداب
كيف تنيه دوله الخال والعم ؟
سا ولاه الامور سمعا لشكوانا
وسعيا ان المهم المقدم
أوثقوا عروه العروبه فينا
ذهب ريح أمه تتقسم

■■

الكويت ـ عبد الرزاق البصير

(هذه المرأة احترمها !)

قال جورج واشنطون ، محرر امريكا من الاستعمار الانجليزي : « انني اكن كل احترام لتلك المرأة التي خرجت من بيتها لتخوض غمار الحرب ، وهي تحمل قضيبيا من حديد يستخدم في اذكاء نار المدفأة .. فقد سمعت ان العدو قادم ، فاسرعت لملاقاته ومقاومته !

وسألوها : « ماذا عساك صانعة بهذا القضيب الحديدي ؟ » فاجابت في حماس شديد : « على الاقل سوف يعرفون مع أي جانب اقف ! »

تكلموا تعرفوا



عندما يعجز المرء عن مسايرة نظيره او اقناعه بالحجة القاطعة ، يظهر الغضب ويجادل به كوسيلة وحيلة للتخلص منه او التفوق عليه . ويرى العرب ان هذا السلوك هو اولى بوادر العي . فضربوا المثل بقولهم : (أول العي الاحتلاط) اى الغضب .

والملاحظ، ان الشخص العصابي يعاني دائما في لغة تخاطبه عسر الكلام وصعوبة في انتقاء الالفاظ والاساليب على النسق الجميل بسبب جنوحه الى الفهاهة أو السرعة الكلامية والرغبة الجامحة في الوصول الى النتيجة قبل غيره لان عقله المضطرب لا يقوى على الأناة والانضباط والانتظار ولشد ما يتالم أن يتفوق عليه مخاطبه أو يصيب رأيا وجيها .

كل أولئك وغيره بدافع مما يعانيه من عصاب نفسي .

بقلم : عبدالوهاب شـــكرى

ـن لآخر • وهو كاف للتقليل من فعالية الكلمة لاسهام فى انخفاض معنوية الفرد الى المستوى دنى لوجود اختلال فى المقومات التكامليـــة شخصية •

وهذا النوع من الافراد لا يجيد الكلمة ان ملكها الا على الورق حين يخلو الى عزلته ،ولكنه مع ذلك تنقصه شجاعة الراى فى غياب الثقة بالنفس لدخول مجالات القول او حلبات الصراع الفكرى بكفاءة موازية او على قدم المساواة حتى مع توفره على الموهبة او امكانات الخلق والابداع•

وقليلة هى الحالات التى يبدو فيها العصابى كشخص سوى يشارك مخاطبيه فى ادارة الحديث بطلاقة جيدة وبانماط عالية من التعبير فى اطار الموضوعية • ولكنها مجرد حالات استثنائيـــة لا تلبث ان تعقبها انفعالات نفسية وتوترات عصبية ليعاود منطقه الفهاهة او العى وما سواه مـــن انواع العيوب الكلامية خاصة اذا تعذر عليـــه ايجاد تفاهم مع الغير لسبب او لآخر او توالت سقطاته ولم يقر له احد برأى او ينضم الـــى مساندته، وحينئذ يطيش صوابه ويفقد توازنه ويبرز الغضب كسلاح فى المواجهة بدل الكلمة الموزونة الهادئة التى هى سيدة كل المواقف تستاثر بالاهتمام وتحقق اكبر قدر من التفاهم والتقارب •

لمـــاذا الـــكلمة ؟

ورغم كون العى عيبا فى المنطق او الجدليات سواء من الناحية اللفظية او السلوكية ، الا انه مازال اللغة التى يلجا اليها النقاد فى كثير من معاركهم النقدية كلما افرغـوا ما فى كنائنهم • فنجدهم يتراشقون بنيران اسلحتهم الكلاميـــة الهجومية والدفاعية ، متنكبين عن اسلوب اللياقة والجدل الهادىء ، فيضيع عليهم القصد ويخطئون المرمى فلا يصيبون الا اهدافا هامشية • وبالتاكيد لو انصفت الكلمة من العى واعطيت حقها مـــن البيان لوجد التفاهم سبيله الى النفوس وصارت اعمال النقاد انجازا ومعجزة تصطلع على تحقيقها جهودهم المتصارعة المتضافرة حول قضايا الثقـــافة والنقد •

ومن هنا ياتى دور الكلمة كمرآة للعقل او ميزان تقييمى له تحدد مداه تصاعديا أو تنازليا •

ومن خلال الكلمة يرتب المرء اما فى عداد العقلاء او فى عداد الحمقى او فى منزلة ما بين هولاء واولئك على اساس المقدرة على اجادة الكلمة او عدمها•وقديما قيل: (اللسان ترجمان الانسان)•

فبالكلمة اذن ، يعرف الناس وبها تقاس درجات عقليتهم وانماط تفكيرهم • وهى ايضا تبيان لفلسفتهم واتجاهاتهم فى الحياة •

فانت عندما تريد ان تدير مفتاح الفهم لعقل ما تصطنع المواقف وتثير لدى صاحبه حوافز التعبير ثم تدعه يتكلم على سجيته دون ان تتدخل الا بمقدار ما تدعو الحاجة الى ذلك • وسوف يعرب لك عن عقله اعرابا تاما يجسد صورته علـــى الحقيقة الكاملة •

فلا غرابة اذا كان اناتول فرانس يمجد الكلمة لانها قوام الشخصية او الرجولة ورديفها فى ذلك العقل المزاوج • وليـس من قبيل المصادفة او الاغراء أن يحفظ سواد المثقفين لاناتول هـــذه المقولة الذائعة (الاسلوب هو الرجل نفسه) ، كما ظل الاديب محمد السباعى يردد على مسامع ولده المأسوف عليه الكاتب يوسف السباعى هذه النصيحة : (الكلمة هى الرجل يايوسف)،وسرعان ما جذبه وميضها اللامع واستهواه مدلولها الرائع لاول وهلة ليغدو يوسف السباعى من كتاب مصر المبرزين •

نعم، وبعد هذه التحليلات الموجزة التى سقناها آنفا ، ها هى ذى معطيات نموذجية تترى تباعا فى هذا السياق تضع امامنا الكلمة كصورة فوتوغرافية للعقل او كميزان تقييمى له • وسوف نلمس عن قرب دورها فى تحديد معالم الشخصية من خلال التفكير الحر الذى يتبناه الشخص بواسطـــة الكلمة•هذا التفكير الذى تختلف انماطه وتتباين من شخص لآخر حسب الصورة التى تظهر بهـــا الكلمة ذاتها كاداة للافصاح والتشخيص والقياس العقلى والبناء الهرمى للشخصية على سبيل الارتقاء بها من اسفل القاعدة الى القمة او العكس •

الاحنف بن قيس •• سيدا

وحرى بنا ان نستقطب فى البداية واحدا من اعلام العرب فى فجر الاسلام احدث الكثير مـــن الآراء وصاغ صورا رائعة للحكمة • ارتقت بـــه

الكلمة الى قمة الشهرة وعظم الشان • جمع بين الرأى والشجاعة وهما فضيلتان متى تحلت بهما نفس مرة بلغت من العلياء كل مكان على ما جاء فى بيت المتنبى •

ذلكم هو الاحنف بن قيس الذى تقلد زعامة أهل البصرة وصار قطب السيادة فيهم غير مدافع•اليه يفزع الناس عند المشورة•كان له مقام مرموق عند الحاكمين • برز كزعيم نادر المثال . يرأس الوفود وعليه تعال الكلمة . يحسن الاداء والتبليغ لما اشتهر به من الحكمة والحصافه والحس العام •

أرسله أبو موسى الاشعرى ـ وكان يومئذ واليا على البصرة ـ ضمن وفد من سراتها الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مهمة رسمية• فقام الاحنف بين يديه خطيبا (يسترعيه النظر الى اهل البصرة) . فاعجب الخليفة بذكاء عقلهوبطلاقة لسانه وفصاحة منطقه . ولم يتمالك ان أشار اليه قائلا : (هذا والله السيد ••) • فاحدثت هذه القولة دويا فى الآفاق وتناقلتها الالسنة وتغنى بها الركبان . وعلا بذلك شأن الاحنف علوا كبيرا •

ذلك لان الاحنف تكلم فاجاد ونطق فاحسن القول • وذاك ديدنه يقل الحز ويصيب المفصل . ما أشار فى الامر الا وأخذ فيه بالعزم وأتى بالرأى الصواب • وقلما أخطأ • اذ ذاك شعر الخليفة عمرانه امام حكيم المعى فذ يحمل خصائص الرجال ومزايا الحكماء فاقر له بذلك رغم حداثة سنه • ولا شك ان الاحنف عاد والوفد المرافق له وقد حقق اهداف زيارته للخليفة الذى لم يخف اعجابه به وأجابه لا محالة الى ما طلب وهو عنه راض ولقدره مجل •

عباس العقاد •• كاتبا

ومن رواد الجيل المعاصر نستقطب شخصيةعباس محمود العقاد التى احتلت فىنظرنا مكان الصدارة بين اوساط المثقفين على طول امتداد رقعة الوطن العربى ازيد من نصف قرن • ويهمنا ان نقف عندها هى ايضاكنموذج آخر وقفة عابرة لاستشفاف دور الكلمة فى تقييم العقل وصياغة العبقرية •

كانعباس محمود العقاد يتابع دراستهالابتدائية فى احدى مدارس اسوان وهو يومئذ حدث صغير• وتشاء الصدف ان يؤم تلك المدرسة زائر هو الاستاذ الامام محمد عبده • والثناء تفقده لاحوال الدراسة فيها اطلعه استاذ اللغة على احدى كراسات العقاد الانشائية . وما ان فرغ الاستاذ الامام من قراءة أحد مواضيعها حتى قال وهو يربت على كتفى العقاد : ـ ما اجدر هذا ان يكونكاتبا بعد •

وما فتىء هذا الاطراء المنصف ـ وحسبه أنه شهادة من الاستاذ الامام ـ حافزا قويا وزادا مشجعا للعقاد على مواصلة الدرس والتحصيل غير ابه ولا مكترث بما يصادفه من عراقيل ومعوقات الى ان بلغ غاية مناه وضرب بسهم وافر ككاتب ومفكر عظيم • ويرجع سمو الاستاذ الامام وصدق فراسته حول مستقبل العقاد الى كون هذا الفتى الذكى الطموح قد ملك ناصية اللغة فاسلست له قيادها واسلمت له زمامها وهو بعد ما يزال فى ريعان الشباب وفى بداية الطريق • مما عكس بوضوح الصورة الناصعة لمستقبل العقاد فى ذهن الاستاذ الامام • الامر الذى افضى به الى الحكم عليه مسبقا بالعطاء والنبوغ والالمعية من خلال الكلمة المسطرة دون حاجة الى بروز للذكاء •

غير ان هناك نفرا من النقاد لا يفقهون فكر العقاد بالقدر اللازم فينعتوا اسلوبه بالتعقيد والغموض على غرار أسلوب أبى العلاء المعرى . وماذاك الا لقصورهم عن ادراك ماتمتاز به كتاباته النثرية والشعرية من جزالة فى اللفظ واختصار فى العبارة مع الاشراقة والوضوح • وهى قمة شامخة لا يدانيه فيها الا رواد قلائل من مفكرى العصر •

وما سر استعصاء فهم هؤلاء النقاد لفكر العقاد الا لانهم لا يتكلفون مشقة التركيز ولا عناء الاستيعاب لسبر اغواره بكل اناة ووعى المامى • والذنب ذنبهم لا لاسلوب مفكرنا المبدع •

والنجم تستصغر الابصار رؤيته
والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

ومن هنا جاءت مآخذهم المتجنية لتضع عقليتهم فى احجامها الحقيقية مع رسم بيانى لها يحدد مواقعها من السلم الارتقائى على ضوء مواقفهم من فكر الاعلام وفلسفة المشاهير • وكلاهما قاعدة قياسية فى الغالب الاعم لتقييم المعطيات العقليه ومدى التحصيل المعرفى عند جيل المثقفين فى كل عصر من خلال تلك المواقف بغض النظر عن روائز الذكاء المستخدمة فى علم النفس •

واناس اسقطتهم الكلمة

وكون الانسان حيوانا ناطقا بحكم الجبلة الفطرة، فلا بد انه كاشف عقله للناس سواء بوعي بغير وعي • ونعود فنكرر القول بان الوسيلة ى ذلك هي الكلمة التي بها فقط يعلو الانسان و يسفل ، وبها ايضا يعز امره او يهان • وسوف صح فيما هو آت عكس ما ذهبنا اليه آنفا • فاذا مظاهر الشخصية مستعارة مزورة ، واذا هي ايضا سريع الهبوط مع المنحنى الهرمي وتتهاوى كجلمود صخر حطه السيل من عل ، أو كاعجاز نخل خاوية طوحت بها رياح عاتيه •

وانما وقع الاكتفاء ببعض النماذج على بساطتها لشهرتها فقط مع العلم باننا نصادف لها احوالا مسابهة في حياتنا الثقافية والاجتماعية وصورا مكررة في حياتنا اليومية •

فقد قيل ان ابا حنيفة كان يبسط رجله في حلقة الدرس لمرض أو عياء • وذات يوم أقبل عليه شيخ كث اللحية مهيب الطلعة حسن المظهر ،يعاله الرائي لاول وهلة انه من اهل العلم والفضل والوجاهة او من دوى الرتب العالية ، فما كان من ابى حنيفة الا ان تنى رجله على ألم احتراما للزائر • ثم مضى يترح في درسه (موعد صلاة الصبح) ، فاذا بالشيخ يسأل : (وما العمل اذا طلعت الشمس قبل الفجر) ؟ فاجاب ابو حنيفة (العمل ان ابا حنيفة يبسط رجله ويحمد الله)•

وبهذه الكلمة فقط ، أبان الرجل عن تفاهة فاضحة وسخافة في السؤال انهارت معها قيمته المظهرية • ومن ثم خاب ظن الامام ابو حنيفة الذى سارع الى حمل نفسه على الاطمئنان بعد معاناة• وكانى به لحظتها يردد مع الشاعر :

ترى الرجل الطرير فتبتليه
ويخلف ظنك الرجل الطرير

كذلك حدث لتميم الحلي شاعر الحلة بالعراق في اواخر القرن الخامس الهجرى وكان من عقلاء المعاصرين ، اشتهر بالعلم مع الغرور والاعجاب بالنفس ، مما جعل مجلسه قبلة الرواد من مختلف الفئات الاجتماعية ما بين عالم وجاهل وحاكم ومحكوم • وكان بعضهم يجلس فلا يتكلم حرصا من الزلل وتلافيا للوقوع في الخطأ فيثيروا غيظه، بينما كان بعضهم يتكلم فلا يحسن الكلام فيزيدوا حنقه •

ومن هؤلاء الزائرين جماعة من التجار الواسطيين ترامى الى سمعهم ما يتمتع به شميم من علم وفضل•فلما حضروا الى مجلسه تمسكوا بالصمت المطبق وظلوا ساكتين لا ينبسون ببنت شفة حتى لا يصدر عنهم ما من شانه اثارة غضبه • فعجب شميم من حالهم ودهش من منظرهم اذ كانوا اصحاب عمائم ضخام وهيئات مهيبة • ولما اراد احدهم ان يتكلم باسمهم ، لم تسعفه موهبته واكتفى بالقول : (ادام الله ايامك) • ثم عاد من جديد ليغرق في صمت طويل مع الجماعة فازداد تعجب شميم وقال : (ما هؤلاء ؟ فانى ارى عمائم كبارا ظننتها على آدميين) ؟ ولما هموا بالانصراف ، حاول احدهم ان يودعه بقوله : (ادع لنا بجمع التمل)، فاخطأ حيث قال : (يا سيدى ، ادع لنا بسمل الجمع) • فازداد غضب شميم وقال : أيش هؤلاء وكيف خلقهم الله • (العربى العدد ١٩٦٣/٥٩) •

ومن تراثنا الادبى الخالد نستشف مثالا اخر في العجز عن الابانة وايضاح المراد بصرف النظر عن القيمة المظهرية لصاحبه الذى يهمنا منه فقط كونه مضرب المثل في العى الذى هو احد العيوب الكلامية ليستوفى الموضوع بعض الجوانب المهمة التى لها ارتباط بالفكرة المعالجة • وذلك رجل من ربيعة يدعى باقلا ، اشترى ظبيا باحد عشر درهما ، فمر بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبى ؟ فمد يديه ودلع لسانه يريد احد عشر فشرد الظبى وكان تحت ابطه • فضرب المثل : (اعيا من باقل) •

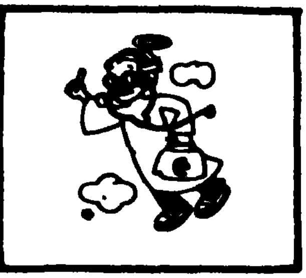
وهكذا رأينا حتى الآن ، انه كلما تمت اجادة الكلمة وأحسن استعمالها نطقا او كتابة او هما معا ، دل ذلك على رقى في العقل وتقدم في الفكر ، ثم راينا على التو كيف يحدث العكس وحسب المرء ان يتكلم لتصنيفه في هذا المستوى او ذاك • وقديما قيل : (تكلموا تعرفوا) • وقال العلامة ابن حزم الاندلسى في معرض النصح :

احد الكلام اذا نطقت فانما
عقل الفتى في لفظه المسموع
كالمرء يختبر الاناء بصوته
فيرى الصحيح به من المصدوع

■■

عبدالوهاب شكرى

وزرارات ـ المغرب



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

فتق الحجاب الحاجز

● ما هو فتق الحجاب الحاجز ؟.

ان للمرىء فتحة يمر بها وهو ذاهب الى المعدة ويحيط هذه الفتحة عضلة بحيث تفصل عند انقباضها بين اتصال المرىء بالمعدة ، وهذه الحالة تصيب في معظم الاحيان كبار السن ، أو المتمتعين بالسمنة المفرطة ونجد ان هذه الفتحة تتسع بحيث أن جزءا من المعدة يصعد بجوار المرىء الى تجويف الصدر وهذا يزيد الضغط داخل تجويف البطن بسبب اندفاع الاعضاء الى الامام أو وجود غازات أو أى ورم داخل البطن وفي الحالات الاخرى تضعف هذه الفتحة وتتسع .

الا ان اتصال المعدة بالمرىء يترك مكانه عند البعض ويصعد داخل التجويف الصدرى ويشكو المريض نتيجة لضغط الجزء الذى يمر بالمرىء من ثقل في الجزء الاوسط أو من ألم ينتشر في الجزء الايسر من الصدر الى اعلى حتى يصل الى الكتف الايسر وفي بعض الحالات ينتشر هذا الالم في الذراع الايسر كله وهذا الالم يشبه الى حد كبير ألم الذبحة الصدرية أو انسداد الشريان التاجي للقلب مما يجعل المريض في حالة هلع خوفا على قلبه وفي بعض الحالات يتأثر الغشاء المخاطي داخل الجزء الذى يصعد الى أعلى الصدر ويتقرح .

وفي حالة صعود المرىء والمعدة الى أعلى فان افراز المعدة ينساب دائما الى الجزء السفلي من المرىء وهو حمضي مما يسبب التهابا فيه وبالتالى شعورا بحرقة دائمة خلف عظم القص ويزداد هذا الالم بعد تناول الطعام أو النوم على الظهر وذلك عندما يصعد جزء كبير من المعدة داخل التجويف الصدرى . والملاحظ كذلك أن الذين يعانون من هذه الأعراض كثيرا ما يتجشأون لمحاولة اخراج الهواء من المرىء ظنا منهم أن هذا يقلل من الالم .

والتشخيص في هذه الحالات يعتمد على عمل اشعة ملونة للمرىء والمعدة مع الاخذ بعين الاعتبار الاوضاع المختلفة حتى يظهر الجزء الذى يدخل التجويف الصدرى

كذلك لابد من استبعاد ضيق شريان تاجي القلب بعمل تخطيط للقلب لانه في بعض الحالات يكون المرضان متلازمين خصوصا وان كليهما يحدث في سن متقدمة

والعلاج يتلخص في ان يتناول المريض وجبات خفيفة على فترات قصيرة ويكون خاليا من غير المواد المهيجة للمعدة كالبهار والفلفل وما شابهها من المواد الدهنية كذلك ان يمتنع المريض عن الاكل قبل الذهاب الى الفراش ثلاث ساعات على الاقل ثم لابد أن ينام على وسائد مرتفعة حتى لا تندفع المعدة الى أعلى في التجويف الصدرى

وكذلك فان انقاص الوزن في حالة السمنة يحسن الحالة ، وفي الحالات الشديدة التي لا تستجيب لهذه العلاج تجرى عمليات مختلفة لارجاع الجزء الصاعد في تجويف الصدر وتضييق الفتحة التي يمر منها المرىء .



تقلص عضلات المـرىء

● أعاني من ألم خلف عظم القص وكأن الاكل يتراكم هناك ولا يصل الى المعدة بسهولة واذا زادت هذه الحالــة تعبأت الاكل الــذى أتناوله فما السبب ؟

ـ لعل ذلك هو مرض تقلص عضلات المرىء الموجودة في الجزء السفلي منه ممـا يؤدى الى عدم تناسـق تقلص هذه العضــلات وبالتـالي رفع الاكل الى أسفــل المعدة فيؤدى الى تجمع الاكل فوق المنطقة المصابة الى أن يرتفع عمود الاكل في المرىء الى مستوى يمكن ان يضغط على الجزء المصـاب فينفتح ويخرج الغذاء . ولقد وجد كذلك أن الاعصاب التـي تقـوم بامداد العضلات المصابة في حالة خلل مما يؤدى الى هذا التقلص

والملاحظ في هذه الحالـة أنهـا تحـدث تدريجيا بمرور شهـور أو سنين وتكون الحالة مصحوبة بألم خلف عظـم القص عنـد تنـاول الطعام وفي حالات اخرى غـير مصحوبة بألم واحيانا تبدا فجأة بعد اضطرابات نفسية وذلك لعدم قدرة المريض على البلع بسهولة . ومع استمرار الحالة يتمدد المرىء ويزداد حجمــه ويضغـط على القلــب . وفي بعض الحـــالات تتجمع الاكل واذا نام المصـاب رجع هذا الاكل الى البلعوم ومنــه يذهب الى الشعيبات الهوائية محدثا التهابات فيها

وكذلك فان وجود الاكل فترة طويلة في المرىء يسبب له التهابا شديدا ويحس المصــاب بحرقــة ويترتب على عدم وصـول الاكل الى المعدة وبالتـالي عدم استفـادة الجسم منه ، الشعور بضعف عام في الصحة ونقصان في الوزن كلما ازدادت الحالة سوءا وبقيت بدون علاج

والتشـخيص في هذه الحالــة يعتمد على وصف المريض لحالته المرضية

ويمـكن تشـخيص المرض كذلك بعمــل الاشعــة الملونــة للمرىء والمعدة والعلاج في هذه الحالة يتلخص في اعطاء المريض المهدئات مع طعام يشبه خليط بين السائل والصلب ويكون ساخنا بدرجــة حرارة الجســم . وكذلك تستعمل الادوية التي تساعد على ارتخاء عضلة المرىء المصابة وفي بعض الحالات التي لاتستجيب لهذا العلاج يمكن توسيع الضيق في المرىء بتمرير انابيب يمكن نفخها حتى يتيسر فتح ومرور الاكل

وهناك حالات متقدمة يكون المرىء قد انتفـخ كثـيرا بحيث لاتجـدى فيهـا عملية التـوسيع بالانابيب بعد ان التدخل الجراحي هو الحل النهائي ولـو ان ذلك له مضاعفاته من حيث ان افرازات المعدة تذهب الى الجزء السفلي من المرىء مسببة التهاب هذا الجزء مع تقـرح ونـزيف فيه « وعملية هيلر » هي العملية المثالية التـى تقطع فيها العضلة المصابـة دون المساس بالغشاء المخاطي فوقها

ذلك الشيطان المشتعل !



بقلم : الدكتور عبد اللطيف ابو السعود

لـم يختـرع الانسـان النـار ، ولكنـه اكتشف كيف يستخدمها . وكان هذا الاكتشاف كفيلا برفعه عن مرتبه الوجود الحيواني بدرجة لم يحققها اي اكتشاف او اختـراع اخر فقـد كانـت النـار اول قوة حققت للانسـان بعض الاستقلال عن البيئة التي تحيط به كما كانت النار اساسا للقدر الكبير من التكنولوجيا الذي امكن تحقيقه في السنوات اللاحقة وما زالت هي الاساس لمعظم العمليات الصناعية الحديثة

والنار ظاهرة طبيعية يتكرر حدوثها في الطبيعة من ان لاخر تشتعل النيران الطبيعية نتيجة لانفجار البـراكين ، او للاشتعال الذاتي للمـواد العضـوية المتحللة ، او نتيجة البرق بومض في السماء وبينما كان الرجل البدائي يعيش في القفار ، اتيح له مشاهدة النار وهي تشتعل وملاحظة آثارها من دمار وخراب . ولابد انه لاحظ كذلك ان النار تعطي الدفء والضياء . ودلك فقد عقد العزم على استئناس ذلك الشيطان المشتعـل ، والاستفادة من خصائصه المفيدة ولقـد اعتبـر النـار شيطانا . لانها بدت له حية ممتلئة بالحياة ، ولانها كا‍ـ تلتهم كل ما يعترض سبيلها . فقدرة النار على الحركه وعلى التهام الاشياء ، كانت من علامـات الحياة والنيران الطبيعية تتحرك وتأكل ، وتفعل ذلك بقوة هائله لا يمكن التحكم فيها لهذه الاسباب نجد ان الانسـ البدائي قد اتخذ من النار معبودا ولكنه لاحظ ان ب امكانه ان يجعل من هدا الاله خادما يقوم له بالكثير مـ الاعمال ، لو امده بكميات محدودة من الوقـود فالنـا التي تمد بكميات محدودة من الوقود بعناية هي نار يمكـ

ـحكم فيها

وما ان تمكن الانسان البدائي من الحصول على ـعة من النار ، ولعلها كانت فرع شجرة مشتعل ، من ـة اشتعلت فيها النار ، فقد عمل على ابقائها مشتعلة ، ـدادها بين الحين والاخر بقطع صغيرة من اغصان ـشجار

كيف كانوا يشعلون النار ؟

في بادىء الامر ، لم يعرف الانسان البدائي كيف ـشعل النار لذلك ، فانه كان يسرقها من نيران الطبيعة وكلما انتقل الانسان البدائي من مكان الى اخر ، كان عليه ان يحمل معه تلك الجمرات المتقدة بحرص وعناية ، وان يحافظ عليها ، لانه كان يعلم جيدا انها اذا دوت ، كان عليه ان ينتظر حتى تشعل الطبيعة نارا اخرى ليسرق منها قطعة وبمرور الايام ، تعلم الانسان البدائي كيف يشعل النار

وكلما نقب العلماء عميقا في تاريخ الانسان ، عثروا على اثار النار التي صنعها الانسان البدائي فقد اكتشف العلماء ان الانسان الذي كان يعيش في العصر البلوستوسيني ، كان يستخدم النار وهذا يرجع الى ٢٥٠,٠٠٠ عام مضت ، وهي الايام التي عاش فيها انسان بكين ، وهو واحد من اقدم اجدادنا وقد سمي بهذا الاسم لان مخلفاته وجدت لاول مرة في كهف من الحجر الجيري ، بالقرب من بكين ، عاصمة الصين وقد وجد داخل الكهف رماد خشب وعظام وهذا يدل على ان انسان بكين قد استخدم النار في حياته اليومية

ولا احد يعرف على وجه التحديد متى بدأ الانسان البدائي في اشعال النار بنفسه ولكن العلماء يعرفون ان ذلك بدأ في عصور سحيقة وهم يعتقدون انه قد جاء نتيجة لملاحظة الانسان البدائي للشرارات تطير في الهواء ذلك ان نيران الغابة كانت تنتشر بفعل الشرارات السابحة ، تحملها الرياح

ولابد ان الانسان البدائي قد لاحظ اثناء قطعه للصخور ، تلك الشرارات الصغيرة ، التي كانت تتناثر هنا وهناك ونتيجة لهذه الملاحظة ، بحث الانسان البدائي عن انواع الصخور التي تعطي شرارات كلما طرقت بحجر اخر فقد لاحظ ان خام بيريت الحديد ، الذي يوجد بوفرة في الطبيعة ، ويعطي وابلا من الشرارات عندما يطرق بقطعة من الصخر كما ان حجر الصوان الذي كان يستخدم في صناعة كثير من الادوات البدائية ، كان يعطي شرارات اكثر

كان الانسان البدائي يطرق الاحجار بعضها ببعض ويوجه الشرارات الناتجة الى كومة من اوراق الاشجار الجافة واغصان الاشجار الصغيرة وبمرور الزمن ، اصبح الحديد وحجر الصوان هما المستخدمين في عمل الشرارات لاشعال النار وقد استخدمت هذه الطريقة في البنادق الاولى ، ومازالت تستخدم حتى يومنا هذا ، حيثما لاتتوفر اعواد الثقاب

كما استخدم الانسان البدائي احتكاك الخشب لاشعال النار وقد استخدمت لهذا الغرض طرق كثيرة ، وادوات متعددة كان منشار النار يتكون من قطعة مسننة من الخشب ، تمر فوق اسنانها قطعة اخرى من الخشب جيئة وذهابا ، بسرعة كبيرة اما محراث النار فكان يصنع بنفس الطريقة تقريبا ، من قطعة من الخشب بها تجويف ، وتمرر قطعة اخرى من الخشب في هذا التجويف ، جيئة وذهابا ، بسرعة كبيرة

ولعل مثقاب النار كان اكثر هذه الاجهزة نجاحا ، كان مثقاب النار يتكون من كتلة من الخشب ، بها ثقب محفور فيها تدخل عصا في هذا الثقب ، وتدار بسرعة ، بطريقة او بأخرى في احدى هذه الطرق ، كانت العصا تحرك باليدين وفي طريقة اخرى ، يلف حبل حول العصا لعمل حركة الدوران ولكن انجح هذه الطرق ، كان ذلك الذي يستخدم قوسا ، يلف حبل حول العصا ، مشدودا بفعل القوس وما كان على موقد النار الا ان يحرك القوس بسرعة الى الامام والى الخلف

ولم يكن من المهم اي الطرق تستخدم ، ولكن المهم هو انها كانت جميعها تشعل النار

واحتكاك الخشب ايضا

من المعروف ان احتكاك قطعتين من الخشب بعضهما ببعض ، يؤدي الى سخونتهما والمعتقد ان هذه

الحرارة تشعل الخشب . ولكن هذا العرض يتضمن خطأين اولهما اذا اشتعل الخشب ، وابتدأ في الاحتراق ، فان موقد النار يسحح في ايقاد ناره ، ولكنه يفقد اداته ويتحتم عليه صنع اداة جديدة في كل مرة يشعل فيها نارا اما الخطأ الثاني فهو انه نادرا ما يؤدي احتكاك قطعة من الخشب الى اشعالها . قد تتفحم قطعة الخشب ولكنها لن تشتعل .

ويعري نجاح ادوات اشعال النار التي تعتمد على احتكاك الخشب الى تراب الخشب الذي يتكون اثناء الاحتكاك ولايحتاج الامر الى اكثر من ان تكون احدى الخشبتين اكثر صلابة من الاخرى ، بحيث تعمل « كمبرد » او « صنفرة » كما يجب ان تكون هناك فراغات أو ثقب تتجمع فيه برادة الخشب واثناء ادارة المثقاب ، او تحرك العصا الخشبية حينة ودهابا ، فانها تنحت قطعا صغيرة من الخشب ، من الكتلة الخشبية ، وتتجمع هده القطع في التجويف او الثقب ، وتسخن ، وترتفع درجة حرارتها مع مواصلة الاحتكاك ، الذي يبعث الحرارة في المنطقة المحيطة بمكان الاحتكاك ولما كانت هده القطع الخشبية صغيرة ، وكانت برادة الخشب دقيقة ، فانها تمتص الحرارة بسرعة ، وتبدا في التوهج ، بحيث تشعلها نفحة هواء ، وتقلب هذه القطع المشتعلة على كومة من اوراق الشجر الجافة ، فتبدأ النار في الاشتعال

وقد اكتشف الانسان البدائي عددا من الاستخدامات الهامة للنار ، اولها التدفئة ونظرا لانه لم يكن يعرف الفراء التي تقي من البرد فانه وجد النار مفيدة للغاية في ليالي الشتاء الطويلة القارسة فكان اذا اوقدها داخل ملجأ بين الصخور ، او داخل كهف ، اعطته النار دفئا جميلا كما انها منحته الضياء ، الامر الذي اعطى معنى اكبر لهذه الليالي الطويلة المظلمة وعلى ضوء النار ، قام الرسامون الاوائل برسم صورهم الجميلة المدهشة ، التي اكتشفها رحال الآثار على جدران الكهوف التي ترجع الى عصور ما قبل التاريخ ولقد مكن ضوء النار النساء من حياكة الثياب ، كما مكن الرجال من صقل الاسلحة لقد حجرت النار البرد والظلام خارج الكهف ، وهيأت ، ولاول مرة في التاريخ ، بيتا للاسرة

وكان للنار وظيفة هامة اخرى فان الحيوانات المتوحشة ، بما في ذلك تلك الحيوانات التي كانت تشكل خطرا على البشر ، كانت تخشى النار ، التي كانت تحرق فراءها ، وتسبب لها آلاما تؤدي الى الموت لذلك كانت النار اول سلاح دفاعي للانسان

ولكن كانت هناك استخدامات اخرى اكثر اهمية . ولكنها ما زالت في الطريق

ومن الطبيعي ان نستخدم اليوم النار لتمدنا بالحرارة اللازمة لطهي الطعام ولكن لاشك في انه قد مر وقت طويل قبل ان يتعلم الانسان القديم استخدام النار لهذا العرض ولعله تعلم ذلك من قبيل الصدفة ، عندما سقطت قطعة من اللحم على نار موقدة ، او عندما وجد الصيادون اجسام الحيوانات المحترقة ، بعد حريق في غابة ولاشك ان استخدام النار في طهي الطعام كان من الاهمية بمكان في تاريخ البشر

النار والتكنولوجيا

بعد الاستخدامات الاولى للنار ، كان هناك كشفان هامان ، هما حرق الفخار ، وصهر المعادن ولقد جاء هذان الكشفان من قبيل الصدفة

وكما نفعل اليوم ، عندما نقيم معسكرا ، ونوقد نارا ، كان الرجل البدائي يقوم بتجميع الصخور حول النار ، ويبدو انه استخدم الطين ليثبت الصخور في اماكنها وتخيل الدهشة الكبيرة التي اعترته ، عندما وجد ان الطين قد تصلب بعد تعرضه للحرارة لقد كان هذا مولد صناعة الفخار

ولم يستغرق الامر طويلا حتى تعلم الانسان البدائي ان يشكل من الطين اللين اشكالا مفيدة ، ثم يحرقها ليحصل على اواني واطباق مختلفة الاشكال والاحجام

ويحتمل ان تكون حرارة النار قد صهرت الخامات المعدنية في بعض الاحجار ولا بد ان الانسان البدائي قد جذب انتباهه منظر المعدن المصهور يسيل من

الاحجار الساخنة ، على هيئة روافد صغيرة . وعندما تجمدت ، اكتشف الانسان البدائي مادة يمكنه ان يصنع منها ادوات افضل واسلحة تمتاز عما كان في حوزته .

وكان اول المعادن التي عرفها الانسان هو النحاس ، لسهولة صهره وسهولة تشكيله . وقد تعلم الانسان البدائي كيف يبحث عن الاحجار التي تحتوي على خام النحاس ذى اللون الاخضر تشوبه زرقة . وتعلم كيف يصهر المعدن ويخلصه من الاحجار ، وكيف يصب النحاس المصهور في قوالب .

ثم بدأ يبحث عن الصخور التي تحتوي على خامات معدنية اخرى . وكانت خطوة كبيرة الى الامام .

وبعد عدة آلاف من السنين ، ولد عصر الحديد ، وما كان ذلك الا لان الانسان قد تعلم كيف يستأنس الـه النار ، ويجعل منه خادما له .

ولم يكف الانسان عن استخدام النار . ففي يومنا هذا ، نجد طرقا كثيرة متقدمة لانتاج هذه الظاهرة الطبيعية . ولكننا ما زلنا نستخدم النار بنفس الطريقة التي استخدمها الانسان البدائي ، عندما نطهو الطعام ، ونصنع الفخار ، ونصهر المعادن . ونحن نحرق الغاز او الـزيت لتدفئة منازلنا ، كما نستخدم الشرارات الكهربائية الساخنة لتشعل الوقود داخل محرك السيارة . كما اننا نبحث عن طريقة لترويض حرارة اقوى نار على الاطلاق ، وهي الشمس ، حتى نتمكن من القيام بأعمال اخرى اكبر وأهم .

لقد كانت النار واحدة من اهم اكتشافات الانسان الاول . ومازالت النار من اهم اكتشافات الانسان في كل العصور ■■

د . عبد اللطيف ابو السعود
الاستاد بكلية الهدسة حامعة الاسكندرية

عندما ينسى الجراح !

● فتح المريض الايرلندي عينه بعد العمليه الجراحة .. وهتف بصوت مسموع : ـ حمدا لله لقد انتهت العمليه بخير . فقال له مريض في الفراش المجاور : « لا تكن مسرفا في التفاؤل . فقد نسي الجراح « اسفنجة » في معدتي واضطر الى شق بطني مره ثانيه » . وقال المريض الذي الى يساره : « وأنا أيضا قد اضطر الجراح الى فتح بطني مره ثانيه لأنه نسي « المبضع » في جوفي ..

وفي هذه اللحظه فتح باب الغرفه وأطل الدكتور الذي أجرى العمليه للايرلندي وقال : ـ هل عثر أحدكم على قبعتي ؟؟ فأغمى على الايرلندي ! !

لن يعود !

● دخل امريكى مطعما وعلق معطفه ووضع عليه ورقة كتب فيها « هذا المعطف خاص ببطل الملاكمة ، وسيعود بعد عشر دقائق » . ولما رجع لم يجد المعطف ورأى مكانه ورقة مكتوب فيها « أخذ المعطف بطل الجرى ولن يعود أبدا » !

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ حين اتم استاذنا الكبير عباس محمود العقاد نظم ديوانه الرابع « اشجان الليل » سنة ١٩٢٨ ضم اليه يومئذ دواوينه الثلاثة السابقة التي نشرها متفرقة قبل ذلك باعوام مختلفة . وسمى الاربعة « ديوان العقاد » فما نشر حتى تناوله الادباء واللغويون بين تقريظ وتجريح . وكانت المعركة بين القديم والجديد في الادب على اشدها في مصر والشام والعراق ـ يومئذ خلال الحربين العالميتين . فكان مما انكره عليه بعضهم عبارة جاءت في قصيدة عنوانها « يوم الظنون » مطلعها

« يوم الظنون صدعت فيك تجلدي
وحملت فيك الضيم مغلول اليد
وبكيت كالطفل الذليل انا الذي
ما لان في صعب الحوادث مقودي »

وكانت « الظنون » التي يشير اليها في القصيدة تدور حول صاحبته « سارة » التي نشر قصته معها بعد بضع عشرة سنة وسماها ايضا « سارة » .

وكانت العبارة المنقودة قوله في البيت الثاني « انا الذي ما لان في صعب الحوادث مقودي » إذ قال المنكرون لها إن في العبارة على هذا الوجه خطأ نحويا . والوجه الثاني الصحيح ان يقول « انا الذي ما لان في صعب الحوادث مقوده » . ولو انه قاله كذلك لوقع في خطأ عروضي . وان صحت العبارة في رأيهم نحويا .

ويلاحظ ان الوجه الاول الذي سار عليه استاذنا قد روعي فيه ضمير المتكلم « انا » ليتسق معه ياء المتكلم في « مقودي » . كما ان الوجه الثاني الذي رآه وحده المفكرون صوابا قد روعي فيه الاسم الموصول « الذي » لينسجم معه ضمير الغائب في « مقوده » .

وفات هؤلاء المفكرين ان الوجهين صحيحان . وانه اذا كان الوجه الثاني اشيع فان الاول هو الأبلغ . وفي ادبنا نصوص كثيرة تؤيد الوجهين .

من امثلة الوجه الاول قول شاعرنا الكبير المتنبي

« انا الذي نظر الاعمى الى ادبي
وأسمعت كلماتي من به صمم »

وكان من الجائز ـ نحويا لا عروضيا ـ ان يقول « انا الذي نظر الاعمى الى ادبه . واسمعت كلماته من به صمم » . ولكنّ التعبير الذي اختاره المتنبي ابلغ . لانه ادل على حضور شخصه في وعيه . واعتزازه بشخصيته . واحضار ذلك لنا كي يراه ماثلا امامنا . إذ كان ذلك دأبه طوال حياته في كل شعره منذ صباه حتى وفاته . وكذلك نقول في العقاد . فقد كان له مثل ذلك . وعبارته كما قالها تمثله امامنا ـ وهو العزيز الابي المهيب ـ باكيا منهارا وقد افلتت منه كل ازمة عزمه وحزمه ووقاره بسبب الكارثة العظمى التي حاقت به . والظنون مقبلة مدبرة تتوالى في تمزيق هذه الازمة الجبارة حتى بددتها

ونضيف الى ذلك ان عبارتي المتنبي والعقاد على وجهها هذا لازمتان عروضيا . ومما يؤيد هذا الوجه الاول عبارات كثيرة نكتفي ببعض ما ورد منها في

عية موثوقة مأثورة عن الامام علي زين العابدين سجاد بن الامام الحسين بن علي بن ابي طالب . من ذه العبارات ما ورد في دعاء له يستقيل فيه من ذنبه ، يطلب العفو من ربه ، اذ قال : « انت الذي وصفت نفسك بالرحمة . وانت الذي سميت نفسك بالعفو »

ومما ورد بالوجه الثاني مطلع هذا الدعاء وهو قوله « اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون ، ويا من الى ذكر احسانه يفزع المضطرون ..... » .

ثم يقول بعد عبارات في الدعاء نفسه ، والموقف واحد « انت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما ، وانت الذي جعلت لكل مخلوق من نعمك سهما » وهذا على الوجه الاول ، ويتبع ذلك مباشرة قوله « وانت الذي نصله أعلى من عقابه ، وانت الذي عطاؤه اكثر من منعه ، وانت الذي اتسع الخلائق في رحمته . » الى عبارات اخرى على هذا الوجه

ومن مطلع دعاء له في ذكر التوبة وطلبها قوله . « اللهم يا من لا يصفه نعت الواصفين ، ويا من لا يجاوزه رجاء الراجين ، ويا من لا يضيع لديه اجر المحسنين ، ويا من هو منتهى خوف العابدين » وهذا على الوجه الثاني

ثم قال في اثر ذلك مباشرة « ويا من انت غاية خشية المتقين »[1] وهذا على الوجه الاول

ومن هنا يتضح لنا جواز الوجهين ولو في موقف واحد وحديث واحد ، وان كان الاول - في رأينا - أدل على الحضور النفسي ، وهو انسب لضمائر الحضور منفصلة ومتصلة ، وهي تشمل ضمائر التكلم (انا ، ونحن .) وضمائر الخطاب (انت)

ويلاحظ ان الوجه الاول يراعي فيه ضمير المتكلم والخطاب فيكون ضميره مثله بعد الاسم الموصول فيقال مثلا في حال المتكلم « انا الذي نجح ابني » أو « اننا الذين فزنا بالجائزة » ويقال مثلا في حال الخطاب « انتم الذين شهدتم بالحق » و « انكن اللاتي تعمرن البيوت »

والوجه الثاني يراعي فيه الاسم الموصول (دون نظر الى ضمير التكلم او الخطاب قبله) فيكون ضميره مثله للغائب ، فيقال مثلا « نحن من فازوا بالجائزة » وانك الذي نجح ابنه » وانتم من يحفظون العهد ويوفون بالوعد »

ومن شعر احمد شوقي مطلع مشهور في قصيدة يبين فيها فضل العلم والكتب ، هو

« انا من بدل بالكتب الصحابا
لم اجد لي وافيا الا الكتابا »

ولو قال « انا من بدلت بالكتب الصحابا » لصحت عبارته عروضيا ، وكانت ابلغ لانها ادل على امتلاء نفسه بشخصيته وشعوره بذاته ، وكلتا العبارتين صحيحة نحويا

اما اذا كان المسند اليه للغائب (ضميرا أو غيره) فليس للعبارة معه الا وجه واحد هو الثاني ، بعادة الضمير بصيغة الغائب مراعاة له او للاسم الموصول بعده . كالآية الكريمة « وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته » ، وقول النبي عليه السلام « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن من ائتمنه الناس على دمائهم واموالهم » . وقول الفرزدق (او غيره) من قصيدة مشهورة في مدح علي زين العابدين

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم

---

[1]) كل هذه الشواهد من كتاب « الصحيفة السجادية » للامام علي زين العابدين . شرحها الاستاذ عز الدين ... طبعة بيروت سنة ١٩٧٨ . والسجادية نسبة الى « السجاد » ، لقب آخر مثل « زين العابدين » لكثرة عباداته وصلواته ، حتى اسود من جبهته موضع سجوده .

حوار القراء

عن استطلاع القدس

● بعض معلومات استطلاع مدينة القدس الذي كتبه مصطفى نبيل في العدد ٢٤٧ من العربي تحتاج الى تصحيح ·

يقول السيد نبيل في مقاله « ان للقدس القديمة احد عشر بابا اهمها . باب العمود او باب دمشق وباب الخليل وباب النبي داود والباب الجديد وباب الاسباط وبوابة مندلبوم »

اولا · الصحيح ان للقدس القديمة ستة ابواب فقط هي . باب العمود وباب الساهرة والباب الجديد وباب الاسباط وباب الخليل وباب النبي داود .

ثانيا . اما بوابة مندلبوم فهي ليست من ابواب سور القدس القديمة وهي ليست بوابة بالمعنى الصحيح وهي تبعد عن سور القدس نحو ثلاثة ارباع الكيلو متر وانشئت هذه البوابة عام ١٩٤٨ عندما احتل الصهاينة معظم احياء القدس الواقعة خارج السور وقد انشأ كل من الاردن وحكومة اسرائيل مراكز للجمارك والشرطة والصحة بالقرب من عمارة يملكها شخص اسمه مندلبوم فسميت تلك البوابة المجازية ببوابة مندلبوم وكان المسيحيون العرب من سكان اجزاء فلسطين التي احتلت في تلك السنة ١٩٤٨ يأتون الى القدس لزيارة الاماكن المقدسة في عيدي الميلاد والفصح ويعودون الى مدنهم وقراهم بعد انتهاء الاحتفالات بهذين العيدين لدى مختلف الطوائف المسيحية وكان اقرباء القادمين من المنطقة المحتلة ينتظرونهم عند تلك البوابة وما ان يجتازونها حتى يتعانق الفريقان وتجري دموعهم مدرارا ولذا اطلق على هذه البوابة ايضا اسم « بوابة الدموع »

رشاد ابو غربين
الكويت

الفراسة

في نظرة المرء سفر يروي سيرته
ويبرز الخلق ان لينا وان وعرا
والعين تنبيء ما في القلب من وطر
سيان ان بان في الافعال او سترا
ما العين الا دليل للنفوس بها
مرآة صدق لمن في صحنها نظرا
والوجه يعرب عن نيات صاحبه
ويبدي للناس كشفا بالذي شعرا
فباطن المرء مرسوم بسحنته
لا فرق ان قال حقا هذا او نكرا

محمود عباس مسعود
وبد زور ـ كندا

نحو وجدان جديد

● مقال نحو وجدان جديد للدكتور عزت الشريف العدد ٢٤٠ من العربي يمس الجرح ويتكلم عن صميم مشكلة تخضرنا وتقدمنا وقد اصاب الحقيقة عندما قال : ان الشعوب المتخلفة تنتقل نقلة صورية · حيث تنفصل فيها روح ومقومات حياتها الوجدانية والشعورية عن واقعها المعاش وهي تحيا الحاضر بجسمها فقط

وكثرت مقارنة الكاتب لنا بالحضارة الاوروبية والتي اعتبرها مختلفة عنا في تراثها وقيمها وعاداتها وتاريخها وجميع ظروفها الحضارية ، ولكن كما نعلم اننا اصبحنا متسابقين قسرا لمجاراتها وتنفيذها في ابسط أشكالها حتى في اكل البسكويت والكيك ، وذلك ناتج من الاستعمار الفكري الذي ما زالت ترزح تحت نيره شعوبنا الاسلامية قاطبة .

محمد عيسى
الجماهيرية الليبية

سؤال

● لماذا تخلو مجلة العربي من الكتابات في المجال الهندسي الكهربي منه او الميكانيكي فاذا وجدت مقالات في هذا المجال فاعتقد انها لا تأخذ حظها كما هو الحال في الشعر او الادب مثلا .

البهي رياض محمد حجازي
ج . م . ع

ـ المجلة ترحب بأي مقال ثقافي يمكن ان يستوعبه القاريء ويستفيد منه ، والمقالات المتخصصة في المجلات المتخصصة .

في ملف آل البيت

● قرأت مقال الدكتور صفاء خلوصي تحت موضوع كتب جديدة « ادب الطف عن شعر سيدنا الحسين » وقد احببت ان ابعث اليكم بهذه الابيات المتواضعة مني كهاوي شعر ولست بشاعر لضمها الى ملف آل البيت لديكم ومن الاقوال المأثورة للسيدة زينب سلام الله عليها عند مرورها بمدينة حماة مع من معها من آل البيت سلام الله ورضوانه عليهم اجمعين سائلة ما اسم هذه المدينة الكريمة فاجابوها هذه مدينة حماة فقالت « حماها الله من كل ظالم » ان هذا الدعاء متوارث عبر الاجيال ومنسوب الى السيدة زينب سلام الله عليها وقد استهواني هذا الدعاء ونظمت به الابيات التالية :

قالت لمن حولها من هم بذي صلة
قالوا حماة فقالت رب يحميها
وانزلوها على رحب بذي صلة
مستنكرين على الاشهاد عاصيها
والنهر يجري وفي طياته غضب
على الطغاه وسمي النهر عاصيها

عبد الله السقاف
لبنان

نداء من الجزائر

● من المؤسف جدا ان كل جزائري محروم منذ سنوات من مسابقة العربي : فما هي اسباب انقطاعها ؟ هل لا يمكن توزيعها بواسطة المكتب الثقافي لسفارتكم بالعاصمة الجزائرية ؟ او بواسطة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ؟ وهذه الأخرى اليس بامكانها ان تقبل اشتراكات القراء الجزائريين واستلام مبلغها النقدي ؟

احمد بن بليديه
بئر خادم/الجزائر

ـ نتفق معك في التعبير عن الاسف . ونأمل ان تبذل احدى شركات التوزيع الجزائرية جهودها في محاولة حل مشكلة انقطاع العربي عن الجزائر .

ذلك الوجه وتلك الرائحة

قصة بقلم : أبو المعاطي ابو النجا

■ لا أدري متى بدأت اشم تلك الرائحة ؟

رائحة دخان ينبعث من شيء يحترق . لم تكن حادة أو نافذة . . لكنها بعد أن تنبهت اليها بدت ملحة ومستمرة دون أن تفصح عن طبيعة الشيء المحترق أو مكانه

ولأنني في تلك اللحظة كنت أقود السيارة (زوجتي بجواري تتحدث في أمر لم يكن يروق لي أن تنبشه) فقد وجدتني أسألها . وأنا أهدىء من سرعة السيارة وأنحرف بها إلى يمين الطريق . قبل أن أتوقف تماما

- أتشمين تلك الرائحة ؟

- دائما تغير الحديث . كلما فتحت معك هذا الموضوع

لم أرد على زوجتي . .

نزلت من السيارة رفعت غطاء المحرك . جعلت أبحث عما يمكن أن يكون مصدرا لتلك الرائحة . سرعان ما كففت عن البحث حين تأكد لي وأنا واقف في الطريق أن الرائحة تملأ الجو كله من حولي . تلفت في كل الجهات فلم أبصر ما يشي بمكان الحريق . كان الوقت مساء ورائحة الدخان لا شكله هي ما يدل عليه . وحتى حين كان الدخان يظهر حول مصابيح الطريق المضاءة . فقد كان يبدو في شكل موجات الضباب التي تنتشر أحيانا في مثل هذا الوقت من السنة . مسببة الاحساس باللزوجة والاختناق .

زايلني القلق على السيارة ليحل محله قلق شامل غامض عن مصدر تلك الرائحة التي تملأ الجو كله في هذا المساء

قالت زوجتي بعد أن عدت إلى مكاني في السيارة

- ماذا حدث ؟ عن اي رائحة تسأل ؟

- رائحة شيء يحترق

ثم تابعت حين بدا على وجه زوجتي وكأنها فجعت في إجابتي فلاذت بصمت إنكاري

- لعلهم يحرقون هنا أو هنالك أكوام القمامة

حينذاك قالت زوجتي بعصبية

- كان من الافضل أن تواصل السير لنبعد عن تلك المنطقة كلها



قلت متعلقا بأمل واه

ـ اذن فأنت تشمين مثلى تلك الرائحة ؟

ـ فى الحقيقة لا أشم شيئا . لكن ما دمت أنت تفعل ذلك فلماذا لا أصدقك ؟

ثم تابعت بلهجة من يريد ان ينهى الموضوع

ـ الافضل أن تسرع لنلحق المتحر قبل أن يغلق ابوابه

لكننى لم أسرع لم أقدر على الاسراع .. كنت أتوقع بين لحظة واخرى أن أسمع صوت سيارة الاطفاء أو الاسعاف والنجدة وهى تمرق بجوارنا ...

كانت الرائحة تسير من حولى بأسرع من سرعة السيارة بدأت ألاحظ بقية السيارات وهى تلحق بنا وتسبقنا والناس فيها يتحدثون أو يضحكون لا يبدو على وجوههم فضول او ترقب أو قلق لعلهم لم يشموا ابدا تلك الرائحة المجهولة المصدر وكذلك المارة كانوا يسيرون فى بطء كأنهم خرجوا ليشموا الهواء فحسب

« حين اقتربنا من المتجر الكبير كنا قد تجاوزنا المنطقة بأسرها . وكنت قد بدات الف تلك الرائحة



كأنها جزء من الجو في مثل هذا الوقت من السنة .. » .

« حين تركنا السيارة بدأت أرى الدخان أكثر مما أشمه .. فالمكان غارق هذه المرة في الضوء ، والناس يدخلون ويخرجون ، وطبقات الدخان تتراقص في الأضواء وعلى الوجوه . تخفي الملامح . أو تظهرها لا مبالية أو ضاحكة أو مهتمة بأمر آخر غير تلك الرائحة .

نظرت الى زوجتي متوقعا أن أرى نظرة فزع أو على الاقل نظرة تصديق لما قلت منذ قليل .. لكنها كانت مشغولة عن الامر كله بتسوية فستانها وشعرها

وقبل أن أفتح فمي بكلمة سمعتها تقول وهي تبتسم

ـ لعلك تستمتع الان برائحة الدخان الحقيقية

ـ متى كانت رائحة الدخان تبعث على المتعة ؟ قلتها بفزع

ـ حين تكون منبعثة من فحم تشوى عليه قطع الضأن ؟ .

قالتها زوجتي بطمأنينة زادت من فرعي كنت أعرف أنه يوجد على مقربة من المتجر الكبير محل للشواء وبالتأكيد تختلط روائح الضأن المشوى بروائح الحريق الاخر الذي لا يريد أن يفصح عن مكانه والذي لا يريد أحد أن يشعر به .

شعرت بعبث المحاورة معها ، كنت قد وعدتها بعشاء « في كازينو » الشاطىء الذهبي ، ومنذ قليل رفضت الحديث معها في موضوع لا أحب سيرته ، وسوف تظن أنني اختلق فرصة للنكد أو الشجار ..

قلت مسايرا ومداريا وساوسي .

ـ لا يهمك ... سوف نتعشى شواء في الكازينو بعد أن نخرج من المتجر . .

في داخل المتجر الكبير كنت أعتقد أنني سوف أستريح لبعض الوقت من تلك الرائحة .. ومن التفكير فيها .. سرت بجوار زوجتي ننتقي حاجاتنا ونضعها في عربة اليد التي نسوقها في ممرات المتجر ، في جنبات المتجر تنبعث موسيقى هادئة وناعمة ، تحمل الناس على أن يتحدثوا في همس ، وربما هي التي تشغلهم عن تلك الرائحة التي بدأت أشمها هذه المرة مختلطة بروائح الأجبان والفاكهة واللحوم والعطور والصابون و

ـ ما رأيك في هذا النوع من الجبن ؟

قالتها زوجتي وهي تمد لى يدها بقطعة من الجبن على طرف سكين صغير أخذته من البائع

كانت قد ذاقت قطعة منه ، وملامحها تنطق بالاعجاب بهذا النوع وترغبني في شرائه ، لم أكن اشجع هذه الطريقة في اختيار المأكولات ، لكنني تذوقتها مجاملة لزوجتي ، ووجدتني أقول لها باستسلام

ـ رائعة . خذي منها ما تحبين

ماذا يحدث لو قلت لها لزوجتي إن هذا الحس يبدو وكأنه مقموع في تلك الرائحة . التي لا تريد ان تعترف حتى بوجودها في الجو ؟

أنا لا أناقش زوجتي حين يحصر الحوار بيني وبينها ، فكيف اناقشها في قضية يقف الى حوارها فيها كل الناس ؟

« حين تدرك انك وحدك ترى أو تسمع او تشم ما لا يحس به سواك . فأنت على حافة الجنون ، او غارق في حلم كئيب .

ولو كانت لك فرصة الاختيار ـ فأنت سوف تتمنى مثلي أن يكون ما تراه او تسمعه مجرد حلم ثقيل

لم تكن تلك هي المرة الاولى التي أحلم فيها ، وأدرك خلال حلمي انني احلم ، دون أن يوقظني ذلك الادراك من النوم .

عشت مرارا تلك التجربة ، وعايشت فيها تلك الحرية المخيفة التي يتيحها لك ذلك الضوء الشاحب من الوعي ، وأنت في ذروة حلمك .

وفي أحلامي هذه كنت أرفع صوتي بما كنت أخاف من مجرد التفكير فيه ، وأقفز من الاعالي ، وأواجه المخاطر ، وأصفع الوجوه التي أتجنب رؤية أصحابها

لم لا أنتهز الفرصة وأقول لزوجتي رأيي الحقيقي في الموضوع الذي كنت أتجنب الحوار معها فيه ؟

لم لا أقول لها « إنني احتقر أهلك وأهلي معا

احتقر صلحهم وخصامهم ، وصوتهم العالي الذي لا يقول شيئا ، وإصرارهم على أن يرهنوا زماننا لحساب زمانهم ، وأننا ما دمنا قد تزوجنا ، فمعنى ذلك اننا بلغنا سن الرشد ولن نسمح لهم

- فيم تفكر ؟ وماذا تنتظر ؟

قالتها زوجتي وهي تنظر لي في دهشة ، كان المحاسب قد فرغ من عمل الحساب ، ويتنظر من يدفع له ثمن المشتروات

وكان الحمال قد فرغ بدوره من تحميل حاجاتنا على العربة التي يدفعها أمامه إلى مكان السيارة ، وينتظر ما بدوره لنقوده إلى مكانها

وهأنذا أسرح حتى في داخل الحلم

نقدت البائع حسابه ، وتقدمت الحمال إلى باب المتجر في طريقنا الى السيارة

في تلك اللحظة ، أحسست انني على وشك ان اصحوا من حلمي او ادخل في حلم أشد قتامة هذا الحمال اكاد اعرفه هذا الوجه ؟

توقفت قليلا إلتفت اليه ، استوثق مما أرى ، لو رفع راسه الى وجهي لعرفني هذا الوجه الأسمر والأنف العريض ، والأسنان المفلوحة وتلك الشفه المدلاة أليس هذا « هو حسن أبو شفه » ؟

كنت أريد أن أعابث الحلم ، ولكن الواقع بدأ يعابثني معابثة أنكى وأشد .

الحمال لا يرفع رأسه عيناه على قدمي ، يتبعني ، يداه تدفعان عربة النقل المحملة بمشترواتنا ، إنه بثيابه الزرقاء المخصصة للحمالين التابعين للمتجر يبدو كأنه جزء من المؤسسة ينفصل عنها ليعود إليها بعد قليل ..

أهذا الذي يعابثني حلم أم واقع ؟ أم انه حلم أشد مكرا ودهاء « فحسن أبو شفه » الذي أعرفه كان رجلا ناضجا حين كنت أنا طفلا في القرية . قد يصلح هذا الحمال الشاب ابنا له . لكن ما الذي يجيء بابنه هذا من قريتنا إلى هذه المدينة الساحلية النائية عبد الحدود ؟

كنا قد خرجنا من المتجر الكبير لأرى واشم من جديد رائحة الدخان تواصل حفلها الراقص في الأضواء

وانفجر في رأسي شيء مخيف تذكرته محاذاة ذكرى به « حسن أبو شفه » ، فهو مثلي يعرف تلك الرائحة يعرفها جيدا كان مثلي اول من شم تلك الرائحة التي كانت تملأ سنوات طفولتي وصباي

« كنا في وقت الظهيرة الحر خانق يكتم الانفاس والناس يلوذون بالدور والاشجار ، والبهائم راقدة تجتر طعامها ، أو دائرة في السواقي أو الاجران والشياطين تعرف وقت القيلولة فلا تغادر جحورها الصبية وحدهم الذين يتسللون من بيوتهم حين تغفي عيون الأهل ، يلعبون في الأجران المليئة بالقش ويستحمون في الترع ، ويتسلقون أشجار التوت والجميز

في ذلك اليوم شممت تلك الرائحة ، كان الوقت الذي يفصل بين رؤيتي للدخان ورؤيتي للنيران أقصر من ان يتسع لتلك الصرخة التي احتبست في صدري رأيت وسمعت « حسن أبو شفة » الذي لم يكن طفلا ولا شيطانا ولكنه نفر من أنفار الكفر يندفع صائحا وصارخا وفي يده المذراة التي كان يقلب بها القش يحاول وحده أن يطفيء بها النيران المجنونة التي كانت تنتقل بين أكواه القش في سرعة الريح . .

رأيت أسراب الطيور وهي تفزع من أعشاشها ، وتصرخ في السماء المليئة بالدخان ، رأيت الكلاب والقطط والدجاج وهي تجري على غير هدى هنا وهناك وقبل أن يغادر الناس بيوتهم ، وسمعت أصوات البهائم تخور في الزرائب قبل أن يتنبه أصحابها ويفكوها من حبالها لتنطلق الى الحقول هاربة من النيران ... وقبل ذلك كله رأيت « حسن ابو شفة » الذي أدرك في لحظة عبث محاولته لاطفاء الحريق وهو يقطع بمنجل كان يجذب به أكواما من القش ، يقطع حبال البهائم المربوطة في النورج وكانت البهائم تجره خلفها وهي تحاول النجاة من الحريق . . وتكاد تدوسني في طريقها .

رأيت حسن أبو شفه يجتذبني من ذراعي وأنا مسمر في مكاني لا اقوى على الحركة في طريق البهائم الهائجة ...

لو سألت الحمال الذي ينقل مشترواتنا الى السيارة عن ذلك اليوم ، لما أنكر شيئا مما جرى فيه بالتأكيد سمع من أبيه قصة ذلك اليوم لو سألته عن اسمه « ومهما يكن اسمه » فسوف ينتهي بحسن أبو شفه

ولو سألته عن بلده لوجدته من قريتي ؟

أبوه وأنا شاهدا ذلك اليوم ، ولكنه لا يتوقف الا أمام السيارة ... ينقل إلى خزنتها الخلفية حاجاتنا ، ويرفع الى وجهها من الماضي ، لا يتوقع الا كرم الأجر ، هو مثل الجميع هنا لا يشم تلك الرائحة . ولعله يحلم مثل زوجتي بشواء من المحل المجاور . لعله مثلها لا يشم سوى رائحة الضأن المشوى !

لم ينته الحريق في قريتنا الا بعد أن انتهى كل شيء .

ظلت رائحة القرية المحترقة . رائحة القش والتبن والاخشاب ... شهورا طويلة تملأ سماء القرية وأرضها ، تختلط بالطعام والشراب ، يشمها أهل القرية ، وأهالي القرى المجاورة .. الذين يمرون بها ، وحتى بعد أن اعيد بناء قريتنا وترميم ما تبقى منها ، ظللت أشم تلك الرائحة في احلامي .. واحيانا في يقظتي ... وأسمع صرخات حسن ابو شفة في ذلك اليوم ... لقد كف بعدها عن الصراخ ، ولكنه ظل يمشي ذاهلا في طرقات القرية ... يحكي حتى لمن لا يسمعونه قصة ذلك اليوم .. ويؤكد للجميع أن ذلك لم يحدث بسبب الريح بل لأن قريتنا قد فعلت اشياء كثيرة تستحق بها غضب الله ... لم يكن ما جرى حريقا ولكنه غضب ، وغضب الله لا ينزل الا بمن يستحقه .

خذلني الحمال الذي تركني وعاد الى المتجر يسوق عربته الفارغة دون سؤال أو جواب

خذلني الناس الذين لا يشمون سوى رائحة الشواء .

خذلني الحلم والواقع حين لم تظهر ألسنة النيران بعد ألسنة الدخان

خذلتني روجتي حين قالت وهي تجلس بجواري ـ

ـ أنت تبدو متعبا هذه الليلة ، ولكنك سوف تستريح حين نشم هواء البحر المنعش في كازينو الشاطىء الذهبي وتتعشى على أنغام الموسيقى سمعت أن الكازينو يقدم في هذه الأيام عروضا مدهشة ثم أضافت حين لم تلمح على وجهي أثرا طيبا

ـ وسوف يكون العشاء على حسابي ..

تذكرت أنها تقول نكتة وأنه كان يجب على الأقل أن ابتسم لكني لم أرد زوجتي لا تعرف « حسن أبو شفة » . ولن يروق لها أن أروي حكايته .. ولن تصدق أي شيء أقوله لها هذه الليلة ، استسلمت لحديثها الذي لم أكن أسمعه استسلمت لنداء البحر .. الهواء هناك نقي بلا شك من يقوى على أن يعكر هواء البحر ولو طاردنا الحريق الى الشاطيء فسوف نجد هناك فرصة للنجاة ألا يفضل ركاب السفن المحترقة أن يموتوا غرقا ؟

في كازينو الشاطيء الذهبي كانت الموسيقى تنساب حالمة وناعمة ، هواء البحر يحملها الى بعيد هواء البحر يطرد حتى رائحة الشواء التي يشتهر بها الكازينو مثلما يشتهر بمفاجآت عروضه المثيرة .

شعرت بنوع غريب من الراحة ، كدت أقبل دعوة زوجتي الى الرقص .. لولا أن جاء النادل ووقف في أدب جم ينتظر أوامرنا .

قالت زوجتي وهي لا تزال محتفظة بروح المرح

ـ ما دمت أنا التي سأدفع الحساب دعني اختار العشاء ..

راحت تنتقي من قائمة الطعام ، وتأمر النادل وهو يسجل في دفتر صغير بيده .

تفعل ذلك وهي تبتسم ... ترفع رأسها الى النادل وهي لا تزال تبتسم .

صحيح ان زوجتي لم تر في حياتها « حسن ابو شفة » مرة واحدة ولكن كيف لم تدرك بعد أن هذا النادل هو نفسه الحمال الذي تركناه منذ لحظات عند المتحر هل خدعها بحق هذا القفطان الاحمر الذي يرتديه ؟ هل تخدعها هذه الأشرطة الصفراء التي تطرز اطراف الصدر والاكمام ؟

أليس هذا هو نفس الوجه الاسمر والانف العريض والاسنان المفلوجة ؟

صحيح أنه يملك لمحة النادل وابتسامته المحسوبة وبطرته المدربة وانحناءته الرشيقة ولكن متى تعلم ابن حسن ابو شفه القراءة والكتابة ؟ ؟

- سوف نرقص حتى بعد العشاء

قالتها زوجتي وهي تمد يدها ربما يجدى حوار الأيدي حين تعجز الكلمات قمت معها مستسلما هذه ليلة للاستسلام ما أروع أن يستسلم الانسان للاشيء عندها يصبح المرء لا شيئا حقيقيا

صالة الرقص تمتلىء بالنغم والوجوه والعيون والاجساد والايدي غير الحقيقية .

الرائحة هي الاخرى تبدو هنا غير حقيقية . تذوب في هواء البحر و في سواد الليل والمياه ويحملها الهواء مع الموسيقى الى بعيد

فجأة تصمت الموسيقى

فجأة تعود الرائحة

يرتفع من نفس الميكروفون الذي كان يصرخ منذ لحظة صوت مدير الكازينو

- الجمهور الكريم ... سوف نقدم لكم بعد لحظة اكثر عروضنا اثارة .

تفضلوا بالخروج الى شرفة الكازينو لتشاهدوا العرض .. إنه يقع في قلب البحر .. لا تنزعجوا .. ... فهدفنا هو تقديم تسلية مثيرة ... إنه مجرد عرض سفينة تحترق في البحر ، وركابها يقذفون بأنفسهم الى المياه طلبا للنجدة ... إنه مجرد عرض فاستمتعوا فقط بما ترون انتم لا ترعجون حين ترون ذلك في الأفلام يمكنكم أن تقولوا انه عرض مسرحي حي . ان كازينو الشاطيء الذهبي لا يدخر وسعا في تسليتكم رغم الظلام . فالحريق الذي يلتهم السفينة يضيء كل شيء ورغم ضخامة تكاليف العرض فان ما نحرص عليه هو تقديم تسلية مثيرة حقا

ايمكن ان يكون هذا العرض المثير حقا هو مصدر تلك الرائحة قلتها وكأنى احاطب نفسي

قالت زوجتي وكانت تلك أول مرة تعترف فيها بتلك الرائحة

- نعم ربما كان ذلك حقا فلا تقلق المهم أن تستمتع بالعرض الم اقل لك

كنت قد أصبحت غير قادر حتى على القلق

غير راغب حتى في التفريق بين الحلم واليقظة

لا احد يريد أن يوقظني من الحلم

العرض لا يريد ان ينتهي

صرخاتي تختنق في داخلي

صرخات ركاب السفينة تغرق معهم

النادل يقف حلما في هدوء ويهمس

- سيستمر العرض طويلا . والعشاء جاهز يمكننا أن نحضره لكم في الشرفة . لتأكلوا وأنتم تتفرجون

ووجدتني أندفع امام الجميع الى قلب البحر كانت تلك هي الحرية الوحيدة المتاحة لي .

قلت لنفسي لو كان ما أراه حلما فلتكن تلك نهايته

ولو كان واقعا فهذه أفضل نهاية

كان آخر ما سمعته بعد ما خلته صرخة زوجتي هو صوت يرتفع في الميكروفون .

- لا تنزعجوا أيها السادة .. فذلك أيضا جزء من العرض ■■

ابو المعاطي ابو النجا

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٣٠ دينارا كل منها ٥ دنانير

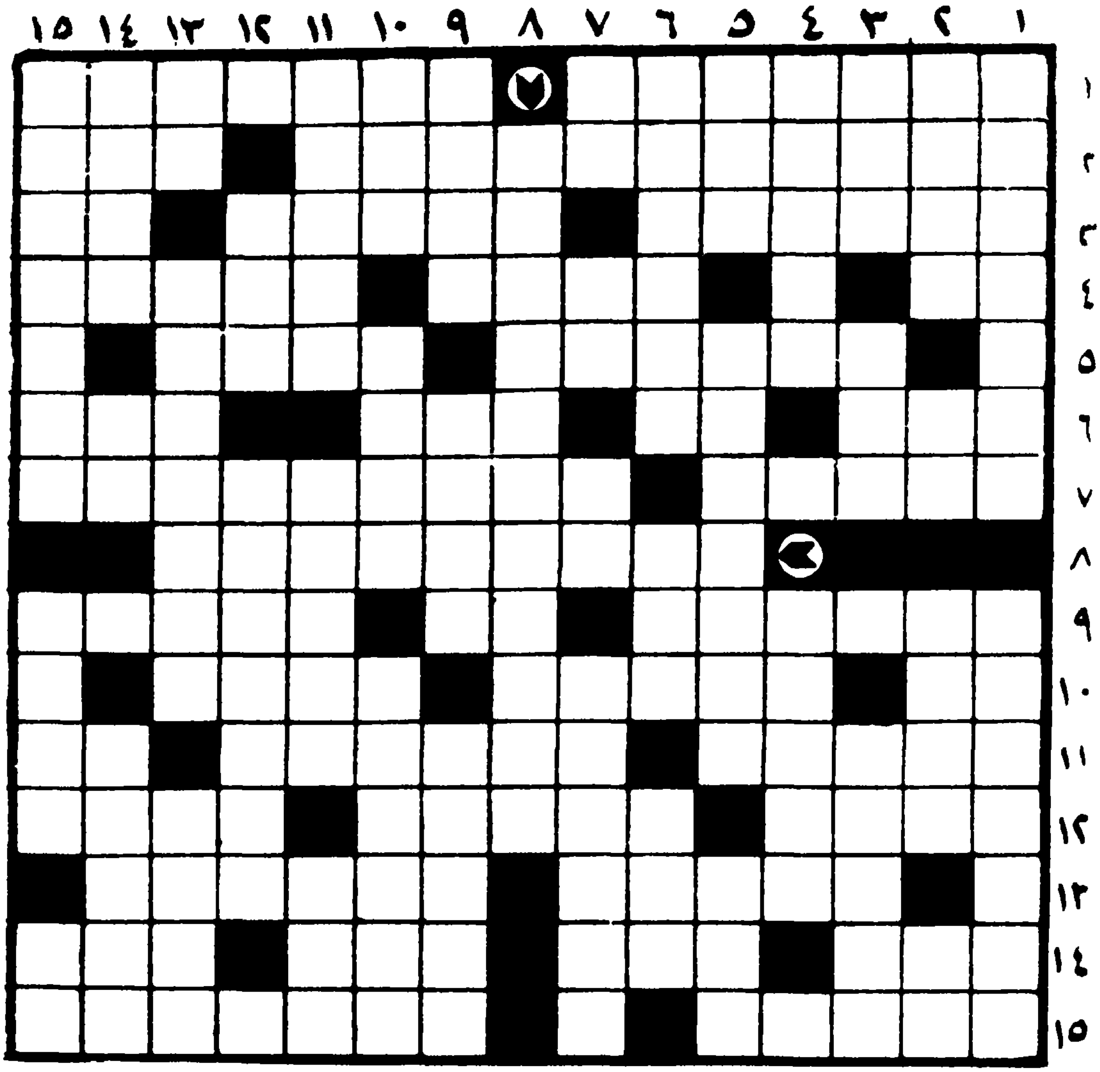
ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٠ وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول نوفمبر (تشرين) ٢ ـ ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم أحد ملوك الحمدانيين ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم سلطان عباسي .

الكلمات الأفقية :

١ ـ كاتب ايطالي قديم ، ومؤلف « ديكاميرون » ـ مصارعون من روما القديمة .
٢ ـ الطبقة الجوية التي تطير فيها الطائرات النفاثة ـ الة موسيقية .
٣ ـ أثارت شكّها ـ من الحوامض ـ من الفرائض .
٤ ـ كثير ـ من أصحاب المعلّقات ـ من أماكن التسلية .
٥ ـ توجيه الانتباه ـ تقصر .
٦ ـ وحدة قياس كهرباء ـ حرف نفي ـ أقفز ـ بعد .
٧ ـ من الفواكه ـ من الأمراض .
٨ ـ ملك حمداني .
٩ ـ من القارات ـ يخصّني ـ شكّه .
١٠ ـ هرب ـ دولة أسيوية ـ لبقة .
١١ ـ نبات متسلّق ـ ينابيع مياه ساخنة ـ مناص .
١٢ ـ أكرّر ـ من الزهور ـ بحيرة أمريكية .
١٣ ـ مصائب ـ عارية .



١٤ ـ حرف أبجدي ـ في عروقي ـ أنمو ـ حرف أبجدي

١٥ ـ عاصمة الامبراطورية الآشورية القديمة ـ درجة النعيم الابدي في العقيدة البرهمية .

الكلمات الرأسية :

١ ـ دولة أمريكية ـ فيلسوف أغريقي معروف .

٢ ـ من وسائل التكريم ـ حرفان متشابهان ـ شكل هندسي منتظم ـ للتفسير .

٣ ـ من مستلزمات الطالب ـ قبل اليوم ـ من الثمار .

٤ ـ أنسقه ـ يقايض .

٥ ـ من الماشية ـ جهاز ابصار ـ بعد .

٦ ـ يتوجّعن ـ كلمة (رأي) مبعثرة ـ استمرّ .

٧ ـ حرفان متشابهان ـ نصف كلمة (بائس) ـ لفظة ضيق ـ لازمة لفتح الأبواب .

٨ ـ سلطان عثماني .

٩ ـ نافع ـ فقدت الابن ـ عقيدة راسخة .

١٠ ـ حرف أبجدي ـ فقدان الحساسية ـ عاصمة آسيوية .

١١ ـ أصل ـ قطر عربي ـ من العلوم الرياضية .

١٢ ـ محيط ـ قمر صناعي .

١٣ ـ وعاء ـ الاستعداد الفطري ـ يرشدا .

١٤ ـ في الصحراء ـ في الجهاز الدوري ـ اثبات .

١٥ ـ دولة أفريقية ـ من المحيطات ـ حرف استفهام .

كوبون مسابقة
العدد ٢٥٠

صاحب الفردوس المفقود

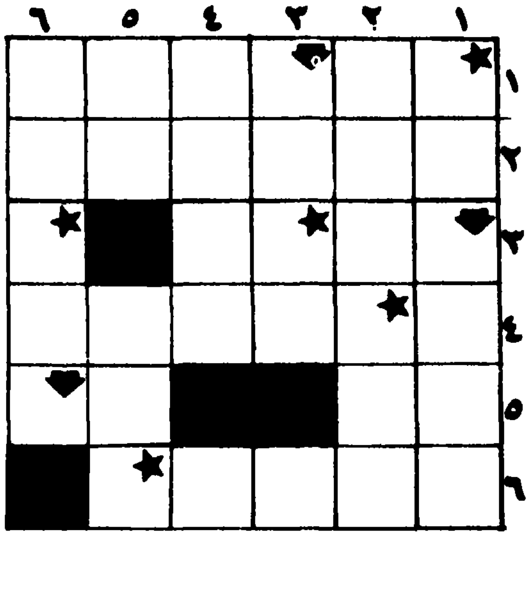
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الأسهم ، ورتّبها بحيث تحصل على الاسم الأول لشاعر انجليزي شهير وصاحب الفردوس المفقود . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتّبها بحيث تصنع لقبه .

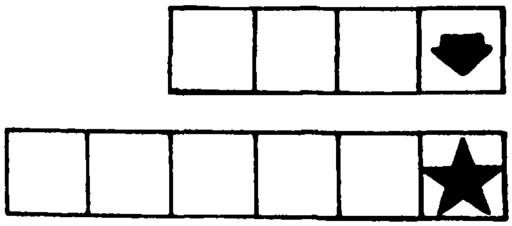
الكلمات الافقية :

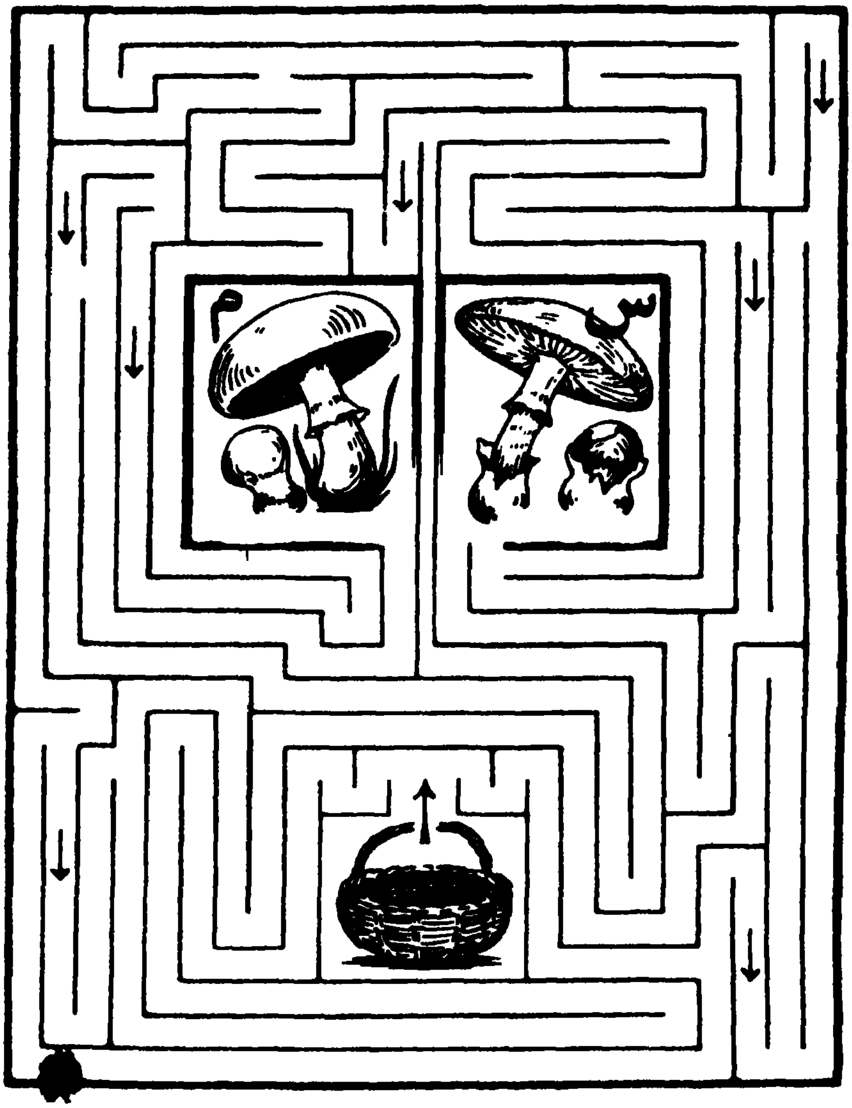
١ ـ مستمر بلا انقطاع .
٢ ـ عشق الذات
٣ ـ شطر .
٤ ـ نتخوّف منه .
٥ ـ متشابهان ـ خطر .
٦ ـ ظاهرة طبيعية .

الكلمات الرأسية :

١ ـ من العناصر الكيميائية .
٢ ـ أناشيد دينية .
٣ ـ في الوجه .
٤ ـ أأسر .
٥ ـ نصف كلمة (صياد) ـ زوج .
٦ ـ لعبهن .







عشّ الغراب

مبتدئا من السلّة ، هل تستطيع أن تصل الى عشّ الغراب وتضعه في السلّة ؟ . لكن احذر أن تصل الى عشّ الغراب الذي على اليمين (س) فهو سام ، فالذي نقصده عشّ الغراب الذي الى اليسار (م) المغذي اللذيذ . عندما تسلك طريقك ، محظور عليك السير عكس الاسهم ، أو المرور في الطريق الواحد أكثر من مرّة .

أين الصواب ؟. وأين الخطأ ؟.

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها مغلوط ، هل تستطيع أن تميّز بينها ..

١ ـ ابن مقرض : عالم نبات عربي قديم .

٢ ـ السيرافي : رحالة عربي وصل الى الهند والصين .

٣ ـ باثورست : عاصمة جامبيا .

٤ ـ بوكسر : من سلالات الكلاب .

٥ ـ توريرو : مضيق بالبحر الابيض المتوسط .

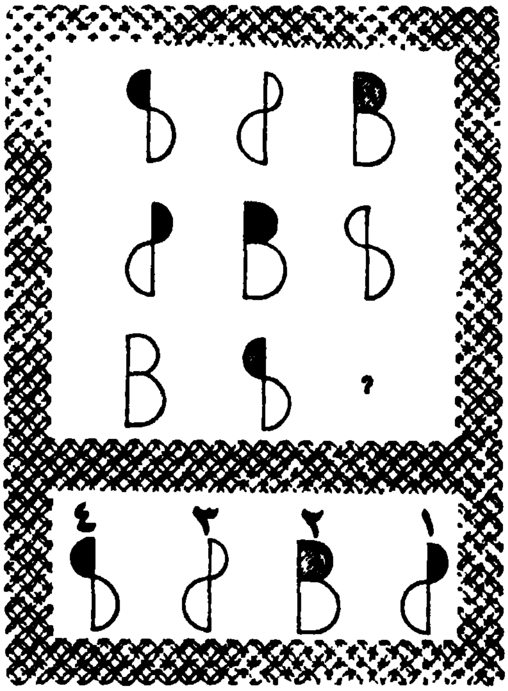
٦ ـ خانق الفهد : حيوان استرالي مفترس .

٧ ـ زرياب : نجم أعلام الموسيقى في دولة الاندلس .

٨ ـ شومولونجا : من أحفاد جنكيز خان .

٩ ـ كلارينيت : آلة موسيقية .

١٠ ـ مايون . أشهر براكين الفلبين .



الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أي الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحتل مكان علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم :

جون ملتون .

* * *

أين الصواب وأين الخطأ ..

كلّها صحيحة ما عدا .

١ ـ ابن مقـرض : حيوان كان يستخـدم في صيد الأرانب .

٥ ـ توريرو · مصارع الثيران

٦ ـ خانق الفهد . من الزهور .

٨ ـ شومولونجا : الاسم التبتي لقمّة افرست .

* * *

الشكل المطلوب :

رقم (١) .

Mothercare® عالم الصّغير



لقد نشأ وترعرع آلاف الأطفال من جميع
انحاء العالم برعاية Mothercare اذ
ان امهاتهم من ١٣٠ قطرا يشترين ما يلزمهن
من ما يزيد عن ٣٥٠ محلا من محلاتنا
او يرسلن طلباتهن عن طريق كتالوج منتجاتنا الشهير
اما اسباب ذلك فهي بسيطة انهن يدركن ان اية بضاعة يخترنها من كتالوج Mothercare ستكون متقنة الصنع مأمونة عملية والاهم من ذلك كله ذات قيمة ممتازة مقابل ما ينفقن عليها من نقود
ثم انا بطبيعة الحال لا نبيع لوازم الاطفال فحسب اذ ان بضائعنا تشمل على كل شيء للام الحامل ولمولودها ولاطفالها حتى سن العاشرة ونعني بذلك كــل شــيء فعلا هذا ما ستدركينه بمجرد ان تلقي نظرة على كتالوج منتجاتنا المصور والذي يحتوي على ٢٤٤ صفحة ملونة انه مجاني تماما من غير مقابل فاطلبي نسخة منه لك الآن! ثم اختاري ما تحبين واملئي استمارة الطلب الموجودة في الكتالوج وسوف نلبي طلبك في الحال
اما اذا لم يرضك شيء ما فسنعيد لك الثمن دون ان نسألك ايّ سؤال
ثقي بـ Mothercare

Mothercare-by-Post بالبريد امر سهل للغاية كانك تعدين من ١ الى ٣

١ ارسلي الكوبون بالبريد الجوي وسوف تتلقين نسخة مجانية من كتالوج Mothercare (ومعه نشرة توضيحية باللغة العربية)
٢ اكتبي طلباتك في استمارة الشراء المرفقة بالكتالوج وارسليها بالبريد ٣ نسلمك طلباتك في الحال

Mothercare®-by-Post

مجاناً! ارجو ان ترسلوا لي كتالوج خريف شتاء ١٩٧٩ الجديد الذي يحتوي على ٢٤٤ صفحة ملوّنة
الى Mothercare, P.O. Box 145, Watford, England

الاسم ______________________

العنوان ______________________ (حروف انكليزية كبيرة واضحة رجاء)

____

____

البلد ______________________

Mothercare-by-Post
كل شيء للحوامل والرضّع والأطفال حتى سن العاشرة

GE



1979
THE QUEEN'S AWARD FOR EXPORT ACHIEVEMENT

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

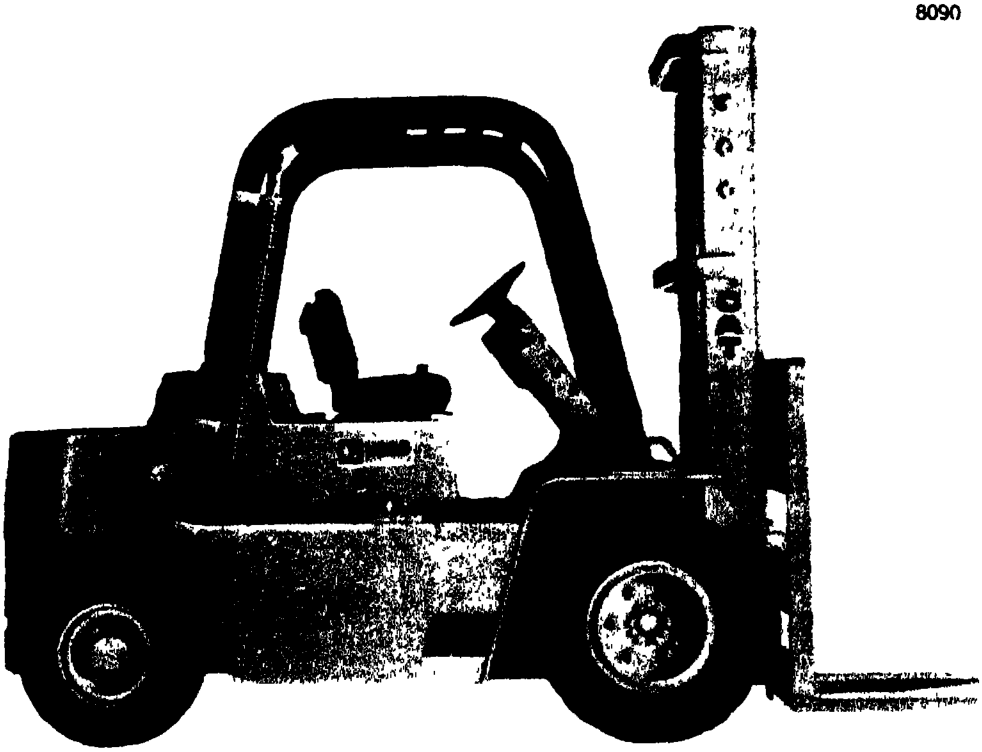
أول سبتمبر ١٩٧٩

١٢٠

* الشريستطير
* الصابرون

تأليف : جان أوديبرتي
ترجمة وتقديم : د. نعيم عطية
مراجعة : يحيى حقي

8090



ما تصمّمه كاتربلر وتبنيه
تدعمه كاتربلر وتسانده

إن شاحنات كاتربلر ذات الرافعة مصممة لتلبية إحتياجاتك العملية داخل الورش وخارجها فهنالك ٥٠ طرازاً مختلفاً بقدرات رفع تتراوح بين ١ و ٢٧,٣٠ كلغ ، تعمل بواسطة محرك كهربائي ، أو ديزل ، أو بنزين ، أو محرك يعمل بالغاز الطبيعي السائل والصيانة عملية بسيطة، كما أن نقاط الفحص والمعاينة قليلة العدد جدًا والأهم من ذلك كله ، جرى بناء شاحنات كاتربلر ذات الرافعة في كل المراحل وفقاً لمستويات الجودة الفائقة وقيمة كاتربلر تمتد لتشمل الخدمة التي تحصل عليها من الوكيل .

"قد تشمل : مساعدة ومشورة الخبراء فيما يختص باختيار الشاحنة الصيانة والخدمة وتوفر القطع بسرعة لضمان حصولك على القطعة التي تحتاجها عندما تحتاجها وبذلك لا تهدر أموالك في إنتظار القطع ، أو تضطر للأحتفاظ بمخزونات من القطع الباهظة التكاليف" ويمكن توجز ذلك بعبارة CAT PLAN فهي تضمن حصولك على شاحنة ذات رافعة مدعومة بالخدمة والصيانة، علاوة على كونها مصمّمة ومبنيّة لتأمين حصولك على قيمة إجمالية عالية بتكاليف إجمالية منخفضة . وهذا سبب وجيه للاتصال بوكيل كاتربلر الآن

Caterpillar Tractor Co هي ماركات مسجلة لشركة Cat Caterpillar

أبو ظبي محمد عبد الرحمن البحر ، ص ب ٤٤١ ، أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة ، تلفون ٢٢٣٨٧ البحرين محمد عبد الرحمن البحر ، ص ب ٥٣٥٧ ، المنامه ، تلفون ٧١٣٦٠٧
دبي محمد عبد الرحمن البحر ، ص ب ١١٧٠ ، ديرة ، الامارات العربية المتحدة ، تلفون ٦٠٢٥٥ مصر ماسراك ، ٢٢ شارع أمين فكري ، محطة الرمل ، الاسكندرية ، تلفون ٨٠٧٨٩٧
الاردن شركة الحرارات والمعدات الاردنيه المحدودة ، طريق السلط ، ص ب ٣١٣ ، عمان ، تلفون ٦١١٤١/٤٢/٤٣ الكويت محمد عبد الرحمن البحر ، ص ب ١٤٨ ، الصفاة ، الكويت ، تلفون ٨١٠٨٥٥/٥٦ لبنان م عرت حلاد واولاده ، ص ب ١١٠٢٠٨ ، بيروت ، تلفون ٩٣٢٥٢٢ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
شركة العامه للالات والأجهزة واللوازم الزراعية ، سيدي مصري ، ص ب ١٤٨ ، طرابلس الغرب ، تلفون ٣٢٥٢٠ فرع سعاري ، تلفون ٩٢٣٢٩ سلطنة عمان شركة الواحه للتجاره والمعدات ، ص ب ١٠٠٢ ، مطرح ، مسقط ، تلفون ٧١٦٠ قطر محمد عبد الرحمن البحر ، ص ب ٢١٧١ ، الدوحه ، تلفون ٢١٠٢٦ المملكة العربية السعودية
شركة الراشد للتراكتورات والمعدات الثقيلة المحدودة ، ص ب ١٥٨٨ ، جدة ، تلفون ٧٧٠٠٠ الفروع الدمام ، تلفون ٢٢٥٩٤ ، الرياض ، تلفون ٢٨٤٦٨ الجمهورية التونسية
حسين بن ماريس ، شركة معملة ، ٩١ حادة قرطاجنة ، تونس ، تلفون ٢٥٦٥٧٧ المغرب الشركة المغربيه لمؤسسات بن ماريس ، ١٤٥ بولفار المقاومه ، الدار البيضاء ، تلفون ٣٠٥٦٧٥
سوريا م عرت حلاد واولاده ، ص ب ٢٣ ، شارع حلب ، القاسون ، دمشق ، تلفون ١٩١٤٨٥٤ ، فروع في حلب ، واللاذقية ، والقامشلي

جي سي بي عندما تتطلب الافضل فقط



إن جي سي بي هي مؤسسة بريطانية مصدرة لآلات البناء حاصة منذ بالمئة ونوعية منتجاتها المعتمدة قد مكنت جي سي بي من تحقيق نجاحات رائعة في كافة انحاء العالم بالمقابلة مع شركات البناء ذات الجنسيات المتعددة

وجي سي بي تنتج تشكيلة من الحمارات الزاحفة الهيدروليكية، وشاحنات الجرف المفصلية ذات العجلات، وحمارات جي سي بي المحملة ذات الشهرة العالمية التي تحتل المركز القيادي في اسواق اكثر من ٥٠ خمسين بلداً

إن هذه المكائن تم تجربتها على مدى سنين طويلة وفي ظروف مناخية قاسية ومتنوعة في اكثر من ١٠٠ بلد

وكموزعين محليين لـ جي سي بي، فاننا نفخر بأن نقدم لكم تشكيلة واسعة من حمارات جي سي بي المحملة، والمحملات ذات العجلات والحمارات الزاحفة التي تقترن بخدمات الاسناد

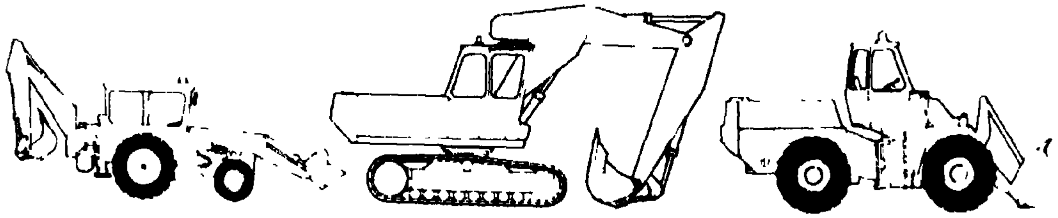
عندما تتطلب الافضل، اختر جي سي بي

JCB Sales Ltd , Rocester, Staffordshire, England ST14 5JP
Tel 0889-590312 Telex 36372

ويعتمد جي سي بي : الجزائر ، البحرين، قبرص ، مصر ، اثيوبيا ، إيران ، العراق الكويت ، لبنان ، ليبيا ، المغرب ، عمان ، قطر ، المملكة العربية السعودية ، تونس تركيا ، السودان ، الامارات العربية المتحدة ، الجمهورية العربية اليمنية . للمعلومات اتصل بـ .

من أجل معلومات أوفى إتصل بـ..

JCB Sales Ltd Branch Office, Floor 4, No 19 Syngrou Avenue, Athens 403, Greece Tel Athens 922 6718 Telex 219314



الآلات جي سي بي ذات العجلات ٤١٣ ، ٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٨ ـ تشكيلة الحفارات من ٣ ١ م مكعب الى ٦ ٤ م مكعب

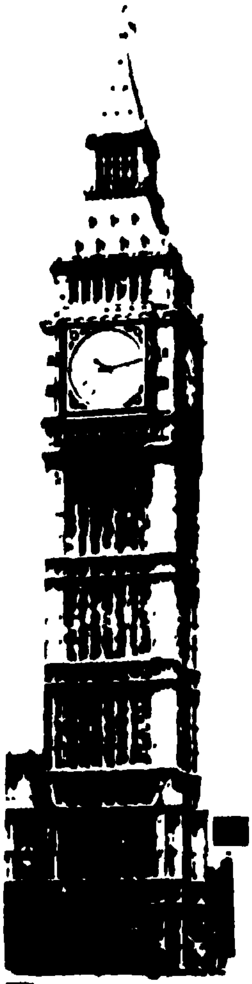
[illegible]



في كل ساعة... وفي كل وقت
ساعات اورينت كوارتز
جميلة كيفما نظرت إليها
ORIENT
مهما يكن اختيارك، ساعة عادية كانت أم رقمية،
بامكانك الاعتماد على "اورينت" من أجل الحصول على أحدث
ما توصلت إليه صناعة الساعات بفضل "ساعة اورينت كوارتز"
سوليدر الرقمية المزودة بأداة لقياس الوقت تستخدم خلايا تستمد
طاقة لا محدودة من الشمس، وساعة "أورينت كوارتز" الأنيقة
والجميلة التي تعطيك اليوم والتاريخ. مثل جميع ساعات "أورينت" يحتوي
هذان الطرازان على أحدث ما توصلت إليه صناعة الساعات من إنجازات تقنية.
وقد صنعت حسب أعلى مواصفات ومستويات مراقبة الجودة. ساعات أورينت كوارتز
دقيقة ورفيعة المستوى. إنها أكثر من مجرد وجه جميل آخر.
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX:J26896 TIMETEST

ادّخـــــروا مــــع لـــومبــــا رد

جـــدارة بـــالـثـقـــــة فى جـمـيــع الأوقـــــات



تمتعوا بخبرة مصرف لومبارد فى لندن ، وبجدارته بالثقة ، وبضمان محافظته على أموالكم فى جميع الأوقات ، بالاضافة الى مايوفره لكم من مجموعة كبيرة من تسهيلات حساب الودائع ، المصممة خصيصا لكى تجعل أموالكم تدر عليكم مدخولا أكبر ،
نحن عضو فى مجموعة ناشيونال وستمنستر بنك التى يفوق رأسمالها واحتياطيها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني

اسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة

أحطار إيداع	ايداع لفترة معينة
اسعار عسو ٦ اسهر قبل السحب بدفع الفائده كل ٦ اسهر او يضاف الى الحساب حد ادنى للايداع ٥٠٠ جنيه استرليني — ١٠ ½٪	مدة ثابتة محددة بعام أسعار فائدة اخرى من سنتان الى ٥ سنوات متوافرة حد ادنى للايداع ١٠٠٠ جنيه استرليني — ١٢٪

تدفع كل الفوائد بدون خصم الضريبة البريطانية على الأصل.

Lombard North Central
Bankers

إلى

Lombard North Central Ltd., Dept. U182,
17 Bruton Street, London W1A 3DH, England Tel· 491 7050.

ارجو ان ترسلوا لى تفاصيل برامج حساب الايداع لديكم .

الاسم : ____________________

____

العنوان ____________________

____

العنوان المسجل Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مشكلة انتاج الغذاء في الوطن العربي

تأليف: د. محمد على الفرا

الكتاب الحادى والعشرون

٢٥٠ فلساً

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

مدير التحرير
عبدالعزيز السيد أحمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ٠٠٠ر١٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير ـ وثائق ـ يوميات ـ بيبليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا او ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا امريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

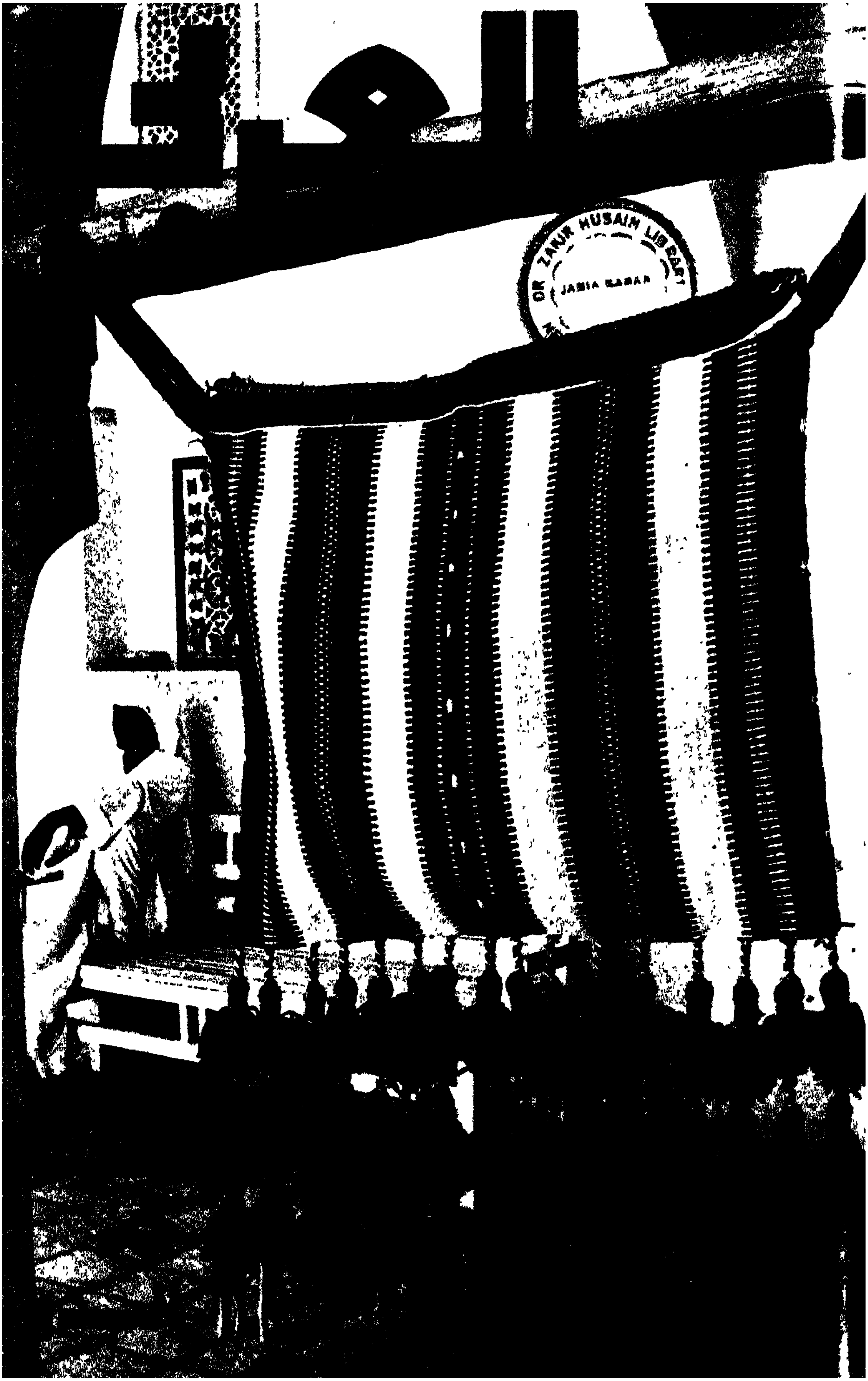
للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت ـ كلية الاداب والتربية ـ الشويخ ـ دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

هاتف : ٨١٦٨٠٧ـ٨١٦٧٩٩ـ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير



عزيزي القارئ

خلال الاسابيع الاخيرة ، توالت الكتابات في مختلف المجلات والصحف العربية ، التي تعلن اليأس من الحاضر والمستقبل ، وتدعو صراحة الى ما اسموه « الاستقالة من العروبة » ،

ولا نعرف كيف يمكن ان يتحقق ذلك ماديا وعمليا ، وكيف يمكن ان نقرر ان نغير جلودنا وعقولنا وقلوبنا ، هكذا بين يوم وليلة . لكننا نفهم بكل تأكيد ان هناك عشرات الاسباب التي اصابتنا جميعا بالاحباط والحزن والتشاؤم ونعلم انا لسنا اول امة منيت بالهزيمة ، ولسنا اخر من فجع في أمانيه ، او مسحت احلامه ، وداسها الابناء قبل الاعداء

نسلم بالعجز والهزيمة ، لكننا لا نرى ان الانتحار هو الحل او المخرج بل نقول انه رغم كل الغيوم وحدران القتامة ، لا يزال هناك بصيص من امل .

والخطوة الاولى على طريق الامل هو هذا الرفض للهزيمة والتمرد على العجز ، وادانة أسبابه ونتائجه

وما دمنا ندين الباطل كله ، فنحن على الطريق الصحيح . لا يهم على اي نقطة من الطريق نحن ، ولا يهم كم فيه من المنعطفات والعثرات ، ولا يهم كم يستغرق المشوار . تلك كلها تفاصيل تتفاوت في الاهمية ، فالطريق ذاته هو الاهم

انا لا نريد آن نفتعل أملا ، لكننا فقط نقرر حقيقة تتوه احيانا في لحظات الانفعال والقنوط ،

« المحــرر »

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

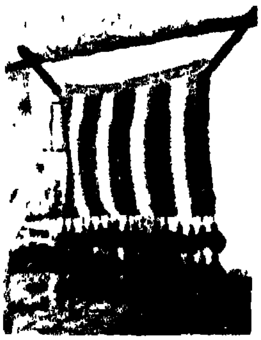
ALARABI No 251 October 1979 P O Box 748 KUW

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعــــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● ينتقل البدو في الصحراء من حالة البداوة الى الاستقرار . وتتغير معالم حياتهم الاجتماعية فكيف نحافظ على ما ينتجه البدو من فن جميل يعكس البيئة والحياة الحرة الطليقة ـ وهذه لقطة لاحدى هذه القطع الفنية في المعرض الدائم الذي يطل على الخليج ......

اقرا الاستطلاع ص ٧٠

أدب .

فلسفة :

تاريخ :

فنون :

كتاب الشهر :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس السعودية ريالان سعوديان . السودان ٥٠ قروش . ج م ع ١ قروش . تونس ٢٥٠ مليما الجزائر ٢,٥ دينار . المغرب ٢,٥ درهم . اليمن ٢,٥ ريال . ليبيا ١٥ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الاخبار وعنوانها ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
، للمشتركين في جمهورية مصر العربية .

وجه جديد للعالم

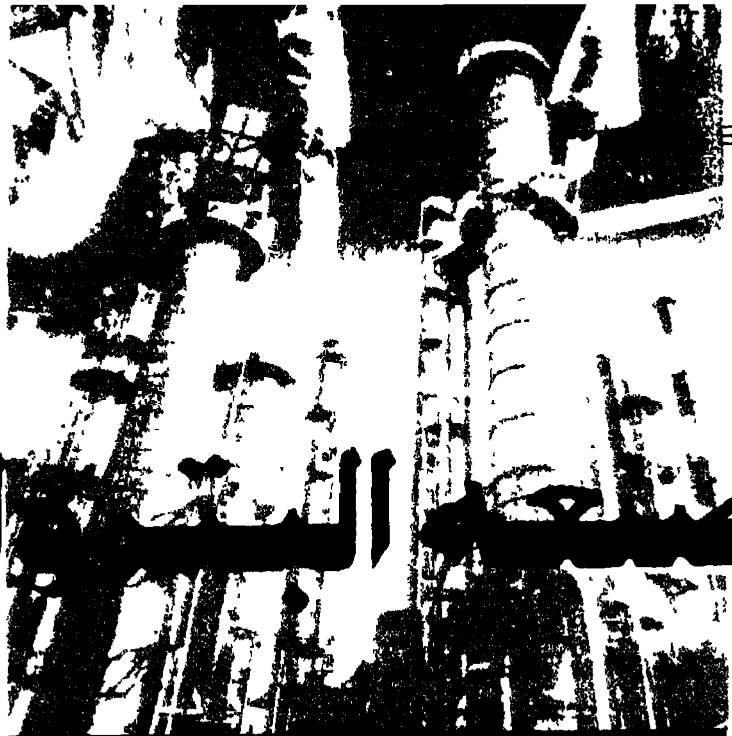
● كان حديث الشهر الماضي عنوانه « عالم من سياحة وبترول وفضول » ..

ولعلني اعطيت بعض جوانب الحديث حقها ، وذكرت ان عنصرا هاما لم تتسع الصفحات لان يستوفى حقه ، وهو البترول

وكما ذكرت ، فيما احسب ، فانني لا اتحدث عن مشكلة البترول من زواياها المعروفة . لا مشكلة الطاقة ، ولا اسعار البترول ، ولا الصراع بين دول « الاوبيك » والدول المستهلكة ولا الصراع السياسي الذي يستتبعه هذا الوضع الاقتصادى الى آخره

ولكنني احاول ان اتأمل . في سلسلة من الاستطرادات ، الأثار الاجتماعية التي ساهم بها البترول في هذا العالم كما نعرفه . . وحتى الاثار التي ساهم بها في تشكيل نفسية الفرد نفسه

وبغير كثير من المبالغة ، كانت هناك اكتشافات قليلة غيرت وجه حياة الانسان على الارض اختراع الورق حلق اول صلة مدونة بين الناس . اختراع الطباعة مثلا جعل المدونات في متناول عدد اكبر وخلق شيئا اسمه التعليم والقراءة على نطاق واسع . اختراع البارود نقل الحروب من لقاءات عدد من الفرسان في ساحة وغى بعيدة ، الى الحروب التي تشترك فيها وتقاسى منها الشعوب كلها ، اذا ارادت طبعا ان تكسب حربا .



ثم صنعه البترول !

بقلم : أحمد بهاء الدين

من هذا المستوى اكتشاف البترول .

فالبترول هو الذى وضع العالم على طريق الحركة الهائلة والانتاج الوفير .

صحيح ان اكتشاف البخار ثم الكهرباء كانا خطوة على الطريق . وصحيح ان اكتشاف الصحافة والاذاعة نقل صورة العالم الى الانسان حيثما كان .

ولكن لو وقف الامر عند هذا لما حدث ما حدث . ولما رأينا العالم الذى نعرف

كان البخار سيقف عند حدود ، وكذلك الكهرباء . فالفحم ـ الذى كان مصدر تلك الطاقة ـ يمكن ان يدير مصنعا او يسير سفينة . ولكنه ما كان ممكنا ان تطير به طائرة ولا تسير به سيارة ولا تحارب به دبابة . وما كان ممكنا ان ينتشر استخدام الطاقة هذا الانتشار

النقلة الانسانية الواسعة

فالنقلة الانسانية ، في مدى انتشارها ، من عالم الفحم الى عالم البترول ، اشبه بالنقلة التي تمت من عالم الكتابة الى عالم الطباعة . فصار ممكنا ان يطبع من المخطوط ملايين النسخ . وصار ممكنا ان تصدر ملايين الصحف كل أربع وعشرين ساعة ..

اولا ، لرخص تكاليف البترول . ثانيا لسهولة استخدامه في ملايين الوحدات الصغيرة ـ الطائرات والسيارات مثلا ـ هذا اذا قصرنـا اثـره على عنصر « الحـركة » وحـده في حياة الانسان ، لا على عناصر تأثيره في شتى نواحي الانتاج .. من الانسجة الى المطاط الى بروتين الطعام ..

صحيح ان العقل الاوروبي كان هو القائد للتقدم العلمي في القرون الاخيرة . وصحيح ان اكتشاف البارود او الطباعة او البخار ، كان اثر « العقل الانساني فيها » اهم من اثـره في اكتشاف « خام » البترول .

ولكن الغريب ان مادة التطور العلمـي ـ سـواء في مؤلفـات المؤرخـين او في مقـررات المدارس ـ حينما تتعـرض للخطـوات ـ او المنعطفـات الحاسمـة ـ في طريق الثـورة العلمية الصناعية تذكر ظهور البخار ، ثم اللاسلكي ، الى آخره ... ولكنها لا تذكر بنفس الدرجة من الاهمية : اكتشاف البترول .

مع انهم ، في النهاية ، اى الاوروبيين ، هم الذين اكتشفوه

ولكن هذا الاهمال ـ او الاغضاء ـ ربما كان مصدره ان معظم الاكتشافات السابقة يمكن انتاجها في اى مكان من العالم ، ماعدا كل ما هو عائد الى البترول ، فهو مخزون اساسا في مناطق محددة في العالم . فهو مصدر الطاقة الوحيد الذي تتحكم فيه عوامل الجغرافيا السياسية الى حد بعيد . وفي حين ظهر الفحم مثلا في بلاد الصناعة ـ انجلترا والمانيا مثلا ـ ظهر البترول في « المستعمرات » التي لم يشأ الغرب وقتها ان يعلم ابناءه ان شريان حياته الحديثه مربوط بتلك البلاد . وان ما يأتي الغرب من هذه البلاد اهم كثيرا من الشاى ، والتوابل ، والعطور ، والحرير الفاخر المصنوع بالايدى .

ان الجوانب الانسانية كثيرا ما يجرى اغفالها عند تعداد العوامل المؤثرة في الاحداث .. وهذا هو احد اكبر جوانب النقص في الفكر البشرى ، واحد اهم اسباب الصراعات ...

لقد صار البترول عنصرا حاسما في حياة العالم منذ الحرب العالمية الاولى . ومنـذ قال « لويد جورج » رئيس وزراء انجلترا قبل خمسين سنة « لقد سبح الحلفاء الى النصر على بحر من النفط » . ولكن المرء يلاحظ ـ في حدود ما يعرف ـ ان الاجيال الغربية لم تتعلم قط في برامجها ومدارسها ولا في وسائل اعلامها ، اى شيء عن قيمة البترول . وبالتالي لم تتعلم تلك الاجيال ان حضارتها مرتبطة في تطورها باماكن بعيدة في القارات الاخرى « التي ظلت بالنسبة له « مستعمرات » ، سواء بالمعنى المادى او بالمعنى المعنوى والنفسى ..

لم يتعلم العقل الاوروبي العام ان تقدمه مربوط بدرجة حيوية ـ لا كمالية ـ بقارات اخرى وشعوب اخرى وحتى حين انسحبت جيوشه واسلحته ، ظل يحس « نفسيا » ان باقي العالم مستعمر ، تابع له وان سلعة كالبترول متاحة ـ بديهيا ، وبلا مقابل تقريبا ـ كماء المحيطات التي ليس لها مالك وبالتالى تاخرت الذهنية الاوروبية والامريكية كثيرا في ادراك ضرورة قيام علاقة جديدة ، اكثر احتراما وتوازنا ، مع « الآخرين » الذين هم بالنسبة لهم بقية البشر !

ولذلك ، عندما « فوجيء » الرأى العام العربي بحكاية « ازمة الطاقة » ، رأينا ردود الفعل العجيبة الغريبة ، وكأن الامر مفاجأة واستطاع الحكام الغربيون واصحاب المصالح العربية ـ سياسية واقتصادية ـ ان يستخدموا ذلك المزيج من الرعب والمفاجأة والذهول و يوظفوه لمصالحهم السياسية ، و يسندوا به تهديداتهم العسكرية

فالعالم الغربي « نفسيا وذهنيا » ما زال في حاجة الى ان يتعلم ان سائر الكرة الارضية ليست مستعمرة له ، ولا هي مكرسة لخدمته وان علاقته بالغير هي علاقة « حاجة متبادلة » وليست علاقة « قوى يتصدق على ضعيف »

وقد جرفني موج الحديث الى بعض شواطيء السياسة ، رغم انني احاول هنا ان اسبح بعيدا عنها لانها شواطيء مطروقة كل يوم وكل ساعة

انما اريد ان اتحدث عن الاثر الحضاري للبترول ولكثرة الاثار وتشعبها الرحيب لا بد من اختيار خيط واحد ولكن الانتقال والحركة

واصبح العالم قرية كبيرة

ان الكل متفق على ان اهم تطور في حياة العالم خلال نصف القرن الاخير ، هو ان العالم صار « صغيرا » . او صار « قرية كبيرة » كما يقول « مارشال ماكلوهان » . وقد صار العالم صغيرا بفعل اشياء كثيرة : البريد والبرق والتليفون واللاسلكي والصحف والاذاعة والتليفزيون ...

ولكن اهم ما جعله « صغيرا » ، بكل ما لذلك من نتائج ، هو سرعة وسهولة النقل والانتقال ..

نقل الافكار ، ونقل الجيوش ، ونقل الافراد ، ونقل السلع والبضائع

النقل السيىء والنقل المفيد ..

النقل السيء ، الذي صار ممكنا معه القاء الاف القنابل على اقصى البلاد ، وخلف خطوط القتال بمئات الاميال (دعك من الصواريخ) وبالتالي لم تعد الحروب مقصورة على الجنود ، بل شاملة لابعد البشر عن الصراع . فلم تعد هناك « قرية امنة » ' وكان هذا مستحيلا بدون البترول بالذات ...

والنقل البريء ..

فبعد ان كان الرسول يسافر من بلد الى بلد في شهور ليبلغ رسالة صار عاديا ان يجتمع ممثلو مائة وخمسين دولة ـ العالم كله ـ في الامم المتحدة طوال السنة وفي اي وقت من السنة فالطائرات النفاثة ـ ووقودها البترول ـ اختصرت الشهور الى ساعات

ولسنا في حاجة الى تفصيل اي مثل من هذين المثلين فقط فاثارهما على العالم معروفة وملموسة وظاهرة كل يوم . لولا ان الانسان ينسى وسرعان ما يألف الحديد العرب ويعتبره عاديا وبديهيا ومفروغا منه '

ولكن ، لندخل الى طريق اضيق ، وننسى الطائرة ، ونكتفي بالسيارة ومرة احرى السيارة كأداة ما كان لها ان تقوم وتوجد ، دون اكتشاف البترول . وما كان لها ان تنتشر دون رخص سعر البترول ـ حتى الآن '

ولنأخذ مجتمعا واحدا ، هو المجتمع الامريكي ، لنرى كيف اعادت « السيارة » تشكيله حتى على المستوى الفردي ...

وسنأخذ المجتمع الامريكي نموذجا ، لا لانه حالة فريدة ، ولكن اولا لانه سبق غيره ى هذا المضمار . ولان ما يحدث فيه ، يتكرر في كل مكان من العالم تقريبا وان اختلفت الصور والدرجات .

ولان امريكا بحكم اتساعها تكاد تكون قارة كاملة ..

في المشهد العام ، لاول وهلة ، نحد ان السيارة اعادت توزيع السكان تماما ، وفى اتجاهين متعاكسين في نفس الوقت .

فالسيارة هي التي خلقت المدن الكبيرة اي التركزات السكانية الكثيفة . مدن العشرة ملايين ساكن او اقل او اكثر ، مثل نيويورك ولوس انجلوس ولندن وباريس وطوكيو .. الخ .
ـ من الواضح انه كان مستحيلا ظهور « المدن الكبرى » بهذا الحجم في العالم كله ، بخيرها

وشرها دون وجود السيارة . ونحن نعرف ان ظهور هذه المدن الكبيرة ، وتزايدها ، حتى يومنا هذا ، خلق من القيم والعادات الجديدة ، واوجد من المزايا ومن الشرور على السواء ، ما يعكف المفكرون على دراسته وما وضعت من اجله آلاف الكتب

وفي عكس هذا الاتجاه ، جعلت السيارة قيام التجمعات السكانية الصغيرة ممكنا في اي بقعة من الارض فكما قامت مئات المدن الكبرى ، انتشرت آلاف القرى . لان ساكن القرية في ابعد اماكن امريكا التي كانت مهجورة ، صار يمكنه ان يعيش وأن يصل اليه كل شيء على مدار السنة من طعام وشراب وثياب واي ادوات موجودة في المدينة بل ان ولايات صحراوية تماما ـ مثل اريزونا ـ صارت ولاية مأهولة مسكونة ، بل وفيها افخم اماكن الترفيه واللهو والفنادق (لاس فيجاس مثلا) قامت هنا في قلب الصحراء تماما لان السيارة وضعتها على الخريطة لاول مرة

حتى الجغرافيا تغيرت

ذلك ان وجود السيارة باعداد كبيرة ـ من الشاحنات الكبرى ، الى الحاويات المبردة ، الى السيارات الفردية ـ خلق صناعة ربما كانت اكبر صناعة في العالم ، وغير خريطة الجغرافيا ، وهي : الطرق .. بكل انواعها ، وبكثرة كان مستحيلا ان تقوم بدلها خطوط السكك الحديدية مثلا .

انظروا الى الطرق الكبرى في بلادنا وفي العالم كله . الشاحنات المحملة بالخضر والفاكهة واللحوم تقطع الطرق من غرب اوروبا الى الخليج وفي امريكا من المحيط الى المحيط متفرعة الى كل مدينة وكل قرية . لانها يمكن مدها في السهول والصحاري ، وفوق الجبال ، وفي الانفاق .. فلم يعد هناك مكان معزول . ولم يعد هناك حاجز طبيعي يحول دون تدفق الحياة وتثبيت جذورها في اي ارض . وكان لهذا ايضا الكثير من الاثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ..

خلقت الحياة في اشد المناطق برودة .. بالتدفئة ، واشد المناطق حرارة بالتبريد ..
السيارة خلقت المدن الكبرى .. وخلقت الضواحي .. وفتحت أراضي جديدة للسكن والاقامة .. وللزراعة والانتاج .. وضاعفت حجم التجارة والتبادل حتى في داخل القطر الواحد ومئات ملايين الافدنة في العالم ما كان يمكن زراعتها الا بطرق تشق اليها ، وسيارات تجري عليها ، وجرارات وموتورات تزرع وتحصد وتروي ..

وكل هذا في النهاية بمادة اساسية تجرى في هذه الشرايين والاوردة ، هي البترول ..

وعندما نتأمل « ثورة الطرق » التى نتجت عن استخدام السيارة وتزايد الاعتماد عليها ، نجد انها من اهم الاشياء التي غيرت معالم الحياة ، واوجدت اشكالا جديدة للحياة . لم تعد الطرق هي تلك المسالك الضيقة غير الممهدة . وفي التاريخ نجد ان « يوليوس قيصر » كان اول من انتبه الى شق الطرق ـ بمنطق ذلك الوقت ـ ولكن لاسباب حربية ، حتى يسهل مرور عجلاته الحربية الى حيث تتجه اهدافه في الغزو . ولكي تكون ابعد مناطق الامبراطورية في متناول يده ، يقمع اى تمرد بعد في اسرع وقت . وتنبه لها هتلر ، في المانيا التي تنافس امريكا في سرعة انتاج السيارات بكثرة وبأرخص التكاليف . فأوجد الـ « اوتوبان » او الاوتوستراد « او » الهاى واى « حسب اللغة وهي الطرق الكبرى ، التى تتجاوز زحام المدن ، وتمهد بادوات ومواد صلبة قوية ، وتسمح للسيارات بالاندفاع فوقها بأقصى سرعة

وتنبهت لها امريكا ، ليس لأسباب حربية فقط ولكن لاسباب تتصل بتطور الحياة وتوسيع الرخاء كما ذكرنا من قبل . وهذه الطرق الكبرى أوجدت بدورها أشياء جديدة أوجدت محطات البنزين . اوجدت « الموتيلات » او الفنادق الصغيرة ، والمطاعم السريعة واعيد بناء فروع للبنوك تسحب منها المال وانت في السيارة ومطاعم تأخذ منها ماتريد وانت في السيارة وحتى سينما السيارات وغيرها مما يسهل السفر بالسيارة في بلد يصل حجمه الى حجم قارة مستقلة

وقل ارتباط الفرد بالمكان

وبسهولة الحركة والانتقال ـ بسبب السيارة ـ قل ارتباط الفرد بالمكان فقبل ذلك ، كان الانسان يعيش مع اسرته منتميا الى بلدة او الى ولاية بعينها وتتوالى الاجيال من بعده في نفس المكان . ولكن السيارة جعلت الوطن بالمعنى المحلى ـ هو حيث يوجد الرزق ، وفرصة الحياة الاحسن . فالبيت الامريكى اكثر البيوت تنقلا . حتى أطلق البعض على الشعب الامريكى صفة انه « امة على عجل »

وشيء من هذا يتسرب بالتدريج الى سائر انحاء العالم ، تبعا لدرجة التقدم ونسبة عدد السيارات الى السكان ، وكمية الطرق المتوفرة

وقد يمكن الانعطاف الى حديث ادبي قصير

فكما ان « القطار في الأدب الروسي » صار موضوعا للبحث الادبي في فترة ما ، بسبب

طول المسافات الهائل ، وان الناس يعيشون في القطار احيانا اياما طويلة متوالية ، تسمح بتصور مئات من الصور الدرامية . كذلك فان قارىء الادب الامريكي لا يمكن الا ان يجد اثر « السيارة » في الفن الامريكي .

واضرب المثل بقصة واحدة هامة في الادب الامريكي . هامة لان مؤلفها هو « جان كيروان » اول اديب عبر مرحلة القلق في الروح الامريكية في الستينات وما بعدها ولانها اهم اعماله (وقد مات شابا من فترة قصيرة) والرواية اسمها « على الطريق on the road » . والاسم وحده يكفي للدلالة علي الموضوع وفي ايجاز شديد ، فان بطل القصة صعلوك شاب حائر ضائع مضيع لمن حوله ولكن روحه كأنها ليست في صدره بل في موتور السيارة التي يملكها احيانا ، ويستعيرها احيانا ، ويسرقها احيانا اخرى . انه يطوف بامريكا من المحيط الى المحيط على متن سيارة وليس موضوعنا هنا هو القصة ، فقط أشير هنا الى شعور القارىء بان السيارة هي البطل الاخر في القصة . هي المرض والشفاء هي المشكله وهي الحل

واذكر انني عندما فرغت من قراءة تلك الرواية ، قفزت الى ذهني مقارنة بين السيارة اليوم وبين الجواد بالنسبة لفارس الامس .

انها ـ كالجواد ـ اداة الحركة ولكنها اكثر من ذلك . انها علامة « الفروسية » وحافز « السرعة والانطلاق » . ورمز الجسارة . الى جانب انها رمز المكانة الاجتماعية ..

وليتأمل القارىء افلام « الكاوبوى » الامريكية ودور الجياد فيها ثم ليتأمل افلام المعاصرة الامريكية الحديثة ، فسوف يجد السيارة تلعب نفس الدور المطاردات المثيرة والسرعة الجنونية والسيارة المندفعة اداة للجريمة والسيارة الناعمة اداة للحب ،

نصف الافلام الامريكية نجد ان السيارة فيها تلعب دورا اساسيا بشكل او بآخر ..

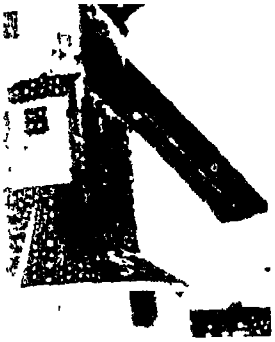
ولعلى استطردت

ولكنني اعود لاقول . انها جولة حرة وراء جانب من جوانب البترول وتأثيره في حياة العالم .

فبغير وجود البترول . وباسعار رخيصة (حتى الآن) لكانت الدنيا غير الدنيا التي نعرفها اليوم

ومثل هذا الجانب البسيط ، يوجد الف جانب أخر ●●

لندن ـ احمد بهاء الدين



ماذا أعددنا لمستقبل عصر الطاقة البديلة؟

بقلم : الدكتور سعود عياش

تحتل أزمة الطاقة وارتفاع أسعارها واحتمالات نضوب مصادرها التقليدية كالفحم والبترول والغاز اهتماما بالغا في عالم اليوم . كما أن المهتمين والمختصين بموضوع الطاقة يتحدثون بشكل دائم منبهين الى ضرورة التعامل بعقلانية مع المصادر التقليدية وضرورة التفكير والعمل على الاستفادة من المصادر البديلة كالطاقة الشمسية والطاقة الهوائية وطاقة المد والجزر والطاقة الحرارية في البحار والمحيطات ومصادر أخرى غيرها .

ومن جانب آخر يجري الحوار حول انتقال التكنولوجيا من الدول الصناعية الى دول العالم الثالث لمساعدة الأخيرة في تطوير اقتصادياتها ورفع المستوى المعيشي لسكانها . وقد عقدت للان اجتماعات عديدة على مستوى دولي لمناقشة هذه المسألة . ولا يخفى أنه مازال على دول العالم الثالث أن تقطع مسافات طويلة قبل اللحاق بالمستوى الحالي للدول الصناعية . ولا يخفى أيضا أن أي عملية تنمية اقتصادية أو تصنيع في أي دولة في العالم الثالث تتطلب استهلاكا متزايدا من الطاقة . غير أن مثل هذا الاستهلاك المتزايد للطاقة يتطلب توفير مصادر طاقة مضمونة وبأسعار معتدلة كي يتسنى لها النجاح . وفي ظل وضع الطاقة العالمي الحالي لاتبدو الصورة مشرقة أمام دول العالم الثالث .

ان الاستفادة من مصادر الطاقة البديلة يتطلب توفر تكنولوجيا ملائمة حسب المصدر المتوفر في هذه الدولة أو تلك . فاستغلال الطاقة الشمسية يتطلب توفر صناعة لمعدات وأجهزة تجميع هذه الطاقة وخزنها وتحويلها الى أشكال طاقة أخرى حسب الحاجة . كذلك فان استغلال الطاقة الهوائية يتطلب انشاء صناعات لتصنيع الأجهزة اللازمة لذلك . وعليه فان مصادر الطاقة البديلة كمصادر قائمة بذاتها لا يعني الكثير مالم يتم الاستفادة منها . ومثل هذه الاستفادة لن تتحقق بدرجة عالية من الكفاءة مالم تلجأ دول العالم الثالث الى دخول مجال تصنيع الأجهزة والمعدات اللازمة .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الطاقة الناتجة من مصادر الطاقة البديلة لن تتحول الى سلع تباع في السوق العالمية كما هو الحال مع مصادر الطاقة التقليدية من بترول وفحم وغاز . ان أقصى ما يمكن أن نتوقعه في المستقبل المنظور هو أن تقوم احدى الدول بتزويد احدى جاراتها بما يفيض عن حاجتها من الطاقة . لكن وحيث

أن هناك طلبا متزايدا على الطاقة فان هذا الأمر يبدو مستبعدا .

لذلك فمن الصعب تصور أن تصبح مصادر الطاقة البديلة مصادر للدخل القومي في دول العالم الثالث . على العكس من ذلك ، فالمتوقع أن تحتاج هذه الدول الى استثمارات كبيرة لشراء الأجهزة والمعدات المطلوبة ، وهذا ما يشكل عبئا ماليا على هذه الدول التي يعاني معظمها من مشاكل مالية .

من هنا نرى أنه يتوجب على دول العالم الثالث ـ والدول العربية من ضمنها ـ أن تلجأ الى التفكير الجدى بانشاء صناعات لانتاج الأجهزة والمعدات المطلوبة للاستفادة من مصادر الطاقة البديلة . ان البديل لهذا هو أن تستمر دول العالم الثالث في الاعتماد على التكنولوجيا المستوردة لفترات طويلة قادمة .

وغني عن القول أن طبيعة مصادر الطاقة تحدد طبيعة التكنولوجيا المطلوبة للاستفادة من المصادر اياها . فالتكنولوجيا المستعملة في استخراج الفحم الحجرى تختلف عن مثيلتها المستعملة في انتاج النفط والغاز . كما أن التكنولوجيا المطلوبة في المصدرين السابقين تختلف عن التكنولوجيا المطلوبة في المفاعلات النووية . وعلى ذلك ، فان طبيعة مصادر الطاقة البديلة ستحدد طبيعة التكنولوجيا المطلوبة .

خصائص الطاقة البديلة

تتمتع مصادر الطاقة البديلة بمجموعة من الخصائص المشتركة منها : ـ

١ ـ ان هذه المصادر ذات عمر طويل جدا ويمكن اعتبارها مصادر دائمة . فالطاقة الشمسية والطاقة الهوائية والطاقة الحرارية في البحار والمحيطات وطاقة أمواج البحر ، كلها مرتبطة بالشمس بشكل أو بآخر . فالطاقة الشمسية تأتي مباشرة مع أشعة الشمس ، وحركة الرياح تتأثر بحركة الشمس التي ينتج عنها صيف وشتاء وتغير في الظروف الجوية . أما الطاقة الحرارية في البحار والمحيطات فهي نتاج لما يخزن من طاقة شمسية تسقط على سطح البحار والمحيطات . وأمواج البحر نتاج لحركة الرياح بشكل أساسي والتى هي بدورها نتاج لحركة الشمس واشعاعاتها . وبالنتيجة فان الشمس مصدر أساسي لأشكال الطاقة البديلة المختلفة هذه . وحيث أن الشمس مصدر دائم في المنظور البعيد ، يمكننا القول أن مصادر الطاقة البديلة هذه هي مصادر دائمة

٢ ـ ان مصادر الطاقة البديلة رغم ديمومتها على المدى البعيد الا أنها لا تتوفر بشكل منتظم طوال الوقت وعلى مدار الساعة . فالطاقة الشمسية تعتمد على وصول أشعة الشمس الى سطح الأرض ولذلك فهي متوفرة أثناء شروق الشمس فقط . أما في الليالي وحين تتلبد السماء بالغيوم أو تثور العواصف الرملية والترابية فان الاستفادة من الطاقة الشمسية تكون معدومة . كذلك فان كمية الطاقة الشمسية المتوفرة أثناء اليوم الواحد تختلف من وقت الى آخر . فالاشعاع الشمسي يكون عاليا أثناء الظهيرة ويقترب من الصفر عند الشروق والغروب . ثم هناك تغير كمية الطاقة الشمسية الساقطة على الأرض خلال العام حيث تكون مرتفعة في الصيف وقليلة في الشتاء .

وينطبق ذات الأمر على الطاقة الهوائية . فحين الحديث عن الطاقة الهوائية فاننا نقصد الطاقة الناجمة عن سرعة الهواء . وتدلنا التحليلات النظرية على أن كمية الطاقة الهوائية تتناسب مع مكعب سرعة الهواء . وهذا يعنى ببساطة أنه اذا تضاعفت سرعة الهواء فان كمية الطاقة تتضاعف ثماني مرات . وأما اذا انخفضت الى النصف فان الطاقة تنخفض ثماني مرات . وكما نعلم فان سرعة الهواء ليست ثابتة بل تتغير باستمرار . ومن أجل الحصول على صورة معقولة عن سرعة الهواء المتوقعة فلا بد من اللجوء الى الدراسات الاحصائية . ومن المعلوم أيضا أن سرعة الرياح في الشتاء تكون أعلى منها في الصيف مما يعني توفر طاقة هوائية في فصل الشتاء أكبر منها في الصيف .

أما حركة أمواج البحر فهي مرتبطة بسرعة الرياح ويكون البحر مائجا في الشتاء أكثر منه في الصيف وبالنسبة للطاقة الحرارية في البحار والمحيطات فهي

متوفرة في الصيف أكثر منها في الشتاء بسبب أن فارق درجات الحرارة بين مياه السطح ومياه الأعماق تكون أكبر صيفا منها شتاء .

٣ ـ ان الطاقة المتوفرة في المصادر البديلة ليست شديدة التركيز . وبالتالي فان الاستفادة من هذه المصادر يتطلب أجهزة كثيرة وكبيرة الحجم . فالمعدل السنوى لسقوط الطاقة الشمسية على سطح أفقي مساحة متر مربع واحد لاتزيد عن ٥ ـ ٦ كيلو واط في اليوم الواحد في معظم المناطق . وفي معظم المناطق خاصة البعيدة عن خط الاستواء فان هذا المعدل أقل من ذلك . واذا أخذنا في الاعتبار ان كفاءة استخدام الطاقة الشمسية في التطبيقات المختلفة تتراوح في العادة بين ٢٠ ـ ٤٠٪ ، فان كمية الطاقة الممكن الحصول عليها من متر مربع واحد تتراوح بين ١ ـ ٢ كليوواط في اليوم .

وأما بالنسبة للطاقة الهوائية فان كمية الطاقة تعتمد على سرعة الهواء ومساحة الطاحونة الهوائية المستعملة . واذا ما أريد الحصول على كمية طاقة كبيرة فلا بد من زيادة عدد الطواحين الهوائية وتكبير أحجامها .

وفي مجال الطاقة الحرارية في البحار والمحيطات فان العامل المؤثر في هذا المصدر هو فارق درجات الحرارة بين مياه السطح ومياه الأعماق . وفي المناطق الملائمة للاستفادة من هذا المصدر يتراوح الفارق في العادة من ١٠ ـ ٢٠ درجة مئوية بين مياه السطح والمياه على عمق يتراوح بين ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ متر . أما كفاءة الأنظمة التي تعمل على فارق درجات الحرارة هذا فتتراوح ما بين ٢ ـ ٣٪ .

ان خصائص مصادر الطاقة البديلة اعلاه تفرض مجموعة متطلبات تتعلق بالتكنولوجيا المطلوبة للاستفاده من هذه المصادر .

خصائص تكنولوجية

ان أكثر مصادر الطاقة البديلة شيوعا واستعمالا هي الطاقة الشمسية وطاقة الهواء . أما بالنسبة لأشكال الطاقة الأخرى كطاقة أمواج البحار والطاقة الحرارية في البحار والمحيطات وطاقة المد والجزر فهي مازالت بشكل عام في طور التجارب والدراسات (باستثناء مشروع فرنسي يعمل على المد والجزر ومستغل تجاريا) . الطاقة الشمسية والطاقة الهوائية مصدران معروفان منذ القدم واستطاع الانسان استعمالها لتلبية بعض متطلباته من الطاقة . ويمكننا ادراج بعض الخصائص التكنولوجية لهذين المصدرين :

١ ـ ان انخفاض درجة تركيز الطاقة في المصادر البديلة يتطلب استعمال أعداد كبيرة من الأجهزة اللازمة للحصول على الطاقة اياها . فزيادة الاستفادة من الطاقة الشمسية لا يمكن ان يتم الا عبر زيادة مساحات السطوح المعرضة لأشعة الشمس . هناك بالتأكيد ضرورة العمل على زيادة كفاءة الحصول على الطاقة بواسطة المجمعات الشمسية غير أننا سنواجه ضرورة زيادة مساحات المجمعات الشمسية من أجل زيادة الاستفادة من هذا المصدر . واذا وضعنا في اعتبارنا أنه لا يمكننا الحصول حاليا على أكثر من ٢ كيلو واط بالمعدل لكل متر مربع من المجمعات الشمسية لأمكننا تصور المساحات الكبيرة المطلوبة من أجل أنتاج متطلباتنا من الطاقة .

هناك بعض التقديرات بأن تلبية احتياجات الكويت من الكهرباء بواسطة استعمال الطاقة الشمسية يتطلب مساحة من المجمعات الشمسية تقدر بحوالي ٣٪ من مساحة الكويت ان هذا يعني ببساطة اننا بحاجة الى ٥٠٠ كيلو متر مربع من المجمعات الشمسية . ومع ازدياد الطلب على الكهرباء تزداد الحاجة الى مساحات أكبر من المجمعات والأجهزة الأخرى .

أما بالنسبة للطاقة الهوائية فمن غير العملي زيادة حجم طاحونة الهواء خارج حدود معينة ، اذ لا يمكننا التفكير بعجلة طاحونة هواء ذات قطر يساوى مئات الأمتار لأن هذا الامر غير عملي . لذلك فان زيادة الاستفادة من الطاقة الهوائية يتطلب زيادة عدد طواحين الهواء والعمل على زيادة كفاءتها أيضا .

٢ ـ ان الطبيعة غير المنتظمة لتوفر الطاقة في

المصادر البديلة يقتضيء اللجوء الى عمليات التخزين . من جانب آخر فان الطلب على الطاقة ليس ثابتا طوال الوقت بل يتغير حسب الاستعمالات . ان تلبية الطلب المتغير على الطاقة يتطلب توفر مرونة عالية في التخزين .

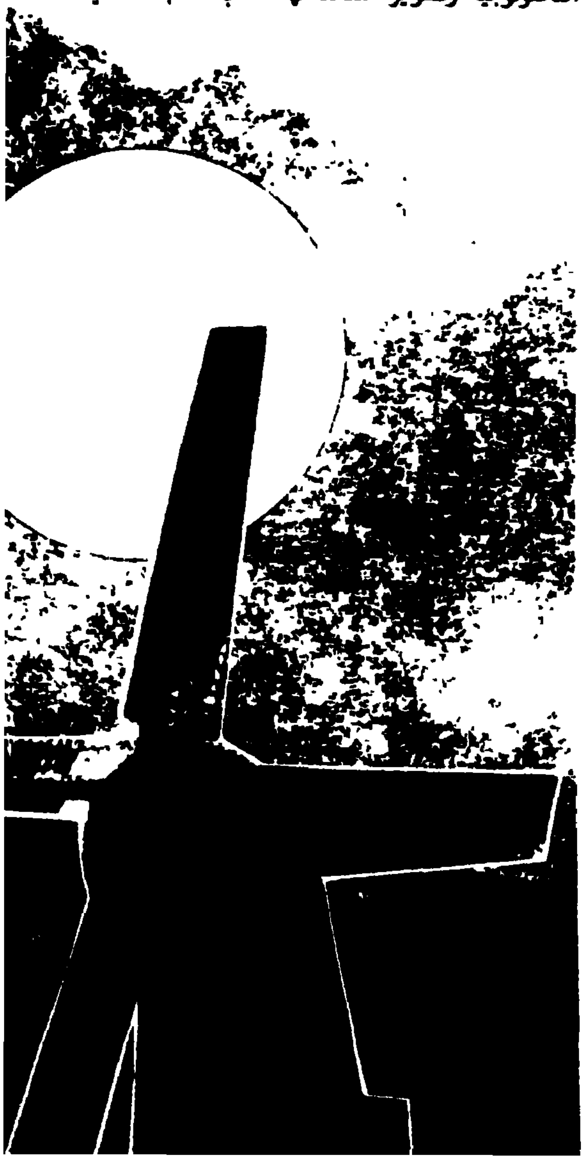
تختلف عمليات التخزين حسب الحاجة الى الطاقة ونوعها . فاذا كانت هناك حاجة الى مياه ساخنة توجب علينا تخزين المياه الساخنة . واذا كانت هناك حاجة الى انتاج الكهرباء توجب تخزين سوائل على درجات حرارة عالية وبكميات كبيرة كذلك هناك امكانية استعمال الطاقة الفائضة في أوقات الطلب القليل لتشغيل مضخات مياه ورفعها الى خزانات عالية ومن ثم استعمالها في تشغيل توربينات وانتاج الكهرباء . ثم هناك امكانية انتاج الهيدروجين وخزنه في خزانات تحت ضغط عال ومن ثم استعماله في التوربينات أو لتزويد المنازل لأغراض التدفئة وغيرها من الاحتياجات .

٣ ـ ان المستوى التكنولوجي المطلوب لانشاء صناعات أجهزة الطاقة البديلة الممكن الاستفادة منها حاليا ليس على درجة عالية من التعقيد ، بل ان في استطاعة معظم دول العالم الثالث المساهمة بنصيب كبير في انتاج متطلباتها من الأجهزة والمعدات . فالاستفادة من الطاقة الشمسية ـ خاصة في مجال التحويل الحراري ـ يتطلب انشاء صناعة مجمعات الطاقة الشمسية . ان مثل هذه الصناعة يمكن انشاؤها في اي بلد في العالم الثالث ضمن المستويات التكنولوجية السائدة في العالم . والى ذلك فإن الاستثمارات الأولية لمثل هذه الصناعة ليست عالية .

ان التقديرات الاقتصادية الحالية لمشاريع الطاقة الشمسية تدل على أن كلفة المجمعات الشمسية تعادل نصف تكلفة مجمل المعدات المطلوبة . وبذلك ، فان مبادرة دول العالم الثالث المختلفة الى مجال التصنيع هذا سيؤدي الى خلق العديد من فرص العمل والى اعتمادها على ذاتها بدل الاستمرار في الاعتماد على المستوردات الخارجية .

ولا يختلف الامر كثيرا حين الحديث عن الطاقة الهوائية فالاستفادة من هذا المصدر أمر معروف تاريخيا ويقال أن أول الطواحين الهوائية ظهرت في بلاد فارس قبل أكثر من ألفي عام . ان منظر الطواحين الهوائية ليس أمرا غريبا على الكثيرين منا بل مازالت هناك بعض الطواحين في دول عربية مختلفة . واذا كانت القدرات قد توفرت لمن سبقونا لصناعة الطواحين فلا يوجد ما يبرر عجزنا الحالي

من المحتمل ان لا تكون الأجهزة المصنوعة محليا في دول العالم الثالث على نفس درجة الكفاءة ومستوى النوعية كتلك المصنوعة في الدول الصناعية المتقدمة . لكن ، علينا ان لا نعيش في ظل هذا الهاجس الذي لن يزيدنا الا احباطا . فالصناعة لم تنشأ يوما متكاملة في أي بلد بل كانت عملية طويلة تم خلالها تراكم المعرفة التكنولوجية وتطوير استخدامها حسب الحاجة المحلية .



نقل المعرفة التكنولوجية

أن صناعات معدات وأجهزة الطاقة البديلة مازالت في مراحلها الأولى . ويمكن القول ان الاستفادة من مصادر الطاقة البديلة بشكل عام مازال في مراحله الأولى أو المراحل التجريبية . وينعكس هذا الأمر على تكنولوجيا الطاقة البديلة التي مازالت في بداية عهدها ولم تدخل بعد مراحل معقدة أو خارج القدرات التكنولوجية لمعظم دول العالم الثالث . ان هذه الدول تواجه مسألة ما اذا كانت ستستمر في الاعتماد على الخارج لشراء متطلباتها التكنولوجية أم أنها ستلجأ الى تطوير قدراتها التصنيعية الداخلية .

ان باستطاعة معظم دول العالم الثالث أن تدخل مجال تصنيع بعض معدات وأجهزة الطاقة البديلة وأن تزيد من الاعتماد على نفسها لتلبية احتياجاتها من الطاقة بدل استمرار الاعتماد على الآخرين .

ان تجارب التنمية في دول العالم الثالث في مرحلة بعد الحرب الثانية تدلنا على أن مقولات انتقال التكنولوجيا لم تسفر عن النتائج الايجابية المرجوة . فقد تحول انتقال التكنولوجيا الى تصدير بعض المعدات الصناعية الى دول العالم الثالث دون توفر المناخات التكنولوجية الملائمة للاستفادة من التكنولوجيا المستوردة . فالتكنولوجيا مثلها كأي أمر آخر لها أبعادها الاجتماعية وتتطلب توفير الكوادر البشرية العلمية القادرة على الاستفادة من التكنولوجيا والقادرة على التحكم بها وتطويعها بالشكل المطلوب .

وخلاصة القول فان باستطاعة دول العالم الثالث أن تنقل المعرفة التكنولوجية ما ارادت ذلك . فالعلم والمعرفة ليسا حكرا أو امتيازا لأي مجتمع كان بل لابد لهما من اجتياز كافة العوائق والحواجز للانتقال الى كل مكان . غير أن ما يمكن أن يصبح حكرا وامتيازا لمجتمع من المجتمعات هو أن يقوم بوضع هذا العلم وهذه المعرفة موضع التطبيق العملي بينما يبقى الآخرون جالسين في انتظار أن يأتيهم رزق من الغيب .

فالحقيقة الواضحة أن عصر الطاقة البديلة آت لامحالة . وستحتاج الاستفادة من المصادر البديلة الى الكثير من الأجهزة والمعدات . وللآن مازال المجال مفتوحا أمام الجميع للمساهمة في انتاج حاجياتهم للاستفادة مما توفرة الطبيعة لهم من مصادر . ولسنا في شك من أن أبسط بديهيات الوجود البشري هي قدرة البشر على الاستفادة مما توفره لهم الطبيعة من مصادر ومعطيات طبيعية . ان موضوع الطاقة البديلة يطرح هذا التحدي ولا بد لنا من الاستجابة . ■■

د . سعود عياش
معهد الكويت للأبحاث العلمية

ليست أمي . !

● كنت اعبر كندا بالسكه الحديديه منذ عهد قريب ، وكان في الحجره المجاورة لحجرتي سيدة عجوز بدنه مزينة بالجواهر حاده الطباع . فلم نكن شيء يعجبها ، وكانت تقرع الجرس بلا انقطاع لتستدعي الفراش . وفي نهاية اليوم الثالث ربيب لحال الفراش ، فاقترحت عليه ان ندعها في فراسها ويوصد الباب عليها حتى يصل القطار الى فانكوفر . فقال : « مهلا يا سيدتي . انها أم رجل من الناس ، وقد بلغ من فرحي بأنها ليست أمي ، أنه صار يسرني ان أبذل لها كل ما تريد » .

عندما وقفت مصر تدافع عن الأقصى

في مصر حفلت الثلاثينات باشراقات عربية ساطعة ، واما التحديات التي جابهت العروبة فلم تكن صارحة ، بل كان لها فضل اندفاعة عربية ظافرة بددتها وكادت تعفي على آثارها

ففي الثلاثينات دافعت مصر عن الاقصى ، وفيها يممت بلاد الشام شخصيات مصرية أثرت وتأثرت ، وفيها عقد أول مؤتمر برلماني عربي ، وأول مؤتمر نسائي عربي . وفيها انشئت جمعيات وحدوية ، ودار حوار واحتدم نقاش حول عروبه مصر ، تناول النواحي الثقافية والتاريخية والسياسية ، وكان للفكرة العربية النصر

وبعد ، فقد نشبت في اب (اغسطس) سنة ١٩٢٩ ثورة فلسطينية عنيفة اوقدت شرارتها حادثة اعتداء يهودي على البراق ، حتى سميت « ثورة البراق » خلاصة امرها ان حائط المبكى هو الحائط الغربي للحرم الشريف وفي الحرم قبة الصخرة التي جرت التقاليد الاسلامية على انها المكان الذي عرج منه النبي (ﷺ) ليلة الاسراء الى السماء ، وهناك داخل ذلك الحائط من جهة ساحة الحرم ، غرفة يعتقد انها المكان الذي ربط فيه البراق (فرس النبي) ليلة الاسراء فأصبح الحائط يعرف لدى المسلمين بالبراق وحائط المبكى يشكل كذلك جزءا من الحائط الخارجي لهيكل اليهود القديم ، وقد اعتاد اليهود زيارته واقامة الصلاة

فيه ـ وحدث ان جلب اليهود ادوات جديدة للمبكى واقاموا ستارا يفصل بين الرجال والنساء . ونفخوا في الصور ، مما جعل المسلمين يعتقدون ان الغاية الاخيرة لليهود هي استملاك المسجد الاقصى تدريجيا ، زاعمين انه الهيكل مبتدئين بالجدار وفي احدى مظاهراتهم رفعوا العلم اليهودي على الحائط وانشدوا نشيد الها تكفا ... مما اثار العرب . وامتدت الثورة من القدس الى الخليل وبيسان وحيفا وصفد ويافا وكان مما اوصت به لجنة التحقيق في اسباب الثورة الاسراع في تعيين لجنة دولية من قبل عصبة الامم للفصل في الحقوق والمطالب المتعلقة بذلك المكان المقدس . فتألفت لجنة من سويدي وسويسري وهولندى وباشرت عملها في اواخر آيار (مايو) ١٩٣٠ .

وهبت مصر العربية المسلمة الى الدفاع عن المسجد الاقصى بايفاد بعض اقطابها للشهادة والمرافعة امام اللجنة الدولية وقد تألف الوفد من المحامي الكبير الوزير محمد علي علوبة باشا والمؤرخ العلامة احمد زكي باشا الملقب بشيخ العروبة والشيخ محمد الغنيمي التفتازاني شيخ الطرق الصوفية وهو شيخ مثقف واسع الاطلاع ، طلق البيان ، حاضر البديهة ، وصحبهم عميد الجالية الايرانية الوجيه المتمصر ميرزا مهدى رفيع مشكى .

واتفق الرأي على ان تعقد اللجنة جلستها على صورة محكمة وقد حشد اليهود ثلاثة من كبار محاميهم وفقهائهم للمرافعة في نهاية استماع الشهادات ومناقشاتها ، وانتدب العرب للمحاماة عن قضيتهم احمد زكي باشا ومحمد علي علوبة باشا والاستاذ عوني عبد الهادي ....

واقام نادي الشبيبة التلحمية في بيت لحم (وهو ناد يمثل النصرانية العربية الاصيلة) حفلا تكريميا كبيرا للوفود العربية والاسلامية التي اعتمرت بيت المقدس دفاعا عن القدس . وانتدبت تلك الوفود المحامي المصري المدرّه محمد علي علوبة باشا للكلام باسمها ، وأراني حريصا على ان انقل من خطابه العبارات التالية يرسلها قلب مصري كبير تتسق مع موضوعنا . « نعم ايها السادة ان قضيتنا واحدة وان وطننا واحد وكرامتنا واحدة وآمالنا واحدة ... لقد حضرت وزملائي للدفاع عن



الجالس في الوسط سماحة الحاج امين الحسيني وعلى يمينه محمد علي علوبه باشا . فمراحم الناحه حي رئيس وزراء العراق فصلاح الدين بيهم (بيروت) فوجيه اعضائي . وعلى يسار الحاج امين احمد زكي باشا ، فالغنيمي التفتازاني ، فاحمد حلمي باشا ، فامين بك التميمي

الوقوف على يمين القارىء السادة اسحق درويش ، عبد القهار مذكر (اندونيسيا) عزه دروزه ، صبحي الخضراء ، الشيخ عبد القادر المظفر ، جمال الحسيني ، الشيخ يعقوب البخاري ، فخر الدين الحسيني ، ابو بكر الاشعري (اندونيسيا) ، زكي التميمي ، عبد الرؤوف المصري

حقوق هذا البيت المقدس ... وهذا واجب علينا بل من اول واجباتنا ، لانكم لستم المالكين لهذا البيت المقدس ، وانما نحن مالكوه ، وانتم وكلاؤنا عليه ، نعم اتينا لنرى ما حل باماكننا ولنرى ماذا عمل وكلاؤنا . ان هذا البيت هو ملك للمسلمين كافة ، وانه بيت الله الذي شرفتم بان تكونوا حراسا له وقواما عليه وانما جئنا الى هنا لنرى قوتكم في القيام على حراسته وصيانته ، واعلموا ايها السادة ان خصومكم مهما كانت قوتهم ومهما كان جاههم ومهما بلغت اموالهم ومساعيهم ، لأعجز من ان ينالوا من حقوقنا في مقدساتنا واوطاننا ، فان القوة ما كانت في يوم من الايام حقا وانما الحق هو القوة » .

وشرعت اللجنة في سماع الشهادات فلفتت شهادة الاستاذ التفتازاني الانظار وبهرت الابصار ، فقد برهن على ان الحائط جزء من المسجد الاقصى ، وانه يجب على كل مسلم ذي شأن في حكومة البلاد ان يمنع اليهود من ان يقيموا كنيسا في مكان لا شأن لهم به ، « والذي يقرب اليهود من المسجد الاقصى انما يضع الهشيم بجانب الكبريت . وقد حاولت كمجتهد في التاريخ ان أصل الى ذلك الجاني الذي سمح لهم بالتقرب من الحائط لانه لا يجد من الشرع ولا من التقاليد ولا من الاسباب ما يؤيد وجهة نظره ، وقد كانت جريمة زادتنا اسفا اذ لم نصل الى معرفة ذلك الجاني حاكما او غير حاكم !

حوار مثير

وهنا وقف كبير محامي اليهود الدكتور علياش يناقش التفتازاني :

ـ قلتم انكم تشتغلون بالتاريخ ، فالى متى وجدتم . ترجع عادة هذه الصلاة من قبل اليهود ؟

جـ لا . لا . لم اقل كلمة « الصلاة » بل قلت التقرب من الحائط ... اى ان يقتربوا من الحائط ، وهذا الذي ذكرتموه لم يذكره احد من العرب ولكنني عندما اتيت القدس عام ١٩١٣ وزرت البراق رأيت يهوديين او ثلاثة واقفين هناك .. فسألت شيخا مسلما كان معي ماذا يصنع هؤلاء اليهود هنا ؟ فاجاب ببيتين من الشعر هما :

أمر علي الديار ، ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا



ومـا حـب الـديار شغفـن قلبي
ولـكن حب مـن سكن الديارا

ففهمت ما عناه الشيخ وسكت : « وقد ترجم البيتان للجنـة فبـدت على اعضائهـا الدهشـة وانبسطـت اساريرهم ...

ـ ولكن ماذا فهمت من ذلك الجواب ؟

جـ : فهمت ان اليهود يبكون على شيء فقدوه ... انهم ظاهرا يقبلون الحائط الذي هو خارج الهيكل ولكنهم يقبلونه اكراما لما في داخله .

ـ وماذا يوجد في الداخل ؟

جـ : انت اعلم .. الصخرة ... الصخرة !

ـ اظنكم توافقون حسب بعض الروايات على وجود مكان داخل الحرم يسمى « قبة جبرائيل » ؟

جـ : لم اسمـع بهـذا قط ، لان جبرائيل مقيم في السماء ... لا في قبة !

ـ هل تعلمون ان باب البراق يسمى باب الجنائز ؟

جـ : لم اكن مهندسا للحرم حتى اعرف تفـاصيل ذلك !

ـ هل يمكنكم ان تشيروا الى علامة ثقة يقول : ان البراق هو المكان الذي يمر منه اليهود ؟

جـ : لم يكن هناك يهود في ذلك الوقت ولم يخطر ببالنا انهم سيدعون يوما بذلك حتى نعين لهم المحل !

ـ اذن كيف تعرفون محل البراق حينما حددتموه ؟

جـ : هذا سمعناه بالتواتر من آبائنـا واجدادنـا كما نسمع حديث النبي (ﷺ) وهذه الطريقة عندنا اصح من الكتب ، لانها اسناد موثوق به . وماكنا نظـن ان اليهود سيفترون علينا حتى نشغل انفسنا بتبيين المحل ، لاننا نعلم ان نبينا عليه الصلاة والسلام حـين رحلتـه للسماء ركب البراق من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى كله دون تعيين في الاجزاء .

ـ عندنـا مثـل عبرانـي يقـول : اذا كان اسلافنـا ملائكة فنكون نحن رجالا ، وان كانوا رجـالا فنـكون نحن حميرا ... والمعنى ان القدماء كانوا انقى منا .

جـ : لكم ان تصفوا انفسكم بما تشاءون ، واذا اردت ان تعلم عن القدماء فارجع الى ما عمله المسلمـون مع اسلافك .. لم يسبق لليهود ان ادعوا في البراق حقا ...

ـ أتعترضون على يهود طاعنين في السن يذهبون الى البراق فيبتهلون ويجلسون ؟

جـ : نعم . نعـم . وانصحهـم الا يفعلـوا فيكفـوا انفسهم مؤونة التعب .. في حين انه لا مجبر يجبرهم على الذهاب فالله في كل مكان .

ـ اذن تعترضون على ذهاب اليهود حتى للابتهال ؟

جـ : بلا شك وان من سمـح لهـم منـا بذلك كان مجرما .. نعم من منحكم ذلك كان مجرما

رئيس اللجنة للاستاذ التفتازاني : هل تعتقدون ان السماح لليهود بالبكاء كان جناية ؟

جـ اذا كان اليهود يستندون في تقربهم الى الحائط الى امر حاكم فان ذلك الحاكم الذي اصدر الامر يعد مجرما تجاه التاريخ وتجاه المسلمين ولكن كان السلام يسود الناس جميعا .. ولو شعر المسلمون يومئـذ بخطـر اليهود ومطامعهم لمنعوهم .

علياش : اذا كان الامر كذلك فاقترابنا من الحائط لم يكن ممنوعا .

جـ : ليس كذلك ، انهم كانوا يبكون فقط لا غير .. ثم صاروا يدعون حق الزيارة ... ثم صاروا يحضرون التوراة والمقاعد والمناضد كأنهم في كنيس ... مثلهم مثل الذي يتمسكن ليتمكن .. اي ليبنوا كنيسا في المسجد الاقصى .

عندما تكلم شيخ العروبة

وفي ١٧ تموز (يوليو) انتهت الشهادات وجاء دور المرافعات ولما اتم محامو اليهود مرافعاتهم ، افتتح الـدفاع شيخ العروبة احمد زكي باشا بخطاب تاريخي رائع القاه

بلغة فرنسية راقية ، واستغرق ساعتين ونصف ساعة ، عرف فيه معنى الحالة الراهنة statu quo (الستاتيكو) وفند مزاعم اليهود التاريخية من الدهر الاقدم حتى يومنا هذا ، وشرح مطامعهم في استرداد جدار البراق تمهيدا لاعادة بناء الهيكل على انقاض الاقصى ، وأسهب في الحديث عن التسامح الاسلامي وكيف سمح لهم بتشييد معابدهم مع ان ذلك كان محرما عليهم ايام الرومان والوثنيين والروم النصارى . وضرب الامثال على اهمية الستاتيكو في تاريخ النصرانية في فلسطين .. وكيف ان مبدأ ابقاء القديم على قدمه قد ادى تلافيا للفتنة الى جعل امانة مفتاح كنيسة القيامة وسدانتها بين العائلتين الاسلاميتين المقدستين اللتين كانت في عهدتهم من قديم الزمان منذ السلطان سليمان القانوني وهما : ال جودة الحسيني وال نسيبة الخزرجي . واسترسل في مرافعته مظهرا حق المسلمين الخالد في ملكية المسجد الاقصى وجداره .

هذا ومما يستحق التنويه به ما ابداه احمد زكي باشا في مطلع دفاعه وما ايده فيه وكرره محمد على علوبة وعوني عبد الهادى من تحفظات اكد فيها ان الشعب العربي الفلسطيني قد اعلن رسميا وفى كل الظروف عدم اعترافه بالانتداب البريطاني على فلسطين . وأنه بناء على ذلك لا يرتبط ولا يتقيد باى نظام مستمد من هذا الانتداب ولا الاقرار باى نتيجة ترجع الى ما يسمى بالوطن القومي اليهودى . وان وقوفه امام اللجنة وادلاءه بالبيانات يجب الا يدل في حال علي انه يتزحزح عن هذا الاتجاه الذى اتخذه الشعب الفلسطيني ممارسا وحده حقه فى تقرير مصيره كما ان المسلمين يعلنون ان كل ما يتعلق بالمقدسات الاسلامية انما تعالج من اولي الامر المسلمين الذين تنص عليهم الشريعة الاسلامية والا سلطان او حق في ولاية الحكم لاحد عليها

وفي اليوم التالي ١٨ يوليو (تموز) استمعت اللجنة الي مرافعة القانوني المصرى الشهير محمد علي علوبة باشا فأكد عدم الاعتراف بالانتداب او التقيد باى نظام مستمد منه ، وقال : ان احمد زكي باشا تناول موضوع لنزاع من الوجهة التاريخية ، وسأقصر كلمتي على لناحيتين السياسية والقانونية . وراح يبرهن على ان مخاوف العرب حقائق ملموسة ان لم تظهر اليوم نتائجها فانها لا محالة ظاهرة في المستقبل القريب او البعيد ، وشرح مطامع الصهيونية وما ترمي اليه من الاستيلاء على المسجد الاقصى . واستشهد باسانيد جمة وبأقوال زعمائها ثم قال : « ان اليهود مهما كثر عددهم في فلسطين فسيكونون دائما أقلية ضئيلة امام العرب الضاربين حولهم في جميع الاقطار العربية ... وان عمل اليهود لو تم فانه سيكون نكبة لا على فلسطين وحدها ، بل على الأمم العربية والمسلمين من مراكش الى بلاد الملايو ومن زنجبار الى روسيا ..

ثم استمعت اللجنة الى مرافعة المحامي المدرّه عوني عبد الهادى الذى تولي تفنيد شهادات اليهود بحجة بالغة .

وتجول احمد زكي في فلسطين ، وحاضر في مدنها وكتب في صحفها وكان داعية عروبة ، اما محمد علي علوبة باشا فقد زار لبنان ودمشق وكانت رحلته تلك بركة على الفكرة العربية ، وقد احاطه دفاعه المجيد عن البراق بهالة من التقدير ، ومما اذكر قوله في حفلة تكريم اقامها له الاستاذ عجاج نويهض في رأس المتن بلبنان حضرها كرام المواطنين واقطاب من الكتلة الوطنية السورية · « ان قوميتنا التي ورثناها مع الثقافة ومع اللغة ومع غيرهما من مقوماتها انما هي القومية العربية فنحن على اختلاف الاقاليم والاقطار ننطوى تحت لوائها العظيم انها حقيقة غابت عن البعض منا وانكشفت للبعض الاوفر عددا ، وهي ما تزال تنكشف للذين غابت عنهم ، ولقد تأخرنا في فهمها وفي قدر خطرها وجلال شأنها ، اذ فيها قوتنا واعتزازنا » .

واعتمر علوبه باشا ، محامي البراق ، دمشق فأقيم له حفل كبير حضره رئيس الجمهورية وألقى فى الحفل خطابا ، ما اسرع ما تقلته صحف سورية ولبنان وفلسطين والعراق . وبدا فيه فارس العروبة الشجاع وقد كانت له بعد ذلك جولات قومية في المؤتمر الاسلامي بالقدس وفي وفد السلام الى الاممين عبد العزيز ويحيى حميد الدين ، والوفد الي الهند في سبيل إنشاء جامعة في القدس وفي مؤتمر بلودان وفي المؤتمر البرلماني ، وفي الوفد البرلماني الى لندن وفي الاتحاد العربي .....

احتفال بالفكرة العربية

ان علوبة باشا في خطابه الاروع بدمشق نذر نفسه لخدمة الفكرة العربية . ذلك انه بدأ خطابه التاريخي سائلا نفسه : « هل أستحق هذا الاكرام وهذه الحفاوة الكبرى ؟ ثم اجاب : بعد البحث اقتنعت بأنكم على حق في الاحتفال والتكريم ، لان هذا الاحتفال موجه الى الفكرة التي ألهمنيها ربي والتي سأدافع عنها ما دمت حيا . انها فكرة الرابطة بين الامم العربية اخوية وفكرية واجتماعية واقتصادية . وان شئتم أريد ثقافة عربية عامة متحدة .. وكيف يمكن ان تكون فكرة فيها حياة الامم العربية ونجاحها ، ولا يحتفل الشاميون بها وهم ابناء تلك الدولة الاموية الكبرى وهم حراس اسم الدولة العربية ... واذا كان لي ان اعتمد على احد في تنفيذ فكرة اعتقد انها جليلة ، فانما اعتمادى الاول عليكم وعلى بلدكم وعلى امتكم وانتم ابناء هذه الفكرة وأباؤها « ومما قاله في خطابه مما يتصل بموضوع المقال : » وانه ليحزنني أيها السادة ان أرى وان اسمع بعد ان ذهبت الى فلسطين ودافعت عن قضيتها وعلمت ان الامم العربية امة واحدة يربطها رباط واحد ، نعم يحزنني ان افكر انه يوجد في بلادى فريق مهما كان وكان شأنه يبث فكرة الفرعونية ـ انا لا ادرى ما الحافز الذى حدا ذلك النفر الضئيل في مصر الى أن يصرخ بقوله : حذاريا مصر ان تكوني واسطة عقد الامم العربية واختها الكبرى لانك لست منها بل انت فرعونية . ان الفرعونية ليست جنسا من اجناس البشر ولكنها عصر من عصور الحكم ولا يمكن ان يقال ان هذه الفرعونية جنس ، فلا يقال : ان هذا فرعوني .... كما يقال ان هذا سامي وهذا آرى وهذا حامي ، ولكنها الاغراض المجهولة ارادت ان تخلق من الفرعونية جنسا لا وجود له . واسترسل : على انني لو فرضت أن هنالك جنسا فرعونيا لحما ودما وعظما فان فوق هذا الجنس جنسا أخر ورابطة اخرى هي ان هذه الامم العربية تجمعها لغة واحدة وتقاليد واحدة وعادات واحدة وآلام واحدة وأمال واحدة « ثم قال : » لم يكن الانسان انسانا الا باللغة والتفكير لا باللحم والدم والعظم فاللحم والدم والعظم يشترك فيها الانسان مع غيره من الحيوانات التي يرتفع عن مستواها ولا يرضى عاقل ان ينحط الى دركها ويشعر بشعورها . ان الانسان ياسادتي خلق من تلك النفخة القدسية التي هي الفكرة والآمال والآلام والكرامة ، ومع هذا فاني أبشركم ... فلا تتطيروا ولا تحزنوا ، فما مصر إلا عربية ، ولا تقوم الا على انها عربية ولا يرضى المصريون بغير العربية » وفند علوبة باشا من يقول ان مصر مصرية فقط ، وبرهن على ان المصرى الذى ينادى بالفرعونية انما يسيء الى نفسه وقضية بلاده وتساءل عن علاقة مصر بالسودان ، اذا كانت هي فرعونية والسودان ليس فرعونيا لحما ودما وعظما وانما هو عربي صحيح الانساب والاصول وقال . ان من يتمسك بهذه البدعة يطعن مصر طعنة نجلاء ، والاولى للمصرى ان يترك العناية بالاموات ويعتنى بالاحياء ، حتى ننقذهم مما هم فيه ، لا ان نلحقهم بالاموات » واسهب في القول عن رابطة الثقافة وعن الميراث الاسلامي الجليل وقواعد الدين الحنيف وركز على الاهتمام باللغة العربية وهي اغزر لغات الارض مادة وافصحها لهجة ، وضرورة اتساعها لجميع مسميات العلوم ، ودعا الى ايجاد معجم عربي عام تجمع فيه الاسماء العربية القديمة والمستحدثة معا واقترح عقد مؤتمر عربي لهذه الغاية ، « فلغتكم ، هي استقلالكم ، هي أمالكم ، هي عحمكمج هي عملكم »

وحين عاد الى مصر خطب في مستقبليه ان هذه الامة العربية تمتد من جبل طارق الى بلاد الفرس . . وان هذه الامة ثابتة مهما بلغ انقسامها المصطنع .... انه انقسام لا يمكن ان يكون ابديا والواحد منا معشر المصريين يحس انه ليس فردا من امة لا يبلغ مجموعها الاثلاثة عشر مليونا ، بل فرد من امة مجموعها ٨٠ مليونا ...

في عاصمة الوطنيين

وجاءت بعد ذلك زيارة مكرم عبيد للبنان وسورية وفلسطين صيف ١٩٣١ مهرجانا لعروبة مصر في بلاد الشام ، ولقب مكرم ، ابن سعد احاطه بهالة من المجد ... وقد اشرت في مقال سابق الى خطبته في مصيف رياض الصلح بعاليه ، ثم اعتمر دمشق فاحتفلت به كتلتها الوطنية اى احتفال . وكانت خطب الوطنيين وخطبته

ملاحم بطولات ولا عجب اذا انهى خطبته : « قد تكون دمشق عاصمة الامويين وعاصمة السوريين كلا ، بل انها بنظرى عاصمة الوطنيين ، فيا ايها السوريون ، اشكركم كل الشكر لانكم اردتم ان تكرموا مصر الكبرى في شخصي الصغير ، فوصيتي ان نعمل كلنا للحرية فهي ليست متعة ينعم بها المترفون ، بل هي نعمة يسعى اليها المجاهدون ، فاذا سرنا كنا من الظافرين واذا عملنا فان الله ولي العاملين » .

وأبرق موسى كاظم باشا الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية لفلسطين الى دمشق يدعو ابن سعد الى بيت المقدس كما ابرق الاستاذ اسعاف النشاشيبى يرجوه ان يكون ضيفه فاجاب بالشكر والتلبية .

وتناولت القلم لاكتب مقالا افتتاحيا لجريدة الحياة المقدسية التي كنت اشارف تحريرها عنوانه « مكرم عبيد في فلسطين » وكنت قد آلمني وكثيرا من شباب العرب ان يتقرر بناء ضريح سعد على الطراز الفرعوني ، وكنا نعلم ان الفكرة فكرة المهندس الوزير الوفدى عثمان محرم الذى بنى بيته في شارع الهرم على هذا الطراز لانه في الطريق الى الاهرام ، وأثار مقال في البلاغ المصرية فينا نفرة وفيه ان « الطراز الفرعوني معناه نحن ابناء الفراعنة مطلوب منا ان نحيى فنهم قبل اى شىء آخر » . وفي مقالي رحبت بمكرم ، أحر ترحيب «فلسطين اذ تحييه ، انما تحيى مصر العربية ، لا الفرعونية ، مصر الناهضة المجاهدة ، الزعيمة في شخص فتاها العربي .. » وتحدثت عن اهتمام الشعب الفلسطيني بقضية مصر وانه يعرف قادتها وجهادهم اكثر مما يعرفه الكثيرون في مصر .

وقلت معاتبا : « اسيئت الامة العربية اساءتين : اولها بناء ضريح الزعيم العظيم سعد زغلول على طراز فرعوني ، وسعد زعيم عربي كما هو زعيم مصرى ، ويعتبره جميع العرب المثل العالي في الوطنية . ونخشى ان يكون بناء الضريح على طراز فرعوني دعوة العرب الى ان ينفضوا من حول مصر ولا سيا ان الوزارة التي وضعت تصميم البناء وزارة وفدية يصح لها ان تدعي تمثيل الشعب المصرى ، والاساءة الثانية هي محاولة وزارة الطغيان في مصر ، وزارة اسماعيل صدقي ان تخرج امير المجاهدين وقرة عين المخلصين الأمير عادل ارسلان من مصر ، واذا كانت الاساءة الثانية صادرة عن وزارة خارجة على الشعب ولا يد لمصر في اجتراحها ، فماذا نقول في الأولى وهي صادرة عن وزارة شعبية ... هذه كلمة عتاب نرجو ان تحمل على محمل الاخلاص لفكرة الارتباط العربي بمصر » .

مسلمون في الوطن ومسيحيون في الدين

ومنذ اجتاز مكرم حدود سورية الى فلسطين حتى وصوله الى القدس وهو يستقبل بحفاوة ، وكان الترحيب في عكا بالغا ، وفي خطابه فيها ارسل قولة ، اصبحت دستورا لكل مسيحي عربي عامل في الحقل القومي : ان الوحدة العربية تدفع اذى المستعمرين واطماعهم الا اننا مسلمون في الوطن وان كنا مسيحيين في الملة والدين » .

وفي ١٠ ايلول (سبتمبر) أقام رئيس اللجنة التنفيذية العربية حفلة تكريم كبيرة في فندق بالاس ، خطب فيه عوني عبد الهادى باسم رئيس اللجنة موسى كاظم الحسيني الذى حال مرضه دون الحضور ، فحيا ابن سعد ، سعد زغلول حامل لواء الحرية والاستقلال وتحدث عن خليفته مصطفى النحاس وعن ولده مكرم ، وعن المفاوضات المصرية الانكليزية ، وطالب باهتمام مصر بقضايا سورية وفلسطين والبلاد العربية واهتمام مصر بالقضية العربية يساعد القضية المصرية ويدنيها من استقلالها .

اما اسعاف النشاشيبى فمما علق بالذاكرة من خطابه : « ماذا اقول عن مصر قبل عمرو وبعد عمرو مصر التي استبدت بالمنقبتين ، فكانت مصدر العلم والمدنية وموئل العرب والعربية ... اما سعد فكلمتان فقط ، كلمة لي وكلمة لعدوى : كان يناقشني رجل بالبعث ، فقال : لا نشور هناك فقلت له : البعث حق والله قادر ، وهذا سعد قد بعث امة ، والله اكبر . الله اكبر . قالت جريدة التايمس الانكليزية : لم يظهر في مصر منذ الفين وخمسمئة سنة عظيم مثل سعد .» اما عيسى البندك فقال : « ان الكلمة التي كانت تخرج من سعد تصبح في الاقطار العربية دستورا وعهدا قوميا »

ثم القى مكرم خطابا رائعا مرصعا مسجعا حيا فيه مدينة الوحي والالهام وقال : « لقد اغدقت فلسطين على مصر الثناء كريما ، والشعور صميما ، فليس لمصر إلا ان تبادلكم التحية بالتحية والمحبة بالمحبة ، والفضل اولا منكم ، وهذه بضاعتكم نردها اليكم » ومما قاله . « ان كلا منا سعد اذا اراد ان يكون سعدا كما ان كلا منا عبد اذا رضي ان يكون عبدا » وكان بيت القصيد قوله « رابطة العربية تلك هي الرابطة الجديدة القديمة ، رابطة العربية .. انها رابطة كان لابد من ايجادها ، اذا لم تك قد وجدت من تلقاء نفسها ، لقد تكاتف المستعمرون ، فلا اقل من أن نجابههم بهذه الوطنية الكبيرة ، التي هي وطنية عربية ، ثقوا اننا كلما رأينا من الشر نذيرا فان الله سبحانه سيجعل منه للخير بشيرا فالنور من الظلام يسطع وكلما توالى الظلم فالظلم للظلم يدفع . »

وعاد مكرم يبشر بالعربية ، وسنرى في الاتي مواقف له مجلجلة بالانتصار لها ، وقد قال فور عودته في حديث له . « ان غرض الذين يريدون اخراج مصر من مجموعة العالم العربي غرض سياسي يرمي الى فصلها لتقف سدا في هذا العالم العربي بين شرقه وغربه . »

وفي صيف هذه السنة ١٩٣١ عقد عدد كبير من شباب مصر وطلبة البعثات العربية في المدارس المصرية اجتماعا ، اقترحوا فيه تأسيس جمعية الوحدة العربية لتنظيم الروابط بين مصر والاقطار العربية . وانتخبوا لجنة من الاساتذة الشيخ عبد الوهاب النجار المدرس بتخصص الازهر وصالح جودت المحامي ومحمود حفني المحامي ومحب الدين الخطيب صاحب الزهراء والفتح وخير الدين الزركلي صاحب الاعلام ومحمد علي الطاهر صاحب الشورى ونقولا حداد صاحب مجلة السيدات والرجال وسامي السراج الكاتب المعروف . وقد اصدروا بيانا شرحوا فيه ضرورة قيام هذه الجمعية ، وتحدثوا عن عوامل الاتصال بين مصر والاقطار العربية ، والروابط العربية والروابط في المواصلات والادب والفكر والصحافة والاقتصاد وقالوا فيه : « لقد كان الشرق قبل الحرب العظمى يتجه بالحرمة والاكبار نحو الدولة العثمانية لانها كانت دولة الخلافة ، فلما تغيرت الحال في تركيا بطبيعة نتائج الحرب العظمى ، صار الشرق عامة والشرق العربي منه على الخصوص ، يرى ان قيادته الفكرية اصبحت منوطة بمصر ، فهو يحذو حذوها في ثقافته وآدابه وافكاره وفي تشكيلاته الاقتصادية والمالية وحتى في موسيقاه واوضاعه الكمالية وهذه هي بوادر الوحدة التي لا تلبث ان تتحقق بين تلك الشعوب الشقيقة ... »

كما رأينا في اوائل الثلاثينات قيام جمعية الرابطة العربية التي ترأسها القطب الوفدى محمود بسيوني رئيس مجلس النواب المصرى .

ومن آيات التعاطف الوطني بين مصر وفلسطين ان سارت في آب من تلك السنة (١٩٣١) مظاهرة نسائية كبرى في مدينة نابلس احتجاجا على تسليح اليهود ومطالبة باطلاق المعتقلين ، وكانت اول مظاهرة نسائية في تاريخ نابلس ، ورددت الوكالات انباءها ، وكانت جريدة « الحياة » المقدسية لسان الحركة . فتلقيت برقيه من القاهرة كان تأثيرها في نفسي بالغا فبادرت الى توزيعها على زعيمات الحركة اللواتي اجبن عليها معتزات . وهذا نصها : « نرجو تبليغ سيدات نابلس ما يأتي اتصلت بنا انباء ما قمتن به من الحركة الوطنية في سبيل بلادكن الكريمة وما لاقيتن من الارهاق والشده . اننا لنرى من واجبنا ان نهنئكن على ما أظهرتن من شجاعه وتضحية ، مما نعده مثلا اعلى للامم الشريفه التي عدا على استقلالها الاجنبي الغاصب ، واننا لنبعث اليكن بتحياتنا مشفوعة بدعائنا ان يوفقكن الله تعالى وايانا الى نيل استقلالنا .

رئيسة اللجنة السعدية للسيدات

شريفه رياض

ولقيت الدعوة العربية بعض التحديات ودارت حولها مساجلات ، وموعدنا المقال التالي ابعث به الي « العربي » اذا اطمأننت الى نشر هذا المقال خاليا من الاغاليط وذلك لان مقالاتي الثلاث قد حشدت بعساكر من الاغاليط وددت لو تنزهت مجلتنا الراقية العربي عنها ■■

اكرم زعيتر

أقوال معاصرة


الامير فهد

■ هدف منطقة الخليج واحدة ويجب ان نواجهها برأي واحد مشترك .

الامير فهد بن عبد العزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية

■ لا أمل في حل مشكلة الطاقة ما لم يتبع الامريكيون خطا واضحا في سياستهم الاقتصادية .

ريمون بار/رئيس وزراء فرنسا

■ كم يكون المرء تافها اذا امضى وقتا كبيرا في شبابه الذي لا يعوض جريا وراء الحب .

الكاتب الصيني لسابح شانح


اميلدا ماركوس

■ يجب أن يكون الحاكم مثل راعي البقر احيانا ، ان يصبح مستعدا لان يستخدم سوطه لكي يعيد الجميع الى المسار الصحيح .

اميلدا ماركوس قرينة الرئيس الفليبيني

■ ان نصف المليون عربي في الجليل يشكلون فرصة الاختناق على اعناقنا وحلقنا .

المجرم جنرال ايغدور القائد الاسرائيلي للمنطقة الشمالية


فانس

■ اريد ان اعبر بشكل مطلق أن تأييدنا الدائم لامن وسلامة اسرائيل ثابت ولا يمكن زعزعته .

وزير الخارجية الامريكي سايروس فانس

■ ان بورتسا كرست انتصارها بدخول الحمام السري للديكتاتور سوموزا .

احد رجال الثورة في شكاغو ، بعد الاستيلاء على القصر .


كارتــر

■ الكلمات العاطفية التي قالها الرئيس كارتر بحق الفلسطينيين تفوح منها رائحة النفط .

جريدة واشنطن ستار

■ لا تبكوا على الشهداء بل اتبعوهم الى قلب المعركة .

من كتابات الجدران في مدينة ليون بنيكاراجوا

■ بعد أن نجح الهنود الحمر في أن يحافظوا على هويتهم ، آن الاوان لكي يحدد هذا الشعب قراراته بنفسه .

الزعيم الهندي فرانسيس هكرو

حكاية اندرو يانج

بقلم : منير نصيف

توقف الرجل الاسود .. وما اكثر ما توقف في مسيرته الطويلة على مدى قرن او يزيد من الزمان منذ ان حرر لينكولن « العبيد » ، من أجل تأكيد حقه في الحياة ..

توقف ليتساءل : « من هو الصديق .. ومن هو العدو ؟ » بالامس كان الرجل الابيض هو عدوه ! ولكنه اليوم وبتحديد أدق « الصهيوني » الابيض الذي يملك قوة



التأثير والضغط على كل المؤسسات الحكومية والأهلية ، ابتداء من رجل الشارع حتى البيت الابيض الامريكي .

وامتلأ الهواء برائحة الكراهية وهي رائحة ليست غريبة فقد كانت تملأ سماء أمريكا على اتساعها منذ اكثر من ربع قرن من الزمان او اكثر قبل ان يخرج الرجل الاسود ويمشي تحت الشمس ليعبر في حرية عن احزانه إبان حكم الرئيس القوي الجنرال دوايت ايزنهاور ، ثم جون كنيدي من بعده .

وقال السود*: « هذه هي مشاعر اليهود تجاهنا اذن !.. وانهالت المكالمات التلفونية على زعماء الصهاينة في امريكا : « انتم تخدمون مصالح اسرائيل في امريكا . انتم تضعون مصلحة هذه « الدولة الاجنبية فوق مصلحة امريكا وقبلها !

وامتلأت السماء بغيوم ، لا احد يعرف متى ولا كيف تنقشع ! هكذا تبدو الصورة اليوم في الولايات المتحدة الامريكية ، في أعقاب الضجة التي اثارتها « إقالة » اندرو يانج سفير أمريكا في الامم المتحدة !

من تخلى عن من ؟

والسؤال المحير هنا .. كيف حدث ما حدث ؟ والكل يعرف طبيعة العلاقة القوية التي تربط بين الرئيس الامركي جيمي كارتر .. وبين الرجل الذي اختاره هو ليمثل بلاده في المنظمة الدولية ، من الذي تخلى عن من ؟ هل هو كارتر الذي بكى وهو يكتب الرسالة التي اعلن فيها قبول استقالة يانج ، صديقه الذي احبه ووضع فيه كل ثقته ؟ ام هو يانج الاسمر الذي قال مبررا اسباب استقالته بأسلوب مهذب منمق : « لقد اشفقت على صديقي كارتر من الحرج الذي سيجد نفسه فيه !

رأى يانج في رئيس امريكا الذي تحمس له ، ووقف بجانبه منذ ثلاثة سنوات ، وهو يخوض المعركة الانتخابية العاتية ، انه رجل امين نظيف متدين .. ثم انطلق الى الشارع يبشر بفضائل الرجل حتى اوصله الى البيت الابيض !

ورأى كارتر في يانج الذي لازمه كظله أيام المعركة التي خاضها من عالمه المجهول في حقول « الفول السوداني » الى الشارع الامريكي .. رأيه أن يانج « أعظم دبلوماسي عرفته في حياتي » فقد كان اندرو او « آندي » كما يحلو لكارتر ان يناديه ، هو الذي أخذ على عاتقه مهمة الاجابة على الاسئلة التي كان كارتر يصطدم بها في كل مكان يذهب اليه ويخاطب منه ضمير الامة الأمريكية : « من انت يا مستر كارتر ! »

لماذا ذهب يانج اذن ؟ ما الذي حدث بين الصديقين ؟ والجواب : « النفوذ الصهيوني الذي يحكم تصرفات اكبر واغنى دولة في العالم ! »

جرعة منشطة !

واذا عدنا بضع سنوات الى الوراء استطعنا ان نفهم مغزى ما حدث ويحدث في الولايات المتحدة الامريكية ، في ظل هذا النفوذ القوي الذي يعتبر العامل الاول والمؤثر في علاقات امريكا بالعالم الخارجي .

في اوائل الستينات ، وفي اعقاب إنتهاء حكم رئيس امريكا القوي الجنرال ايزنهاور ، وجه بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل في ذلك الوقت نداء الى يهود أمريكا يدعوهم فيه الى اعلان ولائهم لاسرائيل اولا ، ولا بأس من أن يدينوا بالولاء أيضا لامريكا ، البلد الذي يعيشون فيه ويرتزقون ، ولكن بعد اسرائيل !!

وثار اليهود الامريكيون ، وقالوا انهم امريكيون وليسوا اسرائيليين ! ومات رئيس حكومة اسرائيل العجوز ، ولكن سموم ندائه بقيت تسير في عروق العديد من اليهود الذين يملكون قوة الضغط والتأثير لقد كان السم هناك قبل هذه « الجرعة » المنشطة ، ولكنها

---

* عدد السود في أمريكا ٢٢ مليون نسمة .

على أية حال نجحت في تحصينهم وزيادة مقاومتهم .. وقد كان هؤلاء هم الذين وقفوا بكل ثقلهم وراء الحملة المحمومة التي ادت في النهاية الى طرد السفير الامريكي يانج (٤٧ سنة) من منصبه الذي امضى فيه ما يقرب من ثلاث سنوات قطع فيها الآلاف من الأميال وتحدث في العشرات من الاجتماعات مع ممثلي ١٤٧ دولة (عدد الدول الاعضاء في المنظمة الدولية) ، وادلى بعشرات التصريحات بهدف الوصول الى تقديم صورة افضل لبلاده امام عيون العالم الخارجي .

الانتماء للعالم الثالث

ونجح يانج باعتراف بلاده ورئيسها .. حتى ان مندوب احدى الدول الاسيوية لم يجد حرجا في ان يقول للسفير الامريكي : « لا ادري لماذا اشعر كلما لقيتك بانك تنتمي الينا .. او ربما كنا نحن ننتمي اليك .. اننا نحس بانك واحد منا ! »

ما جريمة يانج ؟ انه في شهر اغسطس الماضي التقى بمندوب فلسطين او مراقبها في الامم المتحدة في بيت صديقه سفير دولة الكويت بمدينة نيويورك .. ولم يكن سفير أمريكا الاسمر ، اول مسؤول امريكي يتصل بزعماء حركة التحرير الفلسطينية او من يمثلهم فقد تمت اتصالات على مختلف المستويات ، كما ذكرت مجلة « تايم » الامريكية ، وحددت تواريخ هذه اللقاءات ، بين الرسميين الامريكيين ومنظمة التحرير في بيروت .. ودمشق ، وفيينا وأمريكا نفسها ثم في بيروت مرة اخرى .. فلماذا كانت هذه الضجة الان ؟

لا يعجب اسرائيل

ان تصريحاته في مناسبات ماضية لم تعجب اسرائيل قال مثلا « أن مندوبي منظمة التحرير الفلسطينية في الامم المتحدة شخصيات لطيفة هادئة » .. ووصف « القصف الاسرائلي لجنوب لبنان بالقصف الامريكي لفيتنام » .

لقد كان يانج واضحا وصريحا منذ اللحظة الاولى التي بدأ يمارس فيها نشاطه السياسي في الامم المتحدة بحكم منصبه الجديد .

فقد قال للصحفيين الذين التفوا حوله في مقر المنظمة الدولية : « شيء واحد استطيع ان اؤكده لكم ، وهو انني لن اكون ابدا الرجل الاسود في البيت الابيض ! أو « زنجي البيت الابيض » والمعنى الذى ذهب اليه يانج مفهوم ، فهو يريد ان يقول انه لن يكون اداة لاحد وانه لن يدلي برأى ولن يتخذ موقفا .. اى موقف الا عن قناعة وبدون خضوع لاى « ضغط أبيض » .

فقد عاش يانج آلام الزنوج واحزانهم في طفولته وشبابه .. وكان هناك على مقربة من الزعيم الزنجي الراحل مارتين لوثركنج بطل المقاومة العنصرية ، الذى قتلوه في شهر ابريل من عام ١٩٦٨ فقتلوا معه ضمير امة .. يومها وقف يانج يقول امام الجثمان المسجي امامه : « سيبقي لوثركنج ملكا ومالكا لقلوب الملايين من محبي السلام والحرية . » .

وحمل اندرو يانج آلام وآمال زنوج امريكا بعد رحيل لوثركنج ، فهو الذى مضى يكمل الرسالة التي بدأها استاذه ومعلمه ! من هنا كان وقع سقوطه قويا بين السود في امريكا وعددهم ٢٣ مليونا والسود وغير السود في الخارج ، وفي افريقيا بصفة خاصة .

جذور الرجل الاسود

خلال محاولاته الاخيرة لتهدئة النفوس الثائرة في روديسيا وجنوب افريقيا قال يانج : « لقد اخترع الانجليز العنصرية » وقرأ « الجذور » ورأى هذا الوجه القبيح لهؤلاء الذين اسروا الرجل الاسود وباعوه وسخروه في بناء « امبراطوريتهم » الجديدة في هذا العالم الجديد البعيد . فلما انتهت مهمتهم جلسوا يحتفلون بذبحه !

وقرأت امريكا معه قصة الرجل الاسود الذى بني بدمه وعرقه هذه الدولة الكبرى .. وكانت من اروج الكتب توزيعا في العالم خلال العامين الاخيرين واكثرها تأثيرا على المشاهدين الذين تابعوا حلقاته المصورة على شاشة التلفزيون .

كان والد يانج طبيب الاسنان المعروف في مدينة أتلانتا ، يرى آثار الكراهية على وجوه ابناء الحى الذى يعيشون فيه من السكان السود .. وكانت تقطر دما .. البيض يتعقبونهم ورجال الشرطة يطاردونهم .. واشفق الأب على ابنه وقرر ان يعاونه على مواجهة هذا البغي والعدوان فعلمه الملاكمة على يد ملاكم محترف .. ولكن يانج لا يذكر انه استخدم قبضة يده مرة في حياته ، فقد كان له دائما طريق آخر بعد تخرجه من الجامعة في عام ١٩٥١ . لقد اختار ان يكون قسيسا ... ودرس اللاهوت وحصل على الليسانس بعد اربع سنوات !

الدبلوماسية الهادئة

وفي هذه المدرسة الهادئة ، تعلم يانج الحوار المقنع ، وتعلم الايمان بالله ، وبحقوق الانسان في كل مكان . وتعلم قبل وبعد هذا كله نبذ العنف . كان يدخل اجتماعا .. اى اجتماع في ولاية جورجيا ، حيث التقى بصديقه كارتر بعد ذلك بسنوات طويلة .. وكانت التفرقة العنصرية بين السود والبيض اعنف ما تكون في تلك الفترة في منتصف الخمسينات .. فقد كان الرجل الاسود مواطنا من الدرجة الثانية في بلده ، محروما من ممارسة حقه السياسي لانه غير متعلم ! .. مغلوب على أمره في كل مجال من مجالات الحياة .. كان يعيش وراء حائط عال ، وويل له اذا حاول ان يتسلق هذا الحائط لمجرد ان يلقى نظرة عابرة على ما يحدث وراءه على الجانب « الابيض » !

وكانت هناك اجتماعات كثيرة تعقد بين زعماء السود وحدهم لبحث ومناقشة آلامهم ومحاولة العثور على حل لها . وكانت هناك اجتماعات اخرى بين السود وعقلاء البيض لتجنب الانفجار الذى يوشك ان يودى بوحدة الامة الامريكية .. وكان يانج يحضر هذه الاجتماعات الأخيرة التي كانت دائما ساخنة ملتهبة لا مجال فيها للحديث الهادىء او المناقشة العاقلة ويصل الشاب المتحمس الى مقر الاجتماع فلا يكاد البيض يلمحونه حتى يبدأون في التحفز ولكنه يسارع الى تهدئتهم . « سامضي بينكم دقيقتين او ثلاثا ثم انصرف .. سأكون مستمعا فقط ولن اتكلم الا اذا طلبتم الى الكلام ! »

صلاة طويلة

وتلتقط اذنه وسط الصخب الذى يملأ المكان كلمة او عبارة تعبر عما تحمله قلوب هؤلاء العنصريين المتعصبين من كراهية لكل ما هو اسود !! ويبتسم يانج ثم يقول في هدوء : « دعونا نشترك جميعا في صلاة قصيرة » . ويرفع الجميع أيديهم ويصلون وتهدأ النفوس وتحين الفرصة التي انتظرها ... فيمضي في حديثه ، وكأنه في صلاة طويلة .. وعندما ينتهي الاجتماع يكون قد مضى على يانج ثلاث ساعات وهو يتكلم ..

وبقدر ما كان اندرو يانج صريحا ولبقا في حديثه الذى يشد المستمعين كان ايضا مستمعا ذكيا ، يحفظ ويهضم ما يسمع ، ولا ينفعل حتى لو كانت كلمات محدثه تحمل له الشتائم والاهانات ... كانت الابتسامة لا تفارق شفتيه لحظة واحدة .. ولكنه لا يلبث ان يتحول الى الجد بسرعة اذا استمع الى تفسير خاطىء او الى معلومات يحاول صاحبها من ورائها ان يقلب حقائق معينة لاحداث عرفها ودرسها .

قال يانج

حتى بلاده لم تسلم من النقد ، فهو الذى قال : « ان السجون الامريكية مليئة بالمسجونين السياسيين »

« ان السود في السويد يلقون نفس المعاملة السيئة التي يتعرض لها الرجل الاسود في « كوينز » « بنيويورك » .

« ان جيرالد فورد وريتشارد نيكسون من انصار السياسة العنصرية .

« إن باتريشيا هيرست إبنة ملك الصحافة في أمريكا ، سجينة سياسية ايضا »

لقد قال يانج وهو يعلن نبأ استقالته على الصحفيين او على الاصح الاستقالة التي اجبرته وزارة الخارجية الامريكية على تقديمها بعد الضجة الاسرائيلية المفتعلة . قال : « من الصعب جدا ان افعل ما اظن انه

في مصلحة بلدي ، وفي الوقت نفسه احافظ على قواعد البروتوكول والدبلوماسية انني لا اشعر باى اسف لأى عمل قمت به ... ولن استطيع ان اقول انني لن افعل ما فعلت اذا واجهت نفس الموقف مرة أخرى » .

هل كان يانج رجل سياسة

« كان من اقدر السياسيين الذين عرفتهم امريكا » هكذا قال عنه صديقه كارتر الذى اراد ان « ينام » على الحادث المفتعل كما قال لمساعديه بالحرف الواحد لولا الضغوط الصهيونية التي املت عليه ارادتها وسلبته اقدس حق من حقوقه المشروعة بوصفه رئيسا للولايات المتحدة الامريكية .

قريب الى السماء

لقد اشتغل يانج بالسياسة عقب مصرع الزعيم الزنجي لوثر كنج مباشرة ، ورشح نفسه لعضوية الكونجرس الامريكي مرتين .. وفاز في المرة الثانية ، في عام ١٩٧٢ وكان يمثل مدينة اتلانتا بولاية جورجيا ، ومن هذا المنبر الجديد راح يدعو الى الحب والتسامح والتعايش السلمي بين السود والبيض . أما صلته بالرئيس كارتر ، فقد بدأت في عام ١٩٧٥ وعندما بدأ يتحمس لهذا الرجل الذى اعتزل عمله كعالم من علماء الذرة في البحرية الامريكية ليتفرغ لزراعة « الفول السوداني » في مزرعته ، كان يؤمن بأن جيمي كارتر يمكن أن يكون رئيسا مثاليا لامريكا .

وعندما وصل كارتر الى البيت الابيض في النهاية ، اراد ان يكافىء يانج على المجهود الذى بذله خلال حملته الانتخابية فعينه سفيرا لامريكا في الامم المتحدة .

وجاء يانج الى نيويورك مع زوجته « جين » واولاده الاربعة اندريا وليزا وبولا واندرو الصغير ، واقام الجميع في الطابق الثاني والاربعين بفندق والد ورف تلورز . وقال اصدقاؤه مداعبين تعليقا على اختياره لهذا الدور العلوى في الفندق : « انه يريد ان يكون دائما قريبا من السماء . »

واستغنى يانج عن سيارته الرسمية الفاخرة الكاديلاك واستبدل بها سيارة فورد عادية وكان يدعو سائق سيارته لتناول الافطار معه في كافتيريا الامم المتحدة ، قبل ان يذهب الى مكتبه الذى اختار للعمل فيه اكبر عدد من السيدات السود المتعلمات .

ماذا قالت أمه ؟

امرأتان مازالت كلماتهما تدويان في اذنيه في هذه اللحظة الحرجة التي تمر بها امريكا كلها .. الاولى أمه التي اتصلت به تلفونيا عقب اعلان نبأ تعيينه سفيرا لأمريكا في الامم المتحدة : « هل تركت مقعدك في الكونجرس من اجل هذا المنصب . ارجوك الا تفعل . إبق حيث انت .. فهذا افضل لك ولنا ولكل رجل وامرأة من السود في امريكا » .

اما المرأة الثانية ، فقد كانت كورا ارملة الزعيم الزنجي الراحل مارتين لوثركنج ، وكانت هي الاخرى تعترض بقوة على تركه مقعده في مجلس الشيوخ الامريكي من اجل هذه الوظيفة الجديدة .

« لم اكن اريد هذا المنصب لم اكن اريده » . كانت هذه كلمات يانج بعد العاصفة ! ولكن كيف ستنتهى ؟ هل تهدأ الثورة التي تعتمل اليوم في صدور السود في امريكا وهم يرون الرجل الذى يمثلهم ويحمل آمالهم لمستقبل افضل يهوى تحت مطرقة النفوذ الصهيوني ؟

لقد بدأت المواجهة بين السود من جانب وبين يهود امريكا من جانب .. ولكن الى اى مدى ستتفاقم هذه المواجهة ، وما هو تأثيرها على انتخابات الرئاسة المقبلة وعلى مستقبل الرئيس الامريكي كارتر بصفة خاصة رغم كلمات التقدير التي ختم بها رسالته وهو يعلن قبول « استقالة » الرجل الذى وضع فيه كل ثقته ؟ لا أحد يدرى ! ؟

أما يانج نفسه ، فلا أحد في امريكا او في خارج امريكا يتوقع ان يهوى يانج هكذا في هدوء او ان يختفي لفترة طويلة ، فهو رجل يؤمن بمبادىء ومثل عليا ، في زمن اصبحت فيه هذه المبادىء عملة نادرة . ■

عندما أوغل السندباد .. وعاد



للشاعر :

صلاح عبد الصبور

■ ... كل شيء تجلى له وتكشف ...
كان انحدار المياه الى منبع النهر حتما ،
وصار الرحيل
مللا يستطيل
ثبت السندباد مجاديفه ، وادار الشراع عن الريح
واستعد ليوم المعاد

***

في فصول الرحيل الطويل
عرف السندباد الصباحات
عرف السندباد الاماسي

***

كان بعض الصباحات يتسع البحر فيه ،
ويصبح كونا من الطيب واليشب ، والشمس
مجمرة تتدلى سلاسلها الذهبية ، ثم
يعانقها الغيم ، تبتل حافتها بالندى ،
كاشفا سر الوانها السبعة المستكنة فيها
يخرج البحر الوانه
يمزج البحر الوانه



يتبارى مع الشمس وصلا وعشقا ، ويبذل
حتى تحل العرى ، ويذوب الوجوم
زبرجدة يصبح البحر ، ينفث لؤلــــؤه
الزبدى ، ويملؤك الفرح ياسندباد كما
امتلأت حبة بالرحيق ، وتمثل للنزع والنسم
صدرك قيثارة تتناوب فيها اصابعها الخشنات
الرقيقات ....
ينتشي السندباد وبمرأى الزمان يعود
اليه ، وينفي ويثبت فيما حوت عينه من رؤى ،
وما احتملت من ظلال البلاد
وما احتملت من شجى كامن أو أسى مستعاد
ويبحر في عرقه ودماه ، ويرسي بشط
الزمان البعيد القديم

***

وتعود الى السندباد طفولته ، وتعود الحقول
حقولا ، ويعود الغدير ليمتد كي تتأرجح في
جانبيه الحقول
وتعود السكينة كي تتمدد فوق الغدير
وتعود نجوم المساء
لكي تتناثر فوق ملاءتها ارخبيلا
يطوف بين جزائره السندباد
زمنا مستعاد

***

ويعدو .... ويعدو
(يضحك السندباد لصورته ، وهو يعدو)
وتصلصل في قلبه الطفل اجراسه الذهبية ،
يعدو .... ويعدو

ويعود اليه صباه رغيفا ، ونهدين
كانا يميلان في صوره ، يلتهان معا بين خاصرتيه ،
لقد خانك الوقت ياسندباد ، تسرب فوق رمال
حياتك ، لولا فم البحر ، اسنانه الزبدية ،
لولا عناق الرياح وانفاسها في وتينك كانت
حياتك مقفرة كشتاء الصحارى ، وملساء
مثل صخور الشواطىء ، كنت قضيت من
الوجد والحزن ، اوغل اذن سندباد ، افترع
خيمة الافق ، وادخل ....
ترشف نداها البليل ، ارتعد نشوة ،
وتحول عمودا من الفرح والنار ، ينتفض جدرانها ،
يتلهب في عمقها ، ثم يهوى كبرق اضاء ، كبرق
خبا
... وتقضي زمان الصبا

●

كان بعض الصباحات ينكمش البحر فيه ،
ويغدو اديما من الجلد ، اسود مغضوضنا
لزجا بالطحالب والسمك الميت والزيت ، تلهث
نحو الاديم شفاه المياه مشققة عطشا للرياح
...... اهذا هو البحر ؟
لحد من الماء ، واد من الخضرة المطفأة
...... اهذا هو البحر ؟
موت تئن به جهشات المجاديف معولة ، والشموس
ممزقة في جهات السماء

***

كان بعض الاماسي غطاء جميلا كجسم امرأة
كان بعض الاماسي غطاء ثقيلا كقبر

كان بعض الاماسي ثوبا شفيفا ، ذيول
الطواويس ، نثر النوافير ، اعراف خيل
الرياح العراب
يمتطي السندباد الظلام المنقط بالضوء ،
يبحر نحو مياه السماوات ، وحدك تمضي
ايا سندباد ، وقد ثمل الندماء واغفوا ،
ونامت أيادى رجالك فوق المجاديف ، لا
شاهد لارتفاع البراقع الا عيونك ،
جزت طباق الهواء الثمان الكثيفة ......
بحر وسيع سماوات ، واصبحت معنى
تحوم فيه المعاني ....
وجدت ...... فقدت ..... وجدت
ورأيت الذى قد سمعت
وسمعت الذى قد رأيت

***

كان بعض الاماسي ثوبا صفيقا من الزيت
والقار ، الريح ساكنة كالزجاج ، على وجهها
البارد المستطيل تخثرت الظلمات كدم .
اخلفت وعدها السحب ، لم تتفتح
حدائقها عن زهور النجيمات ، لم يرد البدر
اباره في حقول السحاب ، وما تبعته عيونك
وهو يرطب خديه في زرقة الماء او خضرة
العشب ، نفسك مثقلة بالهموم ، اناخ
عليك المساء واثقل حتى انكسرت شجى
وانحللت هباء
ويثقل نفسك ما حملت من رؤى
وما احتملت من ظلال البلاد
وما احتملت من شجى كامن ، او اسي مستعاد

صلاح عبد الصبور



ونحن على ابواب موسم جديد :

الساكت عن الحج والساكت عن الحق !

بقلم : فهمي هويدي

نريد ان نرد الى الحج اعتباره !

اذ ليس معقولا أن تهدر فريضة من فرائض الله في عرض سنوي يقام على مرأى ومسمع من الجميع ، ثم لا يتحرك احد لكي يحفظ للفريضة جلالها وهيبتها ، ورسالتها

ليس معقولا ان يتحول مؤتمر أمة المسلمين الى موسم تتلاطم فيه أمواج البشر الهادرة حول أقدس الاماكن ، بغير ضابط ولا رابط ، حيث ينفلت عيار الجميع ، ويكاد يداس تحت الاقدام أي شيء ، بل كل شيء !

وليس معقولا أن تنتهي تلك الرحلة العظيمة الى الله ، المليئة بالتدبر والتأمل وبالمناسك ذات الدلالات والرموز ، الى أن تصبح « محنة » هي صورة من يوم الحشر ، حيث يحاول كل انسان أن يستنقذ نفسه ، مكتفيا من الحج بثواب النية والمعاناة ، والامتثال الى امر الله سبحانه وتعالى

وليس معقولا ان تتدنى « منافع المسلمين » المرجوة من الحج ، لتصبح مقصورة على جماعات التجار والمستغلين ، القادمين والمقيمين ، ومعهم شركات الطيران والملاحة « والسياحة الدينية » !

نريد أن نبقي للحج على قيمته . نحميه من ريح الجاهلية التي ارتدت به في الماضي ، من وظيفة كان يؤديها المكان ، الى أن صار مجرد طقوس وعبادة للحجارة والاوثان !

ألم يكن ذلك البيت الذي بناه في البدء ابو الانبياء ابراهيم عليه السلام ، مكانا طاهرا يؤمه المؤمنون لعبادة الله ، ثم توالت الازمان ، فاذا بالاصنام ترفع فوقه ، واذا بعبادة الله تصبح عبادة للاحجار ، واذا بالطائفين العابدين يتجردون من ثيابهم ، ويقفون أمام الاصنام عرايا ، يسألونها الشفاعة والمغفرة ؟

للحج حكمة نفهمها ، ولا يخلو واحد من كتب العبادات والتفسير من الافاضة فيها وشرحها . والذين تصدوا للموضوع فريقان : أحدهما يرى فيه امتثالا لامر الله سبحانه وتعالى ، الذي هو جزء من الايمان

والتسليم ومن هؤلاء الامام الغزالي ❋، الذي يقول : « ووضعه (اي بيت الله الحرام) على مثال حضرة الملوك ، يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق . شعثا غبرا ، متواضعين لرب البيت ، ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته ، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت ، او يكتنفه بلد ، ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ، وأتم في اذعانهم وانقيادهم .. ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول ، كرمي الاحجار بالاحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار . وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية » .

والفريق الثاني يؤكد معنى الامتثال في الحج ، شأنه شأن كل العبادات التي يشكل الخضوع لله وحده احد اهدافها ، لكنه يركز الى جانب ذلك على أهمية الوظيفة التي يؤديها الحج في عالم الاسلام والمسلمين . ومن هؤلاء الامام الشيخ محمود شلتوت شيخ الازهر الاسبق ، الذي كتب يقول ❋ :

« ليس المعقول ـ ولله الحكمة البالغة ـ ان يكون القصد من هذا الاجتماع (يقصد الحج) مجرد ان يطوف المؤمنون بالبيت ، وان يقفوا في عرفات ، فان الله يعبد في كل مكان ، ويجيب الداعي في كل مكان .. وانما الحكمة كما افصحت عنها آية الحج ، ان يجتمع الموحدون في زمن واحد ومكان واحد ، ليشهدوا منافع لهم وليزيلوا تفثهم . (اي تتطهر اجسامهم وقلوبهم وعقولهم من الادران) . ويذهب الشيخ شلتوت الى حد اعتبار ان كلمة « التفث » تنسحب على ادران جماعة المسلمين ، لا الافراد وحدهم ، ومنها « وقوعها ـ الجماعة ـ تحت سيطرة الجهل والفقر وتحت سيطرة الغاصبين » ، وهذا هو نص العبارة التي استخدمها الامام في سياق حديثه .

وفي موضع آخر يقول الشيخ شلتوت : والحج باعتبار مكانته في الاسلام ، وغايته المقصودة منه للفرد والجماعة ، جدير أن يتجه اليه رجال العلم والرأي ، ورجال التربية والثقافة ، ورجال النظم والادارة ، ورجال المال والاقتصاد ورجال الشرع والدين ، ورجال الحرب والجلاد . جدير ان تفد اليه الطبقات ذات الرأي والحزم ، ذات النظر والاجتهاد .. جدير ان يتجه اليه هؤلاء جميعا .. يتعارفون ويتشاورون ، ثم يعودون الى بلادهم أمة واحدة ، متحدة القلب ، متحدة الشعور والاحساس » .

ثم يضيف : ولعل في هذا ما يكشف لنا عن المراد « بالافئدة » التي جاءت في دعوة ابراهيم عليه السلام ، حينما اكمل البيت ورفع قواعده ، واسكن من ذريته بواديه « فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ـ سورة ابراهيم ٣٧ فان كلمة « افئدة » لا تعني مجرد الاشباح التي تروح وتغدو ، والتي لا تعرف من معنى الحج سوى أعماله الفردية ، وسوى زيارة الرسول عليه السلام . انما تعني الارواح والقلوب التي تقدر ما يجب ان يكون لهذا الاجتماع الحاشد من اهداف تجمع قلوب الموحدين على خطط الحياة العزيزة كما جمعت اشباحهم العبادة والذكريات » .

والفرق بين تصور الفريق الاول الذى يمثله الامام الغزالي . والفرق الثاني الذى يمثله الشيخ شلتوت ، هو بحجم المسافة بين القائلين بان العبادة لذاتها ، والعبادة لوظيفتها . الحج للحج ، ام الحج

❋ للتفصيل انظر « احياء علوم الدين » للامام الغزالي ـ الجزء الاول .

❋ انظر كتاب الشيخ محمود شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة » .

لاجل مصلحة جوع المسلمين ؟ وان كان لابد ان نقر بأن المسافة بين الرأيين ليست شاسعة كما قد يبدو لاول وهلة ، وانما هو - في حالتنا هذه - ترتيب للأولويات لا أكثر . فالامام الغزالي لا يسقط مصلحة المسلمين من الحسبان ، ولكنه يقدم عليها معنى الانقياد والتسليم لامر الله سبحانه وتعالى . والشيخ شلتوت لا يلغي ما في الحج من عبودية لله سبحانه ، ولكنه يركز على المصلحة التى يحققها الحج في شأن « خطط الحياة العزيزة » .

ومع ذلك ، فان وضوح النصوص القرآنية يحسم التردد بين الرأيين . ذلك أن الآيات التي تضمنت دعوة الناس الى الحج تقول صراحة : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق » . - الآيات ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - من سورة الحج .

أى أن أول ما ذكر في حكمة الحج بنص القرآن منفعة المسلمين ومصلحتهم . والتعبير الوارد في النص عام ومطلق ، يتسع للعديد من الصور التي تشمل الفرد والجماعة ، كما تشمل المصلحة المعنوية والمادية في الدنيا والآخرة ، الأمر الذى يرجح راى الشيخ شلتوت في الواقع

●

الا أن هذا كله يبدو نوعا من الجدل النظرى ، بل نوعا من الترف الفكرى ، اذا ما حاولنا مطابقته بالواقع . ذلك أن ما يجرى في موسم الحج شيء يختلف تماما عن كل ما ذكرته كتب العبادات وتفاسير القرآن الكريم ، شيء لم يرد في كتاب ، ولا أظنه خطر على بال أحد ممن اجتهدوا وحققوا وفسروا .

ولا أعرف أى قدر من الذهول يمكن ان يصيب هؤلاء ، اذا ما بعثوا من قبورهم ورأوا ما انتهت اليه صورة الحج ، ثم قارنوا بين ما رأوه وبين ما كتبوه عن المناسك ورموز قصة ابراهيم وزوجته هاجر وابنهما اسماعيل ، وعن معايشة الحجاج لهذه التجربة ، ثم ضراعتهم الى الله ورجمهم للشيطان قذفا للشر والباطل ثم ما آل اليه حال الذبح رمز التضحية والفداء في سبيل الله . ناهيك عما يحدث حول الكعبة المطهرة . والحرم النبوي الشريف .

لنا ان نتصور مقدار صدمة هؤلاء الائمة والمجتهدين ، اذا ما أطلوا بعيونهم على الحقيقة ولو للحظة واحدة . ولنا أن نتصور أنهم لا بد عاكفون على مراجعة الكثير مما قالوا به واجتهدوا فيه وألزمونا به ، سعيا وراء الاكمل والأمثل . ذلك أن هناك آراء عديدة في مناسك الحج تحتاج الى اعادة نظر ، لنتأكد اولا من مدى مطابقتها لنصوص القرآن والاحاديث الصحيحة ، وتحديد وجه وحجم الالزام فيها ، ثم مدى امكانية الالتزام بهذه الآراء والاجتهادات في ظروف الحج الراهنة .

فمطالبة المسلمين بأن يدخلوا الى المسجد الحرام - في طواف التحية - من « باب السلام » صارت متعذرة ومستحيلة . وبنفس القدر يستحيل أن يقبل الحجاج الحجر الاسود او حتى يلمسوه . بل وهو انجاز عظيم اذا استطاع الحاج ان يقف في محاذاته عن بعد ليجعل منه نقطة بدء للطواف . ثم انه من رابع المستحيلات ان يطالب الحاج بالذهاب الى « الملتزم » - حائط الكعبة بين الحجر الأسود وبابها - ليلصق صدره ووجهه بالجدار ، ويرفع يديه حتى تبلغ استار الكعبة ، ثم يشرع في الدعاء الى الله سبحانه .

ولا أعرف هل من المصد   الظروف الصحية التي لا تخفى على أحد ـ وبعد ما انضم وباء الكوليرا الى قوافل الحجاج في السنوات الاخيرة ـ أن يدعي الناس الى الشرب من بئر « زمزم » رغم أن الاحاديث النبوية امتدحته ، في ظروف مختلفة تماما ، منذ ١٤ قرنا .

كذلك فان رمي الجمار ـ الذي افتى الشيخ شلتوت بأنه « ليس بفرض يبطل الحج بتركه ، وانما هو مطلوب على سبيل الوجوب في جمرة العقبة التي ترمي وحدها في اليوم العاشر ، وعلى سبيل السنة في بقية الايام » ـ عملية الرمي هذه تحتاج الى مناقشة وحسم ، اذ ان بعض الفقهاء يصرون على ان يلتقط كل حاج ٤٩ حصاة ، ثم يستمر الرمي ٧ مرات ، الامر الذي لا يخلو من ضحايا عديدين كل عام .

ومسألة الهدى ـ الحيوان الذى يهدى باسم الله الى الحرم ، فيذبح فيه ويطعم منه الفقير والمسكين ـ هذه ايضا تحتاج الى مراجعة ، ذلك انه اذا كان الاهداء الى الله يتحقق فيما يجرى الآن ، فان الشق الثاني منعدم تماما ، مما يحيل « مني » بعد الذبح الى صورة لا اظنها ترضي الله بأى حال .

وفضلا عن هذا وذاك ، فلا أعرف كيف يتمكن الحجاج من ترديد الأدعية المأثورة اثناء أداء المناسك بقلوب صافية وتوجه الى الله سبحانه ، بينما هم يتدافعون في صراع البقاء والاستمرار بأيد معروقة وانفاس مختنقة وصدور تئن من الالم والمعاناة . واذا كان مستحبا الا يبدأ المسلم صلاته قبل لحظات يستجمع فيها توجهه الى الله ويصرف عن ذهنه شواغل الدنيا ، فكيف يقبل في الحج نقيض ذلك تماما .؟

●

ولا اريد أن أخوض في التفاصيل حتى لا تشغلنا الجزئيات عن الكليات ، وحتى لا ابدى رأيا هو من شأن اهل الفقه والاختصاص . لكن ما قد يمكن ان نتفق عليه مبدئيا هو ان هناك « مشكلة » حقيقية ومتفاقمة تهدد الحج .

هذه المشكلة لها ثلاثة اوجه ، اولها يتعلق بالوظيفة ، والثاني يتعلق بالعدد ، والثالث يتعلق بالنوع .

ذلك انه من الثابت ان الدور المفترض للحج في حياة الامة الاسلامية أسقط من الحسبان ، لاسباب مبررة ومقنعة ، ناشئة عن حقيقة أنه لم تعد هناك أمة اسلامية ! فضلا عن أن علماء المسلمين هم في الأغلب موظفون لدى الحكومات ، ولقاؤهم في موسم الحج ، اذا تم ـ يظل دائما محكوما باطار علاقات الدول اتفاقا واختلافا ، الامر الذي ليس للاسلام فيه ناقة ولا جمل ، ولا يرجى منه خير أو أمل !

ومن الثابت أيضا أن الاماكن المقدسة أصبحت تنوء بجموع البشر الهائلة التي تفد اليها من كل أنحاء العالم الاسلامي ، والتعبير : جغرافي وليست له اية دلالة اخرى ـ وينبغي أن نسلم بأن للمكان « طاقة » ، اذا استوعبت حجاج المسلمين عندما كانوا ألوفا فمن غير المعقول أن يظل المكان ذاته مطالبا باستيعاب حجاج المسلمين بعد أن تضاعفت اعدادهم ولله الحمد ، وصارت بعشرات الملايين . ومهما كانت جهود التوسيع والامتداد التي تبذل ، فلا يمكن بأي حال أن تتم بنفس معدل تزايد الحجاج ومن المحزن أن عمليات التوسيع هذه تتم دائما على حساب مبان ومنشآت لها قيمة تاريخية لا تعوض ، اذ ان بعضها يرجع الى القرون الاولى للاسلام ، واغلبها كانت بيوت للصحابة عليهم رضوان الله . ولا بد من وسيلة للحد من هذه الاعداد المتزايدة ، حفاظا على حرمة الفريضة ، وحرمة الاماكن المقدسة ، بل وحرمة المسلمين

انفسهم . والاقتراحات عديدة في هذا الشأن ، وهي تتراوح بين وقف السماح بالحج للذين أدوا الفريضة من قبل ، او المرضى والعجائز« الذين لا يستطيعون اليه سبيلا » ، وبين وضع حد أقصى للحجاج يتفق عليه بين المعنيين بالأمر ، يقرره المؤتمر الاسلامي - مثلا - وتتولى كل دولة الالتزام بالحد الموضوع.

ومن ناحية ثالثة فان القادمين الى الحج - خصوصا من الدول الافريقية والاسيوية ، يفدون برغبة مخلصة في الامتثال لأمر الله سبحانه ، لكن اكثرهم قليل المعرفة بالاسلام ، ولا معرفة له على الاطلاق بمناسك الحج واركانه ، الامر الذي يفسد عليهم وعلى الآخرين حجهم . فضلا عن أنه يضاعف حجم المعاناة التي تؤذي الجميع . ولا بد من وسيلة لتوجيه هؤلاء وترشيدهم قبل الحج واثناءه .

وليت الحماس لحماية الحج ورد اعتباره يأخذ مظهرا أكثر جدية ، فتتم الدعوة الى مؤتمر يبحث مشكلات الحج ، على غرار مؤتمر المسجد او مؤتمر الدعوة الاسلامية ، او مؤتمر السيرة النبوية ، خصوصا وان مشكلات الحج اشد خطرا واكثر الحاحا ، واذا كان علماء المسلمين الآن ليسوا مؤهلين ، فضلا عن انهم ليسوا مفوضين بطبيعة الحال ، في بحث شئون الامة ، فقد يستطيعون ان يسهموا في انقاذ الحج مما آل اليه .

●

ثمة ملاحظات سريعة وأخيرة ، بعضها للايضاح وبعضها للعلم ، لكنها واجبة التسجيل : .

- ذلك أنني أرجو ألا اكون مضطرا لأن أذكر بضرورة التفرقة بين الحج والحجاج . وهذا جزء من التفرقة الواجبة بين الاسلام والمسلمين . بين القيمة وتطبيقاتها . وكما أن ما يؤخذ على المسلمين ينبغي الا يحمل على الاسلام ، فشتان بين الاثنين ، كذلك ينبغي الا نخلط بين الحج ذاته وبين الممارسات التي تتم اثناءه .

- ثم انني ادرك تماما أن الحج ليس نزهة ، وأن المشقة من طبيعة هذه الفريضة . لكن هناك مشقة لا بد منها ومشقة اخرى يمكن تجنبها ، فضلا عن أن الامر في بعض الاحيان لا يكون مقابلة بين مشقة ومشقة ، ولكنه يصبح اختيارا بين مشقة وهلاك !

- من ناحية أخرى فانه بعد تعذر تحقق الوظيفة الاولى للحج - منفعة عامة المسلمين - اصبح الامر مقصورا على اداء الممكن من المناسك والشعائر ، فانني اخشى ان يتحول الحج بمضي الوقت ليصبح في جوهره مجرد « عمرة » يؤديها عدد هائل من المسلمين ، في زمن معلوم ، وفي هذه الحالة قد يفضل الكثيرون أداء « العمرة » في وقت آخر وفي ظروف أكثر ملاءمة ، الأمر الذي قد يؤدي الى أن ينفرط عقد الفريضة .

- ثم اننا اذا القينا نظرة على الفرائض الخمس ، واكتشفنا كيف أفسد علينا الصيام حتى كاد أن يتحول من شهر للعبادة الى شهر للعبث ، ثم كيف ضيعت الزكاة في عصر صارت فيه بلاد المسلمين بين أغنى أهل الارض ، بينما عامة المسلمين اكثر الارض تخلفا وفقرا ، ثم هذا هو الحج يتعرض للاهدار عاما بعد عام .. اذا تأملنا هذه الصورة فسوف نكتشف أنه لم يعد باقيا من الفرائض غير الشهادتين والصلاة ، وان اسلامنا - أركانه ودعائمه الخمس هذه المرة - في خطر داهم .

والأمر كذلك ، الاترون معي ان الساكت عما يجري في الحج ، يكاد يصبح مثل الساكت عن الحق .. كلاهما « شيطان اخرس » ؟ !

■■

فتح دمشق

الاحد ١٥ رجب ١٤ هـ ٣ سبتمبر ٦٣٥

بقلم: احمد عادل كمال

■ سارت جيوش المسلمين لفتح الشام لتخوض معارك الفتح معركة تلو اخرى حتى جاءت الى مدينة دمشق. ولقد كانت دمشق هي مقصد الفتح ووجهته من باديء الامر حتى يمكن ان نطلق على عملية فتح الشام عنوان « الطريق الى دمشق ».

حاصر المسلمون دمشق فبعث الروم جيوشهم جنوبا الى فلسطين، فانسحب المسلمون من حول دمشق لملاقاة عدوهم هناك، في اجنادين ثم عادوا الى حصار دمشق، ومرة اخرى ارسل الروم جيوشهم الى بيسان بالاردن فعادت جيوش المسلمين لملاقاتهم هناك بين فحل وبيسان، ثم رجعت لتحاصر دمشق فالتقت بجيوش الروم عند مرج الصفر جنوبي دمشق ايضا فهزمتها ثم احكمت قبضتها على دمشق حتى تم فتحها.

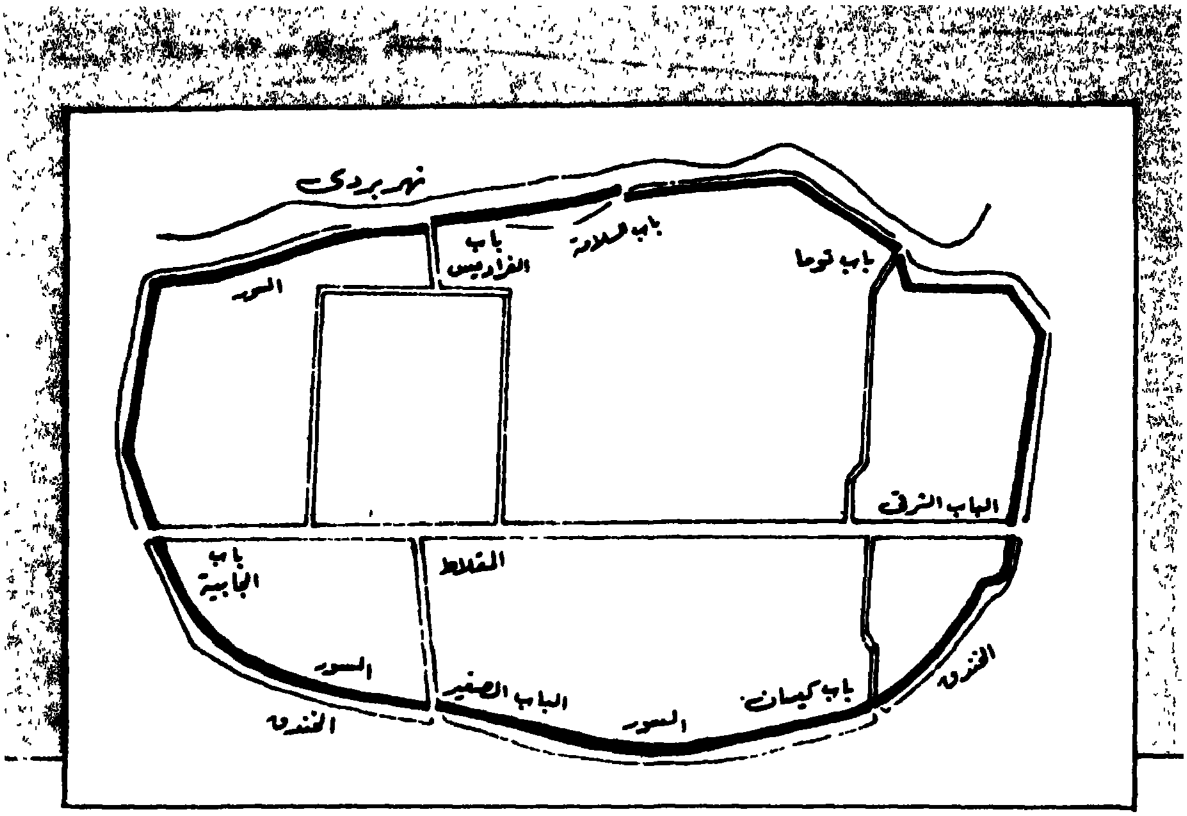
كان يحيط بدمشق سور من جميع جهاتها بناه الروم فيما بين عام ١٠٥ ـ ٢٩٥ م، ارتفاعه نحوا من عشرين قدما (يعني ارتفاع بيت من طابقين تقريبا) وسمكه خمسة عشر قدما وكان عليه ابراج بارزة مربعة الشكل يبعد كل برج عن الذي يليه ٥٠ قدما تقريبا. وكان مبنيا بالحجارة الضخمة وصفحت ابوابه بالحديد.

وقد جاء في احداث الفتح ذكر ستة ابواب هي الباب الشرقي وباب توما وباب الفراديس وباب الجابية والباب الصغير وباب كيسان (وكان يعرف بباب يونس) وكان يحاذي سور دمشق من خارجه خندق يتصل بنهر بردى فيمتلىء بالماء ليزيد من حصانة الاستحكامات، وعلى من يريد مهاجمة السور ان يعبر الخندق اولا.

حاصرت جيوش المسلمين بقيادة ابي عبيدة بن الجراح دمشق اربعة اشهر، واعتصم المدافعون بالاسوار لتنظارا للمدد وكسر حدة اندفاع الهجوم، يراودهم الامل انه ـ كالحصارات السابقة ـ لا يلبث هرقل ان يبعث جيشا من جيوشه هنا او هناك، فيجبر المسلمين على الانصراف الى لقائه، ولكن المسلمين ضيقوا على المدينة وشنوا الغارات على ما حولها حتى استولوا على غوطة دمشق فكانت مصدرا لتموينهم بما حوت من تين وزيت وزيتون وحدائق غلبا وفاكهة وأبا.

على ابواب دمشق

ونزل خالد بن الوليد بجيشه على الباب الشرقي حيث اعتاد ان ينزل في كل حصار سابق بين الباب وبين



دير للنصارى على مسافة ميل منه كان يعرف بدير صليبا ، ونزل عمرو بن العاص على باب توما ، ونزل شرحبيل بن حسنة على باب الفراديس ونزل ابو عبيدة على باب الجابية غربي دمشق . ونزل يزيد بن ابي سفيان جنوبي المدينة على الباب الصغير وباب كيسان . واقام ابو الدرداء في قوة عند قرية برزة بسفح جبل قاسيون على طريق حمص ، كما قام ذو الكلاع الحميري على حوالي ٤٥ كيلو مترا من دمشق على طريق بعلبك ، حتى يقطعا الطريقين على قوات الروم ان حاولت الاقتراب .

وكان ابو عبيدة احب الى الروم من خالد بن الوليد وذلك للين ابي عبيدة وغلظة خالد عليهم في الحرب ، ولكن شعب دمشق من غير الروم كانوا على صلة بخالد عن طريق اسقفهم حيث كان قد تقدم الى خالد بالتحية واخذ منه عهدا يوم هبط خالد من العراق اول قدومه الشام ، فتوددوا الى خالد وتودد اليهم .

هذا التباين بين الروم واتجاه نصارى دمشق كان وراءه اضطهاد الروم لاهل البلاد بسبب اختلافهم في المذهب الديني ، فقد تطورت المذاهب المسيحية حتى صار المذهب الكاثوليكي هو المذهب الرسمي للرومان منذ اواسط القرن السادس . وكان اصحاب المذهبين اليعقوبي والنسطوري من اهل البلاد عرضة للاضطهاد والمطاردة من جانب السلطة .

ووجد اهل الشام في الاسلام سماحة تسمح لهم باعتناق ما يشاءون دون ضغط او اكراه (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ، ومن هنا تباينت المشارب واختلفت بين الروم الحاكمين والاهالي المحكومين . كان هم الروم أن يجبروا اهل الشام على اعتناق مذهبهم وكان هم هؤلاء ان يدينوا بمذهبهم ويتمسكوا به .

وحدث ان ولد لبطريق الروم على دمشق (القائد الرومي) مولود سر به ، فاقام احتفالا كبيرا واولم وليمة لحامية المدينة المحصورة فاكلوا وشربوا وغفلوا عن مواقعهم من الحراسة ، فقد كانوا مطمئنين الى حصانة استحكامات مدينتهم ولم يخطر على بالهم ان يتمكن المسلمون باى وسيلة من كسرها عنوة .

وجاءت عيون خالد من اصحاب الاسقف يخبرونه الخبر من وراء الاسوار . وكان خالد قد اعد درجا (سلالم) من الحبال تنتهي باوهاق (حلقات مما يدلنا ان

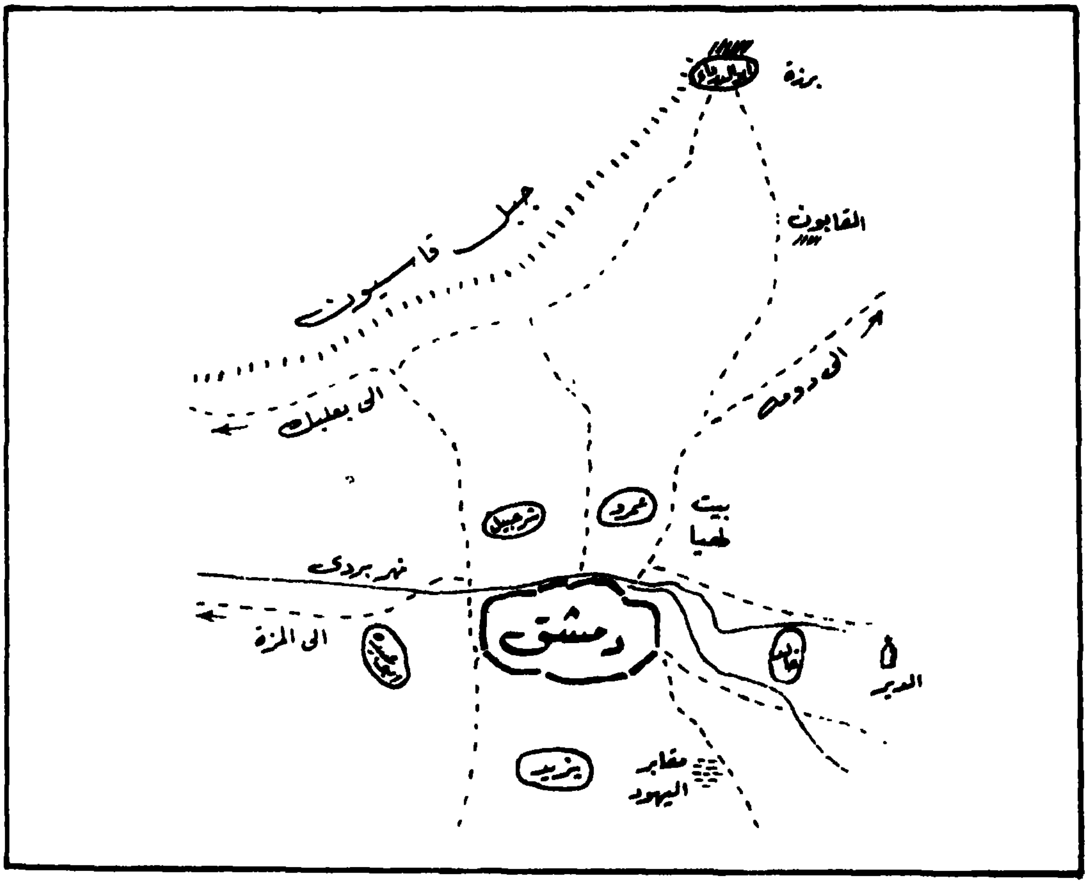
الفكرة كانت مبيتة عند خالد ولكنه كان يتحين الفرصة لانفاذها .

واقترب خالد بجنوده من المدينة ، ثم تقدم هو وأشد من معه وعبروا الخندق سباحة على قرب منفوخة وكان ذلك في احصن موقع واعرضه خندقا ، وراحوا يقذفون بالحبال الى اعلى السور حتى اشتبك وهقان فتسلقها القعقاع بن عمرو التميمي ومذعور بن عدي العجلي فالقيا مزيدا من الحبال باعلى السور ، وتتابع المسلمون في صمت وسكون على التسلق في حين اتجه جانب اخر نحو الباب . ثم انحدر الذين تسلقوا السور الى الداخل ومعهم خالد وقد ترك من جنده باعلى السور من يحمي هذا المعبر ، وما زالت حامية دمشق في طعامها وشرابها واحتفالها لا تشعر بهذا الامر الخطير حتى امر خالد جنوده فكبروا من فوق الاسوار وهاجمهم فيمن معه حتى فتح الباب الشرقي وتدفق من خلاله من كان خارجه ، وبدأت معركة دمشق في شوارع دمشق ، وتسارع جند الروم الى مواقفهم ولا يدرون حقيقة الخبر وقد اخذتهم المفاجأة اخذا .

ورأت قيادة الروم أن الباب الشرقي قد اقتحم عنوة وان المعركة تدور تجاهه من داخله فقررت طلب الصلح على الفور طلبوه من ابي عبيدة الرابض تجاه الجابية قبله ، وفتحوا ابوابهم جميعا وتدفقت من خلالها جيوش المسلمين حتى التقوا جميعا بوسط المدينة عند سوق الزيت بحي المقسلاط ، وكان الاسقف يسير مع خالد ناشرا كتاب الامان الذي كتبه له . دخل خالد عنوة يعمل السيف فيمن يعترض طريقه ودخل ابو عبيدة وسائر الامراء سلما وصلحا .

صلح دمشق

كتب خالد بن الوليد كتاب الامان للاسقف عن شعب دمشق ، واقر ابو عبيدة بن الجراح الكتاب باعتباره القائد العام . ذلك الكتاب يتضمن لاهل دمشق ما يلي : الامان على الدماء ـ الامان على الاموال ـ الامان على الدين والكنائس من ان يسكنها المسلمون او ان يهدموها . « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطي خالد



بن الوليد اهل دمشق اذا دخلها ، اعطاهم امانا على انفسهم واموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم ... »

اما الصلح مع الروم فقد تم بينهم وبين ابي عبيدة ، ولم نعثر بشأنه الا على نص واحد غير مقبول عندنا لاكثر من سبب . ولم يكن على صيغة كتاب من ابي عبيدة الى الروم وانما جاء في شكل كتاب من الروم الى ابي عبيدة يشرطون فيه شروطا على انفسهم .

واول ما يستلفت النظر في الرواية ان سندها الوحيد الذي ذكرها سند متهافت خرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٥٠٤/١ قال : قرأت على ابي القاسم الخضر بن الحسين بن عبدان ، عن القاضي ابي عبدا لله الحسن بن احمد بن عبد الواحد (نجهله) انا ابو المعمر المسدد بن علي بن عبدا لله الاملوكي « فيه تساهل » ، انبا ابي (نجهله) انا ابو القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضي (نجهله) ، انا عبد السلام بن العباس بن الزبير (نجهله) انا ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عفير (نجهله) عن عمه زرعة بن السفر (نجهله) ، عن ابي مخنف (ضعيف) ، حدثني محمد بن يوسف بن ثابت (نجهله) ، عن عباس بن سهل بن سعد (نجهله) هؤلاء المجاهيل قد بحثنا عنهم في نحو من ثلاثين من اهم مراجع الرجال فلم نعثر على ذكر ، وقد قلنا نجهلهم ولم نقل مجهولين تحرزا ان يكون لاي منهم ذكر في مرجع لم نطلع عليه .

ولقد اشتمل النص - وهو نص طويل - على امور غير مقبولة ولا معقولة مثل « ونقوم لهم (للمسلمين) من المجالس اذا ارادوا المجالس » فلا نعقل ان يكون ذلك شرطا من شروط الصلح ، ومثل « ولا نعلم اولادنا القرآن » فانه يناقض ما خرجت جيوش المسلمين من اجله فهل كان ابلاغ كلام الله هو الرسالة او منعه وكتمانه ؟ ومثل قولهم « ولا نظهر شركا في نادي المسلمين » وما نحسب الروم يقرون على انفسهم بالشرك وانما كانوا يرون الايمان في انفسهم ! ومثل « ... ولا نمنع كنائسنا من المسلمين ان ينزلوها » اذ من المعلوم ان النصارى لا يمنعون احدا من دخول كنائسهم .... الخ .

مقارنة بين النصوص

فاذا قارنا بنود هذه المعاهدة بنصوص المعاهدة التالية لها مباشرة وهي صلح بعلبك لتأكد عدم صحة هذه البنود . « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب امان لفلان ابن فلان ، واهل بعلبك رومها وفرسها وعربها ، على انفسهم واموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها وعلى ارحائهم وللروم ان يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلا ولا ينزلوا قرية عامرة ، فاذا مضى شهر ربيع وجمادى الاولى ساروا الى حيث شاءوا ، ومن اسلم منهم فله مالنا وعليه ما علينا ، ولتجارهم ان يسافروا الى حيث ارادوا من البلاد التي صالحنا عليها ، وعلى من اقام منهم الجزية والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيدا .

نص صريح في مقدار المساحة التي اعطى بها هذا الصلح ، يسمح المسلمون لرعايا عدوهم الذي ما زال في حالة حرب معهم ان يرعى دوابه وماشيته الى مسافة خمسة عشر ميلا ، وان يمهل من اراد الجلاء منهم شهرين ليجلوا ويسمح لتجارهم بالتجول في البلاد التي تم فتحها ، فكيف نسيغ ان يجيء هذا النص على ما ذكرنا وصلح دمشق على ما ذكرت تلك الرواية الوحيدة .

هذا ويبدو انه وقع خلط عند بعض الرواة بين الصلحين - صلح اهل دمشق وصلح الروم بدمشق - يقول البلاذري « وزعم الهيثم بن عدي ان اهل دمشق صولحوا على انصاف منازلهم وكنائسهم » ولكن الواقدي يقول « قرأت كتاب خالد بن الوليد لاهل دمشق فلم ار فيه انصاف المنازل والكنائس . وقد روى ذلك ولا ادري من اين جاء به من رواة ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من اهلها بهرقل وهو بانطاكية فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون » . ونرى تعليل الواقدي سليما وصحيحا .

بعد فتح دمشق اقام بها المسلمون حتى انقضى الشتاء فسلكوا البقاع وفتحوا بعلبك ثم كان هدفهم التالي مدينة حمص . ■■

احمد عادل كمال

عندما تمرض عضلات الجسم



بقلم الدكتور [illegible] ابو [illegible]

■حتى عضلات الجسم [illegible] عليها [illegible] في سن التيخوخة فقط [illegible] عمر الشباب ايضا • وهي عديدة تلك الامراض [illegible] عضلات الانسان [illegible] وتبلغ ذروتها بمرض العضلات الخبيث ، بينما تكون في [illegible] حالاتها وابسطها عندما تصاب [illegible] العضلات بالالتهاب الذي يعرف باسم « الروماتيزم » •

وقد شاءت الاقدار ان يصاب المرحوم [illegible] رئيس تحرير مجلة « العربي » الراحل بذلك المرض الخبيث ، وشاءت الاقدار ان [illegible] السنوات العشر الاخيرة من عمره • وقد رايته وهو يعاني من آثار ذلك ، [illegible] مؤمنا لواءه الذي [illegible] له حياته ودمه ، متفانيا في خدمة الوطن العربي •

ولا زلت اذكر ، عندما زرته ذات يوم [illegible] من فراشه و[illegible] يقلب اوراق بعض كتبه ، ثم عاد وجلس امامي وكتب بالحروف اللاتينية Myast[illegible] [illegible]avis ثم قال : اعتقد انني مصاب بهذا المرض

وكان رحمه الله صادقا في تشخيصه •• [illegible] ضحية هذا الداء الخطير :مرض العضلات الخبيث او المميت •

مرض العضلات الخبيث

وهو مرض يصيب [illegible] من عضلات الجسم [illegible] حيث تظهر عليه علامات [illegible] [illegible] اخرى ••• وهكذا •• ويصاب [illegible] المرض ان مجموعة العضلات المصابة يصيبها [illegible] بسرعة •• فاذا اصيبت عضلات العينين [illegible] العضلات لا يمكنها القيام بوظيفتها ، فيرى [illegible] الشيء شيئين عندما تجهد هذه العضلات ، ولا يتمكن من البلع او مضغ الطعام لفترة طويلة عندما تجهد العضلات المختصة بهذا المرض •• ويتجمع اللعاب بالفم فيبصقه المصاب ، وتتكررهذه العملية بكثرة • واذا ما اصيبت العضلات المختصة بالكلام نراه يعجز عن التعبير عما يدور بخاطره ، [illegible] مصاب « بخنق » شديد ،فتاتي الكلمات [illegible] وفي الحالات الشديدة لا يفهم [illegible] شيئا مما يقوله المريض •

[illegible] اذا اصيبت عضلات الرقبة نجدالمريض لايمكنه [illegible] يبقى عنقه [illegible] فيسقط رأسه الى الامام، ويضطر ان [illegible] فيرفعه الى اعلى •

وتتاثر الا[illegible] [illegible] بنسبة اعلى من الاطراف السفلية ، فنجد [illegible] يشكو اولا من انه لا يمكنه ان يرفع يديد [illegible] ليمشط شعره ، وفي الحالات الشديدة [illegible] من رفع يديه الى فمه ليتناول طعامه • واذا ما اصيبت عضلات الحنجرة وعضلات القفص الصدري ، والحجاب الحاجز اثر ذلك كثيرا على التنفس [illegible] ربما تكون مميتة بسبب توقف عملية التنفس

وفى بداية المرض يكون ضعف العضلات عند الاجهاد فقط ٠٠ ويمكن للجزء المصاب ان يستريح ثم تتحرك العضلات ، ولكنها سرعان ما تجهد مرة ثانية ، دون انتتمكن من القيام بوظائفها ٠٠وعندما يستمر المرض فترة طويلة بسبب الشلل العام لهذه العضلات مما يسبب اصابة عضلات التنفس بالشلل ايضا فتكون الوفاة ٠

السبب غير معروف

والسبب فى هذا المرض غير معروف على وجه التحديد ، لذا وضعت نظريات عديدة ، منها ان ان مادة الاستيل كولين Acetyl Choline التى تخرج من نهاية العصب الواصل الىالعضلة تتعرض لمؤثرات تضعفها وتكسرها تدريجيا حتى تنعدم ، وبذلك تتوقف العضلة عن الاستجابة للعمل بعد ذلك ٠٠ اما هذه المؤثرات فربما كانت زيادة نشاط الانزيم « كولين استيريز Choline esterase التى تكسر مادة الاستيل كولين ٠ ولعل ذلك ناتج من خروج مادة صماء تعرف بالثيمس Thymus ولكن لانه لوحظ انها تتضخم او يظهربها ورم فىهذا المرض ٠٠ والبعض يعتقد ان هذا المرض ناتج من مادة من داخل الجسمنتيجة لتفاعل داخلة ٠٠واعتبر المرض منامراض Auto immune idisbases اى مرض ناتج من ظهور مواد بالجسم تؤثر على اجزاء فيهوتسبب امراضا ٠

وبرغم كل هذا التقدم فى البحث فى كنه هذا المرض ، لم يوجد الدواء الناجع للقضاء عليه ، الا انه فى بادى الامر تعطى علاجات تؤثر على انزيم الكولين استيريز الذى يهدم مادة الاستيل كولين ، ومن هذه العلاجات مشتقات البروستجمين المختلفة ، ثم فى بعض الحالات تجرى عملية لازالة غدة الثيمس Thymus ٠

ولكن هذا يؤثر على تحسن الحالة بعض الوقت، ولكن حالة المريض تتردى فى نهاية المطاف ، ولا يجدى اى علاج ٠

ومن الملاحظ ان هذا المرض بالعضلات يصيب الرجالوالنساءمعا٠ولوان نسبتهفىالنساءاعلىمنها فى الرجال ، ويكثر حدوثه فى السن ما بين ٢٠ ــ ٥٠ سنة ٠٠ ولكنه من الممكن ان يصيب الانسان ما بين سن ٣٠ ــ ٧٠ سنة ٠٠ وتختفى اعراض المرض لفترة طويلة ، ويستعصى تشخيص المرض فى بادىء الامر لعدم قدرة المصاب على وصف حالته ، حتى انه يظن بان ما يعانيه انما هو ناتج عن اضطراب نفسى ، او اجهاد عضلى ، او غير ذلك من الاسباب التى لا تمت بصلة الى المرض ٠ ويشخص المرضبعد فوات فترة الى انتظهر اعراضه واضحة او تعمل الفحوصات التى تدل عليه ٠

المرض غير الخبيث

وعلى الجانب الاخر نجد ان مرض العضلات غير الخبيث هو الاكثر شيوعا ، ومن منا لم يصب بالم فى عضلة من عضلاته ، وهو ما يعرف باسم (الروماتيزم) وفى هذه الحالة يحدث التهاب فى الانسجة الضامة بالعضلات وحولها مما يسبب الآما حادة او اقل من الحادة اومزمنة فىالعضلة المصابة، وينتشر هذا الالم فى العضلات المجاورة ٠ ويكون حادا فى بعض الحالات حتى لا يمكن للمصاب مثلا ان يحرك راسه عند اصابة عضلات رقبته ، او ان يحرك طرفا من اطرافه ، او الانحناء او تحريك ظهره يمنة ويسرة لتيبس هذه العضلات المصابة ٠ وعند اصابة عضلات القفص الصدرىيشعر الانسان بالآلام فى اماكن مختلفة من الصدر متنقلة ، يظن البعض ان ذلك مرض بالقلب اذا كانت العضلات المصابة فى الناحية اليسرى من الصدر ٠

ويرجع السبب لالتهاب العضلات الى عوامل عدة منها اصابة الاغشية التى بالعضلة باصابات طفيفة او بالغة تخلق فى العضلة بؤرة حساسة ينتشر منها الالم فى اماكن مختلفة من العضلة المصابة الى العضلات المجاورة ٠او ان هذا التيبسبالعضلة يرجع الى اصابة العصب الذى يغذى العضلة ٠

وفىبعض الحالاتيرجع السبب الىتعرضالعضلات للبرودة الشديدة ، او تيارات الهواء الباردة ، كما يحدث ذلك فى الشتاء او حتى فى الصيفعندما يتعرض الشخص لتيارات المكيفات او المراوح المختلفة التى تستعملفى تلطيف الجو ٠ وكذلك فان انتقال الشخص من جو شديد الحرارة الى آخر شديد البرودة يعرض عضلاته لمثل هذه الآلام الشديدة ٠

وكذلك فان وجود بؤرات ملتهبة فى الجسم يساعد على استعداد عضلاته لمثل هذا الالتهاب ، كما هو الحال فى المصابين بالتهاب مزمن باللوزتين

او الاسنان او المجارى البولية ،لذا كان من الواجب البحث عن هذه البؤر عند علاج مثل هذه الحالات •

ولقد وجد انه فى بعض الحالات يكون هناك نتوء فى الياف العضلات المصابة ، مع وجود بروز دهنى من الاغشية المحيطة بها مما يسبب هذه الآلام •

ولقد لوحظ كذلك ان اصابة مثل هذه العضلات يكون منتشرا فى بعض العائلات مما يشير الى ان هناك اسبابا وراثية تكمن فى العضلات المصابة تظهر عند تعرضها لاسباب اخرى •

مثل هذا المرض الطارىء او المزمن بالعضلات يحتاج الى معرفة الاسباب التى ادت اليه واستئصالها ان امكن او معالجة هذه الاسباب ، ثم ان الالم بها تخف حدته بتعاطى المسكنات فى هذه الاحوال وأهمها مركبات تحتوى على حامض السلسيليك مثل الاسبرين وكذلك تقل حدة المرض بتدفئة العضلة المصابة او تدليكها ودهنها بالدهن الخاص الذى يلطف من الآلام ويساعد على زوالها •

وعضلات الصدر ايضا

وتجدر الاشارة هنا الى مرض يصيب عضلات الصدر التى بين الضلوع وتسبب آلاما مبرحة حتى انه لو اصابت هذه الآلام اعلى البطن لاختلط على الاطباء تشخيص المرض ، وربما فتح البطن خوف حدوث اسباب جراحية للاسراع فى معالجتها ، ولكن يتضح بعد ذلك انه كان راجعا لالتهاب العضلات ، ومما يسبب صعوبة تشخيص المرض انه يكون مصحوبا بارتفاع فى درجة الحرارة ، ويعانى منه الاشخاص فى السن ما بين العاشرة والثلاثين، وتستمر الآلام الى بضعة أيام ربما قاربت الاسبوع، ثم يبدأ فى التحسن والتلاشى دون ان يترك وراءه اية مضاعفات ،وعلاج مثل هذه الحالة يكون بتعاطى المسكنات الى ان يشفى المريض •

اهمية التنفس الاصطناعى

وهناك امراض تصيب العضلات ، ولا يعرف الى الآن كنهها ولا سببها ، فيحتار المريض ويحتار الطبيب معه •• وهذه الامراض تعرف بامراض تآكل او ضمور العضلات ، ومعظمها وراثى • ويحدث فى صغار السن ، فنجد مجموعة من العضلات ربما تكبر وتتضخم فى بادىء الامر لوجود مواد دهنية بين اليافها • ومع انها ضخمة الا انها ضعيفة ثم تتلاشى هذه المواد الدهنية وتضمر العضلة ويزداد ضعفها • وقد اعطى لهذه الأمراض اسماء مكتشفيها ، فربما اصابت عضلات الوجه مع عضلات الرقبة والكتف ، او تصاب عضلات الكتف والصدر والذراع من اعلى وفى بعض الاحيان تصاب عضلات الاطراف من اسفل الذراعين او اسفل الساقين •• ويستمر المرض لسنوات عدة الى درجة لا يقوى المريض معها على الحركة ، فيضطر فى النهاية الى ان يصبح قعيدا اسيرا الفراش لا يقوى على شىء ، وربما اصيب فى نهاية الأمر بالتهاب رئوى سبب له الوفاة •• ومع ان الطب يتقدم فما زلنا نجهل كنه هذه الامراض ، وما زلنا نتخبط فى علاجها دون وصول الى اصلها ومعرفة كنهها ، وكل مايعطى للمريض هو مقويات تساعده على ان ينشط بعض الشىء وعلاج المضاعفات عند حدوثها •

ولعل من اغرب امراض العضلات ايضا ذلك المرض الذى يسبب ضمورا فى العضلات وفى الوقت نفسه يسبب تقلصات شديدة بها تستدعى الجهد الشديد ليتغلب المريض على ارتخاء هذه العضلات والقيام بوظائفها • وهى ايضا لها علاقة بالوراثة ، وبعضها يكون مصحوبا بضمور فى الخصى وعتامات بعدسة العين والبعض الآخر لا يحدث فيه ذلك • ولعدم معرفة كنه هذا المرض ايضا نجد الطب يتخبط فى علاجه دون ما جدوى ، اللهم الا اعطاء ادوية تساعد على ارتخاء هذه العضلات حتى لاتحدث بها تشنجات شديدة تمنع المريض من الحركة ،وياخذ المرض مداه ، وربما امتد الى سنوات وسنوات بل وربما اثر على المريض مرض آخر من شانه ان يودى بحياته،وليس له علاقة بمرض العضلات الذى يعانى منه •

امراض تصيب الياف العضلات

امراض العضلات التى تحدث نتيجة لالتهاب فى بعض الياف العضلات والتى تعرف باسم Collagen diseases

وتكون مصحوبة بآلام شديدة فى العضلات مع ارتفاع فى درجة الحرارة ، وربما اصيب الجلد

فوق العضلة مع تقلصات شديدة به ، ثم يحدث ضمور فى العضلات تدريجيا ، وربما امتد المرض الى العضلات غير الارادية فى الامعاء وغيرها ، وسببت اعراضا لها علاقة بالاعضاء التى تصيبها، ولهذا السبب كان الخطر دائما يكمن فى مثل هذه الامراض • وتتحسن حالة المريض بعض الوقت ليقابل نكسة اخرى ، وهكذا •

ولقد وجد ان المريض يستفيد باعطائه مركبات الكرتيزون وغيرها بعض الوقت ، ولكن سرعان ما يتوقف مفعول هذه المركبات ، ويضطر المريض الى ان يأخذ كميات كبيرة منها دون حدوث الفائدة المرجوة ، او ربما يطل مفعولها وزادت مضاعفات المرض وأودى بحياة المريض •

مرض تراخي العضلات

وهناك مرض غريب ايضا يصيب العضلات فى بعض العائلات ، ويحدث ذلك على فترات ، وربما لفترة قصيرة او طويلة حسب كل حالة ، فيجد المريض نفسه لا يقوى على الحركة ، ويصاب بشلل فى عضلات جسمه ، وبعد فترة يستعيد المصاب الحركة لتعاوده من آن الى آخر • فى بعض هذه الحالات وجد ان مادة البوتاسيوم تقل فى المصاب ، وباعطائه البوتاسيوم تتحسن حالته بسرعة ويمكنه الحركة ، مع ابتعاد المريض عن الاسباب التى تؤدى الى هذا الشلل الوقتى كالاجهاد ، او التعرض للبرد الشديد ، او تعاطى كميات كبيرة من الحلوى او الجوع الشديد ، او الاضطرابات النفسية •

وفى الحالات التى تصاب فيها عضلات التنفس يحتاج المصاب الى تنفس اصطناعى لبعض الوقت الى ان تعود الحركة للعضلات وتستمر هذه النوبات الى سن ٢٠ ـ ٣٠ ثم تبدأ فى الاختفاء وفى بعض الحالات ربما استمرت النوبات الى سن الخمسين او الستين ، وتستمر النوبة من ١٢ ـ ٢٤ ساعة ، وتتأثر السيقان اكثر من الذراعين ، ويصل الشلل الى اقصى مداه فى حوالى ساعة ، ثم تبدأ الحدة فى النقصان الى ان تنتهى النوبة ، ويعود المريض الى حالته الطبيعية ، وكان شيئا لم يحدث ، لتعاوده بعد فترة من الزمن •• ويكون حدوثها عادة فى الصباح عندما يبدأ المريض فى الاستيقاظ ، فنجد انه لا يمكنه ان يحرك اطرافه •

تأثر العضلات بسبب الأمراض الاخرى

وهناك امراض تصيب العضلات عندما يصاب الجسم بامراض اخرى ، فتنعكس هذه الامراض، وتسبب ضعفا فى العضلات او حتى ضمورا بها كما هو الحال فى امراض الغدة الدرقية •• او شلل الاطفال ، وانواع اخرى من الشلل التى تصيب الجسم والتهاب المفاصل المزمنة ، وما يتبع ذلك من ضمور فى العضلات حولها لقلة استعمالها ، والالتهابات التى تصيب الاعصاب كما هو الحال فى مرض البول السكرى ، وفى بعض السرطانات ، وغير ذلك من الامراض المختلفة ، وعلاج مثل هذه الحالات يتوقف على علاج السبب ـ ان امكن ـ الذى سبب حدوث هذا الضعف او الضمور فى العضلات •

على ان هناك امراضا عديدة تصيب العضلات، آثرت ان لا اتعرض لها لكثرتها ، ومنها على سبيل المثال الاورام التى تصيب العضلات •• وذلك حتى لا يقع القارىء فى متاهات هذه الامراض ، ويظن البعض كما هى العادة ، انه يعانى منها ، فهى صعبة التشخيص لاول مرة ويحتاج تشخيصها الى فحوصات عدة منها ، المخبرية او الشعاعية ، وحتى ذلك ربما لا يكفى وربما احتاج الامر لاستعانة بالاجهزة الكهربائية او حتى اخذ عينة من العضلة وفحصها •

واحب ان انوه هنا قبل ان اختتم مقالى ، اننى لم اتعرض الى واحد من اكثر امراض العضلات انتشارا الا وهو الناتج من اصابات العضلات وتعرضها للشد ، او الالتواء ، او حدوث تقطع بها ، فهذا من اختصاص المختصين فى امراض الحوادث والاصابات •

هذه هى بعض امراض العضلات اضعها امام قارىء « العربى » ، راجيا ان لا يطبقها على نفسه او ان ينصب نفسه خبيرا ويشخص المرض لغيره ، فياحبذا لو رد الشيء الى اصحابه ـ كما يقولون ـ لابداء الرأى السديد ، والعلاج السليم قبل فوات الاوان • ■■

د • محمد محمد ابو شوك

العاطفة عند الغزالي

محبة الله ومحبة الأخوة

بقلم : الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريده

كان الامام الغزالي رحمه الله بطلا من أبطال الفكر بمعناه المطلق ، لكن دراسة أبي حامد للنفس الانسانية وأخلاقها وخلجاتها في شتى أحوالها وللمشاعر في مجال العلاقات الانسانية الخاصة ، كما تتجلى في حياة الأسرة ، والعامة كما تتمثل في آداب الأخوة والألفة والصحبة والمعاملة مع جميع الناس ، تدل على علم وتذوق لحياة القلب والروح من طراز فريد .

وآثار فيلسوفنا وتطور مجرى حياته ومواقفه فيها توحي للمتأمل أنه كان مرهف الحس ، لكنه كان إنسانا متوازنا في نفسه بين ما يقضي به العقل وبين حاجات العاطفة الانسانية .

واذا كان « حجة الاسلام » قد ترك التدريس في « المدرسة النظامية » ، أكبر معاهد العلم في ذلك العصر ، رغم ما كان له فيها من شأن وما أصابه من نجاح ، وخرج من بغداد ، تاركا الاهل والولد أيضا ، فانه فعل ذلك تحت وطأة عاطفة لا تقاوم من شوق الروح الى اليقين والسكينة والاطمئنان إلى حياة وأعمال خالصة من شوائب الحياة الدنيا وغاياتها .

ورجع أبو حامد الى وطنه ، هادىء النفس ، وقد تخلص من أزمة وقوف الروح بين جوانب الدنيا الزائلة ودواعي الآخرة وحياة الابد . فلما دعاه الوزير ضياء الملك بن نظام الملك ، عام ٥٠٤ هـ ، الى معاودة التدريس في النظامية ، كان مما اعتذر به أن له تلاميذ وجلساء من « أرباب القلوب » ، الفقراء المتورعين ، لا يحب أن يحرمهم من رعايته وارشاده ويتركهم بقلوب مجروحة .

وهكذا توجت حياة المفكر الكبير بالعاطفة الرقيقة وتكاملت أخلاق روح متوثبة نادرة المثال .

ويتجلى شأن العاطفة عند حامد في ميادين شتى ، من أهمها :

ـ المحبة ، محبة الله وحب الجمال في مظاهره السامية .

ـ تذوق جمال الأصوات والانغام والألحان .

محبة الله

في المجلد الرابع من « إحياء علوم الدين » يتكلم الغزالي في محبة العارفين لله تعالى وشوقهم إليه وأنسهم به ورضاهم بما يصنعه بهم . وهو يشرح كل هذه المفهومات والمشاعر شرحا وافيا ، فيه تحليل رائع وعمق وغزارة في المادة ودلالة على أن أبا حامد قد عرف ما يتحدث عنه ذوقا روحيا عميقا ، لا مجرد معرفة لفظية .

يبتدىء أبو حامد كلامه بوصف حال المحبين لله وبيان علو مقام المحبة للهوأنها « الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها ، كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها ، كالتوبة والصبر والزهد وغيرها » .

ثم يرد فيلسوفنا على بعض العلماء الذين ينكرون إمكان محبة الأنسان لله ، زاعمين أنه « لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله » وأما حقيقة المحبة فهي مستحيلة في حق الانسان إلا مع من هو من جنسه ومماثل له . فلما أنكرواالمحبة أنكروا توابعها من الشوق والأنس ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب .

ومن الطبيعي أن يحب الانسان خالقه حبا يليق به تعالى ، وقد دعى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الى مَحبة الله ومحبة الانسان . وقد أكد القرآن المحبة بين الله والانسان ، كما أكد ذلك حديث الرسول ﷺ . أما أبو حامد فهو يجعل المحبة موضوع كتاب برأسه من كتب « الاحياء » ، ويفصل الكلام في حقيقة المحبة بمعناها المطلق ، وأسبابها ، وأنه لا يستحق المحبة بمعناها الحقيقي إلا الله ، ويبين أن أعظم اللذات النظر الى ذات الله ، ويشرح الأسباب التي تقوى المحبة لله ، ومعنى محبة الله للانسان ومحبة الانسان لله ، وكل ما يقترن بذلك من أحوال ومفهومات ، شرحا شافيا يحرك أعظم العواطف على أساس من المعرفة وتصور الفكر .

وبعد أن يذكر أبو حامد شواهد الشرع على حب العبد لله وشيئا من كلام أهل المحبة ، ويشرع في بيان حقيقة المحبة وأسبابها ، على أصول وأسس يرتبها ·

أولا : فيبتدىء بتعريف الحب بأنه عبارة عن « ميل الطبع الى الشيء الملذ ، فإن زاد ذلك الميل وقوى سمي عشقا » ، ويعرف البغض بأنه عبارة عن « نفرة الطبع عن المؤلم المتعب ، فإذا قوى سمي مقتا » .

والمحبة لا يمكن تصورها إلا على أساس من المعرفة والادراك ، ، وهما لا تكونان إلامن كائن حي يتصور ويشعر ، فلا يتصور أن يصدر الحب عن جماد . وهنا يخالف أبو حامد الفلاسفة الذين تكلموا عن عشق المادة للاله ، كما زعم أرسطو وابن سينا بعده .

ثانيا : إذا كان الحب ناشئا عن الادراك والمعرفة فهو ينقسم بحسب القوى المدركة وموضوعات إدراكها .

وللانسان حواس خمس ، لكل منها موضوع تدركه ولذة ببعض ما تدرك ، فتحبه وتميل اليه بطبعها : فلذة العين في الابصار ورؤية الصور الجميلة ، ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة ...

والى هنا يكون « حجة الاسلام » قد قرر وجود جمال محسوس يلتذ به عضو الحس ، وهذا أحد الآراء في التجربة الجمالية .

لكن للانسان حسا سادسا « مظنته القلب ، لا يدركه إلا من كان له قلب » ، وقد يسمى « العقل » أو « النور » ، أو « البصير الباطنة » ، وهو يدرك أمورا معنوية لا تدركها الحواس ، منها الأمور الالهية . ويقول الغزالي « إن البصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر ، والقلب أشد إدراكا من العين ، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار » ، ويريد أبو حامد من ذلك أن يبين أن حب الله أمر ممكن يدركه القلب ، وأن لذة القلب بما يدركه من الأمور الالهية الشريفة ، التي تجل عن إدراك الحواس ، أعظم وأقوى من لذات الحواس . وإنكار ذلك إنكار لما يتميز به الانسان وقعود به في درجة البهائم .

وهنا يكون « حجة الاسلام » قد قرر وجود جمال معنوي روحاني تدركه الروح وتلتذ بإدراكه

الحب للحب !

ثالثا : الانسان يحب نفسه ، ومن الطبيعي أن يحب غيره لأجل نفسه ، لكن هل يمكن أن يحب غيره لاجل ذاته لا لأجل نفسه ؟ . ويثير أبو حامد هذا السؤال ، لأن من الناس ، وهو يسميهم « الضعفاء » ، من لا يتصور من الانسان حبا لشيء إلا لحظ يعود عليه ولكي يثبت أبو حامد عكس ذلك فإنه يشرح أسباب المحبة ، وهو يحصرها في خمسة أسباب .

١ ـ أول محبوب عند الانسان ، وعند كل حي ، ذاته ونفسه ، بمعنى أنه يحب وجوده واستمرار وجوده حبا طبيعيا ، لأن الوجود محبوب لذاته ، ولذلك يحب الانسان أبناءه اعتقادا منه بأن في بقاء نسله نوع بقاء له ، وهو لا يؤثر الموت إلا فرارا من آلام الحياة . ويحب أيضا كمال وجوده ـ بالصحة والعلم مثلا ، ويحب المال والاهل والاصدقاء ، لأنها كلها تساعد على دوام الوجود وكماله .

٢ ـ الاحسان ، فالانسان يحب كل من يحسن اليه ، ويبغض من يسيء اليه ، وهذه فطرة إنسانية ، وهذا عند التحقيق يرجع إلى السبب الاول ، لان المحسن يساعد على دوام الوجود أو كماله

٣ ـ الحب لمن هو محسن في نفسه ، وأن لم يصل احسانه إلى المحب

٤ ـ الجمال والحسن ، فإن كل جمال محبوب عند من يدركه ، سواء كان الجمال صورة ظاهرة محسوسة أو صورة معنوية يدركها القلب ، والحب الحقيقي للجمال حب له لذاته ، لا لحظ يعود على المحب ، وهو غير ، الاشتهاء ، وسيأتي مزيد بيان لهذا كله .

٥ ـ الحب على أساس مناسبة ومشاكلة بين المحب والمحبوب ، « لان شبه الشيء منجذب اليه ، والشكل الى شكله أميل ، وذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ، ويألف الطير نوعه ... وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف ، وهذا أمر تشهد به التجربة » .

والمناسبة قد تكون في أمر ظاهر ، مثل مناسبة الصبي للصبي ، وقد تكون في أمر خفي من المعاني الباطنة ، وهي من عجائب أساليب المحبة التي لا يمكن شرحها بالكلام ، ومن ذلك ما يشير إليه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

رابعا : ثم يشرح الغزالي ، في فصل ممتع حقا ، « معنى الحسن والجمال » ، مشيرا في أوله إلى ما يظنه المحبوسون « في مضيق الخيالات والمحسوسات » من أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال الانسان ، فان الحس الاغلب على الخلق حس الابصار ، وأكثر التفاتهم الى صور الاشخاص ، فيظن أن ماليس مبصراً ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يُتصوّر حسنُه ، واذا لم يُتصوّرْ حسنه لم يكن في إدراكه لذة ، فلم يكن محبوبا » .

يقول فيلسوفنا إن هذا خطأ ظاهر ، لأن الحسن ليس مقصورا على الملامح التي تقدم ذكرها ، فصفة الحسن تطلق على الخط الجميل وعلى الاصوات والثياب وعلى الحيوانات فيقال : هذا خط حسن ، وهذا فرس حسن ، ونحو ذلك فأي معنى لحسن هذه الاشياء إذا لم يكن الحسن إلا في صورة تدركها العين من النوع الذي تقدمت الاشارة اليه ؟

يقول أبو حامد إن العين تستلذ النظر إلى الخط الجميل ، والأذن تستلذ استماع النغمات الطيبة ، « وما من شيء من المدركات الا وهو منقسم إلى حسَن وقبيح ، فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الاشياء ؟ »

وضع الغزالي هذا السؤال الذي يتفق مع الرأي الفلسفي الثابت من أن الجمال أحد القيم التي تعتبر » قيما عالية » مثالية ـ trans cendental values ، لأنه ما من شيء يوصف بها أو بضدها .وسيجيب فيلسوفنا على هذا السؤال .

وقد كان فلاسفة سابقون ، مثل أفلاطون وأرسطو وغيرهما ، قد تكلموا في الجمال ، فقال أفلاطون أن الجمال الذي شاهده في الاشياء عبارة عن مشاركة لها في مثال الجمال الذي يتصوره أفلاطون في عالم وراء هذا العالم المحسوس ، وهو « عالم المثُل »، ، وعند أفلاطون أن للفنون والمعارف والنفوس ، جمالها الخاص بها .

أما تلميذه أرسطو فإنه ينظر إلى الواقع المحسوس ، ويرى أن سمات الجمال في الكائن الحي ، وفي كل ما هو مركب من أجزاء ، هي الوحدة والتناسب بين الاجزاء والحجم المناسب والاشراق

أما أبو حامد فانه في « الاحياء » يذكر من صفات الجمال في الصورة المحسوسة ما تقدمت الاشارة اليه ، ويذكر في « ميزان العمل » من ملامح الجمال الظاهر في الانسان « ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناسب خلقة الوجه ، بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليها »

لكن فيلسوفنا يبحث عن تحديد لمفهوم الجمال المشترك بين الاشياء المتنوعة التى تقدم ذكرها وتوصف بالحسن ، فيقول

« كل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له ، فاذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال ، وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر ، فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه ، والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازنها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها . ولكل شيء كمال يليق به ، وقد يليق بغيره ضده ... فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ، ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ، ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب ، وكذلك سائر الأشياء » .

معيار شامل للجمال

ونحن نلاحظ هنا اجتهاد الغزالي في وضع معيار عام شامل للجمال . ولا أعرف ، في حدود علمي ، أن احدا قبله وضع هذا المعيار . ومن أهم ما فيه أن جمال الشيء يكون بحسب ذاته من جهة ووظيفته من جهة أخرى

لكن كل هذه السمات من الجمال خاصة بالمحسوسات . والغزالي مهتم باثبات الجمال المعنوى الذى لا تدركه الحواس وإنما يدركه العقل أو « البصيرة الباطنة » ، ومنه جمال المعنويات بوجه عام والجمال الالهي بوجه خاص

ولذلك فان أبا حامد يجيب على اعتراض من ينكرون وجود جمال لا تدركه الحواس فيقول

« اعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال هذا خلق حسن ، وهذا علم حسن ، وهذه سيرة حسنة ، وهذه أخلاق جميلة ، وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير . وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس ، بل يدرك بنور البصيرة الباطنة ، وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة ، والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته »

ويستدل فيلسوفنا على ذلك بحب الناس للأنبياء وأفاضل الصحابة وحب علماء المذاهب الذين كانوا أهل علم وتقوى وإفاضة للخير وإرشاد للناس ، ويذكر أنه يبلغ من محبة الناس للعلماء أن يضحوا في سبيل اتباعهم ونصرة آرائهم تضحيات كبرى

ومن المعلوم أنهم لم يروا أولئك العلماء ، ولا عرفوا صورهم المحسوسة ، وإنما عرفوا أخلاقهم وفضائلهم النفسية والدينية

وهذا هو أساس تمييز أبي حامد بين الجانب المادى المحسوس في شخص الانسان والجانب المعنوى ، أو ـ كما يختار هو الاصطلاح ـ بين « الصورة الظاهرة » و « الصورة الباطنة » ، وهذه الأخيرة عبارة عن جملة خصال حميدة ، عقلية وخلقية ، تكون الشخصية الجميلة التى من عرفها لم يملك نفسه من أن يحبها ، أيا كانت

فالحسن والجمال ظاهر وباطن ، وكذلك الصورة الجميلة

إن كل ما يقوله أبو حامد عن الجمال ، وخصوصا عن الجمال المعنوى ، تمهيد للكلام عن الجمال الالهي الذى هو من أسباب المحبة لله ، الى جانب كماله وجلاله وإحسانه ، بحيث يكون الله تعالى عند من عرفه حق المعرفة هو وحده المستحق للمحبة بالحقيقة .

وليس معنى هذا أن الأشياء الجميلة بالمعنى العام الشامل للجمال ليست محبوبة لجمالها ، بل المقصود هو أن محبة غير الله أن تكون من جهة نسبتها الى الله « ومن

أحب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله » . لأن الله هو الاصل ، وهو مبدع الأشياء وحافظها ومجملها بالحسن بكل صوره .

ويبين أبو حامد ، بالرجوع الى أسباب المحبة التي تقدم ذكرها ، أنه « لا محبوب عند ذوى البصائر الا الله » . وكل تلك الاسباب « مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ، ولا يوجد في غيره إلا آحادها ، وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في غيره وهم وتخيل ، وهو مجاز محض لا حقيقة له » ، وهذا على خلاف مايتخيله « ضعفاء العقول والقلوب » .

وقفة عند الأسباب

ويتناول فيلسوفنا أسباب المحبة واحدا واحدا ، فيجد أنها متحققة بالمعنى الكامل المطلق في حق الله تعالى .

١ ـ فاذا كان العارف يحب وجود ذاته وبقاءها وكمالها ، فان ذلك يقتضي غاية المحبة لله ، لأن ذاته وبقاءه وكماله مستفاد من الله ، وأثر من آثار قدرته ، شأن كل شيء ، لأنه « ليس في وجود شيء له بنفسه قوام إلا الحي القيوم الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به » ، ومن خلا قلبه عن حب ربه ، فذلك لأن قلبه مشغول بنفسه وشهواته ، ذاهل عن خالقه .

٢ ـ وأيضا اذا كان الاحساس من أسباب المحبة للمحسن ، فان الله تعالى هو المحسن لخلقه بأنواع الاحسان التي لا يحيط بها الحصر ، « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ، وكل من أحسن من الخلق فهو ليس محسنا بالحقيقة ، بل من إحسان ربه اليه ، ابتداء باعطائه الوسائل ، وبفضل توفيق الله له .

٣ ـ وأما المحبة للمحسن في نفسه ، فان الله هو المحسن لجميع الخلائق ، بايجاده لهم وترفيههم وتنعيمهم بأسباب النعيم ، وتجميلهم بضروب الزينة ، والغزالي يفصل في ذلك ، مشيرا الى بدائع الصنع الالهي وإحكامه .

٤ ـ وأما حب الجمال لذات الجمال ، فان الجمال الالهي من النوع الذي تعرفه القلوب والبصائر ، وإذا كان في المخلوقات جمال تتعشقه القلوب فانه من آثار صفات الكمال والجمال الالهي ، القدرة والعلم والقداسة .

٥ ـ وأما المناسبة الخفية التي بين المحب والمحبوب فهي ليست مناسبة ترجع الى الصورة أو الشكل ، بل الى معان غير محسوسة يدركها الانسان بالذوق في أثناء سلوكه الى الله . وفي الانسان خاصة هي « الروح » وهي أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق ، ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربي » . وفي القرآن قول الله تعالى في حق آدم .

« فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » . فهذه الروح هي التي تجعل الانسان مستعدا للقرب من الله تعالى بالاقتداء به في الصفات ، من العلم والبر والرحمة على الخلق بالاحسان اليهم ، وهي أساس المناسبة ، والغزالي يقصد ، بطبيعة الحال ، أن الله أظهر في الانسان صفات خاصة تجعله أهلا لمعرفة الله ومحبته ، وهو يرفض كل ما تصوره « القاصرون » من تشبيه الله بالانسان أو قول بالاتحاد أو الحلول أو نحو ذلك .

ومحبة الانسان لله على أساس ما وضعه الله في فطرته من استعداد هي أعظم المحبة وأقواها وأعزها وجودا .

ويشرح أبو حامد باسهاب سمو لذة المعرفة بالله والنظر الى وجهه الكريم ، على أساس « أن لذة العلم بقدر شرف العلم وأن شرف العلم بقدر شرف المعلوم » ، ولا أشرف من العلم بالله وبأسرار الربوبية وعالم الملكوت .

لذة المعرفة هنا لذة روحانية ، وهي قمة لذات ابن آدم التي تبدأ عند الطفل بلذة اللعب ، تأتي بعدها لذة الزينة ثم لذة الجنس ، وبعدها لذة الرياسة ، ثم لذة العلم والمعرفة التي أعلاها لذة معرفة الامور الالهية ، وهي تكون مع سن الاربعين .

وينتهي أبو حامد من الكلام في المحبة بأن يقول أن أصل المحبة ، لله موجود في كل قلب ، لكن المحبة تتفاوت بمقدار قوة المعرفة بالله وانصراف القلب عن محبة غيره إلا من جهة نسبته اليه تعالى .

أما محبة الله للانسان فهي ليست بالمعنى الانساني

الذى هو « ميل النفس إلى موافق ملائم » ، لان هذا نقص ، والله كامل في وجوده وجلاله وجماله ، فهو منزه عن ذلك ، وإنما المحبة الالهية للانسان هي أن يكشف الله عن قلبه الحجاب حتى يعرفه حق المعرفة ويراه رؤية روحانية ويتمكن في مقام القرب منه .

حب الجمال

أما حب الجمال في فلسفة الغزالي فهو من أشيق جوانب فلسفته . ولا عجب أن يكون لحجة الاسلام ولغيره من علماء الاسلام آراء في الجمال .

فالشعور بالجمال فطرى في الطبيعة البشرية ، وإن انفعال الانسان بالجمال منذ بدء حواسه في الادراك وتعلق أرواح الاطفال البريئة بكل جميل تدركه حواسهم أبلغ دليل على فطرية المتعة الجمالية في طبيعة الآدمي الرائعة .

واذا نحن صرفنا النظر عن مظاهر حب الجمال وابداع الصور الجميلة عند البدائيين ، فإننا نلاحظ عند شعراء العرب في الجاهلية قوة انطباع أرواحهم بالجمال ووصفهم لدقائق ما وقعت عليه حواسهم من محاسن ، وهم قد وصفوا الجمال المعنوي الذي يتجلى في صفات النبل والمآثر ، كما وصفوا الجمال الحسي .

فلما جاء القرآن كان مداره حول الحق والخير ، لكنه نبه الاحساس بالجمال ولفت النظر إلى مظاهره في السماء وزينتها والأرض وبهجتها بما عليها ، وتكلم عن « زينة » الحياة الأخرى . وفي القرآن إشارة إلى التجربة الجمالية المذهلة التي فيها يفنى متأمل الجمال عن نفسه . (سورة يوسف)

وفي القرآن وصف جمال الفضائل ، من « صبر جميل » ووصف الاعمال الطيبة بأنها حسنات وبأسماء الله بأنها « الحسنى » .

وقد عبر الاسلاميون عن انطباعات نفوسهم بمظاهر الجمال وتكلموا في المحاسن سواء في صورة الانسان أو في الكلام من شعر ونثر أو في بعض الفنون كالغناء ، لكنهم لم يضعوا انطباعاتهم ولا إحساسهم بالجمال في مؤلفات ـ وكلامهم في الحسن موجود في أمهات كتب الأدب مثل كتاب « المعارف » لابن قتيبة وكتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه .

ومن الذين تكلموا في الجمال والتجربة الجمالية قبل الغزالي ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) فهو في كتابه « الاخلاق والسير » يعقد فصلا قصيرا في « صباحة الصور » وفيه يتكلم عن مظاهر الجمال ، مما يسميه « الحلاوة » و« الروعة » و« القوام » ونحوها ، فيعرفها . وكلامه يشبه تعريف العلماء الاوروبيين لمعاني الحسن التي يعبر عنها بكلمات مثل : Beau, Joli Charmant, Gracieux, في اللغة الفرنسية .

ويرى ابن حزم أن الجمال أو الحسن لا يمكن تعريفه بأكثر من ذكر اللفظ ، لانه شيء تدركه النفوس وتميل اليه وهو « برد مكسو على الوجه » .

ونظرية ابن حزم في المتعة الجمالية ، كما وصفها في كتابه « طوق الحمامة » ، هي أن النفس بطبيعتها جميلة ، ولذلك فهي تحب الجمال وتتعشق الجميل .

فلما جاء أبو حامد تناول الجمال في « الاحياء » على النحو الذي تقدم بيانه ، وزاد في « ميزان العمل » أن الجمال يدل في الغالب على جمال في النفس يشرق على البدن . ولذلك تعرف أخلاق الانسان من ملامحه ، وطلاقة الوجه عنوان ما في النفس ، كما يقولون .

ومن أهم ما في الأمر أن الجمال في نظر حجة الاسلام موضوع حب من النوع السامي ، يقول أبو حامد إن أحد أسباب المحبة أن الانسان يحب الشيء « لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته ، بل تكون ذاته عين حظه ، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه ، وذلك كحب الجمال والحسن ، فإن كل جمال محبوب عند مدرك الجمال ، وذلك لعين الجمال ، لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة ، واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها » .

لذة الروح

ويؤكد « حجة الاسلام » هذا ، ويبين استقلال حب الجمال لذاته عن حبه اشتهاء له ، بأن يشير الى محبة مظاهر الجمال في الطبيعة ، وأن النفوس تستلذ النظر الى الماء الجاري وأنواع الأزهار والأطيار الجميلة ...

يكون مع ذلك اشتهاء ، بل « إن الانسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر » .

ونحن عندما نتأمل عبارات أبي حامد في وصف التمتع بالجمال نلاحظ شبها في جوهر المعنى ، بل في اللفظ ، بين ما يقوله « حجة الاسلام » وما يقوله الفيلسوف الالماني كنت Kant من أن المتعة الجمالية « سرور لا مأرب وراءه » intexesseloses Wohlgefallen وأن في هذه المتعة غايتها دون غاية أخرى Zweckmassigkeit ohne Zweck

وقد قص علينا أبو حامد من أحوال أهل المحبة والشوق ومن مكاشفاتهم وما غمر قلوبهم من النعم الالهية أمورا غريبة وجميلة حقا ، وهي جديرة بأن يتأملها الفلاسفة وأن يجعلها العلماء موضوع دراسة جدية ، في ضوء المعرفة بالنفس الانسانية وأسرارها

وإن الانسان ليعجب كيف وصل أولئك القوم الى تلك الأحوال التي لا يعرفها ولا يتصورها من كل همهم الجري وراء الأشياء ، هاربين من قلوبهم التي في صدورهم ومن خالقهم الذي أعطاهم الحياة الدنيا بكل ما فيها ، فنسوا المعطي واستغرقوا في العطية

تكلم « حجة الاسلام » في الجمال ، وفي الجمال الالهي ، ورفع تأمل الجمال إلى مستوى لذة روحية عليا قائمة على معرفة بعناصر الجمال والجمال الحقيقي الأعلى ، وبذلك فتح الباب أمام من جاء بعده من مؤلفين إسلاميين تأثروا به ومن شعراء صوفيين هاموا بحب الله وتحدثوا عن جماله وعبروا عن الأفكار النظرية بشعر عاطفي .

لكن أبا حامد كان ، على عمق روحانيته وأبعادها الكبيرة ، مفكرا متفلسفا يغلب عليه المنطق والتحليل الفكري . فتكلم عن الحب في بساطة الأسلوب العلمي ، وبذلك أثرى الموضوع بالأفكار ولطائف أحوال القلوب في وقت واحد .

وما من شك في أن كثرة ورود لفظ الحب والجمال والبهاء على لسانه وتأكيده للمحبة الحقيقية ولطبيعة التجربة الجمالية السامية ، وكذلك تصوره للجمال المعنوي ، كما يبدو في الشخصية الانسانية صفات من العلم والتقوى وسائر خصال الخير ، وكما هو متحقق لله تعالى في صفات الكمال الفريد والجلال الأعلى والجمال الأسمى والقداسة المطلقة وهي كلها صفات يتضمن بعضها بعضا ، كل ذلك يدل على أن روح « حجة الاسلام » قد أشربت إدراك الجمال ومحبته ، ولو أنه كان شاعرا لجاء في كلامه عن تجربته بأروع المعاني .

ومن المؤلفين الذين اقتبسوا من آرائه عبد الرحمن بن محمد الأنصاري القيرواني المعروف بابن الدباغ (ت.٦٩٦ هـ) في كتابه « مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب » (حققه ونشره المستشرق الألماني هـ . ريتر ، بيروت صادر ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م) . وهو في هذا الكتاب أخذ أفكارا لأبي حامد وفصلها وأضاف في تفصيلها أفكاره وإحساسات روحه وتجاربه ، وهو يحتاج الى دراسة تحليلية قائمة بذاتها

أما الذي تغنى بحب الله وبجماله فهو عمر بن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) ، وإذا كان أبو حامد يقول بكل بساطة إن كل ما في المخلوقات من صفات مظاهر لتجليات الصفات الألهية ، فان ابن الفارض يقول ·

وصرح بإطلاق الجمال ولا تقل
بتقييده ، ميلا لزخرف زينه
فكل مليح حسنه من جمالها
معار له بل حسن كل مليحة
وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر
فظنوا سواها ، وهي فيها تجلت

وتحدث أبو حامد عن لذة معرفة الله ومطالعة جمال حضرة الربوبية وأسرار الأمور الالهية ونظام الملكوت ، وهو يقول « إن العارف لا يزال من مطالعتها في جنة عرضها السموات والأرض » .

والانسان يعجب كيف يمكن أن تلتقي المعرفة العقلية بالأحوال الروحية على هذا النحو ، لكن العقل لا يتجاوب مع القلب إلا عند الشخصيات الفذة المتكاملة التكوين ، كما كانت شخصية « حجة الاسلام » رحمه الله . ■■

محمد عبد الهادي أبو ريده

الانطباعية قريباً من

مزنع الضفادع

بقلم : الدكتور علي راشد

كنت وما زلت لا اقرب الفنون الا من زاوية « آدابها » ، ولا آخذ منها ـ بالتذوق ـ الا ما هو متاح لمثلي . وفي هذه الحدود فقد تبينت على سبيل اليقين ان « الانطباعية » ـ وليس « التأثيرية » كما هو شائع في لغتنا ـ هي الترجمة العربية الصادقة لفظا ومضمونا لكلمة فرنسية ذاعت منذ مستهل السبعينات من القرن الماضي .

■ عندما تقدم الفنان ـ الشاب حينذاك ـ « كلود مونيه » الى صالون موسمي كبير للعرض بلوحة تصور بزوغ الشمس على نحو في الشكل واللون عجيب ، وقد خط تحتها عبارة « انطباع (impression) ... بزوغ الشمس » . فرفضت اللوحة كما رفضت لوحات اخرى لزملاء له من جيله ، وكان من بينهم ـ ويا للعجب ـ « اوجست رنوار » و« ادوار مانيه » وغيرهما من العمالقة المشاهير فيما بعد ، والذين تباهي بلوحاتهم ـ حتى « المرفوضة » جدران متحف اللوفر بباريس حاليا . وانبرى احد الصحفيين يهزأ بهذه الزمرة من شباب الفنانين « المرفوضين » ويصفهم في سخرية لاذعة بجماعة « الانطباعيين » اشتقاقا بالذات من كلمة « انطباع » التي اطلقها « مونيه » . ولم تكن هذه اللوحات « المرفوضة » الا انسياقا حادا في تيار « الرومانتية » ـ بمعنى الذاتية الحالمة في التعبير الفني ـ

الذي غشى الفنون والأداب في القرن التاسع عشر منذ بدايته . وكان ذلك الاتجاه قد بدأ يتسرب الى مجال التصوير باللون على ايدي افراد من الجيل السابق على

« مونيه » واقرانه ، هجروا المراسم وما يكبلها من قواعد وقوالب وانماط والوان استقرت عليها « التقاليد » وشكلت ما يعرف في تاريخ الفن « بالكلاسية » . وخرجوا

يضربون في الخلاء للقاء الطبيعة البكر بهدف اقتناص مظاهرها الخلابة ورصد الوانها المتغيرة بتأثير انعكاس ضوء الشمس على الكائنات في فترات النهار المختلفة بين الشروق والغروب ، والمتباينة من راصد لآخر تبعا لما يقع ـ او « ينطبع » ـ في حس كل انه يراه . فالانطباعية بهذا اللفظ وما يحمله من معنى هي اذن في اصل نشأتها اتجاه رومانتي خاص في مجال التصوير باللون ، امتد بعد ذلك بطريق الميل الى التعميم الى مجالات اخرى في الفنون التشكيلية او التعبيرية بما في ذلك الموسيقى . ولا اعتراض بداهة على هذا الامتداد ، وان كنت عاجزا حقيقة عن الاقتناع بمصطلح « التأثيرية » الذي شاع في لغتنا على السنة المتحدثين واقلام الكاتبين بديلا من « الانطباعية » او حتى مرادفا لها . على ان « الانطباعية » بمفهومها الاصيل ـ وهذا دليل آخر على اصل نشأتها في مجال التصوير باللون ـ لم تلبث طويلا عند صيغتها الاولى التي بلورها « كلود مونيه » على نحو ما سيتضح فيا يلي من استطرادات . فانها سرعان ما فتحت الباب واسعا لاتجاهات اخرى في هذا المجال خرجت من تحت جناحيها وتدرجت متصاعدة في الغرابة ، من « التنقيطية » و « التكعيبية » وغيرهما ، حتى انحدرت الى ما يلامس العبث في ايامنا .

ولم يكتف « كلود مونيه » باطلاق اللفظ الذي صار عنوانا لمدرسة كبرى في التاريخ الحديث للفنون ، ولكنه راح يرسي اسس هذه المدرسة بتجارب رائدة سجلها في العديد من لوحاته الخالدة . من ذلك لوحة « زهور الخشخاش » البرية وهي تعربد في الحقول بلونها الاحمر الناري كأنها احتفال بمولد الربيع تضيئه شموع جهنمية لا حصر لها . وتجربته الفريدة على كاتدرائية « نوتردام » بباريس عندما عمد الى تصويرها في اوقات مختلفة من النهار ، وخرج من ذلك بمجموعة من اللوحات متباينة الشكل واللون لذات الموضوع . ومن الآثار التوثيقية الكبرى كذلك عن نشأة « الانطباعية » لوحة « طاحونة الجاليت » « لأوجست رنوار » ، الذي جمعته بكلود « مونيه » ـ فضلا عن النزعة الانطباعية ـ صداقة وطيدة في الفترة الباكرة من حياتهما الفنية . فبعد ان فرغ « رنوار » من لوحته الخالدة هذه سأله بعض اصحابه ، الذين ادرجهم بين الشخوص العديدة التي احتوتها اللوحة ، عن ذلك اللون العجيب لثوب الفتاة التي كانت تتصدرها وهي تراقص ضابطا شابا ، وكيف انه جاء مغايرا تماما للون الذي اجمعوا على انهم رأوه في ضوء النهار الساطع . فاجاب الفنان الاشهر ـ وكان ما زال في شرخ الشباب ـ بان اللون الذي سجله في اللوحة هو ما « انطبع » في حسه هو لحظة رؤيته له .

وفي اندفاعة « انطباعية » اكثر اثارة لم يقف « كلود مونيه » عند مجرد هجر مرسمه والخروج الى الخلاء ، بل زاد على ذلك أن هجر مسكنه والمدينة كلها ، واتخذ مسكنا ومرسما في « قارب » صغير ارساه في نهر السين قرب بلدة « بوجيفال » بضواحي باريس . ومن هذا المقر انطلق يتصيد للوحاته مواضيع من الطبيعة المحيطة به من كل جانب . وكان من بين ما سجله تخليدا لهذه المنطقة الرائعة الجمال لوحته عن « السين عند بوجيفال » التي يصور فيها رؤيته الفنية الخاصة لمياه نهر السين وهي تتهادى تحت جسر عتيق . ولوحة اخرى لمقصف عائم كان يقصده جمهور الباريسيين في نزهاتهم الخلوية في تلك المنطقة اشتهر باسم « عش الضفادع » (Grenouillere) ، وقد تكون كلمة « خلية » اقرب من كلمة « عش » في اداء المعنى الذي يوحيه الاصل الفرنسي ، لولا ان الضفادع بتكوينها واسلوبها في التحرك لا تنسجم مع الخلايا كما ينسجم النمل او النحل .

وقد عجبت ان يحظى « عش الضفادع » هذا باهتمام « اوجست رنوار » كذلك ، فيصوره بدوره في لوحة لا تختلف عن لوحة صديقه « مونيه » الا في الرؤية الفنية الذاتية لمياه نهر السين شكلا ولونا ، وفي الزاوية التي تناول منها كل من الفنانين ذلك المقصف العائم ، وهو اختلاف يبرز مرة اخرى بالدليل المحسوس صدق النظرة « الانطباعية » . بل ان « رنوار » لم يكتف بتصوير ذلك المقصف التاريخي ، فقد قفز الى ظهره واعمل فرشاته والوانه في ابداع لوحته الشهيرة التي اسماها « الغداء على مائدة البحارة » والتي ضمت عددا من رفاقه ، وصاحبته وهي تحمل بين يديها مداعبة كلبها الصغير الاسود ، وعملاقا عريض المنكبين مستدير اللحية من بحارة المقصف وقف بجوار المائدة متصدرا اللوحة كما لو كان ذلك بقصد توثيق عنوانها . وشغلني هذا الوصف الغريب للمقصف العائم ، واهتمام رائدي

الانطباعية به في لوحاتها الى هذا الحد . فالضفادع ليست على سبيل القطع كائنات تصلح - باي مقياس - للايحاءات الفنية حتى في مجال « الانطباعية » ومهما كانت شطحاتها . فرحت في محاولة ساذجة للتفسير اتوهم ان افضل ما كان يقدمه ذلك المقصف العائم لرواده من الاطعمة هو حساء افخاذ الضفادع الذي اشتهرت به بعض المطاعم الفرنسية . وتذكرت وانا امر بهذا الخاطر تلك الاماكن التي تشتق عنوانها من أشهى ما تقدمه لروادها او ما تخصصت فيه من الاطعمة ، مثل « الديك الذهبي » او « السمك الفضي » او « كازينو الحمام » وهكذا .

وبقيت زمنا على هذا الوهم كلما تطلعت الى لوحتي مونيه ورنوار عن « عش الضفادع » . الى ان التقيت في قراءاتي عن « الانطباعية » وفي كتابات المعاصرين لها من مشاهير الادباء - من امثال « اميل زولا » و « جي دو موباسان » بما لعله يعطي تفسيرا اكثر « عقلانية » لظاهرة ارتباط الضفادع بالاجواء الفنية والادبية في تلك الحقبة - التي وصفت بانها « العصر الزاهي البهيج » - وارتباطها على التحديد بتلك المنطقة بالذات من ضواحي باريس قرب « بوجيفال » . فقد تبينت ان نهر السين يلتف في هذه المنطقة حول جزيرة صغيرة خضراء اتخذها شباب الباريسيين في ذلك « العصر » مرتعا للهوهم قبل انتقالهم الى المقصف العائم لتناول الطعام . وفي قصة قصيرة ماجنة « لموباسان » تنتهي الاحداث والمصادفات المثيرة بان يقتاد « البطل » فتاته - التي اوقعها القدر بين براثنه بعد ان « فقدت » صاحبها الذي ذهب يبحث لها عن كلبها الضائع في متاهات الغابة - الى منطقة « بوجيفال » حيث الجزيرة والمقصف . وادركت بعد قراءتي لهذه القصة انه اذا كان « عش الضفادع » ممثلا في المقصف العائم هو ما اجتذب اهتمام الفنانين العظيمين « مونيه » و « رنوار » لصلته بتجاربهما الانطباعية في هذا الموقع ، فان « مرتع الضفادع البشرية » فوق الجزيرة الملعونة - التي تمد المقصف بمخلوقاتها - هو كل ما كان يعني كاتبا مريض الخيال (والعقل) مثل « موباسان » لم يشغله في ثلاثة أرباع ما كتب الا الواقع الحسي بل الجنسي الصرف العاطل من اي رؤية فنية او جمالية . اي ان كلا من المقصف والجزيرة كان موئلا « للضفادع » الآدمية ، ولكن بمفهومين ثانيهما هابط .

وايا كان الامر ، فقد انتهزت منذ سنوات مناسبة ما قدرت انها الذكرى المئوية للوحة « مونيه » عن « الانطباع » ببزوغ الشمس » وقررت - انسياقا مع ميلي الغريزي للتحقيق - الذهاب الى موقع كل تلك الاحداث عند « بوجيفال » لاجراء « المعاينة » . ولم يدهشني انني لم اعثر على اثر او طلل لشيء مما رأيت في اللوحات او قرأت في السير او القصص عن الانطباعية وصلتها بالضفادع . فحتى الجزيرة التي كانت مرتعا للعابثين قد ضاعت معالمها في خضم انشاءات هندسية مائية (هيدروليكية) اقيمت هناك منذ عشرات السنين ، ولعل ذلك انجز في حياة رائدي الانطباعية التي امتدت حتى سنة ١٩١٩ بالنسبة لرنوار وسنة ١٩٢٦ بالنسبة لمونيه . ■■

د . علي احمد راشد

العلاج النافع !

● دهش أحد الاطباء الانجليز لما دخل عليه شاب لم يره من قبل وأخذ يشكره قائلا : لقد نفعني جدا علاجك يا دكتور . ولم يجد الطبيب بدا من مصارحته بأنه يراه لاول مره . وهنا ضحك الشاب وقال : نعم هذا صحيح يادكتور... ولكنك عالجت عمي الذي توفي منذ اسبوع وترك لي ثروته الطائله !

انباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

بديل للسكر جديد تم تصنيعه فى اسرائيل

● منذ زمن غير قصير والعلماء ماضون فى البحثعن بدائل للسكر جديدة ... غير السيكلامات والسكارين ... وكان من الطبيعى ان يضاعفوا جهودهم فى هذا الصدد ، فى مطلع السبعينات ، حين تم حظر السيكلامات نهائيا ، وان يكثفوها ثانية قبل نحو اربع سنوات ، حين اتجهت السلطات المعنية فى الولايات المتحدة الى حظر السكارين ...

وكثر الحديث فى الاوساط العلمية عن الابحاث التى يقوم بها الدكتور بوا Dr GF Du Bois وزملاؤه العلماء ، فى دينابول، فى بالو التو ... ونشرت مجلة سيانس فىعددها الصادر فى٢٨ يناير ١٩٧٧ عن البدائل التى كان اولئك العلماء يسعون الى تحسينها وتخليقها بعد ان نجحوا فى اكتشافها وعزلها . ومما يذكر عن تلك المركبات المعلية انها بالغة الحلاوة بالرغم من انها مستخلصة من قشور البرتقال والجريبفروت ... بل من تلك المادة التى تسبب طعم المرارة فى تلك القشور . وكانت المشكلة لا فى التحويل الكيماوى الذى تحتاجه تلك المادة لتظهر حلاوتها وتطغى على مرارتها ... وانما فى عدم الاحساس بحلاوتها فور تناولها ... وكذلك فى استمرار الاحساس بحلاوتها بعد الفراغ منها ... ولاندرى الى اين وصلت جهود الدكتور دى بوا وصحبه ...

وفوجئنا بتقارير ظهرت فى مطلع هذه السنة وتشير الى نجاح العلماء اليهودفىاسرئيل وفى مختبرات معهد وايزمن فى رحبوت بالذات ... فىتصنيع البدائل السالفة الذكر من مادة النارنج الموجودة فى قشور الجريبفروت ... وفى الوصول بهذه البدائل الى مرحلة الانتاج على نطاق واسع . ويؤكد علماء معهد البحث العلمى فى رحبوت ان البديل الجديد الذى اطلقوا عليه اسم NeoDhc احلى من السكارين بنحو ست مرات ... ومن السكر الطبيعىبنحو ٢٠٠٠ مرة .. ! ويقولون انهم اقاموا مصنعا رائدا لانتاج المحلى الجديد علىنطاقتجارى .

ويشير العلماء اليهود ايضا الى الطعم اللطيف الذىيتركه البديل الجدبد فى الفم وهذا اشبه بطعم عرق السوس والنعنع ويؤكدون قابليته لنهضم السريع والكامل ...

جهاز جديد لضبط سرعة السيارات

● منذ اكتوبر الماضى (سنة ١٩٧٨) وشرطة المرور فى لندن تستعمل جهازا جديدا لضبط سرعةالسيارات المنطلقة فى السوارع..والجهاز الجديد عبارة عن رادار يمكن حمله باليد ، ويشبه شكله شكل مدفع صغير او مجفف للشعر كبير ... وقد تم تطويره فى كندا من قبل احد مهندسى الصواريخ الالمان النازيين .

وكان موضع ترحيب شرطة لندن منذ البدء بطرا لان رادار السيارات الذى سبق لها ان اعتمدته طيلةالست عشرة سنة

الماضية يفتقر الى الضبط الذي يتصف به الجهاز الجديد.

ذلك انموني كيب Muni Quip وهدا هو اسم الرادار الجديد ـ قد اثبت ان مدى فاعليته لا يقل عن ٤٠٠ ياردة ... وهو فوري ولا يحتاج الا الى ثوان معدودة لتحديد سرعة السيارة المنطلقة في الشارع ، لدى اجتيازها النقطة التي يقف فيها شرطي المرور الذي يعمل الجهاز . وبلغ من ضبط هذا الجهاز ان احتمال الخطا فيه لا يجاوز ١/٢ ميل في الساعة ... اي ان خطاه ـ ادا هو اخطا ـ لا يكاد يبلغ ٥ر٠ .

ومن مزايا هدا الجهاز انه يسجل ويحتفظ بالسرعة التي يرغب السرطي في الاحتفاظ بها ... وذلك بقصد الرد على سائق السيارة اذا ما انكر سرعته العائقة . اما ادا اصر السائق على انكاره فليس اسهل من تسجيل سرعة احدى السيارات الاخرى بحضوره فيتاكد بنفسه من ان الجهاز لا يخطىء ، فيتقبل الامر الواقع.

ومما يذكر هنا ان اجهزة الرادار المستعملة في ضبط سرعة السيارات في اكثر بلاد العالم كانت في العالب بعيدة جدا عن الدقة والضبط ... ولطالماكسفت تلك الاجهزة عن جسم متحرك بسرعة ١٠٠ ميل في الساعة وتبين بعد ذلك ان الجسم المتحرك لم يكن سيارة او قطارا او طائرة ... بل انه لم يكن سوى شجرة ثابتة راسخة في مكانها !

بطارية جديدة تعمر ٢٠ ـ ٣٠ سنة

● نجح بعض علماء (ناسا) في تطوير بطارية تختلف عن البطاريات التقليدية اختلافا جذريا وتمتاز عليها امتيازا كبيرا . ومن مزاياها الرخص ... رخص الثمن وقلة النفقات (٣/١ ثمن البطارية العادية) . ومن تلك المزايا ـ ان لم نقل أهمها ـ طول البقاء .. فان بطارية الجديدة تظل فعالة طيلة ٢٠ ـ ٣٠ سنة ومعنى هذا أن حياتها تبلغ نحو (١٠) اضعاف حياة البطارية التقليدية او يزيد .

اما بيت القصيد في البطارية الجديدة ففي قدرتها على تحويل الطاقة الكيماوية الى طاقة كهربائية وذلك تبعا لجريان سائلين فيها وعبر خلاياها Cells . والسائلان هما كلورايد الكروم وكلورايد الحديد . وليس في ذلك اى سر او سحر ... فالتحويل المذكور عملية كماوية بسيطة معروفة لدى الكثيرين من طلاب المدارس الثانوية ... وقد اطلقوا على البطارية الجديدة اسم رودكس Redox وذلك نسبة الى جوهر المهمة التي تقوم بها . وتعرف بالانجليزية Redaction Oxidation

ويعزى طول امد بطارية رودكس الى غشاء خاص يحول دون اختلاط سوائلها ، بعضها ببعض ، ويمنع التلف الذي يلحق بالبطاريات التقليدية نتيجة للشحن واعادة الشحن الذي تحتاجه بين حين واخر . فهدا اذن غشاء بالغ التطوير ويعود الفضل في ابتكاره الى شركة ايونكس Ionics في مساتشوستس . اما بطارية ردوكس ككل فقد تم تطويرها في مركز ابحاث لويس في كليفلان في اوهايو ، حيث يعمل عدد من علماء وكالة الفضاء الامريكين . والبطارية قيد المرحلة الاخيرة من التجارب العملية .وقد بات نزولها الى الاسواق قاب قوسين او ادنى.

وسيكون في مقدور هذه البطاريات الجديدة خزن الطاقة الكهربائية التي تولدها مولدات ضعيفة تعمل بقوة الريح او الطاقة الشمسية . وسيكون في وسعها ايضا خزن الكهرباء في محطات القوى الكهربائية الى حين الحاجة .... حين يزداد الضغط ويتعرض التيار الكهربائي الى الانقطاع .

عودة الى القرآن ونظرية التطور

بقلم الدكتور : محمد سعيد رمضان البوطي

اطلعت ، اخيرا ، في العدد ٢٤٨ من مجلة العربي ، على مقال للاستاذ الدكتور عبد الكريم الايرياني بعنوان : « هل يعارض القرآن نظرية التطور » وهو يتضمن نقدا رفيقا ، مشفوعا بثناء اشكره عليه ، على بعض ما جاء في مقالي المنشور في العدد ٢٤٦ من مجلة العربي بعنوان لماذا التعسف الباطل في تفسير القرآن ؟

ويتلخص نقده في القول بأن نظرية التطور لما كانت تستند الى مقومات البحث العلمي وطرائقه ولما كان جمهرة علماء الاحياء يقرون أساسيات هذه النظرية وان اختلفوا في تفاصيلها : فان القول بأن القرآن ينكر هذه النظرية اقحام للقرآن في طريق محرج . اذ من المحتمل ان تنضج هذه النظريات غدا ثم تتحد وتتلاقى على حقيقة علمية لا يأتيها الباطل . فنكون قد انطقنا القرآن عندئذ بما يتنافى مع حقيقة علمية أثبتها البحث العلمي .

لذا يرى الدكتور الايرياني ، بدافع من غيرته على كتاب الله عز وجل ، انني قد أبدعت بهذا القول مذهبا ثالثا ، قد يكون في واقعه شرا من المذهب الذي عقدت مقالي لتحذير الناس منه ، وهو التحرر من قواعد التفسير ابتغاء تحميل القرآن ما قد لا يحمله من المعاني والافكار .

ولا اعتقد (بعد الامعان في هذا الذي كتبه الدكتور الايرياني) ان ثمة اي خلاف جوهري حول نظرية التطور بين الذي قررته في مقالي المذكور ، وما استدرك به عليّ في مقاله هذا .

فيكفي اننا التقينا على القول بان كل ما يقال عن تطور الانسان لا يزال في طور النظريات المتعارضة ، وان سلك الباحثون اليها السبيل العلمي المعروف ، وهي الملاحظة ثم البحث ثم الاستنتاج .

اذن فمرد الاستدراك على ما قد كتبت ، هو قولي بأن القرآن لا يمكن ان يقبل نظريات التطور لانها تتنافى مع نصوصه المحكمة ، المتعلقة باصل الانسان ، وسبب

استدراكه على هذا القول ، ما يراه من احتمال ان تؤول النظرية غدا الى حقيقة علمية !..

ولكي ازيل الغموض الذي اقتضى من الدكتور الايرياني هذا الاستدراك اوضح نقاطا ثلاثة ، قد تكون ذات اهمية في هذا البحث :

النقطة الاولى

انني لم اتخذ موقفا ثالثا عندما حذرت من البحث في القرآن عما يمكن ان ينهض شاهدا لنظرية التطور [١] ، كما يفعل او يحاول بعض الناس . ولا عندما قلت : ان هذه النظرية لم يؤيدها الى اليوم اي دليل علمي ، بل تواردت الادلة على بطلانها .

وانما سقت هذا الكلام تطبيقا للميزان الذي يجب الاحتكام اليه عند تفسير اي آية من القرآن ، وهو الميزان الذي يتلاقى عليه كل من مدرسة التفسير بالمأثور ومدرسة التفسير بالرأي .

فقد قلت ـ ولا ازال ـ ان تفسير قوله تعالى : « وقد خلقكم اطوارا .. » بنظرية النشوء والارتقاء جنوح كبير عن القاعدة ذات الشروط الاربعة لتفسير القرآن اذ ان هذا التفسير يتناقض مناقضة حادة ، مع تلك الآيات الكثيرة التي تنص على أن جنس الانسان خلق في احسن تقويم وان السمة الانسانية كانت ملازمة له ، منذ خلق الله لأبيه آدم عليه الصلاة والسلام على النحو الذي بين . فلم يحصل الانسان على هذه السمة فيما بعد اكتسابا او بعد صراع مع الطبيعة كما قد يتوهم .

فاذا اتضح ان الامر كذلك ، فلا يسوغ لنا بحال ان نتجاهل شيئا من مضمون هذا الميزان بصدد تفسير قوله تعالى « وقد خلقكم اطوارا » من اجل ان المسألة تتعلق بنظرية التطور ، ومن اجل ان جمهرة علماء الاحياء يبحثون فيها .. وانه يوشك ان يأتي يوم تصبح فيه هذه النظرية حقيقة علمية ... فاننا لو ذهبنا هذا المذهب لكان ذلك منا تحيزا واضحا ، وخرقا لشمولية الميزان الذي هو وحده مدار الصحة والبطلان في تفسير أي نص قرآني .

ولو فتحنا على أنفسنا باب هذا التحيز لتسابقت الينا مسائل كثيرة اخرى تدعونا الى سلوك الطريق المتحيز ذاته تجاه كثير من الآيات المشابهة .. ..

فكثير من علماء الحياة ـ مثلا ـ لا يزالون يواصلون بحوثهم في اصل الحياة ومدى امكان ايجادها عن طريق تفاعل كيمياتي وربما نسجوا لانفسهم بعض النظريات او الفرضيات في هذا الصدد وان لكثير منهم آمالا قوية في الوصول الى نتائج ايجابية ، من وراء بحوثهم هذه ولا ريب انهم كغيرهم يسيرون طبقا لما يقتضيه المنهج العلمي المتمثل في الملاحظة ، فالبحث ، فالاستنتاج . فهل يستوجب هذا ان نتجاهل ما يقرره القرآن في عبارة صريحة حاسمة ، من ان الانسان لن يصل الى معرفة حقيقية لكنه الروح ؟

النقطة الثانية

ان هذا الذي قررته لا يعني ابدا ضرورة الكف عن اي بحث علمي يتعلق بمعرفة اصل الانسان ، ومدى احتمال ان يكون قد نشأ من حيوانات أخرى . كما لا يعني وجوب الاعراض عما يقوله الباحثون في ذلك .

انني ـ وقد آمنت بما يقرره كتاب الله عز وجل ـ من ان الانسان لم يتطور خلال التاريخ من اي فصيلة حيوانية اخرى ، لا اجد اطلاقا ما يمنعني من متابعة ما يقوله اصحاب هذه النظرية ودراسة ما قد ينتهون اليه من بحوث في ذلك ـ كما انني لا اجد اي مسوغ لحمل الناس على الكف عن هذه الدراسة ، والاعراض عما يقوله علماء هذا الشان في ذلك

ذلك لانني على يقين بأن هذه المتابعة ستزيد المؤمن بما يقرره القرآن طمأنينة ويقينا ، وتساهم في تبديد اسباب الشك والجحود عند الآخرين.

فليطمئن الدكتور الايرياني ، الى انني لا ادعو اولئك العاكفين على دراساتهم لتاريخ نشأة الانسان الى اغلاق دراساتهم هذه لمجرد ان القرآن يجزم بان الانسان لم يتطور من اي حيوان اخر بل انني لن اجد امامي ما يؤكد صدق هذا القرار القرآني ، خيرا من استمرار هؤلاء

(١) نقصد بالتطور هنا القول بتطور الانسان من اجناس او انواع اقل شأنا فلا حرم اننا لانعني هنا الحيوانات الاخرى .

الناس في بحوثهم . على ان يكونوا امناء على الحقيقة العلمية متحررين عن كل اسبقية في التطلع والحكم

النقطة الثالثة

على الرغم من ان الدكتور الايرياني قد اكد في مقاله ان مسألة التطور لم تتجاوز بعد مرحلة النظرية على انها ليست نظرية واحدة بل نظريات متخالفة ، الا ان سياق كلامه قد يوهم كثيرا من الناس بان المسألة كادت ان تصل الى درجة الحقيقة العلمية . وذلك لشدة اهتمام الدكتور الايرياني بها ، وتأكيده ان جمهرة علماء الحياة ما يزالون يقومون ويقعدون بها ويجرمون بان الحقيقة العلمية مخبوءة فيها

لذا فانني لا احد مناصا ، من بيان حجم هذه النظرية او النظريات اليوم ثم من بيان السر في ان جمهرة علماء الحياة (الاجانب) لا يزالون يقومون ويقعدون بها ، على الرعم من ان جهودهم المبذولة في تهديمها اكثر من جهودهم المبذولة في اشادتها !

ان ما يسمى اليوم بنظرية النشوء والارتقاء ، ليس اكثر من حلقات من الفرضيات المتصاربة والمتناسخة ، في محاولة للوقوف على اصل الحيوانات عامة والانسان بصورة خاصة (وانما يعنينا هنا الانسان) بدأها العالم التصنيفي لا مارك بوضع تفسيرات معينة يرتبط معظمها بعوامل البيئة والمناخ ، اقام عليها تصوره لفكرة التطور . وما ان وضعت نظريته هذه تحت مجهر البحث والنقد حتى ظهر فسادها ، ثم ما هو الا ان دفنت تحت وابل من النقد الذي صوب اليها من كل جهة

ثم جاء داروين فاخرج في عام ١٨٧١ كتابه المشهور « اصل الانواع والانتخاب بالنسبة للجنس » ضمنه نظرية جديدة للتطور اقامها جهد استطاعته على مبدأ اختيار الاصلح .

ولكنها ما ان سارت بين الناس قليلا ، ونالت الشهرة الطبيعية بحكم غرابة ما قد جاء به ، وبحكم تطلع من حوله من الناس الى معرفة اي تفسير لاصل هذا الكائن العجيب حتى منيت هي الاخرى بانتقادات كثيرة جدا ، كشفت عن كثير من الثغرات العلمية فيها ، ذكر طائفة كبيرة منها الدكتور عبد الحليم سويدان في كتابه علم الحياة ، ثم قال انها جزء يسير من انتقادات كثيرة اخرى وجهت الى الداروينية

وحسبنا ان نعلم بان داروين نفسه قد استدرك على نظريته بانتقادات كثيرة وجه اليه بعضها من الاخرين ، واستقل هو بتوجيه سائرها الى نفسه وقد سجلها في كتابه دون ان يجيب على شيء منها وانما اكتفى بالاعتذار قائلا ان ما نعلمه من تاريخ الانسان لا يبلغ شيئا اذا ما قورن بمبلغ جهلنا بالتاريخ

ولا يتسع هذا المقال لعرض هذه الانتقادات العلمية الهامة التي استدرك بها داروين على نفسه ، ثم وقف منها موقف المعترف بجهله العاجز عن الاجابة الشافية ، ولكن بوسعك ان ترجع الى كتاب اصل الانواع ص ٤١٢ فما بعد وص ٤٤٧ فما بعد ، على سبيل المثال .

ثم انه كان للانتقادات الكثيرة التي توجهت الى نظرية داروين اثر كبير في ان تتهاوى ويمر عليها عهد من السقوط والتردي . ولكن طائفة من الباحثين عادوا فاشادوا من انقاضها نظرية اخرى جديدة ، اطلق عليها فيما بعد اسم « الداروينية الجديدة » اعتبرت بمثابة النسخة المصححة لنظرية داروين . وقد تزعم هؤلاء الباحثين العالم الهولندي · Hugo De Veries) غير ان هذه النسخة المصححة ايضا مالبثت ان استهدفت لانتقادات كثيرة ووقعت تحت وطأة تناقض لم تجد اي مفر منها (٢) .

اذن فما الذي يسجله ميزان الرؤية العلمية لهذا الموضوع بعد هذا الاستعراض الموجز ؟ انه يسجل على الفور ان فكرة التطور لم تتجاوز بعد مرحلة الفرضية التي تتجاذبها الشواهد المتناقضة وكل ما قيل او كتب فيها لا يعدو ان يكون محاولات مبتورة تثير مزيدا من مشكلاتها اكثر مما تحل شيئا معه من معضلاتها ..

(٢) ذكرت سلسله هذه النظريات ، مع تفاصيل الانتقادات التي وجهت الى كل منها في كتابي « كبرى اليقينيات الكونية » ص ٢٧٢ ـ ٢٩٠

سؤال اخير

بقي ان نتساءل : فما للباحثين والناقدين اذن ، يعودون هم انفسهم فيقبلون فكرة النشوء والتطور في الجملة ، اي بقطع النظر عن اي تفسير لها ؟ .. وهذه هي الظاهرة التي جعلت الدكتور الايرياني يقول (ان جمهرة علماء الاحياء يقرون اساسياتها ، وان اختلفوا في تفاصيلها) وانها لظاهرة تستدعي التساؤل والاستغراب اكثر مما تدعوا الى التأسي والاطمئنان '.....

فان علينا ان نتساءل حقا : لماذا يعمد هؤلاء العلماء الى سائر التفسيرات التي ظهرت الى الآن لفكرة التطور الانساني ، فيحطمونها تحطيما ، حتى اذا استراحوا وقعدوا ، عادوا فقالوا · ولكن لابد ان الانسان قد ترقى صعدا الى ما هو عليه الان عن طريق التطور والارتقاء ؟.. فمن اين جاء اتفاقهم على « لابد » هذه ؟

والجواب ان هؤلاء الباحثين لم يضعوا في بداية بحثهم جميع الاحتمالات الموضوعية المتعلقة بهذه المسألة تحت مجهر واحد من النظر والفحص ، وهو ما يسمى عند العلماء (الاستقراء التام) وهو شرط اساسي للدخول في اى بحث علمي بل نبذوا من احتمالات الامر ما لا رغبة لهم فيه ولم يقفوا عنده باي تأمل او نظر ، الا وهو احتمال أن تكون الحقيقة كما فسرها الخالق نفسه في محكم كتابه ، ثم حصروا بحثهم في النطاق الذى اختاروه لانفسهم ، وضمن هذا النطاق جالوا وبحثوا عن النشأة الاولى وأصل الخلق وعلاقة الانسان بالحيوانات الاخرى . وهذا ما يسمى عند العلماء بالاستقراء الناقص

فكان عليهم (وقد حكموا على انفسهم بهذه المساحة الضيقة في البحث) ان يتخيروا اقرب الحلول التي يجدونها امامهم فاذا لم يعثروا على ما يتفق والادلة العلمية فان عليهم ان لا يرجعوا ـ على كل حال ـ بافكار فارغة . اذ ان الرجوع بافتراض ما ـ مهما كان محاطا بالشكوك والريب ـ اليق بطموح الفكر من الرجوع بموقف سلبي حائر .

اى ان قبول هؤلاء الناس لاى مذهب يفترض فكرة التطور في تاريخ نشأة الانسان مهما كان فيه من النقائص والثغرات ، اقرب الى القناعة الانسانية من القول بان الارض او السماء قد انشقت فجأة عن كائن معقد الصنع عجيب الطوية ، يهدد الارض بقوته ويطمح الى القمر بسلطانه ، ذلك لانه إن لم يقل بالفرضية الاولى على علاتها ، لا بد ان يجد عقله مرغما على هذه الاخرى

ومن منا يتردد في احتيار الحل الاول ، عندما بجد انفسنا محصورين في مضيق ليس فيه الا احد هدين الحلين ؟

ولا ريب ان هذا الاختيار يستند الى منطق ولكنه منطق نسبي يأتي على قدر المضيق الذي حبس هؤلاء الباحثون انفسهم فيه ولكنه حرج خطير عن سبيل البحث العلمي الذى يجب ان ينهض على الاستقراء التام واطراح الرغبات والاهواء عن الطريق

غير ان هذه النتيجة التى الجئوا اليها الجاء لا تلزمنا نحن بحال ، فاننا ننطلق في بحثنا لهذه المسألة وغيرها من استقراء الاحتمالات كلها بما فيها تقرير الخالق جل جلاله ، دون اى تفريق بينها في بادىء الامر ثم لما رأينا سائر نظريات التطور تعاني من وطأة انتقادات هامة وجهت اليها ، ورأينا كلا منها يصرع الاخر ويبطله ، ايقنا ان الحق الذى يهدى اليه العلم في هذا الموضوع هو ما يقرره الخالق نفسه ، في بيان واضح قاطع

وانظر كم يشعر الانسان بطمانينة النفس والعقل ، عندما يعود من رحلته مع تلك النظريات المتصارعة المتخاصمة ، ليجد نفسه اخيرا امام هذا البيان الالهي الاخاذ

(ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا)

لذا أعود فأقول مؤكدا اننا لا نصد أنفسنا ولا نصد الناس عن متابعة كل ما يقوله الباحثون في هذه المسألة ، بل ندعو الى القراءة والمتابعة ذلك لان اليقين بأحقية القرار القرآني الصريح ، انما يأتي ثمرة الوقوف على مدى الاضطراب الذى يشيع في النظريات الاخرى . ■■

دمشق ـ د محمد سعيد البوطي

قصة قصيرة :

بقلم : زينب صادق

قالت زوجتي الجميلة وهي تنظر الى بشيء من الاحتقار والغرور : « الف رجل يتمنى ان يتزوجني جمالي لا يليق الا بامير ... اما انت .. » ومطت شفتيها بامتعاض .. ابتسمت ساخرا من كلامها ومنظرها • فانا لم اعد ارى جمالها هذا الذي تتحدث عنه وكانت صورتها الاخيرة في عيني لامرأة قبيحة تحاول ان تخفي قبحها بالوان صارخة من الملابس والماكياج ،وعطرثقيل يكتم الانفاس •

● ● ●

اول مرة وقعت عيني عليها منذ سنتين ظهرت فجأة في النادي الرياضي الذي اشترك فيه •كانت تقف وسط مجموعة فتيات ، تسمرت في مكاني كان قوة مغناطيسية قد شدتني اليها • وقلت هذه الفتاة الرائعة الجمال لابد ان تكون لي • ويبدو انها قد تعودت هذه النظرة الاولى المندهشة فارتسمت على شفتيها ابتسامة متعمدة كانها ترسل لي رسالة : ليس من السهل الوصول لي• وظلت صورتها تطاردني طوال ذلك اليوم والايام• التالية • ظهرت فجأة واختفت فجأة مثل حلم جميل ، وندمت انني لم اتعرف عليها او اعرف عنها شيئا في ذلك اليوم •كنت انتهي من دراستي في السنة النهائية في كلية التجارة واعدو الى النادي ابحث عنها ، الى ان وجدتها يوما في صحبة ابنة خالتي ، ورقص قلبي طربا واضطرابا• وذهبت حيث تجلسان ، وبدون استئذان جلست وعرفتني ابنة خالتي بالجميلة•في السنة الثالثة كلية الاداب ، وعضوة جديدة في النادي •

كنت حذرا في تقربي اليها وحديثي معها حتى اكون بالنسبة لها مختلفا عن بقية الشباب الذين يحاولون التقرب اليها • وتحتقرهم بنظرة من عينيها الجميلتين ، او بكلمة ساخرة من شفتيها الجميلتين وسمعت انها صفعت يوما شابا اعترض طريقها ، وزاد اعجابي وتمسكي ان تكون لي •

حدثت اختي الاستاذة في الجامعة عنها وقابلتها• يومها قالت اختي مباشرة للجميلة انني معجب بها واحب ان اخطبها وسالتها ان تحدث اهلها في هذا الامر وتحدد لنا موعدا لزيارتهم •

الجميلة لابد ان يكون مهرها كبيرا ، وشبكتها غالية فهل سيدفع هذا طالب لم يتخرج بعد • لم يعمل بعد ؟ !

لا استطيع ان انسى نظرة ام الجميلة لها كانها هي التي صنعت جمالها وليس الخالق سبحانه • ونظرتها لي ، من اين ساحضر مهرها • وكيف ساكفل لها حياة تليق بجمالها ؟ !

سافعل المستحيل •

كنت متفوقا في دراستي، وكنت ادرس اللغات بجانب دراستي حتى اعمل في احدى الشركات او البنوك الاجنبية التي تدفع مرتبات عالية • ونلت ما اريد في العمل بمساعدة اختي واقارب مهمين وبتفوقي • وبعد سنتين ، وبعد ان نالت الجميلة شهادتها ، وبعد ان دفعت امي مهرها الكبير • اصبحت الجميلة لي •

لقد احبتني • هي قالت هذا يوما ، لمعاملتي المختلفة لها عن الاخرين ، لحبي لها المجنون كنت اطير فرحا وانا اعلن لاعضاء النادي ان الجميلة اصبحت لي • لكني لا انسى نظرة رجل مجرب وكلماته « الجمال ليس في المظهر ، الجمال شيء اخر ربما تعرفه على مر السنين » •



نعم • الان انا اعرف ان الجمال ليس فى الظهر بعد تجربة سنة واحدة مع زوجتى الجميلة• الجمال ضوء يشع من النفس الداخلية يشع من النفس الحساسة الطيبة يشع من العقل الذكى فيضفى على الانسان انسانية تحبب فيه الخلق وتجعله ضوءا مشعا لحياتهم ايضا •

ربما لذلك تصبح اجمل الجميلات القبحهن اذا كانت تفتقر للجمال الداخلى للنفس والعقل • ربما يسالنى احد • الم تكتشف غرورها وحقيقة نفسها الداخلية اثناء فترة التعارف والخطوبة ؟ ؟ نعم • اكتشفت اشياء لم تعجبنى ، لكن كان جمالها يطغى على افكارى ، وحسد الشبان اننى فزت بحبها وخطبتها كان يعمينى • اجمل الجميلات تتابط ذراعى ، يا فرحتى • ويا خيبة امالى •

لان والدى فقدناه من اول سنى دراستى الثانوية• واخى الذى يكبرنى يعمل فى بلد بعيد• واختى الاستاذة فى الجامعة تزوجت ، فانا اعيش مع امى ، وقد رحبت ان اقيم وزوجتى معها فى شقتنا الكبيرة • وكذلك رحب اهل زوجتى الجميلة فهذا لن يكلفهم عمل جهاز كامل لشقة جديدة • وقالت الجميلة وقت خطوبتنا انها تعتبر امى امها ايضا•وحمدت الله على هذه التسهيل•

سالتها يوما : « يا جميلتى فى اى مكان تريدين ان تعملى ؟

وصرخت كان لعبانا ساما عضها فجاة ، وانطلقت الكلمات من شفتيها الجميلتين مثل طلقات الرصاص « اعمل .. تريدني أن أعمل .. واستيقظ مبكرة كل صباح واجري لالحق المواصلات وانضم الى طابور الموظفات البائسات القبيحات ، ويذهب جمالي من الارهاق انت لم تتزوجني لاعمل ، وانت لست محتاجا لنقود عملي . مرتبك كبير وامك تدفع معظم مصاريف البيت من دخلكم الخاص .

الجمتني المفاجاة . او الصدمة وقلت : العمل يعطي للمراة قيمة وينمي شخصيتها . مطت شفتيها الجميلتين وقالت : المراة القبيحة هي التي تعمل .

كدت اقول لها وهل نساء العالم الان قبيحات وانت الجميلة . لكن صمت . لم قلت لها ملاطفا . انت حصلت على درجات تؤهلك لعمل دراسات عليا . بعدها يمكنك ان تعملي بالتدريس في الجامعة .

قالت ساخرة بغرور : هل تدري كيف حصلت على هذه الدرجات ؟

قلت : باجتهادك طبعا وحبك للعلم .

ضحكت ضحكة لم تعجبني وقالت : بجمالي .. كان المراقبون في لجنة الامتحان يقولون لي الاجابات الصحيحة . انا لم احب العلم يوما . واخذت الشهادة الجامعية لانها موضة تتحلى بها الفتيات

وكانت المرة الاولى التي شعرت فيها انني اريد ان اصفعها . لكني امسكت يدي . وقلت لها يومها : ياجميلتي ستكونين زوجة فقط وتنجبين لي اطفالا في غاية الجمال . قالت : لن انجب قبل خمس سنوات ، لا اريد ان افسد جمال جسدي الان . اريد ان استمتع بالحياة معك . نخرج للنزهات والسهرات . نسافر الى بلاد العالم .. » .

لم افكر كثيرا في ماذا يدور براس زوجتي الجميلة . كنت اريد ان استمتع بها ومعها بالحياة . اعود من عملي اجدها مستلقية باسترخاء . او في النادي مع صديقات تستمتع بنظرات الاعجاب وتزاول رياضة الحديث مع النساء ، فهي لا تحب ان تزاول اي رياضة اخرى في النادي ، وحاولت ان اجعلها تزاول رياضة التنس معي وفشلت . كنت دائما انتقد النساء اللاتي يجلسن كل يوم في النادي يتحدثن ، واتساءل لماذا لا يعملن ، او لماذا يتركن بيوتهن كل يوم ؟ !

وكل مساء تريد زوجتي الجميلة ان اصحبها للخارج مهما كنت متعبا من عملي . ولا تحب ان تجالس امي او تساعدها في اعمال البيت . ولا تحب ان تزور اختي وزوجها لان ضيوفهما من المثقفين الثقلاء ، وانا احب مجالسة هؤلاء الناس . فقد نشات على حب العلم والثقافة واذا كان اتجاهي للدراسة التجارية الا أن هذا لم يمنعني من الاطلاع . اما زوجتي الجميلة فهي لا تقرأ كتابا . وتلقي نظرة على جريدة الصباح بلا اهتمام . وتغطس في مجلات الموضة وتتشاجر معي اذا عارضتها في شراء رداء .

واصبحت تتشاجر مع امي اذا هي طلبت منها مساعدة في اعمال البيت . وتحدثت بصوت مرتفع قبيح مع اختي الاستاذة وتطاولت عليها بالكلمات عندما نصحتها يوما الا تكون عاطلة وان تفعل شيئا في الحياة .

زوجتي الجميلة لا تحترم الكبار . وتصورت ان جمالها يغفر لها كل الهفوات . وان نظرات الاحتقار وابتسامات الامتعاض وكلماتها مثل طلقات الرصاص كل ذلك لن يشوه جمالها . وانها الملكة المتوجة بالجمال وعلى من حولها ان يخدموها وكانت امها عندما تاتي لزيارتنا تؤكد هذا لنا . واصبحت حياتي لا تطاق من الارهاق المادي والنفسي .

نظرت الى زوجتي الجميلة وتساءلت . مافائدة الراس الجميل اذا كان خاليا من الافكار الجميلة . مافائدة الايدي الجميلة اذا لم تصنعا شيئا جميلا وما فائدة الجسد الجميل اذا كانت النفس خالية من الجمال ؟ ! وظهرت لي رؤيا واضحة لمستقبلي معها وشعرت بانقباض . لذلك عندما نطقت زوجتي الجميلة بالكلمة البغيضة طلقني وافقتها على الفور وشعرت بارتياح .

● ● ●

اعتذرت لامي على الاهانة التي سببتها لها دون قصد وهي التي ربتني على حب العلم والناس . وقالت بحنان : « لا تحزن يا بني هناك فتيات كثيرات جميلات » .

قلت : « لا يا امي .. لقد فهمت اخيرا معنى الجمال » . ■■

زينب صادق

● حل مسابقة العدد ٢٤٨ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	د	ى	ن	ا	ص	و	ر		ن	ا	ب	ل	ى	و	ن
٢	و	ح	ى	د		ا	ت	ع	ا	ق	د		ا	د	ع
٣	م	ى	ر	ا	ب	و		ا	ن	ا	ب	ا	س		ى
٤	ى	ى		ه	ن		ر	ى	ا	ت		ك	ر	و	م
٥	ن		ا	ن	د	ه	ا	ش		ل	ى		ه	ش	
٦	ك	ب	ل		ق	ا	س	ه	ا		خ	ا		ا	ب
٧	ا	ب	ن	ى		ل		ب	ل	ح	ا	ل	ب	ح	ر
٨		ع	ق	ب	ه	ب	ن	ن	ا	ف	ع				
٩	ى	ن	ا	ف	س		ا	ت	و	ق		ن	ا	ق	ه
١٠	ا	و	م		ا	ل	ر	ط	ل		ا	ك	ب	ا	ر
١١	ن	ا		ا	ل	م	ش	ل		ك	ل	ب		م	ا
١٢	ج	ر	ا	د	ه		ى	ح	ت	ر	م	و	ن		و
١٣	ت	ى	ق	ن		ا	ن	ه	ا	ر		ت	و	ب	ه
١٤	س	ن	ت	ى	ا	ج	و		ب	ه	ر	ى	ن	ج	
١٥	ى		ل	ه	و		ن		ى	ا	ب	ه		ع	م

افقيًا :

عقبة بن نافع

رأسيًا :

عائشة بنت طلحة

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيـا : عقبـة بن نافع · ابن اخت عمرو بن العاص فاتح مصر وحاكمها · غزا شمال افريقيا ، وبنى القـيروان · لكنه لم ينجح فى اخضاع البربر ، فقتل على حـدود الصحراء ·

(٨) راسيا : عائشة بنت طلحة · اديبـة عالمة باخبار العـرب من شهيرات النسـاء فى العصر الاموى بالنسب والجمـال والذكـاء والمروءة · ابوها طلحة من خـير الصحـابة ، وامها ام كلثوم ابنة الخليفة ابى بكر ·

الفائزون بالجوائز

- ● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : خالد جميل عبدالحميد ـ عدن/اليمن الديمقراطي
- ● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها . سامى حاج محمود ـ اللاذقية/سوريا
- ● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها العروصى محمد ـ مكناس/المغرب

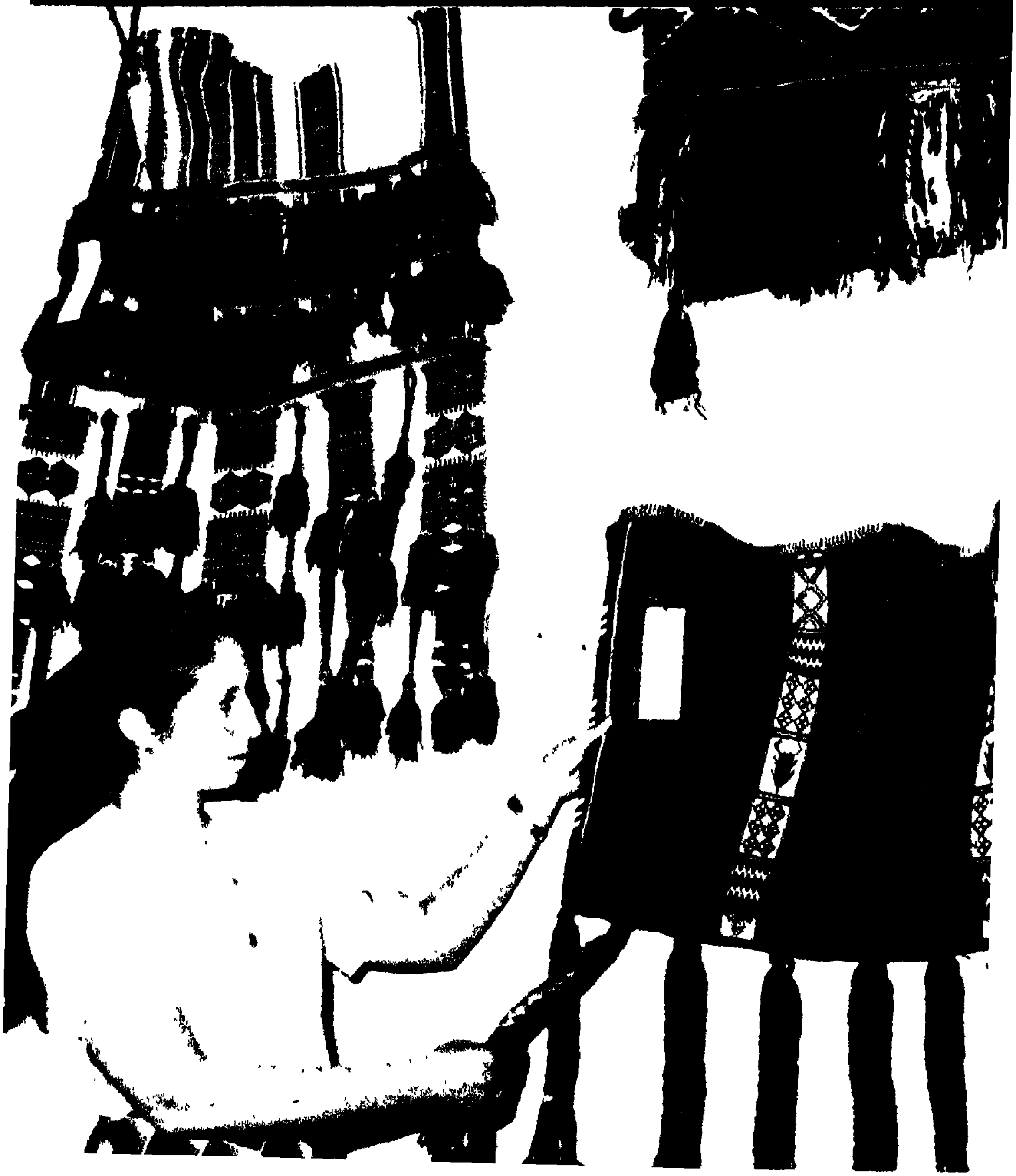
❋ ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمس دنانير فاز بها كل من :

١ ـ سعاد خليل مصطفى ـ العريش / مصر
٢ ـ عادل سليم شـهاب الـدين ـ وزارة الكهرباء / الكويت
٣ ـ احمد عارف الغانى ـ بيروت / لبنان
٤ ـ زاهر بسام مطرجى ـ الدمام / السعودية
٥ ـ صباح صادق احمد ـ كاظمية / العراق
٦ ـ نفير على يغمور ـ عمان / الاردن
٧ ـ محمود محمد عبدالله على ـ المعرق / البحرين
٨ ـ حمد محمد بدر المنذرى ـ ولاية بحرى / سلطنة عمان

الفـــائزون فـــى مسابقة العدد ٢٤٦

ترجو ادارة العربي من القراء الذين فازوا فى مسابقة العدد ٢٤٦ ، ان يرسلوا عناوينهم الثابتة اليهـــا تمهيدا لارسال جوائزهم ·(العـربى)

السدو
فن البدو





يتغير المجتمع العربي في الكثير من اجزائه ، وينتقل من البداوة والترحال الى الحداثة والاستقرار ، ويصاحب هذه الحركة جهد فى اتجاه مضاد يتمثل فى الحفاظ على ما ينتجه البدو من فن اصيل يعكس حياة الصحراء ، وما تحمله من تراث عربي يتضمن محتويات بيت الشعر والخرج والبسط والسفايف .

ويبدأ هذا الجهد بالمسح والتسجيل ، ثم استلهام هذه الاعمال واستنباط أعمال فنية جديدة تصبح جزء من البيت العربي الحديث ....

وهذا هو الدور الذى اختارته لنفسها جمعية « السدو »في الكويت ..

■■■

احد معالم الحياة العربية ، وهو حياة البدو في الصحراء ، مهدد بالزوال امام زحف الحياة الحديثة ، وتختفي تلك الصورة التي كانت تميز الحياة في الصحراء ، البدو الذين ينتقلون متحررين من الهموم خلف الماء والكلأ ، ينصبون خيام الشعر حول الآبار ، ويقيمون حياة بسيطة وشاعرية ولكنها خشنة قاسية ، تقوم هذه الحياة على « الاكتفاء الذاتي » ، تفي القطعان بكافة احتياجات القبيلة التي تعيش على لبنها ولحمها ، ويعتبر الجمل مصدرا من مصادر غذاء البدوى ووسيلة لانتقاله ووبر الجمل من اغلى واجود الاصواف تحيكه النساء البدويات مع صوف الماشية ليشبع كافة احتياجاتها ...

ومنقولات البدوى تقتصر على ما هو ضرورى . رحاة ، رقيق لتحميص حبوب القمح او لانضاج الخبز ، اناء لصنع القهوة ، دلو من الجلد لصب المياه ، بعض القرب ، قصعات ، فناجين صغيرة لشرب القهوة ، قدر ، بساط وفراش في نفس الوقت ، تحيكها البدوية ، وفي بعض الاحيان نول لنسج الصوف كل ذلك في بيت الشعر ، وهم قوم بالغو القناعة اذ تكفيهم بضع حبات من التمر وحفنة من الثريد ، والقناعة والاكتفاء الذاتي هما سر قوتهم ومصدر شجاعتهم .

والبداوة تضرب بجذورها في ارجاء العالم العربي وشبه الجزيرة العربية منذ القدم ، ولهم نظامهم الحضارى المتكامل يعيشون في اعماق الصحراء وحول المياه وتحت زرقة السماء ومع النجوم في الليالي الحالكة ، القبيلة نظامهم الاجتماعي ، ويعيشون مع الظروف الطبيعية القاسية والموارد الاقتصادية المحدودة ، فيزدرى البدوى الزراعة والصناعة والحرف المختلفة ، باعتبارها تحط من مكانته ، واحتكر السلطة في البادية ثالوث أطرافه البدوى والجمل والنخلة ، واستمرت البادية الحارس على التقاليد والشعائر العربية .

وهذه هى مكونات البيئة الفطرية لحياة البدو ، يستلهمون ـ البيئة في فنهم ، وينتجون القصص الشعبي او شعر النبط والحكايات والنوادر والازجال ، او فنهم التشكيلي الذى يتمثل في « السدو » فن حياكة الصوف في البادية .

في أعين الاخرين

وجذبت حياة البدو اهتمام العديد من الرحالة والكتاب الاجانب الذين تناولوا معالم الحياة العربية ، ورأوا فيها الشخصية النفاذة المميزة ، وقد كتب الكاتب الأوروبى نيبور يقول .. « البدو الذين يعيشون تحت الخيام كقبائل مستقلة بذاتها ، مازالوا يحتفظون بتقاليد اسلافهم واخلاقهم ، ومثل هؤلاء يصح القول بانهم عرب أقحاح يتمتعون بجميع تلك المزايا المتأصلة في جمع افراد قبائلهم ... »

وتنقل لنا السيدة ديكسون ـ (أم سعود) التى اختارت أن تقضى كل حياتها في الكويت ـ بكثير من



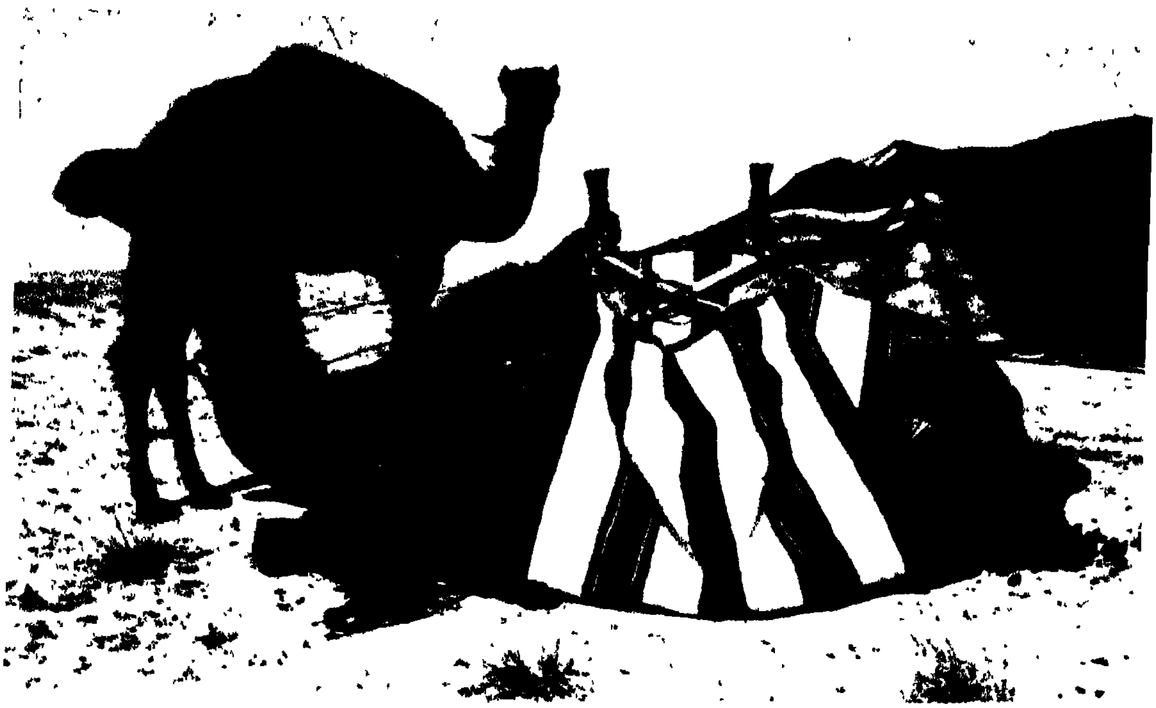
الاحسيات يقبلن على شراء أعمال السدو .

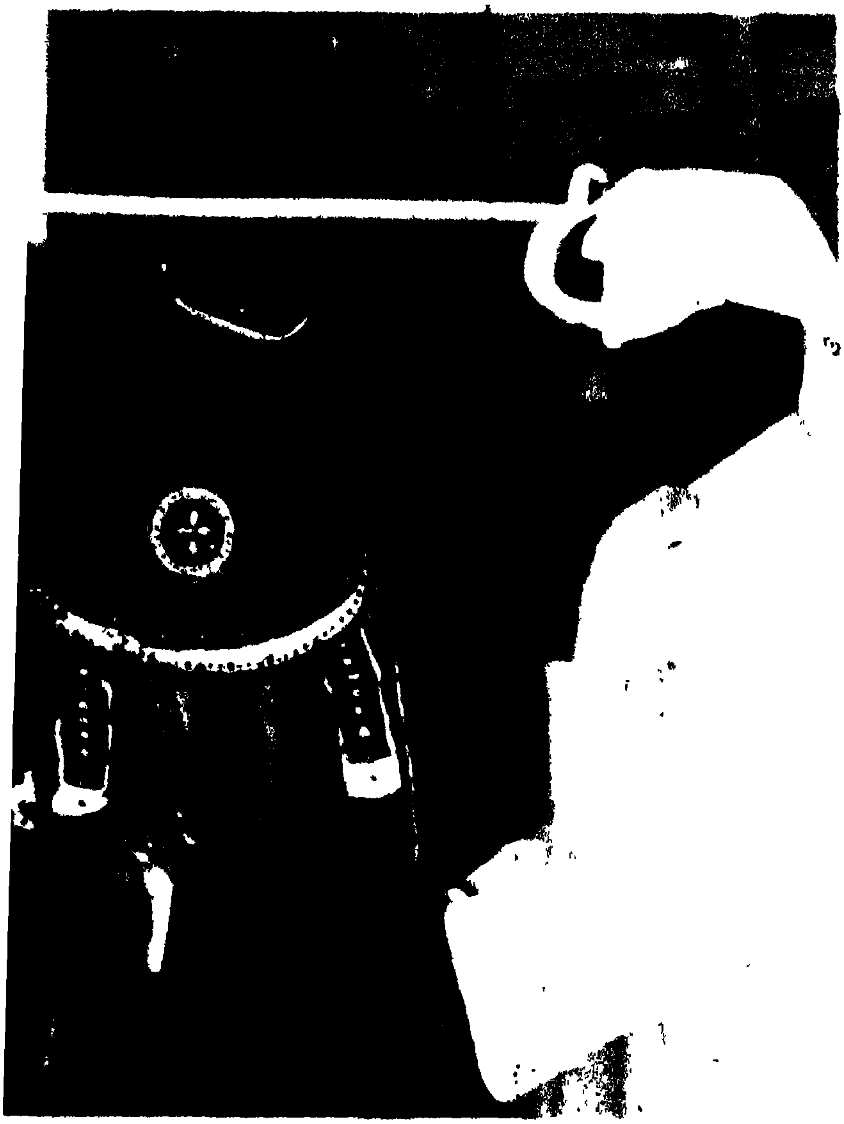
الاعجاب والتعاطف قطعة حية من معالم حياة البادية في الكويت ، وبعين نفاذة تلتقط التفاصيل الصغيرة ، وصفت حياة الصحراء التي عشقتها منذ ما يزيد عن ربع قرن ، تقول في كتابها « الكويت بيتي » « عندما قررنا امتلاك احدى الخيام في الصحراء ، اقترح علينا شراء القطع الطويلة المنسوجة يدويا من العراق ، حيث يستخدام وبر الماعز في تقوية خيوط النسيج ، وكان سرورنا بخيمتنا الجديدة بالغا ، وكان صوف الغنم اثناء هذه الفترة يجز خلال شهري مارس . وابريل ثم تتولى النساء نقله الى شاطيء البحر لغسله جيدا قبل غزله ، ويتولى النساء عادة اخذ الغنم والماعز الى المراعي ، ويعمدن في كل مرة يخرجن فيها الى المراعي الى اخذ كومة من الصوف للتسلي بغزلها بواسطة مغزل يدوى خفيف خلال حراستهم للقطيع وهو يرعى ..

وبحلول فصل الصيف ، كانت القبائل تنقل خيامها الى مكان يقرب من مدينة الكويت خارج اسوار المدينة قرب ابار الماء في منطقة « الشامية » ، كما يسهل على المرء مشاهدة الانوال ممدة امام الجزء المخصص للنساء من الخيام

وصف السدو

تمد البدوية خيوط الصوف حول قطعة خشبية تسند بحجرين او علبتين قديمتين من التنك ، مراعية طول القطعة التي يتوجب عليها تبديلها من الخيمة ، ثم تأخذ في رفع خيوط الصوف بالتناوب على بعد متر من الطرف القريب منها ، وذلك على قطعة من الخشب فوق علب من التنك تكون اعلى من مستوى الاحجار او العلب السابقة ، وبعدها تأخذ في تمرير الصوف المغزول من الجهة اليمنى الى اليسرى فوق وتحت هذه الخيوط ثم رجوعا الى الجهة اليمنى ، مع شد الخيوط بقطعة مسطحة

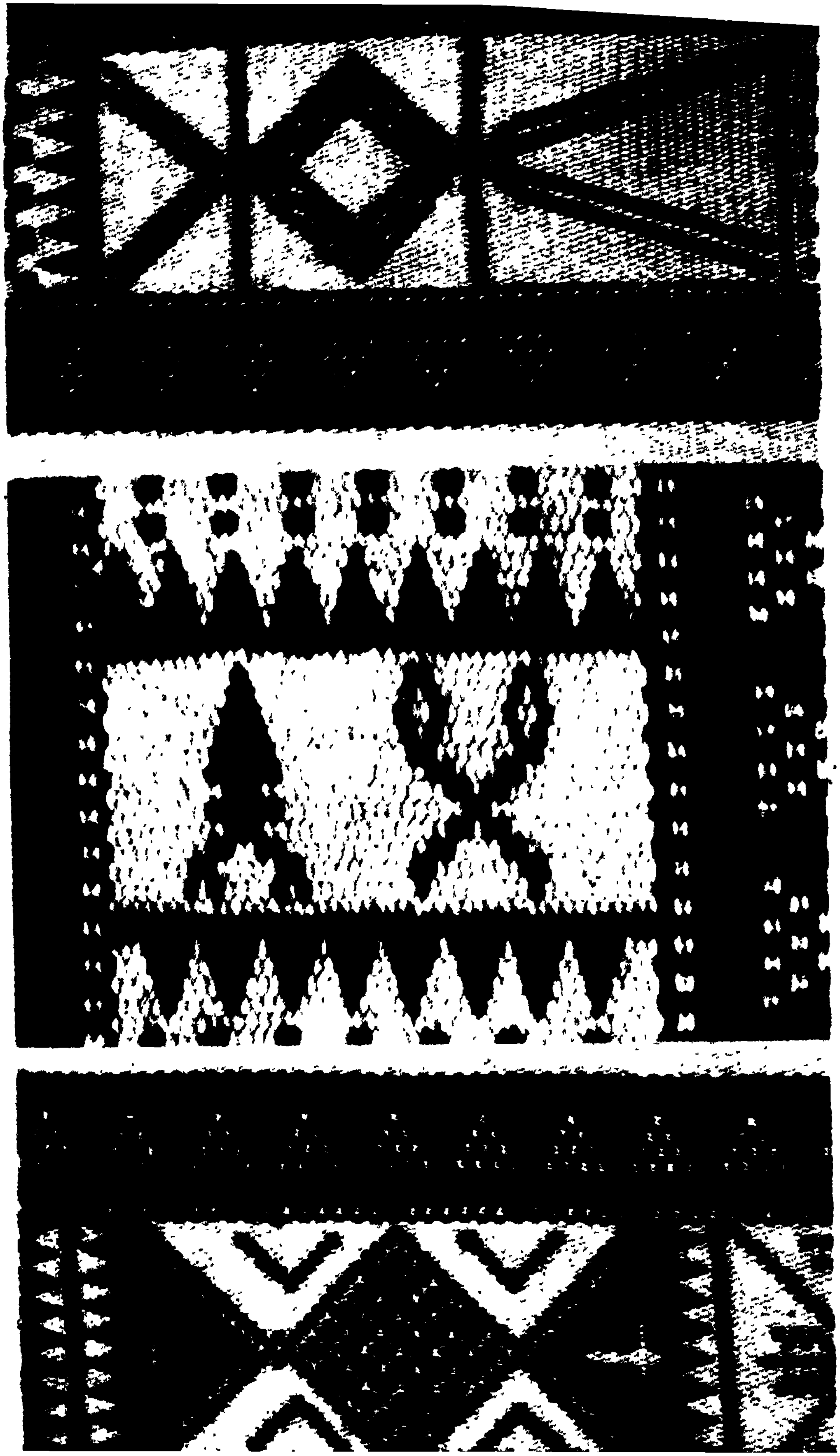




الصحراء والجمل وبيت الشعر العناصر الاساسية لحياة البدو ، ويظهر « الصدول » علي ظهر الجمل بنقشته البدائية .

« المزودة » بالوانها المختلفة بعد ان استخدمت البدوية حبات « الخرز والترتر » .

البساط احد منتجات السدو ، نقشة الشجرة ، ويظهر عليها الرموز التي تستخدمها البدويات العقرب ، رمز الخصوبة في الصحراء ، والمقص ، رمز المنع والتحريم .(الصور على الصفحه التابعة)



من الخشب أو بقرن غزال ، وهذه العملية تؤدى الى انتاج نسيج محكم .

وتجدد البدوية قطعة واحدة من وسط الخيمة في كل عام ، وتستخدم القطعة المستبدلة لظهر الخيمة او الرواق ، وكان من المثير ان نشاهد عند زيارتنا لمختلف العائلات البدوية اختلافا في اشكال الزخارف في الوسائد ، تبعا للقبائل المختلفة .

فمثلا نساء قبائل العجمان كن يصنعن اشكالا زخرفية خاصة تتضمن نماذج تمثل الماعز او العقارب وربما الهوادج ، وكانت خيوط الصوف الابيض المصبوغ بالالوان الحمراء والصفراء تستخدم في تنميق الاشكال في القطا والوسائد .. »

وتضيف فيوليت ديكسون في موضع اخر .. « توفر الاراضي الصحراوية الواقعة خلف اسوار مدينة الكويت مراعي خصبة للبدو الذين ينتقلون باستمرار هنا وهناك في طول البلاد وعرضها ، ويتوقف البدو عن الترحال في الصيف ، وتفرض عليهم شهور الصيف البالغة الحرارة ان يظلوا على مقربة من اماكن المياه وحول الابار في الصحراء ، وكلما وجدت المياه الصالحة للشرب قامت حولها القرى ، وتقع سلسلة من هذه القرى بمحاذاة الشاطىء الجنوبي للكويت ، والى الغرب تقع « قرية » الجهراء وهي من الاماكن التي استوطن فيها البدو ، وفي المواقع القريبة من التلال خلف السور ووراء حدود الحزام المجدب ، كانت الاراضي تنبت الاعشاب الصحراوية التي تزينها بلون اخضر جميل ، ويشعر العربي المثقف بالاعتزاز في اسلافه البدو ويكن كل احترام وتقدير لرجال القبائل العريقة .. »

رياح التغيير

ان هذه الصور الجميلة لحياة البدو وصناعة السدو التي تحدثت عنها السيدة ديسكون منذ ربع قرن اختفت اليوم الكثير من معالمها امام التطور الذي أصبح يعني توطين البدو ، واختفى الجمل لتحل محله السيارة واختفى بيت الشعر الذي كانت تنسجه البدوية وتضفي عليه لمسات من البيئة ويقام بدلا منه البيوت الحديثة ، وجذبت المراكز الحضرية البدو تخلصا من حياة البداوة القاسية واندفعت تيارات الهجرة لتضم اكفأ عناصر القبيلة من شبابها ، واتجهت نحو مجالات العمل الجديدة .

وبقي السؤال الصعب : كيف يتم التغيير نحو الحداثة ، وفي ذات الوقت يحافظ على الروح العربية من « الاغتراب » .. ؟ وكيف يقع التغيير ولا ينفصل المواطن عن تراثه التقليدي ولا تتحطم خير ما في اسلوب حياته التقليدية ، وبالتالي يتجنب ان يقع اسيرا لاسلوب حياة « هجين » ...؟!

وبمعنى اخر .. كيف تتحقق المعادلة بين القديم والجديد ، بين الاصالة والمعاصرة ؟

شغلت هذه القضية مجموعة من ابناء الكويت ، ولم يكتفوا بالحزن والاسى على عالم مفعم بالشاعرية والبساطة اخذ في الزوال ، بل سعوا الى عمل ما ، وبذل الجهد الذي يساهم في الحفاظ على فن وتراث البادية ، واقاموا جمعية لهذا الغرض ، أي تعمل من أجل الحفاظ على احد الجوانب الفنية في حياة البادية ، هو فن حياكة الصوف « السدو » .

على الخليج

في بيت كويتي عتيق على طراز عربي اصيل يطل على الخليج ، اقامت جمعية « السدو » مقرها ومعرضها الدائم ، بعد اعوام ثلاث من الاعداد ، وبدأت الجمعية نشاطها بدراسة فن « السدو » وتسجيل مراحل عملية الحياكة ، وجمع ما تبقى منه ، وجابوا الصحراء يبحثون عن البدويات اللاتي مازلن يشتغلن بهذا الفن لاعداد فريق من العاملين القادرين على انتاج المنسوجات التقليدية ، وأغرت الجمعية البدويات بالاستمرار في هذه الصناعة على ان تتولى تسويق الانتاج ليصبح من مكونات البيت الحديث ، ولم تتعود البدويات بيع انتاجهن بل ينسجن احتياجاتهن على مدار العام ، ولم يكن ابدا للكسب الاقتصادي ، وقد حددت الجمعية اهدافها والتي نشرتها في كتابها الذي يحتوى نماذج جميلة لمكونات فن السدو بما يلي :

■ البحث في الطرق التقليدية في صناعة وتكوين



البيت المطل على الخليج العربي والذى
احتارته جمعية السدو مقرا لها

وحياكة الصوف والعمل على المحافظة على « السدو » .

■ اعداد فريق عمل من الفنانين والحرفيين يشتغلون بالسدو .

■ اقامة معرض دائم لاعمال السدو .

■ انقاذ تراث السدو القديم من الاندثار وحفظه والنهوض به لقيمته الثقافية والفنية الجمالية وتشجيع وتطوير المهارات المرتبطة به ، فحالة البداوة الى زوال وحالة الترحال الى الاستقرار .

■ وضع دراسة للاساليب التقليدية المرتبطة بهذا الفن ، وتكوين مجموعة عرض دائمة لنماذج من المنسوجات المختلفة والفريدة في اشكالها ونقوشها .

من المحيط الى الخليج

وجولة في معرض السدو ومشاهدة الأعمال الفنية المختلفة ، تتأكد خلالها ان فن السدو هو انعكاس صادق لوجدان البدو والبيئة التى يعيشونها بكل رموزه وتكويناته المختلفة ، كما تلاحظ التشابه بل التطابق لاعمال البدو في الصحارى العربية من المحيط الى الخليج ، وتعتبر حرفة النسيج من اقدم الحرف التقليدية ، ومع كل ما تمثله من بساطه الا انها تكشف مقدرة فائقة ومهارة كبيرة وتتوافق الزخارف والتكوينات الفنية مع حياة البدو الذين يعيشون في الفلاة وكأنهم يمتطون صهوة الأبدية ، ولا يمكن ان يدرس فن السدو في معزل عن البيئة التي نشأ فيها ، فرموزه الاغنام والجمال وعندما استخدموا الاصباغ كانت من الاعشاب الصحراوية .

انتبه على صوت مرافقي الذي يقطع تأملاتي بقوله : ان الاشكال الهندسية التي تحيكها المرأة البدوية نسيجا جميلا ، تدخل فيها البدوية رموزا من واقع البادية مثل الشجرة والمشط والمبخرة والمقص والعقرب والطائرة ، اما المشط والمبخرة فيمثلان الاحتياجات الهامة للمرأة البدوية ، اما الدلالة الرمزيه للرسوم الاخرى ، فهي للمنع والتحريم ، فالمقص اداة ضرورية للمرأة الحائكة ، بينما العقرب وسمه الزعاف يرمز الى خصوبة الصحراء ، اما الطائرة فتمثل التحليق نحو الحياة الحديثة ، وهكذا .

وتستعمل المرأة البدوية الحروف الابجدية كجزء زخرفي من النقشة ، وتكاد حرفة السدو ان تقتصر على المرأة باستثناء صناعة العبايات ، وتعتبر مهمة صيانة بيت الشعر المنسوج من صوف الغنم الاسود من المهام التي تولتها ايضا البدويات

ويمكن لزائر المعرض آخر أيام الاسبوع ان يشاهد النساء البدويات يعملن على الانوال بلباسهن التقليدي ، ويرى الفن البدوى الجميل يخرج من بين اناملهن ، وما زالت المرأة البدوية ترفض باصرار أن يلتقط لها اى غريب صورة .

وبعد .....

ان فن « السدو » وجد من يسجله ويبعث تراثه ، ويحافظ عليه وبقي ان يظهر من يجمع ويسجل ويحفظ بقية فنون البادية ، بل ويسجل نماذج من حياة وقيم البادية ، التي ستستمر المادة الخام للوجدان العربي ، انها مهمة يجب ان تنجز قبل فوات الاوان . ■■

مصطفى نبيل





المساند بنقشاتها المختلفة والتى توزع داخل بيت الشعر .

الفنانة البدوية الى جوار معروضات صنعتها للبيع من بسط وسفايف .

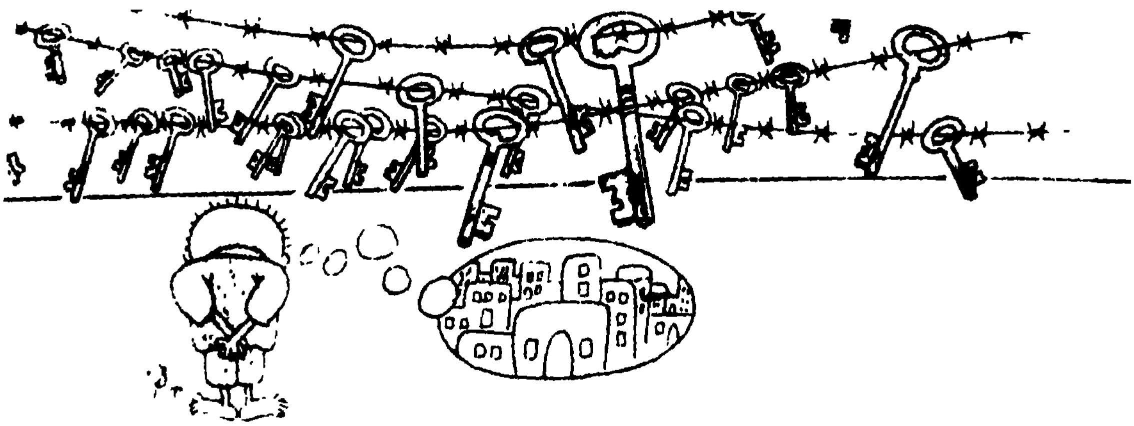


الفلسطينيون في أمثالهم الشعبية

بقلم : محمد العبد المصرى

نستطيع ان نستشف الكثير من الامثال الشعبية الفلسطينية ، في التصاق هذا الشعب بالقيم العربية الاصيلة ، وفي تسجيل استمرارية التاريخ على ارضه ، ثم في مدى ارتباطه مع الشعوب العربية المحيطة به ، حتى تكاد أكثر أمثاله الشعبية أن تصبح صورة طبق الاصل من الامثال السائدة في مصر وسوريا بوجه خاص .

ان الفلسطينى من خلال ترحابه بضيفه ـ مثلا ـ يرى ان (الضيف ضيف الله) وان مجيء الضيوف لن يرهقه ماديا لانه يعتقد انه (بييجى الضيف وبييجى رزقه معه) وان مشاركة الضيف له في أكله لن يضيره شيئا لأن (أكل اثنين كفى ثلاثة) وان بيته يتسع للضيوف مهما كان ضيقا اذ أن (بيت الضيق يوسع ألف صديق) وكما كان العربي لايسأل ضيفه عن اسمه أو حاجته قبل مرور ثلاثة أيام فالفلسطينى كذلك يرى أن (ضيافة الضيف ثلاثة أيام وثلث) وانها سبة وصمة عار ان يوصف أحدهم بأنه (بيكره الضيف وزوادته معاه) وانه مهما كان وضعه المالى فالتقاليد تقول له (اظهر عذرك ولا تظهر بخلك) وذلك لان (البخيل عدو الله) ومهما قدمت لضيفك من زاد قليل فانه سوف يقدر موقفك لأن (لاجود الا من الموجود) واذا كانت التقاليد تطلب من المضيف ان يكرم ضيفه فان على الضيف أن يعلم أن (الضيف أسير المحلى) فلا ينصرف الا اذا سمح له صاحب البيت بذلك لأن (الدخول بالخاطر والخروج بالدستور) ومن الضوابط التى تضعها التقاليد على الضيف الا يدخل البيوت متطفلا لأنه (يارايح بدون عزومه ياقليل القيمة) وكذلك (يارايح بدون عزومة ياقاعد على غير فراش) ، وألا يكون نهما اذا قدم الطعام لانه (اذا كان الاكل ببلاش بطنك عليك مش ببلاش) وألا يحضر (لا يحمله على الحضور) الا الاكل فاذا اكل انصرف لان



(الضيف المشوم بياكل وبيقوم) واذا حل امرؤ ضيفا على قوم وقدم الطعام فعليه أن يأكل ولا يتعلل بالشبع لان (عيار الشبعان أربعين لقمة)

من الاهل الى الجار

في الشخصية الفلسطينية من سمات الشخصية العربية ، العصبية للاهل والعشيرة ، والارتباط بهم ، فالفلسطيني يرى ان رابطة الدم رابطة ابدية لان (عمر الدم ما بيصير مية) وان ارتباطه باهله وذويه هي كارتباط أعضاء الجسم بالجسم لاتنفصل عنه اذ ان (الظفر ما بيطلعش من اللحم) ، كما يرى ان البر بالاهل هو دليل كون المرء عضوا صالحا في المجتمع لأن (اللي ما فيهوش خير لاهله ما فيهوش خير للناس) وان المرء الذي لا يمد يد العون لذويه في حال استطاعته ذلك يفقد مبرر وجوده في المجتمع لان (الشجرة اللي ما بتظلل أهلها حللّ الله قطعها) واذا كان (الاقربون أولى بالمعروف) فيجب أن يراعى الاقرب فالاقرب منهم ويقف الى جانبه ولو على حساب أقربائه الاخرين كما يجب ان يقف مع ذويه ضد الغرباء فالتقاليد تطلب مني أكون (انا وأخويا على ابن عمي وأنا وأبن عمي على الغريب) وهو يرى ان عشيرته أرأف به من سواهم لأن (أهلك ان مضغوك ما بيبلعوك) ودائما (الدم بيحن) وهم أمان له من عاديات الايام ، وكهف يأوى اليه حين الخطر لأنه (ما بيحمل همك الا اللي من دمك) كما انه (ما بيحن على العود الا قشره) و (اللحمة ان نتنت ما بيحملها الا صاحبها) وأهل المرء سند له في النوائب ، وعون على الشدائد لأن (اللي مالوش ظهر بيموت قهر) و (اللي له ظهر ما بينضربش على بطنه) ، ويجب على المرء أن يعتز بأسرته ويفخر بالانتماء اليها مهما كان وضعها الاجتماعي لانه (ما بينكر أصله الا اللئيم) ويكون افتخاره بأسرة الاب لأنهم أهل عصبيته دون أهل الأم ، وقد (سألوا البغل مين أبوك ؟ قال الحصان خالي) .

والفلسطيني يرى لجاره حقوقاً ترفعه الى منزلة الاخ (قال مين احسن لك ، جارك القريب والا أخوك البعيد ؟ قال النافع منهم) ويرى أن رعاية الجار هي واجب ديني لان (النبي وصى على سابع جار) ، واذا كان هناك خير يجتنى فالجار أولى به من الأخرين وذلك لان (الجار أولى بالشفعة) ويجب على المرء ان يطلب الخير لجاره لانه (مادام جارك بخير أنت بخير) ، وانه يجب ان تغفر لجارك ان أساء اليك وذلك لأن (الجار جار ولو جار) ولا تقابل اساءته بالاساءة لأن (الجار اللي بدك تصاحبه كيف تقابحه ؟) ، واذا بليت بجار لا تنفع معه الحسنى فتحد من علاقاتك به مكتفيا بالتحية العابرة قائلا له (صباح الخير يا جاري أنت في حالك وأنا في حالي) ، أما اذا تمادى في أذاه فيجب الابتعاد عنه ما وسعك ذلك فانه (ان جار عليك جارك حوّل باب دارك) وان تصبر على أذاه (أصبر على جارك المشوم يابيرحل يابيقوم) ولعل من الأمور التي تصور مدى ارتياح الفلسطيني لجيرانه انه يتمنى ألا تقتصر علاقاته على الطيبين منهم على الدنيا فقط بل تتعدى ذلك الى الحياة الاخرى فنراه يقول معتزاً بجيرانه (اللي جاورنا فيهم دنيا يجاورنا فيهم آخرة) وعندما يريد احدهم ان يشتري منزلا او ارضا يبحث اولا عن نوعية الجيران معبرا عن ذلك بالمثل القائل (ابحث عن الجار قبل الدار) .



الثار والجمار ١

واذا كان الفلسطيني يظهر جانب اللين والسماحة الى أهله وجيرانه ، ويحتمل اذاهم ويوسع لهم صدره ، فانه يبدي جانب الخشونة والأنفة الى كل من يحاول هضم حقه أو الحط من شأنه ، وهو وان كان يكافىء على الحسنة بأحسن منها (اللي بيتطلّع لي بعين باطّلع له بالعينتين) فهو يكافىء على السيئة بالسيئة فنراهم يقولون (اللي باعك بيعه وان طاب الجفا زيده) أو (اللي بيبيعك بالبصل بيعه بقشره) ، وقد لا يكتفي بمقابلة الاساءة بمثلها بل بأكثر منها (اللي سبّ أبوك الخشب سبّ أبوه الذهب) ، وهو حريص على ألا يجعل الآخرين يأنسون منه ضعفا يطمعهم فيه لأن (الحيطة الواطية مرمى حجار الناس) كما ان (اللي بيعمل ظهره قنطرة ، الناس بتدوسه) وكذلك (اللي بيعمل نفسه حمار ، الناس بتركبه) ويجب ألا يسمح للآخرين أن يوقعوا به لأن (اللي دايق لحمك كل ما شافك بيتلمض) ، كما يجب مقابلة جبروت المعتدي بجبروت أشد وأنكى لأنه (ما بيجيب الرطل الا الرطلين) ، واذا كان هذا الظالم العاتي قد أوقع بالكثيرين فيجب أن يفهم بأن (مش كل الطير اللي بيتاكل لحمه) بل ان هناك طيوراً

مستعصية على الصيد ، مرة المذاق ، واذا كن عمرو بن كلثوم يقول -

اذا ما الملك سام الناس خسفاً
أبينا أن نقر الذل فينا

فالفلسطيني يرى وجوب التصدي للحاكم الظالم والضرب على يده حتى لا يستفحل شره ، ويزداد ظلمه . فقد (سألوا فرعون مين فرعنك ؟ قال من قلة ما حدا يردني) وانه في سبيل الحياة الكريمة على المرء ألا يخشى الموت او يهاب الردى لأنه (ما بيقطع الراس الا اللي ركّبه) ، كما يجب عليه ألا يخشى السجن في سبيل مبادئه لأن (السجن ملح الرجال) . واذا كان أبو تمام يقول

بدء الفتاة الرؤد سمسه بعلها
اذا بات دون الثار وهو ضجيعها

فالفلسطيني حريص على أخذ الثأر ممن ظلمه ، وهو لا ينام على ثأر ، لان (اللي ما بياخذ الثار بيكون حمار) وأشد سكان فلسطين حرصاً على الاخذ بالثأر هم البدو ، فالبدوي لا ينسى ثأره مهما طال الزمن اذ أن (البدوي بياخذ ثأره بعد أربعين سنة وبيقول استعجلت)

تأثيرات البيئة

المثل الشعبي وليد البيئة يجيء معبراً عن أحاسيس سكانها ومقتضيات حياتهم . لذا نجد لسكان المدن الفلسطينية أمثالاً لا مجال لاستعمالها في القرى والبوادي وكذلك توجد أمثال مقصورة على كل من البيئة البدوية أو المجتمع القروي ، فحين نسمع المثل (سبع صنعات في ايدي والبين جاير عليّ) وكذلك المثل (مش كل من صف الصواني قال أنا حلواني) نعرف فيهما مثلين من أمثال أهل المدن حيث تكثر الصناعات والمهن ويقوم التنافس بين أربابها .

أما اذا سمعنا المثل (اذا أمطرت بلاد بشرّ بلاد) فنعرف أنه من أمثال الفلاحين الذي تقوم زراعاتهم على المطر والذين ينتظرون هطوله بفارغ صبر اذا تأخر كما هو الحال عند فلاحي فلسطين ، وعندما نسمع المثل (كل واحد بقطّينه بيقطّن) يتبادر الى ذهنك منظر الفلاح الفلسطيني وكل منهم منهمك مشغول بتجفيف ثمر التين الخاصة بكرومه

واذا كان سكان المدن يقولون (حاميها حراميها) فأهل القرى يقولون (لو سلم الفارس من الحارس الدنيا بخير)

ومن أمثال بدو فلسطين (ربيع مصر بيروح في طريقها) يضربون به المثل على الامر تكاليفه توازي النفع المرجو منه ، وهذا المثل يبين لنا كيف كان يذهب بدو فلسطين الى اقليم الشرقية من أرض مصر لتسمين مواشيهم واذا ما عادوا الى فلسطين هزلت المواشي وهي تقطع فيافي سيناء ، واذا كان أهل المدن يضربون المثل للولد الطالح يخلف والده الصالح بقولهم (وردة خلّفت شوكة) فالبدو يقولون (يا ما نار خلّفت رمد ويا ما جمال خلّفت بعر) ، وفي مقابل قول اهل المدن لمن يريد أن يقوم بالعمل بعد انتهاء الاخرين منه (الناس راجعون وهو حاجون) فالمثل الذي يردده البدو في هذا الموقف (روّحت الرعيان ومقيدح سرح) واذا كان أهل الحواضر يقولون (لا تقول فول حتى يصير في المكيول) فالبدو يقولون (لاتعد بقرك قبل فوات الزعقوق) والزعقوق حشرة تصيب الابقار في فصل الخريف فتجعلها تهيم على وجوهها ومن أمثال البدو كذلك (البوص ما يدق أوتاد) والمثل (حبل الليف بيرخي) يضربونه للحث على عدم الاعتماد على ذوي الاصل الخسيس ، وفي أمثالهم أيضا (سنة موت الجمال عملوا الأعور قايدة) و (مين شاف سليمة في سوق الغزل) والمثل (اللي بتربط ايده على السيف ما بيضرب) وهي أمثال تعطيك صورة حية للبيئة البدوية بما فيها من جمال ونيران ورعاة وخيام ... الخ . كذلك يكثر في أمثال أهل الساحل ذكر البحر والسفن [illegible] فمن أمثالهم .

المركب اللي فيها ريسين بتغرق - [illegible] فيها لله بتغرق - اذا غرقت [illegible] الرعنا [illegible] صدف البحر [illegible]
[illegible]
[illegible] عن القمح

التاريخ العربي

هناك بعض الأحداث التاريخية الهامة التي تركت صداها في الوجدان الشعبي عبر القرون ومن هنا أخذ الشعب يرددها في أمثاله ، ومن هذه الاحداث ما يكون قد وقع في العصر الجاهلي مثل قولهم (جايب رأس كليب) يضربونه لمن يحضر شيئا ويظهر اعتزازه الشديد بما احضر ، وكليب المذكور في المثل هو كليب بن ربيعة سيد وائل الذى ضربت به العرب المثل بالعزة فقالوا « أعز من كليب وائل » وقد كان يحمى مواقع القطر فلا يرعى حماه وقد قتله جساس بن مرة بن ذهل الشيبانى فترتب على مقتله حرب البسوس التى استمرت لاربعين سنة . أو تكون حادثة وقعت فى زمن الرسول ﷺ مثل قولهم (أمكر من يهود خيبر) وهم قبيل من اليهود كانوا يسكنون خيبر شمال المدينة وقد حاربهم النبي ﷺ وأخضعهم ، ومن أساليب مكرهم ان امرأة منهم حاولت قتل النبي ﷺ باهدائها له شاة مسمومة أو يكون زمن وقوع الحادثة العصر العباسى ، فنراهم يضربون المثل للأمر تريد تداركه بعد فوات الأوان بقولهم (بعد خراب البصرة) وقد خربت البصرة سنه ٢٥٧ هجرية أبان ثورة الزنج ، وبعد أن فعل الزنج الافاعيل بالبصرة وبأهلها وجه العباسيون الجيوش لانقاذها ، ولابن الرومى قصيدة مؤثرة يرثى بها البصرة ويذكر ما يفعله الزنج بها ولعل أكثر الحوادث تأثيرا فى الوجدان الشعبى هى الغزوات الصليبية تلك الهجمة الشرسة التى تلاحقت موجاتها موجة أثر أخرى لمدة قربين من الزمن ، كانت أوربا تقوم خلالها بقذف شواطىء فلسطين بين حين وآخر بمغيرين حدد تحملهم الأساطيل قادمين من جهة الغرب ، حتى ترسخ فى الوجدان الشعبى ان الجهة الغربية هى مصدر الشرور التى لا يتوقع ان يأتى منها خير ، وقد عبر الشعب عن ذلك بالمثل (ما بيجى من الغرب اللى يسر القلب) يضربه مثلا عند حلول من يسبب له المتاعب والمضايقات ، وأصبح لفظ الصليبى فى الأمثال الشعبية الفلسطينية يرمزبه الى العدو والدخيل فنراهم يقولون (زوان بلادك ولا قمح الصليبى) ويقولون (اللى بياكل قمح الصليبى بيضرب بسيفه) . وقد لفت نظرى أن الحس الشعبى يفرق بين لفظى صليبى ونصرانى ، فاذا كان لفظ الصليبى يرمزبه الى العدو الدخيل فان الأمثال التى ورد فيها لفظ نصرانى لحمل معانى المودة والتسامح ، فنراهم يقولون لمن لا يعبأ بانضمامه الى قوم وانسلاخه عن آخرين (أسلمت سارة لا زوّدت المسلمين ولا قللت النصارى) كما يرددون فى مجال أن ليس للنصارى عدر اليهود (كول عند اليهود ونام عند النصرانى)

ومع توالى موجات الغزو الآتية من الغرب رأى بعض سلاطين المسلمين العمل على حرمان الغزاة من فرصة اتخاذ مدن الساحل قواعد ينطلقون منها الى ماوراءها من ديار المسلمين . فقام الناصر صلاح الدين بتخريب عسقلان حتى لا يتخذها الصليبيون قاعدة للهجوم على مصر . كما قام الظاهر بيبرس بتخريب يافا بعد فتحها . ولما كانت عسقلان من أزهى مدن فلسطين وأكثرها عمرانا فقد ترك تخريبها أسى وحزنا فى وجدان الشعب نجد صداه فى قولهم (كانت عسقلان مدينة) يضربونه للأمر كان له خطره وشأنه ثم أخنى عليه الزمن فدرس وباد

وبعد خروج الصليبين من بلاد الشام ، قامت فرقة الاسبتارية بالاستيلاء على جزيرة مالطة واتخذت منها قاعدة لمهاجمة سفن المسلمين وشواطىء بلادهم وذلك بعد أن قضوا على كل أثر للمسلمين فى الجزيرة مما جعل مالطة فى الوجدان الشعبى رمزا لديار الكفر التى لا يوجد فيها من يقيم شعائر الاسلام ، ومن هنا جاءالمثل (مثل اللى بيأذن فى مالطة) يضربونه لمن يدعو حيث لا يستجاب له وان هذه الحروب التى تسترت باسم الدين هى التى جعلت الفلسطينى رغم تسامحه الدينى الذى يعبر عنه بقوله (كل واحد على دينه الله يعينه) وقوله (الدين للديان) جعلته يرى أن العداء الحقيقى هو العداء الدينى ، وقد جاءت الغزوة الصهيونية المتسترة برداء الدين لترسخ لدى الشعب هذا المفهوم فنراهم يقولون (عدوك عدو دينك) ويقولون (عدو دينك عمره ما يحبك) ■■

الاسكندرية ـ محمد العبد المصرى

ثورة المسرح الجديد فى بريطانيا

بقلم : جمال الكناني

لقد أرست الثورة المسرحية التي بدأت في انجلترا بعد الحرب العالمية الثانية قواعدها وأتمت رسالتها وحققت جل أهدافها .. ولم يبق الا تقييم ما حقق كل كاتب مسرحي عن طريق كل مسرحية كتبها وما حقق كل مخرج مسرحي عن طريق كل تمثيلية أخرجها ، وما جنت تلك الثورة بوجه عام .. ومن الواجب أن نذكر باديء ذي بدء أن بعض المسرحيات العادية المعاصرة ما زالت تحتوي قدرا من العاطفية والتفسيرات الخاطئة فيما يتعلق بالطبقة العاملة ، يساوي أو يزيد عما كان يحتويه سلفها من أخطاء تتعلق بالطبقة الارستقراطية .. كما يجب ان نشير الى ان كتابات بعض كتاب المسرح ، الذين ظهروا في أوائل هذه النهضة المسرحية وتوقع لهم النقاد مستقبلا زاهرا ، لم تتطور بدرجة تحقق ما عقد عليهم من أمل .



تولّى زعامة الثورة المسرحية المعاصرة في انجلترا أربعة من كتاب المسرحيات هم صمويل بكت وجون أوزبورن وهارلد بنتر، وجون آردن .. وكان أكثر الاربعة وأعمقهم أثرا على تلك الحركة المسرحية هو لا شك « جون أوزبورن » لأن اهتمامه بالناحية الطبقية من المجتمع كان واضحا محدودا، والناحية الطبقية عنصر من أهم عناصر أي ثورة .. وأوزبورن هو الذي فتح الباب للطبقة العاملة بعد أن طال طرقها لهذا الباب .. ومع أن رواد المسرح في لندن ما زالوا أساسا من أهل الطبقة الوسطى، الا ان الوضع قد بدأ يتغير فيما يتعلق بالمسارح غير التجارية التي تتلقى اعانات مالية وتقدم المسرحيات الجاهزة من بين مجموعة المسرحيات التي في جعبتها .

ومن أهم العلامات الدّالة على تطوّر المسرح الانجليزي المعاصر هو ظهور مسرح « الاخراج الجماعي Ensemble Theatre » الذي يرجع الفضل فيه الى « برتلوت برخت » أولا، ثم الى « جون لتل وود » و « كنث تاينان » اللذين كافحا في هذا السبيل عشرين عاما . وخير مثال على مسرح « الاخراج الجماعي » هو الاخراج الذي قدمه مؤخرا « بيتر هول » وهو زعيم المخرجين في المسرح المعاصر ـ بالاشتراك مع جون بارتون وكذا الاخراج الذي اشترك فيه « جون بارتون » و « ترفور نن » و « كليفورد وليامز » ، للجزءين الاول والثاني من هنري الرابع .

واشتراك اكثر من مخرج واحد في تقديم تمثيلية واحدة أمر لم يكن يخطر بالبال في انجلترا قبل عشرين سنة . كما أن ما اقدم عليه المخرج بيتر هول من ابرام عقود طويلة الاجل مع الممثلين، مما أمّن لهم نوعا من الاستقرار وقوّى روح الجماعة والتعاون بين اعضاء الفرقة الواحدة، كان فتحا جديدا في عالم المسرح هيأ الفرصة لتطوير أسلوب الاخراج والتمثيل، فكانت النتيجة أسلوب اخراج شكسبيري جديدا تماما على انجلترا المعاصرة، يستمد أصوله من « برخت » . وهذا الاسلوب الجديد يعارض الاسلوب البطولي ويؤكد بشدة على الحقائق العملية في الحياة اليومية للعصر ... فالممثلون الذين يظهرون على المسرح المعاصر اصبحوا اكثر من شخصيات اضافية تكون جماعات يزين بها المسرح وتملأ ما قد يكون فيه من فراغات ... انهم اليوم يظهرون كشخصيات لذاتها، شخصيات تكدّ وتكدح وتعرق وتحس بالجوع والعطش ... شخصيات تجرّ امتعتها، وتجرّ دوابها ...

أما سيوفهم ودروعهم فسيوف حقيقية من فولاذ وحديد، وملابسهم الخشنة من قماش خشن فعلا، وما يغطي وجوههم واجسادهم من دم او طين، هو دم وطين وليس مجرد الوان أو « ماكياج » ... فالمسرح الجديد لا يقدم ومضات او لقطات عارضة لايضاح فكرة معينة .. والمسرح الجديد لم يعد خلفيّة لقصيدة تقرأ او خطبة تلقى، ولكنه اليوم ضرورة لازمة تدور حولها فكرة الاخراج التي تعتمد على الواقعية وتؤكدها .. لهذا زادت اهمية المصمم الفني المسرحي الذي يلعب اليوم في الاخراج دورا خطيرا ... ونذكر من صفوة هؤلاء المصممين، جون بري الذي يدين بالكثير لمصممي « برخت » من امثال كاسبار نهر .

ويميز التصميم والمناظر هذه الايام انها جميعا تتسم بالبساطة وعدم الافراط في الزينة والقصد في استخدام الالوان والاضواء والاعتماد على نصب وادوات توضع في مقدمة المسرح ... وقد تكون هذه كرسيا خشبيا عاديا او عربة خشبية او طاولة رخيصة ... توفر كلها للمسرحية جوا محليا .

وعلى الرغم من ان مسارح لندن التجارية لا تستطيع ان تجاري مسارحها القومية التي تكاد تحتكر الاسماء اللامعة من نجوم المسرح وتمثيله، الا أننا نلحظ اتجاها قويا نحو الاسلوب الواقعي في التمثيل والاخراج . واوضح دليل على ما طرأ على المسرح الانجليزي من تغيير هو المخرج الجديد الذي يتبع في توزيع الادوار على الممثلين ... ففكرة المخرج المعاصر ان يجب ان تكون شخصية الممثل وشكله وملامحه مختلفة عما كانت عليه فكرة سالفه فالمسرح المعاصر يميل من الممثلين شخصيات ريفية او اقليمية خشنة ولا يصر على اللهجة المهذبة التي يتدرب عليها خريجو الاكاديمية الملكية للتمثيل . وحتى الملامح التقليدية الجميلة

بالوسامة التي كانت من قبل امرا مألوفا مطلوبا ، قد بدأت اليوم تختفي تدريجيا من بين صفوف الممثلين الذي يعملون على المسرح المعاصر .

وكان المخرج قبل عشرين سنة يجد صعوبة في الحصول على ممثل يجيد لعب دور الرجل العادي ، اما اليوم فالصعوبة التي يصادفها المخرج هي في الحصول على ممثل شاب يتقن لعب أدوار الملوك والامراء وافراد الطبقة الارستقراطية .

ولقد وضع المخرج « بيتر هول » نظرية جديدة للاخراج تؤكد النواحي والخصائص التي تشترك فيها شخصيات الملوك والقواد في شيكسبير مع شخصية الرجل العادي فهو يحاول ان يحدد اوجه الشبه بين شخصيات العظماء وبين الافراد العاديين ثم يؤكد اوجه الشبه هذه بدلا من تأكيد نواحي الاختلاف بين هذه وتلك . فيختار لمن يلعب دور « لير » مثلا ، رجلا يجمع بين صفات الملوك وصفات الرجل العادي ...

بداية ثورة المسرح

وقد يتساءل البعض عن الدور الذي لعبه الكاتب المسرحي جون أوزبورن في كل ذلك .. ونرد بأن النقاد حين يتحدثون عن الثورة التي حدثت في المسرح الانجليزي المعاصر ، انما يتخذون يوم ٨ مايو ١٩٥٦ تاريخا لبدء تلك الثورة .. وهذا هو التاريخ الذي ظهرت فيه مسرحية « أوزبورن » التي عنوانها « انظر خلفك في غضب » على مسرح « رويال كورت » ومن عنوان هذه التمثيلية كانت عبارة « الشاب الغاضب » التي جرت [illegible] مؤخرا مجرى الامثال ومنها كذلك اخذت [illegible] على صرعة اوزبورن [illegible]

[illegible] للثورة [illegible] يعني أن [illegible] تلك [illegible] كانت [illegible]



اوزبورن

عرض المسرحية المذكورة واستمر الى ما بعده ولعله لم يستنفد دفعته بعد .. وكل ما هناك هو ان « اوزبورن اكسب النوع الجديد من « الابطال » والطراز الجديد من « الممثلين » شعبية كبيرة ..

ولعلي انحرف عن السياق قليلا لاشير الى هذا « الغضب » الذي ارتبطت باسم اوزبورن ومسرحيته التي اشرنا اليها فأقول ان كلمة « الغضب » ليست هي الكلمة التي تنطبق على الواقع ، ولا بد ان اوزبورن اختارها عامدا رغم ادراكه لهذه الحقيقة ، لان من طبيعة الغضب ان ينصب على شيء او على شخص معين .. اما اذا كان الغضب عاما ينصب على كل شيء فهو في الواقع ليس بغضب . وهذا ما ينطبق على « جيمي بورتر » بطل مسرحية « انظر خلفك في غضب » . فهو يصب جام غضبه على كل شيء وعلى كل من يحيط به ـ اليسون وكليف ـ وغيرهما من شخصيات المسرحية وهو الى جانب ذلك غاضب على [illegible] وعلى النظام الاجتماعي وعلى [illegible] من اعضاء مجلس العموم [illegible] وعلى المشير [illegible] وعلى كل من يحن الى ايام الامبراطورية ، وعلى الكنيسة ، وعلى [illegible]

[illegible]

ولكن ليس منهم رغم ذلك من يمثل الطبقة العاملة ، كما اننا لا نرى منهم واحدا يعيش في محيط تلك الطبقة العاملة .

لروح الفكاهة ، والنكتة الحلوة مكان ملحوظ في مسرحيات اوزبورن ، فكل شيء عنده جائز ما دام يضحك ولا ينافي الذوق او طبيعة السياق ... ولكن روح الدعابة تتحكم في شخصيات اوزبورن اكثر من تحكم هذه الشخصيات في الدعابة ومعنى ذلك ان للشخصية كامل الحرية في سرد أي حكاية طريفة مضحكة .

والنكت ذاتها مهمة جدا بالنسبة لأوزبورن ، فمسرحية « المسلى » مثلا تدور حول شخصية رئيسية نتوقع ان نسمع منها النكتة تلو النكتة .. ونلمح نفس الظاهرة في تمثيلية « تحت الغطاء العادى » وان كان المؤلف لم يصب في هذه ما اصاب في « المسلى » من نجاح ... استمع اليه يقول في آخر مشهد من مشاهد « الميوزيك هول » في المسرحية :

« بين الكواليس شخص يحمل » خطافا « او » صنارة « ... انت تعرف ذلك .. دون شك .. انه يقف هنالك .. حيث استطيع ان اراه .. انه لا شك جابي الضرائب »

ونجد هذا الاتجاه في جميع مسرحيات اوزبورن اللهم الا في مسرحية « لوثر » لان طبيعتها الدينية لا تناسب النكت .. فأى محاولة من هذا النوع تبدو فيها عقيمة نابية تنفر الذوق السليم .

لا يعتبر اوزبورن من ناحية الصنعة المسرحية وفي التأليف المسرحي مؤلفا من النوع التقليدى فحسب ، بل اننا نراه ـ من ناحية ـ كاتبا بدائيا كذلك .. فهو مثلا يبدأ مسرحيته وعلى خشبة المسرح ثلاثة من الممثلين ، ثم يدخل اثنان اثناء الحوار ، بدلا من ان يستغل وقع دخول كل ممثل من الثلاثة على حدة ، مما يعزز الجو الدرامي عادة ... ولعل اوزبورن يلجأ الى ذلك عامدا ليوفر على نفسه عناء كتابة بدء الحوار بين الشخصيات الموجودة على المسرح فعلا .. ولسنا نسوق ذلك لا هميته ولكن نذكره لمجرد الدلالة على ان اوزبورن يتعمد على المونولوجات ، بدلا من الحوار ، الى حد بعيد ليحتفظ للمسرحية بحيويتها .

ماذا وراء المونولوج

ومما يميز كتابات ازبورن كذلك انه يعطف على بطل قصته ويرعاه الى حد انه يخضع له بقية الشخصيات دون ان يسمح لها بمقاومته او معارضته .. وهو بهذا يقلل من فرص الصراع الدرامي ، رغم اننا نفترض ان الغضب هو المحرك والدافع الى الكتابة وانه هو الذى يوحى بالهجوم على الدنيا الحديثة ونقدها ، تلك الدنيا التى يقول « جيمى بورتر » عنها انها تفتقد المثل التى تستأهل ان نموت في سبيل الدفاع عنها .... وعلى الرغم من ان الهجوم على الدنيا الحديثة يقتضي مقارنتها بغيرها ، او بعصر آخر ـ وهنا يتجلى ما في كتابات اوزبورن من تناقض ـ فاننا نجد ان اوزبورن يستعرض فى حنين ، لا فى غضب ، العصر الادواردى ، وما كان فيه من استقرار ورضا ، بينما يهاجم الماضى بكل غضب فى اى سياق آخر ....

وبعد مرور خمس سنوات على ظهور مسرحية « انظر خلفك فى غضب » بدأ الناس يتساءلون عما اذا كان اوزبورن قد استنفد جميع قدراته وامكانياته الدرامية ، وعما اذا كانت جعبته قد فرغ ما فيها من تمثيليات ، ولكنه سرعان ما طلع على الناس بمسرحية « ادلة غير مقبولة » فأجمع النقاد لتوهم على انها خير ماكتب .

ولقد وجد اوزبورن فى مادة هذه المسرحية حلا لمعظم ما كان يواجهه من مشكلات كانت من قبل تعقد كتاباته ، ومن هذه مشكلة الحوار التى كان يواجهها دائما فيضطر الى الاستفادة بالمونولوج الذى اتسم عنده بقوة خطابية هائلة وروح فكاهة منعشة .. ولكن المونولوج اسلوب يصعب استعماله فى الدراما دائما ، ففى « انظر خلفك ... » يفيض « جيمى » بالمونولوج تلو المونولوج ، بينما يستمع غيره من شخصيات المسرحية لما يقول .

وتتكشف لاوزبورن فى مسرحية « أدلة غير مقبولة » حقيقة كانت تخفى عليه وهى ان مصدر ما يلقى من صعوبة فى ربط الشخصيات بعضها ببعض ،

هو الامر الذى يقلقه ويهمه ، وهو عدم اتصال الناس بعضهم ببعض . ونرى فى « أدلة غير مقبولة » مدى وضوح رؤية اوزبورن وحدتها .. فآلام البطل « بل ميتلاند » وعذابه تصدر عن ادراكه التدريجى لما بينه وبين عالمه من فرقة .. فهو محام فى الاربعين من عمره ، يمارس من القانون ناحية لا ترتفع فوق الشبهات ـ وهى قضايا الطلاق ـ له زوجة ، وبنت واحدة وخليلة ، وهو على وشك ان يصاب بانهيار عصبى كامل . فيخال له ان الدنيا كلها تضمر له العداء وتتآمر على تجاهل وجوده ... اصدقاؤه يجمعون على هجره والبعد عنه ، والناس تقطع مكالماتها التلفونية معه قبل نهايتها ـ او هكذا يخال اليه ـ وموظفو مكتبه يهملون شأنه ، وزبائنه لا يعملون بمشورته ، وبنته اذا زارته وقفت صامتة وهو يهذر .. فاذا صمت هو ، رحلت هى عنه دون ان تنطق بكلمة واحدة ...

هكذا تبين اوزبورن ان الناس لا يستمعون لاحد وخاصة من يلزمهم الاصغاء اليه .. والعكس هو الوضع على المسرح لان اشتراكنا بخيالنا ومجرد استماعنا لا يشركنا فورا فى دنيا الحركة التى تجرى ... فواجبنا هو ان نسمع لا ان نعمل .. ولهذا لا نصدق عيوننا تماما حين نرى ان الناس لا تصغى الى « بل ميتلاند » او تلتفت اليه ، لأن القلق يساورنا حينئذ اذ ندرك مدى اعتمادنا على نوايا الغير ومدى استعدادهم لمساعدتنا .

لا تخلو مسرحية « أدلة غير مقبولة » من بعض هنات .. فأوزبورن مثلا قد اسهب واطال فى عرض كابوس محاكمة « ميتلاند » .. وكان الاجدى ان يضغط المحاكمة حتى لا يملها المشاهد وحتى لا يميع اثرها الدرامى ... ثم اننا لا نستطيع تحديد موضع مشهد « اللواطى » من المسرحية ـ رغم دقة المشهد وقوته ، فنحن مثلا ندرك ان النساء اللاتى يزرن البطل سعيا وراء الطلاق ، تمثل كل واحدة منهن ناحية من اخلاق زوجة البطل ، حتى لنكاد نعرفها دون ان نراها على المسرح ... لكن ترى الى اى شيء يرمز اللواطى ؟ .

وتكشف هذه المسرحية عن ضعف مونولوجات اوزبورن من الناحية الدرامية اذا ما وجهت هذه المونولوجات الى شخصية موجودة على المسرح فعلا .. بدلا من من توجيهها الى الجمهور مباشرة .. كما ان هذه المسرحية تتميز عن غيرها من مسرحيات اوزبورن من حيث ان شخصياتها لا تظهر فى مشهدمن المشاهد ثم تختفى بعد ذلك تماما ، ومن حيث ان هذه الشخصيات لا تتطور عن طريق مونولوجات تكشف عن طبيعة كل منها .

ترى هل هناك رسالة ، غير الرسالة الاجتماعية ، يريد اوزبورن ان يبلغها لجمهوره ؟

فى مقال نشرته له « دكلاريشان » Declaration « قال اوزبورن » اريد ان احرك شعور الناس .. اريد ان القنهم دروسا فى الشعور والاحساس . ويمكنهم بعد ذلك ان يفكروا لهذا نجد ان مسرحياته مشحونة بشعوره السافر مما يمكنها من ترك آثار عميقة ، كتلك الدهشة المحمومة التى تملك علينا شعورنا اذ يعود « جيمى بورتر » من الجنازة ليجد « اليسون » قد هجرت الدار . وما اصاب « نكول وليامسون » من ذعر لما لم يستطع كاتب المحامى ان يتحدث معه تليفونيا .... كانت ثورة « جيمى بورتر » على اليسون » هى ثورة على الطبقات الحاكمة ... وبكاء « آرشى رايش » عند سماع خبر مقتل ولده ، بكاء على الضحايا العزل الذين يقتلهم جهل رجال السياسة ..

لقد اراد أوزبورن ان يلقى على الناس درسا فى الشعور والاحساس ولكنه لم يكن مستعدا للتعرف على ما يحس الناس به ، ومع ذلك فاننا اذا قيمنا كتابات اوزبورن لوجدنا فى كل مسرحياته ومضات من بريق العبقرية ، دون ان يتحقق لها استقرار فى الاسلوب او تحكم فى التغيرات التى تطرأ على لحظات التوتر والازمات . ولعل فى كراهيته للنقاد ما يعلل كبت قدرته على نقد نفسه ، كما ان فى كراهيته لمراجعة ما يكتب ما يعلل ما فى بناء مسرحياته من ضعف يسهل علاجه ... ومع كل ذلك فنحن نتطلع فى شوق وشغف الى مسرحيته القادمة ، فالحياة فى لندن بدون مسرحياته مملة لا تطاق . ■■

اوكسفورد ـ جمال الكنانى

رسالة باريس



جارودى

بقلم :
محمد صالح القمودى

لحظة صدق فرنسية

فى حين تواصل اوروبا الغربية جمع شتاتها الاقتصادى والسياسى ، يبرى بعض مفكريها ليعلنوا ان زمن المراجعة قد حان، وأن ساعة الحساب قد دقت، وأن على القارة التى شيدت امجادها باستغلال تراث وثروات غيرها .. ان تعترف بانها ليست الادكى ، ولا الاعلم ولا الاعرف فوق كوكب الارض.

باريس عاصمة الفن والادب فى اوروبا الغربية ... حرك ركود حياتها الفكرية مؤخرا تيار تحددت معالمه . انه تيار الصحوة وما تتطلبه من شجاعة فى مواجهة النفس لانتزاع اوهامها واسقاط اقنعتها وحملها على التواضع فى التعامل مع الغير .

بعد قرون من الصلف والتعالى ، جاءت لحظة الصدق ومعها انكماش الخجل وانكسار الندم فهذا اتيامبل - ١ - استاذ الادب المقارن فى جامعة السربون يعلن بان زمن التعالى الاوروبى قد انقضى .. وهذا جارودى - ٢ - يواصل تعريفه بحضارات الامم عبر الاجيال .. وهذا مونتوى - ٣ - يقدم ترجمة جديدة بالفرنسية لمقدمة ابن خلدون ، مصبوغة بمشاعره النابضة كفرنسى اشهر اسلامه واتخذ اسما جديدا منصور الشافعى.

يقول اتيامبل : - التعالى القومى فى اوروبا .. فات زمانه وانقضى . لقد ان الاوان الذى يجب ان نتواضع فيه لنعترف بما للشرق علينا من فضل . وان كان غرورنا قد منعنا من ان نفعل ذلك بالامس فلنفعله اليوم .. ولننزل غشاوة الصلف التى حجبت عنا روية الحقيقة .

هذه اوروبا قد عثرتها الازمات الاقتصادية بعد أن تخلصت الشعوب من سيطرتها الاستعمارية، فكيف تبدو يا ترى لقد شاخت وترهلت : نضبت مواردها ، شح رزقها ، قل نسلها ، وسيطرت عليها احتكارات تمتص نبض الحياة فى عروقها.

آن لهذه القارة المتهالكة أن تكتشف بان نهضتها مدينة للعرب والاتراك والصينيين .. وان ثروتها منهوبة من أفريقيا وآسيا وأمريكا .. وانها لن تكون بعد اليوم الاقوى والاعظم .

ان لهده القارة المزهـــوة بثقافتها وعلومها أن تعلم بانها ناقلة وليست واضعة معلمة ..... وبانها مطورة وليست مكتشفة .

أن لها ان تتعرف على ينابيع الثقافة الترقيه وان تنهل من معينها ، وان تقارن بين الابداعات الانسانية في مواضع لا حجب الرؤية الصحيحة .

اما روجية جارودى ، فهو لا يكتفي بالتنبيه كما يفعل زميله ، بل يدفع الكتاب تلو الكتاب ليكشف عن الحضارات الانسانية عبر الاجيال . وليقنـع الاوروبين بضرورة التحاور مع الامم الاخــرى للاستفادة من ابداعاتها . وللتعرف على قيمها .

لقد صدر له مؤخرا كتاب بعنوان كيف صار الانسان بشريا وهو جولة ممتعة بين ثقافات الامم هدفها التاكيد على وحدة الانسان رغم اختلاف وتباعد الزمان وعموم التنافر وحواجز سوء المفهم. ويواصل جارودى مسيرته اذ يعد حاليا كتابا عن التصوف الاسلامي وهو لا يخفي اعجابه بالحضارة العربية الاسلامية ونظامها الشامل الذى يجمع الدنيــا والدين .

هذا التيار الفكرى الذى حرك ركود الحيــاة الثقافية في باريس مؤخرا يعيد الى الاذهــان كتابات فرانتس فانون (٤) الطبيب النفساني الذى انضم الى جبهة التحرير الوطني الجزائرية وساندها بفكره رغم ارهاب الاستعمار الفرنسي .

يقول فانون في كتاب (المعذبون فى الارض) وهو آخر كتاب صدر له قبل وفاته ، فنال به شهرة واسعة ... يقول : ـ لقد فرض العنف علـى شعوب العالم الثالث حتى صار المواطن فيها لا يدخل المجتمع الانساني الا اذا اقتحمه بقوة السلاح.

ثم يوجه فانون نداءه المشهور الى شعوب العالم الثالث : ـ

يا ايها المعذبون فى الارض .. اخرجوا مـن الظلمات الى النور . الفجر الوليد يجب ان يلقانا مسلحين بالصـلابة والفطنة والعـزم . فلننـتزع الاوهام التى قيدنا بها الاستعمار الاوروبي . ان اوروبا تتحدث عن الانسانية وهى تستعبد الانسان انجازاتها التقنية .. لن تبهرنـا ولن تفقدنــا توازننا نحن لن نقلد اوروبا .. علينا ان نربى الانسان الكامل الذى فشلت اوروبا في تربيته . علينا ان نستحدث نظاما يحفظ للانسان توازنـه ولا ينحرف بفطرته .

ترى ....

اية اتجاهات سيتخذها هذا التيار الفــكرى الجديد ؟

× هل يدعم الاناسة (٥) وهو علم يبحث في اصل الجنس البشرى وتطوره واعرافه وعاداتـه ومعتقداته ... مثلما حدث عندما دعا روســو (٦) الى الاهتمام بدراسة الانسان الفطرى لانـه اطيب من الانسان الذى افسدته حضارة الغـرب فاستغل الاستعمار الغربي دعوته اذ حول علم السلاله (٧) وهو علم يبحث فى اصول السلالات البشرية ، الى اساليب لاستعباد الشعوب ونهب ثرواتها .

× ام انه سيطرح التعصب والعقد ، وسيقبل على دراسة الحضارات الاخرى بقلب مفتوح وصولا الى الحقيقة ؟

واذا ما فعل ذلك .. فانه حتما سيتوقف طويلا امام الآيات القرانية التالية : « يا أيها النـاس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبـــا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم . ان الله عليم خبير » (الحجرات ـ ١٣) .

× وعندها ....

سيكتشف رواد هذا التيار الفكرى الجديد ان مؤسس علم الاناسة ليس روسو او موس (٨) وانما هو الله جل جلاله في كتابه العزيز .. وانهم لن يصلوا الى علم نافع حتى يستوعبوا هذه الآيات الكريمة التى تفتح أرحب الآفـــاق للتعاون بين البشر في ظل الاحترام المتبادل . والتعاون المثمر النابع من التقوى .

باريس ـ **محمد صالح القمودى**

(1) - Fuemble Retours du monde
(2)- Roger Garoudy Comment l'homme devint humain
(3) Vincent Monteil Discours de l'histoire universelle
(4)- Frantz Fanon Les damnés de la terre
(5) - Anthropologie.
(6) Jean-Jacques Rousseau - Du Contrat social.
(7) Ethnologie
(8) - Marcel Mauss Sociologie et Anthropologie.

رسالة روما

[redacted]

قصائد باللغة الايطالية فازت بجائزة سان فالنتينو

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري

الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني

في منتصف عام ١٩٧٨ تلقيت دعوة للاشتراك في مسابقة شعرية تجري في ايطاليا كل سنة ـ منذ عشر سنوات ـ للفوز بجائزة (سان فالنتينو) . والجوائز الأدبية في ايطاليا أكثر من أن تحصى ، وفي كل سنة يتبارى الناشرون والكتاب للفوز بها ، وتعقد لها لجان التحكيم ، وتشتغل بها الصحافة وكل وسائل الاعلام الأخرى . وهي في الواقع من الوسائل الناجحة في تشجيع الحركة الأدبية وزيادة اقبال الجماهير على القراءة . وجائزة سان فالنتينو ذات فروع : للقصة وللشعر ، وللمنشور وغير المنشور من الشعر والقصة ؛ والجانب الشعري منها كان لهذا العام يختص بالحب ـ حب الانسان عامة ، وحب المرأة كذلك . وعلى الرغم من أن هذه الجائزة لا يرافقها أي مبلغ نقدي ، كالكثير غيرها من الجوائز ، فان الاقبال عليها يتزايد من عام الى عام . وقد علمت أن عدد المتسابقين لها هذه المرة قد وصل الى نحو أربعمائة شاعر وشاعرة من الايطاليين .

وأنا لدي مجموعة من القصائد كتبتها باللغة الايطالية خلال الأعوام الأخيرة ، وتبلغ خمسا وثلاثين قصيدة قصيرة ـ على طريقة الشعر الغربي الذي يميل الى القصر في الغالب ـ فرأيت أن أبعث بهذه المجموعة للمسابقة ، استجابة للدعوة ، وان لم يكن لي أمل كثير في الفوز بين مئات الايطاليين المتقدمين للمسابقة ، وهم أبناء اللغة ، وأنا غريب عنها .

وبعد نحو شهر تلقيت من سكرتيرية اللجنة المشرفة على الجائزة اشعارا بوصول المجموعة مشفوعا بتمنيات النجاح . وفي مطلع هذا العام ، ١٩٧٩ ، تلقيت رسالة تهنئة من سكرتيرية اللجنة ، مع قرار لجنة التحكيم القاضي بمنحي (جائزة خاصة لأحسن شاعر أجنبي باللغة الايطالية) .

وكان موعد تسليم الجوائز للفائزين هو الحادي

والعشرين من شهر سان الماضي . ولم أتمكن من الحضور بنفسي لتسلم الجائزة ، فكتبت الى صديقين لي في روما لكي ينوبا عني بحضور الاحتفال وتسلم الجائزة : وهذان الصديقان هما . المستشار الثقافي في السفارة الاردنية السيد سليم الربضي ، والدكتور فتحي مقبول ، مدير المركز الثقافي العربي في روما ، وأحد مدرسي اللغة العربية في المعهد الجامعي الشرقي في نابولي .

وحضر الدكتور فتحي مقبول الاحتفال ، وألقي فيه كلمة نيابة عني ، وتسلم الجائزة باسمي . والجائزة عبارة عن كأس فضية كبيرة الحجم ، تقوم على قاعدة من الرخام الابيض الجميل ، ومعها ميدالية ذهبية ، وبراءة تقدير من لجنة التحكيم ، وكتاب يشتمل على قصيدة واحدة لكل واحدة من الشعراء الذين اشتركوا في المسابقة . ويقول الدكتور مقبول في رسالته التي وصلت مع الجائزة ان الجمهور الذي حضر الاحتفال كان يزيد عن خمسمائة شخص ، مما يدل على الاهتمام الذي تتمتع به هذه الجائزة .

لقد سبق أن نشرت الصحف والمجلات العربية نبأ فوزي بهذه الجائزة ـ وهو ثاني جائزة أدبية ايطالية أفوز بها ، وكانت الأولى جائزة (البحر المتوسط الثقافية) من باليرمو سنة ١٩٧٦ ، ونالها معي من العرب الشاعر نزار قباني ، والكاتب الليبي الصديق خليفة التليسي ، ومع الجائزة مبلغ من المال لكل واحد ممن نالوا الجائزة . وهي الجائزة عينها التي فاز بها توفيق الحكيم عام ١٩٧٧ ، فازت بها الشاعرة فدوى طوقان سنة ١٩٧٨ ـ

ولقد طلب الي كثير من الاخوة الادباء في الاردن والبلاد العربية أن أترجم لهم بعضا من قصائدي الايطالية الفائزة بجائزة سان فالنتينو ، لكي يقرأوها باللغة العربية . وها أنا أقدم لهم بعضها نثرا باللغة العربية حسب رغبتهم .

١ ـ رغائب

ان كنت ، يا أخي ،
ترغب في أن تكون بحق أهلا
لأشعة الشمس ،
ولعبير الأزهار والورود ،
وضحكات الحدائق والحقول ،
وخرير الجداول والأنهار ،
وللسلام والهدوء
على الشواطيء والجبال ؛
وان كنت تود أن تنعم مطمتنا
بأفراح الحياة ،
ففكر في أن الجميع كذلك يرغبون
ـ ولهم مثل حقك في الرغبة ـ
في الأمور عينها التي تريدها أنت
والتي تفكر أنت نفسك
في امتلاكها .

. . .

٢ ـ اللاجيء

اللاجيء هو انسان مهان ،
انسان طعن في كرامته ،
ولكي ينتقم لنفسه من الظلم
يفعل كل شيء ليجعل الجميع أيضا يحسون بمثل مهانته
ويشعرون بمثل مذلته .

. . .

اللاجيء انسان فقد كل شيء ،
ولهذا
يفعل كل ما بوسعه ليجعل الآخرين أيضا
يفقدون مثله كل شيء .

. . .

اللاجيء انسان . وهو ككل الناس
حين يفقد بيته ووطنه ووسائل عيشه
يفقد حتى الاحساس
نحو الانسانية بأسرها ،
ونتيجة لذلك يصبح عدوا
للجميع ،

ولكل ما هو انساني .

. . .

بالمحبة والعدالة وحدهما
يستطيع اللاجيء أن يسترد كرامته
ويسترد حبه للآخرين .

. . .

٣ ـ وطن عام
لماذا تخترعون الصواريخ
ووسائل الموت والدمار الأخرى ؟
لماذا تقيمون الحواجز والحدود
لتفرقوا بين الناس وبين الاقطار ؟
ارفعوا بدلا من ذلك أعلام السلام
والثقة المتبادلة ، والاخاء ،
اخترعوا بدلا من ذلك وسائل عامة
للسعادة
والرخاء
والحب بين البشر
بذلك تستطيع الأرض أن تصبح
وطنا عاما وسعيدا
لبني الانسان أجمعين .

. . .

٤ ـ فراشات
فراشات ربيع
من كل لون وسحر
تستريح مطمئنة وادعة
على خديك .
وفي عينيك
يضحك الربيع
وترفرف أجنحة ذهبية
من ألف فراشة .

. . .

٥ ـ ورود وبركات
من كان في وسعه أن يغرس
نبتة شوكية ،
ففي وسعه كذلك
أن يغرس حديقة أزهار
وورود شذيةً .

. . .

من كان قادرا على أن يلعن ويشتم
فهو قادر كذلك على أن يبارك
وأن يخلق البهجة
في حياة الآخرين .

. . .

طوبى للذي ،
بدلا من أن يغرس الشوك ،
وبدلا من أن يلعن ويشتم ،
يفرح بأن يغرس
حدائق أزهار وورود ،
ولا يعرف
غير أن يبارك ، ويخلق البهجة
في حياة الآخرين !

٦ ـ غناء وعبير
العندليب دو الحنجرة الذهبية
قبل شروق الشمس
يلقي علي « صباح الخير » .
وفي حنجرته الصغيرة تغرغر عذبة
ألف أغنية حب .

. . .

وأنت يا حبيبتي تستيقظين مع الشمس
وعلى شفتيك ابتسامة حلوة ،
ثم تدنين مني ، وبقبلة منك
تعطينني أعذب ما في الصباح
من شذى عابق ،
وتأتي الي « صباح الخير » من حنجرتك

عذبة هامسة
كأحلى ما يكون غناء العندليب !

٧ ـ فتاة

هنيئا لك يا فتاتي ،
فأنت كزهرة الربيع
لم يكلل الثلج رأسك بعد
ولا أصاب قلبك الدائم الدفء .

. . .

وأما أنا فأحس
بكل برودة الثلج
وأرى فم الهاوية الرهيب
يفغر لي شدقيه بشراهة
ليبتلعني في أعماقه !

. . .

٨ ـ شيخوخة

اغتبطي يا صديقتي ،
فأنت ما زلت شابة وجميلة ،
فلماذا تشعرين بالشيخوخة والوحشة ؟

. . .

ما دمت قادرة على أن تحبي
فأنت دائما شابة
وأنت دائما زهرة
تفوح بأشهى العبير !

. . .

٩ ـ فاقة

ـ هذه الخرق البالية
من مزق لك أياها أيها الطفل ؟
ـ الشقاء : الفاقة !
ـ أأنت يتيم أيها الطفل ؟
ـ نعم ، رغم أن لي أبا وأما !
ـ هل هجرك أبوك وأمك ؟
ـ لقد هجرني الجميع :
أبي وأمي
والمجتمع المدرك ،
وكذلك أذرع الحب والحنان !
ـ صبرا ، أيها الطفل ، صبرا
فستنمو يوما ،
وتصبح قويا ، صلب العود
وستقهر الاسى
وستخلق من جديد !

. . .

١٠ ـ السنديانة

كم من عقود
سقطت ميتة
عند أقدام هذه السنديانة المنفردة
التي تقف في قلب الصحراء
وتظل قوية عالية
ولا تني تزداد شبابا !

. . .

أنها بخضرة أوراقها
تستقبل في حضنها
طيور السماء ،
وفي ظل أغصانها الوارف
تستضيف وحوش الفلا
مثلما تستضيف
المتنزهين المرحين
وعابري الصحراء
الذين يمضون تحت أشعة الشمس المحترقة
منهوكين ، والعرق يتصبب منهم .

. . .

هنيئا لك يا سنديانة الصحراء ،
فأنت لا تعرفين الشكوى من الوحدة
ولا من الشيخوخة !

الدكتور عيسى الناعوري

لابد من صيغة توائم بين البيت والمدرسة



محنة التربية والثقافة



بقلم : محمود محمود

حينما يتحدث الباحثون عن التربية لا نجد بينهم خلافا كبيرا فيما يعنون بها ، حتى انهم ليكادون ان يستغنوا عن تعريفها نظرا لاجماع الرأي في معناها - والتربية التي اعنيها في هدا المقال بالذات هي ذلك النظام الذي الفناه من تقسيم النشء الى مجموعات من الاعمار واختصاص كل مجموعة بمرحلة من مراحل التعليم لها معلموها ومناهجها ووسائلها وكتبها وطرقها في التقييم ، ومهما اختلفت الطرق والوسائل فمما لا مشاحة فيه ان الكتاب والكلمة المكتوبة هي اهم الوسائل في نقل المعرفة

وليس الامر كذلك حينما سحدث عن الثقافة هنا يختلف المقصود بهذا اللفظ . في الدراسات الانثروبولوجية الاسانية يعني به الباحثون نمطا شاملا من انماط الحياة في مجتمع من المجتمعات ، واسلوبا خاصا من اساليب العيش ومن مظاهر الثقافة بهذا المعنى النظم الاجتماعية والسياسيه ، واسباب التعاون او التنافس بين الافراد ، وما يعده الناس حلال وما يعدونه حراما ، ما يخجلون منه وما يفخرون به ، وطقوسهم الدينية ومقدساتهم وشعائرهم وطبيعي ان تكون الطريقة التي يسلكها الكبار في تنشئة الصغار من اهم سمات الثقافة بهدا المعنى - ولا نستطيع في هذا المجال ان نعلّي ثقافة على اخرى ، وان نضع سلما للقيم نقسم الثقافات المختلفة وفقا له فليست هناك ثقافة افضل من غيرها ، هذا اسلوبك في العيش وهذا اسلوبي ، وكل ميسر لما خلق له

وتستخدم « الثقافة » كذلك بمعنى آخر ، وذلك حينما نقصد بها مجموعة من المعارف والمهارات والمشاعر يتميز بها فرد عن آخر ، ويرى فيها المجتمع قيمة اعلى وقدرا

اكبر . والمدارس تأخذ بهذا المعنى فتنتقي من المفاهيم والموضوعات ما تخضع له الطالب لكي يصبح مثقفا مهذبا ، يختلف بثقافته هذه عن عامة الناس ولعل هذا المعنى هو الذي اشار اليه مايثو آرنولد عن الثقافة حين قال في تعريفها « انها خير ما فكر فيه الانسان وعبر عنه »

عن الثقافة الشعبية

وهناك معنى للثقافة يقع وسطا بين هذا وذاك ، وهو يتخير مجالات معينة يعدها من الثقافة ، ولكنه لا يفاوت بينها في القيم . فالموسيقى الشعبية وسمفونيات بيتهوفن مثلا كلاهما من امور الثقافة ، ولا تفضل احداهما الاخرى ، لأن الموسيقى بعامة تلعب دورا هاما في حياة الانسان . والرياضة البدنية كرياضة الذهن سواء بسواء لأن الرياضة عموما من النشاطات البشرية الأثيرة . والفكر والعمل سيان إذ لا غنى للمرء عن هذا او ذاك . الثقافة اذن مجموعة مختارة من النشاطات البشرية ولا تشتمل على كل ضروب النشاط الانساني ، وليس لأي فرع من فروع المعرفة او العمل قيمة اعلى . هذا المعنى للثقافة هو الذي اخذ به ج . هـ بانتوك احد اساتذة التربية المعاصرين في بريطانيا .

والثقافة باي معنى من المعاني لها اثر عميق في حياة الناس ، فهي التي تمدنا بوجهات النظر الى هذا العالم الذي نعيش فيه . ولنضرب لذلك مثلا : كان الانسان في الماضي ينظر الى الظواهر الطبيعية نظرة تختلف عن انسان العصر الحاضر ، فاذا رعدت السماء مثلا كان ذلك دليلا على غضب الآلهة ، اما الرعد عندنا فهو نتيجة لازمة لتوافر بعض العوامل الطبيعية ، ولم نعد نخشاه كما كان يفعل آباؤنا الاوائل . نحن نعتمد على التفسير العلمي وهم على الوهم والخرافة . غير ان شيئا من ثقافة الماضي لا يزال يسري في دمائنا ويندس في شعورنا .

والتربية الصحيحة هي التي تنقل العلم الحديث الى الطالب وتبني في الوقت نفسه على ما في تراث امته من خير وفضيلة ، وتخلق من القديم والجديد مزيجا مؤتلفا لا يؤدي الى انفصام الشخصية او حيرة المتعلم .

وجدير بنا في هذا الصدد ان نذكر ان الثقافة كانت الى عهد قريب تستند الى مضمون الكتب من ناحية والى العرف والتقاليد من ناحيةاخرى ، الطبقة العليا من الشعب تأخذ بما تحتويه الكتب ، وعامة الشعب تتشبث بالقول المتداول والرأي الشائع . ولقد كانت لهذه الثقافة الشعبية قيمتها الكبرى ، وبخاصة في القرى وقبل ان يتجمع الناس في المدن الصناعية ، فكان الفلاح الساذج يعيش بمقتضاها بغير تناقض ويجابه بها قسوة البيئة وخشونة العيش بشيء من المرح وكثير من الشجاعة في اطار هذه الثقافة الشعبية التي لا تعرف الكتاب والمكتوب كانت تتنوع قدرات الافراد ، ولم يكن هناك نظام تعليمي عام نقيس بمعياره القدرات فنكل الى فئة المتعلمين في المدارس ممارسة الادارة والمهن الرفيقة ، ونستبقي لغير المتعلمين حتى ان كانوا من ذوي الكفاءات ـ الحرف اليدوية والاعمال الخشنة . ولم تكن المعرفة وقفا على من يلتحق بالمدارس ويقرأ الكتاب ، وانما هي صفة لمن يثبت الجدارة في العمل ويؤتى الحكمة في الرأي بغض النظر عن خضوعه لنظام تعليمي معين . وقد روى لنا التاريخ قصصا مثيرة عن بطولات قام بها افراد أميون لا يقرأون ولا يكتبون ، واعمال فنية رائعة أداها رجال ذوو خبرات عملية وتجارب مباشرة مع مواد الطبيعة بشتى صورها وقد برز من بينهم الحكماء والشعراء من ذوي الرؤى الواضحة والخيال البديع هؤلاء كانوا يستمدون ثقافتهم من التقاليد الموروثة التي تنتقل بالرواية من جيل الى جيل ، يتلقاها ويضيف اليها جديدا من وهبه الله القدرة على الابتكار

بين الاصالة والتجديد

ولا احب ان استرسل في الاطراء على هذه الثقافة الشفوية العفوية فأعطيها قدرا فوق قدرها متأثرا بالعاطفة وتقديس الماضي ، ولكني في الوقت عينه لا احب ان أحط من شأنها او انتقص من قيمتها . ويكفي ان يكون الايمان بالدين اهم عناصر هذه الثقافة ، ولا اقول ذلك تعصبا وانما اقوله لان الانسان لا يعيش مطمئنا الا اذا كانت له فلسفة للحياة تحدد الغرض منها وتكسبها معنى وتجعل لها هدفا ، كما تحدد طريقة تعامله

مع غيره من افراد المجتمع على اسس يقتنع بها الجميع . وليس كالدين ، أمر يؤدي كل هذه الاغراض ، على الرغم مما كانت تشوبه احيانا من خرافة ، وعلى الرغم من ان بعض الحكام كانوا في بعض العصور يتخذونه وسيلة لتحقيق اغراضهم الشخصية وغمط الناس حقوقهم بل وتعريضهم للاضطهاد في بعض الاحيان .

وحينا نشيد بالثقافة الشعبية لا يفوتنا انها كانت تدعو الى الالتزام بقواعد معينة من السلوك يتنافى مع ما نبتغيه من تحرير الفكر وهذا التعارض بين الأصالة والتجديد يقتضينا ان نبحث عن صيغة للتوفيق بينهما لنكفل للانسان الاتزان المطلوب ، وذلك بأن نبني الجديد على اساس من القديم وفي هذا يقول الناقد الانجليزي المعاصر س .إليوت « ان الفن الرفيع يجب ان يكون تهذيبا للفن الشعبي ولا يقف منه موقف المعارضة » . كان شكسبير يرجع الى الاساطير القديمة ويخرجها في ثوب جديد يتمثل في مسرحياته الخالدة . ومن مزايا الثقافة القديمة انها موحدة الى حد كبير ، لا طبقية فيها . وليس كذلك الامر في هذه الايام ، فهنالك طبقية ثقافية ملحوظة تشيع البغضاء بين الافراد : ولعل اشد ما تصم به الانسان ان تتهمه في ذوقه ، ومما زاد من حدة هذه الفوارق الطبقية حركة التصنيع والانتقال من الريف الى الحضر ، وهي الحركة التي ظهرت بوادرها في اوربا في القرن التاسع عشر ، واخذت في الانتشار حتى اصيبت بها بلادنا اخيرا .

في رحلة التحول

ما هي الآثار الثقافية التي ترتبت على التحول من الصناعات الريفية الى التصنيع الآلي على نطاق واسع ؟

كان صاحب الحرفة اليدوية ينتقي بنفسه المادة التي يشكلها من حديد او خشب او صلصال او غير ذلك ، وكان يقوم بأثر عمليات التشكيل بتصميم وجهد يده ، يحدد لنفسه مواعيد العمل ، ويطبع انتاجه بطابعه الشخصي ، ويراه في صورته النهائية ويحس مسئوليته عن قيمته الفنية . كل ذلك كان يتم باتصاله المباشر بكل خطوة من خطوات العمل ، يستخدم حواسه الخمس ، السمع والبصر والذوق واللمس والشم ، وينعم بهذه الممارسة المباشرة .

وكان لذلك بطبيعة الحال اثر في التربية ، فالصبي الذي يتدرب على عمل من الاعمال يكتسب المعرفة والمهارة بطريقة تكاد ان تكون لا شعورية بحتة .

وقد غيرت الصناعة الآلية الحديثة هذا الاسلوب . وربما وفرت للناشئ مستوى اعلى من العيش ، وصحة بدنية افضل ، وفراغا اطول ، ولكنها امعنت في الفصل بين الحياة الخاصة والحياة العامة ، بين البيت والعمل ، واخضعت الطالب لدقات الساعة ورنين الناقوس او الصفارة ، وتغيرت العلاقات الودية ، وامسى ساخطا على الحياة بعد ان كان راضيا بها كل الرضى . واتسعت الفجوة بين العامل وصاحب العمل ، وكأن العامل سلعة من السلع او جزءا من آلة ، وتكونت النقابات تطالب للعامل بمزيد من الاجر ومزيد من الراحة ، واتخذت المساومة لذلك سبيلا ، لان المسئولية الاجتماعية انقضى عهدها وولى . واتجهت التربية نحو تزويد الطلاب بالثقافات النظرية ، ولم يدخل العمل في صلب العملية التربوية ففقد العامل الناشئ مهارته الصناعية التي لا غنى له أو للمجتمع عنها .

ومن الوجهه التربوية لعل اهم ما ترتب على التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي نجمت عن حركة التصنيع هو تلك التجربة الفذة في تاريخ الانسان ، وهي انشاء نظام تربوي يكفل التعليم للجميع ولسنا ننكر ان كل مجتمع من المجتمعات كانت له وسائله في تربية الصغار ، سواء كان ذلك بجهد من الآباء ام بتدريب يتولاه كبار العاملين . ولكن هذا الذي كان يحدث لم يكن نظاما ثابتا وحقا شرعيا ترعاه الدولة ، ولم يكن مرجها بالضرورة الى تعليم القراءة والكتابة .

ومما دعا كذلك الى تعميم التعليم على اساس معرفة القراءة والكتابة انتشار الديمقراطية التي تقتضي الناخب ان يكون على دراية بما يقدمه المرشحون من برامج سياسية واقتصادية ، غير ان الحافز على تعليم الجميع هو انشاء المصانع التي كانت تتطلب من العاملين فيها المقدرة على فهم الارشادات التي تتعلق بتسيير الآلات التي يقومون على ادارتها . وقد كان من مستلزمات تجمع

الناس في المدن ايجاد الوسائل التي تؤدي الى سرعة الاتصال بنشر الانباء والاخبار مكتوبة وتوزيعها حتى يمكن للمعنيين قراءتها وادراكها .

وانتهى امر تيسير التعليم للجميع الى جعله الزاميا بحيث يصبح واجبا بعد ان كان حقا . ولم يكن من المهم ان يتقن المتعلم القراءة والكتابة وانما كان يكفي ان يفك رموز الكتابة ويدرك من مغزاها بقدر طاقته .

النوع لم يتقدم

ومن هنا نجد ان التعليم انتشر كماً دون ان يرتقي نوعا ، وظن القائمون عليه ان الاتصال بالقراءة يغني عن الاتصال المباشر .

وفي بداية تعميم التعليم الابتدائي كان معنى التعليم رفع مستوى العامة الى مستوى الطبقة العليا ، فكانت الثقافة التي تقدمها المدرسة منقطعة الصلة بالحياة وبالعمل ، وكل ما تهدف اليه ان يتحدث المتعلمون من الطبقات الدنيا بما يتحدث به ابناء الطبقة الرفيعة بغض النظر عن التقاليد الشعبية او ممارسة الحرف اليدوية فاذا اختارت المدرسة على سبيل المثال اغاني او اناشيد يرتلها الطلاب كانت من الأدب القديم الذي لا يتصل بحياتهم ، ولم تكن من تلك الاغاني والاناشيد الشعبية التي يرتلها العمال وهم يؤدون اعمالهم في الحقل او اثناء العمل .

والثقافة اذن التي كانت تفرضها المدرسة الابتدائية على الطلاب ثقافة غريبة عن بيئتهم ، لا تمس شيئا من كيانهم ، ولا يستطيعون مواصلتها في حياتهم بعد انتهاء الدراسة . ومن ثم رأى كثير من المفكرين ان المدرسة الابتدائية التي لا تعلم الثقافة المحلية مدرسة فاشلة لانها تهتم بالمظهر دون الجوهر وتحاول ان تثقف العقل وتهمل الغريزة .

ثم أليس الكتاب هو المحور الذي يدور حوله التعليم في المدرسة ؟ اننا لا ننكر قيمة الكتاب في نقل المعرفة ، ولكنا يجب ايضا الا نبالغ في هذه القيمة . الم تقم حضارات انسانية بأسرها دون ان يكون الكتاب عمادها ؟ ان عملية القراءة معناها علاقة خاصة بين القاريء والمقروء ، علاقة تؤدي به الى اعتزال المجتمع وتركيز الذهن في الرموز التي يسعى الى ادراك ما ترمي اليه ، ولا يمكن ان تبلغ القراءة مبلغ الاستماع وتبادل الحديث . لأن الكلمة المنطوقة تقتضي اتصالا اجتماعيا على الاقل بين فردين ، وتحمل نغما يضيف الى المعنى العام شيئا كثيرا . كالسؤال او التعجب او التاكيد او الملل او السخرية او غير ذلك من الانفعالات الكلمة المنطوقة لها رنين قد يملأ اركان المكان ، اما الكلمة المكتوبة فلا أثر لها الا على العين ومنها تنتقل الى الذهن لتفسيرها ولا يفيد منها الا قارئها ، اما الكلمة المنطوقة فتأثيرها على السمع ، وقد يكون السامعون جماعة وليس فردا واحدا . ومؤدى ذلك ان الكلام يثير انفعالات نفسية تعجز عن اثارتها الكتابة ، وكلنا يعلم ان الصمت ملازم للقراءة ، وهو من شروط المكتبات وقاعات المطالعة ، مما يجعل القاريء منطويا على نفسه لا يتبسط مع الناس ولا يخالطهم . وعلى ذلك فالكتاب قد يدعو قارئه الى التأمل والتفكير ، ولكنه على الرغم من ذلك ـ لا يمكن ان يؤدي ما يؤديه الاتصال الاجتماعي ولعل ذلك هو ما حدا بواحد من كبار المفكرين والادباء في العصر الحاضر ـ وهو د هـ لورنس ـ ان يقول

« ان الجماهير العريضة لا ينبغي لها قط أن تتعلم القراءة والكتابة » .

اي ان لورنس وامثاله لا يؤمنون بديمقراطية التعليم ، ليس حطا من شأن الجماهير ولكن حفاظا على تقاليدهم وكيانهم . وقد كانوا بالعقائد والاساطير وبمختلف الفنون وبانماط السلوك الموروثة يفهمون الحياة ويفسرون لغزها ويمارسون العيش في غير ما حيرة او قلق . يقول لورنس عن جيل والده :

ويفسرون لغزها ويمارسون العيش في غير حيرة او قلق.

لقد كان لورانس يرى المدرسة بنظامها الذي نشأت عليه شرا مستطيرا . على الاقل بالنسبة للعمال الكادحين . المدرسة تنقل الى الطلاب الافكار المجردة ، وهي لا تتلاءم مع استعداداتهم الطبيعية ، ومواد الدراسة لا تكفي حلا لمشكلة الحياة .

وفي هذه الصيحة التي نادى بها لورنس نجد لب

مشكلة التعليم ، وهي التعارض بين ما تقدمه المدرسة وما يمارسه الطلاب في الحياة . ونحن ليس بوسعنا ان نحرم صغارنا من الثروة التي تقوم عليها مدنية اساسها المعرفة المدونة . ان ذلك يتنافى مع العدالة الاجتماعية التي تنادي بها اليوم ، كما انه يحرم الطالب من الاتصال بالعالم عن طريق القراءة والكتابة ، وهو اهم وسائل الاتصال في العصر الحديث .ولكن هل يحول ذلك دون التعلم كذلك عن طريق المعرفة المباشرة بالحس والممارسة ، وبخاصة بعدما أمنا بأن المدرسة قد فشلت الى حد كبير في ان تزود المتعلم بما يؤثر في حياته المقبلة ، وبأن المدرسة تزوده بثقافة لا تتفق مع الثقافة التي سوف يحياها بعد خروجه من المدرسة ؟

المدرسة والصحف

والمدرسة ـ لسوء الحظ ـ تحاول ان تقوم بمهمتها وتؤدي واجبها في وقت تعددت فيه وسائل الاتصال الاخرى التي تقدم برامج تثقيفية واعلامية وترفيهية تتلقاها الجماهير بشغف شديد نظرا لما تقوم عليه من سبل الاغراء ، ولما اصاب الناس من ملل من ثقافة الكتاب .

ولسنا نزعم ان المدرسة لم يكن لها قبل وسائل الاتصال الحديثة بديل ، فلقد كان هناك المقهى واجتماعات الرقص والغناء والاستماع الى القصص ، ولم تستطع المدرسة ان تصرف الناس عن هذه المصادر للثقافة لأن المدرسة كانت تعتمد على تعليم القراءة والكتابة ، وهي بذلك وحده لا تستطيع ان تبث الروح الانسانية بين المتعلمين وقد ظهرت فئة من رجال الصحافة تستغل هذه القدرة الجديدة عند الناس ـ القدرة على فك رموز الكتابة ـ وهي تبغي الكسب ولا تنشد التثقيف ، فاخذت تنشر في الصحف ما يثير المشاعر بغض النظر عن قيمته الادبية ، وتستخدم وسائل الطباعة الحديثة بمغرياتها في العرض والتصوير ، وأقبل الناس عليها يتشربون بما تقدمه وما تحتويه وينصرفون عن المعرفة الصحيحة فكأن ديمقراطية التعليم ـ مع ظهور الصحافة الرخيصة ـ كانت وبالا على الناس

ثم كان التقدم التقني السريع بعد ذلك ، وظهرت السينما والراديو والتليفزيون ، فاضافت للثقافة ابعادا جديدة تختلف عما تقدمه الكلمة المطبوعة وتتفوق عليها في الجاذبية والاغراء . ان ظهور هذه الوسائل الكهربائية قد أثر في حياة الانسان العادي بدرجة يتعذر قياسها ، ولكنها قدمت له من غير شك ثقافة اخرى غير ثقافة المدرسة ، ثقافة عامة شعبية وان اختلفت عن الثقافة الفولكلورية القديمة . فلقد كانت هذه الثقافة الاخيرة ـ مهما يكن من امرٍ ـ ثقافة نابعة من الشعب ، اي ان افراد الشعب هم مبدعوها وهم الذين يتلقونها ويضيفون اليها اشكالا وانماطا جديدة . اما ثقافة الوسائل الكهربائية فتأتيهم من خارج ، يستهلكونها ولا ينتجونها ، ويقفون منها موقفا سلبيا ، خاضعين لما تمدهم به دور الصحافة وافلام السينما ومحطات الاذاعة . وبوسع هذه المصادر ان تفرز ثقافات ضخمة تنشرها على نطاق واسع وتخضع بها انسان العصر الحديث بما تقدم له من الوان اللهو وصنوف المعرفة التي لا يمارسها المستمع او القاريء او المشاهد ، والتي تنطوي على اخلاقيات ابعد ما تكون عن المثالية المنشودة .

ونجمل ما سبق في ان المشكلة الرئيسية للتربية في القرن العشرين هي ان المناهج المدرسية تهتم بالجانب المعرفي والجانب العقلي اكثر مما تهتم بحاجات الطفل الاساسية الذي يقع مستقبل حياته في المصنع او الحقل او في الخدمة الاجتماعية حيث لا تجديه الدراسات الاكاديمية التي تلقاها في المدرسة ان المناهج المدرسية لا تتعرض الا بالقدر اليسير للخبرة الثقافية التي سوف تعيشها الاغلبية الساحقة من رواد المدارس . واذا كانت المناهج الحالية تلائم فئة قليلة من الناس سوف تحيا حياة الترف او تنقطع للعلم والدراسة النظرية فهي قطعا لا تلائم الاطفال الذين يعيش آباؤهم ثقافة تختلف عن ثقافة المدرسة كل الاختلاف

وفي هذا الجو من التناقض بين مجتمع المدرسة ومعترك الحياة لا بد لنا من اعادة النظر فيما تقدمه المدرسة لطلابها ـ لابد لنا من ايجاد صيغة توائم بين البيت والمدرسة ، او بين الثقافة الشعبية والتعليم النظامي . ■■

محمود محمود



للعجائز فقط!

بقلم الدكتورة صبيحة

بتقدم الطب والعناية المتزايدة بالشيوخ أصبح المواطنون المتقدمون فى السن يؤلفون طبقة خاصة لهـا مكانتهـا فى المجتمعـات المتحضرة ، فسدس المجتمع البريطانى من المتقاعدين او المحالين على المعاش • ومعنى ذلك ان تعدادهم لا يقل عن تسعة ملايين نسمة وعددهم آخذ فى الازدياد ، واهم ما يعانيه هؤلاء الشعور بالوحدة والانعزال وتدهور الصحة (وهو امر طبيعى كلما تقدم الانسان فى السن) وسوء السكن ، لذلك اصبحت الحـــاجة ملحة لقيام مؤسسات تعنى بشؤون هذه الفئة من كل هذه النواحى ، وقد قام ما لا يقل عن خمسين الف متطوع فى المملكة المتحدة وحدها لمعونة أمثال هؤلاء المواطنين ، فما هى مشكلات المواطنين المتقدمين فى السن ؟ انها صحية ومالية وسكنية وعاطفية ، وقد كتبت تقارير وعقدت مؤتمرات لمعالجة هـذه المشكلات ، كان آخرها مؤتمر العناية بالمسنين الذى عقد بلندن ، ففترة التقاعد بالنسبة لبعض المسنين قد تطول فتبلغ الثلاثين عاما او اكثر ، وهى اطول من فترة الطفولة والبلوغ والسن المتوسطة ، وقد حظيت كل هذه الفترات بالدراسة والعناية اكثر من الفترة التى نحن بصددها ، وسن التقــاعد اشد وطـاة على الرجل منهـا على المراة ، ولكن الاخيرة تتاثر حتما بما يتاثر به زوجها من حيث انخفاض المورد والكآبة والضجر من البطالة وقلة الرفقاء وتدهور الصحة العامة ،على أنه باعتقادنا اذا ما توفرت الصحة امكن تلافى الكثير من المشكلات الاخرى ، فمـا هى الامراض التى يعـانى منهـا المتقدمون سنا ؟

مراهقون هناك ومسنون هنا

الملحوظ في الوقت الحاضر ان قارتي آسيا وافريقيا تعجان بالاطفال والمراهقين ، في حين ان العالم الغربي ، على العكس من ذلك ، قد اخذ يتسم بازدياد نسبة المسنين فيه ، وعلى الاخص في بريطانيا وفرنسا والسويد والولايات المتحدة الامريكية ، حيث نجد ان عشرة بالمائة من السكان يتجاوزون الخامسة والستين من العمر ، وعلى ذلك فقد ظهر فرعان جديدان من الدراسات الطبية وهما متقاربان من بعضهما ومتكاملان ، اولهما علم الشيخوخة Geriatology وثانيهما Geriatrics علم امراض الشيخوخة ، وليست الشيخوخة مسالة عمر معين ، فبعض الشيوخ يبلغون ذروة انتاجهم في الثمانين او ما بعدها من سنين والامثلة المعاصرة والتاريخية كثيرة وطريفة ، في حين ان آخرين يبدون شيوخا عاجزين في الستين او حتى قبل ذلك ، بل ان هناك حالات نادرة شاذة ظهرت فيها اعراض الشيخوخة قبل العشرين .

وعلى ذلك ارى الا تحدد سن الاحالة على المعاش او التقاعد بعمر معين ، وانما بحالة الشخص الصحية وقدرته على الانتاج وكفاءته ونوعية العمل الذي يقوم به ، وحددت هذه السن في المملكة المتحدة بالستين للنساء والخامسة والستين للرجال ، وهي ليست بقياس دائما ، وقد يستثنى اساتذة الجامعات احيانا فيؤخر من احالتهم على المعاش او يمنحون لقب « استاذ شرف » او « استاذ متمرس » Professor Emeritus ليستمروا على التدريس .

وقد اقترنت دراسة الشيخوخة في اذهان الكثيرين بالامراض الزمنة التي تعتري المسنين ، ولكنها في الحقيقة اكثر من ذلك ، فان الدراسات الحالية تهدف الى محاولة اعادة الشيوخ الى وضع طبيعي او ما يقارب الطبيعي كسائر المواطنين وادخالهم في المجتمع من جديد ولو من باب ثان بعد ان خرجوا منه او كادوا بعد احالتهم على المعاش وتركهم لزملائهم في العمل والابتعاد عن اصدقائهم وهبوط مكانتهم الاجتماعية ، فليسوا قلة اولئك الذين ينظرون الى الشباب والكهول الذين هم في اوج العمل نظرة خاصة تختلف تماما عن نظرتهم الى المسنين المحالين على المعاش والعاطلين عن العمل ،

والحقيقة ان عشر هؤلاء فقط يحتاجون الى تمريض طويل الامد ، ويبلغ تعداد الذين تجاوزوا الخامسة والسبعين مليونين وربع المليون نسمة في المملكة المتحدة وحدها ، فهم فئة جديدة اخذت تظهر الى الوجود بفضل الحضارة وتقدم الطب، وعدد النساء فيهم ضعف عدد الرجال ، فالمراة على العموم اطول عمرا من الرجل ، ومنذ سنة ١٩٠٠ ارتفع معدل العمر من ٥٠ الى ٧٠ سنة اي بمقدار عشرين سنة وهي نسبة عالية .

حتى الراس يصغر

ومع ان الشيوخ اكثر عرضة للامراض من الشباب ، فان الشيخوخة بحد ذاتها ليست مرضا ، واهم ما يلاحظ في المتقدمين في السن ان الاعضاء تصبح اصغر وتاخذ في الضمور ، وبعضها الاخر يعتريه الضعف في النشاط والفعالية ، فالدماغ مثلا يبلغ حجمه الكامل في مستهل البلوغ ، غير ان وزنه يخف تدريجيا بنحو ١٥ ٪ عندما يبلغ الانسان السبعين ، ويتناقص تزويده بالدم نسبيا ، ثم ان بعض الخجيرات تموت حسب العمر المقدر لها وراثيا فلا يعوض عنها ، او يعوض عنها باخرى ضعيفة اقل فعالية ونشاطا والنوع الاول من الحجيرات ، اي التي لا يمكن التعويض عنها ، هي حجيرات الدماغ والجملة العصبية المركزية ، اما الثاني ، وهو ما يمكن التعويض عنه بما هو اضعف ، فحجيرات البشرة والكبد والكليتين ، وكل ذلك متفاوت من شخص لآخر ومن عضو لعضو في نفس الشخص ، على ان فعالية الجسم بصورة عامة تبقى كافية للحياة بالرغم من ان احتياطيها ياخذ بالتناقص وتصبح ملاءمة ذاته للتطورات ضمن نطاق متضائل تدريجيا .

وثمة قلة ضئيلة من الشخصيات المسنة مزعجة يصعب التعامل معها ، فتجلب على نفسها الرفض من المجتمع ، فتتضاعف مشكلاتها بسبب عدم المرونة العقلية التي قد تصاحب بعض انواع الشيخوخة ، فهؤلاء قد يكونون متقوقعين حول ذاتهم، ولا يمكنهم ان يتطوروا ليستجيبوا لمتطلبات الاخرين .

توازن السوائل مطلوب

واهم ما انصح به من الناحية الطبية توازن

السوائل فى طعام المسنين ، فالشيخ يحتاج الى ما لايقل عن اللترين من السوائل كل أربع وعشرين ساعة . وقد تزداد هذه الكمية فى حالة الحمى والتعرق والادرار الزائد ، فاذا كان المسن ياكل بصورة طبيعية اعطى لترا من السوائل مع وجبات طعامه بصورة شاى ومرطبات ومنعشات ، ولترا آخر يترك بجانب فراشه ، والا فالواجب حتى فى حالة عدم تناوله الاطعمة ان ياخذ يوميا لترين من الماء لتحاشى خطر يبوسة الجسم وجفافه المستمرين ، وينبغى ان يحتفظ للمسن بوزن معين ويقاس ضغطه بانتظام ، وقد يلجأ الى ذلك فى فترات متقاربة ، ولا سيما اذا أصيب برجة عصبية أو انهيار لاى سبب من الاسباب ، وقلما يعالج المسنون بعقاقير قوية مضادة للضغط ، فالمسنون الذين يعالجون بالمهدئات ، والعقاقير المضادةللكابة والانقباض النفسى قد يعانون من انخفاض الضغط والدوار ، وفى مثل هذه الحال ينبغىقياسضغطهم فى الاوضاعالثلاثة:الوقوف والجلوسوالاضطجاع.

ومما تجدر الاشارة اليه أن اعراض بعض الامراضالخطيرة تختلف فىالمسنينعنها فىالشباب، فالجلطة القلبية مثلا تظهر فى غير المسنين بصورة آلام قوية فى الصدر خلف الاضلاع ، وكثيرا ما تصعد هذه الالام الى الفكين أو تمتد الى الذراع الايسر مصحوبة برجة مع عرق بارد وتدبق ولزوجة ولون شاحب ونبض سريع وهبوط فى الضغط . فالاعراض واضحة للعيان بشكل يستدعى اتخاذ الاجراءات الطبية الفورية ونقل المريض الى المستشفى ، اما فى الشخص المسن فتبدو الاعراض بصورة عدم ارتياح مبهم كثيرا ما يعزى لسوء الهضم بدلا من الآلام الشديدة ، ويكون ذلك مصحوبا بالشعور بالضعف مع شحوب بعض الشىء، بدلا من الرجة العنيفة ، ويكون أول الاعراض الواضحة شللا نصفيا بسبب هبوط ضغط الدم . وقد لا يمكن معرفة حقيقة المرض الا بعد اخذ التخطيط الكهربائى لقلب المريض المسن .

ونجد نفس الشىء فى مرض القلب الناجم عن تصلب الشرايين التدريجى ، فقلما يشكو المسنون من ألم يضايقهم فى الصدر عندما يرتقون السلالم أو يصعدون منحدرا (وهو ما يعرف بالذبحة الصدرية عند غير المسنين) وانما مجرد ضعف وانحلال ، ونجد تفاوتا فى أعراض مرض السكر والتهاب الغشاء المحيط بالامعاء (البريتوان) عند انفجار الزائدة الدودية فى الشبان والشيوخ ، فعلينا أن نكون على حذر فى أمر الشيوخ والا نتهاون فى عدم وضوح الاعراض والا نستخف بها . فاقل شكوى من المسن قد تخفى وراءها مرضا خطيرا . ومن واجبنا أن نعنى بالمواطنين المتقدمين سنا لا من الناحية الانسانية فحسب ، بل لانهم بتجاربهم الضخمة عون لا يستهان به لتقدم الحضارة البشرية . ■■

آكسفورد / د . صبيحة الدباغ
الطبيبة الباحثة فى مستشفيات جامعة اكسفورد

فى الحجابة

● كان خالد بن عبد اللهالقشيرى يقول لحاجبه : اذا أخذت مجلسى فلا تحجبن عنى أحدا فان الوالى لا يحتجب الا لثلاث . عيب يكره أنيطلع عليهأحد أو ريبة يخاف منها أنتظهر أو بخل يكره معه أن يسأله الناس شيئا .

مَلْقَى السَّبيل

أثر نفيس مجهول

بقلم : فاروق شوشة

كثيرا ما تطغى شهرة أثر أدبي ما ، من بين آثار مؤلفة المتعددة ، على ما أبدعته قريحته من عطاء آخر ، قد يكون أحق بالنظر والتقديم • ذلك هو ما حدث لهذا الاثر النفيس من بين كنوز تراثنا العربي ، رسالة « ملقى السبيل » لفيلسوف المعرة رهين المحبسين : أبي العلاء المعري • فقد طغت على هذه الرسالة شهرة آثاره الاخرى ، التي عكف عليها النقاد والدارسون والمتأملون وقلبوها على وجوهها المختلفة ، بحثا عن شواهد على فكره وفلسفته، وعلامات تشير الى هواجس قلبه وعقله ومفاتيح الى موقفه من الحياة والقضايا الكبرى في عصره ، وفي مقدمة تلك الاثار اللزوميات او لزوم مالا يلزم وديوان سقط الزند والمؤلف الضخم : رسالة الغفران •

وهكذا كتب على « ملقى السبيل » ان تظل امدا طويلا ، قابعة ، في زوايا النسيان ، لا يعرفها الناس ، ولا يسمع بها شداة الادب ودارسوه ، وظلت حبيسة بين مخطوطات تراثنا العربي ، حتى اتيح لها ان ترى النور لاول مرة ، وان يتناقلها المهتمون بالاثار الادبية على يدي العلامة حسن حسني عبدالوهاب احد اعلام النهضة التونسية الحديثة في الاقتصاد واللغة والادب الذي حققها ونشرها وقدم لها ، ثم اتيح لها المزيد من الانتشار والذيوع والدوران عندما اختارها العلامة السوري محمد كرد علي ـ الرئيس الاسبق للمجمع العلمي بدمشق ـ ضمن ما انتقاه من عيون النثر العربي البليغ في كتابه الجامع « رسائل البلغاء » التي اصدرت احدى طبعاته لجنة التاليف والترجمة والنشر في القاهرة ، في منتصف الاربعينيات ،

وهكذا اتيح لهذا الاثر المنسي والمجهول ان يكتشفه ويحققه عالم تونسي ، وان يختاره ويصنفه عالم سوري وان تقوم بنشره دار مصرية •

في زمن العزلة والانقطاع

اعتمد المحقق على نسخة محفوظة بمكتبة الاسكوريال في اسبانيا تحت رقم اربعمائة وسبعة وستين ، وهي بخط الراوي لها القاضي ابي محمد عبد الله بن القاضي ابي الفضل عبد الرحمن بن يحي الديباجي العثماني ، رسمها بالاسكندرية

اوائل القرن السادس الهجرى ، كما عرضهـــا المحقق على نسخة اخرى مخطوطة موجودة بالمكتبة التيمورية فى القاهرة • ويبدو أن رسالة « ملقى السبيل» على عدم التفات المشارقة اليها واهتمامهم

بها كانت معروفة فى الاندلس ، فقد جا فى كتاب نفح الطيب أن الحافظ أبا ربيع الكلاعى الاندلسى عارضها بتاليف سماه : « مفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعرى فى ملقـــى السبيل »• كما تحتوى مكتبة الاسكوريال على كتاب برقم خمسمائة وتسعة عشر من وضع ابى عبدالله محمد بن ابى الخصال وزير يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين ، عارض به « ملقى السبيل » ايضا •

فما حكاية « ملقى السبيل » هذه •

يستنتج محقق الرسالة ـ العلامة حسن حسنى عبدالوهاب ـ أن المعرى قد الفها فى الدور الاخير من حياته ، زمن عزلته وانقطاعه ـ حوالى سنة اربعمائة وثلاثين من الهجرة ، وقد زهد فى الدنيا لكبره واقتراب أجله ، فكأنه أراد الرجوع للمبادىء الدينية ، وسلك طريق الوعظ والنسك وتمسك بالاعتقاد •

وهو يلتمس الدليـل على ذلك من خلال آراء المعرى المنبثة فى ثنايا هذه الرسالة نثرها وشعرها، والتى تخالف المعهـود من سابق آرائه ، خـاصا بالحياة والموت والبعث، والموقف من الاديان، وحرية العقل،مما جعل له سمتا خاصا فى تصور الدارسين والباحثين ، واضفى على موقفه هذا شكوكـــا وتصورات ، منتزعة من اشعاره فى اللزوميات وسقط الزند وكتاباته فى رسالة الغفران وفـــى غيرها من الرسائل •

ونمضى خطوة اخرى مع محقق الرسالة ، وهو يستشهد لفكرته هذه ، عن كتابة الرسالة فـــى الطور الاخير من حياة المعرى ، وعما طرا على آرائه ومواقفه فيها من تغيير وتبدل : « ايـــن قوله زمن صغره لما كان فى غزارة قوله وعنفوان شبابه :

ضحكنا ، وكان الضحك منا سفاهة
وحـق لسـكان البرية أن يبـكوا
يحطـمنا ريب الـزمان ، كأننــا
زجـاج ، ولكن لا يعاد له سبك !

(وفى البيت الثانى اشارة فسرها الشارحون قديما بانها تعنى عدم ايمان المعرى بفكرة البعث بعد الموت) •

اين قوله هذا من اعترافه بالبعث والمعاد فـى هاته الرسالة ، كقوله : وفى الاخرة يكون المجمع وقوله : « وعند البارى تكون الزلف » وهلم جرا •

ونستطيع أن نضيف الى هذا المثال الذى اشار اليه المحقق من شعر المعرى مسجلا موقفه القديم من قضايا الحياة والمصير والدين والاخرة ،امثلة وشواهد اخرى لعل من ابرزها قوله :

قـــد ترامت الـــى الفساد البرايـــا
واستـــوت فى الضلالة الاديـــان
أنا أعمى ، فكيف أهدى الى المنهج
والنـــاس كلهـــم عميـــان ؟

كما نسبت اليه ايضا الابيات التى تقول

فى اللاذقية فتنة
مابين أحمد والمسيح
قس يعــالج دلبــة
والشيخ من حنق يصيح

ويروى هذا البيت فى صورة اخرى هى

هــذا بناقــوس يــدق
وذا بمــئذنة يصيـــح
كــل يعـــزز دينــه
ياليت شعرى ما الصحيح

نهج فريد فى نوعه

اما عن النهج الذى اختطه المعرى فى تاليف هذه الرسالة ، فهو نهج فريد لم يسبق اليه • اذ انه يسير فى كتابتها بحسب ترتيب الحـروف الهجائية التى جعل من كل حرف فيها قافية للعظة او الحكمة التى يصوغها فى قالبين من النثـر والشعر على التوالى ، مؤكدا براعته فيهما معا ، وهكذا حتى يصل الى حرف الياء فتنتهى صفحات الرسالة وسطورها، التى جاءت فى صياغة نثرية محكمة،وصنعة شعرية رفيعة،تضم فى كلماتها القليلة خلاصة فكره وتجربته فى الحياة والوجود والعدم وموقفه من الشك والايمان ، ورحلته بين الدنيا والاخرة ، فى اسلوب نابض بالسخرية والتهكم،

وحرارة التناول ووهج التامل ، هو اسلوب المعري الذي اعتاده في كل آثاره •

ويستوقفنا عنوان هذه الرسالة «ملقى السبيل» ، والملقى بفتح الميم هو مكان اللقاء ، وجمعه : الملاقي ، او هو اعلى الجبل يؤوى اليه ويلاذ به • وبضم الميم : هو اللقاء في الخير او الشر وهو ايضا المكان الذي يلقى فيه الشيء ، وواضح من هذا مناسبة العنوان بفتح الميم لمكان اللقاء او لموضع العصمة والامان من الطريق ، والسبيل هنا هو سبيل الرشاد والهداية •

ويلاحظ المحقق ان اسلوب الرسالة في مجمله يشابه كثيرا لهجة الخطب البليغة ذات الفصول القصار التي كان يلقيها خطباء العرب كسحبان بن وائل وقس بن ساعدة وعامر بن الطفيل وامثالهم باسواق الجاهلية •

وهو لا يكتفي بهذه الملاحظة ، بل يقدم من كلام هؤلاء البلغاء مايدعمها ويؤيدها عندما يوردنموذجا من كلام قس بن ساعدة خطيب بني اياد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : رايته بسوق عكاظ على جمل احمر يقول : أيها الناس ، اجتمعوا ، فاسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ماهو آت آت ، في هذه آيات محكمات مطر ونبات وآباء وامهات ، وذاهب وآت ونجوم تمور وبحور لاتغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، وليل داج وسماء ذات أبراج ••• الخ

فما الذي قاله المعري في رسالة «ملقى السبيل» ورأى المحقق فيه تماثلا في الاسلوب بينها وبين خطب هؤلاء البلغاء القدماء

يقول المعري من قافية (الهمزة) :

كم يجني الرجل ويخطيء ، ويعلم ان حتفه لايبطيء ثم نظم المعنى شعرا فقال :

ان الانــام ليخطئــون
ويغفر الله الخطيئـة
كم يبطئون عن الجميـل
وما ساياهـم بطيئـة

ويقول من قافية (الألـف) :

ابن آدم في سير وسرى ، يهجر بعرصه الكرى ، وطالما كذب وافترى ، ليصل الى خسيس القـرى (القرى بكسر القاف ما يقدم للضيف من طعـام وزاد) وانما يحصل على الثرى ، كانه لايسمع ولا يرى •

نظم المعنى شعرا فقال .

أما يفيق المرء من سـكره
مجتهدا في سيره والسرى
نمت عن الاخرى فلم تنتبه
وفي سوى الدين هجرت الكرى
كم قائل راح الى معشر
أبطل فيما قاله وافترى
على القرى يحمل أثقاله
وانما يأمل نزر القرى
يفتقر الحي ويثرى وما
يصير الا جثوة في الثرى
اسمع فهذا قائل صادق
أراك عقباك فهلا ترى

من غريب اللغة

اما بصرك فحديد ، واما ثوبك فجديد ، وظلك بقضاء الله مديد ، وحولك العدد والعديد ولكنك سواك السديد ، طرقك وعد ووعيد ، فهل تبدي وهل تعيد ، أم غريك ـ اى قبرك ـ هو السعيد •

ثم نظم الفكرة او العظة شعرا فقال :

أرى ملكا تحف به موال
له نظر الى الدينا حديد
صفا برد الشباب عليه حتى
مضت حقب وملبسه جديد
يزول القيظ في صيف ومشتى
ويستر شخصـه ظـل مديـد
وفت عدد لديه فمن دروع
وأسياف ينوء بها عديد
وكان السعد صاحبه زمانا
ولكن طالما شقي السعيد
بدا شخص المنون لناظريه
وقيل له أتبدى أم تعيد
تصعد في المراتب غير وان
وأحرزه على الرغم الصعيد
تفرقت الجنود فما حمته
وأبطلت المواعد والوعيد

ولا يخرج المعري في رسالته ملقى السبيل عما اعتاده الناس منه ، وقوف على الغريب من اللغة، وتصد للوعر الصعب من القوافي التي يتجنبها غيره من الشعراء ، وايثار للمهجور من الكلمات ما دامت تنهض بالدلالة التي تجيش في عقلـه ووجدانه ، غير عابيء بوعورتها او كونها حوشية غير مستانسة او مطروقة . وفي هذا تاكيد او

اعلان عن اقتداره اللغوى الذى فاق به معاصريه ونظراءه من المبصرين ، وتحقيق لمقولته الذائعة :

وانى وان كنت الاخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الاوائل

تماما ، كما كان ايثاره لقالب اللزوميات أولزوم مالا يلزم ، فى قوافى قصائده التى تحمل هذه التسمية ، اشارة حاسمة الى تفرده واقتداره ، وايضا الى حسه الموسيقى الزائد ، فاذا كانت القافية الواحدة فى شعر الاخرين تحدث أسرها الموسيقى المطلوب ، فالمعرى بلزومياته، أى بقافيته المزدوجة والمثلثة وبما هو أكثر من هذا ، يحدث جرعة موسيقية مضاعفة فى خواتيم قصائده ،كما يعلن ـ بطريقة لافتة للانتباه ـ عن ثروته الهائلة من اللغة ، التى تتسع للاتيان بهذه القوافى المركبة ـ دون أن يصيبه عنت أو مشقة ، وانما كل كلمة فى الموضع الذى خلقت له ، احكاما واقتدارا .

بين المعرى وشبنهاور

من هنا ، كان اهتمام المعرى بأن تحمل بعض قوافيه فى رسالة «ملقى السبيل» السمات التى حملها سائر شعره ، يقول من قافية (الطاء) ، وهى عادة قافية مهجورة ، لا يلجأ اليها الشعراء، بل هم يتحاشونها ويتجنبونها :

فودك علاه الشمط (أى بياض الراس الذى يخالط سواده) والمرء ينقص ويغمط ، كالطفل كهلك فهلا يقمط ، لقد عرف هذا النمط،والنفس تلعن ولا تضبط ، واجر من كفر يحبط ، أين موفق لا يغلط ، والموت فى العالم مسلط ، وعائذ الملك لا يقنط - نظم ـ بعد ذلك ـ الفكرة فقال :

الام الحرص والرغبة
فى أشيب كالاشمط
وكالطفل غدا الكهل
فما للكهل لا يقمط
ولا يغضى أخو الريبة
أن ينقص أو يغمط
فما الخاسر الا كافر
أعماله تحبط
بنى ادم ان تعصوا
فما أخسر من يقنط
غبطتم صاحب الثروة
والزاهد لا يغبط

أما تغلط فى الدهر
بأن توجد لا تغلط

ولا يفوت محقق الرسالة ان يعقد مقارنة طريفة بين ابى العلاء المعرى والفيلسوف الالمانى شوبنهاور ، الذى سجل آراءه الفلسفية فى عدة كتب اهمها : « الارادة فى الطبيعة » ، و « أساس الحكمة» واشهرها (فصول فى الحكمة فى الحياة)، وهو يرى أن مذهب شوبنهاور قائم على ان جميع مشاق الانسان واتعابه الدنيوية الاصل فيها ما يسميه (ارادة لبشر) ،يعنى شهوات طبيعتنا وحبنا التمتع والتلذذ بالحياة . او ليس هذا رأى المعرى فى ملقى السبيل عندما يقول :

« انك الى الدنيا مصغ ، وحبها للبشر مطغ ، لو انك لشانها ملغ ، ابغاك ما تامله مبغ ؟ »

بل هو يذهب الى ابعد من هذا ، فهو يرى ان هناك علاقة وتشابها آخر بين ابى العلاء وشوبنهاور، وهو كونهما لم يتزوجا ، وعاشا فى عزوبة مستمرة وعزلة وانقطاع ، مما اثر فى طبيعتهما وجعلهما يتشاءمان وينتقدان الهيئة الاجتماعية ، ويتناولان اهل الدين وارباب الشعائر والنساء والاعتقاد ، ويسيئان الظن بالدنيا وساكنيها .

والفرق ـ فى رأيه ـ بين العالمين ، هو كون شوبنهاور اشتغل فى علم الفلسفة ودراستها والتدوين فيها ، بخلاف المعرى الذى لم يشتغل بالفلسفة من حيث هى علم وانما كان يبحث عن أسباب الاشياء وتعليل وجودها ، فتخطر له خطرات حكيمة تستحوذ على مخيلته وذهنه الحاد ، فتسبكها قريحته الشعرية فى تلك القوالب العجيبة التى تظهر فى قصائده .

يبقى أن نعود فنؤكد أن رسالة ملقى السبيل ـ النثرية الشعرية ـ تفتح الباب لتعديل كثير من الافكار المعروفة عن المعرى ، تلك التى اخذت وانتزعت من ثنايا اشعاره وكتاباته المعروفة والمتداولة ، التى يبدو فيها المعرى صوت احتجاج ورفض وقلق وتمرد وشك اكثر منه صوت ايمان وخشوع وعودة الى اليقين . ومن هنا تنبع القيمة الحقيقية لهذه الرسالة ، فقد لا تضيف بعدا جديدا الى شاعرية المعرى الاصيلة ، او صنعته البلاغية المقتدرة ، لكن من شانها أن تحدث تعديلا هاما فى فكرتنا عنه كمفكر وفيلسوف .

القاهرة ـ فاروق شوشة

بودلير

شاعر المــــرأة

بقلم : الدكتوره ماري فرنسيس

... الشاعر الفرنسي المشهور « شارل بودلير » صاحب « ازهار الشر » نذكر هذا الشعر الخالد البارع في التعبير عن الملذات الحسية .... ففي أبداع قصائده التي تبلغ القمة من حيث العمل الفني نجده منغمسا انغماسا تاما في نشوة المتعة ، وهو يشدو بالمرأة « مليكة المعبودات » ، معبرا عن رغبته « المتموجة التي تعلو وتهبط بين القمم والوديان » لجسد المرأة « الرائع » .

والى جانب هذا ، كان « بودلير » يحس بحاجة ملحة الى أن يتصل بالمرأة ، لا عن طريق الجسد فقط ، بل عن طريق القلب والروح ، ويفيض عليهــا هذه القــوة العاطفيه التي تكتظ بها جوانحــه . وهنــا نذكر له هذا الشعر الوجداني الذي يشـدو فيه باجـلال وتمجيد المرأة « الملاك » ، « الالهة » ، التي يوقد افـكاره كالشــموع على هيكلها ، بينما تلمع هي كنجمة بعيدة المنال ...

والى جانــب هذين الوجهــين (الحسي والروحانــي) هناك وجه أخر للمرأة في شعره ، ولكنا نكاد نجهله . وهذا الوجه [illegible] بودلير [illegible] فتارة تبدو [illegible] « حيوانا [illegible] » ، وتبرز [illegible] ساهلا [illegible]

المرأة والشر

وهذه [illegible]

[illegible]

« مصاصة دماء » تهدم وتفني . وتمثل له صورة حية للشيطان في قصيدة « الفناء »

« يلازمني الشيطان دوما مستثيرا ..
ولأنه يعرف حبي الكبير للفن
يتخذ شكل امرأة فاتنة معرية
وسمى الطرق والمحاولات يلصق شفتي بأقداح محرمة
وجهدا يبعدني عن أعين الله
متعبا جاهدا لاهثا ... »

[illegible]



بودلير

وكان « بودلير » يحس أشد الاحساس بهذا الصراع العنيف ويشعر برذائل هذا الطراز الشرير من النساء . ففي قصيدة « الجواهر » يشبه مفاتن المرأة بملائكة السوء ، وفي شعره يرمي هذا المخلوق الشيطاني بمين اللعان ...

فماذا كانت حقيقة شعور « بودلير » نحو هذه « الملعونة » ؟ انه يدهشنا حين يصرخ في « المرأة المفرطة المرح » .

« اني أكرهك بقدر ما أحبك ! »

وتلك هي صرخة البائس العاني .. وفي قصيدته المشهورة « الشرفة » يقول الشاعر .

« وشربت أنفاسك ايها الدماء المذيذ .. »

فيا نوع تلك الكراهية العاشقة ؟ ...

« السادية » و« المازوكية »

إذا حللنا هذه المشاعر « البودليرية » تظهر لنا « سادية » مؤكدة . وتتغذى هذه السادية من القسوة المفرطة نحو المرأة التي تبدو هنا فريسة حب « بودلير » الطاغي :

« سألتف حولك كالثعبان ....
سأحكمك وأملكك
بقوة الخوف وحده .... »

وفي قصيدة اخرى يصفها متلذذا « بنمرة مروضة » او « عبدة مزهوة بانتصار مولاها عليها .

وفي هذا العالم « البودليري » الغريب تحمل المرأة معاني الاشتهاء إذا اقترنت بالشقاء وامتزجت بالحزن حتى تحقق الاثارة الجنسية . فرغبة « بودلير » السادية تحصل لها اللذة إذا خيل اليه أنه يضرب المرأة ويفجر دموعها بقسوته :

« سأضربك بلا غضب
وبلا كره .. كالقصاب
كموسى وهو يضرب الصخر
وسأستدر من جفنيك الدموع
لأروى صحرائي بماء العذاب
وستبح رغبتي المملوءة املا
على دموعك المالحة
كسفينة في عرض البحر ... »

واذا كانت السادية تلون جانبا من شعره فاننا نرى « مازوكية » واضحة تلون جانبا آخر من شعره . ولبودلير المازوكي يتم السرور الجنسي بتحقيق العذاب لنفسه . ويقول وهو يردد في شعره رنة الشجي ممزوجة بنشوة الاستمتاع :

« ... كل المحبوبين
أقداح مرة نشربها مغلقي العيون
والقلب المصاب بالنصال ، متلويا من الالم
يحتضر كل يوم ، مباركا السهام . »

وهكذا نظل نفسية « بودلير » في صراع شبه دائم بين السادية والمازوكية ، فهو ظامىء للقسوة وتعذيب

الغير ، كما هو ظامىء لتعذيب نفسه ومفرطا على نفسه في الهوان والمذله :

« انا الجرح والسكين
انا الصفعة والخد
انا الضحية والجلاد »

فبالتناوب والتداخل تتحقق في نفسية « بودلير » ازدواجية السادية والمازوكية فهو الطاعن والطعين ... انه يستمتع بملذات مشبعة بالسوء ويشمل من عطور « ازهار » « الشر »

المرأة « تناسق جسماني »

في عالم « بودلير » ، اذا كانت المرأة المقترنة بالعنف تبلور السادية والمازوكية عنده ، فمن جهة اخرى تكشف المرأة « الغبية » ، « الجاهلة » ، عن احتقاره للنساء . فهو يصفها في شعره . « بئر لا يغنى من الغباء » ، ولا يعترف لها بأى مقدرة على مشاركته المباهج الذهنية . ففي « قصيدة الخريف » المشهورة ، تسأله الحبيبة ، وهي مستشعرة بتباينهما وعدم تكافؤها معه ، قلقة على قيمتها الفكرية :

« ماهي قيمتي بالنسبة لك ايها الحبيب العجيب ؟ »

فيجيب هو بأمر حاسم :

« كوني فاتنة واصمتي »

وكان « بودلير » يهتم ويهيم بجمال المرأة وفتنتها ، متجاهلا بل مادحا احيانا غباءها وذهنها المغلق ، المظلم . فيقول :

« ان البلاهة هي زينة الجمال في اكثر الأحيان »

ونجده في شعره يقوم ، من خلال صور تعبيرية ، بلاهة المرأة المختارة ، شاديا بعيونها البليدة ، الفارغة من أي ذكاء . هاتان العينان .

« اللتان لا تحتويان على أي سر ثمين
علب حلى خالية ، أنواط بدون ذخائر
أفرغ وأعمق منكم انفسكم يا سموات . »

وبعد هذا لا ندهش اذا رأينا « بودلير » يتحدث باحتقار ساحق وبشراسة عن المرأة في يومياته إذ يقول .

« المرأة سطحية ... غبية صغيرة ... على الانسان أن يضرب التي يحبها ، كلما تعمقت في الفن ، وكلما قللت من الاقتراب الجنسي . »

وهكذا كان « بودلير » لا يقدر للمرأة اي ذكاء ، فاهتمامه غالبا كان يتركز بحدة على جسد المرأة متغنيا بمفاتنه في نشوة لا نهائية ...

غير ان الغباء النسائي ، في عالم « بودلير » يبدو احيانا مذلة او عارا :

« المرأة ظامئة تريد ان ترتوي ، ساخنة
تريد اطفاء نارها بالقرب الجنسي ... المرأة
طبيعية ـ اى فظيعة ـ سوقية ... »

وبالرغم من هذه الآراء الساخطة ، فهذا الشاعر « الجالس على عرش الخيال واللذة الحسية » ، هذا الفنان المشغوف بالجمال ، المأخوذ بما يعرض جسد المرأة تحت نظريته الفنية ، يرى جمال الجسد الحافز لتلبية المثير هو :

« ... موهبة سامية
تنتزع التوبة لأي عار ... »

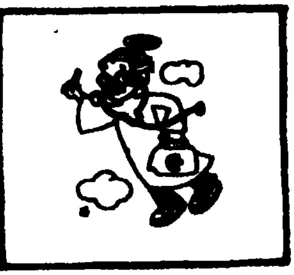
* * *

وهكذا كانت المرأة ثراء خصبا لشعر « بودلير » وعبقريته .وكان هو في نفس الوقت فنانا قلقا يحس بالندم على ضعف الانسان امام الشهوات ... من خلف هذه « الوحشية » كما يقول في قصيدته « الفجر الروحي » كان يود دائما .

« ان يستيقظ ملاك ...
وتتفتح سماوات روحانيته في لازورد فضي
امام عيني الرجل الخاطىء المتألم ... »

■■

د . ماري فرنسيس
مدرسة الادب الفرنسي ـ جامعة القاهرة



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

أمراض المثانة

● ان الدم الذى يجرى فى عروقنا يصب عادة فى الكليتين بمعدل ليتر ونصف فى الدقيقة لتنقيته ، وتخرج الفضلات غير النقية عن طريق الحالبين الى كيس عضلى قابل للتقلص والتمدد يعرف « بالمثانة » ومنها تتدفق الى الخارج ، وتتحمل المثانة معدل نصف لتر من الادرار دون مضايقة ، ولكنها تكون اكثر عرضة للتمزق فى حالة امتلائها منها فى حالة فراغها فيما اذا اصيبت البطن بضربة عنيفة ، لذلك ينصح سواق السيارات بالالتفات الى هذه الناحية قبل الشروع بسياقة سياراتهم ، وان اى عطب يصيب النخاع الشوكى يحدث شللا فى المثانة ، وقد تصاب المثانة بالتهاب وهو اكثر حدوثا عند النساء منه عند الرجال. لان مجرى الادرار فى الحالة الاولى اقصر ، فهو لذلك اكثر عرضة للالتهابات الجرثومية .

وهناك فى الغالب علاقة بين الحصى فى المثانة وتكون الاكياس فيها ، غير انه لا يعرف على وجه الضبط ايهما يبدا اولا ، ويمكن تشخيص الاورام فى المثانة بظهور الدم فى الادرار.

وبوسعنا ان نفحص المثانة مباشرة بآلة تعرف بالسيستوسكوب Cystoscope او منظار المثانة ويمرر عادة فى الاحليل ، ويمكن اجراء العملية على المثانة بسهولة عن طريق الجزء السفلى للبطن ، والى ايام الجراح الانكليزى ليستر Lister المتوفى سنة ١٩١٢ لم يكن من الميسور فتح البطن من دون احداث كارثة التهاب الصفاق Peritonitis

وفى العمليات القديمة لاستخراج الحصاة من المثانة كانت تتبع طريقة فتح المثانة من الاسفل اى عن طريق الشرج.

وقد تبين من دراسة احصاءات الامراض ان سرطان المثانة فى تزايد ولا سيما بين اولئك الذين يعملون فى معامل المطاط والاصباغ لسنوات عديدة مستخدمين مادة البنزيدين. Benzidien ومادة النفثالين Naphthalmine وقد لا تكون النتوءات الجديدة فى المثانة خطرة بادىء ذى بدء ، ولكنها قد تؤدى فى النتيجة الى السرطان وفقدان الدم الذى يحط من مستوى الصحة العام ويمكن تشخيص ذلك بوجود دم فى الادرار بين حين وآخر، وهذه ظاهرة حرية بالاهتمام دائما ، سواء أوجد السرطان أم لم يوجد ، حتى وان كان سببه بسيطا ، والمعالجة فى هذه الحالة جراحية ، وكلما عجل بها كانت الفضل ، لانها على العموم قابلة للشفاء فيما اذا تدورك الامر فى وقت مبكر ، وعلى العكس من ذلك فيما اذا اهمل ، وبعض هذه الاورام متاتية من التعرض الى المواد الكيماوية المستعملة فى الاصباغ ومصانع المطاط، كما ذكرناه ، وكثرة حالات سرطان المثانة فى مصر يحملنا على الاعتقاد بان البلهارزيا سبب آخر من اسباب سرطان المثانة ، وقد تعالج الاورام بالكى الكهربائى فى الحالات البسيطة ، وفى الحالات المتقدمة برفع المثانة وايصال الحالبين بالمعى المستقيم ، غير ان هذه العملية قد تحدث

الرضاعة والحليب المجفف

● اخبرني الطبيب بعد الولادة انه يجب ارضاع الطفل من الثدي لمدة شهور وعدم الاعتماد على الحليب المجفف من البداية فهل هناك اي فرق بينهما ؟

- ان حليب الام هو انسب الاطعمة لرضيعها وذلك لانه خلق ليناسب الجهاز الهضمي للرضيع وحاجته الغذائية ويتدرج معه منذ بدء ولادته حتى الفطام، وذلك علاوة على ان حليب الام يحتوي على كثير من مضادات الامراض التي تعطي مناعة وحصانة ضد كثير من الامراض كما انه مضمون النظافة ومعقم بصفة دائمة فلا يحتاج الى غلي او تعقيم.

والحليب يشمل معظم العناصر الغذائية تقريبا واننا نعتبره يقارب الكمال ولكن ليس كاملا لانه يفتقر الى الحديد وفيتامين ث وهذه ضرورية لتكوين هيموجلوبين الدم وسلامة اللثة وتكوين الاسنان ولذلك كان لابد من تعويض الطفل عندما يبلغ الشهر الثالث من عمره باعطائه حساء الخضراوات وعصير البرتقال وغيرها .

ويجب ان نعلم ان كل مائة جرام من حليب لدى الام تعطي الجسم ٦٢ سعرا حراريا ولايجوز ان تمتنع الام عن ارضاع طفلها الا في حالات المرض اوسوء تركيب الحليب او عدم كفايته .

ويحتوي حليب الام على انواع عالية من البروتينات ذات القيمة الحيوية العالية والقابلة للهضم والتمثيل والتي لا بد من وجودها للطفل لبناء انسجة جديدة ولنموه .

وحليب الحمارة هو اقرب الالبان للحليب الآدمي ويمكن للطفل هضمه بسهولة اكثر من اى حليب آخر ، كذلك فان مرض السل نادر في الحمير عنه في البقر والجاموس الا ان المواد الدهنية ضئيلة في هذا الحليب ولذلك لا يمكن استعماله كغذاء للطفل مدة طويلة ولكنه مفيد جدا في حالات الضعف والنزلات المعوية واود ان انبه ان الحليب ليس له اى ضرر ولا يؤثر على على خلق الطفل او طباعه في المستقبل .

كذلك فان حليب الماعز والناقة سهل الهضم ويمكن استعماله للاطفال وعموما فان الاطباء ينصحون الان بانه يجب على الام ارضاع طفلها من لديها لاطول فترة ممكنة لصحة وسلامة الطفلة .

التهابا في مؤتلف الزمن ، لذلك يفضل بعض الجراحين ايصال الحالبين بمثانة اصطناعية خارج الجسم يحملها المريض معه حيثما ذهب ، ومع ان هذه الطريقة لا تخلو من مضايقات ، كما هو معلوم ، الا انها اسلم صحيا في المدى البعيد .

وكنتيجة للالتهاب المزمن في « المبولة » قد تظهر زائدة لحمية عند النساء تكون بحجم الحمصة قرمزية اللون براقة وحساسة تحدث الما عند التبول وتدمى بسهولة فيصطبغ الادرار بالدم ولا علاج لها غير ازالتها بعملية جراحية .

وقد تصاب المثانة كما تصاب الكليتان بالسل ، غير ان مثل هذه الاصابة اصبحت في ايامنا هذه نادرة . وكان فحص الادرار منذ ايام السومريين وقدامى المصريين ولا يزال الى يوم الناس هذا من اهم الفحوص لتشخيص الامراض ، وقد اصبح اليوم لا يعتمد على العين المجردة بل على مختلف التحليلات الكيماوية ، مع ملاحظة اللون والترسبات والروائح والكثافة فعن طريق فحص الادرار يمكننا ان نتبين اضطرابات الكليتين وتسمم الدم اثناء الحمل والامراض العصبية وداء السكر وامراض العظام والسرطان واضطراب الغدد والكبد والعمل، وبطبيعة الحال يمكننا ان نعلم عن اضطرابات المثانة نفسها .

والمعروف ان الشخص البالغ الصحيح المعافى يبلغ ادراره الخمسين اونصا خلال كل اربع وعشرين ساعة ، تطلق خلال اربع او ست مرات في النهار ولا شيء خلال الليل وتتباين الكميات وعدد المرات بالطبع بمقدار ما يحتسيه المرء من سوائل ومقدار ما يفقده عن طريق التعرق او الاسهال او القيء ويرجع ازدياد التبول الى الاصابة بمرض السكر ، واذا كان الشخص متقدما في السن فقد يكون السبب مرضا في الكلية او تضخما في غدة البروستات ومن ابرز علامات هذا الاخير النهوض في الليل للتبول .

اما الالتهابات الموضعية فقد يكون سببها التهاب المثانة بالذات او وجود حصى او تقرح او ورم فيها او قد تكون نتيجة تخرش في موضع آخر ينعكس على المثانة من مثل وجود الديدان او البواسير او تدلي عضو كالرحم مثلا عن موضعه السوي او الضغط على المثانة اثناء الحمل ، ويكون الادرار حامضيا اكثر مما ينبغي .

ومن امراض المثانة عدم القدرة على التبول لافراغها لمدة ساعات عديدة مع تشنجات مؤلمة في القسم السفلي من البطن وقد يكون سبب ذلك اضطرابا عصبيا وتعالج هذه الحالة بوضع كيس ماء حار على البطن مع محاولة التبول في حمام دافيء حتى يحين موعد مجيء الطبيب فبوسعه ان يقدم العلاج الآني الناجح ويجري الترتيبات اللازمة للوقوف على أسباب الحالة الطارئة .

وقد تحدث حرقة عند التبول نتيجة للاصابة بالزهري او التهاب الاحليل او اصابته بالقرحة او السرطان ، ومن الملحوظ احيانا ضعف مسيل الادرار وبطؤه وسبب ذلك تضيق المجرى البولي او تضخم البروستات او وجود الحصى وهناك كذلك احتمال حصول تشنج عصبي في منفذ المثانة ولا سيما بحضور اناس آخرين ، ويمكن التغلب على ذلك بالتبول بعيدا عن انظار الاخرين ، وقد يجد المريض صعوبة في البدء بالتبول ومأتى ذلك ايضا الاعصاب او الشيخوخة او ضعف عضلات المثانة او توسعها نتيجة تضخم البرستات المزمن ، وقد تنطلق قطرات من الادرار اثناء الضحك او السعال او العطاس ، وعلاج ذلك التمارين الرياضية لتقوية العضلات للاثمرات في اليوم ، واللون الطبيعي للادرار اصفر بني وقد يكون برتقاليا فيما اذا كان مركزا نتيجة الحمى او ارتفاع حرارة الجو او اضطراب الكبد . اما اللون الوردي او الاحمر فقد يكون نتيجة تناول حلويات ملونة ، اما الخضرة الفوسفورية فناجمة عن المقويات والمستحضرات الكيماوية للفيتامينات .

الشاي والقهوة

● نصحني الطبيب بالاقلال من شرب الشاي والقهوة للتخلص من التوتر الذي اعاني منه ، فهل لي ان اعرف اضرارهما ؟

— ليس للشاي او القهوة اية قيمة غذائية ، وكلاهما يحتوي على مادة «الكافيين» ومادة «التانين» الا ان الشاي يحتوي على نسبة اكبر من مادة «التانين» . وهذه المشروبات تسمى مشروبات منبهة نظرا لوجود الكافيين الذي ينبه الجهاز العصبي والقلب وكذلك الكليتين .. ولذا يزيد افراز البول .

اما «التانين» فهو مادة قابضة تؤدي الى الامساك وتؤثر على الاغشية المخاطية للفم والمعدة والامعاء فتؤدي الى تهيج هذه الاغشية وحدوث عسر الهضم .. ومادة التانين في الشاي تزيد كلما زاد غليه وبالتالي تزداد مضاره .

اليونان والع

بلد سياحي، يتألف من مجموعة هائلة من الجزر .. يفد اليها السائحون لينعموا بشواطئه في الصيف والوقوف أمام آثاره والتنقل بين جزره تحت دفء شتائه .

واليونان تملك ثاني
المسؤولين وثقة ، قالوا



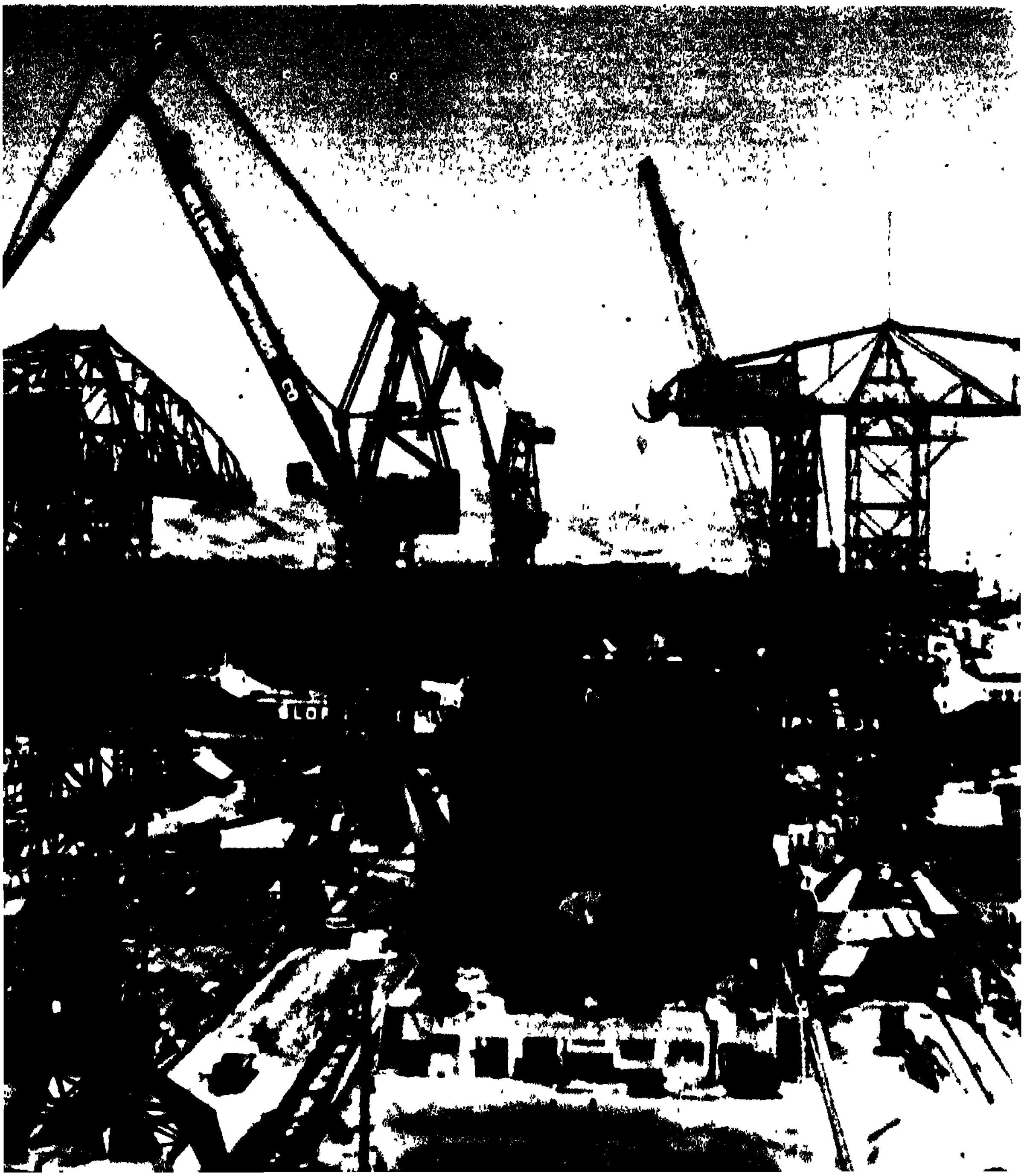


ربا

فكر وحضارة
وحديث عن المستقبل

استطلاع بقلم : **منير نصيف** تصوير : **أوسكار مترى**

اكبر أسطول تجارى فى العالم ·· تصنع السفن وفى أحواض بنائها كان لنا مع ان السياحة والنقل التجارى تشكلان المصدر الرئيسى للدخل القومى فى هذه البلاد



من فوق قمة جبل ليكافتيوس الذي يرتفع عن سطح البحر بحوالي الف قدم . كانت لنا اطلالة على مدينة قديمة حديثة .. قديمة بتاريخها وحضارتها .. حديثة باسلوب حياتها العصري .. عرفها العرب في فجر الاسلام وحتى قبل أن يجيء الاسلام .. بعضهم جاء اليها حاملا تجارته .. وبعضهم حط فيها متنقلا بين شواطئها وجبالها ووديانها ، ناقلا اليها دينا حنيفا وخلقا سمحا كريما .. وبعضهم أخذ من حضارتها وفكر فلاسفتها .. وأعطى كما اخذ من فكر وفلسفة العرب والمسلمين الاصيلة !

هي مدينة اثينا ، عاصمة اليونان .. وهي كما ذكرنا ليست غريبة علينا ـ نحن العرب ـ كما اننا لم نكن ابدا غرباء على هذا البلد الذي يسبح بجزره التي تزيد على الثلاثة آلاف جزيرة ، صغيرة وكبيرة ماهولة وغير ماهولة ، في مياه البحر المتوسط ، التي ركب اجدادنا امواجها ، وارتفعوا معها الى القمة ، فكرا ودعوة وحضارة وانتشارا بين اهل الغرب والشرق .. سواء بسواء .

كيف كان هذا مع اليونان .. بلد الاغريق وارض الفلاسفة .. الذين مازالوا يعيشون معنا في الكتب حتى اليوم .. من هيرودوت ابو التاريخ ، الى سقراط وافلاطون وارسطو ..

ونرجئ الحديث مؤقتا عن التاريخ وعن روابط الفكر وعلاقات العرب التي جمعت وتجمع بين العالم العربي واليوناني ، فسوف يكون لنا مع كل هذا عودة في مكان اخر من هذه الرحلة السريعة التي حاولنا معها ان نقدم بالكلمة والصورة شيئا عن حاضر اليونان ، كما رأيناه خلال زيارتنا لها .. وعن الماضي القريب منه .

أما البعيد الموغل في القدم فلن يكون لنا حديث عنه في هذا المكان . ان حاضر بلد .. اي بلد ماهو الا امتداد لما كان عليه حال شعبه من فكر وثقافة وحضارة وتاريخ في الماضي القريب والبعيد .. ولكننا سوف نكتفي بالقريب الان لان البعيد بعيد جدا .. الذي غير الصورة ويغيرها هو عنصر الزمن وما تصنعه الايام بها .. فاللوحة الجميلة الملونة هناك باقية حيث هي .. كل ماحدث كما توقع فان جوخ : ان ريشة الفنان الجديد الذي يجيء من بعدي قد يجد اللوحة غريبة عليه فهي لا تمت الى العصر الذي يعيشه بصلة .. وقد يعبث بها ماشاء له العبث ليضيف عليها طابع الحياة التي تسود العصر ولكن هل استطاع هذا الفنان العصري أن يخفي مع كل هذا العبث ملامح الحياة القديمة في اليونان .. ابدا .. انها هناك باقية ثابتة بالوانها التي ربما فقدت بعض بريقها بفعل الزمن .. ولكنها لم تختف ، كل ماحدث هو هذا الزحام الهائل الذي تراه حول اللوحات الجميلة .. الناس والمركبات وناطحات السحاب . وكل ما يمت الى الحياة العصرية بصلة حتى كادت الصورة القديمة الجميلة ان تتوارى وسط الزحام .

نحن لا نحاول ان نجمع في هذه السطور القليلة ماء البحر في وعاء كما يقولون وانما نحن نحاول ان نعرض شريطا قصيرا لانطباعاتنا عن هذا البلد وماحدث له وفيه وعلاقتنا به نحن العرب على مر القرون القريبة .

تسلقوا الجبل

ونبدا من حيث تكون البداية .. كيف تبدو اليونان او بلاد الاغريق وهي التسمية الاصح .. اليوم كانت اليونان ومازالت بلدا ناميا .. ولكنه نمو يختلف عما تعودناه ورايناه في البلاد النامية الاخرى في القارتين الكبيرتين .. آسيا وافريقيا او في منطقتنا العربية .. فهي تنمو نموا سريعا كاد ينقلها او هو نقلها بالفعل الى دولة متقدمة . ـ بمواردها وصناعاتها واصرار ابنائها .. هؤلاء الذين رفضوا البقاء وراء الجبل فتسلقوه وخرجوا الى الشمس غير عابئين بلسعاتها سائرين في الطريق الذي اختاروه لانفسهم .. فراحوا يكدحون ويعملون ويعرقون ، حتى بلغوا النهاية او كادوا .. قبل الحرب العالمية الثانية اي منذ اربعين عاما او اكثر او اقل ، كانت اليونان دولة فقيرة .. ليس فيها غير الارض التي يزرعونها وياكل ابناؤها خيرها وما تجود به .. وغير اسطول صغير للنقل البحري ، يربط بين جزرها المنتشرة في البحر المتوسط ، وربما بينها وبين بعض الدول المجاورة التي كانت تنقل اليها ومنها

تجارتها ثم بعض الصناعات البيئية التى نبعت من ارضها او انتقلت اليها مع الحكم العثمانى عندما كان الاتراك يصولون ويجولون فى العالم العربى وفى اوروبا رافعين علم امبراطوريتهم وعلم دينهم الاسلامى الحنيف • قال المؤرخون المسلمون بعد ان نفض العرب وغير العرب عن بلادهم غبار الاستعمار العثمانى : لقد نهبوا أرضنا ، واستولوا على كنوزها حتى آثار النبى صلى الله عليه وسلم حملوها معهم الى القسطنطينية استنابول اليوم وتصوروا انهم بهذا قد نقلوا عاصمة الاسلام الى تركيا •

وانتشر الاسلام من أرضه

ولكن الاسلام بقى فى الارض التى نبع منها ، وانتشر الى البقاع الدانية والنائية بين المؤمنين بالله ورسوله الكريم ، وغرقت الدولة العثمانية فى بحر الظلام والتخلف حتى كانت بداية هذا القرن العشرين عندما قضى كمال اتاتورك على كل ما ربطها أو كان يربطها بالعالم الاسلامى لغة وحضارة واستمرت تركيا فى عيشها « مع المرض » فقد كانت الرجل المريض فى أوروبا •

وخرج العثمانيون من اليونان بعد اربعة قرون من الاستعمار الذى دام حتى اوائل القرن التاسع عشر •• ولكنهم تركوا وراءهم بصماتهم •• فالطابع التركى هناك يراه الزائر فى المبانى القديمة وفى الاسواق وفى الصناعات التقليدية التى تعتمد على الايدى والاصابع الماهرة •• صناعات يدوية من الفضة والنحاس والاخشاب والفخار والصدف والاقمشة القطنية بزخارفها والوانها •

واندلعت الحرب العالمية الثانية وانتهت بعد ان تركت اليونان وكل دول شبه جزيرة البلقان ومعظم دول اوروبا شرقا وغربا ، رمادا وركاما • وصحت الشعوب الجريحة من رقدتها المؤلمة على الواقع المفجع •• كيف •• ومن أين يبدأون من اجل اعادة الحياة الى بلادهم التى تفوح منها رائحة الموت والخراب •

وكانت البداية صعبة شاقة محرقة •• كانت مليئة بالعمل والكفاح والتضحيات ، ولكنها كانت فى النهاية مثمرة •• وبقدر العطاء كان الجزاء •• فهذه هى قصة الشعوب مع الارض منذ كانت هناك حياة • وقد تفاوتت درجات التعويض عن الاضرار التى احاقت بالعالم من جراء الحرب التى اوشكت ان تقضى على كل مظهر من مظاهر الحياة فى أوروبا وآسيا •• وتفاوتت من بلد الى بلد بل من مدينة لاخرى •• البعض ، لاسباب سياسية اولا واقتصادية وعسكرية نهض بسرعة فقدكانت الاموال تتدفق على تلك البلدان من اغنى دولة فى العالم ونعنى بها الولايات المتحدة الامريكية•• والبعض بقى يكدح ويعمل فى نطاق ما تسمح به الامكانيات المتوفرة لسنوات وسنوات طويلة ذاقت خلالها شعوبها مرارة الفقر والحرمان الى ان استطاعت ان تقف مرة اخرى على قدميها ، ثم تقفز بعد ذلك قفزاتها الهائلة وتؤكد وجودها فى عالم اليوم والغد ••تماما كما حدث للسلحفاة البطيئة التى وصلت نهاية الشوط وسبقت الارنب بعد رحلة شاقة طويلة •

الابناء العائدون

واليونان واحدة من تلك الدول التى انتعشت بعد جهد وبعد سنوات طويلة من العمل الجاد رغم ما اعترضها فى مسيرتها من صعاب عندما صحا الشعب يوما، فوجد الحرية قد غابت •• بعد أن سيطر الجيش على البلاد ، ولكنها لم تكن سوى غفوة قصيرة عاد اليونانيون بعدها الى المضى فى مسيرتهم ، بعناد واصرار •

ثمة عامل هام كان له دور مؤثر ساهم بصورة مباشرة فى بناء اليونان الجديدة •• مدنها وشواطئها السياحية الجميلة •• ومصايفها وتجارتها التى تعتمد اليوم على ثانى اكبر اسطول تجارى فى العالم •

وهو تلك الهجرة المعاكسة •• لقد عاد الى اليونان ابناؤها الذين كانوا يعيشون فى المهجر فى مصر وفى بقية الدول العربية وغير العربية، عشرات ومئات الالوف حاملين معهم ما جمعوه من مال خلال رحلتهم الطويلة مع الحياة فى هذه البلاد التىكانت لهم وطنا ثانيا••يشدهم الحنين الى بلدهم من ناحية ثم الرغبة فى مد يد العون لمواطنيهم والوقوف معهم فىانطلاقتهم لبناء بلدهم وتعميرها فى ظل ظروف سياسية واقتصادية مواتية •

حدث هذا فى أوائل الستينات عندما زرنا أثينا للمرة الاولى •

ومرت السنون وعدنا الى اليونان مرة أخرى





سوق البراغيث سوق قديم معروف فى قلب العاصمة أثينا، يزدحم بالسائحين دائما، ويشتهر بالصناعات اليدوية التى حملها الاتراك معهم أثناء حكمهم الطويل لليونان .. وصناعة الاوانى النحاسية والنقش على النحاس صناعة اسلامية قديمة ابتكرها الفاطميون وعاشت وتطورت مع العرب ومع غيرهم فى كل بقعة وصلوا اليها شرقا وغربا .



فى عام ١٩٧٧، وقصدنا المكان الذى عرفناه ، وكانت المفاجأة •• فلم نصدق ان تلك الاعوام التى انقضت بين زيارتنا الاولى يمكن ان تصنع كل هـذا الـذى صنعتـه فى ميـدان واحـد فى هذه المدينـة الصغـيرة الكبـيرة •• فقـد قامت العمارات الضخمة ، وافتتحت المحال التجاريـة الكبرى •• وانتشرت فنادق الدرجة الاولى على جانبى الميدان الكبير •• الصورة كلها تغيرت بكل معالمها وهى نفس الصورة التى رايناها فـى زيارتنا الاخيرة عندما سافرنا الى اليونان هذا العام لنقدم هذا الاستطلاع •• مع فارق واحد ، هو اننا هذه المرة لم نكن نتفرج •• وانما كنا نرى ونسمع ونسجل •

دولة نامية متقدمة

واليونان بلد غريب •• وبلد صغير فى الوقت نفسه ، لاتزيد رقعة اليابسة فيه على ١٣١ الف كيلومتر مربع ••بما فى ذلك جزره العديدة العائمة فى مياه البحر والتى يسبح معها مئات الالوف من السائحين فى صيف كل عام • تعداد سكانه لايزيد على تسعة ملايين نسمة يعيش نصفهـم تقريبا فى العاصمة اثينا•• وهى مشكلة تفاقمت على مر السنين •• فلم تكن العاصمة الصغيرة التى تبلغ مساحتها اربعمائة كيلو متر مربـع مستعدة لايواء هذا العدد الضخم من السكان •• ولكنها مشكلة كل الدول النامية التى تحولت من مجرد مجتمع زراعى الى مجتمع زراعى صناعى•• ومع هذا التحول يبدأ النزوح من الريف الـى المدينة •••• حيث الكسب اوفر واسرع مع دخان المصانع وهدير الآلات ••

وواجهت اثينا مشكلة •• وهى مازالت تعيش فيها كلما ازداد الطلب على الايدى العاملة ، مع حركة البناء والتعمير التى غيرت وجه اليونان ••ورفعت اجر العامل وضاعفت الدخل القومى •

ونسمع ونقرأ فى الاحصائيات الرسمية ان اكثر من نصف مليون سيارة تجرى الآن فى شوارع العاصمة الضيقة الصغيرة وهى فى زيادة مستمرة فهناك عشرة الاف سيارة جديدة تنزل الى شوارع العاصمة شهريا •••• والنتيجة •• ان الجـو فى العاصمة قد تلوث وبلغت نسبة التلوث فى الهواء درجة الخطر •

وطبيعى بعد هذا ان تواجه المدينـة المكتظـة ازمة اسكان وهى مرة اخرى ظاهرة يعانى منها



مجموعة من الطلبة العرب في جامعة أرسطو وهنـاك اكثر من ألف طـالب من مختـلف

العالم كله من ادناه الى اقصاه •• ولكنها هنا فى اثينا قد استحكمت حتى بات من العسير العثور على سكن مناسب فى منطقة وسط المدينة حيث بلغ ثمن الشقة التى تتالف من غرفتين مـع مرافقهما مبلغا يتروا ح بين عشرة وعشريـن الف دينار كويتى •

وكان لابد من البحث عن علاج سريع لهـذه المشكلة التى ازمنت وباتت تهدد المدينة بالاختناق •• انها مرة اخرى مشكلة تعيشها الدول النامية التى تعانى من الارتفاع المخيف فى نسبة زيادة عدد السكان ولكنها هنا فى اليونان اقل الـرا بكثير عنها فى اى دولة اخرى •• فلا تتجاوز نسبة الزيادة فى السكان ١٪ سنويا •• فـى عـام ١٩٦٠ كان تعـداد السكان ستـة ملايين نسمـة •• وفى عام ١٩٧٩ بلـغ تسعـة ملايين نسمة ، وليسوا كلهم مواليد جددا فهـذا الرقم يشمل مئات الالوف من المهاجرين العائدين الذين بنوا وعمروا وساهموا باموالهم فى بناء نهضـة بلادهم •

واجريت الدراسات لانقاذ العاصمة بسرعة من الاختناق الذى يتهددها•• ووضع الخبراء اصابعهم على الحل•لابد من نقل جميع الوزارات والمصالح الحكومية من قلب المدينة الى الضواحى •• بهذه الطريقة وحدها يخف الضغط عن منطقة وسـط العاصمة •• واضاء رئيس الوزراء كرامـا يلنس الضوء الاخضر •• وبدأت الاجهزة المعنية فى تنفيذ المشروع على الفور •

عودة الى الارض

فى بداية التحول من مجتمع زراعى الى مجتمع



بمدينة سالونيك العاصمة الثانية لليونان ..
الاقطار العربية فى الكليات العملية .

صناعى زراعى . كاد أبناء اليونان ينسون الارض وخيرها ، ولكنهم سرعان ماعادوا اليها يصلحونها ويفلحونها من جديد حتى بلغت نسبة الاراضى المزروعة اكثر من ٢٨٪ من مجموع مساحة اليونان كلها ..فهى بلد زراعى صناعى معا .. ولكن ماذا يزرعون .. وماذا يصنعون هنا .

اكبر حاصلات اليونان الزيتون ، والدخان والفواكه والحمضيات .. ثم القمح الذى اصبح يكفيهم الان ويفيض .. وهم يستخلصون الزيت من الزيتون ويصدرونه كذلك الدخان وله فى الخارج أسواق عديدة والفواكه والخضروات الطازجة ، وتصدرها اليونان الى دول السوق الاوروبية المشتركة التى تم توقيع الاتفاقية الخاصة بدخولها فيها يوم ٢٨ مايو الماضى .. ولكن عيون اليونانيين كلهم تتجه اليوم الى العالم العربى .. والى السوق العربية .. فنحن اولى بحكم الجوار ، وبحكم ماكان يربط بيننا من علاقات ، وما نحمله لكم فى قلوبنا من محبة وتآلف ومشاركة .. وهى مشاعر كانت وما تزال تربط بيننا منذ مئات السنين » هكذا قال لنا الدكتور يوانيس بورغاكيس . الرجل الذى يحمل اليوم مهمة تطوير وتنمية هذه العلاقات التاريخية القديمة بين العرب واليونانيين . وسنعود اليه والى الدور الذى يضطلع به كسفير متجول لبلاده فى الدول العربية كلها.. وهو يؤكد أن هناك مئات المشاريع العربية اليونانية التى بدأت تخرج الى حيز التنفيذ .

والفلاح هنا يزرع ارضه .. وكل الفلاحين يملكون الارض التى يزرعونها ، وهى مساحات صغيرة لا تزيد فى المتوسط على خمسة او عشرة هكتارات ..

● اليونان والعرب ..

السياحة والنقل البحرى

ولعل اهم صناعة فى اليونان اليوم هى صناعة السياحة فقد تفنن أبناء اليونان فى تجميل شواطئهم وجزرهم الغنية بمناظرها الساحرة ، وعرفوا كيف يكرمون ضيوفهم واستطاع التاريخ والجبل والبحر وشواطئه ان يجذب مئات الالوف من السائحين فى صيف كل عام ، حتى بلغ دخل اليونان من السياحة فى العام الماضى ١٩٧٨ مبلغا يزيد على البليون ونصف بليون دولار (١٥٠٠ مليون دولار) ، وهم يتوقعون ان يصل هذا الدخل فى صيف هذا العام الى الضعف تقريبا .. ولا يملك السائح العربى ، وهو يرى هذا الجمال الذى تحالف الانسان مع الطبيعة فى صنعه الا ان يقف ويتامل ويتساءل : (الم يكن فى مقدورنا ان نحول شواطئنا العربية الجميلة الى جنسات تشد هذه الملايين من السائحين ؟ عندنا التاريخ وعندنا الحضارة العربية القديمة وكل المقومات التى تجعل من بلادنا أجمل المناطق السياحية فى العالم .. ومع هذا لم نصنع الا القليل من أجل تنمية صناعة السياحة وتطويرها .

وتاتى صناعة بناء السفن والنقل التجارى فى المرتبة الثانية كمصدر للدخل القومى فى البلاد فاليونان تملك كما ذكرنا ثانى اكبر اسطول تجارى فى العالم بعد اليابان ، وقد بلغ دخل اليونان من النقل البحرى وبناء السفن واصلاحها فى العام الماضى اكثر من ١٥٠٠ مليون دولارا أخرى . ويضم الاسطول التجارى اليونانى اكثر من خمسة آلاف وحدة بحرية من سفن للشحن وناقلات بترول وسفن للركاب وسفن لصيد السمك وقاطرات لسحب السفن الكبيرة .

يقول المسئولون فى (شركة هلينك) للملاحة البحرية وبناء السفن : (لقد ذهب عصر السفن العملاقة والسبب هو خفض الدول العربية لانتاجها من البترول من ناحية وعودة الملاحة الى قناة السويس ، وهذا هو الاهم فلم تعد السفن تدور حول طريق رأس الرجاء الصالح، كما كانت تفعل طوال سنى اغلاق القناة .. ان الطلب الان على بناء سفن لا تزيد حمولتها على ٨٠ الف طن) .

امتزاج الفكر

نكتفى بهذا القدر من حديثنا عن اليونان ،



فى احدى الجزر اليونانية السابحة فى مياه البحرالمتوسط ، يجد السائحون متعة فى ركوب الحمير والبغال التى تنقلهم فى رحلة بطيئة على الشاطىء وفوق جبالها ووديانها ·· والجزر مقصد السائحين



سائحتان فى حولة فى احدى الجزر تتأملان (الزير)الذى كان يمتلىء بالماء أيام العرب ·

الزراعة بدأ الاهتمام جديا بالارض فى السنوات الاخيرة ، منذ ربع قرن أو أكثر او اقل ·· فقد
كانت اليونان كلها قبل ذلك تعيش على صيد السمك



ونعود الى موضوعنا .. (اليونان والعرب) ، وقبل ان نتحدث عن تاريخ امتزاج الفكر والحضارة بين المؤرخين والفلاسفة الذين عبروا الحدود برا وبحرا لينقلوا عبر الاتجاهين .. من شبه الجزيرة العربية الى اليونان وبالعكس ، ما توصل اليه اهل الفكر والعلم عندنا وعندهم .. قبل هذا الحديث ننقل هذه المقدمة لسفيرهم المتجول الدكتور يورغاكيس ، وقد زار الكويت ، وكل الدول العربية ، وعاد الى بلاده ، ولقيناه ودعانا لتناول فنجان قهوة (يونانية) ... واياك ان تسميها قهوة « تركية » والا وجدت القهوة تغطىء الفنجان وتغرق ملابسك . الى هذا الحد يكرهون الاتراك .. ويكرههم الاتراك . وفي اليونان ٢٠٠ الف تركي مسلم ، ولكنهم جميعا يحملون الجنسية اليونانية . المهم قال الرجل وهو يحيينا بالعربية : « تتساءلون لماذا هذا الاهتمام بالعرب الان ؟ وانا اقول لكم انه ليس جديدا والا اعتبرنا العلاقات بين العرب واليونانيين جديدة وهي ليست كذلك فتاريخ الاتصال بين الشعبين الصديقين تاريخ فكري وحضاري وتجاري ايضا ، وهو يرجع الى قرون عديدة مضت ، فقد كانت العلاقات تشمل جميع النشاطات البشرية .. كانت القاعدة قائمة اذن ، وكانت قاعدة متينة وراسخة .. وكل ما حدث هو عودة طبيعية الى حالة كانت قائمة فعلا، ولكن بصورة اخرى تفرضها بطبيعة الحال التغييرات التي طرات على حياة الانسان ومتطلباته في هذا العالم الجديد المتطور ، وهو عالم لا يمت الى القديم بصلة وان كان يعتبر امتدادا له » .

والدكتور او البروفسور يورغاكيس ، كان حتى عام ١٩٧٧ وقبل ان يتولى منصبه الجديد رئيسا لمركز الدراسات العربية ودراسات حوض البحر المتوسط .. وفي العام ذاته اصبح رئيسا لمجلس ادارة الغرفةاليونانية للتنمية والتعاون الاقتصادي مع الدول العربية .

علاقات افضل مع العرب

قال لنا السيد اسكندر قدسي ، مدير معهد الدراسات العربية والاسلامية : « لا تنسوا ان شمس الديمقراطية قد غابت عن اليونان لاكثر من ثماني سنوات منذ ان قامت الحكومة العسكرية في عام ١٩٦٧ حتى عودة الحياة النيابية فيعام ١٩٧٤ .. ثم لا تنسوا ما هو اهم من ذلك .. لقد بدا العالم الخارجي من حولكم يحس بالعرب وقدرة العرب العسكرية والاقتصادية بعد حربكم ضد اسرائيل في اكتوبر من عام ١٩٧٣ .. فقد ادرك الغرب والدول المتقدمة ، بصفة خاصة اكثر من اي وقت مضى ان العرب مصدر الطاقة الرئيسي « البترول » .. فلماذا لا نكون على علاقة افضل معهم » .

الواقع أن الاهتمام بتنمية العلاقات مع العالم العربي بدأ في عام ١٩٧٤ .. ولم يقتصر هذا الاهتمام على المجالات الاقتصادية فحسب ولكنه شمل أيضا النواحي الثقافية والفكرية ..

في هذا العام نفسه ١٩٧٤ ولاول مرة في تاريخ اليونان تاسس معهد دراسة « اللغات » .. واقبل الطلبة اليونانيون من مختلف الكليات الجامعية في أثينا على دراسة اللغات الاجنبية واللغة العربية منها بصفة خاصة ، فقد ادركوا انها الجسر الوحيد الذي يوصلهم الى المعرفة .. معرفة المزيد عن العرب .. ثقافتهم ، وحضارتهم وكل شيء عنهم .. ثم لانهم وجدوا ان الترابط بين الشعوب وتوثيق العلاقات بينها لا يمكن ان يتم الا عن طريق التفاعل الثقافي والحضاري بينها .. فكيف لهم هذا وهم يجهلون لغة هذه الشعوب ؟

وهذا الذي يحدث في اليونان اليوم ، وهو ظاهرة جديدة كما ذكرنا ، حمل شعلتها فريق من الشباب العربي الذي جاء الى هذه البلاد العريقة ليتعلم ويعلم ، ونذكر منهم السيد انطوان اسو وهو سوري الاصل ، جاء الى اليونان في عام ١٩٥٢ ، وفي راسه هذه الفكرة .. فكرة نقل اللغة العربية الى ابناء اليونان ، وراح انطوان يرعى فكرته ويطورها الى ان حانت الفرصة اخيرا،

السيد عتيق المقعان القائم بالاعمال بالسفارة الكويتية في أثينا .. « لا بد من الاهتمام بنقل حضارتنا الى الشعب اليوناني » .



● اليونان والعرب ..

فى اليونان .. وفى كل عام يضاف الى المدرسة فصل دراسى اعلى للناجحين . والدراسة فى المدرسة بالمجان .. وهى تشغل مبنى صغيرا جميلا ويستعد المسئولون فى المدرسة لبناء مسجد صغير فى فنائه حتى يتمكن التلاميذ من تادية صلاة الظهر فى المسجد وهم يؤدون الصلاة على اية حال الان ولكن فى أحد فصول المدرسة الصغيرة .

وقريبا سوف تشهد اثينا اول مركز اسلامى تم الاتفاق على بنائه على ارض تابعة للاوقاف المصرية وقد تنازلت عنها مصر .. ولكن يبدو أن هناك بعض العقبات التى تعترض تنفيذ هذا المشروع رغم ما يؤكده الدكتور يورغاكيس من ان كل الخطوات قد اتخذت فى سبيل بناء المسجد والمكتبة الاسلامية وان الحكومة اليونانية فى صدد التعاقد مع المهندسين العرب الذين سيقومون بعملية تنفيذ بناء المسجد الذى أصبح اليوم مطلبا قوميا لكل السفارات العربية وافراد الجالية الاسلامية فى اليونان .

مع قنصل الكويت

ومع قنصل عام الكويت فى اليونان السيد عتيق الفقعان ، كان لنا حديث عن العرب واللغة العربية فى اليونان ، قال : « ان الصحافة العربية اصبحت تجد لها مكانا فى اكشاك بيع الصحف هنا ، معظم الصحف العربية والمجلات تصل الى اثينا وسالونيك .. ولكن العرب وحدهم الذين يشترون هذه الصحف والمجلات ويقراونها .. اننا نريد أن يتعرف الشعب اليونانى على الدول العربية .. اننى اقترح اصدار كتيبات دورية باللغة الانجليزية تتحدث بالصورة والكلمة عن التقدم الذى حققه العرب فى شتى مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية والادبية .. ولا يكفى أن يرى اليونانيون هذا التقدم فى الصور .. يجب ان ننقله اليهم .. يجب ان نقيم المعارض العربية فى اليونان ، وان ندعو اليونان الى اقامة معارضها فى الكويت وفى بقية الدول العربية .

« ثم اننى ادعو بعض هذه الدول العربية القادرة على تقديم اكبر عدد من المنح الدراسية للطلبة اليونانيين فى الكليات العلمية وكلهم يجيدون الانجليزية ، فهؤلاء هم خير من يستطيع ان يعود بصورة واضحة للحياة فى بلادنا .. والعكس صحيح ، فهم ايضا خير من ينقل صورا



الدكتورة فاتن عبد البارى فى مكتبة جامعة ارسطو مع اثنين من الخريجين الذين يقومون بدراسات عليا فى الفلسفة والتاريخ اليونانى احدهما أردنى والثانى مصرى .

بعد سنوات طويلة ، وقامت المدرسة أو المعهد الجديد لتدريس اللغة العربية.. اصولها وآدابها وتاريخها لكل الشباب الطموح .. وتدريس اللغة اليونانية فى الوقت نفسه لكل من يريد ان يتعلمها من الشباب العربى .. ان اليونانيين يتبعون الكنيسة الارثوذكسية الشرقية .. ولكن الاسلام لم يعرف يوما التعصب واهل اليونان لا يتعصبون لدينهم ولكنهم لا يحبون الاتراك.. لا لانهم مسلمون ولكن لانهم اتراك وقد ارتبط « التركى » دائما فى اذهانهم بالاستعمار العثمانى !

المدرسة العربية الليبية

وفى اثينا أيضا قامت المدرسة العربية الليبية فى أحد الاحياء القريبة وهو حى ارجيروبوليس ومعناها « المدينة الفضية » وتبعد حوالى تسعة كيلومترات عن قلب العاصمة . ذهبنا لزيارتها والتقينا بهيئة التدريس .. انها تضم مدرسين ومدرسات من مصر والعراق والاردن وليبيا وسوريا .. بدات الدراسة فيها عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ وهى تضم اليوم ستين تلميذا وتلميذة فى المرحلة الابتدائية والاعدادية من ابناء العرب العاملين

الدكتور يورغاكيس سفير اليونان المتجول .. « الاهتمام بالعرب ليس جديدا » .. ان العلاقات بيننا وبينكم ، قديمة ، قدم التاريخ .





استاذ اللغة العربية بجامعة اثينا السيد انطوان اسو (من اصل سورى) وطالبة يونانية تكتب بالعربية على السبورة فى معهد « دراسة اللغة العربية» فى اثينا .

فى المدرسة الليبية العربية يتلقى ابناء العرب المقيمين فى اثينا علومهم طبقا لبرامج الدراسة فى بلادهم .. أحد الانجازات التى تحققت خلال السنوات الاخيرة بعد حرب اكتوبر .





الاكروبول ٠٠ لم تعد أعمدته القديمة قادرة على الصمود لقد أرهقته الشيخوخة ٠ وأسرع أبناء اليونان يضمدون له جروح السنين ٠

للحياة الثقافية والاجتماعية والحضارية فى بلادهم الى اخوانهم العرب الذين سيتلقون العلم معهم فى جامعاتهم ٠

فى جامعة ارسطو

ومن خلال نافذة صغيرة فى مكتبة جامعة ارسطو بمدينة سالونيك كان لنا لقاء بوجهين ، ساهما بجهد كبير فى تذكير طلاب العلم بما كانت عليه العلاقات بين العرب واليونانيين ، منذ مئات السنين وفى كليات هذه الجامعة يدرس الان اكثر من الف طالب عربى من شتى الاقطار العربية والافريقية والاسيوية ففى هذه الجامعة اكبر تجمع للطلبة العرب فى اليونان ٠٠

ونعود الى صاحبتى الوجهين ٠٠-الاولى يونانية هى الدكتورة تيرانيرا فالالاس استاذة الفلسفة والادب العربى بالجامعة والثانية مصرية وهى الدكتورة فاتن عبدالبارى التى جاءت من مصر بعد حصولها على الماجستير لتنبش فى كتب التاريخ وتثبت فى رسالتها التى قدمتها لنيل الدكتوراه ان الكندى اول فلاسفة العرب اثر فى الفلسفة اليونانية كما تاثر بها ، اما الدكتورة فالالاس فقد كانت استاذتها فى الجامعة ، وكانت أول من صفق لفاتن اثناء مناقشة الرسالة ، واعلنت أنها تستحق درجة الدكتوراه بامتياز ٠٠ وقد كان ٠

● اليونان والعرب ٠٠

وتسال الاستاذة اليونانية عن تلميذتها فتقول : « لقد تفوقت علينا واتت بما لم تات به الكتب اننى أتمنى أن ازور الجامعات العربية لاتعرف عن كثب على فكر وحضارة بلادكم » ٠

لماذا هذه الرسالة

واما الدكتورة فاتن فتقول عن السبب الذى دفعها الى اختيار هذا الموضوع بالذات لرسالتها لعل السبب الاساسى الذى اثار الرغبة فى نفسى لبحث هذا الموضوع هو الفكرة الخاطئة السائدة عن فلسفتنا الاسلامية عند بعض الباحثين الغربيين فى تاريخ الفلسفة ، وجانب من الباحثين الشرقيين ايضا ، فهم يرون ان الفلسفة الاسلامية ماهى الا صورة من الفكر اليونانى وان فلاسفة الاسلام امثال الكندى،والفارابى وابن سينا وابن رشد،ماهى الا مراكز يونانية فى العالم الاسلامى، وان فلسفتهم خلت من الجدة والاصالة ٠

وقد حاولت من خلال دراسة وتحليل نصوص الكندى باعتباره اول فلاسفة الاسلام ، ان اضع اجابة صحيحة عن هذا التساؤل الخاص بفكرة اصالة الفلسفة الاسلامية او تبعيتها للفلسفة اليونانية وانتهيت من بحثى بالنتيجة التالية ، وهى ان فلسفة الكندى ، هى فلسفة اختيارية ، وان فيلسوف المسلمين العرب قد استفاد فى فلسفته من جميع التيارات الفكرية التى كانت سائدة فى عصره، الاسلامية منها وغير الاسلامية، وان فلسفته فى جوهرها تعبر بصدق عن مبادىء وروح الاسلام ، رغم ما نلمحه فيها من عنصر يونانى٠وهذا لا يضير فيلسوف المسلمين فاللاحق يتاثر بالسابق ، وهو شى طبيعى ، ولكن الخطا كل الخطا ان نعتبر هذا نوعا من النقل او الترجمة كما كان سائدا عند البعض ٠

ونصل الى نهاية جولتنا السريعة مع اليونان والتاريخ القريب ٠٠ ونترك سالونيك عائدين الى اثينا ، ونقف امام اعمدة « الاكروبول » او المدينة العالية ، ونسمع صوتا يحذرنا من الاقتراب منها ، ماذا حدث ؟ انها لم تعد قادرة على الصمود ٠٠ بدات الشيخوخة تهدها ٠٠ وهى فى حاجة الى علاج سريع لتصمد وتمضى فى رؤيتها للاجيال القادمة صفحات من تاريخ اليونان القديم ٠٠ وتشهد معها انجازات على الطريق الى المستقبل ٠ ■■

منير نصيف

الجفاف

قصة بقلم : يوسف القعيد

■ في الصباح ، صحا من نومه ، فتح عينيه ، بدأ اليوم بذلك الاحساس باماكن الألم في الجسم ، طالعه سقف الحجرة ، جلس ، حاول الوقوف ، احس بدوار ، خيل اليه ان الارض تدور ، والجدران تلف ، فادرك ان هيكله مريض خلع جلبابه الوحيد الذى كان ينام به على اللحم ، مر بيديه على جسمه ، توقفت اصابع يديه بين ثنيات اللحم ، هالته البرودة الثلجية المنبعثة من جلده . فهمس لنفسه « ياالله حسن الختام » ارتدى ملابس الخروج ركب مداسه (حذاءه) في طريق خروجه ، مر على الحظيره ، كانت تطل من داخلها العتمه ، وكانت زوجته تجلس تحت الجاموسه ، تمسك الضرع الممتلىء بين يديها وتضع بين فخذيها شاليه الحليب . انه يسمع صوت اصطدام قطرات اللبن الدافئة بقاع الشاليه . وبخار اللبن الدافىء ، يستريح على وجه زوجته فيزيده احمرارا ودار بين المواشي ، نظر في المزاود امامها فوجدها خاليه ، فاستشعر في نفسه معنى القحط والجفاف والايام العجاف .. استدار ، وكان جو الحظيرة يعبق برائحة اختمار الأرض ببول وروث البهائم طول الليل .

خرج . في المسجد توضأ وصلى ، ان بخار الصبح يخرج من افواه الرجال مع تمتمات الصلاة .

ـ التحيات لله ، الطيبات المباركات . .

ختم صلاته رفع يديه نحو سقف الجامع ، دارت عيناه المشربتين بالرجاء على حيطان الجامع الاربعة .

اطبق بكفيه على ملامح وجهه المجهده . قبل يديه ، وكان بين شفتيه الجافتين .. وجلد يده الخشن المشقق دفء غريب .

ـ انا نفسي في الملوحه ياسي ورداني .

في لحظة دخوله منزله ، كانت زوجته تقف وسط الدار ، بدت له داره واسعة عليهما بمفردهما أن زوجته تتحسس بطنها ابتسم لنفسه قال لها : انه سيحضر لها الملوحه من السوق القادم . تناول طعام افطاره ، لقيمات مكسورة مغموسه بجفاف الايام ، شرب الشاى . سأل زوجته ان كانت تطلب اى شيء ، قال لها انه سيحضر وقت القياله للغداء معها ، وسيترك الحقل والمواشيء في رعاية جاره ، في الحظيرة ، فك رباط الجاموسه ، والحمار ، والماعز الصغيرة وضع على الحمار بردعته ، أمسك بمقود الجاموسة في يده ، خلال حوارى البلد تجنب برك المياه في الحوارى الضيقة ، تناهى الى سمعه صوت الراديو . أنها نشرة الاخبار تأتى من راديو في دكان بقال صغير وكان الاطفال الصغار في الطريق الى مدارسهم ، ان ورداني ينظر ناحية الاطفال بأسى ويقرر لنفسه ، ان هذه



الكائنات الرائعة ، ستظل حلما غريبا بالنسبة له ابد العمر يتخيل ابنه ، ذلك الشيء الرائع المجهول وهو في الطريق الى مدرسته ، حاملا كتبه بين يديه ، سائرا مع زملائه .

في الطريق الى الحقل ، وتراب الارض مبلل بقطرات الندى ، والشمس تخرج على البعد ، من الافق الشرقي ، صافحت عيناه خضرة النباتات بدت له الحقول كراحة يد مستوية ، غير انها راحة يد رصاصية اللون ، انها اول ايام الربيع ، وكل شيء حوله يؤكد معاني الخصب ، كانت الارض غامقة السواد ، مبلولة بالندى وكانت المزروعات الخضراء ، تبدو وسط سواد الارض كأمنية حلوة المذاق

ان نداءات الحيوانات والطيور ، تعلو وتتحاوب في فضاء الحقول الواسع فتتحول الى نغمة اشتياق وسط الحقول ، فكر ورداني انه بعد يوم ، عدة ايام ، اسبوع ، شهر ، عدة اشهر ، قد تلد زوجته طفلا صغيرا يحمل اسمه ، وعندما يعود الى البيت في آخر النهار ، وعلى باب البيت ونسمات الماء الطرية تكنس الحواري من حرارة اليوم ، يقف الطفل الصغير قطعة من اللحم الاحمر ، تقف بين قدميه ، يقول ويداه الصغيرتان تلوحان ابويا جه ، ابويا جه ، ويرفعه بين يديه ، يقبله ، يدخل به المنزل .

ان ورداني يمر الان بحواري البلد شارعها الرئيسي ، إنه يتبادل تحية الصباح مع الرجال الاخرين ، يخرج من البلد ، يترك البيوت الواطئة خلف ظهره ، وعلى مدى البصر ، كانت الحقول تمتد امامه الى مالا نهاية

على رأس الحقل ، بالتحديد ، عند مدار الساقيه ، تحت شجرة الصفصاف ربط المواشي ، خلع جلبابه ، والطاقية ، والصديري تأكد من وجود المحفظة الجلدية فيه .

فتحها ، اغلقها . لم يكن فيها ، سوى نقود قليلة ، قروش متآكلة الاطراف . في المحفظة أيضا ، خطابات قديمة ، ايصال من الجمعية التعاونية اعلان من محكمة ، امساكية شهر رمضان الماضي ، ايصال بمبلغ سيقترضه من بنك التسليف ، الاسبوع القادم .

وفوق كل هذا ، يوجد في المحفظة ، ختم اصفر ومطواة حادة ، لف ملابسه ، نفض مداسه من التراب العالق به ، وصنع هذه الاشياء على فرع شجرة الجازورين ، نزل حقل البرسيم ، هبت عليه نسمة هواء اكدت في انفه رائحة الخضرة والخصب ، أحضر البرسيم ، وضعه امام الماشية ، وكانت اعواده تلمع تحت ضوء الشمس الصفراء جلس فوق مدار الساقية ، استراحت عيناه على زرقة السماء الصافية ، ارتفعت الشمس ، نام على ظهره ، تحسس بباطن يده حبات الطين على المدار ، امسك بقطع الطوب ، رماها في مياه القناة الصغيرة ، تكسرت امواج المياه الهادئة ادار عينيه في الارض والافق البعيد بدت حواف الحقل مالحة ، تطفح ملحا ابيض وفكر في يوم ما قد تخصب الارض ، تكسوها خضرة رائعة تخصبها

ـ ارم بياضك

كانت مساحة الرمل الصغيرة ، تبدو في غموض الاماء القادمة ، وكانت اصابع الغجرية المعرقه تعبث بالرمل مد ورداني يده في جيبه ، اخرجت اصابعه قطعة فضية كانت تعرف مكانها من قبل ، رماها على الرمال

وشوش الدكر

ذكر اسم امه ، واسم ابيه

نظر الى الخطوط الطولية والعرضية امامه

ـ أمامك سكة سفر ، سافرت ام لا ؟

ـ على باب الكريم

قالت الغجرية كل شيء طلبت ان يكفيه الله عين الحسود ، وذكرته بنذور نذرها ونساها في زحمة الحياة ، اكدت لكل الجالسين ، انه لا يخرب البيوت سوى عين الحسود ، او نذر منسي وضربت لهم الامثلة ، وران على جمع الرجال صمت مشوب ـ وقام ورداني غير انه لم يقل ما كان يود قوله . لقد جلس ، تكلم ، استمع ، غير ان ما بنفسه ظل سره الخاص وتقدم اليها رجل آخر غيره . ان الغجرية ما زالت تتكلم ، والجميع ينصت اليها . سالت من عيون الرجال احلام لن تتحقق ابدا ، وعود قديمة منسية . ومن الاشداق نزلت احرف من كلمات مدفونة في

حبات القلوب وسأل وردانى نفسه ، وثمة كلمات ، متى يأتى زمن تتحقق فيه الاحلام

حدث هذا بالامس ، وبعد ان ترك الفجرية ، ذهب الى الجامع . وبعد الصلاة . جلس في صحن الجامع ، وكان الظلام قد حل ، كان هناك الشيخ محمود ، عرض عليه حاله ، سأله المشورة ، قال آيات من القران الكريم وروى احاديث نبوية شريفة .

حكى حكايات كثيرة ، لف ودار في تذاكارته القديمة وبعد حكايته كان موعد صلاة العشاء قد حل ، قام يستعد للصلاة مع الاخرين ام الشيخ محمود المصلين

ان وردانى يرفع يديه .

ـ نويت اصلى صلاة العشاء حاضر جماعة

ـ الله اكبر

ـ « وكل نفس ذائقة الموت »

الوجوه مستطيلة مصوصة ، باهتة المقل ، الصمت يتخلل بين الكلمات عظم الله أجرك

ـ شكر الله سعيك

آيات القرآن يقرأها مقرىء كفيف البصر مات والدى ، وقبل ان ينجبنى ، ذهب الى شيخ بعيد ذات صباح ، ارتدى جلباب الصوف الغامق وركب حمارته وهناك ، فتح له الشيخ الكتاب وكواه بالنار على ظهره ، وفي وسط رأسه ووضع له فوق الكى ورقة عنب خضراء وطلب منه ان يغيرها كلما يبست . وبعد وفاة والدى بأيام ، حضر اناس غرباء بالليل ، ونقلوا حدود حقلى ، اخذوا منه مساحة كبيرة ، ضموها لحقول الجيران ، وفي صباح اليوم التالي اشارت عليه امه ، ان يقدم شكواه ، في المركز قضى يوما وليلة ، اخذوا اقواله ، سألوه عمن يتهمهم

واطلعوا على حيازة الارض ، وبالليل ، خلف مبنى الحجز ، اعتدى عليه رجال مجهولون ، ضربوه ، حتى بصق دما واجبره احدهم ان يسمى نفسه باسم امرأة وفعل ما طلب منه . وفي الصباح ، عاد الى البيت واصبحت مساحة الارض التى اخذت منه ، جرحا في حبة القلب .

كانت الايام اياما عصيبه

في اخر الليل ، تتسع الحجرة عليهما ، تبدو زوجته ربابة العود ، الشعر مفكوك تنز منه قطرات المياه التى لها رائحة النفوس الشرية انها ترتدى جلبابا واسعا على اللحم ، تجلس بجواره خجلى ، يقترب منها ، وبداخله شيء ما يرتجف من الخوف ، يتحسس باصابع يده الخشنة ملمس جلدها الناعم وكان يخيل له ان الرجال المجهولين خلف باب الحجرة فيغمض عينيه

يعزع من سؤالها ، يجمع في يده غدائر الشعر الليلية ، تزداد العيون اتساعا وفي الصباح يقف فوق كرسى من الخشب في الطست ، حلت الفرن يدلق المياه الباردة فوق حسمه من كوز صغير يرنو الى زوجته بقلق يحاول ان يتساءل ثم يجيب على التساؤل ويخرج

مدار الساقية مرة احرى

قام وردانى من نومه ، لم يكن هناك ما يمكن القيام به سوى الانتظار فكر وردانى انه لا يوجد في البلد ما يمكن عمله

فأدرك ان يومه طويل الى ابعد الحدود ، بحث بعينيه عن رجل يتسلى باللعب معه ، وعلى البعد لمح رجلا يجلس على مدار الساقية ، رفع صوته ، نادى عليه . وعندما حضر اليه راح يتحدث معه . انهما يتكلمان معا عن دور المياه ، والارض والزراعة وعندما لم تبق اية كلمات تقال . راح الرجل يجمع قطع الطوب الاخضر والاحمر ، ويكوم التراب فوق مدار الساقية راح الرجل في صمت وبسطه ، يحول اكوام التراب الى عيون صغيرة متجاوره . ثم نفض يديه من التراب ونفخهما .

ـ هيا نلعب دور سيجا .

ـ كلابك السمرة .

مد وردانى يده ، امسك بالكلاب ، راح يستعد للعب . وكانت تهب عليهما نسمات هواء ربيعية مشبعه برائحة الصباح الطرية . ■■

يوسف القعيد





مذكرات كلوت بك

وقصة أول مدرسة عربية للطب الحديث

بقلم: الدكتور سلمان قطاية

أستاذ في كلية الطب بجامعة حلب - سوريا

كان محمد علي حاكم مصر كبيرا ولاشك ، اذ استطاع أن يبدأ النهضة الحديثة في مصر وبشكل جيد ، فقوى الجيش ،ونشر العلم ، وأكثر من البعثات ، ونشط الاقتصاد •

ومن الاعمال الرائعة التي تحققت في زمانه ، انشاء أول مدرسة طبية في البلاد العربية حسب المفهوم الحديث •

فعندما قوى الجيش وزوده بالاسلحة الحديثة . كان ولا بد أن يهتم بصحة الجنود وأن يؤسس أيضا فرعا صحيا جيدا • وشاءت الظروف أن يستعين بطبيب فرنسي هو انطوان كلوت (١٧٩٣ ـ ١٨٦٨) الذي نال لقب بك واشتهر باسم كلوت بك •

وعندما تقاعد وانسحب من الحياة العامة عكف كلوت بك على كتابة مذكراته أو املائها . في بلده مرسيليا •

وظلت نسخة من مذكراته في المكتبة الخاصة لملك مصر فاروق الاول الذي ورثها عن اجداده • وكان بعض المؤرخين يعودون اليها للدراسة والتمحيص •

حتى عام ١٩٤٩ عندما طبع الكتاب وظهر في كتاب من القطع الكبير يقع في حوالي ٤٥٠ صفحة تحتوي على صور ورسوم عديدة • وقد أشرف على اخراجه وتصحيحه جاك تاجر أمين المكتبة الخاصة للملك • وطبعها المعهد الفرنسي للآثار الشرقية •

■ والكتاب هام من عدة وجهات نظر : فهو يلقي الضوء على عدة حوادث هامة حدثت أيام محمد علي الكبير . اذ يذكرها بدقة وملاحظة ، ولكنه بشكل لا يتحدث الا عما يجري حوله فقط ضمن دائرة صغيرة وأحيانا صغيرة جدا • مركزا الحديث بحيث يدور حول شخصه هو فقط •

الا ان اعظم ما قام به كلوت بك هو تاسيس مدرسة ابي زعبل الطبية والمشافي الملحقة بها •

بدأ حياته كحلاق جراح Barrier Chirurgieh في عائلة فقيرة من عرنوبل ولكنه ظل يكدح ويعمل حتى استطاع ان يصبح طبيبا جراحا معترفا به من جامعة مرسيليا •

ولكنه كان شديد الطموح ، عصبيا ، قليل الصبر، نزقا ، متهورا • وهكذا فلم يتورع من الدفاع امام اساتذته عن نظرية قديمة غير معترف بها في فن المعالجة غير عابيء بغضب الاساتذة •

وادخل علاجا جديدا ، وراح يلقي الدروس على زملائه في المدينة ••• كل هذا وغيره اضطر مجلس الكلية الى طرده منها •

وعندما علم برغبة محمد علي باشا بتوظيف بعض الاطباء الفرنسيين الشباب في الجيش • ترك كل مشاريعه في بلده بما في ذلك مشروع زواج وانطلق الى مصر ••• نحو المغامرة ، والعمل على تحقيق طموح لا يتناهى •

وسرعان ما نجح في مصر في كسب ثقة الحاكم والامراء بفضل شجاعته ، وشرفه ، ونشاطه الذي لا يعرف الكلل ، ومعلوماته الطبية الجيدة •

واستغل ثقة محمد علي لكي يحقق مشاريعه وطموحه ، وليس ليبتز المال • ثم اصبح طبيب وجراح الجيش المصري ، فطالب بانشاء مشفى جديد . وتاسيس قانون طبي حديث ••• ثم تاسيس مدرسة طبية للشبان المصريين •

واستطاع أن يتحدى بجراءة متناهية كل من عارض فكرته هذه ، واجتاز كل العقبات • ولكي يبرهن على نجاح عمله اخذ طلاب الدفعة الاولى من المدرسة وذهب بهم الى باريس حيث قدموا امتحان التخرج النهائي امام هيئة فاحصة مؤلفة من أشهر أساتذة العاصمة الفرنسية •••ونجحوا في الامتحان•

الا ان تهوره ، وسرعة نجاحه ، دفعاه الى مواقف غير مستحبة • فقد راح يطلق الاحكام في كل مادة

وكل أمر ، ويتداخل في الامور السياسية والاقتصادية والفنية •

وحتى في الطب كانت له مواقف شاذة ، اذ راح مثلا يدافع ، بعد دراسة سطحية جدا ، عن النظرية القائلة بان الطاعون داء غير سار •

كذلك كان يقول بان التدريس النظرى للتوليد ولامراض العيون ، وطب الاسنان ، غير ضرورى• يكفي أن يحصل الطالب على بعض المعلومات العملية • • ؟ •

وكان ، بسبب طموحه واعجابه بنفسه يعشق الحصول على الميداليات والاوسمة • واستطاع ان يجمع منها مجموعة كبيرة •

وبعد أن أسس بنجاح مدرسة ابي زعبل الطبية أسس مستشفى مدنيا في القاهرة ، وجده البيمارستان وجهز دار توليد وعلم النساء فن التوليد •

وحاول حين دخل ابراهيم باشا سورية أن يفعل في دمشق ما فعله في القاهرة ورغم كل ذلك ، وربما كان بسبب صراحته الشديدة ، وبعد وفاة محمد علي أوعز اليه عباس باشا بترك مصر التي احبها كثيرا •

عندئذ ترك القاهرة بحزن شديد ، واستقر في مرسيليا ، ولكنه لم يلبث أن أصيب بتلين في الدماغ شل حركته وفكره • وقبل وفاته اهدى مجموعة الاثرية الثمينة الى متحف بارك بولي •
ولقد أطلقت مدينة غرنوبل حيث ولد ، ومدينة القاهرة ، اسمه على شارع فيهما •

رسالة الى محمد علي

والكتاب مؤلف من ثمانية اجزاء ، كرس كلوت بك الجزء الثالث لتاريخ تاسيس مدرسة ابي زعبل الطبية عام ١٨٢٧ ، وذلك في الصفحة ٦٣ •

ويقول في بداية الفصل انه شعر بالحاجة الى عدد أكبر من الاطباء ، اذ كان عدد افراد الجيش المصرى ١٥٠ الفا وعدد الاطباء لا يجاوز الخمسين• وكان من المستحيل الحصول على العدد اللازم من اوروبا •

وبعد هذه المقدمة تبدأ فقرة هي اجمل ما في الكتاب ،وأروع درس يعطي لكل البلاد المتخلفة وكثير من البلاد العربية •

يقول كلوت بك : « كان الطب والجراحة يدرسان بشكل ممتاز تحت حكم الخلفاء العرب • ولكنهما فقدا عظمتهما • فالثورات المختلفة التي كان وطن الفراعنة مسرحا لها • ومر تعاقب الفاتحين عليها، وهجوم وتاسيس الامبراطورية التركية أعدمت القومية المصرية • وعلى اعتبار ان العلوم والفنون تهرب من « البرابرة » ، فقد تركت بلادها ، وذهبت لتحتمي في بلاد أخرى ، وتشهر شعوبا جديدة ، وكان خروجها من مصر يعلن بداية مملكة الجهل • كان أجداد المصريين يعلمون الشعوب ، وكان الغرباء يسالونهم النصيحة ، كما يفعل الترقيون اليوم بالنسبة لاوروبا • هؤلاء المصريون انفسهم كانوا محاطين باحكام مسبقة عندما وصلت الى البلاد ، ولقد كنت شاهدا على الآلام الرهيبة التي كانوا يحاطون بها •

وبعد ان تفحصت مقدار ما يمكن للطب أن يقدم من خدمات ليس للجيش فقط وانما للشعب جميعا، فكرت في تاسيس مدرسة طبية محلية لتؤمن بعدئذ حاجة مصر من الاطباء » •••• وها هي الرسالة التي كتبتها لسموه (اى سمو محمد علي باشا) والتي كانت تحتوى على البرنامج كله :

«رسالة الى صاحب السمو محمد علي بخصوص انشاء مدسة طبية :

يا صاحب السمو ،

لقد برهنت التجربة أن الامراض تكتسح البلاد باضرارها باكثر مما تفعله نيران العدو • فلقد استدعيتم من أوروبا ، عددا كبيرا من أطباء الجيش ، وانشاتم مشافي طبية عديدة ، ولقد بدات تظهر هذه الحضارة الناشئة على سكان هذه البلاد الجميلة • الا أن هذا النظام الجديد للاشياء ، اذا كان يؤمن حجة مصر العالية ، لكنه لا يؤمن مستقبل التقدم ، بل اقول استمرار مثل هذا العمل •

ان المؤسسات المفيدة لكي تكون دائمة يجب أن تكون وطنية ومستقلة عن مساعدة الاجانب الذين قد يضطرون للعودة الى بلادهم بسبب مصالحهم او غاياتهم أو الف ظرف مختلف • لذا كان من الواجب ايجاد أطباء من بين العناصر الوطنية ، وعلى كل حال فان هذا هو الوسيلة الوحيدة للوصول الى هدف التمدن وللحصول على رجال مخلصين لمصالح الوطن •

ولتحقيق هذا المشروع اقترح :

١ ـ ان يجمع في المستشفى المركزى مئة وخمسين شابا عربيا درسوا اللغة العربية والحساب ، على ان يكونوا تحت تصرف الاساتذة وتحت ادارتي •

٢ ـ ان يتماشى التعليم مع دراسة اللغة الفرنسية •

٣ ـ ان توزع دروس التعليم بالشكل التالى : فيزياء ، كيمياء ،علم نبات ، تشريح ،فيزيولوجيا، صحة ، اقراباذين ، علم سموم ، امراض داخلية وخارجية ، صيدلة • ويترجم التعليم الى لغة الطلاب بواسطة مترجمين متعلمين •• وبعد خمسة سنين من الدراسة يصبح الطلاب برتبة مساعد ••

وعلى هذا الاقتراح وافق صاحب السمو محمد على على الموضوع بمجمله واستلمت امر تعييني مديرا للمدرسة •

وبعد ان يشرح ويسرد اسماء الاساتذة الذين استدعاهم وانتقاهم ، ينتقل فيصف الطلاب فيقول:

« أخذنا مئة وخمسين طالبا من الجوامع ، من بين طلاب الفقه • وبداوا بالدراسة على نفقة الحكومة • وطبقنا النظام الداخلى وخضع الطلاب للانضباط العسكرى » •

ولم يكن لهؤلاء الشباب الامعلومات ناقصة جدا عن العلوم الاخرى • فكانت الظواهر الطبيعة مشروحة لهم بواسطة قصص سخيفة • ولم يكونوا يعرفون من الفلسفات الا فلسفة اريسطو التى تدرس في جامع الازهر المشهور • فوجدت من الضرورى ان يتلقوا معلومات عامة عن الفلك والفيزياء الخ ••• وان يتعلموا الهندسة التى كانوا يجهلونها تماما •• وهكذا وبعد شهرين استطعنا ان نلمس ان الافكار القديمة قد امحت من افكارهم • وهكذا فلم يعد خسوف الشمس حادثة غريبة وضارة ، ولم يعد يفسر الزلزال على انه بسبب نقل الارض من قرن الى قرن ثور يحملها على قرنيه ، وينقلها عندما يتعب • وبداوا يرون المضحك في هذه المعتقدات ، وغيرها كثير مما كان يرى ليس فقط عند افراد الشعب بل عند الرجال الذين يقومون باكبر الوظائف • ولقد عرفت اميرا من عائلة محمد على كان يؤكد ويؤمن بان الرعد ناجم عن فرقعة السوط الذى تضرب به الملائكة ••وكنا نجرى التجارب الفيزيائية امام الطلاب • وهكذا وذات يوم اطلقت بالونا في الهواء ، فجاء موظفو المدرسة وهم يصرخون بان هذا البالون الذى كان يرتفع في الجو سوف يولد الطاعون ••

مترجمون للطلاب

ورغم كل هذا فقد بدت عقبات صعبة التجاوز خلال عملى • اولها واكثرها جدية كانت مواجهة طلاب لايعرفون سوى العربية مع اساتذة يجهلونها• ومحاولة اجبار الطلاب على تعلم الفرنسية او اجبار الاساتذة على العربية مضيعة كبرى للوقت• وجاءتنا الفكرة البسيطة بالاستعانة بمترجمين ، ولكن كيف العمل لايجاد مترجمين باستطاعتهم ترجمة المصطلحات العلمية بالدقة الضرورية ؟ ولم استطع حل هذه المشكلة لذا تجاوزتها •

كان في البلاد عدة شبان مسيحيين يجيدون الفرنسية والعربية • واستطعت جمع ثمانية منهم الحقتهم بالمدرسة بصفتهم مترجمين على ان يعدوا بدراسة الطب بشكل نظامى •

وبدأ كل مترجم بدراسة مادة ما من العلوم وترجمة درس كل استاذ بعد ان يكون قد تفهمه جيدا بالفرنسية •

وللحصول على نسخة أكمل ما يمكن ، كنا نعطى الدروس مطبوعة او مكتوبة باليد ليدرسوها ويترجموها • وكان الاساتذة بعدئذ يشرحون النص ويقدمون التفسير الضرورى • وبعد ذلك ، وللتاكد من مدى الامانة فيها • كان على المترجم ان يعيد الدرس أمام الاستاذ •

وهكذا تترجم المحاضرة وتراقب وترسل الى أحد العلماء (الفقهاء) لمراجعتها من حيث الاملاء وصفاء اللغة ، ثم تملى عندئذ على الطلاب •

ولقد واجهنا صعوبة اخرى : اللغة التقنية • وذلك بسبب التقدم الهائل الذى حصل في الفترة التى مرت بين اختفاء المدارس الطبية في الشرق وتشكيل المدرسة هذه التى اقوم عليها ، اذ نتج عنه فراغ كبير من ناحية اللغة التقنية ، كان من الصعب املاؤه •• عندئذ جمعت مجلسا مؤلفا من الاساتذة والمترجمين والعلماء ، وقررنا ان تكون الاصطلاحات اليونانية واللاتينية هي الاساس على

أن تطبق على الكلمات الشيء الضروري لتعريبها كما فعلت شعوب الغرب جميعا • وقررنا ايضا أن نضع الكلمات الحديثة لكي يكون المعنى مفهوما اكثر ••• » •

وهنا ينتقل الى مقطع لعله أجمل ما في هذا الفصل اذ يقول :

« كان من السخف ، حتما ، أن نعلم الطب بلغة أوروبية • ان ادخال التعليم العلمي عن طريق لغة البلاد هو الطريقة التي تفرضها التجربة والعقل• وهذا هو الطريق الذي اتبعته كل الامم التي دخلت الحضارة تدريجيا •

ان التعليم بلغة أجنبية يقلل من نجاحه ، ولا يمكن تدجين العلوم ونشر فوائدها • ولكن كان من الضروري تعليم احدى هذه اللغات للطلاب ، لانه وبالنسبة لهم ، الوسيلة الوحيدة للبقاء على اتصال بالمعلومات الحديثة • ولقد عنيت بالحاق مدرسة تحضيرية بالمدرسة الطبية ، وكان برنامجها تدريس اللغة الفرنسية ، وفيما بعد وبعد تنظيم التعليم الطبي في مصر ، اسست تدريسا للغة الفرنسية •

وهكذا ، وبعد أن ينهي الطلاب دراستهم ، يستطيعون متابعة التقدم الذي لا يتوقف • وأن يتفهموا الاكتشافات التي تلقي ضوءا جديدا على مشكلات لا تزال غامضة بحيث انها تخدمهم في معالجة مواطنيهم ولمصلحة الحضارة » •

ويتحدث كلوت بك بعد ذلك عن مشكلة خاصة وهامة ألا وهي تدريس التشريح وتشريح الجثث • لانها كانت تلقى معارضة دينية كبيرة فيقول :

دراسة التشريح

« استقدمت من فرنسا هيكلا عظميا جيدا وتاما، كنت قد اشتريته في مدينة تولون ، من السجن • وكان ذلك اول قطعة تشريحية اقدمها للطلاب ، ولكنني افهمتهم سلفا أن هذه عبارة عن عظام « مسيحي كلب » وليس عليهم من حرج في استعمالها • فتقبلوا هذه الحجة واخذوا بعض الدروس مع شرح للهيكل •

رغم ذلك، وبعد دراسة الهيكل الانساني بمجمله، كان يجب أن نبدأ بدراسة كل عظم على حدة • وعندما فككنا الهيكل لم يعد هذا كافيا لمئة وخمسين طالبا • عندئذ طلبت منهم فيما اذا كان استعمال بعض العظام الانسانية المتبقية من الجثث التي نهشتها الضباع وابن اوى ، للتدريس يعد جريمة• وكانت تلك الجثث في مقبرة مجاورة متروكة للحيوانات والزمن • فاجاب أكثرهم تعقلا واقلهم تعصبا بان ذلك لا يعد كفرا • فدعوتهم لاحضار هذه العظام • فاحضروها بهمة أكثر مما توقعت واستطعنا هكذا أن نتمم دروس علم العظام •

وكنت قد حصلت بذلك على أقصى ما يمكن من الطلاب ، ولكنني كنت بعيدا عن تشريح الجثث • وكان لزاما علينا رغم كل شيء أن نصل الى ذلك• فتكلمت عن أهمية هذه الدراسة • وصرحت في الوقت نفسه ، أن رغبتي لم تكن في تشريح جثث المسلمين ، ولكنني ما كنت أرى السبب في عدم تشريح الجنود السود الذين من الواجب اعتبارهم وثنيين لانهم لم يكونوا مسلمين أو مسيحيين • وصفة الوثنيين هذه كانت تضع السود في مكانة أحط حتى من مكانة اليهود ، ولم يذهب كلامي سدى ، فلقد وافق الطلاب جميعا ، وبدأنا بدراسة القسم الرخو من الجسم • وللتغلب على التقزز ، بدأنا ببعض الدروس على الاعضاء والنسج ، كذلك على دراسة عامة للتشريح • واستطعنا أن نبدأ بشكل جدي وانتظامي دراسة التشريح الوصفي • حصلت اذن على موافقة الفقهاء ، وتغلبت على عواطف الطلاب •ولكننا كنا مجبرين على الاحتفاظ بالسر بشكل قاطع • لانه اذا عرف الناس خارج المدرسة ما نفعل لتعرضت حياتنا وحياتي بشكل خاص للخطر • لان الشعب سيغضب اذا ما عرف ، ولسوف تضطر السلطات لمنعنا من التشريح• وكان من السهل علينا الحصول على الجثث بدون الاستعانة بالغرباء • لان مدرج التشريح كان متصلا بالصالة التي كانت تغسل فيها الجثث حسب التقاليد الاسلامية ، وكنا هكذا نسرقها (بشكل ما) دون أن يشعر أحد •

ولقد فهم الطلاب أنفسهم انه كان من مصلحتهم عدم كشف نوعية اعمالنا • ما عدا واحدا فقط ، مدفوعا بالتعصب ، فكر ذات يوم باغتيالي •

محاولة للاغتيال

وفي الواقع ، وفي العشرين من حزيران عام

١٨٢٩ ، وبينما كنت أحضر درس الفيزيولوجيا الذى كان يلقيه أحد الاساتذة . وهو الدكتور ستروبينى، وفى نهاية الدرس، تقدم نحوى الطالب أشمونى وقدم لى رسالة مكتوبة باللغة العربية • وما أن استلمتها ، حتى استل خنجرا مخفيا تحت ثيابه ، وضربنى به على الرأس . ولكن الخنجر بزحلق ، فضربنى مرة أخرى فى الساعد الايمن • لانى بحركة عفوية ولحماية نفسى قدمت ذراعى أمام صدرى • فانطلقت صرخة كبيرة من الطلاب • وانتشر الدعر بين الاستاذ والمترجم . اللذين ظنا ان ثورة عامه قد انطلقت . فهربا وتركانى وحيدا جريحا • ولكن الطلاب القوا بانفسهم على اشمونى، وأخذوا منه سلاحه ، وكادوا يقتلونه لولا أن تدخلت • واستطعت الحفاظ على برودة أعصابى ، وأمرت بتوقيف المجرم فى سجن المستشفى • لاننى أردت طمر الحادثة خشية الفضيحة • ولكن رغم دلك فقد أعلمت السلطات بالامر • ولكن بدل ان تجعل منه عبرة لغيره ، اكتفت بسجن أشمونى ثمانية أشهر . وعندما قام محمد بك وزير الحربية بالتحقيق ، أنكر الطلاب الحادثة ، وهم الذين نزعوا السلاح عن المجرم ••• وكل ما فعلوه أنهم أرسلوه فى الحملة التى أرسلت الى سوريا » •

ونلحظ هنا أن كلوت بك يحاول أن يقارب بين هده المحاولة واغتيال الجنرال كليبر من قبل سليمان الحلبى . ودلك تعظيما لنفسه وزيادة فى اعطاء الاهمية الكبرى لداته •

اما الحكم بالنفي والسجن فهو الحكم الذى كان القانون المصرى انداك يطبقه على من يقوم بهذه المحاولة •

ولكن كلوت بك يستمر فى وصف الحادثة بالتفصيل ويعلق عليها ما شاءت له أهواؤه خلال أكثر من خمس صفحات طوال •

وفى الصفحة ١٠٣ وحين الحديث عن مدرسة التوليد نراه يوكد على فكرة هامة جدا اذ يقول :

« ان وجود هذه المدرسة كامل على ما يبدو لى• ولكن هل ستدوم فى المستقبل ؟ كلا وبدون شك • ولكن ولكى لا نترك هده المؤسسة الجميلة تذوى ، ولكى نحميها من الاهواء والصدف . لا يوجد سوى وسيلتين (١) : الاولى أن نجعلها وطنية ، وأعنى دلك الانتهاء من الاساتذة الاوربيين واستبدالهم باساتذة من بين العرب » •

وهدا يدلنا على ان كلوت بك كان رجلا شريفا مستقيما وضع كل امكانياته فى خدمة مصر وشعبها وواليها • ولم يكن هدفه خدمة الاستعمار ولو كان دلك لدافع عن فكرة التعليم باللغة الفرنسية وعن ابقاء الاساتذة الاوروبيين أو الحاق هده المدرسة باحدى الكليات الفرنسية الطبية • كما حدث فى بيروت بالنسبة للكلية اليسوعية ، او الجامعة الاميركية ••• أو كما قام بعض المثقفين (كدا) يدعون الى تطبيق أمثال هذه المشاريع عنما قرر تاسيس كلية طب فى حلب • ■■

حلب ـ د • سلمان قطاية

(١) أما الوسيلة الثانية فهى ارسال المتفوقين من الحريجين لاتمام الدراسة فى اوروبا ثم العودة ليصبحوا أساتذة فى المدرسة •

أربع خصال

قال الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه من أعطى أربع خصال فقد أعطى خير الدنيا والآخرة وفاز بحظه منها ورع يعصمه عن محارم الله ، وحسن خلق يعيش به فى الناس ، وحلم يدفع به جهل الجاهل ، وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة •

حوار القراء

العرب قبل الاسلام

● اشار فهمي هويدي في استطلاع العمارة اليمنية الى ان الحضارة العربية ما قبل الاسلام لم تكن اقل شأنا من الحضارات الاخرى المعاصرة كاليونانية والفارسية والهندية ... فالامة التي توصلت الى التكلم بلغة القرآن وكتابتها ووضع قواعدها واصولها وشيدت السدود . . وتعاطت التجارة الدولية لم تكن حضارتها هامشية كما اراد اقناعنا بها المفكرون الغربيون ومعظم المستشرقين

ان الله عز وجل لم ينزل القرآن الكريم باللغة العربية لان الامة التي تتكلمها كانت في مستوى حضاري يمكنها من تعهم تعاليمه وتشريعاته الانسانية ولديها المقدرة على تطبيقها فكم من الايات كرست وقائع سبق ان مارسها العرب وكم من الايات الفت تشريعات سبق ان طبقها العرب ..... فالاسلام اتى ليتوج هذه الحضارة والقى على امتنا مسؤولية التبشير بالاسلام وشرحه ونشره وتطبيقه على الامم الاخرى .

المحامي اسعد امين بكار
لبنان

د . عبد الوهاب مورو

● نعت الانباء موخرا رائدا من المع رواد الجراحة والطب في مصر والشرق ، عرفته الاجيال المعاصرة من الاطباء ، استاذا وعميدا لكلية طب القصر العيني ومديرا لجامعة القاهرة هو الدكتور محمد عبد الوهاب مورو بيد ان الجراحة صفحة واحدة من حياة هذا الرجل العملاق وغيرها صفحات مطوية كان مورو مديرا للجامعة عندما أعلن شبابها الجهاد ضد الاستعمار البريطاني في عام ٥٤ واحالوا حرمها معسكرا للتدريب ، ومدرجاتها مركزا للقيادة ، ومعاملها مصنعا للقنابل الحارقة والذخيرة ، ولم يخف المدير قلقه واشفاقه على ابنائه ، فلما رأى طابور الافتتاح يطوف بالجامعة والطلقات الاولى للحركة تنطلق تحت شرفة مكتبه ، ادرك ان عزمات الشباب لن تلين لقلق الوالد واشفاقه . . فازداد احساسه بمسئوليته نحوهم كوالدهم وكاستاذهم فدعاهم لمقابلته ، وذهب ثلاثة من قادتهم الى عيادته الخاصة تحت جنح الليل ، واغلق الباب وليس فيها سواهم واخذ يسأل ويستفسر عن امكانيتهم وخبرتهم وخطتهم حتى اذا اطمأن قلبه لصدقهم ولجدهم قدم لهم من ماله الخاص مبلغا كان اكبر ما تلقوه حتى ذلك الوقت للحركة والقى بكل ثقله معهم موجها ورائدا ، وراعيا ، وحاميا .

الحضارة اليمنية

● قرأت باستمتاع ما نشر في عدد مايو ٧٩م في مجلتنا الحبيبة « العربي » تحت عنوان العمارة اليمنية تتحدى ، وانني لا استطيع ان اصف لكم شعوري حين رأيت وقرأت الاستطلاع عن بلدي الغالية اليمن .. والذي وضحتم لاخواننا القراء عن الكثير من الحضارة اليمنية . . وكم سيكون اجمل واهم لو كان هذا الاستطلاع قد شمل اليمن شمالا وجنوبا ليعطي للقارىء معلومات

وتوقف اتحاد الطلاب كل نشاطه وكل امواله على المعركة وجمد ما سواها ، وقرر صرف ثلاثة آلاف جنيه للكتيبة المتجهة للميدان فاوقفت الحكومة صرف المبلغ قبل ان يتم ، ولكن القافلة مضت قدما ، وسقط اول الشهداء ، عادل غانم ، وسالت دماؤه وكأنما سالت في عروق مصر باسرها فتحركت كتيبة جامعة الاسكندرية ، واستعدت جامعة عين شمس ، وافتتح الازهر معسكره .. وجمع مورو اتحاد الطلاب واتخذوا قرار الصرف من جديد وصرف المبلغ بالفعل قبل ان تستطيع الحكومة شيئا .

وابى الرجل الا ان يسهم بكل ما يستطيع في المعركة ، فطلب ان يعالج الجرحى بنفسه ووقف ، وهو ارفع اساتذة مصر شأنا ، ينتظر اول الجرحى على الباب الخارجي لمستشفاه الخاص اكبارا لهم وتقديرا

وإذا كان مورو قد رعي حركة الجهاد واسهم فيها استاذا ومديرا وطبيبا وجبلا صامدا لضغوط هائلة ، فان من حق رائد الجراحة على ابنائه الاطباء ان يسجلوا انهم رتبوا برغم كل العقبات ـ تغطية طبية لميدان القتال كان محورها ومحركها الذي لا يهدأ الطبيب الانسان سعيد النجار رحمه الله وشباب الاطباء في جامعة عين شمس وجامعة القاهرة ، وان اول شهداء معركة التل الكبير الشهيرة كان طالبا بكلية طب القصر العيني وكانما اراد التلاميذ ان يشهدوا استاذهم الطبيب « ان اليد التي ترتفع بمبضع جراح لتستأصل داء فرد ، قد تهوى بصارم بتر لتستأصل داء امة » وهل كالاستعمار داء ؟

الطبيب . عصام الشربيني

كاملة عن اليمن وليوضح له اكثر عن هذا الشعب الغني بحضارته وتاريخه البطولي . اننا نأمل من « العربي » ان تسارع بكشف النقاب عن الحضارة اليمنية العريقة وذلك بعمل استطلاع شامل عن اليمن شمالا وجنوبا بمئات السنين ، وليعرف ايضا عن تاريخ هذا الشعب الحافل بالبطولة والتضحية ليبقى دوما رافع الرأس حرا سيدا

حمد مثنى جباري
اليمن الديمقراطية ـ الضالع

صورة المسجد الاقصى

● لقد أعجبني غلاف العدد ٢٤٧ من المجلة الصادر في يونيو حزيران ١٩٧٩ حيث كان الغلاف صورة ملونة لمسجد الصخرة ، والحقيقة ان الغلاف قد لفت انظار القراء جميعا حيث انني لاحظت ان الاعداد نفذت بسرعة من المكتبات والاسواق وذلك ما دعاني لان اكتب اليكم ، راجيا منكم ان تجعلوا هذا الاقتراح موضع اهتمام وهو أن تجعلوا هدية العدد الممتاز للسنة القادمة يناير صورة كبيرة ملونة لمسجد الصخرة الشريفة .

نزار عبد القادر
الامارات العربية المتحدة

خطأ غير مقصود

● لاحظت ان باب طرائف غربية يحتوى على بعض الاحاديث النبوية الشريفة ، واعتقد ان هذه الاحاديث الجليلة لا يليق ان نضعها تحت ذلك العنوان فهذه الاحاديث هي برهان على عظمة الرسول الكريم ﷺ كما هي لنا نحن المسلمين شعاع يضيء لنا الطريق الذي نسلكه اقتداءا بنبينا الرحيم ﷺ

اقول ذلك رغم يقيني

العميق وثقتي المطلقة بانكم لم ولن تقصدوا الاساءة الى احاديث الرسول الاعظم ﷺ غير ان هناك من يحكم على الامور بظواهرها وقد يجد في ذلك ستارا او قاعدة يطلق منها ما يسيء الى سمعة العربي التي نعتبر اي اساءة لها اساءة لنا جميعا .

حسين عبد الله الدبسي
جمهوريه اليمن الديمقراطيه الشعبيه

- من المؤكد ان ذلك كان خطأ غير مقصود نامل الا يتكرر

من لبناني لاهله

● الحرب الضروس التي حصناها - نحن ابناء لبنان - ضد انفسنا افهمتنا حقيقة واحدة هي ان المنتصر فيها خاسر وانها اسوأ وسيلة لحل مشاكلنا .

ان الله سبحانه لم يرسل الانبياء الى هذه الارض من أجل التفرقة بل من اجل المحبة والتاريخ سوف لا يرحمنا . ولبناني لن يسامحنا ونحن لن نغفر لانفسنا ما فعلته انفسنا من شرور وبلاء

نوح فاعور
شتوره / لبنان

امية المتعلمين

● اعتقد ان السبيل الى تقدم امتنا العربية هو محو الاميه وليس الذي اقصده امية الذين لا يعرفون القراءه والكتابة وانما هو محو اميه المتعلمين

فكثير من خريجي الجامعات في وطننا العربي ليس لديهم القدرة على معرفة الخطأ من الصواب في كثير من الامور الهامة التي تتعلق بمستقبل بلادهم ينظرون الى المشاكل الصحيحه بلا مبالاة لانهم لا يعرفون التمييز بين الخطر والامان

وهذه هي امية المتعلمين التي يجب العمل على القضاء عليها قبل ان تنتشر

فتحي ابو السعود
مصر - بور سعيد

قرطاجنة

● في العدد (٢٤٦) شهر ايار ١٩٧٩ وتحت عنوان « اختبار معلومات » « الخطأ واين الصواب » ورد ما يلي « قرطاجنة مدينة قديمة في افريقيا الشمالية اسسها الفينيقيون قرب تونس حاليا »

والحقيقة ان قرطاجنة اسسها الفينيقيون على الساحل الشمالي للبحر الابيض المتوسط اي على الساحل الاوروبي وبالتحديد في الاندلس (اسبانيا حاليا) اما المدينة التي بناها الفينيقيون قرب تونس فهي مدينة (قرطاجة) او (قرطاج) وليس قرطاجنة . والتشابه في الاسماء وارد لان المدينتين عاشتا في فترة زمنية واحدة ولغرض واحد وهو خدمة التجارة الفينيقية على سواحل البحر الابيض المتوسط

خلف حمد عبيد
العراق / الانبار

غربة العربي

● من يقرا الاستطلاعات التي نشرها مجله العربي عن خيرات وطاقات وثروات وطن العربي وعن واقع المسلمين في العالم يشعر بالغربه عن وطنه العربي والاسلامي فالاستطلاعات تناولت على سبيل المثال لا الحصر كالاردن - اليمن - مكة - بغداد - العباسية - يوغسلافيا - اسطنبول - تونس - وافغانستان واخيرا وليس اخرا في العدد ٢٤٧ - عن السودان وثالث الحرمين واولى القبلتين مسجد الاقصى فهذه تبين مدى أهمية وطننا العربي وقصور مؤسساتنا الثقافية العربية في هذا المجال

مصطفى هلي سليم
لبنان



الحرب العالمية الثالثة

أغسطس ١٩٨٥ م

تأليف: الجنرال سير جون هاكيت وآخرون

■ اما المؤلف جنرال هاكيت فيعد في بريطانيا من ابرز العسكريين الاكاديميين والضباط المحاربين في نفس الوقت ، وكان آخر منصب عسكري تولاه هو منصب القائد الاعلى للجيش البريطاني في الراين في المانيا الغربية ، ونائب رئيس هيئة الاركان العامة لمجموعة جيوش الشمال في حلف الاطلنطي .

ويعرف الجنرال هاكيت بانه من زعماء « الصقور » بين العسكريين في بريطانيا وفي حلف الاطلنطي وقد سبق ان احتال للالتفاف على القانون البريطاني الذي يمنع العسكريين من الكتابة الى الصحف حول المسائل السياسية والعسكرية ، بأن ارسل مقالا الى صحيفة « التايمز » قبل انتهاء خدمته يؤكد فيه الحاجة الملحة الى تدعيم وزيادة الانفاق العسكري لدول حلف الاطلنطي ، ووقع المقال بوصفه نائب رئيس الاركان العامة لقوات الشمال بحلف الاطلنطي ، متجاهلا صفته الاساسية كقائد للجيش البريطاني في الراين .

ومنذ ان طرح عالم امريكي من اصل الماني هو البروفيسور « اوسيب فليختهايم » فكرة ابتداع علم اسماه « علم استقراء المستقبل » ظهرت مؤلفات كثيرة تحاول التنبؤ بمواقف معينة . اقتصادية او علمية او سياسية . لكن في حدود علمنا لم يظهر مؤلف كامل يتناول حدثا محددا وهو الحرب العالمية الثالثة (اغسطس ١٩٨٥) بكل تفاصيلها الحربية والسياسية سوى هذا الكتاب الذي نعرض له .

ولكن العيب الاساسي لهذا الكتاب هو انه لم يحاول ان يتبع منهجا علميا للتأريخ للمستقبل فهو يبدأ بمعطيات ذاتية محددة تمثل وجهة نظر « الصقور » في الغرب ، ومجملها ان الطرف الآخر في الشرق هو الذي يخطط للعدوان والحرب والبدء باستخدام الاسلحة الذرية . وهو الذي لابد ان ينهزم . لكن ميزته الاساسية رغم ذلك هو تقديم « سيناريو » كامل ودقيق لوجهة نظر فريق كبير ذي نفوذ خطير في المؤسسات الرسمية الحاكمة في المعسكر الغربي . وهذه هي رؤيتهم لانفسهم وللعالم .

والمفروض كما يشير المؤلف ان كتابه ظهر عام ١٩٨٧ اي بعد عامين من نشوب الحرب العالمية الثالثة ونهايتها . ولذلك يعتمد الكتاب في بعض الاحداث على « التخمين » ، لان كثيرا من الوثائق « اختفت في الظروف المدمرة التي سادت قرب نهاية الحرب » .

تقرير للرئيس طومسون

وفي نوفمبر عام ١٩٨٤ انتخب الامريكيون الرئيس الاربعين للولايات المتحدة الامريكية ، لكي يتولى مهام منصبه في يناير ١٩٨٥ . وكان طومسون جنوبيا جمهوريا محافظا ، ومجهولا تماما قبل عامين من انتخابه ، مثل سلفه الرئيس السابق كارتر .

كان طومسون قلقا بسبب نقص معلوماته في الشئون الدولية ، ومن ثم طلب الى اثنين من كبار المستشارين ان يقدما ، كل على انفراد تقريرا يلخص وجهة نظرهما عن التحديات الاساسية التي تواجه ادارته في الفترة من عام ١٩٨٥ الى عام ١٩٩٣ .

وركز احد الخبيرين وهو « ثيك ـ تانك » تقريره على « الجنوب الفقير » في العالم والمشاكل المترتبة على الصراع بين الاغنياء والفقراء . لكن طومسون لم يعجبه هذا التقرير بعكس تقرير الخبير الاخر وهو وزير خارجية سابق ، فقد حظي بتقدير الرئيس طومسون وكان محور التقرير هو العلاقة بين الاتحاد السوفييتي وبين « الشمال الغني » في العالم

ويرسم التقرير الصورة على النحو التالي .

ـ ان الاتحاد السوفيتي غير قادر على التكيف مع العالم المتغير ، وتحيط به الازمات من الغرب والشرق والجنوب

ـ احطر نقطتين في الموقف (لاسباب مختلفة) هما بولندا ويوغوسلافيا ، وقد انحرفت بولندا بشكل واضح عن أساليب المجتمع الشيوعي واذا تغيرت بولندا نهائيا فمن المحتمل ان تتبعها تشيكوسلوفكيا والمجر ، اما المانيا الديموقراطية (الشرقية) فتتجه الى البحث عن دور سياسي اكبر يتناسب مع تفوقها الاقتصادي داخل المعسكر الشرقي اذ ان معدل الدخل القومي للفرد يصل الى ٤٠٠٠ دولار في السنة وهو ضعف المعدل في الاتحاد السوفيتي .

ـ ادى الاشتراك الناجح للحزب الشيوعي الايطالي في الحكومة منذ عام ١٩٨٢ وقيام حكومة الجبهة الشعبية

من الاشتراكيين والشيوعيين في فرنسا الى احباط التقدم نحو الوحدة الاوربية واضعاف حلف الا لمنطي . لكنه من جهة اخرى هدد الاتحاد السوفييتي بالخطر ، لانه اثبت ان هناك طرقا اخرى ناجحة للوصول الى الاشتراكية ، وشجع بولندا على المضي قدما في اتجاهاتها الخاصة .

- تكونت في يوغوسلافيا (ما بعد تيتو) خلايا ومجموعات موالية للسوفييت في (الصرب) ويطلب الشيوعيون في الصرب مساعدات سوفيتية لضرب الثورة المضادة في « سلوفينيا » و « كرواتيا » . ويستهدف السوفييت من الاستجابة لهذا الطلب افهام بولندا ان الجيش السوفييتي قادر على التدخل .

- يرتكب حلف الاطلنطي خطأ فادحا بسبب موقفه الغامض غير المحدد إزاء يوغوسلافيا

- اذا كان السوفيت يخشون من تدخل الماني غربي كرد معل لتدخل سوفيتي ضد بولندا ، الا انهم يعتقدون ان رد الفعل الغربي ازاء تدخلهم في يوغوسلافيا لن يتجاوز مجرد الاحتجاج

- هناك حركة تذمر بين جيل المثقفين السوفيت بسبب زيادة فترة التجنيد الى ثلاثة اعوام .

- كل الدلائل تشير الى ان التقارب الاقتصادي والسياسي بين الصين واليابان سؤدي الى خلق كيان هائل مشترك .

- ازدادت مسألة حساب احتالات الردع النووي تعقيدا بسبب انتشار الاسلحة الذرية في العالم الثالث لدى الاطراف الموالية لواشنطن او موسكو على السواء .

- من المحتمل ان تقع ازمات متعددة اذا بدأت « الامبراطورية » السوفيتية تعاني من الشروخ بسبب الضغوط الداخلية . ومن المنتظر وقوع تطورات هامة في الاسابيع الاحدى عشرة قبل تولي الرئيس طومسون السلطة .

تقرير ريابوخين

اثناء معركة الرئاسة الامريكية عام ١٩٨٤ نشبت معركة تلفزيونية حامية بين طومسون ومنافسه الديموقراطي مونديل نائب (كارتر السابق) حول رأي كل منهما في حكومة بولندا وهل هي تابعة للحكومة السوفيتية ، وموقف الولايات المتحدة ازاء احتال نشوب ثورة ضد الحكومة البولندية والاتحاد السوفيتي . وقد اتخذ طومسون في رده التليفزيوني موقف « الصقور » الامركيين المتشددين ، ولم يتراجع بعد ذلك بل واصل خط الهجوم ضد حكومة بولندا .

وعندما انتخب طومسون رئيسا للولايات المتحدة وقعت بالمصادفة بعض احداث الشغب في بولندا ، قامت وزارة الداخلية البولندية بالقبض على « زعماء العمال » بسبب ما اشيع عن اعتزامهم القيام باضراب عن العمل في اليوم المحدد لتولي طومسون مهام الرئاسة . واتسع نطاق المواجهة بين الحكومة والعمل ، واستولى بعضهم على المصانع ورفعوا عليها علم بولندا القديم .

ورغم انتهاء الازمة بالتفاوض بين الحكومة والعمال ، وعودة « السيطرة الاسمية » للحكومة على البلاد الا ان قلقا حادا سيطر على الزعماء السوفيت ، الذين عقدوا اجتماعا للمكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي مع كل رؤساء الجمهوريات السوفيتية لبحث ورقة العمل التي كلف بكتابتها الاكاديمي السوفيتي ريابوخين .

فقد رأي كثيرون ، كما يقول المؤلف ، ان احداث بولندا التي وقعت في ١١ نوفمبر ١٩٨٤ هي البداية الحقيقية لنشوب الحرب العالمية الثالثة . والغريب ان بولندا هي نفس البلد الذي بدأت منه الحرب العالمية الثانية من جانب هتلر ، وان ١١ نوفمبر هو الذكرى السادسة والستين لنهاية الحرب العالمية الاولى .

درس المجتمعون تقرير ريابوخين ، واستطاع الغرب الحصول على التقرير رغم سريته المطلقة ويتلخص التقرير الذي اخذت به الحكومة السوفيتية فيا يلي :

- رغم بعض التصريحات المؤسفة التي اعلنها طومسون الا انه ليس من المحتمل ان يشن هجوما نوويا ضد الاتحاد السوفيتي وهو نفس موقف الاتحاد السوفيتي .

ـ ان الاتحاد السوفيتي يواجه موقفا يسترعي الانتباه . فمن بين ١٨٠ رئيس دولة في العالم هناك حوالي مائة منهم يذهبون الى فراشهم كل ليلة دون ان يتيقنوا من انهم لن يتعرضوا للقتل من انقلاب قد يقع في الصباح . وكان كبار المسئولين السوفيت (فيا عدا فترة حكم ستالين) لا يخشون من هذا المصير لكن بعد احداث بولندا هناك احتال كبير لحوادث انقلابات في دول اوروبا الشرقية وهو امر غير مستبعد ايضا في بعض الجمهوريات السوفيتية خاصة في الجنوب وفي الشرق الاقصى .

ـ ليس من الحكمة ارسال قوات سوفيتية لقمع « العمال » البولنديين ، او استخدام القوات البولندية لنفس الغرض . لكن في حالة قيام اصحاب الاتجاهات « الانتقامية » (والرجعية) بقلب حكومة بولندا او المانيا الديموقراطية فلا بد من ارسال قوات سوفيتية لتصحيح الاوضاع

ـ بسبب الوضع في بولندا ، علينا ان نضع الامريكيين في وضع ضعيف في مكان آخر من العالم ونفرض عليهم اتخاذ بعض اجراءات التراجع المهين خلال الاسابيع الاولى لحكم الرئيس طومسون

السلام الزائف

بدأ الاتحاد السوفيتي تنفيذ تقرير ريابوحين ، كما يقول المؤلف ، منذ ٣٠ نوفمبر عام ١٩٨٤ وكان الوضع العالمي مواتيا تماما للاتحاد السوفيتي .

ففي المنطقة العربية والشرق الاوسط حدثت مصر علاقاتها العسكرية والسياسية مع الاتحاد السوفيتي واعلنت قيام الجمهورية العربية المتحدة من مصر والسعودية والعراق والكويت ، ودعت الى اجتماع لرؤساء حكومات دول « الاوبيك » ، وهددت بالتدخل العسكري الفوري ضد اي بلد يحاول التعرض لمصالح الجمهورية العربية المتحدة او يحاول ارسال قوات الى « الساحل المتصالح » او عمان . وهو تهديد واضح لايران التي ظلت قلعة للنظام الامبراطوري والدفاع عن مصالح الولايات المتحدة الامريكية ! ! (ظهر كتاب الحرب العالمية الثالثة قبل شهور قليلة من اشتعال الثورة الايرانية وسقوط نظام الشاه) .

وفي الجنوب الافريقي انتشرت الاضطرابات المعادية للحكم العنصري الابيض ، وتحفزت الدول الافريقية المستقلة (الموالية للسوفيت !) لانهاء السيطرة البيضاء

وفي شبه القارة الهندية وقعت احداث خطيرة بعد ان اصبحت الهند مجموعة من الدول والدويلات الاشتراكية والرأسمالية

وفي خليج عدن اعرقت غواصة سوفيتية سفينة ايرانية ، وتعرضت سفينه تجسس امريكية للضرب بالصواريخ ، ولم تتوقف الاحداث المثيرة عند هذا الحد . فقد تم تدمير بشر بترول بريطانيية في بحر الشمال واضطربت الاوضاع في برلين الشرقية ، واغتيل رئيس المكسيك ، وارسل الامريكيون قوة بحرية الى الخليج في بندر عباس وو جهت حكومة مصر دعوة الى الاتحاد السوفيتي ليسيطر على قناة السويس ، بعد ان اغلق الاسطول الامريكي السادس المدخل الشمالي للقناة !

ويجري المؤلف هنا مقارنة بين موقف حلفاء امريكا الاوربيين وبين اعضاء حلف وارسو وينحو باللائمة على دول اوربا الغربية لانها تريد الحصول على بترول الشرق الاوسط دون ان تقدم مساعدة عسكرية للولايات المتحدة لكي تعيد فتح الطريق الى مواقع البترول بالقوة ، بعد ان ساد المنطقة نفوذ سوفيتي واضح . ويدافع المؤلف البريطاني بحماس عن موقف الولايات المتحدة التي يقول انها تتساءل في سخرية عن موقف دول أوروبا الغربية ازاء الخطر السوفيتي المباشر في اوربا ، اذا اضطرت الى سحب قواتها من اوربا الغربية لفتح طرق البترول في الشرق الاوسط وحمايتها !

ويظل الوضع بين الحلفاء الغربيين غامضا بينما يتفق وزيرا خارجية الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في نهاية يناير ١٩٨٥ على عقد مؤتمر قمة في ١٥ فبراير . وينتهي مؤتمر القمة الامريكي السوفيتي بالاتفاق على الاحتفاظ بالوضع الراهن وان تظل السيطرة على حقول البترول كما كانت ، اى تظل السعودية والكويت

والعراق ومصر مع الاتحاد السوفيتي ، بينما تظل ايران وبقية دول الخليج العربية مع الغرب . ويتوقف تزويد الجانبين سواء في افريقيا او المنطقة العربية بالاسلحة مع الابلاغ المتبادل عن التحركات البحرية واستئناف محادثات « سولت » والخفض المتبادل للقوات .

لكن ما يسميه المؤلف « بالسلام الزائف » لم يغير شيئا من عدم الثقة بين واشنطن وموسكو فاستؤنفت الاشتباكات السياسية حول المسائل الثلاثة الجوهرية وهي البترول والشرق الاوسط والبلقان .

وكانت يوغوسلافيا على التحديد قد تجاوزت وتغلبت على مشكلة (الخلافة) بعد تيتو واتجهت بشكل متزايد الى اقتصاد السوق الاقرب الى مفاهيم الغرب الاقتصادية ، وتبلور الوضع في الجمهوريات اليوغوسلافية الى حيث اتجهت (سلوفينيا) الى الغرب واتجهت « الصرب » الى الشرق لكن الجنرال هاكيت مؤلف الكتاب يلاحظ ان الدول الرأسمالية في الغرب بدأت تعي اصرار السوفيت على القضاء على الرأسمالية وازدياد قوة التسلح الهجومية السوفيتية ، وهو يرى ان الرأي العام الغربي الذي كان يرفض في السبعينات تأييد الاجراءات العسكرية والانفاق العسكري المتزايد في الغرب اصبح الان (عام ١٩٨٥ متحمسا لمواجهة التسلح السوفيتي باجراءات مماثلة)

ويعبر المؤلف في كل مناسبة عن ضيقه من العمال واحتقاره لموقف نقابات العمال البريطانية وبعض اجنحة حزب العمال بسبب ما يسميه « هوس » الشعب البريطاني لاعادة توزيع الثروة يتهم البريطانيين بانهم « يستخدمون بشكل قبيح وسافل اسلوب الحسد » ضد الاغنياء في عهد حكومات العمال ، ويرى ان هذه المواقف عطلت بريطانيا عن تخصيص اجزاء هامة من ميزانيتها لمواجهة « الخطر السوفيتي وادت الى انسحاب قواتها من مناطق كثيرة في العالم . لكنه « يستبشر خيرا » بتغيير النظام في بريطانيا قبل عام ١٩٨٥ ، وبعد ان تغير كل شيء ابتداء من نظام التعليم الى تعميم التدريب العسكري في الجامعات .

بداية الغزو

في ٢٧ يوليو ١٩٨٥ ، بينما كان القائد الاعلى للقوات الامريكيةفي اوربا يلتقي بوفد من رجال الكونجرس في مقر قيادته في هايدلبرج في المانيا الغربية ، ابلغه احد ضباطه ان القوات السوفيتية عبرت الحدود الى يوغوسلافيا منذ ساعات قليلة .

اما اهداف هذا الهجوم السوفيتي ونطاقه فالمؤلف لديه دائما حل موفق لاقناع القاريء،وهو العثور على « وثيقة سرية » سوفيتية بعد انتهاء الحرب تكشف اهداف « ومطامع السوفييت » ' وحسب هذه « الوثيقة السرية » فان الخطة السوفيتية تهدف الى احتلال المانيا الغربية وتحييدها ، ومن ثم انهيار حلف الاطلنطي وفتح باب المفاوضات الثنائية بين واشنطن وموسكو لتسوية الاوضاع العالمية وسيترتب على ذلك في نظر السوفيت تقوية نفوذهم واضعاف الحركات الاشتراكية الوطنية داخل حلف وارسو وحسم الامور قبل عام ١٩٨٧ ، اي ان تؤدي البرامج العسكرية الجديدة في حلف الاطلنطي الى وضع قيود على حرية السوفيت العسكرية وقبل ان تصبح الصين مستعدة تماما من الناحية العسكرية وقبل ان يتدهور موقف الاتحاد السوفيتي في الشرق الاوسط

عندما ايقن الامريكيون بان السوفيت يعدون للهجوم الشامل وانهم بدأوا التعبئةالكاملة في الرابع عشر من يوليو ، اصدر الرئيس الامريكي قرار التعبئة الكاملة بدوره وتعبئة بقية دول حلف الاطلنطي التي تحركت قواتها على المسرح الاوربي بالفعل .

وفي الرابع من اغسطس تلقى الضابط البريطاني المناوب في مركز القيادة المشتركة لحلف الاطلنطي نبأ تليفونيا عاجلا بان جنود المظلات السوفيت قاموا بعملية ابرار جوي . ولم يكن الضابط يرسل اشارة الانذار حتى فوجيء بجندي سوفيتي يقتحم مكتبه ويصرعه على الفور '

بدأ الهجوم الشامل اذن ضد قوات حلف الاطلنطي لغزو اوربا الغربية ، واعلن السوفيت ان الهدف من هذا الاجراء هو مجرد الدفاع عن النفس بسبب « مطامع النازيين الجدد في المانيا الغربيةومن يساندهم من الامبرياليين » .

اما الهدف من دخول يوغوسلافيا فهو « اعادة

السلام والاستقرار بعد أن قامت قوات رأسمالية بغزو بلد اشتراكي هو « سلوفينيا » . ووجه السوفيت نداء الى حكومات بريطانيا وايطاليا وفرنسا بالا يشتركوا في تقديم العون الى النازيين الجدد ، وطالبوا الولايات المتحدة بان تعترف باخطار انبعاث النازية في المانيا مرة اخرى . كما وجه السوفيت تحذيرا واضحا بان موسكو لا ترى « في الوقت الحاضر استخدام اسلحة نووية » لكن استخدام اي اسلحة نووية او مشعة ضد حلف وارسو سيؤدي الى رد سوفيتي بلا حدود .

ورغم قرار فرنسا بالاشتراك الايجابي الى جانب قوات حلف الاطلنطي الا ان حصيلة اليوم الاول من الهجوم كانت لصالح السوفيت وحلف وارسو ، وسقطت اجزاء كبيرة من المانيا الغربية والنمسا والنرويج وكل هولندا تحت سيطرة قوات حلف وارسو .

ومن هنا بدأ ضغط القادة العسكريين الامريكيين في ميادين القتال لاستخدام الاسلحة الذرية الميدانية كوسيلة وحيدة لمنع انهيار حلف الاطلنطي . وانقسم قادة الحلف حول المسألة فلم تؤيد استخدام الاسلحة الا بلجيكا ، ووقفت المانيا الغربية وهولندا ضد الاقتراح الامريكي ، وترددت بريطانيا . اما فرنسا فقد اعلنت انها مسئولة عن استخدام اسلحتها الذرية الخاصة لكنها لن تقدم على هذه الخطوة قبل ان تتشاور مع حلفائها .

واتصل الرئيس الامريكي بعد منتصف ليلة ١٢ اغسطس ١٩٨٥ بالقائد الاعلى للقوات الامريكية في اوروبا ليطمئن على مقدرة قوات حلف الاطلنطي ازاء الاجتياح السوفيتي ، لكن القائد الامريكي علق الموقف على ما يصل في النهاية عن طريق الجسر الجوي والبحري الامريكي عبر الاطلنطي .

كانت الخسائر الامريكية في الرجال والطائرات والسفن فادحة بسبب نشاط اسطول الغواصات والطيران السوفيتي خاصة ان القوات السوفيتية سيطرت على غالبية الاهداف الارضية والطرق البحرية ابتداء من مخارج بحر البلطيق وساحل بحر الشمال والى الطريق البحري بين بريطانيا والقارة .

وعندما وصلت خسارة الجسر الجوي والبحري عبر الاطلنطي الى معدلات غير متوقعة ثار السؤال من جديد بين صفوف العسكريين في الغرب حول استخدام الاسلحة الذرية .

الانحدار

لكن في الخامس عشر من اغسطس بدأ الهجوم المضاد للقوات الامريكية وحلف الاطلنطي فاحدث تغييرات هامة في الوضع العسكري ، بعد ان ظلت المبادرة منذ اشتعال الحرب في ايدي قوات حلف وارسو . ويحدد المؤلف اسباب فشل خطة السوفيت بعد ذلك وبداية تراجعهم بعدة اسباب اهمها :

- تصورهم ان احتلال المانيا الغربية وانهيار حلف الاطلنطي سيحدث قبل ان يتمكن الغرب من تعبئة قواته .

- موقف فرنسا غير متوقع .

- بداية التمرد وحرب العصابات احيانا داخل المناطق المحتلة في المانيا وداخل بعض الدول الاشتراكية نفسها مثل بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا .

- حرب الدعاية الاذاعية والتلفزيونية التي تفوق فيها الغرب على الشرق وكانت المعركة الرئيسية فيها لكسب افريقيا والشرق الاوسط والاقصى . ولا يكف المؤلف البريطاني « الاسترالي الاصل » عن اظهار نزعاته المعادية للشعوب الملونة بمناسبة وبدون مناسبة فهو يلوم الغرب بمناسبة الحديث عن افريقيا لان تأييده للحكومة العنصرية في جنوب افريقيا لم يكن حاسما وشاملا ضد الشعوب السوداء . وهو لا يرى في الشرق الاوسط عند الحديث عن معركة الدعاية اثناء الحرب الا « بترولا » ومواقع ، وطرقا تساعد على ارساله الى حيث يريد الغرب . اما الشعوب والحكومات في افريقيا والشرق الاوسط « فلا يهمها من الذي على حق او على خطأ بين المتحاربين « لكن المهم لديها هو من الذي سيكسب » ! !

ويسترشد المؤلف بعبارات قالها الجنرال « ويفل » قبل ذلك وهو يرقب الازمة العالمية السابقة من مسرح الشرق الاوسط ملاحظا ان البترول ، والنقل البحري والقوة الجوية والبحرية هي مفاتيح الحرب ضد المانيا وايطاليا . وهذه العناصر يعتمد احدها على الاخر .

فالقوتان الجوية والبحرية تعتمدان على البترول . والبترول ينقل بالسفن والسفن نفسها تتطلب حماية جوية وبحرية .

ومشكلة الغرب في رأي الجنرال هاكيت ان كل هذه العناصر صحيحة بعد نصف قرن ، ما عدا ان الحلفاء لم تعد لهم السيطرة عليها كما كان في الماضي فقد تعلم السوفيت الدرس ونسته بريطانيا . وبينما اصبح للسوفيت ٨٠٠٠ سفينة تجارية مسجلة تستطيع ان تنقل ٢٠ مليون طن و ٥٠٠ ناقلة بترول ، واحتياطي من البترول الخام يصل الى حوالي ٧ الاف مليون طن ، لم يعد لبريطانيا ما تستطيع ان تدخل به الى مستوى الدول العظمى ويواصل المؤلف سرد ما يمتلكه السوفيت من المقومات التي تضمن النصر في الحروب وفقا لنظرية « ويفل » . فبينما تستورد الولايات المتحدة التي تملك احتياطيا هائلا من البترول (حوالي ٥ آلاف مليون طن) ما يصل الى ٥٠٠ مليون طن سنويا لا يستورد السوفيت شيئا ويصل حجم الاسطول الحربي السوفيتي الى حوالي ٢٥٠ سفينة حربية و ٣٠٠ غواصة اغلبها يسير بالطاقة النووية ، و ٧٠٠ طائرة بحرية ، و ١٠ الاف طائرة مقاتلة من بينها ١٠٠٠ قاذفة و ٤٠٠ طائرة معاونة للقوات الارضية ومثلها للدفاع الجوي الى جانب ٢٠٠٠ طائرة نقل وهيلوكوبتر .ورغم ذلك كله وعلى عكس نظرية « ويفل » التي يدافع عنها المؤلف خسر السوفيت وحلف وارسو الحرب العالمية الثالثة ، فيما يشبه « افلام » رعاة البقر التي يجب ان ينتصر فيها الابيض ضد « الهنود الحمر .

بدأت هزائم حلف وارسو منذ شن حلف الاطلنطي هجومه المضاد في اوربا الغربية وتتابعت الحلقات بعد ذلك ضد الاسطول السوفيتي في جنوب الاطلنطي وفي البحر العربي والجزء الغربي من المحيط الهندي . اما في الشرق الاوسط فكان التدخل الامريكي حاسما ضد قوات الجمهورية العربية المتحدة (مصر ـ السعودية ـ العراق ـ الكويت) فمنعت ايران من الغزو ومنعت السعودية من تصفية حسابات مع الامارات . ويسرت الاستعداد في عمان لحشد قوات الهجوم المضاد التي ستصفي وتكتسح اليمن في معركة واحدة حاسمة !

اسرائيل محايدة

اما وضع اسرائيل في الحرب العالمية الثالثة فقد كان في غاية الغرابة . كانت القوات الاسرائيلية في حالة استنفار منذ اعلنت الجمهورية العربية المتحدة في نوفمبر ١٩٨٤ لكن الاتحاد السوفيتي قدم ضمانا لاسرائيل بعدم التعرض لها مقابل التزام اسرائيل بالحياد التام وهو ما تم بالفعل .

ويقول المؤلف ان القوات الامريكية شنت هجوما منسقا مع قوات ايران وجيش الامارات فقضت على القوات السوفيتية وقوات الجمهورية العربية المتحدة في الجزء الشرقي من العربية السعودية واجبر اصحاب الحلف الامريكي دولة الكويت على قطع علاقاتها مع مصر والسعودية « ومرة اخرى كما يقول المؤلف « اصبح الخليج فارسيا بصرف النظر عما تعكر دولة الامارات » ' فالمهم طبعا هو الا يظل الخليج عربيا وحتى النظام العنصري في جنوب افريقيا استعاد بمعونة القوات الامريكية سيطرته على شعوب الجنوب الافريقي ، وانهارت النظم الافريقية الوطنية

الحرب الذرية

ازاء الهزائم المتعاقبة انتصر (الصقور) في القيادة السوفيتية العليا ، وتقرر استخدام الاسلحة الذرية بشكل محدود ، لكي تؤدي الى تفاوض بين موسكو وواشنطن وانقاذ ما يمكن انقاذه

اما في القيادة الغربية فقد انتصر « الحمائم »طبعا وتقرر عدم مواصلة الزحف الى داخل الاتحاد السوفيتي نفسه ، وعدم تكرار خطأ هتلر في الحرب الثانية . وتوصل الامريكيون مع المانيا الغربية الى حل وسط وهو اشتراك قواتهم في احتلال المانيا الشرقية . لكن قبل تنفيذ الخطة اطلق السوفيت صاروخا ذريا موجها الى قلب مدينة « برمنجهام » البريطانية التي تعد مركزا هاما للصناعات عامة وللصناعات الحربية بنوع خاص . وفي نفس الوقت تحدث الرئيس السوفيتي الى الرئيس الامريكي وابلغه عن الهجوم الذري المحدود ، وعن طلب ارسال وفد امريكي للتفاوض خلال اسبوع

واحدث الصاروخ الواحد من الدمار والقتل في

برمنجهام ما يتضاءل الى جانبه ما حدث في « هيروشيما » ونجا زاكي في اليابان . فقد تعرض ٢ مليون نسمة للاشعاع ، مات منهم فورا حوالي ٣٠٠ الف نسمة واصيب ٢٥٠ الف بجراح خطيرة ، وحوالي نصف مليون بدرجات متفاوته من الجراح .

ورد الامريكيون والبريطانيون باطلاق صاروخ لكل منهما على مدينة « بمنسك » السوفيتية ، وابلغوا السوفيت عن طريق الخط الاحمر بانه هجوم محدود كرد على ضرب برمنجهام وان اجابتهم حول التفاوض ستصل خلال ثلاثة ايام .

واحدث الصاروخان الامريكي والبريطاني في الاتحاد السوفيتي مالم يحدثه الصاروخ السوفيتي في بريطانيا او حلف الاطلنطي فقد كان الصاروخ الامريكي ايذانا بانطلاق كل عوامل (التمرد » والثورة »« والانفعال » داخل الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو وازاء وعد امريكي بمساندة اوربا الشرقية ضد موسكو ، والجمهوريات السوفيتية ضد موسكو ايضا قررت جمهورية كازاخستان الانفصال ووقعت صدامات دامية في جمهورية اوزبكستان وتم اتصال سري بين حكومة بولندا ولندن للاستعداد للانفصال عن حلف وارسو

اما موسكو نفسها فقد اعد المؤلف لها نهاية اكثر « درامية » فقد استطاع نائب رئيس المخابرات وهو ضابط بوليس اوكراني ان يقتل رئيسه ويحضر بدلا منه اجتماع المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي ثم يقتل الرئيس السوفيتي داخل الاجتماع . ويعلن انه تولى منذ تلك اللحظة منصبي الرئاسة وسكرتيرية الحزب ثم يأمر بابعاد وسجن الاعضاء المتشددين ويقبل تأييد الاعضاء المعتدلين لسياسته ويتصل « الرئيس » السوفيتي الجديد بالرئيس الامريكي ويطلب وقف استخدام الاسلحة الذرية ووقف اطلاق النار خلال ١٢ ساعة ، ويقبل الذهاب الى مؤتمر في هلسنكي وفي المؤتمر تشكل الجمهورية السوفيتية وفدا مشتركا على اساس انهاء اتحاد الجمهوريات بعد ذلك

وهكذا تنتهي الحرب العالمية الثالثة بعد ان نشبت في حوالي اربعمائة صفحة من خيالات وتمنيات الجنرال سيرجون هاكيت وزملائه ؛

لكن المؤلف يتواضع في النهاية ويقول « من الممكن الا تنشب الحرب العالمية بالطريقة التي توقعناها لكن المهم هو انه ما لم يحسن الغرب من دفاعاته في السنوات القادمة ستؤدي الحرب الى كارثة للغرب اما اولئك الذين يطالبون بتخفيض نفقات الدفاع في الغرب فهم يعيشون في عالم من الوهم ولو ان السوفيت قاموا بهجومهم في السبعينات (الآن) لحققوا نجاحا باهرا

ولقد بذل المؤلفون كل ذلك الجهد في الحقيقة من اجل هذه العبارة الاخيرة ولنفس السبب وضع الكتاب امام الرئيس كارتر ، وتولت بعض الصحف قرع الطبول « ان هناك كتابا خطيرا على مكتب الرئيس كارتر » ؛ ■■

القاهره ـ فيليب جلاب

التمثال .. السياسي الناجح !

● ذهب اناتول فرانس يوما مع صديق له الى معرض للفنون الجميلة فوقف امام تمثال رجل كان قد قطعت يداه ورأسه وكان من عمل رودون المثال المعروف فسأل الصديق اناتول بدهشة ماذا يمثل هذا المثال ؟ فأجابه اناتول . انه كما ترى تمثال رجل لا يقدر على اداء اي عمل نافع . غير انه .. سياسي ناجح !

نزهة العقل الذكي

مسابقة العـــدد

■ مسابقه هدا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها النا . ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتى

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

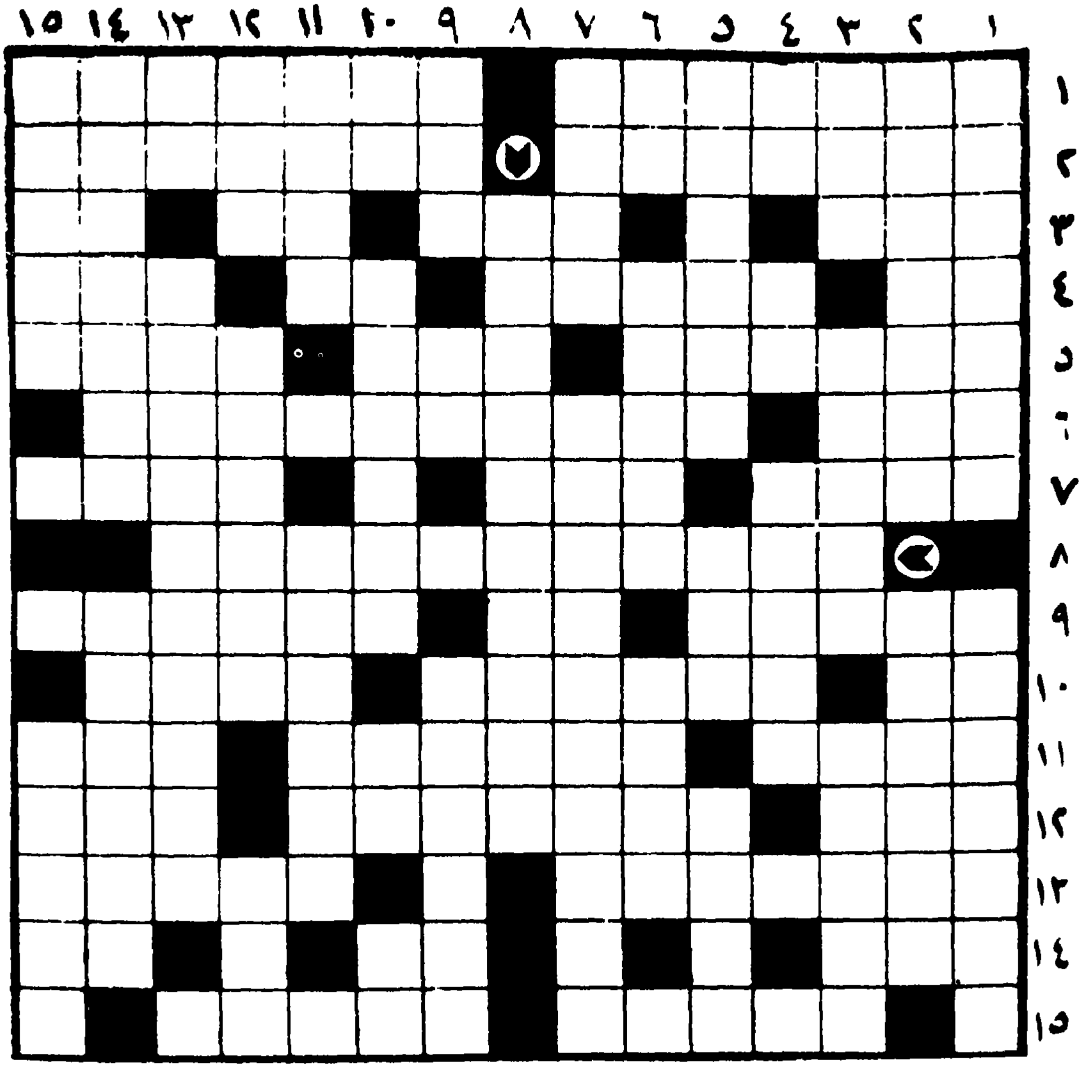
ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٥١ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول ديسمبر (كانون اول) ١٩٧٩

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حلّ مسابقه الكلمات المتقاطعه ، ستجد في (٨) أفقيًا اسم مؤسس الدولة الطولونية . كما ستجد في (٨) رأسيًا حاكم وقائد اسلامي

الكلمات الأفقية :

١ ـ معركة بين الفرس والاغريق ـ دولة أوربية
٢ ـ من سور القرآن الكريم ـ نكسبه الى جانبنا
٣ ـ تمنح ـ شخصية فكاهية من التراث العربي ـ قصم ـ نصف كلمة (أدعو)
٤ ـ نصف كلمة (مخزن) ـ ملك كريتي قديم ـ من الاقارب ـ من الألوان
٥ ـ يمصون ـ رجاء ـ أنشأه
٦ ـ مساء ـ وثيقة معروفة في التاريخ الانجليزي .
٧ ـ يصمت ـ ابيضّ شعره ـ قارب صغير يستخدمه الهنود الحمر .
٨ ـ مؤسس الدولة الطولونية
٩ ـ من الجوارح ـ أصلح ـ دولة أفريقية
١٠ ـ عمر ـ الأخذ عن أصل سابق ـ ذكرت
١١ ـ خمّن ـ دولة أوربية ـ نوم .
١٢ ـ حكى ـ السلطة التنفيذية ـ شكوك
١٣ ـ من أماكن التسلية ـ من الاشجار
١٤ ـ يخصّنا ـ اكتمل ـ نصف كلمة (عاتي)
١٥ ـ سهو ـ من الانبياء .



الكلمات الرأسية :

١ ـ من دعاة الوحدة الايطالية ـ ينتسب الى احدى القارات .

٢ ـ طائفة تتبع عقيدة آسيوية ـ رئيس أمريكي سابق

٣ ـ نسّق ـ من الظواهر الطبيعية ـ ولهان .

٤ ـ نصف كلمة (سواك) ـ فات ـ تشعران .

٥ ـ من العناصر الكيميائية ـ حساء ـ أرفض .

٦ ـ لفظ تعجّب ـ نرجو ـ تقطعه .

٧ ـ تأمل ـ عالم عربي من رواد الكيمياء

٨ ـ حاكم وقائد اسلامي .

٩ ـ ضمير ـ حرف استفهام ـ أعوامه .

١٠ ـ نصف كلمة (لسان) ـ من العناصر الكيميائية ـ في العروق ـ حرف استفهام

١١ ـ يكلّ ـ قابلها .

١٢ ـ لمع ـ معركة انتصر فيها نابليون على ايطاليا ـ لعب .

١٣ ـ نصف كلمة (عانى) ـ مسرحية لتشيكوف

١٤ ـ في العين ـ فصيلة من الآلات الموسيقية

١٥ ـ نهبه ـ يشيّده .

موسيقي الماني شهير

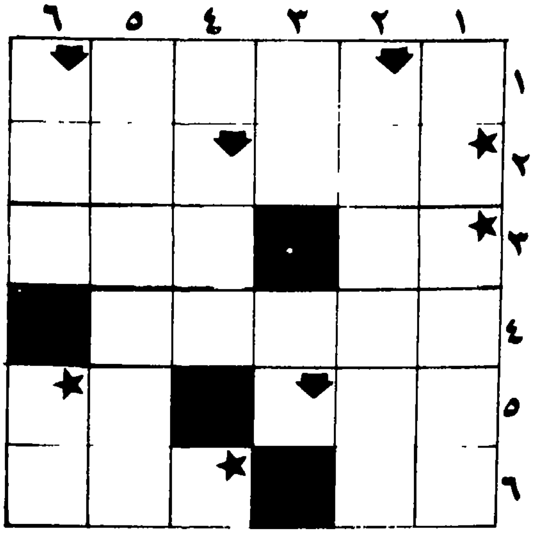
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعه . بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الإسهم ، ورتبها بحيث تحصل على الاسم الاول لموسيقي الماني وضع العديد من الاوبرات والرسائل الدسه . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتّبها بحيث تصنع لقبه

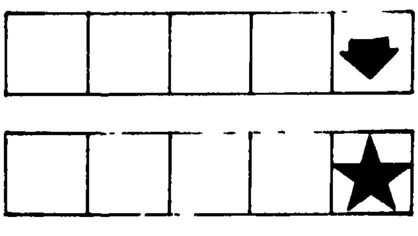
الكلمات الافقية :

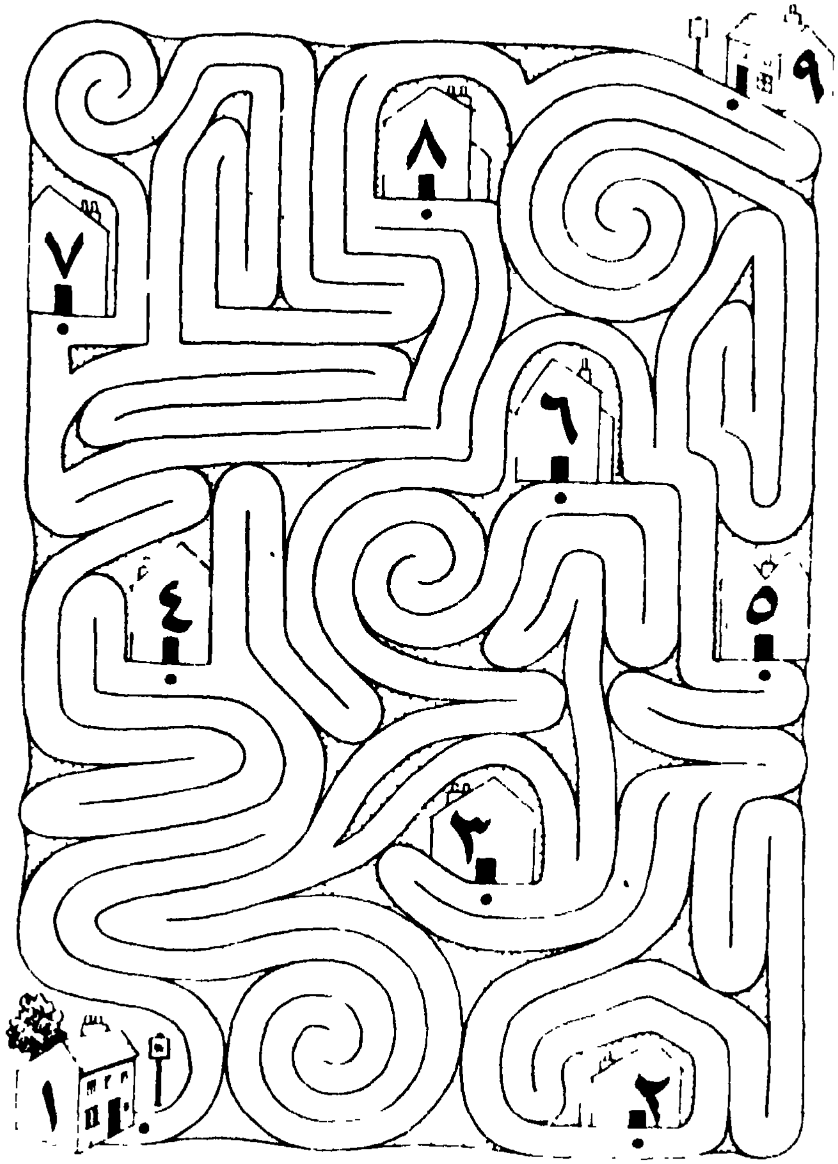
١ ـ عملية في الجهاز الهضمي لبعض الحيوانات
٢ ـ مبتكر صناعة السينما الناطقة .
٣ ـ ضمير ـ ضرورية للباحث .
٤ ـ ملك كريم من الملائكة .
٥ ـ من مواد البناء (معكوسة) ـ دكّ .
٦ ـ للنداء ـ نسأم .

الكلمات الرأسية :

١ ـ من التقاويم .
٢ ـ دولة أفريقية .
٣ ـ نصف كلمة (يفتك) ـ هزّ .
٤ ـ سلسلة جبال أمريكية
٥ ـ استوحى .
٦ ـ نسّق ـ أرشد







ساعي البريد

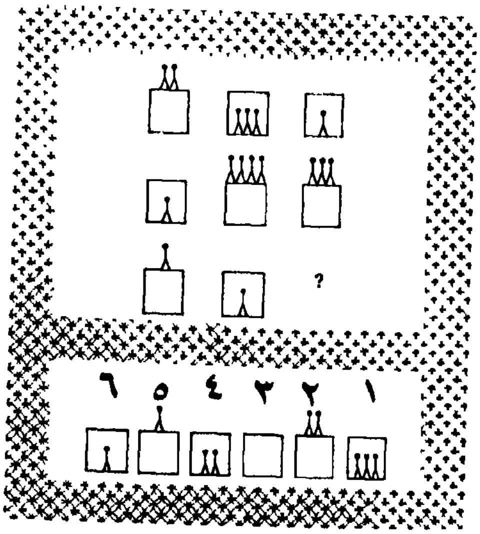
كان على ساعي البريد أن يمر على البيوت التسعة مبتدئا بالبيت رقم (١) ومنهيا بالبيت رقم (٩) ، بحيث لا يمرّ بالبيت أو الشارع أكثر من مرّة واحدة . فهل تستطيع أن تعرف الطريق الذي سلكه ساعي البريد ؟

أين الصواب ؟. وأين الخطأ ؟.

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خاطيء . هل تستطيع أن تميّز بينها ؟..

١ ـ الأشنات اتّحاد بين نباتين مختلفين يعيشان معا
٢ ـ الكويكرز · جماعة روحانية أسّسها بانجلترا جورج فوكس
٣ ـ باصون حيوان من فصيلة الجاموس .
٤ ـ بيت الحكمة . أوّل جامعة عربية أنشأها المأمون في بغداد
٥ ـ جران كولي · شاعر فرنسي رومانتيكي من القرن التاسع عشر .
٦ ـ دور كنج من سلالات الدجاج .
٧ ـ سان سانس . عاصمة احدى دول أمريكا اللاتينية .
٨ ـ فان الين . ممثل من روّاد السينما الأمريكية
٩ ـ كولينان أضخم ماسة اكتشفت في مناجم أفريقيا .
١٠ ـ موسورحسكي موسيقي روسي وضع ألحان بوريس جوردينوف





الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أيّ الاشكال ذات الأرقام يجب أن يحلّ محلّ علامة الاستفهام

النجمة والسهم :

جورج هندل

ساعي البريد :

المرور على البيوت بالترتيب التالي ١ ـ ٦ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٥ ـ ٤ ـ ٨ ـ ٧ ـ ٩ ـ .

أين الصواب .. وأين الخطأ :

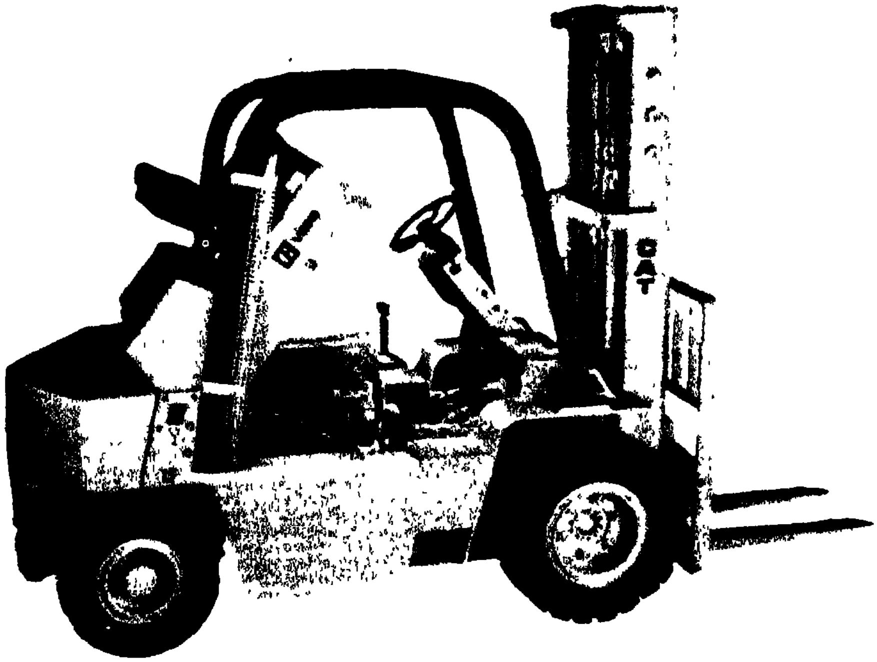
جميعها صحيحة فيما عدا التالي

٣ ـ الباصون : آلة نفخ موسيقية .
٥ ـ جران كولي : سدّ شهير على نهر كولومبيا .
٧ ـ سان سانس : موسيقي فرنسي وضع الحان شمشون ودليلة .
٨ ـ فان الين حزام من الاشعاعات حول الأرض

الشكل المطلوب :

رقم (٤) .

8091



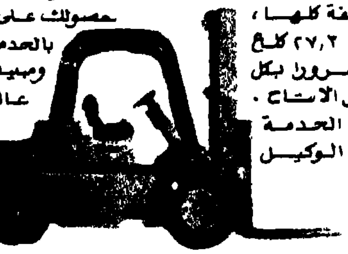
ما تصممه كاتربلر وتبنيه
تدعمه كاتربلر وتسانده

سهولة الوصول الى القطع والاجزاء، الصيانة البسيطة، والنقاط القليلة للفحص والمعاينة. هذه هي بعض صفات ومزايا شاحنات كاتربلر ذات الرافعة، المصممة لضمان نفقات تشغيل متدنية، مقابل الحصول على قيمة اجمالية عالية. فالجودة والنوعية الفائقة مدمجة في كل من الموديلات الحسين المختلفة كلها، التي تتراوح قدراتها بين ١٠٠ و ٢٧,٢ كلغ انطلاقا من لوحة الرسم ومرورا بكل مرحلة من مراحل الانتاج. وتمتد قيمة كاتربلر لتشمل الخدمة التي تحصل عليها من الوكيل

"قد تشمل: مساعدة ومشورة الخبراء فيما يختص باختيار الشاحنة. الصيانة والخدمة. توفر القطع بسرعة لضمان حصولك على القطعة التي تحتاجها عندما تحتاجها وبذلك لا تهدر أموالك في انتظار القطع أو تضطر للاحتفاظ بمخزونات من القطع الباهظة التكاليف"

ونحن نوجز ذلك بعبارة CAT PLUS التي تضمن حصولك على شاحنة ذات رافعة مدعومة بالخدمة والصيانة، علاوة على كونها مصممة ومبنية لتأمين حصولك على قيمة اجمالية عالية، بتكاليف اجمالية مخفضة.

وهذا سبب وجيه للاتصال بوكيل كاتربلر الآن



Caterpillar Tractor Co هي ماركات مسجلة لشركة Cat Caterpillar

أبو ظبي محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ٤٤١، ابوظبي الامارات العربية المتحدة، تلفون ٢٢٣٨٧ **البحرين** محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ٥٣٥٧، المنامة، تلفون ٧١٣٦٠٧
دبي محمد عبد الرحمن البحر ص ب ١١٧٠ دبي الامارات العربية المتحدة تلفون ٢٥٥ ٦ **مصر** مابراك، ٢٢ شارع امين فكري، محطة الرمل، الاسكندرية، تلفون ٨٠٧٨٩٧
الاردن شركة الجرارات والمعدات الاردنية المحدودة جبل الحسين ص ب ٣١٣ عمان، تلفون ٤٣/٤٢/٦١١٤١ **الكويت** محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ١٤٨، الصفاة، الكويت، تلفون ٥٦/٨١٠٨٥٥ **لبنان** م. عبد حلاد واولاده ص ب ١١٠٢٠٨، بيروت، تلفون ٩٣٢٥٢٢ **الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية**
الشركة العامة للآلات والأجهزة والمعدات الزراعية، سيدي مصري، ص ب ١٤٨، طرابلس الغرب، تلفون ٣٢٥٢٠ فرع بنغازي، تلفون ٩٢٣٢٩ **سلطنة عمان** شركة الواحة للتجارة والمعدات، ص ب ٢ ١ مطرح، مسقط، تلفون ٢١٦٠ **قطر** محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ٢١٧١، الدوحة تلفون ٢١٠٢٦ **المملكة العربية السعودية**
شركة الزاهد للتراكتورات والمعدات الثقيلة المحدودة، ص ب ١٥٨٨، جدة، تلفون ٧٧٠٠ فرع الدمام تلفون ٢٢٥٩٤ الرياض، تلفون ٢٨٤٦٨ **الجمهورية التونسية**
مؤسسة بي. مارسيل، شركة مساهمة، ٩١ جادة فرنسا، تونس تلفون ٢٥٦٥٧٧ **المغرب** الشركة المغربية لمؤسسات بي مارسيل، ١٤٥ بولفار المقاومة، الدار البيضاء، تلفون ٣٠٥٦٧٥
سوريا م. عبد حلاد واولاده ص ب ٢٣، شارع حسين العسلي، دمشق، تلفون ١٩١٤٨٥٤ فروع في حلب، واللاذقية، والقامشلي

من المسرح العالمي

أوّل اكتوبر ١٩٧٩

١٢١

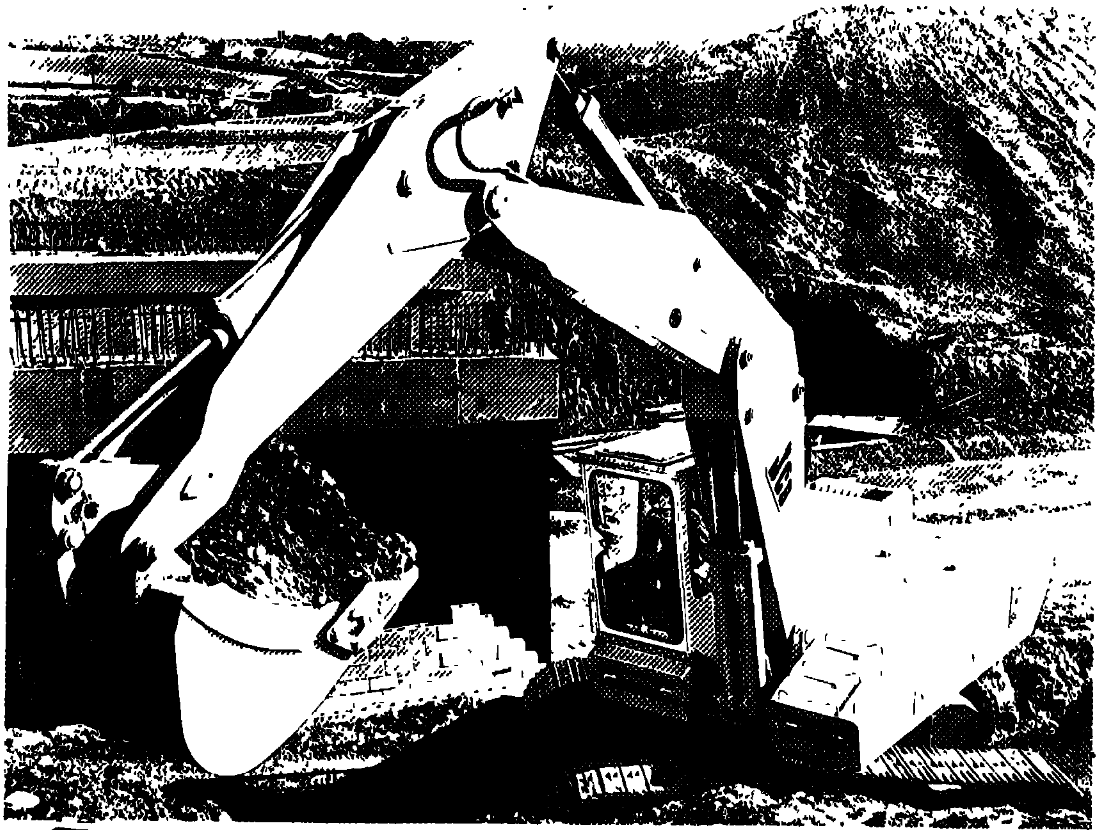
مضيفة النزلاء

تأليف : جاك أوديبرتي

ترجمة وتقديم : د. نعيم عطية

مراجعة : يحيى حقي

جي سي بي عندما تتطلب الافضل فقط



إن جي سي بي هي مؤسسة بريطانية مصدرة لآلات البناء خاصة منة بالمئة ونوعية منتجاتها المعتمدة قد مكنت جي سي بي من تحقيق نجاحات رائعة في كافة انحاء العالم بالمقابلة مع شركات البناء ذات الجنسيات المتعددة

وجي سي بي تنتج تشكيلة من الحفارات الزاحفة الهيدروليكية، وشاحنات الحرف المفصلية ذات العجلات، وحفارات جي سي بي المحملة ذات الشهرة العالمية التي تحتل المركز القيادي في اسواق اكثر من ٥٠ خمسين بلداً

إن هذه المكائن تم تجربتها على مدى سنين طويلة وفي ظروف مناخية قاسية ومتنوعة في اكثر من ١٠٠ بلد

وكموزعين محليين لـ جي سي بي، فاننا نفخر بأن نقدم لكم تشكيلة واسعة من حفارات جي سي بي المحملة، والمحملات ذات العجلات والحفارات الزاحفة التي تقترن بخدمات الاسناد

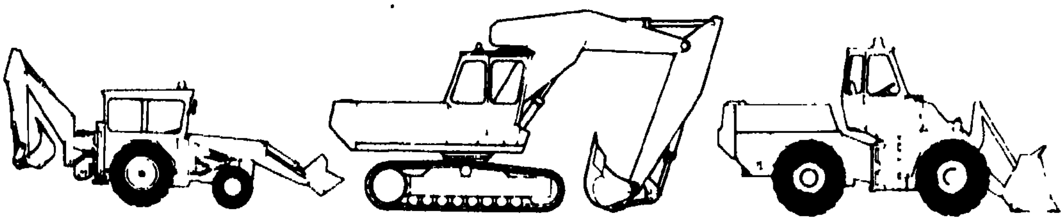
عندما تتطلب الافضل، اختر جي سي بي.

JCB Sales Ltd, Rocester, Staffordshire, England ST14 5JP
Tel 0889-590312 Telex: 36372

ويحصل موزعو جي سي بي في: الجزائر، البحرين، قبرص، مصر، اثيوبيا، ايران، العراق، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، عمان، قطر، المملكة العربية السعودية، تونس، تركيا، السودان، الامارات العربية المتحدة، الجمهورية العربية اليمنية. للمعلومات اتصل بـ..

من أجل معلومات أوفى إتصل بـ..

JCB Sales Ltd, Branch Office, Floor 4, No 19 Syngrou Avenue, Athens 403, Greece. Tel· Athens 922 6718. Telex·219314.



حفارات جي سي بي الزاحفة ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨ ـ تشكيلة الجارفات من ٠،٣ م مكعب إلى ١،٤ م مكعب ـ اعماق الحفر من ٥،٨ مترا إلى ٦،٨٠ مترا

[illegible]

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

البيئة ومشكلاتها

تأليف :

رشيد حمد الحمد - محمد سعيد صباريني

الكتاب الثاني والعشرون

٢٥٠ فلساً

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

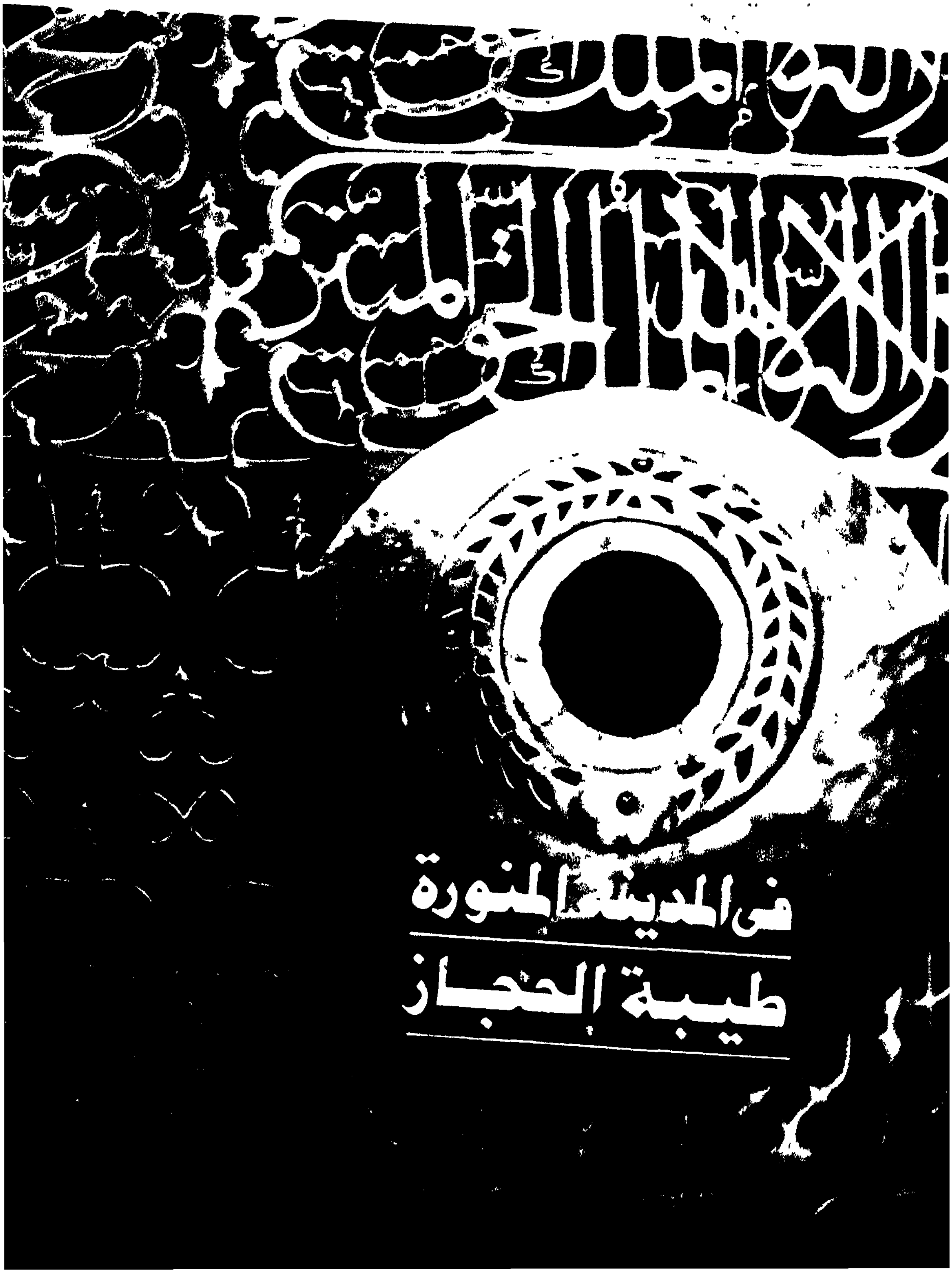
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

العربي

العدد ٢٥٢
ذو القعدة ١٣٩٩ هـ
(نوفمبر)
(تشرين ٢) ١٩٧٩



عزيزي القاريء

● في هذا الشهر ، يحتفل العالم الاسلامي بعيد الاضحى المبارك ، ويبدأ المسلمون عام وداع القرن الهجري الرابع عشر ، استعدادا لاستقبال القرن الهجري الجديد باذن الله .

ولم نجد وسيلة نعبر بها عن مشاعرنا ازاء هاتين المناسبتين ، الا ان نصحبك معنا ـ عزيزي القاريء ـ في زيارة للمدينة المنورة ، ولقبر الرسول ﷺ . ففي تلك المدينة الطاهرة ، التي شهدت مولد دولة الاسلام ، وضمت بين جناحيها جثمان نبي الاسلام ، قضت بعثة العربي عشرين يوما ، حاولت خلالها ان تنقل القاريء الى المدينة ، وتنقل المدينة الى القاريء .. في سياحة عريضة تمتد قبل الاسلام وبعده ، وحتى زمننا هذا .

وقد فرض جلال المناسبتين نفسه على هذا العدد من العربي ، من مقال رئيس التحرير على الصفحات الاولى ، الى دراسة الشهر على الصفحات الاخيرة ، الامر الذي قد يلحظ فيه القاريء قدرا زائدا من « الدسم » امتد حتى موضوع مثل « الغناء » ، والذي عالجه الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة ، أحد أبرز أساتذة الفلسفة في عالمنا العربي ، عارضا رأى الامام أبو حامد الغزالي فيه .

ومن كاليفورنيا الى باريس ، مرورا بالخرطوم وقبرص ويوجوسلافيا ، وفي عوالم العلم والفكر والفن ، التقت كتابات هذا العدد على الهدف الاساسي ، وهو : الاحتفال بالايام المباركة التي تعيشها امتنا هذا الشهر .

ونرجو ان يكون المقال على قدر المقام !

وكل سنة وانتم طيبون . ■■

المحـــرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

شخصيات .

عروبة :

طب وعلوم .

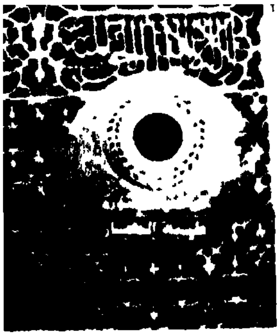
استطلاعات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI -- No. 252 November 1979 -- P.O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● من هذه الكوة الصغيرة يطل المسلمون على قبر الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة . وحول هذا المكان الطاهر اقيم المسجد النبوى . الذى يؤمه المسلمون من كل مكان . عابدين قانتين ، داعين الله بان يجعل ايام المسلمين خيرا وبركه ـ انظر استطلاع المدينة المنورة ص ٦٨ .

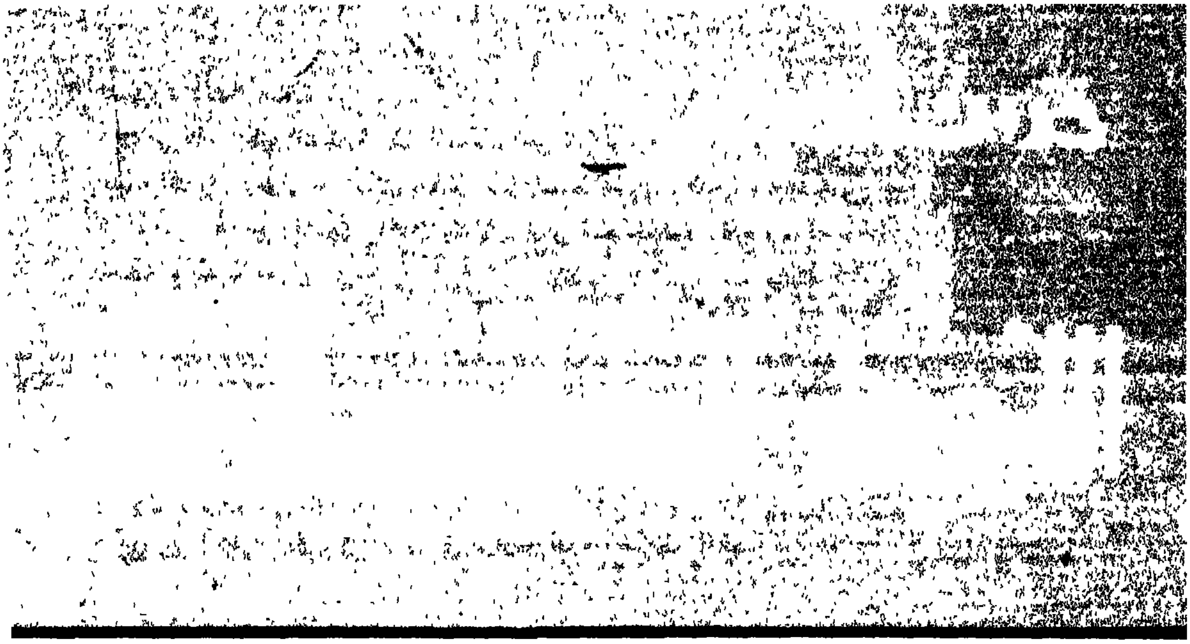
ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليما ، الجزائر ٢٫٥ دينار ، المغرب ٢٫٥ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »



حرية الرأي والعقيدة كانت

الصراع العربي الاسرائيلي ، له ابعاد مثيرة جدا ومتعددة . ساعة تبدو عناصره الاساسية بسيطة واضحة ، وساعة تبدو معقدة التركيب الى آخر الحدود .

ولسنا نعني هنا ، فضلا عن اننا لانقوى ـ في مجلة شهرية ـ على ملاحقة التطورات المتسارعة لهذا الصراع . ولكن من الممكن او من الضروري التعرض للخطوط الكبرى والاهداف العامة لقضيتنا العربية ازاء اسرائيل ، خصوصا اذا كانت معها خلفية فكرية او ثقافية ...

الحرب والسلم ، او للاحرب واللاسلم ، علاقات تتوالى بين الدول ، او الشعوب ، او القوميات او النظم .

وتتراوح حظوظ الاطراف يوما عن يوم ، تبعا لعلاقات القوة في فترة ما ، وللظروف المحلية ، والظروف الدولية ، وغيرها ... خصوصا ونحن في عالم يزداد تقاربا وتأثرا متبادلا ، فلم تعد هناك ازمة او مشكلة او قضية ، يمكن عزلها عن ظروف العالم الذى نعيش فيه ، وتفاعلاته المتغيرة ...

من هذا المنطلق ، كنت ولا ازال لا اتصور للصراع العربي الاسرائيلي الا نهاية بعيدة . قد تتوالى الفصول وتتعدد الوقفات والنهايات الوقتية . ولكن نهاية « طبيعية » حقيقية ، لا سياسية فحسب ، لن تكون الا بوجود مجتمع يهودى ، مهما كان الاسم السياسي الذى سوف يحمله ، يعيش

المفتاح السحرى فى يد العرب

بقلم : أحمد بهاء الدين

تحت ظل وارف من وجود مجتمع عربي واسع كاليم ، له قيمه الحضارية والانسانية التي تتسع لهذا الوجود وامثاله في البحر العربي الفسيح .

بمعنى آخر : مجتمع يهودى يرضى عنه العرب ، بل ويكونون هم حفاظ عليه .. وليس « قوة كبرى محلية » ، روابطها وشخصيتها اجنبية تماما ، تمارس دور الارهاب والفرض والاقتناص من هذا العالم العربي الفسيح .

كيف يكرر التاريخ نفسه

والتاريخ لا يكرر نفسه ، على الاقل لا يكرر نفسه بنفس الاسلوب . ولكن هذا لا ينزع عن الشهادة التاريخية قيمتها تماما . ذلك ان التاريخ لا تتكون احداثه من فراغ ، ولكن وقائعه تنشأ من ظروف معينة . فهو يتشابه ولو بوسائل شتى بتشابه الظروف .

والظرف المتشابه الذى ينطلق منه تفكيرنا ، هو وجود حضارة عربية قوية متجددة ، يمتزج فيها أحسن ما في ماضيها بأحسن ما يمكن أن نحققه في حاضرها ومستقبلها ..

لو قام هذا الظرف ـ وما اظن الا انه يوما سيقوم ـ فلا يمكن تصور اى صيغة اخرى للعلاقة العربية الاسرائيلية .. او غيرها من العلاقات في المنطقة ..

تجربة الاندلس

وقبل ان نخوض في المراجع الاسرائيلية ، من حقنا ان نعود الى مؤلفات المؤرخ العربي الكبير النزيه عبد الله عنان ، أهم من أرخ للاندلس في العصور الحديثة .

ينقل الاستاذ عبد الله عنان عن « ابن خلدون » قوله : ان شمال افريقيا الغربي كانت توجد فيه قبل الفتح الاسلامي قبائل يهودية ، تلقت تعاليمها الدينية من بنى اسرائيل في المشرق . ولكن تلك الاقطار كانت تحت حكم الامبراطورية قبل الاسلام . وكانت تتعرض لغزوات « الوندال » من شواطىء فرنسا واسبانيا . وكانت الامبراطورية الرومانية تعمل على تنصير الاهالي بالقوة . فمنهم من تنصر ومنهم من تعرض لعذاب شديد .

« وكان يهود الجزيرة (شبه جزيرة ايبيريا التي هي حاليا اسبانيا والبرتغال) كتلة كبيرة عاملة ، ولكنهم كانوا موضع البغض والتعصب والتحامل ، يعانون اشنع الوان الجور والاضطهاد . وكانت الكنيسة منذ اشتد ساعدها ونفوذها تحاول تنصير اليهود ، وتتوسل الى تحقيق غايتها بالعنف والمطاردة . ففي عهد الملك سيزبوت فرض التنصر على اليهود او النفى او المصادرة ، فاعتنق النصرانية كثير منهم كرها ورياء (سنة ٦١٦ ميلادية) . ثم توالت عليهم بعد ذلك صنوف الاضطهاد والمحن ، حتى ركنوا مرة الى التآمر وتدبير الثورة ، وتفاهموا مع يهود المغرب على المؤازرة والتعاون . ولكن المؤامرة اكتشفت قبل نضجها (٦٩٤ ميلادية) ، وكان ذلك في عهد الملك راجيكا ، فقرر ان يشتد في معاقبتهم ، واجتمع مؤتمر الاحبار في طليطلة للنظر في ذلك . واجاب الملك الى ما طلبه ، وقرر معاقبة اليهود باعتبارهم خوارج على الدولة يتآمرون على سلامتها ، ولانهم ارتدوا عن النصرانية التي اعتنقوها من قبل . وقرر ان ينزع املاكهم في سائر الولايات الاسبانية وان تحول الى جانب العرش ، وان يشردوا ويقضى عليهم بالرق الابدى للنصارى . وان يهبهم الملك عبيدا لمن يشاء ، وان لا يسمح لهم باسترداد حرياتهم ما بقوا على اليهودية ، وان ينزع ابناؤهم منذ السابعة ويربون على دين الناصرية . والا يتزوج عبد يهودى الا بنصرانية ، ولا تتزوج يهودية الا بنصراني . وهكذا عصفت يد البطش والمطاردة باليهود ايما عصف . فكانوا قبيل الفتح الاسلامي ضحية ظلم لا يطاق وكانوا يتوقون الى الخلاص من هذا

النير الجائر ، ويرون في اولئك الفاتحين الذين يتركون للناس حرية الضمائر والشعائر مقابل جزية ضئيلة ، ملائكه منقذين » .

كانت هذه الصورة للواقع اليهودى في المغرب والاندلس بين سنتى ٦١٦ و ٦٩٤ ميلادية تقابل - في المشرق - الفترة الواقعة بين الهجرة النبوية تقريبا وخلافة عمر وفتح الشام وفارس ومصر والعراق ، وخلافة علي . وقيام الدولة الاموية ، ثم اول اصطدامات ضد البيزنطيين في ديارهم ذاتها ، واول حصار للقسطنطينية سنة ٦٧٩ ميلادية . ولم يتأخر فتح الاندلس (٧١١) كثيرا .

ولا شك ان كسر العرب لشوكة الامبراطورية الرومانية في عقر دارها ، كان اكبر عامل لسكان شمال افريقيا واسبانيا على الثورة ، واكبر امل لهم في الخلاص .

.. وصول طارق بن زياد

ولذلك لم يكن غريبا ، حين عبر طارق بن زياد بجيوشه الى اسبانيا ، ان « اليهود كانوا يعاونون المسلمين في تلك الفتوح .. وعندما وصل طارق بن زياد بجيوشه الى طليطلة مخترقا هضاب الاندلس .. كان القوط قد فروا ، ولم يبق بها سوى اليهود وقليل من النصارى ، فاستولى طارق عليها ، وابقى على من بقى من سكانها ، وترك لاهلها الكنائس ، وترك لاحبارها حرية اقامة الشعائر الدينية .

يقول المؤرخ الامريكي سكوت « .. كان دفع الجزية يضمن الحماية لاقل الناس ، وكان يسمح للورع المتعصب ان يزاول شعائره دون تدخل ، كما يسمح للملحد ان يجاهر بآرائه دون خشية المطاردة ، والاحبار يزاولون شئونهم في سلام ! » .

حرية الرأى والدين والعقيدة

حرية الرأى والدين والعقيدة ، كانت مفتاح الحضارة العربية الذى فتحت به الابواب على ظلام العصور الوسطى في اوروبا نفسها . ومازالت ولا تزال في كل مكان مفتاح كل تقدم ...

يقول المستشرق الاسباني جاينجوس « لقد سطعت في اسبانيا اول اشعة لتلك المدنية التى نثرت ضوءها فيا بعد على جميع الامم النصرانية ، وفي مدارس قرطبة وطليطلة العربية ، جمعت الجذوات الاخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء . والى حكمة العرب ، وذكائهم ،



1.



يهودي اسباني امام محاكم التفتيش بعد حروج المسلمين من الاندلس من كتاب ابا ايبان عن قصة اليهود

توسي يهودي يصلي في معبد يلاحظ ابا ايبان على الصورة تأثر بناء المعبد اليهودي بفن العمارة الاسلامي المغربي

يرجع الفضل في كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها » .

ويقول المؤرخ لين بول « انشأ العرب حكومة قرطبة التى كانت اعجوبة العصور الوسطى ! بينا كانت اوروبا تتخبط في ظلمات الجهل ، فلم يكن سوى المسلمين من اقام بها منائر العلم والمدنية » .

ويعود الاستاذ عبد الله عنان ، وقد استقرت الاندلس وازدهرت فيقول في سياق حديثه « اما اليهود فقد كانت منهم اقليات في معظم المدن الأندلسية تتمتع بحماية الحكومات الاسلامية ورعايتها . وقد ازدهرت هذه الاقليات اليهودية فيما بعد ، وظهرت منها شخصيات بارزة تولت مناصب كبيرة في الدولة ، وغلب نفوذها في بعض المناطق ، كما حدث في مملكة غرناطة ، وظهرت كذلك في ميدان العلوم والاداب ، ونبغ منها علماء نابهون مثل ابن ميمون وغيره » .

اول مرة تشيع القراءة والكتابة

وفي سياق آخر من تاريخ عبد الله عنان الضخم عن الاندلس ، يروى ان الاندلس كانت اول بلد في اوروبا تشيع فيه القراءة والكتابة بين الناس ، بينما كانت في بقية اوروبا مقصورة تقريبا على رجال الدين . وفي عصر « الحكم المستنصر » الذى انشأ المكتبة الاموية الكبرى ، شاع اقتناء الكتب واقتناء المكتبات الخاصة « وكانت سوق الكتب في قرطبة من اشهر الاسواق واحفلها بالحركة ، وسرى هذا الشغف باقتناء الكتب الى النصارى واليهود » بعد ان شاعت اللغة العربية بينهم « وكان كثيرون منهم يتذوقون ثمرات التفكير العربي من ادب وشعر وفلسفة وغيرها ، وكان من اشهر هؤلاء الطبيب اليهودى حسداي ، طبيب الحكم الخاص ، وفي ظله وتحت رعايته كتب يهود قرطبة باللغة العربية ، والفوا بها مختلف الكتب . وكان من اشهر المكتبات الخاصة فيما بعد ، مكتبة يوسف بن اسماعيل ابن نغرالة اليهودى ، وزير باديس أمير غرناطة » .

ومن اكثر الفقرات دلالة ، قوله « ويجب اخيرا ان لاننسى الاقلية اليهودية . فقد عومل اليهود منذ الفتح بمنتهى الرفق والرعاية ، وازدهرت اعمالهم التجارية والصناعية في ظل ذلك التسامح الاسلامي المأثور . ووصلوا في قرطبة في ظل الخلافة الى ذروة النفوذ والرخاء . وفي ايام الناصر تولى أحدهم ، وهو العلامة حسداي بن شبروت ، الاشراف على الخزانة العامة ، وكان قبل ذلك قد حظى برعاية الناصر لخدماته الدبلوماسية ، وترجمته لكتاب ديستوريدس عن الاعشاب الطبية ، من اليونانية الى العربية ، وهو الكتاب الذى اهدى قيصر منه نسخة الى الناصر . وفي ظل هذه الرعاية ، وفد كثير من العلماء والادباء اليهود الى قرطبة ، ايام الناصر وولده الحكم ، وقامت في ظل نشاطهم مدرسة قرطبة التلمودية ، ومؤسسها الرابى بن حنوش ، وازدهرت في ظلها البحوث

التلمودية ، وغدت مركز الرياسة والتوجيه لهذه البحوث . واستمرت الخلافة الاموية ، ومن بعدها حكومات الطوائف على رعاية الاقلية اليهودية وتشجيعها . وكان يهود قرطبة يرتدون الزى العربي ، ويتخلقون بالتقاليد والعادات العربية ، ويمتازون بثرائهم ومظاهرهم الفخمة » .

دراسة اسرائيلية جديدة

وفي بحث حديث جدا ، منشور منذ شهور قليلة ، للكاتب الاسرائيلي « الفريد مورابيا » ، عنوانه « الثقافة اليهودية في اسبانيا الاسلامية » » ، نجده يعطينا تقريبا نفس الصورة التي رسمها المؤرخ العربي الكبير . ومن اخذ عنهم من المؤرخين الاسبان ...

ويستهل « الفريد مورابيا » دراسته بكلمة للاستاذ ج . فاجولا ، يقول فيها « لم يحدث طيلة العصور الاولى وحتى آخر القرون الوسطى ان حققت اليهودية المبعثرة ذاتها في بيئة غير يهودية ، كما فعلت في اسبانيا » . يقصد بذلك العصر الاندلسي الاسلامي هناك ...

ومعظم هذا البحث ، يقدم لنا ما يشبه القائمة الطويلة لاسماء اهم اليهود الذين ترعرعوا في ظل الدولة الاسلامية في الاندلس وتأثروا بها وتركوا لليهود اهم تراثهم .

وهو يركز ـ من باب الاختصار ـ اختياره في مجالات اربع هي : الدين ، واللغة ، والشعر ، والفلسفة ...

والقائمة طويلة جدا ...

ولكن ، يكفي تسجيل بعض الملاحظات عليها :

اولا ـ ان القائمة ، التي هي على سبيل المثال لا الحصر ، طويلة جدا وغزيرة . وان ابحاث هؤلاء العلماء لم تتناول فقط علوم الحياة كالطب والهندسة . ولكن الكثير منها تخصص اما في تعميق وايجاد اسس للغة العبرية ، واما لتعميق وتحليل وشرح اسس الديانة اليهودية .

والدين واللغة امران من أهم الامور التي تحفظ استمرار اى شعب . والتسامح الاسلامي في هذا المجال بالذات يلفت النظر وله اهمية خاصة . لانه يدل على اتساع الحضارة الاسلامية العربية لهذه الاعمال التي اصبحت اهم مراجع التراث اليهودي . في حين كان الشائع في غير ذلك العصر ، تشجيع اصحاب الاديان الاخرى فقط على الامور الدنيوية من طب وهندسة ، لانها تفيد الجميع .

ومؤرخون يهود ـ مثل ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق ـ يحاولون اذا ذكروا فضيلة

التسامح ان يبرروا بروز اليهود بأبحاثهم الدنيوية فقط او كفاءتهم في الطب مثلا وسنعود لذلك بعد قليل

ولكن دلالة التسامح والتشجيع في صدد دراسات تستكمل وضع قواعد اللغة العبرية والديانة اليهودية ، اكبر واعمق فهي تدل فوق استناره السلطة الحاكمة وتسامحها في حرية العقيدة ، على ثقة هائلة بالنفس

ثانيا ـ ان معظم هذا التراث اليهودي ، في تلك المواضيع وغيرها مكتوب باللغة العربية التي كان يعلمها ويتقنها هؤلاء واننا أيبان نفسه يعترف في احد كتبه بأن حوالى ٦٠ في المائة من التراث اليهودى ما زال غير مترجم الى العبرية بعد

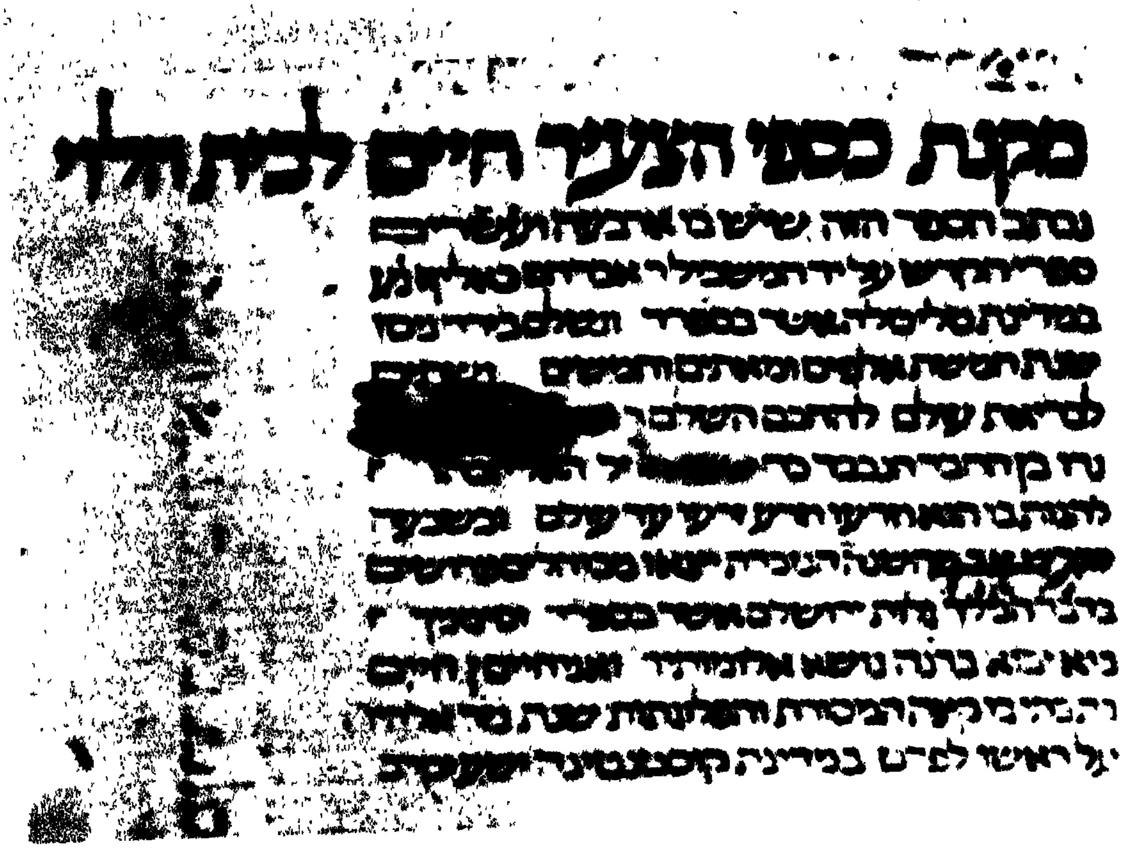
ثالثا ـ ان هؤلاء المؤلفين . لم يكن عملهم مقصورا على ابحاثهم هذا في الاندلس الاسلامية فقط انما نجد الكثيرين منهم جابوا افاق العالم الاسلامي العربي في ذلك الوقت من بغداد شرقا الى طليطلة غربا بعضهم طلبا للعلم وبعضهم لينشر افكاره عن اليهودية بين يهود العالم العربي في شتى اماكنهم ، كما يقول المؤلف الاسرائيلى الفريد موراسا في بحثه هذا الذى نعرض له : كان التسامح اذن يشملهم في كل العالم العربى الاسلامى ، بينما كانوا لا يجسرون على الحركه في نصف العالم الاخر في ذلك الوقت كل ما هو شمال البحر الابيض من دول اوروبه مسيحية . فنجد مثلا

اسحق الفاسي ، الذى ولد في « قلعه حماد » بالقرب من قسنطينة « الجزائر الان » واستمد اسمه من فاس التى عاش فيها معظم عمره ، وتلقى دروسه في القيروان وعاش حتى الخامسة والسعين من عمره بين المغرب والاندلس يقول المؤلف الاسرائيلى انه من أهم من فسروا التلمود ، ونشر تعاليمه بين تلامذه مثل يوسف بن ميجاش ويهوذا هاللى ، وافرايم الحمادى (نسبة لقلعة بنى حماد) وباروخ بن الباليه ، وكان يرسلهم الى انحاء العالم الاسلامى حيثما وجد مجتمع يهودي لنشر تعاليمه

ـ مناحم ابن ساروق . صاحب اهم قاموس عبري تلمودي الى الان . والوحيد الذى كتب قاموسا حتى ذلك الوقت بالعبرية مباشرة ، اذ كان معظم الكتاب اليهود يكتبون بالعربية ، ثم تترجم بعض اعمالهم الى العبرية

ـ دوناش بن الابرط الذي ولد في بغداد ، وتتلمذ على يد « سعيد بن حاعون » ثم جاب العالم العربي حتى استقر في فاس . وكان لغويا وشاعرا .

ـ يهودا بن داود الذي يعتبر مؤسس قواعد اللغة العبرية الى الآن ، وقد ولد في فاس وكتب



يقول ابا ايبان عن هذه الوثيقة « بدأت كتابتها في طليطلة ، وانتهت كتابتها بعد طرد اليهود من اسبانيا ، في القسطنطينية الاسلامية ، وهي دعاء خلاصته : رجاء ان يأتي الخلاص قريبا » .

مؤلفاته في تاصيل قواعد اللغه العبرية باللغه العربيه ، وترجمت بعد ذلك واستعان بكثير من قواعد اللغه العربية في وضع قواعد جديدة للغه العبرية

ـ موسى بن عزرا احد اهم الشعراء العبرانيين واهم مؤلفاته اسمه بالعربيه « كتاب المحاضرة والمذاكرة »

ـ يهودا الحريزي الذي وصفه المؤلف بأنه كان يسافر كثيرا بين الاندلس ، ومصر ، وفلسطين أو سوريا ، وما بين النهرين (اي العراق) يقدم اعماله الفنية والفكرية لكل مجتمع يهودي وهو اول من احذ شعر « المقامات » من العرب واستخدمها باللغة العبرية

ـ وفي مجال الفلسفة يقول الباحث الاسرائيلي إن الاندلس الاسلامية كما اعطت للعالم كله ابن طفيل وابن رشد وغيرهما ، فقد تربى ونشأ في اعقابهم اهم فلاسفة اليهودية مثل « باهي بن باقودة » الذي الف احد اهم كتب الفلسفة اليهودية بعنوان « كتاب الهداية الى فرائض القلوب » ولم يترجم كتابه الى العبرية الا بعد مائه سنة من تأليفه .

الى احره الى آخره

المؤرخ .. والسياسي

واذا عدنا بعد ذلك الى « ابا ايبان « المؤرخ والسياسي قبل ان يكون استاذ تاريخ ، نجده لا ينكر شيئا من هذا في الاساس ...

بل يقول في كتابه « قصة اليهود » ان اليهود لم يعرفوا درجة من الازدهار وتحقيق الذات طوال التاريخ كله الا مرتين . مرة في الولايات المتحدة الامريكية اليوم ، ومرة في الانـدلس الاسلامية منذ قرون !

ونقول له ان هناك مع ذلك فارقا . فما وصلوا اليه في الولايات المتحدة جاء بعد العصر الحديث وانتشار التنوير في العالم كله . في حين انهم وصلوا الى ذلك في الاندلس ، في العصور الوسطى . ووسط ظلامها ، وفي اوج التعصب والاضطهاد الديني في اوروبا !

ثم ان ابا ايبان ـ كما سبق وذكرت ـ يركز على الذين برزوا في ظل العالم العربي في تلك الحقبة بمهاراتهم الشخصية في الطب او المال او الهندسة او الترجمة . ومن الطبيعي ان لا يبرز ولا يوضع في كتب التاريخ الا اسماء الاكفاء والمشهورين . ولكن اليس هذا البروز بحاجة ، فوق الكفاءة ، الى شيء آخر .. وهو جو التسامح واحترام حرية العقيدة ؟

ان النابهين لا يبرزون فجأة في عصر دون عصر ولا في قطر دون قطر انما يبرزهم عنصر أساسي يسمح للموهبة أن تتفتح الى أقصى قدراتها . وذلك هو جو احترام حرية العقيدة .

اى دور يريدون ؟

والغريب ان ابا ايبان يقول في احدى صفحات كتابه عن « قصة اليهود » ان سبب بروزهم قام على اتقانهم اللغات المختلفة ، بحكم وجودهم في اقطار مختلفة . وبالتالي كانوا ضروريين للنقل والترجمة بين تلك الاقطار . وبين عالم العرب وعالم اوروبا مثلا في تلك الحقبة التـي نتحدث عنها . وهو من حيث لا يشعر يحاول ان يجعل هذا دورا خالدا لليهود ، يميزهم عن سائر الدنيا ، ويجعلهم ضروريين لتسيير هذه الدنيا

وهو بهذا يهزم قضيته من وجوه كثيرة دون ان يدري

صحيح انهم قاموا طويلا بدور المبعوثين والمترجمين بين الدول . .

ولكن هذا يفترض دوام وجودهم في « الشتات » ، بعكس العقيدة الصهيونية التـي تريد جمعهم في وطن واحد .

ثم ان هذا كان مفهوما في عالم كانت القراءة والكتابة ودراسة اللغات كلها مقصورة على القلة النادرة ، لضرورات الفكر والاطلاع او لضرورات العامل التجاري والسياسي . وكانت مقصورة تقريبا على رجال الدين .

اما الان ، وقد اصبح التعليم ومعرفة اللغات شيئا شائعا وأساسيا بل ومفترضا وجوده في اي مجتمع انساني .. فان هذه الوظيفة الخاصة قد انتهى دورها . ولم يعد دور اليهودي العالمي مطلوبا !

والواقع ان الاسرائيلي حين يكتب يحتار دائما بين اختيار دور المواطن الصهيوني وبين دور المواطن العالمي وهما نظرتان مختلفتان .

ولنا عودة الى كتابات أبا ايبان ، فهي آلاف من الصفحات .

وبعده ...

فلم يكن موضوع هذا الحديث كل العلاقة العربية الاسلامية اليهودية . والا لطال الحديث ولذكرنا آلاف الأدلة على أن ازدهار العرب وتحضرهم وقوتهم كانت تلقائيا تعطى اليهود فرصة اكبر ...

وانه ليكفي ان نذكر ان عمر بن الخطاب هو الذي اعادهم اول مرة الى القدس بعد ان حرم الرومان عليهم سكنى المدينة

وان صلاح الدين الايوبي هو الذي اعادهم مرة ثانية بعد ان هزم الصليبيين ، الذين حرموا اليهود بدورهم من مجرد الاقتراب من القدس .

ولكن الحديث انصرف اساسا الى تجربة واحدة ، هي التجربة الاندلسية ، التي لم يتسع المجال مع ذلك الا لمجرد سرد لمحات خاطفة منها . تثبت صواب ما ذهبنا اليه في اول هذا الحديث على المدى التاريخي .

❋ ❋ ❋

ان النظرة التاريخية المفصلة ، تثبت قول بعض الباحثين اليهود انفسهم ، من ان عصر التنوير العربي في اوج الامبراطورية الاسلامية وحضاراتها ، هو الذي لعب اكبر دور في حفظ استمرارية اليهود كبشر ، وكتراث ، وتاريخ ، ومعتقدات .

فلم يكن لهم طول التاريخ مكان آخر يتنفسون فيه . ■■

احمد بهاء الدين

الدين في عصر العلم

بقلم الدكتور : عون الشريف قاسم

كانت الحرب العالمية الثانية حدا فاصلا بين عهدين في تاريخ البشرية ، وبداية لتحولات جذرية على كافة المستويات في الفكر والسياسة والاجتماع . فقد دخل العالم فيها عصره الذري الاول وشهد في اعقابها تكريس انقسام العالم الى معسكرين ايديولوجيين لم يلبثا ان فقدا مع الزمن تماسكهما وقوتهما ، فانهارت الامبراطوريات الراسمالية في افريقيا وآسيا ، وتقلصت كل من انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا ـ واخيرا البرتغال ـ الى حجمها الطبيعي داخل حدودها الجغرافية .

وسعت الولايات المتحدة الامريكية الى وراثة هذا الماضي الاوربي ، ولكن نضال الشعوب المستضعفة خاصة في الهند الصينية وضع حدا حاسما لمثل هذا التطلع غير المشروع ، فارتد الأمريكان على اعقابهم بعد حرب فيتنام يبحثون عن دور جديد في استراتيجية العالم .

ولم يكن المعسكر الشرقي الوليد بأحسن حالا من المعسكر الرأسمالي العتيق ، فقد دبت الخلافات الايديولوجية والقومية بين دوله ، مما اضطرت معه الدولة المهيمنة الى استعمال القوة لبعض الوقت لوضع حد للتفتت والانفلات ، ولكن هيهات ! فقد كان التطور الاجتماعي والفكري أقوى من كل رابطة ايديولوجية وعسكرية ، فانشق العالم الماركسي على نفسه ، وانعكس ذلك على فكرة الأممية فاستحالت الى قومية تبشر بها الاحزاب الشيوعية في دول المعسكر الشرقي وفي الدول الغربية على السواء ، وفقدت النظرية الماركسية في اثناء ذلك اهم اركانها الفكرية من مثل (دكتاتورية البروليتاريا) التي الغتها معظم الاحزاب الشيوعية في العالم الغربي من برامجها ، ومن مثل (العنف الثوري للوصول للحكم) الذي استبدلت به كثير من الاحزاب الشيوعية الاوربية طريقة الانتخاب الديمقراطي للوصول الى الحكم .

وكان لابد للمنافسة الاقتصادية بين الشرق والغرب من ان تترك آثارها الواضحة على شعوب اوروبا الشرقية التي بدأت تتطلع الى تحسين مستوى حياتها بطلب المزيد من بضائع الاستهلاك بدل التركيز على الصناعات الثقيلة وصناعة الاسلحة ، فانفتحت ابواب المعسكر الشرقي للشركات الغربية لسد النقص في بضائع الاستهلاك في الاسواق الشيوعية . وكان ذلك دافعا للاتحاد السوفيتي ليلتقي مع الولايات المتحدة الامريكية للبحث عن الدور الجديد الذي عليهما ان يلعباه في الاستراتيجية العالمية الجديدة . وما سياسة التعايش السلمي ، وما تبعها من سياسة الوفاق ، إلا تعبير عن احساس الدولتين الكبريين بان مصالحهما المشتركة كدولتين صناعيتين في مواجهة بقية العالم تجعل الخلافات الايدولوجية بينهما تأتي في المقام الثاني ، وفي ذلك ما فيه من إشارة الى أن التقدم العلمي والصناعي هو اساس التجمع والتحالف ، وان حروب المستقبل ستكون حروبا اقتصادية اكثر منها ايديولوجية ، والدلائل كلها تشير الى الفجوة التي تزداد اتساعا بين الدول الصناعية المتقدمة والدول المنتجة للمواد الخام المتخلفة .

تغيير شامل في المواريث

وقد كان لكل ذلك آثاره على الصعيد الفكري والحضاري . فقد تمخضت الازمات الاقتصادية والاجتماعية والتي اجتاحت العالم الغربي ، وما نجم عنها من اضطرابات وحروب قومية واستعمارية ، عن تغيير جذري في المناخ العقلي الموروث عن القرن التاسع عشر ، والذي كان من اهم سماته التفاؤل بمستقبل الحضارة الغربية خاصة والجنس البشري عامة ، والايمان بالعلم التجريبي كسبيل أوحد الى التطور ، مع التصديق المطلق بفكرة التقدم ، وما يتصل بكل ذلك من فكر مادي يرتكز على النظريات الميكانيكية والبيولوجية التي قام عليها العلم التجريبي ، وكلها نظريات جبرية تنظر الى الوجود كآلة دقيقة الصنع تسير سيرا ذاتيا وفق قوانين حتمية لا إرادة فيها ولا خيار .

وقد فسرت هذه النظريات نشأة الكون من عدم ، وخرجت بنتيجة ان المادة وحدها هي التي تتطور متى تهيأت لها الظروف دون تدخل من قوة عليا او ارادة الهية ، وان الانسان نفسه بحسبانه قمة التطور لا يخرج عن هذه القاعدة . وقد سعي داروين الى البرهنة على هذه النظرية من خلال نظرية النشوء والارتقاء المعروفة بنظرية التطور التي ترصد تطور الحياة من عناصرها المادية الدنيا خلال ملايين السنين وصولا الى الانسان العاقل . وقد انعكست هذه النظرة المادية الحيوية على الحياة الفكرية بدرجات متفاوتة ، وكانت اعظمها تأثيرا على الوضع الديني في العالم الغربي ، فاهتزت الاسس الدينية القائمة على ارادة الله المسيطرة على الكون ، وبدا وكأن العلم التجريبي قد جرد هذه الارادة الالهية من مفعولها ، وأنها أصبحت لا معنى لها في عالم ينشأ ويتحرك تحركا ذاتيا ميكانيكيا جبريا دون حاجة إلى عون من خارج ذاته .

وعلى هذا جاءت معظم الافكار السياسية والاجتماعية الاخرى ، فقام الفكر الماركسي ليقيم على التحليل المادي نظريته السياسية والاجتماعية في الحتمية التاريخية التي تسير الانسان خلال التاريخ كما تسير الآلة وفق قوانين مادية اجتماعية محددة لا دخل لارادة الانسان فيها . وجاء علم النفس ليدعم كثيرا من الاسس المادية في النظرة الى الانسان بحسبانه آلة تدور وفق انماط من السلوك الميكانيكي محددة ، توجهها غريزة الجنس عند فرويد ، واللاوعي الجمعي عند يونج ، وعقدة النقص عند أدلر . وقد سعى الروسي بافلوف الى توضيح استجابة الانسان الميكانيكية الى المؤثرات الخارجية بما أجراه من تجربة على الكلب الجائع الذي عوده على انتظار الطعام كلما قرع جرسا ، فكان الكلب يستجيب لقرع الجرس وان لم يكن هناك طعام .

وقد كانت هذه النظريات العلمية الواثقة المتفائلة التي تستطيع ان تتنبأ بكل ما يمكن ان يحدث في كل ميادين العلم والاجتماع وتفسره تفسيرا ماديا مما قوى من ثقة الغربيين بأنفسهم وبقدراتهم ، فتطورت المجتمعات الصناعية وازداد ثراؤها بفضل التطبيق الذكي لمنجزات العلم ، وقد انعكس كل ذلك على سيطرتها العسكرية والثقافية على معظم شعوب العالم غير الغربية . ولكن هذا التفاؤل بقدرة الحضارة الغربية على التقدم اصيب بنكسة عظيمة وهي تشهد كل افكارها تتهاوى تحت الأنظمة الفاشية والنازية والاستعمارية والقمعية ، واستحال الايمان بالعلم الى شك مريب وهو يتحول تحت ايدي الأشرار من بني البشر الى اسلحة فتاكة تفني البشر بالملايين ، وقد بلغت حصيلة ذلك اكثر من اربعين مليونا من القتلى في الحربين الكبريين وحدهما .

آثار القنبلة الذرية

واهتزت القاعدة الفكرية للنظرة المادية كلها حين تمكن العلماء من شق نواة الذرة الذي كان السبب في صنع القنبلة الذرية ، واصبحت ذرة المادة التي كان العلماء وكل الماديين يحسبونها باقية دائمة لا تتغير ولا تتجزأ ، فانية زائلة ككل شيء في الوجود ، ونسفت نظرية النسبية التي طورها اينشتاين الجبرية الميكانيكية في النظرة الى الوجود لتحل محلها النظرية النسبية ، واصبح قانون الاحتمالات في تفسير حركة المادة هو الاتجاه العلمي السائد ، بدل قانون السببية الميكانيكية القائمة على الحتمية المطلقة الموروثة من القرن الماضي .

وبذلك أوسع الجبر مجالا للاختيار ، وانفتح الباب امام حرية الارادة من جديد ، وكان لكل ذلك آثاره البعيدة المدى على الفكر الديني خاصة والفلسفي عامة . اذ ان العلم الحديث لم يكتف بتجريد المادة من مجالها الخارجي الثابت المتمثل في حركتها الملموسة في اطار الزمان والمكان فجعل كل ذلك امرا نسبيا فحسب ، بل ذهب الى ابعد من ذلك بان جرد المادة نفسها من ماديتها التي ارتكزت عليها كل النظريات في العلم الحديث . وبذلك فقدت المادة صلابتها وتفتت الى مجموعة من الذرات ، وحتى الذرات استحالت الى عوالم عجيبة التكوين مكونة من حزم من الالكترونات والبروتونات وما اليها من الاجسام الكهربية التي تتحرك في مجالاتها تحركا لا يخضع لقياس يمكن التنبؤ به ، وانما هو الى الاحتمال اقرب منه الى الجزم والحتمية . وبذلك تحولت المادة الصلبة الى طاقة مختزنة قوامها ذرات كهربائية هي في نهاية المطاف ذبذبات او موجات ضوئية يختلف العلماء في تفسيرها ، وبذلك دار العلم دورة كاملة ليلتقي في الوقت الحاضر على الأقل مع موقف الفلاسفة المثاليين الذين كانوا يقولون ان مظاهر الكون الخارجية ليست هي حقيقة الكون ، وانما هي بأشكالها التي تبدو لنا من صنع عقولنا او حواسنا القاصرة ، فلو كنا مثلا نملك عيونا مزودة بالأشعة السينية لبدت هذه المظاهر مختلفة عما هي عليه مثلما تبدو صورة الانسان الذي يتعرض لأشعة إكس .

في عصر الايمان

وليس معنى ذلك ان أساس العلم الطبيعي قد انهار ليصبح مجموعة من التصورات الذاتية تختلف باختلاف العقول ، وانما الذي تغير هو التفسير المادي الجامد لظواهر الكون ، ليحل محله منهج جديد في النظر الى الكون يتجاوز نظرة التعصب لكل ما هو مادي ومحسوس ،

الموروثة عن القرن التاسع عشر المجافية لروح العلم الحقيقى الذي يجب ان يبحث في كل شيء . وان لم نستطع في الوقت الحاضر ابتكار الوسائل التي نخضع بها كثيرا من ظواهر الكون الغامضة للبحث العلمي ، لأن طبيعتها مختلفة عن كل ما عهدناه من الظواهر المادية الملموسة ، ولا تستطيع مناهجنا العلمية الراهنة النظر فيها او اخضاعها للتجربة في المعمل .

ومعظم جوانب الظاهرة الانسانية تدخل في هذا المجال ، ولذلك كانت معظم العلوم الرامية الى تفسير الظاهرة الانسانية كعلم النفس وعلوم السياسة والاجتماع تبدو اقرب الى التفسيرات الذاتية منها الى الحقائق العلمية المجردة التي لا تقبل الجدل ، وذلك راجع الى تغول النظرة المادية الموروثة التي تسعي الى تفسير كل ظواهر الوجود من خلال المنهج الميكانيكي القائم على سرمدية المادية والقوانين الحتمية التي تحكم حركتها . ومما يلفت النظر في هذا المجال ان علوم الطبيعة كالفيزياء والبيولوجيا التي اقترنت في الماضي بالايغال في المادة والدعوة الى الالحاد هي نفسها التي احدثت هذا التغيير الشامل في المناخ العلمي لعصرنا بحيث اصبحت تدفع بالكثيرين من العلماء الى الايمان الى درجة صارت فيها لغة بعضهم شبيهة بلغة فلاسفة المتصوفة في الفكر الاسلامي .

كل هذه التحولات الجذرية في اوضاع العالم الغربي السياسية والاجتماعية والفكرية تلقى بظلالها الكثيفة على مجريات الاحوال في مجتمعات العالم الثالث التي ظلت لفترات طويلة تعكس بالتقليد السالب أفكار الغرب ومؤسساته ، وتسعى جاهدة الى صب ذواتها في قوالبه الفكرية والاجتماعية المستوردة دون كبير اعتبار لخصائصها الذاتية التي قد تستعصى على عملية الصب في القوالب الجاهزة .

وما دام للحضارة الغربية كل هذا التأثير على واقع الحال في مجمعاتنا في العالم الثالث فان فهم ما يجري من تطور في هذه الحضارة الطاغية خطوة لازمة لفهم ما يجري في العالم من انعكاس له من ناحية ، ثم للاستفادة من كل هذا الفهم وانعكاسه في بلورة موقف حضاري مستقل تستعيد به شعوب العالم الثالث شخصياتها السليبة ، وتسهم في دفع مسيرة الانسان الى الامام . ■■

الخرطوم . د . عون الشريف قاسم

شباب بعد التسعين

ماذا يصنع الرجل بنفسه عندما يبلغ سن التقاعد ويحال الى المعاش ؟ اجاب وليام موريس من مقاطعة ساوثمبتون في انجلترا على هذا التساؤل ، عندما وقف وسط حفل صغير اقامته الجامعة بمناسبة حصوله على شهادة البكالوريوس في الآداب ! وكانت مفاجأة اذهلت الحاضرين عندما صعد « الطالب » الى المنصة ليتسلم شهادته .. فقد وجدوا امامهم شيخا عجوزا احنت السنون ظهره ، انه ناظر مدرسة « سابقا » ، احيل على المعاش منذ اكثر من ثلاثين عاما .. ولم يكن يحمل شهادة عليا في ذلك الوقت ، قبل حلول القرن العشرين .. وعاد الى الكتب .. وحقق احلى امانيه ولكن بعد ان كان قد اصبح شيخا جاوز الثالثة والتسعين من عمره ! لقد نجح الطالب الشيخ بامتياز مع مرتبة الشرف ! وهو يعد الان لنيل شهادة الماجستير !

من كتاب الكون المفتوح:

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

منذ وقت غير بعيد ، بدأ العلماء في قراءة كتاب مثير !

للكتاب حروف او رموز ليست كحروفنا أو رموزنا ، ومع ذلك فعندما تتجمع هذه الحروف في نظم خاصة ، فانها تؤلف فيما بينها كتاب الكون المجيد بما فيه من ذرات وجزيئات ومخلوقات وأرض وسماوات .

ولاشك أننا جزء من هذا السجل المحفوظ في قرار مكين .. جزء لايكاد يظهر أو يبين ، لكنه ـ مع ذلك ـ يمثل اروع فكرة تتوه فيها العقول .

دعنا اذن نلقى نظرة فاحصة على محتويات كتاب الكون المجسد ، لنقرأ فيه كيف بدأ الله الخلق على اساس « لغة » ليس كمثلها لغة .

نموذج لذرة هيليوم (الى اليمين) ، وهي أعقد قليلا من ذرة الايدروجين .. اذ تتكون من بروتونين يدور حولها اليكترونان .. ثم ذرة ليثيوم (الى اليسار) وهي اعقد من سابقتها .. ففي نواتها ثلاثة بروتونات ، يدور حولها ثلاثة اليكترونات في مدارين (الجسيم الاحمر بروتون ، والاصفر نيوترون).





احدى السدم السماوية العملاقة التي تحتوى على كميات ضخمة جدا من الايدروجين ، ومنها تتكون النجوم ثم تطبخ هذا الغاز البسيط وتحوله الى سلالات عنصرية اكثر تطورا وتعقيدا ، ثم تموت النجوم وتنفجر ، لتنثر عناصرها في الكون ، وقد تتجمع هذه في كواكب قد تنشأ عليها حياة !

الانسان نوع وحيد من ملايين الأنواع التي ظهرت على هذا الكوكب من قديم الزمن ، ورغم أنه قد جاء بعقل راجح ، وفكر صائب ، وقوام معتدل ، وغير ذلك من الصفات التي تؤهله لأن يحتل بين المخلوقات موقعا فذا ... الا أن الانسان يشترك مع كل المخلوقات الحية في حروف [illegible]

[illegible]

الحروف تتجمع في كلمات .. الكلمات في جمل .. الجمل في فقرات وصفحات وفصول وكتب مكتوبة .. الكتب لا شك مختلفة في الموضوع والمضمون والاسلوب ، ثم في فكر من فكر فكتب فقدم لنا كتابا عميقا او ضحلا ... بالرغم من أن حروف اللغة وكلماتها واحدة ، لكن العبرة في [illegible] الفكر وترتيبها

[illegible]

دقيقة غاية الدقة ، وعلى هذه الاشرطة يسجل كيان كل مخلوق صغر شأنه أو كبر .. وهذا ينبئنا بأن فكرة الخلق من البداية موحدة ، وأن الانسان ليس خلقا قائما بذاته ، أو كائنا منفردا في صفاته ، بل هو نوع تجمعه مع الأنواع الأخرى مفردات تلك اللغة البديعة التي يسعد العلماء بقراءتها ، كما يسعد المسلم مثلا بقراءة القرآن الكريم .

في البدء جسيمات !

ولكي ندرك نحن سر هذه اللغة الكونية ، ونعرف مفرداتها ، كان لابد أن نتعرض للبداية ، لنتطلع الى بديع صنع الله في كل ما خلق فسوى فقدر . قدرها نظما من داخل نظم من داخل نظم .. وهلم جرا .. ربما مصداقا لقوله تعالى « قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

إن كل ما يسرى في الارض والسماوات من عوالم حية وجامدة ، وكل ما ينتشر فيهما من نظم مادية متفاعلة ، إنما هو خلق قام على أساس فيه جاذبية واثارة لقوم يتفكرون .

فالانسان مثلا نظام حى متفاعل ومتناسق ، وعلى درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد .. إنه جسد وروح على حسب الاعتقاد السائد .. والعلم لا شأن له بالروح ، لأنها من الامور الغيبية ، ثم ان المنهج العلمى لا يبحث في الغيبيات ، ولا هى داخلة في مجاله .. « يسألونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ـ وامر الله هو امر نظام في المقام الاول ، وهو ـ اى الامر ـ يتبع شرائع الله وسننه في خلقه ، ومن خلال هذا الامر او النظام المتناسق المعقد نرى ظاهر الخلق في انسان وحيوان ونبات .

لكن لهذا الظاهر باطن أعمق وأروع وأجمل .. وكلما تعمقنا في الباطن ، واعتقدنا اننا اصبحنا من الحقيقة « قاب قوسين أو أدنى » ، أشاحت بوجهها ، فلا نستطيع لها تمييزا ، ومن هنا يحق القول الفصل « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

ـ فالانسان ظاهرا يتكون من جسد .. الجسد من أعضاء .. الاعضاء من أنسجة .. الانسجة من خلايا .. الخلايا من جزيئات .. الجزيئات من ذرات .. الذرات من جسيمات ، والى هنا نتوه .. لأن الجسيمات بدورها تلعب معنا لعبة أزلية .. فأحيانا ما تسلك سلوك الموجات الكهرومغناطيسية ، واحيانا اخرى تتصرف كجسيمات مادية .. اى انها هذه وتلك ، ولا نستطيع لطبيعتها تحديدا (انظر في هذا الصدد مقالتنا على صفحات مجلة العربي ـ عدد مارس ١٩٧٨ بعنوان « الحائرون الثلاثة ») .

ومن اين جاءت هذه الجسيمات التي تكونت منها الذرات فالجزيئات فالمادة المتفاعلة التي تتشكل منها كل النظم السارية في الارض والسماوات ؟ !

الواقع ان الجسيمات موجات .. والموجات جسيمات .. فالعلماء الآن يستطيعون ان يجسموا الموجات ، ويموجوا الجسيمات ، بمعنى ان إحداهما تؤدي الى الاخرى ، فاذا تجسدت الموجة ، ظهر الجسيم ، واذا تحرر الجسيم من ماديته ، كان موجة كهرومغناطيسية لا زمان لها ولا مكان ، بل تنطلق في كون الله الفسيح بسرعة الضوء ، وهذه لا نستطيع بها امساكا ، بل تتحول من صورة الى أخرى .. أى من تردد موجى الى تردد آخر ، وهو ما نعرفه باسم الموجات القصار أو الطوال ، أو ما بين ذلك من أطوال ، وكل هذا تحكمه المعادلات الرياضية ، والقوانين الطبيعية ، التي ترشدنا الى ما في الكون من اسرار مطوية !

ألف باء .. عالمنا المادى

لكن .. ما دخل كل هذا بخلق الانسان وغير الانسان .

الواقع ان الموجات والجسيمات هى مدخلنا الاساسى الى فكرة الخلق المبدعة .. وهى هنا بمثابة « الحروف » الأولى التي انتظمت في كتاب الكون المبهم ، لتؤلف كل ما فيه من صور ونظم .. ظاهرة باطنة .

فمما لاشك فيه ان الكشوفات العلمية الهامة قد وضعت بين أيدينا ثروة هائلة من المعلومات عن الكون

وما حوى ، والفضاء وما طوى ، فنحن نعرف بعض ما يجرى في السماوات من خلال ما يأتينا منها من موجات ، والموجات بدورها لغة جديدة يعرفها أربابها ، وهي تنطلق من المادة الكونية ممثلة في جسيماتها وذراتها وجزئياتها ، وانطلاقها يتأتى بفعل قوى تتسلط عليها فتثيرها وتهزها هزا ، ومن الاهتزازات الناتجة تتبع الموجات الكهرومغناطيسية لتوضح حالاتها وهويتها ، وبها نستقبل بعض أنباء السماوات ونحن قابعون بأجهزتنا على أرضنا ، فنفك بعض ألغازها ، ونعرف مضمونها .. لكن ذلك موضوع متشعب وطويل ومثير ، وقد نعود اليه في دراسات أخرى لنوفيه حقه من التوضيح .

ما نريد ان نتوصل اليه هنا ان الموجات طاقات .. فالضوء المنظور مزيج من سبع موجات تختلف طولا أو ترددا او طاقة ، وهذه نطلق عليها اسم الطاقة الضوئية ، ومعها ايضا طاقات او موجات اخرى غير منظورة للعين البشرية .. فالطاقة الحرارية (الاشعة تحت الحمراء) غير منظورة ، لكنها محسوسة ، وكذلك تكون الاشعة فوق البنفسجية واشعة اكس واشعة جاما .. الخ ، ولكل نوع من هذه الاشعة غير المنظورة تردد يختلف عما سواه ، وطاقة تختلف باختلاف الموجة ، لكن أعنف هذه الاشعة ، وأشدها بأسا هي أشعة جاما أو جيم ، وهي التي تنطلق من الشمس والنجوم وبعض المواد المشعة والقنابل الذرية .. ولقد أمكن تجسيد هذه الاشعة القاتلة في معامل العلماء ، فتحولت الى جسيمات مادية من ذلك النوع الذي يدخل في تكوين الذرات .. وهذا أيضا موضوع كبير لا نستطيع ان نتعرض له هنا ، لكن يكفي ان نذكر ان كوننا الذى نعيش فيه ، ونراه على هيئة مادية ، انما جاء تجسيدا جسيميا لأضواء أو أنوار أو طاقات عاتية لا قبل لنا بها ، وعندما تجسدت في بروتونات ونيوترونات واليكترونات ، كانت هي بمثابة الف باء عالمنا المادى .. او بمثابة اللغة السرية التى خطت « قاموس » النظم الذرية .

آدم الذرات

ففي البدء كانت ألف ، وكانت باء .. ولو تآلفت الألف مع الباء في نظام دقيق ، لنشأت ذرة الايدروجين .. والايدروجين بدوره هو « آدم » الذرات ، أى الخامة الغازية الاولية الخفيفة البسيطة التى ظهرت أولا ، ثم اشتق من « صلبها » كل السلالات الذرية التى نعرفها في عالمنا وكوننا الذى يمتد حولنا بغير حدود .

وحرف الالف هنا هو الحرف الاول من كلمة اليكترون في لغة البشر ، وحرف الباء تشير الى بروتون .. فاذا دار الاليكترون حول البروتون في مدار ، ظهر أبسط نظام ذرى يمثل لنا ذرات الايدروجين .. وهو أكثر السلالات انتشارا في الكون (حوالى ٩٨٪ من مادة الكون) لكننا نعرف في حياتنا عناصر الكربون والنيتروجين والاوكسجين والفوسفور والحديد والذهب والفضة والرصاص .. الى آخر هذه القائمة التى تضم ٩٢ عنصرا طبيعيا ، غير ما قام الانسان بتخليقه في معامله .. فكيف نشأ كل هذا وجاء ؟ .. وما هى الصلة بين الايدروجين والفحم والذهب والفضة وغير ذلك من سلالات عنصرية تختلف فيما بينها اختلافا واضحا ، ليظهر منها الغازي والرخو والصلب وما شابه ذلك .

الواقع انها كتبت جميعا بالألف والباء .. بالأليكترون والبروتون .. لقد تألف هذان الحرفان او الجسيمان في نظم أعقد واكبر .. فكانت كل العناصر التى اشتقت من « آدم » الذرات .. من الايدروجين المؤلف من اليكترون وبروتون .

إن الذهب مثلا ليس ذهبا ، لان جسيماته التى كونت ذراته من ذهب ، ولا كانت كذلك ذرات الفحم او الكلور او الصوديوم .. بل جاء الذهب ذهبا ، لان عدد بروتوناته ٧٩ ، ولا بد ان يدور حولها ٧٩ اليكترونا ، حتى يأتى البناء الذرى متعادلا ، إذ من المعروف أن كل بروتون يحمل شحنة كهربية موجبة ، وكل اليكترون يحمل شحنة كهربية سالبة .. هذه قدر تلك تماما .. و ٧٩ موجبة تعادل ٧٩ سالبة ، وهنا يكون التوازن الكهربي .. أعظم وادق توازن تراه في كل عناصر الكون قاطبة .

احذف من ال ٧٩ بروتونا واحدا فقط ، عندئذ يظهر معدن او عنصر جديد يختلف عن الذهب اختلافا واضحا .. وهذا يتمثل لنا في عنصر البلاتين .. فنواته تحتوى على ٧٨ بروتونا يدور حولها ٧٨ اليكترونا .

وماذا لو أضفنا الى نواة عنصر الذهب بروتونا ؟ !

عندئذ يظهر عنصر آخر مختلف هو الزئبق .. فقد تآلفت في نواته ٨٠ ب (اى بروتون) ويدور حولها ٨٠ أ (اى اليكترون) في مدارات !

لهذا اذا اتيت واحدا من علماء الفيزياء أو الكيمياء أو غيرهم ممن يقرأون اللغة الذرية بحرفيها البسطين وقلت له : ما هو العنصر الذي تآلفت ـ في ذراته ـ من الالفات ستة ، ومن الباءات ستة ، لقال لك على الفور : إنه الكربون ـ ففي نواته ست بروتونات ، يدور حولها ست اليكترونات .. وماذا عن عشرين ألفا مع عشرين باء يقال : إنه الكالسيوم .. وهكذا . !

أى كأنما نحن في الواقع أمام لغة بسيطة غاية البساطة ، لكن من هذه البساطة تنبع أروع فكرة قامت على أكتافها كل عناصر الكون أو ذراته .. فالمسألة كلها لا تتعدى جسمين أساسيين يتآلفان بأعداد مختلفة في نواة ومدارات ، لتعطى الأرض والسماوات صفتها المادية كما نعرفها في وقتنا الحاضر

النجوم .. أفران للتجميع !

ذكرنا أن الطاقات أو الموجات هي التي تتمخض عن ولادة الجسيمات السالبة والموجبة ، وقد تكون أعداد هذه قدر تلك تماما (على مستواها الكوني) ، فما أن ينشأ بروتون إلا وله قرينه الذي يدور حوله على هيئة اليكترون ، فتكون ذرة الايدروجين . أخف وأبسط ذرات الكون على الاطلاق واكثرها انتشارا ـ كما سبق ان ألمحنا .

ولكي تأتي السلالات الذرية الأعقد من الأيدروجين (الذي اعتبرناه بمثابة « آدم » الذرات) ، كان لابد من قوى كونية رهيبة لتجمع البروتون مع البروتون في نواة ذرة ثم تدفعهما دفعا لكي يتآلفا في حيز ضئيل غاية الضآلة .

وليس جمع البروتون مع البروتون بالامر الهين ، ولا هو بسيط بساطة من يجمع حروف لغة في آلة الطباعة ، أو يلصق شيئا في شيء آخر ، ومغزى هذا لا يخفى على لبيب ، لأن كل بروتون يحمل شحنة كهربية موجبة ، ولهذا يتنافران تنافرا بالغ الشدة والضراوة ، ولابد من قوة أو طاقة رهيبة لكى تحيل بغضهما أو تنافرهما الى تآلف ووفاق .. وقد كان !

الطبخة

ففي الشموس أو النجوم تتم « الطبخة » من خلال تفاعلات نووية جبارة ، وهذه تؤدى الى اطلاق كميات هائلة من الحرارة تصل في جوفها الى عشرات الملايين من الدرجات المئوية ، وبمثل هذا السعير الجبار تكسر حدة التنافر بين بروتون وبروتون ، فيجتمعان رغما عنهما في نواة عنصر أعقد قليلا من الايدروجين هذا العنصر نعرفه باسم الهيليوم . وذرات الهيليوم تتكون من بروتونين يدور حولها اليكترونان . والهيليوم كلمة مشتقة من هيليوس ، وهى كلمة يونانية تعنى الشمس .. أى أن الهيليوم هو عنصر الشمس أو أى نجم آخر من نجوم الكون ، لأنه موجود بكثرة في أتونها ، وهو النتيجة الحتمية « لطبخ » الخامة الايدروجينية التى تعيش عليها النجوم . ذلك أن الايدروجين هو وقودها أو طعامها المفضل ، ومن نفايات هذا الوقود تنتج ذرات أعقد وأعقد ، وكلما نضب معين الايدروجين بمرور عشرات ومئات وألاف الملايين من السنين ، ونتج عن ذلك معظم السلالات الذرية (كالكربون والاوكسجين والنيتروجين والكالسيوم والحديد . الخ) التى نعرفها في كوكبنا أو في كواكب اخرى ، كلما هرمت الشمس أو النجوم حتى تودع في النهاية حياتها ، وقد تتبعثر مادتها الممثلة في ذرات معقدة في الكون ، لتتجمع مرة اخرى في كواكب باردة مثل كوكبنا ، ومن هذه السلالات الذرية قد تنشأ صور من الحياة تتخذ أشكالا شتى (كما حدث في أرضنا)

ولقد تعلم الانسان مما يجرى في شموس الكون أو نجومه من أحداث ، فصنع قنابله الايدروجينية المدمرة على نفس المنوال ، ذلك أن فكرة القنبلة الايدروجينية قد تأسست على صنع قنبلة انشطارية (اى تشطر فيها نوى ذرات مشعة كالبلوتونيوم) فتؤدى الى اطلاق كميات هائلة من الحرارة تصل الى ملايين الدرجات ، فتساعد

على التحام نوى ذرات الايدروجين الثقيل .. تماما كما يحدث في الشمس ، فيؤدي ذلك بدوره الى اطلاق مزيد من الطاقات الرهيبة المدمرة .

الأرض من رفات نجوم ميتة !

نعود لنقول : إن أجسامنا وأجسام كل الكائنات الحية هي من « رماد » أو رفات « طبخة » ايدروجينية تمت في بعض النجوم التي عمرت هذا الكون منذ آلاف الملايين من السنين ، ثم تجمع كل ذلك في عناصر معقدة بفعل قوى الجاذبية الكونية ليؤدي الى تكوين الاجرام الباردة (مثل الاقمار والكواكب) بما فيها من كربون وفوسفور ونيتروجين واوكيسجين وايدروجين وحديد ونحاس وكالسيوم .. الخ ، ولاشك أن هذه العناصر المختلفة سوف تصبح بمثابة مفردات لغة جديدة في كتاب الكون المجيد ، تماما كما كان البروتون والالكترون والنيوترون بمثابة المفردات التي تكونت منها كل الذرات في النجوم .

اننا لم نتعرض هنا للنيوترون لان الحديث عنه قد يطول ، لكن يكفي ان نذكر ان النيوترون جسيم ذري متعادل ، وهو أيضا يجيء من تجسيد الموجة ذات الطاقة العاتية ، وله في نواة الذرة رسالة هامة ، إذ هو يحافظ على « تلطيف » عملية التنافر بين البروتونات ، ولولاه لما كانت هناك ذرات ولا جزيئات ولا صور مادية ولا أجرام سماوية ، ولتبعثر كل شيء في الكون اشتاتا .. ثم ان النيوترون مشتق من البروتون ، فلو ترك نواة الذرة فانه يفقد شخصيته ويتحول ـ في غضون دقائق معدودة ـ الى بروتون بعد أن يطلق من جوفه شحنة سالبة يحملها اليكترون وبها يخرج .. أضف الى ذلك أن البروتون الموجب قد يتحول الى جسيم متعادل (أي نيوترون) لو أنه امتص اليكترونا ذا شحنة سالبة .. أي كأنما هي « ذرية بعضها من بعض » ـ على حد قول القرآن الكريم !

لكن لا علينا من كل ذلك .. فملخص القول : أن السلالات الذرية التي تبني أرضنا وتدخل في تكوين دمائنا ولحمنا وعظامنا كانت ـ في عهد من عمر الكون سحيق ـ في نجوم تشتعل بطاقات نووية جبارة ثم جدت وهوت . . لنأتي نحن من أنقاضها ، ولتتجمع مادتها من جديد في نظم حية اكفأ وأعقد ، فلو اننا حللنا كل الكائنات الحية تحليلا كيميائيا ، لوجدناها تتكون من حوالى ثلث عناصر هذا الكوكب .. كربون وايدروجين واوكسيجين ونيتروجين وفوسفور وكالسيوم وحديد وصوديوم وبوتاسيوم .. الخ .

لكن انتظام هذه الذرات في جزيئات كيميائية عضوية وغير عضوية يسير وفق شرائح ذرية .. أي كأنما الله قد أوحى نظامه في هذه الذرات بصورة رائعة لتنتظم في مركبات .. كما تنتظم الحروف هنا في كلمات أو لنقل أن هذه الذرات بمثابة حروف مركبة ليخط بها الخالق لغة اخرى لها مغزاها ورسالتها في كل ما نرى وما لا نرى .

إن كل عالم لاشك خبير في قراءة ما تخصص فيه .. فعالم الجسيمات والذرات حاذق في اكتشاف ما تنطوي عليه هذه النظم الدقيقة للغاية من أسرار ، وعالم الكيمياء ماهر في لغة معادلاته وتفاعلاته الكيميائية ، وعالم الحياة يعرف لغة جزيئات خلاياه وأنسجته .. وهكذا ، ولهذا تراهم يعبرون عن ذلك دائما بالجسيم الأول ، والذرة الاولى ، والجزيء الوراثي الأول ، والخلية الأولى ، وأخيرا الانسان الاول الذي جاءت من صلبه البشرية جميعا ! .

يعني هذا أن هناك أصولا أو وحدات للخلق تراكبت في وحدات أكبر وأعقد وأعظم وأكفأ .. ولقد بدأناها في هذه الدراسة المختصرة بجسيمات تؤدي الى ذرات ، وتلك هي وحدات الخلق الاولى التي أدت إلى تكوين مركبات لا نكاد نحصيها عدا ، ومن هذه المركبات نشأ الجزيء الوراثي الاول ليدير به آلية الحياة في الخلية الأولى ، لتتوج مشوارها الطويل بالانسان الاول ، ولهذه وغيرها دراسات قادمة لنقرأ « مخطوطات » الله المجسدة في خلقه ، فنرى بها « ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت » .. في كتاب الكون المفتوح على العقول الواعية .. لا اللاهية ! ■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

مهداة الى استشهاد بطلة عربية



● لم يكن موتا حزينا وشقيا
انه قد كان موتا عبقريا !
.. ذلك « الموت الجميل »
كان عرسا طار فيه الف عصفور زميل
كان عرسا سال فيه الوردمنجرح «الجليل»
كان عرسا ناح فيه العزم من تحت الصليل
وتغطى الحزن فيه بالهديل
وبدا الاصرار وجها يعربيا
وشذى طفلا ، واصرارا نبيا !

■■■

رجرج المطاط فوق البحر أشواقا عتية
لشباب شق قلب الليل ـ والاعداء ـ فى نور القضية
أطرقوا . ثم استداروا حول أشواق الصبية
.. وهى ـ تلك البنت ! ـ لم تمسك بغير البندقية
أسندتها .. ثم هامت بين وديان قصية
وعلى الاهداب ذكرى لمساحات شجيه
.. حين كانت وردة فى مزهرية
لم تداعب خصلة الشعر العصيه
لم تلامس في المرايا دورة الصدر العتيه
والعطور الانثويه
والخطوط الاولية
.. حين كانت لوحة للسبع عشرة
همها قد كان جمع الشعر يعدو كالطيـور الاسيوية
في شريط فيه الوان ثرية !
.. همها قد كان « يافا » والوجوه العربية
وكلاما قيل يوما عن قضايا البشرية !

■■■

حين كانت نجمة فى « طبرية »
وقريبا كان للموج عويل
ذكروها بحبيب ليس مجهول الهوية
اسمه « الموت الجميل ! »
.. صوته صوت كمان راعش فوق العشيه

للدكتور عبده بدوى

وخطاه ليلكيه
فافاقت من رؤاها اللؤلؤية
ثم راحت في الهواء
ترسم « الفاء » الى « النون » القصية !
ـ ومشى ظل ابتسام فى الجفون المخملية
واستراحت فى الزوايا بسمة فرحى فتيه ـ

■■■

طار منها القلب عصفورا سماويا حزينا
فهو قد خف الى « يافا » الشهيدة
•• انها تحفظ اياما سعيدة
لم تزل تاتي مع الحلم الظليل
لخطاها •• لدموع قبل ايام الرحيل !
•• انها رغم المآسى لم تكن يوما وحيده
انها كانت عنيدة
فباقصى القلب كانت ساحة البيت العتيدة
والعصافير الوليدة
والفراشات الشريدة
ويد الام تغطى جسمها الطفل النحيل
وابوها وهو يمشى مشية حيرى وئيدة
ـ اسمه كان سعيدا ذلك الشيخ الجليل ـ
ومشى العمر ••وجاءت فترة الحزن الطويل
•• كلما مدت يديها فى صباح لجريده
قرأت « عـــرس دلال حــان فــى الارض البعيدة !
ورأت بالقرب منها قامة الموت المديدة
قامة الموت الجميل
وخيوطا من دماء تتلاقى •• وتسيل !
وامتقاعا ! وشحوبا ! وبروده



■■■

لحظة •• والعالم الممتد اضحى شركا
لحظة •• واشتدت الدبكة •• والناى شكا
لحظة •• قال المغنى « أوف » وارتج البكا
لحظة قد اطلقت وردة حب طيب
اخذت صورة وجه ـ رق فوقى ملكا ـ
غاب حينا • رف حينا • سلكا !
■■

في زمن الرق المعاصر !

الخرطوم ـ فهمي هويـــدي

كما ان هناك استعمارا جديدا ، ثمة رق جديد !

لقد قيل لنا ان ان الاستعمار الجديد هو سياسي واقتصادي وثقافي . لكن التطبيقات اثبتت ان هذا التعريف يتستر على ما هو افدح من الاستعمار . وانه مرر علينا شركاً خبيثا نصب لنا ، اخفيت في طياته جرثومة زمن الرق الثاني ، الذي قادنا بغير وعي منا الى تيه التمزق والاغتراب

لقد تبين ان الوجه الثالث للاستعمار الجديد ـ الثقافي ـ هو قناع هذا الرق الجديد . ذلك ان الاحتلال عندما يبسط نفوذه على عقول الناس ، ويقيم ثكناته وسط جنباتهم ، لا يصبح استعمارا . بل هو مرحلة وابعد واخطر .. هو استرقاق بكل المقاييس !

ان الاستعمار هو أن تنهب ثروة شعب آخر ، اما الاسترقاق فهو أن تملك شخصا آخر .

الثروة هي موضوع الاستعمار . والانسان هو موضوع الاسترقاق !

والاختلاف بين الاستعمار والاسترقاق هو اختلاف في النوع . لكن ما بين الاسترقاق الاول والثاني هو فقط مجرد اختلاف في الدرجة . تماما كالفرق بين المرض العادى والمرض الخبيث !

في زمن الرق الاول كان « السيد » يمتلك بالمال والقهر ناتج عمل الانسان . يمتلك عرقه .

وفي زمن الرق الثاني صار السيد يتلقي بغير مقابل نتاج فكر الانسان . يمتلك عقله .

تعالوا نجرب ، نفتح حوارا حول اية قضية فكرية . سيفد هؤلاء بنظاراتهم السميكة وياقاتهم البيضاء والغلايين المدلاة من شفاههم ، سيتكلمون ويتكلمون ، مستخدمين خليطا من كلمات العرب والعجم . لكنك

اذا ما صممت اذنيك لحظة ، وتفرست في وجوههم جيدا ، ثم اقتربت اكثر واكثر ، ومددت بصرك الى اعماقهم ، فسوف تكتشف الحقيقة المفجعة . سترى الواحد من اصحابنا هؤلاء وقد تعرى تماما من كل ما يستر ، وجثا على ركبتيه مطأطىء الرأس ، امام سيد وقف في كبرياء ، يرطن بالانجليزية او الفرنسية او الالمانية او الروسية .. او .. او . لكن السيد لا يحمل سوطا هذه المرة ، ففي رطانته الكفاية . هي البوق والسوط .

لاهم مسلمون ، ولاهم عرب ، وان اقسمت الاوراق باغلظ الايمان انهم كذلك . بل انهم ايضا لاهم امريكان ولاروس ولافرنسيون . ، وان اكدت الشواهد انهم كذلك . هم مسخ من هؤلاء وهؤلاء ، لابقوا كما كانوا في الاصل ، ولا صارو كما اصبحوا في الصورة !

●

اقول ذلك وامام عيني شريط الحوار الذي شهدته في الخرطوم مؤخرا ، والذي كان موضوعه « التحدي الحضاري في الشرق الاوسط » . وقد اثار انتباهي فيه ، اولا ان الداعي اليه هو اتحاد طلاب جامعة الخرطوم شريحة من الجيل الحائر والباحث عن الهوية الضائعة . ثم ، ثانيا ، حصيلة المحاضرات والمناقشات التي جرت في قاعة مسرح الجامعة وخارجها ، وتناولت مختلف جوانب حياتنا الفكرية ومظاهر التبعية والاستقلال فيها .

وقد كان الاسبوع الثقافي في مجمله دعوة ملحة الى الانعتاق ، والفكاك من اسر حالة الاسترقاق الجديد الذي فرض علينا ، منذ رحيل الاستعمار عن عالمنا العربي والاسلامي في الخمسينات والستينات .

قال لي أحد المشاركين في الاسبوع الثقافي ، وهو قادم من احدى دول المغرب العربي : تصور انه طوال سنوات الاحتلال الفرنسي كانت اللغة العربية تدرس في كل مراحل التعليم مع الفرنسية ، ومنذ خرج الاستعمار اصبحت العربية تدرس حتى الصف الثالث الابتدائي فقط ، وتم « تطوير » المناهج بحيث اصبحت تدرس كلها بعد ذلك ، وحتى نهاية التعليم الجامعي ، باللغة الفرنسية .

وقال قادم آخر من المشرق : لا تزال المعركة عندنا مستمرة بين الداعين الى الثقافة الفرنسية وانصار الثقافة الانجليزية . يتعاركون على الولاء للسيد الانجليزي او السيد الفرنسي . وخنقت اصوات المذكرين بأننا مسلمون وعرب ، وان لنا ثقافة يعترف بها العقلاء من « السادة » في اوروبا وامريكا .

ووقف احد المتكلمين يتحدث عن بصمات عقلية جيل الرق الثاني في مجال التربية وعلم النفس . بدءا بالذين يروجون لافكار فرويد في التفسير الجنسي لعلاقة الطفل بأمه وانتهاء بخلو مناهج التعليم من ذكر الله ، « فالطبيعة » هي الخالقة في الفيزياء ، والمعادلات هي التي تفسر كل شيء في الكيمياء ، والصدفة هي التي صنعت الجغرافيا ، والانسان صانع التاريخ !

كأن الله جل جلاله قد منع من دخول مدارسنا . وكأن معركة الكنيسة والعلم ، البابا والامبراطور ، جرت في بلادنا ، امس فقط !

وروى رابع هذه القصة التي جرت في مجتمع عربي مسلم فرضت عليه قيم عبادة الغرب . باسم المعاصرة والتحديث حرم القانون الزواج باكثر من واحدة ، وقرر عقوبة على ذلك وقد حدث ان مرضت زوجة لاحد الاشخاص ، وكان مرضها مزمنا ومستعصيا . وخشية ان يطلقها زوجها ، اقترحت عليه الزواج من ابنة عمها . وتم الزواج بالفعل ، واستمر سنتين او ثلاثا وخلال هذه المدة تسرب النبأ ، فالقى القبض على الرجل وقدم الى المحاكمة ليعاقب على مخالفته القانون ..

الى هنا والامر محتمل ، لكن ما حدث في قاعة المحاكمة كان اغرب !

حاول محامي الزوج ان يبرىء موكله بطبيعة الحال ، فاهتدى الى حيلة تدفع عنه التهمة ولان القانون يحرم الزواج من ثانية ، ولا يعاقب على الزنا ، اذا بلغت المرأة سن الرشد ، فقد وقف المحامي امام الملأ يعلن ان الرجل برىء مما نسب اليه ، وان علاقته بالمرأة لم تكن زواجا والعياذ بالله ، ولكنها كانت علاقة بعيدة عن هذه الشبهة .. كانت علاقة زان بزانية ! !

واستبسل المحامي لكي يثبت براءة الرجل من جريمة الزواج ، مؤكدا ان الامر لا يخرج عن مجرد الزنا ، الذى يحميه القانون . ولكن الادعاء استبسل بنفس القدر في اثبات ان المتهم لم يكن بعيدا عن براءة الزنا ، وان « شواهد الحال » تؤكد انه اقترف جريمة الزواج !

وطال الجدل ، وقدم كل طرف مرافعته ، واحيلت القضية الى المداولة ، ثم جاء نطق القاضي بالحكم الذى اخذ بحجج الادعاء بان جريمة الزواج ثابتة ، وان الدفع القانوني بتوفر حالة الزنا لا يقوم على اساس . « وبناء عليه » ، حكم بسجن المتهم لمدة سنتين ، وبالتفريق بينه وبين زوجته الثانية !!

ونشر الحكم في الصحف ، واستقبله المسلمون بخليط من الذهول والفزع !

وصفق جيل الرق الثاني لانتصار « سيادة القانون » .

●

في كتابه الشهير « من اجل حوار بين الحضارات » ، الذى ادان فيه الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودى الحضارة الغربية ، واصفا اياها بأنها « كارثة » و « عرض زائل » ، سجل جارودى جانبا من ممارسات الغرب في ابادة ثقافات الآخرين منذ القرن السادس عشر . وكان مما قاله ان عملية الابادة هذه بدأت في امريكا ذاتها « فيها ان وطئت قدما الاسباني « هرمان كورتز » اليابسة ، حتى اباد ثقافة « الازتك » ، واجهز على ثقافة شعب « المايا » . وقد نظم « ديجو دولاندا » وهو اول اسقف « ميراندا » في « بوكاتان » ، محرقة حقيقية ، وتبجح بأنه قضى على جميع كتابات « المايا » ليسهل دخول المسيحية » !

وظل هدف ابادة الثقافات مستمرا ، بصيغ مختلفة .

ففي سنة ١٩٦٨ ، اعلنت جبهة تحرير موزمبيق « فرليمو » : « ان التربية في المجتمع الاستعماري انما تتم لخدمة المستعمر .. وفي نظام الرق ، لا تهدف التربية الا الى تكوين جيل من العبيد » .

وفي سنة ١٩١٩ حدد وزير المستعمرات الفرنسي « هنرى سيمون » هدف التعليم في افريقيا ، بانه يرمى الى « تحويل افضل العناصر من السكان الاصليين الى فرنسيين ناجزين » .

وفي سنة ١٨٩٩ ، صدر بيان رسمي عن ادارة الاحتلال يحدد سياسة التربية والتعليم في مدغشقر بالوضوح التالي « نريد ان نجعل من المدغشقريين الاحداث رعايا اوفياء مطيعين لفرنسا ، وان نقدم لهم تعليما صناعيا وزراعيا وتجاريا ، لتلبية حاجات المستعمرين ، ومختلف الدوائر العامة في المستعمرة . »

ان استئصال ثقافات الآخرين ، وتفريغ عقولهم من كل ارتباط او انتماء الى الاصول ، كان تمهيدا ضروريا لدخول زمن الرق الثاني الذي نتحدث عنه وهدف « تحويل افضل العناصر من السكان الاصليين الى فرنسيين ناجزين » . لم يكن سمة مقصورة على الاستعمار الفرنسي ، ولكنه ظل شعارا غير معلن لكافة موجات الاستعمار التي اطبقت على بلدان العالم الثالث . فالانجليز ارادوا تخريج « انجليز ناجزين » ، والأمريكيون حرصوا على تربية « امريكان ناجزين » ، واذا تمكن الروس فلا بد ان يسعوا الى تربية « روس ناجزين » .. وهكذا !

ومعركتنا مع هؤلاء الابناء « الناجزين » للحضارة الغربية ، وكسب هذه المعركة ضروري لبلوغنا مرحلة الانعتاق الثقافي ، وهو الخطوة الاولى على طريق التحرير الحقيقي .

●

ما العمل ؟ ..

ليست القضية هي هل نأخذ من الحضارة الغربية اولا نأخذ ، فان احدا لا يستطيع ان يقف بمعزل عنها . فضلا عن انها ليست ملكا للغرب ، وان ادعوا ذلك ، بل هي مرحلة في حضارة الانسان التي ساهم فيها المسلمون بالنصيب الاوفر . لكن القضية هي كياننا المهدد بالضياع وهويتنا التي تتعرض للطمس والمسخ ، على ايدي اولئك « الابناء الناجزين » للغرب ، الذين اقتصر دورهم على « الاستقبال » دون الارسال .

ولا مفر من « ثورة ثقافية » نسترد بها هويتنا المفقودة ، ونكنس بها من عقولنا وكتبنا علامات المسخ والتشوه .

لا بديل عن اجراء عملية تطهير واسعة ، تزيل آثار محاولات الابادة الثقافية التي لا نزال نتعرض لها ، كبارا وصغارا .

ان الانعتاق الفكري ، التخلص من قبضة الرق الثاني ، لا بد وأن يبدأ بمراجعة شاملة لمناهج التعليم ، وبنقض موضوعي لفكر التبعية والتسليم بكل ما هو غربي .

ان اي محاولة « للغرس » ، لا بد ان يسبقها « حرث » ، يهيىء للزرع فرصة صحية للنماء والازدهار .. وبغير هذه الثورة الثقافية ، فاننا نظل نغرس زرعا في ارض لم تحرث بعد !

وبيننا بغير شك من لا يزال قادرا ان يقوم بالحرث بالكفاءة المطلوبة ، فثمة عقول وخبرات لا تزال تحتفظ بأصالتها وفكرها النقي ، الذي تجاوز اطار التبعية والانقياد ، وتعامل مع ثقافة الغرب بمنطق « البناء لا التكديس » ، كما يقول مالك بن نبي .

ان استثمار هذه الدعوة في اشاعة جو من الارهاب الفكري ، هو جريمة اخرى لا تقل فداحة عن « حالة الاسترقاق للغرب » . فنحن لا نريد ان نستبدل سوطا بسوط . نريد ان نستبدل فكرا بفكر ، وصحة بمرض ، وقوة بعجز .

نريد ان نعيش ذاتنا ، في زماننا . نريد ان نتخلص من انفصام الشخصية وازدواجها . نريد ان نقضي على بقايا الاغلال التي خنقت ارواحنا ، ولوثت عقولنا ، وطوقت جذورنا حتى كادت تقتلعها .

و . . رحم الله امرأ عرف زمانه ، واستقامت طريقته ، كما يقول الحديث الشريف .

وللمناقشة بقية في الشهر القادم باذن الله . ■■

المستشرقون المعاصرون

في تجربة للنقد الذاتي

بقلم : الدكتور محمد فتحي عثمان

مرت على العرب والمسلمين ـ بل والشرقيين بوجه عام ـ فترة من الزمن ، كان كل ما يصدر من الغرب عنهم قضايا مسلمة لا مجال فيها لنقاش ... واعتبرت بحوث المستشرقين والمستعمرين وعلماء الدراسات الاسلامية من الغربيين نموذجا يحتذي ومثلا اعلى ، وصارت الاقتباسات المأخوذة عنهم زينة كتابات الشرقيين والعرب والمسلمين ، وغدت النتائج التي انتهى اليها الاولون منطلقات ومرتكزات للآخرين ...

برزت كتابات الغربيين عن الاسلام والمسلمين بين مسلمي الشرق بعد الحرب العالمية الاولى ، واصبح قراء الدراسات الاسلامية ـ فضلا عن المشتغلين بها ـ يألفون تماما اسماء مرجوليوث وميور وتوماس ارنولد البريطانيين وسلفستردي ساسي وسديو الفرنسيين ، ونولدكه وجولدزيهر من الكتاب بالالمانية وكاتياني الايطالي وغيرهم . ثم اعقب ذلك جيل احدث لمعت فيه اسماء هاملتون جب وماسينوين وفلهوزن وبروكلمان وبكر وجوستاف فون جرو نيباوم ونالينو وغيرهم ، حتى وصلنا الى الشيوخ المعاصرين من المستشرقين امثال

برنــارد لويس وجــاك برك (١) والجيل التــالي من المستشرقين المعاصرين وهم في سن الرجولة او الشباب .

وظلت كلمة اى مستشرق هي الحكم الفصل في اية قضية فكرية تتعلق بالدراسات الاسلاميــة والشرقيــة ونقطة البدء عند اي باحث مسلم او عربي او شرقي زمنا ليس بالقصير . وثمة واقعة ذات دلالــة رويـت عن الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر الاسبق رحمه الله وكان هو مصدرها شخصيا ، اذ كان يجلس في احد دواوين عربة الدرجة الاولى من القطار مع ابنته التي كانـت تدرس بالمـدارس الفرنسيــة ، ولعلهما كانــا في طريقهما الى الاسكندرية .

وتصادف وجود سيدة فرنسية في الديوان نفسه ، ما لبثت ان تبادلت الحديث مع ابنة شيخ الازهـر وربما علمت منها مباشرة او استنتجت من ان ابا الفتاة شيخ من شيوخ الاسلام . وكانت السيدة الفرنسية على شيء من الثقافة ، فحدثت الفتاة عن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب وما قراته عنه من وقائع وآراء وابدت اعجابها به وبعد ان بلغ الشيخ وابنته غاية رحلتهما فوجيء الشيخ بابنته تطلب كتابا عن عمر بن الخطاب وتذكر ما سمعته عنه من رفيقة السفر الفرنسية .

فكان الشيخ رحمه الله يعلق على ذلك فيقول : انا شيخ الازهر وابنتي تعيش معي تحت سقف واحد ليل نهار ولم يدفعها ذلك الى ان تطلب شيئا تقرأه عن عمر بن الخطاب او عن نبي الاسلام : او عن اي علم من اعلامه او عن شيء من وقائع تاريخية ، ولكن حديثـا قصيرا مع سيدة اثناء رحلة اغراها بذلك ! وانتهى رحمه الله الى القول بانه يبدو ان المسلمين لن يحاولوا التعرف على دينهم وتاريخهم حتى تعتنق اوربا الاسلام فيكون تحول اوربا الى الاسلام دافعا للمسلمين الى الاعتزاز به والجد في التعرف عليه والعمل به ! ! !

وهذه واقعة تعبر في سخرية متشائمـة عن مكانـة الغرب الفكرية بين المسلمين حتى في شئون دينهم الذي يؤمنون به ويعرفون مصـادره ويتكلم العرب منهم لغة القرآن ورسول الاسلام ﷺ ! ! ولكن الجيل المعـاصر من المستشرقين لم يسعد بالمكانة والاتباع اللذين حظي بهما رواد المستشرقين والذين اعقبوهم مباشرة . . واقترنت التيارات الوطنية والقومية والاسلامية التـي انفجـرت بعد الحرب العالميـة الاخيـرة بمحـاولات ساذجـة لرفض كتابات المستشرقين والمستعمريـن وعلماء الاسلاميـات الغربيين اول الامر ، ثم بمحاولات جادة للنقـد اخـذت تتوالى شيئا فشيئا

موقف المشايعين للغرب

وكان جيل طه حسين ومنصور فهمي وتلاميذهما من غلاة المشايعين للحضارة الغربيـة وثقافتهـا « خيرهـا وشرها حلوها ومرها ، ما نحب منها ومانكره ومن زعم غير ذلك فهو خادع ومخدوع » ، كما عبر طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافـة في مصـر » ، وكما عبـرت مذكـرات السيدة زوجته الفرنسية التي نشرت اخيرا وقد اوضحت في جلاء كيف كانت قيادة البيت وتوجيه الاولاد في يدها تماما ، حتى اعلنت الاسرة كلها الحداد الطويل منذ هزيمة فرنسا امام الالمان ودخولهـم باريس في الحـرب العالميـة الاخيرة واستمر ذلك الى ان دخل ديجـول وجيش فرنسا الحرة مع جيوش الحلفاء باريس . وكـان الرجـل يسلـم

(١) يعتبر كتاب نجيب العقيقي « المستشرقون » الذي نشرت طبعته الثانية في ثلاثة اجـزاء سجـلا شامـلا للمستشرقين واتجاهات الاستشراق في مختلف بلدان العرب ... ولم اذكر اسم « فيليب حتى » لانه لبناني الاصل ، وقد كان يعتز بأصله كثيرا الى ان توفي رغم جنسيته الامريكية ، وقد عانى ـ ولا سيما في اواخر حياته ـ من جراء اصله اللبناني واعتزازه به .

لزوجته هذه القيادة ويترك لها تماما توجيه الاطفال . ولم يناقشها قط في هذا الامر . وكانت تحترمه ، كما تشهد بذلك صفحات المذكرات . كما كان هو يحترمها وبدا له ان يترك لفكرها القيادة والتوجيه علامة لاحترامه هذا الفكر ولتعلقه بصاحبته . واشهد أن كل ما كتبه خصوم الدكتور طه حسين منذ الرافعي الى شباب المعاصرين عن الاتجاه الغربي لطه حسين ، لم يفعل في اثبات ذلك ما فعلته مذكرات السيدة قرينته ، ولروايتها في هذا الامر مكانتها ، وبخاصة انها لم تتحدث عن زوجها الا بكل ما ينبيء عن الود والاجلال ، وكذلك كان يتحدث عنها رحمه الله

وشهدت كلية الاداب بالجامعة المصرية وقت عمادة طه حسين ووقت نفوذه بعد تركه العمادة ، الحرص على استقدام اساتذة اجانب في مختلف المجالات ، وفي مقدمتها الادب العربي ومنها تاريخ مصر واحيانا ما يتصل بالاسلاميات ، وعمل في الجامعة ليتمان ونالينو وغيرهم

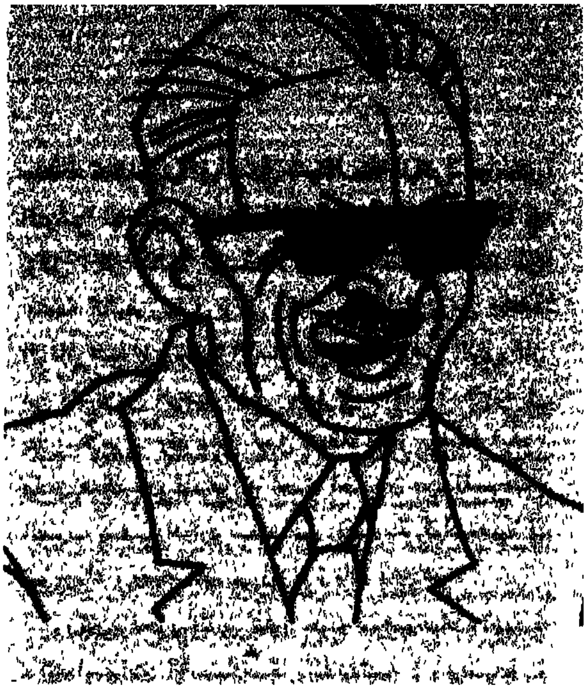
ثم احذت نزعات الرفض للفكر الغربي ـ او لسيادته المطلقة بعبارة ادق ـ تبدو ساذجة اولا فواعية جادة بعد ذلك ، منذ قيام الحرب العالمية الاخيرة التي لم يكن للعرب والمسلمين فيها « ناقة ولا جمل » كما عبر شيخ الازهر المراغي بالنسبة لمصر ، ومع ذلك تكبد العرب والمسلمون في نصرة الجهود الحربية لبريطانيا وحلفائها التضحيات الجسام .. وقامت في كلية الاداب خلال السنوات المبكرة من الاربعينات موجة محدودة من التذمر بمناسبة كتاب ادبي فيه تعريض عابر برسول الاسلام صلوات الله عليه كان يدرس في قسم اللغة الانجليزية وكان اصحاب الموجة طلابا متحمسين للاسلام لا باحثين اكاديميين متعقبين لاتجاهات المستشرقين وغيرهم من الكتاب الغربيين الذين يعرضون للاسلام واخطائهم المنهجية العلمية عن عمد او قصور ولكن ما لبثت البحوث الجادة في هذا الصدد ان توالت من افراد الجيل الذي تتلمذ على طه حسين ومن عدد اكبر من افراد الجيل الذي اعقبه . ثم اخذ الاتجاه يقوي ويتسع ويتعمق حتى الان وظهرت كتابات محمد البهي وعمر فروخ ومالك بن نبي (٢) تنقد اتجاهات المستشرقين وآراءهم . وعني البعض بتعقب كتابات المتابعين لاتجاهات الاستشراق من الباحثين المسلمين والعرب (٣) ومن احدث ما ظهر في نقد اعمال المستشرقين واتجاهاتهم كتاب كبير بالانجليزية لباحث فلسطيني مسيحي يعمل في التدريس باحدى الجامعات الامريكية هو ادوارد سعيد بعنوان « الاستشراق » (orientalism) ، ولنا عودة لهذا الكتاب في مقال قادم ان شاء الله ومع البحوث الجادة في تقديم اعمال المستشرقين واتجاهاتهم وآرائهم لا تزال تتردد نغمة الرفض المطلق بين المتحمسين من المسلمين او من الغرب لدوافع دينية او قومية

تحول منهج الباحثين

واذا كان المسلمون . . . والشرقيون بوجه عام ـ قد تحولوا من التسليم المطلق لآراء المستشرقين الى الرفض المطلق والنقد الموضوعي فان المتأخرين من الباحثين الغربيين المشتغلين بالدراسات الاسلامية قد تحولوا عن الاتجاه الشمولي الذي كان يمثله المستشرقون الرواد ومن اعقبهم مباشرة ، اذ كان المستشرق يجمع دراسة العربية وعلومها (اللغة والنحو والبلاغة والادب والعروض) والاسلام وعلومه (علوم القرآن والسنة والعقيدة والفقه) فضلا عن التاريخ والبلدان وغيرهما ويضيف الى ذلك اللغات السامية وربما العبرية ودراسات الكتاب المقدس بوجه خاص ، الى جانب

(٢) انظر للاول « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » وقد الحقت بطبعاته الاخيرة بحث بعنوان « المبشرون والمستشرقون » وانظر للثاني مع خالدي « التبشير والاستعمار » وانظر للثالث كتيبا صغيرا بالفرنسية بعنوان « المستشرقون والاسلام » وقد سبق ان عني محب الدين الخطيب برحمه كتاب شاتليه الذي حمل عنوانها « الغارة على العالم الاسلامي » وله كتابات متعددة رائدة في هذا المجال . رحمه الله واجزل مثوبته

(٣) انظر مثلا د. محمد حسين . حصوننا مهددة من داخلها



اليونانية القديمة ، وغير ذلك احيانا .. مما يذكر المرء بالعلماء والمفكرين الموسوعيين القدامى وماجرت عليه الجامعات الاسلامية العريقة مثل الازهر والزيتونة والقرويين قبل ادخال التخصصات المحدثة في اصول الدين والشريعة واللغة العربية وفصل احداها عن الاخرى ، اذ كان الطلاب يدرسون علوم الاسلام والعربية جميعا الى جانب المنطق والفلك والتاريخ والاخلاق ـ وربما الرياضيات ايضا في مرحلة اولية من الدراسة .

وجاء المحدثون من الباحثين الغربيين المشتغلين بالدراسات الاسلامية وبخاصة في الولايات المتحدة فآثروا ان يعكف منهم فريق على دراسة اللغة العربية وآدابها ، وفريق اخر على دراسة علوم العقيدة والفلسفة ، وثالث على التفسير والفقه ، ورابع على تاريخ العرب والمسلمين مترابطا حتى زمننا المعاصر دون فواصل زمنية ، بينما يعكف فريق خامس على دراسة المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، وسادس على دراسة الثقافات السائدة والانثربولوجيا ... ويكون كل فريق مختصا في دراسة للمرحلة الجامعية الاولى (الليسانس او البكالوريوس) بمجال التخصص الموضوعي المطلق غير مرتبط بالاسلاميات ، بمعنى ان يدرس اللغات السامية ، او الاديان والفلسفة والقانون او التاريخ او الاجتماع والانثربولوجيا بوجه عام ، ثم تبدأ دراسته للاسلام والعربية في رحلة الدراسة التي تعقب رحلة الليسانس والبكالوروس . ونظر الباحثون الذين تخصصوا بهذه

● المستشرقون المعاصرون

الطريقة في الكتابات الشمولية للمستشرقين السابقين فوجدوا فيها ثغرات لم ترضهم فنقدوا هذا الاتجاه ودعوا الى مسايرة الاتجاه العام للمعرفة في التخصص النوعي الفرعي بحيث يطبقون ذلك في مجال الدراسات الاسلامية ... ولكن استمر ايثار (شمولية) الاستشراق عند الباحثين الالمان ، والى حد ما عند الفرنسيين ايضا . وفي حين تأثر المشتغلون بالاسلاميات في بريطانيا وبخاصة شبابهم ـ بنزعة التخصص السائدة بين أقرانهم في الولايات المتحدة .

وهكذا برز بين المستشرقين المعاصرين من شيوخ وشباب مشتغلون بالفقة الاسلامي ، كان من روادهم شاخت الالماني رغم ان جيله وبلده الفت الاستشراق الشمولي وقد تبعه في هذا المجال كولسون البريطاني ويودفيتش الامريكي الجنسية البولندي الاصل ، واختص لاووست الفرنسي ابن تيمية ببعض دراساته . كما عني جرونيبام وبرنارد لويس بصفة خاصة بالتاريخ والحضارة ، وعنى مورو برجر الامريكي وجاك بيرك الفرنسي بالاجتماع والمجتمعات الاسلامية وجرتز بالثقافات والانثربولوجيا . وتميز الفرد كانتويل سمث ومالكولم كير بدراسة الاتجاهات الفكرية الاسلامية الحديثة هذا الى جانب المختصين بدراسة العقيدة والفلسفة والتصوف .

كذلك اخذ جيل من العرب والمسلمين والشرقيين الدارسين في الولايات المتحدة المضطلعين بالتدريس فيها طريقهم الى الظهور بين المشتغلين الغربيين بالدراسات الاسلامية . وان كان اصلهم يرجع الى البلاد العربية ومنهم من يدين بالاسلام ، ومن هؤلاء مهدي الحسيني الذي عرف باطروحته ودراساته عن ابن خلدون وشيبان (او شعبان) الذي عرف بدراسة من جزءين عن تاريخ الاسلام وادوارد سعيد الذي عرف بكتابه عن الاستشراق ، ولم يكن مشتغلا في الاصل بمثل هذه الدراسات . وكل هؤلاء يشتغلون بالتدريس في جامعات الولايات المتحدة الامريكية . وبرز قبل هؤلاء البرت حوراني بجامعة اكسفورد في بريطانيا وجورج حوراني بجامعة كاليفورنيا في لوس انجلس وانيس المقدسي بجامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا بالولايات المتحدة .

لقاء كاليفورنيا

ويقوم مركز دراسات الشرق الادنى في جامعة كاليفورنيا بلوس انجليس ويتسمى باسم المستشرق جوستاف فون جرونيباوم الذي ولد بفيينا عاصمة النمسا وعمل في الولايات المتحدة منذ سنة ١٩٣٨ في معاهد علمية بنيويورك وشيكاغو ، وانتهى الى جامعة كاليفورنيا في لوس انجليس وقد توفي في لوس انجليس واوصى بما كتبه للمركز المذكور ، ويمنح المركز في كل عامين (ميدالية) لباحث مبرز في الدراسة الاسلامية ، يعقد بمناسبة تقليدها ندوة محدودة يدعى اليها علماء الدراسات الاسلامية في الولايات المتحدة وبعض الدول الاوربية وتسمى المدالية باسم المستشرق جيورجيو ليفي ديلافيدا وفي المدة من ٢٧ الى ٢٩ ابريل سنة ١٩٧٩ احتفل المركز بتقديم مدالية ديلافيدا لسابع مرة ، فهي قد انشئت منذ اربعة عشر عاما تقريبا ، وكانت في هذا العام من نصيب البرت حوراني الاستاذ بجامعة اكسفورد في بريطانيا وهو لبناني الاصل وله كتاب معروف عن « العرب والتفكير الحر الحديث » وتتكون لجنة منح المدالية من ستة علماء مبرزين في الدراسات الاسلامية ينتمون لمعاهد علمية متعددة في انحاء العالم وهؤلاء هم حاليا الاب جورج شحادة قنواتي من معهد الدومينيكان بالقاهرة ، فرانز روزنتال من جامعة ييل (الولايات المتحدة) ، برتولد شبولر من جامعة همبورج (المانيا الغربية) ، اندرياس تيتيز من جامعة فيينا (النمسا) ، سبيروس فيرونيس وامين ساني من جامعة كاليفورنيا في لوس انجليس (الولايات المتحدة)

وقد ضمت الندوة زهاء خمسين مدعوا ، معظمهم من اساتذة الجامعات الامريكية ، ومن المدعوين من يعني بمجال الدين عقيدة وشريعة ، ومنهم من يعني بدراسة المجتمعات الاسلامية ، ومنهم من يعنى بمجال التاريخ والحضارة الاسلامية ، ومنهم من يعني بالادب العربي وهكذا وبين هؤلاء المدعوين احاد من المسلمين منهم الاستاذ فضل الرحمن واصله من شبه القارة الهندية وهو يعمل حاليا في جامعة شيكاغو ، والاستاذ الجار وهو بريطاني اعتنق الاسلام وتسمي بحميد ويعمل في جامعة كاليفورنيا في بركلي ، والاستاذ الباقي هو ماس التونسي الاصل ويعمل حاليا في جامعة كاليفورنيا في بركلي ، الى جانب الاستاذة عفاف لطفي السيد من جامعة كاليفورنيا في بركلي وكاتب هذا التقرير من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض الذي كان من المدعوين الوحيد الذى يعمل في جامعة اسلامية في بلد اسلامي وقد دعي قبيل انعقاد المؤتمر ببضعة ايام ، وكان هناك بين المدعوين أحاد اخرون من المسيحيين العرب منهم ادوارد سعيد من جامعة كولومبيا في نيويورك ، ومنح خورى وفرح زيادة وغيرهم

وكان المحور الذى تدور حوله موضوعات الندوة « الدراسات الاسلامية (المحدثة) رصيدها ومشكلاتها » وكان الخطاب الافتتاحي في الندوة لرئيس الجامعة تشارلز يونج ، وقد اعقبه بالحديث الفائز بالمدالية البرت حوراني فتقلد المدالية ثم تناول في خطابه للندوة موضوع « التاريخ الاسلامي ، تاريخ الشرق الادنى ، التاريخ الحديث » ، وقد اشار الى تطور الدراسة التاريخية لمنطقة الشرق الادنى من المنظور الاسلامي في اول الامر ، الى دراسة للمنطقة من نظرة ترتبطها باوربا سياسيا وعسكريا واقتصاديا وتعتبر الشرق (ادنى) الى اوربا موقعا واهمية ، حتى وصلت الدراسة للمنطقة حديثا الى دراسة موضوعية ترتبط بالعصر وقيمه ولا تربط المنطقة بزمن قديم او بمنطقة اخرى ، وكأن هذا التاريخ قد (استقل) باستقلال دول المنطقة وقيام دولها (العصرية) او المعاصرة ، هذا تسليم الباحث (بالاستمرار) التاريخي للجذور الاسلامية في التاريخ الحديث للمنطقة باعتبارها (اصولا كلاسيكية) ، وهذه النزعة التي تحاول ان تنتزع المنطقة من الاسلام مع التسليم بأهميته في تكوين (الاصول) التاريخية فحسب هي نزعة معروفة عند المشتغلين بتاريخ المنطقة من الغربيين والمتابعين لمنهجهم

اهتمام متزايد بالاسلام

وقد تعاقب المتحدثون على تقويم الجهود العلمية التي قدمها المشتغلون بالدراسات الاسلامية من مختلف الدول العربية ومنهم من اتجه في حديثه جهة

(شمولية) على عادة المستشرقين الرواد واتباعهم ومنهم من أثر وجهة متخصصة بشأن المتأخرين فعني بدراسة مجال بعينه مثل الدين او التاريخ او المجتمعات او الادب

فتناول « جوزيف فان اس » من جامعة توبنخن في المانيا الغربية تقويم الاستشراق الالماني ككل منذ يوليوس فلهوزن الى كارل بكر . وعرض ادوارد سعيد من جامعة كولمبيا في نيويورك للوجهة اللغوية في دراسة الاسلام المرتبطة بالثقافة الفرنسية والتي تتمثل في رينان وماسينيون ومثل ادموند بيرك الثالث من جامعة كاليفورنيا في سانتا كروز الاتجاه المؤمن بالتخصص النوعي داخل نطاق الدراسات الاسلامية ، فكان موضوع حديثه « سوسيولوجيا الاسلام ، تقاليد المدرسة الفرنسية » وكذلك فعل ايرالابيدوس الذي كان موضوع حديثه « الاسلام والتجربة التاريخية للشعوب الاسلامية التحدي المعروض على الباحثين المعاصرين » ومن الذين مضوا في تقويم جهود المشتغلين بالدراسات الاسلامية من زاوية تخصص معين أيضا جاروسلاف استيتكفيتش من جامعة شيكاغو الذي تناول في حديثه « الشعر العربي والاتجاهات المتنوعة للنقد الاوربي ، مزايا الممارسة النقدية وعيوبها » وفضل الرحمن من جامعة شيكاغو الذي كان موضوع حديثه « الدراسات الاسلامية ومستقبل الاسلام » وقد عني بوجه خاص بالدراسات التي تتناول الاسلام باعتباره دينا وهي مجال اهتمامه

ومن المؤسف حقا ان الاوراق التي تقدم بها الباحثون في الندوة لم تطبع وتوزع ، وبذلك كان لا بد من الاعتماد على الذاكرة والمذكرة ومن الملاحظ ان المتحدثين في الندوة لم يكن بينهم سوى مسلم واحد وقد اوضح فضل الرحمن في جلاء ان ما يتعلق بالاسلام باعتباره دينا ، الباحثون المسلمون اقدر على دراسته وعرضه ، ولا بأس أن يشارك المسلمين غيرهم في المجالات الاخرى مثل التاريخ والادب ولكن الباحث المسلم الوحيد بين المتحدثين عرض في جوابه على سؤال احد المشاركين في الندوة للتشدد والمحافظة بين المسلمين . ومع اشارته للفارق بين مفهوم هذه النزعة في المسيحية ومفهومها في الاسلام والفارق بين الجماعات الاسلامية الحديثة في مفهومها للتشدد والمحافظة وفي الممارسة والتطبيق ، الا انه سمي جماعات اسلامية معينة في شبه القارة الهندية والبلاد العربية ووصفها بتلك النزعة . ويبدو ان الباحث قد عاني شخصيا من بعض المشكلات بالنسبة لمن وصفهم بالتشدد والمحافظة في الهند . ولفضل الرحمن كتاب معروف بالانجليزية توالت طباعاته المتعددة عن « الاسلام » ويتضمن اجتهادات شخصية لا يرضى عنها جمهور علماء المسلمين على ان للكتاب ايجابياته واهميته باعتباره مرجعا متداولا بين قراء الانجليزية عن الاسلام كتبه مسلم لا بد ان يكون فهمه للاسلام وتعبيره عنه على اي حال اقرب للحقيقة وادق من كتابات غير المسلمين .

وقد تجلى في المؤتمر تزايد الاهتمام بالاسلام بين الباحثين الغربيين نتيجة الاهتمام بمصادر النفط في البلاد الاسلامية على ضفتي الخليج وفي ليبيا ونيجيريا واندونيسيا ، وبخاصة بعد احداث قطع النفط خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، واحداث الثورة الايرانية التي انتهت بخروج الشاه منذ شهور وما ترتب عليها بالنسبة للنفط ايضا . ونسأل الله ان يتزايد (الحضور) العلمي للمسلمين في مختلف مجالات الدراسات الاسلامية ومؤتمراتها ، فهم اعلم بدينهم واقدر على التعمق في دراسته والتدقيق في عرضه حتى يعرضوا احترام وجودهم العلمي على المشتغلين بهذه الدراسات في كل مكان .

وهم يستفيدون من الاتصال العلمي بغيرهم من المشتغلين في هذه المجالات ومن مناقشة الموضوعات من وجهات نظر مختلفة ، فيضيفون الى مصادر معرفتهم التي تعتمد على القراءة رصيدا من التعرف على وجهات النظر واتجاهات البحث الاخرى ، ومن الحوار والخبرات المكثفة التي تتجمع في المؤتمرات ويستفيدون من ذلك كله ، كما يفيدون الآخرين بما لديهم من معرفة وتمرس بالمصادر واللغة . ولكي يؤتي هذا التعاون العلمي ثماره لا بد ان يجري في مناخ صحي من التفهم المتبادل والبحث الجاد والحوار الايجابي البناء حتى يترتب على ذلك نتائجه في تبادل المعارف والخبرات وتنميتها بتعاون الجهود .

وعلى الله قصد السبيل . . . ■■

د محمد فتحي عثمان

النفط والوحدة العربية

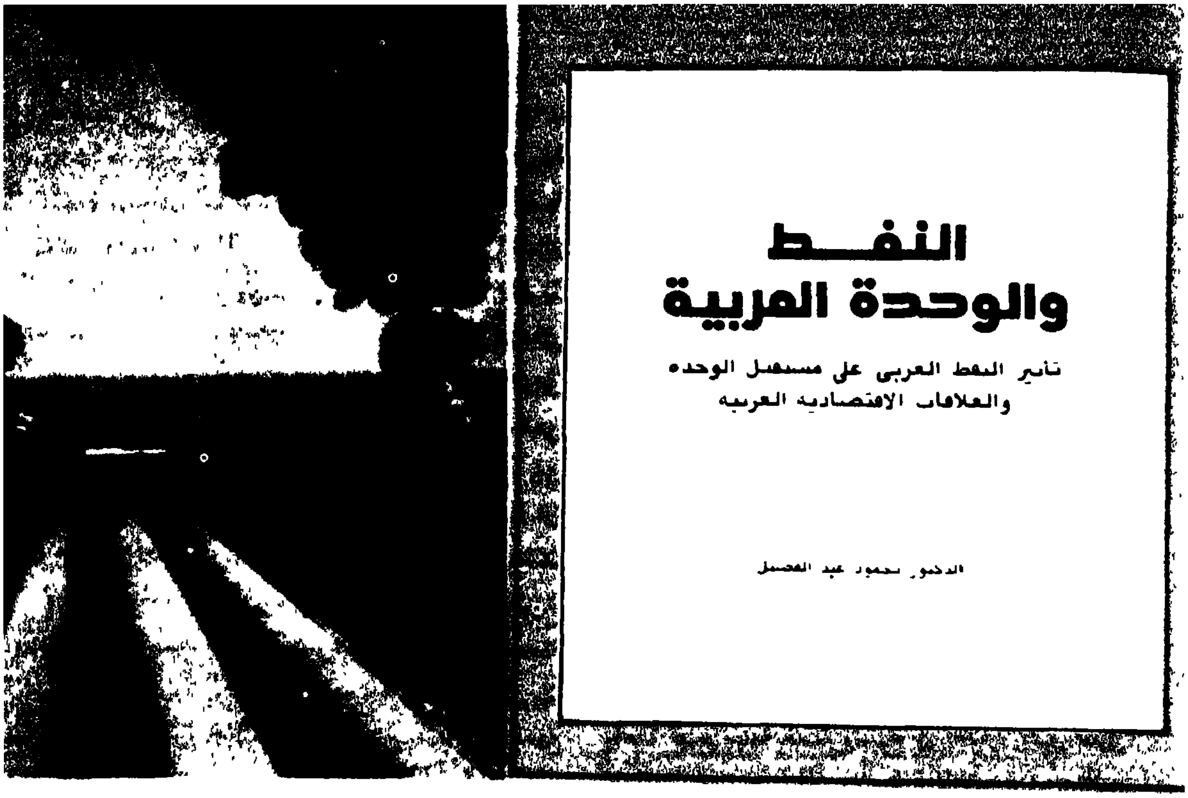
تأثير النفط العربي على مستقبل الوحدة والعلاقات الاقتصادية العربية ـ مركز دراسات الوحدة العربية

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

بهذا العنوان الاساسي والفرعي صدر في بيروت عن مركز دراسات الوحدة العربية الكتاب الذي نحن بصدد مراجعته . وهو الكتاب الاول في سلسلة دراسات عن الوحدة العربية يزمع مركز دراسات الوحدة العربية اصدارها . وهو من تأليف الاقتصادي العربي الدكتور محمود عبد الفضيل .

يحاول المؤلف في الكتاب البحث عن اجابة لسؤال طرح من قبل المفكرين العرب منذ مدة طويلة وقد ازداد ترديده خلال السنوات الخمس الاخيرة . والسؤال هو : هل يحقق النفط العربي الوحدة العربية ؟ ام ان هذا النفط الذي استفادت منه اقطار عربية دون اخرى قد يعيق الوحدة المنشودة والتي كانت ولا تزال امل الجماهير العربية ؟ للاجابة على هذا السؤال ، وهو كما يظهر للقارىء متشعب وسياسي اكثر مما هو اقتصادي ، يفرد الدكتور محمود عبد الفضيل الفصول الستة التي تتناول فيها الموضوع لمحاولة الاجابة على جزئيات من السؤال المطروح .

في الفصل الاول يطرح الدكتور محمود اطار المشكلة الذي هو بصدد بحثها ثم يتناول في الفصول الخمسة اللاحقة بعض القضايا الواقعية في اطار الاقتصاد السياسي القائم بين الاقطار العربية اليوم وهي : تدفقات العمالة من البلدان العربية غير النفطية الى البلدان العربية النفطية ، ثم الآثار الايجابية والسلبية لعملية هجرة العمالة العربية الى الدول النفطية هذا في الفصل الثاني والثالث . اما الرابع والخامس ، فيعني الدكتور محمود عبد الفضيل بموضوع التدفقات المالية من البلدان العربية النفطية الى البلدان العربية غير النفطية ثم اسواق النفط والمشروعات العربية



المشتركة . اما الفصل السادس والسابع فيفردهما المؤلف لمعالجة الاتجاهات الجديدة في مجال التطور التكاملي لحركة عوامل الانتاج في الوطن العربي اولا ، ثم الاقتصاد السياسي للوحدة العربية وآفاق المستقبل

في هذا الاطار يناقش المؤلف تلك القضية الحيوية ، قائلا ان « الحقبة النفطية الجديدة » ـ ويعني بها فترة ارتفاع اسعار النفط في بداية ١٩٧٤ ـ قد ولدت علاقات وظواهر جديدة في اطار الوطن العربي لذلك فان هذا العمل (الكتاب) يصفه المؤلف بأنه « المحاولة الاولى للامساك بشكل منهجي ومنظم بالقضايا والمشاكل والآفاق الجديدة التي يطرحها وجود البترول العربي » .

وعندما يأتي المؤلف الى تحديد اطار المشكلة التي يعالجها يذكر ان اوضاعا وعلاقات اقتصادية جديدة تتشكل وتتبلور في المنطقة العربية ـ منذ الحقبة النفطية الجديدة ـ ادت الى تغيير معالم الصورة الاقتصادية المألوفة في الخمسينات والستينات ، وخلقت بذلك وضعية ديناميكية جديدة تحتم طرحا جديا لقضايا الاقتصاد السياسي وللعلاقات الاقتصادية العربية من منظور التكامل الاقتصادي والوحدة العربية ص ٩ . ويرصد المؤلف بعض هذه الظواهر في ارتفاع متوسط الدخل للفرد العربي في اقطار النفط مع استمرار او انخفاض في هذا الدخل في اقطار عربية اخرى مما نتج عنه تقسيم العرب الى « دول العسر » و« دول اليسر » ، ويلاحظ الكاتب ان هذا الوضع ناتج عن ظروف جغرافية وتاريخية عابرة . عبر ان اثاره بدأت تترك آثارا وحساسيات بعيد المدى

وقد لاحظ الكاتب في هذا الاطار معدلات النمو المرتفعة في اقطار اليسر . ويبدو لنا ان الكاتب قد اخذ كحقيقة نهائية الدخل الضخم من النفط بأنه معدلات نمو ـ الا اذا كان الانفاق هو المقصود بالتعبير ، وهنا يجوز قبوله ، حيث ان مفهوم النمو وبالتحديد التنمية مرتبط بتحقق مجموعة عناصر بجانب العناصر الاقتصادية وهي الاجتماعية والسياسية .

كما ان الكاتب في هذا الاطار لا يحدد اتجاه (مسار) واضح لاتجاه التفكير لديه حول هذه القضية ففي حين يقرر (في ص ١٣) « ولكن بالرغم من تزايد حدة الفروق واتساع حجم الفجوة بين بلدان المجموعتين (دول العسر ودول اليسر) ، فان تزايد عائدات النفط قد ساعد من ناحية على خلق شبكة جيدة ومتنامية من العلاقات الاقتصادية والتدفقات المالية والعمالية والسلعية بين بلدان المجموعتين » الا انه في صفحة ١٨

يلاحظ من جديد (انه بالرغم من كثرة المؤسسات والمشاريع العربية المشتركة ما زالت النظرة القطرية الاقتصادية هي السائدة . فقد نتج عن ارتباط النفط بنشوء الدولة الحديثة في بلدان الخليج العربي والالتزام بالكيانات الصغيرة ظهور نوع جديد من « القطرية النفطية ») الازدواجية المنهجية تظل قائمة كما قلنا وهي عدم تحديد موقف او محصلة للاجابة على السؤال الفرعي وهو هل « التعاون » العمالي والمالي ايجابي ام سلبي لحساب القضية الاصلية وهي الوحدة العربية . وفي موضوع تدفقات العمالة من البلدان غير النفطية الى النفطية وتأثيراتها ، هذه الظاهرة السلبية والايجابية معا يضع امامنا المؤلف هذا الموضوع المتشابك بوضوح وجلاء فقد غدت عمليات الهجرة وانتقال الايدي العاملة من البلدان العربية غير النفطية الى البلدان العربية النفطية من اهم معالم الحياة العربية المعاصرة (ص ٢٠) الا ان هذا الموضوع « التصدير والاستيراد » للايدي العاملة قد اثار ولا يزال يثير مجموعة معقدة من المشكلات فاولا الهجرة الى الدول النفطية غير منظمة ولا مقننة . كذلك تسبب في بعض قطاعاتها « فراغا » في الدول المصدرة ، مع الاتجاه في الكثير من الاقطار النفطية الى استيراد عمالة اجنبية (غير عربية) . ورغم ان المؤلف هنا قد اعطانا الكثير من الاحصاءات الحديثة بحجم ونوع واتجاهات الهجرة ، الا انه أغفل الى حد ما العامل الانساني . وبالتحديد علاقات العمل وتأثير المهاجرين على المقيمين من حيث الاتجاهات الثقافية والسياسية والتي يمكن ان نتعرف من خلالها على الايجابيات او السلبيات الناتجة على موضوعات كالوحدة العربية ـ او المصير العربي المشترك .. الخ . على الرغم من اهتمام المؤلف بتأثير هذه الهجرة على ميزان المدفوعات والطاقة الادخارية وشكل الاستهلاك في الدول المصدرة . ويضيف المؤلف هنا حقيقة مغايرة للفهم العام في الادبيات التي تتناول موضوع الهجرة العربية ، وهي ان الهجرة تحل مشكلة البطالة المقنعة والحقيقية في دول التصدير ، ولكن المؤلف يصل الى عكس هذا التصور وهو ان الهجرة لا تحل نهائيا مشكلة البطالة (ص ٥٤) حيث ان للاخيرة اسبابها المتعددة كأعداد الايدي الفنية الماهرة والاستعداد الاجتماعي لتعاطي نوع معين من العمل .. الخ وليس فقط وجود فرص العمل او عدم وجودها . وضمن القضايا الهامة والتي تصب بالاتجاه سلبي في قوة العمل ـ المهاجرة بالتحديد والمحلية ايضا ـ هذا « الاتجاه الاستهلاكي النفطي » ان هذا الموضوع هام واساسي لدراسة تأثير هذه العلاقات على مستقبل الوحدة العربية فالمؤلف يعرض اليه بشكل دقيق (في الصفحات من ٦٥ ـ ٧٤) فهو يحدد ان « من الجدير بالذكر ان « تأثير المشاهدة » بين الشعوب العربية هو اقوى بكثير من دور تأثير مشاهدة الشعوب العربية لغيرها من الشعوب » ويعطي المؤلف مجموعة من الاسباب لهذا التأثير والتأثر ، وما يهمنا هنا هو ان هذه الملاحظة هامة في تحديد طبيعة العلاقات الخاصة والمميزة للشعب العربي . فهو اذا ليس « شعوبا » بالمعنى السياسي للكلمة انما مجتمعات وثقافات ذات اصول واحدة تجمع بينها لحمة ونسيج في اطاره يتم تحقيق اهدافها ، ومن هنا فان ملاحظة المؤلف حول « تأثير المشاهدة » كان يمكن ان تطور اكثر .

وعندما يناقش المؤلف موضوع التدفقات المالية من البلدان العربية النفطية الى البلدان العربية غير النفطية ، فانه يلاحظ اولا ان مشكلة « الفوائض المالية » هي مشكلة مطروحة على المستوى القطري ولكنها بالتأكيد ليست على المستوى القومي ـ ويمكن ان تكون قوميا على العكس « مشكلة نقص في التمويل » ، كما يلاحظ المؤلف عن حق ان مشكلة الفوائض النفطية المالية ليست دليلا عن ثراء المنطقة انما هي احدى ظواهر تخلفها الاقتصادي ودليل على عدم كفاءة اسواقها المالية سواء في استيعاب هذه الفوائض أو تشغيلها .

الا ان المؤلف في هذا الاطار يعالج الواقع فيتجه الى دراسة دور مؤسسات التمويل الانمائي العربي في تسيير حركة « الفائض » داخل المنطقة العربية ، ويعني الكاتب بدراسة أولا : مؤسسات التمويل متعددة الاطراف ومن امثالها الصندوق العربي للانماء الاقتصادى والاجتماعي والشركة العربية للاستثمار .. الخ (ص٧٦ ـ ٧٧) وكذلك مؤسسات التمويل الانمائي القطرية ، ومثالها الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، وصندوق ابو ظبي للتنمية

والصندوق العراقي والسعودي .. ويدخل المؤلف في نقاش اقتصادي في هذا الاطار من حيث الاستخدام الافضل لهذه الاموال خاصة في مؤسسات التمويل القطرية ويلاحظ المؤلف الضآلة النسبية للموارد المالية المخصصة لصناديق الانماء العربي من جانب الدول العربية المصدرة للنفط وكذلك سلبيات سياسات الاستثمار الذي تقوم به الصناديق .. « ويعود ذلك - كما يلاحظ المؤلف - الى نوعية المستثمر العربي الخاص في الدول النفطية - فهو عادة مستثمر يعرف طريقه بسهولة في مجال الاستثمارات العقارية وأعمال الوساطة التجارية ، ولكنه محدود الخبرة في الاستثمارات المباشرة الاكثر تعقيدا في المجال الصناعي . ولذا فهو يؤثر عليها القرارات السهلة . (ص٧٩) .

كما يشير المؤلف الى حقيقة سلبية اخرى في هذاالاطار وهى « ان الجانب الاعظم من حركة الفوائض المالية للبلدان العربية النفطية يجرى اعادة تدويرها خارج اطار صناديق الانماء .. كما ان الجانب الاعظم من الموارد المالية لهذه الصناديق موزعة بين بندى الودائع لدى البنوك والاستثمارات المالية » ويعترف المؤلف أن وجهة النظر التى يدعوا لها في اطار الاستخدام الافضل لهذه الاموال - من خلال صناديق الانماء - لها معارضوها والتى قد تبنى وجهات نظرهم على حقائق اقتصادية ايضا (ص٨٥) .

ويذهب المؤلف بعد ذلك الى نقد سياسات التمويل لصناديق الانماء العربي التى تعكس تخلفا هاما في الاداء في مجال استكشاف واعداد وترويج المشروعات والبرامج الاستثمارية العربية المشتركة (ص ٩١) ويقترح بعد ذلك اسلوبا امثل لعمليات الاقراض الانمائى لصناديق الانماء العربية وهو اسلوب « تمويل برامج التنمية » لتفادى عيوب وسلبيات اسلوب « التمويل المشروعى » . ولا شك ان هذا الاقتراح طموح للغاية اذا اخذنا بالاعتبار واقع المساعدات الانمائية من حيث رأس المال المتاح والسياسات المرسومة .

في القسم الآخر من هذا الموضوع يدرس المؤلف تدفقات المعونات المالية من الدول العربية النفطية الى الدول العربية غير النفطية ، ويشير الى هذه المعونات على انها دعم مباشر للميزانية - وهى اما تدفقات ميسرة او غير ميسرة الشروط ، كما يشير المؤلف الى ان الفرق بين حجم الارتباط اى الاموال التى وعد بتمويلها وبين الحجم الفعلى للمسحوبات اى الاموال التى دفعت بالفعل جد كبيرة . ولا تفوت المؤلف ملاحظة ان هذه المعونات لها اسباب سياسية الا انه يقع في خطأ المقولة العامة للنظام الرسمي المصرى عندما يوازن (في صفحة ٩٨) بين خسائر مصر من جراء الدخول في معركة مع اسرائيل والمبالغ المدفوعة لها من الاقطار العربية - بهذه الاشارة يبدو ان المؤلف قد يقبل المقولة المرددة في الصحافة والقائلة بأنه يجب تعويض هذا القطر او ذاك بسبب دخوله المعركة مع عدو مشترك ؟؟ ويذهب المؤلف الى محاولة القاء الضوء على البواعث - كما سماها - التى دفعت الدول العربية النفطية الى تقديم المعونات المالية للدول العربية غير النفطية (مصر - الاردن - سوريا) ويعدد هذه الاعتبارات على انها اعتبارات سياسية واعتبارات اقتصادية واعتبارات اخلاقية ؟ ؟

وعندما يعكف المؤلف على دراسة اموال النفط والمشروعات العربية المشتركة يعدد المشروعات العربية الكثيرة المشتركة التى أنشئت بمبادرة من جانب مؤسسات حكومية او مشروعات عربية مشتركة وأنشئت بمبادرة من جانب شركات الاستثمار العربية ، وكذلك المشروعات العربية المشتركة في قطاع النفط والتي كانت منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (بمجلسها الوزاري) خلف فكرة هذه المشروعات . ويخلص من هذا الموضوع بملاحظة « انه على الرغم من ان الشركات والمشروعات العربية المشتركة قد تكون احد الاشكال الهامة التي تسمح بتدفق رؤوس الاموال الخاصة والعامة ... ولكنها ستبقى صيغة محدودة الاثر فيما يتعلق بتحقيق التكامل الاقتصادي بين البلاد العربية (ص ١٢٥) .

وعندما يتحول المؤلف الى دراسة الاتجاهات الجديدة في مجال التطور التكاملي لحركة عوامل الانتاج في الوطن العربي ، فان القاريء يلاحظ بوضوح المفارقة التي يصل الكاتب اليها بعد ان يعدد المجهودات الضخمة لهجرة « رؤوس الاموال العربية في الاقطار العاملة فيها وعدم وجود هذا الاهتمام « للانسان العامل » (ففي حالة

انتقال رأس المال نجد ان هناك الكثير من التنظيمات المؤسسية والترتيبات القانونية التي تحكم حركة انتقال وانسياب رؤوس الاموال من البلدان العربية النفطية الى البلدان العربية غير النفطية ، اما في حالة انتقال عنصر العمل فليس هناك اية تنظيمات مؤسسية أو ترتيبات قانونية بدرجة مناظرة الفعالية تحمي حقوق العامل العربي) (ص ١٢٩) ففي ظل الأوضاع الراهنة يلاحظ غياب اي اطار تنظيمي واضح ومحدد لحقوق العمالة المهاجرة ... فالغالبية من الدول العربية تضع العامل العربي في وضع العامل الاجنبي .

ويدرس المؤلف بكثير من التفاصيل الاطر القانونية التي تضمن وتشجع تدفق رأس المال العربي كاتفاقية منازعات الاستثمار الخ من الاتفاقيات والقوانين ... لقد حاول المؤلف محاولة جادة لدراسة ظاهرة الغنى في بعض الاقطار العربية من جراء النفط وتأثير ذلك على بعض العلاقات الاقتصادية في الاقطار العربية ـ وتلك محاولة جديدة وجريئة بغير شك الا ان عنوان الكتاب كان يمكن ان يكون النفط والعلاقات الاقتصادية العربية ـ حيث ان الاجابة على السؤال الذي طرح في البداية وهو مدى تأثير النفط على الوحدة العربية لا يمكن حسابه اقتصاديا فقط فهو في المجال الاول سياسي وفلسفي ايضا ـ من بعض الاتجاهات المدروسة في هذا الكتاب مثلا يظهر لنا ان النفط في بعض الاوقات عامل تقارب ايجابي وفي بعض الاوقات الاخرى عامل تنافر سلبي لذا لا يمكن وضع اليد على محصلة اقتصادية بعيدا عن الاطار السياسي الاجتماعي القومي وكذلك الدولي لتحديد دور النفط على الوحدة . فالنفط بحد ذاته لا يمكن اعتباره عنصرا حاسما في تحقيق هدف كالوحدة العربية وحتى عن طريق اقصى ما يمكن من التعاون الاقتصادي . لذلك فان السؤال الذي طرحه المؤلف على نفسه لم تجر الاجابة عليه بوضوح ـ وهذه سلبية منهجية تلاحظ على الكتاب . الوحدة العربية قضية ربما اثر عليها سلبيا وجود النفط والاموال الناتجة منه وهناك دراسات اليوم في الغرب ترى ان زيادة اسعار النفط هو طريق لتطمين الاقطار العربية وبالتالي اعطاء تنازلات قومية في قضايا مصيرية ربما مثل القضية الفلسطينية ـ التي لم يشر المؤلف الى علاقتها بالنفط وبالتالي بالوحدة ـ او قضايا اخرى مثلها * . وكذلك في مجال آخر فان النفط قد حقق نوعا من الوحدة « مثل دولة الامارات العربية » التي لم يشر المؤلف اليها من قريب او بعيد .. وتبقى قضية الوحدة والنفط مجالا لكثير من الاجتهادات وهي ان الوحدة العربية ليست احادية العنصر ـ ولكنها موضوع مركب تحتاج الى دراسة في الاطار الشمولي . ومع ذلك يظل الكتاب الذي بين أيدينا مؤلفا قيما ومحاولة جادة تفيد القارىء العربي في الموضوع . ■■

د . محمد الرميحي

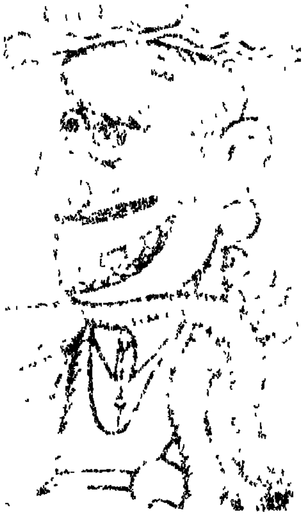
---

* انظر في هذا الموضوع على سبيل المثال كتاب
prtrt r odell oil and world power - pengiun books 1978

منطق الاطفال

كانت احدى السيدات مارة في الطريق فرأت طفلا امريكيا يدخن سيجارة ، فقالت له محذرة : ـ هل يعلم والدك أنك تدخن سيجارة ؟

فأجابها الطفل على الفور : ـ وهل يعرف زوجك بأنك تكلمين الرجال في الطريق ؟



قراءة في ملحمة

الحرافيش

بقلم : الدكتور صلاح فضل

« في ظلمة الفجر العاشقة ، في الممر العابر بين الموت والحياة ، على مرأى من النجوم الساهرة ، على مسمع من الاناشيد البهيجة الغامضة .. طرحت مفاجأة متجسدة للمعاناة والمسرات الموعودة لحارتنا » .

في هذه الافتتاحية الشاعرة يلخص الكاتب الكبير نجيب محفوظ ملامح رؤيته الكونية كما تتجسد في ملحمة الحرافيش ، فهي رؤية تتذرع بالاسطورة دون ان تقع في قلبها ، وتسترق السمع لما وراء الواقع دون ان تبرح مكانها ، وتطرح مناجاة الماضي اسئلة على المستقبل الموعود .وهي فوق ذلك تقيم « حارتنا » نموذجا للكون ، وتجعل منها العالم الاكبر ، وترى فيها الماضي السحيق والحاضر القريب ، فهي من هذه الوجهة امتداد لعملية السابقين « اولاد حارتنا » و « حكايات حارتنا » ، ولكنها طراز فريد في بنائها الفني ، يجرب فيه مؤلفنا اطارا رواتيا ملحميا من حقه ان يدرس بعناية وتمهل ، فاذا كانت الملاحم الكبرى تشمل عادة اثنتى عشرة مرحلة ، فان الحرافيش تتضمن عشر حكايات ، وتستغرق امتدادا زمنيا مهولا يمتد عبر ما يربو على عشرة اجيال اى قرابة اربعة قرون . وكل حكاية تتوزع الى فصول تتراوح بين الطول والقصر ، وتبلغ الحكاية في المتوسط ٥٠ فصلا ، قد يتكون احدها من جملة واحدة مثل قوله :

« لو ان شيئا يمكن ان يدوم على حال فلم تتعاقب



نجيب محفوظ

الفصول ؟ » (صفحة ١٩٤) او يستغرق عدة صفحات ، وتعتمد في التوزيع على الحدس بالزمن وطيه ، وحركة الشخصيات ، وتنقلات الاحداث ، وتنبسط او تتكثف طبقا لتداخل هذه العناصر ، لكنها تخضع في نهاية الامر لنوع من الايقاع الشديد الانضباط البالغ الدقة . فاذا كان نجيب محفوظ يثير دهشة مؤرخيه بانتظامه والتزامه ودقته الصارمة فان توازن الاجزاء في ملحمة الحرافيش لا يقل عن ذلك اثارة للدهشة ، اذ قد تطول الفصول او تقصر لكن مجموعها يصل في عدة حكايات الى ثماني وخمسين صفحة لا يتجاوزها في معظم الاحوال .

من ناحية الشمول

وعندما نتساءل عن اهم العناصر الملحمية في الرواية الحديثة نجدها تتمثل في ثلاث عناصر : الشمول الكلي في الرؤية ، والاستبعاد الزمني بالاسطورة ، والتكثيف الشعري في الاداء . فماذا في ملحمة الحرافيش من هذه العناصر ؟

من ناحية الشمول هناك طموح شديد لتمثيل الانسان في الرواية باعتباره كائنا بشريا يلخص تاريخ الخليقة ، فعاشور الناجي يعادل الانسان الاول ، ابن الخطيئة ، لقيط في الكون ، تمتد اليه يد ضرير ـ الشيخ عفرة زيدان ـ الذي ربما كان يعادل القدر العشوائي ، ويحاول غوايته اخوه درويش ـ على وزن ابليس ـ ولكنه ينجو بالعمل المسخر لخدمة الانسان . ثم يحل الوباء بالحارة (= الدنيا) ويفتك بأهلها ، ويعتصم عاشور مع زوجته الغانية وابنه بالجبل فيمثلون النجاة من الطوفان في قصة الخليقة . ويظل عاشور رمزا للخير ودرويش رمزا للشر ويتجاوران ، احدهما يقوم بدور « الفتوة » المثالي الذي يسخر قوته لحماية المستضعفين ونشر العدل وردع الوجهاء وتحقيق الخير . والثاني يدير « البوظة » ويلعب بالغرائز ويثير الفتنة ويرضي الشهوات . لكن مثالية عاشور الناجي ليست مثالية اخلاقية فحسب بل ايضا مثالية فلسفية ، اى انها لا تقوم على اساس من استقراء التاريخ البشري والاحتكام الى مراحل تطوره الفعلية ، وانما تعتمد على فرض من صنع المؤلف ، هو ان بطلا ما يقرر بمحض ارادته الفردية ان يقيم نظاما من الفتونة على اساس من الخير والعدل ويرفض انحرافها الى البلطجة والتكسب بالقوة . وبالرغم من ادراك المؤلف ووعيه العميق بالعوامل الفاعلة في المجتمع وللصراع الطبقي ولنزعات النفس الانسانية

ولمختلف القوى التى تدير الحياة وتمثيلها برموز متكررة مثل السبيل والزاوية والبوظة والتكية . الا ان هذا الادراك لا يفيده في التكييف التاريخى المتوازن للدور الذى يقوم به نموذجه الاساسى . فيظل عاشور ومن بعده ابنه شمس الدين شخصيات فرضية وهمية لاتتمتع بحياة خصبة مشبعة برائحة الوجود الفعلى . انها تعيش فحسب حياة الاشباح دون اية ارتباطات تاريخية محددة .

ويظل هذا الافتقار الى الوجود الفعلي بزخمه الخصب ماثلا في معظم اجزاء الرواية . فهى تقع في مصر المحروسة . في مكان متعين على مشارف الصحراء مما يلى الدراسة ويتاخم الجيوشي ويقرب من العطوف . ولكنها تقع في فراغ زمنى رهيب . لا حكام ولا عهود ولا مراحل تاريخية خاصة . فهل كانت مصر حينئذ عثمانية ام مملوكية أم خديوية ؟ الم يكن لها اى احتكاك بشعوب اخرى تركية اسلامية ام اوربية غازية ؟ باستثناء بعض الاشارات اليسيرة في التكية والخواجة لا سبيل امامنا لموقعة ملحمة الحرافيش تاريخيا

وهذا على وجه التحديد ما يقصده المؤلف . فهو الذى كتب من قبل القصة التاريخية يدير ظهره عامدا للتاريخ استجابة للمطلب الثاني من مطالب الاطار الملحمى الروائي وهو الاستبعاد الزمنى بالاسطورة . والاسطورة هنا لا تتمثل في الافعال الخارقة المعجزة ولا في البطولات الفذة النادرة ولا في العناصر الغيبية المذهلة . وانما تتمثل على وجه التحديد في اقامة عالم خاص مقطوع الوشائج الظاهرية على الاقل بدنيا الناس وما يأهلها من سكان حقيقيين لهم اسماء تاريخية محددة .

بين الحلم والمعجزة

لكن هذا القدر من التمثيل الاسطوري لا يكفى لبعث الروح الملحمى في الرواية . فكان على نجيب محفوظ ان يكون اشد جرأة في ملامسة الفعل الخارق المعجز ليضرب في العظم الميثولوجي الصلب . وقد اوشك في لحظات فائقة ان يدخل مجال الاسطورة لكنه كان لا يلبث ان يولى الادبار كأنه يفر من حقل الغام . مثلا عندما احتدمت المأساة في نفس شمس الدين غيرة على امه ذات الماضى الموجع ذهب محزونا الى ساحة التكة « ومن شدة اساه حمل السور المتراسى فوق عاتقه » (صفحة ١٢٤) . وعندما يدرك الشيب شمس الدين يتذكر ـ فقط يتذكر ـ الاولياء الذين عمروا الف عام .

وتأتى الحكاية السابعة لتدعو المؤلف الى مشارفة الأسطورة بجرأة أشد . اذ اراد جلال أن يدرك الخلود فذهب الى شاور يلتمس السحر ومرافقة الجان . فأشار عليه بالاعتزال عاما كاملا وبناء مئذنة بلا مسجد ووقف عمارته على مريدته حواء . وبعد أن وفى جلال بكل ذلك مات بالسم على يد زينات الشقراء . وخرج عاريا لينكفىء على حوض الماء ويصبح أمثولة ساخرة في فم الأجيال .. كان الطريق ممهدا لأسطورة فذة . ولكن نجيب محفوظ لا يجرؤ على اقتحامه . ويكتفى بمحاولة الايحاء لنا بالمناخ الأسطوري ـ بالرائحة فحسب ـ بوسيلتين :

أولاهما : تحويل الأحداث الواقعية العادية الى مبالغات تختمر في حضن الماضى وتصبح عجائب .

وثانيتهما : استخدام الحلم لمعانقة المعجزة وكسر قوانين العالم الخارجى . مثلما ترى عند وحيد في حلمه بعاشور الشيخ الأكبر (صفحة ٢٦٢) .

وبهذا يظل عالم الاسطورة مغلقا أمام نجيب محفوظ يقعده حسه الواقعي الحرفي عن ولوجه ويدفعه طموحه الملحمى الكبير لمشارفته . ولو تذكرنا مثلا ما فعله كتاب أمريكا اللاتينية في نهضتهم القصصية المذهلة التى اصبحوا بها سادة الرواية العالمية الحديثة لوجدنا أن سر عظمتهم يكمن على وجه التحديد في اكتشافهم لصيغة جديدة من صيغ الواقعية هى ما أطلقوا عليه الواقعية السحرية . ولوجدنا أن كبرى أعمالهم « مائة عام من الوحدة » لجارثيا ماركيث تقدم عالما شديد الشبه بما يطمح نجيب محفوظ الى تقديمه في ملحمة الحرافيش . ولكن المؤلف الكولومبى يعانق الأسطورة ويرتضى الفعل الخارق لتمثيل القوى الكامنة في الانسان . ويثرى رمزه بأبعاد ميثولوجية متعددة الاشعاعات .

دورة الحياة في الملحمة

على أنه ينبغي لنا أن نمضى مع الحرافيش لنرى كيف

تكتمل دورة الحياة فيها ، ولنقف على معنى هذه الدورة ودلالة رموزها الأساسية . فالجيل الأول والثاني من الفتوات ينجون لقناعتهم واصرارهم على الزهد والنقاء الطبقي ، فهم فتوات يرفضون مخالطة الوجهاء والتلبس بالترف ، ثم لا يلبث وريثهم سليمان أن يزل ، تحمله رموش فاتنة غاوية ، فيدخل دار السمري ويدفع أبناؤه ثمن تخليه عن العهد وفقدانه للفتونة والصحة والشرف ، وتتم مأساة الجيل الرابع بالصراع ـ لا على المال فقد أكلوا منه حتى بشموا ـ وانما على المرأة .

اذا كان التطلع الطبقي هو اللغة الاساسية التي أودت بسليمان وأفقدته عهد الفتونة ، فان نزوات المرأة وكيدها كفيلان بتدمير أولاده والقضاء على ما بقي لهم من مال وجاه . ويظل المبدأ الذي يقود أبطال نجيب محفوظ في هذه الرواية ويحدد مصائرهم هو : الزهد وحده طريق النجاة . والترف والمرأة كلاهما سبيل الهلاك ، وهو مبدأ يتم تصوره بشكل متعادل على الواقع التاريخي ويتم عرض الاحداث عليه بطريقة فرضية مسبقة مما يؤدي الى نتيجة خطيرة يصبح التغير تدهورا الى الاسوأ والتطور خروجا من الفردوس المفقود ، مما يكاد يلغي منطق الحياة والتاريخ ويقيم بديلا عنه كونا مثاليا يخضعه لقوانين تختلف عن قوانين التطور الاجتماعي والانساني المعروف .

واقول « يكاد » لان حاسة نجيب محفوظ الروائية الواقعية تسعفه على الفور في الحكاية الرابعة التي تعرض قصة المطاردة والتي تفوح منها الى حد كبير رائحة الحياة في العصور الوسطى ، اذ تتجلى مهارة المؤلف في بعث المناخ التاريخي والموقعة المكانية . ربما لانه يخرج من نطاق الحارة الشاحبة الماثلة كذكرى بعيدة فيشتد قربه من مركز الضوء ونقطة الرصد وتمتليء شخوصه بحياة فعلية مختلفة عما كان للاشباح السابقة ، وربما لانه يكف في هذا الفصل عن الخضوع الحرفي لمنطق الثواب والعقاب الاخلاقي ويسمح لمفارقات الحياة ان تسخر قليلا من السيمترية الصارمة ، وان تواجهنا بمصير عبثي تتمخض عنه هذه المطاردة . فسماحة يفر من حكم ظالم بالاعدام ، وفي الليلة التي يسقط فيها عنه الحكم بالتقادم يعود ليرى زوجته قد غررت به واقترنت بغيره ، وينشب بينه وبين غريمه صراع يدفعه الى قتله دفاعا عن النفس ، ولكنه يبقي مطاردا دون ذنب حقيقي ، اذ لا تلبث مفارقات الحياة ان تتكشف عن جانب آخر من المأساة ، فغريمه لم يمت حقيقة وهروبه الثاني لاجدوى منه ولا ضرورة له ، لكن من ذا يدله على السر ؟ ويضع نجيب محفوظ لهذه الحكاية ختاما بارعا يستعيره من ابيات حافظ الشيرازي التي يثبتها بالفارسية في الرواية ، وترجمتها :

ليس لآلامنا من علاج سواك ايها الغوث
وليس لهجرنا من سبيل سواك ايها الغوث

فيعطي ايقاعا يائسا مستصرخا بأعتاب السر الكبير ، ولكنه يمضي الى ابعد من ذلك فيستحضر هذا الغائب مرة ثانية وقد صار شيخا ضريرا تقر عينه باولاده فيلقى ايضا ـ على المدى البعيد ـ جزاءه وثوابه .

حيل دائمة

ولا تنفد حيل نجيب محفوظ في تنويع الشخوص ، بل يتجلى في كل فصل مظهر جديد من اقتداره الروائي يكسر حدة الرتابة ويكشف جانبا آخر من نفس الصورة . فيخرج علينا في الحكاية السادسة بامرأة بارعة الجمال من آل الناجي الفقراء ، تطمح الى السيادة بحسنها وفتنتها ، لكنها لا تتربع على عرش الفتوة مباشرة ، بل تكاد تصل اليه عبر اربعة ازواج ، احدهم فران والثاني تاجر بطارخ والثالث فتوة لا يبني بها اذ يصرع في موكب عرسه والرابع عميد آل الناجي يصبو وهو في كهولته ويتزوج منها . بيد ان المؤلف لا يطيق هذا الطموح من امرأة ولا يصبر عليه فيدخر لها شر ميتة ، اذ يهجم عليها زوج مطرود ويهشم راسها في ميدان الحسين . هذه النهاية لا تتسق الا مع منطق نجيب محفوظ في الحنق على طموح المرأة والحرص على ان تلقى شر الجزاء .

فهي مثال آخر على النهايات الاخلاقية « المحفوظية » التي تولد في نفس القاريء غير قليل من المرارة والاسى وتدعوه الى ان يتمنى قدرا من الفوضى في عوالم نجيب محفوظ شديدة الاحكام بالغة السيمترية والحرفية في المصائر البشرية .

ويتمتع اهل الحارة بذاكرة عجيبة ، فهم يتوارثون اخبار الاجداد وقد صارت اساطير بالتقادم ومثلا عليا بالاماني ، فعاش نموذج المثل الاعلى للفتوة ـ وهو مصنع القوة في خدمة الخير والجماعة ـ في وجدان الناس ، ولم يوشك ان يتحقق بعد العهد الاول السعيد سوى في الحكاية التاسعة ، حيث جاء فتح الباب في عام المجاعة ليعاند طغيان الفتوة المحتكر وليوزع الغلال من وراء ظهره على الفقراء ، وعندما علق في السقف عقابا على فعلته ثار الحرافيش وقضوا على الفتوة ، ولكن فتح الباب كان نموذجا لحب الخير دون ان يتسلح بالقوة ، وقد حيل بينه وبين مصدر قوته ـ وهم الحرافيش وعامة الناس ـ فتهشمت رأسه عند مئذنة جده المجنون .

وهنا نجد أنفسنا امام نقطة تحول في التصور العام للرواية ، فحب الخير لا ضمان لدوامه ان اعتمد على الفرد ، ولا بد لكي يستمر من ان يستمد قوته من ارادة الجماعة . وهذا على وجه التحديد ما يتحقق في الحكاية العاشرة اذ يجيء عاشور الاصغر جامعا بين القوة والحق ، بين الفتوه وحب الخير ، فامتلأت الحارة على يديه عدلا كما كانت أول مرة ، مع فارق واحد جوهرى يمثل الدلالة الاخيرة لدورة الرواية ، وهو ان قوته هذه المرة لم تكن قوته كفرد بل قوة جموع الشعب ، اى بلغة العصر الوسيط قوة الحرافيش وبهذا يصبح المعنى الاساسي للرواية هو عدم استطاعة البطولة الفردية ان تنتصر طويلا للخير والعدل ، ولهذا تتجلى ضرورة الاعتماد على البطولة الجماعية

ولن يماري احد الان في اهمية هذه الرؤية ، لكن الاهم منها هو كيف يحدث ذلك ؟ كيف تمارس الثورة وفي ظل اية ظروف . اما هذا القدر من الدرس الذي نخرج به من الحرافيش فهو نفسه عصارة خبرة الانسان في العصر الحديث ، انه قد ادرك وهو على اعتاب الوعي التاريخي بأنه وحده لن يفعل شيئا ، ومع الجماعة يد الله . لكن كيف وبأية وسائل ؟ هذه هي القضية اليوم . ومن هنا يتضح انه كان من المستحيل على رؤية نجيب محفوظ ان تكون ملحمية بالفعل او اسطورية حقيقية لانها تحاول ان تستشرف الواقع وتسلم بمعطياته وتعانق خبراته ، لكنها لا تختبر تصورها على نار المعاناة التاريخية الفعلية بل تتأملها على ضوء فروض فلسفية مصطنعة مفارقة للوجود العملي

آفاق شعرية فذة

ونأتي عقب ذلك الى العنصر الثالث الملحمي وهو التكثيف الشعري فنواجه نجيب محفوظ في قمة تمكنه وبراعته وأستاذيته ، فبعد أن تحرر أسلوبه الى النثرية الشديدة في الكرنك وحضرة المحترم ، يرتقي في ملحمة الحرافيش الى آفاق شعرية فذة تتمثل في عدة مستويات :

ـ أولها وأدناها الينا المستوى اللغوي المباشر ، حيث يكتنز الكلام ويتشكل في اطر قريبة من الشعر المنثور خاصة في مطالع الفصول مثل الافتتاحية التي سقناها في مستهل البحث ، ومثل قوله في الحكاية الاولى :

« ماذا يحدث لحارتنا ؟
ليس اليوم كالامس ، ولا كان الامس كاول امس
امر خطير طرأ
من السماء هبط ، ام من جحيم الارض انفجر ؟
وهل تجري هذه الشئون بمحض الصدف ؟
ومع ذلك فالشمس ما زالت تشرق
والليل يتبع النهار
والناس يذهبون ويجيئون
والحناجر تشدو بالاناسيد الغامضه ..
ماذا يحدث لحارتنا ؟ » (ص.٥)

فاسلوب التساؤل وتقديم الفاعل والجار والمجرور على المسند وتقطيع العبارات وتكرار نفس السؤال مع تنويع يسير في الحرف ، كل هذا يشدنا الى منطقة العبارة الشعرية بالتضافر مع الايقاع الداخلي للكلمات وهندسة الجمل التي لا تلبث ان تبوح بروحها الشعري حالما اعيد توزيعها على الاسطر . وامعن من ذلك في باب الشعر صيغ تتراءى من خلفها موروثات ثابتة ، فعبارة « امر خطير طرأ » لا تثير الجلال الملحمي الا بما تبعثه من ايحاءات بعبارات سابقة ، وعبارة « من السماء هبط .. أم من جحيم الارض انفجر » تتداعى في وجدان القارىء مع ابيات شوقي عن النيل .

ومــن السماء نزلــت أم فجــرت مــن
علينــا الجنــان جـــداولا تترقرق

وتثير العبارات التالية ايحاء بالصيغ القرآنية ذات الرصيد الموسيقي والدلالي الخصب . ويتمثل المستوى الثاني في تكثيفه الشعري في الاستطعامات الذكية التي يقتبسها من الشاعر الفارسي العظيم حافظ الشيرازي في غزلياته ، ونجيب محفوظ يلعب في هذه الاستطعامات لعب محترف حاذق ، فهو يستغل عروبة الحرف الفارسي وسهولة قراءته واختلاف اللغة واستغلاق معناها على القارىء العربي ليحدد القدر المسموح له بتلقيه وهو هيكلها الصوتي فحسب كي يناوئه ويشاغله بسرها المكنون ، انه يلعب بورقة الابهام المتبدي من الاسطر ليثير جلة ايحاءات رمزية حافلة بالدلالة ، فهذه الاناشيد قد تمثل القوى الروحية الدائمة المتعالية على الزمان والمتأبية على المكان ، لقد قال عنهـا مرة ـ على لسان جلال ـ انه يدرك لماذا لا ترد على طارق ، لانها خالدة مثل الموت ، هذا الخلود اذن هو الوظيفة الرمزية للاناشيد ، لانه يضعها خلفية ثابتة قائمة على حافة الحارة الحافلة بالمتغيرات فكأنها الشاشة المضيئة بغموض والتي تعرض فوقها حركة الوجود الطاغية اللاهية ، فهي ابدا ماثلة هناك لتصنع المفارقة بين الموت والحياة والروح والجسد والدين والدنيا .

وظيفة الاناشيد

وكل تلك هي عناصر العالم عند نجيب محفوظ ـ ولتمثل في التحليل الاخير النغم الشرود المبهم العذب الذي يرمز للمجهول في حياة الناس ويغطي منطقة الغموض الشاعر في وجودهم . ولكنها عند من يعلمون فض الاسرار عميقة الارتباط بموقعها من الفصول ، انها غالبا ما تقوم بدور القرار الموسيقي والدلالي للاحداث والشخصيات ، فهي مرة صحوة الروح والجمال عند عاشور اذ يكون معناها [1] .

يا من يشع ضياء الحسن من وجهك الصبوح

ويا من ينبع الجمال من طابع حسنك المليح (صفحة ١٥)

ومرة اخرى انذار بسوء المصير وتوقع للآلام اذ تقول :

لقد غرقت العيون في الدم من بكاء القوم (صفحة ٢٩)

ثم تصبح عند عاشـور ايضـا مناشـدة للحظـات الصفاء ومغازلة لعوالم القرب وهي تقول :

لا ملجأ لي في هذا العالم غير اعتابك

وليس لنا دونها من قبلة (صفحة ٥٩)

فاذا انتقلنا الى شمس الدين اخذت قوانين المادة والفساد تمارس فعلها في عالمه ، ولانه نقي فهو يدرك ما هو مقبل عليه ولا يستطيع له ردا ، عندئذ يهتف موجعا .

شتان بين صالح الاعمال وما انا فيه من خراب

فانظر الى تفاوت الطريق وتعدد الاسباب (صفحة ١٣٩)

ثم نمعن مضيا في عالـم الخراب ـ وهـو مصطلح صوفي يرادف عالم المادة والجسد ـ فتكاد تتقطع بنـا الاسباب عن عالم الروح حتى لنود نظرة من كيمياته الساحرة :

قل لمن يجعل الترب تبرا بنظرة واحدة

الا يمن علينا ولو من طرف خفي ؟ (صفحة ٢٠٣)

وعندما تتصاعد الاناشيد لتتسلق امواج الظلام ولتحف بسماحة وهو مختبىء خلف اسوار التكية في انتظار حبيبته مهلبية ليهرب معها من طغيان الفتوة يصبح معناها :

في هذا الزمن .. فان رفيقي البريء من الخلل

---

(١) أذكر بالشكر والتقدير الدكتور محمد نور الدين تفضله بترجمة هذه الأبيات .

هو كأس الخمر الصافية .. وسفينة الغزل (صفحة ٢١٤)

وينصت جلال للغناء وهو في لحظة فائقة يكاد يشارف السحر ويطرق باب الخلود فينساب اليه الصوت في عذوبة وكأنه يتدفق من داخله :

قال طائر الخميلة للوردة اليانعة في الصباح

كفكفي من الدلال فلست وحدك المونقة في البستان (صفحة ٤٠٢)

وبعد ان تدور الحياة دورتها ، ويأتي عاشور الثاني ويهب كل فتى نبوتا من الخيزران وثمرة من التوت يصبح هتاف الحناجر الشادية :

بالامس في وقت السحر
نجاني من الغصة
والآن في ظلمة الليل
منحني ماء الحياء ! (صفحة ٥٦٧)

عن الطريق الصوفي

ومع ان نجيب محفوظ - فيما يبدو - بعيد عن الطريق الصوفي - فقد انطلق احدث ابطاله « جلال ابو السعود » في قصة « ايوب » بنقد حاد للتصوف على اساس انه « ارستقراطي مقاماته التوبة والفقر والتوكل .. اما طريقي فمقاماته في الحرية والثقافة والعلم والصناعة والزراعة والتكنولوجيا .. والتصوف يجعل من الشيطان العدو الحقيقي للانسان اما الطريق فعدوه يشمل الفقر والجهل والمرض .. » الا ان كثيرا من التسربات الصوفية قد تخللت ملحمة الحرافيش ونازعت حالات ولغة ابطالها . وما حضور حافظ الشيرازي العميق المتكرر الا سرادقا صوفيا في مدن نجيب محفوظ الآهلة .

التكثيف الشعري ايضا في قوة الاداء الدرامي ودقة الحوار والقصد في الوصف والاقتصاد الشديد في الكلمات ، في مثل المشهد التالي :

« كان شمس الدين ماضيا نحو مسكنه ليلا عندما اعترضه شبح امرأة . همست :

- مساء الخير ..

- عيوشة ؟ .. ماذا جاء بك ؟

- هلا تتبعني الى حجرتي ؟

خفق قلبه . خاف الدعوة ، ثار فضوله ، اشتعل شبابه . مضى وراءها صاغرا

(صفحة ١١٩)

فالحوار لا يتضمن ردودا ، بل هو سهام موجهة لا تقتلع من المكان الذي تنغرس فيه . والتعليق جملة من الافعال المتتابعة التي تجسد عالمه الداخلي ، والتنامي فيها لا يقتصر على التصاعد النفسي من الرغبة الوجلة الى الانسحاق الذليل تحت جبروت الشهوة العارمة ، بل يتجاوز ذلك الى تزايد المقاطع في كل جملة حتى تنسحب الكلمات معه ممدودة مستطيلة في القسم الاخير .

وعندما تتراكم امتصاصات نجيب محفوظ للروح الشعبي وتشربه بالحكمة العامة ينضح هذا في ايجازاته المتكاثرة التي تبدو احيانا كأنها تعليق شاعر الربابة وهو يلخص حكمة الاجيال في مثل قوله :

« تنساب عربة الزمن مكللة بالزهو والحياء ، صلصلة عجلاتها المدوية لا يسمعها احد . الاذن لا تسمع الا ما ترغب في سماعه .

يتوهم الفحل انه اقترن بالدنيا قران دوام ..

ولكن العربة لا تتوقف ، والدنيا زوج خؤون !

(صفحة ١٢٧)

فالى جانب التعبير بالصورة الذي هو من خاصية الاداء الشعري ، يتوقف مؤلفنا ليقول حكمته عن الطبيعة الانسانية والحياة في وقفة تعد من ابرز مميزات الشاعر العربي الشعبي في قربه ونفاذه معا .

ان نجيب محفوظ هنا من سلالة اصحاب القول الفصل والكلمة الجامعة ، ولكنه يختلف عنهم في روحه الملحمي وحدة احساسه بايقاع الزمن والانصات للمجهول ومزج الاغنية بالخاطر البعيد ورؤية عجلة الحياة ، وهي تدور في غفلة من القلوب الواهمة فينور حركة الطبيعة ويكتشف منظومة الحياة وينصت في لحظاته الشعرية الملحمية المكثفة لموسيقى الوجود . ■■

القاهرة - د . صلاح فضل

من لم يحركه الربيع وأزدهاره ، والعود وأوتـاره ، فهـو فاسـد المزاج وليس له علاج ..

الغـــزالي

الغناء والموسيقى

بقلم : الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة

تقع حياة الامام الغزالى ، رحمه الله ، في قرن من قرون الحضارة الاسلامية الغنية بالجاهاتها . وكان فن الغناء وفن الألحان قد تطور على أصوله الأولى بين العرب حتى وصل ذروة عالية من الرقى ، كما كانت قد ظهرت التآليف النظرية في الموسيقى قبل ذلك بأكثر من قرنين على يد الكندى . ثم جاء الفارابى وابن سينا فأضافا تآليفهما . وكان التأليف النظرى متمشيا مع الممارسة العملية للصناعة في الغناء .

وكان عصر الغزالى عصر فكر علمى وفلسفى ، وعصر غناء متنوع في طبيعته وأهدافه .

ولم تزل الأنغام والألحان دائما وسائل كبرى للتعبير عما يختلج في النفس البشرية من ضروب الانفعالات التى قد تعجز عنهـا اللغـة العـادية . ومـن العبـارات المأثورة قولهم إن الأنغام والألحان فضل من المنطق عجز عنه اللسان فأخرجته الطبيعة بالألحان .

وعنـد بعض فلاسفـة الاسـلام (أبـى سليان السجستانى) رأى يشبه رأى أحد الفلاسفة الأوروبيين (الفيلسوف الألمانى هيردر Herder) ، وهو أن النفس



الإمام الغزالي

الانسانية فيها الأنغام والألحان ، وهي تظهر وتتجلى في مواقف الحياة ، وتصل الى رقيها بفضل الصناعة والتدريب العملي .

لكن من المعروف ان الألحان والأنغام لا تحسن إلا مصاحبة لأحوال القلوب . والقلوب تختلف فيا يشغلها أو يرد عليها فتعبر عنه ، من حب وشوق وحنين ، فرح أو حزن ، حماسة أو هدوء .....

وللصوفية ما يشغل قلوبهم من حب الله والشوق إلى لقائه والحنين إلى حياة الملأ الأعلى ، ولهم في ذلك أشعارهم ، لكنهم يسمعون غير ذلك من تعبير عن أشواق القلوب وعن الوصال ومقامات القرب ، فينزلون ما يسمعون على أحوالهم ومواجيدهم وحنين أرواحهم ، وهذا ما يسمونه « السماع » ، وله عندهم شأن كبير ، بل له فلسفته وميتافيزيقاه ، وله آدابه اللطيفة . وكل ذلك سطروه في كتبهم ، ويجده من يشاء عند أبي بكر الكلاباذي (ت ٣٨٠ هـ) في كتابه « التعرف لمذهب أهل التصوف » وعند أبي نصر السراج الطوسي (ت ٣٧٨ هـ) في كتابه « اللمع » وعند أبي القاسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ) في « الرسالة في علم التصوف »

وليس السماع مجرد محبة لأنغام أو ألحان تصاحب حال المريد ، ولا مجرد استحضار لحال من الأحوال السنيّة أو « استجمام من تعب الوقت وتنفس لأرباب الأحوال » ، بمعنى التلطيف لما يعانيه المريد . وإنما يستند إلى شيء أعمق من ذلك بكثير .

ففي القرآن الكريم أن الله تعالى خاطب الأرواح في الأزل ، وأشهدها على أنفسها بربوبيته . « وإذ أخذ ربك من بني آدم ، من ظهورهم ، ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألستُ بربِّكم ، قالوا : بلى ، شهدنا » (س٧/الأعراف/١٧٢)

على أساس هذه الآية ، التي تسمى « آية الميثاق » ، قال بعض العلماء من المتكلمين ومن الصوفية إن المعرفة بالله تعالى مغروسة في الأرواح وإن الأدلة العقلية عبارة عن إظهار لها وتفصيل وتصديق .

وللصوفية على أساس هذه الآية أيضا رأيهم في السماع :

سئل الجنيد (ت ٢٩٧ هـ) : ما بال الانسان يكون هادئا ، فاذا سمع السماع اضطرب ؟

فقال : ان الله لما خاطب الذرّ (= الأرواح على صورة يرمز اليها بالذر) في الميثاق الأول بقوله : « ألست بربكم ، قالوا : بلى » ، استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح ، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك » (الرسالة للقشيري) .

ويقول أبو محمد رويم بن أحمد (ت٣٠٣هـ) : « إن القوم سمعوا الذكر الأول حين خاطبهم بقوله : « ألست بربكم » ، فكمن ذلك في أسرارهم ، كما كمن كون ذلك في عقولهم ، فلما سمعوا ظهرت كوامن أسرارهم ، فانزعجوا كما ظهرت كوامن عقولهم عند إخبار الحق لهم عن ذلك فصدقوا » (التعرف للكلاباذى) .

وهذا المعنى لا يزال يتردد عند شعراء الصوفية من عرب وفرس وترك : سعدى الشيرازى ، ابن الفارض ، جلال الدين الرومى ، العسكرى الشاعر التركى .

يقول سعدى عن الذاكرين لله (البستان ـ كتاب العشق) :

ألست از أزل همجنان در بكوش
بفرياد فالوا : بلى ، در خروش

(قوله تعالى : ألست بربكم ، في آذانهم من الأزل ، فهم في ذكرهم يقولون : بلى) .

فكأن جمال الصوت ، أو النغم وما يعبر عنه ، شيء من عالم أعلى يذكر السامع بما كان هنالك .

ولذلك لما سئل ذو النون المصرى (ت ٢٤٥ هـ) عن الصوت الحسن ، قال : مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وطيبة . ولما سئل عن السماع قال : وارد حق يزعج القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى اليه بنفس (أى بهوى) تزندق .

وليس من المهم أن يكون ما يسمعه الصوفى لحنا بالغ الجمال خالبا للُبّ أو شعرا ملتهبا بعاطفة الحب والشوق ، لأن قلبه من شدة ما فيه من الحب والشوق يتحرك لأقل شيء ، فصوت الطير يحرك قلبه ، بل صوت الريح وصرير الباب . وقد أحسن الشاعر سعدى في التعبير عن ذلك بقوله (البستان · كتاب العشق)

نه مطرب ، كه آواربايء ستور
سماع است گر عشق دارى وشور

(المعنى أنه ليس المهم هو المطرب ، بل صوت أرجل الدواب سماع إن كنت عاشقا) .

وجاء « حجة الاسلام » فتناول الموضوع على طريقته بالتفصيل والتحليل ، وفلسف السماع في ضوء فكره الدقيق ومعرفته الواسعة وروحه الحساسة وتجاربه الروحية .

آداب السماع والوجد

فهو في المجلد الثانى من « الاحياء » ، في كتاب خاص عنوانه « كتاب آداب السماع والوجد » ، يبتدىء بعبارات حارة في وصف أهل الفناء في الحب والشوق « الذين أحرق الله قلوبهم بنار محبته ، واسترق هممهم وأرواحهم بالشوق الى لقائه ومشاهدته ، ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته ، حتى أصبحوا من تنسُّم روح الوصال سكرى ، وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجمال والهة حيرى ، فلم يروا في الكونين شيئا سواه ، ولم يذكروا في الدارين إلا إياه . إن سنحت لأبصارهم صورة عبرت الى المصور بصائرهم ، وإن قرعت سمعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم .... وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق ... لم يكن انزعاجهم إلا إليه ولا طربهم إلا به ، ولا قلقهم إلا عليه ، ولا حزنهم الا فيه ، ولا شوقهم إلا الى ما لديه ، ولا انبعاثهم إلا له ، ولا ترددهم إلا حواليه ، فمنه سماعهم واليه استماعهم ، فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم ، أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين أصفيائه وخاصته » .

هذا هو حال أهل المحبة والشوق ، وهم أهل



ونحن نذكر رأى الغزالي بعباراته هو ، لأنها أبلغ تعبير عن تفكيره ، فالحق أنه يتكلم من أعماق روحه وتجاربه ، ولذلك جاءت عباراته بهذه الروعة والعمق .

ولا شك أنها تحتاج ، رغم وضوحها ، إلى تأمل العلماء في طبيعة النفس البشرية وطبيعة الألحان والأنغام والسر في تأثيرها العظيم في نفوس الكائنات الحية ، خصوصا النفس البشرية .

وبعد أن يتكلم أبو حامد عن السماع ومظاهر تأثيره في الانسان يشرع في بيان آراء الفقهاء في حكم السماع ، والمقصود سماع ماليس مجونا ولا فسادا ، فمن الفقهاء من حرمه أو كرهه أو اعتبره من الذنوب ، لأنه لهو أو لعب يشغل عن الدين ، ولأنه كما يقول الشافعي مثلا : « اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة » . ومن الفقهاء من أباحه ، خصوصا الصوفية ، تحريكا للحب والشوق . ويذكر عن الخضر عليه السلام أن السماع هو « الصفو الزلال » .

منهج في تحليل الغناء

لكن أبا حامد ينظر في الموضوع على أساس آخر : لا يوجد في الدين نص يحرم السماع ولا قياس على نص ، فيبقى النظر في السماع من حيث هو ، وهنا يأتي منهج أبى حامد في تحليل الغناء الى عناصره لمعرفتها ، كل منها على حدته ، ثم النظر فيها مجتمعة :

فعند تحليل الغناء نجد أن فيه سماع :

١ ـ صوت طيب ، وهذا هو الوصف الأعم ، وسماع الصوت الطيب من حيث أنه طيب حلال بالنص . وهنا يذكر الغزالي بعض الأحاديث ، وهو حلال بالقياس ، لأنه تلذذ حاسة السمع بادراك ماهو مخصص بها ، كغيرها من الحواس ، وهذه فطرة .

٢ ـ صوت طيب موزون ، والوزن شيء زائد على حسن الصوت ، فقد يكون الصوت حسنا غير موزون أو موزونا غير حسن . ومن الأصوات الموزونة أصوات بعض ذات السجع من الطيور ، « فهي مع طيبها

السماع ، لكنهم لا يسمعون بآذانهم بل بقلوبهم التي استقر فيها حب الله ، بعد أن عرفته العقول ، فصارت لهم مع الله مواقف من الشوق لا يعرفها غيرهم ، وكما عبر عن ذلك سعدى الشيرازى ، على سبيل الرمز .

نشايد بدارو دوا كرد شان
كه كس مطلع نيست بر درد شان

(لا يمكن علاجهم بالدواء ، لأنه لا أحد مطلع على آلامهم) .

ويشرح الغزالي تصوره للقلب الانساني الذى يعده « لطيفة ربانية » ، فيقول : « إن القلوب والسرائر خزائن الأسرار ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر ، وأخفيت كما أخفى الماء تحت التراب والمدر » .

ويرى أبو حامد أنه « لاسبيل الى استثارة خفايا القلوب إلا بقوادح السماع ، ولا منفذ اليها إلا من دهليز الأسماع ، فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج مافيها وتظهر محاسنها أو مساويها ، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه ، كما لا يرشح الاناء إلا بما فيه ، فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق ، فلا يصل نفس السماع إليه إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه » .



موزونة متناسبة المطالع والمقاطع ، فلذلك يستلذ سماعها » ، ومنها أصوات بعض الآلات الموسيقية ، فلا حرمة في ذلك إلا ما نهي عنه من آلات أهل المجون والشراب ، والنهي عنها ليس لذاتها بل لما يصاحبها من تذكير بالشراب وما يؤدي اليه ، وهو أمر عارض .

٣ ـ كلام موزون مفهوم ، وهو الشعر ، وليس فيه من زيادة إلا كونه مفهوما ، « والكلام المفهوم غير حرام » . والحق في ذلك ما قاله الشافعي رحمه الله ، وهو « أن الشعر كلام ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح » .

وإذا كانت العناصر ، كل منها على حدة ، مباحة ، فإن الجملة مباحة أيضا ، إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الآحاد ، وليس ها هنا شيء محظور .

٤ ـ كون السماع محركا للقلب مهيجا لما هو الغالب عليه .

وهنا يتعرض أبو حامد لمشكلة ، لا أعرف ، في حدود علمي ، أحدا اهتم بها قبله بمثل اهتمامه . هو يقول :

« لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح ، حتى أنها تؤثر فيها تأثيرا عجيبا ، فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن .... ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ... »

ويؤكد فيلسوفنا قيمة هذا الانفعال الانساني أمام الجمال فيقول : « من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج وليس له علاج » ، ويشير الى تأثير الغناء في صرف الطفل عما يبكيه والجمال عن ثقل ما تحمله ، ثم يزيد رأيه تأكيدا بقوله : « إن تأثير السماع في القلب محسوس ، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص ، مائل عن الاعتدال ، بعيد عن الروحانية ، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور ، بل على جميع البهائم ، فإنها جميعاتتأثر بالنغمات الموزونة ، ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته » .

وإذا كان الأمر متعلقا بتأثير السماع في القلب الانساني ، فان الحكم في أمره بالاباحة أو بالتحريم لا يصح أن يكون مطلقا ، بل يراعي فيه اختلاف الأحوال والأشخاص وطرق الأنغام نفسها والغاية منها .

وهنا نجد رأي الغزالي في الوظيفة الدينية الروحية والانسانية بوجه عام للسماع . وهو يذكر أمورا كثيرة تكون للغناء فيها « أغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب » .

من ذلك غناء الحجيج لما فيه من تهييج الشوق إلى حج بيت الله ، « وإذا كان الحج قربة والشوق اليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا » ، وكلما كانت عناصر الغناء والألحان كثيرة متنوعة كان التأثير أبلغ .

والغناء والألحان من وسائل تحريض الغزاة والمجاهدين ، إذا كان مع الألحان شعر يدعو إلى الشجاعة والتضحية . ومن ذلك رجزيات التشجيع في أنواع المبارزات ، « وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس » ، وكل ما في الأمر أن يكون القتال مشروعا وأن تكون الألحان نفسها عاملا على تقوية النفس لا على حل عقدة الشجاعة وإضعاف صرامتها .

ولا ينسى أبو حامد غناء النياحة وأصواتها ، شريطة ألا تكون على ما فات ونفذ فيه قضاء الله ، وإنما تكون

على ما فات من تقصير الانسان وما فرط منه ، « وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود ، لأنه يبعث على التشمير للتدارك ، ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة » . والمبدأ العام عند ابي حامد هو أن المفضي الى المحمود محمود .

ويدلك على إدراك فيلسوفنا لحاجات النفس الانسانية الى ما يصاحب شعورها بالسرور في أوقاته ، مثل أيام الأعياد والعرس وقدوم غائب وولادة مولود ونحو ذلك ، وهذه مناسبات للسرور المباح ، قوله « وكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه » ، على نحو ما حدث مثلا عند استقبال الرسول ﷺ في المدينة ومن لطيف تقدير أبي حامد للطبيعة البشرية أنه يسمح بالتعبير المتنوع عن السرور بالغناء ، بالشعر ، بالرقص والحركات ، في حدود آداب الدين .

العشاق .. والمشتاق

وهناك سماع العشاق ، وفيلسوفنا يأذن به « تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسليه للنفس » . على أن يكون ذلك في عشق مباح . ومن الطريف تقدير الغزالي وتفهمه لنفسية العاشق المشتاق وما يريح قلبه ، فهو يقول .

« ان الشوق وان كان ألما ففيه نوع لذة ، اذا انضاف اليه رجاء الوصال ، فان الرجاء لذيذ واليأس مؤلم . وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو ، ففى هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر فى الوصال ، مع الاطناب في وصف حسن المحبوب ، وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله ، كمن يعشق زوجته أو سريته ، فيصغى الى غنائها لتضاعف لذته فى لقائها ، فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الأذن ويفهم لطائف معانى الوصال والفراق القلب ، فتترادف أسباب اللذة . فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ، وما الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وهذا منه »

وهناك أخيرا سماع من أحب الله واشتاق الى لقائه ، فصار لا ينظر الى شيء الا رأى الله فيه ، ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه ، فالسماع فى حقه مؤكد لحبه مهيج لشوقه « ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها ، يعرفها من ذاقها وينكرها من كلّ حسه عن ذوقها ، وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا ، مأخوذا من الوجد والمصادفة ، أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ، ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات ، هى غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها ، فالمفضى اليها من جملة القربات لا من جملة المعاصى »

وهنا يؤكد أبو حامد من جديد امكان محبة الانسان لله ، لأنه مصدر الموجودات لها ، « ولا خير ولا جمال ولا محبوب فى العالم الا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه .. بل كل حسن وجمال فى العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته »

ولا يحرم السماع الا لأمور عارضة مثلا . من المغنى اذا كان سببا للفتنة والفساد أو من الغناء نفسه اذا كان مجونا ، أو من المستمع اذا أنزل ما يسمع على شهوات نفسه ، أو اذا جعل السامع ديدنه سماع الغناء واشتغل به عن أمور دينه ودنياه

ويتناول أبو حامد الآراء التى تحرم الغناء والسماع فيحللها تحليلا دقيقا ويفهمها فى ضوء المحافظة على فضيلة النفس الانسانية وروحانيتها وحاجة القلب الآدمي فى هذه الحياة الى الترويح الذى لابد منه للاقبال على العمل فى أمور الدين والدنيا .

حتى تصفو القلوب

ويحلل فيلسوفنا فى فصل ممتع آثار السماع وآدابه .

١ ـ الفهم ، وهو بحسب المستمع .

سماع بمجرد الطبع ، أى مجرد الاستلذاذ بالألحان ، وهو مباح ، لكنه أول وأقل رتب السماع .

سماع الفهم ،لكن مع تصور مخلوق معين أو غير

معين ، وهو سماع الشباب من أرباب الشهوات ، وهى حالة أخس من أن تذكر الا لبيان خستها .

سماع الفهم ، لكن مع تحويل معاني ما يسمع الى أحوال نفسه في معاملته لله وتقلب أحواله في التمكن مرة والتعذُّر أخرى ، وهو سماع المريدين ، فاذا سمع المريد مثلا ذكر عتاب أوقبول أو وقرب أو بعد أو وحشة ونحو ذلك ، فانه لابد أن يوافق حال المريد ، فيجرى مجرى القدح الذى يورى زناد قلبه في الحب والشوق الى الله .

وهناك سماع من يسمع عن الله ، فانيا بالكلية عن نفسه وأحواله ، « وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص »

٢ ـ الوجد ، وله تعريفات عند الصوفية وعند الفلاسفة فمن تعريفات الصوفية : الوجد انزعاج القلوب الى الحق ، عند ورود وارد السماع (ذو النون المصرى) ، أو : الوجد مكاشفات من الحق أو رفع الحجاب . ومن كلمات الفلاسفة : في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على اخراجها باللفظة ، فأخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظهرت سرّت وطربت اليها .

لكن أبا حامد يفصل بيان معنى الوجد ، فيقول « انه عبارة عن حالة يثمرها السماع ، وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه » . وهذه الحالة اما ان تكون مكاشفات من قبيل العلوم والتنبيهات . واما أن تكون أحوالا من الشوق أو الخوف والحزن والقلق .

والسماع بوجه عام يؤثر فى تصفية القلب ، والصفاء يسبب الكشف ، ومن المكاشفات والاحوال ما يمكن التعبير عنه ومنها مالا يمكن .

وقد تفطن الغزالى الى شىء يراه غريبا ، وهو تأثير أصوات الأوتار وسائر النغمات التى ليست مفهومة ، فاذا كان الغناء كلاما مفهوما فأنه يمكن ادراك وجه تأثيره في النفس التي تفهم معاني الكلام . لكن ما وجه تأثير الأنغام أو الأصوات غير المنفصلة فى كلام يعقله السامع ؟

يشير فيلسوفنا هذا السؤال ويشير الى تلك التأثيرات العجيبة التى لا يمكن شرحها ويقول :

« وقد يعبر عنها بالشوق ، ولكنه شوق لا يعرف صاحبُه المشتاقَ اليه ، فهو عجيب . والذى اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدرى الى ماذا يشتاق ، ويجد من نفسه حالة كأنها تتقاضى أمراً ليس يدرى ما هو ، حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب أدمى ولا حب الله . وهذا له سرٌ ، وهو أن كل شوق فله ركنان : أحدهما صفة المشتاق ، وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه ، والثانى معرفة المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول اليه ، فان وجدت الصفة التى بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الأمر ظاهرا ، وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوّقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أورث دهشة وحيرة لا محالة لا يدرى الانسان سببها » .

فى أعماق النفس البشرية

وينتهى فيلسوفنا الى « أن في نفس الأدمى مناسبة مع العالم الأعلى واللذات التى وعد بها فى سدرة المنتهى والفراديس العلى ، الا أنه لم يتخيل من هذه الأمور الا الأسماء والصفات ... فالسماع يحرك منه الشوق . والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه ، وأنساه مستقره الذى اليه حنينه واشتياقه بالطبع ، فيتقاضاه قلبه أمراً ليس يدرى ما هو ، فيدهش ويتحير ، ويضطرب ، ويكون كالمختنق الذى لا يعرف طريق الخلاص . فهذا وأمثاله من الأحوال التي لايدرك تمام حقائقها ولا يمكن المتصف بها أن يعبر عنها »

ولا شك أن أبا حامد ، بهذه الملاحظة ، قد لمس جانبا عميقا في النفس البشرية وشوقها الحقيقى نحو المجهول الأعلى ، وقد مجّد ذلك عنده من تفطن اليه من المستشرقين ، وهو المستشرق الألمانى يوليوس أوبرمان Julius Obermann فى كتابه بعنوان :

Der Philosophische und Religioese Subjektivismus Ghazalis

(المذهب الذاتى الفلسفى والدينى عند الغزالى)

وقد يكون جلال الدين الرومي (ت ٦٢٨ هـ) يشير الى ما قصده الغزالى من هذا الشوق ، اذ يتحدث في أول ديوانه « المثنوى » ، على طريق الرمز ، عن الناى ، فيقول :

استمع من الناى ماذا يحكى ومن آلام الفراق كيف يبكى

ويقول : منذ أن قطعونى من أرض الغاب وأنا أبكى ، ومن بكائى يبكى كل رجل وكل امرأة

أريد صدراً قد مزقه الفراق لكى أشرح له آلام الاشتياق

فكل من بعد عن موطنه حنّ الى وقت الرجوع اليه

ويقول الغزالى ان من الوجد ما يهجم على صاحبه ، ومنه ما على الانسان أن يستجلبه بالاكتساب ، طلبا لصفاء القلب وتحريكا للشوق الى الله : واذا كانت آيات القرآن الكريم تبعث الوجد في قلوب المؤمنين ـ والغزالى يذكر الشواهد على ذلك ـ فان الأشعار التى يصنعها أهل المحبة تناسب أيضا أحوال القلوب الآدمية فتحركها بالوجد .

ويختم أبو حامد كلامه بذكر آداب السماع : مثل اختيار الزمان المناسب والمكان المناسب واختيار الأقران من أهل الوجد ، ومثل تجنيب من لم ينضج لأحوال الوجد أن يشترك فيه ، والاصغاء بالقلب لما يقال من تعبير عن الحب والشوق مع الوقار وضبط المشاعر ، لكى تتعمق الأحوال فى النفس ، والمشاركة للاخوان فى تعبيرهم عما يرد على قلوبهم .

واذا كان الغزالي قد تكلم في الأنغام والألحان وبين عظيم تأثيرها فى القلوب فانه فى ثنايا كلامه قد مسّ مشكلة العلاقة بين الفن والطبيعة .

ومن المعلوم أن بعض الفلاسفة ، مثل أرسطو وكنت ، يرون أن الفن محاكاة للطبيعة . والغزالي فى كلامه عن الأصوات الموزونة ، ما يخرج من جماد كصوت الأوتار وما يخرج من الحيوان ، يقول : « الأصل فى الأصوات حناجر الحيوانات ، وانما وُضعت المزامير على أصوات الحناجر ، وهو تشبيه للصنعة بالخلقة » .

« وما من شىء توصل أهل الصناعات بصناعتهم الى تصويره الا وله مثال في الخلقة التى استأثر الله تعالى بأختراعها ، فمنه تعلم الصناع ، وبه قصدوا الاقتداء »

ورأى الغزالى يتفق مع ما يقوله القرآن الكريم من أن الله تعالى « أحسنُ الخالقين » ، « الذى أتقن كل شىء » و « أحسن كلَّ شىء خلقه » ، بحيث تكون الطبيعة التى صنعها الله مجال نظر الانسان ، لكى يفكر ويعرف ويصنع ويبتدع .

خاتمة .

فى هذا البحث بقسميه فى العاطفة عند « حجة الاسلام » دار الكلام حول عاطفة الحب الذى يربط الانسان بما تميل اليه من أمور عادية وأمور متعالية ، وحول ما تحركه الأنغام والألحان فى القلوب .

وللقلب الانسانى موقفان :

إما أن يشتغل بحب هذه الدنيا ومتاعها ،

وإما أن يرى فيها وفى خيراتها طريقا الى ما بعدها ، فيأخذ منها بنصيب ، ويجعل ما فوقها غاية روحه ومنتهى طلبها .

وخيرات هذه الحياة انما هى على مستواها وبحسب طبيعتها ، لكن ما فيها اشارة الى ما فوقها ، وهو خير منها ، والله خير من الدنيا وما بعدها .

واذا كنا خوطبنا عن خيرات وسعادات الحياة العليا بلغة حياتنا وعالمنا فما ذلك الا لأجل التفهيم والمساعدة على امكان تصور ما هناك ، مما « لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

وان ما نجده عند الغزالى ، صاحب العقل الكبير والروح العميقة والعاطفة القوية ، معبراً عن حال طائفة كبرى من البشر ، سيظل على الدوام شاهدا على أن لحياتنا أعماقا بعيدة الغور وأن لها آفاقا بعيدة المدى ، وكل يسعى الى خير نفسه وسعادته ، على قدر علمه وجهده وقدرته . ■■

د . محمد عبد الهادى أبو ريدة

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

حرارة المصانع الفائضة مصدر من مصادر الطاقة البديلة

● كثرت مصادر الطاقة البديلة فى المدة الاخيرة ..الا ان واحدا منها بالذات يبعث على مزيد من الاهتمام .ذلك هومايخرج من المصانع ومحركاتها من حرارة غالبا ما تضيع فى الجو وتذهب هباء .. فهذه حرارقذات درجة مرتفعة نسبيا ولا يكلف الحصول عليها شيئا .. فلو امكن استغلالهاكمصدر بديل للطاقة ، والاستغناء بها عن البترول او الغاز فى شتى المجالات التى تعتمد على هذا او ذاك .. لكان فى ذلك كسب عظيم ..

والظاهر ان ذلك اصبح فى متناول اليد ، فى الدنمراك على الاقل .. ذلك ان سلطات بلدة فردريكا عقدت اتفاقا مع شركة (سوبرفوس)
Super Foss
الكيماوية يقضى بحصول تلك السلطات على الحرارة الفائضة من مصانع سوبرفوس . ولما كانت التدفئة فى فردريكا ، المدينة الساحلية ، التى يبلغ عدد سكانها حوالى ٥٠٫٠٠٠ نسمة، مركزية بالمعنى الدقيق، وكانت المياه الساخنة التى تعتمد عليها تدفئتها يجرى تسخينها فى مركز واحد كبير تتفرع منه الانابيب وتنطلق الى شتى منازل مدينة فردريكا وحوانيتها ..وكان هذا المركز يقع بالقرب من احد مصانع السمادالتابعةلشركة سوبرفوس بات امداد المركزبحرارة المصنع امرا فى غاية السهولة .

وسيكونمنشان هذا الاتفاق الرائد خفض كمية البترول التى يستهلكها مركز التدفئة بمقدار النصف بحيث تصبح ١٢٠٠٠ طن سنويا . اى ان الحرارة الفائضة التى ستاتيه من مصنع السماد ستقوم مقام ١٢٠٠٠ طن بترول فى السنة. وسيترتب علىذلك خفضرسوم التدفئة التى يدفعها اهل فردريكا بمقدار ١٠٠ جنيه للمنزل الواحد سنويا .

علاج جديد يبشر بالشفاء من سرطان الدم

● يعتبر مرض اللوكيميا اوسرطان الدم اخبث الامراض الخبيثة .. فهو مرض مميت ومستعص الى اقصى الحدود . ويصدق هذا بخاصة على ما يسمونه باللوكيميا النخاعية المزمنة Chronic Myeloid Leukemia احد انواع سرطان الدم ، وهى كثيرة . غير ان الاساليب العلاجية والتجارب التى ياخذونها فى مستشفى هامرسميث فى لندن ويعالجون بها اللوكيمياء النخاعية التى ذكرنا ، بدات تبشر بالخير وتبعث على الامل.

ونذكر على سبيل المثال المستر شارلزكوبسى، ٣٦عاما. فقد بلغ به مرض اللوكيميا النخاعية مرحلته اليائسة المميتة .. ثم عولج بالاساليب المبتكرة فى المستشفى اللندنى وهو معافى الان وبصحة جيدة، وقد مضى علىمعالجته ١٥شهرا ولم يكن فيها بحاجة الى اكثر من الفحوص الطبية العادية التى جعلوا يجرونها له فى نهاية كل شهر .

وفى مثل ذلك فى شخصين آخرين .. رجل فى الثلاثينات وامرأة فى الخمسينات من العمر .. عولجا من اللوكيميا النخاعية بالاسلوب نفسه وهما فى تحسن مستمر .

وقوام هذا الاسلوب الجديد الزراعة .. زراعة كرات الدم البيضاء .. فهم يزرعون فى دم المريض وهو فى المرحلة الخطيرة من المرض ، نفس الكريات البيضاء التى ينتزعونها من دمه وهو فى المرحلة الاولى غير الخبيثة من المرض .... وتوضع هذه الكريات بعد انتزاعها فى سائل مناسب للابقاء عليها حية ثم تحفظ فى امبولات وتخزن الامبولات فى البرودة فى نيتروجين مسيل .

ويذكر هنا ان مرض اللوكيميا النخاعية لا يكون خبيثا فى الغالب فى المرحلة الاولى التى تعقب تشخيصه والتى يستطيع الاطباء مدها واطالتها شهورا او سنين . ولكن لا مفر من ان تنتهى ، وعندئذ تتكاثر الكريات البيضاء فى دم المريض وتصبح عرضة للاورام الخبيثة.

ويعمد الاطباء فى مستشفى هامرسميث الى معالجة المريض بالمستحضرات المضادة للوكيميا كخطوة اولى ، حتى اذا قضت هذه المستحضرات على الكثير من الكريات البيضاء الخبيثة قاموا بزراعة الكريات البيضاء السليمة التى كانوا انتزعوها من دم المريض فى وقت مبكر واحتفظوا بها على نحو ما اسلفنا .. ومن شأن هذه الكريات المزروعة ، ومن شأنها وحدها ، ان تبعث على انتاج كريات بيضاء جديدة..وسليمة .. فهى مأخوذة من دم المريض نفسه بحيث يتقبلها جسمه ، ولا يرفضها كما يحدث فى حالات نقل الدم العادية التى تكون فيها الكريات البيضاء مأخوذة من دم احد المتبرعين .

كمبيوتر الترجمة

● نجحت احدى الشركات الامريكية فى تطوير جهاز كمبيوتر للترجمة الفورية . والمقصود هنا ليس جهاز الجيب الصغير الذى تحدثت عنه الصحف مؤخرا وانما الجهاز الكبير المستوفى الذى يستطيع الاعتماد عليه المترجمون المحلفون والمختصون .. فهو يختزن نحو ٣ ملايين كلمة فى اللغتين اللتين يغطيهما الجهاز الواحد من الاجهزة الحالية .. وهما اما الاسبانية / الانجليزية او الفرنسية / الانجليزية ، والعمل ماض على قدم وساق من اجل صنع اجهزة تغطى اللغات التالية : العربية / والانجليزية ، الهولندية / والانجليزية ، الالمانية / والانجليزية ، العبرية / والانجليزية وكذلك اليابانية والبرتغالية والروسية بمقابل اللغة الانجليزية .

ويشمل هذا الجهاز شاشة سمعية بصرية وآلة كاتبة الكترونية وكمبيوترا صغيرا.. فانت تضرب على الالة الكاتبة النص الذى تريد ترجمته من اللغة الاسبانية مثلا .. فلا تلبث ان تقرأ على شاشة العرض ذلك النص مترجما الى اللغة الانجليزية . وقد يروق لك النص المترجم فتقره دون تعديل .. وحينئذ تستطيع الحصول عليه مطبوعا بالالة الكاتبة لدى الضغط على احد الازرار .

وقد لاتعجبك الترجمة تماما، لا سيما اذا كان النص ادبيا او فلسفيا او غير ذلك مما تغلب عليه العبارات الاصطلاحية او الذوقية .. عندئذ تستطيع الضغط على ازرار معينة لاستبدال الكلمة باخرى، او جملة قصرت فى اداء المعنى المقصود فى النص الاصلى .. ثم تطلب النص المترجم بصيغته المعدلة النهائية فتحصل عليه دون تأخير ، مطبوعا على الآلة الكاتبة كالسابق .

وقد تخونك الذاكرة وانت تجرى التعديل فتغيب عنك الكلمة المناسبة للمكان المناسب .. فما عليك فى تلك الحال الا الضغط على ازرار معينة فيوافيك الجهاز بمجموعة من الكلمات المترادفة على شاشته لتختار من بينها الكلمة المناسبة .

قصة قصيرة :

الغراب

للكاتب الروسى : ايفان يونين

هو كاتب روسى كبير ولد في مدينة فورونيج سنه ١٨٧٠ ، لعائلة ارستقراطية . وما ان ترعرع حتى هجر بيته هربا من ذلك الجو الارستقراطي المزيف الذى كان يخيم على علاقات الاسرة والذى يصور جانبا منه في قصة « الغراب » بدأ حياته الادبية بنظم الشعر وأصدر عدة دواوين . وكان صديقا لتولستوى وتشيخوف وغوركي . وكان للأخير أثر بالغ في اقناعه بكتابة القصة واعتناق الافكار الديمقراطية . وقد كتب عنه يقول · « أخذ بونين يكتب النثر بطريقة جعلت الآخرين ينظرون اليه كأفضل مبدع في أسلوب الكتابة فى العصر الحديث » .

أهم قصصه « الانسان القديم » و « حوار في منتصف الليل »و « الحشائش الضعيفة » و « معبد الشمس » و« سيد من سان فراسيسكو »

هاجر الى باريس بعد قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧ وبقي هناك حتى توفي سنة ١٩٥٣

أشهر اعماله التى صدرت في باريس هي · رواية « حياة أرسينيف » و« تحرير تولستوى » و « مذكرات بونين » التى صدرت سنة ١٩٥٠ .

(المترجم)



كنت لا ازال طفلا ، عندما شاهدت في مزرعتنا لوحة ظهر عليها رسم نابليون بونابرت بقبعته المعهودة وسرواله الابيض وحذائه الجلدى الطويل ، فضحكت فجأة وانتابني السرور لانها ذكرتني بلوحات الفنان بوغرانوف « مغامرات قطبية » حيث لاحظت ان هناك شبها كبيرا بين نابوليون وطير البطريق القطبي لكني مالبثت ان اطرقت رأسي حزينا مفكرا ومحدثا نفسي : اذا كان نابوليون يشبه البطريق ، فان والدى اكثر شبها بالغراب ..

شغل والدى منصبا كبيرا في مركز المحافظة . وقد زاد هذا المنصب في افساده . ولكن لم يكن في مجتمع الموظفين ـ الذى ينتسب اليه ـ من هو اكبر منه شأنا ، واكثر عبوسا واقل كلاما واشد قسوة في حديثه وعمله .

كان ربع القامة سمينا محدودب الظهر قليلا ، أسود الشعر قاسيه اما وجهه فطويل ، قاتم ، حليق ، كبير الأنف ، وصفوة القول . لقد كان غرابا حقيقيا وخاصة عندما يظهر بلباسه الاسود في حفلات مجتمعنا الارستقراطي « المحترم » ويقف ثابتا محدودبا قرب طاولة الشراب ، يحرك رأسه الغرابي الكبير ذات اليمين وذات الشمال ، ويراقب الجميع من مكانه بعينيه الملتمعتين السوداوين الراقصتين والمقتربتين ، ويطيل النظر الى العاملة ذات الابتسامة الساحرة وهي تقدم الشراب بيدها البيضاء المزدانة بالحلي والاحجار الكريمة ـ انها امرأة فارعة القامة تحتذى خلخالا من العاج وترتدى الفرو ، ولها أنف صغير جميل جعلته مساحيق التجميل أبيض ورديا حتى لتحسبه أنفا مستعارا !

لقد ترمل والدى منذ زمن بعيد . وكان له طفلان فقط ، أختي الصغيرة ليليا وأنا أما منزلنا فكان يقع في

الطابق الثاني لاحدى الابنية الاميرية . يتلألأ بغرفه الكبيرة ، النظيفة كالمرآة . ويطل على حديقة بين الكنيسة والشارع الذى نسكن فيه .

لقد عشت في موسكو طوال فترة الدراسة . ولم أقم بزيارة منزلنا سوى مرتين في العام . في عيد الميلاد ، وفي العطلة الصيفية .

بعد انهائى الدراسة وعودتي من موسكو ، حدث ما لم يكن في الحسبان ، مما ادى الى نزوحي نهائيا عن المنزل. فقد اجتزت امتحانات السنة الاخيرة في المعهد بنجاح ، وحصلت على شهادتي وعدت الى مسقط رأسى . وما ان وصلت حتى أصابتني الدهشة للتغير المفاجىء الذى اصاب منزلنا . فقد ألفيته يزخر بالحياة والنشاط ، وكان عهدى به ساكنا هادئا . وادركت بعدها ان ذلك التحول بدأ منذ ان رحلت المربية العجوز الطويلة الباردة الشبيهة بواحد من قديسي القرون الوسطى الى جوار ربها .

لاحظت بعد وصولي الى منزلنا ان الفتاة ايلينا ابنة الموظف الذى يعمل عندنا قد غمرتها السعادة والبهجة . لكنها ـ بعد ايام ـ مالبثت ان انقلبت رأسا على عقب وتحول ذلك الفرح الى نوع من الخوف والخشية . فلم تعد تنبس بكلمة عند جلوسنا حول طاولة الغداء مع والدنا وكان يزيد من خوفها وحذرها طبيعة أختي ليليا الصامتة . أما أنا فكنت أتتبع بانزعاج عيني ليليا السوداوين وحركاتها العنيفة . وشعرت من خلال صمتها المخيف انها مضطربة جدا ، كمن يترقب حدوث أمر عظيم بين لحظة واخرى . اما والدى فقد تبدلت طباعه وكف عن رمي خادمه الشيخ العجوز « كورى » بنظراته الحادة . وعلى غير عادته أخذ يتكلم بهدوء وروية ، موجها كلامه دائما الى الفتاة ابنة الموظف مناديا اياها بصيغة الاحترام :« ايلينا نيقولا يفنا المحترمة » محاولا المزاح والضحك . اما هي فقد ارتبكت وتكدرت وأجابت بابتسامة حزينة وتبقع وجهها الناعم النحيف .

لم تجرؤ ايلينا على النظر الى ، فقد كنت بالنسبة لها مخيفا اكثر من والدى . وبالمقابل فان والدى تجاهل وجودى والمكان الذى اجلس فيه . وادركت كما ادرك هو انها كانت تحاول جاهدة الا تلتقي نظراتها مع نظراتي ، وان تنصرف بسمعها إلى مايقوله والدى ومتابعة « الشر » المتحرك بيننا ، على الرغم من جهلها لذلك الخوف الذى يؤرقنا . اى الخوف المبطن بالفرح لسعادتنا ببقاء كل واحد منا الى جانب الآخر .

كان والدى يشرب الشاى مع أصدقائه أثناء السهرات فقط . اما وقت العمل فكانوا يقدمونها له في فنجان كبير ذى حواف ذهبية يضعونه امامه على الطاولة . اما اليوم فقد قضى السهرة معنا في المنزل ـ على غير عادته ـ وشاركنا شرب الشاى في غرفة الاستقبال . وبينما كانت ايلينا تغلي الماء في « السماور » وتحضر لوازم الشاى ، غطت ليليا في نوم عميق حتى الصباح .

خرج والدى من مكتبه المنزلي بمعطفه الطويل الواسع ذى البطانة الحمراء ، وجلس في كرسيه الوثير وطلب منها ان تسكب له فنجانا من الشاى الساخن . فملأت له فنجانه ثم سكبت لي واخيرا لنفسها . بدأ والدى بحديث طويل ـ ربما كان اطول حديث في حياته ـ مما اثار دهشتنا . قال موجها كلامه لها . ان لون الالبسة السوداء الوردية هى انسب الالوان لاصحاب الشعر الاشقر يا ايلينا نيقولايفنا .. ولو انك ارتديت ثوبا اسود مطرزا ذا ياقة عالية او حلة من حلل القرون الوسطى المخملية القرمزية المرصعة بصلبان ياقوتية لظهر ذلك عليك بديعا جدا ... ويناسبك ايضا معطف فرو ازرق ذو بطانة مخملية و .. قبعة عروس دائرية ... ثم ضحك وقال : ان هذه مجرد احلام طبعا . فكل ما يتقاضاه والدك من عمله عندنا هو سبعون روبلا في الشهر . ولديه بالاضافة اليك خمسة اطفال آخرون . هذا يعنى انكم ستعيشون فقراء مدى الحياة . ان مصيبتكم هي في احلامكم التى تمدكم بالقدرة على مواصلة الحياة وتعطيكم القوة والامل . يالها من احلام ! .. صحيح انها مجرد خيال الا ان بعضها يتحقق احيانا ... فهذا احد الطباخين في محطة مدينة « كورسك » قد ربح منذ مدة بطاقة « يا نصيب » بمبلغ ٢٠٠ ألف روبل . انه مجرد طباخ بسيط !

كانت تنظر اليه محاولة تتبع كلامه بالمهارة نوعا من النكت الطريفة التى تدعو الى الابتسام . بينما شرعت انا

انظر الى رسم نابليون المعلق على الجدار وكأني لا اسمع شيئا . اما هو فتابع حديثه الى ان شملنى به ! قال : لننظر الى هذا الشاب انه يحلم ايضا . فوالده سيموت قريبا وبالتالي سيحصل على كميات كبيرة من الذهب ! لكنه في الواقع سيخرج صفر اليدين بعد وفاة والده . صحيح ان والده يملك ثروة كبيرة الا انه من الصعب وصولها الى يد ابنه ، لانه مبذر من الدرجة الاولى .

لقد علق هذا الحديث في ذهني حتى هذا اليوم لأنه كان آخر حديث « عائلي » سمعته منه . ففي صباح ذلك اليوم ذهب والدى لحضور حفلة عيد ميلاد المحافظ ، ولم يتناول معنا طعام الافطار ، وهو الذى لايفطر معنا عندما يكون متفرغا من الاعمال ، فكيف به اذا كان مرتبطا بالمواعيد ؟ ! لذلك فقد اقتصر الطعام على ثلاثة اشخاص ليليا وايليا وانا وقبيل الانتهاء منه ، قدمنا الى اختي الصغيرة ليليا نوعا من المربيات عوضا عن مربى الكرز المحبب اليها .فبدأت بالصراخ والضرب على الطاولة وتحطيم الاطباق على الارض ولم نستطع تهدئتها الا بعد جهد كبير ، وبعد ان قدمنا لها وعودا قاطعة بمعاقبة الطباخ و ... و .. الخ ثم مالبثت ان غرقت في نومها ، بعد ان سال الدم من اصابعنا من جراء عضاتها المؤلمة وبعد ان بذلنا مجهودا جبارا لحملها الى السرير ! وما ان هدأت الطفلة حتى اتانا صوت انهيار المطر الغزير في الخارج وأضاء لمعان البرق بين حين وآخر الغرف المظلمة وتحطم زجاج نافذة نتيجة الرعد القاصف .

كان لذلك تأثير كبير على ايلينا فقد انبسطت ملامح وجهها واخذت تترقب بجميع حواسها شيئا ما مجهولا ثم قالت فجأة . اني أشعر بأن حريقا شب بالقرب منا ، اسرعنا الى غرفة الاستقبال وفتحنا النوافذ فاذا بجلبة كبيرة في الشارع . وقد وصل فريق اطفاء الحرائق ووجه خراطيم المياه نحو شجر الحور المشتعل . وتمكن رجاله الواقفون على عرباتهم بقبعاتهم النحاسية والممسكين بخراطيم المياه الطويلة وبسلالم التسلق ، من اخماد اللهب .

كنا نقف واحدا الى جانب الآخر عند النافذة المطلة على الشارع بالقرب من مكان الحريق وقد اصابنا رذاذ ماء الاطفاء الممزوج بغبار المدينة الرطب ، وكنا نرقب مايدور حولنا ونستمع الى الاحاديث باضطراب ظاهر .

بدأت الضجة تخف وذهبت عربات الاطفاء وعندما عبرت آخر عربة تحمل خزان ماء احمر كبير الحجم ، شعرت بخفقان قلبي وضيق جبهتي وامسكت يدها الممتدة بارتخاء الى جانب فخذها متوسلا اليها ناظرا الى وجنتيها اللتين أخذتا تشحبان شيئا فشيئا . اما هي فقد شقت شفتيها وارتفع صدرها بشهيق عميق ثم اتجهت نحوى مستغفرة بعينيها المغرورقتين بالدموع . فما كان مني الا ان امسكت بكتفيها وقبلتها لاول مرة في حياتي . ولم يمض بعد هذه الحادثة يوم واحد الا والتقينا عشرات المرات في غرفة الاستقبال او في غرفة الطعام او في الردهات واحيانا في مكتب والدى ، الذى لايعود الى البيت الا مساء . وكنت اقبلها في كل لقاء ..

شعرنا ان والدى عاد الى عادته في عدم شرب الشاى معنا مساء والى التزامه الصمت والعبوس . لكننا لم نعد نعيره اى اهتمام . اما وقت الغداء فقد أخذت ايلينا تجلس بهدوء ورزانة على مائدة الطعام .

في اوائل تموز اصاب اختي ليليا مرض جعلها تلازم الفراش واخذت تتناول الادوية والاطعمة المناسبة . ثم تحسنت حالتها وتماثلت للشفاء رويدا رويدا خلال فترة مرضها منعت ايلينا من مغادرة غرفة المريضة . فكانت تثبت لوحة ورقية كبيرة على قاعدة خشبية وترسم بالاقلام الملونة نماذج لمدن سحرية كالتي نسمع عنها في قصص الف ليلة وليلة . وكانت تحيك احيانا اخرى لنفسها كنزات صوفية اضافة الى تلبية طلبات ليليا الكثيرة .

اما من جهتي فقد قتلتني الوحدة في البيت الهادىء الفارغ كما قتلني الشوق العميق والرغبة القاهرة لرؤيتها وتقبيلها وضمها الى صدرى جلست في مكتب والدى واخذت أقرأ ما يقع عليه اختيارى من مكتبته وذات مرة بينما انا أقرأ وصل الى سمعي فجأة وقع خطواتها الخفيفة الناعمة السريعة فرميت الكتاب جانبا واسرعت نحوها قائلا :

ـ هل أصبت شيئا من النوم ؟

لوحت بيدها عند الباب وقالت :

ـ لا . لم انم . الا تعرف ذلك ؟

وادركت جيدا انه لم يغمض لها جفن منذ يومين لكن ذلك لم يؤثر على صحتها ، كما يؤثر عادة على معظم فاقدى العقول والمجانين !

طلبت مني البحث عن اقلام صفراء وبرتقالية في مكتب والدى ... وكانت هذه حجتها كي تراني ... وتقدمت منى باكية وقالت :

ـ يا الهي ! متى سينتهي كل ذلك ؟ قل له بأنك تحبني . فالأمر لم يعد يتحمل الصبر . والى متى يمكننا السكوت ؟ وما الغاية منه ؟ فليس هناك قوة في العالم تستطيع ان تفرقنا !

رفعت وجهها المبلل بالدموع ، والقت برأسها على صدرى . ضممتها بشدة ثم رفعتها ووضعتها على المكتب . كنت في تلك اللحظة محلقا في عالم آخر وليس باستطاعتي ادراك مايدور حولي ! وهل يمكن للانسان ان يمتلك ناصية التفكير في مثل تلك اللحظات ؟ وبينما نحن على هذه الصورة ، سمعت سعالا خفيفا يأتي من فتحة باب المكتب . فنظرت من فوق كتفها فاذا بوالدى يقف وينظر الينا . ثم مالبث ان استدار بجسمه المحدودب وعاد من حيث أتى . وعندما حل موعد الغداء لم يخرج أحد منا لتناول الطعام وفي المساء قرع الخادم باب غرفتي وقال لي : « والدك يريد منك الحضور الى مكتبه » .

دخلت المكتب . كان يجلس في كرسيه الوثير امام طاولة العمل . ودون ان يلتفت بدأ كلامه قائلا : عليك ان تسافر غدا الى قريتي في مقاطعة« سامارسك » ، وتقضي هناك فصل الصيف . ومع حلول الخريف تذهب الى موسكو او بيتربورنج وتبحث عن عمل يناسبك . واذا راودتك فكرة الرفض وعدم الطاعة ، فاعتبر نفسك محروما من حقك في الارث . وغدا سوف أطلب من المحافظ ان يؤمن لك وسيلة نقل الى القرية . اما الان فاذهب في سبيلك ولاتدعني ارى وجهك ثانية . اما بشأن المصاريف وما تحتاجه من مال وبعض الاشياء الاخرى فسوف يسلمك اياها احد الاشخاص غدا صباحا . وسوف اكتب في الخريف رسالة الى ادارة قريتي كي تخصص لك مبلغا من المال تستطيع العيش به في العاصمة الى حين تسلمك العمل . ولا تفكر بل لاتأمل في رؤية ايلينا قبل رحيلك . هذا كل ماأردت ان اقوله لك . اذهب الآن لشأنك يا بني .

لكنني غادرت منزلي في تلك الليلة سرا الى مقاطعة باروسلافا ، ونزلت في قرية احد اصدقائي الاوفياء واقمت عنده حتى مطلع الخريف . ثم سافرت الى مدينة بيتربورنج ووجدت هناك ـ بمساعدة والد صديقي ـ عملا في وزارة الخارجية . وبعد عدة ايام كتبت الى والدى اخبره بتخلي الدائم عن كل ما يصيبني من ارثه وتركاته ، وعن رفضي التام لأي نوع من انواع المساعدة التي يفكر في تقديمها لي .

علمت بعد ذلك ان والدى احيل على التقاعد في فصل الشتاء وقدم الى بيتربورنج ايضا للاقامة الدائمة فيها . وقالوا لي ايضا : بأنه قدم مع زوجة في ريعان شبابها وجمالها وأناقتها .

وفي احدى الامسيات بينما انا داخل الى قاعة مسرح « مارنكي » وقع بصري قبيل رفع الستارة بدقائق معدودات عليهما فجأة ! رأيته و ... رأيتها ... هي ! جلسا في مقاعد الصف الاول بالقرب من خشبة المسرح ووضع امامها على الحاجز الخشبي منظارا صغيرا للتقريب صنع من الصدف الخالص . كان هو في ثيابه الرسمية السوداء محدودبا كالغراب يقرأ باهتمام بالغ برنامج المسرحية مضيقا عينيه كي يرى الاحرف .

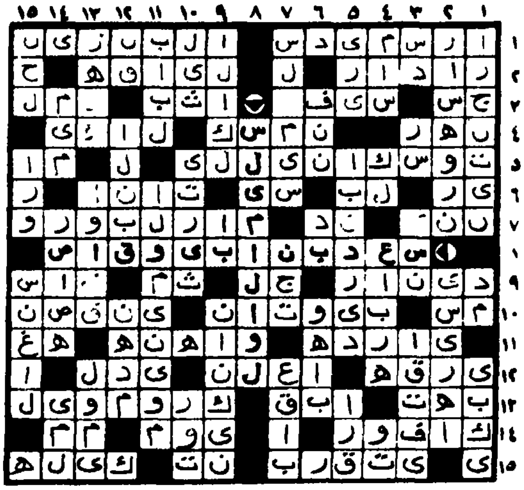
اما هي فكانت تتلفت بكل حيوية ونشاط وانتباه الى قاعة المسرح المتلألئة بالاضواء وتستمع الى همس القاعة المكتظة بالناس . وتنظر الى البسة السهرات الزاهية التي ترتديها النساء اللواتي يجلسن قريبا منها ، وقد علق في عنقها صليب صغير من الياقوت المتلألىء كالنار المشتعلة . اما ساعداها النحيفان فقد غطاهما قفازان مخمليان ناعمان قرمزيان . وعلى كتفها شال ياقوتي ...

نظرت الى الغراب . وتذكرت حديثه « الطويل » ... ثم تابعت حوادث المسرحية .

باريس في ١٨ ايار ١٩٤٤

ترجمة : ابراهيم مرشد كاسوحة

● حل مسابقة العـدد ٢٤٩ ●



أفقياً

سعد بن أبي وقاص

●

رأسياً

سليم الأول

اثنتان في واحدة :

٨ ـ افقيا سعد بن أبي وقاص • خامس السابقين الى الاسلام ، واحد العشرة المبشرة • قاتل الى جانب النبي في جميع الغزوات• قاد جيوش فتح فارس • وانتصر على رستم فـي القادسية ، وشيد اول مسجد بالكوفة •

٨ ـ راسيا • سليم الاول • تاسع السلاطين العثمانيين • قضى على دولة المماليك في •وقعة مرج دابق بالقرب من حلب عام ١٥١٦ ، وفتح سورية ومصر ، فخضعت له كل البلاد العربية•

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى قدرها ٣٠ دينارا ، فاز بها فاز بها أحمد على صالح كرمان • الحديدة/الجمهورية العربية اليمنية

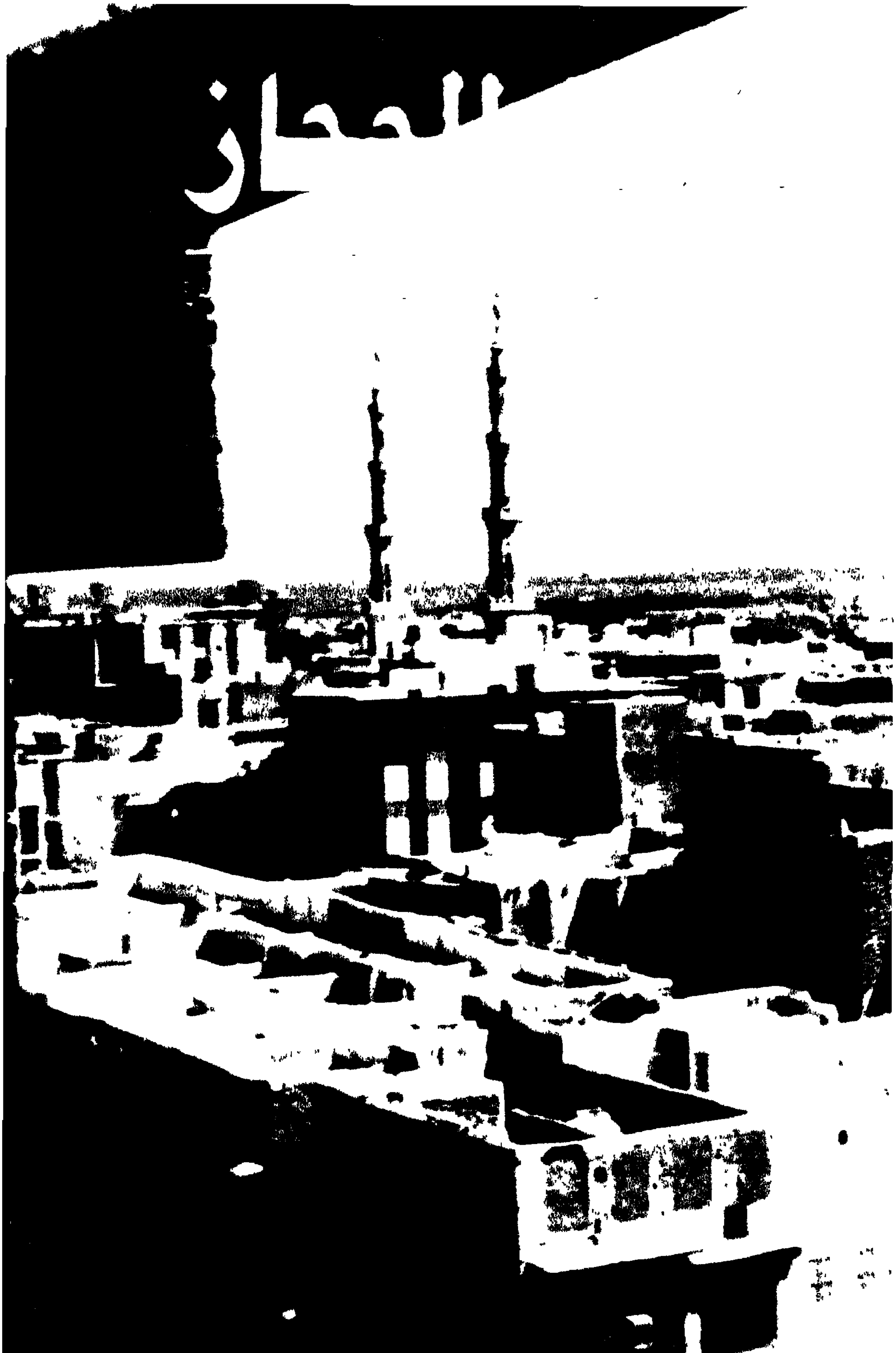
● الجائزة الثانية قدرها ٢٠ دينارا فاز بها أحمد محمد بدر المنذرى ولاية عبرى/عمان

● الجائزة الثالثة قدرها ١٠ دنانير فاز بها سالم عمر احمد عمرو طنطا/مصر

٨ جوائز قدرها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير والفائزون بها :

١ ـ عمر عبد الله محمد باكر ـ الدوحة/قطر
٢ ـ عبد الفتاح المراد ـ حماة/سورية
٣ ـ سكينة محمد القحطاني ـ المحرق/البحرين
٤ ـ فاطمة وليد جلال الدين النقيب ـ الكويت
٥ ـ حسن عبد الله دفع الله ـ أم درمان/ السودان
٦ ـ المرابط محمد ـ تطوان/المغرب
٧ ـ عبد الرؤوف خاتون ـ كانو/نيجيريا
٨ ـ محسوب احمد ابراهيم النجار ـ نكسار/ مالطة





الى المدينة المنورة كانت هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، التي تحل ذكراها خلال أيام والى المدينة المنورة ذهبت « العربي » في استطلاع هذا الشهر .

من هنا انطلقت الدعوة . ومن هنا بدأ التاريخ الاسلامي . وهنا ولدت الدولة الاسلامية ، وهنا دفن الرسول ﷺ .

■ لقد احتضنت المدينة الدعوة الجديدة ، ووصلت معها الى النصر ، وخرج منها الاسلام الى العالم قوة سياسية وحربية وعقيدة ونظاما متكاملا ، وتحت لوائها توحدت الجزيرة العربية وانتقلت من كونها تعبيرا جغرافيا لتصبح أمة فتية واحدة ، وبدأت داخلها أول محاولة لتنظيم الجماعة العربية على اساس العقيدة وليس على اساس القبيلة ، وبها بعث العرب قوة محركة فعاله .

والحقت الدعوة الجديدة الهزيمة باعظم الامبراطوريات المسيطرة على العالم ، الفرس والرومان ، وانضوت تحت لوائها مصر والشام والعراق وفارس ، تم هذا كله في فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز اربعين عاما ، كانت « المدينة » في أثنائها العاصمة والمركز والقلب لكل هذا المجد التاريخي .

وما زالت هذه المرحلة المتألقة حلم البشرية جميعا ، عندما تحقق العدل والمساواة والاخاء وتحرر الانسان من كافة انواع القهر والاستغلال ، بدأها النبي (ﷺ) وتبعه الخلفاء ابو بكر وعمر وعثمان وعلي في « جمهورية » قائمة على الشورى .

ويعود كل مجد « المدينة » وحتى اسمها للدعوة الاسلامية ، فقد كان يطلق عليها « يثرب » وتحولت بعد الهجرة الى « مدينة رسول الله » ، واذا تقلص اليوم دورها السياسي ، ولم تعد عاصمة ، فستبقى مكانتها سامية على مر الايام كمثوى لرسول الله ، تهوى اليها الافئدة من مشارق الارض ومغاربها ، وتستمر تاريخا محفوظا متجسدا ، يقصدها الحجاج والعديد من الكتاب والباحثين في السيرة النبوية وعلم الحديث ، وتناولها عدد كبير من المؤرخين والرحالة الذين يتابعون خطى البشرية وعلاماتها ...

وقد عاش النبي منذ بدأ الرسالة وحتى انتقاله الى الا ' ق الاعلى ثلاثا وعشرين سنة هجرية ، قضى منها ثلاث عشرة في مكة وعشر سنوات اخرى حاسمة في المدينة ، وكل احداثها مدونة ومسجلة ، ويذكر شبلى نعماني - احد ابرز المفكرين المسلمين في الهند - . « انه الى يوم الدين لن يستطيع احد ان ينافس المسلمين في فخرهم بحفظ ادق تفاصيل كل حادثة في حياة الرسول ، بطريقة دقيقة واعية ، لا يصل الى مستواها تسجيل حياة اي اسان اخر من قبل ، ولا يمكن ان ننتظرها من بعد ، ومن أجل تسجيل هذه الحياة بادق تفاصيلها ، سجل العلماء اسماء واوصاف ثلاثة عشر الف صحابي في وقت كان فجر نظام التأليف »

مدينة رسول الله اذن هي موضوع جولتنا ومحل حديثنا ، جولة داخل شوارع المدينة وازقتها ، نتوقف عند كل اثر له دلالة تاريخية ، وجولة اخرى عبر الصفحات والكتب التي أرخت للدعوة وللبلدة وما اكثرها . بل انها في الحقيقة جولة خلال « الحلم الانساني » الذي يستمر المثل الاعلى لعدد من المفكرين الداعين الى صحوة عربية ..

على مشارف المدينة

عندما اقتربت السيارة من مدينة رسول الله ، سبقها خيالي ، يرسم صورة ترسبت في الوجدان من مطالعات في التاريخ والتراث ، نقترب من البلدة وغلالة من البهاء والرونق تلقي بظلها على المكان ، وكانت لحظة تأمل تجمع فيها التاريخ ، ومن حولك الجبال والوديان والحدائق الوارفة ، ومن بعيد ترى القبة الخضراء ومآذن المسجد النبوي الاربعة ، وكانت الرحلة التي تشير في



المدينة المنورة في الليل ، وتشاهد مآذن وقبة المسجد النبوي الشريف تحيط به احياء المدينة المختلفة

النفس من صور الجهاد ومغالبة المصاعب ما لا تثيره رحلة اخرى

ولحظة دخول المدينة المنورة من اللحظات المؤثرة التي سجلها عدد من زوارها على مر الايام .

قال فيها محمد حسين هيكل في مطلع هذا القرن : « القبة امامي تقوم حولها المآذن وترتفع في الجو وتحيط بها قباب اصغر منها حجما ، القبة منارة القبر الذي يثوى فيه رسول الله ، أوليست المدينة هي التي اوى اليها فنصرته من يوم هجرته الى أن اختاره الرفيق الاعلى »

وذكر ابن جبير « من البيداء تبصر المدينة المكرمة . ويظهر للعين منارة مسجدها بيضاء شامخة »

ويقول القزويني · « الداخل اليها يشم رائحة الطيب ، وللعطور رائحة لا توجد في غيرها »

ويصفها المستشرق جون كين عام ١٨٧٧م .. « ان المدينة عندما تشاهد من بعيد اول مرة يمكن ان تقارن باستانبول حينا تنظر اليها من بحر مرمرة ، وحينا تلوح في الافق للحاج المتعب القادم اليها ، بمنائرها العديدة ، والشمس تشرق عليها في الصبح ، وبنطاق زرعها العريض الاخضر الذي يحيط بها فيحجزها عن جدب الصحراء المخيف المترامي ، تبدو كأنها جوهرة محاطة بفسيفساء من اللؤلؤ المطعم في حاشية متألقة من الميناء الخضراء اللماعة .. »

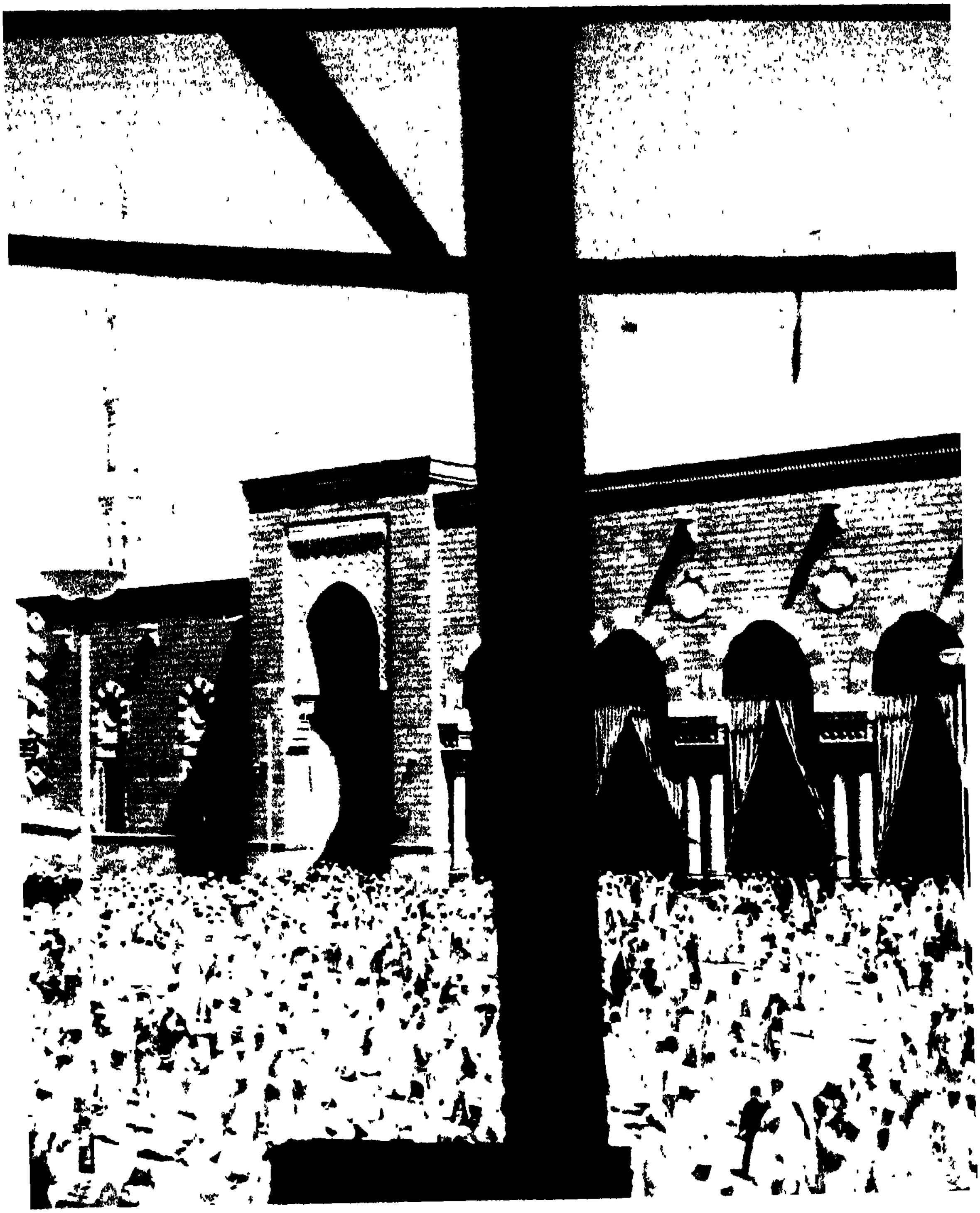
ويصفها البتانوني في الرحلة الحجازية .. « المدينة مبنية في وسط واد شاسع يمتد الى الجنوب واغلب مبانيها من الحجر المجلوب اليها وشكل الابنية فيها هو بعينه ما رأيناه بمكة وجدة ، وكانت مشرق النور الاسلامي الذي امتد منها الى بقاع الارض »

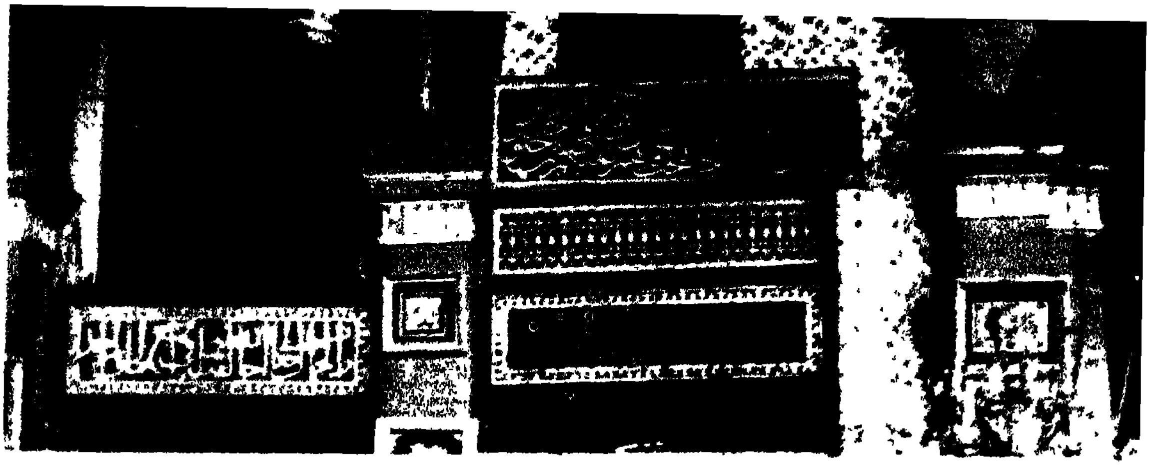
مسرح الاحداث

وتمتد وقفة التأمل ، واتساءل : هل يلقى موقع المدينة وجغرافيتها ضوءا على دورها التاريخي المتميز .. ؟ والجغرافيا هي خشبة المسرح التي جرت عليه فصول التاريخ ، اي اذا تغلبت الجغرافيا ، او بمعنى آخر لو ان الموقع اعظم اثرا من احداث التاريخ .. ؟ ، هل تكون المدينة اوفر نفوذا واكبر حظا .. ؟
ماذا تقول جغرافيا وطبوغرافية المدينة .. ؟

هي موقع حيوي وموضع خصيب ، تتوسط الكتلة المعمورة في المنطقة التي تتركز فيها الحياة البشرية في الحجاز ، الذي يحجز سهل تهامة عن مرتفعات نجد ، ويرتفع فوق سطح البحر اكثر من ستمائة متر ، وجوها اقرب الى الاعتدال ، وموقعها موقع واحة استراتيجية ، وهي مدينة قوافل تتصل ببادية نجد من الشرق ومنها الى العراق وتتصل بالبحر الاحمر من الغرب ، وتقع على طريق القوافل بين اليمن والشام ، وكانت بحق بوابة

المصلون امام ساحة المسجد النبوي الشريف . ويظهر جانب من عمارة المسجد ، واحد ابوابه واحدى مآذنه ، وتشاهد النوافذ والاعمدة والأقواس . طراز العمارة يبين تراكم الفن العربي على توالي العصور ومن كافة ارجاء عالم الاسلام (تحت) .. جانب من جدران المقصورة النبويه ، استخدم الفنان العربي الخط في كتابة سور من القرآن الكريم لتجميل المقصوره كما تظهر الثريات التي قدمت هدايا للحرم النبوي الشريف (الى اليسار) ساحة واروقة المسجد النبوي ، وتظهر الاعمدة والسقوف المزخرفة ، ويشاهد نقش البسط المفروشة المميز (الى اليسار اسفل) .









لوحة للمدينة المنورة كما رسمها الرحالة البريطاني بيرتون عام ١٨٥٣ م بعد تنكره في ثوب افغاني باسم الميرزا

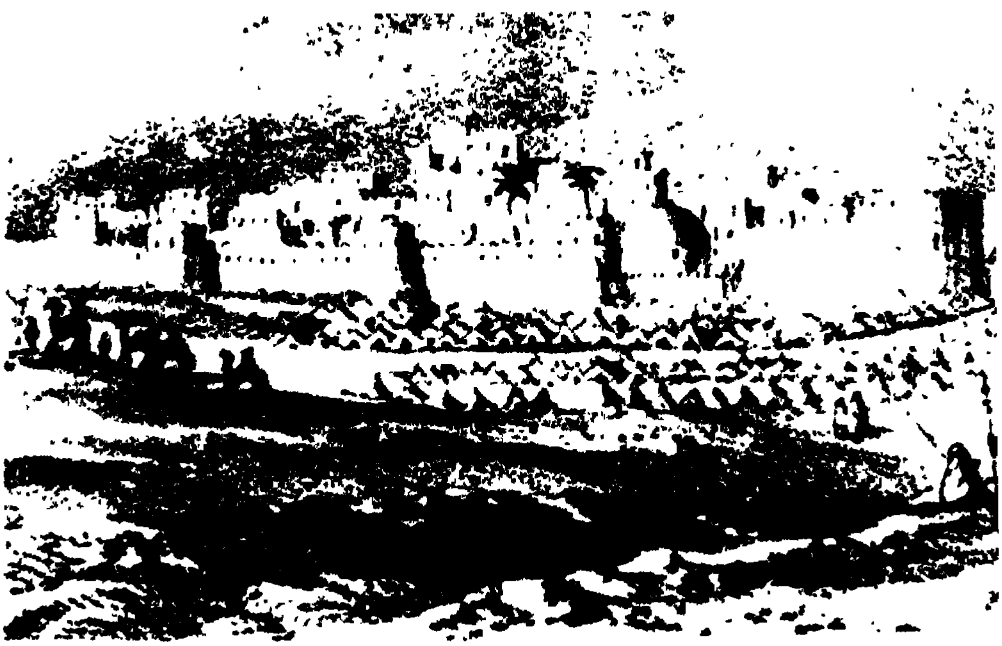
عام ٥٥٧ هـ ، بعد ضبط غريبين يحفران سردابا يصلها الى قبر رسول الله (ﷺ) ، فصب حول مثوى

الجزيرة العربية ـ الشام ، كما تقع في نهاية وادي القرى وبداية وادي العقيق ، وبالقياس الى مكة فهي واحة كبيرة المساحة تطوقها الحدائق ، ومحصنة طبيعيا ، واحة خصبة تحيطها الجبال على شكل « حدوة الحصان » تتجه فتحتها الى الجهة الجنوبية الشرقية وتقع على هضبة اواسط الجزيرة العربية ، جبل أحد عند شمالها الغربي ، الذي شهد إحدى المعارك الفاصلة في الاسلام ، ومازال قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب في ذات المكان الذي سقط فيه شهيدا ، والى جانبه جبل عسير الذي يبعد اربعة أميال عن المدينة ، ويحد السهل من الشرق والغرب « الحرات » أي البقع البركانية والمغطاة بالبازلت الاسود والتي تبعد مسافة طويلة عن البلدة لتمتد البقعة الخضراء من الارض الخصبة ، وتتوفر فيها المياه المتجمعة من الجنوب وتغذى طبقة المياه الجوفية وتكثر فيها الينابيع والعيون ..

ومجمل القول ان المدينة في موقع متوسط ، مدينة قوافل ، محصنة طبيعيا ، واحة خضراء وسط البيداء ، ميسور تواصلها مع العالم الخارجي ، ولعبت هذه الصفات دورا بارزا في تاريخها في فجر الاسلام ، عندما كانت المدينة الموقع والبشر طرفا مباشرا في الوقائع التاريخية .

اول مسجد ..

تواردت هده الصور وتتابعت عندما كنت في طريقي نحو المسجد النبوي ، استوقفني مرافقي عند مسجد قباء ، اول مسجد اقيم في الاسلام « مسجد اسس على التقوى » ، ان كل مكان في المدينة يروى قصة الهجرة النبوية الشريفة ، البقيع مقبرة صحابة رسول الله وجبل احد والعقيق وحدائقه الغناء من حوله ، وضاحية قباء اول موضع وصل اليه الرسول في المدينة ، فبعد ان واجهت الدعوة الجديدة الاضطهاد والعنت من قريش في مكة ، هاجر عدد من اصحاب النبي الى المدينة ، وفي حريف نفس العام ٦٢٢ م هاجر النبي وصاحبه ابو بكر واقاما في غار ثور ثلاث ليال ، وكادت قريش تصل اليهما وفزع ابوبكر وقال له الرسول « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ونزل القرآن .. « الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اد هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه ، وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم . » ، وبعد عشرة ايام وصل الرسول وصاحبه الى مشارف يثرب يوم ٢ يوليو عام ٦٢٢ م وكان اول مقامه



عبد الله بوشهر و يشاهد المسجد والسور وبيوت البلدة وقلاعها ، واخر من شيد السور نور الدين محمود بن زنكي الرسول رصاصا بعمق كبير ، وحدد السور حماية للمقدسات الاسلامية

في ضاحية قباء ، ومكث خمسة ايام قبل الانتقال الى وسط المدينة واستقبله اهل يثرب استقبالا حارا . وفي ناطن المدينة أقام في دار أبي ايوب الانصاري وبني بيته الذي يتألف من عدد من الغرف تحيط بفناء جدرانه من اللبن ، وسقفه من الخوص والجريد .

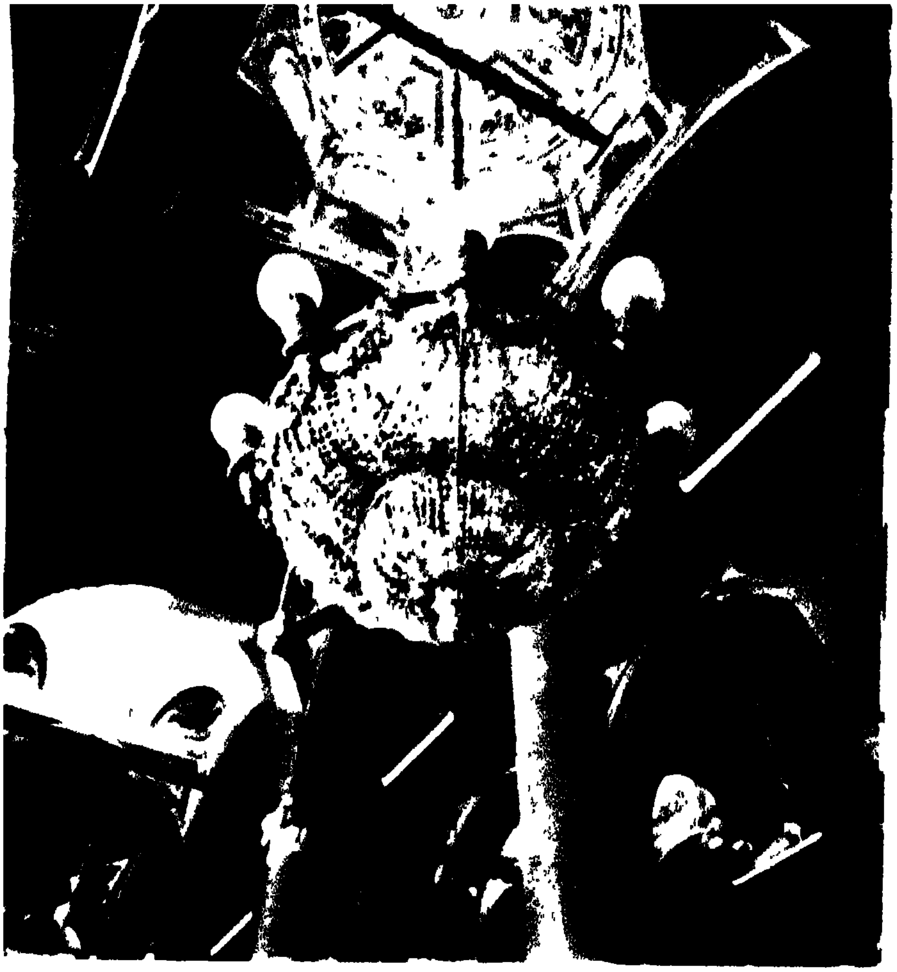
اول قاعدة للاسلام ..

وما ان استقر المقام برسول الله حتى شرع في تنظيم الجماعة الاسلامية ، وارسى اسسها عن طريق التربية والايمان والعمل المشترك ، وقام المجتمع فوق قطعة من الارض محررة من العسف والقهر ، واتت الجماعة من الممارسات ما يؤكد صدق ما ذهبت اليه ، وبينما كانت المدينة تتسع ، وتتصل القرى الصغيرة بعضها ببعض ، اخذ يتكون جيل مؤمن على اساس من العقيدة الصادقة ، وتحول الاوس والخزرج المتصارعان دائما واصبحوا جميعا « الانصار » الذين نصروا النبي ودعوته ، وتحول المهاجرون والانصار بعد فترة وجيزة واصبحوا جميعا « صحابة » رسول الله (ﷺ) وبينما كانت الارض تزرع والمساجد تقام ، بدأت مرحلة الجهاد التي يطلق عليها في كتب السيرة « المغازي » ، والتي اقامت دعائم القاعدة الرئيسية للاسلام .

واذا تأملنا المعارك التي خاضها المسلمون من المدينة ، تبين اهمية موقع المدينة التي اختارها النبي ، فكانت موقعة بدر اول معركة في الاسلام تهدف الى قطع الطريق على تجارة قريش التي تمر على مقربة من المدينة ، مدينة القوافل ، وهي المعركة التي اعلت شأن الاسلام عندما غلبت « فئة قليلة فئة كثيرة » ، وقد مررت بالموقع الذي شهد هذه المعركة في طريقي الى المدينة ، التي اقيم عند مدخلها مقبرة شهداء بدر ، وتنتشر حولها بعض المباني لاستقبال الزائرين ، واقيم في مكان العريش الذي بناه المسلمون لرسول الله مسجد يسمى مسجد العريش

وكانت العلامة الثانية في تاريخ الاسلام ، موقعة أحد ، والتى كانت اصرارا من قريش لفتح الطريق امام تجارتها ، ودحر الدعوة الجديدة ، ولم تحقق قريش اهدافها رغم الخسائر التى مني بها المسلمون والشهداء الذين سقطوا ، ولم تفتح طريق الشام ، وشهد السهل المنبسط شمال المدينة والذى ينتهى عند جبل أحد هذه الموقعة الحربية ، ولم يبق لقبة حمزة ولا لمسجده أثر . بعد ان أقام الوهابيون مكانها قبرا .







الجزء الامامي من الحرم النبوي والمكان الذي يمتد من المنبر حتى المقصورة النبوية وهو الروضة الشريفة (الى اليمين) السقف المنقوش تحت القباب ، والثريات المكونة من عناقيد الكريستال في السقف المبني (اعلاه) اثنان من المصلين يؤديان فريضة الصلاة في صحن المسجد في خشوع (اسفل)



وبعد فشل قريش في فتح طريق التجارة ، اخذت تعقد التحالفات مع بقية القبائل لمواجهة خطر انتشار الدعوة الجديدة ، وتجمعت القبائل وسارت الى المدينة في موقعة الاحزاب ، والتى لعبت « طبوغرافية » المدينة دورا بارزا في الدفاع ، عندما امكن سد فتحة « حدوة الحصان » واستخدموا اسلوبا حربيا جديدا أشار به الصحابى سلمان الفارسى ، وحفر الخندق ، وعجزت القوى المهاجمة عن عبوره ، وعاد المهاجمون الى بلادهم مدحورين في ذى القعدة من السنة الخامسة للهجرة .

الخندق والسور

وليس للخندق أثر فى المدينة اليوم ، وان كان قد حدد بعض الباحثين مكانه ، كما ان الرحالة المغربى ابن جبير وصف الخندق خلال زيارته التى تمت عام ٥٨٠ هـ بقوله « غرب المدينة وقبل وصولك للسور بمقدار غلوة تلقى الخندق الشهير ذكره الذى صنعه النبى عند تحزب الاحزاب » .

يقول عبد القدوس الانصارى ـ الكاتب السعودى صاحب المنهل ـ حول الخندق والسور في كتابه آثار المدينة المنورة « قد عفا أثر الخندق اليوم ولم يبق منه شيء يعرف سوى ناحيته » ، أما السور فقد امتدت المدينة وانكمشت خلال مراحل مختلفة مما اقتضى ان يبنى لها سوران ، ولم يبق اثر لكليهما فى المدينة اليوم ..

اخذت صور التاريخ تتلاحق ، وتسبقنى الى مثوى الرسول الكريم ، حيث يرقد رمز الحرية والمحبة والجهاد والعدالة ، وقد كانت حياته الحافلة نبراسا ومشعلا للانسانية ، والذى يأتي المسلمون من كل انحاء الارض يزورون قبره ويصلون فى مسجده ، ووقفت وقفة تذكرة وعبرة .

رمز الجماعة ومركزها ..

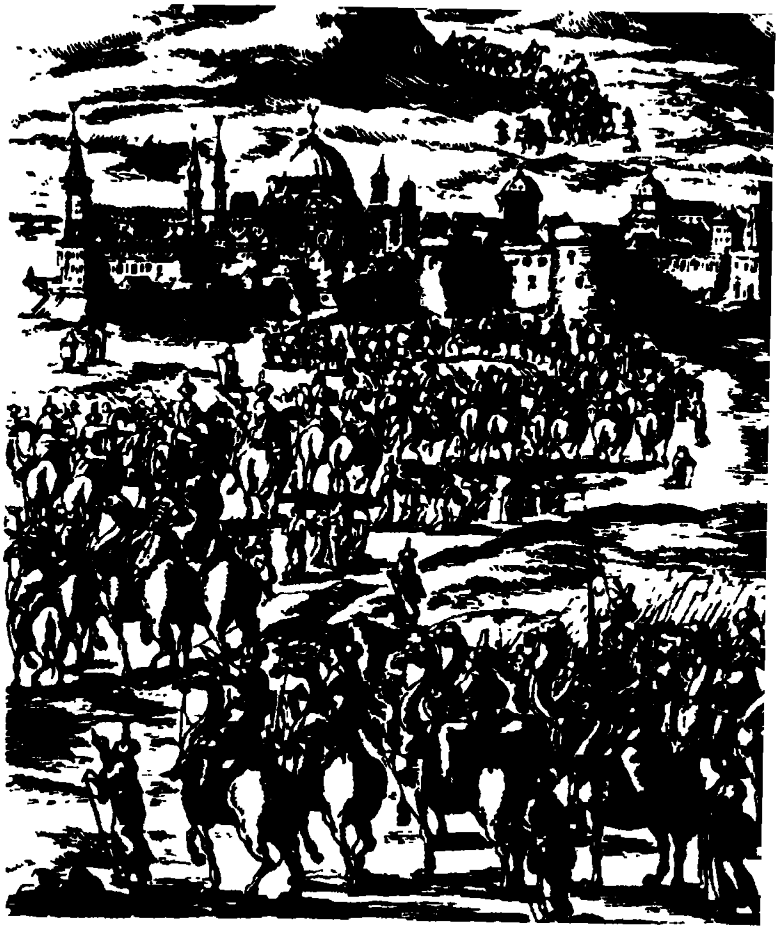
كانت الخطوة الاولى لانشاء الجماعة هي بناء المسجد النبوى ، مركز الجماعة ورمزها ، والذى كان في تلك الايام مكانا لمؤتمراتهم ومحلا لتجمعهم ودارا لندوتهم الى جانب وظيفته الرئيسية كمكان للصلاة ..

يميل المسجد في وضعه المتوسط الى شرق المدينة ، وينقسم الى المسجد والصحن واخيرا مكان متسع غطى بالمظلات لكى يسع المصلين فى ايام الجمع واثناء الحج ، تشعر امامه بالطمأنينة والسلام ، أسراب الحمام من حولك ، القبة الخضراء والمآذن الأربع اية من ايات فن العمارة ، واكتملت لتوها اخر توسعة للمسجد ، والتى انجزت على مرحلتين المرحلة الاولى اضافت للمسجد ١٦٣٢٦ مترا مربعا ، واعيد بناء المئذنتين التي يبلغ طول كل منهما ٧٠ مترا ، ثم التوسعة الاخيرة من الناحية الغربية عن طريق بناء مظلات ضمت ٣٥ الف متر مربع ، وتستوعب العمارة السعودية الاخيرة العمارة العثمانية فى مظهر متناغم ، وتظهر بين ابوابه القباب التى ترتكز على اقواس قامت على عمد من الصوان المكسى بالمرمر الموشى بماء الذهب .

وأمامه أمضى فى رحلة مع الزمان تمتد خمسة عشر قرنا ..

لقد انعكست على المسجد النبوى الشريف التغيرات والاحداث التاريخية التى شهدها عالم الاسلام ، يظهر معالم ذلك فى تراكم فن العمارة الاسلامية على مر العصور ، لمسات من التأثير من جميع البلاد الاسلامية ، فهذا بساط عجمي ابدع الفنان نقوشه ، وذلك المحراب صنع فى مصر آية فى فن زمان صناعته ، وهذا صممه المهندس التركى سنان باشا ، وعاش الحرم النبوى يروى بشموخه الكثير من وقائع التاريخ ، ويقف ليعوض مسحة الاسى على غياب بيوت المدينة القديمة بعمارتها وتصميمها البسيط ، كما كانت عليه في صدر الاسلام ، والتى كانت مبانيها من مواد لم تقدر على مغالبة الزمن ، عندما اقام التابعون عند كل مبنى تاريخى أثرا يدل عليه أو شاهدا مكانه ، وقدم المسلمون كل براعتهم فى تجميل القباب ، وارسلوا المهندسين والصناع من كافة ارجاء العالم الاسلامى على توالى العصور ، جاء الوهابيون فى مطلع القرن التاسع عشر وأزالوا هذه الآثار وتلك القباب بحجة انها تتنافى مع جوهر الاسلام وبساطته ، وبقى بناء المسجد الحرام شامخا خالدا ، لا تمسه يد التبديل بل يضاف اليه ..

وفي السيرة واوصاف الرحالة وحكايات اهل المدينة ، تجميع ورصد لكل ما مر به من تطورات ،



لوحـة اخـرى للمدينـة عام ١٦٨٣ م ، وترى قوافل الحج التي يحميها الجنـود المسلحـون وشرهـا الرحالة الايطالي فارتيا

والتى تبدأ مع هجرة الرسول الى المدينة ، وانتقاله من قباء لدار ابى ايوب خالد الانصارى ، وهنـاك اقـام مسجده واشترك فى البناء بنفسه ، جدرانـه من الآجر ، وسقفه من الجريد ، وعمده من أعجاز النخيل ، اقيم على هيئة مستطيل طوله ٧٠ ذراعا وعرضه ٦٣ ذراعا وأنشىء الى جواره عريش مغطى بسعف النخيل التى لا تزيد عن ستة اذرع ، وكانت بداية هذا المسجد نقطة البدء لعمران المدينة ، وامتد شارع مبلط من غربى الجامع الى جبل سلع وطريق آخر الى البقيع مقبرة شهداء الاسلام ، ومنذ هذا الوقت استمرت عادة العرب اذا اختطوا مدينة ان يبدأوا باقامة المسجد الجامع فى الوسـط وحولـه دور الحكومة ..

وهذه كانت البداية ..

ايام الخلفاء الرشدين ..

ومع تطور الجماعة الاسلامية ونموهـا قام عمـر بن الخطاب باول توسعة للمسجد في السنة السابعة عشرة للهجرة بنفس البساطة وعلى نسق البنـاء الاصلى ، وفي خلافة عثمان بن عفان سنة ٢٧ للهجرة ، زاد عثمان في الحرم النبوى في الناحية الجنوبية ، وبنى جدره بالحجارة المنقوشة ، واستبدل بأعجاز النخيل حجارة ادخل فيهـا عمد الحديد وصب فيها الرصاص ونقشها من خارجها ، وجعل سقفه من خشب الساج ، وزاد ايضـا فى نظـام المقصورة التي اتخذها ابن عفان محلا له ، والتى مازالت تعرف حتى الآن بمحراب عثمان

أما بيت الرسول فكان الى جوار المسجد ، وانتقـل النبي الى بيت عائشة عند مرضه ، الذى كان مصنوعا من جريد مستـور بمسوح الشعـر ، ويحيط به منـازل صحابته ، دار ابى ايوب الانصـارى ، ودار عثمان بن عفان جهة الشرق ، ودار ابن عمر بن الخطاب الى جنوب المسجد ، وجوارها من الغرب دار العباس عم رسول الله ، ثم دار مروان بن الحكم ، وفى غرب المسجد دار أبى بكر وشمالها دار عبد الرحمن بن عوف ، وأدى تكرار التوسعة الى أزالة معظم هذه البيوت التاريخية



من هذه المحلات يشتري القادم الى المدينة حاجا او معتمرا ذكرى من مدينة رسول الله ، والعديد من هذه المحال تحيط ساحة المسجد النبوي .

اكوام من تمر المدينة ، وهو من اجود انواع التمور .





احد المحال ما زال محافظ على الطابع القديم

وعند انتقال النبي الى الرفيق الاعلى دفن في بيت عائشة ، ووورى الثرى الى جواره ابو بكر بعد عامين وثلاثة اشهر من موت الرسول ، ومن بعد عشر سنين من وفاة أبي بكر دفن عمر بنفس الحجرة وهي على حالها وفي العهد الاموى اثناء خلافة عبد الملك بن مروان ، قام واليه عمر بن عبد العزيز بزيادة المسجد وضم حجرات ازواج النبي ، ودخلت الحجرة النبوية ليضمها المسجد عام ٨٨ هـ ، واقام ابن عبد العزيز اربع مآذن ، وغطى ارضه بالرخام ووشى حوائطه بالفسيفساء ، وكسا سقفه بالذهب ، وجعل اساطينه من المرمر ، ولم يسرع حجرا الا ووضع مكانه اخر ، وعني عناية فائقة بالمقصورة النبوية ، واتخذ المسجد النبوى صورة أقرب الى مساجد اليوم ، مع الحفاظ على شكله العام وشخصيته النفادة

ثم قام المهدى بن المنصور ايام العباسيين بزيادة المسجد من الناحية الشمالية عند صحن المسجد ، وكانت زيادة بلغت نحو الثلث من مساحة المسجد ، واحيطت بأروقة من العمد والقباب

وزمن العاصفة التى اطلقها التتار وهبت على بغداد حارقة مدمرة ، في هذا الوقت احترق الحرم النبوى في رمضان (عام ٦٥٤ هـ ـ ١٢٥٦ م) ، واهتز عالم الاسلام ، بعد ان اتت النار على جميع محتوياته ، ولم يسلم منه سوى القبة التى اقيمت لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الشريف .*

وبعد ان تولى الظاهر بيبرس حكم مصر وصد الغزو التتارى ، جهز الاخشاب والحديد والرصاص وارسل الصناع من مصر الى المدينة وقد أعادوا بناء المسجد على ذات الهيكل ، واضيفت اليه مئذنة « عالية » .

ومرة اخرى اصابت المسجد النبوى صاعقة عام ٨٨٦ هـ ، وانتقلت النار الى بقية انحائه ، واحترقت المقصورة والمنبر والكتب المخطوطة والمصاحف ، وسلم من الحريق الحجرة النبوية والقبة بالصحن ، فوجه حاكم مصر الاشرف قايتباى الامير سنقر الجمالى الى المدينة ومعه الصناع والمواد اللازمة للعمارة ، واقيمت لأول مرة

القبة فوق الحجرة النبوية

ومما يذكر ان عالم الاسلام قد اصابه الجزع ، وتهيب المسلمون الدخول الى الحجرة الشريفة لاصلاحها ، وثار جدل حاد ، حسمه نور الدين السمهودى الذى قدم من صعيد مصر واتخذ جوار النبي موطنا ، وكتب « وفاء الوفا لحضرة المصطفى » قدم فيه دراسة مدعمة بالحجج الشرعية يطالب فيها بسرعة اصلاح الغرفة (توفى عام ٨٤٤) هـ

واثناء الخلافة العثمانية قام السلطان سليم بتشييد محراب هو القبلة القائمة الان غرب المنبر النبوى ، وطعم هذا المحراب بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب ، ثم بنى السلطان محمود القبة ، وكانت العمارة الكبرى التى قام بها العثمانيون هي عمارة السلطان عبد المجيد ، والذى هدم جزءا من المسجد واقام ما يحل محله ، وتم هذا التجديد عام ١٢٧٧ هـ

واضافت هذه العمارة العمود من الحجر الاحمر المنحوت حول محراب عثمان ، وشيدت القباب ذات النوافذ من الزجاج الملون المحاط بشبابيك من النحاس ، وشيدت المئذنة المجيدية على طراز رائع ، وحافظت على ما كتب على جدران المسجد من سورة الفتح وقصيدة البردة للبوصيرى ، واسماء الله الحسنى ، واسماء الرسول الكريم ، والذى قام به عبدالله زهدى واستغرق عشر سنوات في كتابة سورة الفتح وحدها .

ويلاحظ ان كل من أضاف لعمارة المسجد قد عمل على الحفاظ على ما سبقه ، فجاء ممثلا لعصور مختلفة ، ترى ذلك وانت تطوف في اروقة المسجد ، زخارفه والخطوط العربية والثريات والبسط ، ووقفت مكاني مأخوذا عند المقصورة النبوية ، وحقا ان وقفة امام قبره فيها من التذكرة اكثر من قراءة العديد من كتب الحديث والتاريخ والسيرة ، عندما تتذكر جهاده وطريقه ونصره ، والمقصورة آية من جمال الفن الاسلامي ، والى جوارها الروضة النبوية المكان الواقع بين الغرفة النبوية والمنبر ، جموع المسلمين تدخل وجموع تخرج في لحظة تجرد وايمان ، ويا ليتها تستمر .. ! !

* للاستزادة في منزل الوحي ـ محمد حسين هيكل .



محراسان داخل المسجد النبوى ، اقيما فى فترتين مختلفتين . والمحراب احد عناصر المسجد واحد عناصر الفن الاسلامي ، وتظهر العناية الفائقة فى خطوطه ونقوشه ومادته



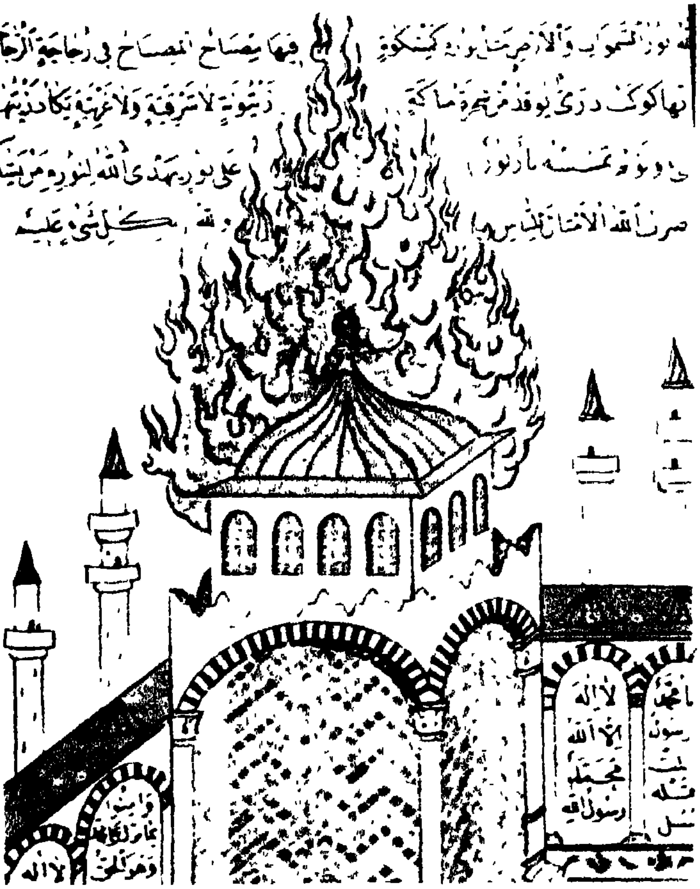
هنا ولد الفن المعمارى بقيام المسجد النبوى ، فهو وان كان بالغ البساطة في البداية الا ان تصميمه جمع معظم العناصر التى صارت تتكون منها المساجد فيما بعد ، فقبة الصحن والقبلة والمحراب والمنبر هي العناصر الاساسية ، والمسجد النبوى هو الذى حدد اشكال المساجد التى اقيمت فيما بعد ، ولا رابة فقد نشأ الفن الاسلامي من فيض الشعور الديني العميق ، وكانت عمارة المساجد هي اصل الفن المعمارى الاسلامى ، ونشأت الزخارف الاسلامية لزينة النوافذ وتجميل السقوف في اشكال هندسية ونباتية ـ للابتعاد عن تصوير الشخوص ـ ، وقدم الخط العربي وسيلة زخرفية جميلة لكتابة سور القرآن الكريم .

وقفت طويلا في خشوع امام المسجد النبوى وداخل المقصورة النبوية ، فهنا تجمع الماضي والحاضركما تروى تطور عمارته صورا تمتد على طول التاريخ

الحلم الانساني

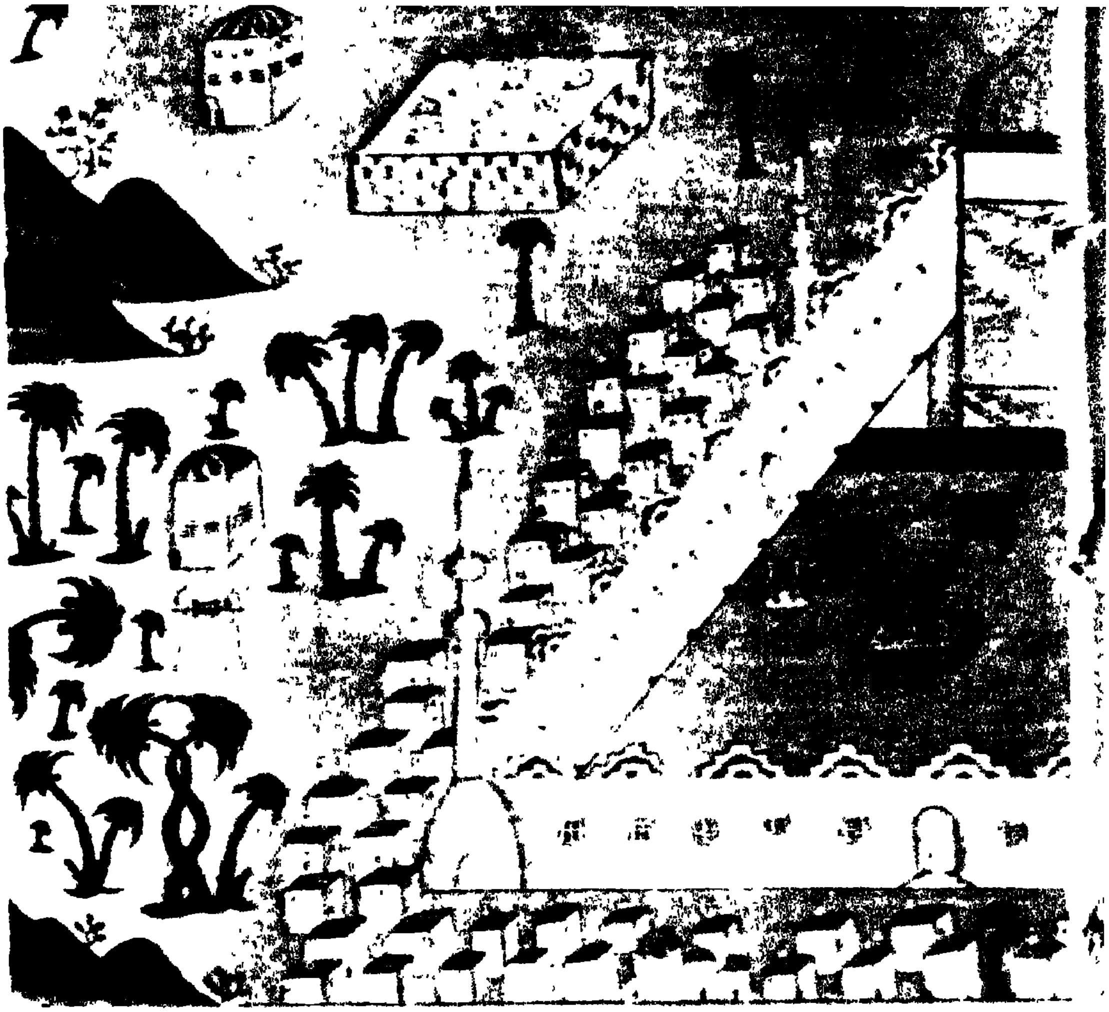
ان تاريخ المدينة غلاب ، وخاصة مرحلة « الحلم الانساني » ، الذى يمتد زمنيا من عهد الرسول ثم الخلفاء الراشدين من بعده ، التي يحلو لعدد من المؤرخين ان يطلقوا عليه عصر « المدينة الفاضلة » عصر المجتمع الخير الذى حلم به افلاطون نتبين معالمه ، ذلك العصر الـ حفل بالانتصارات وتميز بشظف العيش وخشونته مصحوبا بالتقوى والبساطة والزهد



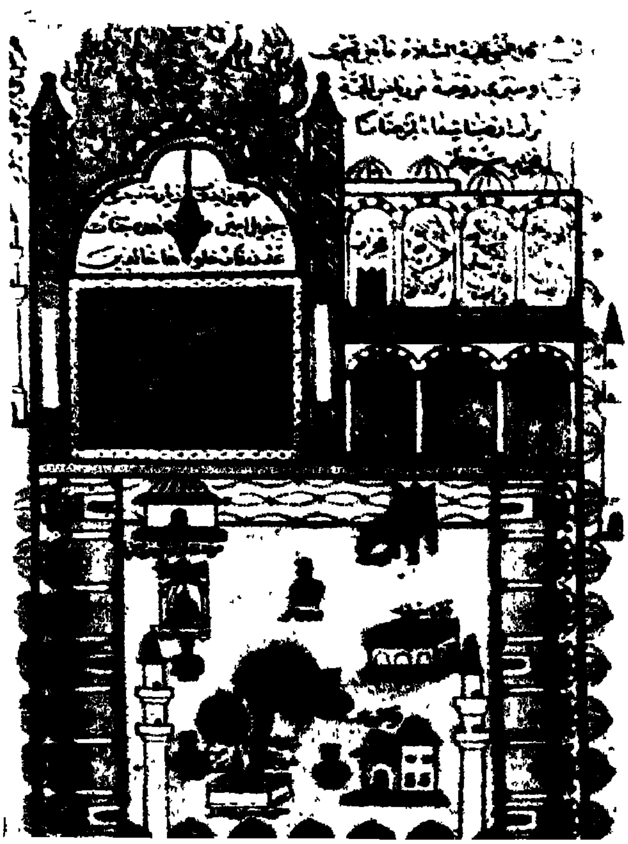


لوحة نادرة رسمها احد الفنانين للمسجد النبوي الشريف ، وهي ذات قيمة تاريخية كبيرة وتحتفظ بها ضمن مجموعها مكتبة Cheter Beatty في دبلن ، وقد رسمت على الارجح قبل التجديد العثماني ، وهي اقرب الى الوصف الذي ذكره بيرتون والذي زار المدينة عام ١٨٥٣ م ووصف المسجد النبوي بقوله : المسجد متوازي الاضلاع به ساحة وسطى مكشوفة تسمى الصحن ، يحيط بها بهو له صفوف عديدة من الاعمدة ، والاروقة بها سقوف منسطة . وهي معبية مثل القبب الاسبانية ، ويختص الطول الداخلي للجدار الجنوبي صف الاعمدة المحيطة بالروضة ، ويبلغ عدد المآذن خمسة ، وتنتهي المنارتان بشكل بيضاوي صلب ، وبه صحن اوسط مكشوف ، ويلفت النظر به سياج من خشب مربع الشكل يسمى « حديقة السيدة فاطمة » ويوجد بالصحن نخلات قديمة يباع ثمرها باسعار عالية .

وتظهر في اللوحة بيوت الصحابة حول المسجد ، كما تظهر الاماكن التاريخية مغطاة بالقباب ، والمدينة تحيطها الجبال .



لوحة اخرى من نفس المجموعة بمكتبة دبلن وتظهر بها المقصورة النبوية محاطة بهالة من نور .



لوحة ثالثة ضمن مجموعة مكتبة دبلن تمثل المسجد النبوي الشريف ولا تختلف مكوناته عن اللوحة الاولى .

في هذه المرحلة تزايد اقبال العرب على سكن البلد الأمن فتضاعف سكانه ، وعمرت اراضيه واتصلت اجزاء السهل بعضها ببعض ، واتصلت المدينة بطريق التجارة ، عندما سادت القيم الجديدة وتحولت الى واقع ، وحلت العقيدة محل القبيلة ، واصبح القائد هو النبي « ﷺ » ثم الخليفة ، الذي لم يأت عن طريق الوراثة ، فالبشر جميعا سواسية ، وقام الحكم على اساس الشورى ، وتحقق المثل الاعلى الذي غاب طويلا فيما بعد في بقاء وحدة الامة التي شملت كل بلاد الاسلام.

وقدمت المدينة عطاء حضاريا وافرا ، عندما كان الخليفة في المدينة مثل رجل طلب الله ان يبسط سيلا متدفقا احدث تتراند روافده ، وأمر عمر باحصاء الناس لكي تحسن توزيع ما يأخذون فكان اول احصاء معروف نقصد منه ضبط ما ينفق من موارد الدولة

وبدأت مرحلة التدوين ، وحفظت في المدينة المخطوطة الاصلية للمصحف بعد ان كتبت ثلاث نسخ بعث بها الى جيوش الاسلام المرابطة في دمشق والبصرة والكوفة وكان اول من بدأها ابوبكر الصديق والذي بقي في الخلافة عامين وثلاثة اشهر وعشر ليال حكم الامة فيها على افضل الوجوه ، واسندما يتعلق باموال الدولة الى ابي عبيدة بن الجراح ، واسند القضاء والفصل في الخصومات الى عمر بن الخطاب ، وكان اول من جعل بيتا للمال ، ونشأ علم الحديث على أيدي صحابة رسول الله

وقدم المجتمع الاسلامي ما يبدو انه قانون صحيح على الدوام ، وهو ان المجتمع « الحلم » ينبغي ان يكون مجتمعا متحركا يقظا متحفزا يبني ويزرع ، وفي نفس الوقت يقدم افراده عن طيب خاطر حياتهم لاطراد نموه ، ومن اجل انتصار الذين يبنون الحياة في مواجهة أولئك الذين يهدمون قيم الخير والحب والجمال

تكونت الجماعة الاسلامية في العام الاول للهجرة ، وبعد فتح مكة في العام الثامن للهجرة شملت الجماعة الحجاز وتهامة ، ثم امتدت خلال العامين الاخيرين من حياة الرسول وضمت جزيرة العرب برمتها ، وتميزت هذه المرحلة بالقوة والروابط الاجتماعية الحميمة ، وبعد انتقال الرسول الى الرفيق الاعلى وفي عهد ابي بكر الصديق (١١ ـ ١٣هـ/ ٦٣٢ ـ ٦٣٤م) ، وصلت الجيوش العربية الحرة حدود العراق وبعض مناطق غرب العراق ، ثم فلسطين ، وشهدت موقعة اجنادين بعد ان قضي على الردة ، واتجهت الجيوش لتحمل الدعوة الى فارس وتواجه البيزنطيين في الشام . وبدأت معالم الاطار السياسي والعسكري للدولة في الظهور ، وبعد وفاة ابي بكر تولى عمر بن الخطاب المسئولية (١٣هـ ـ ٦٣٤م) ووضع ضوابط صارمة لضمان سير الجماعة فمثلا رفض الاذن للصحابة بالاستقلال الى الامصار ، وحاسب عماله على ما يحصلون عليه من اموال حلال بولنهم مناصب عامة ، ولم يسمح لدين غير الاسلام بالبقاء في جزيرة العرب ، وتكاملت في عهده نظم الدولة وادواتها ، وعاشت الدولة الاسلامية ذروة نموها ، ففتحت الشام بعد معركة اليرموك ، وتسلم الخليفة بنفسه « بيت المقدس » ، وحقق العرب انتصارهم الكبير في معركة القادسية ، وفتحت ايران وزالت امبراطورية كسرى وفتح العرب نحو الشرق ، وانضوت مصر تحت لواء الاسلام ، وبدا انه لا يوجد حد لانتشار الدعوة الجديدة ، واكمل عمر المسيرة كقائد أحسن توجيه الجماعة وبرع في قيادتها

وتولى عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين (٢٧ هـ/٦٤٤م) وسارت الجيوش العربية نحو افريقيا ، وخلال عهده ظهرت الفتنة الكبرى وبدأت الثورة عليه في الكوفة ، وقتل وهو يقرأ القرآن في بيته في المدينة ، فكانت بداية الاختلاف والانقسام في العالم الاسلامي ، فبعد ان انتقلت الخلافة الى علي بن طالب الذي أصبح الشخصية الاولى في المدينة ، وبويع بالخلافة في مسجدها في ٢٤ يونيو عام ٦٥٦ ـ ٣٦ هـ ، واعترف بخلافته في كل العالم الاسلامي الا انه تخلف عن مبايعته طلحة والزبير وعائشة ، وغادروا المدينة الى مكة ومنها الى البصرة

وكانت هذه الاحداث التي تتوالى هي نهاية العصر « الجمهوري » الذي تركزت الزعامة فيه في مدينة النبي بذكريات الرسول وروعته وهيبته وعمق أثرها في النفوس ، وانتهي « الحلم » الى حرب اهلية ، اولا بين علي من جانب وطلحة والزبير وعائشة من جانب اخر ، ثم بين علي ومعاوية

ولـم يكن لعلي جيش في « المدينـة » فغادرهـا الى الكوفة في اكتوبر عام ٦٥٦ بعد ان قضى بهـا أربعـة اشهر ، وفي موقعة الجمل قتل طلحة والزبير وانتقلت الخلافة الى الكوفة لتنتقل فيا بعد الى دمشق .

وهكذا انتقل دور الزعامة من المدينة الى الأمصار عندمـا تحـرك الوسـط الجغـرافي الى الشمال مع اتسـاع الدولة ، واتخذ علي الكوفة عاصمة له ، وظل عدد من صحابة الرسول في المدينة ، وتحولت الى مركز للعلم الذى يقصده الاتقياء ، ونقل لنا التاريخ حوارا دار بين علي بن أبي طالب وأحد الصحابة الذى ذهب يقنعه بالعدول عن مغادرة المدينة .

قال عقبة بن عامر « يا امير المؤمنـين ان الـذى يفوتك من الصلاة في مسجد رسول الله والسعي بين قبره ومنبره أعظم مما ترجو من العراق ، فان كنت انما تسير لحرب أهل الشام فقد أقام عمر فينا وكفاه سعد بن أبي وقاص زحف القادسية ، وابو موسى زحف الاهواز »

واجـاب علي « ان الامـوال والرجـال بالعـراق ، ولأهل الشام وثبة احب أن اكون قريبا منها »

عيون وآثار ...

ومن التـاريخ الحافـل الى الوضـع الراهـن ، ارى واسمع واتجول مازلت ابحث في الحاضر ما له علاقـة بتلك الايام المجيدة ، فتجولت بين مساجد المدينة التي اقيم أغلبها يخلد ذكرى موقف او شهيد ، ومعظمها بسيط في عمارته وما يحتويه ، واكثرها على نمط المساجد المعروفة في شبه جزيرة العرب ، والتـى لا تزيد على مربـع من الارض تحيط به جدران من الحجر ، ويعلوه من ناحية المحراب سقف يستند الى عمد بسيطة ، وفي بعضها تقام الصلاة احيانا ، فالصلاة دائما في المسجد النبوى

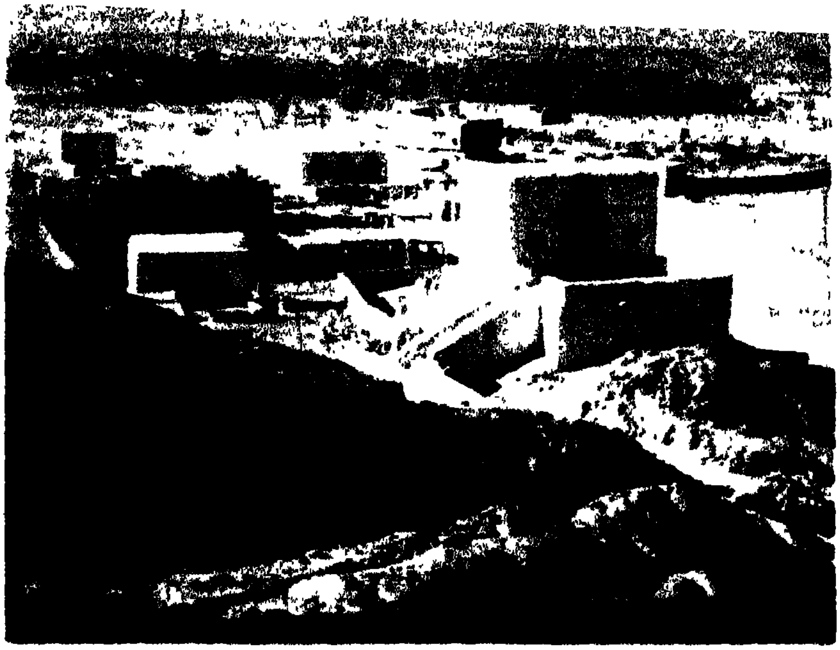
وزرت عيونها وأبارها ودورها والتي أهمها ما اتصل بحياة الرسول ، وحتى اليوم لم تحقق العديد من آثارها الذى يختلف حولها الرواة واصدر الكاتب عبد القدوس الانصاري كتابا حاول فيه جاهدا تحقيق آثار المدينـة (قدمت في مجلة العربي عدد ١٥٨ و٢٣٤ .)

وسرت في شوارعها وازقتهـا واسواقهـا ، أستنشـق عبيرها الخاص ومذاقها المتميز ، وتلاحظ انها مثل العديد من المدن العربية ذات التاريخ العريق ، تشاهد القديم والجديد جنبا الى جنب ، تعاني مثل غيرها مرحلة التدهور الذى عانت منه خلال القـرون الماضية ، واليوم تفيق وتتعافي ، تحتضن تاريخها وتسعى الى ابرازه ، مع طاقة على الاستمرار بلا حدود كنـواة مقدسـة تجـذب حولهـا وظائف متعددة كطلب العلم والتجارة والفندقة والخدمات التي يحتاجها قاصدوها ، رغـم انهـا تجـذب الـذين لا يقيمون وزنا للمباهج ، الذين يكرسون حياتهـم للعلم والمعرفة في جوار مثوى رسول الله ، ويشد اليها الرحال الباحثون عن الحقيقة ، يعايشون المكان الذى شهد فجر الاسلام ، ومع توالى السنين تفـردت بتـكوين سكانـى خاص وتراكم حول مسجدها المجـاورون لقبـر رسـول الله ، فعاش الى جانب اهلها جنسيات اسلامية من كل أرجاء العالم الاسلامي ، ولم تغـب هذه الملاحظـة عن الرحالة السـويسرى بورخـارت * والتـي ذكرهـا عام ١٨١٤م بقوله « ان اهل المدينة أكثرهم من الغرباء الذين تجذبهـم ، قدسية البلـدة . من جميع انحـاء العالـم الاسلامي ، وليس بهـا سوى أقلية محـدودة من نسـل الانصار ومن بين الاسر القديمة أسر تنحدر بنسبها الى نسل العباسيين ، وعدد من الشرفاء الذين يمتـدون الى الحسينيين » .

حجم سكان المدينة

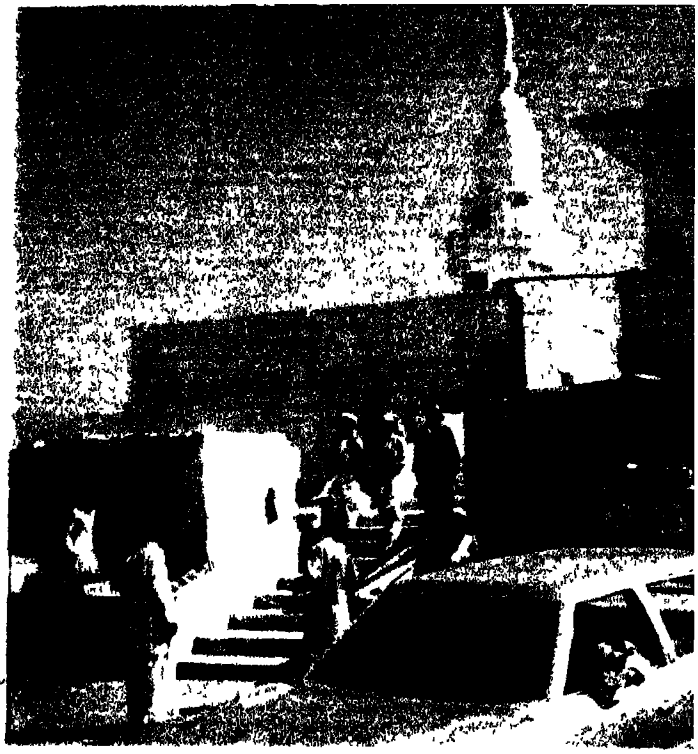
وانبسطت المدينة وانقبضت بالنسبة لحجم سكانها ، فكانت في مطلع هذا القرن تفوق في حجم السكان اي مدينة عربية اخرى في شبه الجزيرة العربية ، اكبر من مكة وجدة والهفوف وايضا الكويت وعدن ، ايام عمل خط حديد الحجاز ، اما اليوم فيبلغ عدد سكانهـا ١٠٠ الف ، وتفوقها كل من مكة التي تقترب من المليون ، والرياض التي وصلت الى ما يزيد عن المليون نسمة ، وانتقل مركز الثقل من الحجاز على ساحل البحر الاحمر الى المنطقة الشرقية على الخليج بعد تدفق الذهب الاسود ، وتقوم اليوم بوظيفتها الدائمة كنواة دينية عندما يجتمع

* سمي نفسه الشيخ ابراهيم السامي وكتب ناشره « اتقانه اللغة العربية ساعده على تقمص دور المسلم » .



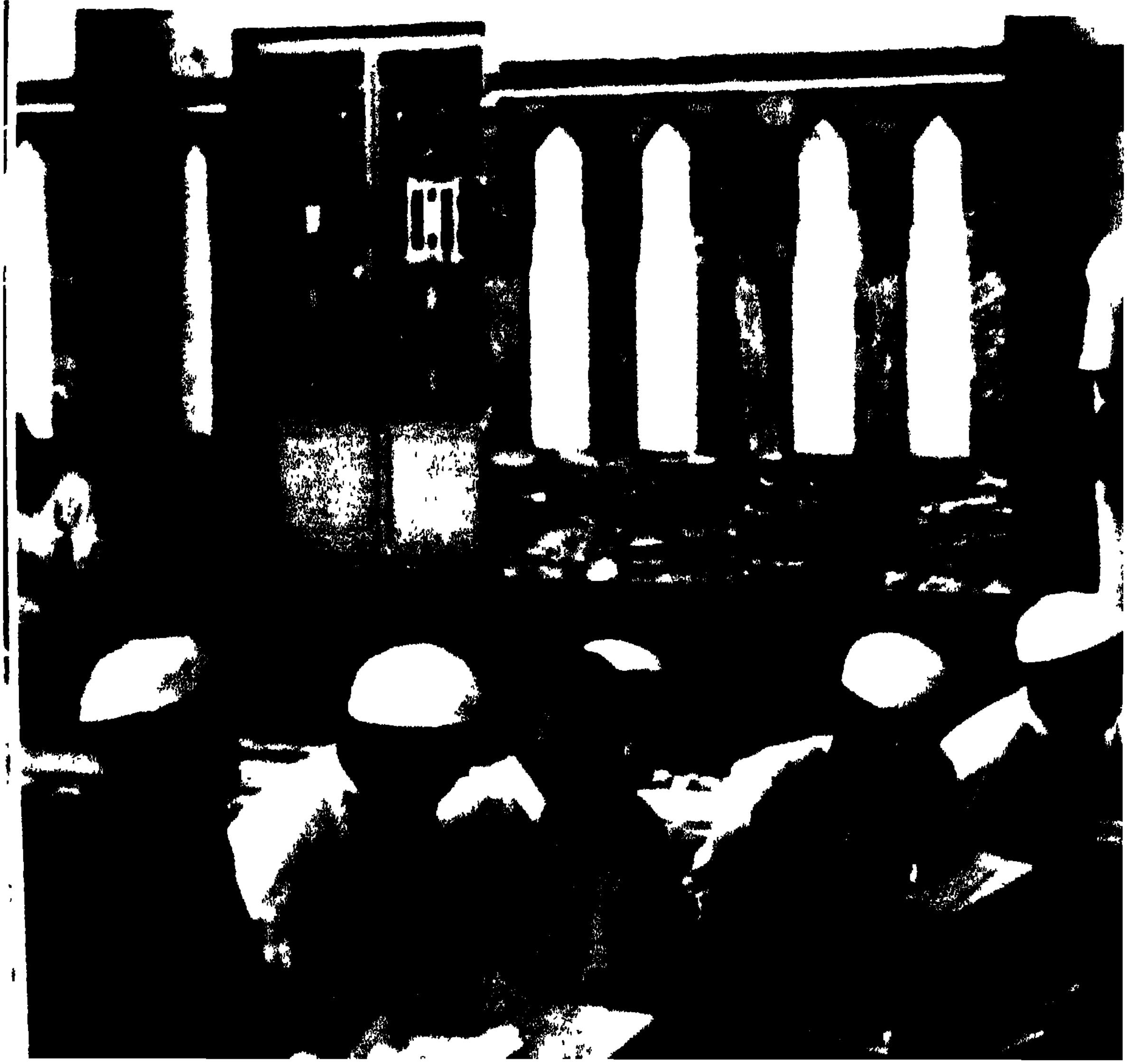
حلقة من الفتية يتلون القرآن الكريم داخل المسجد النبوي الشريف





مسحد الفتح موق جبل سلع المطل على موضع الخندق . وهو المسجد الذي دعا فيه الرسول (ﷺ) ربه ىمصره في عزوه الاحزاب . والى حانبه ثلاثة مساجد اخرى احدها مسحد سلمان الفارسي صاحب فكرة الخندق . ويليه مسحد علي بن ابي طالب وحنوبه مسجد ابو بكر الصديق . شيد هذه المساجد التاريخية الوليد بن أبي بكر ثم رمم على مر العصور . (**بالصفحة المقابلة**)

مسحد القبلتين صلى النبي فيه متوجها الى بيت المقدس . وفيه امر بالتحول الى الكعبة واطلق عليه مسحد القبلتين . وبعدد المدن المقدسة عند المسلمين بمكة والمدينة وبيت المقدس



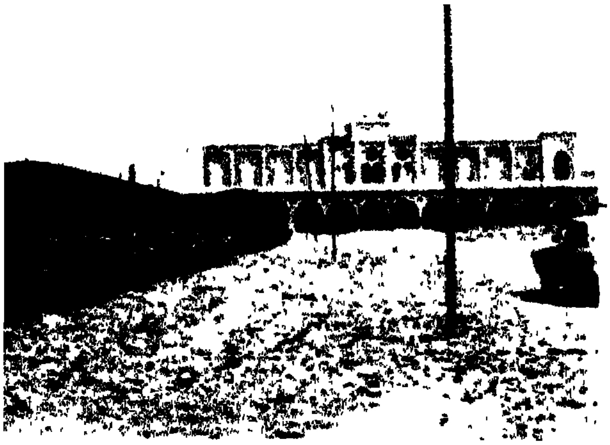
في جامعتها الاسلامية المسلمون من كافة الجنسيات يدرسون القران واصول الاسلام ، او عندما يقصد زوارها مكتبتها الزاخرة بالكتب والمخطوطات القديمة ، ويبقى المسجد النبوى الشريف عصب الحياة يدور في فلكه كل سكان المدينة ، ولا ينقطع داخلها النشاط الاسلامي قط ، فترى السكان يجتمعون في المسجد النبوى بين صلاة المغرب وصلاة العشاء يستمعون الى ما يلقي عليهم ويناقشون امور دينهم ، وعندما يؤذن المؤذن للصلاة يغادر أهل المدينة محالهم واعمالهم ويتجهون جميعا الى المسجد لتأدية الصلاة ، تزدحم الشوارع حول المسجد بالمحلات والفنادق والمكتبات والحرم النبوى يهيمن على حياة البلدة ..

ومازال القديم في « طيبة الحجاز * » اكثر ايحاء ودلالة من الجديد ، تجد القديم في أزقتها وطرقها المجاورة للمسجد النبوى ، التي وجدتها ضيقة لا تنفذ اليها الشمس ، ويغلب على عمارتها الطراز المملوكي بمشربياته المعروفة ، وهذه البيوت مهددة بالانقراض امام زحف المباني الحديثة ، ويجلب الى سوقها ألبضائع من كل مكان ، وتسمى أزقتها ، زقاق القماشين ، وزقاق الخياطين ، وزقاق الاغوات ، وهكذا ، ولا تصدر المدينة اليوم سوى تمرها المشهور بحلاوة مذاقه وتعدد انواعه .

واستمتعت في نهاية جولة السوق بالجلوس واحتساء الشاى في احد المقاهي المحلية التي تتكون من اعمدة من الخشب ذات سقوف من جريد ، صنعت بها ارائك خشبية عالية وفرشت بنوع مميز من الحصير .

فن العمارة

العمل على قدم وساق ، الجرافات والرافعات تقيم المباني الحديثة والعمارات مكيفة الهواء على احدث طراز ، وتشق الشوارع العريضة المرصوفة ، هذا ما تراه في الاحياء الجديدة من « المدينة » طراز العمارة اوروبي باستثناء عدد قليل من البنايات ذات الطراز العربي ، وما أبعد هذه الصورة التي أراها في حي « المناخة »



محطة سكة حديد الحجاز ، ولقطة صحفية نادرة للحظة افتتاح الخط التقطت عام ١٩٠٨ م

الحديث بمبانيه التي استوردت موادها من كل انحاء الارض عن الوصف الذى ذكره الافندى علي موسى في كتابه وصف المدينة (عام ١٣٠٣هـ ـ ١٨٨٥م) والذى يقول . « الحاصل ان المدينة المنورة وجوانبها الاربعة اذا غاب نجم الثريا وثقل العذق على النخيل ، تمرض الاجسام ويقل النشاط ، فاذا ظهرت الحمراء والصفراء في النخيل اشتد الحر والسموم ، وطاب النوم على الاسطح تحت السماء ، وبدأ النشاط شيئا فشيئا الى زمن الخريف » ان هذه الصورة القديمة تتغير اليوم ، ولكنها تحتاج الى ضوابط تقضي على طراز العمارة المتنافر والبعيد عن مكونات البيئة

وخاصة في « المدينة » صاحبة كل هذا التاريخ المجيد ، بل هي معقل العروبة والاسلام التي لم تخضع طوال تاريخها لاحتلال اجنبي غير اسلامي ، والتي حرم دخولها على غير المسلمين ، لكل هذه الاسباب يفاجأ زائرها بما يتهدد طرازها العربي من الضياع ، ويبحث عن شخصيتها التي يتوقع ان يجدها في عمارتها ، ويتوقع ان تكون مستودع ما بقي من حضارة الاسلام ، هي المؤهلة لتكون في طرازها المعمارى وتخطيطها النموذج للاصالة المتزاوجة مع فن العمارة المعاصر ، ويصاب بالاسى أمام الفجوة الكبيرة بين ما يتوقع وما يرى .... !!

لقد تغيرت تغيرا كبيرا عن الوصف الذى ذكره بورخارت .. « ان المدينة مبنية بالحجر كلها ، وتتألف

* احد اسماء المدينة التي اطلقها عليها النبي (ﷺ) .



بيوتها من طابقين بوجه عام ومن سطوح منبسطة ، وهي من احسن المدن الشرقية في بنائها ، وهي تأتي بعد حلب .... »

سكة حديد الحجاز

ومن ابرز الابنية ذات الطراز المعماري الخاص محطة سكة حديد الحجاز ، طراز جذاب لم تفعل به يد الهدم كما وقع في العديد من الابنية الاخرى ، وقد توقف هذا الشريان الذى يربط الاراضي المقدسة بدمشق ، والذى لعب دورا حيويا في تاريخ المدينة ، عندما كان يساعد على انسياب الحجاج والبضائع والافكار من والى المدينة .

بدأ هذا الخط يعمل في خريف عام ١٩٠٨ ، والذى كان يقطع مسافة تقرب من الف ميل ، واقيم من تبرعات الشعوب الاسلامية التي ساهمت بثلث النفقات ، وتوقف هذا الخط اثناء الثورة العربية وخلال الصراع بين العرب والترك ، بقيت اجزاء منه تحتاج الى اصلاح منذ الحرب العالمية الاولى وحتى اليوم ، رغم انه لايحتاج الى نفقة كبيرة ، وهو مازال يتعثر في لجان واجتماعات مشتركة في كل من الرياض ودمشق وعمان ، رغم ان هذا المشروع من النوع الاستراتيجي الذى تحتاجه الدول العربية لتوثيق الروابط بينها ، علاوة على ما يقدمه من فائدة الى مدينة رسول الله .

وهذا المشروع مع خطوات اخرى يعيد للمدينة جانبا من قيمتها التاريخية ، من هذه الخطوات وضع آثارها موضع التقدير والحماية ، فتحصر وترمم ، ومنها ايضا ان تراعي المباني الجديدة الطراز العربي الشرقي ، ويقفز الى ذهني ذلك المتحف الذى شاهدته في ويلز بانجلترا والذى اقيم على مساحة كبيرة ، يعرض داخله حياة البلدة منذ قرنين من الزمان ، نفس طراز المباني القديمة ، واثاث البيوت ، والازياء وطرق الانتقال ذاتها بالعربة التي يجرها جوادان ، والحرف القديمة النجار والحداد والخباز يعملون بأدواتهم القديمة ، والمتحف مدينة كاملة بعثت فيها الحياة القديمة ، وكأن زائره قد انتقل الى مرحلة حية من التاريخ ، يرتاده الزائر في رحلة ثقافية ترفع الذوق وتنمي الحس العام ، وتضمن التواصل بين الماضي والحاضر .....

فهل نأمل في قيام مثل هذا المشروع في المدينة والذى ينقل المرحلة التي شهدت فجر الاسلام ، ثم هل نطمع في الحفاظ على ما تبقي في المدينة من آثار ، عن طريق حظر التشييد او الازالة الا بعد الحصول على تصريح خاص ، ففي بلدة مثل الفاتيكان يحظر نهائيا نقل حجر من مكانه الا للضرورة وبمعرفة سلطات المدينة والمشرفين على الآثار بها ...

وتحتاج المدينة اكثر الى تغييرات تبرز تاريخها ، وتجعل حاضرها متصلا بماضيها المجيد ......

وبعد

هذه رحلة عبر الزمان والمكان في « المدينة المنورة » ، لا تزال بحاجة الى مزيد من الجهد والوقت ، لكي نقف اكثر مع كل أثر للرسول الكريم وخلفائه من بعده ، نستلهمه ونعايشه ونتمثله ، ونقتفي أثره .. ونتنسم منه عبق التاريخ . ... ■■

مصطفى نبيل

هذا الجمال

باستخدام الاضاءة المستقطبة يمكن معرفة معلومات هامة عن المادة المعدنية ، علاوة على الرؤية الجمالية
٨٥٠ درجة ، فيظهر سحر التحول فى الطبيعة كاملا . وهذه المادة



بقلم : صفـوت كمـــال

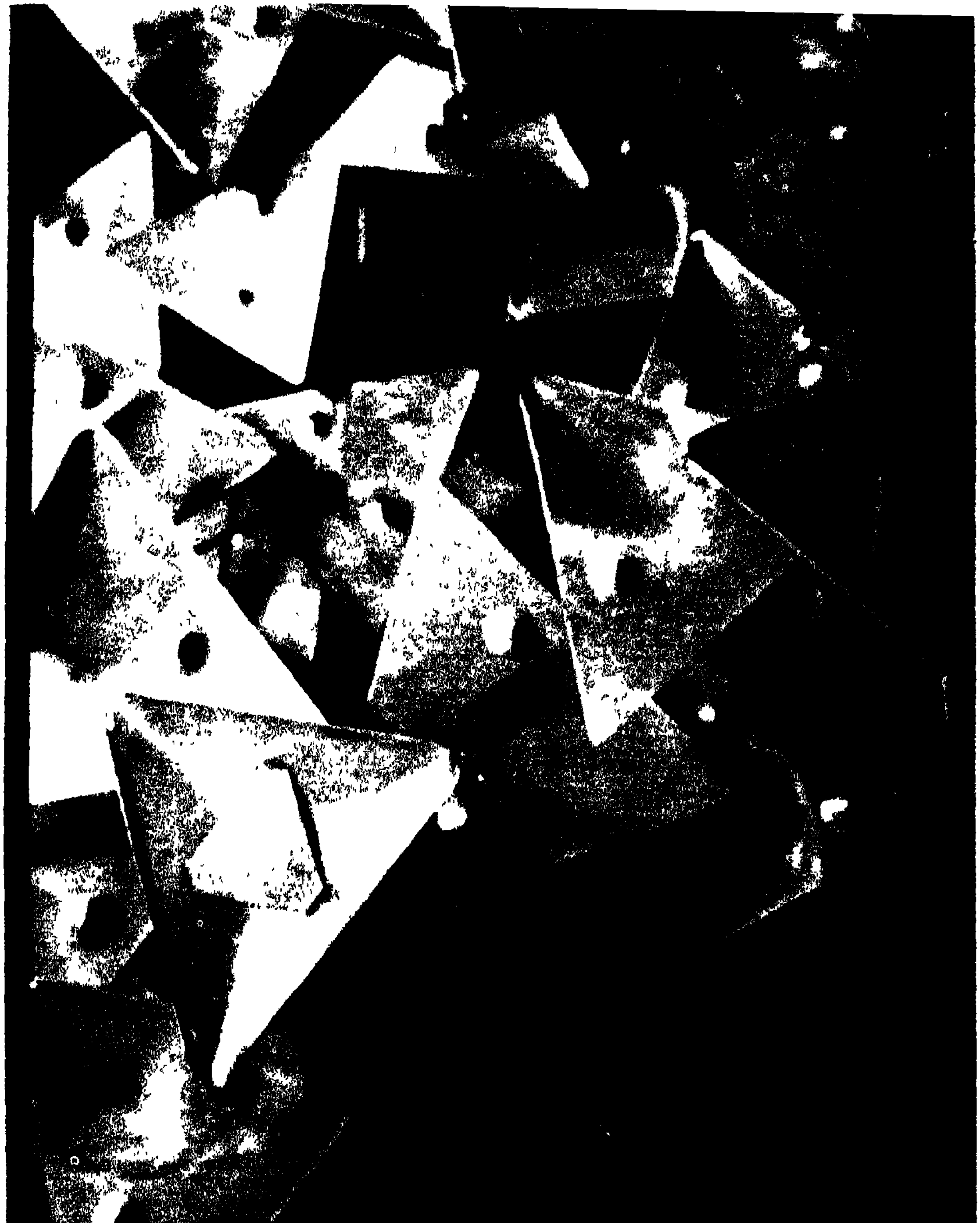
الكامن حولك

لمكونات مادة النحاس المتبلورة حينما يتفاعل معدن النحاس مع مادة السمور الكيميائية تحت درجة حرارة، وغيرها من مواد يستخدمها المربيون في صناعاتهم الشعبية .



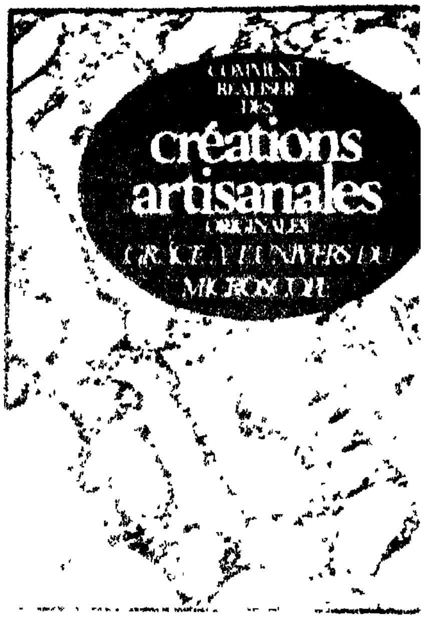


يرى الفنان مثلما يرى العالم فى عالم المادة تكوينات وتراكيب



متعددة ومتنوعة لانهائية ، معقدة التركيب سوية الشكل ·





ونعمل السكل الظاهر متعدد الاشكال من خلال العلاقات القائمة بين الخط والخط ، واللون واللون •• ، والخط واللون • فقد امكن للفنان التجريدى من خلال ادراكه لهذه العلاقة الحية بين الاشكال المختلفة ، أن ينفذ ببصيرته الى عالم الكمون الفنى فى مكونات المادة • فالفن التجريدى لم يكن فى واقعه العلمى تمردا على ما سبق من مدارس فنية ، اهتمت اكثر ما اهتمت بالشكل الخارجى ، بل كان رؤية أشد وضوحا لما هو كائن بالفعل •• وكما يقول الاستاذ «جاك انكيتل» Jacques Anquetil فى تعليقه على اللوحات التى صورت مجهريا لجزئيات من الابداع الفنى الكامن فى مواد الصناعات العرفية ، ان الفن التجريدى ، هو حالة من حالات الكشف المستقبلى لعالم المادة ، برؤية فنية وببصيرة واعية Prescience • فقد أمكن للفن التجريدى ان ينفذ الى ماهو كائن وكامن ، مما لم يكن مدركا برؤية علمية واضحة من قبل ، ولكن بفضل الامكانات العلمية المتقدمة فى عصرنا الحاضر امكن رؤية السكل الكامن فى عالم الاشياء ومعرفة التكوينات التى تستمل عليها المادة • « لقد عرف اخيرا ، ان الكون يتكون من مجموعة مركبات تتداخل فى عدد متناه من التكوينات الهندسية داخل عدد لا متناه من الاشكال المتنوعة »• فالتكوينات الهندسية بتداخلها وتنوعها تحقق اشكالا غير متناهية ، متعددة متنوعة ، وكان هذه الاشكال بتعددها وتنوعها ، فى حالة خلود أبدى وديمومة مستتمرة •

لقد اكتشف الفنانون ، وبخاصة التجريديون ، من خلال رؤاهم الفنية ، لا من خلال الرؤية المجهرية ، اسرار التناغم والتناسق الكامنين فى العالم المرئى ، والعالم غير المرئى فى الطبيعة والانسان فى حين كانت رؤية الفنانين الطبيعيين الى عالم الطبيعة خلال القرن ١٩ ـ ترتبط بعالم الضوء وظاهر الطبيعة •• رؤية ترتبط بظاهر الطبيعة وليس بباطنها •• رؤية تهتم بالسطح

★ ـ انظر تعليقه على اللوحات التى تضمنها الكتيب الذى أصدره بالاشتراك مع ميكل جلفنشتين Michel Jhelfenstein واللوحات المنشورة مع هذا المقال منقولة عن هذا الكتيب ، الذى صدر فى باريس خلال هذا العام ١٩٧٩ •





تكوين من نسيج الخرز المصنوع فى مدينة بيدا سيحيريا. تلك المدينة التى مازالت تحتفظ للآن باسرار صناعة الخرز المصرى القديم • ويكشف لنا المجهر عن الوان وخطوط لم تبد من قبل للعين المجردة ••

المرئى لا بالبناء الداخلى للطبيعة • فى حين كانت رؤية الفنانين التجريديين اكثر قربا من الواقع الكامن غير المرئى ، الموجود بالفعل فى الطبيعة ، ولكنه خفى بالنسبة لحواسنا المجردة •• الى أن حدثت الاكتشافات الكبيرة الحديثة فى عالم البصريات ، وامكن للعلماء ، من خلال العدسات، المكبرة ، رؤية تراكيب المادة ، فظهر لنا من خلال المجاهر المكبرة التشكل الكامن ، والالوان الخفية ، والخطوط الدقيقة ، والوحدات الهندسية ، كما ظهر التشكل الكامن الخفى بانماطه الرائعة،والذى كان يختفى تحت وداخل الشكل الظاهرى المرئى من عالم المادة •

الفن التجريدى ••

وفى الواقع انه منذ ظهور الاتجاه التجريدى فى الفن الحديث (١٩١٠) حدث تحول كبير فى عمليات التقييم الفنى للابداع الانسانى وبخاصة فى مجال فن التصوير •

فقد أعطى هذا الاتجاه الفنى رؤية تاملية وعلمية ادراكية اكثر عمقا فى فهم وتقييم واقع الخبرة الجمالية الانسانية •• فقد تميز هذا الاتجاه الفنى الحديث ، بالقدرة على استخلاص عناصر الشىء الموضوعى ، لتكون نواة لتصميم جديد ، لا ينطوى على اى صلة بالشكل الواقعى•• واذا كان بول سيزان ، الفنان الفرنسى ١٨٣٩ ـ ١٩٠٦)أحد رواد مدرسة ما بعد الانطباعية يعتبر من اوائل رواد هذا الاسلوب الفنى فى فن التصوير حينما استهدف بناء الاشكال الفنية على أسس هندسية ، فان الفنان الروسى فاسيلى كاندينسكى Wassily Kandinsky الذى ولد فى موسكو ١٨٦٦ وتوفى فى باريس ١٩٤٤ •يعتبر بحق رائد هذا الاتجاه الحديث فى فن التصوير • ويرجع اكتشافه للاسلوب التجريدى ـ كما هو معروف ـ الى نادرتين حدثتا فى حياته ، فقد اكتشف كاندينسكى ، بدقة ملاحظته ، جمالا رائعا فى ثوب امرأة•وكان هذا الجمال نابعا من انسجام الالوان التى انتشرت فوق الثوب على شكل غير معروف،مما جعله يفكر فى الاستغناء عن استخدام الاشكال الطبيعية فى لوحاته ـ وقد استبدت به هذه الفكرة حينما تامل ذات يوم احدى لوحاته التىرسمها لمنظر طبيعى وكانت فىوضع معكوس، فصمم على رفض كافة اشكال الطبيعة لاقتناعه بان التصوير ، فن كالموسيقى ، يمكن التعبير فيه عن المشاعر والافكار بالالوان والاشكال التجريدية، مثلما تعبر الموسيقى بالاصوات المتناغمة عن افكار ومشاعر الانسان •

الموسيقى والفن التجريدى

فالموسيقى كابداع فنى متميز يعتمد على الادراك والحس ، فى محاولة لاستخلاص للقيمة الجمالية فى الابداع الفنى الموسيقى ، باعتبار ان الموسيقى فى أساسها ، تعبير عن المشاعر فى شكل فنى ، قوام أسلوبه الايقاع والنغم .

فالموسيقى شعور يتجسد فى رموز ايقاعية ونغمية . وواجبنا ان لا نتصور ابدا ان هذه الرموز هى الموسيقى بداتها . والا كنا ـ كما يقول « بورتنوى Julius Portnov نخلط بين الرمز وما يدل عليه .

فالانسان هو الذى يضفى قيمة بشرية ومعنى بشريا على الاصوات والحركة الموسيقية ✽

الفن العربى والتجريد الهندسى

ولا شك ان الفن التجريدى يفوق غيره من الفنون ، لانه يعطى مجالات فسيحة من الرؤى الفنية التاملية دون تحديد أو تشيىء للانفعالات الانسانية .

وقد أعطى الفن العربى الاسلامى بتجريداته الهندسية ، وتكويناته الزخرفية شكلا لا نهائيا من التكوينات الفنية كما حرر الفنان العربى من ربق المحاكاة الحسية وانطلق بقدرات الفنان الى مجالات حرة من التعبير لا تغفل القيمة الجمالية المطلقة . تلك القيمة التى تتحقق من خلال علاقات التوافق والاتساق والتناغم والتالف بين المنظور والمدرك .

ولقد تميز الفن العربى الاسلامى من خلال وحداته الزخرفية الهندسية بجوانية تكمن فى العلاقة القائمة بين الوحدات الزخرفية المتكررة والمتنوعة فى تكامل هندسى ، وبين اتساقها الفنى فالتصور الهندسى والنظر الرياضى لعالم الاشياء هو تجريد ذهنى للجزئى ليصبح كليا . كما أن العمل الهندسى هو تطبيق فى نفس الوقت للتصور المطلق وتحديده فى جزئيات محسوسة تدل أيضا على المطلق ، مع امكانية تكوين تشكيلات لا نهائية من تلك الوحدات الهندسية المتناهية .

فالتصور الهندسى بطبيعته كنشاط عملى انسانى ، هو رؤية فكرية مجردة لها فى نفس الوقت وجودها الدال عليها فى عالم الاشياء .

ويذهب كثير من الباحثين الى ان الرسم التجريدى الهندسى اللين الذى تميز به الفن العربى الاسلامى الرقش العربى ـ Arabesque يلتقى مع الفن التجريدى فى مجال الانطلاق للتعبير عن المطلق .

« فالرقش العربى والفن التجريدى يسعيان على السواء الى التعبير عن المجهول أو عن غير المحدود وغير المرئى والغيبى » . (★)

فقد امكن للفنان التجريدى برؤيته الدقيقة وشفافية ادراكه . التعبير عن واقع العلاقة الكامنة بين عناصر الطبيعة لا ظاهرها فحسب .

كما كشف العلم بأدواته عن واقع هذه الطبيعة ومكوناتها لا ظاهرها فحسب .

واللوحات التى بين أيدينا تقدم نماذج من الرؤية العلمية لطبيعة مكونات المادة من خطوط والوان وتشكيلات ، تلتقى فى نفس الوقت مع الرؤية الفنية للقيمة الجمالية لتشكيلات والوان هذه المكونات .

وتكشف بشكل مباشر عن الجمال الكامن فى عالم المادة ، ذلك الجمال الفنى والطبيعى ، الذى يفوق قدرات الانسان فى التعبير عن ما يحوطه وما يراه . ■

صفوت كمال

خبير الفنون الشعبية

★ ـ جوليوس بورتنوى، الفيلسوف وفن الموسيقى، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

★ ـ راجع ، د . عفيف بهنسى ، جمالية الفن العربى سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٤ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت ١٩٧٩ .

رسالة باريس



رولان بارتس وماري فراس

بقلم : محمد صالح القمودي

بعد القنبلة الهائلة التي قذف بها (رجيس دوبريه) عندما نشر كتابه (السلطة الفكرية في فرنسا) [1] والذي كشف فيه حقيقة الاوضاع الفكرية في بلاده حمل مهرجان (كان) السينمائي قضية فكرية اخرى احدثها اشتراك (رولان بارتس) - الاستاذ الجليل في (الكوليج دي فرانس) وصاحب كتاب (علوم الاساطير) الشهير - في فيلم (الاخوات برونتي) كممثل لدور ثانوي .

فرنسا اختارت فيلم (الاخوات برونتي) [2] لتشترك به في مهرجان (كان) الدولي والواقع ان المخرج (اندري تشيني) والمصور (برونو نويتن) قد افلحا في تقديم لوحات فنية خلابة ، تتلاحق في تجانس رائع ... وكأنهما يستخدمان ريشة ولوحة ، لا عدسة واضاءة .

لم يفز الفيلم بالجائزة الاولى ولا الثانية ، لم يفز بأية جائزة على الاطلاق رغم جودته لكنه فجر قضية فكرية ما زالت حديث الاوساط الثقافية الفرنسية .

طول الفيلم يزيد على الساعتين ، وابرع واجمل ممثلات فرنسا يقمن بادوار الاخوات (بورنتن) طوال

١ - Régis DEBRAY - Le pouvoir Intellectuel en France .
٢ - André TÉCHINÉ - Les Sceurs Bronte .

مدة لعرض . لكن رحلا ظهر لدقائق معدوده قبل النهاية بقليل . هو الذي فجر القضية الفكرية

اسمه : رولان بارتس ، الاستاذ بالكوليج دي فرانس ، وهو ارفع المؤسسات التعليمية في فرنسا ، يرتقي اليه الاساتذة بعد شهرة مسيرة ينالونها من التدريس في اكبر الجامعات ، ومن تأليف كتب تفرض نفسها على الناس كمراجع موثوق بها

السخرية والحقيقة

من بين اساتذة (الكوليج دي فرانس) تميز (بارتس بتخصصه في دراسة علوم الاساطير [٣] ويعرض آراءه في اسلوب نثر سهل ممتع ، يجمع بين السلاسة والعمق ، وتجانس مزج بين الدعابة والجد لكنه يدهش ويحمل على التفكير

واساطير (بارتس) ليست هي اساطير الاولين اساطير الخرافات وآلهة الاغريق بل هي لكن ، مهلا ! ماذا لو تركناه يحدد بنفسه ما يعنيه بالاساطير ، ولماذا اتخذ هذه التسمية

يقول في مقدمة كتابه (علوم الاساطير) .

النصوص التي جمعتها في هذا الكتاب دونتها خلال السنتين من ١٩٥٤ الى ١٩٥٦ وفقا لما تجود به الاحداث اليومية بفرنسا

مادة التفكير كانت متنوعة من مقال في صحيفة الى صورة في مجلة ، الى فيلم في احدى دور السينما ، الى حفلة في قاعة ، الى عرض في متحف . اما موضوع التفكير فقد كان ذاتيا افرضه ولا يفرض علي

« الاساطير » هي الكلمة التي بدت لي الانسب لوصف تعارف الناس حاطئين على تسميه بالمسلمات تناولت الكلمة في البداية معناها التقليدي ، غير انني تيقنت من امر حاولت استخلاص نتائجه فيما بعد ، وهو ان الاساطير تشكل لغة خاصة

وهكذا امعنت التفكير في امور تبدو ابعد ما تكون عن الادب مثل المصارعة الحرة ، والاطباق الشهية والمساحيق لتنظيف لاخلص في نهاية المطاف الى تحديد الاسطورة المعاصرة

نصوص هذا الكتاب لاحقت عشر الشهور ، ورابطها الوحيد هو التكرار في الحجج لا ادري ان كان المثل القائل ان التكرار يحمل الاشرار ينطبق عليها غير ان التكرار في حالها له دلالة

عما نبحث ان نرى
نبحث عن الدلالات
لكن
هي الدلالات بمنظاري ، ام بمنظار الآخرين
هي الدلالات كما اراها وافهمها
وقد يكون لكاتب الاساطير اسطورة

انا لست من انصار الراي القائل بان للعالم موضوعية وللكاتب ذاتيه وكان الاول معنية « بالحرية » والثاني يعاني من قيود « الموهبة »

انا اطالب بحقي في خوض لجة السالبة في عصري بكل تناقضاتها ، والتي قد تجعل من السخرية شرط لنوع الحقيقة

تفرغ للدور الخطير

هكذا تحدث (رولان بارتس) عندما صدر كتابه (علوم الاساطير) في طبعته الاولى سنة ١٩٥٧ ثم توالت طبعات الكتاب ، وارتقى صاحبه سلم المجد بسرعة فوجد لزاما عليه ان يعده للطبعة الشعبية من كتابه الصادرة سنة ١٩٧٠ بالكلمات التالية

- في هذا الكتاب تصميمان

الاول يهدف الى نقد مذهبي لما يسمى باللغة المستعملة في تثقيف العامة والثاني يسعى الى فك مبدئي لهذا التركيب اللغوي

اخلص الى القول بان الادانة لا تصح بغير اداة

٣ _ Roland PARTHES - Mythologiks

● الاستاذ الخليل ممثلا

للتحليل الدقيق وبان عله اكتشاف الدلالات يقترن بالطبقة الاجتماعية التي تفرز تلك الدلالات

يرجع رولان بارتس ، على قمة المجد بعد ان انتشرت كتاباته وتحولت الى مراجع أساسية في محافلها حتى ان صاحبها فاز بكرسي في « الكوليج دى فرانس » ، حيث يلقي في اطاره دروس اسمها « اجتماع الدلالات والرموز والتمثل الجماعي »

الاستاذ الخليل علق دروسه خلال السنة الدراسية ٧٩/٧٨ ربما لتفرغ للقيام بدوره « الخطير » في فلم « الاخوات برونتي »

لكن

مهلا !

الدور .. والدرس

ما لم احدثكم عن الدور الذى يقوم به « بارتس » في الفلم ، وهو اول ادواره على الشاشة ، وقد لا يكون الاخير

انه يقوم بدور الكاتب البريطاني وليام تكيري « ٤ » الذى احاط « شارلوت برونتي » بعنايته وشملها برعايته

وحيث ان « بارتس » لا يجيد التمثل فقد عمد المخرج الى حيلة لاخفاء قصوره عن المشاهدين ، فجعله يسير في الظل وهو يلقي الجمل القليلة التي كان عليه ان يلقيها ، بحيث لا تظهر انفعالات وجهه المصاحبة للالقاء

ولتبرير اختيار استاذ جليل للقيام بالدور ، بدلا من اي ممثل مبتدىء ترك المخرج حرية « اعداد » الجمل التي سيلقيها باسلوبه المميز لكن اعداده جاء خاليا من روح الابتكار واورد مثال على ذلك ، الجملة التالية

ان الحياة قصيرة جدا بالنسبة للفن « عبارة حاوية لا اسطورة فيها ولا دلالة ثم نرى « بارتس » في مشهد اخير ينتظر « شارلوت برونتي » ـ وتقوم بدورها ماري فرانس بيزييه «⁵» وهي من اجمل ممثلات فرنسا ـ في ردهة الاوبرا ثم يصعد بها الى مقصورته ويقدم لها منظارا لتشاهد العرض

وان كانت بعض الصحف الفرنسية تنشر حتى تفاصيل الضرائب التي يدفعها رئيس الجمهورية « جيسكار ديستان » عن دخله فانها لم توضح المبلغ الذى دفع « لبارتس » ليقوم بدوره في الفيلم .

الاوساط الثقافية الشابة هالها ما صار اليه الاستاذ الجليل الذى هز اساطير المترفين وحطمها في يوم من الايام ثم لاحقه المترفون وتربصوا به الدوائر حتى وقع في شراكهم ، وتحول الى حلية تعلق على صدر عانس ومن الحياة الفنية بين براثن المترفين سوى عانس تبيع جسدها لتسد الدخل الى من جبرها على بيع جسدها وابتذال مفاتنه !

هذا ما حدث لاستاذ فرنسي جليل اوردنا حكايته للذكرى والذكرى تنفع المؤمنين ■■

باريس ـ محمد صالح القمودي

٤ ـ William THACKERAY

٥ ـ Marie France - PISIER

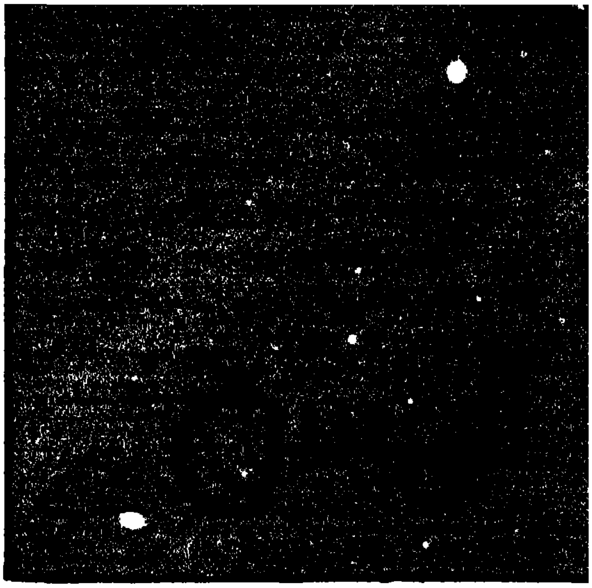
مارون النقاش وتجربته الرائدة في

بقلم : الدكتور عبد الرحمن ياغي

منذ دخلت الحملة الفرنسية ، شرع الفرنسيون يقيمون في مصر بعض الاسس التي ترتفع عليها واجهات لمعالم من الحضارة الجديدة . ومن بين ما اقاموه في الازبكية حينذاك مسرح لهم يمثلون على خشبته مسرحيات تمثيلية ، اعدوا لها العدة ، واحضروا معهم الممثلين والمخرجين والكتاب وكل من يتطلبهم هذا العمل الفني الكبير ... كما جعلوا كل ما يحتاج اليه المسرح !

ويذكر المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي في تاريخه الكبير « عجائب الآثار في التراجم والاخبار » (ط . بولاق ١٢٩٧ ـ ج ٣ ص ٣٥) ... في مجال تعداده لما احدثه الفرنسيون في مصر من معالم الحضارة : « منها : انهم احدثوا بخط النوبي المجاور للأزبكية ، أبنية على هيئة مخصوصة منتزهة ، يجتمع بها النساء والرجال للهو والخلاعة ، في اوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل اليه قدرا مخصوصا يدفعه ... او يكون مأذونا وبيده ورقة .... »

وفي موضع آخر يذكر انهم كانوا يمثلون الروايات الفرنسية امام رجال الحملة ... وان الشعب المصري كان يقف حول السور الذي اقامه الفرنسيون من الالواح الخشبية حول خشبة المسرح ..... وكان افراد هذا الشعب يسترقون البصر من خلال هذه الالواح ليروا ما يجري داخلها ..... !



ثم نقرأ لرفاعة رافع الطهطاوى عن ملاهي باريس ومتنزهاتها .. في « تخليص الابريز في تلخيص باريز » ما يلي : « ... اعلم ان هؤلاء الخلق ، حيث انهم بعد اشغالهم المعتادة المعاشية .. لا شغل لهم بأمور الطاعات .. فانهم يقضون حياتهم في الامور الدنيوية واللهو واللعب ويتفننون في ذلك تفننا عجيبا .. فمن مجالس الملاهي عندهم محال تسمي (التياتر) - بكسر التاء المشددة وسكون التاء الثانية - (والسبكتاكل) - وهي يلعب فيها تقليد سائر ما وقع .

وفي الحقيقة ان هذه الألعاب هي جد في صورة هزل .. فان الانسان يأخذ منها عبرا عجيبة . وذلك لانه يرى فيها سائر الاعمال الصالحة والسيئة ومدح الاولى وذم الثانية .. حتى ان الفرنساوية يقولون : انها تؤدب اخلاق الانسان وتهذبها .. فهي - وان كانت مشتملة على المضحكات - فكم فيها من المبكيات !

ومن المكتوب على الستارة التي ترخى بعد فراغ اللعب باللغة اللاطينية ما معناه باللغة العربية : قد تصلح العوائد باللعب !

واللاعبون واللاعبات بمدينة باريس ارباب فضل عظيم وفصاحة .. وربما كان لهؤلاء الناس كثير من التآليف الأدبية والأشعار ، ولو سمعت ما يحفظه اللاعب من الاشعار وما يبديه من التوريات في اللعب وما يجلوب به من التنكيت والتبكيت لتعجب غاية العجب !

ومن العجائب انهم في اللعب يقولون مسائل من العلوم الغريبة والمسائل المشكلة ويتعمقون في ذلك وقت اللعب حتى يظن انهم من العلماء . بل الاولاد الصغار التى تلعب تذكر شواهد عظيمة من علم الطبيعيات ونحوها .

ابن صيدا

ولعل الفضل في اقتناص البذور المسرحية من الغرب وزرعها في التربة العربية يرجع الى ابن صيدا في لبنان .. ذلك التاجر المغامر المثقف (مارون النقاش = ١٨١٧ - ١٨٥٥) الذى كان مشعلا متوهجا في مجالات الادارة والتجارة الى جانب ثقافته في العربية والتركية والايطالية والفرنسية !

وليس من شك في ان الثقافة التى امتلأت بها جوانح مارون هي التى حركت لديه النفس المتطلعة الى البضائع الجديدة النافعة والوسائل الحديثة المغرية التى كان يتوقع لها ان تروج في عالمه العربى ، او على اقل تقدير يتوقع ان تكون موضع اهتمام فيما لو عرضها عرضا سليما كما يعرض التاجر البارع بضائعه .

وفي (أرزة لبنان) يذكر نقولا النقاش اخو رائدنا مارون ان مارون قد تمكن من علوم النحو والصرف في اللغة العربية ، كما تمكن من علوم المنطق والعروض والمعاني والبيان والبديع .. وكان من ثمار هذه الثقافة اللغوية ان مارس نظم الشعر وتفوق فيه على اقرانه .

ويذكر اخوه كذلك كلفه بعلم الارقام والحساب ومسك الدفاتر حسب الاصول الافرنجية .. وقد كان استاذا في ذلك لكثير من التلاميذ في مدينة بيروت ، بل اصبح المستشار الاول في الشؤون التجارية وما يستغلق على الناس من قضاياها !

ثم يذكر اخوه ولوعه باللغات والفنون حيث تعلم التركية والايطالية والفرنسية كما تعلم الموسيقى وتمكن منها .. وقد اصبح رئيس كتاب جمرك بيروت .. وعضوا في الغرفة التجارية قبل ان يتفرغ للاعمال التجارية الحرة التى كانت تلائم طباعه المغامرة .. شأنه في ذلك شأن والده الذى كان عضوا قبله في مجلس تجارة بيروت .

هذه الروح المغامرة مكنته من الانطلاق في رحلات بعيدة .. الى اسواق متعددة .. بهدف استيراد البضائع ، غير ان روحه الثقافية المستطلعة جعلت عينه اليقظة تتطلع الى كل جديد .. وتختبر كل جديد .. وترصد علاقات الناس وطباعهم في تركيبهم الاجتماعي الجديد .. ومن هنا كانت رحلاته مدرسة مثمرة له ولامته . فحين مضى في سفراته في سوريا ، ودخل حلب والشام وغيرها ـ انطلق حتى وصل الى الاسكندرية في ١٨٤٦ ، ثم القاهرة . ومن هناك مضى وقطع البحر الى ايطاليا .. وكانت ايطاليا في منتصف القرن التاسع عشر مركز اشعاع فني مسرحي ولا سيا في فنون الاوبرا .. وكان تاجرنا متفتح القلب والعين الى الفنون .. فنسي تجارته ومضى يرتاد المسارح ويشهد الاوبرات وفي نفسه قلق المستطلع الذى يستوعب الابعاد في سبيل نقلها او نقل بعض منها الى بيئته .. وكان له ما اراد .

المجتمع المولييرى

وكان وقتذاك اسم موليير يملأ الاسماع في أوساط المثقفين العرب .. فمضى رائدنا يقرأ ويقرأ ، لموليير وقد صادف هوى في نفسه .. ولكنه كان ذا دراية بحيث يدرك ان تركيب المجتمع المولييرى يختلف عن تركيب المجتمع المارونى النقاشي .. ولهذا ادرك الفرق بين التركيبين وعرف كيف يخلق البؤرة التي يلتقى فيها محور اهتمام الجماعة البيروتية ، وهو الذى خبر الناس وعلاقاتهم واخلاقهم وطباعهم !

يكشف عن هذا كله تلك الخطبة التى القاها بين يدى اول مسرحية عربية في تاريخ الفن المسرحى العربي ، حين قدم مسرحيته (البخيل) سنة ١٨٤٧ ، حيث قال :

« .. وها انا متقدم دونكم الى قدام . محتملا فداء عنكم امكان الملام لهؤلاء الاسياد المعتبرين ، اصحاب الادراك الموقرين ، ذوى المعرفة الفائقة .. والاذهان الفريدة الرائقة ، الذين هم عين المتميزين بهذا العصر .. وتاج الالبا والنجبا بهذا القطر .. ومبرزا لهم مرسحا ادبيا .. وذهبا افرنجيا مسبوكا عربيا .. على انني عند مروري بالاقطار الاوروبية .. وسلوكي بالامصار الافرنجية قد عاينت عندهم فيما بين الوسايط والمنافع .. التي من شأنها تهذيب الطبايع .. مراسح يلعبون بها العابا غريبة .. ويقصون فيها قصصا عجيبة ، فيرى بهذه الحكايات التي يشيرون اليها والروايات التي يتشكلون بها ويعتمدون عليها من ظاهرها مجاز ومزاح ، وباطنها حقيقة وصلاح ...

وقال في موضع آخر : بهذه المراسح تنكشف عيوب البشر فيعتبر النبيه ويكون منها على حذر .. وعدا اكتساب الناس منها التأديب ورشفهم رضاب النصائح والتمدن والتهذيب ، فانهم بالوقت ذاته يتعلمون الفاظا فصيحة ويغتنمون معانى رجيحة .. اذ من طبعها تكون مؤلفة من كلام منظم ووزن محكم .. ثم يتنعمون بالرياضة الجسدية واستماع الآلات الموسيقية .. ويتعلمون ان ارادوا مقامات الالحان وفن الغنا بين الندمان . ويربحون معرفة الاشارات الفعالة واظهار الامارات العمالة ويتمتعون بالنظارات المعجبة والتشكيلات المطربة .. ويتلذذون بالفصول المضحكة المفرجة والوقائع المسرة المبهجة .. ثم يتفقهون بالامور العالمية والحوادث المدنية ويتخرجون في علم السلوك ومنادمة الملوك وبالنتيجة فهي جنة ارضية وحافلة سنية .. فارجوكم ان تصغوا لها وتسمعوا .. وهذا ضرب منها فتمتعوا ..... » .

ومن هنا فهذه الخطبة وثيقة فنية ذات قيمة تاريخية وادبية ليس لها مثيل .. وسنقف عندها لنتبين دلالتها على تركيب المجتمع وموازين هذا المجتمع وقيمه وتطلعاته وعلاقاته ودعواته الاخلاقية والاجتماعية والفنية .

ولكن قبل ذلك نورد ما يكمل هذه الخطبة من اقوال وردت وصدرت عن رائدنا الاول في هذا المجال .. فهو يقول في موضع آخر :

« .. ان طلاوة الرواية ورونقها وبديع جمالها يتعلق ثلثه بحسن التأليف .. ثلثه ببراعة المشخصين .. والثلث الاخير بالمحل اللائق .. وبالطواقم والكسوة الملائمة » .

ثم يقول بشأن الاشارات الزائدة في عملية التمثيل :

« .. اما انا فلا استحسن هذه الاشارات .. بل انما انا على رأي موليير .. اشهر المؤلفين بهذا الفن .. الذى قال : ان من لا يحسن تشخيص روايتي بدون اشارات تدل على ما ينبغي عمله ... فالاحسن الا يشخصها ! »

البخيل .. مسرحيته الاولى

يمثل هذا الفهم للعمل المسرحي .. ويمثل هذا الوعي على الجهاز المسرحي ، ويمثل هذه الحماسة وهذا الجهد الدائب يقدم مارون النقاش مسرحيته الاولى في الادب العربي وعنوانها (البخيل) في بيته في بيروت سنة ١٨٤٧ م حيث كان النظارة من طبقة قناصل بيروت واعيان بيروت وسراة بيروت .

وفي سنة ١٨٤٩ م يقدم في بيته مسرحيته الثانية بعنوان : « ابو الحسن المغفل .. او .... هارون الرشيد » وكان المشاهدون من طبقة والي الايالة . ونخبة من رجال الدولة العثمانية ووزرائها وكانوا حينذاك في زيارة لبيروت . ولعل رائدنا الاول قد انتهزها فرصة فقدم بين ايديهم مسرحيته الثانية ودعا اليها فيمن دعا قناصل الدول واعيان المدينة ... ولعل من حسن حظ التاريخ الادبي المسرحي ان يكون بين المدعوين السائح الانكليزي داوود اركوهارت David Urquhart مؤلف كتاب « لبنان ـ جبل سوريا ـ تاريخ ومذكرات » . وان يذكر وصفا لذلك في مذكراته فيقول .

« ـ ١٣ من كانون الثاني سنة ١٨٥٠ · بعد انتهاء المجلس ذهبنا الى المسرح . ان الرواية التي افتتح بها اول مسرح عربي قد وضعها ابن احد اعضاء المجلس . وقامت بتمثيلها عائلته . وهي عديدة في بيتهم القائم في الضواحي .. وهم موارنة ينتسبون الى مارون .. فمن عجيب الاتفاق ان نجد اسم عائلة فرجيل في هذه المحاولة لبعث الفن العربي . كان موضوع الرواية المعلن عنها (هارون الرشيد وجعفر) .... وقيل انها مكتوبة ببيان عربي رفيع تتخللها اشعار تنشد انشادا .. امتطينا الخيول .. وسرنا تتقدمنا مشاعل السنديان المتوهجة واخترقنا زقاقا ضيقا .. وهبطنا درجا منحدرا (يصعب على الخيل اجتيازه) وبلغنا بيتا تعمه الفوضى وهو يغص بجمع حاشد كانوا في هرج ومرج .. ولما ادخلنا الى قاعة الاستقبال وجدنا ثلاثة من العلماء الوقورين هم المفتيان والقاضي .. وكانت الورود منشورة في ارجاء القاعة .. والانوار تتوهج في كل ناحية فتوالت علينا عبارات الترحيب .. ثم اديرت اكواب القرفة الساخنة .

اما المسرح فقد اقيم امام البيت وكان على المثال الذى نحرص على تحقيقه في قاعتنا التمثيلية . باب في الوسط تعلوه كوتان وعلى جانب منه نافذتان .. وكانت الكواليس في اخر الفناء ... وبالقرب منها تقع الابواب الجانبية .. اما المنصة فقد اقيمت في الصدر . وجلس النظارة امامها ونشرت فوق القاعة ظلل من اشرعة السفن

كان هؤلاء قد شاهدوا في اوروبة ان المسرح له انوار امامية . وتقوم في مقدمته (كوشه) للملقن فتوهموا انها من لوازم المسرح الضرورية فالصقوها حيث لا حاجة اليها .. وعلى دلك وضعوا كراسي لجلوس الخليفة ووزيره .. ومرايا كبيرة للسيدات (متأثرين بما شاهدوه على المسارح الاوروبية) .

اما الازياء فقد كانت تبدو على الاقل مطابقة للتاريخ .. اما ادوار النساء فقد قام بها شبان مرد نجحوا تماما في تنكرهم .. ولما لم يكن بين الممثلين نساء ، لم تقع عيني على امرأة بين الحضور .. ولا في النوافذ المفتوحة المطلة على الحديقة '

ومثلت بين الفصلين الثاني والثالث هزلية قصيرة يدور موضوعها على زوج خانته زوجته . وقد كان الموضوع خطيرا جدا .. وقد اقر بذلك المفتي السابق الذي تابع تطور الحوادث باهتمام زائد . ولم يتورع عن ان يكشف لاحد الطرفين عن خطط الطرف الاخر والحقيقة انه زج بنفسه في الحوادث وكأنه كان يقوم بدور (الجوقة) راثيا او مجندا وقد تنبه الزوج اخيرا عندما رأى في النافذة الجانبية السيدة وعشيقها ، بينما كان المفتي من على كرسيه ينتقد بشدة احرام الزوجة وبلاهة الزوج وقد قابل الجمهور هذه الحملة بعاصفة من الضحك مما ساعد على نجاح هذه الهزلية نجاحا يعزى في المقام الاول الى هذا المشل الذي لم يدحله المؤلف في مسرحيته .

ولعل من حسن حظ الدارس العربي الحديث ان الاستاذ الباحث الاخ الدكتور محمد يوسف نجم قد يسر له امر هذه الوثائق حين جمعها في متناول يده ونشرها في سلسلة (المسرح العربي دراسات ونصوص . مارون النقاس) .

المسرح يتحول الى كنيسة

ويشير اخونا الدكتور محمد يوسف نجم إلى أن مارون النقاش قد حصل على فرمان عال بانشاء مسرحه الذي اقيم بجوار بيته خارج السور .. وقد تحول هذا المسرح الى كنيسة بعد وفاته عملا بوصيته واشتراه القاصد الرسولي . ولعل كنيسة (السانتا) المعروفة اليوم في بيروت في حي الجميزة على مدخل طريق النهر هي القائمة تنفيذا لوصيته

وقد قدم مارون على هذا المسرح مسرحيته الاخيرة (الحسود السليط) سنة ١٨٥٣ م الاجتماعية العصرية وينقل لنا الدكتور نجم عن (ارزة لبنان) ما قاله سليم النقاش في جهد عمه مارون النقاش

« . وقد جعل في هذا الفن تغييرا غير قليل . من أدخله الى بلاد الشرق في اللغة العربية وهو المرحوم عمي مارون النقاش فانه حين ساح في اوروبا ودوخ اقطارها . رأى حال الروايات عندهم وما تجنى منها بلادهم من الفائده والانتفاع فحملته الغيرة والوطنيه والحمية السورية على ادخاله الى بلاده فعاد اليها والف روايات لا ينتظر مثلها من مؤلف في فن لم يكن يعرفه غيره من ابناء وطنه على انه لا يستغرب من مثله ولما رأى عدم ميل ابناء وطنه الى هذا الفن المفيد نظرا لعدم معرفتهم بمنافعه زاده فكاهة فجعله في الرواية الواحدة شعرا ونثرا وانغاما ، عالما ان الشعر يروق للخاصة والنثر تفهمه العامة والانغام تطرب ولا حاجة الى ذكر ما تكبده من المصاعب والاتعاب في باديء الامر حتى حمله الاعياء الى القول في احدى رواياته ان دوام هذا الفن في بلادنا امر بعيد . على انه اجهد نفسه في جعل رواياته ادبية محضة .. قاصدا بذلك تهذيب ابناء وطنه .. فاتى بالمطلوب من الروايات لانها إنما تفيد اذا كانت ادبية .. ترغب في الفضائل وتنهى عن الرذائل . »

٤ حقائق

ولا بد من وقفة بين يدى هذه الوثائق . نستنطقها لنعرف الابعاد التي انطلق فيها رائد الجهود المسرحية الاول في الحياة العربية

والحقيقة الاولى التي تتكشف عن خطبة مارون النقاش بين يدى عمله المسرحي الاول .. (البخيل) هي انه ممتلىء النفس قناعة بأن ما هو مقدم عليه يشكل وسيلة حضارية وثقافية متقدمة تمضي بمن يأخذ بها الى الامام .

والحقيقة الثانية أن هذه الوسيلة المتقدمة لم تكن رائجة في العالم العربي ولم تكن تجلب الربح ولم تكن تكسب صاحبها الوجاهه والجاه .. وانما هي معاناة فنية . بل هي مجلبة للملامة حيث تكلف صاحبها الجهد والمال دون مردود . بل قد ينظر اليه الناس نظرة متدنية مالم يكن قوى النفس .

والحقيقة الثالثة ان ادخال هذه الوسيلة يحتاج الى سعة حيلة وحسن تدبر وقدرة على التأتي للامور بحكمة ومن احل ذلك نراه يستميل قلوب الحاضرين المدعوين ويتألف نفوسهم بل ويثني عليهم ويطريهم وينعتهم باعلى النعوت حتى يتقبلوا هذه الوسيلة في بيئتهم

والحقيقة الرابعة هي ان مارون النقاش مدرك لما هو فاعل .. فهو قد احضر مادته من مناجم الفكر والثقافة الاوروبية الافرنجية .. فالمادة المستوردة افرنجية في حقيقتها وجوهرها . ولكنه صاغها وشكلها صياغة عربية شكلا . بحيث تلائم المزاج العربي والتركيب الاجتماعي العربي . هذا ما حدث بالفعل في رواياته فحين عكف على قراءة موليير بكل ابعاده الادبية والثقافية والفنية ادرك دور موليير في تلوين الحياة الاجتماعية الفرنسية تلوينا فنيا ، ولكنه الى جانب ذلك ادرك الفرق بين التركيبين الاجتماعيين . العربي والفرنسي فمضى حذرا في رسم خطوطه وتلوين قطاعاته الاجتماعية مراعيا تلك الفروق ثم احس بحكم اطلاعه ان تطعيم العمل الادبي بروح التراث امر مستحب ،

فعكف على استخلاص ما تبقى من حكايات ومواقف ومتوارث من نوادر البخل مما امتلأت به كتب التراث العربي ومزجها بالذوق الحديث المتعارف عليه في زمنه القريب من منتصف القرن التاسع عشر

من هنا كانت عملية معاناة دقيقة خطرة ؛ تكلف الكثير من جهد وتحتاج الى الكثير من الحكمة وتتطلب الكثير من الدراية .. وتقتضي الكثير من التضحية ؛ وهذا ما يدفع بنا الى تقدير الجهود الرائدة الرائعة التي قام بها مارون النقاش في سبيل استيراد هذه (الوسيطة) وهذه (المنفعة) الى تربة المجتمع العربي حيث كان يؤمن بمدى التهذيب الذي ستطبع به طبائع الناس وهو يسمى التمثيل لعبا غربيا يقص فيه قصص عجيب حيث يبرز في هذه الحكايات المشار اليها والروايات التي يتشكل بها الاوروبيون ما يبدو في ظاهره المزاح والمحاز وفي حقيقته وباطنه الحق والصلاح

واذن فمارون متفتح النفس والعقل والقلب والعينين على عمله وعلى ابعاده الاوروبية وامكانية ابعاده العربية . ومن هنا كانت تتجاذبه عدة عوامل في الداخل والخارج وكان يبذل الكثير في سبيل التوفيق بين كل هذه العوامل من هنا كان دوره خطيرا عظيم الشأن ؛

المسرح الغنائي

وحينما جاء دوره في الاختيار بين المسرح النثري والمسرح الغنائي الشعري اقتحم الصعب واختار اقتباس المسرح الغنائي الشعري الملحن المنغم حيث كانت نفسه اميل الى الاوبرا التي يخرجونها في جو موسيقي وفي تنغيم وتلحين لما كان يتمتع به من ثقافة موسيقية ولأنه قدر ان قومه سوف يستطيبون الاوبرا ومن هنا

« صوب اخيرا قصده الى تقليد المرسح الموسيقي المجدي » وهو مدرك الى جانب قدرة هذه المسارح على فضح العيون المستنكرة وترسيخ ما يهذب الطباع ويؤدب النفوس وتقديم النصح وطرق التمدن والتهذيب على حد تعبيره . هو مدرك ان روح العصر تولي اللغة عناية فائقة فيعلن ان المسارح تعلم كذلك اللغة والالفاظ الفصيحة ، وتقدم للناس المعاني الرجيحة .. وهذا دور كانت تقوم به (المقامات) في الحياة العربية في مطلع النهضة فهو ينبه الى ان هذا الدور يصبح من مهام المسارح . بل هو دور مأخوذ بعين الاعتبار فهذا الكلام « المنظم » والورن « المحكم » وسيلة نافعة من وسائل تعليم اللغة والمعاني ؛

وبعدها يعدد المنافع التي يجنيها الناس من اقبالهم على هذه المسارح فيقول انهم الى جانب كل ما ذكره ستنعمون بالرياضة الجسدية حين يعمدون الى الحركة والتشكل في المواقف المسرحية كما يتمتعون باستماع الآلات الموسيقية . وهي فرصة للسامعين كي يتعلموا مقامات الالحان . ومن هنا نجد فهرسا للالحان في كل فصل من فصول مسرحيات مارون النقاش ، ونجد توضيحا لطريقة الغناء الفنية حين يرد مقام غنائي . كما يتعلم المشاهدون كيف يعمدون الى الاشارات المؤثرة دون مغالاة في ذلك .. بل كيف تكون الاشارة في موضعها . وهو يشير الى أهمية الديكور والمناظر والتشكلات المعجبة المطربة . وهو حريص على التنويع من فكاهة مضحكة الى احداث مبهجة الى شؤون عالمية الى حوادث يومية . وكأن المسارح لدى الاوروبيين على حد تعبير مارون النقاش مدرسة لتعليم السلوك ؛

ولعل معرفته الدقيقة لحقيقة العملية المسرحية قد جعلته يتقدم الى عمله بكل حذر وتدقيق وحسن دراية . فليس العمل المسرحي في رأيه قائما بالدرجة الاولى على حسن تأليف النص المسرحي وحده ، ولا هو قائم على اتقان التمثيل وحده ، ولا هو قائم على اعداد المسرح بكل ادارته ولوازمه وملابسه وطقومه وحدها ! بل هو على درجة من الدقة بحيث يعرف مقدار النسبة التي ينبغي أن يكون عليها كل بعد من هذه الابعاد فثلث لحسن التأليف وثلث لبراعة الممثلين وثلث ثالث لاعداد المسرح وادواته ولوازمه

وصية

هذا الادراك المبكر للعملية المسرحية جعلت العبء عليه كبيرا وحين عكف على مصاحبة موليير في ضوء هذا الفهم المتكامل للعملية المسرحية تأثر بموقف موليير

من الاشراف حيث كان لا يحب الانكباب عليها ... ابدا ولعل ... هو الذي دفعه ... في وصيته ... [illegible]

[illegible]

... جهود ... مارون النقاش ... مسرحي ... على وجهها الصحيح ... مسرحياته قد بلغت درجة الاجادة ... ان ما وراءها من فهم فني كان صحيحا. اما التطبيق فامر صعب في هذه المرحلة.

وقد حرص النقاش على ان يدعو علية القوم في ذلك المجتمع حتى يعلي من شأن هذه الوسيلة الجديدة ويرسخ لها اركانها. فكان النظارة هم من طبقة والى الايالة، ونخبة من رجال الدولة العثمانية انتهز مارون فرصة وجودهم في بيروت فدعاهم. كما دعا قناصل الدول، واعيان المدينة.

والجمهور

هذا الجمهور الذي يقدم له مارون عمله هو الذي كان بيده الحل والربط في هذه الشؤون وفي سواها من شؤون الحياة. فقد كان النظام لا يزال شبيها بنظام الاقطاع الذي ساد اوروبا من الزمان قبل ان تظهر معالم الطبقة الوسطى. ولكن المحركات الجديدة احدث ...

... بعض ملامح لعقلية ... في هذه المرحلة ... بعض مسرحيات مارون النقاش ... اهمية ... للطبقة ... المجتمع ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ... سنة ١٨٧٦ - ١٨٧٧م. وكان قد ... وفاة مارون النقاش ... ولكن ... الامر فنزحوا الى مصر.

ومن هنا ندرك كيف حرص مارون النقاش ... الاثراء ... والاسعاف الكامل لكل جمهور المسرحية. فقد جعل ميل ... وطبقه ... الى هذا الفن المفيد. نظرا لعدم معرفتهم بمنافعه. زاد فكاهة فجعله في الرواية الواحدة شعرا ونثرا وانغاما. عالما ان الشعر يروق الخاصة والنثر يفهمه العامة. والانغام تطرب.

وحين نعرض لمحاور هذه المسرحيات سيتضح دور مارون في تأليفها. وفي مدى انتفاعه بموليير. واطلاعه على التراث الموروث في الحياة الثقافية العربية ■■

عن ـ الدكتور عبد الرحمن ياغي



العقم

لم يعد مشكلة بلا حل!

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ

العقم هو عدم قدرة الفرد على انجاب النسل ، وليس معناه الضعف الجنسي ، فقد يكون المرء عقيما ومتمتعا بقواه الجنسية ، وعلى العكس فقد يكون منجبا للاطفال ، ولكنه ضعيف جنسيا لاسباب نفسية ودوافع عاطفية يمكن معالجتها

ومع ان معظم المتزوجين ينجبون اطفالا من دون صعوبة ، فان بعضهم قد يحتاج الى الانتظار عدة اشهر قبل ان يحدث الحمل ، وقد لا تسبغ عليهم هذه النعمة الالهية الا بعد سنوات من الخيبة واليأس والقنوط ، وفريق ثالث لا ينعم بها مطلقا ، ولا يمكن اعتبار الزواج عقيما الا بعد مضي سنتين ، وبامكاننا ان نقول ان القلة من الناس قد يمكن ان تعتبر عقيمة عقما مطلقا أو منجبة انجابا مطلقا ، وبين النقيضين حالات عديدة متباينة في كلا الجنسين .

وليس بوسع الادوية والعلاجات ان تكون ذات نفع دائما ، ولكن كل حالة من حالات العقم جديرة بالدراسة والاستقصاء والبحث على حدة .

الزوجان معا

وقبل كل شيء يجب ان نعني بالزوجين معا ، لا بأحدهما دون الآخر . غير أن بعض الازواج يرفضون عرض انفسهم على الفحص والعلاج ، تصورا منهم ان ذلك يشكل اهانة لرجولتهم ، مع انه يفضل فحص الرجل قبل المرأة ، والحقيقة ان لا علاقة للعقم بالرجولة او القابلية الجنسية . والرجل المتحضر المتمدن لا يشعر بالاهانة فيما اذا ثبت انه عقيم .

وحتى في عصر الاستنارة والعلم الذي نعيش فيه نجد ازواجا غير منجبين هم في الحقيقة جاهلون لأبسط قواعد الحياة الزوجية المنجبة ، فقد يكون عقمهم راجعا الى جهلهم بفترة الاخصاب عند الزوجة ، فأكثر الاوقات احتمالا لحصول الحمل يكون قبل العادة الشهرية بأسبوعين ، وهو موعد خروج البويضة من المبيض .

وقد يكون احد الزوجين مصابا باضطراب عصبي ، فاذا امكن التغلب على ذلك تهيأ جو الاخصاب في كثير من الاحوال . وقد يكون الاضطراب العصبي متأتيا من عدم انجاب النسل فاذا امكن تبنى طفل زال هذا العامل وامكن الاخصاب والانجاب .

وبوسعنا أن نقول ان جميع حالات الاعتلال الصحي تفضي الى تقليل قابلية الاخصاب ، فالخطوة المعقولة في مثل هذه الحال العناية الصحية العامه ، مشفوعة بعدم الاتصال الجنسي بالزوجة لفترة من الزمن يعقبه اتصال في فترة الاخصاب اي قبيل العادة الشهرية باسبوعين .

ومن وسائل معالجة العقم الاخصاب الاصطناعي على ان تؤخذ مادة الاخصاب ـ على قلتها وصالتها ـ من الزوج نفسه

ويمكن كذلك معالجة مختلف الاضطرابات التكوينية في جسم المرأة جراحيا ، فقد يخفق المبيضان احيانا في فرز البويضة شهريا لاضطراب في الغدة النخامية ، وتقع هذه الغدة تحت الدماغ وتفرز هورمونا يحفز المبيضين على العمل ، فاذا اخفقت الغدة امكن حقن المريضة بالهورمون اللازم او المركب الصناعي المماثل المعروف بالكولوميفين clomiphene مع تحذير المريضة بأن مثل هذه المعالجة قد تفضي احيانا الى ولادة توأمين وثلاثة او اكثر

وفي بعض الحالات قد يكون كلا الزوجين سالما غير انه يحدث وجود تضاد بين افرازات الزوجين فتكون المعالجة صعبة كما لو كانت افرازات الرجل غير طبيعية ومضطربة ولا علاج لمثل هذه الوضعية الابتبني طفل او الاخصاب الاصطناعي الذي لا يمكن ان يجري الا بموافقة الزوجين الخطية مع عدم ذكر مصدر مادة الاخصاب .

نجح زرع البويضات

يجب الا ننسى حالات انسداد الانابيب المؤدية الى عدم الاخصاب وقد يكون الانسداد ناجما عن الالتهاب قبل الزواج بسنوات نتيجة الاصابة بالسيلان او مضاعفات الاجهاض او التهاب الزائدة الدودية الحاد الذي يشمل الانسجة المحيطة بها . ويمكن معالجة معظم هذه الحالات بعد التأكد منها وفحصها بدقة .

يضاف الى ذلك كله حالات الرحم غير الطبيعية كالتليف او الانحراف او الانقلاب الى الجهة المعاكسة للوضع الطبيعي او عدم الكفاية الهورمونية ، وهو امر محتمل فيما اذا بدأت (العادة) بعد سن السادسة عشرة

وكانت متباعدة الفترات وقليلة في مثل هذه الحال يمكن استعمال المحفزات الهورمونية

ومع ان اضطرابات الغدة الدرقية والاصابة بداء السكر ليست عامة ، فانها ذات اثر في الموضوع ويجب ان تعالج ، وعلى المرأة غير المنجبة الا تقوم بتمارين شاقة في الصباح وان تنتبه الى فترة الاخصاب التي تقع بين اليوم الحادي عشر والسادس عشر بعد اليوم الاول من آخر عادة شهرية ، وان الراحة الفكرية والجسمية المتأتية عن الاستمتاع بعطلة تفضي في الغالب الى الاخصاب والانجاب

وقد امكن في ايامنا هذه حتى معالجة المبيض المخفق في افراز البويضات جراحيا وذلك بطريق استئصال المبيض العقيم وزرع مبيض خصب مكانه فقد اعلن في بوينس ايرس ان امرأة عاقرا تبلغ السابعة والعشرين أجريت لها عملية نقل مبيض ، وبعد ان رفض الجراح الذي اجرى العملية ان هذه المرأة التي رفض ان يذكر اسمها تمثل الحالة الاولى في العالم لامرأة تحمل طفلا بمبيض مزروع وقد وهبت المرأة المبيض من قبل احدى صديقاتها الحميمات ، وتمت الموافقة على عملية الزرع لمساعدة المريضة لاصلاح ما كانت تعانيه من مشكلات الهورمون المتسببة عن نقص فعاليات المبيض ، وقد لوحظ بعد نجاح العملية ان العادة الشهرية عندها اصبحت طبيعية ، وراجعت المستشفى للفحص عندما توقفت دورات عادتها فتبين انها حامل وامكن كذلك زراعة قناة فالوب في حالة عطبها او قطع الجزء المسدود منها وايصالها بالرحم

ويقول الطبيب الجراح الذي قام بعملية زرع المبيض على رأس خمسة عشر طبيبا معهم عالم نمساوي ، ان امام فرقة الزرع حالات اخرى تحت الدرس ، وقد طور بعض الاجهزة المستعملة في الزرع ، وهو يتوقع انقلابا خطيرا في معالجة حالات العقم المستعصية جراحيا في المرأة والرجل معا باستئصال الاعضاء العقيمة وزرع أخرى خصبة مكانها

خصب الرجل والمرأة

هذا وان عملية فحص الرجل ابسط واسرع من فحص المرأة ولا تكلف نفقات باهظة ، وعلى العكس من ذلك فحص المرأة اذ يستغرق وقتا اطول ويتطلب صورا شعاعية للرحم وقناتي فالوب للتأكد من عدم وجود اي انسداد واخذ نماذج من بطانة الرحم للتأكد من ان المبيض يفرز البويضات بصورة صحيحة ، وكذلك دراسة الهورمونات الجنسية في دم المرأة

فاذا وجد الرجل سالما اجرى فحص المرأة المعقد ، وكثيرا ما نجد المرأة سالمة بعد تحملها مشاق الفحوص المجهدة ، بينما الجهة الاخرى هي المقصرة

وقد تؤدي احيانا عملية اصلاح الفتق غير المتقنة في الرجل الى الحاق بعض الاضرار المفضية الى العقم وعدم الانجاب

ويعتمد خصب الزوج وقدرته على الانجاب على مجموع حيوية الزوجين لا مجرد زوج واحد فقد يتعادل ضعف الانجاب في احدهما بقوة الانجاب العظيمة في الآخر ، اما اذا كان كلاهما ضعيف الانجاب فقد ينجم عن ذلك العقم ، وتتفاوت الخصوبة مع العمر فتبدأ منخفضة نسبيا عند المرأة الى سن السابعة عشرة وتصل ذروتها بين العشرين والرابعة والعشرين ، ثم تأخذ بالهبوط ببطء بادىء ذي بدء وبسرعة بعد سن الخامسة والثلاثين

اما في الرجل فلا تهبط قدرة الاخصاب بصورة محسوسة الا بعد سن الاربعين وقد تبقى عالية جدا حتى سن متأخرة نسبيا ، ولا تتأثر قوة الاخصاب بالافراط والتفريط في الاتصال بين الزوجين

وفي ٥٪ من حالات الزواج العقيم يكون السبب الجهل بالشروط اللازمة للانجاب ، وقد لوحظ ان ١٥٪ من الزيجات في المملكة المتحدة وامريكا بدون انجاب وحوالي ٨٪ منها بسبب عوامل قاهرة ، وتكون قوة الانجاب في كثيرين أخرين ضعيفة الى درجة انه لا يولد للعائلة الواحدة اكثر من طفل او طفلين خلال العديد من سني الزواج

ومن الانصاف ان نقول ان ٤٠٪ من حالات الزواج العقيم سببها الزوج كليا او جزئيا والاسباب الرئيسية في

الرجل هي الاصابة بالسيلان والالتهاب والضمور بسبب الاصابة بالتكاف .

وقد يسهل توسيع عنق الرحم عملية الحمل في بعض الحالات التي ليس فيها تشويه او ابتعاد كبير عن الوضع الطبيعي .

اما قيمه المعالجة الهورمونية فضئيلة الا اذا ثبت وجود نقص في تكوين البويضات او الحيوانات المنوية ، فيكون حقن هورمونات الغدد النخامية التي تؤثر على نمو الغدد التناسلية ذا فائدة احيانا . غير انه اذا كانت الانابيب مغلقة فالنتيجة سلبية وتتضمن عمليات فتح الانابيب جهودا كبيرة ولا تكون ناجحة الا في لعض الاحيان .

ومن هنا ولدت فكرة (اطفال الانابيب) اذ تؤخذ البويضة من المرأة وتلقح بحيوانات منوية من الزوج في انابيب مختبرية ثم تعاد الى الرحم لتنمو وتتطور هناك . وكان اول من نجح في هذه العملية الجراح البريطاني المعروف الدكتور استبتو . وقد احتفلت « لويز » طفلة الانبوب مؤخرا بعيد ميلادها الاول فقد مرت سنتها الاولى بشكل طبيعي جسميا ونفسيا وعقليا ، ويؤمل ان يفتتح مختبر على نطاق واسع للعديد من اطفال الانابيب في المستقبل مع مستشفي يستقبل خمسين سيدة في ان واحد . ■■

أكسفورد ـ د . صبيحة الدباغ

أكاذيب ! !

● من أكاذيب ابريل المشهوره : ان صحفيا « فرنسيا » أراد ان يطلع على الناس بكذبة يكون ضحيتها اكثر من واحد . فأعلن في صحيفته ان معرضا للحمير سيقام في أول ابريل في مكان عينه بالذات ، وأن الدخول مباح للجمهور ...

وفي اليوم المعين ، والساعة المحدوده تقاطر الناس على مكان العرض ليشاهدوا الحمير المعروضه فلم يجدوا سوى انفسهم ، وتنبهوا بعد فوات الوقت الى ان المسأله لعبة خبيث في أول ابريل .

منطق الاطفال

● كانت احدى السيدات ماره في الطريق فرأت طفلا امريكيا يدخن سيجارة . فقالت له محذره : ـ هل يعلم والدك أنك تدخن سيجاره ؟

فأجابها الطفل على الفور . ـ وهل يعرف زوجك بأنك تكلمين الرجال في الطريق ؟

مقالات فى كلمات

- الرجل يكره هؤلاء الذين يضطر الى الكذب أمامهم !
فيكتور هوجو

- الشجاعة الحقة فى أن تكون الرجل الوحيد الذى يعرف أنه خائف !
ايرل ولسون

- الحد المسارى الاكبر للسرعة يكمن فى أنها تستغرق وقتا طويلا جدا !
شسترتون

- أنا أفهم زوجى لانه لا يفهمنى ! ولذلك فانه حبه لى يزداد كل يوم !
كوليت

- بارك الله فى الرجل الذى يشغله عمله عن القلق فى النهار، ويشغله النعاس عن القلق فى الليل !
ليوايكمان

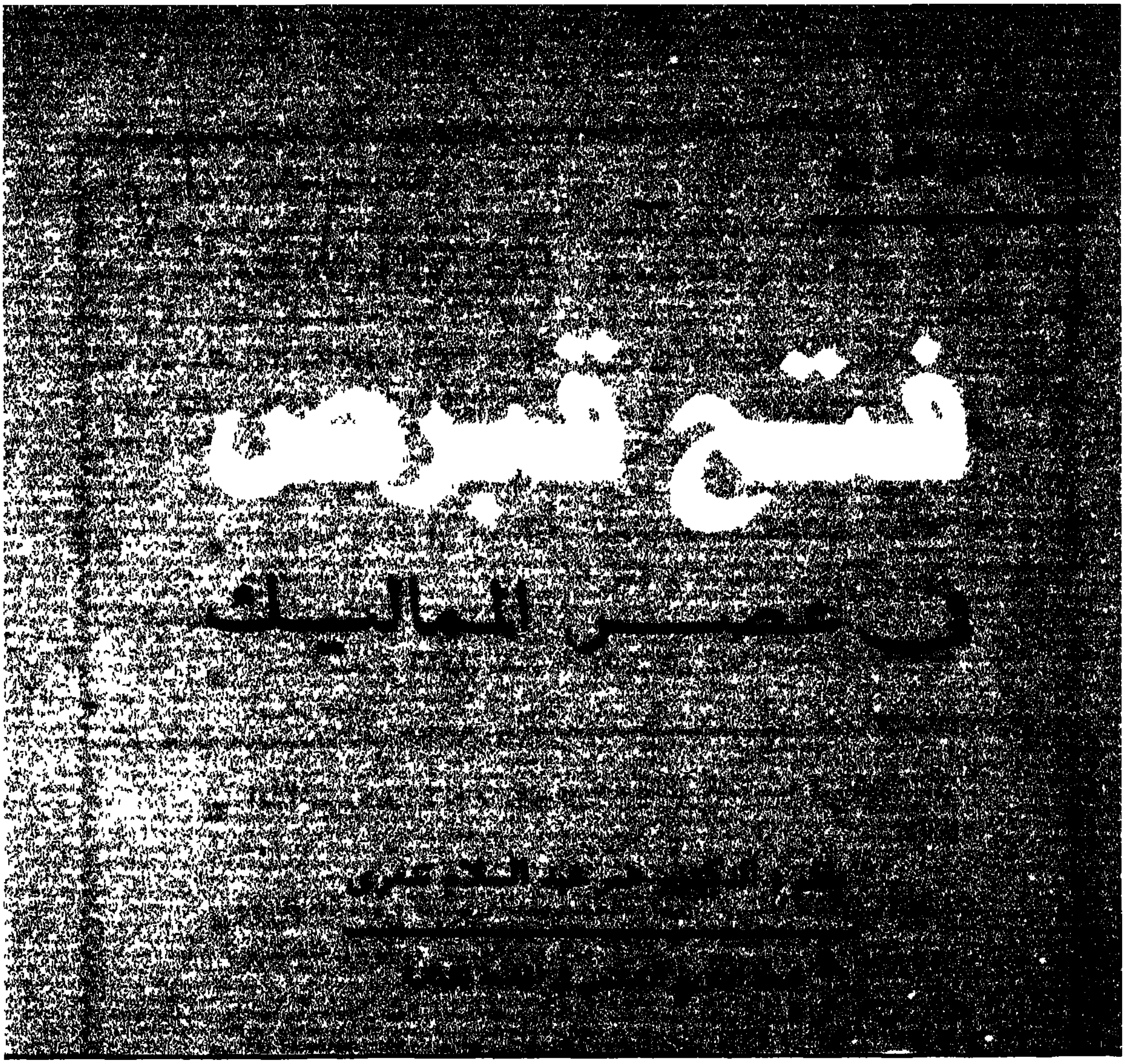
- الراديكالى هو الرجل الذى ثبت قدميه بقوة ولكن فى الهواء!
فرانكلين روزفلت

- الدين يقولون لك لا تدع الاشياء الصغيرة تزعجك، لم يجربوا النوم مع « ناموسة » فى حجرة واحدة !
كاترين شاندلر

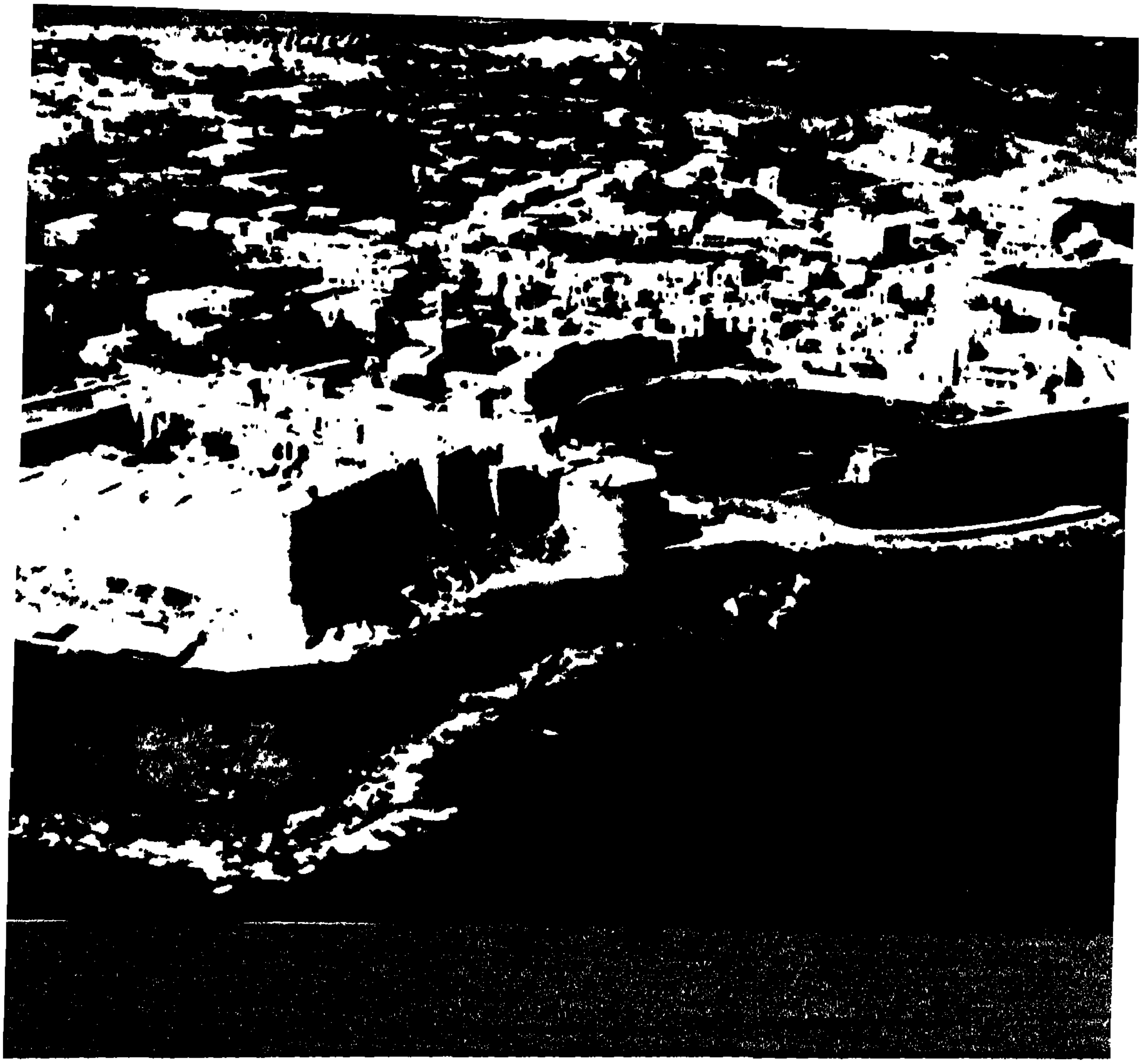
- عندما تبكى السماء تعيش الارض ! **مثل من هاواى**

- اذا شعرت وانت تقلب الصفحة الاخيرة فى الكتاب الذى تقرأه، أنك فقدت صديقا عزيزا ، فاعلم أنك قد قرأت كتابا رائعا !
بول سوينى

- اذا كنت تريد أن تكون شخصية محبوبة فى المجتمع ، فيجب أن توافق على أن تتعلم أشياء كثيرة ، رغم أنك تعرفها تمام المعرفة !
تاليران



اتخذ الصليبيون من جزيرة قبرص قاعدة رئيسية للانقضاض على سواحل الشام ومصر بعداخراجهم نهائيا من الشام في عهد الملك الاشرف خليل بن قلاوون . ورغم توقيع عقد الصلح بين المماليك والقبارصة سنة ٧٧٢ هـ/١٣٧٠ م ، فان القبارصة لم يحترموا شروط الصلح احتراما كليا ، اذ كانت موانى قبرص تتخذ ملجأ لسفن الجنوية عندما كانوا يغيرون على سواحل الشام ومصر . كما أن القبارصة انفسهم كانوا يشاركون « الكتلان » و « الجنوية » في غاراتهم العدوانية منذ اوائل القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر ميلادى ، بل ان ملك قبرص قام بنفسه بغارة مع الكتلان في سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م . وتوالت غاراتهم بعد ذلك مما دفع بالمماليك الى الاغارة على الجزيرة في عامي ٨١٣ و ٨١٤ هـ / ١٤١٠ و ١٤١١ م . ولكنهم عادوا واغاروا على ساحل الشام جنوبي بيروت في سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م .



وعندما عزم السلطان المؤيد « شيخ المحمودى » (٨١٥ ـ ٨٢٤ هـ/١٤١٢ـ١٤٢١م) على غزو الجزيرة سارع ملكها الى عرض الصلح فاجابه المؤيد الى ذلك ، واشترط عليه ان يتعهد بالامتناع عن ايواء القراصنة في موانئ الجزيرة ، وألا يسمح بالقيام بأى عمل من أعمال القرصنة ضد سواحل الشام ، وأن يتعهد بالا يقدم الزاد او المأوى للقراصنة في حالة اذا ما لجأوا الى موانئ جزيرته ، وان يمتنع رعاياه من القبارصة عن شراء البضائع من القراصنة . وتم الاتفاق على فداء ٣٢٥ اسيرا من المسلمين كانوا في الجزيرة . وانعقد الصلح في ١٤ تشرين الثاني ١٤١٤ م (٨١٧ هـ) .

ورغم انعقاد الصلح هذا ، فان القبارصة عادوا الى سياستهم العدوانية في العام التالي ، مما حدا بالسلطان المؤيد ان يطبق مبدأ المسؤولية الجماعية ضد جميع تجار الفرنج وقناصلهم في الاسكندرية ودمشق . واذ كان البنادقة حريصين على مصالحهم التجارية وعلاقتهم مع المماليك ، فقد سارعوا بارسال سفير يحمل هدية للسلطان مع كتاب ينفي اية علاقة لهم باعمال القرصنة التى يقوم بها الفرنج ، فقبل المؤيد هديته ، وعقد مع البنادقة معاهدة مؤرخة في ١٧ ايلول ١٤١٥ م (٨١٨ هـ)

الانتقال الى الهجوم

واستمر القبارصة في تعدياتهم على ساحل مصر والشام حتى استقر الحكم في دولة المماليك ، للسلطان

الاشرف برسباي في سنة ٨٢٥ هـ/١٤٢٢ م . وفي عهده فتحت صفحة جديدة من صفحات الحروب بين المسلمين والفرنجة ، وتعتبر هذه الصفحة بأن المسلمين كانوا يكسبون الحروب لصالحهم في عدد منها بعد ان كانوا في موقف المدافع عن ... ضعف قوتهم

.

وقد واجه الاشرف برسباي بعد توليه السلطنة ... منذ ... سنة ٨٢٥ هـ ١٤٢٢ م غارة واسعة شنتها ... الكتلان ... مصر ... بقيادة ... عدد ... الاستعداد ... على ... في ... غارات ... الفرنج ... فتوجهت فنهبت ... فاستولوا معهم ... وصلوا ... الى الاسكندرية ومنها ساروا الى ساحل الشام فأغاروا على بيروت ثم عادوا الى قبرص بعد ان اصابوا كثيرا من البضائع والاموال ووقع في قبضتهم عدد كبير من التجار والاهالي المسلمين .

وجاءت هذه الغارة لتضع الاستعداد من الفرنجة والكتلان في اولى اهتمامات الاشرف برسباي . وكان من الطبيعي ان تجد اجراءات انتقامية ضد الفرنج فتقض الاتفاقية التي كانت قائمة بينه وبين البنادقة ، وانقطعت العلاقات بينه وبين الكتلان الذين ارسلوا سفارة لهم قبل فترة الى مصر ، بينما اخذ يعد العدة لغزو قبرص . وسرعان ما جاء ذلك قيام الفرنجة والكتلان بغارة على نواحي دمياط في شهر رجب ٨٢٧ هـ/١٤٢٤ م . استولوا فيها على مركبين تجاريين فيهما بضائع كثيرة وما يزيد عن مائة رجل . وفي رد انتقامي امر الاشرف برسباي بايقاع الحوطة على اموال التجار التي ببلاد الشام والاسكندرية ودمياط والختم عليها ومنعها من السفر . وبدأت السفن الاغربة

مصرية تتحرك للتصدي للفرنج ... من الاسكندرية وخرجت من دمياط الى القاهرة حيث شحنت بالمقاتلة والاسلحة بالاضافة الى ثمانين مملوكا ... الى طرابلس الشام ... منها ومن سواحل الشام عدد ... غربة ، ويقوموا بحراسة شواطىء ... من سفن الفرنج التي تقوم بالقرصنة ... من كل من بيروت ... كبير من ... حتى جمع فيه ٦٠٠ مقاتل .

... تصادفوا في تحركاتهم مراكب للفرنج في ... ولما ... الى جزيرة قبرص فوصلوا الى ... حيث ... صاحبها ... بمهاجمة ... المدينة ... تعرض ... المماليك ... ووصلوا ... الساحل الشرقي من جزيرة ... احد اهمها ... للدفاع ... فهزموه واخذوا ثلاثة اغربة واغرقوا ثلاثة اخرى كانت ... في ... بعد ذلك ... القرى ... وعادوا وهم يحملون الغنائم مع الاسرى .

« الاغربة » في الطريق

ويذكر المؤرخ المصري « صالح بن يحيى » ان سبب المباشر لهذه الغزوة ـ وهي الغزوة الاولى من الغزوات التي تعرف عليها المؤرخون ـ هو ان احد التجار من دمياط يدعى « احمد بن اهيمه » ، كان قد شحن مركبا كبيرا له من ميناء طرابلس الشام محملا بالصابون وبضائع كثيرة بمبلغ كبير من المال . وما ان وصل المركب الى فم دمياط حتى تصدى له مركب تابع للقراصنة من طائفة « السماوية » (١) واستولوا عليه وتوجهوا به الى قبرص . فجاء هذا التعدي ليقنع السلطان بتواطؤ صاحب قبرص مع قراصنة الفرنج رغم انه كان يدعي الحفاظ على مصالح المسلمين التجارية . ولذلك امر السلطان بعمارة ثلاثة أغربة من مصر تم انجازها الى بيروت ، وأمر ايضا بان يتوجه معها غراب صغير من بيروت ، وغراب كبير من طرابلس ، فاجتمعت خمسة أغربة منها ثلاثة كبار يقود الواحد منها ١٨٠ مقذاف واثنان صغيران لكل منها اقل من ١٠٠ مقذاف ، عليها

[illegible] سنة ٨٢٧ هـ [illegible]

[illegible] ٢٥ اسيرا من [illegible]

[illegible]

[illegible] صاحب قبرص [illegible] دلك [illegible]

[illegible]

[illegible] قد صمموا على [illegible] احد الاشرف برسباي يواصل [illegible] حصن البلاد والسواحل [illegible]

[illegible]

وفي الواقع ، اشتب تلك الاحراء ـ فعاتبهم [illegible] رسل « حانوس » ملك قبرص مركبين مشحونين بالرجال والعدد الى سواحل مصر والشام للاغارة على مراكب المسلمين . وعلى السواحل فكانوا كلما وصلوا الى ساحل وحدوا عليه حراسا ، حتى جاءوا الى مصب نهر الكلب شمالي بيروت ليأخذوا منه الماء ، ومهدوا لنزولهم باطلاق مدفع ليتحققوا عدم وجود احد هناك ، ولكن الحرس كانوا يقظين حين كمنوا لهم حتى نزل بعض الفرنج في مركب الى البر فاطبق عليهم المسلمون وامسكوا جماعة منهم و[illegible] [illegible] الى [illegible]

[illegible] على الساحل المصري

[illegible]

[illegible] سنة ٨٢٨ هـ [illegible]

[illegible] على ساحل الشام في شهر جمادى الاولى [illegible] معركة [illegible] قتل فيها عدد كبير من الفرنج وبلغ [illegible] المسلمين نحو الخمسين رجلا وسار الفرنج بعد ذلك شمالا فحضروا [illegible] طرابلس وارادوا الاغارة على ساحل [illegible] . ولكن عسكر الحصون التابعة لطرابلس [illegible] هم ، وجرت موقعة بين طرابلس وجبلة [illegible] عن مقتل جماعة من الفرنج وانهزام مراكبهم [illegible] بعد انهزامهم لجأوا الى ساحل جزيرة ارواد الفرنسية [illegible] انطرطوس ورابطوا هناك للايقاع بالسفن الاسلامية ونجحوا بعد وقت قصير في الايقاع بمركب خرج من اللاذقية وهو يحمل شحنة من المحاديف لنقلها الى مصر واستخدامها في تجهيز الاسطول [illegible] احد المسلمون على حين غرة فقد قتلوا جميعا وكانوا خمسين رجلا ولم يفلت سوى رجل واحد واستولى الفرنج على المحاديف وما كان في المركب من عدد . ثم اشعلوا النيران في المركب

ولما كان ملك قبرص على علم بما اعده الاشرف برسباي من مراكب حربية بهدف غزو جزيرته ، فقد عمل على ان يبعد الخطر عن مملكته وان ينقل الحرب الى ساحل مصر ، ولذا سير اسطولا من تسعة اغربة بقيادة امير البحر المعروف في المصادر العربية باسم « باله » فرابط في عرض البحر امام ثغر دمياط لمحاصرة المراكب الحربية التي تم تجهيزها في دار الصناعة ببولاق ، ولكنه فوجيء بعد قليل بمراكب الاسكندرية وقد اتت من خلفه مما جعله يواجه الحصار بدوره ، فآثر الانسحاب دون الدخول في معركة غير محمودة النتائج بالنسبة لمراكبه وهكذا تسنى للاسطول المصرى ان يبحر الى ميناء طرابلس الشام التى اتخذت كقاعدة رئسية لقوات المماليك البحرية والبرية ، فأرسى عندها لبضعة ايام للراحة واستقبال المراكب التى تم تجهيزها في الموانى الشامية ووصول الخيول التى سارت في البر الى طرابلس وعدتها ٣٠٠ فرس لتحمل صحبة الغزاة من الميناء فى البحر وكان الغزاة الذين خرجوا من القاهرة نحو الف رجل جهز منهم الاشرف برسباى ٦٠٠ رجل وجهز الامراء ٣٠٠ رجل ، فيما نودى بالجهاد لمن اراد فى مصر

الرايات السلطانية في فماغوستا

احتمع في ميناء طرابلس ثمانية اغربة تم صنعها في بولاق ، مع اربع حمالات كبار مهمتها حمل الخيول والاثقال ، وحمالة تم صنعها في بيروت لتقوم بحمل اثقال عسكر دمشق مع ثلاثة اغربة قام الدمشقيون بشحن احدها بالمقاتلة ، كما شحن نائب صفد احدها ، والثالث كان لبني بحتر امراء الغرب وبيروت ، ويقوده المؤرخ صالح بن يحيى في نحو مائة من البحارة والمقاتلة بالاضافة الى حمالة قام نائب طرابلس الامير « سيف الدين قصروه » بتجهيزها ، وغراب جهزه في طرابلس حاجب حجاب حلب وشحن بالامراء والمقاتلة من طرابلس وحلب فضلا عن المراكب التي تجهزت في الاسكندرية حتى بلغ مجموع ما احتشد في ميناء طرابلس ست حمالات ، وعشرة اغربة بين كبار وصغار ، وست مراكب قراقير ، ومركبان مخروط ، واثنا عشر زورقا ، وست شوق صغيرة ، فكان المجموع اكثر من اربعين قطعة . « واجتمع فيها من الامراء والجند والمطوعة من العشير والزعر عدد كثير » وكان القائد العام للاسطول الامير « حرباش الكريمي » المعروف بـ « قاشوق » قد ارسل الى جانوس ملك قبرص رسولا يعرض عليه تقديم الطاعة للسلطان الاشرف ، واوصى الرسول بان يعود بمركبه الى طرابلس ، غير ان جانوس رفض هذا العرض ، وافاد الرسول الذي عاد الى طرابلس فيما بعد بأن ملك قبرص « كان قد مال الى الصلح ، فما وافقه اخوه »

وفي صباح الاثنين ١٤ من شهر رمضان ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥م ابحر الاسطول من ميناء طرابلس بعد انتظار اكثر من اسبوع لاستكمال الاستعدادات ، وبعد بضعة ايام ظهر المماليك امام الساحل الشرقي لجزيرة قبرص وقاموا بعملية انزال لقوة صغيرة من المقاتلين على بعد ٣٠ ميلا من ميناء فماغوستا التي سارع اميرها الى اعلان خضوعه للسلطان الاشرف وقام بتعليق الرايات السلطانية على قلعة المدينة فاغتنم المسلمون الفرصة وقاموا بشن غارات واسعة على القرى الواقعة في ذلك الساحل ثم توجهوا الى الملاحة جنوبي فماغوستا بينها وبين ميناء ليماسول ، بعد ان قاموا بتنفيذ خطة حربية بارعة حيث سار قسم من المقاتلين في البر في حين سار القسم الاخر في الاسطول بمحاذاة الساحل ، فكان الزحف برا وبحرا وقام المقاتلون في البر بتخريب واحراق كل ما يواجهونه مستندين الى حماية اسطولهم ولقد دب الذعر في قلوب الفرنج « حتى كان الثلاثة من المسلمين يدخلون الضيعة وفيها ما بين المائة والخمسين فلا يمتنع عليهم احد »

هجوم ليلة العيد

وتحرك جانوس للتصدى للغزاة فسير اخاه في الف فارس وثلاثة آلاف راجل ، غير الكمناء ولكن محاولتهم بقطع الطريق على الزاحفين نحو الملاحة فشلت ولم يصمد الفرنج امام المسلمين وفي جهة البحر تراجعت مراكب الفرنج منهزمة من غير قتال ، مما جعل المسلمين يندفعون في زحفهم وينزلون الخيول من المراكب ويكثفون الهجوم البرى حتى دخلوا الملاّحة واكتسحوها تخريبا واحراقا وقتلوا اميرها ، « ويقال انه كان شديدا

على اسرى المسلمين وكان يقال له عين الغزال » . وفشل جانوس فى نجدة المدينة واحتاط المسلمون على المعدات التي ارسلها لمساعدة اميرها وتابع المسلمون زحفهم بمحاذاة الساحل الجنوبي الغربي الى ميناء لياسول حيث هاجمه نحو ١٥٠ مقاتلا ليلة عيد الفطر ، وتمكنوا في صباح يوم العيد من الاستيلاء على برج حربي هناك وقتلوا واسروا كثيرا من الفرنج ثم احرقوا البرج وهدموه ، « ولم يكن في جزيرة قبرص برج مثل هذا البرج في التحصين وعظم العمارة » وتتبع المسلمون الفرنج في الكهوف والمغارات وراحوا يقتلون ويأسرون ويحرقون وينهبون القرى حتى ضاقت مراكبهم عن حمل الاسرى وامتلأت ايديهم بالغنائم ، والقى كثير منهم ما اخذه الى الارض ، وكتب قائد الغزوة الامير جرباش كتابا الى الامير « قصروه » نائب طرابلس بهذا الفتح وارسله مع مرافق للغزاة كان بعثه قصروه من طرابلس ليأتيه بأخبارهم ، وعندما وصل الخبر الى طرابلس كتب نائبها يبشر السلطان برسباى بهذا النصر

وما لبث المسلمون ان اخلوا الجزيرة بعد ان بلغهم ان الملك جانوس يستعد للخروج اليهم ، فآثروا الفوز بما حازوه من غنائم وما حملوا معهم من اسرى وبلغ عددهم نحو الالف ، فابحروا بكل ما غنموه الى مصر حيث دخلوا القاهرة « وقد جلس الناس بالحوانيت والبيوت والاسطحة والشوارع ، حيث ان الشخص كان لايكاد ان يمر الى طريقه الا بعد مشقة كبيرة ، وربما لا يستطيع السير ويرجع الى حيث اتى »

وذكر « ابن حجر » « ويقال ان جملة من قتل في مدة نصف شهر من الفرنج خمسة آلاف ، ولم يقتل من المسلمين في هذه الغزوة إلا ثلاثة عشر نفسا ، وكان طلوعهم الى القلعة بالاسرى والغنائم يوما مشهودا »

سباق على الجهاد

لما كان غزو الجزيرة سنة ٨٢٨ هـ لم يخضعها لسيادة دولة المماليك ، حيث اقتصر على تخريب المدن والقرى واحضار الاسرى والغنائم ، فان الاشرف برسباى لم يرض بذلك ، بل كان يتطلع الى اخضاع الجزيرة الى سيادته والتخلص من عدوه جانوس الذى اخذ يراسل ملوك الفرنج ويستنجد بهم على مهاجمة ثغر الاسكندرية ودمياط وبيروت وطرابلس الشام ، ولذلك رفض الاشرف وساطة صاحب استانبول الذى « شفع في اهل قبرص ان لا يغزوا » . وكان من عوامل اصراره على اخضاع الجزيرة استمرار تحريض الجنوية له ضد جانوس بسبب عدائهم له . ولعل الجنوية ارادوا بذلك ان يضربوا خصمين لهم هما . القبارصة والبنادقة ، اذ كان البنادقة قد شاركوا عمليا في مقاتلة المسلمين اثناء غزوتهم للجزيرة سنة ٨٢٨ هـ يضاف الى ذلك ان بعض قوى المسلمين الاتراك على شاطىء آسيا الصغرى استنجدوا بدولة المماليك لحمايتهم من اعتداءات القبارصة .

ولقد انفق الاشرف برسباى اموالا جزيلة لصنع اسطول بحري كبير ، وشراء ما يلزم من المراكب حتى اجتمع في ميناء الاسكندرية نحو ١٨٠ قطعة بحرية ، وتقرر ان تكون الحملة عن طريقه مباشرة ، ولذلك تجهز المقاتلون في طرابلس الشام وساروا الى مصر في شهر جمادى الاخرة سنة ٩٢٩هـ / ١٤٢٦م . فوصلوا مع عساكر دمشق وصفد وغزة « وكان لقدومهم يوم مشهود » . وبلغ عدد العساكر الذين خرجوا اكثر من ٩٠٠٠ رجل ، فضلا عن الذين جاءوا متطوعين للجهاد من مصر والشام ، وقد اخذ الحماس والشوق الى الجهاد ببعضهم حدا كاد يودى بهلاك عدد كبير من المسلمين ، ومن بينهم عسكر طرابلس اذ ابحروا بمراكبهم رغم التحذير بخطورة ذلك لارتفاع الامواج وشدة الرياح فغرقت اربعة مراكب كان من بينها مركب عسكر طرابلس ولكن المقاتلة تمكنوا من النجاة ، ولم يغرق سوى تسعة انفار وعندما خير السلطان العساكر الذين خسروا مراكبهم بين العودة الى بلادهم او العودة الى القاهرة اصروا على الخروج مع الحملة واسهب المؤرخ « ابو المحاسن » في وصف الجو المشحون بمشاعر الجهاد والخروج للغزو « حتى انه كان الرجل ينظر فى وجه المسافر للجهاد يعرفه قبل ان يسأله لما بوجهه من السرور والبشر الظاهر بفرحه للسفر »

وكما حدث قبيل الغزوة السابقة فقد حاولت مراكب الفرنج تعويق خروج الحملة بين ميناءى رشيد والاسكندرية ، ولكن المراكب الاسلامية تكاثرت على

الفرنج وهزمتهم بعد ان خسر المسلمون عشرة قتلى

وكان الاشرف قد عهد الى الامير « تغرى بردى المحمودى » بقيادة العساكر البرية ، وجعل على قيادة القوات البحرية « اينال الجكمي» ، وحدد اختصاصات كل منهما حتى لا يعارض احدهما الآخر

الملك جانوس اسيرا

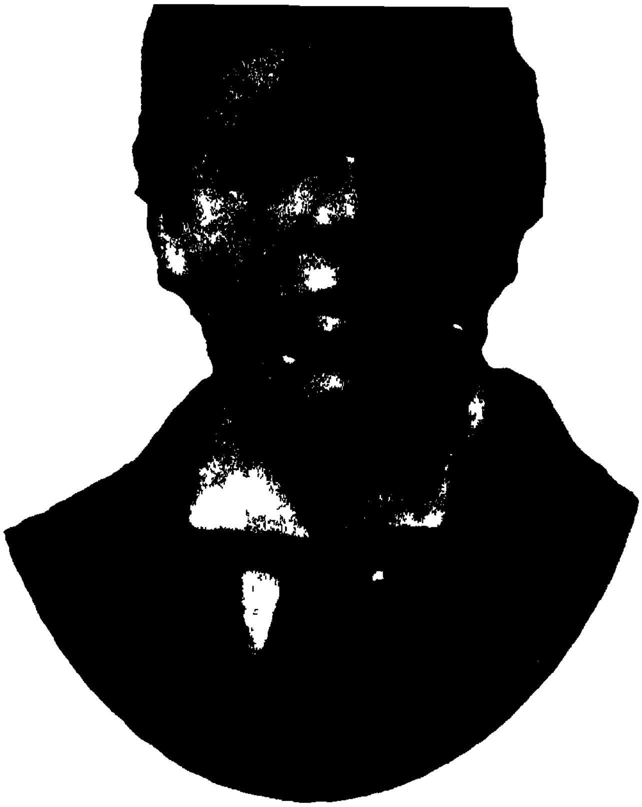
وفي ٢٠ من شعبان ٨٢٩ هـ اول حزيران ١٤٢٦م . اقلع الاسطول في اكثر من ١٠٠ مركب الى قبرص وتوجه ناحية ميناء ليماسول ، وهناك جرى انزال قوة الى البر قامت بمهاجمة حصن المدينة الذى اعاد الفرنج بناءه وتقويته بالمقاتلين . وتمكن قائد هذه القوة من اسناد سلم على الحصن حيث صعد اليه فيما كان الفرنج يفرون منه بعد ان كانوا قد هيأوا الزفت المغلى لقذف المسلمين به وسيطر المسلمون على الحصن ثم زحفوا الى بلدة خاضعة لنفوذ البنادقة ، فاحاطوا بها وامتلكوها بعد ان بذلوا الامان لاهلها ، وعلموا منهم ان الملك جانوس حشد جيشا من خمسة الاف فارس وسبعة الاف راجل ، فارسلوا اليه ليدخل في طاعة السلطان ولكن جانوس قام بقتل الرسول حرقا ، وعبر بذلك عن تصميمه على التصدى للمسلمين وخرج من عاصمته لقتالهم ، كما امر بتسيير قوة في البحر لضرب الاسطول ، فلم تغنه حشوده نفعا ، وحلت بجيوشه الهزيمة الساحقة في الموقعة التي جرت يوم الاحد غرة شهر رمضان ، فيما وقع هو في قبضة المسلمين ، كما حلت الهزيمة في بالمراكب الحربية التي اقبلت لمساعدته وقتل في هذه الموقعة ما يزيد عن ستة الاف نفر ، كان من بينهم « هنري » اخو الملك جانوس ، بينما اخذ قائد الكتلان الذى جاء لنجدة القبارصة اسيرا

وحتى يثبت المماليك سيطرتهم على جزيرة قبرص بكاملها حولوا قسما من قواتهم لتغزو قلبها ومدنها الداخلية بعد ان كانوا حتى ذلك الوقت يكتفون بغزو الشريط الساحلي . وقد تمكنت تلك القوة من شق طريقها الى العاصمة نيقوسيا واستولت عليها وسيق جانوس مع مئات الاسرى بينما كان اعيان نيقوسيا ورهبانها ووزراؤها يعلنون خضوعهم لسلطان المماليك ويطلبون الامان ، ويتعهدون بتقديم مبلغ من المال وما لبثت بقية مدن الجزيرة ان استسلمت للفاتحين ، وبعث اهل فماغوستا يطلبون الامان . وهكذا سقطت جزيرة قبرص بيد المسلمين للمرة الثانية بعد نحو تسعمائة عام من فتحها للمرة الاولى في ايام الخليفة عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، على يد معاوية بن ابى سفيان ، ولقد اسهب المؤرخون في وصف الموكب الحاشد الذى شهدته شوارع القاهرة اثناء استقبال الغزاة الفاتحين وهم يسوقون الاسرى وفي مؤخرتهم الملك جانوس ، وابنه ، وقائد الكتلان ، وقد امتطوا بغالا عرجاء وهم يرسفون في القيود وترك كل من بدر الدين العيني ، وابن حجر العسقلاني ، والصيرفي ، والمقريزى ، وابو المحاسن ، وغيرهم من المؤرخين المعاصرين وصفا دقيقا لذلك المشهد العظيم البالغ الروعة

واذ اصبح جانوس في قبضة الاشرف فقد ابدى الاذلال والخضوع بين يديه امام قناصلة الفرنج في مصر وهدده السلطان بالقتل او يفدى نفسه بمبلغ خمسمائة الف دينار ومازال المترجمون يترددون بين السلطان والملك حتى تقرر الصلح بعد اباء بينهما ، على ان يؤدى جانوس مائتى الف دينار منها مائة الف دينار معجلة ، ومائة الف دينار اخرى يؤديها بعد وصوله الى قبرص ، وان يقوم بدفع جزية سنوية مقدارها عشرون الف دينار

واشترط جانوس مقابل ذلك ان يكف السلطان عنه البنادقة والكتلان ، فضمن له السلطان ذلك . وانعقد الصلح وتقرر ان يكون جانوس نائبا عن السلطان في حكم الجزيرة اذ تحقق صاحب رودس من مصير قبرص . فقد اثر السلامة لجزيرته وبعث الى السلطان يسأل الامان ، « وان يعفى من تجهيز العسكر اليه ، وانه يقوم بما يطلب منه » فعقد الاشرف برسباى الصلح مع فرسان الاسبتارية برودس لقاء تعهدهم بعدم حماية قراصنة الكتلان في جزيرتهم وتم ذلك في جمادى الاولى سنة ٨٣٠ هـ/ ١٤٢٧م واستمرت قبرص تؤدى الجزية حتى بعد ان آل الامر فيها الى حكومة البندقية في سنة ٨٩٤ هـ/ ١٤٨٩م . لتدخل من بعد في حوزة الدولة العثمانية ■■

طرابلس ـ د. عمر تدمري



كأنه لم يمت ...
وكأنه من غرائب الحياة ومتناقضاتها أن أتحدث عن ذكرى مرور اكثر من ثلاثة أرباع القرن على وفاته ، وأنى له أن يموت بالنسبة الى وأنا دائم الاستشهاد بما قال ، دائم الترجمة لما كتب شعرا ونثرا ، دائم الحديث اليه في العديد من مؤلفاته الطريفة الموزعة على غير انتظام حوالى ، أو ليست قراءة الكتاب ضربا من الحديث الودى الصميم الى مؤلفه ؟ .

أوسكار وايلد

(١٨٥٦ ـ ١٩٠٠)

العبقرى الذى عاش فى غير عصره

بقلم الدكتور صفاء خلوصى

كان ذلك عام ١٩٣٦ يوم تعرفت عليه أو بالاحرى على مؤلفاته فشغفت بها أيما شغف ثم عرفت قصة حياته المأساوية .

ولد أوسكار أو فلاهيرتى ولز وايلد Oscar O.Flahertie Wills Wilde فى الخامس عشر من تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٥٦ بمدينة دبلن حيث تلقى دراسته قبل أن تستقبله جامعة اكسفورد التى اخرجت الكثيرين من العظماء وحطمت العديد منهم ، وفى كلية مودلن باكسفورد وضع مبدأ « عبادة الفن من أجل الفن » ، ذلك المبدأ الذى اصبح موضع تهكم مسرحية (الصبر) Patience لجلبرت وسليفان Gilbert and Sullivan .

ومن اشهر مسرحياته . (مروحة السيدة ويندرمير) و (امرأة غير ذات بال) A Woman of no Importance و (أهمية الجد) The Importance of Being Earnest .

ومن أشهر رواياته : « صورة دوريان غراى » قيل انها كانت من وحى اللورد الفريد دوغلاس

عندما كان في سن السابعة عشرة ، في أوج شبابه وجماله ، وقد تليت فقرات منه أثناء محاكمتـه وكانت سببا من أسباب الحكم عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة لمدة سنتين •

ومن قصصه المشهورة كذلك : « جريمة اللورد ارثر سافيلي » Lord Arthur Saville's Crime وهي قصة قارىء كف تنتهي بخاتمة مفجعة.

وكانه بذلك تنبأ بخاتمته المؤسفة هو اذ رماه اللورد كوينزبرى الذى كان يعارض صداقة ابنه اللورد الفريد دوغلاس له بتهم أخلاقية فحـكم عليه في ايار (مايـو) ١٨٩٥ بالسجن فانتهى الأمر به في سجن ريدنغ Reading في منتصف الطريق بين اكسفورد ولندن ، وهناك نظم قصيدته الخالدة (اغنية سجن ريدنغ) ، وفيها يصف مشهد تنفيذ حكم اعدام مؤثر •

ولا أزال احفـظ مقاطـع من هذه القصيـدة الموسيقية ذات الوقع الحزين ، واليك مقطعا مما احتفظت به الذاكرة رغم بعد العهد ، وقد ترجمته في حينه شعرا :

ان رقص المـرء يحلـو
وسط الحـــان الكمـان

أو على نغمة عود ومزامير
ـر ، اذا جاد الزمــان

عنـدما يبسـم حـظ
والهـوى في عنفـوان !

لا كـرقـص مفجـــع
ذابــل فيـه البنـــان

فـي فـــراغ هـائــل
حيـث تعـلو قدمـان

ثـم تهـدا بفتــــور
وتلاشي (١) في ثـوان

وما ان خرج من السجن حتى التمس سبيله الى باريس حيث قضى السنوات القليلة من حياته وكتب لنا اعترافاته التي نشرت بعد وفاته بنصف قرن تحت عنوان «من الاعماق» De Profundis

وكانت منيته في باريس في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٠ مات وليس بينه وبين مستهل القرن العشرين غير شهر واحد ، فكانت من أمانيه التي لم تتحقق وهو أن يرى مطلع القرن الجديد الذى سيكون أكثر حرية وانطلاقا كما كان يعتقد•

وعندما كشف عن قبره بعد سنوات وجد أوسكار وايلد وكانما مات لساعته ، ولم يكن قد تغير فيه شيء سوى أن لحيته قد طالت بعض الشيء • ذلك انه كان قد دفن في ارض كلسية حافظت على هيكله بشكل عجيب •

ضحية التزمت

لقد راح اوسكار وايلد في قمة ابداعه وذروة انتاجه الخلاق ضحية تزمت العصر الفكتورى الذى اتسم ـ مع الاسف ـ في بعض ما اتسم به ، بالرياء والنفاق والمظاهر الكاذبة التي كان يلفها أوسكاروايلد ، ولنا في أوسكاروايلد مثل وعبرة في ان لايثمل الانسان بخمرة النجاح الى اقصى حدودها فقدكان يخيل لاوسكاروايلد معبودالمجتمعات الانكليزية على اختلاف طبقاتها انه يجوز للعبقرى مالا يجوز لسواه ،وماكان يتصور لحظة أن المجتمع الانكليزى سيتنكر له شر تنكر بين عشية وضحاها وان المعبود المحبوب سيغدوضحية مهينة تحت قدمي عابده • كان بوسع أوسكاروايلد أن يتلافـى التطورات المؤسفة والنهاية المفجعة بتمزيق البطاقة المهينة التي بعث بها اليه الماركيز كوينزبرى الى (الكافيه) رويال Cafe Royal بدلا من استخدامها حجة لاقامة دعوى القدف على الماركيز،رغم الحاح اللورد الشاب الفريد دوغلاس الذى كان يكره اباه اشد الكره ويمقته غاية المقت ، وكان بوسع أوسكاروايلد أيضا أن يهرب الى فرنسا عندما دارت عليه الدوائر واصبح متهما بعد ان كان متهما • ومدعى عليه بعد ان كان مـدعيا ، وقد نصحه اصدقاؤه بان يفعل ذلك،بل ان السلطات المسؤولة كانت مستعدة لان تغض النظر عن محاولته هذه وتقدم له العون على ذلك ، ولكن اوسكار وايلد أبى ذلك اشد الاباء ، ويبدو انه كـان مصمما على أن يكون شهيد مبدئه ، مبدأ الفـن

(١) الهمزة في (تهدا) مهملة ، و (تلاشي) أي تتلاشي ويجوز حذف احدى التاءين اذا توالتا في فعل ، ولاسيما في الشعر ، وقد [illegible] لنا محاكاة ايقاع النص الانكليزى جهد الامكان •

للفن الذى وضع اسسه يوم كان طالبا بجامعة اكسفورد ، فالجمال فى نظره معبود اينما كان وحينما كان .

لقد كان اوسكاروايلد زين المحافل والمجالس،اذ كان يكفى لاى بطاقة دعوة ان يشار فيها اشارة خفيفة الى‌ان الحفل سيزدان بحضور اوسكاروايلد ليجذب اليه نجوم المجتمع المتالقة ، وقد كانت لاوسكاروايلد طريقة بارعة فى الحفلات ، فما كان ليجتذب اليه الانظار لاول وهلة ، انما كان يبدأ حديثه هادئا هامسا به الى اقرب مجاوريه ، ثم اذا به يعم ويسرى فى الحفل كله ، ومن عجائب عبقريته ونبوغه انه كان يختلق البكر من الاحاديث والقصص فى التو واللحظة ، ويرتجل الرائع من ماثور الكلام فقد كان سريع الخاطر قوى العارضة، حاضر النكتة ، وقد بدت كل هذه المواهب اثناء محاكمته مما حمل المستمعين على التصفيق له اكثر من مرة ، رغم تشدد الحاكم ومنعه التصفيق داخل قاعة المحكمة ولاسيما لرجل متهم قبل صدورالحكم عليه .

أسقط لقب أبيه !

لقد كانت‌مسرحيات أوسكاوايلد تمثل‌فى‌كبريات المسارح بلندن والرجل يحاكم بل حتى بعد ان دخل السجن ، ورغم ان بعضهم كان يتظاهر باحتقاره، حتى ان احدهم بصق بوجهه اثناء نقله من سجن لآخر ولكن فان احد سجانيه المعجبين به جازف باحراق بطنه لانه نقل له وجبة طعام لذيذة حارة اخفاها تحت قميصه .

وهكذا اختلفت الآراء فيه،ولكن الكثرة الكاثرة كانت ولاتزال شديدة الاعجاب به وقد استرداليوم اعتباره على اتم وجه ، بعد أن تنكر له‌حتى أهله وذووه اذ بلغ الامر بابنه الذى كتب تاريخ حياة أبيه بعد سنوات ان أسقط لقب أبيه من اسمه واتخذ لقب امه بديلا لينجو من قالة الناس وتعليقاتهم المؤلمة .

ولا اريد هنا الدفاع عن اوسكاروايلد فان فى فنه الرفيع خير مدافع وشفيع ، الا اننى اريد ان اؤيد نظرية ابن جنى فى الفصل بين فن الشاعر والاعتبارات الاخرى التى لا تدخل فى منطق‌الفن، واشفع ذلك‌بقولى‌ان كثيرا مما اتهم‌به‌اوسكاروايلد كان مبالغا فيه،بل كان ظلما وعدوانا ماتاه الحسد ومرده الضغينة الشخصية ولكل عبقرية ثمنها ، وقد دفع اوسكاروايلد الثمن باهظا ، ولكن لولاه لكان الادب الانكليزى الحديث باهتا ولاختفت الاستشهادات المرحة القائمة على المفارقات من كثير من الشفاه ! ■■

اكسفورد / د . صفاء خلوصى

ماذا يدمر الانسان

● المهاتما غاندى كان يحدث عنزته وهى لاهية عنه بتناول طعامها من الحشائش التى يجمعها لها ، بينما هو قانع بقطرات الحليب التى تقدمها له‌ويعيش عليها قال لها يوما ، وما أكثر ما كان يقول لرفيقةكفاحه السلمى : « سبع أشياء تدمر الانسان :

« السياسة بلا مبادىء » ـ « المتعة‌بلا ضمير » ـ « الثروة بلا عمل » ـ « المعرفة بلا قيم » ـ « التجارة بلا اخلاق » ـ « العلم بلا انسانية » ـ « العبادة بلا تضحية »



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الاطباء

شلل الوجه النصفي

● شلل الوجه النصفي او شلل «بل» ما هي اسبابه واعراضه وعلاجه ؟

ينتج شلل الوجه النصفي عقب اصابة العصب السابع ، وهو من الاعصاب التي تخرج من المخ ، وتمر بقنوات وفتحات في جمجمة الرأس ، وعند خروجه يتفرع ليغذي عضلات الوجه ، وهو عصب حركي لا دخل له بنقل الاحساس ،ولكن العصب الذي ينقل حاسة الذوق من الثلثي اللسان في الامام ، يشترك معه في جزء من مسيرته ، لذا تتاثر حاسه الذوق في بعض حالات الاصابة الشديدة.

واصابة العصب السابع لها اسباب عدة ، فقد تنجم عن وجود اورام او نزف او امراض بالمخ او الاغشية التي تحيط به ، او عن التهاب الاعصاب عامة، أو التهاب الاذن الوسطى او العمليات التي تجرى عليها. ولكننا عندما نتكلم عن شلل الوجه النصفي أو شلل «بل» كما يسمى احيانا ، انما نتكلم عن تلك الاصابة التي تصيب الجزء الاسفل منه ، ذلك الجزء الذي يخرج من الثقب الابرى وقناتـه بعـظم الرأس حتى عضلات الوجه .

والسبب المباشر لهـذه الاصابة غير معروف حتى الان، ولكن وجد بان هناك احتقانا في الانسجة المحيطة بالعصب وانتفاخا بها ، مما يسبب ضغطا على العصب فيسبب الشلل .

وشلل الوجه النصفي يحدث في الجنسين ، الذكور والاناث بالتساوى ، وقد يصيب جميع الاعمار ، غير انه ينتشر اكثر في الفـترة مـابين ٢٠ و ٥٠ سنة .

اعراضه :

قد يحس المصاب بالـم بسيط خلف الاذن ليوم او يومين ، وبعدها يبدأ الشلل ، وتتغير تعابير الوجه ، فيفقد المصاب القدرة على اغـلاق عينه وتدمع بكثرة ، ويتساقط الدمع على الخد ، وترتخـي عضلات الفم ، وياخذ شـكلا خاصا لان العضلات السليمة بالجهة المقابلة تجذبه نحوها ، وقد يسيل اللعاب او تسيل السوائل عند شربها مـن زاوية الفم ، ويتجمع الاكـل بين الاسنان وعضلات الخـد المشلولة بعد مضغه ، وقـد يحس الانسان بثقل وخدر بسيط في الجهة المصابة ، ولـو ان حساسية الجلد لاتتاثر ابـدا وتبقى كما هي لان العصـب السابع ـ كما ذكرنا ـ عصب حركي .

وياخـذ وضـع المنكمـش على نفسـه ،وهو راقد فـي سريـره ، ويثنـي الركبتين ويقوس الظهر، وينفر من المضايقات ، وقد ترتفع درجة حرارته . وقد يمر بفترة من فقدان الذاكرة .

وفي حالة وجود نزيف في المخ، تطول فترة فقدان الوعي وتزداد عمقا ، ويفقد الحركة بعض عضلات الجسم، ويبطىء النبض اكثر واكثر ويظهـر اختلاف في سعة الحدقتين، وعادة ما يكون النزيف في

الجهة التي تتوسع الحدقة بها ببطء.

وهناك قاعدةطبية عامةتقول « بانه من الافضل وضع كل مصاب بضربة على رأسه افقدته الوعي ولو للحظات تحت المراقبة الطبية لايام معدودة ، خوفا من وجود نزف بطيء في احد الاوعية الدموية المغذية للمخ، ،لاتظهر اعراضه الا بعد فترة من الزمن ، واكتشافه المبكر ضروري للمصاب والطبيب » .

موانع الارضاع الطبيعي

● ما هي موانع الارضاع الطبيعي ؟

ـ هناك ظروف وحالات معينة تجعل من الارضاع الطبيعي وسيلة غير عملية او غير مفضلة ، وفي حالات آخرى ضارة . لذا يلجأ الطبيب الى نصح الام باعطاء طفلها حليبا صناعيا ومن هذه الحالات والاسباب : تعاطي الام المرضع لبعض الادوية مثل ادويةتمييع الدم ، واصابة الام بمرض التدرن الرئوي (السل) عندها يجب اعطاء الطفلالطعم الخاص ضد السل وبالطبع اعطاء الام العلاج اللازم مع ضرورة ابعاد طفلهاعنها لمدة حواليشهرين.

كما ان اصابة الام بامراض القلب وهبوط القلب تشكل مانعا ولو مؤقتا ضد الارضاع الطبيعي الا اذاكانت الام تحت اشراف طبي تام يؤكد سلامة قيامها بالارضاع الطبيعي .

واصابة الام بتسمم الغدة الدرقية وتناولها الادوية المعالجة لذلك يشكل مانعا ضروريا ضدالارضاع الطبيعي اذ ان هذه الادوية تنتقل عن طريق حليب الام الىالطفل مما يؤدي الى نتائج سيئة كتضخم الغدة الدرقية وضعفنشاطها.

وهناك قائمة من الامراض التي اذا ما اصيبت بها الام المرضع اصبح الارضاع الطبيعيضارا بصحتها وبالتالي بصحة طفلها وهذه الامراض هي : امراض الكلى المزمنة والامراض الاخرى المزمنة . كالسرطان وامراض الحمل النفسية التيقدتؤثر علىعلاقة ومعاملة الام لطفلها خاصة تلك الحالات المصحوبة باكتئاب نفسي شديد ولقد اعتبر مرض السكري من الامراض التي تشكل مانعا للارضاع الطبيعي ولكن هذا الوضع اختلف الان خاصة اذا كانت الام تحت اشراف طبي كفيل باستمرارية الام على العلاج الفعال والغذاء المناسب .

وتوجد بعض الحالات التي تشكل موانع وقتية للارضاع الطبيعي مثلالتشوهات الخلقية عند الطفل والخراج واصابة الطفل بضمور الفك السفلي او وجود خراج في ثدي الام ، هذه الحالات تعيق من عملية الارضاع الطبيعي الناجحة ولو انه كثيرا ما يستفيد الطفل مع ذلك من حليب الام عن طريق الزجاجة او الملعقة ،وقد تضطر الام احيانا الىاستعمال الحلمات الصناعية اذا ما كان عندها تشوهات في الحلمة كالحلمة المسطحة او الحلمة الغائرة او القصيرة . ولا تنس ان هناك الاطفال المصابين بحساسية الحليب او سكرالحليب الذين لايستجيبون لحليبالام وانما لحليبصناعي خاص مثل الحليب الخالي من سكر الحليب والمزود بالفيتامينات الضرورية للطفل والمتوفر بالاسواق تحت اكثر من اسم .

■■

عندما كانوا يتكلمون العربية فى يوغوسلافيا

بقلم : اسماعيل احمدى

المدرس بجامعة بريشتنا اليوغسلافية



عنيت الفتوحات العثمانية عناية كبيرة بتأثير الثقافة الاسلامية على شعوب البلقان ، وهى لم تؤثر على النظم الادارية فحسب بل أثرت فى جميع مرافق الحياة من ادارية واقتصادية واجتماعية ودينية مما ادى الى تكوين حياة جديدة •

ان الفتوحات جاءت بلغة وثقافة جديدتين كانتا مقصورتين على الجزيرة العربية كما هو معروف • ومع الفتح الاسلامى خرجت اللغة تسير فى ركابها ، ومع الانتصار فى الفتوح أخذت اللغة العربية توطد اقدامها فى البلاد المفتوحة ، بل اخذت تحل محل اللغات المحلية شيئا فشيئا لانها لغة الحاكمين الجدد ، ولانها لغة الدين الجديد الذى آمن به كثير من الناس ، ولانها اصبحت لغة الدواوين فاقبل على تعلمها الجميع •

لقد ازاحت اللغة العربية امامها فى اول انتشارها اللغات المحلية التى كان يتحدث بها شعب مقدونيا و قوصوى ، بحيث لم تمض فترة وجيزة على الفتوح حتى كانت اللغة العربية اللغة العامة فى البلاد التى تم فتحها • وهنا يطرح السؤال : كيف استطاعت اللغة العربية ان تكون لغة الادارة فى الامبراطورية العثمانية فى اوائل القرن الخامس عشر فى هذه البلاد ؟

منّ المعروف لدينا انها كانت لغة الدولة الى أواخر القرن الثالث عشر فى آسيا الصغرى اى الى تلك الحقبة لم تكن اللغة التركية رسمية ولا لغة ادارية للدولة العثمانية •

ويؤكد احد العلماء الاتراك انه فى الفترة السلجوقية كان حديث عامة الناس فى ديار بكر

باللغة العربية وانها كانت لغة رسمية ، ويقول أيضا ان كثيرا من الشعراء الاتراك يشكون من صعوبة نظم الشعر وايجاد الفاظ شعرية مناسبة للقصيدة •

وكان للنزعة الدينية وقدسية هذه اللغة اثر كبير فى انتشارها ، فلم تكن هناك كتابة سوى العربية ، لذلك ليس من الغريب اذا وجدنا اليوم كل مراسيم الدولة مكتوبة بهذه اللغة •

وبصدد انتشار اللغة العربية وثقافتها لابد من ان نلقى نظرة على وسائل تدريس هذه اللغة ومستوى التعليم فى مدارس مقدونيا وقوصوى ، كما سنتطرق للحديث عنمكاتب الصبيان والمدارس كعوامل اساسية فى دراسة هذه اللغة فى هاتين المنطقتين •

الكتاتيب

كانت مكاتب الصبيان معاهد اساسية لتعليم صبيان المسلمين وسميت دور التعليم وكذلك « صبيان مكتب » ويدرس فى هذه الكتاتيب صبيان المسلمينمنكلا الجنسين ـ الذكور والاناث ـ التعاليم الدينية والواجبات الاخلاقية ، اما المواد الرئيسية التى درست فى تلك الكتاتيب فهى :

قراءة القران الكريم ، وقراءة بعض القصائد الدينية • اما بالنسبة لتعليم الكتابة العربية فكانت حينئذ كتيبات صغيرة تسمى : الف باء سفارا وهو ما يعادل اليوم الكتاب الصغير الذى يدرسه التلاميذ فى السنة الاولى والثانية من المرحلة الابتدائية •

وبهذه الكتيبات تعلم الصغار الابجدية العربية ، وكانوا ينتقلون من سفارة الى أخرى أى من كتيب الى آخر • لانه كان مقررا عليهم عدة سفارات فاذا انهى الصغير قراءتها كلها انتقل الى قراءة المصحف الكريم وحفظ بعض سوره •

وقد كان حرص مسلمى مقدونيا وقوصوى على تعليم اطفالهم هذه المبادىء عظيما ، الامر الذى يبدو فى العبارات المختلفة التى وصلت الينا مثل هذه العبارة : وبنى مكتبا واحدا لاجل تعليم الادب والقرآن العظيم لصبيان الفقراء والمساكين » والعبارة الاتية : «وبنى بقربها بيتا لتعليمالقرآن الكريم وتفهيم الصبيان وعين بيتا ليسكن الامام بقرب الجامع الشريف وهذه العبارات واضحة تدل على مدى رغبة مسلمى مقدونيا وقوصوى فى تعليم صبيانهم اللغة العربية وعلى انهم اشتركوا اشتراكا مباشرا معنويا وماديا فىتأسيسالكتاتيب والمدارسلتثقيف صغارهم بهذه الطريقة الجديدة•

اما الدولة العثمانية فقد كانت ايضا تقوم بمهمة بناء الكتاتيب لتثقيف مسلمى البلاد المفتوحة • وقد لاحظ احد الرحالة الفرنسيين تلك المدارس الابتدائية فى الدولة العثمانية فى سنة ١٥٥٣م وقال : ان الاتراك العثمانيينيبذلون الجهدويحبون انيعلموا اطفالهم الكتابة العربية•

ولتحقيق تلك الرغبة بنوا فى داخل المساجد اجنحة خاصة او مبانى خاصة ، وكانوا يرسلون اولادهم الى هناك ليتعلموا القراءة والكتابة وشيئا من قواعد اللغة العربية ، ويشمل هذا التعليم بناتهم ايضا وتعلمهن المعلومات ، فلا نجد قرية صغيرة الا وفيها كتاتيب للدراسة •

وكانت طريقة الدراسة فى تلك المدارس الابتدائية انيجلس التلاميذ علىالبساط ويقرأون بصوت عال كل على حدة وهم فى حلقات • وكان للقران الكريم اهمية خاصة ، وكان مادة رئيسية فى تلك المدارس فان معرفة قراءته تتعلق بمعرفة الحروف العربية وحفظ بعض السور القرانية لاداء الصلاة عند المسلمين • ولذلك كان اساس تعليم الاطفال مرتبطا بتعليم القران والعلوم الاسلامية الاخرى •

وهكذا يمضى الصغير فترة دراسته فى هذا المكتب الى أن يقرأ القرآن كله مرتين أو ثلاث مرات • وبعد ذلك يعتبر قد انهى المرحلة الاولى من الدراسة ويقام احتفال كبير بمناسبة ختم القرآن •

والاحتفال يقام بصورة جماعية وفردية ، اما الاحتفال الجماعى فيقام اذا كان عدد الذين ختموا القرآن الكريم كبيرا • وأما الاحتفال الفردى فيقام فى بيت التلميذ لانه وحيد وليس هناك سبب للاحتفال الجماعى •

الخوجا والتلاميذ

ولم يكن هناك حينئذ وقت محدد لالتحاقالصغار بالمكتب بل كان ذلك حسب عرف المنطقة ، فمثلا فى اسكوبيا Shkup كان المعتاد ان الصغيريلتحق

بالمكتب عندما يكمل اربع سنوات ، وفي المناطق الاخرى عادة يلتحق الصغير في سن السابعة • وكان المعلم يدرس كل واحد على حدة ويعطي لكل صغير درسا ويسمى هذا الدرس صباحا وهذا بالطبع بعد ان يستمع المعلم الى الدرس القديم فاذا درسه دراسة جيدة يعطيه درسا جديدا او «صباحا آخر» وان لم يستوعبه فلا ينقله الى درس جديد •

وكانت الدراسة تبدأ في الصباح الباكر ولذلك سمي الدرس «صباحا» وكان هناك فراغ واستراحة في الظهر لصلاة الظهر وتناول الغداء ، وبعد الغداء ، تستمر الدراسة حتى غروب الشمس

وكان المكتب يشتغل كل يوم عدا يوم الخميس بعد الظهر ويوم الجمعة كله وايام الاعياد الدينية ويبدو ان اطفال بعض الاغنياء كانوا يتعلمون في بيوتهم ، وتدل على ذلك العبارت التي تشير الى ان المكتب قد بني لصبيان الفقراء والمساكين •

وفي بعض الاحيان كانت للكتاتيب أبنية راقية تعلوها قباب ضخمة مع قاعة واسعة للمحاضرات أو ما سميت «درسخانة» وبجانبها غرفة صغيرة للمعلم ومساعده • اما الكتاتيب في المحلات العادية فكانت مجرد بناء بلا قبب وهناك قاعة للمحاضرات فقط وبعد انهاء الصغير هذه المرحلة الابتدائية يستطيع ان يذهب ليشتغل لدى الصناع أو التجار ، حسب المرحلة العائلية •

فاذا كانت عائلته ذات سمعة طيبة تفسح له أبواب المستقبل ، والمهم أن تعطي للصغار المبادىء الاولى للحياة وان يفتحوا لهم ابوابا كثيرة من حيث العمل والعلم • اما الصغار الذين انهوا الكتاتيب الخاصة للدولة فهم يتفرغون لتخصصهم بفنون خاصة يعينهم في مختلف وظائف الدولة في قصر السلطان • ومن الطبيعي ان يواصل المتفوقون دراستهم على المستوى الثانوي •

وكان المعلم مسؤول المكتب وقد اشتهر عند عامة الناس باسم خوجا • ولنيل هذه الدرجة العلمية ينبغي للانسان ان يكون قد درس بالمدارس وتميز بالاخلاق الحسنة • وكان مكلفا بهذه المهمة أمام المسجد والخطباء وحفاظ القرآن الكريم • أما في كتاتيب البنات فكانت المعلمات يقمن بمهمة التعليم وكانت تختار امراة كبيرة السن تجيد قراءة القران الكريم والمواد الاساسية التي تدرس بالمكتب •

اما ما يتعلق بالكتاتيب التي كانت بالقرى البعيدة فانه لم يكن لتلك الكتاتيب معلمون معينون ، وكان بعض المعلمين يقومون بمهمة التدريس على الرغم من بعدها والمسافة التي كان يقطعها الماشي الى المكتب •

وكان مؤسس المكتب هو الذي يقوم بترشيح المعلم ، ويصدر القاضي قرار التعيين • ويسمى القرار «برات» وكان المعلم ياخذ مخصصاته اعتمادا على هذا القرار من الوقف•وكانت مخصصاته تعادل مخصصات أئمة المساجد وخطبائها • ونذكر هنا مثلا المعلم الذي كان بكتاب كوكلي بك بقرية زينوفو Zinovo قرب مدينة بريزرن Prizren . وكانت مخصصاته اليومية الجين وهي عملة فضية تداولها الاتراك اول مرة في عهد ارخان والد مراد الاول وهذه المخصصات لم تكن ثابتة وكانت تتغير حسب تغيرات المعيشة حينذاك• وقد بدا تاسيس الكتاتيب كمنشآت أولى للتثقيف في العالم الاسلامي في مقدونيا منذ انتشار الاسلام وثقافته ، ومعنى ذلك انها قديمة العهد في هذه البلاد •

وكان في أول الامر يخصص ركنا من أركان الجامع لتعليم الاطفال المبادىء الاولى للقراءة وبازدياد محلات المسلمين وزيادة عدد السكان يوما بعد يوم احتاج الامر الى انفصال المكتب من الجامع والمسجد وبناء أبنية خاصة لابناء المسلمين•ويزودنا الرحالة اوليا جلبي بلمحة واضحة عن كثرة هذه الكتاتيب في مقدونيا وقوصوى وهي كما يقول الرحالة كانت ٧٠ مكتبا في اسكوبيا واشهرها كوجا مصطفى باشا ، وفي اخريد ٧ كتاتيب وفي غوستوار سنة ١٦٥٩ اسس محمد باشا جامعا ومكتبا بجانبه ، وفي اشتيب ١١ مكتبا ، وفي مناستير Manastir ٥٠ مكتبا وهذه البلدان تحمل نفس الاسماء الى يومنا هذا في مقدونيا •

ولا نغالي اذا قلنا ان عدد الكتاتيب يزيد عن الالف في مقدونيا وقوصوى وكل هذا دليل واضح على مدى اهتمام العثمانيين بنشر اللغة العربية وثقافتها في هذا القطر على الرغم من الظروف

التي واجهوها حينئذ • كانت هذه الوسائل الاولى لتعليم اللغة العربية ، في هذه المعاهد يعلم الحرف الاول للابجدية العربية ، •

٥ درجات للمدارس

بعد الكتاتيب ناتي الى المدارس

وقبل الحديث عن مدارس مقدونيا وقوصوى لابد من ان نعطى لمحة مختصرة عن نشأة المدارس العثمانية لان هذه المعاهد التعليمية وليدة تلك المنشات الثقافية • واذا نظرنا الى تاريخ نشأة هذه المدارس ، نجد اورخان بن عثمان ١٣٢٤ ـ ١٣٦٠ م قد انشا المدرسة الاولى سنة ١٣٣١ م وعين داود مدرسا لها وهو المترجم التركي المشهور لمؤلفات ارسطو وكان قد تخرج في مصر •

اما المدرسة الثانية فقد انشاها قائد جيش اورخان واسمه لالا شاهين في مدينة بورسه • وهكذا بدأ سلاطين الامبراطورية العثمانية ووزراؤها وقادتها بانشاء المدارس والجوامع والكتاتيب في الدول المفتوحة التي ادت الى انتشار لغة جديدة ودين جديد وثقافة جديدة •

والجدير بالذكر في تاريخ نشأة التعليم العثماني في هذه المناطق هو انشاء طراز خاص لهذه المدارس التي سميت «مدارس الثمانية» وبعد فترة سميت باسم آخر وهو « صحن ثمان » والتي بدأ بتاسيسها السلطان محمد الفاتح سنة ١٤٧١م في استنبول •

انقسمت المدارس حينذاك الى خمس درجات ، تتميز كل درجة عن الاخرى حسب مخططات الاساتذة وسمعة مؤسسيها ، وتعتبر المدرسة في ادنى مرتبة او درجة اذا كانت المخصصات اليومية للمدرس (٢٠ ـ ٢٥) اقجة ، واعلى منها كانت المدارس التي لمدرسيها من (٣٠ ـ ٣٥) اقجة وبعد ذلك تاتي المدارس التي يعطى فيها المدرس ـ ٤٠ ـ اقجة ، والدرجة الرابعة تشمل مدارس البكوات والوزراء العثمانيين ، وفي الدرجة العليا كانت مدارس السلاطين والامراء والاميرات والمخصصات اليومية للمدرسين في مدارس الدرجتين الاخيرتين كانت ـ ٥٠ ـ اقجة •

ان هذه المدارس كلها كانت في مرتبة قبل دخول الطالب (الصحن) او ما سمي «المدارس الثماني» وقد هيات الطالب للقدوم الى الصحن ، اما مدرسة الصحن فقد كانت اعلى درجة للتعليم حينئذ •

ان مدارس محمد الفاتح كانت تمثل جامعة حديثة للعلوم واللغة الدينية واللغة العربيه ، وكانت تدرس فيها اللغة العربية ، والانشاء وعلم الكلام والفقه ، واصول الفقه وتفسير القرآن والحديث • وهكذا زودت هذه المدارس الدولة العثمانية بالرجال في ميادين عدة من مدرسين وقضاة ورجال دولة •

ولانتقال الطالب من المدارس المذكورة الى مدرسة الصحن ينبغي ان تكون له شهادة او ما تسمى «اجازة» يشهد فيها المدرس ، بان الطالب قد انهى كذا من السنين الدراسية ، وتذكر ايضا المواد التي درسها بالمدرسة •

ولم يكن هناك وقت محدد للدراسة ، وكلها تتعلق بمهارة الطالب ، فاذا كان الطالب مجدا وماهرا ، انهى دراسته بسرعة : وان لم يكن كذلك فان دراسته تستغرق خمس عشرة سنة او اكثر • بعد انتهاء الطالب من هذه المدرسة يصبح مدرسا او قاضيا او يتوظف في احدى وظائف الجيش وكانت مدارس « صحن ثمان » اعلى درجة من كل المعاهد العلمية في اوربا الى القرن السابع عشر، ولكنها بعد هذه الفترة بدأت تضعف يوما بعد يوم، وخاصة عندما بدأ علماء استنبول يعينون في تلك المدارس غير المهيئين لهذه الدرجة العلمية •

ونحن نعلم ان تلك المدارس في القرن الخامس عشر والسادس عشر ، قد خرجت علماء على مستوى علمي كبير فنشاهد في النصف الثاني من القرن السابع عشر ان المواد العلمية مثل الرياضيات والفلسفة والطب كلها كانت تدرس من قبل علماء كبار وشيوخ اجلاء نقلوها اخيرا الى مدرسين غير قادرين على التعليم • انها كمعاهد للتعليم انتقلت الى مقدونيا وقوصوى بعد ان قامت بدور مهم في التاريخ الثقافي لآسيا الصغرى وهكذا مع الفتوحات ، عرفت بلادنا هذا النوع الراقي من المدارس لنشر الثقافة العربية • انها اولى المعاهد التي وضعت اساس اللغة العربية وثبتت قواعدها في هاتين المنطقتين، وان اولى المدارس في مقدونيا وقوصوى وفي بلاد

يوغسلافيا كلها هي المدارس التى انشئت فى مدينة اسكوبيا .

وهنا ينبغى ان نذكر اوقاف القائدين المشهورين اسحق بك ١٤٤٥ م وابنه عيسى بك ١٤٦٩ م فى اسكوبيا التى ساهمت فى انشاء هذه المنشآت العلمية . ومن اشهر المدارس فى اسكوبيا مدرسة اسحق بك وعيسى بك ، وهاتان المدرستان كانتا من الناحية العلمية فريدتين فى البلقان .

وهناك مدرسة السلطان مراد ومدرسة يحيى باشا ومدرسة مصطفى باشا . والى جانب هذه المدارس كانت فى هذه المدينة مدارس اخرى تسمى « دار القراء » و « دار الحديث » .

وكانت مواد تلك المدارس : تجويد القران الكريم وتلاوة كتاب الله بالقراءات السبع . وكان من هذه المدارس الخاصة فىاسكوبيا ايضا المدرسة التى سميت « دار الحديث » وهى خاصة بدراسة الاحاديث الشريفة من الكتب الستة المعتبرة فى علم الحديث . ومثل هذه المدارس كانت فى اخريد مدرسة قوجة سياوش باشا ، وفى داخل هذه المدرسة كانت ساحة واسعة حولها غرف للسكنا ، ولهذه المدارس مدرسون مختصون .

الصورة فى مقدونيا

وهناك مدارس اخرى من هذا الطراز فى مقدونيا .ففى اسروغا مدرسة واحدة وفى مناستير تسع مدارس وفى كومانوفو مدرسة واحدة .وكذلك كان الامر فى منطقة قوصوى ، فقد كانت اللغة العربية وآدابها تدرس فى مدن قوصوى . ونذكر هنا المدارس المهمة التى درست هذه اللغة والمواد التىكانت منضمن تعليم اللغة العربية وانتشارها فى المنطقتين اللتين نتحدث عنهما . ومن هذه المدارس : مدرسة محمد باشا فى مدينة بريزرن التى اسست فى اوائل القرن السادس عشر ، وقرب هذه المدينة اقام محمد باشا جامعا وعمارة وزوايا .

وللمدرس معيد بالمدرسة وله ــ ٤ ــ اقجه فى اليوم .. وهناك معيد اخر اى بالدرجة الثانية وله ــ ٣ ــ اقجه يوميا ، ويكلف عادة بمهمة المعيد الثانى احد طلبة الصحن . وكانت لهذه المدارس مكتبات تابعة للاوقاف ، ولايزال بعضها قائما الى اليوم ويحتفظ بمئات الكتب ومعظمها باللغة العربية .

وهكذا ، فقد بنى الاتراك المدارس فى كل مكان ونجدهاكذلك فىالمناطق العليا غيرالساحلية، وفى قرى كثيرة ولذلك لم يكن من السهل فى هذه الاماكن ان تزود المدرسة والطلبة بالحاجات المطلوبة الملائمة للحياة .

ولا ندرى ما اذا كانالنظام الدراسى فىالمدارس ثابتا او متغيرا وما التغيرات التى كانت تجرى فيه ، وذلك لعدم وجود ادلة توضح ذلك .وكانت الدروس تحمل اسم الكتاب الذى كان يدرس ولم يكن وقت الدرس محددا ، بل كان ذلك حسب الاستاذ والطلبة اى حسب ميولهم للدروس ، فكان يقضى احيانا فى دراسة كتاب ما سنة او سنتين .

ويبدا المدرس بالطلاب الجدد الذين ينظمون حلقة من بداية الكتب ويستمر بتدريس المواد من العلوم المختلفة حسب النظام الدراسى المتبع . وهكذا بعد اربع او ست سنوات ينهى الطالب الجزء الاول من دروس المرحلة الوسطى . وتشمل هذه الدروس ثلاثة او اربعة كتب فى الصرف والتربية الدينية وفىالتوحيدوالعبادات والاخلاق.

وبعد هذه المرحلة ينتقل الطالب الى المرحلة الثانية او الى الدور الثانى من المرحلة الاولى والذى كان يدوم اربع او ست سنوات اخرى ، ويدرس فيها المواد التى درسها فى الدور الاول من المرحلة الاولى ، الا ان هناك تفصيلات اكثر فى المواد المذكورة . ونذكر ايضا انهم اضافوا فى الدور الثانى مادة جديدة وهى مادة المنطق .

وبعد انتهاء الطالب من هذه المرحلة الدراسية ينتقل الى مرحلة جديدة تختلف عن سابقتها ، وهى المرحلة العالية،ويدرس الطالب فيها تفسير القرآن والحديث واصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة . وبعد ان ينتهى الاستاذ من القاء الدروس المقررة يقدم الطلبة امتحانا ، فاذا نجح الطالب منحه الاستاذ اجازة يثبت فيها ان الطالب فلانا قد حضر واستمع ونجح فى الدروس المقررة فى المدرسة وانه يسمح له ان يدرس العلوم التى قد تعلمها من استاذه .

وبهذه الاجازة او الشهادة كان من حق الطالب المتخرج ان يعين في المناصب والوظائف الدينية وغيرهـا كوظيفة الامـام بالمسـجد او الخطيب أو المعلم او المدرس او القاضي او شيخ الاسلام •

من هنا نرى المدارس في مقدونيا وقوصوى في الفترة التي نحن بصددها هيات جيلا جديدا يخدم البلاد في جميع الحقول•ونرى ايضا ان متخرجيها قد اشتغلوا في مناصب عدة ، وهذا يدل على ان تلك المدارس لم تكن ذات اختصاص ضيق بـل كانت اعمق مما يتصور البعض • اي اكثر من كونها لاغراض دينية فقط • ويؤكد ذلك قـول احد الرحالة الفرنسيين الذين زاروا يوغسلافيا وقال : « انها فيمستوى المعهد العالي بباريس » ونضيف ايضا ان مدرسة عيسى بك وكرال الكسندر في اسكوبيازودت يوغسلافيا بعلماء وهي وليـدة تلك المدارس العثمانية •

ومدارس خاصة ايضا

والى جانب المدارس العامة كانت في مقدونيا وقوصوى مدارس خاصة وكان اكثرهم يهتم بقراة القرآن بالقراءات السبع وهي «دار القرآن» والى جانبها كانت«دار الحديث»التيتعني بدراسةالحديث اما من الناحية الهندسية فقد كانت مشابهــة للمدارس العثمانية الاخرى ، اذ كانت تنشا في صحن الجامع او بصورة مستقلة وفيها مسكــن للطلاب • اما ما يتعلق بمناهج هذه المدارس فقد كانت تختلف باختـلاف درجاتها وهـذه الدرجات خمس ، ففي الدرجة الاولى يدرس الطالب مبادىء اساسية في النحو والصرف والرياضيات والجـبر اما في الدرجة الثانية فيدرس الطالب الى جانب ذلك مادة المنطق والبلاغة والعقائد •

وفي الدرجة الثالثة يدرس المواد السابقة الى جانب اصول الفقه والفلسفه والادب • اما فـي الدرجتين الاخيرتين فالى جانب هذه المـواد يدرس الطـالب الشريعـة الاسلاميـة وتفسير القـرآن والحديث •

ولم تكن مدارس مقدونيا وقوصوى في درجة « صحن ثمان » بل كان طلابها يتهياون للقدوم الى هذه المدارس •

اما من حيث اللغة العربية وقواعدها فدرست : مثلا فيالصرف كتاب محمد برغوى وهو نحوى تركى وقد قسم كتابه الى فصول هي :

الاول اظهـار الاسرار ، وهـذا الفصـل يتعلـق بتصريف الافعال في جميع الاوزان ، اذ يقول : نصر ـ ينصر ـ نصرا فهو ناصر وذاك منصور لم ينصر لما ينصر • وهكذا يستمر الى نهاية تصريف الافعال ـ الثاني ، يتعلق بالافعال وضروبها اذ يقول : ان الافعال على ضربين اصلي وذو زيادة الخ ـ الثالث ، البناء وفيه يتحدث عن ابـــواب التصريف اذ يقول انها خمسة وثلاثون بابا ، ستة منها للثلاثي المجرد ـ والرابع ، العوامل يتحدث فيها عن اهمية معرفة الاعراب وهكذا يختتم الكتاب بهذه الفصول ، وقد درسوا ايضا الشافيـة لابن الحاجب ، وشرحه للامام رضي الدين الاسترابادي المتوفي في عام ٦٨٨ هـ •

اما في الفقه الاسلامي فقد درسوا كتاب : « ملتقى الابحر » •

وفي العقائد درسوا : عمر النسفي •

اما في الحديث فهناك كتاب يسمى « رمـوز الحديث » ودرسوا صحيح البخاري وصحيح مسلم ورياض الصالحين وغيرها من كتب الحديث •

وفيالبلاغة درسوا كتاب «مختصر المعاني» لمسعود ابن عمر التفتازاني •

اما في الفلسفة فلم نجد في جداول الدروس كتابا معينا ولكن يبدو انهم درسوا الفلاسفـة المسلمين مثل ابنسينا والفارابي وابنرشد وابن خلدون •

وقد ظلت هذه المدارس والمنشات تؤدي دورها الجليل طوال الحكم العثماني ، حتى بدات اوروبا تغزو الامبراطورية العثمانيـة من الداخـل في القرن ١٩ • ان اهداف هذه المدارس خرجت من الطابع الاقليمي واخذت طابعا عاما واتخذتمكانة فريدة في تاريخ نشر اللغات والثقافات كما هو الامر مع اللغة العربية في هذه البلاد •

واننـا نرى ايضـا نتـائج تلك المدارس في بلاد مقدونيا وقوصوى اذ تعلم وتخرج فيها علماء فضلاء وكتاب وشعراء مجيدون • ■■

اسماعيل احمدى

اقيم حفل على شرف فلان

كان استاذنا الكبير عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ يضيق بمثل هذه العبارة « اقيم حفل على شرف فلان » للتعبير عن سبب الحفل او مناسبة اقامته ، وكان يرى ان يقال مثلا « اقيم حفل تكريما لفلان » أو « احتفل بتكريمه » فذلك أولى وأقرب لذوق الفصيحة ، ومن مفعولاتها « المفعول لاجله »

ولكن يظهر ان مثل هذه العبارة قديم في لغتنا ، وان كان لم يشع كما هو شائع الان على السنة الجماهير ، ومن ذلك قول الشاعر بشار بن برد (ت ١٦٦ هـ) في ضيقه بفساد الزمان ودعوته الى الشراب للتسلي عنه

فاشرب على أُبْنة الزمان فلا
تلقى زمانا خلا من الأُبَن

ومعنى «الأبنة » اصلا « الفساد »

ومثله قول الشاعر الكبير ابي نواس (ت نحو ٢٠٠ هـ) في احدى خمرياته ، يدعو الى الشراب احتفاء بموسم الربيع وتجدد الطبيعة فيه

اما ترى الشمس حلّت الحملا[١]
وقام وجه الزمان واعتدلا
وغنت الطير بعد عُجمتها
واستوفت الخمر حولها كملا[٢]
واكتست الارض من زخارفها
وشي ثياب تخاله حُللا
فاشرب على جدّة الزمان ، فقد
اصبح وجه الزمان مصلا[٣]
من قهوة تذهب الهموم فلا
ارهب فيها الملام والعذلا[٤]

ومن احدى خمرياته في استقبال الربيع قوله ·

فاشرب على جدة الزمان ، فقد
وافى بطيب الهواء معتدله
من قهوة تذكر السرور وتنـ
ـسي الهم عند اعتراض مُشكِله[٥]

---

(١) الحمل أحد الابراج الاثني عشر التي تتنقل فيها الشمس في رأي العرب . وهي تحل هذا البرج من ٢١ من مارس (اذار) اول فصل الربيع ـ الى ٢٠ من ابريل (أيار)

(٢) استوفت حولها كملا أي تمت عاما كاملا

(٣) مصلا مصلا

(٤) القهوة الخمر والعذل اللوم ، ومنه العاذل والعذول في الحب وغيره ، والعاذلة والعوادل .

(٥) المشكل . المشكل الذي يحتاج الى حل حتى يذهب الضيق بسببه

(٦) نصوص أبي نواس هنا منقولة عن ديوانه الكامل

(٧) مجلة المورد العراقية المجلد /٥ العدد /٣ص/١٧٢

بقلم : محمد خليفة التونسي

انسان و انسانة

ومن اشهر خرياته قصيدة مطلعها

لا تبـك ليلى ولا تطـرب الى هند
واشرب على الـورد من حمـراء كالورد
كأسـا اذا انحـدرت في حلـق شاربها
أجدتـه حمرتهـا في العـين والخد[6]

والشاهـد هنا قولـه « واشرب على الـورد » أي احتفاء به

ويقول معاصره الشاعر بكر بن النطاح المتوفي سنة ١٩٢هـ وقد هجرته محبوبته

أأشرب الخمـر علـى هجـرها
إنـي ـ اذن ـ بالهجـر مسرور[7]

ومن اجمل القصائد الصوفية واشهرها قصيدة ميمية في الحب الالهي لشاعرنا عمر بن الفـارض (٥٧٦ ـ ٦٣٢ هـ) يتناشدها اهل الأذكار منها هذا البيت :

شربنـا علـى ذكر الحبيب مدامه
سكرنـا بهـا من قبل ان يخلـق الكرمُ

ولا نعدم خلال مطالعتنا في كتب التراث مثل قولنا « ارتقى سعيد منصبه لا عن جدارة ، بل على وجـه أخيه » اي مراعاة لجاه اخيه .

ويلاحظ ان الحرف « على » في كل هذه العبارات يبين السبب فهو مثل لام التعليل في معناه .

وكانت كلمة « انسانة » قد وردت ـ من غير قلمنا ـ في عنـوان مقالـة لنـا ، موضوعهـا شخصية شاعرتنـا العظيمة « الخنساء » (العربـي/٢١٠) ، فانـكر علينـا احد القراء استعمال « انسانـة » وذكر أنهـا لم ترد عن العرب ، وقد اجبناه حينئذ (العربي/٢١٧) بما يقطع بورودها عن العرب منذ الجاهلية ، ونضيف هنا الى ما ذكرناه آنفا نصـين : أحدهما في ديوان أبي نواس ، يصف علته بالفواق (ترديد الشهقة العالية) من جراء امرأة تعلق بها ، اسمها « سمجة » اذ قال :[8]

اعتـل بالمـاء ، فادعـو بـه
لعلهـا تـنزل فـي المـاء
ويعلـم الله علـى عرشه
مـا طبّيَ المـاءُ ، ولا دائي
الا لمـا ألـقى بانسـانه
محتـالـه فـي نعـل حناء[9]
لـوظفِرت كفـى بهـا مـرّه
أكلـت فـي سبعـه امعاء[10]

وفي كتاب « الحيوان » للجاحـظ (طبعـة الساسي ١٠٤/٢) ما نصه « ويقال . انسان وانسانـة ، وسبع وسبعة » للتفرقة بين المذكر ومؤنثه ■■

(٨) وردت الابيات في اول قصيده من الباب العاشر ص ٣٤٧ (الديوان الكامل)

(٩) أي قدمها مصبوغة بالحناء ، كأنها نعلها

(١٠) يشير هنا الى ما جاء في الأثر ، من أن المؤمن يأكل في معى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء .

خطاب الى صديق



احى الصديق ، أسفي عليك اذ يزور الناس اد سمعون اسمك ، وكأنهم ما سمعوا شيئا ، عيونهم تبهت النظرة فيها وتتوه ، وكأني اكلم اصناما بلا حياة ، او كأنهم يسمعون كلاما بلا معنى اسفي عليك

ـ سمح يا سك الى الداخل قليلا فلست استطيع ان اريح قدمي واخشى ان ادوس قدمك

ـ اسف ولكن تفضل ، انت تعرف من امامي يضغطون ، ومن يغمون خلفي يدفعون بكل قوتهم ولا مكان لا مكان لشيء ، ولا حتى لقدم

ـ اذن عذرا

ـ اعرف ولا اعتذار

ويمضي قطار المترو اللعين والصباح بعد طفل في يقظته ، والعيون وسنانة ، والايدي متهالكة ، ودفع الاجساد لين صراخ سقيم والروائح باهته ، والمترو يمضي في صخبه يهز الاجساد ، والأذرع الممتدة تتلمس ما تستند اليه ، والسيقان الملتصقة تريد أن تجد مكانا للأقدام اى مكان اى مكان اى مكان

لهفي عليك ، رسالتك الباكية جاءتني منذ أيام ، وانا كلما قرأتها ملأت عيني دموع لاتريد ان تظهر للناس ، فهي ضعفك وضعفي ويحي وويحك من الناس ، لو يعلمون ، هو ضعفهم ايضا ، هو تعاستهم وحزنهم ، ولكنهم لا يعرفون ، ابدا لن يعرفوا كيف يعرفون والرخ يفرد جناحه على المدينة وسطها بيضته العالية القاتمة المقيتة ، شور ان أحد اقترب من البيضة ، شور ، ويخاف ان تعرف هو جبان نعم الرخ جبان يخشى ان ينفتح القشر عن البيضة فيفوح العفن ، ويظهر العفن ، وتزكم رائحة العفنة الانوف المخدرة بالعطور المسورده

ـ يا استاذ من فضلك ، اضع الشنطة فوق الرف ان لم يزعجك

ـ لا ، عفوا ، هاتي الشنطة يا مدام ، احطها انا دونك

بقلم : فاروق خورشيد

- لا ، كل ما ارجوه هو ان تضعها فوق الرف فهو بعيد عني

- امرك ، هاتها ، فالرف قريب جدا مني ..

- شكرا يا استاذ .

- عفوا يا آنسة . آسف عفوا يا مدام .

- لا بل آنسة .

- اذن لم اخطىء ؟

- ابدا

- تقدمي الى هنا خطوة تستريحين ..

- اشكرك ، فعلا هذا احسن اشكرك

- ثم تردد عجلات القطار فى انتظام رتيب .

- اشكرك . اشكرك .. اشكرك

واهمس لنفسي وانا اطرق، فيندس رأسي فى كتف رجل يقف امامي

- أرحمك ارحمك ارحمك



ويمضي القطار .. وتجرى الحقول الخضراء ، والمنازل الواطئة ، وأعمدة التلفون ،وأناس يقفون عند المحطة لا يقف عندها المترو العتيد المندفع .. يصخب ويجرى ، ويلهث ويجرى ، ويندفع ويجرى

ويزور الناس حين يسمعون اسمك ، كأنك لعنة تقود الى قدر مخيف ، كأن حروف اسمك لعنات ينتظرها رجال مجهولون يقفون خلف المقاعد ، امام المقاعد ، حول المقاعد ، ليمدوا أنيابهم العفنة الى كل من سمع الحروف ولم يستنكرها .. الى كل من سمع الاسم ولم يزور ، الى كل من صافح سمعه اسمك ولم يصرخ . لا .. لا لا أعرفه .. والمترو يمضي في صخب يصيح ...

- لا اعرفه .. لا .. لا اعرفه .. لا . لا اعرفه .

وفي الركن المنزوى المضغوط همس غريب .

- الاترى . ماذا يظننا هذا المأفون .. عميانا لا نرى + .

- ماذا تعنى ؟

- الولد الخنفس ، صاحب الشعر المنسرح الطويل الا تراه ؟

- هناك عند الشباك

- لست ارى الا مزيجا من احساد ، والوان ثياب ، وحركات رؤوس

- ذلك انك اعمى لا ترى .. غر لا تفهم .

- فماذا ارى وماذا افهم ؟

- الولد الخنفس . .

- ماله ؟

- يحتضنها كلها . الست تراه ، انه يحيطها بذراعيه وساقيه ، ويدس رأسه بين خصلات شعرها كأن احدا لا يراه

- استغفر الله يا رجل . هى الزحمة

- زحمة .. ؟ .

والقلم لا يستطيع الكتابة فهى تمسكه بيدها لألتفت اليها ، شفتاها رحيق من عبق غريب لارض احلام لم يطأها قدم بشرى ، وهمس شفتيها عبث الكلام عند

الشفق ، والقلم يتعثر ، ويصمت ، ويكف . وانا لا ادرى .. اين انا .. شفتاى تغوصان فى شفتيها ، وجسدى كله يرتجف ، فانا املكها ، هى تمتلكنى كلى وتهمس .

ـ لماذا القطـــار ؟ ولماذا هذا السيد .. ارجــوك كن معى .. فأنا اريدك .. اضيع فى عطر وبخور ، وضوء خافت ، وموسيقى ، وشراب كالرحيق ، وانفاسها بقـايا احلام وسحر ، واهمس

ـ ابدا انا معك . من سيد ؟ ومن الف سيد يا حلوة ؟ أنا لك أنا لك ، أنا لك والمترو يصيح فى جلبة .

ـ انا لك ... انا لك . انا لك .

وتتأود وتهمس

ـ يا مجنون

ويعود المترو من حديد يصيح

ـ يا مجنون . يا مجنون يا مجنون

يا الهة المتعة ، يا اله العذاب ، يا الهـة النسيان ، حسبك لحظة فهو صديقـى وأنـا لا اريد ان اسـاه عفوك اترك لى الا اساه حتى وسط كل متع الدنيا ولذات الوجود لا اريد ان اساه فهو لم ينسنى وسط كل تعاسات الدنيا وضنك الوجود ، ابدا لم ينسى وانا لا اريد ان اساه ويحه ، اسمه وصمة حتـى للمـرأة المباحة ، اسمه وصمة لا تريد ان تعرف انها عند انسان يعرفه يا ضياعك يا صديقى يا صياعك وتمضى اللحظـة الحلـوة ، واشرب كأسى ، واذكرك ، وحـدى اذكرك فهى لاتريد ان تعرف اسى اعرفك عفوك فهى تخاف السلطة ، ورحال السلطة ، واذان السلطة ، وشفاه السلطة ولكنها تحب نقودى ، وانفاسى ، وكلماتى المحمومة ، ولمسة يدى الصارخة بكبت طال حتى غدا سعارا يحرق القلب والانفاس واليد والجسد ، ويحى من الجسد اعذرينى يا حلوة فصديقى غائب لا يجىء ، وحين اذكره أسى ضياعى وضيقك وأحب ، ويحك ، ان اسى العفـن واسمـك كالصـدود وكالسحـر ، كالطلسم ، ولكنى صاحب الطلسم المسحور ، صنـع بالحكمة ، ويبوح بسره للحكمة .

ويصيح المترو فى حركته الصاخبة وهو يشق الهواء شقا ..

ـ لا انساك لا انساك . لا انساك .

ـ تسمح ..

ـ ماذا ؟

ـ سيجارتك مشتعلة ، وليس معـى كبـريت ، هل اشعل سيجارتى من سيجارتك ..

ـ تفضل .

ـ ارجو الا يضايقك هذا ..

ـ ابدا تفضـل

ـ شكرا

والمترو يصرخ وعجلاته تئز ..

ـ شكرا شكرا . شكرا .

ويقول المذيع الديني . صديقك تعرفه يقول فى نهاية برنامجه المسجل من المدينة الجريحة .

ـ شكرا شكرا من مدينة السويس ـ

واغلق الراديو وتثور فى قلبى عواصف وتطفر الى عيسى دمـوع هى دمـوع الغيظ والـذكرى والامـل المخنوق ، وانه مأبون لعله مأبون من يدرى ؟ فالمأبونون يندون كل حلم فى دنيا لا رجال فيها ولا نساء ولا وحود الا لأشباه الرجال وأشباه النساء

ـ الا ترى الخنفس ؟

ـ اخفض من صوتك ربما يسمعك

ـ وماذا فى ان يسمعنى الم يطـل شعره كالنسـاء ليسمع همس الرجال عنه

ـ لا تنس تأوهات النساءحوله

ـ اشك .

ـ انت لاتعرف النساء .

ـ ربما ولكن حاذر . فهو يلتفت ناحيتنا

ـ ورق .. ورق

ـ قاطع التذاكر

ـ هو بعيد فى آخر العربة .

ـ لا يمنع هذا ان نعد له النقود .

ـ وسط هذا الزحام كيف يمكن ان نعد له النقود ؟ الا اذا اردت ان ترشد النشالين الى مكان المحفظة

ـ المحفظة . قل يا باسط ليس فيها الا قروش .. هل يوجد الان نشالون . وان وجدوا .. ملاليم ارزاقهم او قروش

ـ حتى النشالين

ـ حتى النشالين يا سيد .
ـ ورق .. ورق . ورق ..
ـ والمترو يأكل الهواء اكلا فيصرخ الهواء تعاسة ، وألما ، والمترو عجلاته تصيح فى رتابة .
ـ ورق .. ورق .. ورق ..
... ...

اخى الصديق سيد .. هل تعرف معنى السأم ... ان يغدو كل شيء ككل شيء حتى صدر امرأة ، وبقايا كأس ، وازدهار وردة ، وبسمة عذراء ، لا شيء .. وانما سأم وعدم وموات ، والعرق ينداح على الجباه ، وتحت الابط ، ومن الشعر عند الرقبة ، وتفوح رائحته من الآباط ، وروائح وروائح . والعربة تهتز وتجرى .. وقاطع التذاكر يصيح وهو يخبط فوق أعمدة العربة الحديدية ..

ـ ورق . ورق .. البيك ورق .. الهانم ورق .. ورق

ـ صدق فما نحن الا ورق . ورق .
وانت تعرفه كان صاحبا لك قال وهو يتحاشى ان ينظر فى عينى ..
ـ لم اره . فقط كنت أعبر المدينة الغريبة ، وسألت عنه ، وعرفت انه بخير ، وانه ناجح + .

ولم اره .. اقسم ، لم يكن هناك داع لان اراه ، فنحن كما تعلم نعمل في حقلين منفصلين .. لم يكن هناك داع بالمرة ، وتلفت حوله وفى عينه نظرة أرنب مذعور ، وحركته حركة عصفور يتأهب ليفرد أجنحته ويطير ، والرعب يهز قلبه الصغير .. وهززت رأسي وقلت :
ـ افهم .. مالك وماله ..
قال وهو يرفع صوته ويفرد صدره ..
ـ ليس له حق فيما فعله شيء زائد عن الحد .. ولست ادرى كيف اقدم عليه .. لا .. لا . هو مخطيء .. مؤكد هو مخطيء ..
وبحثت عن عينيه ولم اجدهما ، فقط صدمنى شموخ الانف فى ترفع ، وهزة الكتف في تعال ...
واطرقت رأسي ، وصمت ..
آخر الليل كنت تأتي منكس الرأس محنى الظهر ، فى الوجه قتامة ، وعند العينين ذبول ، ولكن الانف أشم ، والبسمة المرسومة تتحدى وتقول في صوت صاخب هو مزيج من التعب والألم ، والمرارة والعناء والخوف والتحدي واليأس .

ـ التاكسى لم يكمل ثلاثة جنيهات اليوم ، ومع هذا جبت القاهرة من أقصاها الى أقصاها . أسطى ، الى الزمالك .. من هنا يا اسطى . وقف يا اسطى .. فاضى يا اسطى . بين السرايات من فضلك .. البيت الثالث على اليمين . وظهرى يوجعنى . وآلام (عرق النساء) تفتك بى فتكا .. وابن الكلب حاقى ومعه قفة ، امبابة يا معلم » .. واضبط العداد .. فنحن لا نأكل من حركات السواقين تأخذ سيجارة ، وحياة النبى انت مجدع وافندى متعلم كمان تعيش المجدعة .. عندك هنا .. تأخذ فخدة ضانى من الجزار معنا ... لحظة يا معلم ، ونكمل المشوار . المزاح مزاح تأخذ سيجارة . والله افندى ، وابن اصول ، ما هى الأيام ترمى ابن الاصل .. يا سلام يا زمن .. بينا يا سطى على امبابة .

والمترو يصيح في رتابة .
ـ امبابة . امبابة .. امبابة ..
وتصرخ المرأة في عنف .
ـ ارجوك حاسب .. ابعد قليلا .
ويصرخ الرجل في ضيق .
ـ يا مدام .. انا بعيد عنك . لم اقترب .. ولكن المترو يدفعنا فى حركته فارجوك .. اعذرى .. وتصرخ المرأة فى عنف وكأنها لم تسمع .
ـ ارجوك .. حاسب .. ابعد قليلا .
ثم تزيد في شراسة ..
ـ اليس في هذا المترو رجال يغارون على النساء .. ؟
وكأنما أثارت معركة .. صاح واحد من نهاية العربة لم ير شيئا ، ولم يسمع الا كلمات المرأة الأخيرة .
ـ النذل .. اليس له اخوات ؟ .. اليست له زوجة ؟ .. الا يفهم ؟ .. الا يحس ؟ .. وصاح صبى عند الباب وجهه اندس بين زدفي امرأة وساقى عجوز ..
ـ استغفر الله العظيم ، لا يستحى ابدا ، هو كل يوم يفعل فعلته هذه في كل مترو وعند كل صباح .. يا سبحان الله العظيم .

ومصمصت امرأة عجوز شفتيها وصاحت بصوت ملأ العربة كلها

ـ جيل ملاعين ، لا حرمة للحريم اين نذهب يا الله اين نذهب ؟. وهؤلاء الكلاب ينهشون لحمنا في كل مكان . يا سبحان الله يا سبحان الله

وهمس صبي لامع العينين متوفر الحركات مضطرب الشعر

ـ تظن نفسها امرأة

وقال آخر يضم كتفه الى صدره ويجيل نظرته حوله في قلق كأنما يخشى ان يظهر له الناظر من وراء مقعد او من خلف اي راكب

ـ الغلطة غلطتنا

فعاد الفتى العريض الحلو العينين المترجرج الشعر يقول

ـ غلطتنا او غلطة المواقف وراءها سيان هي عجوز . وان تقول هذا الكلام يعني ان هناك من أخطأ

فهمس صديقه الخائف وعيناه تدوران في قلق

ـ الغلطة غلطتنا

وعند الباب ولد وبنت ملتصقان ، يهمسان ، الشفاه عند الشفاه ويدها تعبث بصدره ، وقميصه مفتوح وشعره الكث مباح لا ظافرها الملونة الحمراء

وقال الولد

ـ لاتنظر اليه هو فتوة المدرسة

وهمس صاحبنا المرتجف هيا يا وحلا

ـ ولكن من معه

ـ الا تعرفها

ـ لا .

ـ هي بثينة أجمل بنات المعادي وأكثرهن شقاوة ، لا تنظر اليه وإلا ظن نظرتك تحديا

ـ ولكنها تلعب في صدره وشعره

ـ اتركها وانظر الى وقل لي ماذا فعلت العجوز

ـ تلتصق بالاستاذ امامها ، وبالمعلم وخلفها وبالولد التلميذ الى يسارها ، وبصاحب اللبدة الى يمينها . ومع هذا اسمعها وهي تصيح من جديد

ومن وسط العربة جاء صوت العجوز الحاد

ـ جيل ملاعين اين اباءنا لم يكن رجل يستطيع ان يرفع عينه الى سيدة ، كان يقف لها لتجلس في الوراء وفي الترام والتروللي بس . لا لم يعد في هذا الجيل رجال وتنحشر بين رجلين وتتنهد وتتلوى عيناها ، وتدفع كتفها الى رجل ، وساقيها الى رجل ، وعجزها الى رجل وصدرها الى رجل ، وتهمس في صخب

ـ لا جيل الرجال انقضى . عشنا ورأينا النساء تقف في القطار يا بؤس الأيام

...

تعس عليك ، يا بؤس الأيام وأنت وحدك هناك تصنع الكلمة ، وتصنع الى جوار الكلمة كلمة ، لتخلق مشرقا وعرة ، وتحس كيانا وصعودا ، وتقول وحدانا ملأك فأصحرك يابعسك ما أبأس ان تقول ما في قلوبنا هذه الاناء ، ما اتعس أن نعيش ما نؤمن به كذبا يلفق حول الكلمات فاذا هي حبال من حرير ، لا ، بل من كتان مصري أصيل يحيط العنق ، ويضغط ، مرة في رفق ، ومرة في عنف ، ولكنه يضغط ، ويضغط ، والهواء يروح ، والانفاس تضيق وتتحشرج والعمر يصيع ، ويصيح كلب

ـ خان فاشنقوه

وتصيح مومس لم تجفف أسافلها بعد ان تركها آخر عميل

ـ عمن ، هو عمن اشنقوه فقد كذب الخديوي ، ورفع يده ضد السلطان ، وصاح بكلماته يشتم الملك . اشنقوه ثم اشنقوه فهو عاهر هو عاهر هو عاهر

لهفي عليك من العواهر قطعن الانامل حين بدا محيا يوسف ، أعضين الطرف حين اشتاق فرعون الى امرأة ابراهيم لهفي عليك من بلد تعيش بأسافلها ، من قوم أحبوا أسافلهم فعبدوا الاله (ماعو) وقدسوه ، وأقاموا له المعابد ، ثم ركعوا لا يقومون ابدا لا يقفون

والولد يقول .

ـ الغلطة غلطتنا .

والقطار يهتز ويصرخ .

ـ غلطتنا غلطتنا . غلطتنا .

وتمر أعمدة التلغراف ورجال منحنون أمام ساحات من الخضرة الممتده ، وأبقار تضع رووسها وسط الخضرة ، وصبحة فلاحة حلوة ترفع يدها تحيى القطار وهو سير

ما احلاها ، برج هواء الصبح ثوبها ، ويلعب نسيم الصباح بخصلات شعرها ، والقطار يمضي ويمضي في اصرار لا يعرف الوقوف ولا السكينه وهو يصرخ حين تمر عجلاته بالقضبان

- هي غلطتنا هي غلطتنا هي غلطتنا

وانت تعرف جيدا انها غلطتنا

ام لا تعرف ؟

نعم عليك لو كنت نسيت يا نعم عليك فالنسيان يقتل كل شيء ، النسيان يضيع ما بقى في قلوبنا من نبض ، وما في حلوقنا من عفن ، وما في افئدتنا من مرارة ويوم نفقد هذا كله نفقد سبب ان نعيش ان نوجد . ان نحيا بين الاحياء

وتقول وهل نحن نحيا اقول بل نحن الحياة يا صديق نحن الحياة

- بعلاوة المصنع هذا الشهر قلت اشترى كيلو ريش ، اشويه مع الاولاد ونصهلل

- ضاعت العلاوة

- ولا يهم المهم أن نحس ان لنا وجودا اننا نعيش ، شيئا جديدا يحدث في حياتنا ، وحياتك جلسنا في البلكون واوقدنا الفحم ، وشوينا اللحم واحد الاولاد يتبارون في اكل اللحم الذي لم يتم شواؤه ، والصراخ والزعيق ، وكانت جلسة ليس كمثلها جلسة

- تعب سنة تضيعه في يوم

- يا سيدي وكم ضيعنا

وانت وانا ضيعنا ، يا كم ضيعنا . تعس على ما ضاع باسم الكلمة ، واسم الشرف ، واسم الكرامة كل شيء شواء تفوح رائحته ، فتزكم الانوف وتمتد الاسنان الشرهة تأكل كل لحم فينا كل عرضنا كل ما عندنا كل ما ابقينا من أجل معنى الكرامة والوجود ويمضي الآكلون ونحن لا نكون الا العظام المهترئة الفقيرة بالندف من بقايا اللحم لا نحن يا أخي سيد نحن لحوم لا يأكلها أحد وانما ترمى للكلاب

وارتفع جرس المزلقان يحذر العربات على جانبي القطار وبأخذ القطار يهدىء سيره ، والكل وقف ، وازداد التصاقا ، ورائحة العرق والعطور الرخيصة وبقايا ليل معلق بالاجساد وصاح واحد من

- الرجاء في النزول والزحام في الصعود والزحام في الوقوف ما هذا يا عالم

ورد عليه صوت وقح يصيح بشاب معتم جاهل

- الرجاء للجدعان ، الولايا يفسحون الطريق للرجال

وصاح ثالث في تهكم فظ

- الك رقيق يا رجال حاسب على قدمه يا ابا عبده

وانطلقت ضحكة جماعيه اشترك فيها اكثر من فم ، يخرج من الضحكات دخان باهت عقيم ، ووقف القطار فاهتزت الكتلة السميكة ، واندفعت من الباب الضيق في معركة بالأيدي والأكتاف والنكات الوقحة وتدافع آخرون يردون النازلين ويعوقونهم ، فهم أيضا يريدون الصعود ، وتذكرتك ، وابتسمت في هدوء فأنت لا تحب من ينزلون ابدا ، ولا تحب ان تكون بينهم ، وانما تحب ان تكون ممن يزاحمون على الصعود ، واخذت أتأمل الوجوه المندفعة من فرجة الباب تشدها كتل تريد ان تنزل

عينان لامعتان متوهجتان برغبة مكبوتة رغم الصباح ، وفم امتلأ بمسحوق اختلط بعرق بدأ يتسلل عبر طبقات المسحوق الملون الرقيق ، وشعر ارتفع الى أعلى في ضمه كلها كبرياء ، وفي الوجه حزن غريب وفم أحدب من كل سن ، تلتحم شفته العليا بلحم شفته السفلى المتدلية في اصرار أخرق لا معنى له ولا حياة فيه ويد تدفع ، وقدم تضرب ، وصيحات صيحات صيحات صيحات

ولم يكن وجهك بينهم لم تصعد وسطهم رغم ان عشقك الأوحد كان ان تزاحم الصاعدين . الوجوه الصاعدة وجوه ماتت .. جماجم تحدث عن كفن كبير ، كفن جماعي يحتوى الكل في صمته القاسية الواحدة ، ويروح يعربد بهم في طريق مجهول اهوج ، وينزلون كما صعدوا ، صما لم يسمعوا . خرسا لم ينطقوا . حتى تعليقات الوقاحة وزقات الاقدام ، وبصقات النفوس المريضة لا يحسون بها ابدا لم اجد وجهك بينهم .

ونزل كل النازلين ووقفت انظر الى رصيف المحطة المزدحمة ، المتاوج ببشر من كل شكل .. الف عين تتطلع ولا ترى .. الف اذن تتسمع ولا تسمع .. الف الف انف تتشمم ولا تشم .. لا ابدا .. ليست هذه محطتى .. ليست محطة الوصول ، ولكزتنى يد رقيقة ، وقالت الفتاة وهى تحرك شعرها المتاوج الأثيل ..

ـ اليست هذه هى محطة نهاية الخط ..

احنيت رأسى وعينى قد تاهتا في صدرها النافر المشدود بحيث يبين كله ..

ـ نعم ..

ـ لم لم تنزل اذن ..؟

ودهشت فنظرت اليها وفي عينى سؤال حائر ..

قالت :

ـ قالوا لى انزلى آخر الخط .. وقلت لنفسى سأعرف آخر الخط حين ينزل كل الركاب .. فأنا كما ترى غريبة عن المدينة ومواصلاتها .. وقد نزل الكل الا انت ، ولست أدرى الآن هل هى محطة آخر الخط أم هى محطة هامة ينزل فيها الركاب .. ويتحرك بعدها القطار الى محطة اخرى ..

في الصوت موسيقى حلوة .. لها رنة وفيها لثغة وغنة ، ومع كل كلمة يموج شعرها فوق كتفيها وصدرها بكل ثرائه ، وعريه .. وقلت ..

ـ هذه آخر محطة فانزلى ..

فهمست وهى تهز رد فيها ..

ـ وانت ..؟

وقلت ..

ـ لا ، أنا اعود ..

ـ انا غريبة عن البلدة ، تستطيع ان تدلنى ، فأنا لا اعرف الا عنوانا اعطوه لى على ورقة ولو كنت معى لاهتديت اليه ..

همست وانا اقتل كل نازع في قلبى وجسدى وخيالى الجامح ..

ـ ولكنى لن انزل .

وهزت كتفيها ونزلت ، ونظرت الى نظرة غريبة ، ثم رفعت كفها البض في تحية وداع وعند شفتيها سخرية ، ومضت ...

ووقفت عند باب القطار وحيدا .. والقطار خلفى ملآن ، وبين الحين والحين يدفعنى كتف انسان متسرع ، يريد ان يصعد ، ويحى ما اكثر متسلقى الابواب المفتوحة في هذه المدينة .

ولكنك لم تكن في انتظارى في المحطة ، بل لم يكن هناك في انتظارى احد على الاطلاق . والمحطة نفسها غريبة .. وضجة المدينة الصاخبة أسمعها من بعيد ، كلها لهاث وسبات ، وتجديف ، وهمهمات مريضة حول أجيال وأجيال من الموتى .. أصواتهم تأتى من الجبل البعيد ، عبر الترامات ، وكلاكسات العربات ، وتزييق الاتوبيسات ، وصياح الباعة ، تحتج كالآهات الشريدة الصامتة لا يسمعها الا انا .. وانا اقف وحدى والقطار يصفر ليبدأ رحلة العودة من جديد ..

...

تعسى عليك كل شيء يبدأ من جديد . كل شيء ، ياتعس الايام ..

تمضى حاملة الحيوية والشباب واليقظة ، ولا تأتى الا بالرتابة والعفن والضياع ، تعسى عليك .. وعلى التائه الشرود ... لا يعود .. لا يعود .. لا يعود وتدور عجلات القطار من جديد تردد مع قلبى ..

ـ لا يعود .. لا يعود .. لا يعود .

ويمضى القطار ويصيح صوت حاد لامرأة بدينة ينداح عرق الضحى فوق جبينها المجعد .

ـ جيل ملاعين .. لا رحمة للحريم .. اين نذهب بالله .. اين نذهب ، وتردد عجلات القطار تزيق فوق القضبان بصوتها الصدىء الاجوف الحزين .

ـ اين نذهب .. اين نذهب .. اين نذهب ..

وأهمس لنفسى في استسلام وصمت ..

ـ يالله ..

وتدوى صفارة القطار ، وأمضى وحيدا ، وانت بعيد .. تعسى عليك ..

انت بعيد .. انت بعيد .. انت بعيد .

وتقول عجلات القطار ..

ـ انت بعيد .. انت بعيد .. انت بعيد .. ■■

فاروق خورشيد

حوار القراء

الديمقراطية

● اثبتت الوقائع التاريخية في النصف الثاني من هذا القرن ان الديمقراطية هي العامل الاول في بناء صرح التقدم والمدنية حتى ان بعض الدول التي كانت تستعمل سياسة كم الافواه اخذت في الاونة الاخيرة تتراجع عن هذا الاسلوب لتمنح المواطن قدرا اكبر من الحرية التي هي حقه الاول في الحياة ، ونحن حين نطالب بالحرية اولا نقصد بها الحرية التي لاشطط فيها ولا تفريط وهذا حق لكل منا اليس كذلك ، وليأخذ بعدها الوطن منا التقدم المطلوب ٠

محمود الارناؤوط

فينا ــ النمسا ٠

ايهما اصح

● في العدد ٢٤٨ من مجلتكم الغراء ، ورد في موضوع (كلمات فارسية نستخدمها كل يوم للدكتور محمد التونجي) ان كلمة زرياب معناها ماء الذهب ، ومركبة من زر بمعنى الذهب ومن اب بمعنى ماء ٠

ان معنى كلمة زرياب كما فسرها الكاتب صحيحة اذ انى اتقن احدى اللغات الاوربيــة وهي وثيقــة الصــلة باللغــة الفارسية وبدون شك ان كلمة زر بكسر الزال تعني الذهب ، والفارق بسيط :

ان كلمة (اف) لا آب تعني ماء ٠

وان معنى ماء الذهب يعني اف زر وليس زرياب ٠

وللدكتور احمد مختار العبادي راى آخر يغصه في كتاب « تاريخ المغرب والاندلس » وخلاصته ان كلمة زرياب كلمــة فارسية معناها طائر اسود اللون حسن التغريد ٠

وزرياب لقب كان يطلق على (ابو الحسن علي بن نافع عاش في القرن التاسع الميلادي وكان نابغة في الموسيقى في زمنه ٠ وبالفعل كان اسود اللون ، حسن الصوت ترك بغداد لشدة المنافسة بينه وبين استاذه اسحاق الموصلي ، واقام في قرطبة في عهد الامير عبد الرحمن الثاني (٨٢٢ ــ ٨٥٩) وبها اختــرع مضراب العــود من قــوادم النسر ، واعطى الكثير للموسيقى الاندلسية ٠

فايهما اصح قول الدكتور التونجي ، أم قول الدكتــور العبادي ؟

عبد الله محمد حاج عبده

قرية كفر صفرة/الجمهورية العربية السورية

نظرية التطور

● ان الكثير من العلمــاء يرون فجوات عديدة في نظرية التطور تكاد تجعلها تنهار من الاساس وان كانــوا يؤمنــون بقــاعدة بقــاء الانسب التــي اثبتتها نظرية النشوء والارتقاء وهذه النظرية (نظرية بقــاء الانسب) ليست حديثة ، فقد تحدث عنها القرآن الكريم قبل اربعــة عشر قرنا حيث يقــول الله تعالى « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفــع النــاس فيمكث في الارض » ويقول سبحانه « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق »

ومن اشهــر الاعلام المعــارضين لنظرية التطور كوفيه واجاسيز وفرنجــو وغيرهــم ، واعظــم المعــارضين لهــا في العصــر الحــديث بروفســور فيالشــون استاذ علم الاجنة بجامعة مونبلييه وعميد كليتها الطبيــة واعظم علماء التشريح المعاصرين وقد اصدر كتابا ناقض فيه نظــرية التطور اسمه « أصل الكائنات الحية » وخرج فيه بان لعوامل البيئة والوراثة اثرا هاما في احداث بعض التغيرات في بعض الكائنات الحية ولكنها لا يمكن ان تحول نوعا منها الى نوع آخر ٠

ادم العبيد علي الوديع

أم درمان ــ السودان

استطلعوا الموصل

● الموصل مدينة تتمتع بسحر كبير يجذب السياح من كل مكان لمشاهدة آثارها العظيمة لانها كانت عاصمة الدولة الاشورية فى الماضى .

وظلت الموصل قبلة الانظار فى الحاضر ، ففيها تقام مهرجانات الربيع والكشافة ، وغاباتها المطلة على نهر دجلة متعة للناظرين بالاضافة الى المساجد والقباب والمنائر التى تزخر بها هذه المدينة ، كذلك تعتبر جامعتها المسماة باسمها مفخرة من مفاخر العراق .

مدينة كهذه الا تستحق الاستطلاع ؟ شهاب احمد

نينوى ـ العراق

القاموس واحد

● فقد جاء فى العدد (٢٤٨) من مجلتكم القراء وفى مقال « قاموس واحد : من الميكروب الى الانسان » للدكتور عبدالمحسن صالح فى الصفحة ٢٢ ان المرحلة الجنينية ذات الطبقات الثلاثة تبدو امام العقل البشرى بمثابة ظلمات ثلاث وهذا نعم التصوير ولكن الاجدر هنا ان يربط الموضوع بقوله تعالى : «يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » سورة الزمر آية (٥) .

واوضح العلم فى مجال الطب اخيرا ان المقصود بالظلمات الثلاث هى الطبقات الثلاث السابقة الذكر والمسماة بالساقط والكوريونى والامينيوسى والموضوع موضح فى الجزء الاول من كتاب الطب محراب للايمان للدكتور خالص كنجو فى الصفحة ـ ٨٠ ـ .

وختاما اتقدم بالشكر للدكتور عبدالمحسن صالح على موضوعه اللطيف .

جمال عباس جواد

بغداد ـ الجمهورية العراقية .

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى

● فى الصفحة اللغوية التى نشرت بهذا العنوان فى العربى (العدد ٢٥٠/ص ١٣٦) وقعت بعض التحريفات ، وهذه ابرزها :

١ ـ جاءت عبارة هكذا « وكانت المعركة بين القديم والجديد فى الادب على اشدها فى مصر والشام والعراق ـ يومئذ خلال الحربين العالميتين»

والصواب « فيما بين الحربين العالميتين »

٢ ـ وردت كلمة «المفكرون» اكثر من مرة ، والصواب « المنكرون » وهم الذين انكروا على العقاد قوله : « انا الذى ما لان فى صعب الحوادث مقودى » .

٣ ـ وردت عبارة « واحضار ذلك لنا ، كى يراه ماثلا امامنا » والصواب » كى نراه ماثلا امامنا » . م٠غ٠ت

استطلاع عن فلسطين

● فلسطين حرمناها ارضا ووطنا ، لم نعد نراها ، فلا اقل من ان نراها عبر استطلاع مصور فى مجلة العربى والسؤال هل من سبيل الى ذلك ؟؟

احمد دكشى

الرصيفة ـ الاردن

رسالة السينما العربية

● السينمائيون العرب يبررون فشلهم فى خلق افلام جديرة بان تفتح ابواب العالم امامنا بجملة غريبة هى ان الجمهور العربى يريد مثل هذه الافلام .

والحقيقة ان رسالة السينما تتعارض وهذه المقولة .. فالسينما كوسيلة من وسائل الاعلام تنحصر رسالتها فى تثقيف المواطن العربى وبنائه فكريا وخلقيا واجتماعيا .

عبد الرحمن كامل

شرقية ـ مصر

التوراة

واذ اقول التوراة فاني لا اطلق اللفظ تعميا على اسفار العهد القديم جميعا ، وانما اعني تلك الاسفار الخمسة التي يختصها اليهود بذلك الاسم ، والتي يعتبرونها اسفار الشريعة ، ادعوا ان موسى عليه السلام هو صاحبها ، الهمه الله اياها ، في حين يطالعنا الكتاب الكريم بما يدحض ذلك اذ يقول سبحانه وتعالى · « وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به » (الآية ١٣ من سورة المائدة)

باللغة العربية نفسها ، فهي لغة العلوم في تلك العصور .

وفي انجلترا تعمق في دراسة اللاهوت ، محاولا استخلاص سمة من اتساق للتناقضات التي تعج بها « اليهوديات » ، وفي فرنسا اصدر مؤلفات عدة في علم الفلك وفي الحساب ، ترجمت فيا بعد الى اللاتينية

تسجيل بالاجتهاد والهوى

راجت مؤلفاته في انحاء اوربا ، ذخرا للباحثين ـ يهودا كانوا ام مستشرقين ـ وتمضي مئات من سنين الى ان يهب العالم الفرنسي ريشارد سيمون ، فيصدر عام ١٦٧٨ ، كتابه عن « التاريخ النقدي للعهد القديم » ، ينفي فيه نفيا قاطعا نسبة اسفار الشريعة الى موسى عليه السلام ، مؤكدا انها مجموعة من مدونات مختلفة الاصول ، عكفت اجيال متعاقبة من احبار على اعادة تسجيلها باجتهاد وهوى ـ تحويرا وحذفا واضافة ـ حتى يتوفر عليها آخر الامر عزرا ومريدوه ، خلال القرن الرابع قبل الميلاد ، فتستقر على الوجه الذي تطالعنا به اليوم

وتقابل دراسة ريشار سيمون بفورة من غضب واستنكار ، ويتصدى لها اساقفة الكنيس الكاثوليكي ، وعلى رأسهم الكاتب الفرنسي الكبير « بوسييه » دفاعا عن قدسية « العهد القديم » ويستصدر قرارا باحراق نسخ الكتاب جميعا ، الا ان بضعة منها افلتت فتهرب الى الخارج .

ولكن الثورة على التزمت تعود فيقدح زنادها مرة أخرى ، يقودها ، واحدا تلو آخر ، بفاصل لم يتعد عشرات السنين ، رجلان من أبرز رجالات الجالية اليهودية بامستردام ، كلاهما يمت الى اصول برتغالية ، تسنى لها ان تنهل من تراث الحضارة الاسلامية الاندلسية المتفتحة .

اولها اوربيل اكوستا ، من عائلة تنصرت تحت ضغط التعصب الكنسي بمدينة اوبرتو ، ولكنه يفر ناجيا بنفسه الى امستردام ، وهي حينذاك ملاذ هجرات يهودية متكاثفة ، ثم ما يلبث ان يصطدم بتزمت احبار اليهود هناك ، فيعرض بهم عنيفا ، ولكنهم يتألبون عليه ، فيعيش منبوذا ، في عزلة قاتلة ، وقد حكموا بأن تحرق كتاباته جميعا .

اما ثانيها فهو الفيلسوف ذائع الصيت ، باروخ سبينوزا ، من عائلة برتغالية يهودية ايضا ، ولكنها كانت هاجرت منذ زمن ، ولد بامستردام قبل وفاة اكوستا بقليل ، فرض نفسه على الحياة الفكرية بعد دراسات متعمقة في ابواب الفقه اليهودي جميعا ، ما يلبث ان يضيق هو الآخر بسيطرة الفكر التلمودي الخانقة ، فيتعرض لنصوص التوراة ذاتها ، وتحل به ايضا لعنة التحريم من قبل مجمع الحاخامات

الا انه اصلب عودا من اكوستا ، ثم ان فكره المتوقد وجرأته الفلسفية اكتسحتا الحواجز والقيود ، فيرقى الى مستويات عليا في محيط الفكر الاوربي ، كما ان مكانته حتى بعد وفاته الى تصاعد مستمر ، وأراؤه الفلسفية اقوى من ان تحتويها الاغلال من اي نوع كانت

ومن ثم فان كتابه « دراسة في اللاهوت والسياسة » ـ يتضح فيه تأثره من جهة بالآراء الفلسفية التي تناولتها الدراسات الفقهية لموسى بن ميمون ، ومن جهة اخرى بالتعليقات النقدية على نصوص التوراة لابراهام ابن عزرا ـ هو بحق البحث الرائد للدراسات التي تتناول بالنقد والتحليل اسفار التوراة في العصر الحديث .

ظاهرة ازدواجية الروايات

جميعها دراسات حاولت ان تنفذ الى جوهر المضامين التي تحتويها النصوص ، غير مكتفية بالتفسيرات السطحية التي تقف عند المدلول اللفظي فلا تتعداه ، او تلك التي كانت تتخذ من النصوص تكئة فتطغى بهيمنة « تلمودية » لاقبل لاحد على الفكاك من اسارها .

جميعها دراسات كانت تسعى الى تحطيم القيود الفكرية ، وان تخلص من وتيرة الايمان الذي كان يفرضه التزمت الحاخامي ، فتنفذ الى لب العقيدة من خلال علاقة الرب بالظواهر الطبيعية التي تحيط بالبشر وتحتويهم .

تلك المحاولات الاولى شجعت الباحثين فيما بعد على اخضاع النصوص ذاتها لتحليل دقيق من حيث اصولها ، اذ يتضح ان هناك اختلافات بينة بين الاساليب والتراكيب اللغوية المستخدمة ، مما يدل على انها تعود الى عصور متفاوتة من حيث الزمان ، كما انها تحمل في طياتها وجهات نظر لا يمكن اعتبارها بان كانت متطابقة .

بل ويسترعي الانتباه ايضا تعارض من حيث التفاصيل المتعلقة باحداث بعينها . اولها روايتان متتابعتان ، افتتح بهما سفر التكوين وصفا لبدء الخليقة

في الاولى يخلق الله (الوهيم) الانسان على صورته ، ذكرا ثم انثى ، بعد ان كان ملأ الارض نباتا وحيوانا ، رزقا حلالا لها ولذريتها من بعد (تكوين الاصحاح الاول كاملا ثم ص ٢ حتى منتصف الاية ٤)

اما الرواية الثانية فإنها تقرر بأن الرب الاله (يهوه الوهيم) جبل آدم من تراب ونفخ في انفه نسمة حياة ، وذلك قبل ان يكون هناك ثمة نبات او حيوان ، فاذا ما امتلأت بهما صفحة الارض من بعد ، اشفق « يهوه الوهيم » على آدم من ان يتركه وحيداً ، دون معين او نظير ، فيستل احد اضلاعه ويسوي له حواء زوجا (تكوين ص ٢ من منتصف الآية الرابعة حتى الآية ٢٥) .

ويلحظ الدارسون ان ازدواجية الروايات انما هي ظاهرة متفشية في ثنايا الكتاب المقدس ، وانها ليست مقصورة على اسفار الشريعة الخمسة .

ابرزها ما يرد في سفر يشوع عن احتلال كاسح سريع لارض كنعان ، في حين اشتمل نفس هذا السفر على ما يدحض تلك الادعاءات في صورة من اشارات مقتضبة ، متناثرة هنا وهناك ، دالة على ان الاسباط انما سعت منفردة ، كلا عن شقيقاتها ، الى احتلال ما قيل انه قد قسم لها من اقاليم فلا تنجح في ذلك الا بعد احقاب ، ومنها التي فشلت في إتمام مهمتها :

(يشوع ص ١٣ ي ١٣ ، ص ١٥ ي ٦٣ ، ص ١٦ ي ١٠ ، ص ١٧ ي ١٢) وغير ذلك كثير الا اننا حرصنا على الاشارة الى تلك التي اتسمت بوضوح لا لبس فيه .

واذ ينكب الدارسون على توراة اليهود متفحصين ، يستقصون الاصول ، فان تكرار ازدواجية الروايات تقودهم الى يقين بانها قد استقيت من نصين متقابلين ، وان اتسما ببعض تواز - فأحدهما اسرائيلي الاصول (نسبة الى مملكة اسرائيل في الشمال) ، والآخر يهودي (نسبة الى مملكة يهوذا في الجنوب) ، يتمايزان على الاقل من حيث الاسم المستخدم علما على الرب المعبود .

النص الاسرائيلي (الالوهيمي) حريص على ان لا يستخدم قط اسم « يهوه » ، الا بعد ان يكون الاله قد صرح به لموسى : « انا يهوه ، انا الذي تجليت لابراهيم واسحق ويعقوب باسم « ال شداي » ، اما اسمي يهوه فلم اعلنه لهم » (خروج ٦ ي ٢ - ٣) .

في حين ان النص اليهوذي (اليهوي » لا يعنيه الا تثبيت الحروف الدالة على اسم « يهوه » وكأنه العلم الازلي للرب المعبود ، وان لفوه بالمحاذير ، فانه لمحظور على اليهود حتى يومنا هذا ان تتلفظ به السنتهم ، وانما يستبدلون به نطقا كلمة « ادوناي » .

وتنطلق الدراسات متتابعة ، فتتناول بالفحص التطورات التي طرأت على الالفاظ والتراكيب اللغوية على مر العصور ، كما تبرز التباينات التي بين وجهات النظر المتخالفة ، منبثة هنا وهناك فيما بين النصوص .

تلفيق من ٤ مصادر

ويكاد يجمع الخبراء آخر الامر على ان اسفار التوراة تعود الى توليفات مستقاة من اربعة مصادر رئيسية على الاقل ، غير عديد من روافد فرعية ، ربما عاد بعضها الى مأثورات لم تكن تمت الى بني اسرائيل او الى بني يهوذا باصول ، الا انها صارت بمرور الزمن شائعة بين شعوب المنطقة جميعا .

فلو قارنا مثلا بين قصتي بدء الخليقة كما في التوراة ، وبين الاساطير السومرية ، ثم بينها وبين ملحمة نشأة الوجود البابلية ، فلن نجد اختلافات

جوهرية ، خصوصا اذا استبعدنا من روايتي التوراة كل ما كان اتسم بالفجاجة في الروايتين السومرية والبابلية

وشبيه بهـا قصة الطوفـان ، فأمامنـا منهـا اربـع روايات مختلفة التفاصيل ، وان توافقت جميعا من حيث مضمون واصول . اثنتان منها اسطورتان قديمتان قدم الازل ، كشفت عنهما الحفريات السومرية والبابلية

اما الأخريان فنجدهما في التوراة ، واضحة الفروق التي بينهما اذا ما دققنا ، رغم العناية الفائقة التي بذلت حتى تتداخل نصوصهما الى اتساق

واحدة منهما ارجعت الى اصل « يهوي » (القرن الثامن قبل الميلاد) بثت في غضونها اضافات دبجتها اقلام « كهنوتية » (وهو الاصطلاح الذي اطلق على الاصول التي تعود الى احبار السبي البابلي وخلفائهم ، دونت خلال القرنين السادس والخامس ق م)

في اولاهما يقرر « يهوه » القضاء على البشرية اذ تحدرت الى شر وغواية (تكوين ٦ ي ٥ ـ ٧)

اما في الثانية فان الله (الوهيم) ـ ولنلاحظ مرة اخرى الاختلاف بين الاسمين اللذين يعرف بهما الرب ـ انما يتخذ قراره اذ يرى الارض قد فسدت جميعا كل ما عليها من حي ، (تكوين ٦ ي ١١ ـ ١٣)

في الاولى يأمر يهوه نوحا بان يأخذ « من جميع البهائم الطاهرة سبعة سبعة ، ذكورا واناثا ، ومن البهائم غير الطاهرة اثنين ذكرا وانثى » (تكوين ٧ ي ٢ ـ ٣)

اما في الثانية فلا تمييز ، طاهرة كانت الحيوانات أم غير ذلك ، وانما يدخل منها الى السفين اثنان اثنان ، ذكرا وأنثى ، كما أمر الله (الوهيم) نوحا . (تكوين ٧ ي ٨ ـ ٩) .

في الاولى اسباب الطوفان مطر عارم يتهاطل على الارض اربعين يوما بلياليها دون انقطاع (تكوين ٧ ي ٤ ، ١٢)

وفي الثانية ليس المطر وحده ، وانما تتفجر ايضا ينابيع الغمر العظيم من اسفل كما من فوق (تكوين ٧ ي ١١) .

في الاولى مدة الطوفان اربعون يوما (تكوين ٧ ي ١٧) ، اما في الثانية فهي مائة وخمسون (تكوين ٧ ي ٢٤)

وربما ادل من تلك الاختلافات في التفاصيل ، التباين الواضح من حيث الصياغة والاسلوب ، فان الرواية « اليهوية » تنبض بحيوية وخيال ، بينما النصوص « الكهنوتية » تتميز بدقة وتدبر ، وان كانت جافة الاسلوب بالقياس

ليست من التاريخ

هي اربعة مصادر رئيسية ، مختلفة الاصول ، استقيت منها نصوص التوراة ، حاول جمهرة من علماء الفقه اليهودي ، اذ يقتنعون اخيرا بصحة نسبة النصوص اليها ، ان يعتبروها انعكاسا لتطورات متسامية نهضت بالعقيدة اليهودية الى لاهوت توحيدي متفرد في عصر انبياء القرن الثامن قبل الميلاد

وكأن موسى عليه السلام لم يكن له الفضل الاول في ارساء جوهرها ذاك التوحيدي ، فلا يشرك بربه احدا ، وانها لنظرية خطيرة ، ولكن دوافعها الخفية تكمن اولا واخيرا في سعي دائب ، لاحت بوادره منذ ان وقع الانفصال بين مملكتي الشمال والجنوب ، الى تمجيد بيت يهوذا دون غيره من اسباط انتحالا لحقوق اخفاها العهد المقدس ، فكأنما اختص بها فقط اولاء الذين يدينون بالولاء لذرية داود ،

نظرية لا يستقيم لها اساس الا ان ننساق فنعتبر اسفار التوراة في مجموعها وثائق تؤرخ للاحداث اذ تلاحقت ، وكأنها التاريخ المتسلسل لشعب بني اسرائيل .

ولكن التوراة ليست من التاريخ بشيء ، وان اشتملت على وقائع لها سند من تاريخ .

صحيح ان قد استقرت آخر الامر الى وثيقة محددة المعالم ، ولكنها اصلا مجموعات من قصص محكي ، لم يتهيأ لحرف منها ان يدون فيسجل الا بعد احقاب طوال ، إنها مجموعات من تدوينات متعاقبة لمأثورات قديمة متخالفة الاصول .

قصص الآباء الاولين ، على سبيل المثال ، دونت اول ما دونت ، فيما نعلم ، خلال القرن العاشر قبل الميلاد ، عن اقوام تحوطتهم ظروف معيشية كانت قد دالت منذ خمسة قرون .

ولو ان دققنا لوجدناها وفية للطابع المأثوري ـ ان صح لنا الالتجاء الى هذا الاصطلاح ـ فهي مجموعة من قصص ، لكل مزاجها الخاص ومغزاها المتفرد ، تجد الى وعظ او تبصير ، او قد تنحو الى سخرية او ترفيه ، لا تحفل بالتزام دقة ولا تسعى الى تحقيق ، بقدر ما يعنيها التأثير على السامعين لا روابط بين بعضها البعض الا تلك الخيوط من انساب ، والتي هي واضحة الافتعال

ومن ثم فانه لا يسعنا قط ان نعول عليها من حيث تحديد زمان ، او تنسيقا فيما بينها من حيث تتابعها التاريخي

اساطير شائعة في متناول الاقوام جميعا ، ينتحلها هذا او ذاك ، فيصوغها الرواة ، كل على هواه ، تمجيدا لذكرى الاسلاف ، فاذا بعناصر القصة الواحدة منسوبة الى عدة اشخاص ، او منزاحة بوقائعها من مكان الى مكان

ثلاث روايات ، على سبيل المثال ، عن الزوجة « حسنة المنظر » ، يعجب بها ، اذا ما لمحها ملك من الملوك ، فيزعم زوجها ، رب العشيرة ، انها اخته خشية بطش ـ اي نخوة تلك كانت تتملكهم حينذاك ' ـ فاذا ما حاول الملك ضمها الى حريمه ، كشف له الرب ، بصورة او باخرى عن حقيقة امرها ، فتعاد محملة بالهدايا الى زوجها ، ولما قد مس عرضها بسوء .

ساراى زوج ابرام عند فرعون (تكوين ١٢ ى ١٢ ـ ٢٠)

ثم هي نفسها ، وقد تغيرت الاسماء بامر من الرب (تكوين ١٧ ى ٥ ، ١٥) ، فهي الان سارة زوج ابراهيم ، عند ابيمالك ملك جرار (تكوين ص ٢٠) .

واخيرا ابيمالك مرة اخرى ـ اهو نفس الشخص ام أن الاسم كان لقبا ؟ ـ مع رفقة زوج اسحق ، يسترق ابيمالك النظر فيرى زوجها « يلاعبها » ، كما يقولون ، ولما ان ضمت بعد الى الحريم (تكوين ٢٦ى ٦ ـ ١٣)

وعن بير سبع روايتان

في الاولى يدفع ابراهيم الى ملك جرار بسبع نعاج ، تأكيدا لحقه بان قد حضر البئر التى هناك ، فيطلق على المكان اسم بير سبع (تكوين ٢١ ى ٢٨ ـ ٣١)

ثم رواية اخرى بان عبيد اسحق هم الذين حفروها فتسمى « الشبع » (تكوين ٢٦ ى ٣٢ ـ ٣٣) فلو ان سلمنا حتى بالتفسيرات التى تقدمها النصوص التى افتعلت فتربط بين القصتين ، من ان اسحق انما كان يعيد حفر آبار ابراهيم بعد ان طمرت ، فاي اللفظين هو اصل التسمية ؟ اهي كلمة « سبعة » التي في النص الاول (شبعة بالعبرية) ؟ ام كلمة « قسم » (شبوعة بالعبرية) التى في النص الثاني ؟

تساؤل كان يتحتم علينا ان نطرحه ، اذ ان لكلا اللفظين مدلوله الخاص ، احدهما يؤكد حقا لابراهيم ولذريته من بعد في ارض ثم شراؤها ، اما الثاني فانه يشير الى ان الارض اقطعت لاسحق بعد ان تعاهد هو وابيمالك على عدم تعرض احدهما للآخر باذى .

وكلاهما اسلوب درجت الصهيونية في عصرنا الحديث على الالتجاء اليه فتستولى على شرائح تلو اخرى من ارض فلسطين .

وراء كل قصة قصد

وانا لنجد ازدواجية اخرى فيما تقص علينا التوراة من هجرة ابراهيم ثم يعقوب من بعد

يصدر « يهوه » امره الى ابراهيم بان يغادر ارض حاران ، فيجمع افراد عائلته وينطلق بهم الى ارض كنعان حتى يصل الى منطقة شكيم المقدسة (تكوين ١٢ ي ١ ـ ٧)

اما يعقوب فانه يفر من عند حميه لابان ، خشية غدر ، من نفس الموقع الذي شاهد هجرة ابراهيم ـ حاران بارض فدان ارام ـ يجمع هو الاخر عائلته ومقتنياته جميعا ، متجها صوب ارض كنعان (تكوين ٣١ ي ١٧ ـ ١٨) ، فيصل سالما الى نفس المدينة شكيم (تكوين ٣٣ ي ١٨)

وفي كلتا الروايتين تأكيد لمغزى بعينه ، سعيا الى ابراز اصطفاء الهي لبني اسرائيل على غيرها من فروع آرامية الاصول ، متمثلا في هجرة الى مستقر من مكان ، هو منطقة شكيم ، تضفي عليها من بعد قدسية خاصة

انها المنطقة التي يسارع يشوع ، بمجرد وصوله اليها ـ وذلك بحضور الاسباط جميعا عقب اقتحامهم الطريق الى ارض كنعان ـ فيعيد تسحيل شريعة موسى على الواح من حجر (يشوع ٨ ي ٣٢)

وعلى مرمى حجر من تلك المنطقة نفسها او يكاد ، تشيد من بعد السامرة ، عاصمة دولة الشمال ، والتي تفردت فتحمل اسم مملكة اسرائيل دون مملكة يهوذا التي الى الجنوب

منطقة احتفظت لاجيال طويلة بقدسية خاصة ، نكاد ان نقول بان كانت مركزية ، الى ان ينتحلها من بعد بنو يهوذا اعلاء لشأن اورشليم . والتي لم تمت قط للقبائل العبرية بصلة ، حتى يقتحمها داود عنوة في زحفه الى الشمال

هناك اذن وراء كل قصة قصد معين ، يبرز لنا واضحا رغم ما بذل من جهود للربط بين ابطال تلك القصص احكاما لتسلسل تاريخي مفتعل ، يفترضون ان كان لشعب واحد بعينه . في حين ان لم يعن الرواة اول الامر الا ان يستعرضوا وقائع معينة تفسيرا لظروف معيشية او لاحداث كابدها الاسلاف او معامرات بطولية خاضها اب العشيرة الذي اعتقدوا ان كانوا اليه ينتمون

فان قصة الصراع التي بين يعقوب وعيسو انما هي تصوير رمزي للعداوة التي استعرت بين بني اسرائيل وبين شعب أدوم

كما ان الغيرة التي نشبت بين اسحق واسماعيل انما هي تفسير مجسد للخصومة التي كانت بين بني اسرائيل ، وقد استقروا ، وبين القبائل العربية المجاورة التي احتفظت ببداوتها الاولى .

قصص الآباء الاولين ، التي ارادوا بها ان تكون تقدمة لتاريخ بني اسرائيل ، ليست من التاريخ بشيء ، والا لما قوبلنا بعدها بتلك الفجوة التي امتدت الى اربعمائة وثلاثين عاما (خروج ١٢ ي ٤٠ ـ ٤١)

كيف يتأتى لمنطق ان يتقبل على علاته قصصا زخر بدقة ما بعدها دقه تفصيلا لحياة الآباء الاولين ، حتى انها لتسجل أحيانا ، كلمة فكلمة ، ما يزعم ان قد تفوهوا به في اتفه المناسبات بينما نحد ان قد مسح من ذاكرة القوم جميع ما يتعلق بفترة ربما كانت اعصب فترات « حياتهم القومية » لو اننا بصدد امة كان لها بالفعل كيان من قومية متصلة ؟

اهكذا يكتب التاريخ ؟ ام هل كان هناك قصد معين وراء طمس معالم تلك القرون الاربعة ، تسترا على احداث كان لها دلالتها ؟ ام انها فجوة حوابهسا عن غير قصد ، وما كان لهم في ذلك حيلة ؟

فجوة تفصل فصلا قاطعا بين ازمنة غابرة (تنم عنها الاساطير المتداولة عن اصول العشائر الفجرية) وبين واقع فعلي هو الميلاد الحق لاركان من عقيدة توحيدية ، صارمة التحديد ، حين اصطفى موسى شعبة من مستضعفين ، ومن لاذ به من متذمرين ، فيخرج بهم من ارض مصر الى صحراء التيه .

رهط موسى عليه السلام هم اول ما يطلق عليهم اسم بني اسرائيل ، وذلك في سفر الخروج ، الذي تتحاشى نصوصه ذكر كلمة « عبرانيين » ، وهي التي كانت علما على القوم طيلة سفر التكوين ، فيه قصر اسم اسرائيل على شخص بعينه ، هو يعقوب (تكوين ٤٩ ي ٢) . ولم ينسحب قط على اي من اقوام !

وانه ليحق لنا ان نتساءل عن الدوافع التي حدت بجمهرة الاحبار والفقهاء الذين توفروا على تدوين نصوص التوراة ـ حذفا وتحريفا ثم اضافة ـ فتستقر على الصورة التي تطالعنا بها اليوم ، جمعا لحابل على نابل من اساطير موغلة في القدم ووقائع كان لها فعلا سند من تاريخ .

ما هي الاهداف التي سعوا اليها ، وباي مقاييس التزموا ؟ ذاك هو لب التساؤل الذي علينا ان نطرح لو ان اردنا ان ننفذ الى جوهر العقيدة اليهودية ! ■■

حسين ذو الفقار صبري

نزهة العقل الذكي بجوائز

* *

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه . اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٢ وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يناير (١٩٨٠)

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم مؤرخ اسلامي من القرن الثاني عشر ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم أديب وعالم لبناني .

الكلمات الأفقية :

١ ـ عاصمة بورتوريكو ـ فيلسوف عربي و مؤلف « تهافت الفلاسفة »

٢ ـ من الالعاب الرياضية ـ تجرّ ما بعدها

٣ ـ ضعف ـ تمهيد ـ قضى .

٤ ـ نصف كلمة (سائد) ـ تفاهم ـ أهز ـ نصف كلمة (بعيد) .

٥ ـ يناور ـ أوّل من وصل الى القطب الشمالي

٦ ـ حرف عطف ـ من الجهات الأصلية ـ صحاري ـ من الألوان .

٧ ـ دولة آسيوية ـ حكي ـ السهلة .

٨ ـ مؤرخ اسلامي من القرن الثاني عشر .

٩ ـ المريض ـ حرف ندبة ـ ناكرة للجميل .

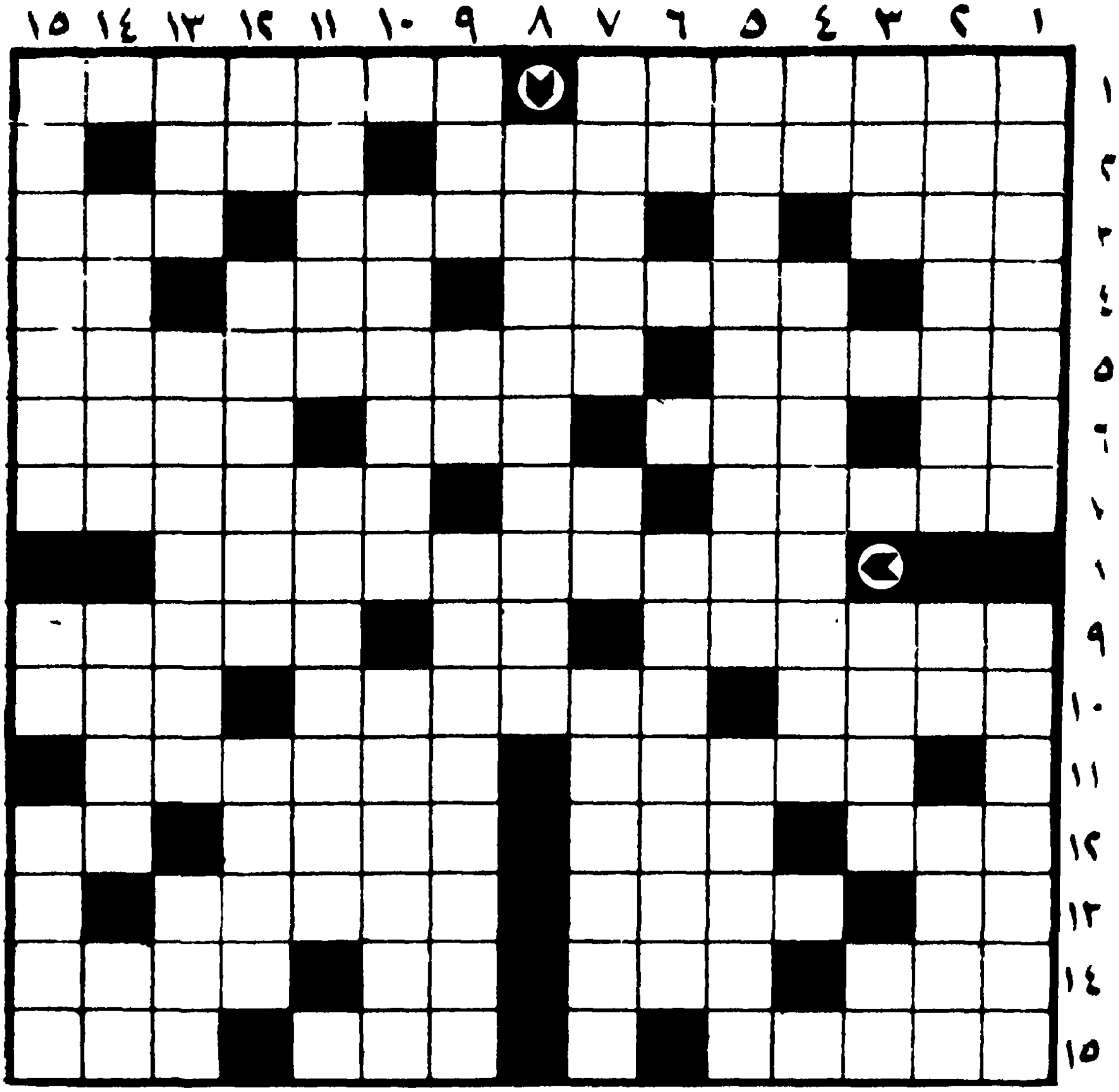
١٠ ـ قايض ـ زهر عطري ـ نهض .

١١ ـ طراز معماري ـ ترنمات دينية .

١٢ ـ أبسط ـ تفل ـ من أقاربنا ـ اكتمل .

١٣ ـ ضمير ـ لقب مؤلف قصة روبنسون كروزو ـ يقوم به .

كوبون مسابقة العدد ٢٥٢



١٤ ـ يعمي ـ طراوة الجانب ـ مقام موسيقي ـ وحدة قياس مساحات

١٥ ـ تجمّع سكّاني ـ احداد ـ يحيط

الكلمات الرأسية :

١ ـ من أقسام المملكة النباتية ـ من الانبياء

٢ ـ دولة أمريكية ـ مقام موسيقي ـ مستوى

٣ ـ ضياء ـ جهاز قياس ـ مقام موسيقي

٤ ـ ثار ـ قرصان شهير في التاريخ .

٥ ـ بحار ومؤرخ وجندي انجليزي من العصر الاليزابيثي ـ ثقلة

٦ ـ للتعريف ـ من الأمراض

٧ ـ ننتخب ـ نصف كلمة (فهوه) ـ رسم ديني

٨ ـ أديب وعالم لبناني

٩ ـ جبال أوربية ـ نصف كلمة (بيوت) ـ قصر ملكي انجليزي

١٠ ـ وحدات قياس طولية ـ مضيق معروف

١١ ـ بارحت ـ من أعظم علماء الرياضة في القرن الثامن عشر

١٢ ـ سقط ـ في وجوهنا ـ تحين

١٣ ـ بلا زوج ـ كاتب مصري معاصر ـ رشاد .

١٤ ـ عقدن ـ انقضى زمنها ـ للتعريف

١٥ ـ يقترضه ـ ضمير ـ مكسب

شاعر غزل أموي

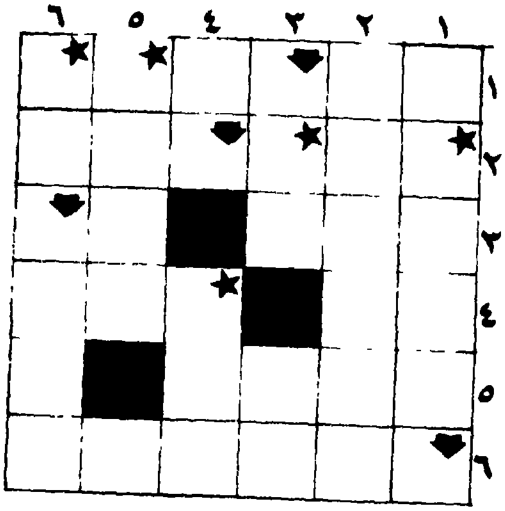
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم ، ورتبها بحسب تحصل على الاسم الاول لشاعر غزل أموي امر الوليد بدفنه حيا ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتبها بحسب تصنع لقبه

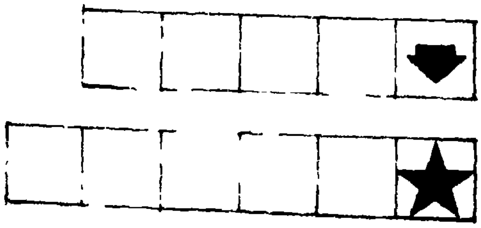
الكلمات الافقية :

١ ـ من الزهور
٢ ـ من الالوان
٣ ـ أشفق ـ نصف كلمة (حائر)
٤ ـ للنداء ـ نهر
٥ ـ أستأنس
٦ ـ القائم (معكوسة)

الكلمات الرأسية :

١ ـ عاصمة عربية
٢ ـ آلة موسيقية
٣ ـ سجن ـ حرف ندبة
٤ ـ متشابهان ـ يبخل
٥ ـ أذبح
٦ ـ شلالات شهيرة





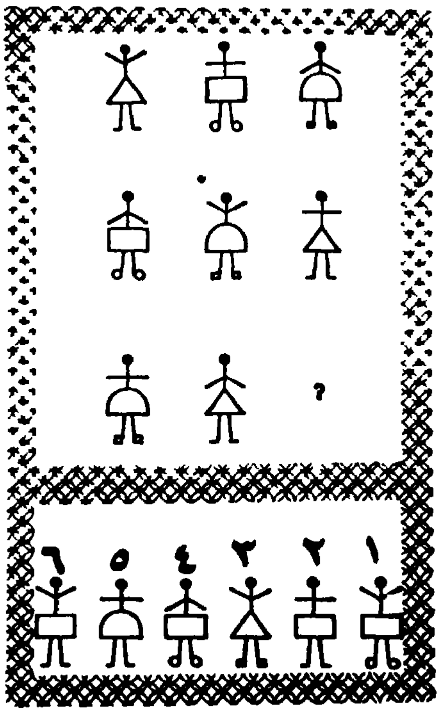
أين الصواب ؟. وأين الخطأ ؟.

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خاطيء ، هل تستطيع التمييز بينها ؟.

١ ـ الجانج.. آلة موسيقية .
٢ ـ اللبنسروم . اسم اطلق على سيانسة هتلر التوسعية .
٣ ـ بايكال . عالم رياضي شهير من القرن الثامن عشر .
٤ ـ بيسارو . فنان فرنسي من رواد المدرسة التأثيرية .
٥ ـ حوت العنبر . من الاحياء المائية ويؤخذ منه العطر .
٦ ـ ديونيسوس : أشهر خطباء روما القديمة .
٧ ـ سيكلوترون : جهاز تحطيم الذرة .
٨ ـ فوجي ياما : رسام صيني شهير .
٩ ـ لجهورن · من سلالات الدجاج
١٠ ـ مونجو · عملة منغولية .

الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أي الاشكال ذات الارقام يجب أن يحل محل علامة الاستفهام .



الحلول ١

النجمة والسهم :

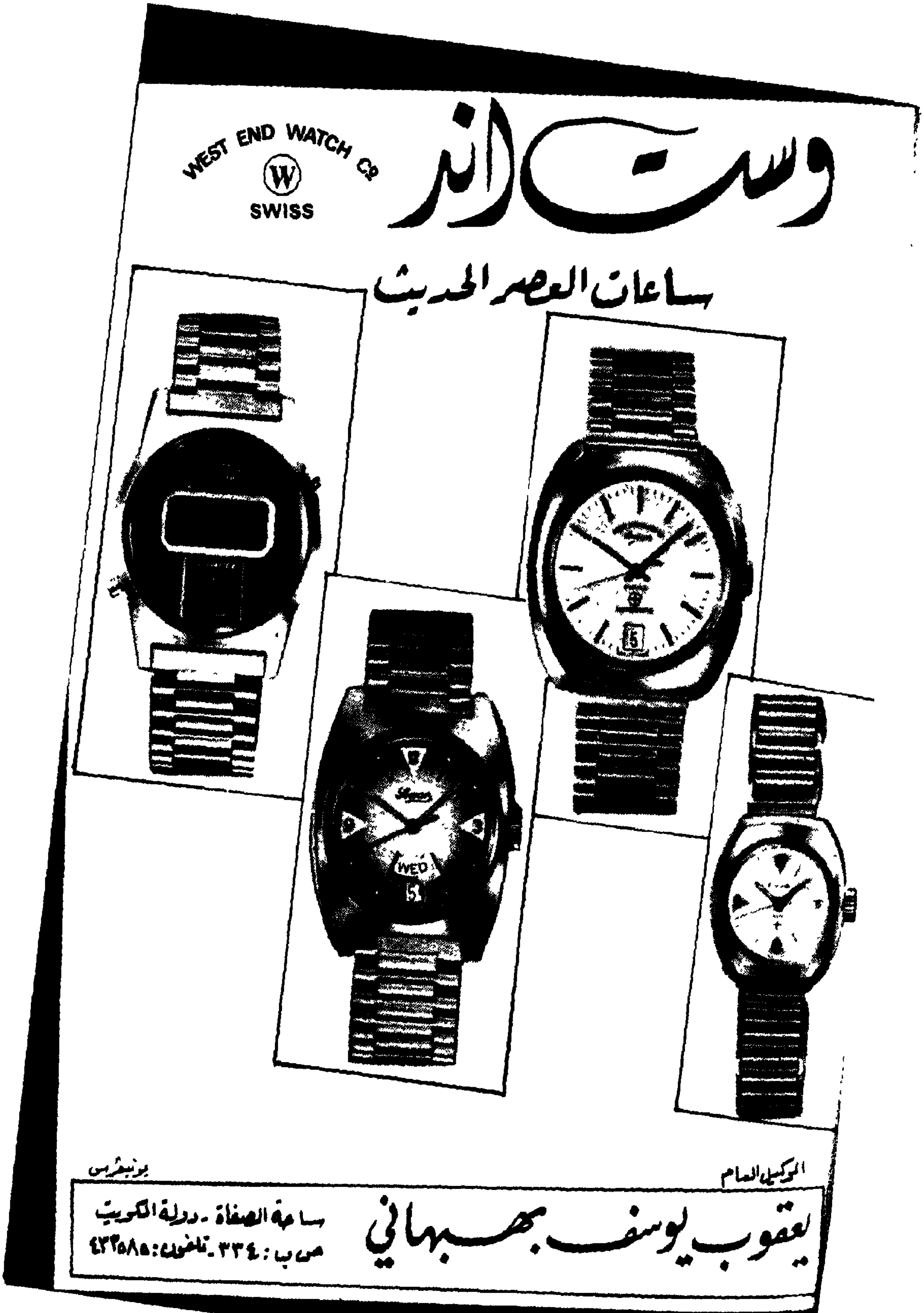
وضاح اليمن

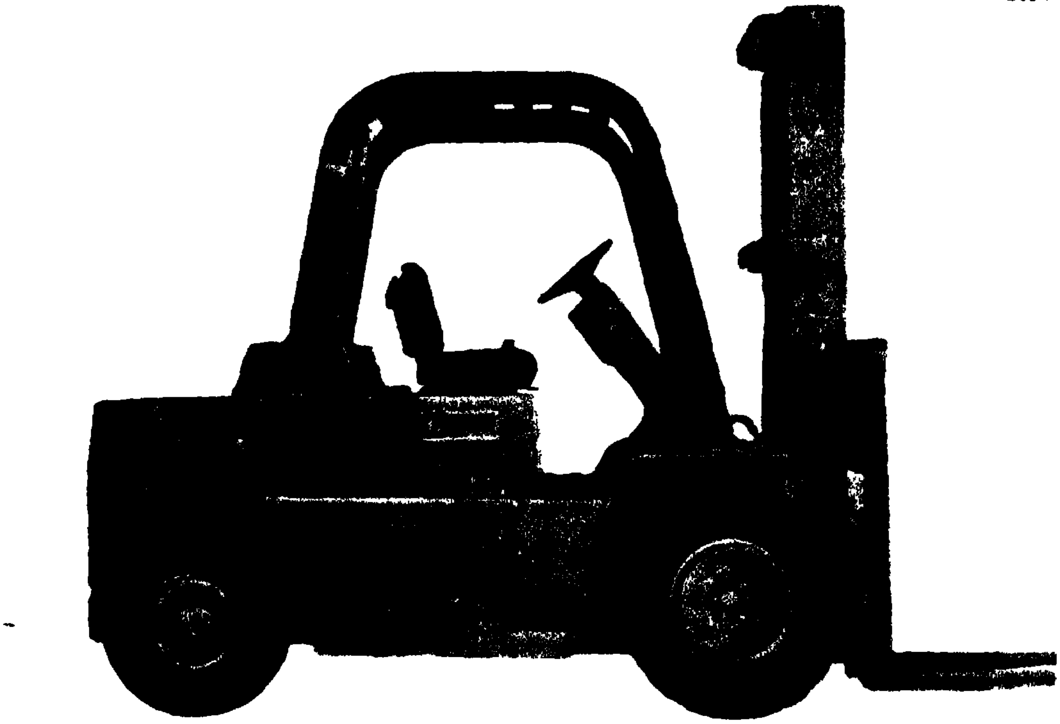
أين الصواب .. وأين الخطأ . :

كلها صحيحة فيا عدا .
١ ـ الجانج · نهر أسيوي .
٣ ـ بايكال · أكثر بحيرات العالم عمقا .
٦ ـ ديو نيسوس · اله الخمر الاغريقي .
٨ ـ فوجي ياما . أعلى جبال اليابان

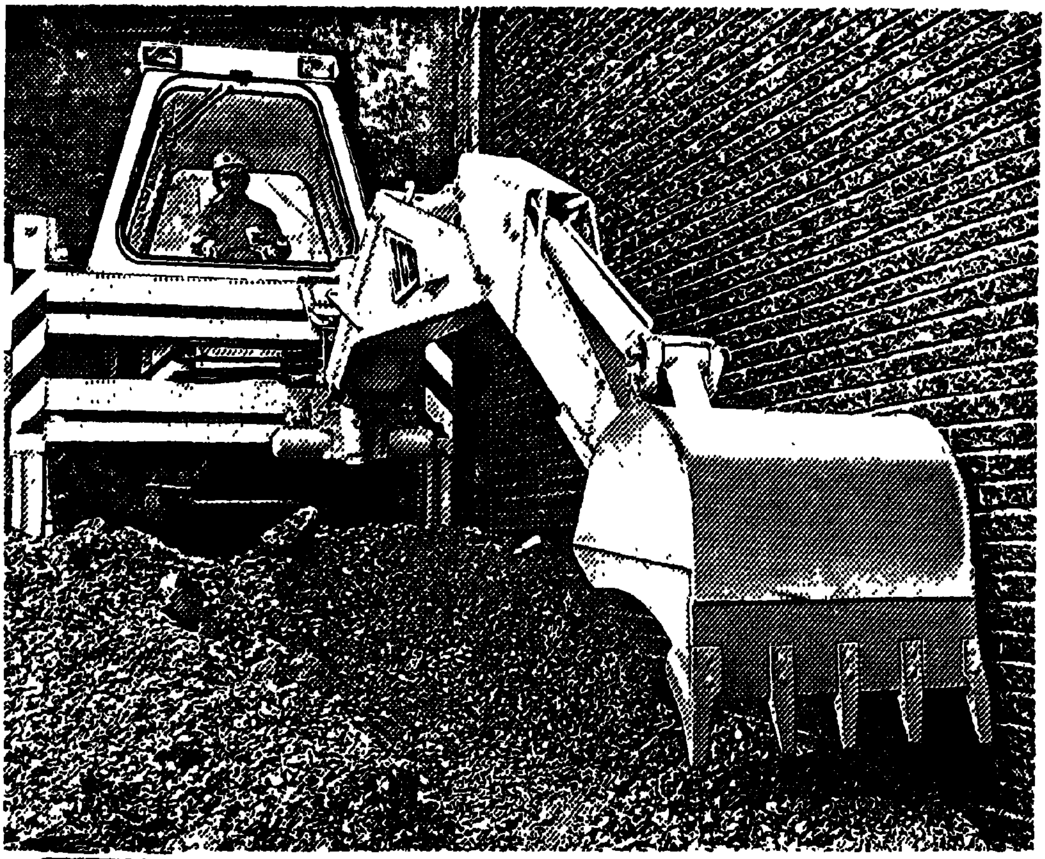
الشكل المطلوب :

رقم (١) .


WEST END WATCH Co
W
SWISS
وست اند
ساعات العصر الحديث
WED
الوكيل العام
يونيبرس
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص ب : ٣٣٤ - تلفون : ٤٣٢٥٨٥



جي سي بي عندما تتطلب الافضل فقط



إن جي سي بي هي مؤسسة بريطانية مصدرة لآلات البناء. خاصة مئة بالمئة ونوعية منتجاتها المعتمدة قد مكنت جي سي بي من تحقيق نجاحات رائعة في كافة انحاء العالم بالمقابلة مع شركات البناء ذات الجنسيات المتعددة.

وجي سي بي تنتج تشكيلة من الحمارات الزاحفة الهيدروليكية، وشاحنات الجرف المفصلية ذات العجلات، وحفارات جي سي بي المحملة ذات الشهرة العالمية التي تحتل المركز القيادي في اسواق اكثر من ٥٠ خمسين بلداً.

إن هذه المكائن تم تجربتها على مدى سنين طويلة وفي ظروف مناخية قاسية ومتنوعة في اكثر من ١٠٠ بلد.

وكموزعين محليين لـ.. جي سي بي، فاننا نفخر بأن نقدم لكم تشكيلة واسعة من حفارات جي سي بي المحملة، والمحملات ذات العجلات والحفارات الزاحفة التي تقترن بخدمات الاسناد.

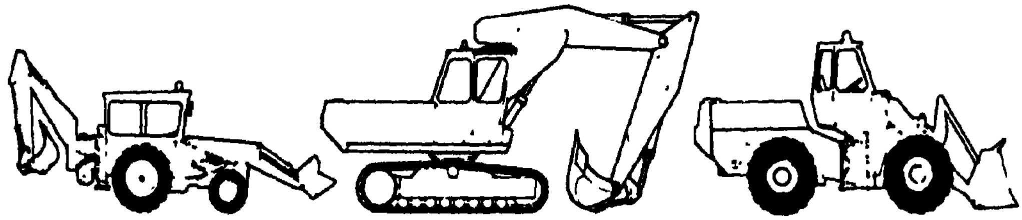
عندما تتطلب الافضل، اختر جي سي بي.

JCB Sales Ltd., Rocester, Staffordshire, England ST14 5JP.
Tel: 0889-590312 Telex: 36372

وكمندوبي جي سي بي، الجزائر، البحرين، قبرص، مصر، اثيوبيا، إيران، العراق، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، عمان، قطر، المملكة العربية السعودية، تونس، تركيا، السودان، الامارات العربية المتحدة، الجمهورية العربية اليمنية. للمعلومات اتصل بـ..

من أجل معلومات أوفى إتصل بـ..

JCB Sales Ltd., Branch Office, Floor 4, No. 19 Syngrou Avenue, Athens 403, Greece. Tel: Athens 922 6718. Telex: 219314.



حفارات جي سي بي ١٣ الحركة، ٣ سي ١١١، ٣ دي ١١١، اعماق الحفر من ٣,٧٢ مترا الى ٤,٦٩ مترا. سعة مجرفة الحمولة من ٠,٣٠٧ م٣ الى ١,٢ م٣

[illegible]

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

الرّق
ماضيه وحاضره

تأليف :
د. محمد عبد السلام ترمانيني

الكتاب الثالث والعشرون

٢٥٠ فلساً

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مِنَ المسرح العالمى

وزارة الإعلام فى الكويت

أوّل نوفمبر ١٩٧٩

١٢٢

أسطورة دون كيشوت

تأليف : بويرو بايخو - ٢

ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل

مراجعة : د. الطاهر أحمد مكى

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

مدير التحرير
عبد العزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ١٠٠٫٠٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير ــ وثائق ــ يوميات ــ بيبليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

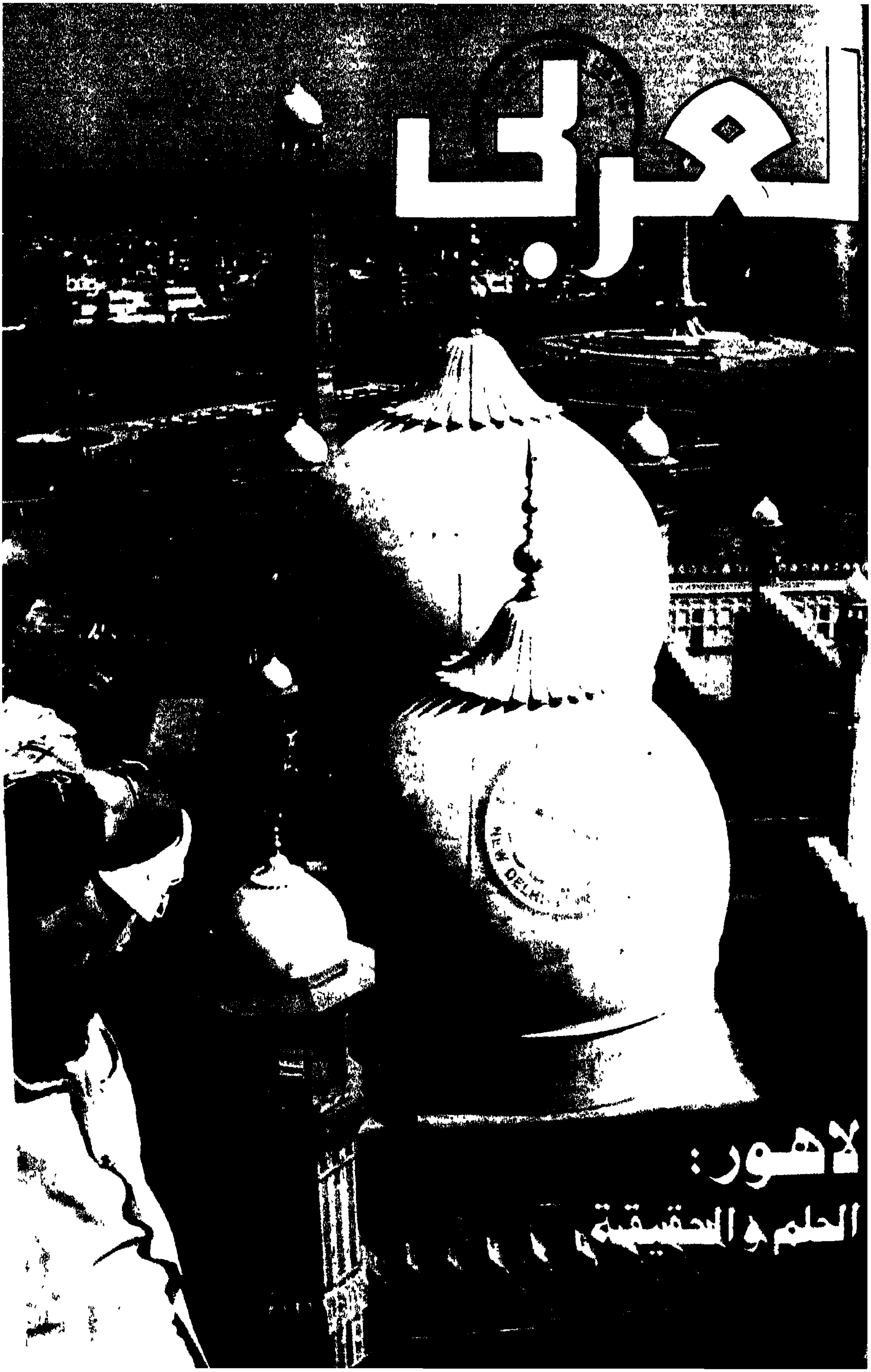
ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت ــ كلية الاداب والتربية ــ الشويخ ــ دولة الكويت
ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)
هاتف : ٨١٦٨٠٧ــ٨١٦٧٩٩ــ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير


العربي
لاهور:
الحلم والحقيقة
NEW DELHI

عزيزي القارئ

● عملية نشر المقال الواحد في أكثر من مجلة ثقافية عربية ، كادت تتحول من حالات فردية الى « ظاهرة » . فكثيرا ما يحدث الآن أن يرسل « الكاتب » مقاله الى مجلتين في وقت واحد ، او يرسل المقال الى مجلة ثم يتأخر النشر لسبب أو آخر ، فيبادر بارساله الى مجلة ثانية ، ثم ينشر في المجلتين اما في شهر واحد او في أشهر متعاقبة .

ذلك أن بعض الكتاب يتصرفون أحيانا بحسن نية ، وربما بحسن ظن بالامكانيات العربية . يتصورون أن المقال ينبغي أن ينشر في ذات الشهر الذى يرسل فيه ، ناسين أنه كلما زاد الاتصال في العالم الخارجي ، ازداد التباعد والانفصال في عالمنا العربي . والرسالة التى تصل من لندن الى الكويت خلال ٤٨ ساعة تقطع المسافة من بيروت الى الكويت في ١٨ يوما ، وأحيانا ٤٨ يوما ، هذا اذا وصلت بسلامة الله ! هم ينسون أيضا أن المجلات الشهرية تخطط لأشهر عديدة متصلة ، خصوصا تلك التي تصدر للعالم العربي كله وليس لبلد واحد . الأمر الذى يفرض وضع العديد من الضوابط والقواعد التي تحكم عملية النشر .

هذا اذا حسنت النية ، اما إذا أرسل المقال ذاته الى عدة مجلات في آن واحد فان سوء النية يصبح مبيتا من البداية ، ولما كان التأكد من ذلك امرا عسيرا في الواقع ، لان المجلات الثقافية العربية تصدر من بلاد متباعدة جغرافيا وجسور الاتصال ليست مفتوحة بينها دائما ، فحبذا لو قرر كل كاتب أن يختار منبرا واحدا ـ مجلة واحدة ـ يعلن رأيه من فوقه ، وحبذا لو قررت المجلات الثقافية ان تضع حدا لظاهرة « تسرب » الكتاب وانتشارهم بمقالات مكررة ، او افكار مكررة في مختلف تلك المجلات .

وقد دعونا الآخرين الى ذلك ، فقد قررنا أن نبدأ بأنفسنا ، بكتاب « العربي » وبمجلة العربي ذاتها ...

إننا حريصون على كتابنا بكل تأكيد ، وهو امر نرجو الا يتصادم مع حرصنا واحترامنا لقارئنا العربي .

أليس كذلك .. عزيزي القارىء ؟ ! ■■

« المحـــرر »



صورة الغلاف

● من بين الصور العديدة التي تتابع في خيال أي قارىء عندما يذكر اسم « لاهور » ، هذه القباب المرمرية البديعة ، التي تتربع فوق واحد من اجمل مساجد الدنيا .. مسجد باد شاهي ، ابرز آثار المغول في المدينة التي كانت عاصمة امبراطوريتهم يوما ما ، والتي ذهبت اليها بعثة « العربي » في استطلاع هذا الشهر . انظر ص ٦٨ .

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

تاريخ وشخصيات

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير أحمد بهاء الدين

مدير التحرير فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي ولكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تلقاها للنشر

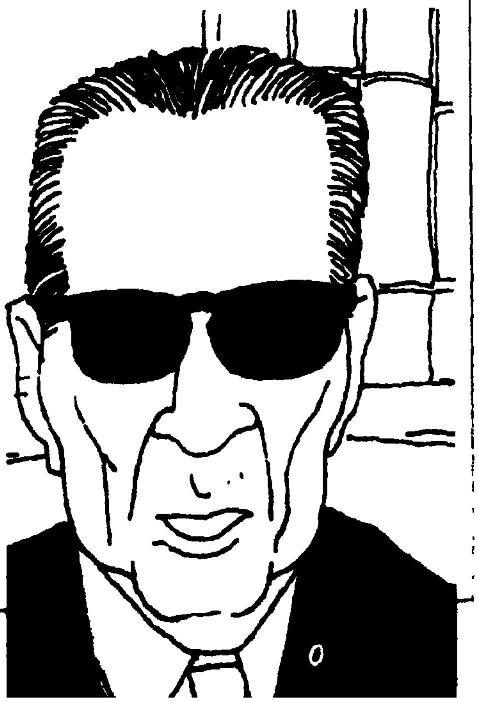
ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلساً ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ٢٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، [illegible] ١٠ قروش ، ليبيا [illegible] ، الجزائر [illegible] ، اليمن [illegible] ، [illegible] الشعبية ٢٠٠ فلس

الاشتراكات [illegible]

[illegible]

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة



كلمات فقدت سمعتها

بقلم أحمد بهاء الدين

● اللغة لم تكن أبدا « محايدة » . والكلمة الواحدة قد تستخدم في مجال يحمل كل معاني الجدية . وأحيانا تصبح من كثرة استخدامها في غير موضعها تحمل لدى الناس كل معاني السخرية . والكلمة في مجال قد يكون لها وزن الذهب ، وقد يكون لها وزن الريشة

ولعل سخاء اللغة العربية الشديد ، هو الذى دفعنا نحن العرب الى الانفاق من هذه اللغة باسراف شديد ، فالكلمة الواحدة لها عشرات المترادفات ، واذا القينا كلمة في أتون الاحداث ، واحترقت من فرط تكرارها دون معنى مقصود فاللغة تسعفنا بعشرات المترادفات ، فنحن لا نخشى عجزا ما في هذا النوع من « العملة » ...

واذا كانت الكلمات من « القاموس السياسي » للغة ، فهي أكثر عرضة لتتلف ، ذلك أنها كثيرا ما تكون عرضة للاستخدام الخاطىء المتعمد من رجال السياسة أو الكتابة . أو للاستخدام في مجرد تخدير الرأى العام . فتفقد أعز الكلمات معناها أو بمعنى أصح تفقد « وقعها » على النفس ، وهي القيمة الاساسية للكلمة ...

ونأخذ على ذلك امثلة من كلمات كبيرة مثل « الوحدة » او « الثورة » او « الديمقراطية » ..

كلمات كبيرة جدا لكن بعضها لحقه « الاجهاد » من كثرة الاستعمال اللغوى ، وانعدام الاستعمال الفعلي ! ...

« وتلك الأمثال نضربها للناس
وما يعقلها إلا العالمون » — قرآن كريم

في حياة لغتنا الجميلة!

كلمة الوحدة في ثلاجة عميقة

قبل عشرين سنة مثلا كانت كلمة « الوحدة » تحرك أعمق المشاعر لدى الجماهير . ولكن الآن وقد فشلت أكثر من وحدة ، وصار كل تقارب يسمى وحدة . وليس على مستوى الاقطار فقط . ففي داخل القطر الواحد صار حتى تحقيق الوحدة الداخلية أمرا مطلوبا وعزيزا أو صارت الوحدة الوطنية ـ لا القومية ـ بعيدة المنال كما في لبنان وغيرها .

واذا تركنا الوحدة بمعناها السياسي الدولي ، نجد أنه يكاد لايوجد مشروع اقتصادى واحد ، له طابع التكامل الوحدوى ، رأى النور حتى الآن . رغم توقيعات الدول العربية المختلفة عليه .

وفي الخليج مثلا نسمع دائما عن وحدة العملة الخليجية مثلا ، وهو أمر يكاد يكون بديهيا . خصوصا من الناحية الاقتصادية المصلحية وليست السياسية . فدول الخليج روابطها وثيقة جدا ، وأهلها أبناء عمومة بكل المعاني النفسية والتاريخية . واقتصادها كلها يقوم على سلعة اساسية واحدة هي البترول . فهذا نوع من الوحدة يتم بقرار لا غير .

لم تعد لكلمة « الوحدة » إذن سخونتها القديمة . صارت لا تحرك شعرة في رأس مواطن عربي . الكل يتحدث عن الوحدة فلا يوجد في الظاهر من هو معها ومن هو ضدها . لم تعد تثير نقاشا ولا بحثا ولا عراكا . وضعت في الثلاجة العميقة ، وهذا أحسن الممكن على أى حال ، حتي تبقي صالحة للاستعمال ربما بعد وقت طويل ، بدلا من أن تفسد نهائيا ...



ديكارت
دعا القرآن الى العقل
قبله بألف سنة ! ..

ونفس الشيء لحق كلمة « الثورة » . صارت في لغتنا وصفا يطلق على اول دبابة تصل محطة الاذاعة وتعلن البيان رقم واحد ! وصارت في افئدة الناس العاديين مرادفة لاى حكم عسكرى !

وأيضا كلمة ديمقراطية . ألا يوجد لها عشرون تطبيقا على الاقل ؟ هل يسمى أى نظام نفسه بغير هذا الوصف ؟ ... وأنواع الديمقراطية لابد لها أن تتمدد ، فلن يصلح للعالم كله ديمقراطية واحدة ولكن الا تحتاج كل « ديمقراطية » احتراما للكلمة الى تعريف وثيق لها في كل مكان ، يمكن حساب اهلها عليه ؟

من ثمار الارهاب الفكرى

على انني اريد أن أقف أساسا في هذا الحديث ، عند نوع آخر من الكلمات التي « فقدت سمعتها » بطريقة اخرى . بالطعن فيها والسخرية منها وتشويهها . هذه كلمات فقدت سمعتها بنوع من الارهاب الفكرى ، حتى صارت خافضة جناحها من الذل امام صيحات كصيحات الهنود الحمر ، الذين اذا لاحت لهم ، رشقوها بكل ما لديهم من سهام ..

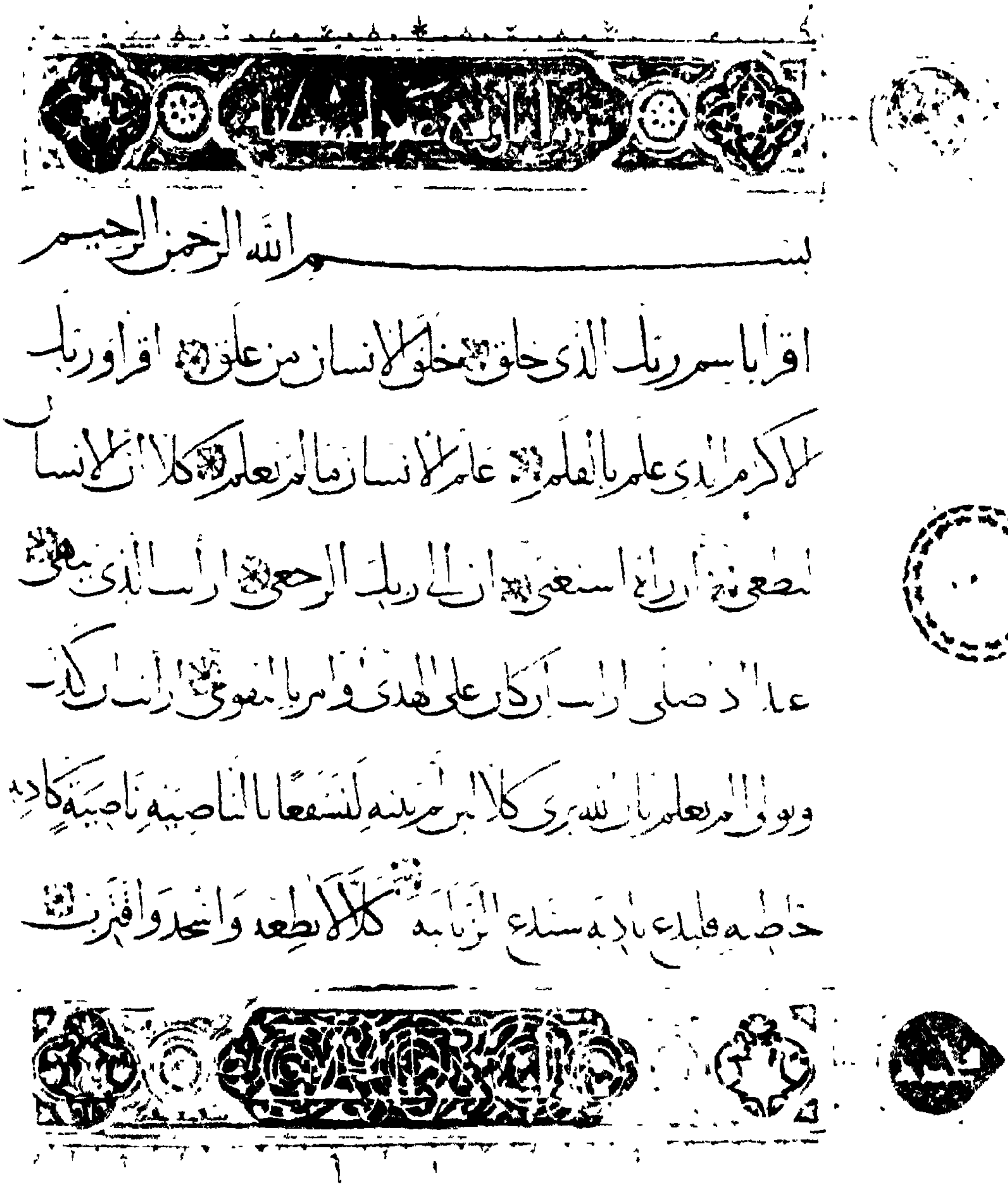
كلمات مثل : « الموضوعية » و« الواقعية » و« العقلانية » ... هذه الكلمات مع الاسف فقدت سمعتها تحت وطأة الارهاب الفكرى الهائل ...

ارهاب فكرى ساد فترة من الزمن خلاصته : أن من لا يتبع الرأى « السائد » اعلاميا فهو متخاذل ! وان المطلوب من الكتاب هو ترديد الشعارات دون محاولة الذهاب الى أبعد من ذلك خشية « بلبلة الجماهير » . كأن الجماهير في مرحلة طفولة ، ولابد من شغلها عما حولها بالزعيق والصراخ فهي لا تفرح أو لا تصلح الا لهذه الالعاب النارية الملونة ! وبالطبع : من يزيد في الضجة المتزايدة ومن يطلق فرقعات مدوية ملونة اكثر ، هو الذى يفوز بأكبر عدد من المتجمعين في « مدينة الملاهي » الصاخبة !

في هذا الجو ، كان لابد أن تداس بالأقدام كلمات مثل « الموضوعية » و« الواقعية » و« العقلانية » ...

وفي نفس الوقت لابد أن نسجل ان هذه الكلمات « فقدت سمعتها » بسبب نوع آخر مقابل من الممارسة الرديئة فعلا ...

فقد عرف التاريخ العربي الحديث طوال الخمسين عاما الماضية ـ من قاموا فعلا بأدوار الهزيمة والاستسلام والتقاعس ... وأطلقوا على أفعالهم تلك كلمات « الواقعية » و« الموضوعية » و« العقلانية » ...



بسم الله الرحمن الرحيم
اقرا باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك
الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى ان الى ربك الرجعى ارايت الذى ينهى
عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب
وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة
خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب

الامر الذى هو كفيل ـ وحده ـ بأن يكفر الرأى العام بهذه الكلمات ، أو يضعها في غير موضعها الصحيح من القاموس ، ومعه الحق ...

ولكن ، هل معنى ذلك أن نسقط هذه الكلمات من قاموسنا ، وننزع الصفحات التي تتكلم عنها من كتبنا ، ونمحوها محوا من العقل العربي ...

مستحيل ...

وهذه معركة يجب أن يخوضها كل ذي مسئولية وكل ذي فكر ... حتى لو تعرض لاطلاق النار من الجانبين في وقت واحد ... من جانب الغوغائية والديماجوجية النشيطة ، ومن جانب الانهزامية الحقيقية المتخاذلة . وأنا أقصد الغوغائية والانهزامية ليس في مجالاتها السياسية فقط كما يتبادر الى الذهن ... ولكن على كافة مستويات الحياة العربية ... من تقاليد وعادات وثقافة وتحول اجتماعي وتطور انمائي وسياسي .

هذا العقل المظلوم

إن الشعب العربي هو الذي نزل القرآن بلغته ... والقرآن اكثر كتاب مقدس وغير مقدس تحدث عن العقل والعلم والتفكير والتذكير ... فمن المستحيل ان تكون هذه اللغة بالذات هي اللغة التي تفقد فيها هذه الكلمات سمعتها ...

الغرب يتباهى علينا ويعلمنا أنه أقام نهضته على أساس « سيادة العقل » .. ويذكر لنا ديكارت وقبل ديكارت ...

وكتابنا السابق على هذا كله بقرون ، هو أول من أقام للعقل سلطانا عظيما .

وهو أول دين تجيء معجزته في شيء واحد فقط هي : كتاب !

وأول كلمة في وحيه كانت : « اقرأ » .. باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

واكثر ما يخاطب في سطوره وآياته ، يخاطب العقل .. ويفرق بين ذوي العقول وسواهم ...

« وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون »

« وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير »

« كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون »

« تحسبهم جميعا ، وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون »

« ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا »

« فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وما معنى العقلانية والموضوعية والواقعية وغيرها من المصطلحات الحديثة ، الا : استخدام العقل ؟

ليسوا ظاهرة صوتية

اذا نزعنا عن هذه الكلمات ارديتها السيئة التي اساءت الى سمعتها ، وبحثنا في معانيها التي صكت من أجلها ، فماذا نجد ؟

أليست « الموضوعية » مثلا .. هي البدء في كل أمر بدراسة « الموضوع » ؟ ... والموضوع بالنسبة للعالم حقيقة طبيعية مثلا . وبالنسبة للقائد العسكري الخريطة الدقيقة لساحة المعركة بهضابها ووهادها ، وتقدير قوته ، وقوة العدو قبل الصدام ؟ وبالنسبة للسياسي دراسة علاقات القوى السياسية في موقف ما ، وحشد الطاقات المتوفرة لمواجهة هذا الموقف ، ورسم خطة للتحرك .. الى اخره ..

وما معنى الواقعية الا أنه يجب أن تكون دراستنا « للموضوع » دراسة واقعية ، مستندة الى الواقع لا الى التمني ، لأننا ـ ككل الناس ـ مرغمون على التعامل مع واقعهم وليس مع تمنياتهم .

والرصوخ للواقع أمر ... وتغييره أمر آخر . وفي هذا يختلف فكر الناس ، ومدى همتهم ، وجدوى حساباتهم ...

وأعظم الدين غيروا وجه التاريخ ، كانوا أعظم الواقعيين . لأن اختراق طرق التغيير يقتضي معرفة الطريق الممهد ، من الطريق الوعر ، ومن الطريق المسدود تماما !

وقد يبدو تصدي هؤلاء لمهمة التغيير في البدء مستحيلة . ولكن المستحيل وقع . ذلك أنه لم يكن مستحيلا ، إنما العظماء الدين يغيرون الواقع يرون من خبايا هذا الواقع وفي ثناياه ما لا نراه ، وبالتالي فهو ممكن . وعلى هدا الأساس ينهضون للعمل . ويقع المستحيل ، الذي لم يكن مستحيلا . لأن المستحيل حقا لا يقع ..

ان اللغة تترك أثرها في ضمائر الناس ، وتشكل احيانا طريقة تفكيرهم ...

وقد ذهب كاتب عربي كبير ـ عبد الله القصيمي ـ الى حد اصدار كتاب عنوانه « العرب ظاهرة صوتية ! » .. لا أوافقه عليه .. ولكن الصحيح فيه ربما قول بعض المستشرقين أن العربي اذا « قال » شيئا ، تتحقق له راحة مَنْ « فَعَلَ » الشيء . وذلك موضوع لصيق بحديثنا ، لكنه يحتاج تأملا آخر ...

إنما القضية المطلوبة هنا فقط أن نعيد للعقل مكانته في حياتنا العربية . ولا يمكن أن نعيد للعقل مكانته في نفوسنا ، اذا بقينا نسخر من الكلمات الداعية الى استعمال هذا العقل .... ■■

أحمد بهاء الدين

في مرور ست سنوات على رحيله :



ذكريات عن طه حسين

بين القاهرة وباريس

بقلم : كامل زهيرى

آية الشباب كراهية السير الوئيد ، وعشق الحديث خطفا . فما بالك بشباب باريس وشباب الحي اللاتيني بالذات . وهم في فرنسا عموما يحبون اختصار الاسماء الطويلة : اما حبا للاختصار لان الفرنسية مليئة بالكلمات الطويلة ، واما حبا للكلام وحشد اكبر عدد من الكلمات المختزلة في نفس واحد . والتصغير او الاختصار عندهم له فن ، من باب اللهفة او السرعة او حب الدلال وهم يعشقون الدلال ، بل يفضلونه على الحب احيانا . ويتقنون فنون التدلل في الحديث ، ليس بالضرورة ان يصبح ذلك نوعا من الخلاعة . ولا يفترق الامر عندهم بين الازواج والعشاق والآباء والأبناء ، او الصغار والكبار . بل أحيانا تسمعهم يدللون الزهر والشجر والقطط والكلاب !

وقد وصل فن التصغير والاختصار عندهم حتى الى اسماء الشوارع ، ولهذا اطلقوا على اكبر شارع بالحي اللاتيني اسم « بول ميش » ، وهو اختصار « وتدليع » لاسم « بولفار سان ميشيل » .

« وبول ميش » هو أوسع شوارع الحي اللاتيني وأطولها . وهو الذي يفرق الحي الخامس عن الحي السادس . وكنا نعتبره منذ ثلاثين عاما كالنهر . فباريس كانت تتلوى ـ جغرافيا ـ مع نهر السين . وكانوا يقسمون أحياءها بين أحياء الضفة اليسرى والضفة اليمنى . ولكننا كنا نعتبر هذا التقسيم جغرافيا . بينما تنقسم الحياة عندنا بذلك النهر العريض الطويل ... أما شارع بول ميش . فهو يفرق بين الحي اللاتيني من ناحية ... وبين حي سان جرمان دي بريه ومونمارتر من ناحية أخرى . وهو أيضا يفرق بين جيلين ، أي جيل الشباب .. وجيل الرجال .



طه حسين مع ابنته أمينة .. صفحة من الذكريات

واغلب أهل الحي اللاتيني هم بالضرورة من الشباب . وهم بين العشرين والخامسة والعشرين . وكنا في صدر الشباب الاولى نعتبر من بلغ الثلاثين رجلا . والأربعين كهلا . وكنا لا نطيل النظر الى من بلغ الخمسين ! ذلك ان الحي اللاتيني كان حي المدارس والجامعة . وهو حي السوربون والكوليج دي فرانس وكلية الحقوق والبولتكنيك . فاذا وصل العمر الى الثلاثين كان على صاحبه أن يهجر طواعية الحي اللاتيني . وكان عليه أن يعبر النهر ، أو شارع ميشيل ، الى الضفة الاخرى .. فيسكن مورغارتر حيث الفنانين والنقاد والكتاب والصحفيين . وحيث مقهى الدوم والروتوند وكان يؤمها رسامو القرن التاسع عشر وبداية العشرين ، من بيكاسو الى موديلياني ، وحيث يتوسطه تمثال بلزاك للفنان رودان . او عليه ان يذهب اذا كان ثريا من الامريكان السياح او فضوليا من هواة متابعة الصيحات الجديدة في عالم الفكر كالوجودية الى سان جرمان دي بريه ، حيث مقهى الفلور والدوماجوه ، وحيث بقية المقاهي والملاهي وعلب الليل في الأقبية المظلمة ، وحيث كانت تغني صاحبة الصوت الذهبي والعيون الدعجاء الآسيوية ، والشعر الاسود الفاحم المرسل « والقذر أحيانا » : جوليت جريكو !

مسافر على الورق

وقد عشت سنين في الحي اللاتيني . حين وصلت فيه باريس ، فجلست على مقهى الدوبون في صحبة أصدقاء قدامى سبقوني الى باريس .. لمتعة الدراسة في أبهاء السوربون للحصول على الدكتوراه ، أو لدراسة المتعة في أبهاء اللوفر والمتاحف والمعارض والمسارح .

وكنت قد درست القانون في مصر . ولكن حب الأدب غلبني أو خلبني فلم أطق وعثاء اتمام دراسة القانون والدكتوراه ، وبدأت دراسة الأدب والاجتماع في السوربون ، ونزلت الى ذلك النهر العميق العريض أعب منه لا أعرف أي الطريقين أخذ : متعة الدراسة .. أم دراسة المتعة !

وأذكر أن جلستي ذلك اليوم جاءت الى جانب صديق لم يكن يعرفني من قبل . وكان من تلاميذ زكي طليمات ، وقد ناضل طليمات نضالا عصيبا حتى أرسله في بعثة لباريس واذا بهذا الصديق يتفرسني ، وأنا جالس هادئا وابتدرني بسؤال بدا سخيفا ، حين قال : هل زرت باريس من قبل ؟

وبادلته بسؤال أسخف :

ولماذا تسأل ؟ !

فقال ، كأنه يعتذر :

ـ كنا لما وصلنا باريس ظللنا الأسابيع الأولى لا تهدأ لنا رأس على رقبة . ظللنا نرفع أبصارنا ونخفضها ، ونتنقلها هنا وهناك لجلبنا حدائق التويلرى واللوفر واللاكسمبر وتأسرنا كاتدرائية نوتردام . أو تخفضنا أنوار الشانزليزيه والكونكورد المتلألئة !

فكيف بك تجلس هكذا هادئا ، ولم تصل بعد الى سن الوقار ؟

فقلت لصاحبي :

ـ نعم ذكرت باريس بالخيال وسافرت اليها من قبل على الورق ، وسبحت اعواما بين ضفاف السطور التي كتبها من باريس توفيق الحكيم وطه حسين . بل لا زلت اذكر كتابا صغيرا خلابا ، كتبه الشاعر النواقة عبد الرحمن صدقي ، مدير الاوبرا ، في سلسلة « اقرأ » عن بودلير عام ١٩٤٦ . وقد سماه « الشاعر الرجيم » وترجم فيه بعضا من ديوان « زهور الشر » فكنت أتخيل جان دوفال تلك الزنجية التي تغني بودلير بعطرها الفواح ، ووسوسة أساورها الذهبية ، ومشيتها المكسالة الطروب ! وكنت أتخيل تلك الأرائك القطيفة ، كأنني أعيش بين وشي الثياب المطرزة وعبق العطور ...

وقد لا تندهش ، اذا قلت لك انني كنت كلما قرأت شعر لوتر يامون ، كنت أتخيل أحيانا صوت القباقيب الخشبية التي كانوا يلبسونها في باريس وسط القرن التاسع عشر ، وهي تطرقع فوق الأرض المرصوفة بالحجارة (قبل ظهور الاسفلت) .

.. مع طه حسين

.. وقد تصادف ، وأنا مكب على مكتبة مدرسة اللغات الشرقية ، أن عثرت في ركن من أركان المكتبة على مجلد مهجور ، فاذا به رسالة الدكتوراه التي تقدم بها طه حسين عن ابن خلدون ، تحت اشراف دوركهايم ومن بعده بوجليه . ولم تكن تلك الدراسة التي ترجمها محمد عبد الله عنان شائعة في مصر بين كتب طه حسين العديدة الرائجة ، لأنها بحث أكاديمي ، كتبه طه حسين بالفرنسية ولم يكتبه بعربيته الموسيقية المحببة .

ولفت نظري ان فرنسا تحتفل بابن خلدون في الخمسينات ، أكثر مما كنا نحتفل به ، في تلك الايام ، كما لفت نظري اكثر ان جورج داڤي عميد كلية الآداب بالسوربون حينذاك كان قد تقدم في شبابه ايضا برسالة الدكتوراه عن ابن خلدون !

وقد طوح ذلك بي لأتابع الأماكن التي تردد عليها عدد من المصريين ـ من رفاعة الطهطاوي ومحمد مظهر الى أحمد شوقي والمويلحي الى طه حسين والحكيم . ونمت عندي هواية دراسة المكان ، فتابعت الأماكن التي عاش فيها طه حسين في باريس . وكنت مثل أبناء جيلي من عشاق القراءة في مكتبة سان جنيفيف ، وكنت افضلها لانها زاخرة بالروائع النفيسة القديمة والنادرة ولأنها المكتبة الوحيدة في الحي التي تغلق أبوابها في العاشرة ليلا . وكانت تقع في ميدان البانتيون حيث مقبرة العظماء . والمكتبة قوطية الطراز شاسعة ، فناؤها علقت على جدرانه لوحات رخامية ونقوش وتماثيل بأسماء قادة الفكر من أرسطو وأرسطوفان الى عباقرة العصر الحديث . وكانت سلالمها الرخامية ، وتماثيلها ، وقاعاتها عالما مستقلا يعزل الداخل عن الخارج .

وكانوا يحتفظون بالوسائل القديمة في طلب الكتب والمراجع وتقديمها . فقاعات القراءة والاطلاع في الطابق الأعلى ومخازن الكتب في « البدروم » . وتتصل بينهما فراغات داخل الجدران . فاذا تقدم أحد يطلب كتابا ، أرسلوا الطلب على أطباق تهبط مربوطة بسلاسل حديدية ، يلقونها كما تلقى الحبال في الآبار وكنا نترقب الكتب في لهفة وشوق ، فاذا سمعنا السلاسل ، وهي تصعد بالأطباق المليئة بالكتب في تؤدة وبطء ، التفت أغلبنا وكأننا نترقب وليمة شهية من الطعام .

وفي مكتبة سان جنيفييف كان طه حسين يقضي أغلب أيامه وكانت زوجته سوزان « خطيبته حينذاك »

تقرأ عليه الأدب اليوناني واللاتيني والفرنسي . وكانت ادارة المكتبة قد خصصت له غرفة للقراءة مع صاحبته ، حتى لا تفسد عليهما ، أو على بقية القراء جو التركيز والهدوء .

وكنت كلما مررت على المكتبة ، أتذكر أن قصة حب طه حسين لسوزان ـ على ما روى في الايام ـ قد بدأت في تلك المكتبة بين الكتب . وقد خلدتها بعد ذلك الكتب والأيام .

الذين تأثر بهم

وقد أعجبت أشد الاعجاب بأن طه حسين أخذ نفسه بالعنف قبل أن يأخذ الآخرين . وأنه بدأ في دراسة الليسانس حتى يجيد اللغة ، ويتقن اللاتينية ، ويستطيع أن يرجع الى الأصول والمنابع قبل الفروع والروافد . وقد درس طه حسين التاريخ القديم على جلوتز ، وتاريخ الرومان على بلوك ، والأدب الفرنسي على لانسون ـ ولا زلت اعتقد أن أجمل كتاب طويل عن تاريخ الأدب الفرنسي هو كتاب لانسون ، وقد ترجم الى العربية أخيرا في الستينات . كما درس على دوركهايم الاجتماع والفلسفة ، ودرس ديكارت على ليفي برول ، واللاتيني على مارتا ، وعلم الثورة على أولار ، والبيزنطي على شارل ديل ، والتاريخ الحديث على سينوبوس ، والجغرافيا على ديماجون وجالوا ، وكل ذلك كان في قاعات السوربون . اما في الكوليج دي فرانس ، فقد درس على كازانوفا .

ولا يشك أحد الآن في أن طه حسين ، وقد درس على دوركهايم وقد تأثر به وهو أكبر عقل اجتماعي ، بل يعتبرونه مؤسس علم الاجتماع الحديث . كما أن دراسته لديكارت فتحت له آفاق ذلك المنهج العلمي الفكري الذي يقوم على الشك للوصول الى اليقين . واذا كانت الأجيال قد افترقت بين جيل طه حسين وجيلنا ، فان أثر هؤلاء كان لا يزال باقيا خالدا في السوربون ، واذا كنت قد درست على جورفتش ، أكبر علماء الاجتماع في أعقاب الحرب ، وكان يبدأ منهجه بنقد دوركهايم ، ولكنه نقد التأصيل والتحليل لا نقد الهدم والانكار .

وقد وصف طه حسين حياته المضطربة المليئة بالحزن في مصر قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، وتلك الحياة الزاخرة بالعلوم والفنون في باريس ، ولم يخف حماسه حتى قال : ان الحياة في مصر كالحياة في اعماق الدم ... والحياة في باريس هي الحياة بعد ان تخرج من هذه الاعماق » !

وقد كتب الكثيرون عن المؤثرات الاوربية واليونانية على فكر طه حسين ، ولم يخف كاتبنا ذلك التأثير . بل كان يدعو الى مزيد من فهم أوربا ، ولكنني أظن أنه انتقى من أوربا ونهضتها الفكرية ما جعله أديبا مفكرا عظيم الأثر في جيله . وقد تكاملت حلقات التأثير لأنه لم يكتف بالدرس في الجامعة ، بل عب من بحور فولتير وديدرو ، ووقف مليا عند منهج ديكارت ، وتأثر بالناقد الكبير ، الذي كان لا يزال على أيامنا ضخما كما كان في أواسط القرن التاسع عشر ، وهو سانت بيف صاحب « حديث الاثنين » فكتب طه حسين « حديث الأربعاء » ، وتأثر برينان وسيرته عن المسيح ، فكتب على هامش السيرة ، كما كتب محمد حسين هيكل كتابه القيم عن الرسول الكريم .

وعندي ان طه حسين تأثر بالمنهج الديكارتي وتحمس للعقلانية ، حتى بلغ به الاعجاب بالشاعر بول فاليري ـ الذين كانوا يسمونه صوت العقل فترجم له وقدمه ، كما تأثر أغلب التأثر أيضا بالفيلسوف اوجست كونت مؤسس الوضعية ، وقد تناول طه حسين فكر هؤلاء وحياتهم من جوانبها العقلية والعاطفية الوجدانية والاجتماعية ، فلم يؤمن بسيرة الأفذاذ منعزلين عن المجتمع . وكما تأثر بفولتير تأثر بديكارت . كما أعجب بأوجست كونت . وكان لا يكتفي بدرس فكرهم ، بل يتابع مجتمعهم ، ويتوقف عند مشاعرهم وعلاقاتهم العاطفية . وقد كتب طه حسين عن كونت وعن قصة حبه الخائبة المؤثرة لكلوتيلدي نو ، وأخذ عن كونت فكرة التطور ، في المجتمع من المرحلة اللاهوتية الى الميتافيزيقية أي الواقعية .

والغريب أنني عثرت في مكتبة سان جنيفيف ـ عام ١٩٧١ ـ على خطابات أوجست كونت عام ١٨٤٢ يقدم فيها تلميذه محمد مظهر ، في مدرسة البولتكنيك . وقد

اصبح مظهر وزيرا للاشغال العمومية في مصر ، وبنى فنار الاسكندرية واشترك في بناء قناطر محمد علي . وقدم كونت صاحبنا المهندس المصري الى صديقه الفيلسوف الانجليزي جون ستيوارت ميل . وكان الفيلسوفان يتراسلان بانتظام ـ على طريقة القرن التاسع عشر .

وقد تعجبت لهذه التأثيرات القوية التي أثرها كونت في أول مبعوث مصري يدرس الهندسة في باريس عام ١٨٢٦ ، وتعجبت أن يستمر التأثير على الجيل الثالث من البعثات ، في طه حسين ، فاذا به يأخذ من فكره الكثير ، وتأسره قصة حبه المعذبة ، فيكتب منها فصلا ممتعا في كتابه « ألوان » .

في مصر

وقد رأيت طه حسين أول مرة ١٩٤٦ ، حين كان يصدر مجلة « الكاتب المصري » .. وكان قد دعا أندريه جيد لالقاء محاضرة في نادي خريجي الجامعات بشارع شريف بالقاهرة . وكان جيد وطه حسين صديقين ، قدم جيد لطه حسين أعماله المترجمة للفرنسية ، كما قدم طه حسين لجيد أعماله المترجمة للعربية ـ ولا زلت أذكر أن القاعات اكتظت بجمهور الحاضرين حتى ضاقت بهم ، فوقف الكثيرون على السلالم من الطابق الثاني حتى مدخل العمارة ، وأغلبهم لا يسمع شيئا ، وكأنما يطمعون في القاء نظرة على عملاقي الأدب .

وكان فضل طه حسين عظيما على المجلة والقراء ، فقدم لنا باريس بعد الحرب الثانية . وقدم فيها كامو وسارتر وايتامبل وجيد وجان كوكتو وفاليري وبروست وغيرهم من أئمة الفكر والفن . وكما قدم في مجلة الهلال في العشرينات كل ذخائر الفكر والمسرح اليوناني ، وكما قدم في الثلاثينات على صفحات السياسة أغلب الأدب والمسرح الفرنسي ، فقد كنا نقرأ ونشهد في القاهرة ما يقرأه ويشهده أهل الثقافة في باريس .

وحين توليت مجلة الهلال ـ أواسط الستينات ـ لمعت في ذهني فكرة تكريم طه حسين في حياته . وكنت أعلم أن الرجل شبع مجدا وتمجيدا . فقد أطلق عليه القراء « عميد الأدب » حين حرمته الحكومة من عمادة كلية الآداب ، وحصل على أعلى الأوسمة والألقاب من شتى البلاد ، وكان قد اعتكف في أواخر الستينات في فيلته رامتان . وقد انفض أغلب الناس عن زيارته ، فلم يعد وزيرا ولا عميدا ولا حزبيا يجتمع حوله الانصار والتلاميذ ، وأصبح الناس يقرأون له ولا يقرأون عنه فلماذا لا نخرج عنه عددا خاصا ، من مجلة الهلال يتناول أدبه وفكره بنظرة جديدة .

وأذكر أنني ذهبت مع أحمد بهاء الدين ودخلنا فيلا رامتان جوار الهرم . وكان طه حسين جالسا على مقعده في مكتبته بالطابق الارضي ، والضوء خفيف خفي ، واخشاب المكتبة والكتب تغطي جدران الغرفة وبابها المطل على حديقة أنيقة شبه موصد ، يتسلل منه ضوء ناعم تكاد تحس ملمسه .

وعرضنا عليه الفكرة ، فظهرت على وجهه بشاشة واهنة .

وأخذ يسأل بهاء عن أخبار السياسة ، ودخلنا في موضوعي المحبب « باريس » فقال .

ـ أنه يذكر أن « آل عبد الرازق » هم الذين استقبلوه عند عودته مع زوجته ونزلا عليهم ضيفين .

وكنت أعرف بعضا ، وشيئا عن آل عبد الرازق ، فقد كانوا من أئمة حزب الاحرار . وكان لهم بيت ـ أقرب الى القصر ـ وراء قصر عابدين حيث مقر الملك . وكان هذا البيت منذ العشرينات « صالونا » أدبيا شهيرا ، يتردد عليه الشيخ محمد عبده ، ولطفي السيد ، وطه حسين .

وكان أغلب آل عبد الرازق من علماء الأزهر الذين ذهبوا الى باريس أيضا . وكان الشيخ علي عبد الرازق أعنفهم ، فقد أثار ضجة هزت مصر عند تأليفه كتاب « الاسلام وأصول الحكم » ، كما أدى الى استقالة عبد العزيز فهمي من الوزارة احتجاجا على موقف الحكومة .

وكان الشيخ مصطفى من مشايخ الأزهر ، وقد سافر أيضا الى باريس وعاد لاصلاح الأزهر بعد أن أصبح شيخه ، وان كانت له ميول أدبية ، ومقالات رصينة بهية الصياغة .

والغريب ان القصر الذي كانوا يقطنونه كان يقع أمام باب من أبواب قصر عابدين الخلفية وهو باب خشبي سميك مرتفع ، كان يستوقفني كثيرا بضخامته ومهابته ونقوشه . والأغرب أنهم كانوا يطلقون على هذا الباب « باب باريس » ولست أدري حتى الآن سر التسمية ، هل هو تقليد لأحد أبواب قصور باريس أم لأنه صنع بها أيام الخديوي اسماعيل أو الملك فؤاد !

وبينما كان طه حسين يسأل عن بعض الأدباء الشبان ، اقتربت منه لأتفرس هيئته ، وقد راعتني ملاحظة عجيبة .

كان طه حسين لا يجلس جلسة الكفيف !

.. ولو عرفت جلسة الكفيف لما وجدت في جلسة طه حسين ما ينبئك عن آفته فالكفيف عاكف على جسده غالبا مطبق الاطراف منقبض الكتفين كأنما يتوجس الخطر ويخفي الحذر ، وكثيرا ما يلمس بيده جسده او يفرك أنامله بابهامه ولكن طه حسين بدا لي مرتفع القامة ، ممتد الرقبة قد وضع يدا على يد في هدوء وكأنه تمثال للعقل والهمة .

أو كأنه يريد أن يشعرك أنه يدركك قبل أن تدركه .

وراعتني الملاحظة ، فنقلتها الى عبد الرحمن صدقي ، وقد زامل طه حسين طويلا في وزارة المعارف ، فأكد صدقي أن طه حسين كان حريصا في المآدب العامة أن يأكل بالشوكة والسكين . فقد طرح هيبة الكفيف التي وصفها في أيامه حين كان طفلا يأكل ، وحين كان صبيا يتركونه ، وحين كان شابا يسوقونه ، وحرص أن يمتحنوه في الجغرافيا ، وأن يؤكد أنه يرى . وحرص أن يشهد المسرحيات والمعارض الفنية ، وأن يتحدث عنها بالتفصيل .

بل كانت نقمته نعمة ، فأصبح صاحب أسلوب أقرب الى الموسيقى منه الى النحت ، وكان أرق من صور المرآة بأذنه ، ولعب الصوت دورا مؤثرا في عناوين كتبه ، « صوت باريس » .. « دعاء الكروان » ... « من بعيد » .

وكان طه حسين أعظم من دافع عن العقل ضد النقل أو الجهل . ولم يعبأ بالاتهامات أو المعارك ، واقتحم عبر أجيال ثلاثة ، كل المصاعب ، وكان مجددا ، وهو يستحق أن نسميه كما سمي فاليري « شاعر العقل » .

وقد زانته بصيرة نفاذة ، تحسها منذ أول لحظة تلتقي به ، أو أول سطر تقرأه له .

ولا زلت أذكر لقاءاتنا التي تكررت بعد صدور عدد الهلال ، فكان صوته عذبا عميقا ، به طيف فكاهة أزهرية عميقة امتزجت بلكنة فولتيرية ساخرة ! ■■

كامل زهيري

فلسفة الشعر !

● قالوا للشاعر كارل ساندبرج : « هل صحيح ان احدى المجلات قد طلبت اليك ان تكتب لها مجموعة من القصائد على غرار قصائدك المشهورة عن الحياة في مدينة شيكاغو الامريكية !

وقال الرجل : « هل سبق لكم ان سمعتم عن امر يصدر الى امرأة حامل بان تلد طفلا ذكرا لون شعره احمر ؟ » .. انه شيء من صنع الله .. والقصيدة طفل لا احد يعرف حتى صاحبها ، متى تنظم او كيف سيكون مولدها !


وجهنا
الآخر

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

اغمض عيني واتذكر . كم مدينة رأيت ما بين اوروبا والارجنتين وسان فرانسيسكو ، وبين اندونيسيا الى اليابان والصين وهونولولو ؟ .. لست احصيها عددا انها حصاد طويل يتفتح في خاطري وينطفىء كالنجوم . ولكنها نجوم نهارية تتسع كبحيرات الضوء وتملأ خاطري ماكداس الليلك والفراش وبطعم المطلق !

ومع أني مولع بالأوابد ، بسمفونيات الرخام والبرونز تتمرد في الساحات تاريخا مجمدا متحجرا ، بقناديل المعابد تعطي كل بلد نكهته الالهية الخاصة ، بالمتاحف تلخص الانسان في حجر وقطعة قماش ولون وبعض من ادوات وآنية ، مولع بلعبة الجمال يشترك الخالق والانسان في لعبها بين شاطىء يخفق كصدور العشاق ، وجبل بنفسجي تتزلق على أقدامه البيوت ، بساطا من الزهر ، وحدائق زنبق وضحكة صبايا ، مولع بجنون الليل في المدن ، تضج فيه المصابيح اعراسا وتنطلق الاهواء بين التهجد والجنون ... مع كل اولئك فان لي عند كل مدينة هوايتي الشريرة التي كثيرا ما استدارت لها عيون الادلاء وانا اهمس في آذانهم

ـ أريد أن أرى الوجه الآخر للمدينة !

ـ الوجه الآخر ؟

ـ بلى الوجه الآخر حيث « يشرش » الفقر كالجذور الدرنية ويتراكم النحيب الاخرس كدم متخثر مضت عليه قرون ...

وغالبا ما كنت اذهب وحدي ... من ذا الذي يشوقه الوجه القذر ؟

من ذا يطارد طائعا اقبية العفن والسعال ، وازقة القيء ، والخدود تحسبها جزءا من العظام ؟ وكم مرة عدت الى فندقي أقطر المطهرات في عيوني وفي وهمي أن الاقذار قد نفذت الى أعماق العيون !

هكذا عرفت ريو دي جانيرو ـ وهي أجمل مدن الدنيا ـ من خلال « فافلات » (*) الصفيح الزنجية ، على السفوح التي تزلق بالنتن ! وعرفت نيويورك ، هذا الهيكل الحديدي للحضارة الحديثة ، من خلال « هارلم » وحزنها البني المحروق . وعرفت القاهرة العارية في اعماق شبرا وبولاق ، ونيودلهي في « دلهي » القديمة وباريس في « الهال » ، معدة باريس الرهيبة . البؤس الانساني واحد في كل مكان لونه الاسود واحد . رائحة الغثيان الحيواني فيه واحدة النظرة الكسيحة المقهورة في داخل المحاجر

.. ... « كسراج كوخ نصف متقد »

واحدة أيضا . ومع ذلك فهذا هو ايضا وجه المدينة . وجهها الحقيقي الاخر . لامدينة بدون هذا الوجه القذر المسحوق ، ولكنه وجه مدفوع الى الخلف . الى الاطراف القصية بعيدا عن فضول العيون . كل المدن تدفع باحيائها القذرة ومزابلها الى البعيد . تعرف أنها عارها فهي تخفيها عن الانظار . لا تسمح للمراكب ولا للعيون الفضولية أن تصل اليها . تحاول الا تكون منها ، كأب مذعور يصرخ منكرا ابنه غير الشرعي ! اقذار المدينة ، غسيلها الوسخ كلها ترحل هناك . تختفي في التراب واكواخ الصفيح . ولكن اليست جزءا من حقيقة المدينة ؟ اليست حقيقتها الاخرى ؟ وجه الميدالية الثاني ؟

* فافيلا تعني في اللغة البرازيلية اكواخ التنك والخشب البائسة التي يبنيها فقراء الزنوج هناك للسكنى

الناس كالمدن

والناس ؟ اليسوا ياتــرى كالمدن ؟ (او ان المدن كالناس لا فرق !) لهم بدورهم واجهاتهم الممردة سمفونيات اناقة ورونق وعناية وعطر .. ولهم الاحياء القذرة الخلفية المدفوعة الى الوراء والاغوار . لهم عارهم الذي يدارون عن العيون ... وينكرون ! وكما ان للقمر وجهيه : الوجه المضيء بالاشراق الذي نرى والوجه الآخر المظلم المطل على الفضاء اللانهائي ، كذلك للانسان جانبه المضيء للناس وجانبه الخفي الاسود ، لاتدري ابعاده الشرسة ولا دوامات الاعماق فيه . ويوم ذكروا ان السيد المسيح مر بجماعة الرجم يرجمون زانية فاوقفهم قائلا :

ـ من كان منكم بلاذنب فليرمها بحجر .

ووقفت كل الاحجار ... يومذاك كان السيد المسيح يحتكم ، في النفوس ، الى الوجه الاسود منها ، الى ركام الخطايا المتعفنة احمالا خفية على الصدر والعاتق وملء اليدين ! ولكنا نحرص على أن نخفي تلك الاحمال . على أن نتركها في العتمة المطلقة . هي الغسيل الوسخ الذي نتحاشاه . الهرب من الغسيل الوسخ ليس توقا الى الكمال ، ولكنه وجع النفاق في كهوف الانسان السفلية ، ستار الزنبق الذي نغطي به الافاعي والديدان العمياء وسعار الشرر والزعيق الاسود في الاعماق .

لوشف هذا الجسد المادي ، كوعاء من البلور فماذا يكون الانسان اكثر من جهاز لصنع الاقذار ؟ ولو شفت النفس شفت بدورها كالبلور . اما كان كل منا البرهان الحي على الحكمة الالهية الكبرى : « ان النفس لأمارة بالسوء » . ومع ذلك فنحن جهد محموم لاخفاء « الامارة بالسوء » ومشى البحتري بامارة الخير .. والخير وحده . ومؤامرة الصمت والنفاق تمشي وراء ذلك ، كبعض آلات محو الاثر .. ولكن دون نجاح كبير !!

ابو نواس الذي نعرف ، داعب احد ندمانه مرة بقوله :

ذبـول عينيك دليل على
انـك تشـكو سهـر البارحة
عليك وجـه سيء حاله
مـن ليلـة بت بهـا صالحة
ونكهـة الخمـر وانفاسها
والخمـر لا تخفـى لهـا رائحة

لو شاء النواسي الحكمة لقال : والنفس لا تخفي بها جارحة ! ورحم الله ابن ابي سلمى :

فمهما تكن عنـد امـرىء من خليقة
وان خالهـا تخفـى على النـاس تعلم !

وبالرغم من ان المدن تعرف ان الاقـذار مشكلتهـا المؤلمة وتحتال على التخلص منها حرقا وتحويلا واغراقا ، تعرف الآن أن تلويث البيئة انتحار بطيء ، وتصيح في المنابر تحذيرا وانذارا الا أن الانسان ليس في هذا الواد . انه لا يهتم كثيرا بالخلاص من وجهه القذر ، يتركه على التراكم والعفن في الدهاليز الخفية من ذاته . ولقد يفلسفه ويبرره ليجعل منه بعض مقومات الذات . ألسنا ، في كل الاحوال ، ندافع عن أخطائنا وخطايانا ونجد لها ألف مبرر ومبرر ؟

المتصوفة في معركة التطهير

الوحيدون الذي اهتمـوا حقـا بان يدخلوا معـركة التطهير ، بان ينتصروا على سواد الاعماق ، بأن يخنقوا أفاعيها الجموح وعواصفها الشيطانية بالجوع والسكون والقهر هم الزهاد والمتصوفة : اهل الله ! صحيح ان الحل الذي اختاروه حل سلبي . اختاروا الهرب . الانسحاب . اغلاق كل النوافذ مع الدنيا ولكنه كان احدى وسائل الخلاص . كان طريق النقاء المتاح . سبيل الهدنـة مع الروح . وكانوا يعرفون انهم ليسـوا ببـالغيه الا بشـق الانفس وباصعب الغلاب المرير للذات . انهم يسمـون ذلك بالرياضه ويسميها الرسول الكريم بالجهاد الاكبر . انـه اعنف الجهـاد . كل الانبياء وكل رجـال التـربية وفلاسفة الاخلاق ، منذ كان الانسان ، كانوا يجهـدون لتعليم الانسان هذا الجهاد الصعب . يدفعونه للدخول فيما سماه السيد المسيح « بالباب الضيق » . كل العقائـد ، كل عوالم المثل ، كل القوانين البشرية انما كانت لتطهير

الغسيل القذر . لخنق التنين الحيواني في الانسان . تاريخ الانسانية كله انما كان محاولة لجعل الانسان انسانا .

لســـ تســـطيع ان تكون الها
فـــاذا اسطعـــت فلتـــكن انسانا

على أن اكثر الناس ، ولو أرادوا التطهر أو اختاروا النقاء ، لا يطيقون هذا الجهاد الصعب ، إنه أعنف من احتمالهم ومدى أيديهم فالأهواء جموح ولا ألف حصان وحشي ، والفرص غواية ولا ألف شيطان . واللذات الحرام ... أرأيت الازهار المفترسة ؟ لون غوى ، وعطر كالعيون السود يبحث الخدر ، ولكن أفعى « الكوبرا الملكية » التي يجتذبها هذا العطر وذاك اللون ، هي دوما هناك . والموت معها هناك .. وفي ثوان ...

وبعض الناس يختارون الطريق الاسهل : التطهير الخارجي ، غسل الجسد ، الاستعانة بيد الله فوق أيديهم لمحو الخطايا واعادة الالواح بيضاء من غير سوء . الصوم ولو أنه تنقية للجسد . الا اننا نكتفي به عن طهر الروح . نجعله مجرد جوع حيواني ونسميه : عبادة . وقد نحاول أن نعطيه البعد الروحي ... نحاول تهدئة الوجدان القلق لننقض المحاولة عند أول اغراء . ونحن نذهب الى الحج ، والحج شعيرة من شعائر الله ، وسبيل الغفران والطهور ، ولكنا نجعله رحلة الغسيل القذر ، نحسب أن مجرد حركة الالسن بالتلبية عند الطواف وركض السعي بين المروتين وتأمل المغيب على عرفة ، ذلك وحده كاف لمحو كل الذنوب . وتسقط هناك كورق الخريف عن أعناقنا مع ثياب الاحرام ويعود واحدنا وفي وهمه أنه طاهر نقي كيوم ولدته أمه ... ليعود فيسود الصفحة من جديد !

لسنا وحدنا ..

ولسنا وحدنا في هذا الطهور الجسدي الكاذب . الانسان هو الانسان دوما . شعوب اخرى عديدة سلكت الطريق الاسهل . تحول فيها القدس الروحي الى جسد . في القرون الوسطى كان البابوات يبيعون صكوك الغفران لمن يدفع الثمن . قطعوا الجنه قسائم واشبارا للراغبين في الخلاص ببضع دوقات ذهبية ، وكفى الله المؤمنين القنوت والصلاة ! شعوب الانكاس في امريكا اللاتينية ، قبل كولومبوس بقرون ، كانت بدورها تتطهر من الخطايا . يصعد صاعدهم المعبد الصخري من أعلى جبال الانذز ، مئات الدرجات الحجرية حتى اذا اشرف ، مع الشروق ، على بحيرة (تيتى كاكا) أعلى مسطح مائي عذب على الارض غطس في الماء وتطهر .. تطهر الجسد اما الروح ؟ ...

وفي الهند يزحف الهندوس من كل مكان الى نهر الغانج المقدس فهم في شاطئه عشرات من الآلاف تخوض في المياه الموحلة للوصول الى (الباغنا) الى العيش في توافق وسلام مع العالم . كذلك يعتقدون . فمياه الغانج حين تغسل الجسد تغسل معه الروح !

وفي سفر اللاويين من التوراة اصحاح يتحدث عن طقوس التطهير اليهودي . يقول الاصحاح : « يدخل هارون الى القدس في قميص وعمامة من الكتان المقدس ومن بني اسرائيل يأخذ تيسين من الماعز .. ويوقفهما أمام الرب في باب الخيمة ويلقي عليهما القرعة ، واحد للرب والثاني لعزازيل . فالتيس الذي خرجت عليه قرعة الرب يجعله ذبيحة خطية . واما التيس الذي لعزازيل فيوقف حيا امام الرب ليكفر عنه . ومتى فرغ من التكفير يضع هارون يديه على رأس التيس الحي ويقر عليه بكل ذنوب اسرائيل ، وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ، ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يأخذه الى البرية . والناس يطاردونه بالاقذار الى خارج البلد . ليحمل التيس كل ذنوبهم الى أرض مفقودة فيطلق التيس فيها .. أما المدن التي ارهقتها أقذارها حتى الاختناق فخسفت بها الارض او تحولت كسادوم وعمورة الى تماثيل من الملح ...

ويخيل الي اننا ، رغم دعاوي التطهر والخلاص ، نجد نوعا من اللذة الحرام في الاحتفاظ بالجانب الابليسي منا . نغسل ظاهر الجلد ولكنا لا نريد أن نغسل ما وراء الجلد ... والا فلو كان علينا أن نقوم بالتطهير الذاتي وكنا صادقين مع انفسنا ، فكم قطيعا من التيوس يحتاج كل منا يا ترى ؟ : ■■

د . شاكر مصطفى

هذه مجموعة من القضايا الفكرية الهامة ، اختار الدكتور عماد الدين خليل ان يناقشها في هدوء ، من خلال تسجيل ملاحظاته عليها ، المليئة بالتحفظات والحجج والاسانيد .

دعوة للتفكر المستقيم

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

١ - في المادية يتحول الانسان الى كومة !

الشرائح العليا للبورجوازية .. الشرائح السفلى للمهنيين .. الشرائح الوسطى للموظفين . وهكذا يشرح التفسير المادي الحركات التاريخية والمجتمعات البشرية باسلوب رياضي صارم وساذج في الوقت نفسه ، لأنه يبسط العلاقات الاجتماعية والسايكولوجية باكثر مما تطيق .. كما انه اسلوب يتميز بقدر غير قليل من الاستخفاف بالانسان وامتهان كرامته بتحويل المواطن الانسان الى مجرد رقم او كتلة كمية تنضاف الى هذه الشريحة او الكومة الاجتماعية أو تلك على ضوء معيار واحد فقط هو مقدار ما تملكه من مال !!

وسيجيء اليوم الذي يكون فيه تفسير التاريخ او تحليل مجتمع ما ، بالشكل التالي : المجتمع المصري في عصر الثورة العرابية : عشرة بالمائة شرائح بورجوازية عليا ، يملك الواحد منها في المعدل الوسطي مائة الف جنيه ، فاذن ، فان تصرفاتها التاريخية ومواقفها يجب ان تكون كذا ... وكذا .. (لاحظ يجب هذه ان أتباع المادية هنا في الشرق يستخدمونها اكثر من اساتذتهم ويعضون عليها بالنواجذ لأنهم كما يصطلح المثل : ملكيون اكثر من الملك) .. وخمس وعشرون بالمائة شرائح سفلى تملك في المعدل الوسطي خمسين جنيها ، فاذن ، فان تصرفاتها يجب ان تكون كذا .. وكذا ..

وهكذا فان مؤشر تصرف الانسان وسلوكه التاريخي يتحدد فقط بانتمائه الطبقي بمقدار دخله السنوي .. اي ما يملكه من مال ..

وبنظرة سريعة الى التاريخ البشري ، والى تاريخنا نحن بالذات ، يتبين سخف هذه النظرية وتشنجها وتهافتها .. فليس الانتماء الطبقي وليس الدخل السنوي هما وحدهما اللذان يحركان التاريخ .. ان هنالك انتماءات لعبت دورها الخطير الحاسم في التاريخ ، تدحضها وتعطي مؤشرات اخرى : الانتماء القبلي على سبيل المثال - في مساحات واسعة من تاريخنا الاسلامي حيث كان ابناء القبائل يتحركون وفق مسار الروح القبلية واهدافها وردود أفعالها ، بغض النظر عن مكانتهم الطبقية ودخلهم السنوي .. كان فقير قيس وغنيها يقاتل ضد فقير يمن وغنيها ، لم يتعاطف فقراء هذه القبيلة وتلك ، ويتمنى الانسان لو حدث هذا .. ولا التحمت مصالح اغنياء هذه القبيلة اوتلك ، ولكنا نعرف المساحة الكبيرة التي غطاها الدافع القبلي في تاريخنا ..

في فجر الدعوة الاسلامية انتمي الى الدين الجديد اناس من شتى المراكز الاجتماعية . اناس اختلفت حظوظهم من المال ، بين من يحصل على عشرات الآلاف من الدراهم والدنانير وبين من لا يجد قوت يومه .. انتمي هؤلاء جميعا الى الدعوة الجديدة متجاوزين او بالاحرى غير معترفين اساسا بحاجز يسمى الموقع الاجتماعي .. او الدخل .. لان القناعة الفكرية والوجدانية بالصوت الجديد هي اكبر بكثير ، واقوى بكثير ، من ثقل الموقع الاجتماعي وتأثيرات الدخل .. ولو لم تكن كذلك لما استطاع هؤلاء الرواد ان يصمدوا بوجه تلك الحملة الجاهلية القاسية الشرسة التي سعت الى سحقهم وابادتهم ...

وهنالك غير هذا وذاك ، دوافع عديدة لعبت دورها وستظل تلعبه في حركة التاريخ .. هذا مع عدم انكار الدور الكبير الذي تلعبه مسألة الانتماء الطبقي والدخل .. ولكن الخطيئة القاتلة المناقضة للعلم والمنطق ، هي اعتبارها العامل الاول والاخير ..

ان التاريخ اشد تعقيدا واستعصاء على التسطيح .. وان الذين سعوا لقياس حركته بالمسطرة والفرجال وتنبؤوا .. سقطت تنبؤاتهم لان حركة التاريخ هذه لا تخضع للقياس الرياضي الصارم ، فالارقام والسطوح والاحجام ، الساكنة او المتحركة شيء ، وبنو ادم بما يمتلكونه من تجربة معقدة هي نسيج من عقل وعاطفة وروح وارادة ونوازع ودوافع وغرائز وشواهد ورغبات .. شيء آخر تماما ...

والذي يصنع التاريخ هو الانسان ، ومن ثم تمتد حركته الى اكثر من بعد وتتوغل الى اكثر من عمق .. وليس الانتماء الطبقي والدخل بقادرين على منحنا المفتاح ...

وعندما يقرر عالم كبير مثل (الكسيس كاريل) ، قطع عمره في البحث المختبري بان احد اخطاء الانسان الخطيرة يتمثل بالسعي للنظر الى فاعلية الدماغ البشري ، والعملية الحيوية عموما من خلال نظم هندسية سهلة الفهم ، منتظمة التركيب .. عندما يقرر كاريل ذلك فليس بمقدور اى باحث في حقل العلوم الانسانية ذات البعد النظرى القائم على الظن والتخمين في مساحات واسعة منه ان يسعى ، بالاسلوب الخاطيء نفسه ، لتحليل الحركة التاريخية التي يشكلها الانسان .. الحركة المعقدة الحيوية ، التي تند عن التصور الهندسي المنظم .. ليس بمقدوره ، اذا اراد ان يتبع المنهج العلمي حقا ..

اما مسألة الشرائح تلك ، مسألة تحويل الجماعات البشرية في مجتمع ما ، الى (كوم) بمقدار ما تملكه من مال .. فلعلها واحدة من الممارسات اليهودية لاذلال الانسان ، وتدمير ابعاده المتميزة الأصيلة التي تعلو على الذهب والفضة ....

واغلب الظن انها كذلك .. اليس اليهود هم الذين (أشربوا في قلوبهم العجل) كما وصفهم القرآن الكريم ؟

الذهب ... ولا شيء وراء الذهب .....

٢ ـ لعبة كل يوم ..

(لعلهم يتذكرون) ... (لعلهم يتفكرون) ... (لعلهم يعقلون) .... عشرات المرات ، بل مئاتها ، والقرآن الكريم يدفع الانسان دفعا ، يهزه بعنف يأتيه من كافة الزوايا من اجل ان يعمل عقله فيما يحيط به ، لانه بمجرد اعمال عقله هنالك فانه سوف يكتشف النقاب عن الحقيقة ... وما جاءت الاديان الالكي تقود الانسان الى الحقيقة ...

ابتداء من لحظات نزول القرآن الأولى والى أن يشاء الله ، ترددت وستردد هذه النداءات القرآنية الموجهة للانسان كي يعمل عقله ....

وعبر مسيرة الاسلام الطويلة استجاب للنداء من استجاب ، ورفض من رفض وبقي النداء يحمل حرارته وتدفقه في مجرى الزمن .

ومع ذلك يبرز بين الحين والحين ، من أدعياء البحث والفكر ، من يقول بان الدين جاء لكي يقف بمواجهة العقل ، يحاصره ويضيق الخناق عليه أو يسد إزاءه منافذ العمل والانطلاق ، وأنه اذا ما أردنا اطلاق العقل من عقاله ، لكي يعمل بحرية تامة فانه يتوجب علينا أن نزيح من طريقه عوائق الدين ...

اتراهم لم يقرأوا كتاب الله ولو مرة واحدة ؟ اتراهم لم يمروا على صفحاته ولو مرورا سريعا ؟ وفيهم الاساتذة المتخصصون الذين يتباهون بقراءتهم الواسعة ليل نهار ؟!

ترى كم من المواقف القرآنية حكم عليها من قبل هؤلاء الادعياء بعكس ما ذهبت اليه او ارادت ان تقوله ؟

انه احتقار للعقل نفسه ، ان يصدر الانسان حكمه على قضية لم يكلف نفسه عناء الاطلاع على تفاصيلها وابعادها .. تماما كما انه احتقار للقانون ان يصدر الحاكم حكما خطيرا في قضية لم يشهد فيها شاهد واحد ... احتقار للعقل نفسه ان يتشبث الانسان بموقف لا تبرره الحجج ولا الاسانيد ، موقف حمله معه منذ طفولته او صباه او مراهقته ، او لقنه تلقينا ، في هذه المرحلة او تلك ، ثم لم يحاول بعد استكمال نضجه ان يقوم بتفحص مدى صدق موقفه ذاك ..

واغلب الظن ان المسألة بالنسبة لمتخصصين كهؤلاء ليست مسألة حل ولا تلقين ، لكنها مسألة (تحميل) ارغموا عليه وهم يواصلون دراساتهم العليا هناك ، لكي يمنحوا الشهادة ويرجعوا الى بلادهم فيجدوا المناصب الخطيرة والضمانات الكبيرة والاموال الغزيرة تستقبلهم هناك ...

والدليل انك ان حاولت ان تناقشهم وتقدم لهم الادلة تلو الادلة لووا رؤوسهم ، ورفضوا الاستمرار في الحوار خوف ان تتكشف ابعاد اللعبة التي كلفوا بادائها قبل ان يرجعوا الى بلادهم ...

وليس ثمه من خطر ان يرجع كل المتخصصين وهم يحملون اسفار الخرافات الغربية المادية او الصليبية ، عن الاسلام وعقيدته وتاريخه ... ولكن الخطر يكمن في صفوف الطلبة الجدد الذين سيجلسون تحت ايديهم يتلقون عنهم المعرفة بنظرة ملؤها التقدير والثقة والاعجاب والاحترام ...

وازاء نظرة كهذه يطمس على الحقائق ، وقسر الاكاذيب والخرافات . في جامعتنا تمارس هذه اللعبة كل يوم ... ولمن يريد التأكد ان يذهب بنفسه الى قاعات المحاضرات واروقة الكليات وغرف الاساتذة ونواديهم لكي يشاهدها بام عينيه !!

٣ ـ لا أخاف الله ...

عبارة كثيرا ما يطلقها ادعياء خرافة الالحاد ....

يقولونها كلمات .... او يفرزونها سلوكا وممارسات ... وفي كلتا الحالتين يشير رفضهم السالب ، بما يتضمنه من شحنات التحدي المتوتر والانكار الخادع ، الى ان ثمة في اعماق قلوبهم ، في قاع فطرتهم التي تكدس فوقها التراب ... اعترافا بشكل من الاشكال . اقرارا ما ، بهذه القوة العلوية التي يخافونها ويتجاهلونها ، ثم يتحدونها منفعلين ، متوترين .. تلك هي الله سبحانه ...

لكأنهم يؤكدون بموقفهم هذا ، ومن حيث لا يشعرون ، ايمانهم المسبق ، المطموس ، بخالقهم .

لقد قالها القرآن الكريم ، ان حقيقة الايمان مركوزة في جبلة بني ادم ، مدونة في شهادات ميلادهم ، محفورة على صفحات فطرتهم : (واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ، ذريتهم ، واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . او تقولوا : انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ : الاعراف ١٧٢ ـ ١٧٣) .

ولكن التعامل مع هذه الحقيقة العميقة يختلف بين انسان واخر ... حيث تركت حرية اتخاذ المواقف للانسان نفسه ... فمنهم من يفتح عقله وقلبه وروحه ووجدانه لحقيقة الايمان فيزداد توحدا وامتلاء وسعادة وقدرة على الفعل التاريخي في الزمان والمكان .... فينال نعيم الدنيا والاخرة . ومنهم من يسد بعض المنافذ ويفتح بعضها الآخر او يتركها نصف مفتوحة ، فيهتز ايمانه ويومض بين الحين والحين كلما انزاحت ستارة مسدلة على هذه النافذة او تلك ... ومنهم من يهيل عليها التراب ، او يتركه يتراكم فوقها ، برين على القلب ، وغشاوة على البصيرة ، وصدأ على الفؤاد .. ويبعد عنها او تبعد عنه ، حتى يأتي ذلك اليوم الذى يتصور فيه ان ليس ثمة ما يربطه بالايمان ، ويفقد القدرة على التواصل باى شكل من الاشكال مع تلك الحقيقة التي طمست في اعمق

اعماقه وراء طبقات كثيفة من الصدأ والتراب ... حتى اذا ما اعلن يوما انه لا يخاف الله ، او يمارس عملا يعلن به عن ذلك .... فانه انما يفعل ذلك في محاولة منه لاقتطاع آخر جذر في فطرته يمكنه من استئصال حقيقة الايمان بالله المتأصلة هناك .. ولن يستطيع ....

انه اذا ما استخدمنا مصطلحات الفقهاء واللغويين ، نوع من (مفهوم المخالفة) الذى يقود ضمنا الى معنى نقيض للمعنى المعلن قولا او فعلا ....

وسواء كان هذا الذى يتخذ موقف الرفض انسانا عاديا او مثقفا على مستوى كبار المفكرين الوجوديين القائلين بالحرية بعيدا عن رقابة الاله والزاماته الفوقية المسبقة فان الامر الذى لا ريب فيه هو ان موقفهم هذا يمثل اعلانا بشكل ما عن حقيقة اصيلة وكبيرة يسعون لتجاهلها وانكارها .. وما اكثر ما عاد هؤلاء بعد لجاجتهم تلك ، وعنادهم ، الى الحقيقة التي سعوا لاغتيالها في نفوسهم ... فعانقوها .. واصبحوا حينذاك ... وحينذاك فقط .. سعداء حقا !!

٤ ـ الصراع والتوافق .. معا

ليس تاريخ الكون والعالم صراعا وتناقضا كله ، كما تريد الديالكتيكية ان تقول . فهناك ماهو نقيض التصادم والصراع ... هنالك ـ ايضا ـ حركة باتجاه الانسجام والتوحد والتوافق ، وهي تغطي مساحة واسعة في حركة الكون والعالم ......

ان الرؤية الأحادية التي تأسر المنهج الديالكتيكي تقف عند جانب واحد ... صحيح انه يحتل مساحة واسعة من التاريخ ، ويفسر قسطا واسعا من الحركة ، لكنه ليس الجانب الاوحد . فهناك جوانب أخرى قد تكون نقيضة تماما لمفهوم الصراع ، لكنها تشترك معه في تحريك العالم وتفسيره كذلك ....

ومأساة الفكر الغربي والمعطيات الوضعية عموما ، هي هذا التشبث بالكشف الاحادى . هذا التشنج على جانب من المعرفة التي يتوصل اليها هذا المفكر او ذاك ، والادعاء بانه الجانب الاول والاخير ... الجانب النهائي ...

فعلها ماركس وفعلها دركايم وهيغل وفرويد وداروين .. الى آخره .. وسيفعلها عشرات بل مئات غيرهم ، ما دام ان من طبيعة السايكولوجية الوضعية ، اذا صح التعبير ، ان يتضخم احساسها بالكشف المعرفي حتى يصبح ورما خبيثا للرؤية الموضوعية العادلة الى جوانب المسألة كلها ..

ومهما يكن من امر فان ما يقوله الديالكتيك انما هو عرض لجانب واحد ، اما الجانب الآخر فيتمثل بالوفاق والتناغم والتعاطف والالتئام والانسجام . أي ـ باختصار ـ بتحرك متقابل ، وليس بتضاد متقابل ....

في الكون .. على مستوى السدم والنجوم والمجموعات الشمسية والمجرات ، يوجد الانشقاق والصراع والتفتت . ويوجد كذلك التجاذب والتجمع والتكاثف والدوران المتناغم ، والانسجام والحركة في الحالتين يمكن ان تجد تفسيرها وفق هذه الصيغة او تلك ..

وفي المادة في صميم التركيب الذرى للاشياء .. يوجد الانشقاق والصراع والتنافر والتفتت ، ويوجد كذلك التجاذب والتوازن والتناغم والانسجام .. وتجد الحركة في الحالتين تفسيرها كذلك ....

اما في الحياة البشرية ، في التاريخ البشرى ، فان الامثلة كثيرة جدا بحيث يصعب على المرء ان يختار نماذج منها .....

فالحياة البشرية وفق مسارها الطويل ، والتاريخ البشري عبر تدفقه الدائم ، تجد مفاتيح حركتها ليس بالصراع المتضارب وحده ، بل ، وربما في مساحات اوسع في التجاذب والتجاوب والالتئام والانسجام والشد ... ان الانتماء الى الدعوات او المذاهب الكبرى التي غيرت التاريخ وصنعته في الوقت نفسه انما هي مثل من عديد ، على قدرة التوحد على تحريك التاريخ ....

ان حركة الكون والعالم والحياة والتاريخ لهي بشكل ما اشبه بسيمفونية عظيمة لا تصنعها الحان متغايرة متضادة فحسب ، او متناغمة متآلفة فحسب (... لكنها نتاج توافقي مرسوم للنمطين معا . ■■

الموصل ـ عماد الدين خليل

أقوال معاصرة

■ اكثر ما يحرجني أن المسلمين لا يقرأون ، وان قرأوا فان اكثرهم لا يفكرون
المفكر الاسلامي التركي فؤاد سزكين

■ النفط هو مشكلة بالنسبة للعالم ، ولكنه بالنسبة لنا مسألة حياة .
عبد الرحمن العتيقي ـ وزير مالية الكويت

■ ان الفقر والجوع والحرب تشكل تهديدا من نوع اخر للسلام العالمي
اللجنة الدولية لجائزة نوبل



انطوني كوين

■ أتمنى ان نبني جدارا مثل سور الصين بين الشرق والغرب
الامام آية الله الخميني

■ افلام الفضاء هي هروب فني من واقع الانسان
الممثل العالمي انطوني كوين

■ كان الرئيس كارتر شجاعا فعندما صعد الارنب البري الى يخته الخاص وهو في عرض البحر نزع المجداف وأرغم الارنب على الفرار !
جودي باول ـ المتحدث الرسمي للبيت الابيض



شمعون بيريز

■ « ما زلنا عشائر وطوائف وافرادا . لم نصل بعد الى درجة المواطنة »
صلاح البيطار ـ رئيس وزراء سوريا الاسبق

■ يجب أن يتحرر العرب من القضية الفلسطينية ، وأن يتحرر مناحيم بيجن من العيش في التاريخ
شمعون بيريز زعيم المعارضة الاسرائيلية .

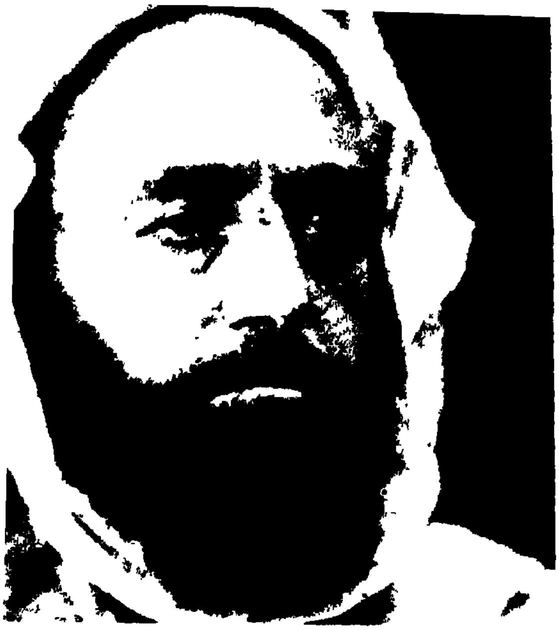
■ يجب أن يتوقف الانجاب تماما في الصين ابتداء من سنة ٢٠٠٠ !
تشن موهوا نائبة رئيس الوزراء الصيني



كارتر

■ اذا أعلن المجلس الاداري للحكم الذاتي اقامة دولة فلسطينية ، فسوف نعتقل أعضاءه الاحد عشر فورا ، ونعيد الحكم العسكري خلال ٢٤ ساعة .
مناحيم بيغن
في المؤتمر الرابع عشر لحزب حيروت

■ **ان العالم ينظر الى السوفييت باعتبارهم شعبا ثقيل الظل ، وربما كان ذلك صحيحا أحيانا ، لكننا يجب أن نثبت العكس دائما .**
جريدة برافدا



من تاريخ نضال عبد القادر الجزائري

الزملة الجزائرية

أكبر عاصمة متحركة عرفها التاريخ العربي

بقلم : الدكتور عبد العظيم رمضان *

ربما كانت قصة « الزملة » في تاريخ نضال الأمير عبد القادر الجزائرى ، أغرب قصة أسطورية عرفها التاريخ العربي . ونعني بها ذلك المعسكر المتحرك الهائل ، او تلك القلعة المتحركة الهائلة ، أو العاصمة الكبيرة المتنقلة التي تفتق عنها ذهن الامير عبد القادر الجزائرى في مرحلة متأخرة من مراحل نضاله ضد الفرنسيين ، وكانت تضم نساء المجاهدين وأطفالهم وشيوخهم وعجزتهم وثرواتهم .

ومن المعروف أن الأمير عبد القادر ، الذى كان ينتمي الى احدى العائلات العربية النبيلة ذات النفوذ من قبيلة بنى هاشم العربية ، التي كان موطنها قرب مدينة معسكر عاصمة وهران ـ قد اختير سلطانا على الجزائر في ٢١ نوفمبر ١٨٣٢ ، ليقود نضال الشعب الجزائرى ضد غزاته الفرنسيين الذين اخذوا في احتلال الجزائر منذ ٤ يوليو ١٨٣٠ .

ومنذ ذلك الحين لم يتوقف نضال عبد القادر ضد أعداء البلاد ، رغم الظروف الداخلية الخاصة التي كان يعيش فيها ، من ناحية طبيعة المجتمع القبلى الانقسامية التي كانت تجبره على النضال دائما في جهتين : الجبهة الداخلية ضد التفتت والتمزق والانقسام ، والجبهة

* استاذ التاريخ المساعد بجامعة المنوفية ـ جمهورية مصر العربية .

الخارجية ضد الغزو الفرنسي الذي يبسط نفوذه وسيطرته تدريجيا على البلاد .

ولما كان القتال في الجبهة الداخلية ، يستنفد طاقات ينبغي توجيهها للجبهة الخارجية ، فقد كان ذلك هو السبب في قبول عبد القادر عقد تسويات مؤقتة مع الفرنسيين ، تتيح له الوقت الكافي لتوحيد جبهته الداخلية اما بطريق الاقناع أو القتال . فقد عقد مع الفرنسيين معاهدة « دى ميشيل » في ٢٦ فبراير ١٨٣٤ ، التى حصرت مواقع الفرنسيين في الحصون الساحلية ، واعترفت به « أميرا للمؤمنين » وصاحب سيادة على غرب ووسط الجزائر ، بما في ذلك اقليمى وهران والجزائر .

وقد أتاحت له هذه المعاهدة الفرصة لتنظيم حكومته وبناء دولته ، متتبعا في ذلك خطى محمد على في مصر . وقد بسط النظام والأمن فى ربوع البلاد بما لم يسبق له مثيل ، مما حدا بكثير من المصلحين الجزائريين في مناطق الجزائر الأخرى الى التطلع الى الدخول فى طاعته والانضمام الى دولته .

معارك عبد القادر

ولكن الفرنسيين حين أحسوا بخطر قيام دولة حقيقية تحت سلطة عبد القادر ، انتهكوا شروط المعاهدة ، بل انكروها ، فتجددت الحرب بين الفريقين ، واستطاع عبد القادر محاصرة المراكز الفرنسية الداخلية وقطع الاتصالات بينها وبين المراكز الرئيسية ، في الوقت الذى كان المناضلون الجزائريون في قسنطينة تحت قيادة الحاج أحمد باى ينزلون نكبة كبيرة بالقوات الفرنسية . واضطر الفرنسيون الى عقد معاهدة « التافنه » في مايو ١٨٣٧ مع عبد القادر ، الذى اعترفت به سلطانا على القسم الأكبر من وهران ، وكل اقليم التيطرى (وسط الجزائر) ، وأصبح الامير ندا لدولة كبرى ، وانحسرت مراكز الفرنسيين فى خمس مدن ساحلية .

وانطلاقا من هذه المعاهدة ، استأنف عبد القادر نضاله في الجبهة فخاض نضالا طويلا ضد الانفصاليين من القبائل ، وعمل على توسيع دولته ، وتدعيمها ، حتى أصبح قوة تهدد الوجود الفرنسي في الجزائر . وبذلك أصبح تجدد الحرب مع فرنسا أمرا محتوما ، وهذا ما وقع بالفعل في ١٨ نوفمبر ١٨٣٩ .

على ان الفرنسيين في هذه المرة كانوا قد تعلموا اساليب عبد القادر في القتال ، وقرروا استخدامها . وكان قائد القوات الفرنسية الجنرال بيجو Bugeauy حاكم عام الجزائر . وقد قرر التخلى عن الأساليب الفرنسية القديمة التى كان يتبعها أسلافه من القواد ، والتى تقوم على تركيز القوات ، وعدم سحبها مهما بلغت التضحيات ، واتبع خطة جديدة تعتمد على الطوابير المتحركة التى تهاجم في شتى الجبهات ، وعلى مرونة الهجوم والانسحاب عند اللزوم ، والتخفف من المعدات والمدافع الكبيرة . وأخذ يتجه الى انشاء المراكز العسكرية الدائمة في قلب المجتمعات العربية القبلية ، لتنطلق منها الطوابير المتحركة لضرب المقاومة الجزائرية واثبات حضورها السريع في كل وقت .

وعلى هذا النحو ، ورغم الجهود الهائلة التى بذلها عبد القادر لاحباط خطط اعدائه ، الا ان مثابرة الفرنسيين على القتال ، وتعويضهم المستمر لخسائرهم في الارواح

والمعدات والسلاح ، وتزايد حجم جيوشهم ـ قد جعل كفة القتال تميل لصالحهم ، وأخذت مراكز عبد القادر الثابتة جميعها تتعرض للغزو والتخريب .

على أن أكبر ما أزعج المناضلين الجزائريين في ذلك الحين ، هو ما أخذت تتعرض له أسرهم وعائلاتهم من هجوم مستمر ، ليس فقط على يد المستعمرين الفرنسيين ، بل وعلى يد الخارجين على عبد القادر من القبائل الاخرى التي سئمت القتال وتحالفت مع الغزاة . فان هذا الخطر الدائم على أسر المجاهدين قد أثر في روحهم المعنوية وأصابها بالاهتزاز .

وعند ذلك تفتق ذهن عبد القادر عن فكرة تجميع نساء المجاهدين وأطفالهم وشيوخهم وعجزتهم في معسكر واحد ضخم ، يتنقل مع قواته حيثما تتحرك ، ويكون تحت حمايتها . وقد عرف هذا المعسكر المتحرك الكبير باسم « الزملة » .

صورة الزملة

و« الزملة » لفظ عربي أصيل من « زمل » ، أي رافق أو تبع . وتطلق على « العيال » ، فيقال ترك فلان وراءه زملة ، أي عيالا . وقد ترجمها صديقي المؤرخ الجزائري الدكتور أبو القاسم سعد الله ، في ترجمته الممتازة لكتاب « حياة الامير عبد القادر الجزائري » الذي ألفه شارل هنري تشرشل ، الى « الزمالة » . أي أنه قلب الفتحة على « الزاي » الى ألف في ترجمته للكلمة بصورتها الافرنجية . ولو ترجمها الى لفظها العربي الاصلي لمنع اللبس بينها وبين« الزمالة » التي هي قبيلة جزائرية ، أو مجموعة كبيرة من القبائل بالقرب من مدينة وهران . ولعل ما دفعه لذلك أن الجزائريين يسكنون الحرف الأول من الكلمة عادة ، فيصير نطق كلمة « زملة » ، « بتسكين » « الزاي » ، أقرب الى « زمالة » . ويلاحظ أن الفرنسيين يكتبون الكلمة كما ينطقها الجزائريون أي بتسكين الحرف الاول ، فتكتب : La Smala وعلى كل حال ، فاللفظة على هذا النحو تعتبر تعريبا دقيقا لهذا المعسكر الضخم التي كان يضم عيال المجاهدين ، أي أهل بيوتهم من الاطفال والنساء والشيوخ والعجزة .

ولم تلبث « الزملة » مع مرور الوقت أن أصبحت بمثابة عاصمة ضخمة متنقلة يقدر عدد سكانها بنحو ٢٠٫٠٠٠ نسمة ، ثم بلغت ما يقرب من ٦٠٫٠٠٠ نسمة ! ، وكانت تتنقل مع عبد القادر حيثما ذهب ، سواء في تقدمها الى المناطق المتمدنة ، أو في تراجعه الى الصحراء . وأخذ العرب يرسلون اليهامقتنياتهم الثمينة وثرواتهم وقطعان ماشيتهم ونساءهم وأطفالهم وفوجهم باعتبارهم ملجأ أمينا مشتركا تحميه قوات عبدالقادر . ولم يدخر عبد القادر جهدا في تشجيع الهجرة اليها والدعاية لها .

وعندما كانت « الزملة » تنصب خيامها في الصحراء ، كانت تمتد هذه الخيام الى الأفق البعيد وتترامى خلفه ، وعندما كانت تنصبها في التل ، كانت تملأ السهل وتغطي منحدرات الجبال .

وكانت « الزملة » منظمة وفق ترتيب عسكري محكم . فكانت مقسمة الى دوائر ـ أي مجموعة من العائلات ذات النسب المشترك . وكل دائرة لها خيامها التي تختلف عددا وفق قوة كل منها وحجمها . وكانت الدوائر مقسمة على أربعة مخيات كبيرة ، وكل دائرة تعرف مكانها ، ولكل منها رئيس مركزه معروف ، وله وظيفة معينة تبعا لمكانته .

وكانت « الزملة » أشبه بمدينة كبيرة . ففيها ما تحتاج اليه من حرفيين مهرة في الدروع والسروج والخيام وغيرها من الحرف الضرورية لحياة أهليها وأمور معيشتهم .

وقد عين عليها عبد القادر أربع قبائل مهمتها الاشراف والحماية وارشاد « الزملة » أثناء تحركها او اقامتها ، كما عين عليها جندا لحراستها وقت غياب القوات الرئيسية في احدى الاغارات على المواقع الفرنسية القريبة .

ومع مرور الوقت ، أصبحت « الزملة » تلقائيا أداة توحيد وتجميع للقبائل العربية حول عبد القادر ، بحكم الرابطة الانسانية والقومية من جهة ، وبحكم رابطة الخطر والنضال التي أصبحت تربط أسر وعائلات المناضلين من جهة أخرى ، وبحكم المصالح المشتركة

والثروات المتجمعة في مكان واحد من جهة ثالثة . وفي الوقت نفسه أصبحت ضمانا لعبد القادر ضد انشقاق المنشقين وتقاعس المتقاعسين .

وقد كانت تحركات « الزملة » سرا من الاسرار العسكرية القصوى ، نظرا لنقطة الضعف الخطيرة الكامنة فيها . فعلى الرغم من أنها كانت تحت حماية جيش عبد القادر ، الا أن تجميع هذا العدد الهائل من اسر المناضلين الذى بلغ كما ذكرنا ٦٠٫٠٠٠ نسمة في مكان واحد ، فضلا عن وجود المقتنيات الثمينة وثروات المناضلين ، كان أشبه بتجميع « البيض » كله في سلة واحدة ، وبالتالى كانت مغنما عظيم القيمة يسيل له لعاب الفرنسيين لو اكتشفوا مكانها وقرروا مهاجمتها .

وهذا ما حدث بالفعل . فقد اكتشف الفرنسيون أهمية « الزملة » ، وأخذوا يرسمون الخطط للاغارة عليها ، وأصبح الاستيلاء عليها حلم الجنرالات الفرنسيين ومن يليهم من القواد الصغار . وفي ربيع عام ١٨٤٣ قاد الجنرال لامور سيير قواته في حملتين للبحث عن « الزملة » ، ولكن عين عبد القادر كانت عليه بوساطة جواسيسه ، ولذلك فشلت جهوده .

الخيانة تلعب دورها

على أن الخيانة لم تلبث أن لعبت دورا فظيعا على يد شيخ عربي من أحط ما عرف تاريخ الخيانات القومية نذالة وجبنا ، يدعى الشيخ عمر بن فراح من بني عياد ، خان دينه وقومه ووطنه ، وعرض خدماته على الفرنسيين لارشادهم الى المكان الذى تعسكر فيه « الزملة » .

ونظرا لأهمية الأمر ، فقد كلف الدوق دومال D'Aumale ، وهو ابن الملك لويس فيليب ، بقيادة الحملة على « الزملة » ، بينا كان الأمير عبد القادر منشغلا بمراقبة الجنرال لاموريسير . وفي العاشر من مايو ١٨٤٣ ، غادر دومال مركز بوغار على رأس جيشه ووصل يوم ١٤ مايو الى « الكوجيلة » ، التي أعلن الشيخ الخائن أن « الزملة » تعسكر عندها . ولكن « الزملة » كانت قد غادرت الموقع ، وظل الفرنسيون يبحثون على غير هدى حتى تملكهم الاعياء ، وادركتهم رياح السموم العاتية ، فزادت من ضعفهم وإنهاكهم ، وبدأ اليأس يغزو قلوبهم .

ولكن في فجر يوم مشئوم ، هو يوم ١٦ مايو ، أقبل الشيخ الخائن راكضا على صهوة جواده ، يعلن أن « الزملة » عند نبع طاقين . وفي الحال اصدر الدوق دومال أمره الى فرسانه الستائة بالتقدم . ولكن الشيخ حذره من أن الهجوم بهذا العدد القليل من الفرسان يعتبر انتحارا . ولكن اغراء الغنيمة كان أقوى من كل تردد ، وتغلب الدوق على قلة جنده بالخديعة . فأمر فرسانه بارتداء ملابس جنود الصباحية ، وهم جند عبد القادر غير النظاميين ببرانيسهم الحمراء .

وتحت ستار هذه الخديعة ، استقبل أهل « الزملة » الفرسان الفرنسيين بالزغاريد والتهليل ! تحت اعتقاد انهم جنودهم العائدون . وأخذ هؤلاء يتوغلون داخل هذا البحر الزاخر من الخيام والنساء والاطفال والشيوخ ، ثم اطلقوا النيران مرة واحدة ، وفي لمح البصر انقلب هذا البحر من الخيام الى بحر من الهرج والمرج والفوضى والرعب ، ودب الارتباك في الحرس الذى كان تعداده ٥٠٠ جندي نظامي ، فأطلق النار مرة واحدة ثم فر . وحاول فريق من بني هاشم الوقوف بشجاعة في وجه تيار الرعب دون جدوى ، وانطلقت قطعان الماشية والابل والخيول والبغال والثيران في أمواج متلاطمة . وقد خلد هذا المنظر التاريخي المأساوي الرسام الكبير هو راس فرنيه Horace Vernet .

ومع أن عدد القتلى كان قليلا نسبيا ، الا أن مغانم النصر للفرنسيين كانت غير محدودة ، فقد تمثلت في أسر كبار قواد عبد القادر ، والاستيلاء على ثرواتهم ومقتنياتهم من الذهب والجواهر والماس ، فضلا عن الوف الحيوانات من مختلف الانواع .

وقد وصف عبد القادر الجزائرى هذه النكبة فيا بعد وصفا بليغا مؤثرا فقال :

« عندما هاجم الدوق دومال » « الزملة » ، كان أهلها لا يقلون [illegible] ۰۰۰ نسمة . ولكنه لم يأخذ معه سوى عشرهم . [illegible] « الزملة » تمتد من طاقين الى جبل عمور ، فاذا صادف أن فقد عربي أسرته فيها ، فانه

يظل يبحث عنها يومين قبل أن يجدها ! . وحيثما حلت « الزملة » تجف مياه الآبار والجداول . وقد أقمت قوة من الشرطة خصيصا لمنع تلويث المياه من قطعان الماشية أو الاسراف فيها ، ورغم هذه الاحتياطات فان كثيرا من أفرادها هلكوا من العطش .

« ولقد كانت « الزملة » تحتوي على عمال فنيين في الدروع والسروج والخياطة ، وكل صنعة كانت ضرورية لاقامتها وتنظيمها . وكانت تقام فيها سوق عظيمة يومها عرب التل . أما الحبوب والقمح والشعير ، فقد كانت تجلب الينا أو نرسل في جلبها من قبائل الشمال .

« وكان نظام التعسكر محترما من الجميع ومنظما تنظيما دقيقا . فعندما اضرب خيمتي يعرف كل واحد المكان الذي أشغله . لقد كان معي ثلاثمائة أو أربعمائة جندي نظامي ، الى جانب الفرسان غير النظاميين من بني هاشم الاغريسيين الذين كانوا مخلصين لي اخلاصا خاصا . ولم يكن من السهل الوصول الي ، ولم أفعل ذلك حفظا على سلامتي الشخصية ولكني شعرت بضرورة انجاز عمل الله ، وقد وضعت ثقتي فيه لتقوية وحماية الذراع الذي يحمل لواءه .»

بعد الغارة

« وفي الوقت الذي فاجأنيه الفرنسيون « الزملة » ، كنت قرب « تاقدامت » ، أراقب الحامية الفرنسية بوهران ، التي كانت قريبة مني ، والتي كنت أعتقد أن علي أن أخشاها بالدرجة الاولى . وكان معي ١٥٠٠ أو ١٦٠٠ فارس . وكان بن الخروبي مع فليتة ، وبن علال في الونشريس ، ومصطفى بن التهامي بين بني ورغة . ولم يكن لي أن أخشى أبدا تلك النكبة التي حدثت من ناحية المدية ، ولم يكن أحد من خلفائي يراقب تحركات الدوق دومال .

« ورغم كل ذلك ، فقد كان في الامكان تفادي المفاجأة التي وقعت ، لو أن الله لم يطمس عيون شعبنا . لقد اعتقد أهل « الزملة » ، عندما رأوا جنود الصبايحية حاملين برانيسهم الحمراء ، أنهم جنودي غير النظاميين عائدين . بل ان النساء استقبلتهم بالزغاريد ترحيبا واحتفاء بهم ، ولم يشعرن بالأمر الا بعد اطلاق النار . ثم تلا ذلك حالة فوضى لا توصف شلت جميع جهود الذين حاولوا الدفاع عن أنفسهم .

ولو كنت حاضرا ، لكان علينا أن نحارب من أجل نسائنا واطفالنا ، ولعاش الفرنسيون يوما لن ينسوه ، ولكن الله أراد غير ذلك ، ولم أسمع بالنكبة الا بعد ثلاثة أيام من حدوثها ، ولكن الفرصة كانت قد ضاعت . »

وقد تشتتت « الزملة » بعد هذا الهجوم . لقد حمل الفرنسيون معهم نحو ٣٠٠٠ أسير فقط بسبب قلة عدد الفرسان ، ولكن بقية « الزملة » تفرقت في مختلف الجهات ، وبعضها وقع في أيدي القبائل العربية الخارجة على عبد القادر ، التي سلبتها ما كان معها ، واستطاع الجنرال لامور سيير ان يلحق بالبعض الآخر .

على أن الأثر المعنوي الذي لحق نفوس قواد عبد القادر الذين أسرت عائلاتهم وضاعت مقتنياتهم وثرواتهم لم يكن من السهل محوه أو تخفيفه ، وأخذت الأخبار تصل الى عبد القادر يوميا عن فرار قبائل كثيرة من صفوفه . ولكنه لم يلبث طويلا أن تغلب على جراحه بطريقة فذة حين وقف يخاطب قواده قائلا : « لماذا علينا أن نحزن وأن نشكو ؟ . أليس كل هؤلاء الذي أحببناهم وفقدناهم هم الآن في الجنة ينعمون ؟ . الحمد لله ، أن كل تلك الأشياء التي كنت أقدرها حق قدرها ، والتي كانت عزيزة على قلبي والتي شغلت عقلي كثيرا ، لم تزد أن عاقت حركاتي وحولتني عن الطريق الصحيح . اما في المستقبل ، فسأكون حرا في محاربة الكفار » . وفي اليوم التالي كتب الى خلفائه يخبرهم بنكبة « الزملة » ويقول : « ولكن علينا ألا نفقد شجاعتنا ، فسنكون منذ الآن أخف حملا وأفضل استعدادا للقتال » ! . وهكذا من أحلك لحظات الظلام استمد عبد القادر الجزائري نورا للأمل ظل يضيء طريق نضاله الصعب أربع سنوات أخرى حافلة بالانتصارات والهزائم ، حتى اضطر في النهاية بعد أن تكالب عليه الجميع الى القاء السلاح .

د . عبد [illegible]

الإمبراطور جونز يموت ويحيا..!

بقلم : الدكتور على الراعي

■ دخلت الزنجية العجوز قصر الامبراطور جونز وهي تتلفت رعبا . كانت امرأة طاعنة في السن ، تحمل على كتفها الواهنة كل ما استطاعت حمله من متاع هو - في حال الفقراء أمثالها - أقل من القليل : صرة من القماش الملون بها متاعها القليل هذا .

انسابت العجوز الى الباب ، وهي حذرة كل الحذر ، قاصدة طريق الخروج من قصر الامبراطور جونز . غير أن تلفتها ، وحذرها لم يمنعاها أن تقع في براثن رجل طويل القامة ، منحنى الكتفين ، كان يرقب حركاتها في ريبة وتوفز .

اسم الرجل سميذرز . وهو تاجر « نصاب » ، من أهل لندن الشعبيين ، يقيم في امبراطورية جونز ويسرق الفقراء الزنوج ، ويصاحب الامبراطور على غير ود ، ويدخل واياه في صفقات يمتصان فيها مزيدا من الدماء ، فهما شريكان متوافقان ، وان كان الواحد منهما يعرف عن الآخر كل ما يشين .

ظل النصاب يرقب الزنجية العجوز برهة ، ثم انقض عليها فجأة وألقى عليها قبضة لافكاك لجسدها الواهن منها .

قالت المرأة العجوز وهي تسترحم لاتقل له يا سيد ! لا تقل له !

قال النصاب . تعنين صاحب الجلالة ، ابن اللئام ؟ ماذا جرى اذن ؟ وأين بقية الزنوج ؟ قالت العجوز تحت وطأة التهديد : فروا جميعا .. فروا الى التلال .

انتهز شعب الامبراطور جونز فرصة تمتع امبراطوره العزيز بنوم القيلولة ، فهربوا جميعا .. عن بكرة ابيهم ، وتركوا الامبراطور المفدى يغط في نوم هنيء !

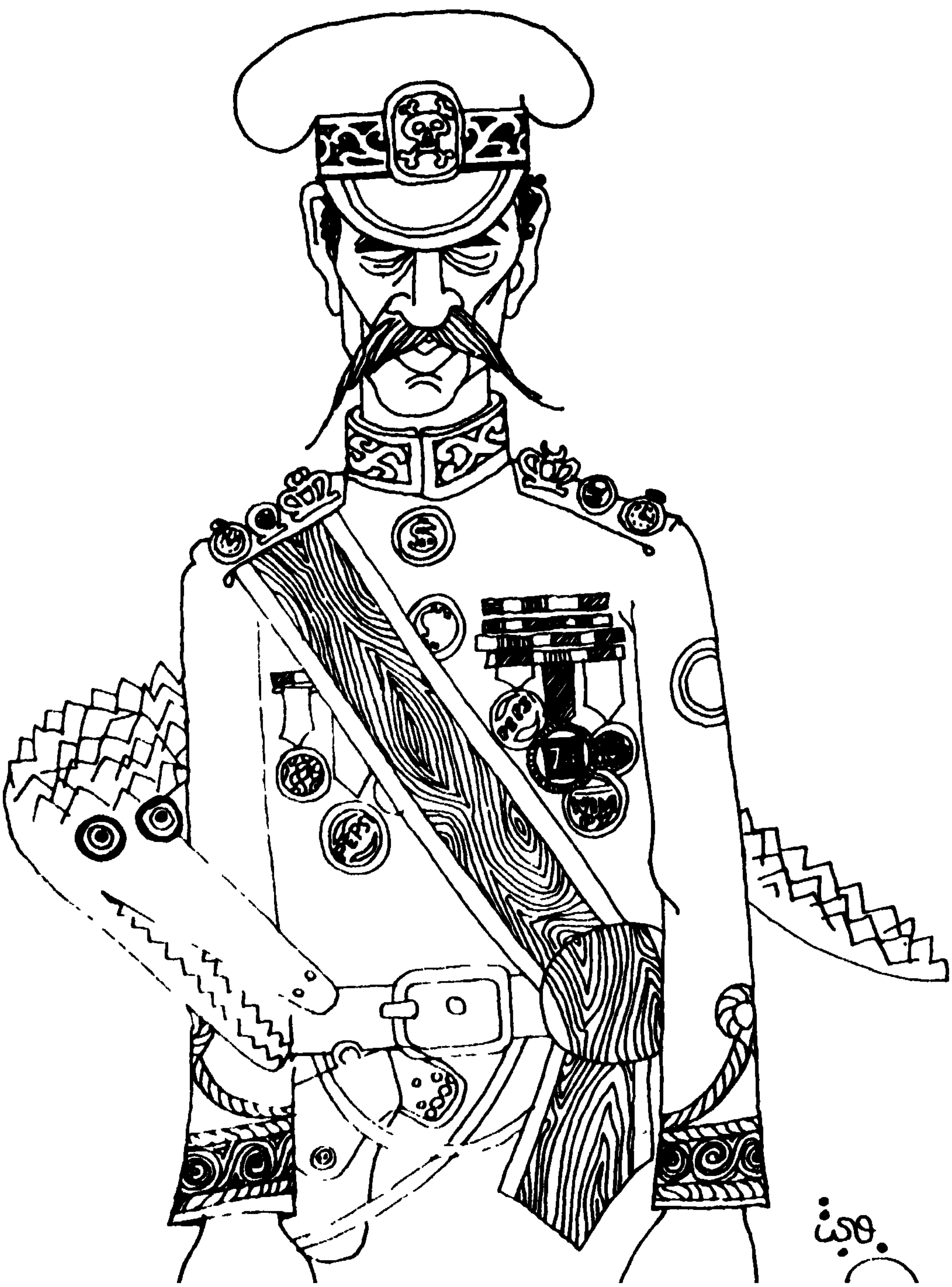
ويدرك النصاب معنى هذا العمل على الفور . ستدق طبول الحرب وشيكا . وهو لهذا لا يخفي سعادته . ويروح يتشفى في الامبراطور جونز ، ذلك الزنجي النتن الرائحة ، الذي صنعه بيديه ، فاذا هو امبراطور بين الزنوج ، يختال متبخترا ، ويتعالى على من صنعه .

ولا يمضى طويل وقت حتى يدخل الامبراطور : طويل ، متين البناء . له ملامح الزنوج ، ولكن شيئا ما يميزه : قوة ارادة ووثوق بالنفس ظاهران .

يدخل الامبراطور في لباس العجب . يدخل متبخترا في سترة زرقاء خفيفة الزرقة تنتشر فيها الأزرار النحاسية الصفراء ، وتزين الكتفين والياقة والكمين منها ألياف مذهبة . أما سرواله فأحمر قاني الحمرة ، يشقه على الجانب من الفخذين شريط رفيع خفيف الزرقة هو الآخر . ويتم الهندام حذاء من الجلد ذو مهمازين من النحاس ، وحزام يتدلى منه مسدس طويل ، مرصع اليد باللؤلؤ .

هذا هو الامبراطور اذن . كان يمكن أن يكون هدفا للتندر لولا مهابة فيه ، تضعه موضع القبول .

وكان سميذرز النصاب قد وضع أصبعين في فمه وأطلق صفيرا مسموعا ، فصحا الامبراطور من نومه وهو ضيق الصدر ، يعجب لهذا الذي واتته الجرأة كي يصفر في قصر الامبراطور . والامبراطور يظن أن زنجيا ما قد « ارتكب » هذا الصفير ، ويهدد بأن يسلخ جلود بعض من زنوجه لقاء هذه الفعلة الشنعاء ، فلما يعلم أن سميذرز هو الذي صفر ، يدور بين الاثنين حوار مضحك ولذيذ : التاجر النصاب يذكر فيه الامبراطور بفضله عليه يوم ضمه الى تجارته المشبوهة ـ حين لم يكن يجرؤ أحد غيره على أن يفعل هذا ، بالنظر الى قصة كانت تطارد جونز ، وتحكي أنه كان سجينا في أمريكا يوما ما ، لجرم ارتكبه ، ثم فر من السجن لاجئا الى أفريقيا .



أما الامبراطور فهو يمن على التاجر أنه قام ، نيابة عنه ، بكل أعماله القذرة ، وببعض الأعمال التي تتطلب عقلا وسعة حيلة . فهو اذن قد صنع التاجر ، لقاء العون الذي لقيه منه أول الأمر

ونعلم من خلال الحوار أن رجال البلاط قد اختفوا ، وكذا جنرالات الجيش والوزراء . ويسمع الامبراطور هذا النبأ فلا يأبه . لا بد أنهم ـ كعادتهم ـ انتهزوا فرصة القيلولة ونزلوا الى المدينة يشربون ويتشدقون بالكلام الرنان . فلا خطر من غيابهم اذن .

يقول الامبراطور وهو يحاور التاجر . قد أعنتني في البداية ـ هذا حق ولكن لم يمض وقت طويل حتى نصبت نفسي ـ بنفسي ـ امبراطورا على هؤلاء الزنوج المغفلين . من سجين هارب اختبأ في سفينة ، أصبحت امبراطورا في عامين

ويرد التاجر وهو يكاد ينشق حقدا ، ويتحرق رغبة في المعرفة : لا بد أنك قد أخفيت ما جمعت من مال في مكان ما . ويقر جونز بأن هذا هو ما حدث بالفعل : وضع أمواله في أحد المصارف الأجنبية ، كي لا يصل اليها أحد . أيظن التاجر أنه قام بدور الامبراطور من أجل الوجاهة وحسب ؟ الوجاهة جزء من اللعبة ، ومقصود به أن يرضي جموع الزنوج المتطلعة الى أبهة الاحتفال والبهجة وعروض السيرك ، تلك التي تصاحب دائما مواكب الأباطرة . ليكن اذن : لقد أعطاهم جونز الحفل والبهجة وأخذ منهم أموالهم !

ثم يلتفت الامبراطور الى التاجر ويقول : لا تنس أنني قد دفعت ديني لك مرات كثيرة ، تركتك تمارس تجارتك المشينة تحت حمايتي . كنت أصدر القوانين لمنع التجارة المشبوهة ، وأتقدم بنفسي لحمايتك من طائلة ما أصدر من قوانين .

ويرد التاجر بقوله : رجاء عدم المؤاخذة ـ لقد كنت أنت نفسك تسرق باليسار واليمين ، وتفرض الضرائب على الزنوج حتى مصصت دماءهم جميعها .

ولكن الامبراطور يزعم أنه ما زالت بعروق الزنوج بقية من دماء ، سوف يمتصها في غضون ستة أشهر ، ثم يرحل عن البلاد مستقيلا .

ذلك أنه ليس مغفلا . وهو يعلم تماما أن أي امبراطور لا يستطيع أن يبقى في منصبه الى الأبد . والحصيف الحصيف ، من أدرك هذا منذ البداية ، فعمل لعده والشمس مشرقة ، حتى اذا ما غطت السماء غيوم الاحداث ، نزل عن كرسيه وهو يقبل يده ظهرا لبطن ، قانعا بالغنيمة والأياب

وحين يقول التاجر ان الأمبراطور كان يكسر كل قانون بمجرد أن يصدره ، يرد الأمبراطور بقوله . ولم لا ؟ ألست الامبراطور ؟ الامبراطور فوق كل قانون اسمع يا سميدرر هناك نوعان من السرقة سرقة صغيرة ، كتلك التي تقوم أنت بها ، وسرقة أخرى كبيرة ، وتلك هي مهنتي السرقة الصغيرة تؤدي بك الى السجن والسرقة الكبيرة تجعل منك امبراطور ، وتحفظ لك مكانا في قاعة المشاهير ، حين تغادر هذه الدنيا "هذه هي الحكمة التي تخلصت الي بعد سنوات عشر من العمل حمالا في قطارات البولمان في أمريكا كنت أسمع البيض يتداولون هذه الحكمة . فلما واتتني الفرصة ، عملت بها .

ثم نعلم من باقي الحوار كم هو ماكر ، وقدير ، وخبير هذا الأمبراطور جونز . لقد أطلق في الناس شائعة تقول انه لا يموت قط برصاص عادي . هو من قوة البدن بحيث لا تقتله الا رصاصة صنعت من فضة . ومن يومها سلم الزنوج أمرهم الى مولاهم الأمبراطور ، ويئسوا من أن ينالوه . فمن أين لهم بالرصاص صنع من الفضة ؟

ومضى الأمبراطور ، فأحكم حكايته . صنع رصاصة من الفضة بالفعل ، وقال لشعبه الوفي ، انه سوف يقتل نفسه بها ، حين يحين الحين . أما محاولاتهم هم لقتله بالعادي من الرصاص فلن تصيب النجاح قط . ومن يومها يمشي الأمبراطور في الأسواق وهو آمن !

الامبراطور طريدا

على أنه منذ الآن لن يأمن أبدا . ان اختفاء رجال القصر والحرس قد صحبته سرقة كل جياد الأمبراطورية ، بما فيها جواد التاجر النصاب . فهي

الثورة اذن ، لا شك في هذا الآن . وعلى الأمبراطور أن يهرب سعيا على الأقدام ان أراد أن يبلغ النجاة .

كان قد قرر منذ دقائق أن أمامه فسحة من الزمن قدرها ستة أشهر ، قبل أن تهب رياح الثورة . والآن ، وقد هبت الريح قبل الموعد ، فانه مستقبل من فوره ، وذاهب الى أحد الموانيء حيث تنقله سفينة فرنسية الى مكان آمن ، ومن ثم يقبض أمواله من المصرف الأجنبي ، ويعيش ناعم البال . كل ما عليه الآن أن يمضي من توه ، لا يلوى على شيء .

ويترك الأمبراطور صديقه النصاب حائرا بين الأعجاب بحزم عدوه والتشفي في مصيره ، ويتجه الى الغابة التي تفصله من الشاطيء . وطوال المناظر السبعة الباقية من هذه المسرحية ـ مسرحية « الامبراطور جونز » لعميد الدراما الامريكية : يوجين أونيل ـ يتنقل الأمبراطور فزعا ، مطاردا ، تجرى وراءه أشباح ما حدث له في الماضي وما حدث منه ، ولا تكف طبول الحرب عن أن تبلغ أذنيه ـ طبول ال « توم توم » ، تقرعها جموع شعبه الثائر ، الذى يجد وراءه ، مصمما على أن يدركه ويفتك به .

في أمريكا كان جونز قد قتل رفيقا له كان يلاعبه في أحد الأماكن العامة ، فزج به في السجن ليمضي فيه عشرين عاما من الأشغال الشاقة . وحدث ذات مرة أن أغلظ له حارس السجن في القول ، فتناول جونز معولا وفلق به دماغ الحارس ، ثم حطم قيوده ، وولى هاربا

تذكر جونز وهو في ظلام الغابة الافريقية كل ماجرى له في الماضي وماجرى لأسلافه . تذكر كيف كان جدوده يباعون ويشترون بالمزاد العلني . يتحلق البيض حولهم ، ويروحون يعلقون على ميزاتهم البدنية ويتحسسون عضلاتهم ومتانة بنائهم كأنما هم والبهم سواء . وتذكر أيضا ذلك الزنجي ليم ، الذى حاول قتله في صورة سابقة ولكنه أخطأ الهدف ، فأرداه جونز قتيلا وتذكر واقعة قتل رفيقه في اللعب ، وقتل حارس السجن . تذكر هذه الأشياء جميعا وهي تطارده وتظهر له كما تظهر الأشباح لمن استبد به الرعب ، فأخذ جونز يطلق النار من مسدسه ذى الطلقات الستة ، حتى يهرب الرعب من سمعه وبصره . ونفدت الرصاصات الخمس التي حشا بها مسدسه ، ولم تبق الا الرصاصة الفضية ، التي كان قرر أن يبقيها للأزمات ، وزعم لنفسه أنها كالتعويذة ، جديرة أن تدفع عنه كل سوء .

غير أنه مضطر الآن لاستخدامها دفاعا عن نفسه . كان الثوار قد أحاطوا به ، وأخذت دقات طبولهم تعلو وتعلو . ورأى جونز في خيالاته الساحر الطبيب الذى تعرفه كل قبيلة أفريقية ـ رآه يرقص من حوله ، ويحيط به ، ثم يستخرج بسحره تمساحا بشع المنظر يخرج من الماء وينظر اليه بعينين خضراوين قاسيتين مسددتين نحوه كفوهتي غدارتين . ويأمر الساحر جونز بأن يسلم جسده للتمساح . ويكاد جونز يفعل ، ولكنه يتذكر الرصاصة الفضية ، فيطلقها على التمساح فتختفي الرؤية البشعة على الفور .

على أن جونز لا ينجو مع ذلك . تحيط به جموع الزنوج ، ويطلق أحد الثوار النار عليه فيرديه قتيلا . ونفهم مما يقوله قائد الثورة أن الأمبراطور قتل ، لأن الثوار نجحوا أخيرا في أن يصنعوا لأنفسهم رصاصة من الفضة !

بعد نصف قرن

كتب يوجين أونيل هذه المسرحية اللافتة للنظر عام ١٩٢٠ ، وأودع فيها بعضا من تجاربه وآرائه وخططه الفنية . كان من رأيه منذ البداية أن من الواجبات رفع مستوى الدراما الأمريكية من مجرد عروض مسرحية تمتع ولا تخاطب العقل والروح ، الى لون فني كان اذ ذاك جديدا على الأدب الامريكي هو الدراما التي ترتفع بالعمل المسرحي الى مستوى الأدب ، دون أن تفقد ميزاتها وحيويتها وقابليتها للتحسين على خشبة المسرح .

وكان لا يرى بأسا في أن يضمن مسرحية هي واقعية في الأساس ، مثل المسرحية الحالية ، ألوانا فنية أخرى غير الواقعية ، قصد اغناء اللون الواقعي ، وهو لون سرعان ما يضيق به الكتاب والنظارة معا ، وذلك اذا ما هو اقتصر على عرض الواقع ونقده وحسب . تلك طريقة غير مؤدية كما اكتشف كل من أبسن وتشيخوف

وبرناردشو ، كل في حينه ، فسعوا الى المزاوجة بين الواقعية والرمزية في بعض أعمالهم .

لهذا نجد أونيل في هذه المسرحية يرهف الواقعية بشيء من التصوير المكثف الذي يشبه الشعر ، ويستعين بأساليب المدرسة التعبيرية ، حين يغوص في لا وعي الامبراطور جونز ويستخرج منه مخاوفه ، ويروح يجسد هذه المخاوف على شكل أشباح تطارد الأمبراطور الهارب ، وتسلمه في النهاية الى قدرة المحتوم .

ومما يشهد بقدرة الكاتب وتمكنه الواضح من فنه أن مسرحيته لا تفقد جذورها الواقعية قط بل هي تظل أمينة لتقاليد المسرح الضاربة في القدم ، ذلك أن الحوار الذي يدور بين الامبراطور جونز والتاجر الانجليزي النصاب هو ذلك الحوار اللذيذ المترع بالفكاهة والأفكار الطازجة ، الذي يتبادله الثنائي الكوميدي في المسرحيات الكوميدية التقليدية . ويزيد من كم الفكاهة فيه أنه يستخدم انجليزية الزنوج الشعبيين الامريكيين ، وانجليزية الشعبيين من اهل لندن . وهما لهجتان حافلتان بالفكاهة وبالاستخدامات اللذيذة والطازجة للكلمات المألوفة ، بحيث يصبح الحوار في نهاية الامر مبادرة بين الفصاحة الشعبية الانجليزية وتلك الزنجية الامريكية ، يقدمها ثنائي كوميدى أحدهما أبيض والآخر أسود .

ويضيف الى كوميديا هذا الحوار أن الموقف مقلوب رأسا على عقب فهذا رجل أسود ، يستذل رجلا أبيض ويفرض عليه سيطرته . انه الموقف المعكوس الذي تعرفه الكوميديا الصاخبة ، موقف السيد حين يصبح عبدا والعبد حين يصبح سيدا .

والى جوار الواقعية والكوميديا والتعبيرية تقف آراء الكاتب في الوضع كله في مشكلة الزنوج في أمريكا ، وفي مشكلتهم في أفريقيا ، حين يقعون في حالة الدول الأفريقية حديثة الاستقلال ضحية لنصاب وراء نصاب ، يعلن نفسه ملكا أو امبراطورا أو زعيما ثم يروح يسرق باليمين وبالشمال كما يقول التاجر النصاب .

ان هذه مسرحية تتحدث الينا بلغة هذه الأيام ، رغم أنها كتبت منذ ما يزيد على نصف قرن . وما على الانسان الا أن يدير بصره هنا وهناك في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، ليدرك أن الأمبراطور جونز ، ان كانت رصاصة فضية قد قتلته ذات يوم ، فهو لا يزال يبعث في أماكن كثيرة ، مستندا ـ هذه المرة ـ الى الدبابات والصواريخ وأجهزة التنصت ، لدعم حكمه المتهاوى دائما . ■■

د . علي الراعي

فى الهوية : نكون أولانكون !

بقلم : فهمي هويـدي

ليست « الأزمة » في شريحة من مثقفينا الذين اعوجت ألسنتهم وأفئدتهم ، وتحولوا الى مستشرقين ، لاهم عرب ولاهم عجم ، وانما هم مسخ شانه من بقايا هؤلاء وهؤلاء . ليست الأزمة في جيل الرق الثاني ، الذى سلم قياد فكره « للسيد الغربي » طواعية واختيارا ـ كما قلت في مناقشة العدد الماضي ـ ولكنها في حالة « القابلية للاسترقاق » توأم حالة « القابلية للاستعمار ، التي تحدث عنها المفكر الجزائرى مالك بن نبي ، وهي من النتاج المر للهزيمة الفكرية والنفسية

غربة المثقفين وجه واحد للحقيقة . وضياع الهوية لدى القطاعات العريضة من الناس ، وجه آخر لايقل خطرا . واذا كنت قد تحدثت في المرة السابقة عن فكر هؤلاء المثقفين ، وانعكاساته على مناهج التعليم ، داعيا الى « ثورة ثقافية ، فان نمط حيـ ـلوك جماهيرنا العريضة يعبر بصيغة أخرى ـ لاتقل فداحة ـ عن مأساة فقدان الذات التي تتهددنا

ان تنقية كتبنا ومناهج تعليم أبنائنا من بصمات المسخ الفكرى مرحلة ضرورية ، ولكن تطهير أعماقنا من هذا الاحساس بالهزيمة الدائمة ، معركة لا بد أن نخوضها يوما ما ، ولا بد أن نكسبها يوما ما ، قبل أن تجرفنا ريح الاغتراب العاتية ، ونصبح أمة منقرضة مثل شعب المايا ، أو شبه منقرضة كالهنود الحمر ،

نعم ، لقد خرجت أمتنا من الحضارة منذ قرنين من الزمان على الأقـل ، وتحولـت من فاعلـة الى مستهلكة ، وخرجت أمتنا من التاريخ ـ دعك من ومضات سرعان ما انطفأت ـ حتى صارت موضوعا للتاريخ ، بعد أن كانت محركة له .

لقد هزمنا ، ورفعنا رايات التسليم البيضاء منذ ذلك الأحل ، وكان يمكن أن ينتهى الأمر عند هدا الحد ، « نستقيل » من العروبة والاسلام ، ونعود الى عهود البابليين والاشوريين والفينيقيين والفراعنة ،

أو نصبح « خواجات » وسياحا . ونؤجر بلادنا « مفروشة » لاخواننا السياح من أنحاء المعمورة ! ، ولا أظننى أبالغ في هذه الصورة ، لأن بيننا من يتحدث بالتصريح والتلميح عن ذلك .

ولكن هذا « الأمل » البائس ليس الا فرضا نظريا ، يستحيل التحقيق عمليا وماديا . فليست عروبتنا واسلامنا مجرد ثياب نرتديها حين نشاء ونخلعها حين نشاء ، أو مقاعد نشغلها اذا راقنا العرض ، ونخليها اذا أصابنا الضيق أو الملل . وليست مكونات الشخصية مما تفيد فيه قطع الغيار ، وتصلح له عمليات الزرع والتبديل . وليست كيانات الامم مما يقبل الترقيع أو المساومة . بل الأمرعندما يتعلق بكيان شعب أو أمة ، لايحتمل الحل الوسط . فالشخصية والذات تكون أو لا تكون . والوسطية هنا هي بداية التحلل والذوبان . بداية الانخلاع من الجذور والسقوط . والوسطيون هنا هم دعاة الفناء بل الانتحار !

●

لقد قالها ابن خلدون منذ ستة قرون ، في « المقدمة » الشهيرة : ان المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته ، وسائر أحواله وعوائده . غير أن المؤرخ الذائع الصيت أرنولد توينبي خص العرب والمسلمين باضافة أخرى على « قانون الهزيمة » الذى صكه ابن خلدون . فهو يقول ان المسلمين يواجهون حضارة العصر بنزعتين متناقضتين ، احداهما النزعة « الهيرودية » ، نسبة الى هيرود ملك اليهود ، الذى قابل حضارة الرومان بتقليدهم في المسكن والملبس والمعيشة . والأخرى نزعة الغلاة ، وينسبها الى نساك بنى اسرائيل ، الذين يصرون على القديم ، وينكرون كل مخالفة للعادات والموروثات .

ورغم التحفظ الذى يمكن أن يسجل على فكرة تخصيص العرب والمسلمين بهذا التفسير التوراتي « لموقفهم من الحضارة الغربية إذ المسألة ليست في كونهم عرباً أو مسلمين ، بقدر ماهي غلبة أو هزيمة ، بدليل أن ما يقوله توينبي ينطبق على الكثير من دول أمريكا اللاتينية ـ مثلا ـ دون أن يكونوا عربا أو مسلمين . الأمر الذى يعني أننا لسنا وحدنا في هذا « الهم » . أقول رغم هذا التحفظ ، فإن القاسم المشترك بينه وبين ابن خلدون هو سمة « الاقتداء بالغالب » . هو هذا الشعور بالنقص تجاه الآخرين ، أو « عقدة الخواجة » كما يقول البعض عندنا .

وهذا التقليد للغرب ليس فقط سلوكا تلقائيا من جانب الناس . ولكنه منطق وجد دعاة ومبشرين بيننا ، منذ كتب طه حسين في الثلاثينات « عن مستقبل الثقافة في مصر » داعيا الى أن « نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم » ، حتى السبعينات ، عندما دعا عبد الله العروى ـ المفكر المغربي ـ في مؤلفه « العرب والفكر التاريخي » الى ضرورة « اجتثاث الفكر السلفي ـ بمعني التراث الاسلامي ـ من محيطنا الثقافي » كشرط للتقدم ، ثم أضاف : رب معترض يقول : ستكون ثقافتنا المعاصرة تابعة لثقافة الغير . وهنا يرد بوضوح : وليكن ، اذا كان في ذلك طريق الخلاص ! !

●

تعالوا نجر عملية فرز ومراجعة سريعة ، لشعاراتنا وأزيائنا ونحلنا ، وسائر أحوالنا وعوائدنا ـ كما

يقول ابن خلدون ـ ماذا سنجد ؟

ستروعنا هذه الازدواجية ، بل التناقض ، بين الأصل والصورة في أكثر بلادنا . فنحن ـ أيضا ـ برغم أننا عرب ومسلمون ، لكن « سائر أحوالنا وعوائدنا » تنطق بغير ذلك على طول الخط . سنكتشف أننا نتصرف أحيانا كما لو كنا نخجل من شرقيتنا ، بأسلوب هو خليط من الاعتذار للغرب ، والتقليد الأعمى له .

سنكتشف أن المسخ ـ وليس المزج أو التفاعل ـ لم يعد مقصورا على واقعنا الفكرى والثقافي ، ولكنه امتد ليشمل واقعنا الاجتماعي والسلوكي ، حتى صرنا في واقع الامر مجتمعات عرجاء ، تمشي بساقين متنافرتين ، كل واحدة في اتجاه معاكس للأخرى !

ان أكثرنا يتنادى بلغة الغرب ، ويتبادل تحية أهل الغرب ، يرتدى ثيابهم ، ويحتفل بأعيادهم ويتبع تقويمهم ـ ويقلد مساكنهم وعمارتهم ومعيشتهم ، وأثاثهم وطعامهم ، والغربي بيننا « سيد » ـ لا يزال ـ بكل المقاييس . اذا كان أستاذا في الجامعة فلابد أن يميز على أى عربي اخر مهما بلغ علمه أو مقامه . واذا جاء الأجنبي من الغرب ، وثبت أنه عربي مهاجر أو متجنس ، فان « الوصمة » لا يمكن أن تمحى ، ولا بد أن تطارده تلك « السمعة السيئة » ، ويدنى ليعامل معاملة أبناء « جنسه الردىء » وفي الجامعات العربية العديد من تلك الحالات المحزنة التي يخجل المرء من ذكرها . واذا كان الغربي من رجال الاعمال ، فعطاؤه له الأولوية ، حتى أن عربا كثيرين أصبحوا يتقدمون في عطاءات المشروعات الكبرى في بلادنا بأسماء أجنبية لمكاتب وهمية في ولايات أمريكا وأنحاء أوروبا ، ويستحضرون « خواجات » يتوارون وراءهم في جلسات فتح العطاءات .

ومن عجب أن هؤلاء الأجانب ، أنفسهم أكثر ادراكا لقيمة الشخصية العربية ، وأفضل تذوقا لطعم هذه الشخصية ومظاهرها تدخل بيت الأجنبي المقيم في بلادنا فتعيش على الفور الجو العربي والشرقي . وتدخل بيت أى عربي ، فتجده يتفاخر بأنه جعل بيته قطعة من أوروبا ! .. الأول يبحث عن بساط شرقي وصحن مطعم بالصدف من مصر أو الشام أو وسادة طرزتها يد البدويات ، وصاحبنا العربي سعيد « بالموكيت » الأوربي الذى يكسو الأرض ، وبالتقليد الردىء للوحات الرسامين الايطاليين التي دفع فيها مئات الدنانير ليزين بها جدران بيته ، وبالكريستال الذى اقتناه من هنا وهناك !

لقد قيل لي في صنعاء أن أحد الأسباب الرئيسية التي شجعت اليمنيين على الحفاظ على طراز العمارة اليمنية ، يتمثل في اقبال الأجانب على استئجار هذه المباني والعيش فيها . لقد فوجىء الصنعانيون بأن السفارة الانجليزية ، وبعدها الفرنسية ، قد أقيمت كل منهما في بيت صنعاني قح ، وأن الدبلوماسيين والخبراء الأجانب رفضوا المباني الحديثة التي عرضت عليهم وتنبه الصنعانيون الى أن معمارهم له قيمة ، فتشجعوا أكثر على التمسك به .

وفي الخرطوم قضيت في أحد الفنادق عشرة أيام ، فشلت خلالها في أن أكل طعاما سودانيا بمطعم الفندق ، لأنهم كانوا يعتذرون في كل مرة بأنهم يقدمون الطعام الغربي فقط ، وحساء الفول السوداني وحده الذى يقدم من الطعام الوطني .

وقبل عشرين عاما كتب المفكر الجزائرى مالك بن نبي في مؤلفه « شروط النهضة » ـ بعد أن لاحظ

أن كل مافي حجرته غربي باستثناء « القلة » (اناء من الفخار لشرب المياه) ـ كتب الرجل يقول : ان كل ما ساهمنا ونساهم به في الاطار الغربي الذى نعيش فيه اليوم هو « القلة » والقلة فقط !

●

لقد سبقتنا تركيا الأتاتوركية ، وايران الشاهنشاهية على الطريق ذاته . طريق فقدان الهوية والانخلاع من الجذور والذوبان في الغير ، في الشكل والمضمون ، فما الذى جرى ؟ .

كانت تركيا بلدا شرقيا مسلما ، بل قلب العالم الاسلامي طوال ستة قرون ، سرت فيه جرثومة التحلل ، مصحوبة بهزائم داخلية وخارجية بلغت ذروتها بالهزيمة أمام روسيا القيصرية في أواخر القرن الثامن عشر . ثم اشهار افلاسها بعد ذلك واعتبارها « رجلا مريضا » في القاموس السياسي الغربي

وأفرزت الهزيمة القاسية حالة من فقدان الذات ، أدت الى تغيير أخطأ هدفه فتحول الى ترقيع . وبدلا من أن تتجه الجهود الى استعادة الثقة وكسب الذات أولا ، لجات الى مزيد من التشوه والمسخ والضياع لهذه الذات

ولا أجد وصفا يعبر عن هذه الحالة ، أصدق مما سجله أحد مدربي الجيش التركي ـ الذى سموه النظامي ـ ونشره محمد كرد علي في كتاب « الاسلام والحضارة العربية » (ج ٢) يقول هذا المدرب عما انتهى اليه حال الجيش الذى دوخ الشرق والغرب ، حتى اعتبرت الامبراطورية العثمانية أنها « عسكرية جهادية » ، يقول صاحبنا هذا أصبح الجيش التركي على مثال الجيوش الأوروبية (من حيث التنظيم) ، ولكن ، معاطفه روسية ، ونظامه فرنسي ، وبنادقه بلجيكية ، وعمائم أفراده تركية ، وسروجه مجرية ، وسيوفه انجليزية ، ومعلميه من كل أمة ! !

وكان هذا المدرب ألماني الجنسية ، واسمه « مولتكه » !

هل رأيتم ترقيعا أفدح من ذلك ؟ .. أغطية الرؤوس فقط هي التي بقيت من تركيا الحقيقية ، وفيما عدا ذلك ، فكل الجسد ، كل الكيان مرقع ، قطع موصولة من هنا وهناك .

هكذا كانت تركيا في بداية القرن العشرين نموذجا للمسيرة العرجاء ، المتأرجحة بين الشرق والغرب ، حتى جاء كمال أتاتورك في عشرينات القرن الحالي ، باختياره الانحياز الكامل للغرب ، وطلاقه البائن للاسلام ، ومسخه المروع لهوية تركيا « الشرق اسلامية » .

وفصول قصة أتاتورك معروفة ، بدءا باصراره على الغاء الخلافة الاسلامية واثارته للنعرة الطورانية ، وانتهاء بقراره استخدام الحروف اللاتينية بدلا من الأبجدية العربية ، واصراره على أن يرتدى الناس القبعة بدلا من العمامة ! لكن ذلك لم يحسم المشكلة ، ولم يضع تركيا على طريق التقدم الطبيعي والحقيقي ، لأن كل ما فعله أتاتورك أنه زيف الشخصية التركية ، مرتكبا جريمة تزوير تاريخية ومعلنا « الاستقالة » من الشرق والاسلام ، ومستبدلا بالانحطاط المنسوب إلى الدين انحطاطا آخر قوميا ، حتى أصبحت محنة التركي الحقيقية أنه أصبح انسانا بلا جذور ، رافضا لغربيته ، وعاجزا عن أن يمارس شرقيته !

وكانت مأساة أتاتورك انه تصور أن تغيير الهوية في بساطة تغيير غطاء الرأس !

وعلى الطريق ذاته مضت ايران الشاهنشاهية . لقد كان الغرب - بريطانيا تحديدا - هو الذي أتى بالشاه الأب الذي عاصر أتاتورك . وأعجب به وكان الغرب - أمريكا تحديدا - هي التي تساند الشاه الابن . لذلك كان اختيار الاثنين واضحا من البداية : انحياز كامل للغرب . وترد مستمر على درب الاغتراب .

ولن نفصل . فأحداث القصة ليست بعيدة . وما روى عن عزف الشاه وبطانته على نغمة الفارسية وأبناء قورش . وجهوده « لتنقية » اللغة الفارسية من الكلمات العربية . واستبداله التقويم الفارسي بالهجري . وتأييده ودعمه لاسرائيل .. هذا كله لا يزال ماثلا في الاذهان . ويلتقي كله عند محاولة اجتثاث الجذور « الشرق اسلامية » من المجتمع الايراني .

لقد كان الضياع هو الشعار غير المعلن لايران الشاهنشاهية . اذ فوجىء بلد شرقي مسلم . بأنه يعزل تدريجيا عن شرقيته وروابطه باسلامه . لينقل عسفا الى وضع خليط من الجاهلية والتغريب . حتى أصبح يد يد العون الى أعداء الاسلام . لصوص أرضه . ومنتهكي حرماته ومقدساته !

وعندما حققت الثورة الاسلامية في ايران انتصارها الكاسح بالتفاف الجماهير حول قيادتها وشعاراتها . كان التفسير الذي ركز عليه أكثر المعلقين هو أن الشعب الايراني استرد هويته وعثر على ذاته . لأول مرة منذ نصف قرن !

●

ما المطلوب اذن ؟

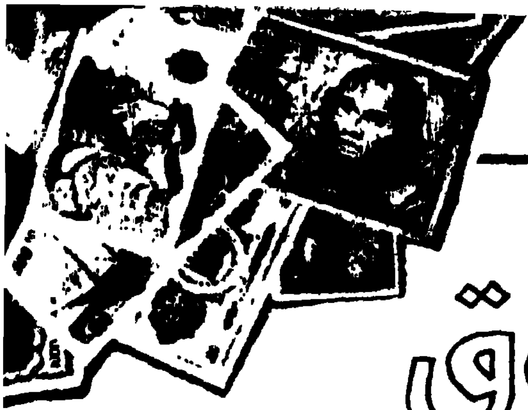
اذا تصور البعض أن هذه دعوة الى مخاصمة العصر والعودة الى كل ما هو موروث . بكل ما قد يرتبط به من معايب وسلبيات . فان ذلك يعد تبسيطا شديدا لا يخلو من سذاجة . فضلا عن أنني في كتابات سابقة في هذا المكان قد حددت موقفا من هذه القضية لم أبدله . خلاصته أنه كما أن الفكر لا يمكن تقسيمه الى محلي ومستورد . لأنه إما إيجابي أو سلبي . جيد أو رديء . كذلك فان المعيار ذاته ينطبق على الممارسات والقيم الاجتماعية . لنستثمر كل ما هو ايجابي حيث كان . ولنحارب كل ما هو سلبي أيا كان مصدره . والحكمة ضالة المؤمن . حيث وجدها . فهو أحق الناس بها . كما يقول الحديث الشريف .

لكن القضية ليست في القديم والجديد . بقدر ما هي في الابقاء على الهوية والذات فليس كل قديم أصيلا . وليس كل جديد دخيلا . القضية هي أن نعيش الحقيقتين . حقيقة أنفسنا وحقيقة العصر . أن نصبح من خلق الله الأسوياء . الذين يعانون من محنة التناقض بين عوالمهم الخارجية والداخلية . هي أن نسترد ذاتنا الكسيرة والمفقودة . ونتطهر من كل ما يخدش هذه الذات ويجرح تقلوتها .

وبتعبير المرحلة . فان تلك دعوة لازالة آثار العدوان على كيان أمتنا . الذي يهددها بالاندثار . في الشكل والمضمون . دعوة لأن نستعيد تلك الرقعة السليبة من أعماقنا . التي لايزال يحتلها السيد « الغربي .. وهي في حالتنا هذه « قدس الأقداس » !

تبقى بعد ذلك أسئلة هامة هي : ما هي حقيقة هذه الذات وهذا الكيان ؟ ومن نحن : شرقيون أم شرق أوسطيين أم مسلمون أم عرب ؟ ام ملفقا ؟ ؟

يحتاج الأمر الى مناقشة أخرى .. ■■

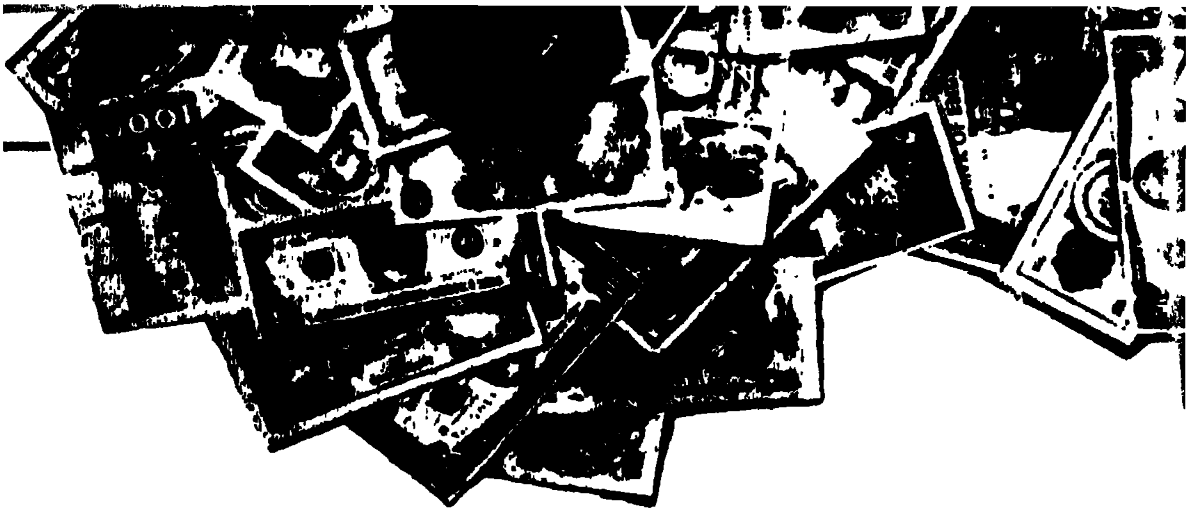


حقوق السحب الخاصة

بقلم : دكتور حازم الببلاوي

كثيرا ما تتناقل أخبار الحياة الاقتصادية الدولية الحديث عن حقوق السحب الخاصة **SDR, Special Drawing Rights** . فما هو هذا الكائن ؟

خاصة اذا علمنا أنها في الحقيقة ليست حقوق سحب كما أنها ليست خاصة . فهي اسم على غير مسمى . وقد اختيرت هذه التسمية للتوفيق بين اتجاهات متعارضة داخل صندوق النقد الدولي عند الاتفاق على انشائها ، وكان الخلاف يدور حول قضية اتضح فيما بعد أنها غير هامة وغير جوهرية . ولكن حلا للخلاف اتفق على اختيار هذه التسمية الغامضة بما يسمح لكل طرف أن يعطيها المعنى الذي يريده ويسعده . ولكن التعامل الدولي أعطاها معناها الحقيقي ـ بعيدا عن هذه التسمية الغريبة ـ باعتبارها صورة جديدة من صور السيولة الدولية أو النقود الدولية والتي تصدر عن سلطة دولية هي صندوق النقد الدولي . ومع ذلك فانها تخضع في اصدارها وفي التعامل بها لقواعد خاصة معقدة وغير تقليدية وهو ما يتفق دائما مع أي اختراع جديد . فعندما فكر الانسان في ركوب آلة تتحرك في الارض بمحرك غير حيواني اخترع القطار بما فيه من تعقيد وضرورة السير على قضبان حديد وفي خط لا يحيد عنه . وكانت هذه البداية ثم أدى التطور اللاحق الى مزيد من المرونة والتحلل من هذه القيود والقضبان . فهل يكون الأمر كذلك مع هذه النقود الدولية الجديدة أو حقوق السحب الخاصة . هذا ما سوف يجيب عليه المستقبل .



ونقطة البدء لفهم موضوع حقوق السحب الخاصة هي الاعتراف بحاجة الاقتصاد الدولي الى نقود أو سيولة دولية . وهو أمر لا يختلف في طبيعته عن حاجة المعاملات الداخلية الى نقود . فكما يحتاج الاقتصاد الداخلي الى نقود لتسهيل المبادلات ، فكذلك تحتاج المعاملات الدولية الى نقود أو سيولة دولية لدفع وزيادة المبادلات الدولية . حقا في نهاية الأمر تدفع كل دولة قيمة وارداتها بما تصدره من سلع وخدمات . ولكن من الطبيعي أن تعرف الدول اختلالات وقتية ومزمنة بين العجز والفائض ولا بد ان تسوي معاملاتها خلال ذلك بنوع من النقود الدولية المقبولة من الدول الاخرى والتي تستطيع بدورها استخدامها في معاملاتها من اطراف ثالثة .

وعندما انشيء صندوق النقد الدولي في ١٩٤٤ كانت النقود الدولية المعترف بها هي الذهب فضلا عن القبول الواقعي بالعملات الرئيسية مثل الاسترليني والدولار (الى حد ما في ذلك الوقت) . وقد أنشأ الصندوق مجمعا من الذهب والعملات المختلفة لمساعدة الدول اذا واجهها عجز .

فكل دولة تقدم للصندوق حصة من الذهب (الشريحة الذهبية) وحصة من عملتها المحلية (الشريحة الائتمانية) بحيث يتوافر للصندوق في نهاية الامر موارد من الذهب والعملات المختلفة يستطيع ان يقدم منها للدول المحتاجة والتي تواجه عجزا وفقا لشروط معينة .

ويعتمد نظام الصندوق على ان الدولة التي تحتاج الى موارد لعلاج ميزان مدفوعاتها تقوم بشراء ما تحتاجه من عملات مقابل عملتها الوطنية . على ان تقوم بعد ذلك وخلال فترة معينة باعادة شراء عملتها الوطنية مقابل العملات الاجنبية التي حصلت عليها .

وعلى ذلك فعمل الصندوق في الاصل لا ينطوي على اقراض ورد للقرض وانما المسألة هي شراء واعادة شراء للعملات ، وتبادل عملات داخل الصندوق . ولذلك فانه ليس دقيقا ان نتحدث عن السحب او الاقتراض من الصندوق في حين ان العملية هي دائما عملية شراء عملات . ولكن العمل جرى على تلك التسميات ، وكذلك ايضا فانه لا يتصور ان تنعدم العملات لدى الصندوق ، وكل ما يحدث هو ان تتغير مكوناتها بحيث يمكن ان تنقص العملات النادرة (الصعبة) وتزداد العملات الضعيفة .

والاصل ان الدول تستطيع سحب شريحتها الذهبية بمجرد الطلب ودون اية شروط ، في حين ان الشرائح

الائتمانية لا تسحب الا وفقا لشروط معينة يجب ان تستجيب لها الدولة العضو. ولذلك فانه كثيرا ما يقال ان الشريحة الذهبية هي سيولة غير مشروطة، في حين ان الشرائح الائتمانية هي سيولة مشروطة.

ولم يلبث العالم ان اكتشف حاجته الى زيادة كمية وسائل الدفع الدولية لمواجهة احتياجات التجارة الدولية. فعند انشاء الصندوق كانت موارد الصندوق تمثل حوالي ١٥٪ من حجم التجارة العالمية لتنخفض الى أقل من ٤٪ في نهاية الستينات وبداية السبعينات.

ولذلك فقد اتجهت الجهود الى البحث عن وسيلة لخلق سيولة دولية جديدة اضافية للاحتياطي وهو ما أدى بعد جهود عديدة الى ظهور حقوق السحب الخاصة.

مشكلات الماضي

مع الاعتراف بالحاجة الى تعديل نظام النقد الدولي، فقد كانت هناك عدة أمور ثار حولها الجدل قبل انشاء حقوق السحب الخاصة في صورتها النهائية.

من ذلك كان هناك تساؤل عما اذا كان المطلوب هو زيادة السيولة المشروطة او ان الامر يتطلب زيادة في السيولة غير المشروطة. وزيادة السيولة المشروطة كان يمكن أن تتم عن طريق زيادة حصص الاعضاء في صندوق النقد الدولي. وقد استقر الاتجاه على ان المطلوب هو زيادة في السيولة غير المشروطة والتي لا تتوقف على اتباع سياسات معينة تحت رقابة صندوق النقد الدولي. وهكذا فان حقوق السحب الخاصة - كما سنرى - توزع على الاعضاء دون أية شروط خاصة باتباع سياسات وبرامج معينة. على ان كون حقوق السحب الخاصة من قبل السيولة غير المشروطة لا يعني ان يكون استخدامها دون قيام « الحاجة » لذلك، فهنا يتعلق الامر بضمانات لعدم استخدام حقوق السحب الخاصة الا في ظروف معينة دون ان يكون على الدولة ضرورة اتباع سياسة معينة.

كذلك اتجه الرأي في اول الامر الى ان تكون التسهيلات الجديدة مقصورة على الدول الصناعية الكبرى (مجموعة العشرة) : وواجه هذا الاتجاه معارضة شديدة من جهاز صندوق النقد الدولي ذاته (المدير العام شيفرز) ومن جانب الدول الاخرى وخاصة الدول النامية. ولذلك فقد استقر الرأي في النهاية على ان تكون حقوق السحب الخاصة تسهيلات جديدة شاملة ومفتوحة لجميع الدول دون اي تمييز.

وبالمثل فقد ثار جدل كبير حول طبيعة السيولة الجديدة المقترحة وهل يتعلق الامر بنوع من حقوق السحب غير المشروطة او بخلق (أصول احتياطية) جديدة. والحقيقة ان هذه النقطة اثارت جدلا كبيرا وهي تتعلق في اذهان الدول بامر آخر وهو هل يتعلق الامر بنقود دولية جديدة أم يتعلق بفتح ائتمان ونوع من القروض ؟ ففي حالة الاضافة الى النقود الدولية تكون هناك زيادة في عرض السيولة الدولية ولا يوجد اي التزام بالرد، بعكس حالة الائتمان الذي يفترض التزاما بالرد وتنقص السيولة بعد الرد. وقد وضح فيما بعد ان الجدل حول اختلاف حقوق السحب وبين خلق اصول احتياطية جديدة ليس جوهريا. ومع ذلك فقد أثر هذا الخلاف في التصور في تسمية السيولة الجديدة.

وهناك امر آخر ثار حوله الخلاف وهو دور صندوق النقد الدولي بصدد السيولة الجديدة المقترحة. واستقر الرأي منذ فترة متقدمة من المشاورات على ان يكون لصندوق النقد الدولي دور اساسي في الرقابة على هذه السيولة الجديدة المقترحة سواء عن طريق الصندوق مباشرة او عن طريق جهاز جديد مرتبط به.

وتمت الموافقة نهائيا على ان ينشأ « حساب خاص » لحقوق السحب الخاصة بالصندوق (يصبح « ادارة » حقوق السحب الخاصة بعد نفاذ تعديل اتفاقية الصندوق في جامايكا).

النظام الجديد

بعد مشاورات طويلة تم تعديل بعض احكام اتفاقية صندوق النقد الدولي في عام ١٩٦٩، وفي السنة ذاتها، قام « حساب حقوق السحب الخاصة »، لدى صندوق النقد الدولي، ثم وافق مجلس محافظي الصندوق على تخصيص حوالي ٩ر٥ بليون وحدة حقوق

سحب خاصة لمدة ثلاث سنوات تبدأ من اول يناير ١٩٧٠ .

وبذلك دخل نظام حقوق السحب الخاصة في الحياة الدولية فعلا وتتناول فيا يلي أهم احكام هذا النظام الجديد :

١ ـ المشتركون في نظام حقوق السحب الخاصة .

استقر الرأي في النهاية على ان يكون نظام حقوق السحب مفتوحا لجميع الدول الاعضاء في صندوق النقد الدولي على نحو اختياري . بمعنى انه يحق لاي دولة ان تشترك في هذا النظام متى رأت مصلحتها في ذلك . وفي هذه الحالة فانها تتمتع بكافة مزايا نظام حقوق السحب وتخضع لكافة التزاماته . وقد بلغ عدد الدول المشتركة في نظام حقوق السحب الخاصة في يناير ١٩٧٩ ـ ١٣٧ دولة عضو في الصندوق .

٢ ـ التخصيص والالغاء :

ذكرنا ان خلافا ثار حول طبيعة حقوق السحب في اثناء المفاوضات والمناقشات الطويلة السابقة عليها ، وهل الامر يتعلق « بخلق » نقود جديدة أم انه عبارة عن « تقديم » لائتمان .

وازاء هذه الخلافات التي سيتضح انها غير مؤسسة ـ فقد عمد واضعوا التعديل على اختيار مصطلحات جديدة لا تثير خلافا بين الاتجاهات المتعارضة ، ولذلك فقد استخدمت الفاظ « التخصيص » و « الالغاء » وهي الفاظ جديدة نسبيا ومن ثم لا تحمل معان محددة في هذا الخصوص .

الغرض من انشاء حقوق السحب الخاصة هو زيادة السيولة الدولية ومعنى ذلك اضافة وسائل دفع جديدة دون ان يترتب على ذلك نقص في وسائل الدفع لدى اي دولة .

فالغرض هو (خلق) وسائل دفع جديدة . ولكن لفظ (خلق) قد يثير اعتراضات بعض الدول التي كانت تصر على ان تكون التسهيلات الجديدة من قبيل الائتمان وليس من قبيل « النقود » ولذلك فقد جاء لفظ « التخصيص » مناسبا من هذه الزاوية . ولذلك فان التخصيص هنا هو في الحقيقة خلق لسيولة جديدة بمقتضى قرار من صندوق النقد الدولي ، توضع تحت تصرف الدول الاعضاء لاستخدامها في معاملاتها الدولية (بشكل معين كما سنرى) .

واذا كان التخصيص هو خلق لسيولة جديدة ، فان « الالغاء » هو العملية العكسية بازالة هذه السيولة .

ويتم خلق او تخصيص حقوق السحب من جانب صندوق النقد الدولي لمواجهة « الاحتياجات الاجمالية طويلة الاجل long term global need ويتم ذلك لفترات اساسية محددة basic periods وقد كان المفهوم انها ستكون لمدة خمس سنوات . ومع ذلك فاول تخصيص لحقوق السحب تم لمدة ثلاث سنوات تبدأ من اول يناير ١٩٧٠ .

وبمجرد ان تتم الموافقة على التخصيص يصبح للدول المشاركة في هذا النظام الحق في حقوق سحب خاصة لدى الصندوق ، وتتحدد انصبتهم بحسب حصصهم في الصندوق .

٣ ـ استخدام حقوق السحب الخاصة :

لا يكفي ان نعرف كيف « تخصص » حقوق السحب الخاصة ، اذ لابد ان نفهم كيف تستخدم حتى نفهم دورها .

ونبدأ بالقول ان الاصل في استخدام حقوق السحب الخاصة ان يتم عن طريق صندوق النقد الدولي ولا تتم بشكل مباشر بين الاطراف (ومع ذلك فانه وفقا للتعديل الاخير في اتفاقية الصندوق يمكن بموافقة الاطراف ان يتم التعامل في حقوق السحب مباشرة) .

ويتم استخدام حقوق السحب الخاصة بان تتقدم الدولة صاحبة هذا الحساب الى الصندوق الذي « يعين » designate لها دولة اخرى ، تقدم لها عملات قابلة للتحويل مقابل حصولها على وحدات من حقوق السحب الخاصة . وعلى ذلك فحقوق السحب الخاصة لا تستخدم مباشرة في تسوية المدفوعات الدولية . وانما لابد وان تحول اولا الى عملات قابلة للتحويل ثم تستخدم هذه العملات في تسوية المدفوعات الدولية .

ومن المهم ان نتذكر هنا ان الدولة المشتركة في نظام حقوق السحب الخاصة تتمتع بحرية استخدام هذه

الحقوق بمعنى طلب تحويلها الى عملات قابلة للتحويل من الدول التي « تعين » لذلك ، وهذه الاخيرة تلتزم بتقديم عملات قابلة للتحويل مقابل حقوق السحب الخاصة . وكل ذلك يتم عن طريق الصندوق .

وكذلك من الضروري ان نتذكر ايضا ان حصول الدولة على العملات المقابلة للتحويل بهذا الشكل من الدولة « المعينة » لها ، لا يتطلب ان يتوافر لدى الصندوق موارد خاصة من الذهب والعملات الاجنبية لمواجهة هذه الطلبات .

فالامر يبدو كما لو كان الصندوق يصدر اصولا عليه تقدم للدول « المعينة » للحصول على عملات قابلة للتحويل ، وهذه الدولة بدورها تستطيع ان تقدمها لدولة اخرى « معينة » للحصول على عملات قابلة للتحويل ، وهكذا ...

٤ ـ التعيين Designation :

رأينا ان جوهر عملية استخدام حقوق السحب الخاصة هو ان يتقدم العضو ، اذ قامت « الحاجة » الى الصندوق بطلب تعيين عضو آخر يقدم عملات قابلة للتحويل مقابل حقوق السحب الخاصة . وتلتزم الدولة المعينة بتقديم هذه العملات القابلة للتحويل . ومع ذلك فان هناك حدودا قصوى لما تلتزم به الدولة المعينة لقبول حقوق السحب الخاصة ويتحدد هذا الحد بضعفي حصتها من حقوق السحب الخاصة . وبذلك فان اقصى ما يمكن ان تحرزه دولة هو ثلاثة امثال حصتها المخصصة لها من حقوق السحب الخاصة .

ولذلك فانه من الهام ان نعرف كيف يعين الصندوق الدولة التى تلتزم بقبول حقوق السحب الخاصة مقابل تقديم عملات قابلة للتحويل .

ويتبع الصندوق ـ في تعيينه للدولة الملتزمة بقبول حقوق السحب ـ عدة معايير لا محل لتفصيلها ـ هنا ـ .

٥ ـ ضرورة توافر الحاجة need :

ذكرنا ان حقوق السحب تعتبر سيولة غير مشروطة بمعنى ان استخدامها لا يتطلب من الدولة الخضوع لشروط معينة واتباع سياسات محددة كما هو الحال عند الاقتراض من صندوق النقد الدولي (فيما جاوز الشريحة الذهبية) .

ولكن ليس معنى ذلك ان هذه الحقوق غير مشروطة انها تستخدم دون توافر الحاجة . اذ ان الاتفاقية حددت الالتجاء الى استخدام حقوق السحب الخاصة بضرورة توافر الحاجة وتحدد هذه الحاجة بعجز ميزان المدفوعات او مواجهة تطورات احتياطيات الدولة development in its reserves والحصول على عمله الدولة نفسها من دول اخرى مقابل حقوق السحب .

في ظل التعديل الثاني

اذا كان التعديل الاول لاتفاقية صندوق النقد الدولي في ١٩٦٩ قد انشأ نظام حقوق السحب الخاصة ، فان التعديل الثاني قد قصد ، ضمن امور اخرى الى توسيع دور حقوق السحب الخاصة في المدفوعات الدولية ، وتحويله من مجرد اضافة للاحتياطي الدولي الى اعتبار هذه الحقوق الاحتياطي الاساسي في نظام النقد الدولي .

ورغم ان مبادىء « تخصيص »و « الغاء » حقوق السحب الخاصة قد ظلت على ما هي عليه فقد هدف التعديل الثاني الى توسيع دائرة التعامل فيها سواء من حيث المتعاملين او من حيث العمليات والشروط اللازمة لها . فمن حيث المتعاملين لم يعد التعامل في حقوق السحب الخاصة مقصورا على الحكومات وبنوكها المركزية وانما سمح للمؤسسات المالية بالاحتفاظ بها والتعامل فيها .

تحدثنا في كل ما تقدم عن حقوق السحب دون اشارة الى كيفية تقويم هذه الحقوق بالنسبة للعملات الاخرى . وقد مر هذا التقويم بمرحلتين اساسيتين .

في المرحلة الاولى ويمكن ان نطلق عليها اسم « الذهب الورقى » وهى المرحلة التى تمتد منذ انشاء حقوق السحب بمقتضى التعديل الاول لاتفاقية الصندوق وبدأ التخصيص في يناير ١٩٧٠ وحتى منتصف ١٩٧٤ . وهذه المرحلة تتفق مع قيام نظام ثبات اسعار الصرف ـ كما نعلم ـ فعند انشاء حقوق السحب الخاصة في ١٩٧٠ لم تكن فكرة التعويم واردة كنظام

عام للنقد العالمي . ولذلك فقد عرفت وحدات حقوق السحب الخاصة وكانت وحدة حقوق السحب تعادل ٠٫٨٨٨٦٧١ جرام من الذهب النقي . وهو نفس سعر تعادل الدولار بالنسبة للذهب في ذلك الوقت . ولذلك فقد كانت وحدة حقوق السحب الخاصة تعادل وحدة الدولار الامريكي . ومن الواضح فهم تسمية حقوق السحب « بالذهب الورقي » حيث انها نوع من الارصدة التي لا تصدر عن مؤسسات نقدية وطنية وتتمتع بقيمة ثابتة بالنسبة للذهب .

وقد احتفظت حقوق السحب بهذا السعر حتى بعد تخفيض قيمة الدولار لا كثر من مرة .. ومع ذلك فانه مع قرار حكومة نيكسون بالتخلي عن تحويل الدولار الى ذهب في اغسطس ١٩٧١ اصبحت وسيلة تقويم حقوق السحب بحسب الذهب غير واقعية نتيجة لارتفاع اسعار الذهب بشكل كبير وتعدد اسعاره . ولذلك فقد وجب البحث عن طريقة اخرى لتقويم حقوق السحب الخاصة .

وقد تم ذلك في المرحلة الثانية والتي يمكن ان يطلق عليها اسم « مرحلة سلة العملات » وفي هذه المرحلة اصبحت قيمة حقوق السحب الخاصة تحدد وفقا لعدد من العملات الاساسية في المعاملات الدولية . فقيمة وحدة حقوق السحب تحدد بقيمة سلة من عملات ١٦ دولة وهو مايساعد على استقرار قيمة حقوق السحب بالنسبة للعملات المختلفة .

ونلاحظ انه يمكن تحديد قيمة حقوق السحب بالنسبة لهذه العملات بطريقتين ، الطريقة الاولى ان تحدد نسبة او وزن لكل عملة داخل حقوق السحب وبالتالي يتحدد قيمة كل منها في وحدة حقوق السحب بحسب سعرها في السوق . فيقال مثلا ان وحدة حقوق السحب تتضمن ٣٣٪ من الدولار دائما ، وهو ما يعني عددا من السنتات بحسب قيمة الدولار في السوق . فهنا نجد ان وحدة حقوق السحب تتضمن نسبة ثابتة من الدولار وقيمة متغيرة من السنتات .

اما الطريقة الثانية وهي المتبعة في تقويم حقوق السحب ، فانها تحدد كميات ثابتة من العملات الاجنبية في كل وحدة حقوق سحب خاصة ، ومن ثم تتغير نسبتها في وحدة حقوق السحب حسب اعتبارات السوق . فهنا نقول ان وحدة حقوق السحب تتضمن ٤٠ سنتا دائما وهو ما يعني ان تتغير نسبة او وزن الدولار في حقوق السحب بحسب تغيرات اسعار الدولار .

وهذه الطريقة الثانية هي التي تستخدم في تقويم وحدات حقوق السحب الخاصة ، فهي سلة وحدات العملات المختلفة ومن ثم تختلف قيمتها ووزن القيم النسبي بحسب تغيرات اسعار العملات .

وتحدد قيمة وحدة حقوق السحب الخاصة بالنسبة لاى من العملات وتقويم هذه العملات وتحويلها الى العملة المقصودة . وينشر صندوق النقد الدولى يوميا سعر حقوق السحب الخاصة بالنسبة للدولار ، وبذلك يسهل تحديد القيمة بالنسبة لاى عملة اخرى عن طريق معرفة سعرها بالنسبة للدولار . ويقوم صندوق النقد الدولى بنشر اسعار العملات المختلفة في أيام العمل وعلاقتها باسعار حقوق السحب الخاصة .

وقد اكد التعديل الثاني لاتفاقية صندوق النقد الدولى انفصام الصلة بين حقوق السحب الخاصة وبين الذهب حين اسقط من تعريفه لها اية اشارة الى الذهب . وبذلك يؤكد اتجاه نظام النقد العالمي الى تقليص دور الذهب النقدى في المعاملات الدولية .

للمعاملات الدولية

اقتصرنا فيما تقدم على الاشارة الى حقوق السحب الخاصة باعتبارها اضافة الى الاحتياطي الدولي يستخدم ـ بشكل خاص ـ في تسوية المدفوعات الدولية . وبعبارة اخرى فاننا كنا ننظر الى حقوق السحب الخاصة باعتبارها اداة وفاء لتسوية المدفوعات الدولية .

ومع ذلك فهناك وظيفة اخرى ـ قد لا تقل اهمية الان ـ وهي قيام حقوق السحب الخاصة بدور وحدات قياس القيم في المعاملات الدولية . وهو موضوع يستحق مناقشة مستقلة فيما يعرف بنقود المحاسبة الدولية . ■■

د . حازم الببلاوي

يوميات

(الورقة الاولى)

« ملك ام كتابة »

صاح بي صاحبي ، وهو يلقي بدرهمه في الهواء
ثم يلقفه ..

(خارجين من الدرس كنا .. وحبر الطفولة فوق الرداء
والعصافير تمرق عبر البيوت ،

(وتهبط فوق النخيل البعيد)

... ...

« ملك ام كتابة ؟ »

صاح بي ، فانتبهت ، ورفت ذبابة
حول عينين لا معتين ..

فقلت : « الكتابة »

.. فتح اليد مبتسما ، كان وجه المليك السعيد
باسما في مهابة .. !

... ...

« ملك ام كتابة ؟ »

صحت فيه بدوري ،
فرفرف في مقلتيه الصبا والنجابة
واجاب : « الملك »
(دون ان يتلعثم او يرتبك !)
.. وفتحت يدي : كان نقش الكتابة
بارزا في صلابة !

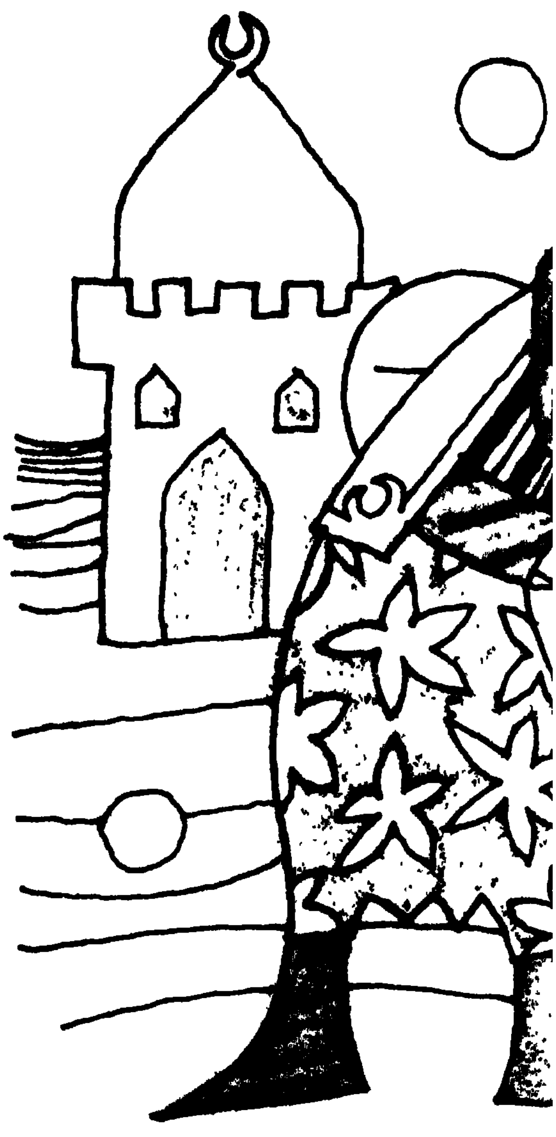
× × ×

دارت الارض دورتها ،
حملتنا الشواديف من هدأة النهر ..
القت بنا في جداول ارض الغرابة
نتفرق بين حياض الاسى .. وحياض الصبابة .
قطرتين .. التقينا على سلم القصر ..
ذات مساء وحيد
كنت فيه : نديم الرشيد !
بينما صاحبي : يتولى الحجابة !!



أبى نواس

شعر : أمل دنقل



(الورقة الثانية)

من يملك العملة ..
يمسك بالوجهين .
والفقراء .. بين بين !

(الورقة الثالثة)

نائما كنت جانبه .. وسمعت الحرس
يوقظون ابي :
خارجي
ـ انا !
ـ مارق
ـ من ؟ .. انا !
...   ...

صرخ الطفل في صدر امي
وامي محلولة الشعر .. واقفة
في ملابسها المنزلية
ـ اخرسوا
.. واختبأنا وراء الجدار
ـ اخرسوا
.. وتسلل في الحلق خيط من الدم
كان ابي يمسك الجرح ..
يمسك قامته .. ومهابته العائلية
ـ يا ابي
ـ اخرسوا
.. وتواريت في ثوب امي ،
والطفل في صدرها ما نبس
ومضوا بابي
تاركين لنا اليتم متشحا بالخرس !

(الورقة الرابعة)

ايها الشعر ، يا ايها الفرح المختلس
...   .
(كل ما كنت اكتب في هذه الصفحة الورقية
صادرته العسس !)

(الورقة الخامسة)

.. وامي جارية فارسية

يتناقل سادتها قهوة الجنس ، وهي تدير الحطب

يتبادل سادتها النظرات لاردافها ..

بينما تنحني لتضيء اللهب

يتندر سادتها الطيبون بلكنتها الاعجمية !

... ...

نائما كنت جانبها ، ولمحت ملاك القدس

ينحني ، ويربت وجنتها ..

وتراخى الذراعان عني قليلا .. قليلا ..

وسارت بقلبي قشعريرة الصمت

ـ امي .. ، وعاد لي الصوت ،

ـ امي .. ، وجاوبني الموت ،

ـ امي .. ، وعانقتها .. وبكيت ،

وغام بي الدمع .. حتى احتبس !

لا

(الورقة السادسة)

لا تسألني ان كان القرآن

مخلوقا .. او أزلي

بل سلني ان كان السلطان

لصا .. او نصف نبي !



(الورقة السابعة)

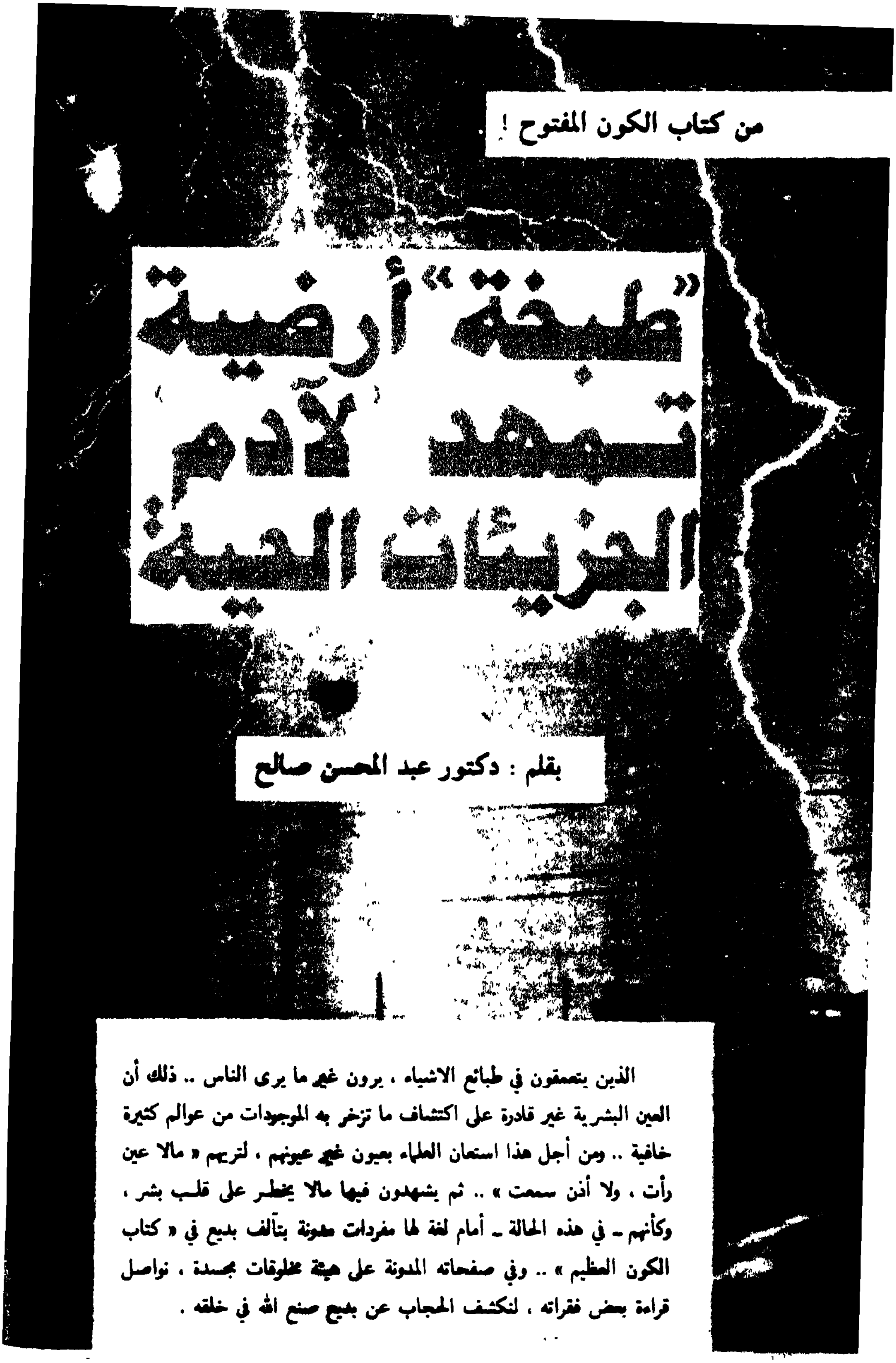
كنت في كربلاء
عندما قال لي الشيخ ان الحسين
مات من اجل جرعة ماء !
.. وتساءلت : كيف السيوف استباحت بني الاكرمين ؟
فاجاب الذى بصرته السماء :
« انه الذهب المتلالىء في كل عين .. »
...   .
ان تكن كلمات الحسين
وجلال الحسين
وسيوف الحسين
سقطت .. دون ان تنقذ الحق من ذهب الامراء
افتقدر ان تنقذ الحق ثرثرة الشعراء
والفرات : لسان من الدم .. لا يجد الشفتين !؟؟

× × ×

« مات من اجل جرعة ماء » !
فاسقني يا غلام صباح مساء
اسقني ياغلام ..
ربما بالمدام ..
اتناسى الدماء !!



امل دنقل



من كتاب الكون المفتوح !

"طبخة" أرضية تمهد لآدم الجزيئات الحية

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

الذين يتعمقون في طبائع الاشياء ، يرون غير ما يرى الناس .. ذلك أن العين البشرية غير قادرة على اكتشاف ما تزخر به الموجودات من عوالم كثيرة خافية .. ومن أجل هذا استعان العلماء بعيون غير عيونهم ، لتريهم « مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت » .. ثم يشهدون فيها مالا يخطر على قلب بشر ، وكأنهم ـ في هذه الحالة ـ أمام لغة لها مفردات مدونة بتآلف بديع في « كتاب الكون العظيم » .. وفي صفحاته المدونة على هيئة مخلوقات مجسدة ، نواصل قراءة بعض فقراته ، لنكتشف الحجاب عن بديع صنع الله في خلقه .

في دراسة سابقة تعرضنا للوحدات الدقيقة التي تتكون منها كل ذرات الكون قاطبة ، وألمحنا إلى أن غاز الايدروجين كان بمثابة « آدم » الذرات التي جاءت كلها من صلبه ، لتصبح بدورها وحدات جديدة في مخطوطات كتاب الكون الكبير ، وعندما تتآلف هذه الذرات ، فانها تؤدي الى جزيئات أو مركبات كيميائية ، لها في حياة المخلوقات شأن يذكر .

فكما أوحى الله في كل سماء أمرها ، وفي كل خلية أمرها ، كذلك أوحى لكل ذرة أمرها ، وبهذا الأمر أو النظام المذهل ، تستطيع ان تشق في الحياة طريقها ، فتتآلف مع نفسها ، او ترتبط مع غيرها ، او تترك مكانها لمن هو أقوى منها بأسا ، وأشد تفاعلا ، وكل هذا يسري من خلال نظم بديعة ، وشرائع دقيقة ، نعبر عنها دائما بالمعادلات والقوانين التي تحكم مجتمعاتها ، لتظهر نحن في النهاية كنتيجة حتمية لهذه النظم الذرية التي ترابطت في مركبات لا نكاد نحصيها عدا

فلو أنك أخذت شريحة من لحم ، أو أي نسيج آخر حي ، من أي مخلوق تشاء ، سواء كان نباتا أو حيوانا ، ثم فحصتها وحللتها بوسائل العلم الحديثة ، فلا شك انك واقع على أكوان دقيقة من داخل أكوان ادق .. من داخل أكوان أدق وأدق .

ففي النسيج خلايا لا تراها عيوننا .. لكن « الميكروسكوبات » تكشف عن غموضها ، وتوضحها على هيئة وحدات تراصت وترابطت فيا بينها ، ليصبح للنسيج كيان ومعنى .

وفي داخل الخلية تكمن تكوينات خلوية أدق ، هي بمثابة أجهزتها التي تسير بها مرافق حياتها .. وكلما كانت عيون الميكروسكوبات أقوى واكبر ، تكشفت بنايات أعجب واكثر ، وفي النهاية تصل الميكروسكوبات الى حدود لا تستطيع بعدها أن توضح لنا ما هو أدق وأدق !

لكن وسائل التحليل الكيميائي والفيزيائي الدقيق تدخل هذا الميدان ، لتكشف لنا عن بلايين فوق بلايين من جزيئات كيميائية من كل صنف وحجم وتكوين .. بعضها عملاق « والوصف هنا نسبي » ، وبعضها ضئيل ، أو ما بين ذلك تكون أحجام الجزيئات الاخرى .. فلو تصورنا مثلا اننا كبرنا بعضها بلايين فوق بلايين من المرات ، عندئذ قد يصل اضخمها الى حجم انسان بالغ ، في حين أن أصغرها قد لا يصل الى حجم حبة من خردل أو نملة .. وبين هذه وتلك توجد جزيئات (بنفس التكبير) في حجم سحلية وضفدع وفأر وقط وكلب .. الخ ! .

ولا شك أن هذه الجزيئات بدورها نظم متآلفة من ذرات ، كما تتآلف الحروف هنا في كلمات .. فكما ان للكلمة في حياتنا معنى ، كذلك كان لكل جزيء من هذه الجزيئات في حياة الخلية او مكوناتها معنى ، ثم انها لم تترابط هكذا اعتباطا ، بل ان كل ترابط يسري بسنن لا خلل فيها ولا فوضى !

ثم اننا لو حللنا هذه الجزيئات التي تكون جماهير جزيئية ضخمة داخل الخلية ، لوجدنا عمالقتها تتكون من جزيئات أصغر فأصغر ، وفي النهاية نرى الأصغر يتكون من سلالات ذرية .. أيدروجين وأوكسجين وكربون ونيتروجين وفوسفور وحديد وكبريت وكالسيوم وصوديوم وبوتاسيوم وكلور وماغنسيوم ومنجنيز .. الخ .. الخ .

اذن .. كيف اجتمع الشمل ، وحدث التآلف بين كل هذه المركبات ، لتؤدي في النهاية الى خلية قد تتمخض عن مخلوق حكيم يعي ويفكر ويبحث في ملكوت الله العظيم ، ثم يريد ان ينفذ الى سر هذه المخطوطات الكيميائية التي هي بمثابة « حجر رشيد « الكون » ؟!

من الهمجية الى النظام !

وكما يبدأ كل شيء بسيطا ، ثم يتراكب ألفاً ، وينتظم أبدع ، كذلك بدأت الجزيئات الكيميائية بسيطة ، ثم انتظمت وتعقدت .. فقبل ان تظهر الكائنات الحية البسيطة على هذا الكوكب منذ اكثر من الفي مليون عام ، سبقتها ازمنة طويلة جدا من التفاعل بين الذرات والجزيئات البسيطة .. أزمنة تقدر بمئات الملايين من السنين ، وفي هذا التفاعل حدث بين الذرات والجزيئات تجمع وفراق ، وربط وفك ، وتحولت من صور الى صور أخرى ..

وكأنما هناك قوى خفية تسيرها وتدفعها الى عمليات

تطور كيمياتية بالغة التعقيد والتوضيب .. صحيح أن العملية بطيئة للغاية ، لكن اعطها عمرا .. اعطها مئات الملايين من السنين .. تعطيك جيوشا من المركبات من كل صنف وحجم ونوع ، ولقد انتهت هذه العملية بتكوين جزيء ثمين وعملاق .. هو الذي نراه الآن في كل المخلوقات الحية .. نراه على هيئة جزيئات وراثية ، تورث المخلوقات كل صفاتها ، وكأنما هذا الجزيء الوراثي قد أصبح بمثابة « آدم » الجزيئات التي جاءت ـ فيما بعد ـ من صلبه ، لتنتقل من خلية الى خلية عبر مئات الملايين من السنين ، وحتى يومنا هذا ، ثم الى مستقبل لا يعلمه إلا الله .

لكن لا يجب علينا أن نستبق الأحداث حتى لا نتوه في معمعة ليس لها من قرار .. ولنعد بعقارب الزمن الى الوراء بضع بلايين من السنين ، عندئذ سنرى الأرض غير الارض التي نعيش عليها الآن .. فلا أشجار باسقة ، ولا زهور متفتحة ، ولا طيور مغردة ، ولا حشرات شاردة ، ولا فراشات محلقة ، ولا سمكة عائمة ، ولا حتى دودة أو طحلبا أو ميكروبا دقيقا .. لا شيء اطلاقا غير الضياع والخراب والسكون القاتل الذي يمتزج بين آونة وأخرى بالبراكين الثائرة ، والرياح العاوية ، والامطار المتساقطة ، والأبخرة الصاعدة ، والزلازل المتتابعة ، والغازات الخانقة .. وكل هذا وغيره ليس مناسبا لظهور أية صورة من صور الحياة كما نعرفها في أيامنا الحاضرة ، لكنها كانت مناسبة لعمليات تطورية تحدث على مستوى الجزيئات الكيميائية التي ظهرت اول ما ظهرت على سطح هذا الكوكب منذ بلايين السنين .

إنها أطوار كثيرة ، وحقب طويلة مرت على هذا الكوكب ، لتؤهله لاستقبال صورة بدائية من صور الحياة تمكنها من تحمل ظروف الأرض التي كانت بمثابة « طفلة شقية » تعربد بصراخها وشقاوتها وظروفها غير المستقرة .. لكنها في النهاية استقرت وتهيأت لاستقبال حدث نادر .. هو الحياة في أبسط صورها .. أو « بذرتها » الأولى التي شقت طريقها !

لم يكن جو الأرض ولا سطحها ولا مناخها في الأزمنة الغابرة شبيها بما نراه الآن في أيامنا الحاضرة ، ففي غلافنا الهوائي الآن ينتشر الاوكسيجين وثاني اكسيد الكربون والنيتروجين ، لكن هذه الغازات هي نتيجة حتمية لأنشطة الكائنات الحية .. انها تستنشق الاوكسيجين مثلا وتزفر غاز ثاني اوكسيد الكربون في عمليات التنفس ، كما ان غاز ثاني اوكسيد الكربون يدخل في عمليات التمثيل الضوئي في النبات ، ليتحول مع الماء الى مركبات عضوية لا نستطيع لها حصرا ، وما دامت الحياة لم تظهر على الأرض بعد ، كان أمرا مقضيا الا تظهر هذه الغازات في جو الارض ، بل بدأت بأبخرة وغازات تخنق الانفاس ولا تساعد على الحياة مطلقا .

فكثير من العلماء يعتقد أن الغازات التي كانت سائدة في جو الارض وعلى سطحها من قديم الزمن ، تمثلت أساسا في غازات الايدروجين وكبريتيد الايدروجين (غاز كريه الرائحة ونشمه احيانا في آلبيض الفاسد) والنوشادر (أو الأمونيا) وغاز المستنقعات (الميثان) وبخار الماء ، وكانت هذه وغيرها تدور بين غلاف الارض وسطحها في حالة همجية ، وكأنما لا يربطها رابط ، ولا يؤلف بينها ما يمكن ان يؤدي الى تخليق مادة عضوية تقوم على أكتافها صور الحياة ، لكن هناك دوافع كثيرة قد روضت تلك الغازات ، ودفعتها الى بعضها دفعا ، لتتحول من همجية الى نظام ، ومن تشرد الى تآلف جزيئي فيه للحياة شأن يذكر !

تجربة « كونية » صغيرة !

وطبيعي أن أحدا لم يشهد ما مر بالارض من أحداث مثيرة ، ولا استطاع أن يحلل ويعرف ما كان عليه جو الارض من قديم الزمن ، ولا كيف ظهر الجزيء الوراثي الاول ، ولا سلسلة الاحداث التي أدت الى ظهور الخلية الاولى .. الخ . فكل هذه افتراضات أو استقراءات نابعة من دراسة اجواء الكواكب الاخرى ، وما يحيط بها من غازات واضطرابات . لكن ما علينا من كل ذلك . فالحديث فيه قد يتشعب ويطول ، وعلينا أن نعود لنتساءل : وما الدليل على أن هذه الافتراضات أو النظريات صحيحة ؟ واذا صح ذلك . فكيف تحولت هذه الغازات السامة الخانقة المشردة الى جزيئات أخرى هي لبنات أولية دقيقة تتأسس منها مادة الحية الاولية ؟

الواقع أن الحد الفاصل بين الغث والسمين هو التجربة العلمية .. فعندما افترض العلماء هذا الفرض نتيجة لاستقراءات كثيرة ، قام كل من دكتور ستانلي ميللر ودكتور هارولد يوري من جامعة شيكاغو باجراء تجربة فريدة ، علها يحققان صحة هذا الافتراض أو بعضه .. ففي عام ١٩٥٣ قاما بتعريض خليط من غاز الايدروجين والامونيا والميثان وبخار الماء للأشعة فوق البنفسجية وللشحنات الكهربية المفرغة لفترة لم تستمر سوى ٢٤ ساعة ، ثم قاما بتحليل الخليط تحليلا كيميائيا دقيقا ، فربما أدى ذلك الى اكتشاف ظهور جزيئات جديدة من ذلك النوع الذي يمكن أن يوجد في الكائنات الحية .

لقد تمخضت هذه التجربة المعملية البسيطة عن نتائج مثيرة ، إذ أظهر التحليل ان الخليط الكيميائي يحتوي على عدد من الجزيئات العضوية البسيطة التي يدخل الكربون في هيكلها البنائي بصورة أو بأخرى .. فمعظم هذه الجزيئات الناتجة كان أحماضا عضوية ، لكن الغريب حقا أن بعضها ظهر على هيئة أحماض أمينية مختلفة ، وهي الأحجار البنائية الدقيقة ، أو هي بمثابة الحروف الكيميائية التي « تكتب » بها الكائنات الحية بروتيناتها ، وتربطها في جزيئات عملاقة لتستخدمها في عمليات حيوية كيميائية معقدة .

ثم قام العالمان - بعد هذه النتيجة المشجعة - باضافة مزيد من المركبات البسيطة الى الخليط السالف ذكره ، وهي مركبات يعتقد العلماء في وجودها ضمن الخليط الغازي الذي ساد جو الارض قبل نشأة الحياة عليها .. ومن هذه المركبات غاز السيانور السام (وهو موجود حتى الآن في بعض الكواكب الشمسية التي لم تنشأ عليها حياة بالمعنى المفهوم) .

وجاءت النتيجة اكثر اثارة ، إذ ظهرت مركبات جديدة أهمها - على الاطلاق - ذلك النوع الذي يدخل في تكوين الجزيء الوراثي المسيطر على ادارة دفة الامور في الخلايا الحية (هذه المركبات نعرفها علميا باسم البيورينات والبيريميدينات Purines & Pyrimidines) وطبيعي أن هذه التجربة المعملية البسيطة لا تقارن بالتجربة الكونية الضخمة التي استمرت على مسرح أرضنا عشرات ومئات الملايين من السنين ، ففي الأخيرة كانت التجربة أطول وأعظم وأكفأ ، ولابد انها تمخضت عن مركبات كثيرة جدا ، وفي تفاعلاتها يتشعب الحديث ويطول ، لكن يكفي أن نذكر أنه من خلال شريعة الذرات والجزيئات ، ومن خلال « وحي » النظام الذي اودعه فيها الله ، سارت في عمليات دفع وصراع ، لتقوم وتكبو ، وتتحد وتنفصل ، وكأنما هي مجتمعات دقيقة لها في عالمها أمور لا يدركها الا العلماء المتخصصون ، ولا شك أن في هذا الدفع والتطاحن صلاحها ، وكأنما ما يسري عليها ، يسري على الناس وسائر المخلوقات ، ربما أيضا مصداقا لقوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » ... كذلك لولا دفع هذه الجزيئات بعضها ببعض ، لما تطورت وتحورت وتهيأت للرسالة التي تقوم عليها أعمدة الحياة !

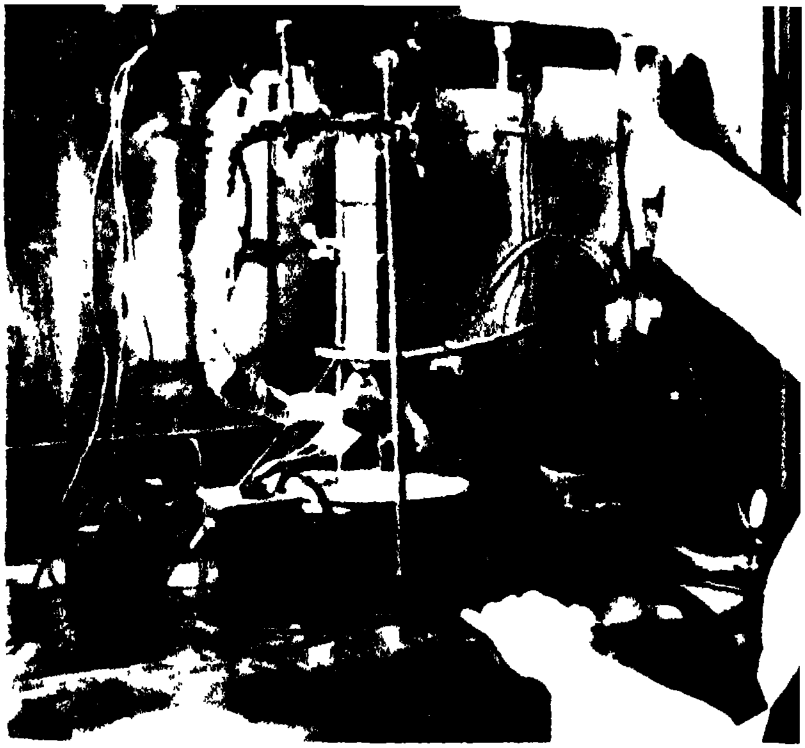
الذرات .. حروف لغة جديدة !

لقد ذكرنا في المقالة السابقة أن الجسيمات الذرية (البروتون والنيوترون والاليكترون) كانت بمثابة الحروف « المجسدة التي تآلفت في نظام خاص لتعطي سلالات من الذرات ، ثم تجيء الذرات بدورها ، لتصبح « ألف باء » الجزيئات أو المركبات الكيميائية !

ان لغتنا العربية مثلا تتكون من ٢٨ حرفا ، وبهذه الحروف نستطيع تكوين ملايين فوق ملايين من الكلمات .. فلو انك آلفت بين حرف وحرف ، أو بين ثلاثة أو اربعة .. الخ ، بطريقة عشوائية ، فقد تخرج لك كلمات لها معنى ، أو لا معنى لها على الاطلاق .. جرب تعرف !

لكننا نمتلك عقولا ، وبها نخط حروفا ، ونكتب كلمات منتقاة لها في حياتنا معنى ، وعلى الوتيرة ذاتها تتآلف الذرات في جزيئات ليكون لها ايضا معنى .. صحيح ان الذرة لا تمتلك عقلا كعقولنا ، ولا ارادة كارادتنا ، لكنها مع ذلك تمتلك نظاما اليكترونيا بديعا يؤهلها للتفاعل او التعامل مع الذرات الاخرى ، او كأنما هي تعقد مع بني ملتها صفقة اليكترونية يقوم على اساسها كل ما في هذا الكون من صور غازية وسائلة وصلبة وجامدة وحية .

خذ على سبيل المثال غازى الايدروجين



يمثل هذا الجهاز البسيط استطاع دكتور ميلر ان يبرهن على ان الغازات البسيطة الخانقة التي كانت تسود كوكب الارض قبل نشأة الحياة قد تحولت الى جزيئات عضوية اكبر واعقد من خلال تسليط اشعة فوق بنفسجية او شرارات كهربية على الخليط الذى كان يتصاعد في جهاز على هيئة بخار ثم يتكثف ويتركز فاكتشف مركبات مثيرة (راجع المقال) .

والأوكسجين .. فلهذا صفات جوهرية تختلف عن ذلك ، فالأول مختزل والثاني مؤكسد .. الأول يحترق ، والثانى يساعد على الاحتراق .. لكن اذا تقابل المحترق والحارق ـ اى الايدروجين والاوكسجين ـ وأثيرا بشرارة كهربية ، او بعود ثقاب ، فانهما يحدثان انفجارا أو نارا خاطفة ، ويتآلفان في جزيئات تؤدى الى تكوين بخار الماء .. أو لو اننا اخذنا ماء موصلا لتيار كهربي ووضعنا فيه قطبين كهربيين ، فان الروابط تتفكك ، ويجتمع الايدروجين عند قطب ، والاوكسجين عند الاخر ، ويعود الماء الى سيرته الاولى .. اى الى غازين لا يمتان للماء بصلة تذكر !

وملح الطعام الذى نتناوله كل يوم ، أصله ذرتان واجتمعتا في جزىء ، ولو لا اجتماعهما لأصبح كل منهما « شريرا » مدمرا في أجسام الأحياء .. ولكى نعرف معنى ذلك ، فما علينا الا أن نمرر تيارا كهربيا في محلول منهما ، نريد بذلك ان نفرق بينهما ، عندئذ يظهر كل عنصر على حقيقته وضراوته ، فينشق كلوريد الصوديوم (أى ملح الطعام) الى شقين .. احدهما كلور يقتل الحياة ، والثاني صوديوم يحترق في الماء ليتحول الى صودا كاوية تحرق في تركيزاتها العالية الأبدان .. لكن إذا التقى هذا الحارق وذلك السام ، فانهما يتآلفان في جزىء من ملح الطعام .. لاهو حارق ولاهو سام !.

والنوشادر جزىء كيميائى ينتج من ارتباط ذرة نيتروجين بثلاث ذرات من الايدروجين ، وسكر الجلوكوز جزيئات يتكون كل منها من ارتباط ست ذرات كربون مع ست ذرات أوكسجين مع اثنتى عشرة ذرة ايدروجين بهندسة فراغية لاتتغير ولا تتبدل .. وقد تتآلف هذه الذرات بطريقة أو بأخرى ، فتعطيك مرا أو حنظلا او حمضا أو عطرا أو سما .. الخ .. الخ..

والأمثلة بعد ذلك بالملايين والبلايين ، وكأنما هى تنبئنا بالخبر اليقين ، غير أن الله سبحانه وتعالى يخلق مايشاء بغير حساب ، ولكن على أساس متين يتمثل لنا في نظام جاءت به الذرات لتشق به في الحياة طريقها ، وكأنما هى بمجتمعات دقيقة غاية الدقة .. بمجتمعات تعرف كيف تترابط وتتآلف ، أو تتشق وتتنافر ، أو يحل بعضها محل بعض بمنطق القوة التى امتلكتها (بالشحنة الاليكترونية او الطاقة المتاحة) ، أو تنظم نفسها في « طوابير » طويلة ، أو تتنازل عن بعض اليكتروناتها لغيرها ، أو تحدث بينها مشاركة اليكترونية .. وبهذا وغيره تحدث الارتباطات ، فتتغير طباعها من صورة الى صورة ، وبهذا التغير يسرى التفاعل أو الدفع الى هدف قضاه الله يوم أن بدأ الخلق من جسيمات اولية .. جمعها في سلالات ذرية .. ربطها في جزيئات كيميائية .. مدها بقوى مقدرة لتنشأ منها الحياة !

طاقات دافعة لتآلف محتوم

ولاشك أن كل هذا وغيره كان يحدث بين الجزيئات البسيطة بوجود الماء في الأزمنة الغابرة ، لان الماء هو الوسط الأمثل للتفاعلات التي ادت لظهور الحياة .. « وجعلنا من الماء كل شيء حي » !

لكن لابد من قوى او طاقات لتؤلف بين الذرات في جزيئات صغيرة .. ثم تربط الصغيرة في جزيئات أكبر وأكبر ، أو تحولها من صورة الى اخرى .. لكن ماهي طبيعة هذه القوى ؟

لاشك أنك قد لاحظت أن العالمين يورى وميلر كانا يسلطان على خليطهما من المركبات البسيطة (التى سبق ذكرها) شرارات من تفريغ كهربي ، أو أشعة فوق بنفسجية ، وهما لم يقوما بذلك عفوا او اعتباطا ، بل من ورائه فكرة وهدف ، والهدف أن يكسب المركبات البسيطة طاقة تثيرها ، فتدفعها دفعا الى تلاحم وتفاعل وترابط يؤدى الى جزيئات أعقد تتخذ صورا شتى .. مثلها في ذلك كمثل المؤلف او جامع الحروف في المطبعة .. فكلاهما يبذل طاقة لتكون هذه الكلمات ، والطاقة تبعث من تفاعلات حيوية تتم في الجسم ، ووقود هذه الطاقة سكرا او بروتينا او دهونا تحترق ، فتتولد الطاقة ، فنقوم بالعمل .. والميت لايكتب ولا يطبع ولا يتحرك .. انه بلا طاقة !

وطبيعي ان لكل عالم ما يناسبه من طاقات .. حرارية كانت هذه الطاقات او كهربية أو اشعاعية أو ماشابه ذلك ، ويوم ان كانت غازات الايدروجين والسيانور والامونيا والميثان .. الخ تحتل غلاف الارض من قديم الزمن ، تسلطت عليها شرارات رهيبة من تفريغ البرق ، فألهبتها ومنحتها التفاعل ، كما اسعفت أيضا طوفانا من الاشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس ، فأكسبتها طاقة ارغمتها على الدخول في معمعة كيميائية لتؤلف بينها في مركبات عضوية اكثر تعقيدا ، ومن اجل هذا استخدم ميلر ويورى شرارات كهربية واشعة فوق بنفسجية في تجربتها المحدودة .

لكن .. ماالذى يدعونا الى الافتراض بأن الشرارات والاشعة كانت تتسلط على غلاف الارض من قديم الزمن ؟

الواقع ان الاشعة فوق البنفسجية أو غيرها من اشعاعات مدمرة تنساب من الشمس منذ ان توهجت وأضاءت ، وهى لازالت في انسيابها حتى يومنا هذا ، وسوف تنساب منها الى ان تنتهى حياتها ، ولقد كانت هذه الاشعة ذات البأس الشديد تخترق الغلاف الهوائى من أوله الى آخره حتى تصطدم بسطح الكوكب ، وفعلت في جزيئاته ما فعلت ، وتساقطت الجزيئات المعقدة مع الامطار ، وظلت تتجمع وتتركز وتتفاعل ملايين فوق ملايين من السنين ، فأدى ذلك الى ظهور لبنات الحياة الاولى ، وعندما شقت الحياة طريقها ممثلة في كائناتها البسيطة ، وعلى رأسها الطحالب الخضراء (صور من حياة نباتية بدائية) ، بدأ الاوكسيجين يتصاعد من عمليات التمثيل الضوئى التى تتم في النباتات الاولية ، وتجمع هذا الغاز شيئا فشيئا في الغلاف الهوائى ، ومنه تكونت طبقة الأوزون (الاوزون ثلاث ذرات مترابطة من الاوكسيجين) التى صدت غائلة الاشعة فوق البنفسجية ، ومنعتها من النفاذ ، فحمت بذلك الكائنات البسيطة من عملياتها التدميرية ولازالت طبقات الاوزون - حتى اليوم - تمتد فوق رؤوسنا كمرشح عظيم ، او مظلة واقية ضد تلك الاشعة القاتلة .

اضف الى ذلك أن الغلاف الهوائى من قديم الزمن كان يتزاحم بالسحب ، ومن عمليات التفريغ الكهربي بينها ، كانت تنطلق من البرق شرارات كهربية عاتية ساعدت على « طبخ » الجزيئات البسيطة ، ولايزال البرق حتى الان عاملا هاما في تحويل النيتروجين والاوكسيجين الى مركبات نيتروجينية تستفيد منها النباتات .

ملخص القول : ان من بين ملايين الانواع من الجزيئات التي تكونت في العصور القديمة ، بعث « آدم » الجزيئات الذى سيطر بعد ذلك على كل صور الحياة ، وأعطاها صفاتها المسجلة بنظام ليس هناك ماهو أروع منه ولاأعظم ، ولهذا الجزىء دراسة قادمة ، لنعلم من أمره مالم نكن نعلم .. « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . ■■

الاسكندرية ـ دكتور عبد المحسن صالح

شكيب أرسلان: صورة جيل

بقلم : الدكتور عمر الدقاق

لم تكن السن قد بلغت بي العاشرة من عمري حين كنت أشعر برغبة لا تقهر تدفعني بعيدا عن داري في احد احياء حلب القديمة لأتحسس بنفسي ما كان يدور على ألسنة أبي وجدي وسائر رجال الحي ، بعد أن يعودوا في ضحى يومهم وقد اغلقوا متاجرهم إثر مظاهرة صاخبة ضد المحتلين .

لقد بدا لي الأمر وأنا أشق طريقي بين الجموع المتراصة يومذاك على غير ما كنت أعهده لدى تلك الجماهير الثائرة . فقد كانت الوجوه طافحة بالبشر وتهليلها يملأ الأفواه وتكبيرها يجلجل في الآذان ... ولقد دريت بعد لأي من خلال أحاديث الكبار إنّ رجلا وطنيا ذا شأن اسمه شكيب ارسلان قد عاد الى ربوع وطنه بعد ان حرمه عليه المستعمر سنين طوالا .

وقف العائد من منفاه في ساحة حلب يخطب الناس وأنا مأخوذ بسحر بيانه ، أتنقل ناظري بين قسمات وجهه الصارمة وجبهته الفسيحة ، وأرقب بفضول كبير تينك العينين البراقتين من خلف نظارته البيضاء ، وذينك الذراعين اللذين كانا يتحركان بدأب ويثبتان على حماسة لا حد لها وإيمان لا قرار له . كان ذلك في ربيع عام ١٩٣٧ م .

ولد شكيب في الشويفات من جبل لبنان سنة ١٨٦٩ م من أسرة عريقة ترقى بنسبها الى قبيلة لخم العربية من كهلان التي قامت في ربوعها وفي حاضرتها الحيرة دولة المناذرة . ثم شب في عالم مضطرب تتنازعه الأطماع وتتعاوره البغضاء . وكانت بلاده تئن تحت كابوس الاستبداد والمستعمر يتطلع الى خيراتها بجشع ويحدد نحوها انيابا عصلا حتى يهم بالانقضاض عليها وابتلاعها .

ولقد نشأ الفتى ولغة العرب غريبة في أهلها يتولى تدريس قواعد نحوها وصرفها أناس دخلاء عليها يعلمون قومه لسان القرآن بلسان جنكيز وطوران ، ويلفظون لغة الضاد برطانة وعجمة . الا انه قيض لهذا الطفل ان يلتحق بمدرسة الحكمة في بيروت وكانت من أرقى المدارس التي عنيت بلغة أجداده . ويتفتح البرعم عن



ذكاء متقد ، وتبدو علائم النبوغ مبكرة لدى ذلك الفتى فنظم الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره ، ويصدر أول ديوان له واسمه (الباكورة) وهو لم يتم بعد السابعة عشرة

مع أعلام الاصلاح

وفي مدرسة الحكمة هذه وفي أحد محافلها التي كانت تقيمها في فنائها كل عام يلتقي ذلك الطالب اليافع بإمام العصر الشيخ محمد عبده الذي يتوسم في ملامحه الخير لأمته . ومنذ ذلك اليوم شغف الطالب الفتى بأستاذه الشيخ فلا يقر له قرار حتى يلحق به الى مصر ، كعبة الفصحى وملاذ الأحرار وقتئذ ، ومن قبل هرع اليها عبد الرحمن الكواكبي ومحمد كرد علي وعبد القادر المغربي .. ويلازم شكيب حلقة الامام ويغترف من معين فكره النير ويقبس من جذوة حماسته اللاهبة . ثم يقصد بعد ذلك الى الاستانة حيث تغص معاهدها ومنتدياتها بكثير من شبان العرب واحرارهم ، وهناك يتم اللقاء بينه وبين السيد جمال الدين الأفغاني ، ثم تشتد اواصر الاخاء بينهما ويعب شكيب من تعاليمه الثائرة ويقف منه على أدواء أمته . وحين يتصل شكيب بعد ذلك بالسيد رشيد رضا في بيروت ويتبنى الكثير من افكاره السياسية والاجتماعية تتكون في شخصيته ابرز معالم الرجل الحر والكاتب المبدع

بين أمير البيان ، وأمير الشعراء

لقد علق شيطان الشعر بشكيب حينا من الدهر وكانت بينه وبين محمود سامي البارودي ـ وكان في منفاه بسيلان ـ مراسلات ومساجلات شعرية ، وقد رأى فيه رائد الشعراء المحدثين .

نبراس داجية وعقلة شارد
وخطيب اندية وفارس مجمع

ثم انعقدت بعد ذلك اواصر الصداقة بين أمير البيان وبين أمير الشعر ، إذ تم أول لقاء بينهما في باريس حيث كان شوقي موفدا لدراسة الحقوق . ويتمنى شكيب على شوقي أن يجمع روائع شعره في ديوان وأن يطلق عليه اسم (الشوقيات) . وينعم شوقي بصحبة شكيب في ديار الغربة ، حتى اذا ما غاب عنه ظله إفتقد فيه النصير المخلص والأخ الوفي ، وذ ـه بلوعة :

صحبت شكيبا برهة لم يفز بها
سواي ، على ان الصحاب كثير

وتجري أيضا بين شكيب وبين عدد من شعراء عصره مثل اسماعيل صبري ، وعبد الله فكري وخليل مردم وسواهم مساجلات شعرية طريفة ومفاكهات أدبية شائقة . لقد كان الشعر والنثر يتدفقان من معين نفسه تدفق النبع الثر ويندفعان من قريحته الفياضة كفرسي رهان .

الا أن الأمير يعزف عن الشعر ويزجر شيطانه ، ويؤثر فنا رصينا من فنون القول هو الترسل والكتابة في التاريخ والأدب والاجتماع . ونحن لا نكاد نقع على كاتب عربي حديث كان له فيض من النتاج العلمي في الخطب والمحاضرات والقصائد والنداءات والمؤلفات ما كان لشكيب أرسلان .

فقد وهبه الله دأبا عجيبا على العمل ، وقلما سيالا لا يجارى ، وفكرا غزيرا لا ينضب معينه . ومن هنا لقب في دولة الفكر وعالم الادب أميرا للبيان .

جواب آفاق

ولعل شكيبا أول كاتب عربي طوف على هذا النحو الواسع في ارجاء المعمورة . فقضى الشطر الأكبر من حياته المديدة متنقلا بين دول الغرب وحواضر الشرق . فما ان تستقر به الأرض في ربوع الشرق العربي حتى ينأى عنها الى المغرب العربي . وقد ترحل أمدا طويلا الى روسيا وألمانيا وسويسرا وفرنسا وايطاليا . واسبانيا .

وكما بلغ أقاصي آسيا قصد الى امريكا . العالم الجديد . واتصل بإخوانه عرب المهجر .

لقد كان لشكيب أرسلان من ذلك الترحل خير زاد لكتبه ومؤلفاته القيمة التي اتسمت بطابع موسوعي شامل . وما أشبهها بمؤلفات الجاحظ من حيث الاحاطة والشمول . والسعة والغزارة . والطرافة والاستطراد

أرسلان الكاتب الاسلامي

وقد استأثر العالم الاسلامي وأوضاع المسلمين باهتمامه البالغ على نحو ما كان عليه أساتذته الأجلاء جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ويكفي أن نشير الى هوامشه وتعليقاته المستفيضة على الكتاب المعروف « حاضر العالم الاسلامي » لندرك المدى الذي بلغه في هذا المجال فقد تتبع أحوال المسلمين في أقاصي الأرض وعالج مشكلاتهم بكثير من العمق والحماسة والدأب . كما تحدث بإسهاب عن مأساة الشعوب المسلمة في أرجاء المعمورة . فصور ابتلاء بلاد العرب والهند بالاستعمار الانكليزي وعرض فظائع الاحتلال الهولندي في بلاد جاوة وسومطرة وسائر جزر أندونيسيا . وفضح أهوال الاستعمار الايطالي في طرابلس وبرقة . وكشف عن فظائع الاحتلال الفرنسي في بلاد الجزائر وفي المغرب الأقصى ... بل إنه توغل من خلال مؤلفاته في أقاصي الصين وفي مجاهل القارة السوداء فأزال النقاب عن مدنية الغرب الزائفة ومخازيه تجاه الشعوب الآمنة المستضعفة .

وبوحي من هذا الشعور الاسلامي الجارف الذي خبر أحابيل الغرب وشهد حملاتهم الاستعمارية على الشرق . وقف ضد الثورة العربية الأولى التي اندلعت شرارتها إبان الحرب العالمية الأولى وجاهر قادتها العداء . إذ أدرك بثاقب نظره أن التحالف بين العرب والغربيين لا يعدو أن يكون تحالفا بين الحمل والذئب . فأطماع الحلفاء في هذه الربوع الأبية لا تخفى على أحد . وكان الرجل يشفق على تلك الدولة الاسلامية الكبرى التي كانت دوما منيعة ضد مطامع الغرب والصهيونية أن تعصف بها مطامع الغربيين . ولذلك أنشأ يقول :

وليس لنا غير « الهلال » مظلةٌ ينال لديها العز من هو آملهْ
سيعلم قومي أنني لا أغشهم ومهما استطال الليل فالصبح واصلهْ

لقد كان اتجاه شكيب هذا امتدادا لاتجاه أستاذه الامام محمد عبده الذي كان يعتقد بأن « المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها الحافظة لسلطان الدين » . وكان يشارك شكيبا رأيه كثيرون ولا سيما زعماء مصر وأحرارها الذين عانوا من ختل الانكليز ما لم يعانه أحد من العرب من قبل . وعلى هذا الرأي كان مصطفى كامل وعبد الله نديم وتوفيق البكري ورشيد رضا . كما كان معروف الرصافي وعبد الحميد الرافعي وأحمد محرم . وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران . الا أن الرجل أسرف في حب العثمانيين برغم تماديهم في ظلم العرب وتنكيلهم بأحرارهم وإستهتارهم بلغتهم ومقدساتهم . ولم نجد له من الشعر والنثر على كثرة نتاجه فيهما ما يمكن أن نعده تقريعا للترك حين أساء غلاتهم الى كرامة العرب والى لغة القرآن وكانت هذه بقعة سوداء في صفحة جهاده الناصعة التي تجلت بأروع سماتها إبان المرحلة التالية من حياة العرب . فترة الاحتلال البغيض .

ومنذ أن انهار عرش الاستانة تحول أكثر دعاة الجامعة الاسلامية الى جامعة العروبة بعد أن تبين لهم عدم التنافي بين الدعوتين . فكلتاهما تلم شمل العرب وغدا شكيب في طليعة المتحمسين للوحدة العربية .

الكاتب القومي

ولم تكن الوحدة العربية مجرد شعار يهتف له

شكيب ، أو طيف يناجيه ، كما كان شأن الكثيرين في تلك الفترة من انطلاق القومية العربية . فشكيب رجل فكر وباحث إجتماعي متمكن من التاريخ وأحوال الأمم . وهو ينادي بالوحدة العربية لأنها ضرورة حتمية تستلزمها حياة العرب ويقتضيها مصيرهم المشترك . ولنستمع اليه يقول : « اذا أنعمنا النظر في حالة العرب الحاضرة ومواقعهم الجغرافية ومطامع الدول المحيطة بهم سواء في الشرق أو الغرب وجدنا وحدة العرب ضرورة من الضرورات الحيوية إن العصر الحديث بما فيه من عناصر الجشع وسياسة التكالب المستمر على أملاك الضعفاء أصبح غير محتمل إحراز نصيب شريف من الحياة للأمم التي تفككت أوصالها » . ثم يقول « فنحن مضطرون إذن بعد ان حاقت بنا الأخطار أن نتحد اتحادا عسكريا واقتصاديا وسياسيا يضمن لنا البقاء » . وهكذا ارتبطت الوحدة العربية في ذهن شكيب ببقاء العرب وبكيانهم ذاته

وبوحي من هذا الفكر النير كان يؤمن بأن استمرار الجفاء بين قادة العرب وتناحر ملوكها وزعمائها يفت في عضد الأمة . وذلك ما دعاه لأن يبذل ما وسعه من الجهد ويعمل بلا هوادة في سبيل جمع الشمل والتمهيد لوحدة العرب . فاجتمع مرارا الى فيصل بن الحسين وعبد العزيز ال سعود والامام يحيى . وألح عليهم في نبذ خلافاتهم وإزالة الجفوة بينهم وصارحهم بأن الوحدة العربية لن تتحقق ما داموا على هذه الحال من النزاع والخلاف

وهكذا كان شكيب خير سفير لقضايانا ومحام عن حقوقنا تجاه عالم غربي جشع ضاعت لديه القيم والمثل واستبدت به شهوة التسلط والاستعمار ولقد أنصف قائد الثورة العربية فيصل بن الحسين الأمير شكيبا في هذا المجال برغم ما كان بينهما في إبان تلك الثورة إذ كتب إليه « إنني أشهد أمام الله والناس بأنك أنت أول من تكلم معي من العرب في الوحدة العربية » .

وبوسعنا الان ان نفهم لماذا يبعد الحر عن وطنه ويحال بينه وبين أهله . فالمستعمر يخشى هذه الاراء فيحول دون انتشارها . وما درى أن توهج الفكر الحر لا يمكن أن يحجب . وإن دياجير الظلم مهما دجت لا تستطيع أن تطفيء نور الحرية . ولشد ما يحز في النفس أن يرقب رجل عالم عامل بلاده المحتلة من وراء البحر وهو يقول بحسرة بالغة . « لا أقدر أن أطأ أرض سورية . لا أقدر أن أطأ أرض فلسطين . لا أقدر أن أطأ أرض مصر . »

بل إن شكيبا لم يكتف بهذا الدور . إذ كان في تطوافه المديد في ربوع أوروبة وحواضرها خير داعية للقضية الفلسطينية وذائد عن حق العرب في التحرر . وكانت جريدته التي أصدرها في سويسرة باللغة الفرنسية وأسماها (الأمة العربية) المنبر الحر الجريء والصوت العربي المدوي . ومن خلال ذلك المنبر كان يدافع عن حقوق العرب بحماسة وإيمان . وكأنما جريدة (العروة الوثقى) للأفغاني ومحمد عبده التي كانت تصدر في باريس قد بعثت من جديد .

ولكن الله مد في أجله وأتاح له فرصة العودة الى وطنه وتقبيل ترابه بعد أن نعمت البلاد بالتحرر وجلاء الغاصب . فقد عاد شكيب وهو شيخ متهدم الجسم الى دياره في سورية ولبنان عام ١٩٤٦ ليشهد أخيرا علم الاحتلال وهو ينزل من سماء وطنه منكس الرأس ، ولتكتحل عينه بمرأى علم بلاده وهو يشمخ عاليا بألوانه الزاهية ، وعند ذلك سلا نصبه وجهده طوال تلك السنين الحافلة بالعمل والدأب . والبحث والتأليف . وتعزى عما حاق به من ألم وغربة وشظف . فتحيرّت دمعة الفرح في عينه . ثم لم يلبث أسابيع قليلة حتى أسلم روحه الى بارئها ولقي وجه ربه قرير العين راضيا مرضيا .

وبعد . فهذا رجل مثلّ جيلا كاملا بتطلعاته وعثراته . لقد عاش تجاربه وارتبط بقضاياه . جيل أوشك الناس من حوله أن يعبروا الجسور الى رحاب التقدم وهو ما زال حائرا على مفترق الطرق يتطلع الى الشاطيء الآخر ..

قد تطوى رايات كثيرة . ومع ذلك سوف يظل شكيب أرسلان ـ في ضمير العرب والمسلمين ـ راية لا تطوى .

حلب ـ د . عمر الدقاق

مقالات وكلمات

■ احذر هؤلاء الذين يضحكون على لاشيء ، وعلى كل شيء .

ارنولد جلاسو »

■ ليس هناك فنان كامل ، لان نصف الفن ان تعرف متى تتوقف !

« آرثر وليام رادفورد »

■ التثاؤب صيحة هادئة !

« شسترتون »

■ كثيرة هي الساعات التي نقضيها بلا مبالاة ، ولكننا كلنا ننتظر عناق عقربي الساعة لحظة مولد كل عام جديد بكل ما تنبض به قلوبنا من أمل في غد افضل .

« تشارلز لامب »

■ اسعد ايام البشر ، هي تلك الصفحات البيضاء في كتب التاريخ !

« ليوبولد فون رانك »

■ المقترحات الطيبة ، شيكات لا تجد دائما رصيدا يكفي لصرف قيمتها من البنوك !

« جول رينار »

■ الشهرة نحلة ، لها اغنية ، ولها لدغة ، ولكن لها ايضا جناحان !

« اميلي ديكنسون »

■ لا شيء اقوى من الكلمة الرقيقة ، ولا شيء أرق من القوة الحقيقية !

« رالف سوكمان »

■ الذكاء في ان تعرف وجه الشبه في الاشياء التي تختلف ، ووجه الخلاف في الاشياء التي تتشابه !

« مدام دي ستيل »

عن..
الأدب القطرى الحديث

تأليف : محمد عبد الرحيم قافود
تقديم : عبد الرزاق البصير

من الواضح ان أى بحث أو مقال أو كتاب لا يجتذب القارىء اليه الا اذا جاء بجديد ، فالكلام المعاد في أى جانب من جوانب الفكر يصبح ثقيلا على النفوس ، مهما حاول صاحبه ان يلبسه لباسا لامعا ليوهم قراءه ان فيه ما ينفع . وليس الاتيان بجديد بالامر اليسير في هذا العصر لان وسائل النشر قد يسرت للناس سبل الاطلاع ، حتى اصبح المثقف في حيرة من أمره لا يدرى ماذا يقرأ وماذا يدع ، لكثرة ما يرد عليه من حصاد فكرى وأدبي . غير ان هناك جانبا بكرا يمكن الدارسين الجادين فيه بأن يزودوا قراءهم بكثير من الامور الجديدة ، وأعني بهذا الجانب ما يخص تاريخ منطقة الخليج من الناحية الثقافية والتاريخية .. ذلك ان الباحثين في هذه المنطقة قلة بسبب ما تتطلبه الدراسة من صبر على البحث لندرة المصادر والمراجع . ولكن ارتباط الانسان ببيئته التي نشأ فيها يجعله مهيأ لاحتمال جميع ما يعترضه من المصاعب .

ومن المؤكد ان حب مؤلف هذا الكتاب لوطنه الذى نشأ فيه هو الذى دفعه الى اختيار هذا البحث الشاق ، وقد منعه كرهه للتحدث عن نفسه بأن يشير الى هذا الأمر.

وعلى كل حال ، فان قارىء هذا الكتاب لابد وأن يظفر بكثير من الفوائد التاريخية والادبية . على انه يشعر بأن المؤلف قد بذل جهدا كبيرا في تأليف هذا الكتاب . كما يشعر بأن المؤلف قد أخلص للعلم كل الاخلاص . فأنت تراه يتحدث عن بلده « قطر » بصورة مجردة عن الهوى ، بعيدة عن التعصب ، فهو يعلن لك مثلا في أثناء حديثه عن الحياة الثقافية قائلا :

« وبعد هذه الغزوات المتكررة على المدينة ، ثم ما تلاها من انتقال آل خليفة الى البحرين ، افتقدت الزبارة مكانتها الاقتصادية والعلمية وأصبحت مدينة شبه مهجورة ولم تقم في قطر مراكز علمية معروفة في تلك الفترة وحتى بداية القرن العشرين » (ص ٥٦) .

وقوله عن تاريخ النهضة التعليمية في قطر :

« ونظرا للحياة المضطربة وخاصة في النصف الاخير من القرن التاسع عشر لا نرى للتعليم أي مكانه تذكر أو ربما لم تصل الينا أية معلومات عنه أو عن الحياة الثقافية في هذه الفترة » (ص ٥٨) .

وأول ما يلقاك من الفوائد الادبية التي لا يعرفها الا القليل من الناس ، هو أن الشاعر الخارجي المعروف بقصيدته العينية الشهيرة والتي تفيض بطولة وشجاعة والتي يقول فيها :

أقول لها وقد طارت سعاعا
من الابطال ويحك لن تراعي
فانك لو سألت بقاء يوم
على الاجل الذى لك لم تطاعي

بين الشعراء والصحافة

هذا الشاعر هو من شعراء قطر ، واسمه الذى اشتهر به قطرى بن الفجاءة ليس اسمه الحقيقي وانما هو نسبة الى قطر غلب عليه فعرف به . أما اسمه الصحيح (جعونة بن يزيد بن زياد) . وهو شاعر ذو لسان فصيح في الخطابة استفحل امره في زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله وبقي شاعرنا القطرى ثلاث عشرة سنة يسلم عليه بالخلافة وامارة المؤمنين .

ولست أبعد عن الصواب اذا قلت ان هذا الكتاب سيكون مرجعا للذين يريدون أن يتعرفوا على نشأة الحياة الثقافية في هذا البلد الشقيق ، فالمؤلف يحدثك عن ابتداء النهضة التعليمية الى ما وصلت اليه في وقتنا الحاضر من تطور ادى الى تقدم التعليم ، حتى وصل الى ارسال البعثات التعليمية الى الجامعات العربية وغير العربية . والاعداد لانشاء جامعة قطرية .. ويتمثل ذلك بافتتاح عدة كليات للتربية والعلوم الانسانية والدراسات الاسلامية وكلية العلوم . كما يؤرخ للاندية الادبية والمواسم الثقافية والمكتبات العامة ، ذاكرا ما أنتجته من عطاء فكرى وأدبي .

ولا ينسى المؤلف ان يفصل في تاريخ صحافة قطر موضحا اتجاه كل صحيفة والخط الذى تسير فيه ، مبديا ما يجده عليها من ملاحظات على شاكلة مآخذه على مجلة العروبة حيث يقول :

« ومع ذلك كله فان المتصفح للمجلة يحس بذلك النضوب الفكرى والأدبي وانحساره على صفحاتها وخاصة بالنسبة للأقلام المحلية » (ص ٦٧) .

ومن المؤكد ان المؤلف كتب هذه الفصول التي أشرنا اليها لتكون بابا يدخل منه الى تاريخ الحركة الثقافية في قطر لان هذا هو المحور الذى يدور حوله الكتاب . لذلك نراه يفصل الحديث عن الشعراء والمؤلفين في قطر . فهو يقف بك على أول شاعر نظم الشعر في هذا البلد وهو عبد الجليل الطباطبائي فنراه يقول عنه ·

« انه عراقي المولد ، ولكن نظرا لمكوثه فترة طويلة في الزبارة وظهور الكثير من الحوادث السياسية المحلية في أشعاره ، فقد رأيت أن أعتبر هذا الانتاج أو هذه الأشعار من الأدب القطرى »

بعد ذلك يأخذ المؤلف في ذكر أسماء المؤلفين والشعراء الذين شملتهم المرحلة الأولى للمسيرة الأدبية ، فأديبنا يقسم الحركة الأدبية الى مرحلتين

ـ المرحلة الأولى ، وتبدأ من أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن الحالي

ـ المرحلة الثانية ، تبدأ من بداية النصف الثاني من هذا القرن وحتى الوقت الحاضر .

وهو يصف تلك المؤلفات وصفا يعطيك صورة عن تلك الاثار .. ومن أجمل ملاحظات المؤلف تلك التي تتعلق بتأخر نمو الحركة الثقافية عن الحركة المادية لأن طبيعة الانسان سريعة في تقبل الأمور المادية

النمو الثقافي البطيء

أما الناحية الفكرية فانها تحتاج الى تمثل وهضم ، مما يقتضي مدة طويلة . لهذا نجد نمو الحركة الثقافية بطيئا .. وهذه ظاهرة في جميع اليقظات الفكرية . وكم هو جميل حين أشار المؤلف بصورة واضحة الى ما شهدته قطر من تدفق المتكسبين بالشعر في مدح أمير تلك البلاد .

« الشيخ علي بن عبد الله ، يكيلون له المدح والثناء في مقابل البذخ والعطاء الذي كان يغدقه عليهم » (ص ٨٤) .

ومن الغريب ان المؤلف قد أوضح سبب تخلف الحركة الثقافية كما أشرنا اليه قبل قليل ، ولكننا نجده يتساءل مرة أخرى عن سبب ضعف الحياة الادبية ويفرد لجواب هذا التساؤل عدة صفحات يضمنها آراء بعض الأدباء القطريين . وليس في هذه الآراء جديد لما قدمناه من أن الحياة الفكرية تحتاج في نضوجها الى زمن يتمثل فيه المثقفون غذاءهم الفكري ويتعمقون في الحياة . والمؤلف يبدأ في تصوره للحياة الأدبية بالمقالة الفنية وهو يجرى في تحليله لهذا اللون من الأدب على ما جرى عليه من قبل من تقسيمه للحياة الأدبية موردا بعض النصوص من رسائل بين حاكم قطر الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني وبين الحكام الاتراك والانجليز ، معلقا عليها تعليقات صريحة توضح لك كيف كانت تلك الرسائل بدائية ، وكم كنت أتمنى لو أكثر من الاستشهاد بتلك الرسائل لان فيها اشارات الى أحداث تاريخية لا نعرف عنها شيئا . بعد ذلك ينتقل الى المقالات الصحفية التي كتبها كتاب قطريون ، بعضها يعالج مشاكل ادبية كقضية انصراف الناس عن الأدب وطعنهم عليه وبعضها ذاتي يعالج خواطر ومشاعر أصحابها سالكا نفس الطريق الذى سلكه في تعليقه على رسائل أمير قطر من تحليلات صريحة توضح ان تلك المقالات لم تصل الى المستوى المطلوب .

وبما أن القصة جانب هام من جوانب الأدب ، فان المؤلف يجد لزاما عليه أن يعقد فصلا يتناول فيه نشأة القصة في قطر ، وأنت اذا ما وقفت على هذا الفصل تبين لك ان مسيرة الحياة في منطقة خليجنا العربي متشابهة كل التشابه ، مما يجعل الحركة الادبية متماثلة . فالقصة لون مستحدث في وطننا العربي عامة وفي منطقتنا الخليجية بصورة خاصة ، ولكن أقطار الخليج تختلف بين متقدم في المساهمة في هذه الالوان الحديثة وبين متأخر . فالبحرين والكويت تعتبران سابقتين في الحركة الأدبية . اذ أنك تجد في أواخر الاربعينات والخمسينات أدباء وشعراء قد نشطوا في ابراز خواطرهم وأفكارهم بصورة فنية . ولكن كتابة القصة لم تنضج في هذه المنطقة حتى الآن على ما أعتقد نضوجا يرضي النقاد المتعمقين في مفهوم القصة الذى ينبغي أن تكون عليه .

وعلى كل حال ، فان مؤلف الكتاب لا يجد ضيرا في أن يعلن في هذا الفصل أكثر من مرة قائلا : « ان القصة القصيرة متداخلة تجد فيها ما تعارف عليه الباحثون في هذا اللون من مذاهب أطلقوا عليها أسماء الرومانتسية والواقعية » . لذلك لم يستطع المؤلف ان يضع تقسيمات للقصة القطرية أو يصنف مذاهب القصاصين في قطر ، اذ أن القصة في بداية الطريق - كما يرى المؤلف - وهي في أكثرها تقريرية اتخذت المباشرة وسيلة لتصوير أفكار أصحابها وهي تعالج أكثر ما تعالج ما حدث من صراع بسبب الانتقال من الحياة القديمة الى الحياة الحديثة ، كما تعالج مشاكل البحارة مع رؤسائهم (النواخذة) .

وفي اعتقادى ان كتاب القصة ، وان كانوا ملومين من الناحية الفنية ، الا ان قساوة الواقع وحدة المشاكل تملأ نفس الكاتب بالانفعال الى حد يجعله يكاد ينسى ما تفرضه الناحية الفنية .

وينطبق هذا الحال على المسرحية ، اذ أنها لا تخرج عن هذا الاطار بالاضافة إلى انها كتبت باللهجة العامية . وقد وفق المؤلف حيث لاحظ أن معظم كتاب المسرحية في الوطن العربي اصطنعوا اللهجة الدارجة في كتابة المسرحيات اعتقادا منهم ان هذه اللهجة أكثر التصاقا بالواقع من اللهجة الفصحى ، مما يجعلها أكثر طواعية ، على ان المؤلف يذهب - كما يذهب اكثر الكتاب - أن خلود الادب لا يكتب الا للذين يصطنعون اللهجة الفصحى . ونحن اذا تأملنا ما لخصه المؤلف من مسرحيات نرى التشابه واضحا بين الكتاب المسرحيين في منطقة الخليج .

كثرة شعر المديح

بعد ذلك ينتقل المؤلف الى ناحية أدبية أخرى وهي ناحية الشعر ، مرتكزا على تقسيمه الذى وضعه للادب القطرى كله ، مرحلة ما قبل النفط وما بعد النفط ، ملاحظا ان الشعر في المرحلة السابقة للنفط لم يطرق الا أغراضا محدودة وهي الاغراض التي سار عليها شعراؤنا

قبل استنارة الافكار وهي المديح والرثاء والفخر والغزل ، على أن بعض الشعر القطرى واقعي يحدثنا عما كان من خلاف بين القطرين الشقيقين . البحرين وقطر . ولشدة حساسية هذا الموضوع ، لم يستشهد المؤلف الا بأبيات قليلة لكنها مع ذلك ترشد الباحثين الذين يريدون التوسع في دراسة التاريخ .

ومن الانصاف ان نشيد باخلاص المؤلف الصريح الذى جعله يقول : بأن سبب كثرة شعر المدح يعود الى شغف الامراء لهذا اللون واستراحتهم اليه واغداقهم المال على كل من يسلك هذا الطريق . ويبدو أن التجديد في الشعر في مرحلة ما بعد النفط لم يكن شاملا عميقا كما تقتضيه حياتنا المعاصرة ، ذلك ان شعراء هذه المرحلة كانوا تقليديين الى حد كبير .

والحق أن المؤلف لا بد وأن أحس بحرج شديد وهو يقارن ويحلل بين الشاعرين : عبد الرحمن المعاودة وأحمد الجابر ، لأن الناحية الموضوعية تفرض عليه أن يبدى رأيه الرافض لطريقة الشاعرين المشار اليهما ، في حين أن الناحية الاجتماعية تفرض عليه أن يجامل هذين الشاعرين لما لهما من مكانة أدبية مرموقة ، خاصة وأنهما ما يزالان على قيد الحياة ، ولكن المؤلف ارتفع فوق المقتضيات الاجتماعية وأرضى النقد الادبي النزيه فقال بعد أن أورد قصيدتين طويلتين بأكملهما لكل من الشاعرين أحمد الجابر وعبد الرحمن المعاودة . وقد نظمت هاتان القصيدتان بمناسبة العام الهجرى . قال عن الشاعرين انهما التزما بالقديم الموروث ولم يأتيا بجديد . في حين ان المعاصرة تقتضي من هذين الشاعرين أن يكون شعرهما صورة للمفاهيم الجديدة التي انتقلت الينا من مختلف النوافذ الفكرية سواء كانت هذه المفاهيم مقبولة عند بعض الناس أو غير مقبولة » (من ص ٢٠٩ الى ص ٢٢٧) .

عن الحركة التجديدية

ومن يقرأ هاتين القصيدتين يجد المؤلف محقا فيما ذهب اليه . وهكذا يمضي المؤلف في تحليل الشعر التقليدي من غزل ومديح ورثاء ، فاذا فرغ من ذلك انتقل الى الحركة التجديدية : أغراضها واتجاهاتها . وتبتدىء هذه المرحلة في منتصف هذا القرن حين ابتدأ ظهور التعليم الحديث والصحافة وغيرها من الوسائل الاعلامية ، وما تبعه من اتصال ثقافي بالعالم الخارجي سواء عن طريق هذه الوسائل أو عن طريق البعثات ، فانتقلت كثير من مذاهب الفكر الحديث وتأثر بها أولئك الذين لهم قابليات لتلقي هذه التيارات الجديدة فهضموها وتمثلوها فنتج عن ذلك أنهم أحسوا بما عاناه آباؤهم وما كابدوه من صراع مع البحر فصوروها في قصائد ينفح منها أريج التجديد .

يقول مبارك بن سيف ، أحد شعراء هذه المرحلة :

ايه يا ماء الخليج
كم شربنا ماءك المالح
في لهب السموم
وسمعنا آهة النهام أعيتها
جبال من هموم
ايه يا ماء الخليج
كم جميل أنت من خلف الشطوط
انك الخدر الذى يحجب في الأستار
آلاف المآسي
ظالم أنت وجبار وغدّار وقاسي
تزرع اللؤلؤ في الأعماق
كالصيد الدفين
وهي لا تعدو سرابا أو كمين

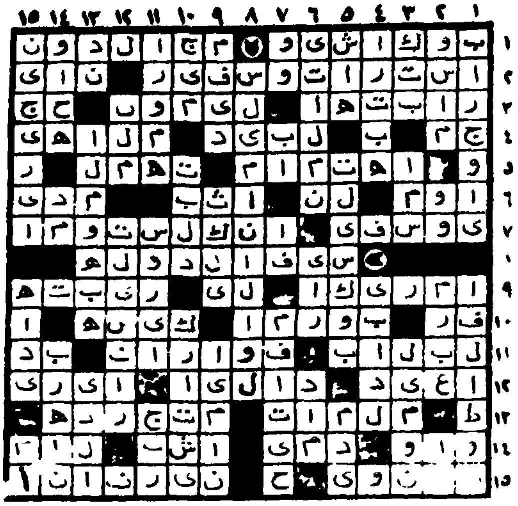
وقد أورد المؤلف نصوصا مما قاله الشعراء التقليديون والمجددون ، لكنني آثرت أن أروى هذه القطعة من الشعر وأن أكتفي بها ، ذلك أن القطع التقليدية التي رواها المؤلف معروفة لتشابهها بما سبقها من الشعر .

ويرى المؤلف أن من العسير اصدار أحكام نقدية دقيقة لانه لا يملك الا قليلا من النصوص ، غير أنني أرى بأن الذين أورد لهم نصوصا من الشعر الحديث يملكون طاقة شعرية اذا استمروا في تفجيرها ، فان الادباء القطريين ستكون لهم مساهمة ادبية فعالة .

ولقد كنت أتمنى أن يجعل المؤلف عنوان كتابه « الأدب العربي في قطر » لأني ممن يعتقد بوحدة الأدب العربي فان تجزئة الأدب تزيد في تجزئة أمتنا . ومن المؤكد أن أعظم مهمة للأدب تكون في تقريبنا للوحدة فلا يجوز لنا اذن الا أن نسير على هذا الطريق القويم . ■■

الكويت ـ عبد الرزاق البصير

● حل مسابقة العدد ٢٥٠ ●



سيف الدولة

●

سليمان الأول

(٨) أفقيا سيف الدولة أكبر ملوك الحمدانيين ، انتزع حلب من الاخشيديين ومدّ نفوذه الى شمال سوريا ، وانتصر على البيزنطيين . ازدهرت في عصره الآداب والفنون فلمع في عهده المتنبّي وأبو فراس والفارابي .

(٨) رأسيا : سليمان الاول . عاشر سلاطين الدولة العثمانية ، أطلق عليه الاتراك لقب سليمان القانوني ، قاد بنفسه ١٣ حملة في أوروبا وآسيا . دوّن القوانين والشرائع . بلغت الامبراطورية في عهده أوجها ، فازدهرت الفنون والآداب .

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : نجاح عبد الله محمد / الكويت .

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : عبد العزيز الركايبي / مكناس / المغرب .

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : امال حمدي عليان ـ عمان / الاردن .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ سرمد صلاح صالح/السليمانية ـ العراق .

٢ ـ محمد برهان الدين حلبي/حلب/سوريا .

٣ ـ صلاح احمد عمر/ام درمان/السودان .

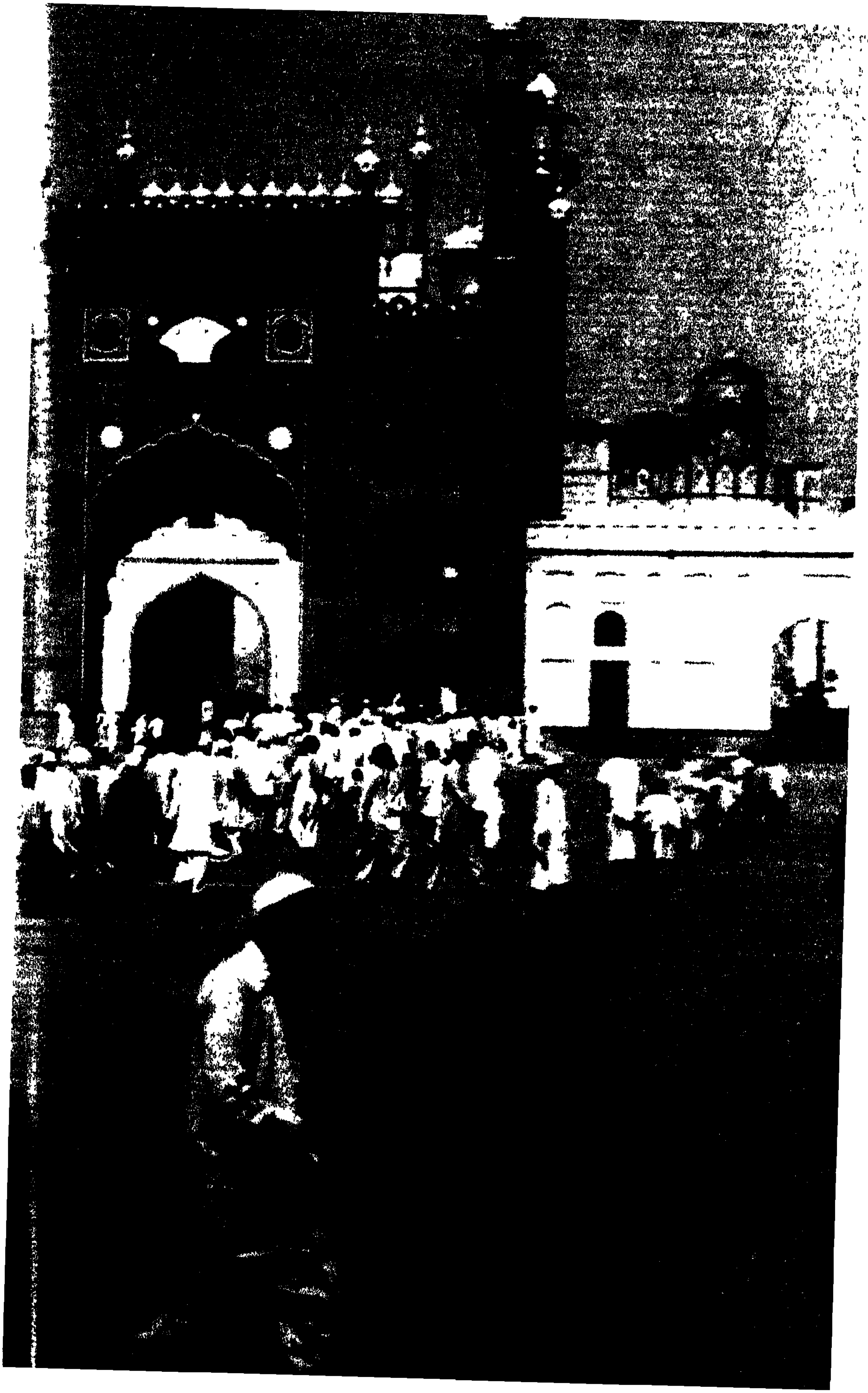
٤ ـ كمال كامل حماده/صور ـ لبنان .

٥ ـ أروي علي سليمان الكوري/عدن/اليمن الديمقراطي .

٦ ـ عمر حافظ سليم عاصي/الشرقية/مصر .

٧ ـ مجدي محمد أمين إسلامي/جده/السعودية .

٨ ـ سلطان محمد حربان/البحرين .





تظل لاهور حلما ابدا ..

ذلك انه ما من قارىء للتاريخ ، الا وفي خياله صورة باهرة لتلك المدينة الخضراء ، التي ترصع جبين البنجاب منذ قرون . قلعة الاسلام وجسره الى شبه القارة الهندية . وعاصمة الغزنويين واباطرة المغول ، وبلد اعظم المساجد واشهر القباب واجمل الحدائق ، ومنارة العلم . ورواق العلماء ، ومرقد المتصوفة .

هكذا هي في الحلم ..

وتأتي الحقيقة لتجسيد ما ابقى عليه الزمن من اثر للحلم ، ثم لتضيف اليه الكثير من الاضواء ، والظلال .

وتبقى لاهور هي لاهور ، كما يقول اهل البنجاب الذين يبلغ اعتزازهم بالمدينة حد الزهو والافتخار ، مؤكدين ذلك بمثلهم الشعبي الشهير : « من لم ير لاهور لم يولد بعد » !

لكن زيارة لاهور لا تحل المشكلة ، بل تخلق مشكلة جديدة ، تماما كما ان الميلاد ليس نهاية المشكلة ، بقدر ما هو بداية لمشكلات جديدة .

ذهبنا ـ ولدنا بحمد الله ـ وقضينا هناك اياما عشرة . ولكن لاهور حيرتنا ، ولولا الحياء لقلت عذبتنا ! ذلك ان لاهور الامس تمتد جذورها الى اعماق اعماق التاريخ (٢٥ قرنا اذا ما حسبنا من اول ذكر لها في يوميات الرحالة الصيني هسين تسانغ) ، ولاهور الوظيفة لعبت ادوارا بالغة الاهمية في تاريخ شبه القارة الهندية حتى اعتبرت « كعبة » المنطقة . اذ كانت القاعدة التي انطلق منها الاسلام الى الهند ، حيث حكم شبه القارة طوال عشرة قرون بالتمام والكمال . وكانت ولادة لاهور الحقيقية ـ اعني دورها الايجابي والمؤثر ـ مرتبطة بهذه الحقبة الاسلامية ، حتى قدر للاهور فيما بعد ان تصبح المنبر الذي اعلن من فوقه قرار انشاء دولة باكستان ـ ميلاد آخر ! ـ فيما عرف بقرار لاهور الشهير الذي اتخذ عام ١٩٤٠ .

وتقليديا ، فانهم يقولون في باكستان ان روالبندي هي العاصمة السياسية ، وكراتشي هي العاصمة الاقتصادية ، اما لاهور ، بملايينها الاربعة ، فهي العاصمة الثقافية . الا ان هذه المقولة تكاد تتغير الآن ، على الاقل بالنسبة للاهور . ذلك ان وظيفتها تجاوزت دور عقل باكستان وضميرها الثقافي والسياسي ، حتى تحولت الى مدينة صناعية كبيرة ، فضلا عن انها مدينة زراعية هامة . تصدر اهم محاصيل الباكستان من القطن والارز . ثم هي بعد ذلك مدينة تجارية لها شأنها تبيع كل شيء ، من السجاد الباكستاني الى الاخشاب المطرزة والنحاس ومشغولات اليد من الذهب والفضة .. واخيرا ، فهي منطقة جذب سياحي كبير .

مدينة تاريخها بهذا العمق وهذا العرض ، وحاضرها بهذا الحجم ، تستعصي على الاستيعاب فضلا عن التقويم . ذلك انك لا تستطيع ان تقف عند صفحة او مرحلة من التاريخ وتقول هذه هي لاهور . وبنفس القدر ، فانت لا تستطيع ان تقترب من وجه واحد . او باب واحد للمدينة ، وتقول هذه هي لاهور . وازاء تعدد صفحات التاريخ وتراثه ، وتعدد اوجه وابواب المدينة ،

مسجد باد شاهي من الداخل ، لاحظ الصحن الواسع ، والمدخل المشيد على الطراز المغولي ، بالحجارة الحمراء ، وقباب المرمر الصغيرة .

لا بد ينتابك شعور دائم بالقصور والعجز .

من هذه الزاوية تبدو لاهور محيرة ومعذبة !

وبين التشبث بالحلم ، وقراءة الحقيقة ، تزداد الحيرة ، ويزداد معها العذاب !

لكنه لم يكن امامنا ان نختار . فبعد ان « يولد » الانسان ، لا يملك الا ان يلقي بنفسه في خضم الحياة ويواجه قدره ، اذ ليست هناك فرصة للتراجع .

وهذا ما فعلناه في لاهور . ألقينا بأنفسنا في خضم المدينة ، وكان ما كان !

لاهور المزيفة !

اهتدينا بخريطة المدينة ودليلها . على الخريطة تبدو لاهور مدينة مقامة على بساط اخضر . مساحة شاسعة من الارض المزروعة ، يشقها في جانب نهر « رافي » ، احد انهار البنجاب الخمسة ، الذي يسميه البعض نهر الراوي » . على الجانب الآخر مجرى مائي صغير هو « القنال » وبين النهر والمجرى تتحدد لاهور الحقيقة وما تبقى من لاهور الحلم . المدينة القديمة . الاحياء التجارية ، الجامعات والمستشفيات والمصالح الحكومية والسكة الحديد ، والمصانع ، ثم آثار المغول العظيمة .

ثمة امتداد للمدينة بعد « القنال » ، لكنه يجسد في الواقع « لاهور المزيفة » ، حيث لا تنتمي هذه المنطقة لا الى لاهور الحقيقة ولا الى لاهور الحلم . اذ تسكن هناك طبقة الارستقراطية الباكستانية . كبار الضباط الذين قبضوا على السلطة منذ عشرين عاما ، وكبار الملاك ورجال الاعمال . هي قشرة دخيلة بلا جذور ، لا تنتمي الى الشارع ، ولا تعبر عن الماضي او المستقبل . طبقة تجمعها في الاغلب دائرة النفوذ والسلطان والمال ، وان اشارت اليها الخريطة باسم قاطنني احياء « جلبرج » واحد واثنين وثلاثة واربعة .

شخصيا ـ بحس طبقي ربما ـ ادرت ظهري للاهور المزيفة ، شجعني على ذلك ما سمعته عن ثروات وغرائب حياة الارستقراطية الباكستانية التي تحن الى تقاليد وعلاقات القرن الثامن عشر . لم اتوقف عند لاهور ما بعد القنال هذه ، مكتفيا بمرور سريع ـ من باب الفضول لا اكثر ـ وشغلتني لاهور ما بين النهر والقنال . اعني لاهور الحقيقة والحلم .

كانت صحف الصباح تتحدث عن مظاهرات طلاب جامعة البنجاب المعادية للحكومة ، واشتباكهم مع الشرطة ، واحراق سيارتين في الطريق العام . ثم اضراب بعض موظفي الدولة احتجاجا على تقليص الرواتب . وانشقاق حزب بوتو (عوامي او الشعب) الى ثلاثة احزاب . ودعوة مولانا ابو الاعلى المودودي * ـ ابو الحركة الاسلامية الحديثة ـ للاحزاب الاسلامية التسعة (!) الى التنسيق فيما بينها قبل حلول موعد الانتخابات . وتطبيقات الشريعة الاسلامية (نظام المصطفى كما يقولون) في الحدود والزكاة . ومحاولة التوفيق بين اجتهادات السنة والشيعة في جباية الاموال .. ثم على الصفحات الاولى صور للرئيس وهو يخطب ، والرئيس وهو يفتتح مشروعا جديدا . والرئيس وهو يستقبل المبعوثين الاجانب ، غير تصريحات الرئيس وبياناته الرسمية وتوجيهاته لكافة المؤسسات الحكومية في انحاء البلاد . وفي موقع آخر صورة اصغر لحاكم البنجاب (جنرال) وقد اجتمع بالاساتذة والطلاب في الجامعات ، ناصحا اياهم بالانصراف للدراسة ، وعدم الاشتغال بالسياسة . اذ الامر بيد العسكر ، والحكم عرفي .

كانت الصحف تعكس جانبا من لاهور الحقيقة ..

لكن زائر المدينة لاول مرة يظل مشدودا الى لاهور الحلم ، لا يستطيع ان يقاوم اغراءها وجاذبيتها ، خصوصا اذا كان حلما عظيما كالذي يتجسد في هذا المكان .

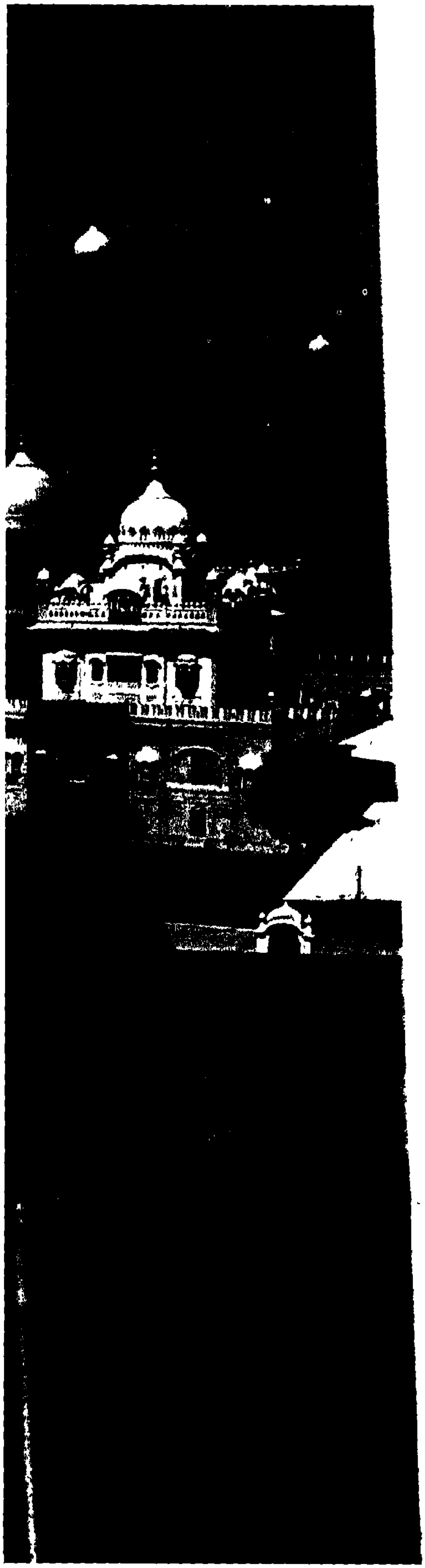
ثم انها حماقة بكل تأكيد ، ان تتاح لك فرصة معايشة حلم عظيم . ثم تنصرف عنه الى دنيا الحقيقة ايا كانت هذه الحقيقة !

في سباق مثير

انحشرنا في اول « ركشا » وقلنا للسائق « بالأردية » : بلاد شاهي مسجد .

---

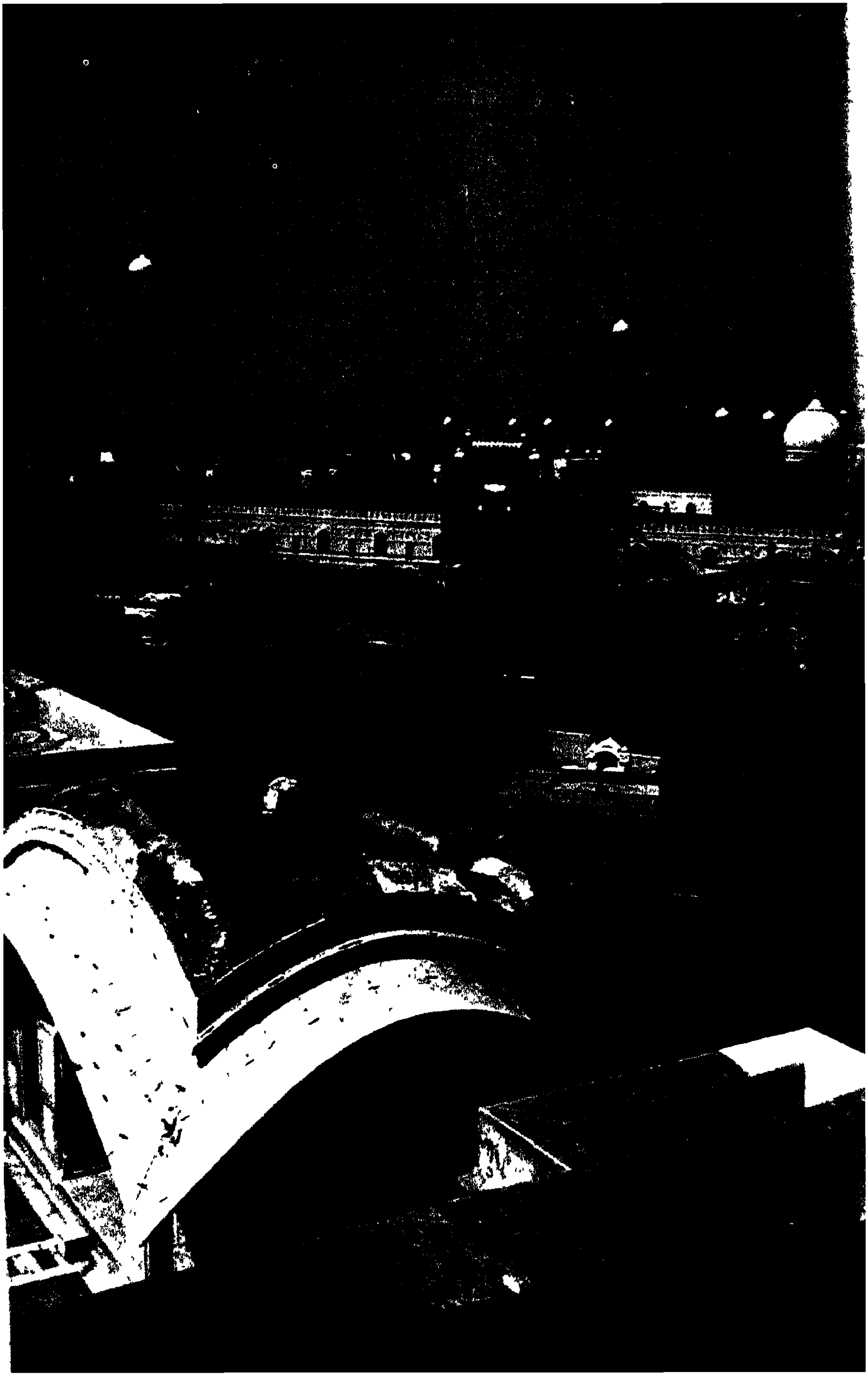
* كانت زيارتنا للاهور قبل وفاة الاستاذ المودودي رحمه الله .





وجهان من لاهور ، تطل منهما قسمات أهل البنجاب ـ والى اليسار صورة عامة تجمع بين مسجد باد شاهي بقبته ومآذنه ، ثم الى جواره القلعة بمبانيها التي لاتمت بصلة للمنشآت العسكرية .





كانتا « كلمة السر » ، اذ لم يكد السائق يلتقط الكلمتين حتى انطلق صامتا .. فالكل يعرف مسجد باد شاهي ، اعظم آثار المغول في لاهور ، وأحد « اهرامات المدينة الثلاثة » ، اذا جاز التعبير . الهرم الثالثي هو « القلعة » ، مقر حكم اباطرة المغول العظام ، التي يسمونها « فورت » والكلمة انجليزية ، تسربت الى اللغة الاردية والتصقت بها . اما ثالث الاهرامات واجلها فهو حدائق « شاليمار » الشهيرة ، التي انتقل اسمها واصبح متداولا في أنحاء العالم العربي .

كان دليل المدينة يذكر مسجد باد شاهي والقلعة ، باعتبارهما المدخل الطبيعي للاهور عاصمة المغول ، التي احاط بها سور شامخ ، يتخلله ١٣ بابا . ذلك انه على جانب الباب الرئيسي اقيم مسجد باد شاهي من ناحية ، وشيدت القلعة الضخمة والشاسعة على الجانب الآخر .

ها نحن بدأنا الرحلة الى لاهور الحلم !

تتتابع الصور ، ويتداخل الماضي مع الحاضر ، لكنك لا تكاد تستغرق في الحلم ، حتى تقرع آذانك اصوات الحقيقة !

ذلك ان « الركشا » كانت تنطلق كالسهم ، محدثة ازيزا مزعجا ، انضم الى اصوات آلاف المركبات المماثلة ، التي اكتظت بها شوارع لاهور . حتى بدت المدينة كما لو كانت مسرحا كبيرا ، توزعت على اركانه مجموعة هائلة من العازفين ، تخصصوا في تقديم الالحان النشاز ، بمكبر صوت في اذن كل عابر ! ، وليت الامر ظل مقصورا على ذلك ، لاننا اكتشفنا بعد لحظات ان سائق الركشا اشترك في سباق مثير ، تدور رحاه منذ طلوع الشمس في شوارع لاهور . وان صاحبنا قد انتظم دون وعي منه في فريق كبير يضم راكبي الدراجات بنوعيها . العادية والنارية ، (التي يضاف اليها هيكل خارجي ومقعدان خلفيان لتصبح « ركشا » !) والى جانبهم عربات الركوب التي تجرها البغال والخيول ، وعربات النقل الصغيرة التي كانت تدفع باليد وصارت تجرها الثيران ، والسيارات بمختلف طرزها (اغلبها يابانى) ، وفي الفراغات التي تحدث ـ احيانا ـ بين هذه المركبات في الشارع ، يندس البشر . يشاركون في السباق او يتطلعون الى ما يجري باعصاب باردة ، وبغير حادث يعكر صفو « المرور » او النظام العام !

ولا يمكن ان تتخيل الموقف ، الا اذا كنت قد زرت اي مدينة للملاهي . ووقفت امام الجناح الذي توضع فيه المركبات في اتجاهات متصادمة ، حيث تنطلق بمجرد الضغط على زر كهربائي ، اذ تندفع هذه المركبات بسرعة حتى توشك أن ترتطم كل قطعة بأخرى . لكنها في لحظة الارتطام ، وفي ذروة التوتر ، تنثني فجأة مغيرة اتجاهها ، وتواصل السير بسلام ، بعد ان يسقط قلبك بين قدميك !

بالضبط هذه هي صورة الشارع في لاهور !

يركبون التاريخ !

لاحت بقايا سور المدينة عن بعد ، تطل من فتحاته ، ومن فوقه مبان قديمة وهزيلة . بينما تلمح بوضوح آثار الشيخوخة على السور الذي انهارت اكثر أجزائه ، وتداعت أحجار ما تبقى منه ، ولم يفلت من عبث الصغار الذين يتقافزون عليه ، غير عابئين بأنهم في الحقيقة يركبون التاريخ !

على الفور يلح اكثر من سؤال : كم عمر السور ؟ ومن بناه ؟ ومن بني لاهور ذاتها ؟

لا تجد اجابة حاسمة . لكن كتب التاريخ تقول ان سور لاهور بأبوابه ، مقترن بالعصر الاسلامي اذ ان هذا الطراز معمم تقريبا في كل المدن الاسلامية القديمة ، من القاهرة الى دمشق الى صنعاء الى فاس .

وهناك رأي شائع في كتب التاريخ الهندي ، يرجح ان اسم المدينة مشتق من « راجا لوه » ابن راجا لام ، احد حكام المنطقة في الزمن القديم . وان راجا لوه هذا هو الذي اسسها ، واطلق عليها اسمه فأصبحت « لوهور » . وان كان هناك رأي آخر يرى أن « لوه » كان حاكما لكشمير وليس البنجاب . *

* ثمة مناقشة مفصلة لأصل التسمية وتاريخ المدينة في كتاب الطريق الى لاهور ، بالانجليزية ، للبروفيسور مسعود الحسن .

تقول كتب التاريخ أيضا إن أول مدونة أشارت الى .هور كانت مذكرات الرحالة الصيني هسين تسانغ في لقرن السابع قبل الميلاد ، وان الاغريق وقبائل الكوشان لقادمة من اواسط آسيا عاشوا في المنطقة في زمن ما قبل لميلاد ، وان الهندوس كانوا حكامها حتى جاء العصر الاسلامي في القرن الثامن الميلادي . وخلال هذه العهود تتابعت على لاهور وسورها عمليات هدم وبناء عديدة ، وكان التغيير يطرأ على اسم المدينة ايضا ، من تاهورا الى لوهور الى لوهكوت ، وان اشار اليها ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ـ جـ ٥ بـ » لوهور » ، ثم اضاف « والمشهور من اسم هذا البلد لهاور » ، ووصفها بانها « مدينة عظيمة مشهورة في بلاد الهند » . ولكن ابو الريحان البيروني (القرن الحادي عشر الميلادي) كان اول مسلم يذكر اسم لهاور في مؤلف له (كتاب الهند) وان لم يتوقف امامها كثيرا .

واذا كانت لاهور قد « دخلت الجغرافيا » منذ ذلك الزمن السحيق ، الا انها دخلت التاريخ في العصر الاسلامي . اي منذ دخلها « يمين الملة » محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ . قادما من غزنة في بلاد الافغان . وبين المؤرخين من يرى ان محمود الغزنوى هو المؤسس الحقيقي للاهور ، وانها في عهده كانت تحمل اسم « محمود بور » . وللدقة فان الاسلام كان قد وصل الى المنطقة قبل الغزنويين ، عندما امتدت فتوحات الامويين في اواخر القرن الثاني الهجري ـ اوائل القرن التاسع الميلادي ـ حتى حدود الصين ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي والى العراق يباشر فتوحات بلاد ما وراء النهر (على عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك) . واوفد الحجاج ابن اخيه محمد بن قاسم ليحاول فتح الهند ، ووصل فعلا الى السند ، واقام ولاية صغيرة عرفت باسم ملتان (قائمة الى الآن) ، لكنها كانت بعيدة في اقصى الغرب فضلا عن انها ظلت ولاية فقيرة بلا موارد ولا دور فعال .

لكن الفتح الاسلامي الحقيقي لشبه القارة الهندية بدأ بعهد الغزنويين ، وكانت لاهور هي القلعة ورأس الحربة . وكما فعل ملوك أوروبا وقساوستها ، اذ تحالفوا للوصول الى بيت المقدس وضرب المد الاسلامي بالحروب الصليبية ، كذلك تحالف راجاوات الهندوس لاسقاط لاهور بعد ٢٠ عاما من دخول محمود الغزنوى اليها . وصمدت المدينة ببسالة لحصار استمر سبعة اشهر ، وانتصرت . ثم استمر منها زحف الاسلام الى شبه القارة ، الذى توج بدخول الاسلام الى دلهى بعد ذلك بقرنين من الزمان ، في عهد الدولة الغورية ، وعلى يد شهاب الدين الغورى .

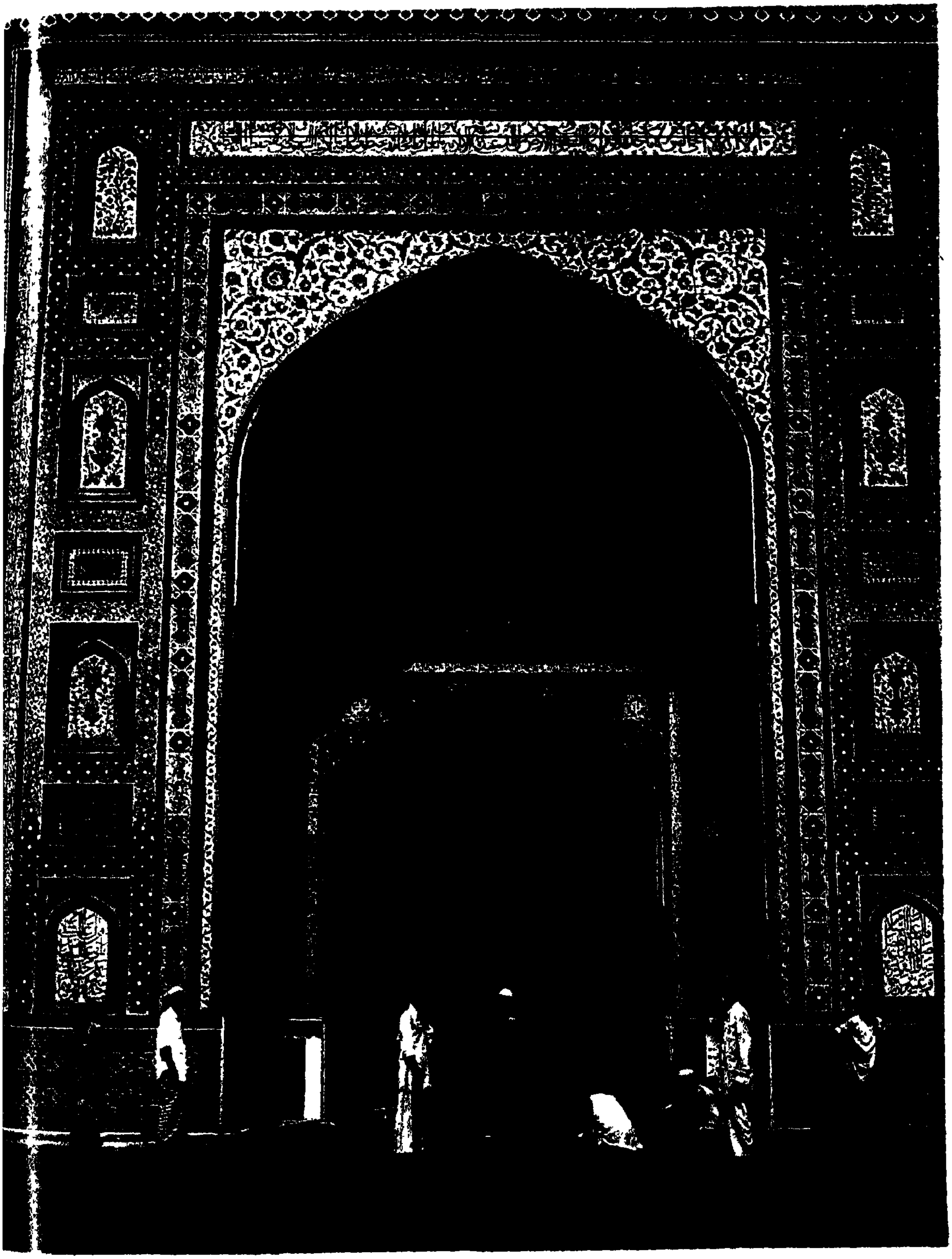
وبقيت لاهور الرمز والقلعة والمنارة ، حتى نصب فيها اول ملك مسلم لشبه القارة الهندية ، هو قطب الدين ايبك (١٢٠٦ م) ..

ثم توالت عليها العهود لكنها بقيت دائما هدفا يسعى الى نيله المتربصون بالاسلام . وكان طبيعيا وضروريا ان يهتم القائمون عليها بتحصينها . ولم يكن السور الذى نحن مقبلون عليه سوى تعبير عن هذه الحقيقة .

وهي مصادفة لاتخلو من دلالة . ان يطل مسجد باد شاهى على حديقة مترامية الاطراف تحمل اسم محمد اقبال ، هى ذاتها التى شهدت مؤتمر الجماعة الاسلامية الكبير ، الذى عقد في مارس ١٩٤٠ ، واعلن فيه « القائد الاعظم » محمد علي جناح ـ باسم الجماعة ـ تصميم مسلمى الهند على انشاء وطن مستقل هو باكستان . اذ في مكان واحد ، على رقعة جغرافية واحدة ، اجتمعت شواهد دولة المغول المسلمة التى ولت ، مع دولة الباكستان المسلمة التى ولدت . حيث اقيمت وسط الحديقة ـ تماما في مواجهة المسجد والقلعة ـ منارة شاهقة بارتفاع مائتى قدم ، يسمونها « منارة باكستان » ، رمزا وتمجيدا لذكرى قرار لاهور . وقد نقشت على قاعدة المنارة الرخامية بحروف مذهبة ، وبالأردية والانجليزية ، نصوص القرار ، وتلخيص سريع لتاريخ قيام باكستان ، ونماذج من اشعار اقبال ، جنبا الى جنب مع اسماء الله الحسنى ال ٩٩ .

لكنها ليست مصادفة ان يقام ضريح الشاعر والفيلسوف محمد اقبال ، ابرز المبشرين والداعين لانشاء باكستان ، في قرب مدخل مسجد باد شاهى ، مطلا على حديقة اخرى واسعة وبديعة تحيط بالمسجد . ذلك انه اذا كانت المنارة رمزا لاعلان قيام الدولة ، فان محمد اقبال ظل طوال حياته الخصبة ، منارة اخرى تحمل لواء الدعوة لتحقيق هذا الحلم .

لا أحد يصدق أن هذه هي إحدى قاعات « القلمة » ، ولكن هذه هي الحقيقة . اذ القاعة تشكل جزءا من مساكن اباطرة المغول ، وهي على اتساعها الشديد مليئة بالنقوش التي تغطي الجدران والسقف ، تماما مثل نقوش قصر الحمراء في غرناطة الاندلسية ، مع اختلاف الطراز والتصاميم .



محراب مسجد وزير خان الذي أنشيء في عام ١٦٣٤ وبناه وزير خان وكان اسمه الحقيقي علم الدين انصاري بعد ما تولى حكم مقاطعة البنجاب ، ويعد أحدى التحف المعارية في لاهور . لاحظ نقوشه التي يختلط فيها الطراز المغولي بالفارسي بالعربي . الآن تبذل جهود كبيرة لترميمه مع غيره من المساجد القديمة .

وبنفس القدر ، فهي ليست مصادفة ان يقام الى جوار المسجد معبد للسيخ ، لايزالون يحجون اليه حتى اليوم ، ومزا للمرحلة السوداء التي حكموا فيها لاهور ، التي امتدت لفترات متقطعة خلال القرن الثامن عشر ، ثم اتصلت الى قرب منتصف القرن التاسع عشر ، ولقي فيها المسلمون اضطهادا بالغا ، حتى حولت مساجدهم الى حظائر للخيول ، ومنعوا من الأذان للصلاة . فقد حاول السيخ ان يطمسوا معالم لاهور الاسلامية ، ويربطوها بمدينتهم المقدسة « امر يتسار » التي تبعد عنها بحوالى ٢٠ ميلا ، ولاتزال تقع داخل حدود الهند الى الآن .

على عتبات الحلم

وسط هذا المسرح المشحون بالشواهد التاريخية والرموز ، توقف بنا سائق الركشا منهيا مغامرة الطريق . لايهم كيف وصلنا المهم اننا وقفنا اخيرا على عتبات الحلم !

كانت قوافل السياح تملأ المكان . لكن الصورة الباهرة كانت مجسدة أمامنا . في طرف شقت السماء قباب مسجد بلاد شاهي البيضاء وقد اطلت حولها مآذن عالية مبنية بالطوب الاحمر . وفي الطرف الآخر ظهرت أبنية القلعة في كبرياء وجلال . وفي الوسط اندس معبد السيخ ، الذي حاولوا ان يقلدوا فيه قباب مسجد باد شاهي ، فجاءت نموذجا مصغرا منها ، طلي باللون الذهبي ليجذب الانتباه عن بعد .

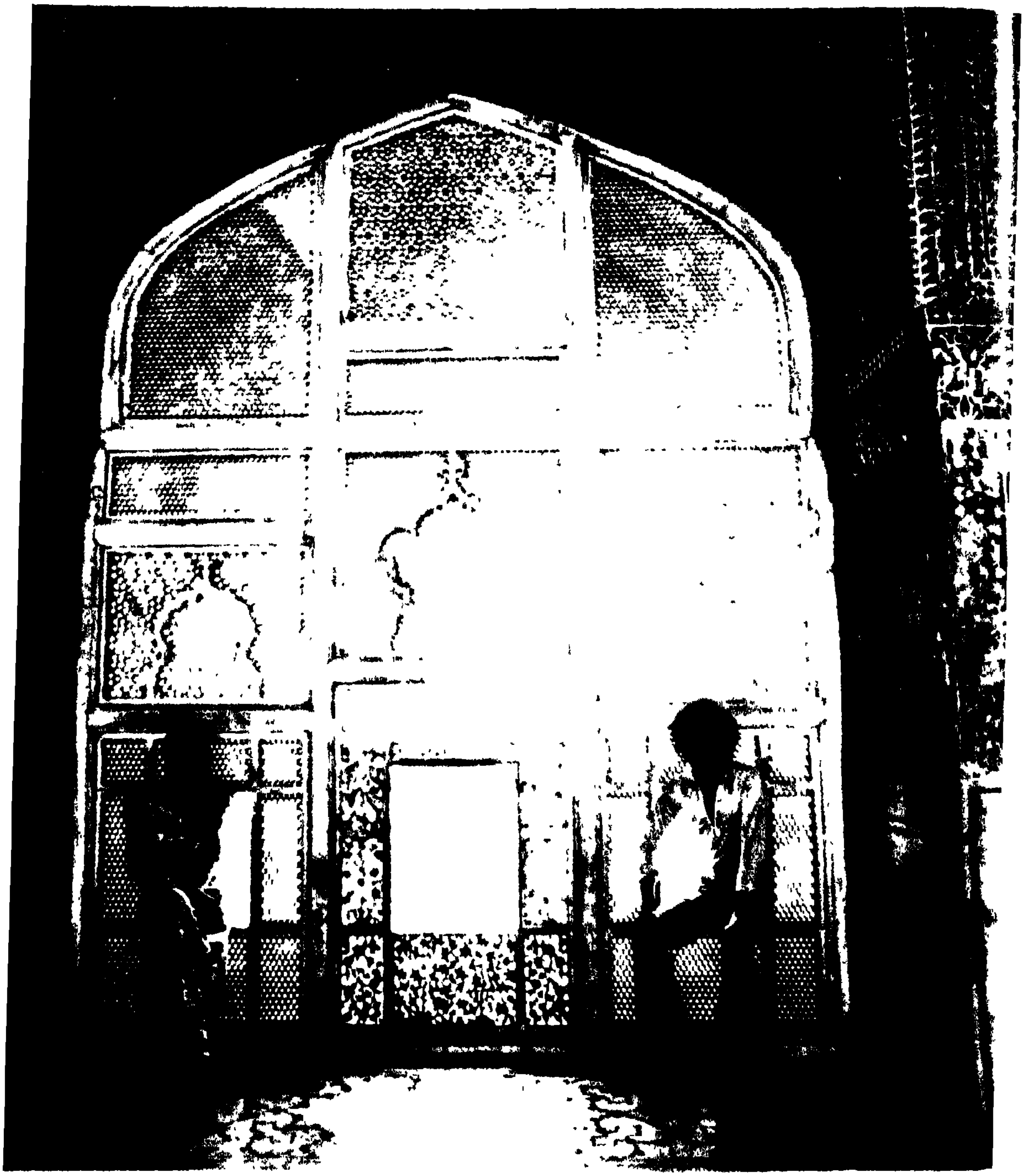
بدأنا بالقلعة ..

وقد كان انطباعي الاول انها قلعة عسكرية ، من المنطقي ان تكون في مدخل العاصمة ، للصد والرد . وهو انطباع لايوحي به فقط الاسم الذي اطلق عليها ، ولكن يعززه أيضا المنظر الخارجي للبناء ومدخله بوجه خاص . ذلك ان المدخل المهيب الذي يرتفع الى ٥٠٠ قدم ، مزين برسوم خزفية ملونة ، يمثل بعضها صراعا بين رجال ووحوش ، ومواكب للمقاتلين ، بينما يمثل البعض الآخر تنينا ومارداً اسطوريا الى جانب طفلة وفتاة ترقص .

لكن المفاجأة تكشفت بعد لحظات ، فالقلعة من الداخل ليس فيها من تجهيزات القتال الا ابراج في الاطراف المترامية ، لكنها في حقيقتها كانت مقرا لحكام أباطرة المغول ، اجتمعت فيه أبنية عديدة ، قاعات للاستقبال ، وساحات للاجتماع ، واماكن للسمر والترويح ، وأجنحة للنوم والمعيشة وبحيرات صغيرة ، ونافورات للمياه ، وحدائق غناء ، وممرات للفيلة .. الى آخر مرافق ومستلزمات الملوك والأباطرة .

ولا أعرف وصفا يمكن أن يعبر بصدق عن معالم القلعة من الداخل . لان اعمدة المرمر الرشيقة والمطرزة قواعدها بغير عد ولاحصر . وتكوينات الموزاييك والرسوم الخزفية تخطف البصر في كل خطوة . واذا كنا نعرف الحفر على الخشب ونحته فيما يسمى بفن « الارابيسك » ، فان فن الحفر على الرخام والمرمر بلغ مرتبة من الابداع لانظير لها . يكفى انك حيثما ذهبت تقف مشدوها امام منظر باب ونافذة كبيرة او جدار يفصل بين قاعة وقاعة ، وقد صمم من قطعة واحدة من الرخام تتخللها مكعبات صغيرة ، ينفذ الاصبع الواحد منها بصعوبة ، وقد غطيت المساحة كلها في تكوينات غاية في الرقة ، شبيهة بتكوينات « الارابيسك » التي نعرفها . وكلها لوحات صامتة تسجل عظمة الفنان المغولي وقدرته على الخلق الذي يصل حد الاعجاز .

هذا « المتحف » البديع يتمدد فوق ربوة عالية طولها ١٢٥٠ قدما وعرضها الف قدم . ومن الثابت ان « القلعة » لم تشيد في عهد امبراطور مغولي واحد ، ولكن تتابع عليها اربعة من اشهر اباطرة المغول : اولهم « اكبر » الذي اختار لاهور عاصمة لامبرطورية المغول في عام ١٥٨٤ وكان جده الامبراطور بابر (الاسد) القادم من بلاد الافغان قد استولى على لاهور ، وانتزعها من سلطنة دلهي (او دهلي كما كان يسميها الجغرافيون والرحالة العرب) ، مؤسس الامبراطورية المغولية المسلمة . ذلك انه منذ قدم محمد الغزنوي الى لاهور ، واختيارها مقرا لحكم الدولة الغزنوية فيما بعد (عام ١١٥٧) تتابعت على المدينة عهود مد وجزر ، كان الحكم ينتقل منها الى دلهي ، واحيانا كانت تحكم من غزنة او

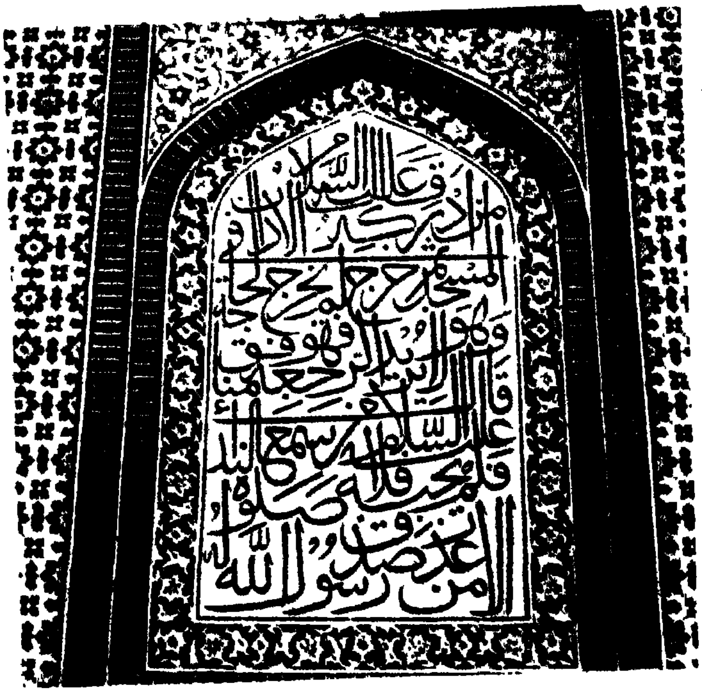


حدار كامل من الرخام ، منحوت عهارة فائقة ، في أحد أركان « القلعة » .

كابول في بلاد الأفغان ، وعانت من صراعات الحكام والسلاطين المسلمين فيا بينهم وبين بعض ، ثم من السيخ والهندوس المتربصين بها على الدوام . حتى دخلها الامبراطور بابر في عام ١٥٢٤ ، وشهدت المجد سنواتها في ظل الحكم المغولي . وفيا بين عهدى الجد بابر والحفيد اكبر ، كانت لاهور جزءا من الامبراطورية المغولية ، حتى قرر الحفيد ان يجعلها مقرا للحكم وعاصمة للامبراطورية التى امتدت من كابول الى دلهي .

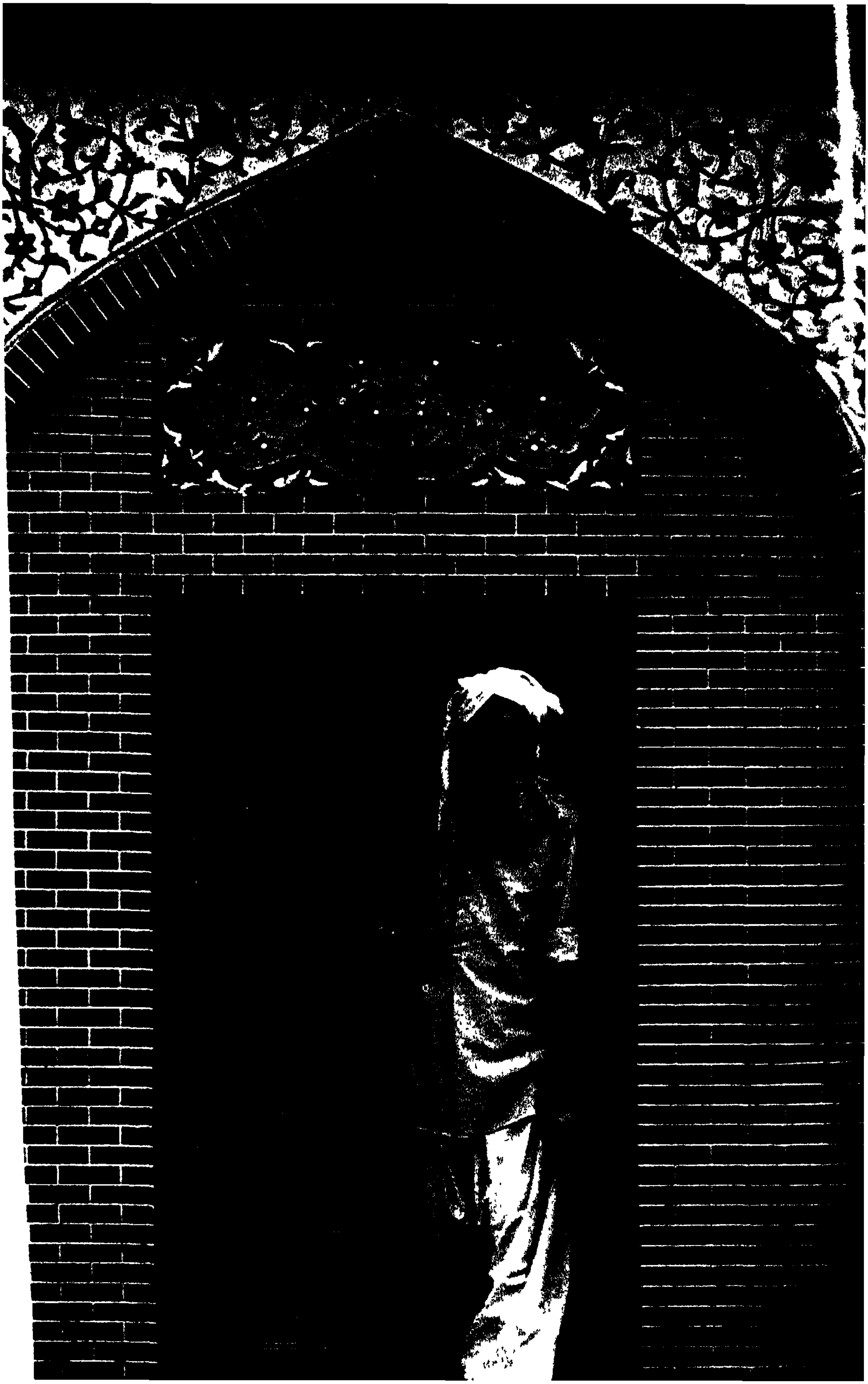


المعلم وقد جلس القرفصاء أثناء اشرافه على ترميم مسجد وزير خان . التصميم بين يديه ومطابقة القطع الجديدة بالقديمة تتم بدقة بالغة .





نموذج للنقوش البديعة التي تحيط بالآيات القرآنية في كل مسجد (فوق) والى اليمين احد « المجاذيب » جالس الى جوار ضريح داتا جانج بخش - (الى اليسار) في مسجد وزير خان أقيمت بحذاء السور ، وحول الصحن ، حجرات صغيرة للامام ولمن يشاء أن يخلو للعبادة .. هذا أحدهم خارج من



اراد الامبراطور اكبر ان يبني قصرا لحكمه يبرز وجه العاصمة في لاهور ، فأسس القلعة فوق الربوة ، وجعلها تطل من عل على عاصمة امبراطوريته .

وبعد اكبر جاء ابنه الفنان الحالم جهانجير (١٦٠٥م) ، الذي ظل يضيف الى القلعة الكثير من لمسات الانشاء والجمال ، حتى كتب في يومياته يقول : ان هذا القصر يتمتع بقدر من الجاذبية والروعة يفوق الوصف ، وتلك الرسوم والنقوش التي تزينه تجعل منه بناء فريدا في نوعه .

ثم خلف جهانجير ابنه شاه جهان ، عبقري الانشاء في التاريخ المغولي ، وباني « تاج محل » احد عجائب الدنيا السبع ، والذي يوصف حكمه (١٦٢٧ م) بانه « العصر المرمري » . في عهد شاه جهان ارتدت القلعة سهى ثيابها . اقام في وسطها قاعة للعرش ، و « الديوان لخاص » ـ هذا هو اسمه الى الآن ـ وهو المكان الذي يلتقي فيه بخاصته ، « والديوان العام » الذي هو قاعة الاجتماعات الموسعة ثم « شيش محل » ، او قصر المرايا الذي يقوم على ١٢ عمودا من المرمر ، وقد رصع مدخله من السقف الى الجدران بقطع صغيرة من المرايا الملونة ، تضفي عليه الكثير من عناصر البهجة والجمال . ورابع هؤلاء الاباطرة « اورانجزيب » ، ابن شاه جهان الذي اهتم بتحصينات القصر ، فانشأ مدخلا عظيما له من الجهة الغربية ، زينه بأبراج مقامة على زهرة اللوتس ، محاطة بأكشاك على الطراز الهندي .

على ان أورانجزيب هذا لم يدخل التاريخ من أبواب القصر ، وانما دخله من الناحية المواجهة . اقصد من أبواب مسجد باد شاهي العظيم ، الذي أسسه في عام ١٦٧٣ م .

مسجد باد شاهي

عبرنا شارعا صغيرا ، قادنا الى الحديقة الواسعة المؤدية الى مسجد باد شاهي ، الذي يشبه في تصميمه مسجد الوليد في دمشق .

تملأ عينيك واجهة المسجد ، لحظة تجتاز باب الحديقة تتمدد تحت اقدامه . اذ تطالعك الواجهة على الفور ، بارتفاعها الشاهق ، ولون حجارتها الحمراء التي تتخللها خطوط مطعمة بالمرمر ، والسور الطويل الذي يتفرع عنها يمينا وشمالا ، مطوقا مساحة المسجد . الدرج من الطوب الاحمر ذاته ، تنبسط في نهايته ارضية من الرخام الابيض ، وفوقه تتربع الواجهة بطرازها المغولي ، وقد رصعت هامتها بصف من قباب المرمر الصغيرة ، بينما قسمت في الداخل الى طابقين . في الطابق الارضي مقر امام المسجد وبعض العاملين في خدمته . وفي الطابق العلوي حجرة تفوح منها رائحة عطر خشب الصندل ، يقولون انها تحتوي على بعض الآثار المقدسة ، بينها عباءة للنبي ﷺ ، وعمامة له خضراء ، مع ثياب اخرى . كما أن بينها منديل مطرز للسيدة فاطمة بنت النبي ، ومصحف بخط سيدنا علي بن ابي طالب ، واشياء اخرى مما يخص الحسن والحسين .

عشر خطوات وتدخل المسجد ، منتقلا الى واحة اخرى من الجمال الرصين ، والمناخ الذي يملأ القلب رهبة واجلالا . باحة المسجد فسيحة ، يتوسطها حوض من الرخام لمياه الوضوء (يؤدي الحوض وظيفة جمالية لأن الوضوء يتم في مكان آخر) . والباحة مصممة على شكل مربع مترامي الاطراف ، تمتد بطول اضلاعه ردهات طويلة ، مليئة بالأقواس وأعمدة الرخام ، تتخللها فتحات واسعة تطل على الحدائق المحيطة بالمسجد من جانب ، وعلى باحة المسجد من جانب آخر ، ذلك الى جانب الدرج الذي يصل الردهة بالباحة بعد كل ستة اقواس .

يتوسط الضلع الرابع ، المواجه للمدخل مباشرة ، مبنى آخر عريض ومهيب ، هو صحن المسجد الذي تؤدى فيه الصلوات الخمس . وهو مكون من ثلاث قاعات كبيرة ، في اوسطها يبدو المحراب ويقف الامام . وواجهة هذا الجزء تشكل لوحة معمارية بديعة ، تمتزج فيها خطوط الفن المغولي بالفن العربي ، إذ هو مبنى من الاحجار ذات الحمرة الداكنة ، المطعمة بخطوط رفيعة من المرمر ، ترسم تكوينات هندسية بالغة الدقة . بينما الاقواس يشكل كل واحد منها تحفة معمارية باهرة . اما الجدران ، فهي مغطاة بنقوش مغولية وفارسية مرسومة على الخزف ، تتخللها بعض آيات من القرآن الكريم ، محفورة في الرخام ، ومطلية باللون الذهبي . والارضيات كلها ، في الردهات والصحن ، مكسوة بالرخام بألوانه الثلاثة : الأبيض والاسود والبني .

وعند كل ركن من أركان المربع الكبير ، في نقطة التقاء كل ضلع للمسجد بالآخر ، تشق عنان السماء واحدة من تلك المآذن العالية المبنية من الحجارة الحمراء ، تنتهي بقبة صغيرة من المرمر ، وتكشف كل منها جانبا من لاهور المدينة . ويتكرر الامر مع صحن المسجد الذى يتصدر باحته الواسعة ، اذ تقوم في اركانه الاربعة مآذن اصغر قليلا ، بنفس التصميم والخامات ، ولكن بمعالجة فنية اجمل ، لانها تخضع للاطار العام الذى يزين واجهة هذا المبني .

ووسط هذا الاحتفال الجمالي تتوج هامة المبنى ثلاث قباب بديعة من المرمر الابيض ، تنتهي بأطراف نحاسية مدببة ولامعة ، والقباب الثلاث ، التى صارت رمزا للاهور ، واحدة رئيسية وكبيرة في الوسط ، واثنتان اصغر قليلا على الجانبين . وخطوط هذه القبة الرئيسية ، هي ذاتها خطوط قبة « تاج محل » . في مدينة « اجرا » الهندية .

مسجد باد شاهي هذا يعد واحدا من اكبر مساجد الدنيا ، اذ يقدر عدد المصلين الذين يمكن ان تستوعبهم باحته الواسعة ، بحوالى ٥٠ الف شخص ، يملأون الباحة في المناسبات الكبرى ، خصوصا في صلاة العيدين .

غادرت المسجد ، متأملا الصورة عن بعد ، في محاولة « لوصل » اجزائها مع بعضها البعض . الحديقة الخضراء المنبسطة ، والمباني الشاهقة الداكنة الحمرة ، بنقوشها الرائعة ، وقد عانقتها المآذن من كل جانب ، بينما اطلت القباب المرمرية البيضاء بأطرافها الذهبية اللون ، في زهو وكبرياء .

مأخوذا بالمشهد الباهر ، تساءلت : كيف اقدم السيخ على تحويل هذا المسجد الى حظيرة للخيول . وأى وصمة عار الصقوها بأنفسهم عندما اعماهم التعصب والحقد ، ففعلوا فعلتهم الشنعاء هذه . ثم ، من حقا هم البرابرة والهمج والأجلاف ؟!

شاليار .. شاليار

بقى ثالث أهرامات لاهور ، حديقة « شاليار » .

وربما كان الاسم مألوفا لدى القارىء العربي ، منذ أصبح اسم « شاليار » متداولا في اكثر مدنه ، مرتبطا بأماكن التسلية واللهو والمرح ، تماما مثل اسم قرطبة و « الحمراء » ـ قصر الحكم في غرناطة الاسلامية ـ الذى يحلو للبعض ان يقلد فيه الاجانب فيكتبه كالبيغاء (المبرا !) .. الى غير ذلك من الكلمات التى تحمل في طياتها حنينا الى الماضي ودموعا على اطلاله !

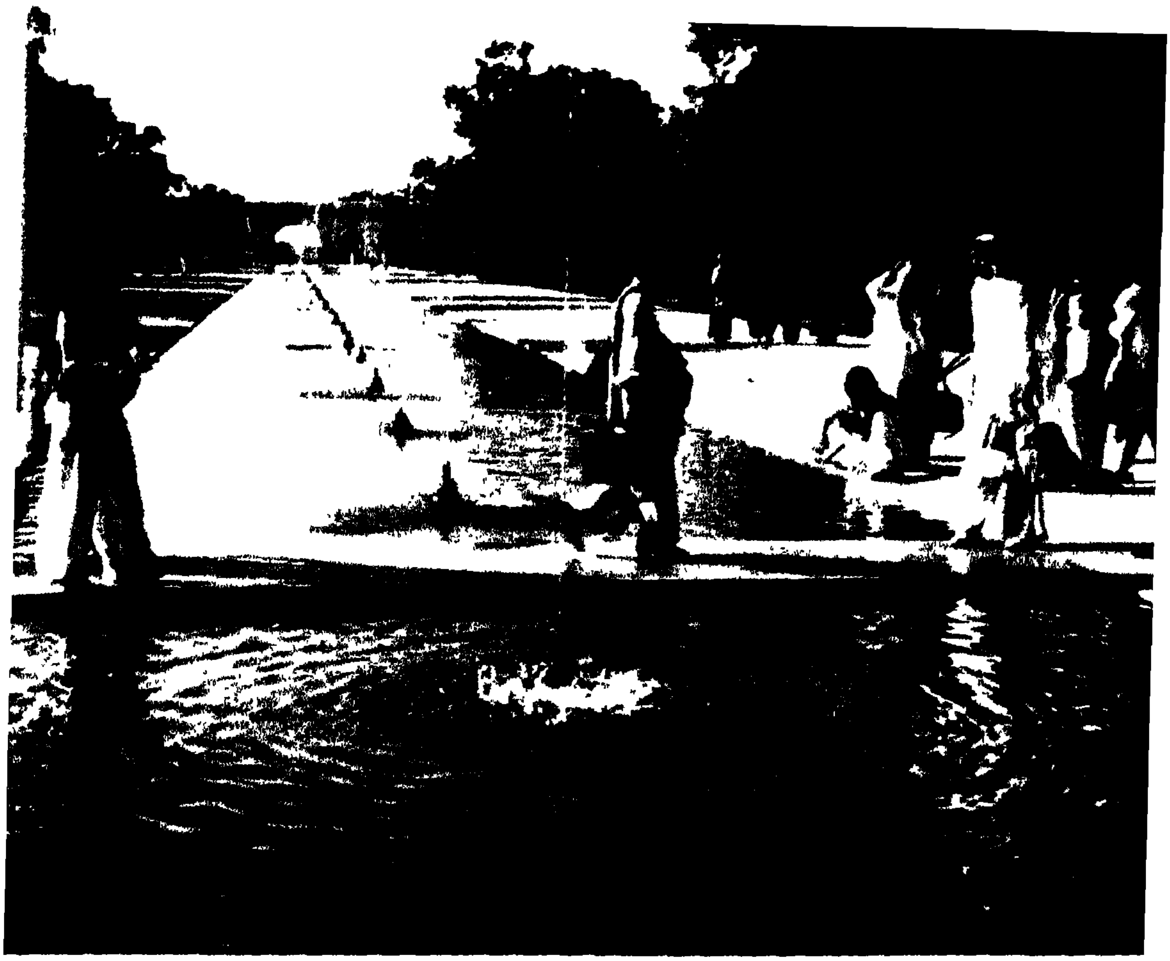
وشاليار معناها « دار البهجة » ، وهي تتمدد في اطراف لاهور الحالية . غير انها ليست حديقة كما هو شائع . ولكنها حدائق عدة ، تنتشر فوق مساحة . ٨٠ فدانا تقريبا . بل انها ليست حديقة او حدائق في الاساس ، ولكنها كانت بمثابة « استراحة » او مقر للترويح يستخدمه اباطرة المغول . أقامه الامبراطور شاه جهان ، عبقرى الانشاء والعمارة ، الذى ترك بصمات لاتنسى في القلعة وغيرها منذ صعود نجمه في النصف الاول من القرن السابع عشر .

٨٠ فدانا من الارض اجتمعت فيها الزهور والخضرة مع القنوات ونافورات المياه ، واحواض المرمر والشرفات والاقواس والعقود والايوانات . وتناثرت في ارجائها القباب الرشيقة ، وقد ظللت قاعات واجنحة مغولية الطراز ، لا زالت على حمرتها الداكنة ، ولازالت نقوشها وفسيفساؤها ، شاهدا على ذلك العصر الذهبي .

هذه هي « فرساى البنجاب » .. شاليار !

وعلى غير ما يبدو للعين من اول نظرة ، فحدائق شاليار ليست كلها في مستوى واحد ، ولكنها على ثلاث درجات ، او ثلاثة مسطحات مختلفة ، رغم ان مجرى المياه واحد ، والخطوط المعمارية واحدة ، ليس فيها اشارة خلل تذكر . المسطح الاول معروف منذ العصر المغولي باسم هبة الفرح او « فرح بكش » ، والاثنان الآخران يطلق عليهما اسم « هبة الفيض » ـ « فيض بكش » .

على المسطح الاول اقيمت ثماني مبان حول بحيرة تنتشر فيها النافورات ، ويتوسطها حوض من المرمر ملىء بالزهور . والمباني خليط من البيوت السكنية الانيقة وقاعات الاستقبال والشرفات الملاصقة للبحيرة ، والمكونة من اعمدة وسقوف رخامية بيضاء .





(فوق) جانب من حدائق شاليار البديعة ـ (الى اليمين) صورة لعملية مطاردة الغربان التي تحط على اشجار المانجو كل غروب ، وتفسد محصولها الكبير . يطلق العمال صيحات عالية يفترض انها ترعب الغربان ثم يستخدمون هذه الاقواس في قذف الغربان فوق قمم الاشجار بالحجارة الصغيرة (الى اليسار) نموذج للسجاد الباكستاني ، الذي لا يمكن ان يميز عن الايراني ، في الشكل والجودة .



تهبط درجا بمسافة ١٢ قدما الى المسطح الثاني ، بينما مياه البحيرة تنساب على جدار مائل من الفسيفساء الازرق ، لتصب في حوض من المرمر يؤدي الى بحيرة ثانية بامتداد المسطح . في جانب من مكان هبوط المياه من المسطح الاول ، اقيم حمام الامبراطور ، الذي تغطي الفسيفساء كل جدرانه وتتخلله فتحات للمياه الدافئة والباردة ، الى جوارها مقاعد للاسترخاء والراحة . وحول البحيرة ، وسط الاشجار الباسقة ، اقيمت ابراج ستة تعلوها قباب صغيرة ، والى جوارها اربعة ايوانات محمولة على اعمدة الرخام .

تهبط ١٢ درجة اخرى الى المسطح الثالث الذي تتكرر فيه الصورة ، وتزداد فيه كثافة الاقواس ، بينما صمم موضع هبوط المياه ، بحيث يعطي انطباعا بأنها امطار غزيرة ساقطة على البحيرة .

هكذا ، باتساع ثمانين فدانا ، تنتقل من خضرة الى خضرة ، ومن جدول ماء الى آخر ، ومن شرفة الى شرفة .. ويكاد ينتهي النهار ولا تبلغ نهاية هذه الجنة الارضية ، ولا تملأ عينيك من جمالها الاخاذ . وربما تمنيت مثلي ـ ان تحبس هواءها المنعش والمعطر في صدرك الى الابد ، وان يستثنى التنفس في شاليمار من قانون الحياة ، ليصبح شهيقا فقط !

تتحول في شاليمار من انسان عادي الى شاعر ، وربما بلغ بك التسامي حدا تشعر معه بأنك تحولت من انسان الى طائر يرفرف ويغرد . لكن الاقدار تأبى الا ان تعيدك قبل ان تغادر الى حيث كنت . اذ لا بد ان تفيق ساعة الغروب على صيحات هادرة تتردد في اركان الحديقة الشاسعة ، مصحوبة بقذائف من الاحجار الصغيرة تنطلق في كل اتجاه .

سألتهم : ما الخبر ؟ .. فجاء الرد بقصة غريبة تقول : ان الحديقة مليئة بأشجار الفاكهة ـ المانجو بوجه خاص ـ وان هذه الاشجار تصبح هدفا للغربان الكثيفة كل مساء . اذ تفد اليها ساعة المغيب ، تعشش فيها ، وتظل طوال الليل تقضم الثمار بغير رحمة . ولم يجدوا حلا لهذه المشكلة الا ان يحشدوا هذه الاعداد الكبيرة من العمال ، الذين يتولون مهمة الزئير ساعة الغروب ، لازعاج الغربان ، ثم تصويب الاحجار متوسطة الحجم بالنبال نحو أشجار المانجو ، لمزيد من الازعاج والمطاردة !

لاهور المتحف

ليس هذا هو كل الحلم في لاهور ، لكنه اهم ما فيه . وتبقى للحلم صورته العريضة ، والحافلة بالتفاصيل الجذابة والمدهشة . وهنا ينبغي ان نتذكر امرين : -

الاول . ان الذين شيدوا المسجد والقلعة والحديقة ، شيدوا ـ هم وغيرهم ـ الكثير غيرها في انحاء لاهور ، الامر الذي تحصره وتسرد تفاصيله كتب عديدة في باكستان .

الامر الثاني : ان الفن العظيم جزء من حضارة عظيمة ، بل هو نتاج طبيعي لها . اذ من غير المتصور ، لا عمليا ولا نظريا ، ان يولد فن عظيم في غير ظروف مواتية اخرى ، وفي معزل عن مسار الحياة السائدة . الامر الذي ينبهنا الى حقيقة ان هذه النهضة المعمارية ، كانت بمثابة عربة في قطار على طريق المجد قطار انتظمت فيه عربات اخرى ، للثقافة والتجارة والصناعة وقوة الجيش وقوة السلطة .

ونظرة سريعة على الاطار العريض لصورة لاهور الحلم ، على الطبيعة وفي الكتب ، تؤكد هاتين الحقيقتين ..

فضريح الامبراطور جهانجير ، على بعد ثلاثة اميال من لاهور ، نموذج آخر فذ ، لجمال العمارة المغولية اذ اقيم الضريح بحجم مسجد كبير ، يتوسط حديقة ضخمة . وقد اجتمعت على واجهات البناء الاربع أرق بصمات الفن المغولي ، وجاءت ردهاته الطويلة المؤدية الى مقبرته ، نموذجا لرفعة هذا الفن . ثم احيطت المقبرة بجدران اربعة من المرمر المحفور والمنقوش ، الذي حفرت عليه بعض آيات من القرآن الكريم ، واسماء الله الحسنى .

وضريح زوجته نورجهان (نور العالم) ، التي تسجل كتب التاريخ جهودا بارزة لها في دفع عجلة الانشاء والعمارة ، صورة اخرى بديعة للجمال المعماري . ورغم ان « السيخ » هدموا فيه الكثير ، الا ان بقايا الضريح لاتزال تنطق بحقيقته .

ومسجد « وزير خان » في قلب المدينة الذى تصفه الكتب ونشرات السياحة بأنه « زينة العمارة في لاهور » ، وأنه « من أغنى مساجد المنطقة ، بأجمل فنون الموازييك والرسم على الخزف » . هذا المسجد يشكل هرما رابعا ـ اذا جاز التعبير ـ يأخذ مكانه جنبا الى جنب مع مسجد باد شاهي والقلعة وحديقة شاليار . وقد بناه طبيب قصر الامبراطور شاه جهان ، واسمه « حكيم » علم الدين انصارى ، الذى صار فيا بعد حاكما عاما للبنجاب اثناء حكم الامبراطور .

ويرصد كتاب « الطريق الى لاهور » ٢٦ مسجدا اثريا آخر ، لها قيمتها التاريخية المميزة ، شيدت في مراحل مختلفة متأثرة بالطرازين المغولى والقوطى بالدرجة الاولى

وقد كانت هذه النهضة المعارية مصحوبة حقا برواج تجارى شهدته لاهور ، الامر الذى دفع الامبراطور اكبر الى ان ينشىء سوقا للمدينة ، وجاء بعده ابنه جهانجير ليضيف سوقا ثانية ، ومن الثابت ايضا ان صناعة السجاد الباكستانى كانت في اوج ازدهارها على عصر الامبراطور جهانجير ، وانها اكتسبت سمعتها الممتازة ، واستقرت كصناعة ناجحة ، منذ ذلك العهد .

العقل والمعقل

ومع ذلك فان لاهور « منارة الثقافة والمعرفة » . لاتقل اهمية عن لاهور « المتحف المعارى » اذ يشكل الجانبان بعضا من اوجه لاهور الحلم .

فالتحدى الذى كانت لاهور رمزا له لم يكن عسكريا فقط ، بين قوة الاسلام وقوة الهندوكية ولكنه كان بنفس القدر تحديا حضاريا وفكريا وعقيديا ، بين الاسلام ذاته والهندوكية . واذا كان الاسلام قد واجه تحديا مماثلا مع المسيحية في اوروبا ، الا ان هذا التحدى لم يستمر ، واضطر الاسلام لان يرحل من معاقله في صقلية والاندلس في القرنين الحادى عشر والثالث عشر ، ثم من امتدادات الدولة العثمانية في البلقان في القرن التاسع عشر . وذلك مالم يحدث في شبه القارة الهندية ، اذ استمرت المواجهة بين الاسلام والهندوكية بصيغ مختلفة طوال عشرة قرون (من اوائل القرن التاسع حتى الثامن عشر الميلادى) ، ظل الاسلام خلالها يحكم شبه القارة الهندية ، حتى جاء الاستعمار البريطانى الذى تسلم حكم الهند من بهادور شاه آخر ملوك المغول في عام ١٨٥٧ . وبقى الاسلام ولم يرحل ، حتى قامت دولة باكستان ـ ارض الاطهار بالاردية ـ في عام ١٩٤٧ .

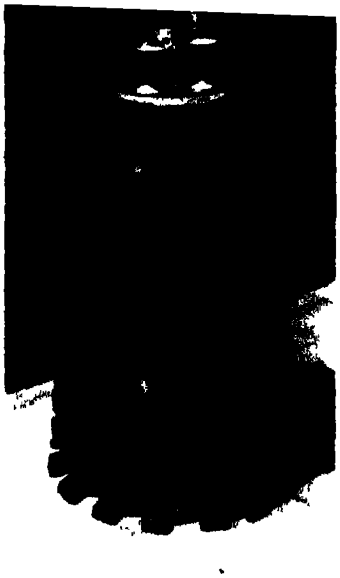
من هنا كانت لاهور هي المعقل والعقل في آن واحد !

لم تكن مدينة القيادة العسكرية فقط ، بل مدينة القيادة الفكرية ايضا . فقد وفدت اليها من بلاد الافغان والفرس منذ عهد الغزنويين ، اعداد كبيرة من الفقهاء وحفظة القرآن . اشهرهم شيخ المتصوفة في ذلك الزمان ، علي هجويرى صاحب كتاب « كشف المحجوب » ، الذى تشير اليه المراجع باعتباره اقدم ما كتب عن التصوف بالفارسية . والرجل معروف في لاهور باسم « داتا جانج بخشي » ويعتبرونه اول واشهر اولياء الله . وقائمة هؤلاء الاولياء طويلة في لاهور ، اذ يصل عددهم الى مائة ، يسجل كتاب « الطريق الى لاهور » ٢٧ فقط منهم ، باعتبارهم الأهم والاكبر .

وفي ظل الدولة الغزنوية ايضا ، عرفت لاهور اعظم شعراء الفارسية في شبه القارة الهندية سعود سعد سلمان . واشعاره المليئة بالحنين الى لاهور ، كانت في مقدمة الاشعار الوطنية التى راجت في باكستان بعدئذ .

وبعد ذلك عندما كتب ياقوت الحموى مؤلفه الكبير « معجم البلدان » ، في اوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، لم يجد ما يعرف به لاهور سوى علمائها ، فبعد ان قال عنها تلك الكلمات القليلة انها « مدينة عظيمة مشهورة في بلاد الهند » ـ ، اورد قائمة بفقهائها ومحدثيها المشهورين على زمانه ، وفي مقدمتهم : عمرو بن سعيد اللهوارى ، ومحمد بن المأمون هبة الله المطوعى اللهوارى ، ومحمود بن خلف ابو القاسمي اللهوارى .. وآخرون .

وفي عصر النهضة الذى شهدته شبه القارة الهندية ، في ظل اباطرة المغول ، اوائل القرن السادس عشر لمع اسم الامام احمد الفاروقي السرهندى ـ من مواليد سرهند




الصور الخمس على الصفحتين من أسواق لاهور العامرة بكل شيء ، مصنوعات النحاس والاخشاب والفخار ، والأقمشة والحلوى .. جنبا الى جنب مع باعة « الكربوزا » الذين يملأون الارصفة باكوام هذه الفاكهة الشعبية طوال اشهر الصيف . لاحظ ان المائدة الخشبية (الى اليمين) هي في الاصل كتلة واحدة من الخشب ، تم نحتها على هذه الصورة المدهشة



بالهند ـ الذي تعتبره المراجع الاسلامية في الهند « مجدد الالف الثانية من الهجرة » . اذ ظهر اثناء حكم الامبراطور اكبر ، وبدأ يؤدي رسالته كداعية عظيم للسنة ، معلنا الحرب على البدع . ابان حكم ابنه الامبراطور جهانجير . وقد اختلف الامام السرهندي مع الامبراطور لبعض الوقت . لكنه عفا عنه وقربه ، حتى عاش آخر سنوات عمره في البلاط الامبراطوري بلاهور واعظا ومرشدا لجهانجير * وعندما تولى الأمبراطور شاه جهان بعد ذلك ، بايع الامام السرهندي على التمسك بالكتاب والسنة واجتناب المعاصي .

وفي جهانجير ايضا ، ظهر واحد من اشهر علماء الحديث في شبه القارة ، هو الشيخ عبد الحق الدهلوى (من مواليد دلهي او دهلي) ، الذي يعد « اهم من دعا الى نشر علوم الحديث والسنة في زمن اتجه فيه اكثر العلماء الى البحث في كتب المنطق والفلسفة والفقه » .

منارة مستمرة

وربما كان المثل البنجالي القائل ان « لاهور هي لاهور » ، ينطبق على هذا الدور الثقافي اكثر من اى مجال آخر . ذلك ان المدينة لاتزال تموج الى الآن بنشاطات فكرية وثقافية واسعة ، تشكل استمرارية لبعض اوجه لاهور الحلم .

فما من تيار فكرى مؤثر في باكستان الا وله ركيزة أساسية في لاهور . من الجماعة الاسلامية ـ التي كان يقيم مؤسسها العلامة ابو الاعلى المودودى في قلب لاهور ـ الى الحركة الماسونية ، التي كان لها مقر علني في المدينة حتى عهد رئيس الوزراء الاسبق ذو الفقار على بوتو ، ولكنه اغلق قبل عقد مؤتمر القمة الاسلامي في لاهور عام ١٩٧٤ ، وتحول الى جماعة سرية .

وبالاضافة الى الجامعتين (تضمان حوالى ٧٠ كلية) فان المعاهد الاسلامية التي تتولى « تفريخ » الفقهاء والخطباء ، لاحصر لها . لكثرة عددها وانتشارها في انحاء لاهور . لكنه يمكن تصنيفها في ٣ اتجاهات او جتهادات أساسية في التفكير الاسلامي ، هي : أهل السنة والجماعة ، وهم من اتباع المذهب الحنفي واكثرهم غارق في عالم التصوف ، ومن اشهر معاهدهم اثنان يحمل احدهما اسم « جامع أشرفية » والثاني « جامع نعيمية » ـ واهل الحديث الاقرب الى الفكر الوهابي الرافض للبدع . وهؤلاء لهم معهد باسم « جامع تقوية الاسلام » ـ والشيعة من اتباع المذهب الجعفرى ، وهؤلاء لهم معهد باسم « جامع المنتظر » (للامام الغائب ، الاثنى عشر) .

وهذه الاتجاهات الثلاثة تشكل جزءا فكرية مستقلة . كل له فقهاؤه ومساجده وصلاته وتراثه الفكري . وكما كان يحدث في القرن الماضي ، في الازهر الشريف ، ان ينادي للصلاة فيقف اتباع كل من المذاهب الاربعة وراء امام خاص بهم ، بحيث تقام الصلاة الواحدة في المكان الواحد وراء اربعة ائمة مختلفين ، هذه الصورة تتكرر الآن في باكستان ، ولاهور بالدرجة الاولى .

ورغم ان الجماعة الاسلامية تشارك في الحياة العامة باعتبارها حزبا سياسيا ، الا ان موقفها الفكري يلتقي مع اهل الحديث في رفض البدع ـ وهي قضية حيوية في باكستان والهند ـ لكن الجماعة تنتهج خطا اكثر اعتدالا من الخط الوهابي المتشدد .

والى جانب دورها كركيزة للتيارات الفكرية السائدة ، فان لاهور تعد ايضا مركز الطباعة والنشر في باكستان . ذلك ان الغالبية العظمى من الكتب والصحف تصدر عنها . بل ان الغالبية العظمى من الكتب التي تعرف بالاسلام ، والمنتشرة في مكتبات اوروبا وامريكا ، لها مصدر واحد هو لاهور .

والاحصائيات المتداولة هناك تقول ان في المدينة حوالي الف مطبعة كبيرة وصغيرة ، و ٢٠٠ ناشر للكتب ، باللغات الاردية والفارسية والانجليزية والعربية ، و ٥٠٠ محل لبيع الكتب وكل ما يتصل بالقراءة .

وربما كانت لاهور من المدن النادرة في العالم الثالث

---

* تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ـ مسعود ندوي .

التي بها حي كامل تركز فيه المطابع ودور النشر والمكتبات ، معروف باسم « اوردو بازار » .

الاسلام في الاعماق

ومما له دلالته ومغزاه ، ان يظل التوجه الاسلامي هو المحور الاساسي لمسيرة الحركة الفكرية ونشاطات الطباعة والنشر في لاهور . فأغلبية الكتب تدور حول الاسلاميات ، والاشعار كلها عن الاسلام والقرآن ، حتى قصائد الحب اكثرها من نظم اهل التصوف الهائمين في حب الله . واهم القصص واشهرها ، إما دينية (المعراج - ميراج نامة) او من التاريخ الاسلامي (كربلاء) او منقولة عن التراث العربي (قيس وليلى) . وما من كتاب علمي او طبي اوحتى زراعي ، الا ويفتتح باسم الله الرحمن الرحيم ، وربما دونت على صفحته الاولى آيات من القرآن الكريم .

وليس هذا غريبا ، لان كل التراث البنجابي ، كل الخلفية الثقافية ، تدور حول موضوع واحد هو الاسلام .

ولا نستطيع ان نتصور حجم هذه الحقيقة ، بغير تصور لمدى عمق الاحساس بالاسلام عند الناس في هذه المنطقة .

فمنذ دخل الاسلام شبه القارة الهندية ، وخاض معركة البقاء مع الهندوكية ، كان ابرز اسلحة المسلمين في مواجهة هذا التحدي هو المزيد من التشبث بالعقيدة والاحتماء بها ، وبغير ذلك فقد كانت اجيال المسلمين معرضة للذوبان - والغرق - في الخضم المحيط بهم .

وقد كانت احدى صور التشبث بالاسلام متمثلة في تعلق مسلمي شبه القارة الهندية بالخلافة العثمانية في تركيا . ذلك انه طوال عهد الخلافة العثمانية ، كان مسلمو الهند مطمئنين الى ان لهم « دولة » تؤمن ظهورهم ، بل كان ولاؤهم الحقيقي للخليفة في الآستانة ، حتى ان احد الكتاب الهندوس انتقد هذا الموقف في اواخر عهد الخلافة ، وكتب متسائلا : لماذا يصر مسلمو الهند على الولاء للخلفة العثماني ، بينما ولاء الجيش التركي ذاته له بدأ يتضاءل * . وعندما دخلت تركيا الحرب ضد بريطانيا في الحرب العالمية الاولى وكانت الهند تحت حكم الانجليز ، قال احد اعضاء حزب الرابطة الاسلامية في مؤتمر حاشد : انه لشيء محزن ان تصبح حكومة خليفتنا في حرب مع حكومة امبراطورية ملكنا ! » . وخلال فترة الحرب اعتبر اكثر المسلمين ان الهند - التي وصفت بأنها درة التاج البريطاني - اصبحت جزءا من دار الكفر ، التي تخوض المعركة ضد دار الاسلام . بل ومن الثابت ان ثلاثين الفا من مسلمي الهند قد هجروا « دار الكفر » هذه الى افغانستان ، بعد انتصار الانجليز على الاتراك . وقد اهتزت مشاعر مسلمي الهند عندما بدأت اصوات دعاة القومية « الطورانية » ترتفع في تركيا . حتى انهم جمعوا من بينهم اموالا ليوفدوا ممثلين عنهم الى الآستانة ، لمحاولة اثناء دعاة القومية هناك عن آرائهم . وفي ذلك الوقت - سنة ١٩٢٠ - ظهرت « حركة الخلافة » في الهند بزعامة مولانا محمد علي .

ولكن قرار أتاتورك بالغاء الخلافة في عام ١٩٢٤ زلزل احساسهم بالانتماء . وظل هذا الحلم المفقود يراودهم حتى نادى اتحاد الطلاب المسلمين باقامة الخلافة الباكستانية ودعا آخرون مولانا أزاد صبحاني الى اقامة الحكومة الربانية * .. ولم يكن غريبا بعد هذا كله ان يسعى المسلمون الى اقامة دولة خاصة بهم ، حيث لم تعد لهم دولة . - كذلك لم يكن غريبا ان يتوسط الهلال والنجمة - رمز الدولة العثمانية - علم الدولة الوليدة (باكستان) .

غبار القديم

لكن الحلم في لاهور يطل على المدينة القديمة ، التي هي وجه آخر للحقيقة ، بغيره لا تكتمل الرؤية .

واذا تفرست في هذا الوجه جيدا فلن تجد له سمات تميز لاهور القديمة عن اي حي قديم وفقير في العالم

---

* للتفصيل انظر « نشأة باكستان » لوزير خارجيتها الاسبق شريف الدين بيرزاده .

* نفس المصدر السابق .



لوحة عمرها مائة سنة من داخل القلعة ، للفنان الانجليزي هاردنج ، الذي زار لاهور في عام ١٨٤٦ ، وسجل معالم المدينة في مجموعة نادرة من الصور .



العربي ، فالفقر ملة واحدة ، القسمات الاساسية مشتركة ، والخلاف في التفاصيل . البيوت متراصة ومتساندة ، تطل منها القتامة ، وترفع رايات الانكسار . بينا الشوارع ضيقة ومتعرجة ، تكدس في اركانها البشر ، والتصق بالجدران باعة الحلوى والخضر ، وقد جلسوا فوق اغطية ثابتة لمجاري المدينة المكشوفة .

ذلك ان المدينة صممت قديما بحيث يتحقق لها الاكتفاء الذاتي في حالات الحصار وان تتوفر لها المياه بوجه خاص . فشق فرع لنهر راڤي ليمد المدينة بالمياه النقية ، وبالمقابل صممت المجاري بحيث تصب خارج السور . وكان السور محاطا من ناحية بقناة للمياه النقية داخلة الى المدينة وفي ناحية اخرى بقناة للمجاري تستقبل الخارج من المدينة .

ورغم ان هذا التصميم حل لسكان المدينة مشكلتي المياه والمجاري ، الا انه اثار مشكلة حادة بمضي الوقت عندما تهدم السور وامتدت المدينة ، وووجه سكان خارج السور بمعضلة المجاري المكشوفة التي أصبحوا يقيمون فوقها والى جوارها !

واذا كان التقليد في المدن القديمة ـ الاسلامية بوجه خاص ـ ان يكون لكل حرفة وبضاعة سوق ، الا ان الامر انتهى نهاية اخرى في لاهور . اذ اصبحت كل الحرف وكل البضائع في كل سوق فضلا عن ان كل شيء موجود على الرصيف . باعة الاطعمة والادوات المنزلية والحلاق والترزي والطبيب والمحامي والصيدلي (وتلك مهن تعتمد على الخبرة والنقل عن الآخرين) ، ثم قارىء الكف والطالع . بعضهم جالس على الارض وبعضهم في دكاكين صغيرة ، وبعضهم راحل وراء زحام البشر .

وتثير الانتباه تجارة القديم في تلك الاسواق . الساعات القديمة والاقفال والعلب وماكينات الحياكة واغطية الزجاجات . وتكاد تفهم مبررا لبيع الملابس القديمة ، لكنك تستغرب لباعة يعرضون خرقا قديمة للبيع ، ثم تستغرب ايضا لباعة الاوراق المالية الجديدة مقابل الاوراق البالية والقديمة . تعطي البائع ١٠ روبيات مهلهلة ـ مثلا ـ فيعطيك تسعة جديدة ! (الدولار يعادل عشر روبيات) .

ولا بد ان تستوقفك معاصر الزيت ، وهي ليست معاصر بالمعنى المفهوم ، ولكنها محل تجاري صغير يتصدره رجل رصت امامه قدور مليئة بالزيوت التي يستخدم أغلبها كأدوية للروماتيزم والصلع والربو والصداع . ثم تفاجأ بأن وراء الرجل جمل او ثور مغمض العينين يدور بلا توقف ، وتدور معه طاحونة من الحجر تتولى طحن الحبوب واستخلاص الزيوت منها . وهي صورة لم ار مثيلا لها في صنعاء القديمة .

لكن من اشهر الاسواق المتميزة سوق الطباعة والنشر « اورد وبازار » الذي مررنا به قبل قليل . وسوق السجاد الباكستاني ـ الخامات والمنتجات ـ في « فلمنج رود » ، واسواق الدراجات العادية والبخارية وهي بغير عد ، لانها منتشرة في كل مكان . شوارع وحواري بأكملها مقصورة على تجارة الدراجات وقطع غيارها وصيانتها ، خصوصا وأنها وسيلة الانتقال الاساسية والشعبية بالمدينة .

والى جانب هذا كله فهناك شارع السوق الاساسي ، الاكثر نظاما ووجاهة ، اذ يخترق قلب المدينة واسمه « مال رود » ، (الطريق العمومي بالانجليزية) : وهو تقليد في كل المدن الباكستانية ان يكون بكل منها « مال رود » .

المهر للعريس ؟!

وهناك بعد ذلك لاهور العادات والتقاليد ....

واكثر ما يغيظ تقاليد الزواج . فقد يفهم ايضا ان تورث المرأة البيت ، لكن ليس مفهوما ان تدفع بعد ذلك مالا للرجل ، وان يشترط البعض مبلغا محددا لا ينزلون عنه او ان تشتري المرأة للعريس ثيابه وكافة لوازمه من الحذاء الى الساعة وماكينة الحلاقة ، ثم تشتري ايضا ثيابا لاهله يحضرون بها العرس . الامر الذي يبرر احساس الاب بالصدمة عندما ينجب بنتا . اذ يصبح مضطرا في هذه الحالة ـ اذا كان من غير القادرين ـ ان يخصص لها صندوقا منذ لحظة ولادتها ، يدخر فيه كل ما يستطيعه لمواجهة ذلك المأزق الآتي بعد ١٥ او ٢٠ عاما !

واكثر ما يثير الدهشة ، تقاليدهم في تذوق الطعام اذ

قد تفهم - ايضا - لماذا يضيفون كميات من التوابل على الطعام تكفي لاشعال النار في معدات عشرة منا ، لكن الذي تعذر علي استساغته هو إضافتهم الملح مع الليمون على الشاي في الصيف « وتحليتهم » البطيخ بالفلفل الاسود ، وتلذذهم بسلطة الفواكة اذا اضيف اليها الفلفل الاسود والشطة الحمراء !!

واكثر ما تستغربه هذا الانتشار لهواية تعطيل العمل في المؤسسات العامة ، تعبيرا عن اي شعور في اي مناسبة وفي غير مناسبة . لميلاد الزعيم عطلة ، ولوفاته عطلة اخرى ولمباراة « الكريكيت » عطلة ، والهوكي ليس اقل شأنا . وللطائرات الورقية عيد لا بد له من عطلة . وانقطاع المياه في المدينة الجامعية يمنع الطلاب من الاغتسال وحلاقة الذقون ، وتعطيل الدراسة فيه واجب . واذا فاز فريق اتحاد الطلبة في انتخابات اتحاد الطلبة فالعطلة اوجب . واذا خرجت المظاهرات واضطربت الاوضاع السياسية فالعطلة تمليها اعتبارات الامن الامر الذي يبرر استمرارها أسابيع وشهورا .. وهكذا ، تنقضي الايام ، عطلة بعد عطلة .

واكثر ما تعجز عن تعلمه لغة الاردو التي في بعض جوانبها تلفيق تاريخي بين العربية والتركية والفارسية والهندية والانجليزية ، ولكنه مكتوب بحروف عربية . يدعوك احدهم للانتظار دقيقة فيقول « ايك مينت انتظار » ، وتكتشف ان مركبات هذه الجملة الاردية : ايك كلمة فارسية تعني واحد ومينت تعني دقيقة بالانجليزية Minuite ، وانتظار امرها معروف بالعربية ، وتلمح لافتة في محطة السكة الحديد كتب عليها بالاردية « بكنك افس » ، ونكتشف انها عبارة انجليزية تعني مكتب حجز التذاكر Bookinq office . وتقرأ لافتة محل تجاري « جنرل بك دبو » ، ويتبين انها عبارة انجليزية خالصة General Book Depot اي المخزن العام للكتب ...وهكذا !!

الحقيقة المستقبلية

واذا سلمنا بان اكثر هذه القسمات والمعالم يعكس الحقيقة الآتية من الماضي ، وليست تلك الطامحة الى المستقبل فلن يحتاج الامر منا الى جهد كبير لترصد وجوها اخرى اكثر جدية وايجابية ....

وجهة لاهور الحقيقة لا تفرغ .. فقط ، فتش تجد ما تريد ! فتعبير « لاهور الخضراء - مثلا - لم يطلق عبثا ، لان البلد زراعي في المقام الاول ، وعاصمة مقاطعة زراعية من الدرجة الاولى (البنجاب) بل هي مقاطعة الزراعة في باكستان كلها ، واذا كان السابقون قد استثمروا تربة البنجاب الغنية في الحدائق والفواكة فان اللاحقين تبينوا في وقت مبكر انه ليس بالحدائق والفواكه وحدها يحيا الانسان ، خصوصا عندما يصبح الناس بالملايين ، وخيارهم يصبح بين الشبع والمجاعة وبين الحياة والموت !

الآن تطوق لاهور مزارع حتى مرمى البصر ، وانتاجها من الارز والقمح والقطن والسكر يحتل اولويات الصادرات الباكستانية .

وبنفس القدر فان « الحقيقة الصناعية » في لاهور لا يمكن تجاهلها اذ ينتصب ٥٠ مصنعا كبيرا وصغيرا في اطراف لاهور ، وجنبا الى جنب مع المزارع الشاسعة ، عمالها مائة الف على الاقل ، وقائمة هذه المشروعات تضم خليطا من مصانع الكيماويات والآلات والنسيج وعربات السكة الحديد والدراجات والاجهزة الكهربائية وغيرها .

وهل ننسى الحرف التي تعشش في شوارع لاهور القديمة ، وتملأ القرى المحيطة بالمدينة بالحيوية والرواج ؟

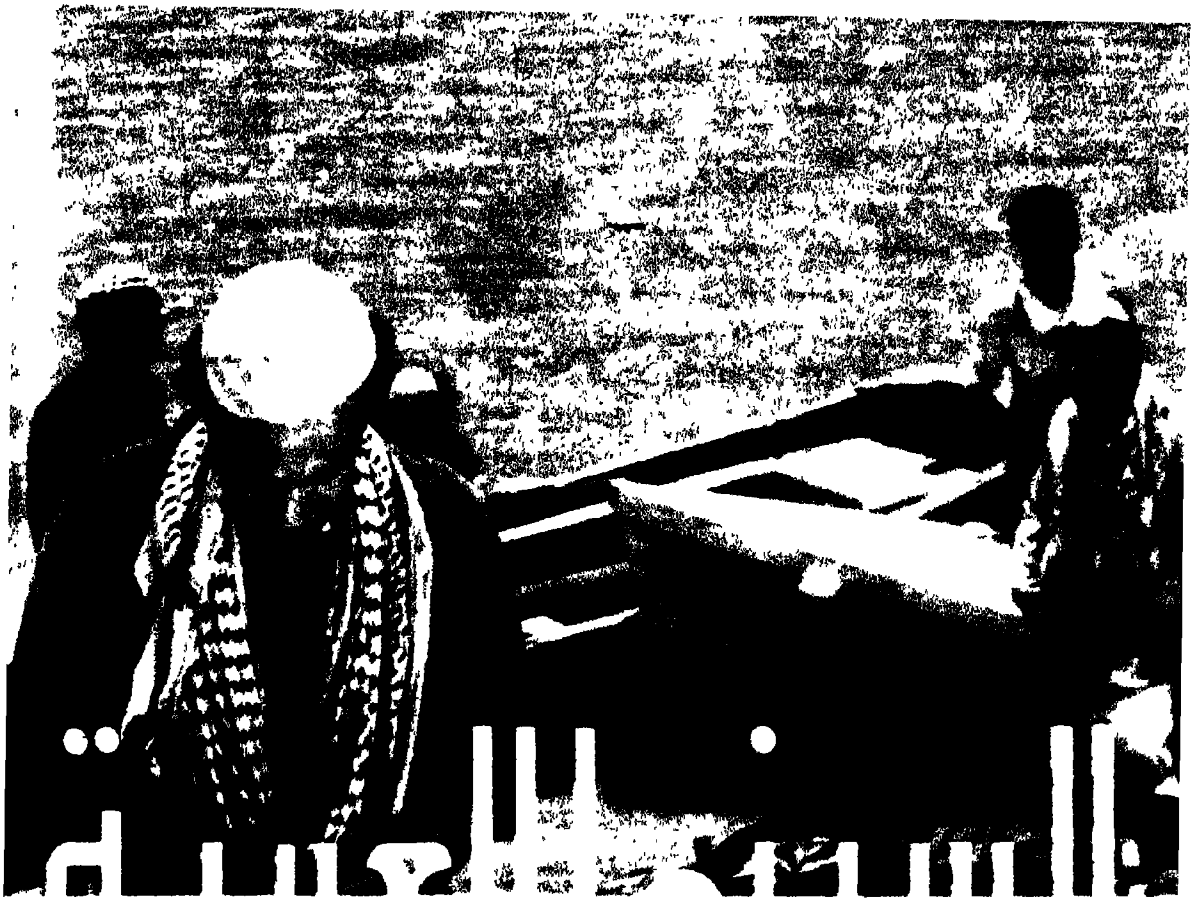
ثم قبل هذا كله وبعده ، هل نسقط من أوجه الحقيقة المستقبلية جامعتي لاهور خصوصا جامعة البنجاب اقدم جامعات باكستان ، والتي شارف عمرها على المائة عام (اسست عام ١٨٨٢) ......

وهل ..... وهل ..... وهل ...؟

اخيرا . هل هذه هي لاهور الحقيقة ؟

لابد ان نتذكر انه ليست هناك حقيقة مطلقة في عالمنا الارضي . وأن ما نتصوره حقيقة يظل دائما حيزا محدودا من الاشياء يتاح لنا ان نراه ، وقدرة محدودة للانسان تحكمه في استيعاب ما يراه . ثم ، وفي الاغلب ، فرصة محدودة للانسان في ان يعبر عما استوعبه وحصله !

اللهم فاشهد ! ■■







٤ بقلم :

الفاروق عبد العزيز



١ ـ الصيادون والنهر النهر يعطي وغيرهم يأخذ

٢ ـ شمس الصباح الامس (محمود دربى) معال العربه والمجاهد

٣ ـ المهدي المنتظر ، يدحن السحار ويتأمل العالم ويرسم الفلسفة .

٤ ـ بيوت في ذلك الزقاق . ظاهرة العمل الرأسمالي في البيوت ـ مادا تعني ؟

كيف نستطيع ان نصف الوضع الراهن لهذه السينما ـ سينمانا نحن ! ـ دون ان نأتي لذكر سطح الصفيح الساخن الذى يفترش شوارع المدن العربية بكاملها ؟ وسطح الصفيح الساخن ليس فقط ملعب الابطال والنماذج البشرية المهزومة . انه ايضا الأرضية « التي يتلظى » فوقها الفنان والمثقفون الحالمون بصدق بتطوير الفكر والثقافة والفنون العربية . هل تريد مرادفا آخر لهذا التلظي ؟ انه « القلق » .... القلق الذى تسبب في شل قدرات هؤلاء واولئك ، مفسحا المجال في الوقت ذاته لثقافة وفن وفكر مقطوعي الصلة بحاجات المواطن العربي الحقيقية .

في السينما هذه ظروف مثالية لمنتجي الافلام التجارية يجب استغلالها ـ وقد فعلوا ـ لتعميق وتوسيع مجرى السينما التجارية العربية . وهذه ظروف تشابه تلك التي كانت سائدة خلال وابان الحرب العالمية الثانية حين تدفق الانتاج السينمائي العربي في هذا المجرى .

اليوم ، وفوق سطح الصفيح الساخن ، يشعر المشاهد بحاجته الى سينما تخديرية تنسيه ولو مؤقتا شعورا متناميا بالقلق . هذه ترجمة للفلسفة السائدة في الانتاج السينمائي العربي الآن .

لقد استمر معدل الانتاج السينمائي العربي في الانخفاض . أو قل حافظ على نفس الرقم تقريبا خلال العامين الأخيرين (حوالى ٥٠ فيلما في العام) بعد ان كان قد انتعش وارتفع الى حدود تقارب الثمانين فيلما غداة حرب اكتوبر ١٩٧٣ . وقيل ان الازدهار « الكاذب » قد تلقى ضربة بسبب هجوم الفيديو ـ التلفزيون الذى ابتلع معظم الطاقات المالية والفنية . وهذا صحيح ، وقيل ايضا ان تزايد نسبة انخفاض عدد دور العرض في الوطن العربي بكامله هو السبب ، وهذا صحيح ايضا . غير أن المجرى الاوسع ـ الرغبة في الربح السريع والفاحش ـ يبتلع كل شيء فالتساؤلات الاساسية حول دور الفن في خدمة المجتمع ، او صلاحية السينما للتعبير عن اشواق وافراح وهموم المواطن ، لم يعد لها محل هنا في هذه المرحلة اندفاع في المجرى الاوسع بينما الهامش المحاذى لهذا المجرى يضيق شيئا فشيئا ....

لماذا نعلق مثل هذه الاهمية على الهامش السينمائي العربي ؟ الانه يقدم ما هو صالح للمناقشة في غرف النقاد واعمدتهم ، ام لانه يلعب فوق سطح الصفيح الساخن دور المنقذ ؟ ومن يحدد له الدور ومن يصفه ؟

في الواقع اننا نتطلع الى الهامش كمجرد مصدر للضوء ـ واذا شئت الابتعاد عن الاوصاف التجريدية ، فنقول اننا نتطلع اليه كمخرج من حالة الركود الفني والفكرى التى تسيطر على سينما المجرى الاوسع منذ عشرات السنين لا اكثر ولا اقل . فسينما الهامش تظل سينما هامشية ، تأثيرها محدود ، ولاتسهم في تكوين ثقافة الاغلبية وسوف تظل كذلك طالما ظل سطح الصفيح الساخن مفروشا في شوارع المدن العربية .

في عام ١٩٣٩ استطاع كمال سليم ان يغير من الهامش ومن المجرى الاوسع معا فقدم فيلم « العزيمة » ، الذي اعتبر أبا للواقعية في السينما العربية ولكن الامثلة القليلة لم تمنع من ان تحتل السينما الهامشية العربية صفحات وصفحات في كتب النقد والصحافة الجادة . قد يحدث احيانا ان يخرج فيلم او آخر من سينما المجرى الاوسع ليقول شيئا مثلما حدث هذا العام حين عرض « رجب فوق صفيح ساخن » و « الصعود الى الهاوية » وكلا الفيلمين اصابا نجاحا جماهيريا مثيرا فالاول يضع مواطننا عاديا فوق سطح الصفيح الساخن ونظل نشاهد فيه انفسنا نتقلب هنا وهناك والثاني يتعرض لحالة فريدة وهي خيانة مواطنة عربية لبلدها واشتغالها بالتجسس لصالح العدو ... ولكننا حين نتحدث عن الوضع السائد فلن يزيد كلامنا عما قلناه في مناسبات سابقة .

أفلام الهامش

ولنبدأ « باسكندرية ليه ؟ » ليوسف شاهين ، كالعادة في افلامه الاخيرة ، منذ « العصفور » (١٩٧٣) يلجأ شاهين الى تقديم رؤيته في خضم من الخيوط والتفاصيل والعموميات ، التي تحتاج الى توفر نسبة زائدة من الوعي لدى المشاهد العادي لكي يتفاعل معها . بيد ان « اسكندرية ليه ؟ » وان كان يأتي ضمن اطار هذه المجموعة الاخيرة ، الا انه ربما كان اكثرها وضوحا . ومن ثم تتعاظم لديه فرصة « التوصيل » لقاعدة اوسع من المشاهدين .

من زاوية محدودة يقدم الفيلم نوعا من السيرة الذاتية ليوسف شاهين نفسه « ١٩٤٢ والعمر ستة عشر عاما .. الحرب .... التضخم .. غواصات في البحر المتوسط .. والموت على رمال العلمين والاسكندرية مسقط رأسه .. عدد الاجانب وقوات جيوش الحلفاء اكثر من المصريين . الشاب المسلم الفقير الذي يقع في حب الفتاة الثرية اليهودية والتي تهاجر تحت ضغط والدها الى « ارض الميعاد » ليكتشفا الأكذوبة الكبرى .. ويعانيا القتل والذبح والتشريد للآلاف المؤلفة من الفلسطينيين سكان الديار الحقيقيين .. وعندما يكتشفان الخديعة ، يبقى الاب ولكن الفتاة تفر وتعود مرة اخرى الى مصر حيث لم يحدث ان اضطهدت من قبل لتجد حبيبها معتقلا بسبب نشاطه السياسي ضد القصر والانجليز . وهناك خيط آخر يتمثل في الضابطين اللذين يبحثان عن حل للخلاص من مشكلة الوطن كله .. الاحتلال والمتعاونين معه .. ويرحلان الى العلمين للقاء روميل والتعاون معه في طرد المحتلين البريطانيين ويلمح الفيلم الى العلاقة بين استرويليامز - التي كان الضابطان يعشقان مشاهدة افلامها - وبين الحلم الامريكي في رأس الشاب يحيي « يوسف شاهين نفسه » ، والذي يتجسد له في النهاية في تمثال الحرية (وصوله لامريكا بالفعل) والذي ما يلبث ان يغمز لنا - كغانية ملطخة بالاصباغ - غمزة ذات مغزى .

ورغم كل شيء ، فان اسكندرية ليه ؟ » يظل تعبيرا عن حالة القلق التي تحكم الفنانين والمشاهدين معا ، بقدر ما هو تعبير مثير للجدل حقا حول دور الفنان في المرحلة الراهنة .. وحول احلام الخلاص الفردي والجماعي في عصر « قلس وهنين » ...

المهدى المنتظر

منذ فوز « رياح الاوراس » في عام ١٩٦٧ باحدى جوائز مهرجان « كان » السينمائي الدولي اضحت السينما الجزائرية الهامشية ايضا بالنسبة الى سينما المجرى الاوسع محط انظارنا .. الضوء الآتي من المغرب ...

من الجيل الثاني من السينمائيين الجزائريين برز مرزاق علواش ، الذي قدم من قبل عامين اول افلامه الروائية الطويلة « عمر قتلته الرجولة » . وها هو الآن يقدم احدث افلامه « مغامرات بطل » الذي يكشف عن ابعاد فكر سينمائي جديد ...

في « مغامرات بطل » يعالج علواش وسواسا يعيش في اعماق اللاشعور الجمعي العربي ، وبوجه خاص في اكثر المناطق العربية تخلفا . ففي هذه المناطق يتجسد هذا الوسواس في شكل حقائق مادية تزيد من ثقل التخلف والاحباطات ونعني وسواس المهدى المنتظر « الذي سيظهر يوما ليخلص الجميع من شياطين الفقر والجهل والمرض بضربة جبارة واحدة .

ففي قرية عربية تقليدية يولد طفل فقير . ويريد اعيان القرية بالطبع ان يستمر نفوذهم وسطوتهم على الاهالي الذين يعملون في مزارعهم فيضعون وشمة على ذراع الطفل ، ويعلنون ظهور المهدى المنتظر ويعطى الطفل ـ الصبي ـ الشاب بكافة صنوف العون والتقدير ويرسلون في طلب معلم له يعلمه اصول الحكمة . يأتي المعلم بعربته التي كتب عليها تمبكتو وبخارى وباريس . عربة تحمل احدث الوسائل السمعية والبصرية ويجرها جوادان باتسان . والمعلم يرتدى الطربوش ويتكلم عن نيتشه وزرادشت والنظرية الذرية . ويركز المعلم الشديد الذكاء همه في خلق انسان نيتشوي متفوق ـ سوبرمان ـ يمكنه ان يحل في المهدى الملهم ، والمسخر لاداء مهمة الهية . وهكذا تتمخض العملية عن ولادة انسان يزيل عقدة نقص القبيلة بوعد الانتقام من الواقع المزرى ويزيل في الوقت ذات لعنة القدر عن مجتمع بكامله .

ويهديه اهل القرية دراجة نارية يخرج بها الى العالم . وهناك يلتقي مهدى بن حسن بالثوار ويدخن السيجار ويقرأ الكتب ويتمرد . ولا يكتشف شيئا الا قرب النهاية حيث نكتشف معه عقم الوسواس ، وضرورة المضى على طريق المثابرة والعمل .

هناك آخرون غير علواش يعملون في الجزائر . سليم رياض يصنع افلاما جماهيرية على غرار الفيلم السياسي الشهير « زد » لكوستا جافراس . وآسيا جبار الأديبة تعالج السينما والمرأة الجزائرية بعد الاستقلال في « نوبة المرأة » . ولكن علواش يحمل أملا كبيرا للسينما العربية ، وان كان سيظل بافلامه على الهامش في مواجهة تيار كبير لا يملك المهدى مقاومته .

في بلاد السراب

حكاية علي تنتهي في باريس حين يرى من فوق رافعة كان يعمل عليها في احد مواقع البناء ـ منظر مكبر ـ رجلا فرنسيا عجوزا يعاني في صمت من آلام موجعة . يهرع علي الى مساعدته يدق الباب بجنون يقتحم المكان ليجد الرجل قد فارق الحياة يتجمع السكان حوله ، الجزائري هو القاتل ! ! ! الشرطة .. المصير المأساوي المنتظر .

لم يكن علي يحلم بهذا حين غادر الجزائر وترك امه ليبحر الى مرسيليا ومنها الى باريس مدينة النور .. كان يحلم بشيء افضل من عناوين الصحف الفرنسية الصادرة في اليوم التالي : « القى القبض عصر أمس على عامل جزائرى اقتحم شقة رجل مسن وحيد ويجرى معه تحقيق موسع ومن المنتظر أن يعترف القاتل بجريمته الشنعاء » ... بيانات من منظمات يمينية فرنسية : اقتلوا المغاربة !!

علي يحلم عبر المتوسط بالقرية الساكنة والتطور البطيء ويرتد الحلم الى شوارع الشانزليزيه . علي يتكدس في حجرة مع عمال آخرين في حي باريس الفقير يستمع الى ام كلثوم وصوت العرب ، ويحضر ندوات يقيمها موظفون جزائريون بهدف اقناع العمال المهاجرين بالعودة . ويأكل الكباب ويرفضه المجتمع الباريسي والفرنسي رفضا مطلقا .

تهبط ورقة الحظ المفاجئة عليه ويملك الآن ١١٠ آلاف فرنك . علام تتوقع ان ينفقها علي ؟ انفجار استهلاكي في شوارع الشانزليزيه التي حرم منها ، وعشاء في مطعم فاخر ، وجلسات على مقهى فوكيه !!

وينتهي حلم علي بجريمة لم يقترفها .

وتتساءل عن علي فوق سطح الصفيح الساخن في شوارع باريس عاصمة مستعمره السابق الذى استنزف طوال ما يربو على مائة وثلاثين عاما خيرات بلاده والآن لا يريد ان يتحمل تعويض آثار الخراب المادى والنفسي الذى احدثه في بلاد علي . لقد اصاب عليا بالازدواجية الفكرية وزين له نمطا استهلاكيا للتقدم ، وخرب شخصيته ودمر جسوره الثقافية العربية . والآن لا يريد ان يدفع اى ثمن لقاء ذلك .

« علي في بلاد السراب » هو عنوان احدث افلام المخرج الجزائرى احمد راشدى .

خلاص آخر .. الهجرة ايضا

بدأت في أوائل ١٩٧٦ . فكرت في فيلم يعبر عن المجتمع في المغرب . ولكن اى مجتمع ومن اية زاوية ،

وكيف ؟ فالفيلم الاول عادة يكون فيلم كل شيء . المخرجون الجدد يحبون تضمين افلامهم الاولى كل ما يعرفونه وكل ما يجول في افكارهم . لم اشأ الوقوع في هذا الخطأ . وشيئا فشيئا صرت ازداد قناعة بضرورة اخراج فيلم عن البادية واهالي البادية او الريف ، الذين يشكلون الاكثرية في المغرب ، وفي بلدان العالم الثالث . ورغم انني من المدينة فاحاسيسي قريبة جدا من الريف . وبعد بحث طويل عن مكان الفيلم ، وجدت المكان المناسب في قرية لا تبعد اكثر من ٢٠ كيلو مترا عن الدار البيضاء . وهي قرية تشكل نموذجا للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي يعرفها الريف المغربي .. ومن خلال احاديث واتصالات باهالي هذه القرية كتبت السيناريو . فالسينا ريو كتب انطلاقا من حكايات الاهالي

والفيلم ليس عن الهجرة . انه عن الفلاحين . الهجرة هنا هي نتيجة وسبب معا . هي نتيجة فقر الفلاحين واستغلالهم وهي سبب صدام الشاب مع امه التي تمانع في ان يهاجر » .

ليس فيلما روائيا كما انه ليس فيلما وثائقيا ، انه رؤية السينائي المغربي احمد المعنوني لما تعاني منه قرى بلاده . ويظل محتواه وثيق الصلة بمشكلة المغرب العربي كله الرئيسية : الهجرة الى فرنسا جريا وراء احلام مجهضة منذ بدايتها . وبالتالي انخفاض معدلات التنمية ، او بعبارة اخرى استمرار التخلف .

في « الايام الايام » لا نرى باريس ولا فرنسا ، ولكننا نحس بوجودها طوال الوقت حتى في اكواخ الفلاحين الذين لم يغادروا قراهم منذ قرون طويلة . ما هي عناصر الغزو هنا ؟ صورة مجلة « باري ماتش » او اخبار عن سعادة وهمية بين سطور رسالة من سي محمد المهاجر منذ زمن بمجتمع راكد والحلم بالخروج وهو وسيلة تحقيق وهم الخلاص ....

وهم التنمية !!

لقي « شمس الضباع » التونسي (لرضا الباهي) اقبالا منقطع النظير . لماذا ؟ ألأنه فيلم جيد التوصيل ؟ نعم . ألأن المشكلة التي يعالجها وثيقة الصلة بالمجتمع التونسي والمغربي العربي بشكل عام ؟ نعم ايضا .

ذات طبيعة يهبط الالمان ـ بيض ونظيفون ـ ويستكشفون آفاق انشاء مشروع سياحي بالقرية . فندق كبير ومع ازالة الاتربة تتخلخل القيم وتبرز الصراعات : يستخدم العمدة عبيد البلدة بالتحالف مع مندوب الحكومة وممثل الشركة . الحمور تدخل القرية ومراكب الصيد تختفي لوصول الماكينات ويبقى المجاهد القديم والأبله شاهدين على هذا كله . وعندما يفلح عبيد البلدة في التخلص من عنصر المعارضة الفعال ـ الصياد الشاب ـ وبإلقائه في السجن اثر تلفيق تهمة له ، يكون الواقع الجديد قد فرض نفسه على القرية وتكون النهاية المأساوية قد اقتربت ، حين يرتدي المجاهد القديم زيا سياحيا ويفتح حانوتا للتجارة في العاديات .

والسؤال هو كيف يمكن تطوير مجتمع متخلف ؟ من السطحية بالطبع ان نقول ان رضا الباهي ضد السياحة شكلا ومضمونا ، خاصة وان فيلمه الاول « العتبات الممنوعة » قد شجع البعض على هذا الاعتقاد حين رأينا بائع الكروت السياحية الفقير يغتصب سائحة بين الآثار ، ولكن الصحيح هو ان الاجابة التي يطرحها الفيلم على السؤال ترفض تطوير القرية عن طريق تنمية استهلاكية تؤدى باعز ما تملكه القرية من موروث ، في الوقت الذي لا يعود به هذا النمط من انماط التنمية بفائدة انتاجية واضحة على سكانها . وشيوع هذا النمط في بعض دول المغرب العربي يبدو في رأى الباهي كالحق الذي يراد به باطل . وهذا هو المعنى الذي حاول ترجمته سينمائيا .

هموم شرقية

لبنان الجرح النازف واكثر سطوح المشرق التهابا كان موضع اهتمام المغرب . الجزائر هذا العام . المخرج الجزائري فاروق بلوفة قدم « نهلة » عن الحرب اللبنانية « ونهلة » هي مطربة لبنانية شابة تبحث عن ذاتها وسط مقدمات الحرب الآتية .

تحيط بنهلة عناصر مختلفة او قل خليط من البورجوازية اللبنانية والعناصر الوطنية . غير ان نهلة لا تعثر على ذاتها . تندلع الحرب لكي يتهاوى ما تبقى عندها .

هذا هو مفتاح فهم الفيلم لدى ناقد . غير ان الفيلم يخفق في توصيل رسالته تلك الى الجمهور ، لاسباب تتعلق باسلوب المخرج الذى اغرق المشاهد في التفاصيل . فضاع الخط الاساسي وسط هذا الزحام .

اما افلام المخرجين اللبنانيين انفسهم عن الحرب : مارون بغدادي وجو سليف صعب ورنده الشهال وجورج شمشوم ، فقد سبق لنا ان تناولناها في يناير ١٩٧٩ من « العربي » . ولم يجد هذا العام اى جديد على صعيد « الجبهة » السينمائية اللبنانية .

بيد ان لدى ملاحظة بشأن هذه السينما . انها سينما توجه في الاساس ـ بحكم عوامل مختلفة الى العرض في المهرجانات وفي تليفزيونات الدول الاوروبية . شأنها في ذلك شأن الافلام التي يقدمها المخرجون الفلسطينيون . لا حيلة لهؤلاء ولا اولئك بالطبع في حرمان المشاهد العربي من رؤية افلامهم ولكنها تظل وثائق اساسية مهما كانت درجة ، هامشيتها الجماهيرية ـ في حياة السينما العربية .

تتشابه هموم السينما السورية والعراقية الى حد كبير . فالهاجس الاساسي فيهما هو هاجس سياسي . كما تلتقى تجربة السينما في القطرين العربيين عند عدم استطاعتها تحقيق الانتشار المنشود على مستوى الوطن العربي . من ناحية الكم (حوالي عشرة افلام في العام لا يمكن لها فرض بديل للسينما السائدة في الوطن العربي ومن ناحية الكيف لا يزالان حبيسين لأطر وانماط ثقافية محدودة .

غير ان المثير في كلا التجربتين هو وجود قطاع عام يباشر عملية الانتاج الى جانب قطاع خاص (استهلاكي في الاساس) . وقوة تأثير القطاع العام في خلق صناعة سينمائية وطنية مسألة باتت مطلبا ملحا في الوطن العربي منذ التجربة المصرية في عام ١٩٦٣ .

وقد حققت السينما العراقية هذا العام قفزة كمية ونوعية جديرة بالاهتمام . فافلام « النهر » لفيصل الياسرى « وبيوت في ذلك الزقاق » لقاسم حول و « التجربة » لفؤاد التهامي « والاسوار » لمحمد شكرى جميل ، هي افلام تقع في دائرة الالتزام بموقف ايجابي واضح تجاه دور السينما في المجتمع . غير ان تجربة السينما العراقية ما تزال بحاجة الى مزيد من الاهتمام بتنويع موضوعاتها وزيادة عدد ما تنتجه من افلام سنويا .

والتزاما بهموم الوطن اللبناني انجزت السينما العراقية هذه العام انتاج فيلم « القناص » لفيصل الياسرى الذى يتناول فيه التركيبة النفسية لهذا الكائن الغريب الذى افرزته الحرب اللبنانية ا .

اما تجربة السينما الكويتية فما تزال في اول الطريق ، رغم انتاج ثلاثة افلام آخرها « الصمت » لهاشم محمد ، الذى يدور حول حياة المجتمع الكويتي قبل ظهور النفط في نهاية الثلاثينات .

●

وفي نهاية عرض للوضع الراهن للسينما العربية في عام ٧٩ ، لا يفوتنا ان نسوق هذه الملاحظات الختامية .

اولا : انه برغم ان السينما الاستهلاكية ما تزال هي الاقوى والاكثر انتشارا فان السينما الاخرى ـ وان كانت ما تزال على الهامش ـ آخذة في التقدم بالفعل الى خارج الهامش الذى ظلت فيه ردحا طويلا .

ثانيا : ان الشكل التقليدى بسرد الحكاية مازال له تأثيره وفعاليته . وان مخاطبة الجمهور العربي على اتساعه « وتوصيل » اى مضمون اليه لابد ان يتم من خلال هذا الشكل (بداية ووسط ونهاية) .

ثالثا : ان رياحا جديدة نقية تهب على السينما العربية من المغرب العربي ... الجزائر والمغرب وتونس وان هذه الرياح التي لم تصل الى مستوى القوة الضاغطة بعد ـ ستفعل فعلها في المستقبل القريب .

رابعا : ان حالة السينما ، وهي اهم وسيط تعبيري في عالم اليوم ـ هي صورة طبق الاصل ، سالبة وموجبة ، من مجتمع يدب فوق سطح الصفيح الساخن . فالعلاقة بين الاصل والصورة علاقة جدلية وحيوية .

اين هي اذن العصا السحرية التي يمكن لها انتشال هذه السينما من فوق سطح الصفيح الساخن ؟ اذا لم تكن ثمة عصا سحرية فستظل هذه السينما تعاني . ويقولون ان المعاناة خاصة فوق هذا السطح ـ تخلق نواة تقدم .. حقيقية وحيوية معا . ■■

الفاروق عبد العزيز

الفراهيدى

أوّل من قدّم المعاجم عند العرب

بقلم : قسطنطين تيودوري

المعجم لغة هو كتاب اللغة او ما يعرفونه بالقاموس ، واصله من اعجم الكلام او الكتاب اى ازال عجمته وابهامه وفسره ، واتى هذا الاسم من تسمية معجم الفيروزابادي بالقاموس المحيط ، ولا ندري على وجه التحقيق متى اطلقت كلمة معجم في اللغة العربية على الكتب التي ترمي الى جمع اللغة .

وأول ما عثرنا عليه عند ابي القاسم عبد الله بن محمد البغوى مؤلف المعجمين الكبير والصغير وقد ولد عام ٤١٢ هـ . وأطلقت هذه الكلمة بعد ذلك في القرن الرابع على كثير من الكتب وأشهرها المعجم الكبير والصغير والاوسط في قراءات القرآن الكريم واسمائه لابي بكر بن الحسن النقاش الموصلي ، ثم معجم الشيوخ وهو عنوان لعدة كتب منها لأحمد الاسماعيلي وللخفاف ولأحمد الغرناطي ولشهاب الدين المصري وللسمعاني وللقوصي وللفرضي وللسيوطي ولابي حامد اسماعيل الانصاري ولابن مرزوق البغدادي . والمعجم الكبير والاوسط والصغير لابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني ، ومعجم الصحابة لاحمد بن على الهمزاني ، وما الى ذلك من المعاجم القديمة كمعجم (الادباء) ومعجم (البلدان) و (معجم ما استعجم) وغيرها .

اقدم المعاجم

ان اسبق الامم الى تأليف المعاجم اللغوية هم الصينيون ، الذين وضعوا معجما يضم اربعين الف كلمة وذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد واسم مؤلفه « باونشي » واقدم معجم لغوي في اللغة اللاتينية اسمه « Lingua Latina » الفه « وارو » المتوفي سنة ٢٨ قبل

الميلاد ، وظهر معجم يوناني خاص بالفاظ هوميروس من تأليف أبلو نيوس الغراماطيقي الاسكندري ، في عهد اغسطس قبل الميلاد ، فكانت اشعار هوميروس موضع الدراسة المشتركة عند الاغريق ، لذلك اهتموا بالتنقيب عن معانيها وتأليف المعاجم لهذه الغاية ، وقد وضع اليونان بعد ذلك عددا من المعاجم الخاصة بالعبارات الغريبة او الفاسدة او الاجنبية او المحلية التي استعملها شعراء المآسي والملاهي كذلك معاجم خاصة بأفلاطون والخطباء الاتيكيين العشرة (نسبة الى « اتيك » وهي مقاطعة في بلاد اليونان امتاز اهلها بسلامة الذوق واللياقة) . ومعاجم اخرى خاصة بأبقراط . ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملا عام ١٧٧ للميلاد تأليف يوليوس بولكس .

ويأتي بعد ذلك دور العرب في تأليف المعاجم ، فقد ولدت المعاجم العربية في العصر العباسي الاول الا انها لم تتطور الا في العصر العباسي الثالث ، فكان اول معجم عربي شاهدت عيناه النور « معجم العين » الفه الخليل بن احمد الفراهيدي في القرن الثاني للهجرة ، نبغ هذا الموسوعي العربي الاول في علوم العربية نبوغا لم يسبقه اليه متقدم ولا متأخر ، اذ كان اول من وضع الشكل المستعمل الان في ضبط الحروف ، وكان سيد أهل الادب في تصحيح القياس واستخراج النحو وتعليله ، فكان هو المؤسس الحقيقي لعلم النحو المعروف باسم سيبويه الذي اعترف في اكثر فصول كتابه بأنه تلقاه عنه وتعلمه عليه

علم العروض

ومن ابرز الامور التي تفتق عنها ذهن الخليل استنباطه علم العروض الذي استخرج منه خمسة عشر بحرا وزاد عليها الاخفش [1] بحرا سماه الخبب ، وعلى اثر ذلك استطاع ضبط أوزان هذه البحور ووزنها على المقاطع والحركات ، مستعينا بالموسيقي الذي الف كتابا فيها على غير معرفة بلغة اجنبية ، ومن أطرف مايروى عنه انه كان يقضي الساعات الطوال ذاهلا عن نفسه يرفع أصابعه ويحركها لضبط هذه الاوزان وتنسيقها وكان له ابن متخلف عقليا ، فدخل عليه وهو في هذه الحال فظنه جن ، فخاطبه الخليل بقوله :

« لو كنت تعلم ما أقول عذرتني
او كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني
وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

ان الخليل بن احمد بذهنه الجبار ابتكر طريقة تدوين اول قاموس عربي لضبط اللغة وحصرها فجمع ما كان معروفا في ايامه من الفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها ، ورتب حروف الهجاء حسب مخارجها على النسق التالي الاحرف الحلقية وهي ع ح هـ خ غ ، وحرفا اللهاة (وهي اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى سقف الفم) وهما ق ، ك ، والاحرف الشجرية وهي ج ، ش ، ض ، وسميت بشجرية لخروجها من الشجر اي مخرج الفم وأحرف الصفير وهي ز س ص ، والصفير صوت يخرج من الشفتين . والاحرف النطعية ت د ط لخروجها من النطع (اي موقع اللسان من الحنك) وذلك من بين طرف اللسان وبين اصول الثنايا العليا مصعدا الى الحنك ، والاحرف اللثوية (العمور من اللثة) وهي ظ ذ ث ، والاحرف الذولقية وهي ر ل ن . وسميت كذلك لخروجها من ذلق اللسان اي من طرفه ، والاحرف الشفهية وهي ف ب م ، واخيرا احرف العلة الثلاثة مضيفا اليها الهمزة ، فاستقام له الترتيب التالي : ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ز س ص ت د ط ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ا و ى .

اما ترتيب الحروف على المخارج فلم يعرف في اليونانية ولا السريانية ولا اللغات التي عرفها الشرق الادنى قبل الاسلام ، الا ان دائرة المعارف الاسلامية

---

(١) الاخفش في اللغة الصغير العين في سوء بصرها ، وهو لقب لثلاثة من مشاهير النحاة الاخفش الاكبر توفي ٧٩٣ ، الاخفش الاوسط توفي ٨٣٠ ، الاخفش الاصغر توفي ٩٢٠ والاخفش الاوسط هو الذي زاد في العروض بحر الخبب

اكتشفت له اصلا في اللغة السنسكريتية ، فهذه اللغة الهندية القديمة كانت ترتب حروفها على هذا النظام ، ابتداء من اقصى الحروف مخرجا الى ادناها . وقد اتصل المسلمون بالهنود في الفتوح ، بل اتصل بهم عرب الجاهلية منذ زمن بعيد ، كما جاء الكثيرون منهم الى العراق وعاشوا فيه . فقيل ان الخليل الذي كان مقيما بالبصرة عرف منهم النظام ، اي الابتداء بأحرف الحلق والانتهاء بالاحرف الشفوية . فاتبعه في معجم « العين » واتخذه اساسا له في ترتيب معجمه الجديد ، وسمي كل حرف من هذه الحروف كتابا . فبدأ المعجم بكتاب العين ، فكتاب الهاء الخ ، ونظرا لاشتهاره باسم كتاب « العين » شمل هذا الاسم القاموس كله بأجزائه المختلفة . وفي رواية للازهري في معجمه « التهذيب » نقلا عن الليث بن المظفر ويقال انه متمم كتاب « العين » بعد الخليل « لما أراد الخليل الابتداء في كتاب « العين » اعمل فكره فيه ، فلم يمكنه ان يبتديء من اول ا ب ت ث الخ ، لان الالف حرف معتل . فلما فاته أول الحروف كره ان يجعل الثاني اولا وهو الباء ، فتدبر ونظر الى الحروف كلها وذاقها ، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق ، وكان اذا اراد ان يذوق الحرف فتح فاه بألف اي الحرف الطبيعي في النطق ، ثم اظهر الحرف الذي يريد ذوقه نحو اح اع ، فوجد العين اقصاها في الحلق وأدخلها ، فجعل اول الكتاب العين » .

أول معجم عربي

افتتح الخليل عصر المعاجم في القرن الثاني للهجرة بوضعه « كتاب العين » فكان اول معجم عربي ظهر الى حيز الوجود . فاعتمده العلماء واللغويون ، ونسج على منواله اكبر اساطين اللغة واشهر الموسوعيين ، الا ان المعجم لم يخل من مآخذ ، لان مؤلفه توفي قبل ان يتم تأليفه ، فأكمله تلميذاه النحويان البصريان النضر بن شميل ومؤرخ السدوسي وغيرهما . وقد أجمع النقاد والباحثون المعاصرون له والذين اتوا بعده على ان معظم هذه المآخذ مرده التصحيف ، واشار الى ذلك ابو العباس ثعلب (٨١٥ ـ ٩٠٤ م) بقوله : « انما وقع الغلط في كتاب » العين لان الخليل رسمه ولم يحشه » . وعلل الاستاذ احمد امين في كتابه « ضحى الاسلام » بان الكتابة في ذلك العصر لم تكن تنقط ، وحروف اللغة العربية متقاربة في الشكل ، فبين الفاء في الوسط والعين تقارب ، وكذلك بين التاء والنون فأوقع هذه اللغة ومعاجمها في كثير من اللبس .

وقد وقع الخليل ايضا في اخطاء صرفية اشتقاقية كذكر لفظ مزيد في مادة أصلية ، او مادة ثلاثية في مادة رباعية ، كما انه اهمل ابنية مستعملة في اللغة باعتبار انه لم يسمع عنها شيئا ، وقد تأثرت بهذه الاخطاء بعض المعاجم التي وضعت بعده كمعجم « البارع » للقالي و « التهذيب » للازهري وغيرهما ، وليس من المستغرب وقوع مثل هذه الاخطاء لان الخليل أول من جمع في اللغة معجما فضلا عن ان التحقيق العلمي في عهده لم يكن له اثر .

وقد تناول عدد من العرب القدامى والمحدثين وبعض المستشرقين معجم « العين » بالدراسة ووصف جلال الدين السيوطي (١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ م) القواميس منذ صدور « العين » حتى « القاموس المحيط » للفيروز ابادي ، واشار اشارة مختصرة الى كل قاموس الا قاموس « العين » فانه عني بوصفه وشرحه عناية كبيرة ، وعدد الاخطاء التي ارتكبها مؤلفه وخاصة الاخطاء المتعلقة بالتصحيف ، وقد نشر المستشرق الالماني براونتج (١٨٩٢ ـ ١٩٤٢) عام ١٩٢٦ مقالا مستفيضا في المجلد الثاني من مجلة « اسلاميكا » عن كتاب « العين » تناول فيه حياة الخليل وثقافته وقضية النحو والعروض والموسيقى ، مبديا تقديره لما اشتملت عليه مقدمة القاموس من أراء لغوية ونحوية ، وكذلك تناول المستشرق الانجليزي كونكوف (١٨٧٢ ـ ١٩٥٣) المعاجم العربية بالبحث ، وخاصة معجم « العين » وقد نشر أبحاثه في المجلة الشرقية النمسوية عام ١٩٣٢ وقد حظى هذا المعجم باهتمام العلامة انستاس الكرملي ، فنشر عام ١٩١٤ جزءا منه بلغ عدد صفحاته ١٤٤ صفحة .

ونظرا لاهمية هذا الكتاب وثروته اللغوية التي لا ينضب لها معين ، اختصره اثنان : أولها ابو الحسن بن القاسم السنجابي واشار الى ذلك على الباخرزي مشيدا بمختصره : « هو صاحب كتاب « العين » ومحله من

الادب محل العين من الانسان ، ومحل الانسان من العين ، وقد سهل طريق اللغة على طالبيها ، وادنى قطوفها من متناوليها باختصاره كتاب « العين » ولا تكاد ترى حجور المتأدبين منه خالية » . اما المختصر الثاني وهو اشهرها فقد اختصره ابو بكر محمد بن حسن الزبيدي (٢) واشار الى الاسباب التي دعته الى اختصار « العين » ثم قال « امر امير الحكم المستنصر بالله بأن : « تؤخذ عيونه ، ويلخص لفظه ، ويحذف حشوه ، لتقرب بذلك فائدته ، ويسهل لفظه » .

غنى النفس

كان الخليل بن احمد شديد الورع ، وعاش زاهدا فقيرا ، حتى انه كان يقيم في خص من اخصاص البصرة . وكان سليمان بن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة والي فارس والاهواز في ذلك الحين يدفع له راتبا معينا ، فبعث اليه برسول يستدعيه اليه لتعليم ابنه ، فرفض ذلك ، ثم قدم اليه خبزا يابسا وقال له كل فما عندي سواه ، وما دمت اجده فلا حاجة الى سليمان « فقال الرسول فما ابلغه فقال :

ابلغ سليمان اني عنه في سعة
وفي غنى غير اني لست ذا مال
شحا بنفسي اني لا أرى أحدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه
ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه
ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب ، فقال الخليل :

ان الذي شق فمي ضامن
للرزق حتى يتوفاني
حرمتني خيرا قليلا فما
زادك في مالك حرماني

فبلغ ذلك سليمان ، فاضطربت نفسه وكتب الى الخليل يعتذر اليه ، فانشد الخليل .

وزلة يكثر الشيطان ان ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخير زل عن يده
فالكوكب النحس يسقي الارض احيانا

وذكر ابن خلكان في كتابه « وفيات الاعيان » ان الخليل اجتمع وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثان حتى الفجر ، فلما افترقا قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع فقال : رأيت رجلا علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع . كيف رأيت الخليل ؟ قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه .

ومن دلائل توقد ذهن الخليل وفنون ابتكاره انه زاد في الشطرنج قطعة سماها جملا استعملها الناس زمنا ، واخترع نوعا من الحساب تمضي به الجارية الى البائع ، فلا يمكنه ان يظلمها ، فدخل المسجد وهو يعمل فكره ، فاصطدم بسارية صدمة شديدة ارتج منها دماغه ، فانقلب على ظهره ، فكان ذلك سبب وفاته سنة ١٧٥ هـ عن خمس وسبعين سنة .

ويقال ان الخليل كثيرا ما كان ينشد بيتا للاخطل وهو .

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد
ذخرا يكون كصالح الاعمال

ويقع معجم « العين » في نحو ٢٥٠٠ صفحة ولم يصل الينا كله ، وللخليل كتب اخرى هي . « معاني الحروف » و « وجملة آلات العرب » و « تفسير حروف اللغة » و « كتاب العروض » و « النقط والشكل » ، وقد الف كتابا في الموسيقى على غير معرفة بلغة اجنبية سماه « النغم » . ■■

عمان ـ قسطنطين تيودوري

---

(٢) من علماء النحو واللغة ، له « الاستدراكات على سيبويه » ، « وطبقات النحويين » . (٩٢٦ ـ ٩٨٩ م)

● هل يستطيع الانسان ان يقف فى وجه عالمه كله ويحقق لنفسه خلاصا ما او بالاحرى ينجو من العقاب ؟

الاجابة نعم احيانا لو كان [illegible] بالنا لو انه امراة « بلا حيله » افريقية سوداء فقيرة [illegible] ع الرواية الجديدة للكاتبة النيجيرية الشابة [illegible] » او على الاصح « ثمن العروسة » .



مهر العروسة

[illegible] عن الحب والموت

[illegible] فريدة ال[illegible]

ولدت بوتشي ايميشما سنه ١٩٤٤ بالقرب من لاجوس حيث تلقت تعلما بسيطا ، تزوجت على اثره في سن مبكرة وانجبت خمسة اطفال وطلقت.
ثم انتقلت بعد ذلك لتعيش مع اطفالها في لندن وستكمل تعليمها حيث تخصصت في دراسة علم الاجتماع . وانصبت تجربتها الروائية على معالجة قضيه المراه الافريقية ، صدرت لها روايتان « العزه » و « مواطن من الدرجة الثانية » تزاوجت فيهما قضية التفرقة العنصرية واضطهاد المراة حسب وضع العبيد والنساء في نفس الخانه

التي تجردهم من الحقوق الانسانية .
في روايتها الاخيرة تنضج تجربة عالم الاجتماع وخبرته حين يدقق في ملاحظة الظواهر ويجمع شتاتها ويردها الى اصولها ويحللها ، فما بالنا وعالم الاجتماع هنا امراه عاشت تجربة اضطهاد المراه وقهرها بكل وطأتها وآلامها في مجتمع متخلف وناهض عشية استقلال نيجيريا . في هذا المجتمع لا بد ان ينشا الصراع بين القديم والجديد ، القديم مغلق على نفسه يعيش على الاكتفاء الذاتي ويخلق مناهجه الخاصه واساليبه،والجديد تحمله ريح التغيير القادمه من الغرب ، عاتية احيانا وهادئه احيانا اخرى .

نحن امام اسره فقيرة تعيش في غرفة واحده في حي من احياء لاجوس العمالية حيث ايقاع الحياه البطيء وصورها الشائهة المتآكله ، يموت الاب بعد عناء طويل من جراء جرح في ساقه كان قد عاد به من الحرب العالمية الثانية حيث حارب في صفوف الحلفاء ضد هتلر .. ومات من قبل جنود كثيرون « لا من قنابل هتلر وانما من سوء الحالة التي عاشوها اثناء القتال فاما ان ياكلهم الناموس في ادغال بورما او تلدغهم الافاعي في مياه الهند .»

المهم : مهر الولد !

وحاولت الاسرة والحي كل اشكال العلاج ومن بينها الصلاة ومع ذلك مات الرجل .. وكانت زوجته « مابلاكي » قد عادت الى « ابيوزا » مسقط راسها لتعالج بالوسائل الشعبيـة والصلوات والطقوس عجزها عن الحمل بعد ان عاد زوجها من الحرب ، فهي لم تحقق من الحياة سوى بولد واحد .. لان البنت « اكونا » عبء رغم ان ابوها حلم طويلا بمهرها قبل ان يموت ، والان يحلم امها بمهرها لتسم به تعليم الولد .. ولم تكن « اكونا » ومعنى اسمها « ثروة ابيها » .. « مجرد بنت وكفى ولكنها ايضا نحيفة جدا لدرجة تزعج والديها . »

في قلب الطقوس الشعبية الخاصة بالموت حيث يرقص الناس ويغنون وتقوم سيدة بانشاد فضائل الميت ، تنشا قضية ازدواج الثقافة والصراع مره اخرى بين القديم والجديد ، بين افريقيا والغرب، لا حول استخدام وسائل الحضاره ولكن حـول مكونـات الـروح الانسانيـة وتشكيلها وعلاقتهـا الميتافيزيقيه بالعالم .

« كان نانا وثنيا اولا ثم مسيحيا بعد ذلك .. وبعد ذلك كله اصبح وثنيا ومسيحيا معا .. هكذا كان من الصعب على اي منهم ان يتنبا الى اين هو ذاهب بعد الموت ، يصر المسيحيون انه سوف يذهب الى السماء بين السحب وبين الملائكه ويجلس على يمين الاله الحي لانه لم ينقطع ابدا عن الكنيسة . وكان ايضا مغنيا جيدا ، له صوت من طبقة التينور ، وعاش حياة متواضعة دون ان يؤذي احدا ، آدمي هاديء الطبع : اما رجال ابيوزا الذين جاءوا للعزاء فقالوا ان « نانا » ابن لواحد من عظماء العرافين ، وهم على يقين من ان ابوه يثوى هنالك في اعماق الارض ولا بد انه في انتظار ابنه الآن ومن ثم لا بد من تشييعه برقصة الى الجحيم ، الى الارض . وللجنازه الافريقيه طقوسها الحاره ورقصاتها وطبولها اما الجنازه الاوروبية فتحمل وقار عالم مرتب وبارد .. هكذا مات الاب « ودفن بنفس الطريقة التي عاش بها في صراع بين ثقافتين .»

وتعود الاسرة الى ابيوزا ليتخذ الصراع بين الثقافتين شكلا آخر اشد وطأة ، ففي ابيوزا مدارس اوروبية ومدارس خاصة ولكنها تحظى جميعا باحتقار الاهالي . « وسرعان مـا سـافلم نانادوا واكونا على الحياة في « ابيوزا » يتعلمان في المدارس الاوروبية طريقة الحياة الاوروبية ويعودان الى البيت ليواجها ما لا يحصى من التقاليد التي لا تتغير . وكانا كالسمك الذي وقع في شبكـه الصياد ، لا يقويان على العودة الى البحر ، فالشبكة محكمة ، ولكنهم احياء لان الصياد لم

نقرر بشانها شيء بعد ، وما زال يحاور نفسه حول ما اذا كان قتلهما وحملهما الى البيت يساوى العناء المطلوب ، يساوى اى شيء على الاطلاق خاصة وانهما ما زالا صغيرين جدا .. »

شباك التخلف والتقاليد

وليست الشباك التى تنصب حول الصغيرين هى شباك الفقر وحده وانما شباك التخلف والتقاليد الموروثه ، تلك التقاليد تطارد من تقاومها حتى الموت ، اما الموت المعنوى الذى يتحقق بالاستسلام الكامل او الموت الحقيقى الذى لاقته الجميلة « اكونا » وهى تضع طفلها الاول وبعد ان لاحقتها الرياح واللعنات التى اطلقها عمها .. وحين تموت الخارج على التقاليد تقول الناس « الم نحذر من قبل .. ما من احد يخرج على قوانين الارض ويبقى .. »

ورغم ان « اكونا » تعلم بحكم استشاره الطبيب اكثر من مره ان حملها يُواجه المصاعب بسبب سوء التغذية المزمن وصغر سنها وعدم نموها الجسدى الكافى لحمل الطفل ، الا انها تخضع لمعتقد ثابت هو ان لعنة الارض والقبيلة تلاحقها حتى الموت لانها تزوجت من سليل العبيد الذى احبته ولان عمها رفض ان يتسلم من اسرته مهرها .. وواظب على « دعوتها الى عبر الريح ! »

كان عمها قد تزوج من امها حين عادوا ، « وحين وصلت كانت رجال اسوزا لتقيموا لها كوخا خاصا تقضى به فتره الحداد وهى سبعة شهور قمرية .. لا تزور احدا ولا تستحم ولا تمشط شعرها ، عادة ما تقضي المرأة سبعة اشهر من الحداد فقط ولكن زوجها كان قد قص لنفسه خصلة من شعرها واحتفظ لنفسه بها ، وبما انه فعل ذلك عليها ان تبقى فى الحداد سبعة اشهر . واذا ماتت فى نهايتها كانت هى المسؤولة عن موت زوجها اما اذا لم تمت اكتسبت الحق فى ان تعيش حياتها .. »

وعاشت « مابلاكى » لتصبح الزوجة الرابعة وفقا لتقاليد الارض، وهى تقاليد لا ترتبط بالاسلام على عكس ما هو شائع وانما يمارسها المسيحيون والمسلمون والوثنيون . وكان على « اوكونكو » العم ان يرعاها هى واطفالها وهو ايضا يراعى التقاليد ولكن امام حاجته الملحة وشهوته الجامحة لتحصل على منصب « أوبى » أو شيخ القبيلة يتنازل عن التقاليد حين يوافق على تعليم ابنته «اكونا» على امل ان تزوجها لرجل ثرى ممن يحبون الفتيات المتعلمات فيدفع لها مهرا عاليا يستخدمه هو فى الحصول على لقب «ازى» . فمن اجل هذا اللقب لا بد ان يقدم تضحية كبيره للالهه وحينئذ يعطونه الوشاح الاحمر الذى يرتديه الشيوخ ، وفى هذه المناسبة تقام الولائم وتقدم انواع المأكولات الفاخره ، فى الماضي كان لا بد من ذبح احد العبيد لتدشين الاحتفال الباذخ . ولكن الام التى قاومت اخراج البنت من مدرستها كانت هى الاخرى فى حاجه الى مهرها حتى يتعلم ابنها وتحقق لها ولنفسه مكانا فى العالم ، اما اكونا نفسها فلم تكن تمانع فى الزواج من رجل غنى حتى يتعلم اخوها بمهرها فهى مع الغنى « سوف تجد ما تاكله كل يوم على الاقل وبصوره منتظمه » ولكنها تلتقى باستاذها سليل العبيد « تشايك » وتنشأ بينهما قصه حب عنيف تذكرنا كثيرا بهذه العوده الرومانسيه المعاصره للتنويع على قصه « روميو وجوليت » حيث يستعصي الحب على التحقق وسط غابة التقاليد والاعراف والصراعات .

عن مقاومة الحب

مقاومه الحب وكسره هنا مليئه بالصخب والاشباح ، بالارواح والسحر ، بالنار ودقات الطبول والادعيه ، انها باختصار مقاومه افريقيه تحمل كل سمات القاره وخصوصيه ثقافتها وقيمها .

من عادات « ابيوزا » ان ياتى شباب الحى او القريــة ويدخلــوا الــى أكــواخ الفتيــات اللاتى وصلن ســن البلــوغ وياخــذوا فــى شــد أثــداء الفتيــات بطريقــة صبيانيــة حتى يشعرن بالالم، ويحدث ذلك فى حضور الاهل، وعلى الفتاه ان تحمى نفسها دون ان تظهر استياء ودون ان تسمح لفتاها بالتوغل ، ويحدث احيانا ان يتزوج الغنى من رفيقة لعبة المراهقة ، ولكن عادة ما تكون الغنى العاشق اصغر من ان يوفر المهر ، والفتاة العاشقة اضعف من ان تدافع عن اختيارها فيعرفا الحسره ويملىء الولد مراره وهو يرى فتاته تزف الى رجل فى سن ابيها لانه قادر على توفير مهرها ، ولا يدرى هؤلاء العجائز

فيما بعد « نصف الاطفال الذين يولدون ويحملون اسماءهم ليسوا اطفالهم وعادة ما يوجه اللوم الى الفتاة .. »

ولكن لعبة المراهقة التى مارسها « اوكوبوش » رفيق دراسة « اكونا » معها لم تكن الا لعبة من طرف واحد فهى لا تحبه ولا تنوى ان تتزوج سوى « تشايك » . تربت اسره « اوكوبوش » كمينا لخطف الفتاه من كوخ للرقص تتدرب فيه الفتيات استعدادا لاحتفال من احتفالات البلده العديدة ، وتخطف الفتاة اثر هجمة وحشية على الكوخ وتؤخذ عنوه الى « بيتها » كما تقول حماتها بعد ذلك . ويقوم « تشايك » بتدبير خطة حرب مضاده بعد ان يستنفد كل وسائل الضغط التى تملكها الاسره بما لها حتى يتزوج من صبيته .

بينما تحرص اسره « تشايك » ـ ذلك الفتى الهادىء الجميل الذى ورث رزانة ام تبدو كراهيته ـ على توفير السعاده له وتبذل جهودا لاقناع اسره وابنه بالموافقة على الزواج تقاوم من ناحيه اخرى طموحه لدراسة علم الاجتماع ، او بمعنى اصح لنقد المجتمع القائم وتعريته ..

«حدق تشايك فى الحيطان المطليه باللون الابيض والتى علقت عليها صور كثيره لرجال الاسره ، وقد راى هذه الصور مرات عديده من قبل ، ولكن فى هذا المساء فقط كانت اكبر مما هى فى الحياه، كان ابوه يريده ان يصبح طبيبا او محاميا او مهندسا وهى المهن المتعارف عليها بين الصفوه النيجيرية ، كان من الطبيعى ان يشير الاب ويقول هذا ابنى المحامى ، او ابنى الطبيب او ابنى المهندس .. ولكن من ذا الذى سمع انسانا يسمع بقواه العقليه يقول بفخر .. هذا ابنى الاخصائى الاجتماعى .. »

وهكذا نجد اسرة العبيد هى الاخرى تقاوم التقاليد التى تقف فى طريق سعادتها ولكنها ترفض بصورة حاسمة ، بنفس القوه التى فجرتها « اوفولو » فى وجه ابنه « تشايك » رافضا فكره دراسة المجتمع ـ ان تخرج هى نفسها على القيم المتعارف عليها بين ابناء الطبقة الوسطى .. قيم النجاح ومعناه والثروة وما تمثله من نفوذ اجتماعى وقدرة خاصة على تحقيق الطموح .

وقامت الدنيا !

قامت الدنيا فى ابيوزا وفى بيت « اوكوبوش » و « اوكونكو » . رفض « اوكونكو » عمها ان يقبض مهرها الذى قدمه حماها اكثر من مرة ، بل ان العم انهارت قواه وتدهورت صحته . فالعمل المنكر الذى ارتكبته ابنة اخيه سوف يؤثر عليه وعلى اسرته المباشرة ، خاصة وقد اطلق « اوكوبوش » واسرته حدوتة من البلدة تقول ان الصغير العاشق والزوج المخدوع نجح فى قص خصلة من شعر « اكونا » قبل ان تهرب وهو ما لا بد طبقا للتقاليد ان تلحق باسرتها الاذى ، اما اذا لم تستلم اهلها مهرها فسوف تموت لدى الولادة الاولى .. وخرج « اوكونكو » فى حالة من حالات الهستيريا المحمومه وذهب الى كوخ « مابلاكى » زوجته الاخيره وكشف عن ظهره « فحين يطلق الرجل زوجته او يتركها فانه يعرى ظهره لها على الملأ » ثم اخذ فى صنع عروسة لها ملامح « كونا » ووضعها امامه واخذ يتلو تعاويذه ، لانك « اذا اردت التخلص من انسان يعيش فى مكان آخر فانك تصنع عروسه على شاكلته تماما وتصنع فى قلبها ثقبا بالابره وتشعل فيها النار وتدعها تحترق بالتدريج .. وكان واضحا ان هذه الطريقة تؤتى مفعولا دون ان يعرف الناس كيف .. »

وكانت الزوجات الاخريات للعم الذى تحطمت كل احلامه يشعرن بالغيرة تجاه الزوجة الجديده التى خبرت حياه المدينه . ومن باب الحسد اخذت زوجته الاولى وام اولاده الكبار تفتش عن العيوب والخفايا فى تكوين «اكونا» ذات العينين الساحرتين واكتشفت فيها «اوجبانجى» أى ذلك الكائن الحى الميت الذى يحمل موته معه اثناء الحياة القصيره، ويطلقون هذه الصفة على الكائنات البشرية الهادئة التى نادرا ما تتكلم ، وجميعهن لابد ان يواجهن الموت المبكر مع ولادة الطفل الاول .

وهكذا تكاتف الزمن والارث والخرافة وسوء التغذيه لتقدم كلها « اكونا » ومصيرها الحزين كشهاده لا تقبل الجدل على صيحة هذا العالم الغريب وصواب خطاه .

ويتوغل هذا العالم فى ضمير الفتاه حتى انها تحمل احساسا عميقا لا يفارقها بالذنب والخطيئة،

وهو احساس يطاردها بقسوة فى ايام الحمل الاخيرة التى قضتها فى مدينة بعيده عن اسرتها حيث يعمل زوجها ، واخذت الريح تناديها ، وفى الوحدة يتراكم حولها عالمها القديم ويهددها صوت عمها الذى رفض المهر ، وصورة امها المهجوره التى تدافع عنها بصمت ، وكما ان اهالى ابيوزا « يمتلكون ما يمكن ان تسميه العلماء العقل الجماعى اذ يساعدون بعضهم البعض فى المتاعب وعند الحاجة » . فانهم يتكاتفون ايضا للتصدى لكل خارج على قانون الارض .. وفى تصديهم الوحشي يفقد عالم السحر والطقوس والاشباح طزاجته ليصبح ثقل الوطأة خانقا حين تنتهى قصة الحب نهاية ماساويه .

النساء .. والعبيد

وكما يضع هذا العالم العبيد فى خانة لا يجوز لهم الخروج عليها كذلك يضع النساء ، تحبط « اكونا » فى هذه الروايه جوقه من الزوجات الصغيرات التعسات والزوجات العجائز المهجورات ، وصحيح ان قسوه الحياه تمس كذلك اعتى الرجال الا انها تخص النساء بنصيب وافر ، وهو النصيب الذى يتقبلنه دون تساؤل « فذلك هو قدرنا نحن النســاء وما مــن شيء يمكن ان نفعله لنغيره علينا فحسب ان نتعلم كيف نقبله » هكذا تقول زوجه زفت الى رجل عجوز اما اكونا فتجلس على الحصيره « وقد اخفت ساقيها كما ينبغى للفتاه الحسنه التربية ان تفعل » . وهل تحظى بحب عدد من زملائها فى مدرسه ابيوزا لانها عاجزه عديمه الحيله فقدت القدرة على التصرف وحدها وهى دائما تنتظر من يقرر لها مصيرها ، يطاردها الخوف والسم والتعاسة والحب المحبط « كان تشايك يغرق تدريجيا فى حب تلميذته الصغيرة دون ان يدرك ذلك ، كان عاجزا عن وقف تدفق مشاعره وفيضانها .. لم ير فى حياته فتاة عاجزة مثلها ، فاقدة الثقة الى هذا الحد وخائفة الى هذا الحد من اهلها .. » وتعانى امها البشوشة الحية ذات العينين المتسائلتين والقلب الجسور ــ من الهجران والوحدة وتبقى فى كوخها انتظارا لمصير غامض ولموت ابنتها بفعل نداءات الريح ، صحيح انها تتسلل بليل لتسرق الدمية التى صنعها «اوكونكو» على هيئة « اكونا » الا انه يصنع واحده اخرى وتعجز هى عن اختراق عالمه من جديد فلم تعد لها مكان فيه ، كذلك تنظر بقية الزوجات لكل الرجال الذين يتحركون عبر فصول هذه الروايه سواء كانت هاته الزوجات صبايا او عجائز ، ويغرقن جميعا فى اشكال من الطقوس والسحر لمواجهه التعاسه المحدقه ولخلق عالم خاص بهن .

تموت « اكونا » وهى على يقين رغم القشره الثقافية الاوروبية الخارجيه انها ماتت لان مهرها لم يدفع ولانها ارتكبت فحشا ، وبذلك يعلن فشلها الكامل فى الخروج وحدها على كافة التقاليد والاعراف ، فهى لم تحقق خلاصها ولم تنج من العقاب ، لان محاوله خلاصها لم تشد معها العالم الذى يكبلها واستطاع هو ــ على العكس ــ ان شدها اليه .

وتقوم بناء الرواية على تداخل بسيط ومفتوح بين كل مستوياتها فى اطار سرد تاريخى مسلسل للوقائع دون ان يفقد هذا السرد قدرته على الايحاء الشعرى الهادىء الذى تخدم الروايه من اسر رؤية عالم الاجتماع الذى هو المؤلفة ..

والذى جعل فصول الرواية العشرة تحمل عناوين من قبيل « التقاليد » .. « العبيد » .. « نوع من الزواج » .. الخ ولكنها فى نفس الوقت تفصح عن هذه القدرة الفنية على الارتقاء فوق التفاصيل الصغيره واليوميه لاستخلاص نوع من الحكمه العامه او الشمول الذى تجمع اطراف الحقائق المتناثره هنا وهناك ، كانت « اكونا » تجلس الى حبيبها « تشايك » على حافه النهر ..

« وبالقرب من موقع اقدامهما كانت هنـــاك مجموعة من طوابير النمل البنية تشق طريقهـا فى حفره ضيقه ، واستغرق كل منهما صامتا فى مراقبة الخط المستقيم الذى يصفه النمل ، ولم تنحرف نمله واحده عن الطريق الرئيسى وتابعت كلها نفس الطريق واحده تلو الاخرى وكما لو انها تخضع لاوامر قوة خفية . وحين تساءلت لماذا تتبع كل منهما الاخرى بهذه الصورة قال لها : لان كل واحده منهن سوف تضيع اذا لم تتبع خطوات التى سبقتها ومشين فى نفس الطريق .. »

ولكن « اكونا » الصغيرة خرجت على طريق الجماعة القديم بكل ما فيه من مشقه وتعاسه وكان لا بد ان تلقى هذا المصير لانها وحيدة . ■■

فريدة النقاش

في دولة الامارات :

التاريخ
محفوظاً في قلعة !

بقلم : مصطفى نبيل



في أبو ظبي كان اول ما حرصت عليه زيارة مركز الوثائق والمخطوطات لدولة الامارات . فأقصر طريق للوصول الى قلب اي بلد هو التعرف على تاريخه ، واكتشاف سماته الخاصة مما يجعل الزائر اكثر فهما لمسار التجربة من حوله ، كما يلقي الماضي ضوءا ساطعا على خطى المستقبل .

يقوم مركز الوثائق داخل حصن منيع بل داخل قلعة حربية بأبراجها ومزاغلها وطراز عمارتها الذي يعود الى القرون الوسطى . ولا يزال الجنود بملابسهم العسكرية واسلحتهم حول القلعة يحرسونها ، وكأنهم يحرسون قطعة من التاريخ . وتتزايد أهمية هذا المركز ويتنامى دوره مع تلاحق التطورات التي تشهدها دولة الامارات بعد الاستقلال الذي لم يمض عليه سوى سبع سنوات ، والذي صاحبه عملية رصد يقظة تحصي على دول الخليج حتى انفاسها ، وتراقب عن كثب الاحداث التي تمر بها ...

واليوم تتحرك دولة الامارات العربية في اتجاهين ، احدهما حركة بناء سريعة واسعة تعوضها خلالها مافات ، والآخر في اتجاه « البحث عن الذات » ، وتأكيد الهوية القومية اي بمعنى آخر التعرف على التاريخ وقراءته بعيون مفتوحة ، من اجل مجابهة المخاطر باستخلاص قوانين حركة التاريخ ، ومعرفة دروس الماضي وعبره ...

وتحفل المخطوطات والوثائق بالصور العديدة للصراع المحموم للقوى الاجنبية من اجل السيطرة على منطقة الخليج ، وتكشف اهميته الاستراتيجية حتى قبل ظهور البترول ، وتسجل الصراع الذي دار حول مضيق هرمز بوابة الخليج الذي يتحكم في الذراع الممتدة من المحيط الهندي الى الخليج العربي ، في منطقة تمثل نقطة اتصال لخطوط التجارة بين الدول الغربية واسواقها في الهند وفارس وما وراءها ، وتتابع ما اعقب ذلك من تنافس حاد للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط بعد ما تبينت دول العالم ان مياه الخليج ترقد فوق بحيرة من الذهب الاسود .

ويقوم المركز على جهود طويلة في تقصي المخطوطات ، سواء المودع منها في خزائن عامة او خاصة ، ليكون منبعا للمؤرخ الذي يود الكتابة عن اية حقبة من حقب التاريخ ، والبحث عن الوثائق الموزعة في العديد من عواصم العالم ، واذا كانت نقطة البداية للمؤرخ في المنطقة ذاتها الا ان خطاه تطوف في وثائق اسبانيا والبرتغال وهولندا وبريطانيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية ، وايضا كل من بغداد والقاهرة واسطنبول ، وبعد جمع خيوط التاريخ تبدأ عملية كشف خفاياه واسراره ، وليست هذه المصادر العديدة سواء من حيث اهميتها وحيادها ، وبعدها عن التحيز او التعصب ، ودور المؤرخ والباحث ان يحقق هذه الوثائق ، وينطقها ما لم تقله صراحة ، ويقارن بينها ، ودور جمع الوثائق والمخطوطات وتبويبها هو دور يشبه الصناعة الثقيلة في كتابة التاريخ . ولم يعد الباحث اليوم بامكانياته الفردية قادرا على أن يتعقب المصادر المتباينة المتباعدة ، ويستطيع ذلك مراكز البحث التاريخي ذات الامكانيات الفخمة والميزانيات المناسبة .

تعدد مراكز التاريخ

وقد ظهر عدد كبير من مراكز البحث التاريخي جميعها معنية بالوثائق والمخطوطات في مرحلة الاستقلال

في اكثر من دولة خليجية ، وقامت المجلات المتخصصة وعقدت الندوات والمؤتمرات ، والتي كان آخرها الندوة العالمية الثالثة لمركز دراسات الخليج بجامعة البصرة ، واصبحت حاجة ملحة لتجميع المذكرات والقرارات ثم الوثائق والمخطوطات ذات الاهمية التاريخية .

وجاء التعدد واتساع نشاط هذه الدراسات ، بعد ان كانت المنطقة لفترة محل دراسات واسعة من منظور غربي ، فمثلا كانت اكبر موسوعة عن دول الخليج هي تلك التي كتبها « لوريمر » Lorimer والتي جاءت بعد رحلة وزير الخارجية البريطاني اللورد كيزوف للمنطقة عام ١٩٠٣ ، والذي كلف على اثرها عددا من الباحثين باعداد مسح جغرافي وتاريخي وسكاني لمنطقة الخليج . وبالفعل صدر كتاب لوريمر عام ١٩١٤ كمجهود جماعي للمؤسسات البريطانية ، ويشمل المعلومات التي توفرت لوزارة الخارجية البريطانية ، ولم يترك المؤلف مصدرا علميا الا واستفاد منه ، واطلع ايضا على التقارير التي كتبها المعتمدون البريطانيون ورؤساء الوكالات التجارية ، وعلى المعلومات السرية . وافرد جانبا من كتابه للخلافات القبلية والطائفية لتوظفها السياسة البريطانية لخدمة مصالحها ، وكان من الطبيعي ان يطلق على المدافعين عن اوطانهم لفظ القراصنة ، وكان منطقيا مع هدف السياسة البريطانية اضعاف الكيانات السياسة في المنطقة والتعامل مع الصراعات القديمة كأنها قدر لا خلاص منه ، ولم يسمح بتوزيع هذا الكتاب سوى عام ١٩٦٠ ، اي بعد مضي ٥٠ عاما على صدوره ، وبعد ان انتفت عنه ـ مثل الوثائق ـ صفة السرية ، اما اليوم وبعد حصول دول الخليج على استقلالها ، فقد بدت في الأفق مهمة بالغة الاهمية ، وهي كتابة تاريخ المنطقة بموضوعية كاملة ، ومن منظور وطني خالص .

زرت الحصن الذي تحول الى قلعة للتاريخ ، والذي يعمل فيه عدد من الباحثين في التاريخ وخبراء في اللغات المختلفة ، فالوثائق التي يحتاجها المركز موزعة على المصادر واللغات المختلفة ، وبعض هذه الوثائق متاح ومبوب يسهل الاطلاع عليه وتصويره ، ومنها ما يحتاج الى مجهود شاق ، فمثلا هناك صعوبة بالغة في الحصول على الوثائق العثمانية القابعة في اسطنبول التي لم يهتم احد بتبويبها ، والتي تحتاج الى بحث مضن في الملفات المختلفة ، وتقوم اليوم البعثات الدبلوماسية والمكاتب الثقافية بدور بارز في تجميع الوثائق التي تتعلق بدول الخليج ، والتي يقوم المركز بترجمتها وتبويبها ، وما زالت مرحلة فتح ابواب المركز للدارسين لم تحن بعد ... !

اما المراكز العلمية لمتابعة دراسات الخليج فهي :

- مجلة دراسات الخليج ، والجزيرة العربية ، الكويت .
- مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة .
- لجنة كتابة تاريخ قطر ، الدوحة .
- مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء .
- والمركز التي تحولت والتقيت بالمشرفين عليه ، مركز الوثائق والمخطوطات ، ابو ظبي .

وذلك علاوة على أقسام التاريخ في الجامعات العربية المختلفة . وكان من الضروري تنسيق العمل بين هذه المراكز على أساس التكامل بدلا من التكرار ، وبالفعل أقيمت أمانة عامة دائمة لكل هذه المراكز ، تولاها مدير مركز البصرة الدكتور مصطفى النجار ، تتولى تنسيق النشاط بين المراكز المتعددة ، وتنظيم تبادل الوثائق بين هذه المراكز ، واعداد المشروعات المشتركة .

وقد بدأ التنسيق بين هذه المراكز بعقد عدد من الاجتماعات لبحث القضايا المشتركة ، وعقد اول اجتماع عام ١٩٧٦ بجامعة البصرة ، والثاني عام ١٩٧٧ بجامعة الكويت ، والثالث في مركز البحوث اليمنية ، والرابع في شهر نوفمبر الحالي في ابوظبي .

انتشار وثائق الخليج !

وغني عن البيان ان عدد « ارشيفات » الخليج في العواصم المختلفة يعود الى مرحلة المد الاستعماري والصراع الدولي للسيطرة على المناطق الاستراتيجية ، والتي تبدأ عادة بالممرات الدولية والتخوم والثغور الهامة ، والتي بدأت بعد اكتشاف البرتغال طريق الهند في مطلع القرن السادس عشر وبالتحديد في عام ١٥٠٨

عندما احتلت القوات البرتغالية هرمز ثم استولوا على بقية اجزاء الخليج يقيمون حصونهم التي ما زالت قائمة حتى اليوم ، وظل الاستعمار البرتغالي اكثر من مائة وخمسين عاما .

وانتهى الاستعمار البرتغالي الى الافول بعد صراع عنيف بين البرتغال وهولندا وبريطانيا ، وادى هذا الصراع الى اشعال نار الحرب في اوروبا بين بريطانيا وهولندا والتي دامت عامين ، استمرت خلالها الحرب سجالا بين الطرفين وفي العقود الاخيرة من القرن السابع عشر برز منافس جديد هو الاستعمار الفرنسي ، والذي ادى الى استمرار الصراع بين البريطانيين والهولنديين

والفرنسيين ، وتمكنت بريطانيا من الخروج ظافرة ، وقبل ان ينتصف القرن التاسع عشر كانت بريطانيا هي القوة المسيطرة الوحيدة في منطقة الخليج ، واستمر الانجليز في المنطقة اطول فترة من عام ١٦١٦ وحتى عام ١٩٧١ اي ثلاثة قرون ونصف قرن .

أما الاهتمام الفرنسي بمنطقة الخليج فقد ظهر عندما لجأت عمان في أواخر القرن التاسع عشر الى اقامة علاقات تجارية واقتصادية مع فرنسا . وأوفدت فرنسا ممثلين تجاريين وقناصل كلفوا باعداد الاتفاقيات ومعاهدات الصداقة بين البلدين .

وتعتبر الوثائق المصورة ـ على افلام ـ والمحفوظة في سجلات الشئون الخارجية في باريس ، ذات اهمية كبيرة ، وتقدم مادة حية ، وترصد هذه الوثائق الصراع الذي دار بين فرنسا ، وانجلترا في الفترة التي احتل فيها نابليون بونابرت مصر ، عندما فر القنصل الفرنسي في حلب ، وبعث نابليون الى سلطان مسقط الكتاب التالي :

« اكتب اليكم هذا الكتاب لابلغكم ، ما شك انكم عرفتموه ، وهو وصول الجيش الفرنسي الى مصر . ولما كنتم اصدقاء لنا فعليكم ان تدركوا رغبتي في حماية جميع السفن لدولتكم ، عليكم ان ترسلوها الى السويس والتي ستلقى حماية لتجارتها » .

وقد حصل المركز في ابوظبي على جميع الوثائق الفرنسية .



لقطة من داخل مركز الوثائق ..

اما الالمان فقد بدأ اهتمامهم بالخليج منذ مشروع سكة حديد بغداد ، والذي كان مقررا ان ينتهي في منطقة كاظمة في الكويت عام ١٨٩٨ ، ويحفل الارشيف الالماني بالمادة التاريخية عن الكويت .

اما الارشيف العثماني فيحفل بمادة غزيرة حول الصراع العثماني مع الحركة الوهابية ، والصراع العثماني البريطاني وايضا تقارير تتعلق بالصراع العثماني الفارسي .

شركة الهند الشرقية

وتحفل محفوظات « دور السجلات الهندية » بوثائق هامة حول العراق ودول الخليج والجزيرة العربية والتي تتناول فترة تناهز قرونا ثلاثة ، وتكشف هذه الوثائق الدور الذي قامت به شركة الهند الشرقية ابتداء من عام ١٦٠٠ ، وتكشف وثائق شركة الهند الشرقية ذلك

التدخل المعيب بين التبادل التجاري الذي يفترض ان يوثق العلاقات بين الشعوب ، وأساليب الاستغلال والابتزاز ولعبة القوة التي مارستها شركة الهند الشرقية ، والتي تحولت بفضل أرباحها الى أخطبوط استعماري يسيطر على المنطقة بأكملها . وقصة هذه الشركة هي ذاتها قصة النهب الاستعماري ، فقد بدأت في بندر عباس ثم نقلت الى البصرة . وتكشف وثائقها تلك الطرق الملتوية التي اتبعتها ، وكيف كانت القوات البريطانية ووزارة الحرب والخارجية في خدمة اهدافها وتوسعها السياسي والتجاري ..

يقول جوف كارلوف في كتابه : الخليج « الفارسي » في القرن الثاني عشر . « منحت الحكومة البريطانية عقدا اعطت بموجبه شركة الهند الشرقية جزيرة بومباي ، مع حق انشاء قوة تابعة لها وممارسة الادارة المدنية فيها ، وبدأ التغير في وضع الشركة فتبدل من كونه تجمعا لعدد من التجار الى ادارة تابعة للتاج ، وفي نفس الوقت نقل مركز الشركة في الشرق من سوارت الى بومباي . وازداد مركز الشركة ونفوذها بعد دمجها مع عدد من الشركات البريطانية الاخرى التي كانت تتاجر مع الشرق ، وقوي مركزها السياسي بعد ايفاد سفير بريطاني الى بلاط المغول ، واصبح تحت تصرف شركة تجارية قوة عسكرية تتحرك لحماية مصالحها وتقاتل لتحقيق اهدافها ... »

والرسالة التي وجهت من الشركة الى الادميرال نلسون قائد الاسطول البريطاني عقب انتصاره على القوات الفرنسية في موقعة أبي قير عام ١٧٩٨ ، تكشف حجم الدور الذي تقوم به . تقول هذه الرسالة : « ان مجلس الادارة قرر بالاجماع ، تعبيرا عن عظيم تقديره للمنافع العظيمة المترتبة على انتصاره في موقعة أبي قير ، الذي يعود الفضل فيه للقيادة المجيدة التي ابداها في تلك الموقعة ، ان يطلب اليه قبول مبلغ عشرة الآف جنيه .. » وضمن وثائقها تقارير سياسية حول القبائل ومنازعاتها ...

وما زالت وثائق شركة الهند الشرقية في الارشيف الوطني الهندي المركزي في نيودلهي ، والذي يعد اكبر مستودع للوثائق في آسيا ، والذي يضم عددا من وثائق شركة الهند الشرقية ، وتقارير الحكومة البريطانية التي تعود الى عام ١٧٤٨ ...

وفي لقاء مع الدكتور مرسي عبد الله مدير مركز الوثائق والمخطوطات في دولة الامارات قال : « فيما يتعلق بدولة الامارات فان الارشيف منظم من عام ١٦٠٠ وحتى عام ١٩٤٧ وهو العام الذي استقلت فيه الهند ، وعندما كان يتولى شئون الخليج حكومة في بومباي التي كان لها ممثلون في الخليج على رأسهم المقيم السياسي العام الذي يخضع له ممثلون للحكومة في البصرة والكويت والبحرين والشارقة ومسقط ، وتتجمع التقارير والمراسلات في بومباي ويرسل نسخا منها الى كلكتا ثم الى دلهي فيما بعد ، وهناك صور من هذه المراسلات في مكتب الرئاسة بلندن ، فيما كان يعرف بمكتب حكومة الهند وعلى الدارس لدول الخليج ان يزور هذه الاماكن الرئيسية التي تتكدس بها أوراق حكومة الهند وهي لندن وبومباي ونيودلهي وكلكتا ... »

ويضيف : واحداث الخليج وبالذات في تاريخها القريب ما زالت تحتاج الى جهود المؤرخين ، واهم هذه الاحداث الثورة العمانية ، وامتداد الشعور القومي الى الخليج العربي ، وحصول دوله على الاستقلال ... »

وتحدث عن نشاط المركز فقال منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات أقيمت لجنة عليا لتراث وتاريخ دولة الامارات العربية ، وبدأ نشاط مركز الوثائق في غرفة صغيرة عام ١٩٦٨ بالديوان الاميري ، سريعا ما تطورت لتشغل العديد من غرف القلعة القديمة ، ويشرف على هذا المركز وزير خارجية دولة الامارات السيد احمد خليفة السويدي ... »

وبقيت وثائق الولايات المتحدة الامريكية ، التي كان اول اتصال لها بالخليج عام ١٨٣٣ ، عندما عقدت مع سلطات مسقط معاهدة مودة وتجارة ، يقول المؤرخ الامريكي هيروتيز .. « انه حتى الحرب العالمية الثانية عندما اصبحت الولايات المتحدة مرتبطة اعمق الارتباط بالشرق الاوسط كانت الحكومة تعتبر المنطقة بريطانية من جانب المسئولية السياسية والاستراتيجية » وبعد الحرب خاضت الدبلوماسية الامريكية معركة عنيفة من اجل تطبيق سياسة الباب المفتوح والحصول على نصيب

من امتيازات التنقيب ، واستطاع الامريكيون الحصول من بريطانيا على تسهيلات لرسو اسطولها في « الجفير » بالبحرين عام ١٩٤٩ ، والمتوفر في الولايات المتحدة من الدراسات اكثر من الوثائق ...

قبل الهروب الى الامام ... !

ولكي لا يكون جهد المراكز التاريخية مقصورا على جمع الوثائق ، ولكي لا يكون مثل الهروب الى الامام فمن الضروري أن يسبق أو حتى يواكب البحث في وثائق وأرشيفات عواصم العالم الاهتمام بما تبقى في المنطقة ذاتها من التاريخ ، بالوصول الى القرارات والمذكرات والمراسلات الموزعة على العديد من الدوائر الحكومية ، وفي الأوراق الخاصة . فلم يعد مستساغا بقاء المخطوطات الهامة بلا طباعة أو نشر ، بل وتحتفظ الجامعات الاجنبية بمخطوطات لم يتم تصويرها وتوفيرها للدارسين مثل كتاب « الفتح المبين في سيرة البورسعيديين » الموجود في مكتبة جامعة كمبردج ، وايضا مخطوط « الكشف والبيان » لمحمد بن سعيد الازدي ، والمخطوطة في المتحف البريطاني كما يوجد العديد من المخطوطات في المكتبات الخاصة وتحتاج الى عمل منظم لتجميعها وطبعها . .

وبقي مصدر هام ينبغي الاهتمام به قبل فوات الأوان ، وهو جمع مذكرات الشخصيات التي كانت اطرافا في أحداث تاريخية وما أسهل أن تقوم المراكز المعنية بتنظيم عدد من اللقاءات وتسجلها على أشرطة .

وهذه كلها جهود ضرورية للبحث التاريخي الجاد ، القائم على نظرةمحايدة وموضوعية . وهي الطريق الذي يجعل مراكز التاريخ تقوم بدورها الريادى الذي يشبه مثلا الجمعية التاريخية الفرنسية التي تحيي على الدوام شعور الشعب الفرنسي بتاريخه وثقافته ودوره .

ان من أكثر الكتابات جاذبية للقارىء هي الكتابات التاريخية التي تنقل صورا لحياة السابقين او تلك التي تروى ما كان يجرى سرا في دهاليز القصور ، أو أن تكشف وثيقة جديدة جانبا خافيا أو رؤية جديدة لأحداث قديمة . ورغم هذه الاغراءات فسأكتفي بنظرة عامة على بعض هذه الوثائق على درب الجهد المبذول في اتجاه الكشف عن الذات والغوص في التاريخ من اجل صياغة المستقبل .

وثائق تؤكد وحدة دول الخليج ، وعمق العلاقات بين سكانه ، وان كل الامارات تتغذى على احتياطي بشرى واحد من قبائل شرق الجزيرة العربية ، وتكشف تفاعل سكان الخليج على الدوام مع الاحداث العربية وجهادهم الدائم للتخلص من السيطرة الاستعمارية .

وقدم مدير مركزابو ظبي وثيقة يعود تاريخها الى عام ١٩١٠ ، عندما حاصرت البحرية البريطانية ساحل دبي لمدة خمسة أعوام كاملة ، ووصول السلاح الى الأهالي رغم الحصار ونشوب معركة « ديره » بين الأهالي والقوات البريطانية ، جاء ذلك في أحد التقارير البريطانية التي أرجعت هذه الأحداث الى تأثيرات كل من جريدتي اللواء والمؤيد المصريتين ، والتي كانت تصل الى دبي على البواخر القادمة من السويس ، ويذكر التقرير أن الشعور الوطني ناتج عن أقوال مصطفى كامل وحملته على الاستعمار البريطاني بعد حادث دنشواي المعروف .

وتكشف الوثائق أيضا أصول خلافات الحدود ، وما أثارته السياسة البريطانية من تنافس بين زعامات المنطقة ، من أجل مجابهة المشيخات كل على حدة ، وتكشف الأوراق البريطانية كيف استهدفت عزل دول الخليج عن العالم الخارجي ، جاء على لسان بالمرستون وزير خارجية بريطانيا عام ١٨٣٨ : « ان مهمتنا في الخليج الفارسي هو وضعه تحت سيطرتها البحرية بعيدا عن نفوذ أية دولة تستطيع منازعتنا لهذه السيطرة ... » كما عمدت السياسة البريطانية الى اغلاق المنطقة وعزل سكان الخليج عن بقية امتها العربية ... !

وبعد ..
امام مراكز المخطوطات والوثائق المنتشرة في المنطقة مهمة قومية تنتظر الانجاز ، وهي تستحق كل ما يبذل فيها من جهد ، فهي تكشف الكثير من الحقائق التي تعيشها المنطقة حتى اليوم ، وتلقي الضوء على أساليب ما زالت تستخدم حتى الآن ، فما زالت المنطقة تواجه ذات الاخطار القديمة بأردية جديدة . ■■

ابو ظبي ـ مصطفى نبيل

مشكلتك مع

الصداع النصفي

بقلم : الدكتور محمد ابو شوك

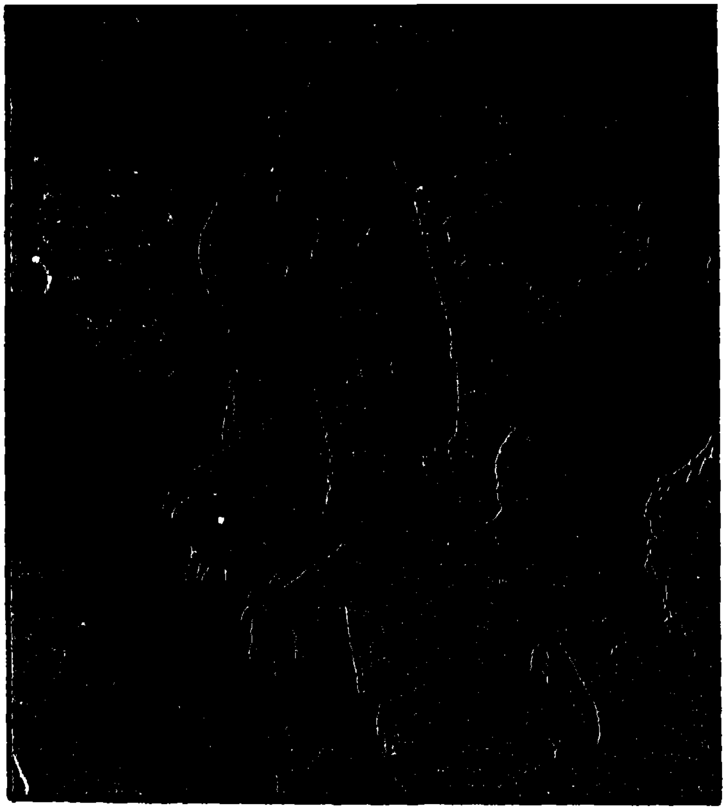
مما لا شك فيه ان الصداع النصفي او « مرض الشقيقة » MIGRAIN يزداد يوما بعد يوم ، وذلك يرجع الى عوامل عدة جديدة ظهرت في حياة الانسان ادت الى ظهور المرض او جعلت منه اكثر استعدادا لحدوث النوبات .

والمرض قديم فلقد قيل ان النمرود الملك في عهد سيدنا ابراهيم ابي الانبياء كان يعاني منه ، وبرغم هذا القدم ما زال العلم يبحث ويستكشف كل يوم عن بعض ما خفي من اسرار هذا المرض وما زال السبب المباشر لحدوثه بعيد المنال رغم تقدم الابحاث العلمية الحديثة . وكمثله من الامراض التي لم يكتشف لها مسبب مباشر ، وضعت النظريات والابحاث التي تساعد على حدوث المرض ، وكانت متشعبة وعديدة مما جعل طرق علاجه متشعبة كذلك ، دون ايجاد علاج قاطع له . وما هي الا امنية يسوقها كل مريض عندما يرى طبيبه « اريد علاجا قاطعا لا ارى المرض بعده » ويقف الطبيب حائرا وانّى له ذلك !!

متى يقال للمصاب عنده مرض الشقيقة ؟

يطلق مرض الشقيقة على حالات الصداع النصفي التي تصيب الاشخاص في سن الطفولة او سن المراهقة ، ويكون وراثيا في حوالي ٨٠٪ من الحالات ـ يسبق هذا الصداع « زغللة في العين وظهور خيوط ضوئية ملتوية سرعان ما تتقطع ثم تحجب الرؤيا لثوان . وعندما تعود الرؤيا للعين يصحبها الصداع الذي يكون خفيفا في بادىء الامر ، ولكن سرعان ما تزداد حدته تدريجيا الى ان يعم نصف الرأس وفي هذه الحالة يكون المصاب شاحب اللون ، يظهر عليه الاعياء الشديد وينفر من الضوء ، والضوضاء ، ويجب ان يخلد الى الراحة والسكينة في غرفة هادئة مظلمة حتى تأخذه سنة من النوم يقوم بعدها معافى ، وفي بعض الحالات عندما يشتد الصداع يحس المريض بغثيان وربما يتقيأ ـ ويكون هذا له بمثابة فرج يفك عنه كربة الصداع الشديد .

على ان هذه الصورة المتكاملة لمرض الشقيقة قليلا ما تحدث . ففي بعض الحالات يستيقظ المريض من نومه ويبدأ معه الصداع دون حدوث اعراض تدل على حدوثه او ان الصداع يحدث وحده دون الشعور بغثيان او قيء ـ وفي هذه الحالة يحتار المريض والطبيب في معرفة سبب الصداع اذ ان لذلك اسبابا عدة . وعلى سبيل المثال لا الحصر صداع التهاب الجيوب الانفية ـ صداع مرض الاسنان ـ صداع مرض العين ـ وصداع اراحة المخ ـ الصداع النفسي ومن هنا كانت البلبلة في التفكير ، وزيادة سوء الحالة وكثرة حدوثها .



وفي حالة اخرى يكون الصداع خفيفا ويظهر القيء على نوبات وحده ويطلق على ذلك « الشقيقة البطنية » Abdominal Migrain وهذه ايضا تشكل صورة مختلفة تحير المريض اكثر فاكثر . وكم من مريض تعرض لعملية استئصال للزائدة او عملية استكشاف للبطن من جراء ذلك . وفي حالات اخرى يحل مكان اضطرابات البعض التي تحدث مثل الصداع اعراض اخرى محيرة مثل تنميل في اللسان والاصابع على ناحية واحدة من الجسم ـ في بعض الحالات توقف عن النطق او اضطرابات نفسية بما في ذلك هياج مفاجيء او اكتئاب ، والاحساس بأنه تائه وغير مستقر .

من هذا يتضح كم هو صعب تشخيص مرض الشقيقة ، ويحتاج الى هدوء من ناحية الطبيب ، ودقة متناهية في سماع المريض وخبرة واسعة من يريد أن يصل الى التشخيص الصحيح .

وما هي الابحاث التي جرت على هذا المرض ؟

كان من المعروف ان ما يحدث في مرض الشقيقة هو ضيق في الشريان الذاهب الى المخ ، مما يسبب الاعراض الاولى في المرض من وجود « عتامات » امام العين في الجهة التي سيحدث فيها الصداع ، مع الشحوب بالوجه ، مع وجود اعراض اخرى من تنميل في الاصابع وضعف في الحركة ، وضعف بالنطق وهذا يستمر لفترة ٥ ـ ١٥ دقيقة ـ ثم يحدث الصداع نتيجة لاتساع الشريان وسريان كمية كبيرة من الدم فيه ـ وهذا مما يدعو لبعض المصابين في الضغط على الشريان الذي يكون نبضه قويا بجوار الاذن او ان يلف رأسه بمنديل ليضغط على هذه الشرايين وربما احس بتحسن في حالته .

واتضح صدق هذه الملاحظة عندما يقوم الجراحون بالعمليات على هذه الشرايين ويعرضونها للضيق والاتساع وما ينتج عن ذلك من حدوث اعراض تشبه اعراض الشقيقة .

وسرعان ما يجول بخاطر كل انسان لماذا يحدث ضيق وتوسع في شرايين الرأس عند الاشخاص المصابين ـ ثم لماذا تكون النوبات مصحوبة بغثيان وقيء .

وتلوح في الافق نظرية اخرى هي ان هناك مواد كيماوية في دم هؤلاء الاشخاص عند حدوث النوبات ، لا

داعي للدخول في تفاصيلها ، ربما تكون هي السبب في حدوث النوبات . وما زال البحث جاريا حتى يصل الطب يوما الى وجود السبب المباشر وعندها يقول هذا هو العلاج الناجع

العوامل التي تساعد على حدوث النوبة

ربما كان من المفيد ان يعرف مرضى « الشقيقة » بعض العوامل التي تساعد على حدوث النوبة حتى يمكن للمريض ان يتلافاها وربما قلل ذلك من عدد النوبات ، وأضعف من حدتها :

١ ـ الحساسية لبعض المواد فلقد وجد ان النوبات تتكرر وتزداد حدتها لو تعاطى المصاب الخمور او بعض انواع البروتينات الموجودة في السمك او الجبنة وكذلك الشيكولاته اذا اكلها المصاب على معدة خالية . من هنا يجب على كل مريض أن يولي ذلك انتباهه حتى يعرف نوع الطعام الذي يسبب له النوبة .

٢ ـ بعض العقاقير الطبية وفي مقدمتها حبوب منع الحمل التي تحتوي على هرمونات ـ ولا عجب اذن ان نرى الشقيقة في ازدياد بين النساء في هذه الايام . ثم بعض انواع العقاقير التي تستعمل في علاج ارتفاع ضغط الدم والتي تحتوي على مادة Reser pine .

٣ ـ الجوع ـ ولعل ذلك يرجع الى هبوط نسبة السكر في اوائل ايام صيام رمضان او عندما يتأخر الفرد عن تناول وجبته الرئيسية .

٤ ـ الاضطرابات النفسية ، فقد لوحظ ان النوبات تزداد عندما يتعرض الشخص المصاب الى اجهاد شديد او توتر عصبي ـ او اكتئاب ـ او قلق .

٥ ـ اضطرابات في الجهاز الهضمي ـ فلقد لوحظ ان بعض اصحاب الشقيقة يعانون من قرحة بالاثني عشر ، او وجود التهاب او حصى بالحويصلة المرارية او توتر بالقولون .

٦ ـ اضطرابات الابصار من ضعف نظر وطول نظر ، او غيرها . وتصحيح هذه الاضطرابات يقلل من النوبات .

٧ ـ وجود بؤر صديدية كما هو الحال في الجيوب الانفية او الاسنان .

٨ ـ اضطرابات الهرمونات في الجسم ، فلقد لوحظ ان النوبات تحدث كثيرا قبل الدورة الشهرية او اثناءها ، مما يدل على ان للهرومونات أثرا في ذلك . وكذلك يعاني بعض المصابين بتضخم الغدة الدرقية من حدوث نوبات الصداع النصفي بكثرة .

ولعل ذلك هو السبب كذلك عند اخذ الهرمونات في حبوب منع الحمل .

ويأخذ سير المرض طابعا خاصا ، فربما تحدث النوبة كل اسبوع او كل اسبوعين او ثلاثة اسابيع او كل شهر ـ والنوبات التي يحدث فيها الصداع فقط دون اضطرابات النظر او القيء تكون على فترات وجيزة اما النوبات الاخرى فتحدث كل عدة شهور وبمرور الزمن تقل النوبات في حدوثها وفي شدتها وتتوقف في معظم الحالات ما بين ٥٠ ـ ٦٠ سنة وعلى المصاب ان يعرف ان مرض الشقيقة لا يؤثر على الحياة او انه يسبب امراضا بالمخ او يؤدي الى الجنون او الشلل او غير ذلك من الامراض التي تخطر على بال المصابين .



كيف العلاج ؟

احب اولا ان انوه انه ما زال الطب يبحث عن السبب المباشر للمرض ، وعندما يجده يصبح للمريض الحق في ان يطلب من طبيبه علاجا ناجحا قاطعا للمرض . وكل ما يقوم به الطبيب في الوقت الحاضر هو :

اولا : العلاج الوقائي

وكما اسلفت لابد للمريض والطبيب ان يتعاونا على وجود عامل او بعض العوامل التي تسبب حدوث النوبة . فليلاحظ المريض طعامه ـ وهل تحدث النوبة بعد تناول طعام خاص ـ فهناك الشيكولاته والجبن والسمك والبيض والموز ، والتفاح والخمور هناك بعض الروائح التي تحدث النوبة .

ثم حبوب منع الحمل ـ وانواع الادوية التي يتعاطاها ، والاجهاد في العمل ـ التوتر العصبي ـ وهذه كلها عوامل لابد ان تكون في الحسبان حتى لا تتكرر النوبة ، ويكون حدوثها محدود الاثر .

وعلى الطبيب ان يفحص ويدقق في وجود امراض بالجسم اخرى . فليبحث عن بؤر صديدية في الجيوب وغيرها ، عن امراض العين والاسنان ـ عن امراض الكبد والمرارة ـ عن تلبك الامعاء والمخ ـ ويقوم بعمل الفحوصات المخبرية والشعاعية وغيرها لاكتشاف هذه الامراض وعلاجها فربما يكون واحدا منها الفتيل الذي يوقد الشرارة ويسبب النوبة .

ثانيا : العلاج بين النوبات

علاوة على العلاج الوقائي ، فقد استحدثت بعض العقاقير الطبية لتضعف من النوبة ، وتبعد المسافة بين النوبة والاخرى وهي عديدة يستعملها المريض وفي النهاية يقرر الدواء الذي اثره من هذه الناحية .

والعقاقير في هذا المجال كثيرة منها ساندو مجرين Sandomigrain ـ ستوجرون Stugeron ـ جرافيرجول Gravergol ـ انديرال Indiral . وقد وجد ان في اخذ قرص مانع للحساسية يفيد في بعض الحالات مثل Periactin بيرياكتين او بيلارجول Bellargol ، وكذلك cofergot كافرجوت وافوميجرين Avomigran .

ولمعظم هذه الادوية مضاعفات ، ويستحسن كثيرا ان تؤخذ تحت مراقبة طبيب له خبرة في هذا المجال فلعل المصاب يكون مريضا ، فيؤخذ الدواء المناسب بالكميات المناسبة .

علاج النوبة

كل مريض له علامات خاصة به ، ويمكنه التنبؤ بأنه على وشك ان يعاني من نوبة . وهذه اللحظات هامة . وكذلك عند بدء الصداع اذ ان معظم الادوية تكون ذات فائدة عندما يتعاطاها المريض في ذلك الوقت ولكن اذا تعرض المريض للنوبة وازداد الصداع واشتد ، وجد انه لا يستجيب الا قليلا للعلاج وتستمر النوبة معه لفترة طويلة ربما لساعات او ايام .

لذلك عندما يحس المريض بقدوم النوبة فعليه ان يأخذ قرصين من الاسبرين او Cofergot كافرجوت ، او حقنة Dihydroergotamine .

وربما تعاد خلال ٣٠ دقيقة اذا لم يختف الصداع . وربما يستجيب البعض لاقماع الكافرجوت (تحميلة ارلبوس) وهناك نوع منها يؤخذ بالمضغ .

ولقد وجد انه اذا اخذت هذه الادوية في فترة ٣٠ ـ ٦٠ دقيقة قبل حدوث الصداع فان ٩٠٪ من المرضى لا يتعرضون للنوبة الشديدة . اما الباقون الذين لا يستجيبون لهذا العلاج فهناك نوفالجين Novalgin في الوريد ـ او المنومات ، ومنها مركبات الافيون او مشتقاتها . وهي لا تستعمل الا بامر الطبيب عندما تتأزم الحالة خوف الادمان وحدوث مضاعفات .

ولابد للمريض ان يسترخي عند حدوث النوبة ، ويبقى في مكان هاديء خافت الاضاءة اذ انه اذا نام ولو لفترة قصيرة فانه يفيق من نومه وقد ذهبت عنه النوبة .

وما زال الامل يراود المرضى والاطباء ليصلوا يوما الى كنه هذا المرض ليستريح المرضى والاطباء معا . ■■

د . محمد ابو شوك



بالحب أولاً..

يعالج طفلك





المضطرب

بقلم : دحام الكيال



السوية الغامضة ، على الحافة ، الاهوك ، الابله ، المعتوه .

ويمكن ان نلاحظ على المتخلف عقليا بشدة أنه :

ضعيف في القوة العضلية ، غير فعال ، لا يستجيب انفعاليا ، يكون نموه بطيئا .

ومع انه يكون مخجلا بالنسبة للجيران فقد بدأ نوع من التفهم لهذه الحالات احسن مما كان سابقا ، وقد يبدو ظاهريا ان النمو الجسمي سوي ولكن يمكن الكشف عن النقص العقلي في مرحلة متأخرة من الرضاعة مع العلم ان قسما منه تكون التشوهات الجسمية واضحة فيمكن تشخيصها مبكرا مثل المنغوليا والتي يعود سببها الى اختلاطات تحدث في الوسط الذي يعيش فيه الطفل في الشهر الثاني من الحمل ، وهي بلوى أهم علاماتها :

تجعد الاجفان ، قصر القامة ، النحافة ، تسطح في الظهر ، تشوه في تركيب الاسنان من فراغات ونتوءات وقصر وغلظة في الأسنان ، تشقق اللسان ، التخلف الحركي العام ، تخلف النضج الجنسي .

ويوصف المنغولي عادة بأنه :

هادىء ، مرح ، تسهل ادارته ، لا يتحمل المسؤولية ، نزق ،لديه ضعف بالقلب .

ومن امراض هذه المرحلة الشلل المخي ، والعمى والصمم والبكم والتشوه الليفي لما خلف عدسة العين .

مرحلة المشي وقبل المدرسة

ان بعض الاطفال يعيشون في حالة من الضغط الانفعالي الذي يؤدي الى الاضطراب المزمن ويمكن أن يكون نذير اضطراب اكثر تعقيدا ويتميز بخصائص اهمها :

إن المؤشر الحسي الواضح هو نوعية الصوت والتي تتميز بما يأتي : .

الصيحة الحادة ، الصوت الاجش ، الصوت عديم النبرة ، نقص في السمع ، يحصر شعوره ، يحس بأن الشعور الانفعالي قوي ويصعب عليه تدبره ، تغير في لون جلد الطفل .

تهيج وحكة يمكن ان تلاحظ في نوعية الحركة الجسمية مثل :

التشنج ، النطق المتقطع ، الكسل ، الاضطراب في النوم كالكابوس والمخاوف عند النوم ، التبول بكثرة ، التقيؤ ، يصل الرابعة ولم يصل بعد مرحلة السيطرة على التواليت ، يمتد الزمن الى الخامسة للسيطرة على المثانة ، الاغماء الانفعالي ، يقضي الطفل فترة طويلة من غير اللعب بعورته ، فاتر الهمة ، التقلص اللاارادي في عضلات الوجه ، لديه صعوبات انفعالية تظهر بالخمول او الحركة اكثر من الحد اللازم ، ويحتاج الطفل الى العطف بل العطف الكثير ، والحرية ، والتخفيف من بلوغ المستوى المطلوب بالمقابل مع قرينه السوي ، وعلى العموم انه في حاجة الى المساعدة ، ليعبر عن مشاعره ، ولبث الثقة في نفسه وفي هذه الحالة لا بد من العلاج النفسي .

ومن الاضطرابات الاخرى في هذه المرحلة هي :

الاسترسال في الخيال ويكون اربعة أضعاف لدى الاولاد مما هو عند البنات والاكولاليا (الترديد لما يقوله الآخرون ، ويستمر لفترة طويلة حتى تستبدل بعبارة أخرى) ، والنقص في الكلام كالتلعثم والفأفأة والتأتأة .

والخلاصة ان المشكلات الاساسية في هذه المرحلة هي :

نوبة الغضب ، السلبية ، التخريب ، مشكلات تعلم التواليت ، مص الاصابع ، العادة السرية ، الانانية ، القساوة .

الطفولة المتوسطة

ان الصعوبات المشهورة تدور حول المدرسة وقدرة الطفل على التعلم ، وان صعوبات التعلم تنشأ عادة من :

التخلف العقلي

التخلف العقلي ليس شديدا ولكنه يتداخل مع العمل المدرسي كعامل اساسي في التخلف فيتطور لديه الشعور بالخيبة نتيجة الاختبارات التي حددت قابلياته فيشعر بعدم الاهمية ، ويعامله اقرانه على انه متخلف ، ويمكن أن تكون ردود الفعل لذلك هي :

النكران ، الثورة ، الجنوح .

وعلى كل انه لا يفيد من المدرسة ، ومع ذلك فلا بد من تحديد قدراته لنعرف ماذا يستطيع أن يعمل ليشجع على ما يستطيع بأناة وصبر ، ولنقدم له التربية المقصودة الممكنة بشكل مكثف ، ليشعر بالقيمة ويمكن ان يتقبل حدوده بواقعية لانه يعرف قابلياته ، ويحصل على فرصة للتمتع بالحياة ، وليعمل قيمه الخاصة وحساباته للمجتمع .

هذا ويجب ان لايغرب عن البال بأن صعوبات التعلم كلها تعود الى :

الذكاء المحدود ، سوء التغذية ، وضعف المستوى الاقتصادي ـ الاجتماعي ، النقص في السمع ، الصمم الجزئي ، العمى الجزئي ، ازدواج النظر .

التداخل الانفعالي مع التعلم بسبب مستوى طموح الابوين لأكثر مما يستطيعه الطفل فالضغط على الطفل يحوله من عمليات التعلم الى تنمية الرغبات الخاصة ، وكل فشل لتحقيق ما يريده الأبوان يعقبه انتاج للقلق وهذا ليس في صالح العملية التعليمية ، ولا بد من القول بان عدم التحصيل المدرسي يؤدي الى قنبلة في اللاشعور تثور وتتفجر ضد ضغط الابوين .

ضعف القدرات الخاصة مثل القراءة والفصاحة والحساب وهذه طبعا مستقلة عن الذكاء فمثلا ان ضعف القدرة على القراءة يفسر وفق نظريات تعوزها الأسباب الآتية :

عصبية ، انفعالية ، نفسية هي عدم النضج في الادراك الحسي ، الجنوح ، الانحرافات الجنسية وتكون عادة في المراهقة ، استعمال المخدرات .

مساعدة الطفل المضطرب

اذا كان لا بد من توجيهات اقدمها للآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات والتي يمكن ان تساعد الطفل المضطرب لتعينه على ما يواجهه لان المحيط احيانا هو الذي يحتاج الى الانتباه وليس الطفل فهي :

الحب شريطة ان لا يعمى ولا يصم ، الدفء الانفعالي ، الثقة بالنفس والثقة بالطفل ، الحزم بلا قسوة ، الاستمتاع بالحياة ، التشجيع للنمو والاستقلال ، العون الفني من انسان كفء ومختص ، ضرورة العلاج النفسي فانه يعاون الى حد ما ، وعندما يتم الاختيار للعلاج النفسي فأعني العلاج النفسي للعائلة احيانا ، المدرسة الجيدة ، المعلم الجيد ، التسامح ، المساهمة في العمل الجماعي المبدع ، ضرورة الأخذ برأي المختص ، نحول دون اضطراب الطفل بعدما عرفنا ان المجتمع والمدرسة والبيت والاقران والآباء والأمهات يمكن أن يسهموا في الحصول على الطفل من هذا النوع اذا ما قصروا في فهم الطفل على حقيقته . ■■

دحام الكيال
جامعة بغداد ـ العراق

قصـة :

الدرس الأخير

تعريب : محمد صالح القمودى

ما حييت .. لن أنسى ذلك الصباح البعيد .

●

كنت في العاشرة ، اسكن مع ابوى قرية صغيرة قريبة من الحدود مع العدو . فى ذلك اليوم المطير .. استيقظت متأخرا ، فارتديت ثيابى على عجل ، وانطلقت اهرول الى المدرسة وانا اقضم شطيرة أصرت والدتى على ان احملها .

عندما ابصرت المدرسة ، ترددت لحظة : لقد اوصانا الاستاذ نبيل بمراجعة درس النحو ولم اراجع منه حرفا واحدا . راودنى خاطر بالتغيب ، واضاعة الوقت في الحقول المجاورة .. ثم العودة الى البيت عند خروج التلاميذ .. لكن الجو المطير لم يشجعنى على ذلك .. ثم ان دوريات جنود الاحتلال ما عادت تسمح لصغير مثلى باللهو المأمون .

مررت امام البلدية ، فأبصرت جمعا من الناس يقرأون اعلانا جديدا . منذ ان احتل العدو منطقة بلادنا المتاخمة لحدوده .. جاءتنا المصائب كلها من لوحة الاعلانات المعلقة على جدار البلدية . قاومت رغبة في التوقف لمعرفة فحوى الاعلان ، وواصلت هرولتى نحو المدرسة .. لكن عاشور الحداد الذى كان يقرأ الاعلان بمعاونة صبيه صاح بى :

لا تتعجل يا صغيرى ، مهما تأخرت فانك ستصل مبكرا اليوم الى مدرستك !

لم اعر صيحته التفاتة ظنا منى انه يهزأ بى .. ودخلت ساحة المدرسة لاهثا . توقفت لحظة لاسترد انفاسى ، لكننى لم اسمع الاصوات المألوفة التى كانت تصدر عن غرفة الدرس ، أو عبارة الاستاذ نبيل المأثورة : « سكوت ! سكوت ! »

كنت اعول على تلك الاصوات لأتسلل الى مقعدى دون ان يشعر بى احد .. غير ان الصمت كان يخيم على المدرسة وكان اليوم .. عطلة !

القيت من النافذة نظرة متسللة ، فابصرت عبر الزجاج المغلق منظرا ادهشنى : الكل جالس في مقعده بلا حراك ، والاستاذ نبيل يذرع الغرفة واضعا خيزرانته الرحيبة تحت ابطه .



احتقن وجهى خجلا وخوفا وانا اطرق الباب ثم ادخل ، وانفخ فى قبضتى لاعد اصابعى لما ينتظرها من لسع الخيزرانة .. غير ان الاستاذ نبيل نظر الى بلا غضب وقال لى بهدوء :

ـ سارع بالذهاب الى مقعدك يا صفيرى ، كنا سنبدأ بدونك . تهالكت على مقعدى فى ارتياح استرد انفاسى واستمتع بنجاتى من العقاب .. ثم لاحظت ان الاستاذ قد ارتدى بدلة المناسبات ، تلك التى يلبسها يوم بداية السنة الدراسية ويوم نهايتها .

أجلت النظر لأتفحص وجوه الزملاء ، فلمحت عليها مسحة من الوقار غير مألوفه .. ثم زادت دهشتى عندما ابصرت في آخر الغرفة طلبة محو الامية من كبار السن ، والذين لا يدخلون المدرسة عادة قبل صلاة العصر .. كل ذلك في جو من الوقار والحزن .

وقف الاستاذ نبيل امام اللوحة وقال بذات النبرات الهادئة التى استقبلنى بها :

ـ صغاري الاعزاء .. هذا آخر يوم أعطيكم فيه دروسا . لقد جاء من عاصمة الاعداء امر يمنع تدريس لغتنا ، ويفرض تدريس لغة المحتلين .. مدرس الاحتلال سيصل غدا .. أما اليوم فهو الدرس الاخير بلغتكم .. ارجو ان تكونوا منتبهين .

هزتني هذه العبارات من الاعماق .

أهذا ما دبره العدو المحتل واعلن عنه فوق جدار البلدية !

انه الدرس الاخير بلغة الآباء والاجداد .

وانا الذى لم اتمكن بعد من لغتى .. متى سأتعلمها ؟ !

أو ينبغي لى ان اتوقف عند هذا الحد ؟ !

يا حسرة على ما اضعت من وقت فى اللهو واللعب ! المواد التى كنت استثقلها واخشاها .. ها قد صارت خفيفة محببة .

كنت غارقا فى انفعالاتى ، عندما سمعت اسمى يتردد .

لقد جاء دورى فى عرض الدرس .

كم كان بودى فى هذا اليوم ان اتلو الدرس عن ظهر قلب فى نبرات واضحة قوية . غير انني تلعثمت منذ الجملة الاولى ، يتأرجح جسمى من ساق الى ساق ، مثقل الصدر ، خفيض العينين .

سمعت الاستاذ نبيل يخاطبني قائلا :

ـ لن اعاتبك اليوم يا صغيرى ، فقد تكفل ضميرك ولا شك بذلك .

ثم كف الاستاذ عن الاستجواب ، واخذ يبرز بالامثلة الواضحة الدامغة جمال لغتنا ، وروعة بيانها .. مؤكدا ان الشعب الذى يتعرض للاحتلال والاستعباد .. يظل قابضا على مفتاح سجنه ما تمسك بلغته .

اعطانا درسا جديدا فى النحو ، فأدهشتني السهولة التى فهمت بها الدرس . كل كلمة يقولها الاستاذ .. أفهمها . كل ما ينطق به ينحت فى ذاكرتى . ما انصت فى حياتى بمثل هذا الشغف . ما بذل الاستاذ يوما مثل ما يبذله من جهد فى التوضيح والشرح ، وكأنه كان يود ايداع كل معارفه فى اذهاننا قبل ان ينصرف نهائيا .

انتهى درس النحو ، فانتقلنا الى درس الخط حيث اعدلنا الاستاذ عبارات جديدة مكتوبة فى اتقان خلاب :

« حب الوطن من الايمان » .. « لا يظهر من عسر الايمان صدره » .. « من قاوم الاستبداد رده » .

كان الجميع يتأنى فى الكتابة وكأنه يرسم لوحة ولا ينسخ خطا .. لا يسمع صوتا غير صوت الاقلام على الورق .

بعد ذلك .. اعطانا الاستاذ نبيل درسا فى التاريخ اعاد الى اذهاننا امجاد الامة ، ونضالها العريق وانتصاراتها الباهرة .. وان صادفتها نكسات عابرة .

بعد التاريخ .. جاء دور الاناشيد ، حيث رددنا جميعا اكثر اناشيدنا الوطنية حماسا ، وقد اختلطت اصوات الصغار الحادة بأصوات الكبار الحزينة .

وفجأة !

اعلنت ساعة البلدية منتصف النهار .. موعد انتهاء الدروس

انتصب الاستاذ نبيل شاحبا ، قائلا فى عبارات متقطعة :

ـ اولادى ..

يا اولادى ..

لكن الكلمات اختنقت فى صدره فلم يكمل عباراته ، واغرورقت عيناه فالتفت الى اللوحة وخط عليها العبارة التالية : « فليحيا الوطن ! »

ثم اسند رأسه على اللوحة .. وظل يبكى فى صمت ، وهو يشير الينا بيده ان نذهب ..

فقد انتهى الدرس الاخير . ■■

باريس ـ محمد صالح القمودى

حوار القراء

العربي امريكا

● تبين لنا ان مجلة « العربي » تعتبر من ـ ارقى مجلات العالم العربي ـ لذا فانه يبدو معيبا ان لا تتوفر أعداد هذه المجلة للبيع في امريكا الشمالية ، ونحن نأمل ان تساعدونا في الحصول على الف نسخة على الاقل مبدئيا

رسسارد بومبرجر

واشطن

● المحرر ـ الرسالة حولت الى المسئولين في وزارة الاعلام لبحث الموضوع .

●

نبوخذ نصر الكلداني

● ورد في مقال (القدس في) القلب العدد ٢٤٧ (حزيران ١٩٧٩) الصفحة ٨٢ من مجلتكم الغراء عن نبوخذ نصر انه الملك الاشورى والواقع انه الملك الكلداني الذى احتل القدس ودمرها عام ٥٨٦ ق . م وسبى معظم سكانها وما جاورها (مما قدر بخمسين الفا) الى بابل فاقتضى التنويه .

قسطنطين خمار

بيروت ـ لبنان

دفاع عن انشتاين

● قرأت في العدد « ٢٥٠ » من مجلة العربي مقالا للدكتور « عبد العظيم أنيس » تحت عنوان « البرت انشتاين هذا العبقري الصهيوني » وفي المقال وجه الكاتب الى اينشتين العديد من الاتهامات الظالمة فقد اتهمه بالصهيونية لانه كان يكره النازية الالمانية وأكد كلامه هذا بما ادعته اسرائيل بعد موته من انه يعد بيانا للدفاع عنها والواقع انه لا غرابة في عداء اينشتين للنازية بعد العذاب الذي لقيه اليهود على ايديهم خصوصا وان الرجل يدين باليهودية

واما ان تدعي اسرائيل بان انشتاين كان يعد بيانا ليذيعه بمناسبة الذكرى الثامنة لتأسيسها ولكن الموت منعه عن اتمامه ، وان يؤخذ ذلك كتأييد على صهيونية هذا العبقري فذلك ما ينفيه العقل ولا يتقبله الضمير اذ ان اسرائيل ـ كأية دولة ـ تحاول الدفاع عن أفكارها ومعتقداتها بأية وسيلة وليس افضل عندها من القول بأن انشتاين كان صهيونيا ، ليبرهنوا للعالم صحة الاسطورة القائلة بأنهم شعب الله المختار الذين ميزهم عن العالمين

ولا ادري لماذا لم تحاول اسرائيل ان تقول ما قالته الا بعد موت انشتاين ؟ . ام هل سي انشتاين الصهيونية طيلة سني حياته ليعود ويتذكرها في اواخر ايامه ؟ !

انه من المعروف ان انشتاين قد عاش اكثر من ستة وسبعين عاما ، فهل كان عمره قصيرا حتى نجد مبررا للقول انه قد اراد نشر بيان لتأييد الصهيونية لكن الموت منعه عن بغيته وحال بينه وبين ما اراد ؟ ! ..

صحيح ان انشتاين لم يكن هو عبقري الزمان الاوحد وامام علماء الفيزياء الذي لم يخلق له مثيل منذ نشأ علم الفيزياء .. وصحيح انه قد نال من الشهرة ما لم ينله غيره من العلماء المعاصرين له كأمثال طومسون ورذرفورد وبلانك وبيكريل وكروكس وفيرمي وغيرهم . لكن ذلك لا يعني أبدا أنه كان صهيونيا .

الموسوعة العربية

● اشارة الى نداءتكم المستمرة عبر مجلة العربي الى ضرورة البدء باقامة موسوعة عربية شاملة تنقل الى القارىء العلوم الحديثة وكافة الوان الحضارة العربية ، وتيسر له سبيل الاطلاع على ما توصل اليه الفكر الانساني في شتى مجالات المعرفة . افيدكم ان سوريا شرعت منذ سنوات قليلة باقامة هذه الموسوعة . وقد انشأت لهذا العرض مؤسسه كبرى باسم (الموسوعة العربية الكبرى) وقد اخبرني صديق لي ممن يقومون بترجمة بعض الموضوعات الخاصة بالموسوعة بأن المؤسسة على وشك اصدار المجلدات الاولى التي تحوى معارف الانسانية والتى تبدأ بحرف الالف (أ) واننا نرجو جميعا ان تفي هذه الموسوعة المنتظرة بالغرض المرجو منها ، وافيدكم انه يشترك باعداد هذا العمل الكبير عدد كبير من مفكرى الوطن العربي في شتى الاقطار العربية

عبد اللطيف تلبيسه

سوريا

● الاتحاد قوة

● قرأت في الوصايا وهي آخر أبواب كتاب الفتوحات المكية للامام الاكبر الشيخ محي الدين ابن عربي وصية مماثلة لما نشرتمود في العدد ٢٤٩ من العربي صفحة ١١٢ تحت عنوان (كومة العصي) « اوصى حكيم اولاده عند موته - وكنو جماعة - فقال لهم ائتوني بعصي . فجمعها وقال لهم اكسروها . وهي مجموعة فلم يقدروا على ذلك ، ثم فرقها فقال لهم خذوها واحدة واحدة فكسروها فقال لهم هكذا أنتم بعدي لن تغلبوا ما اجتمعتم فاذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم

دفاع عن انشتاين (بقية)

ان قضية شهرة انشتاين لم تجيء اعتباطا ولا حبا في العلم والانجازات العلمية ، ولكنها جاءت ضمن تخطيط محكم لقضية بصرف النظر عن باطلها ، اراد لها اصحابها النجاح وجندوا لنجاحها هذا كل افكارهم في السراء والضراء

ان اسرائيل قد بالغت في جعل انشتاين مشهورا وذلك عن طريق وسائل الاعلام وقد نسبت اليه أنه من مؤيديها لغرض واحد ، هو كسب الرأي العام العالمي ، وجعل أوربا وبقية العالم ترى الحق في جانبها .

ونعود هنا لقضية اخرى طرحها الدكتور « انيس وحاول ان يحط فيها من قيمة انشتاين وذلك باتهامه بقدراته العقلية وبكونه لم يكن ذكيا بما فيه الكفاية ، وهو يرى ان انشتاين لم يحقق شيئا ذا قيمة بعد عام ١٩١٦ عندما نشر بحث النظرية النسبية ...

والنظرية النسبية تعد بحق من اعظم اكتشافات هذا القرن وخاصة في مجال الفيزياء ، فكيف يرى الدكتور « انيس » لنفسه الحق بمطالبة انشتاين بنظريات اخرى ، وهل من المنطقي ان نقول ان عدم مقدرة انشتاين على وضع نظرية اخرى هو دليل على عدم قدرته الذكائية ....

ولا استطيع ان افهم انه كيف يمكن لانسان لا يتمتع بالذكاء الشديد ان يقدم للعالم ما قدمه انشتاين ؟ ؛

الدكتور اياد الرسدان

فأبادكم »

فهل نعتبر وقد عم البلاء
وأصبحت بلادنا نهبا للدخلاء

هسام الحسني
دمسو ـ حىل هاسيوں

هل يجوز للشاعر ؟

● في صفحة ١٣٧ من العدد رقم ٢٥٠ من مجلتكم ـ الصفحة اللغوية ـ اورد الاستاذ/محمد خليفة التونسي بيتا للشاعر احمد شوقي يبين فيه فضل العلم والكتب ، ويقول في صدره : انا من بدل بالكتب الصحابا ...
ونرجو ان نوضح ان الباء في الاستبدال تسبق المتروك فاذا طبقنا هذا على قول شوقي فانه يكون قد ترك الكتب وانصرف عنها الى الصحاب بينما العكس الصحيح ويقول تعالى في محكم آياته مخاطبا بني اسرائيل · « قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » صدق الله العظيم
وعليه كان يتعين على شوقي ان يقول انا من بدل بالصحاب الكتب ، او الكتب بالصحاب
غير ان الوزن يستعبد الشاعر احيانا فينسف قاعدة لغوية هامة لا يصح مجافاتها بحال

ابراهيم عبد الله حسن
اسكندريه/مصر

ورد الدكتور أنيس · في تعقيب على هده الرسالة يقول الدكتور عبد العظيم أنيس

المسأله التي تعنيني من مقال د . اياد الرسداں « دفاع عن ايستين » هو حلاصه معي حول صهيونيه ايستين ولقد اوردت في مقالي عن اينستين بمجله العربي عدد سبتمبر ادله عديده على صهيونيته ولكن الاخ د الرسدان تجاهلها تماما ولم يذكر الا اعلان اسرائيل بعد وفاته انه كان يعد بيانا لاذاعتها بمناسبه الذكرى الثامنه لتاسيس دوله اسرائيل .

ولذلك احس ان اعيد ذكر الادله التي سبق لي ان اوردتها في مقالي ـ

اولا لقد اعلن اينستين ١٩٢١ ولاءه للصهيونيه . وهذه حقيقه لا تحتاج منا ـ بعد معرفتها ـ الى اى اجتهاد في الدفاع عن موقفه السياسي.

ثانيا انه شارك مع وايزمان في جمع التبرعات ـ لصالح الحركه الصهيونيه ـ من امريكا

ثالثا انه عرضت عليه ـ بعد وفاة وايزمان ـ ان يكون رئيسا لدوله اسرائيل . وقد تردد في مبدأ الامر في القبول ، ثم اعتذر باعتبار ان العمل السياسي لا يناسبه . وهذا العرض واقعه ثابته تاريخيا ومن السذاجه ان نتصور أن تعرض اسرائيل رئاسة دولتها على رجل ليس صهيونيا .

وهذه الادله الثلاثه موجودة في مقالي وفي مراجع تاريخيه عديدة عن أينستين ، وآخرها مجله معهد الرياضيات وتطبيقاتها بلندن العدد ١٥ عددى فبراير ومارس سنه ١٩٧٩ ، وتتضمن سلسله المقالات التي كتبها الاستاذ هو لجديل بمناسبه مرور مائه عام على مولد اينستين .

●

وادى حضرموت

● كثيرون من العرب يجهلون موقع وادى حضرموت ومعالمه الاثرية وعادات أهله وتقاليدهم أفلا يستحق هذا الجزء من الوطن العربي استطلاعا تقوم به العربي عنه ؟

سالم محمد الكثيري
المكلا

ـ نرجو ان نفعل في مستقبل قريب .

كتب جديدة

اين الخطأ ؟ تصحيح مفاهيم ونظرة تجديد

الشيخ عبد الله العلايلي

دار العلم للملايين ـ بيروت

● مؤلف هذا الكتاب ، من ابرز رجال الفقه واللغة في لبنان .

وقد اصدر ثلاثة اجزاء من معجم لغوي واسع ، بعد ان اعد ٢٤ جزءا منه . بالاضافة الى مؤلفات اخرى .

ما يلفت النظر في هذا الكتاب ، وما يعطيه اهمية كبرى ، في حقل الدراسات الفقهية والتشريعية ، هو ما تضمنه من « فتاو » تمزج بين تفسير للقواعد وتصحيح لبعض المعاملات ، من وجهة نظره . وقد اوجز احد النقاد ، ما اتى به الشيخ العلايلي من نظرات وتفاسير فقهية ، بالفتاوي التالية :

تحليل معظم المعاملات المصرفية ـ فرض الزكاة كنوع من الضريبة تدفع للمجتمع ـ تحليل تصنيع لحوم الاضاحي في موسم الحج والتبرع بها الى الدول النامية الجائعة ـ استعمال التعزير دون الحد الا في الحالات القصوى ـ اعتماد العلم في رؤية الهلال ـ اعتماد المدارس الفقهية باسرها واختيار الحسن من احكامها على ضوء ما يتطلبه الزمن ـ عدم وجود ما يمنع من زواج الكتابي من المسلمة ـ جواز عرض الافلام التي تبحث في التاريخ الاسلامي في كافة عصوره .

ولاشك ان هذه الفتاوى تعكس الاجتهاد الخاص لصاحبها ، الا انها بلا ريب قمينة باثارة الجدل حولها ، وعلى الاخص ما اتى به الشيخ العلايلي من جواز زواج الكتابي (النصراني واليهودي) من المسلمة ، مع ما يقتضي ذلك من تمحيص على هدى التشريع والسنة وما أتى به أئمة الفقه الاسلامي .

العهد الآتي

شعر امل دنقل

دار العودة . بيروت

● هذا الديوان هو الرابع للشاعر المصري الشاب امل دنقل بعد « البكاء بين يدي ـ زرقاء اليامة » و « تعليق على ماحدث » و « مقتل القمر » . ويحتل الشاعر موقعا هاما في حركة تجديد الشعر العربي ، التي افتتحها من قبل صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطي حجازي ، تحت تأثيرات مدرسة ابوللو ، ويمثل التحول الذي اصاب الشعر العربي ابتداء من العقد الخامس من هذا القرن .

يوصف الشاعر امل دنقل بأنه من طائفة الشعراء ، الذين كسروا الهالة « المقدسة » لموضوعات الشعر ولغته .. فالحدث اليومي والحوار القصصي ، والنزوع الى السخرية الكثيفة المرة ، هي القسمات الرئيسية للشاعر وقصيدته ، منذ لمع اسمه عام ١٩٦٩ مع صدور ديوانه الاول . الذي رصد فيه انعكاسات هزيمة حزيران ١٩٦٧ في الوجدان العربي عامة والمصري خاصة . وديوانه الاخير ، هو توغل في الطريق الذي شقه منذ البدء ، والذي اعتبره بعض النقاد ، طريق الشعر « السياسي » . يستلهم الشاعر اسم الكتابين المقدسين : العهد القديم والعهد الجديد ، لكي يصوغ هو كانسان يعيش في عالمنا وفي زمننا المحددين ، عهده الخاص ، الذي يصفه بالعهد

الآتي . ومثل هذه التسميات او الاستعارات درج عليها شعراء الشعر الحديث في استلهامهم الاساطير العربية والاجنبية ، والاقتباس والتضمين من الكتب المقدسة ، اما ان اسم هذا الكتاب « العهد الآتي » يأتي في سياق ما عرف عن الشعر الحديث ، من نزوع طاغ الى استشراف الحلم ، وتوليد رؤى مستقبلية ، مع الحفاظ على راهنيته وأرتباطه بالعصر . العهد الآتي عند الشاعر ، هو عهد الحرية والتفتح والعدالة والحب والكرامة . عهد تنتفي فيه القيود ، وتنتفض الاوطان على جلاديها ، ويفيض نهر العطاء والمشاركة دون حد او سد . ذلك ما يهتف به هذا الديوان . وسط سيل من المرارات والفجائع والنقد الصميمي اللاذع .

من قضايا الدين والعصر

الشاذلي القليبي

الدار التونسية للنشر ـ تونس

● العلاقة بين القيم والمؤسسات الدينية من جهة ، وبين تحديات العصر ومقتضياته من جهة ، قضية شغلت رجال الفكر منذ مطلع عصر النهضة الحالية ، والاسهامات الكبرى في هذا الصدد ، لرجال التنوير والاصلاح الاسلامي : الافغاني ، الكواكبي . محمد عبده ، ابن باديس .. وغيرهم .

ومن بقعة مثل المغرب العربي ، فان هذه القضية (ومعالجتها على ضوء الدين والعقل معا) لا تحتمل التأجيل ، او الاشاحة عنها ، لاي سبب . ذلك ان اقطار المغرب العربي ومنها تونس ، تلقت تركة معقدة من الاستعمار الفرنسي ، وتبدو هذه التركة ، ثقيلة و « عميقة » وملفتة للنظر ، على الصعيد الثقافي والروحي ، على الاخص . فقد تشربت اجيال تونسية عديدة الثقافة الفرنسية ، بمختلف اوجهها ، بما في ذلك ، وجهها المشرق ، وتراثها في مقاومة المحتل النازي ... وعلى اي حال ، فان المجال هنا لا يتسع ، ولا يصلح لعرض جوانب هذه القضية ، الا ان ما ينبغي التوكيد عليه ، بايجاز ، هو ان مسألة استدعاء واستنفار القيم الروحية والدينية ، في تلك الاقطار ، يشكل حاجة ضاغطة ملحة ، وذلك لضبط تأثيرات الثقافة والنظم الفرنسية على الحياة العامة ، بحيث لا تهدد « الذات الوطنية » والانتماء العربي ، والاصول الاسلامية . وكتاب الشاذلي القليبي . امين عام الجامعة العربية ، خطوة في هذا الطريق . فهو يعالج الاسلام من النقطة التي انتهت اليها الثقافة الفرنسية (التنويرية) . فالاسلام عند القليبي هو دعوة الى الاجتهاد (الى العقل) . ومواءمة بين الخاص والعام (الحاجات الفردية والاجتماعية ـ الحاجات الطبيعية والتوق الروحي ـ مقتضيات الحياة والمعاش ونزعة استشراف ما بعد الموت) . وهو مع الرجوع الى التعاليم الاسلامية ، دون ان يعني ذلك بالضرورة ، العودة ، الى ذات الظروف



الاجتماعية والتاريخية التي احتضنت بروغ تلك التعاليم وممارساتها الاولى وهو مع العدل والشورى ، بتطوير صيغة كل منها ، تطويرا دائما تلك بعض الخطوط العريضة ، التي يراها القليبي دعائم لنهضة اسلامية حديثة يقع المسلمين في القلب الفاعل من العصر وقد آثر كما يبدو التركيز على تلك الخطوط ، دون الخوض في مجالات التحليل الموسع ، والتطبيق الدقيق ، تاركا تلك المهمة لغيره ، من الباحثين والدارسين لشؤون تنظيم الحياة الاسلامية على اتساع وتعدد مجالات ذلك التنظيم ويذكر ان هذا الكتاب هو الرابع للمؤلف بعد العرب امام قضية فلسطين (١٩٦٨) ، نظرات في الشعر (١٩٧٤) الثقافة رهان حضاري (١٩٧٨)

اصدق المناهج في تمييز الاباضية من الخوارج

تحقيق د سيدة اسماعيل كاشف

وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عُمان

● مؤلف مخطوطة هذا الكتاب هو الشيخ سالم بن حمود بن شامس الشمائلي ، الذي يتصدى لدحض نسبة الحركة الاباضية للخوارج كما يذهب الى ذلك جل المؤرخين وكتاب الفرق والعقائد والنحل فضلا عن سائر الكتاب ، بينما نرى فقهاء ومؤرخي الاباضية قديما وحديثا يؤكدون ان مذهبهم هو الاسلام القائم على القرآن الكريم وعلى الاحاديث النبوية والسنة الشريعة ولم يكن للاباضية هدف لتكوين حزب او انشاء مذهب خاص ، فمذهبهم الاسلام ودينهم الاسلام ، واذ تؤكد المخطوطة براءة الاباضية من اسم الخوارج ، فان الخوارج تعني في نظرهم الخروج على الاسلام . »

الاسكان في الكويت

عبد الرؤوف عبد العزيز الجرداوي

شركة كاظمة للنشر ـ الكويت

● في مقدمة هذا الكتاب ، كتب المؤلف : « بدأت مشكلة السكان عندما بدأت الدولة تأخذ بالتخطيط الحضري خارج سور الكويت ، حيث لجأت الى هدم المباني والمساكن القديمة لاقامة المرافق وانشاء الطرق الحديثة ، وتخطيط المدينة وتجميلها مع تعويض اصحابها عنها . كما ان قدوم اعداد وفيرة من الوافدين بقصد العمل في الكويت ولجوء بعض البدو للاستقرار في ضواحي المدينة واطرافها سعيا وراء الرزق الوفير الذي عم البلاد ، والتغير الذي شمل العائلة الكويتية مما كان له الأثر في التقليل من العائلة الكبيرة « الممتدة » وانتشار الاسر الصغيرة الحجم « النواة » كل هذه الامور ساعدت في خلق مشكلة اسكانية بالدولة ، تمثلت في نقص المعروض من الوحدات السكنية بالنسبة للطلبات المستحقة لها ، ووجود اعداد كبيرة من السكان تعيش في عشيش ومساكن تقليدية مبنية قبل عام ١٩٥٠ تنقصها المرافق الصحية الضرورية ، وارتفاع ايجارات المساكن خاصة في السنوات الاخيرة بصورة تفوق قدرات الاسر متوسطة ومحدودة الدخل » .

في تتبعه لهذه المشكلة الحيوية ورصد جوانبها ، قام المؤلف بعقد سبعة فصول أستهلها بفصل عن مشكلة الاسكان والمجتمع الحضري ، تلاه فصل عن مشكلة الاسكان في الكويت في ضوء التطور الذي اصاب المجتمع الكويتي وخطط الدولة في مجال الاسكان ، واعقبه بفصل عن تقييم الاسكان في الكويت انطلاقا من الاوضاع والخطط الحالية (في عام ١٩٧٧) ، ثم عمد المؤلف الى تخصيص الفصل الرابع لدراسة ميدانية

بول ايلوار (مختارات)

ترجمة وتقديم د. سامية احمد اسعد

وزارة الثقافة والفنون ـ الجمهورية العراقية

● رغم ان هذا الكتاب « يقتصر » على مختارات من شاعر فرنسا الكبير الا انه يضم زهاء ٢٦٠ قصيدة تقع في ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير عدا المقدمة انه كتاب ضخم اشبه بالـ « سفر » ، واذا عرفنا ان ايلوار ، الى جانب اراغون وبودلير ورامبو ، هم اعمدة الشعر الاساسية في فرنسا ، فاننا نستطيع ان نتبين اهمية هذا الكتاب ، الذي تصدت لترجمته والتقديم له ، احدى الباحثات البارزات في مضمار الادب الفرنسي الحديث وهي الدكتورة سامية احمد اسعد ، استاذة الادب الفرنسي بكلية الاداب في جامعة بغداد وهي تؤكد في مقدمة الكتاب على الصعوبة التي يلقاها الناقد في الالمام بمؤلفات ايلوار في مجموعها ووحدتها ، فاذا القى الضوء على جانب معين منها كان هذا على حساب الجوانب الاخرى وكما يقول ناقد فرنسي هناك ايلوار الدادى ، وايلوار السيريالى ، وايلوار المقاومة ، وايلوار السياسي الحزبي

اختلطت حياة الشاعر لفترة بتاريخ الحركة السيريالية حيث اشترك في تحرير اول نص سريالي جماعي « جثة » ، ثم عملية « عاصمة الالم » ، « والحب الشعر » ، وفيما بعد « الحياة المباشرة » و « الوردة العامة » و العيون الخصبة » وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية واحتلت فرنسا ، انتشرت قصيدته « حرية » جاعلة منه شاعرا شعبيا اشهر من ذلك الذي اشتهر بدواوينه السيريالية ، وكان يوقع قصائده عن المقاومة باسماء مستعارة جمعها عام ١٩٤٤ تحت عنوان « في اللقاء الالماني »

الا ان عالم ايلوار ، كما تقول د. سامية يجد تماسكه في العلاقة القائمة على الحب الذي يتحول عند ايلوار الى مبدأ لاعادة خلق العالم وفي ضوء ذلك كان بعيد النظر في الحب ذاته ، كما يتحقق له اكبر قدر من الانفتاح على العالم خاصة مع وعي الشاعر القوي والعنيف بالشقاء الاجتماعي وفي كل ذلك كان ينظر الى تحرير اللغة على انه شكل من اشكال امكانيات تغيير الحياة ، وحتى في فترات النضال والالتزام بقي الشاعر على حبه لمساءلة اللغة واخضاعها للتجربة هذه بعض عناوين لقارة شعرية اسمها بول ايلوار بقيت الاشارة الى ان الكتاب يقع في ٦٠٠ صفحة وثمنه ٦٠٠ فلس عراقي

في موضوع البحث ، اما الفصول التالية الخامس والسادس والسابع فقد تضمنت نتائج تلك الدراسة من حيث الواقع الاجتماعي للسكان وظروفهم الاقتصادية ثم ظروف واوضاع المسكن بانواعه الثلاثة اسكان ذوي الدخل المحدود ، سكان الشقق ، البيوت التقليدية واخيرا العلاقات الاجتماعية بين السكان فيما يتعلق بتبادل الزيارات ، قضاء وقت الفراغ ، والعزلة والاندماج في المجتمع الكويتي .

ويجدر بالاشارة ان الكتاب هو في الاصل رسالة تقدم بها المؤلف لنيل درجة الماجستير وبالاضافة للدراسة الميدانية التي قام بها ، فقد اعتمد على ٤٠ مرجعا عربيا ، في حقول الاسكان والتنمية وتنظيم المدن والمجتمع الحضري ، فضلا عن ٢٥ مرجعا اجنبيا مختلفا

ولا شك ان هذا الكتاب يسد فراغا كبيرا في مجال بحثه

بوصلة من أجل عباد الشمس

ليانة بدر

دار ابن رشد ـ بيروت

● يحمل هذا الكتاب رواية باكورة اعمال الكاتبة الشابة ليانة بدر التي كتبت من قبل عددا من القصص القصيرة والتي لم تجمعها في كتاب اما هذه

الرواية فانها احدى الثمرات اليانعة ، لأدب فلسطيني شاب وجديد ، ينبثق من رحم التجربة الوطنية الفلسطينية . التي لا تنى محتدمة ، ومعطاءة . كما تجيء هذه الرواية ، استئنافا لابداع درامي مشهود ، يكاد يتحول الى ما يمكن تسميته بكلاسيك الادب الفلسطيني ، والمتمثل اساسا في اعمال الشهيد غسان كنفاني ، وسميرة عزام .

« شهد ، جنان ، سمر ، عامر ، شام » هؤلاء هم ابطال الرواية ، يجمعهم جيل واحد ، تفتح وعيه على هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، وعمل على تحقيق ذاته ، عبر المخاض والولادة ، التي شهدتها حركة المقاومة الفلسطينية . وبطبيعة الحال ، فانه ينشب جدل وصراع دائمين ، بين هؤلاء الابطال وبين ثورتهم ، وهم في القلب منها . وهو جدل وصراع المشاركة لا الاختراق ، خاصة وان هذه الثورة تحمل في جوانحها ، تناقضات اجتماعية وتعارضات سياسية ، هي بعض من صورة المجتمع الذي انبثقت عنه ، والمحيط الذى تتحرك فى غماره .

ثمة زهرة ، هي بنت الطبيعة البكر وصديقة الحقيقة . انها عباد الشمس ، التي تتلفت اني استدارت او تحركت الشمس . والجيل الوطني الجديد ، هو اشبه ما يكون بتلك الازهار . ولكن هل يكفي التجاوب الطبيعي والمشاركة البديهية .. اي هل تكفي العفوية والعاطفة الوطنية ؟ تجارب اولئك الابطال ، تفيد ان ذلك لا يكفي . وربما انه ضار . فلا بد لتلك الازهار الجميلة من بوصلة تهتدي بها ، وتضبط حركتها .

السرد في هذه الرواية القصيرة ، هو لحساب الزمن النفسي ان جاز التعبير .

فالحدود بين الذاكرة (الماضي) والفعل الحسي المستمر ، شبه غائبة . على غرار زمن الفلسطينيين الذي يتشكل بين قطبين : المنفى والاحتلال والمصادرة من جهة ، والمقاومة والاتحاد بالوطن من جهة اخرى ، يسند ذلك كله لغة شاعرية مرهفة ، ومفعمة في الآن نفسه بتحليل عقلي ، ورصد لتحولات الواقع .

• تعلم لتكون ـ عالم التربية اليوم وغدا

حسن جميل طه ويوسف عبد المعطي

مكتبة الفلاح ـ الكويت

● تكمن اهمية هذا الكتاب ، في كونه خلاصة جهد جماعي لمجموعة من رجالات التربية البارزين في العالم ، واذا عرفنا ان هؤلاء يتوزعون بين وزارة تربية ، واساتذة جامعيين وخبراء تربية ، وان بعضهم ينتمي الى فرنسا والاتحاد السوفيتي والبعض الاخر الى سوريا والكونغو ، واذا عرفنا ان جهد هؤلاء قد تم في اطار اعلى هيئة تربوية دولية (وهي اليونسكو) .. واذا عرفنا ايضا ان العمل المشترك لم يكن حصيلة جهد اكاديمي وخبرات نظرية متراكمة فحسب ، بل إن هذا العمل جاء نتيجة دراسات وابحاث ميدانية جرت في ٢٣ بلدا بينها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفرنسا ، وايضا الجزائر ومصر ولبنان ، وكذلك السنغال والسويد ويوغسلافيا .. اذا عرفنا كل ما سبق ، ووضعناه في الاعتبار ، فاننا نستطيع ان نتعرف الى القيمة الاستثنائية لهذا الكتاب الذي يتضمن عرضا وتلخيصا لتقرير اللجنة الدولية لليونسكو حول تطوير التربية في العالم والذي تم وضعه ١٩٧٢ ، وهو آخر تقرير شامل في مجال بحثه ، والكتاب زاخر بالملاحظات والآراء من واقع تجارب التربية في العالم ، وتحظى بلدان العالم الثالث ومنها بلادنا العربية ، بنصيب وافر من الدراسة والتقييم والمعالجة وتوجيه المقترحات عليا بأن مفهوم التربية يأخذ أوسع معانيه في الكتاب وذلك باعتبار التربية عملية تحرير لقوى الانسان وطاقاته . ذلك ان مستقبل البشرية هو مستقبل أولئك المعلمين والمتعلمين الذين يراوحون بين النقد والمشاركة الديمقراطية والقدرة على التخيل المبدع مع التنظيم العلمي اللازم لاثارة الطاقات الكامنة في الافراد والمناهج . ■■

نزهة العقل الذكي بجوائز العربي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٣٠ دينارا كل منها ٥ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٣ وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول فبراير (١٩٨٠) .

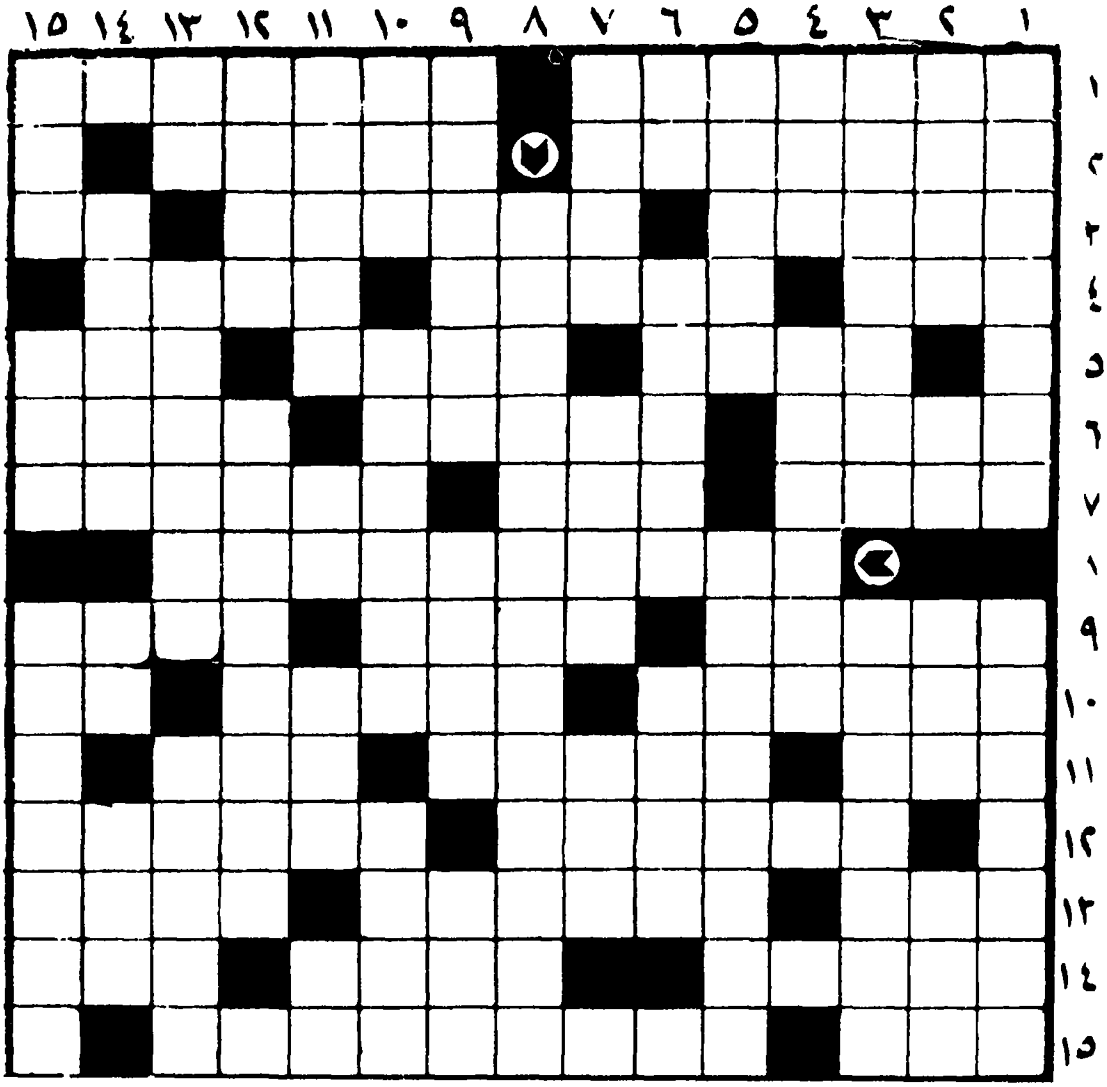
اثنتان في واحدة

اذا استطعت حلّ مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم امام شيعي ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم عالم مصري من روّاد الصحافة العربية .

الكلمات الأفقية :

١ ـ من المملكة الحيوانية ـ أضاءتها .
٢ ـ من اللغات القديمة ـ نبات متسلّق .
٣ ـ نغلّبه ـ ينتسب الى جنس كان يسكن البلاد الاسكندنافية قديما ـ في الذراع .
٤ ـ أنشأ ـ موجود بكثرة ـ يضاف الى الطعام لتحسين مذاقه .
٥ ـ تنفي ـ تجدها في (يخاصم) ـ ارتدى .
٦ ـ ساقط ـ أقصيا ـ توجعّات .
٧ ـ ابتغينا ـ جوهرة ـ أسفاره .
٨ ـ امام شيعي .
٩ ـ أراضي منبسطة بأمريكا الشمالية تنمو فيه الحشائش ـ تثني ـ أفرّ .
١٠ ـ ولاية أمريكية ـ ضربات بالسلاح ـ للنداء .
١١ ـ قيّد ـ الناحية ـ علمها من أمر ربّي .
١٢ ـ الذي بلا أهل ـ مولّد كهربائي .
١٣ ـ يقفز ـ شهر ميلادي ـ ثورة .

كوبون مسابقة العدد ٢٥٣



١٤ ـ من احزاء الجسم ـ من الاعداد ـ بدون .

١٥ ـ حرف ابجدي ـ علم الأشعّة .

الكلمات الرأسية :

١ ـ من الاحجار الكريمة ـ من أعضاء الجسم

٢ ـ من الطيور ـ من الاقارب ـ شكوك ـ نتبع

٣ ـ عاصمة جامايكا ـ فيلسوف اغريقي

٤ ـ أفشى ـ شلاّلات معروفة .

٥ ـ ينشغل ـ من المناسبات الدينية .

٦ ـ للتفسير ـ تناظر ـ أسمّي .

٧ ـ تذكر المثالب ـ عللت ـ من مواد البناء

٨ ـ عالم مصري من روّاد الصحافة العربية

٩ ـ مركز فلكي ـ حسرة ـ تجدها في كلمة (يواري)

١٠ ـ خير ـ من العناصر الكيميائية ـ تسافر

١١ ـ من اشهر أعمال جبران خليل جبران ـ نصف كلمة (حائر) ـ من الاشجار ـ مقام موسيقي

١٢ ـ علم ـ نبات سام

١٣ ـ نصف كلمة (تبنى) ـ حيوان ـ معشوقي

١٤ ـ جبال أوربية ـ مقام موسيقي ـ تجدها في كلمة (أليف)

١٥ ـ في الوجه ـ من الاعداد ـ من الخضروات .

فيلسوف ومؤرخ انجليزي

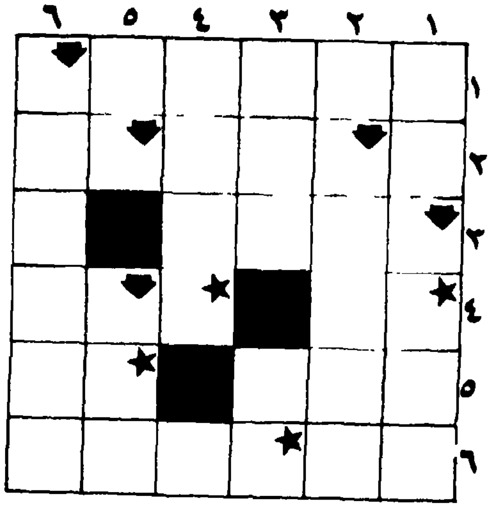
ابدأ أولا بحل مسابقه الكلمات المتقاطعه ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم . ورتّبهـا بحسب تصنع الاسم الاول لفيلسـوف ومـؤرخ انجليزي من أصـل اسكتلندي ، أنشأ الفلسفه الظاهريه . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتّبها لتصنع لقبه .

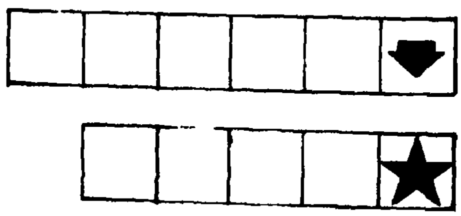
الكلمات الأفقية .

١ ـ كاتب عربي وصاحب العبقريات
٢ ـ زهر عطري
٣ ـ وحدة قياس مساحات
٤ ـ متشابهان ـ سهل
٥ ـ لاذ ـ مقام موسيقي
٦ ـ لاعبات (معكوسة)

الكلمات الرأسية :

١ ـ وحدة قياس كهرباء .
٢ ـ أكبر بحيرات أوروبا
٣ ـ صفح ـ للتفسير
٤ ـ شرّعه
٥ ـ نصف كلمة (مـواد) ـ من أقارب (معكوسة)
٦ ـ مضيق





● اختبار معلومات ●

أين الصواب ؟.. وأين الخطأ ؟

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ . هل تستطيع التمييز بينها ؟

١ ـ الطهيوج   طائر من فصيلة الدجاج

٢ ـ اينولوجي   علم صناعة النبيذ

٣ ـ بوتسدام   اجتماع شهير فى أعقاب الحرب العالمية الثانية

٤ ـ تاجالوج   آلة موسيقية اسيوية

٥ ـ حشيشة الذئب   من الزهور

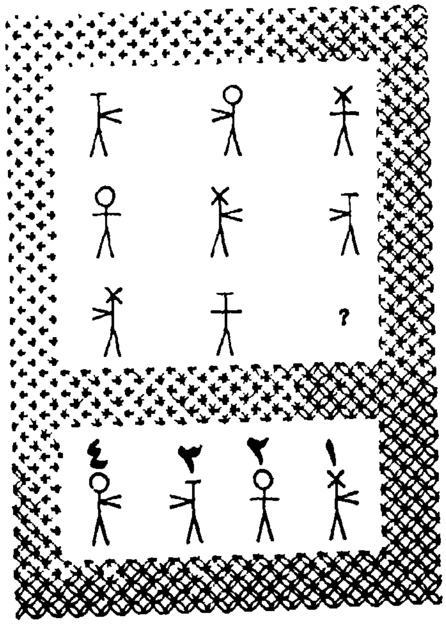
٦ ـ ريج فيدا   من أقدم الكتب المقدّسة في العالم

٧ ـ سييرا مادرى   أشهر معدنية أساسية

٨ ـ كاناي   معركة هزم فيها هانيبال الرومان

٩ ـ لويس بليريو   مكتشف جرثومة الدفتيريا

١٠ ـ ناتو   اختصار اسم حلف شمال الاطلنطي



الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أيّ الاشكال ذات الارقام يجب ان يحلّ محلّ علامة الاستفهام .

الحلول

الجمرة والسهم

دافيد هيوم

●

أين الصواب .. وأين الخطأ

كلّها صحيحة فيما عدا

(٤) تاجالوج   اللغة الرسمية في الفلبين

(٧) سييرا مادرى   سلسلة جبال مكسيكية

(٩) لويس بليريو   أول من عبر المانش بطائرة

الشكل المطلوب

رقم (٤)

العربي

فهرس سنة

١٩٧٩

من العدد ٢٤٢ الى العدد ٢٥٣

حديث الشهر

بقلم : رئيس التحرير احمد بهاء الدين

دين ورجال دين

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
اذا حل شهر رمضان (دعاء) . .	الامام زين العابدين	٧٩/٨		٢٤٩	٨٢
مسلمون ولا اسلام .	د عون الشريف قاسم	٧٩/٩		٢٥٠	١٢
رد على تعقيب عودة الى القران ونظرية التطور	د سعيد رمضان البوطي	٧٩/١٠		٢٥١	٦٢
الدين في عصر العلم . . .	د عون الشريف قاسم	٧٩/١١		٢٥٢	١٨
المستشرقون المعاصرون في تجربة للنقد الذاتي	د محمد فتحي عثمان	٧٩/١١		٢٥٢	٣٤
أصـول التـوراة لماذا أسقطـت التـوراة ٤ قرون من التاريخ ؟	حسين ذو العقار صبري	٧٩/١١		٢٥٢	١٤٥

للمناقشة

بقلم : فهمي هويـدي

الموضـــوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
ثرثرة لازمة في وداع عام رحل !	٧٩/١		٢٤٢	٦٧
الاسلام المطلوب للمرحلة !	٧٩/٣		٢٤٤	٣٤
هذا أوان الفرز !	٧٩/٤		٢٤٥	٣٥
ترجمة عربية لبعض احداث فارس	٧٩/٥		٢٤٦	٣٧
المقالة الابليسية !	٧٩/٦		٢٤٧	٤٥
حكومة اسلامية نعم . حكومة دينية لا !	٧٩/٧		٢٤٨	٤٠
عن الدين والسياسة تيه الحاكمية وقناع سيادة الامة	٧٩/٨		٢٤٩	٤٥
عن الدين والسياسة بعير شعارات من يملك السلطة والثروة ؟	٧٩/٩		٢٥٠	٤٠
الساكت عن الحج والساكت عن الحق !	٧٩/١٠		٢٥١	٣٧
في زمن الرق الثاني	٧٩/١١		٢٥٢	٣٠

سياسة واقتصاد

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
من القاهرة الى طوكيو مع حقوق الانسان ...	د احمد كمال ابو المجد	٧٩/٢		٢٤٣	٢٣
اساس التقدم	د عون الشريف قاسم	٧٩/٣		٢٤٤	١٤
ثورة الصين على النظام الدولي	جميل مطر	٧٩/٣		٢٤٤	١٨

عروبة

استطلاعات الكويت المصورة

الاستطلاعات العربية والخارجية المصورة

ادب ولغة

صفحة في اللغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

شعر وشعراء

الموضــوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
يا شام	عبد الله احمد حسين	٧٩/١	٢٤٢	١٤
جوتة شاعر عظيم وعالم فاشل	د . عبد العظيم انيس	٧٩/١	٢٤٢	٧٨
الحاج عمر لطفي بشاريزي شاعر الباني كتب بالعربية	د . محمد موفاكو	٧٩/١	٢٤٢	١٣٥
وجود جديد	الياس قنصل	٧٩/١	٢٤٢	١٤٦
شاعر العربية بدوي الجبل	اكرم زعيتر	٧٩/٢	٢٤٣	٤٠
بشرنا ثم تصوفنا	فاروق شوشة	٧٩/٣	٢٤٤	١١٦
وجه حبيبتي طالع من الدم	عبد الكريم حسن	٧٩/٤	٢٤٥	١٢
عن الغناء الشعبي في المغرب	د . احمد عبد الرحمن عيسى	٧٩/٤	٢٤٥	١٢٠
شلالات نياجرا	د . محمد عبده غانم	٧٩/٤	٢٤٥	١٣٨
المهاجر وحيدا	فاروق شوشة	٧٩/٥	٢٤٦	١٢
عندما قال الشعر لا للموت !	عبد الوهاب شكري	٧٩/٥	٢٤٦	١٢٦
الى شاعر مجهول	د . عبد العزيز المقالح	٧٩/٦	٢٤٧	٥٠
من قصائد الثورة والحزن للشاعر الايطالي الشاب انجيلو انييزيني	د . عيسى الناعوري	٧٩/٦	٢٤٧	٥٢
الشاعر الاندلسي القسطلي	علي ادهم	٧٩/٦	٢٤٧	١١٠
مصر في امثالها الشعبية	د . كمال نشأت	٧٩/٦	٢٤٧	١٢٢
عودة الذكرى	د . عاتكة الخزرجي	٧٩/٦	٢٤٧	١٥٠
المغنيات والمغنيون في بغداد	جمال الدين الالوسي	٧٩/٧	٢٤٨	٥٢
كيف توج العرب احمد شوقي اميرا للشعراء	اكرم زعيتر	٧٩/٨	٧٤٩	٦
عندما تتقصف الخيام	حسن عبد الله القرشي	٧٩/٨	٢٤٩	٥٠
العام عام الفين	د . محمد عبده غانم	٧٩/٩	٢٥٠	٣٠
عندما اوغل السندباد وعاد	صلاح عبد الصبور	٧٩/١٠	٢٥١	٣٣
غناء وعبير قصائد باللغة الايطالية	د . عيسى الناعوري	٧٩/١٠	٢٥١	٩٤
بودلير .. شاعر المرأة	د . ماري فرنسيس	٧٩/١٠	٢٥١	١١٠
الموت الجميل	د . عبده بدوى	٧٩/١١	٢٥٢	٢٨

قصص

الموضــوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
آخر السهرة	ابو المعاطي ابو النجا	٧٩/١	٢٤٢	١٦٥
الكلام	عباس احمد	٧٩/٢	٢٤٣	١٣٣

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الميلاد	يوسف آلشاروني	٧٩/٣		٢٤٤	٦٤
غش الاصحاب	فاضل السباعي	٧٩/٣		٢٤٤	١٣٣
هذه الحاسة الملعونة	د . شكري محمد عياد	٧٩/٤		٢٤٥	١٣٤
حدث في احدى القرى	د شكري محمد عياد	٧٩/٥		٢٤٦	٦٠
نداء المجهول (تأليف فرانك تلسلي)	احمد البشبيشي	٧٩/٥		٢٤٦	١٣٦
المرج الاعظم	د محمد شكري عياد	٧٩/٦		٢٤٧	٦٤
كشف الهيئة	عباس احمد	٧٩/٦		٢٤٧	١٥٢
الراية والبراءة	مجيد طوبيا	٧٩/٧		٢٤٨	٦٠
احزان السابعة مساء	فاضل السباعي	٧٩/٧		٢٤٨	١٤٤
اخوان (تأليف . انجيل كار الينتشف)	عيسى فتوح	٧٩/٨		٢٤٩	٦٠
زعتر	عبد الله عمر باحكم	٧٩/٨		٢٤٩	١٣٤
الفتاة الغنية الفقيرة	منير نصيف	٧٩/٨		٢٤٩	١٣٨
الدرويش	محمد صالح القمودي	٧٩/٩		٢٥٠	٦٢
ذلك الوجه . وتلك الرائحة	ابو المعاطي ابو النجا	٧٩/٩		٢٥٠	١٤٠
زوجتي الجميلة . .	زينب صادق	٧٩/١٠		٢٥١	٦٦
الجفاف	يوسف القعيد	٧٩/١٠		٢٥١	١٣٠
الغراب للكاتب ايفان بوتين (مترجمة) . . .	ابراهيم مرشد كاسوحه	٧٩/١١		٢٥٢	٦٢
خطاب الى صديق	فاروق خورشيد	٧٩/١١		٢٥٢	١٣٦

علوم

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
طفل الانبوب حدث عام ٧٨ .		٧٩/١		٢٤٢	٣٣
هكذا ولدت لويز وتحول العلم الى حقيقة .	.	٧٩/١		٢٤٢	٣٤
ليست ابنة انبوب الاختبار ولابد من تكرار العملية بنجاح حتى لا تعد ضربة حظ	د حسان حتحوت	٧٩/١		٢٤٢	٣٩
يجوز في حالة الضرورة واذا انعدم الضرر . .	د محمد سعيد البوطي	٧٩/١		٢٤٢	٥٠
هذه هي الخطوة التالية	يوسف زعبلاوي	٧٩/١		٢٤٢	٥٤
الارانب حملت الابقار	د عبد المحسن صالح	٧٩/١		٢٤٢	٥٧
تكنولوجيا الانجاب ومستقبل الاسرة	د . احمد كمال ابو المجد	٧٩/١		٢٤٢	٦٠
هل تختفي اسطورة الامومة ؟	الفين توفلر ترجمة : محمد على ناصف	٧٩/١		٢٤٢	٦٤
خريطة العالم الجديدة	يوسف زعبلاوي	٧٩/١		٢٤٢	٩٤

العدد القادم : عدد ممتاز

انباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

الموضـوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
اسعار البن العالمية هل توشك على الارتفاع مجددا ؟ ـ عمليات اعقام النساء ـ الاخصاب الذاتي كما يجرونه في الضفادع ـ دعوة الى عدم استئصال اللوزتين ـ الاخصاب الذاتي	٧٩/٢	٢٤٣	١٠٢
صورتان للسز فورد ـ نبات الذرة يحل محل البترول ـ لقاح السعال الديكي في الميزان	٧٩/٣	٢٤٤	٦١
كمبيوتر للاحصاء ورسم الخرائط ـ الجيش الايراني : تقييم موجز لاعداده وعدده ـ الجديد في طب الاسنان ـ سدود عالية كثيرة	٧٩/٤	٢٤٥	٦٤
الزراعة والرواسب الملحية ـ طفل الانبوب الثاني او الثالث	٧٩/٥	٢٤٦	٦٤
البنكرياس الصناعي ـ تاريخ التكنولوجيا في سبعة مجلدات ـ الحق الشمس ـ عملية زرع القناة الرحمية هل تنجح	٧٩/٦	٢٤٧	١٠٥
حبوب يتناولها الرجال فتمنع الحمل في النساء الفرنسيون مهددون بالانقراض عام ٢٥٠٠ ـ جهاز جديد صغير لتقطير المياه وتحليتها وتعقيمها ـ العلاج بالكمادات الجليدية	٧٩/٧	٢٤٨	٦٥
اطفال انابيب بالجملة ـ احدث الغواصات النووية ـ محاضرة القاها الدكتور ستبتو في امريكا	٧٩/٨	٢٤٩	٦٢
حفرة شارلمان ـ الجازهول وأزمة البترول في امريكا ـ ماموث روسي يزور لندن ـ قمر صناعي لتجميع الطاقة الشمسية	٧٩/٩	٢٥٠	٦٥
بديل للسكر جديد تم تصنيعه في اسرائيل ـ جهاز جديد لضبط سرعة السيارات ـ بطارية جديدة تعمر ٢٠ ـ ٣٠ سنة	٧٩/١٠	٢٥١	٦٠
حرارة المصانع مصدر من مصادر الطاقة البديلة ـ علاج جديد يبشر بالشفاء من سرطان الدم ـ الكمبيوتر الترجمة	٧٩/١١	٢٥٢	٦٠

طبيب الاسرة

الموضـوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
النحافة واسبابها ـ العين والشعر ـ الانيميا وفقر الدم ـ تكبير حجم الثدي الصغيرة ـ تهدل الجفون	٧٩/١	٢٤٢	١٥٢
الحصبة ٠ اعراضها ومضاعفاتها ـ التدخين ـ آلام عضلات الرقبة	٧٩/٢	٢٤٣	١٣٠
انخفاض ضغط الدم ـ الماء . ضرورته للجسم	٧٩/٣	٢٤٤	١١٤
جدرى الماء ـ قبض الامعاء او الامساك	٧٩/٤	٢٤٥	١١٨

الموضــوع	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
داء الاسقربوط ـ المونيليا	٧٩/٦	٢٤٧	١٣٠
المواد المزيلة لرائحة العرق هل منها ضرر ؟ ـ رائحة الفم	٧٩/٨	٢٤٩	١٣٠
تقلص عضلات المريء ـ فتق الحجاب الحاجز	٧٩/٩	٢٥٠	١٣٠
امراض المثانة ـ الرضاعة والحليب المجفف ـ الشاى والقهوة	٧٩/١٠	٢٥١	١١٥
شلل الوجه النصفي ـ موانع الارضاع الطبيعي	٧٩/١١	٢٥٢	١٢٦

تاريخ

الموضــوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
ملكة انجلترا تزور الخليج في اول رحلة لها الى البلاد العربية بدءا من الكويت	مصطفى نبيل	٧٩/٢	٢٤٣	٣
القاهرة عالم من المآذن	جمال الغيطاني	٧٩/٢	٢٤٣	٥٢
العثمانيون المفترى عليهم	محمد حرب عبد الحميد	٧٩/٣	٢٤٤	٣٧
رحلة مع القانون الى التاريخ	محمد عبد الله عنان	٧٩/٥	٢٤٦	٣٤
المرأة والحرب في التاريخ الاسلامي	د . احمد عبيد الكبيسي	٧٩/٥	٢٤٦	١٠٦
سر اضمحلال شعب المايا	رجاء ابو غزالة	٧٩/٥	٢٤٦	١٣٠
حول تاريخ الكويت خبر جديد	د . شاكر مصطفى	٧٩/٧	٢٤٨	٣٦
القادسية معركة الايام الثلاثة	احمد عادل كمال لوحات : عبد الغني ابو العنين	٧٩/٨	٢٤٩	٦٨
طريق الاثبات ودلائل الخيرات	د . علي احمد راشد	٧٩/٨	٢٤٩	٨٨
فتح دمشق (١٤ هـ ـ ٦٣٥ م)	احمد عادل كمال	٧٩/١٠	٢٥١	٤٢
مذكرات كلوت بك وقصة اول مدرسة عربية للطب الحديث	د . سليمان قطاية	٧٩/١٠	٢٥١	١٣٤
فتح قبرص في عصر المماليك	د . عبد السلام تدمرى	٧٩/١١	٢٥٢	١١٦
عندما كانوا يتكلمون العربية في يوغوسلافيا	اسماعيل حمدى	٧٩/١١	٢٥٢	١٢٨
اصول التوراة .. لماذا اسقطت التوراة ٤ قرون من التاريخ ؟	حسين ذو الفقار صبري	٧٩/١٠	٢٥٢	١٤٥

تاريخ اشخاص

الموضــوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
جوته شاعر عظيم وعالم فاشل	د . عبد العظيم انيس	٧٩/١	٢٤٢	٧٨
الحاج عمر لطفي بشاريزى شاعر الباني كتب بالعربية	د . محمد موفاكو ـ د . نعمة حافظ	٧٩/١	٢٤٢	١٣٥

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
صقر الرشود كاتبا مسرحيا	د . علي الراعي	٧٩/٢		٢٤٣	١٩
شاعر العربية بدوى الجبل	اكرم زعيتر	٧٩/٢		٢٤٣	٤٠
اصدقاء شوبرت	يعقوب افرام منصور	٧٩/٢		٢٤٣	٩٦
فيليب حتي ومدرسته في قراءة التاريخ	د . احمد عبد الرحيم مصطفي	٧٩/٣		٢٤٤	٣٣
عبد الكريم برشيد مسرحي صاعد من الغرب	د . علي الراعي	٧٩/٣		٢٤٤	٤٩
تولستوى عملاق روسيا .. إبن رسالته ؟	منير نصيف	٧٩/٣		٢٤٤	١٠٩
حسن عبد الوهاب المصرى علم من اعلام الاثار والفنون الاسلامية	د . عبد المجيد وافي	٧٩/٣		٢٤٤	١٢٣
روبرت اوبنهايمر : من انتاج القنبلة الذرية الى محكمة مجلس الشيوخ	د . عبد العظيم انيس	٧٩/٤		٢٤٥	٣٠
نور الدين محمود الطريق الى فلسطين	د . عماد الدين خليل	٧٩/٤		٢٤٥	٥٨
ابن بطوطة في الخليج العربي	جمال الغيطاني	٧٩/٤		٢٤٥	٦٧
نجيب محفوظ والرؤى المتغيرة في رواياته	عبد الرحمن ابو عوف	٧٩/٥		٢٤٦	٤٤
الكسندر اوسترو فسكي ومسرحيات الحياة	د مكارم احمد الغمرى	٧٩/٥		٢٤٦	١٢٠
مارجريت تاتشر اقوى امرأة في اوروبا	منير نصيف	٧٩/٦		٢٤٧	٢٩
هوايتهيد ، فلسفته ومحاوراته	عزت محمد ابراهيم	٧٩/٦		٢٤٧	٩٩
الشاعر الاندلسي القسطلي وحيرة النقاد في أمره	علي ادهم	٧٩/٦		٢٤٧	١١٠
افرست حالوا العبقرية والنضال وسوء الحظ	د . عبد العظيم انيس	٧٩/٧		٢٤٨	٣٢
زكريا تامر وقصص اطفال العرب	احمد محمد عطية	٧٩/٧		٢٤٨	١١٠
العقل عند الغزالي	د . محمد عبد الهادي ابو ريدة	٧٩/٨		٢٤٩	٣٤
ميخائيل نعيمة ومسرحيته الرائدة « الاباء والبنون »	د . علي الراعي	٧٩/٨		٢٤٩	٤١
السنهورى . .. فقيه عرب هذا الزمان	د . محمد زكي عبد البر	٧٩/٨		٢٤٩	٩٠
البرت اينشتين .. هذا العبقرى الصهيوني	د . عبد العظيم انيس	٧٩/٩		٢٥٠	٤٦
البشير الابراهيمي · مصلحا وثائرا	عمر بن قنية	٧٩/٩		٢٥٠	٤٦
دفاع عن السلطان محمد الفاتح	محمد حرب عبد الحميد	٧٩/٩		٢٥٠	١٠٢
حكاية اندرو يانج	منير نصيف	٧٩/١٠		٢٥١	٢٨
بودلير .. شاعر المرأة	د . ماري فرنسيس	٧٩/١٠		٢٥١	١١٠
مارون النقاش تجربته الرائدة في المسرح	د . عبد الرحمن ياغي	٧٩/١١		٢٥٢	١٠٤
اوسكار وايلد العبقرى الذى عاش في غير عصره	د . صفاء خلوصي	٧٩/١١		٢٥٢	١٢٣

تربية وعلم نفس

فلسفة

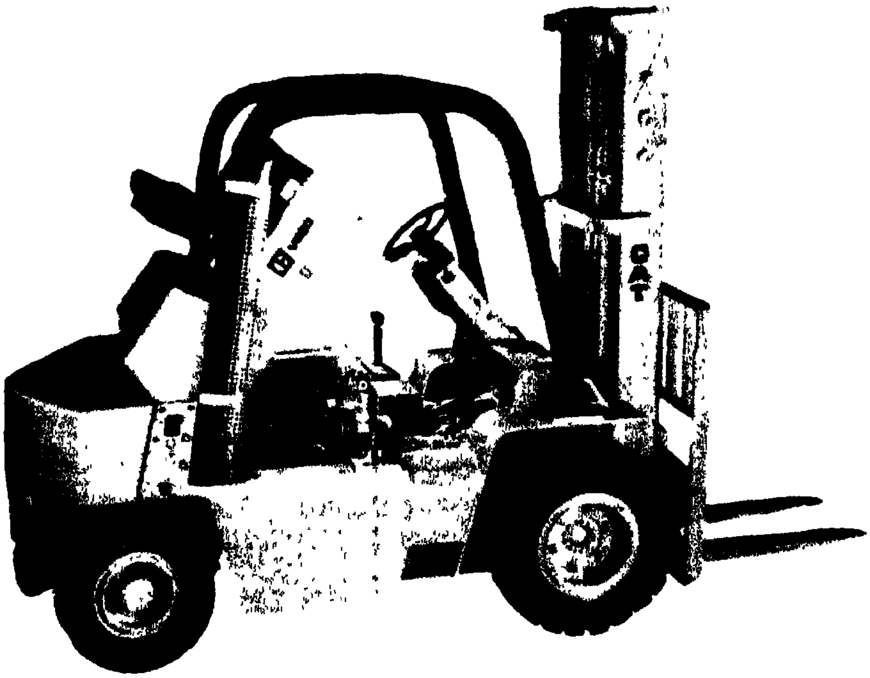
مجتمع واجتماع

كتاب الشهر

الفنون واللوحات الفنية

نذكر فيما يلي الابواب التي اغفلهـا هذا الفهـرس العـام لتعـذر فهرستها ونذكر الى جانبها اسماء محرريها :

نزهة العقل الذكي .... راجي عنايت
طرائف عربية .... صادق يلي
حوار القراء .... عبد الحفيظ يونس
اقوال معاصرة .... فهمي هويـــدي
طرائف اجنبية .... منير نصيف
مقالات في كلمات .... محمد خليفة التونسي
العربي الصغير .... يوسف زعبلاوي
الفهرس العام من اعداد .... صلاح صادق



ما تصممه كاتربلر وتبنيه
تدعمه كاتربلر وتسانده

سهولة الوصول الى القطع والاجزاء، الصيانة البسيطة، والنقاط القليلة للفحص والمعاينة. هذه هي بعض صفات ومزايا شاحنات كاتربلر ذات الرافعة، المصممة لضمان نفقات تشغيل متدنية، مقابل الحصول على قيمة اجمالية عالية.

فالجودة والنوعية الفائقة مدمجة في كل من الموديلات الخمس المختلفة كلها، التي تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و٢٧،٣٠ كلغ انطلاقا من لوحة الرسم ومرورا بكل مرحلة من مراحل الانتاج.

وتمتد قيمة كاتربلر لتشمل الخدمة التي تحصل عليها من الوكيل

"قد تشمل. مساعدة ومشورة الخبراء فيما يختص باختيار الشاحنة. الصيانة والخدمة. توفر القطع سريعة لضمان حصولك على القطعة التي تحتاجها عندما تحتاجها وبذلك لا تهدر أموالك في انتظار القطع أو تضطر للاحتفاظ بمخزونات من القطع الباهظة التكاليف"

ونحن نوجز ذلك بعبارة (CAT PLUS) فهي تضمن حصولك على شاحنة ذات رافعة مدعومة بالخدمة والصيانة، علاوة على كونها مصممة ومبنية لتأمين حصولك على قيمة اجمالية عالية، بتكاليف اجمالية منخفضة.

وهذا سبب وجيه للاتصال بوكيل كاتربلر الآن.



Caterpillar Tractor Co هي ماركات مسجلة لشركة Cat , Caterpillar

ابو ظبي محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ٤٤١، ابوظبي، الامارات العربيه المتحده، تلفون ٢٢٣٨٧ **البحرين** محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ٥٣٥٧، المنامه تلفون ٧١٣٦٠٧
دبي محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ١١٧٠ دبي، الامارات العربيه المتحده، تلفون ٦٠٢٥٥ **مصر** ماسترك، ٢٢ شارع ابن مكي، محطه الرمل، الاسكندريه، تلفون ٨٠٧٨٩٧
الاردن شركه الجرارات والمعدات الاردنيه المحدوده، عريبي السلعد، ص ب ٣١٣، عمان، تلفون ٦١١٤١/٤٢/٤٣ **الكويت** محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ١٤٨، الصفاة، الكويت، تلفون ٨١٠٨٥٥/٥٦ **لبنان** • عرب حلاد واولاده، ص ب ١١٠٢٠٨، بيروت، تلفون ٩٣٢٥٢٢ **الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية** الشركة العامه للآلات والأجهزة والقوارب الزراعية، سيدي مصري، ص ب ١٤٨، طرابلس الغرب، تلفون ٣٢٥٢٠ فرع سعادي، تلفون ٩٢٣٢٩ **سلطنة عمان** شركه الواحه للتجاره والمعدات، ص ب ١٠٠٢، مطرح، مسقط، تلفون ٢١٦٠ **قطر** محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ٢١٧١ الدوحه، تلفون ٢١٠٢٦ **المملكة العربية السعودية** شركه الزاهد للتراكتورات والمعدات الثقيله المحدوده، ص ب ١٥٨٨، جده، تلفون ٧٧٠٠٠ الفروع الدمام، تلفون ٢٢٥٩٤ الرياض، تلفون ٢٨٤٦٨ **الجمهورية التونسية** موسسه بي ماريس، شركه محمله، ٩١ حارة قرطاجنه، تونس، تلفون ٢٥٦٥٧٧ **المغرب** الشركه المغربيه لموسسات بي ماريس، ١٤٥ بولفار المقاومه، الدار البيضاء، تلفون ٣٠٥٦٧٥
سوريا • عرت حلاد واولاده، ص ب ٢٣، شارع حسب، العابد، دمشق، تلفون ١٩١٤٨٥٤، فروع في حلب، واللاذقيه، والقامشلي

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي
يفوق رأسمالها واحتياطها ١.٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠ جنيه استرليني.

لومبارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات
البنوك المصرفية العالمية ولديها تاريخ يرجع إلى
أكثر من ١٠٠ سنة تمدكم بتسهيلات ايداعية
تعود عليكم باقصى فائدة مع مرونة الاختيار
وضمان لأموالكم لدينا ودائع لأفراد
ومؤسسات من جميع انحاء العالم

١٣٪

في السنة
ايداع محدد لمدة سنة
تدفع كل الفوائد بدون خصم الضريبة البريطانية على الأصل

[illegible]

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم
نقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة

ايداع ذو الأخطار
حد ادنى ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكن الاضافة اليه أي مبلغ وفي أي وقت كم ويمكن السحب بعد الاخطار في اخر المدة المتفق عليها تستحق الفائدة اعتبار من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف إلى الحساب

ايداع ذو مدة محددة
حد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني لمدة محددة من سنة إلى خمس سنوات بسعر فائدة محدد في هذه المدة تدفع الفائدة نصف سنوية أو سنويا

ايداع ذو دخل منتظم
حد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني هذا المشروع يؤهلكم باستلام شيك بالفائدة كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة وسنة الفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها تودع الأموال لمدة محددة تتراوح بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة

لتفاصيل أكثر من برامج حسابات الايداع وأسعار الفوائد نرجو ان تملؤا الكوبون وارساله لنا اليوم

Lombard
North Central
Bankers

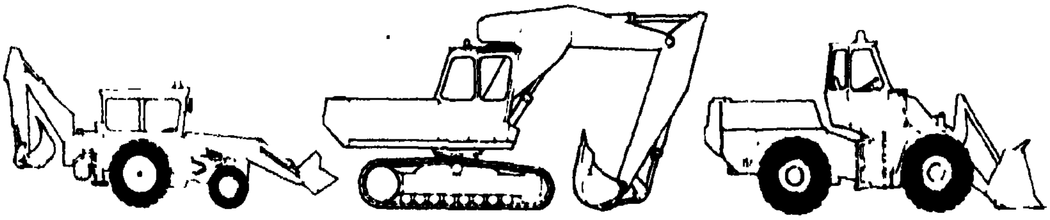
إلى.
LOMBARD NORTH CENTRAL LTD, DEPT V182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND
Telephone 491 7050

الاسم: ______________________________

العنوان بالكامل: ______________________________

____





عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

ديسمبر - كانون أول
١٩٧٩

الإبداع

في الفن والعلم

تأليف :

د. حسن أحمد عيسى

٢٥٠ فلساً

الكتاب الرابع والعشرون

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمى

وزارة الإعلام فى الكويت

أول ديسمبر ١٩٧٩

١٢٣

حلم العقل

تأليف : بويرو باييخو – ٣
ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل
مراجعة : د. الطاهر أحمد مكى

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

مدير التحرير
عبد العزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ١٠٠٫٠٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة باقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — ببليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا امريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

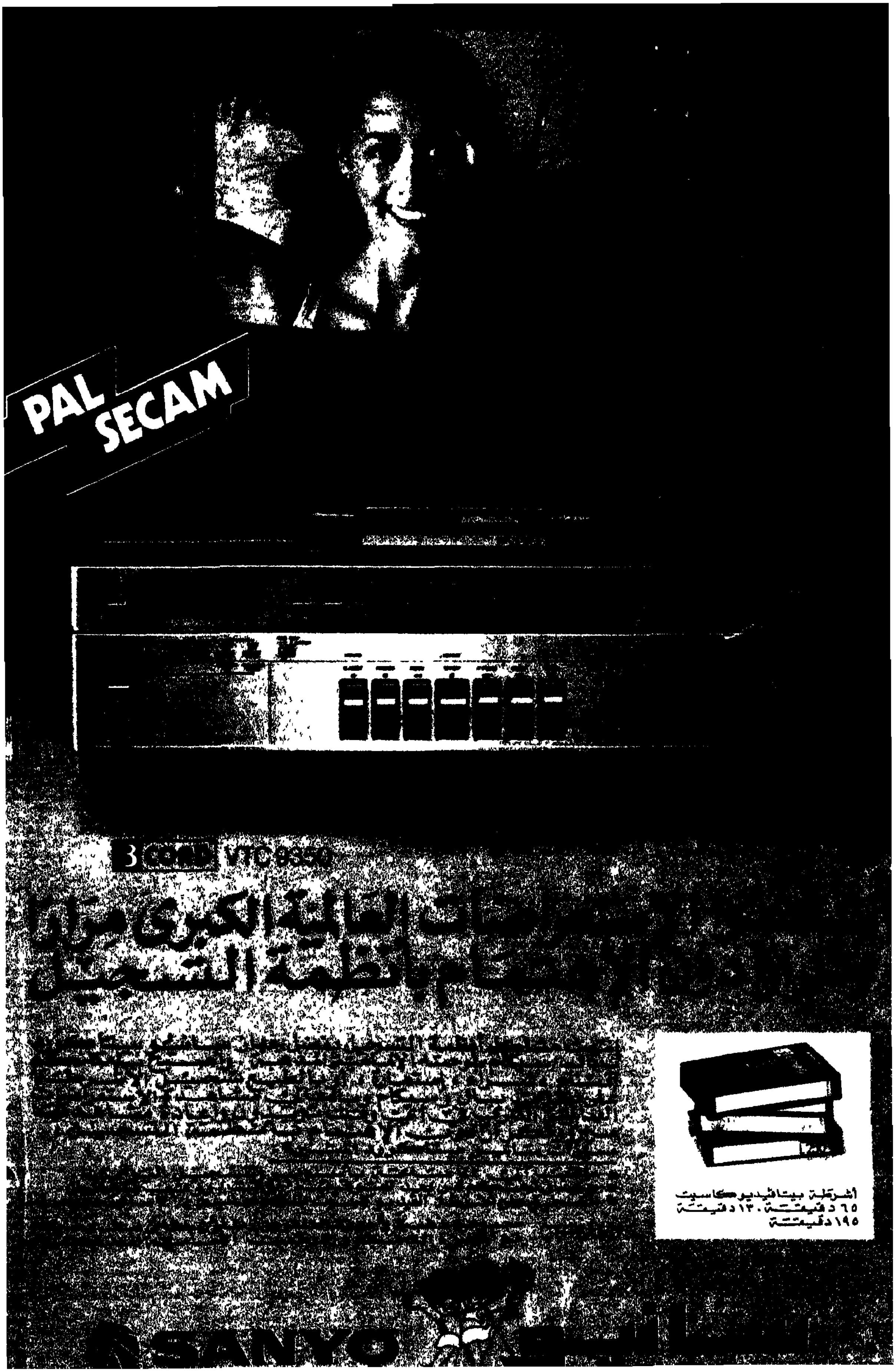
العنوان : جامعة الكويت — كلية الاداب والتربية — الشويخ — دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

هاتف : ٨١٦٨٠٧—٨١٦٧٩٩—٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير


صورة تلفزيونية ملتقطة
SON
أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي
مبكرًا لتجلس في أنسب المقاعد


PAL
SECAM
أشرطة بيتافيديو كاسيت
٦٥ دقيقة ، ١٣٠ دقيقة
١٩٥ دقيقة
SANYO